مجلة الأزهر

٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٦٨

المجلد السادس والخمسون ـ القسم الثاني

السنة ١٤٠٤هـ

الأزهر الشريف

سقيفة الصفا العلمية

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25907497 / 25899823
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

(٢)
١٢
٢٢٢٢٦٢
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف

المسجد الأقصى

الإسراء والمعراج

من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم

حين تعاهد الطغيان على مطاردة الايمان والمؤمنين ، حين تعاقدت قريش في صحيفة قرروا فيها وفاقا على مقاطعة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، وحصاره مع من اتبعه من المسلمين ، ثلاث سنوات متتابعة احتمى فيها النبي — عليه الصلاة والسلام وأهله ومن اتبعوه بشعب من شعاب الجبل بظاهر مكة ·

الجزء السابع — السنة السادسة والخمسون

ابريل ١٩٨٤ م رجب ١٤٠٤ هـ

الأسراء والمعراج

من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم

لم يستسلم لهذا الحصار الذى أوقعته فيه قريش ، بل صبر وثابر محتسبا ما يلقى هو وصحبه فى سبيل ابلاغ الدعوة حتى ارعوى بعض قومه عن غيهم ، فتنادوا الى نقض صحيفة المقاطعة وأجمعوا أمرهم على استدامة الصلة بين قريش وأولئك المحاصرين ، ولما هم هؤلاء بتمزيق الصحيفة وجدوا أن الأرضة قد أكلتها الا ما جاء فى افتتاحها من كلمة : (باسمك اللهم) .

وما أن يعود الرسول عليه الصلاة والسلام والمحاصرون معه الى مكة حتى يواصل الدعوة الى دينه تاليا ما أنزل الله عليه من قرآن ،وفى توارد الحوادث وتتابعها .

ولما تمض سوى عدة أشهر على نقض صحيفة الحصار حتى كان موت أبى طالب عم الرسول ، ثم موت زوجه خديجة ، وقد كانا له سندا فى دعوته ، تكاثرت عليه من بعد وفاتهما اساءات قريش وتربصهم به ، حتى طلب النصرة والمنعة من ثقيف بالطائف ، أملا فى اسلامهم ، ولكنهم كجيرانهم قريش ، قست قلوبهم ولووا رءوسهم ، وأغروا به سفهاءهم ، فكانت شكواه لربه وتضرعه فى مناجاته :

(اللهم اليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، الى من تكلنى ، الى بعيد يتجهمنى ، أو الى عدو ملكته أمرى ، ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنــزل بى غضبك أو تحل على ســخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك) .

فى وسط هذه الأرزاء والأنـــواء ، كانت رحمة الله برسوله بهذه الرحلة ، تسرية عنه ، وتثبيتا لقلبه ، وتأييدا لدعوته ، وحفزا لهمته، واستجابة لتضرعه .. وفيهـا كانت دلالات صدق رسالته مع تزكية نفسه واستقامة أمره..

كانت الرحلة الى القدس تقريبا وتكريما له(**سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْـجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِـيرُ**) ..

هذا الاسراء ، ثم المعراج ــ لا نعلـم أن أحدا قد أعطيه من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ــ وما أكرمه الله فيهما من امامتـه الأنبياء فى بيت المقدس ، وما أراه من آيـات كبرى فى المعراج وتكليمه ربه سبحانه ورؤيته اياه ، وتجاوزه السماوات السبع حتى سدرة المنتهى ، وسماعه صريف الأقلام ، ولقــاؤه بالانبياء ، وماأعطيه من الصـــلاة وخواتيم سورة البقرة ومضاعفة الحسنات ، واعتراف الانبياء بنبوته ورسالته وامامته : (**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى . عَلَّمَـهُ شَدِيدُ الْقُوَى . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى . وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى . إِذْ يَغْشَى السِّـدْرَةَ مَا يَغْشَى . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**) .

٥ الاسراء والمعراج من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم

نعم : كانت رحلة الاسراء والمعراج منهجا للحياة ، ووسيلة لتخطى عقبات ، واعانة على الجهاد فى ابلاغ الرسالة ، وجهادا للنفس حتى تستقيم ، وتقيم الفرائض ، وتلتزم بالفضائل وتتزكى من أوضــــار الحياة (قَــدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا) .

لقــد أرضـــاه ربه واجتباه وزكـــاه بالاسراء والمعراج ، فاذا دارت الايام ومرت بالمسلمين هذه الذكرى ، كان لزاما عليهم أن يتدارســـوا أثرها فى اتساع الدعوة وامتــدادها ، وتثبيت المؤمنين حتى ازدادوا ايمانا ، فما وهنوا ــ بعد ــ لمـــا أصابهم من أذى وضر ، وما استكانوا لما وقع عليهم من غبن وحيف .

واذا كانت الصلاة قد فرضت فى هذه الرحلة فلأنها بحق عماد الدين ، كيف لا ؟ وهى آيـــة ظاهرة على وحدة المسلمين اذ يتجهون فيهـــا الى قبلة واحدة . فى عبادة موحدة فى أوقـــات محددة .

واذ تمر هذه الذكرى بالمسلمين اليوم وهم فى فرقة وتنافر وخصـــام وتقـــاتل ، عليهم أن يذكروا المسجد الاقصى ، الاسير الذى كـــان أول قبلة للمسلمين ، الذى أسرى برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ـــ اليه ، وصلى فيـــه اماما بالانبياء والمرسلين ، الذى تســـلمه عمر ابن الخطاب .

وظل المسلمون فى رحابه حراسا له وسدنة لأعتابه ، يعمرونه بالصلاة وترتفع فيه نداءات المؤذن فى وقت كل صلاة ، وكم من حلقات للعلم قد انعقدت فى جنباته ، وكم من الفقهاء والعلماء والأدباء قد أفاض الله عليهم فيه علوما نافعة فى الدين والدنيا .

ليذكر المسلمون القدس وأنها دارهم ، وأن يجمعوا أمرهم ليستردوا أرضهم وبدلا مـــن هذه الحروب التى أفنت شبابهم ، واستنزفت أموالهم ، يقتـــل فيها الاخ أخـــاه وجـــاره ، عليهم أن يقفوا صفا واحـــدا فان الأخطـــار محدقة بهم من كل جـــانب ، وان أعـــداءهم يفجرونهم من الداخل حتى يكون بأسهم فيما بينهم شديدا وقلوبهم شتى .

فى ذكرى الاسراء علينا نحن المسلمين أن نرتفع فوق الخـــلافات ، وأن نتخـــذ من هذه الذكرى مددا وسندا لوحدتنا ، وعضدا لقوتنا ، فلا نيأس من روح الله فنزداد فرقة ، بل نثق فى وعد الله الذى لا يتخلف : (فَإِنَّ مَـــعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) . ولن يغلب عسر يسرين

نعم : لن يـــدافع عن قضـــاياكم الا جموعكم .. ولن تســـترد القـــدس الا بوحدتكم :

(وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) .

آيات الغيب في عالم اليقين

للدكتور على أحمد الخضيب

... والغيب هو : العالم غير المنظـور الذى لا تدركه أبصارنا ابتداء مما يحيط بنا من عـوالم لا نراها ، ونهـاية بالملأ الأعلى ، فكل « عالم الغيب » .

هذا العالم الذى حجب الخـالق ــ عز وجل ــ مشـاهده عن خلقـه ... « فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَـدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُـولٍ(١) ... » فأولئـك أهل اليقين الذين صنعهم الله ــ سـبحانه ــ عـلى عينه ، واصطفاهم لنفسه ، وأنقذ بهم من شاء من خلقه .

أولئـك يريهم الله من « عالم الغيب » ما شاء ، فيشـاهدونه عـلى حقيقتـه ، ويحيطون به علما ــ صلوات الله وسلامه عليهم .

يشهد الله ــ سبحانه ــ هذا العالم من أراد منهم ان شاء ببصيرته ، وان شاء به كله :جسدا وروحا ، بصرا وبصيرة فيرى من آيات ربـه فى عطاء سخى بغير حدود .

أرى ــ عز وجل ــ خليله ابراهيم ــ عـلى نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ــ ما شـاء من عالم الغيب فشقت لبصيرته الحجب من أعلى وأدنى حتى أوعب .

(١) الآية ٢٦ ــ ٢٧ من سورة الجن .

آيات الغيب في عالم اليقين

« وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ (١)

قال الامام النسفى — رضوان الله عليه :

« أى نرى ببصيرته لطائف خلق السموات والأرض » اهـ •

وليس تنفصل البصيرة عن الروح •

قال مجاهد — رضى الله عنه :

« فرجت له السموات السبع الى ما فيهن حتى أنتهى نظره الى العرش ، وفرجت له الأرضون السبع حتى نظر الى ما فيهن »

كذلك نقل عن عطاء وسعيد بن جبير ، وغيرهم من أعلام التابعين (٢)

فتلك رؤية شاهد فيها من عالم الغيب ما شاء الله ••• « بفؤاده وتحققه وعرفه ، وعلم ما فى ذلك من الحكم الباهرة ، والدلالات القاطعة كما رواه الامام أحمد ، والترمذى وصححه ، عن معاذ بن جبل فى حديث المنام (٣) •

كل ذلك والخليل — على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم — لم يفارق بدنه الشريف الأرض وانما هى نقلة سرت فيها البصيرة والروح فشاهدت آيات الغيب فى عالم اليقين •

وأسرى الله — سبحانه — بعبده ورسوله محمد — صلى الله عليه وسلم — ففارق البيت الحرام ببدنه كله منفصلا عن الأرض طائرا — على البراق — الى المسجد الأقصى بفلسطين يصحبه الأمين جبريل — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام — ، ثم عرج الى أعلى ، ومن

---

(١) الآية ٧٥ من الانعام •

(٢) ومثل ذلك لا ينقله التابعى الثقة عن رأى ، وقد توثقت الرواية هنا عن أكثر من واحد •

(٣) راجع تفسير ابن كثير ٢/١٥٠ مطبعة عيسى البابى الحلبى ، وانظر فى الآية الكريمة تفسير النسفى والآلوسى •• رضى الله عنهم •

سماء الى ســماء تعــددت آيات الله فى عــالم اليقين على كل مرقى لرســوله الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى ســدرة المنتهى والبيت المعمور قال عليه الصلاة والسلام :

ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أســمع فيه صريف من الأقلام(١) .

ورأى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقص :

فقص عقب الرؤية والعودة .

وتحدث ــ بعد ــ بما شاء الله .

صلى الله وسلم وبارك عليه فى العالمين ، وفى عليين على خير ما يحب ويرضى

وكانت رحلة :

حفها استقبال الملائكة والنبيين .

وتواترت فيها مشاهد الغيب من عالم اليقين.

وطــرحت أمام ناظريــه ــ صلى الله عليــه وسلم ــ وقائع « الجزاء » للصالحين والطاغين وختمت بفرض « الصلاة » ، صــلة الخلق برب العالمين .
ثم انتهى والنبيون الى المسجد الأقصى فأمهم أجمعين .

وذكر هــذه الرحلة فأجــاد وأفاد الحــافظ أبو الخطاب عمر بن دحية فى كتابه « التنوير فى مولد السراج المنير » ثم قال :

« وقد تواترت الروايات فى حديث الاسراء عن :

عمر بن الخطــاب ، وعلى ، وابن مســعود ، وأبى ذر ، ومالك بن صــعصعة ، وأبى هريرة ، وأبى سعيد ، وابن عباس ، وشداد بن أوس ، وأبى بــن كعب وعبــد الرحمــن بــن قــرط

(١) صحيح البخارى .. كتاب الصلاة .. وأنظر تفسير ابن كثير ـ واللفظ له ٣/ ٩ .

وأبى حبة ، وأبى ليلى الأنصـــاريين ، وعبد الله بن عمرو ، وجابر ، وحذيفة ، وبريـــدة ، وأبى أيوب ، وأبى أمامة ، وسمرة بن جندب ، وأبى الحمراء ، وصهيب الرومى .

وأم هانىء ، وعائشة ، وأسماء ابنتى أبى بكر الصديق ــ رضى الله عنهم أجمعين .

منهم من ساقه بطوله ، ومنهـم من اختصره على ما وقع فى المسانيد (١) » . أ . هـ .

وحديث الاسراء يعنى ما معه من « معراج » لا مجرد الاسراء فقط ، والا ففيما تحدث بـه الكتاب العزيز عن الاسراء الدليل الذى لايحتاج ــ الى جواره ــ الى دليل ، فالمعراج تواتر على ألسنة القوم ، لذا يقول الحافظ أبو الخطـاب عمر بن دحية :

فحديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون « **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْـوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِـمُّ نُـورِهِ وَلَـوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** (٢) » اهـ

وظل حـديث الاسراء وما تـلاه من معراج مصفاة تستبقى المؤمنين الى يوم الدين ، فبقدر ما كان رحلة طيبت فؤاد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وسرت عنه كانت اختبارا يمحص الله به المؤمنين ويمحق الملحدين :

روى الامام أحمد ــ رضى الله عنه ــ بسنده الى ابن عباس ــ رضى الله عنهما قال : « أسرى برسول الله ــ صلى اللــه عليه وسلم ــ الى بيت المقدس ، ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره ، وبعلامة بيت المقدس ، وبعيرهم ، فقال الناس :

ــ نحن لا نصدق محمدا بما يقول .

فارتدوا كفارا ، فضرب الله رقابهم مع أبى جهل » .

ورواه النسائى من حـديث أبى يزيد : ثابت بن زيد عن هلال ، وهو ابن حبـان بلفظه ، وهو اسناد صحيح (٣) .

فأما أبو بكر ــ رضوان الله ، تعالى ، عليه ــ فكان به من الصديقين وكذا شان المؤمنين .

---

(١) راجع تفسير ابن كثير ٣/ ٢٤ .

(٢) سورة الصف ــ ٨ ــ

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ١٤ ، ١٥

دراسات قرآنية

أزمة خلقية فى قصر عزيز مصر

الحمد فى القرآن الكريم

أزمة خلقية فى قصر عزيز مصر تثيرها إمرأته

يقول الله سبحانه « وَرَاوَدَتْهُ الَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ » الآيات من سورة يوسف

كان لامراة العزيز مع يوسف عليه السلام موقف خال من الكرامة الخلقية ، قابله يوسف بما هو أهله من العزة والاباء والطهر ، ثم انتهى أمره الى ولاية شئون مصر نيابة عن الملك .

وقبل أن نتحدث عن فصول تلك العبرة ، نذكر المقدمات التى وصلت به الى قصر عزيز مصر استيفاء لعناصر القصة والعبرة معا ، فنقول وبالله التوفيق :

كان ليعقوب عليه السلام اثنا عشر ولدا من أمهات شتى ، آخرهم يوسف وبنيامين من أم واحدة ، وكانا يتمتعان بمزايا جعلت لهما منزلة رفيعة من الحب لدى أبيهما .

فحقد عليهما اخوتهما وكان أكثر حقدهم متجها نحو يوسف عليه السلام لأن حب أبيه له كان أعظم ، لكريم سجاياه وللمستقبل الرفيع الذى كان يتوقعه له بعد أن حدثه برؤياه « إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ »

« مؤامرة خطيرة »

لم يكن اخوة يوسف أنبياء ــ كما زعم بعض الزاعمين ــ بل كانوا بشرا عاديين يجرى منهم ما يجرى من البشر ، فلا غرابة فى أن تحدث منهم تلك المؤامرة الكبرى على أخيهم يوسف عليه السلام لحكم دبرها العليم الخبير فقد استتبعت تربعه على أريكة الوزارة فى مصر وولاية شئونها الخطيرة . اجتمع هؤلاء الاخوة العشرة ــ والحقد يملأ صدورهم « **إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ**

للشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ » والعصبة الجماعة من العشرة الى الأربعين ، وسموا بذلك لأنهم يحيط بعضهم بعضا برأيه وتأييده كما تحيط العصابة بما تعصب به ، وقد عابوا على أبيهم أنه آثر القلة الصغيرة على الكثرة الكبيرة — مع أن الأخيرة أنفع له فى نظرهم ، وحكموا عليه لذلك بأنه ضل عن الصواب ضلالا مبينا .

فقال قائل منهم **« اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ »** أى اقتلوه أو اطرحوه فى أرض بعيدة ، حتى يتعذر عليه الرجوع الى أبيه أو تأكله الوحوش الضارية ، وبذلك يخلص لكم وجه أبيكم فيقبل بكليته عليكم ، ولاينازعكم أحد فى محبته ، وتكونوا من بعده قوما صالحين بالتوبة من قتله ، أو صالحين مع أبيكم بعذر تنتحلونه ، أو صالحين فى أمور دنياكم حيث يخلو لكم وجه أبيكم .

وقال آخر **« لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ »** أى لا تقتلوه فان القتل خطير ، ولكن ألقوه فى جوف الجب الذى يغيبه عن العيون، ليبقى حيا فيلتقطه بعض الذين يسيرون فى الأرض ، ان كنتم فاعلين التفريق بينه وبين أبيه ، فهذا مع تحقيقه المراد أبعد عن القتل وأسلم ليوسف .

والجب فى اللغة البئر البعيدة القاع ، أو التى وجدت ولم تحفر ، وغيابة الجب طاق فوق الماء يغيب الشىء عن العين — كما قال الهروى .

فاتفق رأيهم على القائه فى هذه الغيابة ، وذهبوا الى أبيهم قائلين : **« مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ . أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »** أى لماذا لا تأمنا على يوسف بل تخاف عليه منا ، مع أننا نشفق عليه ونريد له الخير ونبذل له النصيحة ، أرسله معنا غدا نتسع فى أكل الفاكهة وغيرها ، ونلعب بالاستباق وسواه من أنواع اللعب المباح ، وانا له لحافظون من كل مكروه ، فلا داعى لخوفك عليه .

لكن يعقوب عليه السلام لم يكن مطمئنا على حفظهم له ، وذلك ماحكاه الله بقوله : **« قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِى أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ »** أى قال يعقوب لبنيه : انى ليحزننى ذهابكم به وفراقه لى ، فأنا لا أطيقه ، وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم فى لهوكم ولعبكم ورتعكم غافلون عنه — لقلة اهتمامكم به — والأرض كثيرة الذئاب والوحوش ، فيفترسه بعضها وقد تركتموه وحيدا .

« قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ » قال اخوة يوسف لأبيهم مقسمين : والله لئن أكله الذئب ونحن جماعة نحيط به ،

أزمة خلقية

اننا حينئذ لخاسرون فى أمورنا ، فلا نصلح لجلب الأرزاق لضعفنا ، ولا لغير ذلك من شئون الحياة لسوء تصرفنا .

فرضى يعقوب عليه السلام بصحبته لهم على كره منه « فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ » أى فلما ذهبوا بيوسف وعزموا جميعا على القائه فى غيابة الجب ، نفذوا ماأجمعوا عليه ، وأرسلنا ملكا ليوسف عليه السلام ليطمئنه ويزيل الوحشة عنه .

وقلنا له على لسان الملك : لتنبئن اخوتك بأمرهم هذا وأنت عزيز مصر ، وتخبرهم بما فعلوه بأخ لهم من أبيهم ، وهم لا يشعرون أن الذى يلومهم ويعتلى أريكة الوزارة هو أخوهم يوسف الذى ألقوه فى غيابة الجب .

يوسف بعد القائه فى الجب

ثم يحكى الله ما آل اليه أمر يوسف بعد القائه فى غيابة البئر فيقول « وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ » أى وجاءت رفقة من التجار يسيرون متجهين الى مصر — جاءوا بعد عودة اخوة يوسف الى أبيهم ليسووا شأنهم معه — فنزلت الرفقة قريبا من الجب ، فأرسلوا واردهم الذى يرد الماء لهم ويعرف طريقه — أرسلوه — ليستقى لهم وكان معه بعض هؤلاء الرفاق ، ليساعدوه فى جذب الماء من البئر ، وتوصيله الى باقى جماعتهم ، فأدلى هذا الرائد دلوه فى البئر فتعلق يوسف بالدلو « وكان صبيا وقتئذ » فلما قرب خروجه من البئر ورآه الرائد فى حسنه وجماله قال لأصحابه وهو فى أشد العجب والفرح : يا بشرى لنا . هذا غلام جميل كان فى البئر سنبيعه عبدا بمصر .

وكان يوسف عليه السلام غاية فى الحسن ، وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم فى حديث الاسراء برواية مسلم « فاذا أنا بيوسف ، اذا هو قد أعطى شطر الحسن » .

وبعد أن بشر الرائد أصحابه به اتفق معهم على أن يخفوا أمره عن باقى رفقتهم حتى لا يشاركوهم فى ثمنه ، فلما رجعوا به مع الماء الى باقى السيارة قالوا لهم قصة تجعل الامر فيه لهم وحدهم ، كقولهم ان أصحاب الماء أعطونا اياه لنبيعه لهم بمصر ونرد لهم الثمن.

قال مجاهد — أسره الرائد ومن معه من الرفقة عن التجار الذين معهم فى السيارة ، وقالوا لهم : هذه بضاعة استبضعناها بعض أهل الشام أو أهل هذا الماء الى مصر ، وانما قالوا لهم هذا خيفة الشركة : انتهى كلامه بتصرف يسير .

ثم ختم الله الآية بقوله « وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ » وهذه الجملة اما وعيد لأخوة يوسف على ماصنعوه بشأنه ، من تآمرهم على قتله ثم ابداله بالقائه فى غيابة الجب وتعريضه

للعبودية ، واما بيان لعلمه سبحانه بشأن ما اتفق عليه أولئك الذين استخرجوه من البئر ، وما أدى اليه من العز الذى وصل اليه ، فكل ذلك بعلم الله وتدبيره الحكيم .

« وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ »

كلمة شرى تستعمل تارة بمعنى اشترى ، وأخرى بمعنى باع ، وهى هنا بمعنى باع ، أى وباعوه بثمن قليل ناقص عن قيمة مثله من الأرقاء ، وكان البائعون فى بقائه معهم من الزاهدين ، فلهذا تساهلوا فى ثمنه ، اما لكونه لقطة لم يدفعوا فيه ثمنا ، أو لخوفهم من أن يظهر مستحق له ، فينزعه منهم .

« يوسف فى بيت عزيز مصر »

ويحكى الله قصة يوسف فى بيت عزيز مصر بعد أن اشتراه فيقول « وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » .

لم تفصح هذه الآية عن شخصية من اشترى يوسف عليه السلام ، وأفصحت عنه آية أخرى هى قوله تعالى :

« وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ . » فهى تدل على أنه عزيز مصر ، واختلف فى لقب العزيز فقال الضحاك انه لقب الملك ، فهو لقب ملك مصر عنده ، ويسميه السهيلى قطفيرا ، وقال ابن عباس : انما اشتراه عزيز مصر ، ويرى أن اسمه قطفير أيضا .

ونحن نرجح ما قاله ابن عباس من أنه وزير الملك ،كما تفصح عنه قصة استدعاء الملك ليوسف من السجن ، بعد أن عبر له رؤياه الخطيرة ، فقد استدعاه ليستخلصه لنفسه ويستشيره فى أمر ملكه ، فاعتذر عن عدم الحضور حتى يحقق مع النسوة اللاتى قطعن أيديهن حين رأين جماله ، ومع امرأة العزيز ، يتعرف منهن براءة يوسف من دعوى امرأة العزيز أنه حاول اغتصابها .

وتحكى الآية أن عزيز مصر الذى اشتراه قال لامرأته : أكرمى مقامه عندنا وأحسنى اليه فى المعاملة والرعاية لعله ينفعهم فى ضياعهم وأموالهم ومصالحهم ، أو يعتقه ويتبناه ، لما رأى فيه من أمارات النجابة والشرف كما تحكى الآية أيضا أن الله كما مكن ليوسف فى بيت عزيز مصر الذى اشتراه ، جعل له مكانة رفيعة فى أرض مصر بين أهلها ، حيث عرف بأخلاقه الفاضلة وتصرفاته الرشيدة ، الى جانب جاهه العريض بتبعيته للعزيز ، وما ينم عنه مظهره من الوجاهة — جعل الله تعالى له هذه المكانة — ليترتب عليها ماجرى بين امرأة العزيز وبينه قبل أن يسجن ، ولنعلمه بعض تأويل الاحلام وهو سجين ، فتكون سببا فى ظهور براءته من الخيانة التى نسبتها امرأة العزيز اليه ، فينتهى أمره الى الوزارة والسيطرة على

أزمــة خلقيــة

خزائن الارض ، والله غالب على أمره لاينازعه فيه منازع ، ولايغلبه فيه غالب ، فهــو الذى يقول للشيء كن فيكون ، وكذلك كان أمره تعالى فى قصة يوسف ، فقد أراد له غير ما أراد لــه اخوته ، فتحقق مراد الله وبطــل مرادهم ، ولكن أكثر الناس لايعلمون أن مشيئة الله هى الغالبة .

« وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَـذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ » .

هذه الآية الكريمة تعطينا صورة عن المرحلة التى انتقل اليها فى بيت العزيز ، وهى مرحلة الشباب الحكيم المتزن ، بعد مرحلة الصـبا التى كان فيها عند شرائه ، أى ولما بلغ يوسف منتهى قــوته الجســدية ، آتيناه حكمــة فى القول والعمل ، واصابة فى الحكم بين الناس ، وعلما غزيرا وبصرا بالأمــور وحســن تأويل للاحلام ، مثل ذلك الجزاء الحســن نجــزى المحسنين فى تصرفاتهم .

« محنة يوســف فى بيت العزيز »

يحكى الله هــذه المحنة بقــوله **« وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِــهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَــنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ » .**

المراودة فى اللغة الطلب برفق ولين ، يقال فى الرجل : راودها عن نفســها ، أى طلب أن يواقعها وترفق فى طلبه منها وفى المرأة راودته عن نفسه ، أى طلبت منه ذلك فى رفق ولين ، وهيت اسم فعل أمر معناه أقبل ، والــلام فى (لك) للبيان ، أى لك أقول هــذا ، كمــا فى هلم لك .

ويقول أبو عبيد فى (هيت) : قال الكسائى : هى لغة لأهل حوران ، وقعت لأهل الحجاز ، معناه ــ تعال ــ قال أبو عبيد : فسألت شيخا عالما من حوران ، فذكر أنها لغتهم ، وبه قــال عكرمة ــ وهذا يقتضى أنها أعجمية دخلهــا التعريب فصارت عربية .

وقال مجاهد وغيره : هى لغة عربية تدعوه بها الى نفسها ، وهيت به اذا صاح ودعاه .

وقيل انها اسم فعل ماض بمعنى تهيــأت لك ، وهى بهذا التــأويل تتفــق مع قــراءة ابن عباس (هئت لك) تتفق معها فى المعنى ، ويطلق الرب على السيد وعلى المربى .

ومعنى الآية : وطلبت من يوسف امــرأة العزيز التى هو فى بيتها ــ طلبت منه ــ أن يخالطها ، وقد أعجبت بشبابه وجماله ووجاهته وحكمته ، واحتالت لذلك بما وسعها من الملاينة والاغراء والخضوع ، تريد بذلك أن تخــدعه عن نفســه ، وأن تغلبه على طبعه ، وغلقت الأبواب التى توصل اليهما حتى لا يفضــحها مفاجىء .

وقالت له بصراحة تهيأت لك وأعددت نفسى من أجلك ، فوقعت منــه هذه المراودة موقــع الاباء والرفض ، اذ قال لها : أعوذ بالله معاذا مما تريدين منى ، وألجأ اليه فى أن يصرفــه

عنى ، وعلل رفضه لطلبها بما عساه أن يصرفها عنه ، ويدعوها الى النظر فى سوء تصرفها ورجوعها عن خيانة زوجها ، حيث قال : « **إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاىَ** » انه سيدى الذى ربانى وأحسن تعهدى ، حيث أمرك باكرامى فكيف أخونه فى أهله .

ويجوز أن يكون الضمير فى قوله « انه ربى » عائدا على الله تعالى ، أى ان الله ربى أحسن مثواى ، حيث أنزلنى فى بيت عزيز مصر ، وجعل قلبه يعطف على ، فأكرمنى وأمر أهله باكرامى ، فكيف أعصى الله ربى بارتكاب تلك الفاحشة الكبرى مع زوجة من آوانى وأكرمنى .

ثم أيد امتناعه عنها بقوله « **إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** » اى ان الشأن فى سنة الله أن الظالمين لا فلاح لهم فى دنياهم وأخراهم ، فكيف أقدم على ظلم من أحسن الى بالاساءة الى حرمه ، وأتعرض بذلك لنقمة الله .

الساعة الحرجة

ولقد ظن يوسف عليه السلام أن موقفه الحاسم من مراودة امرأة العزيز بقوله لها « **مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** » ظن أن موقفه هذا يرجعها عن غيها ، وينتشلها عن حمأة الرغبة فى خيانة زوجها ، ولكنها أخلفت ظنه فاتخذت موقفا آخر أشد اغراء وأكثر اصرارا على تنفيذ جريمتها ، وذلك ما حكاه الله بقوله « **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** » .

والهم فى اللغة الارادة والعزم ، وهو يفسر فى كل منهما على حسب حاله .

فالهم من امرأة العزيز : اصرارها على مخالطته اياها برغم ممانعته القوية التى تمثلت فى الآية السابقة ، والهم منه عزمه واصراره على ما كان منه من الممانعة والترفع عن خيانة الوزير فى حرمه ، ودفعه لها عن نفسه حتى أوشك أن يؤذيها لشدة اغرائها على الخيانة وجذبها له بعزيمة واصرار ، لولا أن رأى برهان ربه لآذاها للتخلص من جذبها له وحصارها اياه ، فاتجه الى الباب ليفتحه ويخرج من حصارها .

ويدل لهذا المعنى أنهما بعد هذا الموقف الحاسم استبقا الباب ، فهو يتجه اليه ليخرج فرارا من حصارها وتصميمها على استبقائه برغم تحطيمه لكبريائها وغلظته فى ممانعتها ، وهى تجرى خلفه لتمنعه من الخروج وتجذبه من قميصه حتى قدته من خلفه ، وبرهان ربه هو ما ألهمه اياه من أنه لو آذاها وخرج ، لادعت انه هو الذى راودها ، فلما امتنعت ضربها وفر الى الباب ليهرب .

ومعنى الآية على هذا الوجه : ولقد همت امرأة العزيز بيوسف — عليه السلام — تجذبه الى نفسها بعد ممانعته لها ، وتدعوه الى مخالطتها ، وقد أذلت نفسها له وهو فى نظرها عبد لها ، ولكنه هم بها دفعا لها بقوة

أزمـة خلقيـة

عن نفسه ، وأوشك أن يتطور دفعه ايـاها الى ايذائها ليتخلص منها ، لولا أن رأى فى قـرارة نفسه الهام ربه يدعوه الى ترك ايذائها ، حتى لا تدعى أنه هو الذى راودها عن نفسـها ، ولما امتنعت من اجابته آذاها ــ لولا ذلك ــ لآذاها ليتخلص من جذبها له ، وتلويثه بهـذه الخيانة النكراء ، كذلك التثبيت ثبتناه وعصمناه لنصرف عنه السوء وهو ايذاء من أكرمتـه ، ولنصرف عنه الفحشاء التى دعته اليهـا ، انه من عبادنا المخلصين الذين أخلصناهم لنـا ، وهم آباؤه الأكرمون الذين أخلصهم الله من شوائب النقص •

فقد قال الله فيهم « وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ • وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ » (١) •

« رأى جيد للامام البيضاوى »

وقال الامام البيضاوى : الهمبالشىء قصده والعزم عليه ، ومنه الهمـام وهـو الذى اذا هم بشىء أمضاه ، والهم من امرأة العـزيز قصدها مخالطته اياها وعزمها عليه ، والهـم من يوسف عليه السلام مجرد ميـل طبعـه بموجب الجبلة الانسانية من غير أن يكون له اختيار وقصد فى ذلك ، وذلك مما لا يـدخـل تحت التكليف ، ولا شك أن من يكف عن الفعل عند وجود هذا الميل الذى اقتضته الطبيعـة البشرية حقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله : انتهى ما قاله البيضـاوى بتصرف يسـير لتوضيحه •

وهذا القول جدير بحسن القبول ، فـانه لا فضل لمن يمتنع عن حرام لا تميل نفسـه اليه ، لأنه لا كسب له فى هذا الامتنـاع ولا اختيار له فيه ، وانما الفضل لمن يكف نفسـه عن ميلها بطبعهـا وبشريتها اليه ، ويصرفهـا عن الاستجابة له •

وجواب لولا على هذا الـرأى محـذوف ، والتقدير ، لولا أن رأى برهان ربه على قبح الزنى وسوء عاقبته لخالطها لشدة اغرائهـا واذلال نفسها له ، وبحكم الطبيعة البشرية ، فهذا البرهان هو العاصم للمتقين عن الاستجابة الى المحرمات ، وهو الذى يحصـل به الكف اختيارا عن المعصية ، فان الكسب الاختيارى هو أساس الثواب فى الطـاعة ، وأسـاس العقاب فى المعصية ، وكلما كانت القلوب نقية طاهرة ، كان الاعتصام فيها عن الحرام أقوى وأسرع وأمنع •

وهذا الرأى يتفق مع رأى لنا فى الآيـة ، سجلناه فى كتابنا (عقد الجمـان فى تبيـان غريب القرآن) مطبـوع فى سـنة ١٣٥٦ هـ الموافق لسنة ١٩٣٧ م والله ولى التوفيق •

« أراء هابطة مرفوضة »

وهناك آراء مدسوسة على كرام السـلف

(١) سورة ص الآيات ٤٥ ــ ٤٧ •

الصالح في تفسير قوله تعالى « ولقد همت بـه وهم بها » فقد روى عن ابن عباس أن يوسف عليه السلام حل الهميان ـ أى السراويل ـ وجلس منها مجلس الخاتن .

وروى عن مجاهد أنه حل السراويل حتى بلغ الاليتين ، ومما روى عن بعضهم أن هم ، يوسف كان معصية ، فانه جلس منها مجلس الرجل مع امرأته قبل أن يرى برهان ربه .

وهذا كله كلام مفتعل على قائليـه ، كما افتعل الوضاعون أحاديثهم على رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو أقـاويل هابطـة لا يصح عقلا قبولها ولا التعويل عليها ، لأنهم لم يشاهدوا ما زعمـوه حتى يذكـروه ، ولم يسـمعوه من معصـوم حتى يرووه ، ولأنه جرأة منهم على العصمة التى يلزم توفرها فى الأنبياء حتى يقتدى بهم ، وغفلـة عن ان الله تعالى اختار أنبياءه بنفسه ، وهـو حسـن الاختيار ، فلا يختار الا من كان حسن السير والسلوك قويا لا يلين عند الشدائد ، عفيفـا لا يميل لهوى النفس ولا لمغريات النساء .

وكيف تجاهل هؤلاء الوضاعون كمال طهر يوسف عليه السلام الذى تمثل فى قوله « **مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّـهُ رَبِّى أَحْسَـنَ مَثْـوَاىَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** » وكيف يصح عند ذوى العقول أن يحدث منه ذلك وقد أثنى الله عليه بقوله له :

« **إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** » .

واعترفت امرأة العزيز باستعصامه وهددته بالسجن ان لم يستجب لها ، وكان ذلك أمام نسوة من أهل المدينة ، وذلك ما حكاه الله بقوله « **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَـزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَـا فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ . فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِـدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَـهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ . قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْـجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّـنَ الصَّاغِرِينَ** » .

ولما عبر يوسف للملك رؤياه طلب احضـاره ليستخلصه انفسه ، فأبى أن يخرج حتى يحضر الملك النساء ويسألهن عن قصته حتى تظهـر براءته قبل أن يخرج من السـجن ، فلمـا أحضرهن قالت النسوة « **حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَـا عَلَيْهِ مِن سُـوءٍ قَـالَتِ امْـرَأَةُ الْعَـزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِـهِ وَإِنَّـهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ . ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ الْخَائِنِينَ . وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِى إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّـوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّى إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ** » فبعد تلك الآيـات البينات والحجج الواضحات يجب طرح تلك الأقاويل الهابطة ، والله يقول الحق وهو يهدى السـبيل .

الحمد في القرآن الكريم

(٤)

٣٢ ــ حمد حملة العرش واستغفارهم للمؤمنين :

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ، رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) غافر ٧ ، ٨ ، ٩ .

ان حملة العرش ثمانيــة كمـا حكى القرآن « وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ » وهم من أشراف الملائكة ، وان جمـوعا من الملائكة يغدون ويروحون بالسلام على حملة العرش ، وذلك يدل على فضلهم على غيرهم من الملائكة ، وليس المراد من أنهم يحملون العرش أن فوق ذلك العرش اله العالمين ؟ لأنــه منزه عن المكان والحدود فهو الله فى السماوات وفى الأرض وفى الوجود كله .

أما من حول العرش من الملائكة فهم صنوف وألوف وهم الذين ذكرهم الله فى قوله : «وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ » وما أعظم العرش فالسموات والأرض

للدكتور محمد محمد خليفة

بالنسبة للعرش كالحلقة الملقاة فى الصحراء وعظمه يدل على كثرة الملائكة الحافين به .

وحملة العرش والحافون به من الملائكة حكى القرآن عنهم أنهم :

١ـ يسبحون بحمد ربهم : وقد حكى القرآن عنهم أنهم برروا أحقيتهم بالاستخلاف فى الأرض بقولهم : **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك .**

٢ ـ أنهم يؤمنون به :

٣ ـ أنهم مشفقون على خلق الله ولذلك فهم :

(أ) يستغفرون للذين آمنوا ، واستغفارهم للمؤمنين يدل على أن الملائكة ليسوا محتاجين الى الاستغفار لأنفسهم ، لأنهم لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، أما البشر فمحتاجون الى أن يستغفروا أو يستغفر لهم حتى الأنبياء منهم وقد أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات فقال « **وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** » وحكى عن نوح قوله : « **رَبِّ اغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** »

(ب) : أنهم ينادون ربهم : « **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ** » الخ .

ويلاحظ أن أكثر دعاء فى القرآن جاء عقب نداء الله بلفظ الرب .

فالملائكة هنا نادوا : « **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا** » الخ .

وآدم حكى عنه قوله : « **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا** »

ونوح حكى عنه قوله : « **رَبِّ اغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ** » .

وابراهيم حكى عنه قوله : « **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ** »

ويوسف حكى عنه قوله : « **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّى فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ** »

وموسى حكى عنه قوله : « **رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى** »

وسليمان حكى عنه قوله : « **رَبِّ هَبْ لِى مُلْكًا** »

وعيسى حكى عنه قوله : « **رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا**

مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ »

ومحمد حكى عنه قوله « وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ • وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ » •

وقد وسعت رحمة الله وعلمه كل شىء ، وقدم الملائكة الرحمة على العلم رجاء ايصال الرحمة أولا ، وايصال الرحمة يرجى منه تجاوزه عما علم من ذنوب البشر ، وكمال الرحمة انما يكون بالتجاوز عن الذنوب •

وسعة رحمته وعلمه تدل على شمول رحمته لكل شىء وشمول علمه بكل شىء ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما وقد طلب الملائكة فى دعائهم للمؤمنين :

١ ــ الغفران : فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، وقد وصفوا من طلبوا لهم الغفران بأنهم يكونون من التائبين من ذنوبهم لا من المصرين المستمرين فى اقتراف الذنوب ، وأن يكون ممن اتبعوا سبيل الله وصراطه المستقيم بعد توبتهم •

٢ ــ أن يقيهم عذاب الجحيم فى الآخرة : وقهم عذاب الجحيم ، وان كان طلب المغفرة يشير الى اسقاط العذاب عنهم ضمنا ، الا أنهم طلبوا صراحة أن يقيهم عذاب الجحيم لتأكيد الغفران •

٣ ــ ثم أردفوا ذلك بطلب ايصال الثواب اليوم : **رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدتَّهُمْ »** أى وعدت المؤمنين التائبين المتبعين سبيلك منهم حيث وعدت من قال لا اله الا الله محمد رسول الله ألا يخلد فى النار ، وهذا وعد من الله أن يدخلهم الجنة من غير أن يدخلهم النار أو بعد دخولهم ليعذبوا على معاصيهم ثم يدخلون الجنة وطلبوا كذلك أن يدخل معهم الجنة الصالح من الآباء والأزواج والذرية ، والمراد بالصالح منهم : المؤمن ثم ختموا ماحكاه عنهم القرآن بقولهم : « **إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »** ، لأن عزته تدعو الى حصول ما طلبوا منه وحكمته تدعو الى حصول مارجوه وفقا لحكمته •

٣٣ ــ التحميد فى العشى والابكار :

« **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِىِّ وَالْإِبْكَارِ** » غافر ٥٥

أخبر الله فى الآيات السابقة أنه ينصر رسله ومن آمن بهم فى الدنيا والآخرة ، ثم أخبر أنه أعطى موسى الكتاب هدى وذكرى ، ثم خاطب محمدا صلى الله عليه وسلم فأمره بثلاثة أوامر :

الصبر : فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ » أمره بالصبر على ايذاء قومه له ولأتباعه ، وغير ذلك مما يناله فى سبيل الدعوة من الطعنات التى سددوها نحوه : من رميه بالسحر والكهانة

والكذب ، وقد وعد الله نبيه بالنصر ، ووعده الحق الذى لا ريب فيه ، والذى لا يتخلف ، وقد قدم مثلا لنصر موسى نبيه على فرعون وقومه ، وكما نصر موسى سينصرك وتبلغ أمتك ودعوتك مشارق الأرض ومغاربها ، فان العاقبة للمؤمنين .

الاستغفار : فاستغفر لذنبك : فى ترك الأولى والأفضل ، أو على ما كان منك قبل النبوة من صغائر الذنوب أو المراد : استغفر لذنب أمتك فى حقك حين تباطأ بعضهم عن الاستجابة لدعوتك التسبيح والتحميد فى العشى والابكار : **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ** » .

والتسبيح تنزيه الله عما لا يليق به ، والتحميد حمده على نعمه .

والمراد بالعشى : النصف الثانى من النهار ، **والابكار** : أول النهار الى النصف ، ومعنى ذلك تسبيح الله وتحميده خلال النهار كله .

وقيل المراد : طرفا النهار ، فالطرف الأول عبر عنه بالابكار ، والطرف الثانى عبر عنه بالعشى ، والمراد : المواظبة على ذكر الله وقيل المراد بالتسبيح فى العشى : صلاة العصر ، وفى الابكار : صلاة الفجر .

٣٤ — الحمد لرب العالمين :

« **هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** » غافر ٦٥

قدم فى الآية السابقة دلائل وجوده فى أنه جعل الأرض قرارا والسماء بناء ، وأنه صوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ، وعقب على ذلك بقوله : « ذلكم الذى فعل كل ذلك هو الله رب العالمين . كثير الخيرات الثابت على العطاء وهو الحى الدائم الحياة ، والحى : صفة من صفاته ، والتعبير بقوله : هو الحى : يفيد الحصر ، أى لا حى تعيش معه صفة الحياة الا هو « **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ** » « **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ** » ذلك حكم الله على خلقه ، فهو وحده الحى الباقى .

ثم قدم صفة **الوحدانية** : « لا اله الا هو ، ثم أمر العباد بالدعاء : **فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** » فى حاجاتكم وقد يراد بالدعاء العبادة بمعنى : فاعبدوه ، مع موافقة العبادة والاخلاص بحيث لا يكون فيها شرك أو رياء .

ولأن الله هو الحى الذى يلجأ العباد الى دعائه فهو لذلك يستحق الحمد كل الحمد لأنه رب العالمين الذى ربى العالمين ودبر مايحتاجون اليه فى حياتهم ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا اله الا الله ، فليقل على أثرها : « **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** » تنفيذا لما تشير اليه هذه الآية .

٣٥ — تسبيح الملائكة :

« **تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ**

أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » الشـورى ٥
تكاد السموات تتفطر وتتشقق من ثقل ما عليها من الملائكة ، وقد جاء فى الحديث : أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع شـبر الا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد ، أو تنفطر من هيبة من هو فوقها بالقهر والقدرة ، لأن أعظم الآيات وأدلهـا عـلى الجلال فوق السـموات وهى : العرش والكرسى وصـفوف الملائكة الذين هم ملء السبع الطبـاق ثم انتقـل الى ذكر موقف الملائكة فبين أنهم :

يسبحون بحمـد ربهم : فهم يواصـلون تسبيحهم لله وتنزيههم لـه عن كل نقص مـع مواصلة حمدهم لله على أن جعلهم من النـور ووفقهـم لعبـادته وتسـبيحه ولأنـه يفيض الخيرات •

ويستغفرون لمن فى الأرض : اشفاقا عليهم من معاجلة العقاب لهم ، ويكون الاسـتغفار لمن فى الأرض ويراد للمؤمنين حيث جاء فى آية أخرى: ويسـتغفرون للذين آمنوا فيكـون المطـلوب الغفران لهم هم الذين آمنوا واتبعوا سـبيل الله •

ثم بين أن المغفرة المطلقة لله سـبحانه فهـو الغفور للسيئات ، وهو الرحيم الرحمة المطلقة التى وسعت كل شىء فهو يرحم من خلقـه من طلب رحمته ومن لم يطلب ، وكل مخلوق لـه نصيب من رحمة الله •

٣٦ ــ حمد رب السموات والأرض :

« فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » الجاثية ٣٦

بعد أن حكم الله على الكفار بتركهم فى العذاب وجعلهم بمنزلة الشىء المنسى ، لأنهم نسوا لقاء الله ولقاء يوم الآخرة وقد جعل الله مصـيرهم النار وليس من ناصر ينصرهم فى هذا الموقف ، لأنهم اتخذوا آيات الله هزوا وغرتهم الحيـاة الدنيا بمغرياتها بعد كل هذا قال سبحانه : «فَلِلَّهِ الْحَمْدُ» وقد قصر الحمد عليه وحده لا يتجاوزه الى غيره ، لأنه المنعم بجـلائل النعم التى لا تحصى ولا تعد ، ثم وصف المستحق للحمد بأنه رب السموات ومن فيها وما فيهـا ورب الأرض وما فيها ومن فيها ، ثم وصف الربوبية بما هو أعم وأشمل وهو أنه رب العالمين •

والعالمون يشمل كل شىء ما سوى الله : رب العرش العظيم ورب الكرسى ورب اللوح ورب الكائنات ورب الوجود كله بكل ما يشـمل مما نعلم ومما لا نعلم مـن الأرواح والـذرات والصفات والمخلوقـات كلها ، وربوبيته لكـل ذلك توجب على المربوبين من المخلوقات حمده والثناء عليه •

٣٧ ــ أمر الله لنبيه بالصبر والتسبيح والتحميد

« فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ » ق ٣٩

أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بالصبر على ما يقولون ، وقد يكون القائلون هم المشركون حين أنكروا البعث ، وأنكروا أن الله الذى خلقهم أولا لا يقدر على أن يحيى العظام وهى رميم ويبعثهم كما كانوا ، أو حين عجبوا ان جاءهم منذر منهم وقد يكون القائلون هم اليهود . وما قالوه هو حديث التعب : الذى قال فيه اليهود : بدأ الله الخلق يوم الأحد وفرغ منه فى ستة أيام آخرها يوم الجمعة ، واستراح يوم السبت واستلقى على عرشه ، وقد رد الله عليهم فى الآية السابقة : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَامَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ »

وقد أمر الله نبيه بالصبر على قولهم هذا أو ذاك ، وقيل : الصبر مأمور به فى كل حال .

ثم أمره بالتسبيح والتحميد : « فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ » .

وقيل المراد بالتسبيح : الصلاة « وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ »

وقد يحمل التسبيح على ظاهره ، ويراد منه تنزيه الله تعالى عما لا يليق به ، ومعنى بحمد ربك أى حال كونك حامدا ربك واذا أريد به الصلاة كان المراد بقوله : قبل طلوع الشمس : صلاة الفجر ، وبقوله : قبل الغروب ، صلاة الظهر والعصر وبقوله : ومن الليل ، صلاة المغرب والعشاء .

وقد يراد بالتسبيح حين يراد بمعناه الصلاة: صلاة التهجد أو النوافل بعد الصلاة المكتوبة .

وقيل معنى : سبح بحمد ربك أى اجعل ◄

التسبيح مقترنا بحمد ربك ، لأن الباء للمصاحبة وذلك يدل على الأمر بمصاحبة الحمد للتسبيح كأنه قال : قل : سبحان الله والحمد لله ، أى نزهه وأقرنه بحمده ، أى سبحه واشكره على توفيقك لتسبيحه •

٣٨ ـ أمر لنبيه بالصبر والتسبيح والتحميد :

« وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ • وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ » الطور ٤٨ ، ٤٩

أمر الله نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الآيات السابقة أن يترك الكافرين يكيدون كما شاءوا لنبيه ولأمته ولدينه حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون ، حيث لا يغنى كيدهم شيئا فى هذا اليوم ، وللظالمين منهم أشد العذاب •

ثم أمره فى هذه الآية بالصبر لحكم ربه وأمره ، فانه محفوظ بأعيننا أو لا تدع عليهم بالهلاك فانك مرئى منا أو فاصبر ولا تشك حالك فانك بأعيننا نرعاك •

واللام فى قوله : لحكم : تكون بمعنى الى أى فاصبر الى أن يحكم الله ، أو فاثبت وامتثل الى أن يحكم الله ومعنى قوله : بأعيننا : أى محفوظ بأعيننا أو مرئى بأعيننا ، وقوله : بأعيننا بالجمع يدل على أنه موضع العناية الكاملة ، وكأن كل أعيننا وعنايتنا ورعايتنا تصونك وتحفظك وترعاك •

« وسبح بحمد ربك حين تقوم » فى ذلك أمر بمصاحبة تسبيح الله وتنزيهه للتحميد ، بمعنى اقترانهما معا وخصص ذلك التسبيح بقوله : حين تقوم ، والمراد :

حين تقوم من مجلسك : أى تعزم على القيام ، وفى الخبر : من قال : سبحان الله قبل قيامه من مجلسه كتب ذلك كفارة له أو حين القيام من النوم ، وجاء فى الخبر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم كان يسبح حين القيام من النوم أو حين القيام الى الصلاة ، وفى الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى افتتاح الصلاة : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك •

أو حين تقوم لمجاهدة قومك •

ثم أمره بالتسبيح ثانيا ، وخص ذلك التسبيح بوقتين : الليل ، ويشمل الليل كله فى أى وقت منه ، ثم خص من الليل جزءا منه : حين تدبر النجوم وتغيب وذلك قبيل الصبح حيث ملتقى الكرام الكاتبين ليكون آخر ما يكتب ملائكة الليل تسبيح العبد وأول ما يكتب ملائكة النهار تسبيح العبد •

د• محمد محمد خليفه

في التشريع

شيخ الأزهر

في هذا الحوار

الإسلام لم يسلك سبيلا للتطرف
منذ جهر به الرسول الكريم

مبادئ القانون الدولي في الإسلام

تحقيق عن :
اللحوم المستوردة .. والدول النامية

شرعية الذبح في البلاد غير الإسلامية

تأثير "الهرمونات" على العنصر الحيواني

حديث فضيلة الإمام الأكبر

شيخ الأزهر

لمجلة "أخبار العالم الإسلامى"

• الإسلام لم يسلك سبيلا للتطرف منذ جهر به الرسول الكريم

تشرفت « أخبار العالم الاسلامى » بأن أجرت حوارا مع عالم من علمائنا الافذاذ .

رجل يجلس على قمة المسئولية فى دار للعلم تحمل على أكتافها خبرة الف عام بل اكثر وتخرجت منها جيوش من الدعاة الاسلاميين .. وحملة لواء الدعوة الاسلامية، جابوا وما يزالون يجوبون أنحاء العالم لابلاغ كلمة الله .

ضيفنا هو سماحة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر . وهو علم ، واشهر من أن أقدمه فى بضعة أسطر .

ولقد حاولت فى هذا الحوار أن اطرق معه أكثر من موضوع .. وأن اتناول بالتساؤل أكثر من قضية تهم المسلم . باحثا لأسئلتى عن اجابات شافية وقاطعة ومحددة . ففى هذا العصر اختلطت أشياء كثيرة . فكان لابد من البحث عن اجابة ولم يبخل الرجل .

فالى الحديث ..

فترات من الاحتلال الاجنبى لها بدأت تتجـه الى ان تكون لها ذاتيتها وخصائصها المستمدة من الاسلام . ولاشك فى ذلك •• والازهر يمد الشعوب الاسلامية بأبنائه من العلماء لتوجيههم الى أحكام الاسلام الصحيحة •• ولبيان تلك الأفكار التى ترد الى المسلمين من خارج بيئتهم •• بل الافكار التى يصدرها اليهم أعداؤهم أملا فى القضاء عليهم وايقاع الفرقة بينهم •• وللأزهر بين شعوب العالم الاسلامى أكثـر من خمسة آلاف مبعوث يقومون بالتـدريس والتعليم والدعوة .

وتحمل مصر عبء هؤلاء الا القليل منهم الدين يعملون فى بعض الدول العربية كالمملكة ودول الخليج •• فلا تتكلف مصر مرتباتهم . أما جميع الذين يعملون فى آسيا وأفريقيا وفى أمريكا وأوربا وكل قارات العالم من الازهريين فان الازهر يتحمل مرتباتهم .

مستوى الخريج الأزهـرى

*** فضيلة الشيخ •• الصـــحوة الاسلامية •• أصبحت واقعا يعيشه كل مسلم فى العالم ، حتى ان الغرب أصبح يعيد حساباته وفقا لمعطيات تلك الصحوة •• فما هو دور الازهر فى وقت يحاول فيه البعض الالتفات نحو العالم الاســلامى •• باعتبار الازهر حامل لواء الدعوة ومن واقع تجربته الطويلة فى مجال الدعوة ؟ !**

* حقيقة •• لاجدال فى أن الشـــعوب الاسلامية وقد حصلت على استقلالها بعـــد

*** قلت له •• بمناســبة الحديث عن الأزهر •• فيقول قائل أو قل يتهم البعض أن ادخال العلوم الحديثة والتخصصات العلمية فى مناهج الأزهر قد جاء عـــلى حساب تحصيل الخريج أو الطـــالب الازهرى من العلوم الاسلامية ممـــا أدى الى انخفاض مستوى هذا الطالب •• بمعنى أن خريج الأزهر اليوم لم يعد متمكنا كما كان خريج الأمس ؟ !**

*** يقول فضيلة الامام الأكبر ••**

أوافقك على أن خريج اليوم ليس كخريج

لا أوافق على إجراء حوار بين المسلمين وغيرهم

من أرباب الديانات لأن الإسلام مختلف عنها فى عقيدته

الأمس .. ولكن ليس فى الأزهر فقط وانما فى كل فروع ومؤسسات التعليم .. تلك صفة غالبة على خريج الجامعات اليوم .. وليس الأزهر وحده الذى ينفرد بهذه الصفة .

وإذا رجعنا الى تاريخ الأزهر وهو يزيد على الالف عام بكثير لوجدنا أنه كان المعهد الوحيد فى مصر .. بل فى الشرق الاسلامى قاطبة وكان يدرس العلوم العربية والشرعية وجميع الفروع الاخرى لها .. فقد كان يدرس الطب والهندسة والفلك فى مستويات تلك العصور .. فليس جديدا على الأزهر حين نظم التعليم العالى فيه واتخذ سمة الجامعات المعاصرة ان يكون من بين كلياته كليات للطب والهندسة وللزراعة والعلوم ولطب الاسنان .. فهذا التنظيم ليس جديدا وانما هو بلورة لما كان فى تاريخ الأزهر . ولا يرجع سبب انخفاض المستوى الى ادخال هذه الكليات ، وانفرادها فى جامعة الأزهر على غرار مثيلاتها فى الجامعات الاخرى فى مصر وغيرها .. وانما كما قلت فان انخفاض المستوى هو أمر عام يتسم به هذا الجيل من الطلاب . لشواغل الحياة التى يواجهونها .. وللمصاعب السائدة فى المجتمعات الآن .

*** قلت لفضيلته : اذن افهم من هذا ان القول مردود على من أطلقه ؟ !**

*** قال مبتسماً : بل الاتهام غير قائم أصلا .**

*** تطبيق الشريعة فى بعض دول العالم ..**

*** أستأذن فضيلتكم فى الانتقال بالحديث الى ظاهرة طيبة .. وهى رجوع بعض الدول الى تحكيم شرع الله فى كل الامور .. ولنأخذ السودان مثالا لذلك .. فرغم أن الشعور العام عند الناس كان الرضا التام ، والفرحة بالخطوة .. وترحيبا شديدا .. الا أن وجود بعض الاقليات غير المسلمة أدت الى أن تقود جهات عديدة داخل وخارج السودان ضغوطا قد تؤدى الى تقديم بعض التنازلات (!!) فما الذى يمكن أن تقدموه فى الأزهر لدعم هذه الخطوة لتأمين تطبيق الشريعة كاملا صحيحا ؟!**

يجب فضيلة الامام الأكبر :

ان تطبيق الشريعة الاسلامية فى نظم الحكم القضائى وغيرها من نواحى الحياة العامة

والخاصة أمر يجب أن يسارع اليه المسلمون فى كل مكان .. لا فى السودان فحسب .. فان ذلك مقتضى خضوعهم لاحكام الله التى أنزلها فى القرآن والسنة والتى جاء بها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ هذا أمر واجب.

والقرار بتطبيق الشريعة الاسلامية فى السودان لاشك أنه أمر يسر له كل المسلمين وأسر به شخصيا ، وأدعو الله أن يوفق القائمين على أمور السودان للاستمرار فى تطبيق هذا القرار والتوسع فيه حتى يشمل جميع فروع الشريعة لا فرع الحدود وحدها .

أما عما يقدمه الأزهر .. فان السودان لم يطلب من الأزهر أية معونة فى هذا الخصوص .. والأزهر يشارك فى مصر منذ أربعة أعوام فى اعداد مشاريع القوانين مستقاه من أحكام الشريعة الاسلامية .. وقد أعد الكثير منها .. ولم يصل لعلمى أن الحكومة السودانية قد طلبت مساعدة أو استشارة فى هذا الخصوص من الأزهر !!

*** قاطعته .. ولكن الأزهر كان دائما سباقا للخير ولم ينتظر دعوة بل انه كان يبادر به ؟!**

* يرد الشيخ جاد الحق .. فى مثل هذه الامور ينبغى ان يكون هناك التقاء .. يعنى طلب .. ولا يستطيع الأزهر أن يرسل مشاريع قوانين الى خارج مصر دون أن يطلب منه ذلك .. فمثلا لقد زار وفد من باكستان يرؤسه رئيس مجلس الشورى هناك مصر وزار الأزهر .. وطلب نسخا من هذه المشاريع . لا أذكر أن أحدا طلب من الأزهر على وجه التحديد وقد يكون قد طلب من جهة أخرى لأن الجهة القائمة على اعداد هذه المشاريع رسميا هى مجلس الشعب المصرى .

فلعل هناك اتصال بين السودان ومجلس الشعب فى هذا الشأن .. وأعتقد ان التكامل بين مصر والسودان والتى تجرى خطواته فى جميع المصالح والامور المتعلقة بالسياسة والاقتصاد وغيرها .. أعتقد أن هذا سيجعل التكامل القانونى والتشريعى بين البلدين أمرا واقعا ولكنه قد يحتاج الى بعض الوقت .

التطرف الدينى أو ما يسمونه كذلك !

*** قلت لفضيلة شيخ الأزهر : اذا انتقلنا بالحديث الى موضوع أعتبره حساسا بعض الشىء .. وهو ما يسمونه بالتطرف الدينى .. وهو تعبير مرفوض أصلا .. ترى هل هناك تطرف بالفعل ؟ ! أم أنها ذريعة لضرب الصحوة الاسلامية التى تعم العالم .**

* يجيب فضيلته .. لقد ظهرت بعض الجماعات فى مصر بالذات والتى اتسمت تصرفاتها بالتطرف تحت اسم الاسلام . والاسلام فى دعوته ومنذ جهر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بهذه الدعوة لم يسلك سبيلا للتطرف اطلاقا .. أو اذا استبدلنا كلمة « تطرف » « بالعنف » مثلا فالقرآن يقول **« ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ »** .. ويقول للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ **« فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ »** وغير هذا من آيات القرآن

• الأزهر لا يدخل فى تيارات الخصومة مع أحد منذ أكثر

وأحاديث الرسول التى تنير الطريق للداعين الى الله ، والى الاسلام بأحكامه الصريحة .

وقد يكون هناك من يسىء الى المسلمين والى الاسلام أيضا بانشاء مثل هذه الجماعات وتربيتها لأن العالم من حولنا وهو يحس بأن المسلمين وقد نالت أكثر الشعوب استقلالها وبدأت تأخذ ذاتيتها .. يريدون أن يظل المسلمون فى خلافهم واختلافهم سواء بين الدول كدول كما نشاهد اقتتال بعض الدول ، أو ببث الفتن والخلافات بين أفراد الشعب الواحد بالايعاز بانشاء هذه الجماعات التى تأخذ الطابع الدينى لانهم يعرفون ان المسلمين بوجه عام متمسكون بالاسلام وان كل دعوة تأتى باسم الدين تكون مقبولة ودائما فى موضع الرضا .. ولقد شاهدنا أن الكثيرين من أفراد تلك الجماعات وبالحوار معهم بعيدون عن فهم الدين فهما صحيحا . لذلك فان على الشعوب الاسلامية أن تعرف الاسلام صحيحا من مصادره ومن المتخصصين فيه .. لا من أولئك الذين قد يكونون مدفوعين لأغراض أخرى . فان أكثر من ظهروا كانوا يستهدفون الوصول الى الحكم وغير ذلك من الاغراض ، مما يؤكد أنهم مدفوعون دفعا !!

*** تساءلت مقاطعا :**
ألا يمكن أن تكون هذه الظاهرة نتيجة طبيعية لتفكك بعض المجتمعات الاسلامية ؟ !

*** يجيب الشيخ جاد الحق :**

قد يكون كذلك .. لكنها ظاهرة غير عاقلة ، انما هى ظاهرة متهورة لم تقم على أساس فهم صحيح للاسلام .. ومعرفة لطرق علاج التفكك الذى ساد بين المسلمين بفعل الاستعمار الذى احتل البلاد الاسلامية فترة طويلة ..

*** ما هى سبل حماية الشباب من هذه الظواهر ؟ !**

* يقول فضيلته .. لاسبيل الى الحماية الا الفهم الصحيح للاسلام وأحكامه .. وهذا ما أوصى به المسئولين فى كل الدول الاسلامية أن يعودوا الى تدريس وتعليم الأولاد منذ الصغر أحكام الاسلام وأن يفرضوا عليهم حفظ القرآن أو حتى بعضه حتى ينشأوا على بصيرة ومسلمين اسلاما صحيحا .

*** الحملة ضد الأزهر .. لماذا ؟**

*** قلت لفضيلة شيخ الازهر : الفترة الاخيرة شهدت حملة ضد الأزهر قادتها عدة جهات منها من يدعون « العلمانية » والتحضر .. وتستغلها أيضا بعض الجهات الاخرى لتقويض ماضى الأزهر العريق .. الى أى حد يمكن الرد على هؤلاء .. وأولئك ؟ !**

من ألف عام ولا نهتم بالإعلان لأن أعمالنا خالصة لله

*** .. مبتسما .. يرد الشيخ جاد الحق :**

هؤلاء الذين يهاجمون الأزهر هم انما يبتغون بهذا الهجوم صرف المسلمين عن الأزهر وعن دورهم فيما بينهم .. لكن الأزهر بحمد الله قائم برسالته ، ولا يدخل فى تيارات الخصومة اطلاقا مع أحد ، وانما يرعى مسئوليته وواجبه الذى قام به منذ أكثر من ألف عام كما أسلفت .

وأبناؤه بحمد الله ينتشرون فى الشعوب الاسلامية وغيرها .. سواء الذين يوفدهم الأزهر على نفقة مصر كما قلت .. أو أولئك الذين تعلموا فيه من أبناء الشعوب الاسلامية ثم عادوا الى بلادهم مبشرين ومنذرين قائمين بواجبهم خير قيام . ولا أدرى أن أولئك الذين يهاجمون الأزهر الا مرتدين على أعقابهم خاسرين بعون الله . فالأزهر للمسلمين جميعا .. وان كانت مصر تقوم بأعبائه وتحتضنه .

*** فى الفترة الاخيرة اخذ الأزهر على عاتقه مسئولية تقنين القوانين الاسلامية فى مصر « اذا كانت كلمة تقنين صحيحة!» حتى تطبق الدول الشريعة الاسلامية هناك .. النقطة الاولى ترى هل تحتاج القوانين الاسلامية أصلا أى تقنين ؟ ! .. أما النقطة الثانية فهى .. ما المقصود بالتقنين أصلا ؟ ! وهل تتوقع فضيلتكم أن تطبق مصر الشريعة الاسلامية ؟**

*** يجيب فضيلة الامام الاكبر :**

لقد مضى على الشريعة كما جاءت فى القرآن والسنة هذه الفترة الطويلة منذ بدء الرسالة أربعة عشر قرنا أو يزيد .. وكان القضاة منذ عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من أولئك الذين نزل القرآن بلغتهم يعرفون أهدافه ومراميه.. تلقوها عن صاحب الرسالة . وهكذا توالى القضاة من بعد ذلك حتى انتهى العهد الذى كان فيه المسلمون عربا خلصا .. يعرفون لغة القرآن .يستنبطون الاحكام منه دون حاجة الى معونة .. أما وقد اختلط العرب بغير العرب .. وضعف اللسان بينهم وأصبحوا حتى مجرد التلاوة هم فى حاجة الى تعليمها فليس لهم وهم بهذا الوضع القدرة على أن يقضوا ويستنبطوا حكم القضاء من ذات القرآن أو من ذات السنة ولذلك كان عصر الفقهاء الماضى الذين اجتهدوا وأسسوا مذاهب فقهية كثيرة . وكان من هؤلاء الفقهاء ، القضاة الذين برعوا فى أعمالهم . وقد تأخر بنا الزمن وصار البعد بيننا وبين اللغة السليمة الصحيحة للعربية التى تؤهلنا للفهم انما يكتسبها القليلون منا بالتعليم . فكيف بنا نكل الى قاض من قضاتنا وهو لا يعرف اللغة العربية ولا يحفظ القرآن .. أن نقول له احكم بالقرآن والسنة ؟! اذن لابد أن نترجم له

الأحكام المستفادة من القرآن والسنة فى الصور العصرية التى يزاولها الناس جميعا والتى سميت فى عصرنا هذا بالتقنين أو بالقوانين . فهذا أمر لابد له .. ليكون ذلك واضحا أمام القاضى ومقيدا به .. لو كان القاضى قادرا على الاجتهاد بنفسه لقلنا له : أمامك القرآن والسنة كما كان أسلافنا لكنه والقوانين موضوعة فى صيغ منضبطة يضل القاضى وينسى .. فما بالنا فى القرآن الذى لايحفظه . ولايستطيع قراءته تلاوة .. مجرد التلاوة .. وهو لا يلم بكتب السنة ولا يعرف أين هى !! فهذا أمر تنظيمى، تقتضيه مصلحة القضاء ، ومصلحة التطبيق . هذا عن التقنين والقوانين .

أما عن الأزهر .. فان مجمع البحوث الاسلامية منذ السبعينيات كان قد بدأ فى وضع الاحكام الشرعية فى الصيغ القانونية . ولما تصدى لهذه المهمة مجلس الشعب المصرى منذ عام ١٩٧٨ كانت اللجان التى تقوم بهذا مشتركة من علماء الأزهر ومجلس الشعب ومن أساتذة الحقوق فى الجامعات . وقد انتهت هذه اللجان فعلا من صياغة الكثير من المشروعات . وهى فى طورها الاخير واذا قدر أن تنتهى اللجان منها فمن الجائز جدا أن ينظرها مجلس الشعب الحالى قبل أن تنتهى دورته الحالية .

*** « قلت له » وهل تتوقع بناء على ما قلت أن تطبق الشريعة فعلا فى مصر ؟!**

* أجاب فضيلته «قطعا» اذا انتهت اللجان ونظرها مجلس الشعب وأقرها فهذا يعنى التطبيق ان شاء الله .

*** الحوار بين المسلمين والمسيحيين .. نعم أم لا ؟**

*** قلت لفضيلة شيخ الأزهر .. قيام نوع من الحوار بين المسلمين والمسيحيين فكرة قديمة .. يطرحها البعض .. ويعارضها البعض ويتحفظ منها البعض ولا يبدى رأيا قاطعا ترى ما هو موقف الأزهر من هذه الفكرة ؟ ! وفى حالة قيامها افتراضا ما هى الأسس والقواعد التى يمكن أن يرتكز عليها هذا الحوار ؟ !**

*** يقول فضيلة شيخ الأزهر ..**

أننى أؤيد حضور المسلمين فى أى مؤتمر دولى أو ثقافى يتعرض لبحث الديانات ليكون الاسلام ممثلا بمن يبين وجهته ولا نتخلى عن ذلك .. ولكنى لا أوافق اطلاقا على عقد الحوار بين المسلمين وبين غيرهم من أرباب الديانات الاخرى بقصد الحوار العقائدى لان الاسلام مختلف عن تلك الديانات فى عقيدته .. ودائما يؤول الأمر الى التوقف حينما نصل الى المسائل العقائدية .. فالمسيحية مثلا تؤمن أو المسيحيون يؤمنون بالتثليث .. والاسلام لا يقول بذلك ولا يقره .. وان اتجهوا الآن الى القول بأنهم يقولون بالتوحيد .. ولكنه قول غير دقيق .

فليس هناك مجال أن ينتهى الحوار الى نتيجة ايجابية اطلاقا مادام الاسلام قد انفرد

فى عقيدته بشىء هم غير مؤمنين به •

أما أن نتحاور فى أن الاسلام يقر الاخـلاق الفاضلة •• أو المسيحية تقر الاخلاق الفاضلة فهذا ليس موضع حوار اطلاقا !

✻ المد الأزهرى •• لم ينحسر !!

✻ فضيلة الشيخ : فى العقدين الرابع والثالث •• وربما الخامس كانت قوافل الأزهر تجوب العالم حاملة لواء الدعـوة الاسلامية • ترى لماذا انحسر هذا المـد الأزهرى الآن ؟ !

✻ يجيب فضيلته مؤكدا : لقد قلت لك ان للأزهر أكثر من خمسة آلاف عالم ومبعوث فى الشرق والغرب •• فى آسيا •• وفى أفريقيا •• وأمريكا وأوروبا •• فأين هذه الخمسة آلاف مما تقوله فى العقدين الرابع والخامس ؟ ! هذا غير المتخرجين •• لقد وقعت قرارات لا تحصى بأبتعاث الأزهريين الى كل قارات العالم •• فالأزهر لم ينحسر نشاطه اطلاقا •• ولـكن الأزهر لا يعنى بالاعلان الكثير عما يقوم به لأنه يعمل لله • ومصر تنفق عليه لوجه اللـه تعالى •• لا لشىء آخر • فالأزهر له مبعوثون فى كل الجهات لم ينحسر عمل الأزهر اطلاقا ولم يضن بأبنائه على المسلمين •

هذا عدا البعوث التى تفد اليه للتعليم ، فله مدينة للبعوث ، يقيم فيها آلاف من الطلاب •• ومن الطالبات • تنفق عليهم الجهات المسئولة فى مصر فى وزارة الاوقاف والمجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالأزهر •• كل هذه الجهات تتكفل بالانفاق على هؤلاء الطلاب الذين يفدون الى الازهر من كل قارات العالم • فالأزهر لم

Association Rissalat At-Talib

Tanger, le 9 FEV. 1984 طنجة فى

من رئيس جمعية رسالة الطالب

طنجة (المغرب)

Président de l'Association Rissalat At-talib

Tanger (Maroc)

رسالة الطالب

رقم No. P00193

المرجع Ref

الى جناب سماحة الشيخ جاد الحق على جاد الحق / شيخ الأزهر الشريف / الأزهر الشريف / القاهرة / مصر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وبعد ، اطلعنا ببالغ الاهتمام على حديثكم القيم الذى أجرته مع سماحتكم أخيرا جريدة "أخبار العالم الاسلامى" ...

وان رسالة الطالب المغربية الاسلامية تبارك وتساند [illegible] آرائكم الرشيدة فى موضوع حواركم [illegible] حول : "الصحوة الاسلامية [illegible]" ...

وتتجاوب الجمعية كليا مع أفكاركم [illegible] السديدة فى دعم [illegible] وسائل الدعوة الاسلامية .... وتطبيق الشريعة الاسلامية ، والحوار بين المسلمين والمسيحيين ، ... الخ

وان رسالة الطالب تعتبر هذا الحوار الهام [illegible] للعمل فى سبيل الدعوة الاسلامية ...

نسأل الله التوفيق والنجاح للجميع فى خدمة الاسلام والمسلمين والعون بعده تعالى وكرمه فى جهادنا لمستقبل الاسلام وصلاح العالم الاسلامى ...

متمنين لسماحتكم دوام الصحة والعافية لمتابعة مسيرتكم الاسلامية وجهادكم فى الدعوة بعون الله تعالى وكرمه .

والله يكثر من أمثالكم ، ويجزيكم خيرا ، ويحفظكم ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

الرئيس PRESIDENT

ينحسر دوره •• ولن ينحسر ان شاء الله •

✻ سألت شيخ الأزهر :

قلتم فى أكثر من مناسبة أن الامـة الاسلامية تمر بظروف دقيقة وحرجـة نتيجة الخلافات والشقاق بينها وبين بعضها • ولا تلقى محاولات رأب الصدع استجابة ! ترى ما هى أسباب هـذه الظاهرة ؟ !

وكيف الخروج منها ؟ !

✻ يقول سماحة الشيخ جاد الحق على جاد الحـق :

هذه الظاهرة جاءت بناء على ما هو واقـع الآن من وقوع الفتن بين المسلمين فمن حولنا من غير المسلمين لا يريدون •• ولا يسرهم كما

حديث فضيلة الامام الاكبر

قلت أن يكون المسلمون وحدة •• وانما اذا رأوا أن المسلمين قد اتجهوا الى أن يكون لهم كلمة ضاعفوا ضغوطهم وفتنهم حتى تقع الفتن بينهم • ولعلنا نذكر جيدا ، حرب أكتوبر ٧٣ حينما وقف العرب بجانب مصر •• وحينما بدأ القتال بين الجيش المصرى وبين جيش اسرائيل فى سيناء كان العرب •• والمسلمون جميعا مؤيدين لمصر ولاحت بشائر النصر •• فهل تركنا الآخرون ؟ كلا •• فقد تدخلت الدول الكبرى فى الحرب •• فهم لا يريدون أن تكون هناك وحدة اسلامية •• ولا يريدون للمسلمين أن يتحدوا •• وعلى المسلمين أن يتنبهوا الى هذا •

هذه الحروب الدائرة بين بعض الدول الاسلامية من يزكيها ؟ !! ومن يلهبها ؟ ومن يمدها ؟ ! كل ذلك انما يزكيه ويؤيده ويمده بأسلحة الدمار والخراب أولئك الذين لايريدون للمسلمين أمة لها شأنها فى الحياة فليحذر المسلمون كل ذلك • وليرتفعوا فوق الخلافات ليكون لهم شأنهم فى هذه الحياة •

*** قضايا عامة !!**

*** فضيلة الشيخ •• هناك بعض القضايا الاسلامية التى تشغل بال المسلم الفرد •• فهل لنا أن نسمع فى كلمات موجزة رأى سماحتكم فيها ؟ ؟ !**

*** طفل الأنابيب ؟!**

* قال فضيلته: طفل الانابيبقدم فيه بحث للمؤتمر التاسع لمجمع البحوث الاسلامية الذى عقد فى العيد الالفى للأزهر عام ١٩٨٣ •• وأعتقد أن هذا البحث قد انتهى على أن طفل الانابيب طريق علاجى لبعض السيدات المصابات بعقم •• ويعالج بمثل هذا •• ويجوز اذا تأكدنا من أن النطفة والبويضة هما الزوجين فقط لا لغيرهما • اذا أريد بطفل الانابيب علاج عقم الزوجة وأن يكون التلقيح من زوجها فهذا أمر ميسر ، وهو وسيلة للعلاج لا بأس عليه •

*** وفكرة تحديد عدد الحجاج لبيت الله الحرام سواء من دولهم أو من الداخل ؟ !**

* يجيب فضيلته : هذا أمر لا أقره •• ان الحج لمن استطاع اليه سبيلا •• **« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »** ويجب على جميع الدول الاسلامية ان تيسر لشعوبها الحج متى كانت هناك الاستطاعة وعلى المسئولين فى المملكة العربية أن يهيئوا الظروف الملائمة لذلك بقدر الاستطاعة وبتسهيل أداء هذه الشعيرة فى يسر •

*** وتحديد عدد المرات ؟ !**

* هذا أمر غير ميسور تنفيذه •• واذا لم

يرع الناس ذلك بأنفسهم فتنفيذه عسير •

*** والعمل فى وظيفة فى البنوك الربوية ؟ !**
*** أجاب الشيخ جاد الحق :**

أسالك قبل الاجابة عن هذا السؤال هل عمل البنك كله ربوى ؟! أم أن لديه أعمالا مشروعة ؟ فاذا كانت هناك أعمال مشروعة وأعمال أخرى غير مشروعة فالفقهاء يقولون « ان الدراهم لا تتعين بالتعيين » فهل يأخذون مرتباتهم من الربويات فقط ؟ ! هل لها حصيلة محددة •• أم أن الاعمال كلها تصب فى البنك وفيه المشروع وغير المشروع ؟ !

*** قلت له : أليس هناك احتمال ان يدخل شىء مما هو ليس بمشروع فى جيبى ؟ !**
*** يقول شيخ الأزهر :**

ألم نقل انه غير معين يابنى ؟! فلا شىء فى ذلك اطلاقا •• والذى يتورع فليبحث له عن عمل آخر !

*** ونقل عضو من جسم انسان الى آخر ؟ !**
*** يجيب فضيلة الشيخ :**

هو أيضا طريق للعلاج •• وهو كاستعمال الدواء •• ويجوز • ولكن بشروط •• فيها ألا يتسبب نقل عضو من انسان حى الى اصابته هو •• أو اقعاده عن عمله •• وألا ينقل الا عضو متكرر • ويضيف مبتسما كأن يكون لشخص ما عين واحدة فتؤخذ منه هذه العين • وهذا أمر من حيث المبدأ جائز كوسيلة للعلاج • على ألا يتضرر منه الشخص المنقول منه •

*

ومن ينادون بالفصل بين الدين والدولة ؟••

* الاسلام ليس فيه فصل بين الدين والدولة • يرد فضيلته بسرعة •• ويواصل •• الاسلام دين ودنيا • يواجه السياسة والحياة بكافة فروعها بأحكامه • فكيف يفصل الدين عن الدولة ؟! أو الدين عن الحياة ؟! لا وسيلة الى ذلك • والا كنا ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعضه ! وهذا الكلام مردود الى من يردده ويعمل الى اشاعته •

*** وبعد ••**

كان لقائى هذا بفضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر •• لقاء ممتعا بالنسبة له •• وحوارا جميلا تمنيت ألا ينتهى •

فالرجل حقا « موسوعة علمية وفقهية » •• ويتحدث اليك بتركيز شديد وترتيب فى الأفكار قلما يوجد فى هذا الزمان حتى عند بعض العلماء وهو يزن الكلمة بميزان دقيق وهو فوق هذه وتلك متحدث لبق •• وودود •• مقنع فى اجابته الى درجة لا تملك معها الا أن تسلم بما قال •

لقد حاولت أن أنقل الحوار بينى وبينه كما هو دون حذف أو اضافة لعلمى بقيمته وأهميته فى وقت أصبحت فيه الكلمة مسئولية • وآمل أن أكون قد وفقت •

منير حسن منير

مبادئ القانون الدّولى العام في الإسلام

يكاد يتفق علماء التشريع فى الغرب ، ويتابعهم كثير من الشرقيين على أن فكرة « القانون الدولى العام » فكرة حديثة العهد ، ابتدعتها أوروبا فى العصر الأخير .

هذا الحكم صحيح فى الجملة ، ويلوح لنا أنه غير قابل للجدل والمناقشة ما دمنا نبعد بموضوعه عن محيط التاريخ الاسلامى ، فالنظام الدولى فى الحقيقة لم يكن معروفا خارج هذا المحيط ، لا فى العصر القديم اليونانى والرومانى ، ولا فى العصور الدينية الأولى فى اليهودية والمسيحية .

أما العصور الدينية المذكورة فمن الميسور أن نتبين فيها هذا الفراغ ، وأن ندرك أسبابه ، ذلك أنه حين تأسيس هاتين الديانتين لم يكن أمامهما علاقات دولية تتطلب هذا التشريع ، فكان كل نشاطهما مركزا فى بث الدعوة الدينية فى نطاق محلى محدود ، نعم ان نشر الدعوة الموسوية فى بنى اسرائيل لم يلبث أن حمل هذا الشعب على الهجرة ، وجعله يتصل بأمة مجاورة . غير أن هذه الصلة الوقتية لم تكن الا صراعا خاطفا ، انتهى الى استئصال شأفة تلك الأمة وحلوله محلها ، ولم يترك لنا التاريخ بيان القواعد التى بنى عليها هذا الصراع والتحول .

وأما العصور اليونانية والرومانية القديمة فان خلوها من هذا التشريع مرده الى أسباب تختلف عن ذلك كل الاختلاف ، فليست المسألة مسألة انقطاع الصلة بين هاتين الدولتين وبين العالم الخارجى ، اذ أن تلك العلاقات الخارجيه لم تعوز هاتين الدولتين يوما ما ، ولكن نظرتهما نفسها الى الحياة لم تكن لتسمح لهما بوضع تشريع كهذا .

ذلك أن فكرة القانون الدولى تفترض قبل كل شىء الاعتراف بضرب من المساواة ، واشتراك المصالح ، وتبادل الحقوق والواجبات بين مختلف الأمم .

لفضيلة الأستاذ الدكتور
محمد عبد الله دراز

وهذا لم يكن ليتفق والنظريات اليونانية والرومانية ، فأما قدماء اليونان فانهم ، وان كانوا يتعاملون فيما بينهم على قدم المساواة أو يكادون – على رغم الصراع الدائم بين مملكتى أسبارطة وأثينا – كانوا ينظرون الى الشعوب غير اليونانية نظرتهم الى كائنات حقيرة دنيئة ، حتى ان أرسطو كان يرى أن البرابرة (ويعنى بهم الأجانب) ما خلقوا الا ليقرعوا بالعصا ويسلبوا ويستعبدوا ، وكذلك كان الأمر فى التشريع الرومانى ، فانه لم يكتف بأن وضع نوعين متباينين من القوانين ، أحدهما : القانون المدنى للمواطنين ، والآخر قانون الشعوب لسكان البلاد المتلكة ، بل انه لم يكن يعرف فى الصلات الخارجية الا قانون القوة الباطشة ، فلم يجعل للأمم الأخرى حقا فى دفاعها عن نفسها ، ولا فى أمنها ودعتها ، وانما كان دستورها فى نظره : « العبودية أو الفناء » واذا كان قد اتفق لروما فى بعض الأحيان أن وضعت معاهدات سلمية على وجه دون وجه ، فلم يكن ذلك راجعا الى أن هناك قانونا يقضى بهذا الشرط المعين أو ذاك ، بل كان مصدره محض التفضل ، أو السعى وراء الأغراض والمنافع .

ولو أننا بحثنا فكرة القانون الدولى فى أوربا فى العصور الحديثة ما وجدنا كبير فرق بينها وبين تلك العصور الأولى ، على رغم التقدم الفعلى فى تدوين قواعد هذا التشريع العام ، ذلك أن فكرة تساوى الناس أمام القانون – تلك الفكرة التى طالما طالبت بها الشعوب وتشدقت بها الحكومات – لم تتخذ بعد فى نظر الغربيين صبغة القانون العام الشامل :

ألم يقل : « استورات ميل » باستحالة تطبيق القانون على الشعوب الهمجية ؟

أو لم يحدد « لوريمير » على وجه الأرض مناطق ثلاثا تخضع كل منها لقانون مختلف ؟ :

فالعالم المتمدين يجب أن يتمتع فى نظره بحقوق سياسية كاملة .

والعالم نصف المتمدين يكفى ان يتمتع بحقوق سياسية جزئية .

بينما الشعوب غير المتحضرة ليس لها الا حقوق عرفية لا تحمل الزاما قانونيا ، وجاء ميثاق « عصبة الأمم » بعد الحرب العالمية الأولى ، فأقر هذا التقسيم الثلاثى وأكسبه سلطة القانون ، بل لقد فرق فى قلب المدنيات الأوربية نفسها بين الحقوق السياسية للدول

الكبرى والدول الصغرى • وأيا ما كان فان منظمة السلام هذه لم تحظر غزو منشوريا ، ولا فتح بلاد الحبشة •

وأخيرا شكلت (جمعية الأمم المتحدة) بعد الحرب العالمية الثانية ، فماذا رأينا ؟

أليس روح التفريق وعدم المساواة لا يزال مسيطرا فيها على عقول السادة الذين يتحكمون فى مصير الانسانية ؟ انه لا حاجة بنا الى محاولة اقامة البرهان على ذلك ، فهذه الحوادث التى تجرى تحت سمعنا وبصرنا وهذه الحلول العوجاء التى تطبق عليها فى أحضان هذه الجمعية الحديثة ، تنطق — بأفصح بيان — بأن الضعفاء والمظلومين الذين كانوا يبنون آمالهم على مثل هذه المؤسسات لم ينلهم حتى الآن الا حسرات تتلوها حسرات •

اذا أردنا أن نظفر بتشريع دولى عام يصطبغ بالصبغة العالمية الحقيقية ، فعلينا أن نصعد بذاكرتنا الى عصر رسول الاسلام •

كلنا نعرف أن محمدا عليه الصلاة والسلام لبث زهاء عشر سنين فى اتصال دائم بأمم وديانات مختلفة ، معادية طورا ومسالمة طورا • وطبيعى أن هذه الظروف الخاصة التى جعلت الاسلام سلطانا زمنيا وحكما عالميا — الى جانب كونه عقيدة روحية ، ومبدأ أخلاقيا — كانت تتقاضاه أن يضع تشريعا لقانون السلم والحرب بين الأمم • فماذا فعل ؟

وهل كانت اجابته لهذه الحاجة الملحة شافية لغلة المتشرعين •

مرضية للضمائر السليمة لدى الحكماء وذوى الخلق الكريم ؟

لا شك أن دراسة مستوعبة لهذه الناحية من التشريع الاسلامى تتطلب بحثا عميقا ، لا للعهود والأقضية النبوية وحدها ، بل للمعاهدات التى وضعها الخلفاء والملوك الاسلاميون أيضا فى غضون التاريخ ، ولكنه ليس من غرضنا فى هذا المقال أن نجعل مجال بحثنا بهذه المثابة من السعة والاستقصاء ، وكل ما يعنينا الآن هو أن نستخلص مافى القرآن والسنة النبوية من المبادىء الأساسية ، والخطوط الرئيسية فى هذا الشأن •

— ١ —

تصحيح خطأ مشهور

وقبل كل شىء يجب أن نصحح خطأ ذائعا فى الأوساط الأوربية ، وهو زعم أن الشعوب الاسلامية يباح لها — بل يجب عليها امتثالا لدستورها الدينى — أن تحمل السلاح لاكراه الناس على الاسلام ، وسحق الشعوب

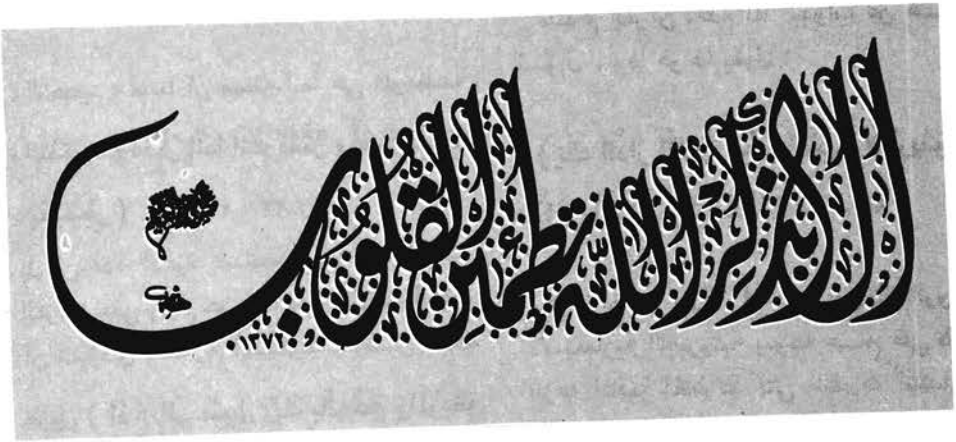

الأخرى التى لا تعتنق هذا الدين .

لئن كان هذا الرأى حقا لقد وجب أن تمحى كلمة « القانون الدولى » من التشريع الاسلامى ، اذ لا يبقى لها فيه مدلول تشير اليه ، ولا يبقى لغير المسلمين أمامه حق يطالبون فيه بحرياتهم ولا بحياتهم .

ولكن الرجوع الى نصوص القرآن الكريم يكشف لنا عن الحقيقة التى تخالف هذا الزعم على خط مستقيم :

فالقرآن لا يكتفى بأن يحظر حظرا أدبيا كل محاولة لاكراه الناس على الايمان . (**لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ**) سورة ٢ آية ٢٥٦ .

بل يقرر أنه من المستحيل وقوعيا أن يسيطر على العالم دين واحد (**وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**) ١١ : ١١٨ (**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**) ١٢ : ١٠٣ هـ .

ألا تكون محاولة فرض عقيدة واحدة على الناس — والحالة هذه — ضربا من التناقض والاحالة الظاهرة ؟

ان القرآن لم يفته أن يبرز ماق هذه الغاية الطموحة من غرور خداع ، وذلك حيث يقول : (**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**) ١٠ : ٩٩ .

ومن هنا نرى كتاب الاسلام المطهر يحدد رسالة نبيه بأدق ما يكون من عبارات الحصر

والتحديد ، مبينا أن مهمته انما هى الموعظة والتذكير : (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ، لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ) ٨٨ : ٢١ ، ٢٢

بل ان هذه الدعوة السلمية نفسها لم يتركها القرآن حتى رسم حدودها وطريقتها ، وأوجب أن تؤدى بأكرم أسلوب ، ومن ألطف طريق (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) ١٦ : ١٢٥ •

(وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) ٦ : ١٠٨ •

(وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) ٢٩ : ٤٦ •

سيقول قائل : سلمنا أن كل اكراه دينى يجب أن يستبعد من أهداف الاسلام ، فما الذى يمنع أن يكون من بين هذه الأهداف فكرة الفتح والتوسع ، التى يكون المسلمون قد دفعوا اليها بسبب من الأسباب الأخرى : كداعية الثروة الاقتصادية أو الاستعلاء السياسى ، أو غير ذلك ؟

فلندع القرآن يقدم لنا الجواب عن هذا السؤال ، وها هو ذا يقول :

(تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا) ٢٨ — ٨٢ •

هكذا يقضى القرآن فى حزم على تلك الروح الاستعمارية الجبروتية وبوجه عام على تلك النزعة المادية المتطرفة التى انتشرت انتشارا وبائيا فى عصرنا هذا ، والتى هى المنبع الأول لكل ما نشكو منه الآن •

ولكن هل نأخذ من كل ما تقدم أن الحروب ليس لها وجود قانونى فى نظر الاسلام ؟

هيهات :

فها هى النصوص القرآنية لا تجعل الجهاد عملا فاضلا فحسب بل تعده غالبا من الواجبات الأولية •

فالسؤال الذى يجب وضعه — الآن — هو هذا :

ما الأحوال والشروط التى يبرر بها الاسلام اتخاذ تلك المواقف الحربية ويجعلها حقا مشروعا ٠٠ ؟

يتبع

شريعة الذبح فى البلاد غير الاسلامية

للدكتور حسين أمين زيتون

دعوة للتمسك بذبح الحيوانات والطيور طبقا للشريعة الاسلامية ٠

ـ كيف يتم الذبح فى الدول غير الاسلامية المنتجة للحوم ٠

ـ الرد على ادعاءات موردى اللحوم للتهرب من الذبح طبقا للشريعة الاسلامية ٠

ـ ما أساليب الغش التجارى التى يلجأ اليها الموردون لتحقيق مكاسب غير مشروعة ٠

ـ ما الحل ؟ كثرت التساؤلات فى هذه الأيام حول مدى شرعية الذبح فى البلاد غير الاسلامية بأساليب الذبح المتبعة فى مجازرها٠

ومع كثرة التساؤل وتجنبا للشبهات فاننا ندعو المسلمين جميعا أينما كانوا للتمسك بتطبيق الشريعة الاسلامية عند ذبح الحيوانات والطيور التى يتم استيراد لحومها من الدول غير الاسلامية ضمانا لصحة الانسان المسلم الذي اراد الله سبحانه وتعالى له طيب الطعام فقال تعالى « **كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** » (طه : ٨١) ٠

اننا اذا ما استعرضنا طرق الذبح فى الدول غير الاسلامية نجد أنها تتم :

اما باستخدام مسدس تصوب طلقاته على رأس الحيوان فتحترق الجمجمة وتهتك خلايا المخ وتحدث به نزيفا ٠

◄

أو بضرب الحيوان على رأسه بمطرقة تفقده الوعى ٠

أو بطريقة الوخز فى النخاع الشوكى ٠

أو باستخدام الصدمات الكهربائية ٠

واستخدام اى من هذه الطرق تؤدى بالحيوان الى فقد وعيه وربما نفوقه تماما قبل ذبحه ٠ بعدها يتم تعليق الحيوان من احدى قوائمه الخلفية ويطعن فى قلبه لتفريغ ما به من دم ٠

وهذه الطرق لا تؤدى الى الا دماء (١) الكامل نظرا لأن الحيوان بعد تهتك خلايا مخه بسبب ضربة « بالمسدس » أو المطرقة أو بعد عملية الوخز فى النخاع الشوكى أو الصدمات الكهربائية اما ان يكون قد فقد الوعى أو نفق تماما وبالتالى لا يتم الادماء الكامل للذبائح وانما يتم احتجاز جزء كبير من الدم بالذبيحه٠ وهو ما يتعارض مع جوهر الشريعة الاسلامية اذ يقول الله تعالى فى سورة المائدة الآية ٣

« حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ » ٠٠ الآية الكريمة ٠

كذلك يقول الرسول — صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف « اذا قتلتم فأحسنوا القتلة ٠ واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ٠ وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » فلنتبع ما جاء به الاسلام فليس هناك رحمة بالحيوان عند الذبح أعظم من الرحمة التى سنها الاسلام ٠ وذلك بحد الشفار ، وموراتها عن البهائم ، واراحة الذبيحة ، فان الحيون لا يحل أكله الا بتذكية شرعية ماعدا السمك والجراد — والذبح المشروع — اسلاما : يعنى قطع الودجين والحلقوم والمرىء بعد ذكر اسم الله على الذبيحة وهو مالا يحدث فى الدول غير الاسلامية حيث يتم افقاد الحيوان وعيه بأى من الطرق السابق ذكرها ثم طعنه بالسكين فى القلب مباشرة لتفريغه مما يحتويه من دم دون قطع الودجين والحلقوم والمرىء مما يتم بالذبح فى الرقبة ٠

امابالنسبة للدواجن فانه يتم صعقها بالتيار الكربى قبل ذبحها مما يؤثر على الجهاز العصبى لها وبالتالى لا يؤدى الى الادماء الكامل واحتجاز جزء كبير من الدم ٠

ان موردى اللحوم بالبلاد الأجنبية يدعون دائما ان الذبح بالسكين فيه تعذيب للحيوان وان استخدام المسدس أو المطرقة أو الوخز أو الصدمة الكهربائية فيه رفق بالحيوان وهذا ادعاء باطل فان غرضهم من ذلك اقتصادى بحت نتيجة :

---

(١) اى نزف ما فى الذبيحة من دم نزفا كاملا ٠

لعدم الادماء الكامل .
واحتجاز جزء كبير من الدم فى الذبائح .
وهذا يحقق لهم مكاسب مادية نتيجة فرق الوزن .

هذا بينما الثابت علميا أن الذبح بالسكين دون أى تأثير سابق على الجهاز العصبى للحيوان (سواء المخ أو النخاع الشوكى) يؤدى بمساعدة الانقباضات العضلية ونبضات القلب وحركات القوائم الى استنزاف الدماء بالكامل . أى ان الابقاء على الجهاز العصبى للحيوان سليما — دون أى تأثير خارجى عليه — يؤدى الى الاستجابة الطبيعية للنبض والتنفس وضخ الدم وانسيابه الى خارج الجسم من مكان الذبح فيتم الادماء .

اما فى حالة استخدام أى من المؤثرات على الجهاز العصبى فان تأثيرها يكون مباشرا على الجهاز العصبى للحيوان ويؤدى الى شلل الجهاز العصبى أو نفوق الحيوان تماما — فيصبح ميتة — قبل أن يطعن فى قلبه لتفريغه مما به من دم . مما يستحيل معه الادماء الكامل ويتبقى جزء كبير من الدم محتجزا بالذبيحة يمثل فروق أوزان لصالح الموردين يتم احتسابها على أنها لحوم فضلا عن أن الدم المحتجز يعتبر بيئة صالحة جدا لتكاثر الميكروبات الضارة بصحة الانسان كما يؤدى الى سرعة تلف اللحوم وتغير خواصها .

كذلك يلجأ الموردون الى كثير من انواع الغش التجارى للتحايل من أجل مكاسب غير مشروعة علاوة عما تقدم فى الدم ، منها على سبيل المثال :

١ — ذبح حيوانات ذكور كبيرة السن تورد لحومها على انها لحوم حيوانات صغيرة .

٢ — ذبح الابقار الكبيرة السن وتورد لحومها على انها ذكور صغيرة السن .

٣ — عدم الالتزام بنسبة الحيوانات الاناث الى نسبة الحيوانات لذكور .

نتيجة لكل هذه الاساليب الى عدم الذبح طبقا للشريعة الاسلامية فانه يتحقق لهم تلك المكاسب غير المشروعة فتصل الى : (٤٠٠) أربعمائة دولار فى كل طن من اللحوم . يتم ذلك كله فى غياب التفتيش الفعلى المحايد على صفقات اللحوم التى تورد للدول الاسلامية .

ما الحل ؟

١ — انشاء مجازر خاصة بالمسلمين فى البلاد التى يراد استيراد اللحوم والدواجن منها للدول الاسلامية على ان يتم فيها الذبح طبقا للشريعة الاسلامية .

٢ — اختيار عمال مسلمين امناء ممارسين مشهورين بمعرفة طريقة التذكية الشرعية ليقوموا بتذكية الحيوانات تذكية شرعية فى تلك المجازر بقدر ما تحتاجه الدول الاسلامية منها .

٣ — اختيار من يحصل به الكفاية من المسلمين الامناء الخبيرين باحكام التذكية الشرعية ليشرفوا على تذكية الحيوانات وعلى مصانع « التشفية » (١) وتعبئة اللحوم التى ◄

---

(١) لفظ يستعمله المصريون يقصدون به « اللحم خالصا دون عظم معه » .. المجلة .

تصدر الى ألبلاد الاسلامية وقد قامت الجمعية التعاونية الانتاجية لاعمال الوزن والمراجعة والخبرة الدولية (١) وهى أول بيت تفتيش عربى مصرى على المستوى الدولى بمراجعة العديد من صفقات اللحوم والدواجن التى وردت لمصر من كل من ايرلندا والارجنتين وارجواى والبرازيل بصفة رسمية ، وكان دور مفتشو (كومبيصل) من الاطباء البيطريين ينحصر فى :

(أ) فحص الحيوانات قبل ذبحها للتأكد من سلامتها وخلوها من الامراض المعدية التى تنتقل للانسان والحيوان •

(ب) متابعة عملية الذبح ذاتها والتأكد من أنها تتم طبقا للشريعة الاسلامية (بقطع الودجين والحلقوم والمرىء) بعد ذكر اسم الله على الذبيحة والحيوان فى كامل وعيه وبدون تعرضه لأى من المؤثرات التى تفقده الوعى مثل طلقات المسدس أو الضرب على الرأس أو الوخز فى النخاع الشوكى أو الصدمات الكهربائية ورفضوا وباصرار تام أن يتم ذبح الحيوانات والطيور التى تورد لحومها لمصر بالطرق المعتادة فى الدول غير الاسلامية والسابق توضيحها •

(جـ) فحص اللحوم بعد الذبح للتأكد من سلامتها وصلاحيتها للاستهلاك الآدمى وخلوها من الامراض المعدية التى تنتقل للانسان أو الحيوان •

(د) تنفيذ جميع المواصفات المتعاقد عليها واستبعاد غير المطابق منها للمواصفات بكل دقة وحياد تام •

(هـ) الاشراف على تجهيز اللحوم وتشفيتها وتعبئتها وتخزينها طبقا للطرق الفنية الحديثة لحفظاللحوم لحين تمام شحنها •

(و) فحص البواخر قبل شحن اللحوم عليها والتأكد من صلاحيتها وكفاءة التبريد المطلوب لحفظ اللحوم اثناء الرحلة البحرية •

(ز) الاشراف على شحن اللحوم بالبواخر ورصفها داخل عنابر الباخرة بما يضمن سلامة اللحوم وعدم تعرضها للتلف •

(ح) اصدار شهادات المطابقة •

وبذلك يتم الاطمئنان على الغذاء الصحى للانسان الذى اراد الله سبحانه وتعالى له طيب الطعام • بعدم تناوله الدم والميتة وغيرهما مما أثبت العلم الحديث مدى الاضرار الصحية التى تعود على الانسان من تناوله • فلا يحق تحت دعوى الرأفة بالحيوان ــ وهى أمر غير موجود فيما يفطنونه به ــ ان نحيد عن امر الله وبالطبع يجب ان نطيع الامر الالهى حتى ولو لم ندرك حكمته بعقولنا ومعارفنا •

وفقنا الله تعالى للعمل بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم •

د• حسين أمين زيتون
رئيس قسم التفتيش على اللحم والدواجن (كومبيصل)

---

(١) وهى معروفة دوليا باسم COMIBASSAL « كومبيصل » .

تحقيق عن

اللحوم المستوردة ... والدول النامية

قصة اللحوم

انصاف - واستخفاف

تزوير فتوى الأزهر

للدكتور على أحمد الخطيب

آن لمجلة الأزهر أن تنشر دراسة موثقة عن هذا الموضوع ، وقد توفرت لها مراجعه ووثائقه ومعرفة بالشخصيات التى جالت — مخلصة بمشيئة الله — فى ميدانه باحثة كاشفة حتى وضعت أيديها على الوسائل المختلفة التى يقدم عليها الأوربيون فى اعداد لحومهم وتستخدم كلمة (اعداد) دون كلمة (ذبح) لأن الذبح بمعناه الشرعى المفهوم لنا أبعد ما يكون عن أسلوب القوم ، وحياتهم . هذا الأسلوب الذى صدروه الى أمريكا فاستعاضت به عما كانت تدرج عليه — من قبل — بالذبح بالسكين .

وانه ليسرنا أن نسجل فى مطلع هذا التحقيق حرص المسئولين ببلادنا العزيزة على التماس الأمناء من أبنائها لأداء واجبهم الدينى والوطنى للوقوف على ذبح شرعى ثم تصدير لحومه الى الجمهورية ، فعهدت الى « الجمعية التعاونية الانتاجية لأعمال الوزن والمراجعة والخبرة الدولية(١) » — مهمة التفتيش على الدواجن الواردة من البرازيل — حرصا منها على استيراد اللحم حلالا بما تقره الشريعة الاسلامية .

كذلك نسجل لهذه النخبة الطيبة من أبناء مصر البررة — حرصهم على تطبيق عملية الذبح وفقا للشريعة الاسلامية ، ولقد كلل الله مساعيهم بالنجاح واستطاعوا أن يصدوا أكثر من مؤامرة انتصارا لله ثم لهذه الأمة فجزاهم الله خير الجزاء .

وحتى نكون منصفين — فى بداية هذا

(١) المعروفة — اختصارا — بـ « كوميبصل » ومقرها الاسكندرية .

التحقيق ــ ينبغي أن نقول :

(أ) ليس كل مورد أجنبي يورد لحما للبلاد الاسلامية والنامية عموما يطمح الى الكسب غير المشروع عن طريق الغش والتدليس والافتنان ــ فى ابتداع أكثر من طريقة ــ لتصدير اللحم غير مطابق للشريعة الاسلامية •

(ب) كذلك فان بعض البلاد المصــدرة ليس لديها أية فكرة عن الذبح الاسلامى ، وما لديهــا من معلومات عنه لا يعدو شائعات وردت اليهم بطريق الحديث العفوى مــع فئات شــتى من المسلمين ، وبسبب ذلك كانت حصــيلة احدى الشركات الدانماركية عن هذا الموضوع خليطا متضاربا لا يؤدى الى ضابط دينى محكم •

(جـ) بعض الموردين يجد متاعب ، هى ــ فى واقعها ــ عقبات تتصــدى للمورد ــ اذا أراد اجراء الذبح عــلى الطريقة الاســلامية ، فى مقدمة هذه المتاعب نفرة العمال المســلمين من العمل بمجازر تنــأى عن عاصــمة البلاد نأيا لا يشجع العمال على الذهاب اليها فينفصلون عن تجمعاتهم بالعاصمة ، فيصعب عليهم التفاهم وتبادل الأخبار والزيارات ••• الخ •

وهذا جانب من احدى المشاكل التى تطــرح صــعوبة القضية وتعقــدها فى بعض الجوانب وتستدعى ــ بذلك ــ جهــدا خاصا من جانب المسئولين فى البلاد الاسلامية ليســهموا قــدر الطاقة فى تيسير بعض الأمور •

(د) كذلك لا يفوتنــا أن نســجل أن المورد ــ حتى غير الأمين ــ يخضع فى النهاية لمطــالب المستورد ، وبخاصة اذا اصطدم بأمانته وجده وحرصه على دينه وأمن مواطنيه ، فلهم فى مجال الاقتصاد قاعدة مشهورة : « الزبون دائما على حق » وهى ــ وان كانت ــ ذات حدين الا أن الأمين دائما يقضى على حدها الفاسد •

ونذكر ــ ازاء ذلك ــ كلمة ــ جاءت فى تقرير نشرته مجلة « المجتمع » الكويتيــة ، عن بعض المستوردين العرب ••• قالت :

« مما سبق يتبين أن المسئول الأول عن هذه المهزلة ليس هو المصدر ، بل هو ــ بالدرجــة الأولى ــ المستورد العربى(١) » •

(هـ) ليس يدرس المرء أية قضية تعلقت بلحم غير شرعى ، أو بــ « شهادة مزورة » الا يجــد فيها طرفا آخر استطاع المــورد أن يستميله ، أو يغشه ، فانحاز اليه عن كسب أو غفلة ، ولذا صدرت شهادات من هذا اللون ، بين أصحابها وموقــع الذبح نحــو (١٨٠٠) ثمانمائة وألف كيلو متر دون مراقبة تامة على الحيوان قبــل اعدامه ثم ما يتبع ذلك من اعداده للتصدير •

• • • • • •

١ــ التقرير نشر بالعدد الصادر يوم الثلاثاء غــره ذى القعده ١٣٩٨ هـ ، والمهزلة المقصــودة فــى العبارة هى كلمة « ذبح اسلامى » أو « مذبــوح على الطريقة الاسلامية » التى تلصق بالعبــوات بعد اعدادها .

القتل باستخدام آلة Cash Knocker

وقد تكشفت الفتنة لأكثر من مسئول بأكثر من بلد عربى شقيق ، فلم يعد من سبيل الى اخفائها ، وفى رسالة للسيد محمد العوضى وزير التجارة والصناعة بالمملكة العربية السعودية — أخبر فيها دار الافتاء بالمملكة ببيان الوسائل المستخدمة فى اعدام الحيوان ، بعضها بالقارة الأمريكية ، والبعض بأوربا منطلق الفتنة ، فذكر سيادته عن أمريكا أن للذبح بها طرقا أربعة :

« كيميائية بواسطة ثانى أكسيد الكربون
ميكانيكية بواسطة آلة حادة
ميكانيكية بواسطة قذيفة نارية
كهربائية بواسطة التيار الكهربائى(١) » .

وتنتشر — فى أوربا الغربية — عملية الصعق الكهربائى ، والغازات الخاصة ، والخنق مع ابقاء الرقبة الا اذا كانت مصدرة الى بلد اسلامى فتقطع .

كذلك استخدام الماء الحار فى درجة الغليان :

(أ) فيلقى فيه الحيوان ميكانيكيا عقب ذبحه ، وقبل مفارقة الروح وتمام النزف .

(ب) أو يلقى فيه عقب قطع وريد واحد بنفس الطريقة .

(جـ) أو تلقى فيه حية ابتداء قبل الذبح — (طريقة الذبح بوسيلة التدويخ) — ثم تتم عملية فصل الرقبة عقب الموت .

وتشير بعض التقارير الى طريقة لم تتأكد بعد

---

(١) شعبان ١٣٩٣ هـ .

في أوربا تقول :

ان الدجاج يلقى فى ثلاجات شديدة البرودة حيا كما هو ثم يؤخذ المقدار المطلوب فيلقى فى ماء حار ثم تتم عملية التنظيف والاعداد للتصدير .

ولو أن القارىء درس — الآن — قول الغرب « الرفق بالحيوان » لتبين له مدى السخرية من هذا الشعار على أيديهم .

ولسنا ندرى أين الرفق فى اطلاق الثور فى ممشى لا يزيد عن حجم جسده الا قليلا ، وماأن ينطلق فيه حتى يتلقى ضربة قاسية — ان لم يكن ضربات كما شاهدت فى (مصور تسجيلى) — يخر بعدها الحيوان صريعا ، ثم يعلق لتتم عملية الاعدام(١) .

ثم ينطلق الاستخفاف بالعقول الى أبعد مدى ، فيتلقى الأستاذ عزيز باشا الأمين العام لاتحاد الجمعيات الاسلامية فى لندن — رسالة من « الجمعية الملكية البريطانية لمنع القسوة على الحيوان » — ترجوه اقناع مسلمى بريطانيا بأكل اللحوم التى تم صعق حيواناتها(٢) .

مهزلة حسمتها فورا فتوى بينت أن الصريع موقوذة يحرم أكلها .

تلك طريقة حياتهم ، وهى مخالفة لما عليه المسلمون ، وقد فشلت أمام الأمناء خاصة — أية وسيلة استخدمت للتهرب من شروط المستورد .

ويحدثنا السيد / فرغلى حافظ فرغلى مدير (كومييصل) عن آخر مؤامرة من هذا القبيل رفعها سيادته الى بعض المسئولين فى ١٩٨٤/٢/٢١ . كتب يقول :

« ونود الاحاطة أنه أثناء تواجد مندوبينا لتنفيذ هذه الصفقة بالبرازيل ، وبمجرد وصول اللجنة الحكومية قامت شركة (يونيف) المنفذة لعقد المورد سبيسبو بعرض خطاب باللغة العربية لفتوى صادرة من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بناء على طلب مواطن يدعى ابراهيم خليل أحمد عن استعمال الصعق الكهربى قبل الذبح . وطلبت الشركة مناقشة هذا الموضوع مع الأطباء البيطريين التابعين — (كومييصل) وموظفى الحكومة المصرية حيث ادعت الشركة فى خطابها أن فتوى الأزهر تجيز استعمال الصدمة الكهربائية لذبح الدجاج ومع أن مندوبينا قد رفضوا تفسير الشركة لفتوى الأزهر وأصروا على الذبح بالسكين الحاد طبقا للشريعة الاسلامية الا أننا نلاحظ الآتى على هذه الفتوى :

١ — ان هذه الفتوى بناء على طلب مواطن عادى لا يتعرض لها فى حياته العادية ، انما تهم من قد يكون له مصلحة فى الحصول عليها

---

(١) راجع العدد ٣٥٣ ١٩٨٣/٧/٢١ مجلة اكتوبر .

(٢) حدث ذلك عام ١٣٩٧ ، وصدرت فى امرها الفتوى رقم ١٦٦٥ فى ٢٢ رمضان سنة ١٣٩٧ بالمملكة العربية السعودية .

ليستطيع بعد ترجمتهـا أن يوهم بغير ما ورد فيهـا .

٢ ــ ان فتوى الأزهر صريحة فى اظهار طريقة الذبح طبقا لحديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « اذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » صدق رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

ومن ذلك يتضـح بأنه ليس هنـاك رحمـة بالحيوان عنـد الذبح أعظم من الرحمـة التى سنها الاسلام حيث أن شروط الذبح الاسلامى هى :

(أ) أن تكون أداة الذبح حادة تماما .

(ب) أن يكون الذبح كاملا أى يقطع الودجين والحلقوم والمرىء ، ولا يقتصر على قطع أيهما .

(جـ) اراحة الذبيحة ، ويدخل فيها :

عدم ارهاقها قبل الذبح .

عدم تعرضها لأى مؤثرات خارجية (ومنها الصدمة الكهربائية طبعا) .

ابعاد وسيلة الذبح عن بصرها .

٣ ــ ان الرد على السـؤال فى الفتـوى لم يتعرض لعملية الصعق اذ أورد الأصل الى عملية الذبح(١) دون عداها والا لكان أجاز استعمال الكهرباء .

٤ ــ ان خطاب شركة (يونيف) وترجمتـه باللغة الانجليزية قـد مزج بين السـؤال عن الصعق الكهربائى والرد عليـه ليصـبحا كأنهما موضوع واحد تجيز الفتـوى فيه اسـتعمال الصدمة الكهربائية عند ذبح الدجاج .

وهذا تزييف للفتوى وامعـان فى المغالطـة للموافقة على أسلوب غير شرعى بالاضافة الى مخالفته لشروط الاعتمـاد المسـتندى ، والى

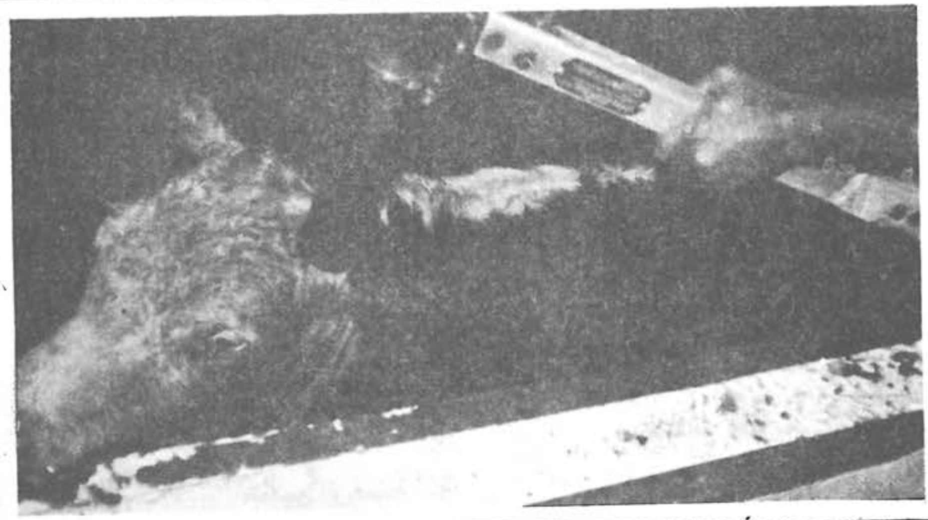

هكذا يقتلون . تحطيم المخ مما يؤدى الى فقدان الحيوان وعيه وربما نفوقه تماما

ما يتعرض له الاقتصاد القومى وصحة المواطنين من أضرار نتيجة لذلك » •

ونحن اذ نورد هذا المقتطف من رسالة المدير العام لا نشــك فى أن رســالته محــل رعــاية المسئولين •

والى القراء صورة فتوى الأزهر التى أصدرها فضيلة الشيخ عبد الله المشــد يليهــا صــورة للترجمة المزيفة لها ، وقد حوت تعمية مقصودة باستخدام لفظ « مركز الدراســات الاسلامية بالقاهرة » دون أن تقول « فتــوى الأزهــر » مترجمة للنسخة المزورة •

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــــــر

لجنـــة الفتوى

السؤال من السيد / ابراهيم خليــل أحمد

يقولون : ان من الرحمة بالحيوان قبل الــذبح أن يصــعق بالكهــرباء ثم يذبح ويسيل الدم فما الحكم ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعــلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه ليس هناك رحمــة بالحيوان عنــد الذبح أعظم من الرحمــة التى سنها الاسلام اذ يقول الرسول ــ صلى اللــه عليه وسلم : « اذا قتلتم فأحسنوا القتلة واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » فلنتبع ما جاء به الاسلام وهو أنه اذا سال الدم بعد ذبح الحيوان سيلا متدفقا صح الذبح وجاز أكله ــ والله تعالى أعلم •

توقيع أول   عضو اللجنة

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر

١٤/ ٩ / ١٩٨٣

TRANSLATION OF UNEF'S LETTER

GRUPO
PERDIGAO

To

Perdigao S/A Com. Ind. —
At: Mr. Ricardo Brandalise
Chapeco Avicola S/A —
At: Mr. Milton Lunardi
Frangosul S/A Agro Avic.
Indl. — At: Mr. Flavio Walawer
Re: Islamic Rites for Slaughtering

We are enclosing here the copy of the letter from the Islamic studies Center of Cairo, which authorizes the use of eletrical shock for chickens slaughtering.

We kindly advise you all to put a copy of it at Bleeching Arga. It's arabic written and we are providing an official translation of it, which we'll send you all later.

We'd like to suggest the discussion of this subject with Comibassal's Veterinarians and with Egyptian Government employees.

E.A. Martins

الذبح بالسكين طبقا للشريعة الاسلامية وهو ما يتم فى حضور أطباء كوميبصل

ترجمة من خطاب يونيف

مجموعة

بيرديجاو

الى شركة بيرديجاو ومسئولها السيد ريكاردو براند أليز

الى شركة شابيكو أفيكولا ومسئولها السيد ملثن لونادرى

الى شركة فرانجو سول ومسئولها السيد فلافيو ولاوير

الطقوس الاسلامية للذبح

نرفق داخله

ـ صورة لخطاب مركز الدراسات الاسلامية بالقاهرة الذى يبيح استعمال الصدمات الكهربائية فى ذبح الدواجن .

ـ ننصح الجميع بوضع صورة منه فى أماكن « التبييض » .

هذا الخطاب مدون بالعربية ، وسوف نمدكم بترجمة رسمية له وسنرسلها لكم فيما بعد .

ونحن نود أن نقترح مناقشة هذا الأمر مع البيطريين من جمعية « كوميبصل » ومع موظفى الحكومة المصرية .

ى٠أ٠ مارتنز

تأثير "الهرمونات" على العنصر الحيوانى

كان من نتيجة ما اثير فى بعض الصحف عن اختفاء حبوب منع الحمل ، ثم ظهورها فى بعض « مزارع الدواجن » أن طرح العديد من الناس سؤالا عن مدى :

تاثير « الهرمونات » على العنصر الحيوانى

وفى الحق أن تأثير الهرمونات بدا واضحا فى مجال تخصصنا البيطرى على العنصر الحيوانى ، وأعطى ـ فى هذا الميدان ـ نتائج معملية قاطعة •

لقد أثبت جانب من هذه التجارب أن « هرمونات » ـ بعينها ـ تؤدى الى زيادة معدل « التسمين » فى الحيوان ، وقد تم حقن فأر أبيض بـ « هرمون » النمو فزاد وزنه زيادة تقرب من الضعف خلال فترة زمنية لايسمح قصرها بهذا النمو الفاحش •

وقد أغرت هذه النتائج بعض الدول المصدرة للحوم والدواجن فأدخلت « الهرمونات » فى غذاء الدواجن باضافة الى « علفها » ، ولما كانت هذه « الهرمونات » مكونة من :

(أ) « الاستروجين » وهو هرمون سرطانى التركيب بطبيعة •

(ب) ومن « البروجستيرون » بزيارة نسبة « الهرمون » الاول ، فقد أعطى ذلك للموردين ـ الذين ارتضوا لأنفسهم هذا العمل ـ زيادة فى أوزان اللحوم غير طبيعية حققت لهم أرباحا فاحشة على حساب شعوب الدول النامية •

وكانت ألمانيا الغربية من أولى البلاد التى أوقفت عملية « تسمين الدواجن » بهذه الوسيلة بسبب اكتشاف المسئولين بها مدى تأثيرها الضار على الانسان ، وكانت الخسارة جسيمة على الشركة المنتجة •

واذا كان لدى السوق الاوربية المشتركة « جبال من اللحوم وبحور من الالبان » كما تحدث الاستاذ مصطفى أمين ، فلقد وجد الكثير منها طريقه الى بعض البلاد النامية ، لذلك ينبغى أن تخضع هذه المواد لتفتيش دقيق يؤمن ضمان خلو هذه المواد الغذائية من تلك « الهرمونات » •

ونعنى بخلوها من الهرمونات أن تكون خالية تماما مما يزيد على النسبة الطبيعية التى ينتجها الجسم عادة ، فلهذه « الهرمونات الأنثوية » الزائدة تأثير فى الاصابة بامراض السرطان لمن يتناول غذاء يحتويها ، بالاضافة الى مايمكن حدوثه من ظهور صفات الأنوثة فى الذكر اذا زادت فى الجسم عن معدله الطبيعى نسال الله العافية •

نشات اسماعيل محمد

فى مواجهة الرأى الآخر

آراء .. وآراء

آراء .. وقضايا

آراء وآراء

حول تطبيق الشريعة الاسلامية

١ — فى الحديث القيم الذى أدلى به أستاذنا الكبير مصطفى مرعى الى مجلة المصور الغراء والمنشور فيها بتاريخ ١٩٨٤/١/٢٥ — حول تطبيق الشريعة الاسلامية — أورد الاستاذ المحرر الذى أجرى معه الحديث أن أستاذنا الكبير يطلق رأيه بكل الصراحة التى اعتدناها منه — دافعه الأول والأخير غيرته على الاسلام — واحترامه للقانون وعشقه لمصر ..

— أود — بادى الرأى — وقد كنت ومازلت أشرف بأنه أستاذ لى — سواء فى كلية الحقوق أو المحاماة أو القضاء — ومن حقه على تلاميذه الذين يقدرونه على الدوام — أن ننصت اليه بامعان حين يتكلم — وأن نناقشه الرأى اذا اختلفنا معه فيه .

٢ — وليس من شك فى أن مايتطلبه أستاذنا الكبير من أنه يتعين تحديد مبادىء الشريعة الاسلامية وتعيينها قبل العمل بها وتحديد المعين الذى يستقى منه الحكم الشرعى من بين مذاهب الأئمة المتعددة والمتباينة فى القضية الشرعية الواحدة — له ما يبرره .

وأرجو أن أطمئن أستاذنا الكبير — الى أن اللجان المكلفة باعداد مشروعات القوانين الموافقة للشريعة الاسلامية — قد وضعت فى اعتبارها — حسبما يبين من مذكراتها الايضاحية — وبصدق — مبادىء الشريعة الاسلامية وأحكامها الواردة فى الكتاب والسنة — وكذلك الاجتهادات المعروفة فى الفقه الاسلامى — مستعينة فى ذلك — بمشروعات القوانين التى سبق أن أعدتها اللجنة العليا بالأزهر — بوزارة العدل والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية — فضلا عن مشروعات القوانين فى البلاد الاسلامية الأخرى التى كان عمادها الشريعة الاسلامية وفقه شراحها — هذا بالاضافة الى القوانين المصرية القائمة — فيما لايتعارض

منها مع الأصول المقررة فى الشريعة الاسلامية - وذلك مع الاحاطة بالاتجاهات العلمية الحديثة فى قوانين البلاد الأخرى — وقد قامت اللجان المشكلة فى مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر بمراجعة شاملة للمشروعات التى عرضت عليها — وأبدت مارتأته من ملاحظات عليها .

هذا — وقد جاء النص واضحا قاطعا فى مشروع قانون الاصدار على أن تنشر هذه القوانين فى الجريدة الرسمية ويعمل بها اعتبارا من تاريخ لاحق لاصدارها قبل أن تنفذ كقانون من قوانين الدولة .

٣ — كما أرجو آن يطمئن أستاذنا الكبير الى أن الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية ليست وليدة ظرف طارىء هو قرب الانتخابات — كما ذهب الى ذلك فى حديثه — وأنه قصد بها الى محاولة التقرب الى الجماهير — ذلك بأن الثابت بيقين — هو آن مصر ظلت أكثر من ألف عام تطبق الشريعة الاسلامية وحدها — بحكم انتمائها الاسلامى وماتوجبه قيمها ومصالحها الوطنية وتراثها العريق — وظل الامر كذلك حتى نهاية القرن الماضى تقريبا — حين تزايد النفوذ الاجنبى الذى يستهدف القضاء على استقلال البلاد وافقادها ذاتيتها وصرفها عن آمر ربها — وتحت عباءة هذا النفوذ

للمستشار السيد عبد العزيز هندى

الاجنبى بدآ دخول القوانين الأجنبية الى مصر حين أنشئت المحاكم المختلطة ووضعت مجموعات القوانين التى تطبق أمامها — وقد استمدت بصفة أساسية من القانون الفرنسى — وكان ذلك بداية لاستمداد مجموعات كاملة من القوانين الأساسية كالقانون المدنى وقانون العقوبات من مصدر أجنبى لا يتصل بانتماء البلاد الاسلامية — ولا بذاتها الثقافية والوطنية — وبدأ تطبيق . هذه القوانين فى مصر منذ سنة ١٨٨٣ — اثر احتلال الانجليز لمصر — مواكبة لجحافله المستعمرة .

وقد كان هذا الاستعمار القانونى مصدر ايلام نفسى مستمر للمصريين جميعا — حاولوا رفع نيره عن كاهلهم — فطالبوا بالغاء المحاكم المختلطة أولا — ثم بدأ التفكير الجدى فى الأصول الحقيقية للمجتمع المصرى التى ينبغى أن يعكسها القانون الذى يحمى مصالح المجتمع — فجاء دستور مصر سنة ١٩٧١ — مترجما لارادة الشعب فى تحديد المصدر الرئيسى للتشريع — وتلاه التعديل الدستورى الاخير سنة ١٩٨٠ فنص على أن مبادى

الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع •

ـ ولم يكن هذا النص الدستورى منشئا لحقيقة اجتماعية ـ وانما جاء كاشفا لها ـ ذلك أن مصر دولة اسلامية عريقة بحكم الواقع ـ والاسلام دين الدولة وفقا لكافة دساتير مصر المتعاقبة ـ ومن المجافاة للحق والمنطق أن تكون هناك دولة اسلامية بغير قانون اسلامى ـ وحمدا لله ـ فقد انزاحت الى غير رجعة تلك الظروف التى كانت تكبل ارادة مصر الحرة فى التعبير عن ذاتيتها التشريعية •

٤ ـ ولا يخفى على الباحث المنصف ـ أن التشريع الجنائى الاسلامى ـ قد تعرض قبل غيره من القوانين الأجنبية ـ للقواعد والنظريات التى درجت قوانين العقوبات على ادراجها فى القسم العام منها ـ فقد تطرق الفقه الاسلامى ـ على أساس من أحكام القرآن والسنة أو الاجتهاد الفقهى ـ الى مسائل نطاق القانون وتطبيقه فى الزمان والمكان ـ وكذلك أركان الجرائم وشروط المسئولية الجنائية والاشتراك فى الجريمة وأسباب الاباحة ـ كما عرض كذلك لأحكام عديدة فى موضوعات العقوبة وتفريدها ـ واجراءات الحكم بها وتنفيذها ـ مما يعد فى الواقع ـ وكحقيقة علمية ـ سبقا علميا من علماء المسلمين الذين تصدوا لهذه المسائل منذ قرون ـ وهو ما قررته المؤتمرات العلمية العالمية العديدة ـ وهو ما حدا بالكثير من المفكرين الاجانب الى الاشادة بالاسلام وما جاء به من تشريعات ناجحة فى علاج أمراض المجتمعات ـ ومن المقرر أن درجة نجاح التشريع انما تقاس بمدى فاعليته فى علاج أدواء المجتمعات •

ولنا أن نتساءل ـ هل أفادت هذه القوانين المستوردة فى علاج أمراض المجتمعات التى استوردناها منها ـ أم أن الجريمة تزداد معدلاتها الرهيبة يوما بعد يوم ـ وأن سياسة تدليل المجرمين قد انعكست آثارها على المجتمعات التى انصرفت عن تطبيق شرائع الله ـ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ـ رغم ثرائهم المادى ـ وترفهم الثقافى ـ جزاء بما كانوا يعملون •

وهل أصبح المجتمع المعاصر ـ شرقا وغربا ـ مجتمعا فاضلا فى ظل هذه التشريعات الاجنبية ـ حتى نحذو حذوها ـ ونعلن تمسكنا بها وعدم الرغبة فى تغييرها ـ أم أنه لا يحلو لنا الا استيراد مخلفات غيرنا •

٥ ـ أما القول بأن الاجماع فى الشريعة الاسلامية لا يعدو أن يكون رأى فقهاء لهم تلاميذ ـ ونحن أيضا ـ كما يقول أستاذنا الكبير فى حديثه ـ أساتذة ولنا تلاميذ ـ فلماذا يكون رأيهم أفضل من رأينا •

فانه مما لاجدال فيه أنه ما من أستاذ عظيم ـ كأستاذنا الكبير مصطفى مرعى ـ

الا وله تلاميذ — كما وأنه ما من أستاذ عظيم — الا وكان بدوره تلميذا لأساتذة سبقوه • وعلينا أن نقدر أساتذتنا لا أن نقدسهم •

كما وأن لنا أن ننقدهم ونناقشهم — ولكن ليس لنا أن ننكر فضلهم — فاذا كان من سبقنا من فقهاء المسلمين يحظون بتقدير الاجانب ولايحظون بتقديرنا — فاننا بذلك نكون قد ضيعنا على أنفسنا ثروة علمية جليلة حقا — وفوتنا على أنفسنا الافادة من معين علمهم •

وعلينا أن نبدأ من حيث انتهى فقهاؤنا الأجلاء — قدامى ومحدثون — لتظل مسيرتنا العلمية متتابعة الخطوات فى هدى من كتاب الله وسنة رسوله الثابتة •

والله جل جلاله يقول فى كتابه الكريم : « وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » كما يقول عز من قائل : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا » •

وما من شك فى أن من خلق النفس وسواها فألهمها فجورها وتقواها — أعلم بما يصلح من شأنها فى دينها ودنياها — « أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » •

واذا كان لنا اعتراض على تطبيق بعض الناس للشريعة الاسلامية — فانه انما يحاج به هؤلاء الناس — ولاتحاج به الشريعة الاسلامية — التى يتعين أن يكون تطبيقها تطبيقا مستنيرا — فى الوسائل والغايات على حد سواء — فان الله طيب لايقبل الا طيبا •

وكما تقرر المذكرة الايضاحية لمشروع قانون العقوبات المقترح من مجلس الشعب — فان هذا التشريع يتسم بما تتسم به ملامح السياسة الجنائية الاسلامية التى تتميز بأن التشريع فيها يحمى القيم الأخلاقية الاسلامية أساسا — فليس هناك دائرة منفصلة للتشريع عن دائرة الاخلاق • والشريعة الاسلامية لا انفصام فيها بين الدين والدنيا — ولامجال فيها للتفرقة غير الاسلامية بين أحكام كل منهما — فالدنيا مزرعة للآخرة — والايمان متصل فيها بالسلوك الدنيوى بأوثق الوشائج — فالدين المعاملة —

أما القول بأن القرآن جامع لكل شىء فى الدين أما ماعدا ذلك من أمور الدنيا فهو فيه متغير غير ثابت — هذا القول هو مقولة غير صحيحة — حتى ولو قالها أستاذنا الكبير مصطفى مرعى •

فكل ماورد فى القرآن الكريم والسنة الشريفة القطعية الدلالة والثبوت — من أوامر أو نواه هى من صميم التشريع الاسلامى الواجب الاتباع فكل من عند الله — ولا تبديل لكلمات الله •

٦ — أما ما أشار اليه أستاذنا الكبير فى حديثه من أنه يجب أن يبدأ سن القوانين من السلطة التنفيذية ممثلة فى وزارة العدل — واعتراضه على أن يبدأ التشريع فى البرلمان وينتهى به — وأن هذا يمثل فى رأيه — طغيانا

برلمانيا — وتجاوزا من السلطة التشريعية لحدودها وتجاهلا لسيادة الامة •

فحسبنا فى الرد عليه أن نشير الى أن مبدأ الفصل بين السلطات — يجعل التشريع من أول أعمال السلطة التشريعية التى سميت باسمه — وقد نص الدستور الدائم الصادر بتاريخ ١١ من سبتمبر سنة ١٩٧١ — شأنه شأن ماسبقه من دساتير — فى المادة (٨٦) من الفصل الثانى الخاص بالسلطة التشريعية — مجلس الشعب — على الآتى : « يتولى مجلس الشعب سلطة التشريع • »

كما جاء نص المادة (١٠٩) من الدستور مؤكدا لهذا المعنى فى نفس الباب حين نص على الآتى : « لرئيس الجمهورية — ولكل عضو من أعضاء مجلس الشعب حق اقتراح القوانين » •

فما قامت به السلطة التشريعية من اقتراحات بمشروعات قوانين مطابقة للشريعة الاسلامية شكلت لجانا عدة لدراستها ومراجعتها — قبل مناقشتها فى مجلس الشعب واصدارها من السلطة التنفيذية المختصة — هو صميم عمل هذه السلطة التشريعية •

أما أن يقال بعدئذ انه انما يراد به تملق الجماهير أو ارضاء الشارع — فهو ان دل على شىء فانما يدل على أن تطبيق هذه القوانين المستمدة من الشريعة الاسلامية — هو مطلب جماهيرى أساسى — والله من وراء القصد •

— فاذا كانت هذه المشروعات بقوانين هى استجابة لأوامر الله ورسوله ويرضى عنها الله ورسوله وجماهير الشعب — فان الطغيان حقا هو الا نستجيب لهذا المطلب — ثم نفرض على الناس قوانين ما أنزل الله بها من سلطان — بمقولة أنها قوانين عصرية « مستوردة » أو « وارد الخارج » — رغم ما يعتورها من فساد — وما كشف عنه تطبيقها من انحلال وافساد حتى فى البلاد التى نستوردها منها — على حين أن الشريعة الاسلامية أصلحت كل مجتمع طبقت فيه تطبيقا سليما — كما يشهد بذلك التاريخ والواقع •

٧ — بقى بعد ذلك ما ورد فى حديث أستاذنا الكبير عن الجرائم التى لم يرد لها ذكر فى القرآن والسنة — وهى الجرائم التعزيرية •

فأما هذه فمتروك أمر تقدير العقوبة فيها للحكام فى نطاق أصول مقررة للتجريم والعقاب وبما لا يخالف شرع الله أو يجاوزه — ولا خلاف ثمة بشأنها •

وأما عن السرقة من المال العام — وما تخوفه أستاذنا الكبير من أن يحكم بقطع يد السارق فى السرقة العادية ولا يحكم بالقطع فى سرقة مليون جنيه من المال العام •

فانى أطئمن أستاذنا الكبير الى أن اللجنة قد أخذت الحكم فيها من مذهب الامام مالك وغيره من الأئمة الاعلام — فنصت صراحة فى المادة (٨٧) من المشروع المقدم من مجلس الشعب — وأخذا بما ذهب اليه رأى اللجنة العليا بالأزهر — فقررت المبدأ الآتى حرفيا :

« يطبق حد السرقة على كل من سرق مالا مملوكا للدولة ــ أو لاحــدى الهيئـــات أو المؤسسات العامة ــ أو الشركات أو المنشآت ــ اذا كانت الدولة أو احدى الهيئات تساهم فى مالها بنصيب ــ متى اكتملت باقى الشروط المبينة فى المادة (٨٥) » ــ وهى باقى الشروط الواجب توافرها فى جريمة السرقة الحدية .

وفى يقينى أن أيدى القطط السـمان التى دأبت على أكل مال الشعب الذى تمثله الدولــة وهيئاتها ومؤسساتها العامة ــ ستكف تلقائيا عن أكل هذا السحت ــ لا تورعا ــ ولكن خشية من قطع يدها ــ والحدود زواجر قبل الفعل وجوابر للمعصية بعده كما هو معروف .

وأما ما أورده أسـتاذنا الكبير فى حـديثه عن عقوبة الزانى المحصن بالرجم وقوله بأنها كانت خاصة بتطبيق الشريعـة اليهـودية على المرأة اليهودية الزانية ــ فانه وان صح ما قال بالنسبة لتطبيــق عقــوبة الـرجم على المرأة اليهودية الزانية تطبيقا للشريعة اليهودية ــ فان الثابت من سنة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والخلفاء الراشدين واجمــاع المسلمين أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أقـام حـد الرجم على ما عز والغامدية ــ وكلاهما مسـلم وكـان الـدليل اقرارهمـا الصريح ــ وقد أخذت اللجنة بهذا الرأى ــ ولم تعتـد بما ذهب اليـه بعض الخـوارج وبعض الشيعة وبعض المعتزلة من أنه لا عقوبة فى الزنا غير الجلد استنادا من اللجنة الى أن السنة الصحيحة ثبت فيها أن رسـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قـد أمـر بالـرجم بالنسبة للزانى المحصن ونفذ ذلك فى حضوره ــ وكان ذلك بعد نزول سورة النور .

فكان هذا تشريعا وتحديدا لهذه العقوبة ــ واستمر ذلك من بعده .

ولقد سلفت الاشارة الى قـوله تعـالى فى كتابه الكريم :

« وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَـا نَهَـاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا » .

وغيره من نصوص القرآن التى تأمر بالأخذ عن رسول الله ــ صلى الله عليـه وسلم ــ والعمل بفعله وقوله فى الأمور التشريعية .

٨ ــ وأخيرا ــ وليس آخرا ــ فان المجال لا يتسع للافاضة فى بيـان أصـول التشريع وصنوفها فى الاسـلام ومـواطن الاجتهـاد والتوقف عند النصوص ولكن بالجملة ــ فانه بالنسبة لنظام الحكم فى الاسـلام ــ فـانه مادام الامر لم يرد فيه نص قاطع ــ آمـر أو مانع ــ كان محل الاجتهاد بشروطـه وفى نطاق أن يرد الامر فيه الى الله والى الرسول ــ فقد ترك فينا ــ صلى الله عليه وسلم ــ من بعده ــ ما لو اتبعناه فلن نضـل أبدا ــ كتاب الله وسنته صلى الله عليه وسلم .

فاللهم أهدنا جميعا صراطك المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ــ آمين .

هـذا ــ وبالله التوفيق ...

المستشار / السيد عبد العزيز هندى
عضو مجمع البحوث الاسلامية بالازهر

آراء وقضايا

إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب

كثيرا ما يرتاد الباحثون الغربيون ـ حين يدرسون الاسلام أو يكتبون عنه ـ آفاقا تنأى بهم ، وبمن تابعهم عن المقاصد الأولى للمعرفة الدينية ، أو العلم الشرعى •

وكثيرا ما يستدرج المسلمون الى هذه الآفاق البعيدة ليشغلوا فيها بجدل لا يثمر ، ولا ينتهى الى يقين •

هذه ظاهرة نعهدها فيمن يفد من الغربيين الى البلاد الاسلامية بحجة البحث العلمى ، أو التعرف على الاسلام •

ومنذ أيام حضر الى مكتب الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية زائر انجليزى مكتهل، فعرف بنفسه ، ودراسته فى الآثار ، وتاريخ الأمم ، والأجناس البشرية •

وأنه يعمل فى مصر منذ سنين ، وقد شغل بالقرآن ، وعكف على قراءته ـ أى ترجمة معانيه بالانجليزية ـ والمقارنة بينه وبين كتب العهدين : القديم والجديد ـ التوراة والانجيل فاكتشف أن القرآن تحدث عن « عاد » قوم هود « وثمود » قوم صالح ،دون كتب العهد القديم•

واهتم بالبحث عن مواطن هؤلاء الأقوام ، ليتعرف على حضارتهم من الحفريات والآثار ، وليؤكد وجودهم تاريخيا ، فيبرهن بهذا على صدق القرآن الكريم •

وأضاف أن البحث انتهى به الى « أن عادا » « وثمود » عاشا على أرض سيناء ، واستدل لنظريته هذه بمصورات ، وخرائط جغرافية قديمة ، عليها أسماء قال : انها محرفة صوتيا عن كلمتى « عاد » «وثمود » •

وذكر أن الآثار والحفريات الحديثة فى سيناء تؤيد رأيه من وجوه عديدة •

وأن نظريته هذه لابد وأن تنال اهتمام الهيئات العلمية المصرية ورجال الأزهر ، لما يترتب عليها من اقبال الأوربيين على القرآن ، والانتباه الى صدق أخباره •

للشيخ محمد حسام الدين

فأجبته بأن الأمر على العكس من هذا ، فان ربط المفاهيم والدلالات القرآنية بالآراء والنظريات العلمية ــ أيا كان مستواها من الصدق ظاهريا ــ يفتح الباب للنقاش فى هذه الدلالات ، وبخاصة عندما تتغير النظريات ، وما أكثر ما تتغير .

فلا يكون هذا العمل داعية لثبات الايمان ، أو استقرار اليقين .

والقرآن الكريم حين يقص علينا أخبار الماضين مع أنبيائهم ، انما يعنى ببيان ما دعا اليه النبيون ، وما لاقوه من أقوامهم ، وماجرت به سنة فى الذين خلوا من قبل عقابا ، أو ثوابا ، وخذلانا ، أو نصرا .

ليكون فى هذا القصص عبرة لنا ، وتثبيت لقلب النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقلوب المؤمنين من حوله .

قال الله سبحانه : « **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**(١) »

« **وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**(٢) »

« **تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ** »(٣) .

وليس من مقاصد القرآن الكريم تحديد الزمان أو المكان لأحداث القصص فيه ــ وان وردت الاشارة أحيانا الى بعض الأماكن ــ وانما المقصود النظر فى الأحداث ، والعبرة بالوقائع الماضية ، والاهتداء الى سنن الله فى الأولين .

وربما كان السبب ــ والله أعلم بمراده ــ فى

(١) ١١١ من سورة يوسف .
(٢) ١٢٠ من سورة هود .
(٣) ٤٩ من سورة هود .

آراء .. وقضايا

أن كتب العهد القديم لم تشتمل على ذكر «عاد» «وثمود» أن « هودا » ، « وصالحا » من أنبياء العرب ، وليسا من أنبياء بنى اسرائيل •

ولقد وردت الاشارة فى القرآن الكريم الى موطن « عاد » فى قوله تعالى : « وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ »

والأحقاف : هى كثبان الرمال ، وجمهور المفسرين على أنها التى تقع فى جنوب الجزيرة العربية ، بأرض اليمن ، أو حضرموت •

وجمهورهم كذلك على أن ديار « ثمود » تقع فى الحجر شمال وادى القرى بالجزيرة العربية•

ويؤيد هذا الرأى ماثبت فى الصحيح أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عندما مر بالحجر ــ فى طريقه الى تبوك ــ قال : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم ، الا أن تكونوا باكين ، ثم قنع رأسه ، وأسرع السير حتى أجاز الوادى »(١)•

كذلك ما ورد أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ نهى أصحابه أن يردوا آبار هذا المكان(٢) •

وهذا يكشف عن أن ديار « عاد » « وثمود » وآثارهم كانت باقية ماثلة لأهل الجزيرة العربية على عهد الوحى •

وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الديار أكثر من مرة : يقول سبحانه فى بيان ما نزل بهم من عذاب : « تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ(٣) »

وقال « وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ(٤) »

ان هذه الدلالات القرآنية ، ومعها دلالات السنة لا تسمح بالالتفات عنها الى دلالة حفريات ، وآثار وبحوث جديدة مهما يكن شأنها •

ولا يحق للعلماء المسلمين أن يشغلوا بالرد على مثل هذه النظريات الجديدة ، أو الدخول معها فى جدال •

وانصرف الرجل ، وهالنى ما ينصبه الغربيون للمسلمين من أحابيل وشراك يصرفونهم بها عن

(١) الحديث فى الصحيحين وهذا لفظ البخارى •
(٢) القصة واردة ايضا فى الصحيحين وغيرهما

(٣) ٢٥ من سورة الاحقاف •
(٤) ٣٨ من سورة العنكبوت •

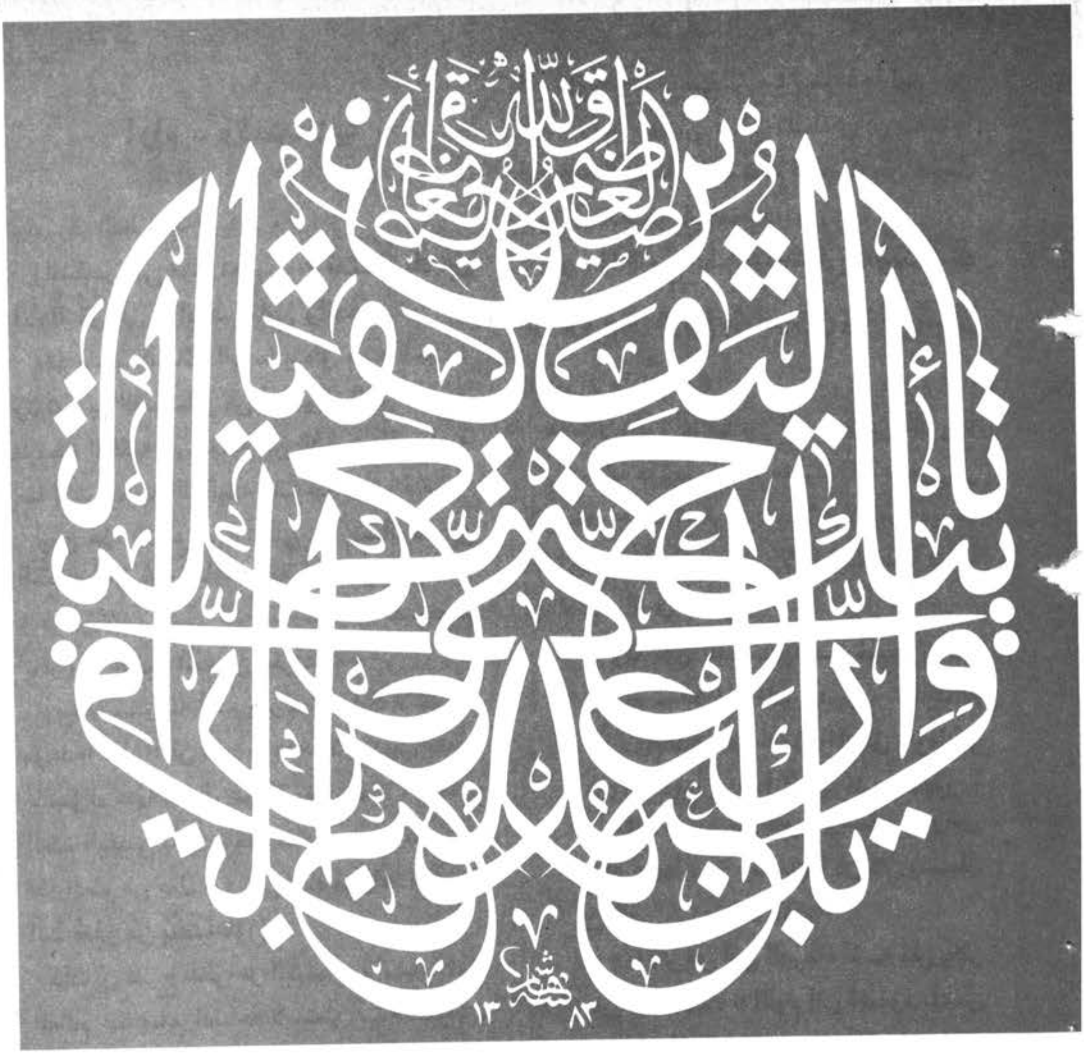

العمل ، والبحث النافع ، الى الجدل العقيم •

فأى جدوى عملية ينتجها البحث فى أن القوم وقع عليهم العذاب هنا أو هناك ؟

قد يكون هذا مما يشغف به رجال الآثار ، والحفريات ، والحضارات ، لكن لا الزام بما ينتهون اليه من رأى ، فهو رأى قائم على ظن ، لا يلتفت اليه فى المجال الدينى •

لقد فتح المسلمون — فى العصر العباسى الأول — أبوابهم للفكر الهلينى وتوابعه من الفكر الكنسي وغيره ، فكان اساءة الى الفكر الاسلامى ، وجناية عليه لا تزال آثارها باقية الى اليوم •

ان من طبيعة الخطاب الشرعى أن يلتفت الى ما يفيد عملا — عملا للقلب أو عملا للجوارح —

ويصرف النظر عما لا يفيد .

وللنظر الى قوله تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ »

فقد صرف السائل الى ما يتعلق بـه العمل ، وترتبط به الشعائر من أحوال القمر ، دون طبيعته الفلكية ، ومنزلته بين الأجرام السماوية مما لا ترتبط به التكاليف الشرعية مباشرة .

ومن هذا النوع قوله تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا • فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا »

فقد خوطب — صلى اللهعليهوسلم — باستفهام انكارى : « فيم أنت من ذكراها » .

ومعناه — والله أعلم بمراده — انك لا تعرف موعدها ، أو : ان ذكر موعدها لا جدوى منه ، فالسؤال عنها سؤال عما لا يفيد عملا ، ويكفى العلم اليقينى بأنها واقعة حتما ، لما يترتب على هذا العلم من عمل . « إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا • إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا(١) »

ذلك أن شرح الظواهر الكونية ، وأسباب فناء العالم عند قيام الساعة لا يتعلق بـه تكليف ، وان كان البحث العلمى المجرد مأذونا فيـه للخاصة ، بعيدا عن مجال الخطاب التكليفى .

لقد سأل جبريل عليه السلام النبى — صلى الله عليه وسلم — عن الساعة ؟

فأجابه بقوله : « ما المسئول عنهـا بأعلم من السائل » وهذا يعنى أن بيان موعدها ليس من مهمة الأنبياء ، وأن عـلى المسلمين أن يتفطنوا الى هذه الحقيقة ، فقد ختم الحديث بأن جبريل عليه السلام جاء ليعلمهم دينهم(٢) .

ومن هذا النوع أيضا قوله تعالى : « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا(٣) »

هذه الآيات وأمثالها من النصـوص الشرعية تأتى بمثابة دروس يتعلم منهـا المسـلمون أن لا يستدرج علماؤهم الى مجالات لا ثمرة فيهـا الا الجدل ، أو الى شئون لا تترتب عليها فائدة فى الدنيا ، أو فى الآخرة .

وقد كان الصـحابة — رضـوان الله عليهم — أعرف الناس بدينهم ، وأوعاهم له ، وأبعدهم عن هـذه المزالق ، وما أثر عن أعلامهم فى هذا الباب كثير مشهور . ومنه ما أثر عن عمر ، وعـلى — رضى الله عنهما — . وتأديبهما لمن كان يسـال فى القرآن تعنتا لا تفقها .

وما أثر عن أبى الدرداء أنـه كان يكثر من هذا الدعاء « اللهم انى أعـوذ بك من من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشـع ، ومـن نفس لا تشـبع ، ومـن دعـاء لا يسمع(٤) » .

محمد حسام الدين

أمين عام مساعد — مجمع البحوث الاسلامية

---

(١) ٤٢ — ٤٥ من سورة النازعات .

(٢) الحديث مشهور ثابت فى الصحيحين وغيرهما

(٣) ٨٥ من سورة الاسراء

(٤) هذا لفظ حديث رواه الحاكم فى المستدرك وأحمد فى مسنده ، وابن حبان فى صحيحه ، مع تفاوت فى اللفظ .

شعر وشاعر

في ذكرى الإسراء والمعراج — حديث القمر

من وحي الإسراء والمعراج

الشعر الجديد — الشاعر محمود أبو الوفا

ليلة الإسراء

للشاعر عبد العليم القباني

يا ليلـــــة بين الليـــــالى غـــــراء رائعـــــة الجـــــلال
هـــاتى من الصـــور الفـــوالى واروى حـــديث محمـــد
لمـــا تجلى فى عـــــلاه

.. .. ..

نـــور عـــلى نـــور سرى بين الثـــريا والثـــرى
فى الليـــل من أم القـــرى حتى دنـــا من مســـجد
الله بارك فى حمـــاه

.. .. ..

وهنـــاك أم المرســـلين خفضـــوا وقـــد رفـــع الجبين
يـــا نورهـــم دنيـــا ودين أنت المشـــفع فى غـــد
والكل ضـــاق به رجاه

.. .. ..

ثم اعتـــلى من البـــراق وهـــو المشـــوق الى التـــلاق
ثم ارتقى الســـبع الطبـــاق حتى دنـــا من مشـــهد
القلب يخشـــع من سناه

.. .. ..

وهنـــاك قـــربه الالـــه كرمـــا وحف به رضـــاه
شرفـــا وعلمـــه الصـــلاه يـــاذا المقـــام الأوحـــد
هذا التجلى ما مـــداه ؟

في ذكرى الإسراء والمعراج

شعر عبد الفتاح الطاهر

ابتاه (١) هذى ليلة الاسراء … والقوم فى شوق وفى اصغاء
وكانهم جاءوا اليك ليسمعوا … عذب الحديث وأعجب الأنباء
عن ليلة فيها النبى محمد … أسرى به الرحمن فى الظلماء
من مكة للمسجد الأقصى بدا … نور يحوط بسيد الشفعاء
ليبدد الليل البهيم عن الدنا … ويزيل صرح الكفر والبلواء
من بعد جهل فى العقول وقسوة … ملأت نفوس الخلق بالبغضاء
من بعد ما بذر الفساد بذوره … وغدا الخلائق فى جحيم شقاء
لكن أراد الله احمد منقذا … للعالمين بشرعة سمحاء
يا من عرجت الى السموات العلا … حظيت جسدا وروحا فى أجل رواء
قد نلت دون العالمين مكانة … ما نالها احد بلا استثناء
ودنا لك التكريم من رب الورى … ولقد حظيت باعظم الآلاء
فالله قد فرض الصلاة طهارة … لنفوسنا لكن بغير عناء
وحباك ربك بالفضائل كلها … ورأيت أعجب مايراه الرائى
وأتيت تعلن فى الصباح على الملا … ما قد شهدت ودونما غلواء
فاذا بمن كتب الشقاء عليهمو … قد كذبوك لعلة البغضاء
وأتوا الى الصديق يحكم بينهم … فاجابهم فى حكمة ومضاء
صدق الرسول وليس ثمة كاذب … الا كمو يا معشر الجهلاء
والله ينصر دينه دوما ومن … ساروا على هدى من السمحاء
رباه مالى فى الورى سند ولا … يرجى سواك لكشف كل بلاء
فاجب دعائى يا الهى اننى … بك استعين فانت انت رجائى

---

(١) ابتاه : كاننى اخاطب المغفور له والدى الذى بدا يخطب فى الجماهير فى ليلة الاسراء وما ان تلا قوله تعالى .. « **سبحان الذى أسرى بعبده** » حتى توقف عنده بعبده وكرر — صلى الله عليه وسلم — مرات ثم فاضت روحه الطاهرة فى رجب سنة ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م

حديث القمر

يشع بقلبى سناك الأغر	فأشرق على مهجتى يا قمر
لكم فيك من متعة للنفوس	وكم فيك من بهجة للبصر
بعثت الى الروض صافى اللجين	فنقط أزهاره والثمر
ومر على صفحات الغدير	شعاعك فاستل منه الكدر
ورصعت بالدر زرع الحقول	وتوجت بالأقحوان الشجر
وأرسلت فى الليل جيش الضياء	فمزق ظلمته وانتصر
تبارك من صور الحسن فيك	مثالا يشوق حسان البشر

* * *

الا أيهذا السمير الحبيب	نديم العشى نجى السحر
تحدث الى فيا طالما	رويت الحديث وسقت الخبر
شعاعك يلمع فى ناظرى	كما لمعت فى العقول الفكر
وتعتادنى ذكريات الهوى	اذا ما أطلت اليك النظر
فكم ليلة من ليالى المنى	صحبتك فيها وطال السهر
وكم ليلة من ليالى النوى	سمعت شكاتى ممن هجر
وكم ضقت ذرعا بغدر الزمان	فكنت عزائى عمن غدر
وكم جئت أسكب حر الدموع	وأشكو اليك صروف القدر

للأستاذ الدكتور حسن جاد

فكنت أنيسى فى وحشتى ... وكنت نصيرى عند الغير
وجدت عن الناس فيك الغناء ... فانت الصديق الوفى الأبر

* * *

تجنى عليك غزاة الفضاء ... وقد شوهوا فيك ما قد بهر
وقالوا : خرافة أهل الخيال ... تغنى بها بدوهم والحضر
ولم يتغنوا بغير هضاب ... الصخر أو بتلال الحجر

وكم خدع الوهم من شاعر ... جموح الخيال شرود الأثر
حذارك يا ديدبان السماء ... فقد يدفع النائبات الحذر

لقد دنسوا الأرض من رجسهم ... فضاقت بشرهم المستعر
ولم يكفهم انهم روعوها ... فلا أمن فيها ولا مستقر

فراموا سماءك كى يفسدوها ... بما حملوا من أذاة وشر
فردهم عن حماك الأمين ... وأحرقهم بشواظ الشرر

هو العلم ان لم يقد ربه ... الى الخير كان سلاح الخطر
ومن ليس يعصمه عاصم ... من الدين ضل به وانتحر

مثال الجمال ورمز الصفاء ... على رغمهم أنت أنت القمر
وان الحقيقة حينا تسوء ... فيصرف عنها خيال يسر

تمهل فللعين منك الضياء ... وللروح نجوى المنى والسمر
وللناس فيك حساب الشهور ... ولى فيكَ شتى الرؤى والصور

د. حسن جاد

من وحى الإسراء والمعراج

للأستاذ محمود شاور ربيع

من مكة سار « البراق » ... أسمى من الخيل العتاق
وهناك « بالأقصى » جثا ... وببابه شد الوثاق
ورأى النبى « محمد » ... اخوانه خير الرفاق
فهو الامام المصطفى ... وبنوره يمحى المحاق
وعلا « بمعراج » العلا ... واجتاز أجواز الطباق
وهناك عند « المنتهى » ... « جبريل » كف عن اللحاق
خض يا محمد فى السنا ... من غير أن تخشى احتراق
ودنا النبى مقمريا ... ومحييا عند التلاق
ورأى هنالك ما رأى ... « ولجنة المأوى » ائتلاق
حمل « الصلا » هداية ... وبها الى الله انعتاق
وبها السعادة والمنى ... وبها الهناءة والوفاق
قص « النبى » حديثه ... للقوم فا نفجر الشقاق
قد جئت بالأمر الذى ... لايستساغ ولا يطاق
واتى « أبو بكر » له ... جاءت به زمر النفاق
وهناك صدق قوله ... وعليه من نور نطاق
انى أصدق قوله ... فى الوحى يا خير الرفاق
ماذا عليه لو ارتقى ... لله من فوق الطباق
الله كرم عبده ... اسرى به فوق « البراق »
فمضى سراجا هاديا ... وسمى على قدم وساق

الشعر الجديد

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

— ١ —

الشعر الجديد شعر يخرج على قيود الشعر العربى فى الوزن فى كل الاحيان وفى القافية فى كثير من الأحيان ، ويحطم عمود الشعر العربى تحطيما ، هذا الذى لم يطق النقاد صبرا ، فهاجموا من حاولوا الخروج عليه ، من المصطنعين للبديع والحكمة ، ومن المجددين فى بعض الأخيلة والمعانى والصور . ولم يكونوا يتصورون أن سيجىء جيل عربى يخرج على عمود الشعر جملة .. فى الوزن والقافية وفى الصور والمعانى والأخيلة .

والشعر فى أساسه فن ، والفنون هى القيود ، وفى المثل الفرنسى :

لا تحيا الفنون بلا قيود ، ويقول نيتشة :

« الفن هو الرقص بالقيود والأغلال » .

— ٢ —

وعمر الشعر الحر ربع قرن : اصطنعه لفيف من شعراء الشباب فى العالم العربى ، بدعوى التجديد فى الشكل الفنى للقصيدة ، ولكن للتجديد طريقه المرسوم فى اطار العمودية .

يقول الشاعر الانجليزى المشهور اليوت : اذا أردت أن تجدد فى الشعر ، فيجب أن تكون جذورك عميقة فى الماضى ..

هذا هو الطريق الصحيحة للتجديد ..

ويقول د. محمد احمد الغمراوى : « التجديد فى الأدب كالتجديد فى العلم لا يمكن أن يقوم الا على أساس من تعاون الماضى والحاضر » .

واسمه مشكلة : سموه شعرا حرا ، والشعر المطلق ، والشعر الجديد ، وشعر اليوم ، وشعر التفعيلة .. الى غير ذلك من الأسماء.

وتحديد مبتكره فى شعرنا المعاصر مشكلة أيضا :

فقد ادعى نحو عشرة شعراء ان كلا منهم

◄

هو الذى ابتكره : منهم السياب ونازك الملائكة ــ ولويس عوض ــ على أحمد باكثير ــ محمد فريد أبو حديد ــ وخليل شيبوب .. وغيرهم .

وقد يكون الدكتور احمد زكى ابو شادى وحسن كامل الصيرفى ، ممن كتبوا شعرا حرا من قبل .

ولا ننسى انه قد صاحب نشأته دعوات كثيرة لتحطيم عمود الشعر كتبها شعوبيون من مثل شبلى ملاط ، ونقولا حداد ، وسلامة موسى ، ولويس عوض ، وكتبها أدباء مخدوعون ، مثل أحمد أمين ، وغيره .

ونحن نعلم أن الشعر الحر قبل أن يظهر عندنا ظهر فى اوربا فى شعر كثيرين :

من مثل اليوت وزميله باند واون ــ ما يكوفسكى ــ شعراء مدرسة التعبيريين الذين أخرجوا مجموعة شعرية ، سموها « فجر الانسانية » ، وامتلأت بصيحات للغضب والهدم والتحطيم .

ــ ٣ ــ

والشعر الحر لا يثير القارىء ، ولا السامع، لأنه يفقد الموسيقى الخارجية والداخلية فى كثير من الأحيان ، ويفقد التوائم النغمى كذلك . وقد سماه العقاد وعزيز أباظة والزيات وصالح جودت ووديع فلسطين « الشعر المنثور » .

ان أرسطو فى كتابه « الشعر » يقرر أن الفنون الشعرية الكبرى أى الجيدة تستخدم كل أدوات المحاكاة ، وهى : الايقاع ــ والانسجام ــ والوزن .

وتنبأ عزيز أباظة فى المقدمة التى كتبها لديوان « أصداء الحرية » للشاعر عبد الله شمس الدين بالفناء والانقراض .. وعادت نازك الملائكة فى ديوانها الأخير الرابع « شجرة القمر » الصادر عام ١٩٦٨ .. تقول فى مقدمته : « انى لعلى يقين من أن تيار الشعر الحر سوف يتوقف فى يوم غير بعيد ، وسيرجع الشعراء الى الأوزان الشعرية ، بعد أن خاضوا فى الخروج عليها وفى الاستهانة بها » .

ونحن مع عزيز أباظة ونازك فى أن الشعر الحر بناء منهار ، لأنه لا أساس له من الذوق الفنى ، ان تعصب قائليه له ، وضعف أذواق النقاد ، ودفاع بعض الشعوبيين والمخدوعين والجاهلين عنه ، لا يؤدى الى احياء شىء ميت ، ويحاول شعراء الشعر الحر أن يكون لهم شعر عمودى ليكسبوا أذواق الجماهير ، ويقص علينا بعض الأدباء أن السياب جلس هو وبعض أصدقائه فى مقهى من مقاهى بغداد ، ولفقوا قصيدة حرة ، وتوخوا فيها أن تكون خالية من أى معنى ، وبعثوا بها الى مجلة أدبية مشهورة ، بعد أن ذيلوها بتوقيع اخترعوه وهو « سميرة أحمد العانى » ، ولم تلبث القصيدة أن نشرت فى مكان بارز فى المجلة ، وجاء بعض أدعياء النقد بعد ذلك فنوه فى المجلة بهذه الشاعرة ، وعدها فى جملة

المبدعين من شعراء الشعر الحر ، وتنبأ لهـا بمستقبل مرموق .

وممن دافع عن الشعر الحر : أبو شادى ، والسحرتى ولفيف من المجددين .

واذا صرفنا النظر عن الشكل الفنى لقصيدة الشعر الحر ، نجد مضمونها غير عربى النزعة ، والا فما معنى أن يملأ شعراء الشعر الحـر قصائدهم بالرموز المسيحية كالصـليب . والأجراس ، والمـذبح ، والهيكـل والمعبـد والكنيسة ، ونجد أنه يسير فى تيار التبعية ، والتيه الشـيوعى « والأيديولوجيـات » المنحرفة ، والمذاهب الهدامة .. وقـد أسرف كثير من دعاة الشعر الحر فى مهاجمة التـراث الشعرى والقصيدة العمودية ، هجوما غريبا ، وقد قرأنا لشاعر فلسطينى هو معين بسيسو يقول :

أخيرا فى صحفية كبيرة : ان الشـاعر العمودى يرتطم صوته وتسقط قافيته ، ويجىء الشعر الحر كالصاعقة الكهربائية التى تلتهم القصيدة العمودية وتذروها رمادا ..

ويقول د. عيسى الناعورى :

« ان الشعر فقد عنصر المعاناة الحقـة فى صناعة الجمال . وفى تكاليف العمل الفنـى الجميل » .

قـد نعـذر الغربيين فى هربهم من تكاليف الشـعر الصـعبة المقيـدة ، ومن الأوزان الموسيقية المحدودة ، طلبا للغنى فى الحـرية الواسعة ، ولكن ما عـذرنا نحن ، وعنـدنا ستة عشر بحرا لكـل بحر منهـا مجزوءاتـه وتقسيماته الموسيقية حتى يصل بنـا العـدد الى أكثر من مائة وزن موسيقى ..

نحن تقليدا منا للآخرين هربنا ، لا من الفقـر الى الغنى كالغربيين بـل عكسـنا الآية الى نقيضها تماما ، اذ هربنا من الغنى الدافق الى الفقر المدقع .

لقد هجـرنا عشرات الأوزان ، الكاملـة والمجزوءة ، وقنعنا بالنظم على أربعـة بحور أو خمسة ، أو لتكن سبعة بحور ، كمـا يزعم بعض شعراء مايدعونه بالشعـر الحر . هذه البحور هى : الرمل . والبسيط ، والسريع ، والمتقارب على الاكثر ، وخـذوا كل دواويـن الشعر الحر ، من نازك الملائكة وبدر شـاكر السياب الى من شئتم من شعراء الشعر الحر ، وحاولوا أن تجدوا غير هذه الاوزان اليتيمـة — ان صح أنها تصل الى سبعة أوزان ، كما يزعمون — وتساءلوا معـى : أين ذهبت أوزان الشعر العـربى كلها ؟ وأيـن ذهبت الموسيقى ، وجمـال الهندسـة العربية فى البناء الشعرى ؟

وليس هذا فقط . لقـد أصـبح الشعر بهلوانية وقفزا على الحبـال ، أو شقلبـة فى الهـواء لقـد أصـبح غمغمة ومعميـات وطلسمات تحتاج الى منجم أو فاتـح بـ (المندل) لشرحهـا حتى لأصحـابها . ولنتابع مما هذه المقطوعة من قصيدة بعنوان « الجحيم » لشاعر اردنى :

الشعر الجديد

الطفل ان غفا

تهطل امطار من الكبريت
وان صحا واسعفا

يزحف شيء يشبه التابوت
يهدم جسر الود والصفا
هل تسقط الاحلام
والنور والحب ؟
أعمارنا كانت لها طعام
حين تعرت المدينة
رأيت كل ما في الشجرة
دودا
لحاء
وعظاما نخرة
تنتهك اللحظة والقطار
يزحف بالأشلاء
العابرون في غير انتظار
كالواقفين وقفة بلهاء
مسافرون في الصحراء

ماذا فهمتم من هذه الألفاظ المتشعبة على أكتاف الشعر ، وليست منه ؟أما انا فأعترف لكم بأنني لم أفهم ماذا يريد الشاعر أن يقول.

وما أكثر أصدقائي الشعراء الذين لا أفهم — وأحيانا لا أطيق — ما يقولون .

ونتساءل : ما وجه التجديد والحداثة في هذا الذي يدعونه الشعر الحر . والذي أصبح موضة العصر ، والذي خلط بين من يعرفون الشعر ومن لا يعرفونه ؟

التجديد فيه أولا أنه لم ينبع من الروح العربية بل هو تقليد للشعر الغربي المعاصر الذي هرب من الفقر الموسيقي الى حرية التعبير والتقليد ليس أصالة ومادامت الاصالة غير موجودة فلا معنى للبحث عن الجديد .

والتجديد فيه ، ثانيا ، هوما يزعمونه من أن هذا الشعر يعتمد على التفعيلة الواحدة ، لا مجموعة التفعيلات لكل بحر . ومعنى هذا أن البحور الشعرية الغيت .

ولكن ، هل صحيح أن شعراء اليوم هم أول من اعتمد على التفعيلة الواحدة ؟

لنرجع قليلا الى الوراء ولنتذكر الموشحات الأندلسية ، وما دخل فيها من جديد في الموسيقى الشعرية والبناء ، لأجل مناسبة الغناء والمرح . لقد اعتمد شعراء الموشحات على التفعيلة الواحدة في بعض شعرهم ، دون أن يخرجوا على أصالة الموسيقى الشعرية العربية . واليكم مثالا على ذلك من قصيدة للشاعر الأندلسي أحمد بن علي اللخمي الغرناطي ، تبدأ هكذا :

حياك بالافراح داعى الصباح
قم لاصطبـــاح
فالنوم فى شرع الهوى لا يباح
والصبح قد جرد منه حسام
بادى القســـام
تضحى وجوه الزهر منه وسام
ذات ابتسام

ونحن نلاحظ هنا أن « قم لاصطباح » و « بادى القسام » و « ذات ابتسام » قد جاء كل منهـــا تفعيلة واحـــدة ، اعتبرت شـــطرة كاملة ، أو عجزا كاملا للبيت

ويقول شعراء الشعر الحــر كلاما كثيرا فى الدفاع عن شعرهم ، كله هذر وباطل وهراء ، من مثل : أنه يعيد صلة الشعر بالحياة ، وأنه ينأى عن التقليد الى مجال التجربة الذاتيـــة للشاعر ، وأنه أقدر على مخاطبة النـــاس فى عصرنا ، وأنه يحافظ على وحدة الموضوع .. الخ • وليس الـــرد على دعـــاويهم البـــاطلة بالعسير •

ان الشـــعر العمودى هو تراثنا وشخصيتنا وتاريخ أجيالنا ، والقصيدة العمودية هى بنت بيئتنـــا منذ المهلهل وامرىء القيس الى اليوم، ونحن يجب ان نعى العلاقة بين الـــدعوة الى الشعر الحر ودعوات ســـبقته وعـــاصرته ولا يزال يجهر بها بيننـــــا دعاة التبعية والتغرب، حيث ينادوننا ناصـــحين كمـــا يقولون لنترك تراثنـــا وثقافتنا وأدبنا الى ثقافة الغرب وأدب العصر كما يقولون •

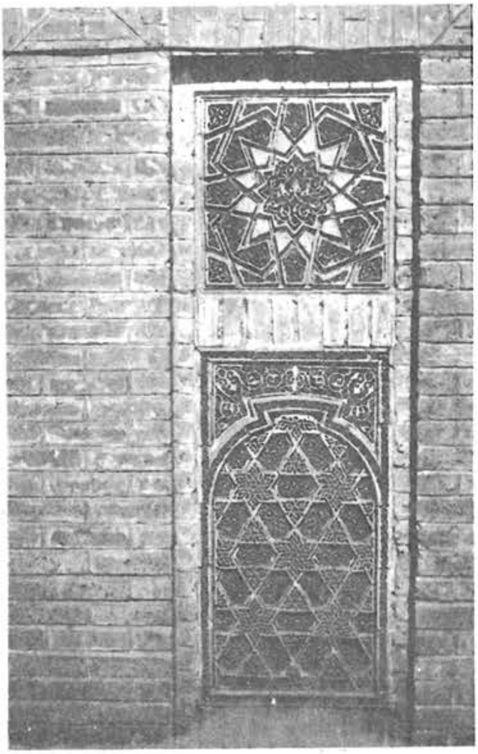

يجب أن نعرف أننـــا اذا ما تركنا الشـــعر العمودى فسوف يجىء علينا يوم نعجز فيـــه عن فهمه وعن معرفة أسرار بلاغته ، وبالتالى نصبح جاهلين ببلاغة القرآن الكريم واعجازه .. وعندئذ نكون طعمة للآكلين ، ونعود أشباحا يتخطفنا الانحلال ولو بعد حين •

د• محمد عبد المنعم خفاجى

من شعراء الأزهر

الشاعر
محمود أبو الوفا

تشدنى بعمق ، لأول مرة أتعرف فيها على شاعريته ، قوله بغلاف ديوانه : (أنفاس محترقة) :

أمشى .. وقلبى على كفى ، أقول : ألا من راغب فى فؤاد صادق حان ؟ يحب ، حتى كأن الأرض ليس بها .. الا زنابق .. من آس وسوسان وليس فى الأرض من بغض ولا احن وليس فى الأرض من ظلم وطغيان وليس من فوقها الا سواسية من الصحاب .. ومن أخدان أخدان .. فلا وربك ، هذا القلب ما التفتت عين اليه .. فيا للبائس العانى ! حقا .. ياللبائس العانى ! ..

أ الى هذا الحد بلغت رقة وصفاء نفس هذا الشاعر الوجدانى المرهف الاحساس ؟ أ الى هذا الحد .. لم يلق ما كان يأمل أن يلقاه من مودة وحنان .. رغم تفرده بهذه الشاعرية المحلقة ، ورغم موهبته الفنية الرفيعة ؟

لقد شعرت بأسى عميق ، حينما علمت من الصديق الشاعر الدكتور كمال اسماعيل أن الشاعر أبا الوفا كان قد ألقى عصا التسيار ، بمسكن متواضع ، يجاور مسكنى الحالى بمدينة نصر بالقاهرة ، أى أن المسافة بينى وبينه كانت يسيره للغاية ، وبرغم ذلك لم أعلم بقربى من مقر سكنه ، الا بعد انتقاله الى العالم الآخر ، فى السابع والعشرين من يناير عام ١٩٧٩ .

ولو علمت – لسارعت الى لقائه وامتاع نفسى بالتعرف عليه ، والنهل من منابعه ، واصفائه الود والمشاركة الوجدانية .. خاصة وأنا أهفو – فى عزلتى وغربتى الروحية بمنطقتنا النائية ، الى .. (تراب صديق) ... كما يقول الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى ، باحدى قصائده الفريدة .

بقلم الأستاذ
أحمد مصطفى حافظ

***

خاصة وأن أبا الوفا كان يتحدث فى شئون الدين الحنيف موضحا حقائقه بأستاذية

واقتدار ، لنهله من منابعه ، وتعمقه فى التفهم والتدبر كما يتحدث فى أمور الفلسفة وعلم النفس ، يقرر ذلك تلميذه سمير رجب (١) الذى كان يلازم أبا الوفا ملازمة

الابن لأبيه ، منذ التقى به ، مع مجموعة من أقرانه من شباب الأدباء ، كأستاذ موجه لهم جميعا .

ويهزنا أبو الوفا من الأعماق ، حينما يقول بعد ذلك ، فى فلتة شعورية أخرى ، موجزا قصة معاناته مع الحياة والناس :

احب اضحك للدنيا ، فيمنعنى
ان عاقبتنى ، على بعض ابتساماتى
هاج الجواد ، فعضته شكيمته
شلت انامل صناع الشكيمات

***

كما أشجانا الشاعر من قبل ، بقصيدته : « **عندما يأتى المساء** » ، التى يصور فيها وحشته بأحزان وحدته ، بقوله :

الشاعر محمود أبو الوفا

عندما يأتى المساء
ونجوم الليل تنثر
اسألوا الليل عن نجـ
مى .. متى نجمى يظهر

ويستثير أسانا بعد ذلك ، حينما يقول ببساطة آسرة :

كلما وجهت عينى
نحو لماح المحيا
لم أجد فى الأفق نجما
واحدا .. يرنو اليا !

وقد بلغ من اعجاب (شوقى) أمير الشعراء بشعر أبى الوفا ، ما جعله يقول عنه فى حفل تكريمه بحديقة الأزبكية الذى أقامته رابطة الأدب الجديد ، قبيل وفاة (شوقى) عام ١٩٣٢ :

(١) بعدد مجلة الثقافة الصادر فى العاشر من يناير سنة ١٩٨٠

الشاعر محمود أبو الوفا

البلبل المفرد الذى هز الربا
وشجى الغصون وحرك الأوراقا
فى القيد .. ممتنع الخطى ، وخياله
يطوى البلاد وينشر الآفاقا
سباق غايات البيان ، جرى بلا
ساق .. فكيف اذا استرد الساقا ؟!
لو يعلم الطب الصناع بيانه
أو لو يسيغ لما يقول .. مذاقا
.. غالى بقيمته ، فلم يصنع له
الا الجناح .. محلقا خفاقا

وكانت هذه القصيدة ، كما يقول المرحوم الأستاذ محمد سعيد العريان ، محقق الجزء الرابع من الشوقيات : « سببا الى عناية الحكومة المصرية وقتئذ بالشاعر أبى الوفاء ـ وتسفيره الى أوربا لعمل رجل صناعية ، بدل ساقه المبتورة . » وذلك لأن الشاعر كان قد أصيب فى ساقه ، ووجد من مواساة الشعراء والأدباء له ، ما جعله يقول بقصيدته : (شكر) ، التى أنشدها بالحفل المشار اليه ، بقوله :

(مرهم) الأصدقاء جرحا بقلب
حار طب الأساة فى أسيانه

وقد وفى الشاعر لشوقى بعد ذلك ، بقيامه بتحقيق الجزء الثالث من الشوقيات ، كما حقق من قبل ، الجزء الثانى من ديوان المهذليين .

وقد أشار صديقنا الشاعر الراحل عبد اللطيف النشار الى اصابة أبى الوفاء ، بقصيدته . (مرحبا بالعرج) بقوله ـ حينما أصيب بدوره فى ساقه :

نحو الثمانين ولا ابتلى
بطة .. هل نلكم يعقل ؟!
مادامت الأرؤس فى صحة
فهين أن تبتلى الأرجل
(أبو الوفا) و (المازنى) قبله
كلاهما ، فى مشيه ، يحجل

الى أن يقول بتظرف وخفة ظل ، البيت الطريف التالى :

ولى صديق « أعرج » واسمه
فى بحر هذا الشعر .. لا يدخل! (١)

***

وقد أنصف العقاد شاعرنا أيما انصاف ، بعد مهاجمة الدكتور طه حسين لأول أعماله الشعرية (أنفاس محترقة) عام ١٩٣٢ (٢) ، فذكر العقاد أن الشاعر يسمعنا صوت نفسه بأصالة واقتدار ، لأنه (وحى السليقة الذى تمليه عليه حياته ، وبواعث وجدانه .. من آثار الحياة ، وآثار عوارض الحياة (٣)) .

---

(١) ديوان النشار ص ٣٩٩ جـ ٢ الذى قمت بتجميعه وطبعته ونشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٠ .

(٢) حديث الاربعاء جـ ٣ ص ١٨٦ .
(٣) دراسات فى المذاهب الادبية والاجتماعية للعقاد ص ١٠١ ، ١٠٢ .

وقد أبدى العقاد هذا الرأى ، بعد صدور ديوان الشاعر الذى يحمل عنوان :

(شــــعرى) .

أما الرافعى فكتب يقول بعــد ظهـــور ديوان **(الأعشـــاب)** لأبى الوفاء : « أبو الوفا شاعر ملء نفسه ، حتى انه ليعد أحد الــذين يعتصم الشعر العربى بهم ، وهم قليــل فى زمننا » .

كما قال هيكل عن **(الأنفــاس المحترقة)** ، ان فيه من عيون الشعر ، ما يفخر به الشعر ، وما يقف الى جانب خير ما ظهر من الشعر فى هذا الزمن الأخير .

.. ونلاحظ أن أبا الوفا كــان يكثــر من الالتفات فى شعره الى العلة التى ابتلى بها ، وكان لها تأثير كبير على نفسيته القلقة المعذبة ، لأنها بلا شك قد حدت من انطــلاقه ونشدان فرصته المتاحة فى الحياة ، والسعى فى مناكب الأرض .

***

كما كان يستريح الى الليل وسكونه ، ويكثر من نجواه ، حيث الطمأنينة والهدوء ، فيقول لــه :

أفضى اليـــك بســـرى
أفضى اليـــك بروحـــى
ياليــل .. هــل من مــداو
ياليـــل .. يشفى جروحى ؟

وقوله له بقصيدة : (فى انتظار الصباح) :

لــم يجــد فيــك اصطبارى
وليس يجــــــدى نواحى

وقوله بقصيدة : (من الأعماق) :

ياليل هــل ترثى لواجــد
ياليــل أنت على شـــاهد

ثم يقول بعد ذلك ، مصورا أبدع تصوير ، تقلبه على قتاد السهد والأرق :

أشــكو الوســـائد للمــرا
قــد ، والمراقــد للوسائد !

الى آن يذكر الليل ــ وكأنه يكن له عشــقا خاصا ــ مرة أخرى ، فى ثنايا هذه القصيدة ، بقوله :

من ذا تنادى فى دجى الليل البهيم .. ومن تناشد ،

***

ولد الشاعر محمــود أبو الوفــاء فى قرية صغيرة من أعماق مركز (أجا) دقهليــة ، هى قرية (بالديرس) ، ســنة ١٩٠٢ وأتم حفظ القرآن الكريم فى كتــاب القــرية فى ســن العاشرة ، وبذلك استكمل شروط الالتحــاق بمعهد دمياط الدينى ، واستوفى تعلمه به ، ثم عمل مدرسا بمدرســة (شــمس الفتــوح) لصاحبها الشاعر الدمياطى على العزبى ، الذى كانت تجمعه به صلة وجدانية ، ثم شــخص الى القاهرة بعد ذلك لاستكمال دراســـته فى

الأزهر ، « واستأجر دكانا صغيرا فى أحد الأزقة يجعل منه متجرا ومكتبا ومسكنا ، واستطاع أن يستبضع بعض ما يحتاج اليه سكان المنطقة ، فكان ذلك يدر عليه قروشا ترد عنه غائلة الجوع ، وتقيم القلم فى يده ، ليرسل أشجى أنغامه » كما يقول صديقه الشاعر الكبير طاهر أبو فاشا (١) .

وان كانت حاجته الماسة الى الارتزاق قد حالت دون انتظامه فى الدراسة ، فانها لم تحل بينه وبين تثقيف نفسه والتتلمذ على شوامخ الكتب والدواوين الشعرية للفحول من الشعراء ، كيف شاء ، ومداومة اطلاعه على الصحافة الأدبية المزدهرة فى زمانه ، وخاصة بمجلتى (الهلال) و (المقتطف) اللتين كانتا تنشران البحوث الأدبية والعلمية الضافية .. وعمل بعد ذلك مراجعا فى مصدر اشعاعى ثقافى كبير له شأنه ، هو دار الكتب ، وفى أخرياته « منحته الدولة جائزة الجدارة ومعها ألف جنيه ورتبت له معاشا ثابتا يأتيه كل شهر (٢) » .

ولشاعرنا نقدات اجتماعية فى أيامه تنفذ الى الصميم ، استقاها من طول رحلته مع الحياة والناس التى ناهزت ثمانين عاما ، كقوله فى بيتيه بعنوان (كفاية) :

قالوا فلان ترقى
من غير أدنى كفايه
فقلت : لا تظلموه
فكم له من وشايه !

وتبلغ مرارته ذروتها ، حينما يقول فى قصيدته : (رثاء نفسى) ، متحسرا :

كأننى فكرة فى غير بيئتها
بدت ، فلم تلق فيها أى اقبال

ومن بواكير شعر أبى الوفاء ، وفى مرحلة النضج والرضاء بالقضاء والقدر ، نجده يقول بقصيدته « الايمان » :

قوة لم تتح لقلب جبان
تلك فى المرء قوة الايمان
تتجلى فى جميع قوى الكو
ن..شيوع الأرواح فى الأبدان
لكانى أرى الحياة وايا
ها سميين .. او هما : توأمان

كما يجمل رسالته فى الحياة بهذه الأبيات :

لم أقل غير ما حسبت مفيدا
ليت شعرى .. هل قلت شيئا مفيدا
فاذا عشت ، عشت حرا ضميرى
مستريحا ، لما صنعت ، سعيدا
واذا مت ، مت حرا .. لأنى
لم أضف للحياة .. قيدا جديدا

رحم الله شاعرنا أبا الوفا رحمة واسعة .

---

(١) بمقال له بمجلة الثقافة عدد ١٠ يناير سنة ١٩٨١ عن ابى الوفا .

(٢) المصدر السابق .

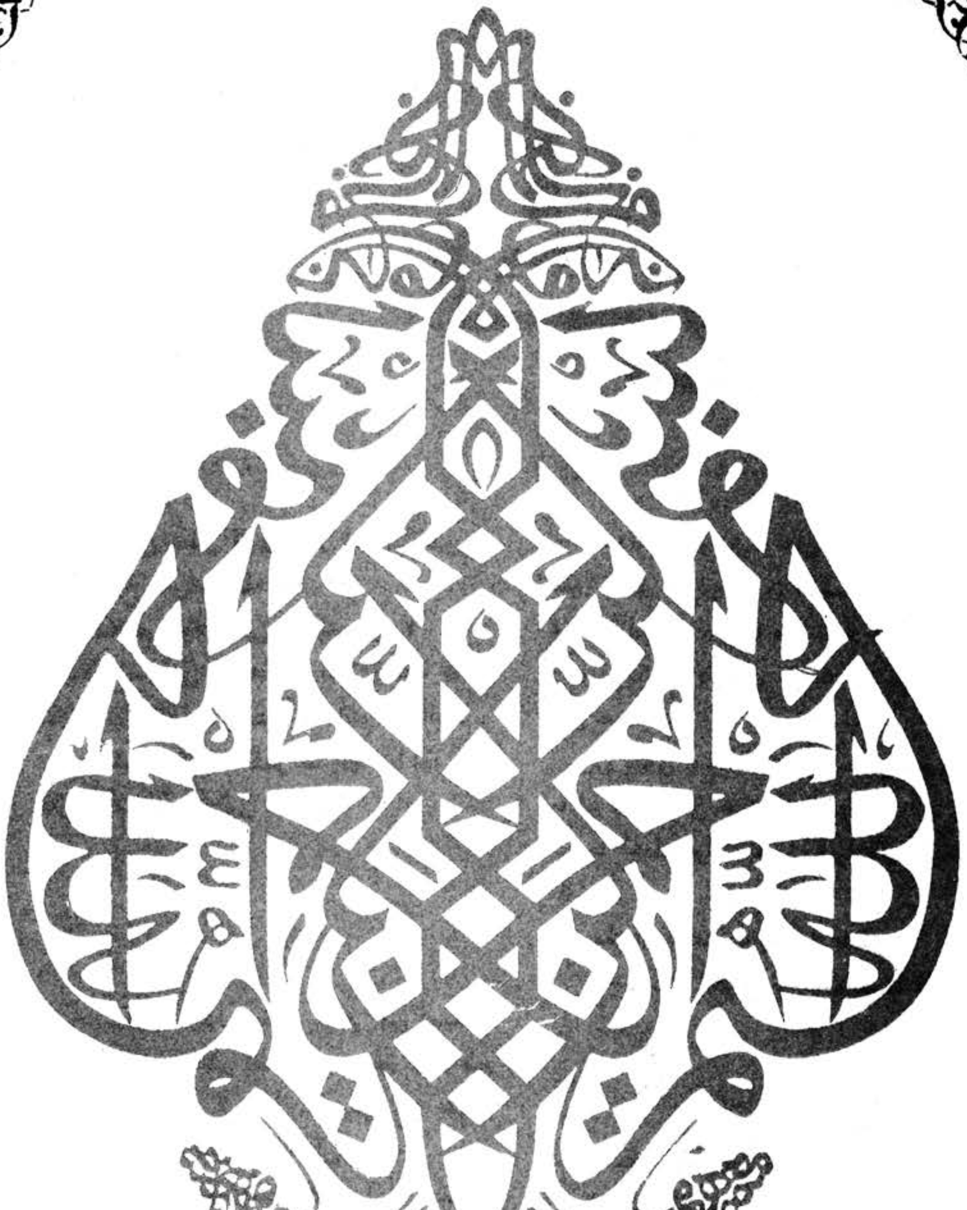

طرائف

جواب مسكت

قيل : ان بعض اليهود قال لسيدنا على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ..

ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه ؟ .

فقال ــ رضى الله عنه ــ انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم « اجْعَل لَّنَا إِلَٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ » .

حقيقة

اذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فاعلم أنه زنديق ، لأن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عندنا حق ، والقرآن حق .

وانما أدى الينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وانما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة .

« أبو زرعة الرازى »

حقا

الصداقة والصدق توأمان ، فلا توجد صداقة بغير صدق ، ولن يكون الانسان صادقا مع غيره ما لم يكن صادقا مع نفسه .

ولن يكون الانسان صادقا مع نفسه ما لم يكن صادقا مع ربه عز وجل ..

ولن يكون صادقا مع الله ــ عز وجل ــ ما لم يتحرر من عبودية ما سواه .

وما أجمل قول بعض العارفين فى هذا المعنى :

تمسك ان ظفرت بذيل حر
فان الحر فى الدنيا قليل

قالوا

*** خف الله تأمن غيره .**

*** أشد الذنوب ما استخف به صاحبه .**

*** الدنيا خلقت لغيرها ، ولم تخلق لنفسها**

*** من شكا الحاجة الى مؤمن فكأنه شكاها الى الله ، ومن شكاها الى كافر فكأنما شكا الله .**

ومواقف

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

*** شر الناس من لا يبالى أن يراه الناس مسيئا .**

***صمتك حتى تستنطق أجمل من نطقك حتى تسكت .**

*** من لم تصلحه الكرامة اصلحه الهوان .**

*** اذا اقبلت الدنيا على انسان اعارته محاسن غيره ، واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه .**

للصبر عشرة أقسام

الصبر عن شهوة البطن يسمى « قناعة » وضده « الشره » .

والصبر عن شهوة الجسد يسمى « عفة » وضده « الشبق » .

والصبر على المعصية يسمى « صبرا » وضده « الجزع » .

والصبر على الغناء يسمى « ضبط النفس » وضده « البطر » .

والصبر عند القتال يسمى « الشجاعة » وضده « الجبن » .

والصبر عند الغضب يسمى « حلما » وضده « الحمق » .

والصبر عند النوائب يسمى « سعة الصدر » وضده « الضجر » .

والصبر على حفظ السر يسمى « الكتمان » وضده « الخرق » .

والصبر عن فضول المعيشة يسمى « الزهد » وضده « الحرص » .

والصبر عند توقع الأمور يسمى « التودد » وضده « الطيش » .

قال الشاعر :

اصبر قليلا فبعد العسر تيسير
وكل أمر له وقت وتدبير
وللمهيمن فى حالاتنا نظر
وفوق تدبيرنا لله تدبير

نصيحة

ما عاش من عاش مذموما خصائله
ولم يمت من يكن بالخير مذكورا

دعاء

« رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ » .

سفراء النبى

عليه الصلاة والسلام - وكتابه

ـ ٤ ـ

فى ثنايا حديثنا عن رسائله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ذكرنا بعض أسماء رسله أو سفرائه وقد كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يختارهم بنفسه من بين صحابته الأقربين .

وكانوا جميعا من الشباب المؤمنين الذين يكفيهم شرفا وفخارا أن يكونوا من صنع النبى الأعظم ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

كانوا يتحلون بالسجايا الكريمة والخصال الشريفة وجمال الصورة ونقاء السريرة . فضلا عن توقد الذكاء واللماحية الشفافة والبديهة الحاضرة والحجة الباهرة . ولا غرو فهم يمثلون ذلك الرعيل الأول من تلك المدرسة الالهية العظمى التى غزت الدنيا بأسرها فى أعوام معدودات . وحققت النصر المبين لدين الله القويم الذى انتشر فى الآفاق وغير وجه الدنيا بأسرها ، وكتب التاريخ البشرى من جديد كتابة أذهلت العالم . وطبعت الحضارة بالطابع المحمدى العظيم فى بضع سنين .

أول السفراء

عمرو بن أمية الضمرى

وكان أول سفرائه ـ عليه الصلاة والسلام ـ عمرو بن أمية الضمرى ، وقد سبق أن أوردنا أنه أرسل الى النجاشى ملك الحبشة الذى استجاب لدعوة الاسلام .

السفير دحية الكلبى

ثم بعث ـ عليه الصلاة والسلام ـ دحية ابن خليفة الكلبى الى قيصر كما قدمنا . وكان شابا جميل الصورة والخلق ، الى درجة جعلت الناس يروون عنه القصص والأساطير وذلك لفرط جماله !

وقيل : ان النبى ذكر فى بعض أحاديثه الشريفة أن دحية كان قريب الشبه بالصورة التى كان يبدو عليها جبريل كلما ظهر للنبى الكريم .

ولقد كان لجمال دحية أثر عظيم فى نفس قيصر وحاشيته عندما قدم عليهم حاملا رسالة النبى الكريم ، فضلا عن رجاحة عقله وسرعة بديهته وهيبته الشخصية الطاغية .

السفيران عبد الله السهمى ... ... وحاطب بن أبى بلتعة

وهذا الكلام ينصرف وينطبق على عبد الله السهمى الذى أوفده — عليه الصلاة والسلام — الى كسرى ، وحاطب بن أبى بلتعة رسوله الى المقوقس .

وكان عبد الله السهمى القرشى من صحابة النبى الكريم ، وكانوا يلقبونه بالمبرق وروى عنه أنه قال :

اذا أنا لم أبرق فلا يسعننى
من الأرض بر أو فضاء ولا بحر

وتقول بعض الروايات انه قتل باليمامة ، وتفيد روايات أخرى أنه قتل بالطائف (شهيد جهاد) .

أما حاطب بن أبى بلتعة اللخمى فهو صحابى شهد الوقائع كلها مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكان من أشد الرماة فى الصحابة ، وكانت له تجارة واسعة ، وقد بعثه النبى — عليه الصلاة والسلام — برسالته الخالدة الى المقوقس صاحب الاسكندرية .

مات بالمدينة المنورة وكان أحد فرسان قريش وشعرائها فى الجاهلية .

فريق من أمجد السفراء

وأوفد — عليه الصلاة والسلام — شجاع ابن وهب الى ملك البلقاء الحارث بن أبى شمر الغسانى .

وسليط بن عمرو العامرى الى هوذة وتمامة ابنى أثال الحنفى .

كما أرسل عليه الصلاة والسلام عمرو بن العاص الى جيفر وعبد ابنى الجلندى بعمان .

وأوفد العلاء الحضرمى الى المنذر بن ساوى ملك البحرين .

وبعث عليه الصلاة والسلام المهاجر بن أبى أمية المخزومى الى الحارث بن عبد كلال الحميرى باليمن .

وكذلك أوفد عليه الصلاة والسلام أبا موسى الأشعرى ومعاذ بن جبل الى اليمن وذلك عند انصرافه عليه الصلاة والسلام من تبوك .

ثم أوفد الى اليمن كذلك على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

كما أفد جرير بن عبد الله البجلى الى ذى كراع وعمرو بن أمية الضمرى الى مسيلمة الكذاب .

وبعث عليه الصلاة والسلام الى فروة بن عمرو الجذامى ، وكان عاملا لقيصر فى معان يدعوه الى سلام ، فأسلم وكتب الى النبى — صلى الله عليه وسلم — باسلامه وبعث اليه بهدية مع مسعود بن سعد ، وهى بغلة شهباء

سفراء النبى
صلى الله عليه وسلم

يقال لها فضة ، وفرس يقال لها الظرب ، وحمار يقال له يعفور ، وبعث كذلك أثوابا وقباء سندسيا مذهبا فقبلت هديته ، ووهب لمسعود اثنتى عشرة أوقية .

تلك صورة سريعة لبعض سفراء النبى الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ومنها يتجلى لنا بما لايقبل الشك أو المناقشة أنه عليه السلام كان أول من أوفد السفراء فوق العادة ، يحملون الرسائل الكريمة ، ممهورة بخاتمه الشريف الذى سبق أن أشرنا الى أنه كان يتألف من ثلاثة سطور فى أحدها محمد ، وفى الثانى رسول ، وفى الثالث اسم الله : وهو أعلى هذه السطور الثلاثة .

واعتقد أن التاريخ البشرى الذى حفظ لنا أسماء بعض الملوك والقادة وأسماء من بعثوا من الرسل يحملون من قبلهم رسائلهم الى غيرهم من الأمم — لم يسجل لنا وبهذه الصورة الرائعة الآسرة نصوص تلك الرسائل ، كما فعل مع الرسائل النبوية الشريفة الخالدة التى شاء الله العلى القدير أن تبقى ثابتة متواترة على مدى الدهور خالدة بنصها وروحها فى ثنايا السطور الباهرة وفى أعماق القلوب الواعية الذاكرة .

كتاب النبى
عليه الصلاة والسلام

لاشك أن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين ، هم طليعة كتاب النبى — صلى الله عليه وسلم — ويليهم الكثير من صحابته من المهاجرين والأنصار .

وسنحاول فى السطور التالية أن نثبت فى عبارة موجزة بعض المعلومات المختصرة عن المشهورين من كتابه عليه السلام ، مستثنين من ذلك البيان الخلفاء الأربعة الراشدين .

١ — أبى بن كعب :

يعتبره المؤرخون من أعلم الصحابة بكتاب الله الكريم ، وهو من أسبق الناس الى الاسلام وأجودهم تلاوة للقرآن .

وروى أن النبى عليه الصلاة والسلام قال له :

— ان الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن .

فقال أبى :

— الله سمانى لك ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

— الله سماك لى !

فانطلق أبى باكيا !

وهو من أشهر كتاب النبى — صلى الله عليه وسلم — وأرسخهم قدما ، وكان هو أول من كتب لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — عندما قدم المدينة المنورة .

وهو من الأنصار ، وينتمى لبيت بنى النجار رضى الله تعالى عنه .

٢ — الزبير بن العوام :

هو ابن عمة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وحواريه ، أسلم رضى الله عنه وهو حدث ابن ثمانى سنين .

وكان قد أشيع أن النبى عليه الصلاة والسلام قد أخذه الكفار ، وذهبوا به الى أعلى مكة ، فخرج الزبير — وهو ابن اثنتى عشرة سنة — وقد شهر سيفه فلما رآه النبى عليه الصلاة والسلام قال له :

— مالك يا زبير ؟

فقال :

— أتيت أضرب بسيفى من أخذك !

وفى يوم بدر كان مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فارسان : الزبير على فرس على الميمنة والمقداد بن الأسود على فرس على الميسرة .

وأعطاه النبى عليه الصلاة والسلام لواء سعد بن عبادة رضى الله عنه يوم فتح مكة ، فدخل الزبير مكة بلواءين ، ثم اشترك فى جميع الغزوات التى غزاها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة . وعنه قال النبى عليه الصلاة والسلام « لكل نبى حوارى وحوارى الزبير » !

٣ — زيد بن ثابت :

وهو من الأنصار ، كان — رضى الله عنه — فى الحادية عشرة من عمره عندما قدم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى المدينة .

وفى أول لقاء له مع النبى الكريم قرأ عليه القرآن ، وكان قد حفظ منه سبع عشرة سورة فأعجب النبى بتلاوته .

وهو — الى جانب حفظه للقرآن — من كتاب الوحى .

كما أمره النبى العظيم بتعلم اللغة العبرانية فأجادها وأتقنها فى أسبوعين ، وكان يكتب رسائل النبى الى اليهود بتلك اللغة ، وينقل له عليه الصلاة والسلام ما يأتيه من رسائلهم كما كان يكتب رسائل النبى الى الملوك .

وكان الرسول الكريم يستدعيه لكتابة القرآن وروى البراء ابن عازب رضى الله عنه لما نزلت الآية الكريمة :

(لَا يَسْتَوِى ٱلْقَاعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ) (١) .

قال النبى — صلى الله عليه وسلم — « ادع لى زيدا . وليجىء باللوح والدواة والكتف » .

ولقد جمع زيد القرآن مع آخرين ونسخ المصاحف المعروفة فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ولذلك فهو ورفاقه لهم بهذه الميزة فضل عظيم على الأمة الاسلامية الى يوم الدين رضى الله عنه وعنهم أجمعين .

٤ — شرحبيل بن حسنة :

من المسلمين الأوائل ومن الذين هاجروا الى الحبشة رضى الله عنهم .

وقد سيره أبو بكر فى فتوح الشام ثم ولاه عمر رضى الله عنه على ربع من أرباع الشام .

وهو — رضى الله عنه — من أهم كتاب النبى الكريم باجماع المؤرخين ، بل ان كثيرا منهم يقولون : انه أول من كتب لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

وقد وفد الداريون من الشام على رسول

(١) النساء ٩٥ .

● سفراء النبى صلى الله عليه وسلم

الله — صلى الله عليه وسلم — مرة قبل الهجرة ومرة بعدها ، وفى المرة الأولى سألوا رسول الله — صلى الله عليه وسلام — أرضا فدعا بقطعة من أدم ، وكتب لهم كتابا ، كان كاتبه شرحبيل بن حسنة .

٥ — عامر بن فهيرة :

من أوائل المسلمين الذين تلقوا الاسلام عن النبى عليه الصلاة والسلام . وكان رضى الله عنه عبدا مملوكا للطفيل بن سخيرة .

وهو من أولئك الذين نالهم العذاب الشديد الرهيب لدخولهم فى الاسلام ، فسما بذلك التعذيب سموا عظيما .

وقد اشتراه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وأعتقه ، وبذلك زال عنه الكرب والهوان .

ومن المعروف عنه أنه عندما اعتصم النبى الكريم بغار ثور هو وصاحبه الصديق — كان عامر يتوجه الى الغار بالغنم التى كان يرعاها فيحتلبها الرسول الكريم وصفيه الصديق .

ومن مفاخره التى يشدو بها الزمان أنه رافق رسول الله وصفيه الصديق فى الهجرة الى المدينة .

وهو من أبطال معركة بدر الخالدة .

وكان له شرف كتابة رسالة الأمان لسراقة ابن مالك بأمر من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وفى ذلك روى عن سراقة قوله :

— انى سألت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يكتب لى كتاب موادعة آمن به ، فأمر عمر بن فهيرة ، فكتب فى رقعة من أديم !

٦ — عبد الله بن الأرقم :

قد أجمع المؤرخون الثقات وفى طليعتهم البخارى والطبرى وابن اسحاق أنه رضى الله عنه من كتاب النبى — صلى الله عليه وسلم — .

— ومما يروى عنه أن كتابا ورد على النبى — صلى الله عليه وسلم فقال :

— من يجيب عنى ؟

فقال عبد الله بن الأرقم :

— أنا يا رسول الله .

فأجاب عنه .

وعرض كتابه على الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — فقال :

— أصبت وأحسنت . اللهم وفقه !

فقال عمر — رضى الله عنه — مازال استحسان الرسول الكريم لرده فى نفسى حتى جعلته على بيت المال .

٧ — عبد الله بن رواحة :

وكان شاعرا مجيدا يعرف القراءة والكتابة منذ الجاهلية ، وهو — رضى الله عنه — من شعراء النبى الكريم ، وروى ثابت عن أنس بن مالك أن النبى عندما دخل مكة فى عمرة القضاء — كان ابن رواحة بين يديه فيقول :

خلوا — بنى الكفار — عن سبيله
نحن ضربناكم على تأويله

ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله !

فقال عمر بن الخطاب :

يابن رواحة ، أفى حرم الله وبين يدى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تقول هذا الشعر !

فقال النبى الكريم — عليه الصلاة والسلام — — خل عنه يا عمر ، فو الذى نفسى بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل ! وهو من كتاب النبى الكريم باجماع المؤرخين •

٨ — عمرو بن العاص :

وهو من دهاة العرب وفرسانهم وقد هاجر رضى الله عنه — الى المدينة وبايع النبى الكريم •

وقد اشتهر فى السياسة والحرب ، وفتح مصر زمن عمر بن الخطاب •

وعندما استتب الأمر لمعاوية أعاده أميرا على مصر مرة أخرى •

وهو من كتاب النبى عليه الصلاة والسلام •

٩ — معاذ بن جبل :

كان من أصبح الصحابة وجها ، طويل القامة حسن الشعر ، جميل العينين •

وهو — رضى الله عنه — من السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار ، رضوان الله تعالى عليهم •

وقد آخى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بينه وبين ابن مسعود ، رضى الله عنهما •

شهد المعارك النبوية كلها • وجمع القرآن فى عهد النبى الكريم صلى الله عليه وسلم •

وقال عنه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — •

« خذوا القرآن من أربعة : من ابن أم عبد ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ، وسالم مولى أبى حذيفة » •

وكذلك قال عنه النبى الكريم — صلى الله عليه وسلم •

(أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل)•

١٠ — معيقب بن أبى فاطمة الدوسى :

من المسلمين الأوائل فى مكة ، ومن مهاجرى المسلمين الى الحبشة فى الهجرة الثانية ثم قدم رضى الله عنه على النبى الكريم — صلوات الله وسلامه عليه — فى المدينة المنورة ، وشهد بيعة الرضوان وما بعدها من المشاهد •

وكان هو حامل خاتم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — •

وقد استعمله الشيخان ، أبو بكر الصديق وعمر على بيت المال •

وهو من كتاب النبى — صلى الله عليه وسلم — كما أكد جمهرة المؤرخين •

نجتزىء بهذا البيان عن طائفة من كتاب النبى عليه الصلاة والسلام وقد ذكر القرطبى فى تفسيره أن عددهم ستة وعشرون كاتبا ، وأوصلهم العراقى الى اثنين واربعين كاتبا ، ونظم فى ذلك أرجوزة لطيفة معروفة •

د مختار الوكيل

من أعلام الأزهر

الشيخ عبد الرحيم فوده

للأستاذ السيد حسن قرون

الفتى الأزهرى

نحن الجنــــود ولكن لا لطــائفة

بل للمراغى كى يحمى بنــا الدنيا

جمع حاشد ثائر أمــام جــريدة البــلاغ وصاحب الجريدة واقف بين المتظاهرين وفتى يلبس الزى الأزهرى ينشد شعرا بدأه بهــذا البيت الذى ذكرته • كان ذلك فى الأيام الأخيرة من سنة ١٩٣٧ حين كانت الحزبية على أشدها والخلاف بين الحكومة والقصر قدبلغ مــداه ، والأزهريون تتخذ منهم الحكومةأعداء فتؤذيهم بالاعتــداء والاعتقال وخطف العمــائم • وســألت عن الشاعر فقيل لى : انه عبد الرحيم فودة الطالب بكلية اللغة العربية • وفى الصباح قبيل دق الجرس سألت عنه مــرة أخــرى ، فقال الزملاء : انه معك فى الفصــل ، والتقينا فكنا صديقين •

والأصدقاء من الســهل عليهم أن يتعــرف بعضــهم على بعض ، فتتكشــــف الأسرار ، وتعرف الأسر ، وتظهر الميول ، وكلما اقتربوا وتعايشوا زادت المعرفة وتوثقت الصــلات ، وتحدثوا عن البلاد والمواليد وطبائع الأحيــاء والأشــياء •

وكان أن عرفت صديقى عبد الرحيم مولــدا ومنشأ ، فقد ولد فى أشهر قرية من قرى مصر هى دنشواى من أعمــال المنــوفية وشــهرة دنشواى معروفة فقد قاومت المحتل الانجليزى حين ظن أن مصر لا حياة فيها ، وهال المعتمــد البريطانى (كرومر) أن تهزأ بسلطانه قريــة فصب عليها غضبه وحاكم فلاحيها وصــدرت أحكام الاعدام والسجن والجلد وشاهد سكان القريــة تنفيذ الحكم بأعينهم فلم يزدهم مــا رأوا الا وطنيــة وشهامة وصمودا لما تأتى به الأيام • وكان مولد عبد الرحيم فودة بعد تلك الحادثة بثمانية أعوام ، فقد كانت الحــادثة سنة ١٩٠٦ وكان ميلاده سنة ١٩١٤ وفى ١٢ من يناير من هذا العام، ولابد أن يكون عبد الرحيم

حين وعى قد عرف ما جرى فترك فى نفسه دوافع تبغضه فى المستعمر وتدفعه لمحاربته يوم يملك شيئا يصوبه اليه ، وكثيرا ما كان ينشد قول شوقى فى وداع كرومر :

لما رحلت عن البلاد تنفست

فكأنك الداء العياء رحيلا

والحقبة التى أتحدث عنها من مولده الى أن التقيت به علمناها من أترابه ومنه ، وهى حقبة كان لها أثرها فى تكوينه حفظ القرآن فى القرية ، ثم رحل الى القاهرة فدخل المعهد الدينى فنال الشهادة الابتدائية ثم الشهادة الثانوية منه أى معهد القاهرة الدينى، وفى المرحلة الثانوية ظهر ميله الى الأدب فقرض الشعر وخطب فى المجتمعات ، واشترك فى المناظرات وأخرج ديوان شعر قدمه له الشاعر الكبير السيد حسن الغاياتى ببيتين يتنبأ له فيهما بمستقبل زاه زاهر .

وكان كما قدمت أول معرفتى به عن طريق الشعر فى يوم ثائر فائر .

دخلنا كلية اللغة العربية فى العام الذى خرجت فيه أول دفعة ١٩٣٧ ، وكانت هى وكلية الشريعة فى مبنى واحد بشارع البرمونى قرب عابدين ، أما كلية أصول الدين فكانت بحى شبرا ، ولم تكن الكليات تسير على النسق الذى نعرفه اليوم ، فالحرية مطلقة لحاملى الشهادة الثانوية الأزهرية فى اختيار أى من الكليات الثلاث ، وكانت كلية اللغة تنفرد بتقليد هو امتحان المتقدمين لها كتابيا وشفويا.

وكان يتولى عمادة هذه الكليات الثلاث شيوخ لهم مكانتهم وقدرهم ، ولكل منهم

سماته التى تميزه ، وكان الشيخ ابراهيم حمروش شيخنا شديدا مظهره لينا مخبره يضربنا اذا تأخرنا دقائق عن مواعيد الدراسة ، ولكنه يستمع الينا باسما اذا ناقشناه ، واذا شكونا حل المشكلة فى أناة ، واذا أخطانا عاقب ثم عفا ، ويسأل : لم تمتحن المستجدين وقد نجحوا فى الثانوية الأزهرية ؟ فيقول : انهم بضاعتى التى أنزل بها الى السوق ولابد أن تكون جيدة ، ومن هنا كانت الشدة فى الامتحان ، والجد فى تلقى الدروس ، والحفاظ على الزى الأزهرى .

وكانت الكليات الثلاث فى ود لا ينقطع فاذا كان الاضراب والتظاهر وجدت كلية أصول الدين معنا ، وكأننا على ميعاد ، ولا فرق عندنا بين شيخ وشيخ فكنا نحب الشيخ مأمون الشناوى عميد كلية الشريعة والشيخ عبد المجيد اللبان كما نحب الشيخ حمروش ، وكثيرا ما يجد طلاب الشريعة من شيوخهم اهتماما بالنحو والبلاغة عند دراسة التفسير

والحديث فيقولون : ماذا أبقينا لكلية اللغة ؟ ونجعل هذا من حديثنا اذا تجمعنا • واثنان منهما توليا مشيخة الأزهر :

الشيخ الشناوى والشيخ حمروش •

كانت كلية اللغة فتية وفى نهضة بارعة والأساتذة على اختلاف تخصصاتهم جادون يعرفون طلابهم طالبا طالبا ، وكان الشيخ حمروش يهتم بالطالب عبد الرحيم فودة اهتماما كبيرا على الرغم من اشتغاله بالسياسة ، انه ثائر على الظلم والطغيان ومجافاة الدستور وسيطرة المستعمر — كما كان يتصور — فما ان يخرج من قاعة الدرس آخر النهار حتى يكون من أعلام الخطابة وقادة الرأى فى الأندية ومواطن التجمع ، ويقتضى هذا أن يكون تحت سمع الشرطة وبصرها ، ومن حين الى آخر نسمع عن اعتقاله ، وحين يطلق سراحه يقف بيننا خطيبا مندداً بأخطاء الحكومة والمحسوبية الحزبية وفساد الحكم مما كان يقال فى ذلك الزمان •

والواقع أن المظاهرات واتجاه الطلاب اليها فى الجامعة والأزهر ودار العلوم وفى المدارس أيضا يرجع الى الموروث عن ثورة ١٩١٩ حيث كان الطلاب يسقطون الحكومات — كما كانت تقول الصحف — ويقص علينا شيوخنا قصة طالب كان فى الرابعة عشرة من عمره سمعوه ابان الثورة وقد صعد منبر الأزهر يندد بالاستعمار ويصور بشاعته ويصرخ فيبكى الشيوخ ويندفع الشباب نحو المقاومة والتصدى لحراب الانجليز ورصاصهم •

وقد وصل هذا الطالب فيما بعد الى الصدارة فكان وزيرا للخارجية فى آخر وزارة للوفد • فكان هذا القصص وأمثاله يغرى الطلاب بالزعامة ويدفعهم الى التقول ، وكانت الصحف بحزبيتها توقد النار وتعمق البغض بذكر مساوىء الاستعمار • وكانت معاهدة ١٩٣٦ قريبة العهد ينهال عليها النقد من كل قائل ، فى البرلمان بمجلسيه ، فى الصحف المعارضة للحكومة ، وكان انشقاق حزب الوفد دافعا الى المظاهرات ، فبشائر حزب جديد فى الأفق ولابد له من أنصار ، ويجب أن يكون الأنصار من الشباب ، وكانت جريدة البلاغ وكاتبها عباس محمود العقاد موئل الثوار فى ذلك العهد • وطبيعة عبد الرحيم فودة تتلاءم مع المعارضة فكان من الثوار •

وكأنه كان يود الثأر لدنشواى • فهو يخطب ويشترك فى المظاهرات ويحل ضيفا على المعتقلات •

أما مذهبه السياسى فلم أتبينه حينذاك ، وخيل الى فى وقت أنه من جماعة السعديين ثم تبين لى فيما بعد أنه لا حزب له ، وأنه من جنود المراغى أو قل من جنود الأزهر ، وان كانت ميوله تتصل بالزعيم مصطفى كامل •

وجاء حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ فرج مصر رجا عنيفا ، وكان أن قبض على عبد الرحيم فودة وقد تعودت مجيئه الى صباح كل يوم

لنذهب معا الى الدراسة التخصصية ، غـاب يوما فيوما وسألت عنه فقيل لى لقد قبض عليه ولم أجد لذلك سببا فلمتحدث مظاهرات معادية كالتى كانت قبل الوزارة الجـديدة ، وانتهى هتاف « تقدم يا روميل » وتداولت الأمر مع زميلى سيد سليمان النخيلى . ثم مع زميلى على قشاشة وكان سـكرتير رئيس الـوزراء الخاص ، واتفقت معه على أنى أكتب لرفعـة الرئيس وعليه أن يعضد رسالتى بعد قراءتها ، وكتبت وبنيت رسالتى على أن الأزهـر هـو الشعب والشعب كله وفدى ، وانما عبد الرحيم من زعماء الطلبة والمنافسة بين الطلاب تدعو الى الدس والوقيعـة وكـلام لا أذكـره ووصلت الرسالة وقرأها على قشـاشة عـلى الرئيس وعضدها وبين أن كلية اللغة لا حزبية فيها وأن فودة خطيب من خطبائها ، واستجاب الرئيس للرسالة وأمر مدير الأمن بالافـراج عنه .. وحين بلغه مدير الأمن قرار الافـراج هتف بسقوط الوفد ورئيسه .. فما كـان من مدير الأمن الا أن رده الى السجن .

ومرت الأيام وسألت وعلمت بما حـدث ، فقلت الأمر سهل نكتب مرة أخرى ، وكتبت وقلت : كيف لا يهتف بمـا هتف بـه ؟ وكيف يستساغ فى العقول أن يقبض رئيس الحـزب على أعضاء حزبه وينتظر الهتاف المؤيد منهم ؟ الى كلام فيه قوة واقناع لا أعرفـه اليـوم ، ونجحت الرسالة الأخيرة وأفـرج عنه مـع المراقبة .. وذهبت اليه فى منزله وكان يسكن بالقلعـة .

فلما شرحت له الأمر .. قال : والله لأرجعن الى المعتقل .. ثم لا أسجد الا لله .

وهذه الحقبة ـ وان كان دور السياسـة أبرزها ـ تتسم بوثبة رائعة فى الأدب والعلم والفن تطالع كل يوم كتابات الرواد العظـام أمثال العقاد وطه حسين والمـازنى والزيـات وأحمد أمين وزكى مبارك .. فنقبـل عليهـا بالقراءة والدرس والحفظ والنقد والمجـادلة كما تقضى الميول اذ لكل منا أديبه المفضـل ، وكان عبد الرحيم فودة يقرأ لهؤلاء ولغيرهم ولكنه يفضل الزيات صـاحب الرسـالة على الأدباء جميعا ، وكان نشيطا دائم التجـول ويحضر الاجتماعات ويناظر ويكتب وينشر ، وتحسبه لذلك أنه ضل الطريق ، ضل عن درسه ومستقبله ، فهو اما فى الأندية أو فى المعتقـل فكيف يتسنى له تحصـيل العلم ؟ ولكنك اذا عاشرته وصحبته من قريب رأيت طالبا أزهريا يعكف على المصنفات دارسا وفاحصا ومتعمقا فى الفهم ، وله مع شروح التلخيص مـواقف معدودة ، يغضب عليها حينا ، وحينا يرضى ، فيقول عن المصـنفين .. ما أصـبرهم على التأليف والتصنيف ! وكان يسخر بمن يرجع فى اجراء الاستعارة الى البـلاغة الواضـحة » للجارم . ويقول : العلم هنا يشير الى شروح التلخيص .. وكانت صلته بمدرسيه صـلة التلميذ المعجب بالأستاذ الممتـاز ، يحترمهم ويلهج بذكرهم ، ولا يشاركنا فى عد هفواتهم ، وكنا نقول عنه : انه لا وقت عنـده للتعـرف عليهم وعلى علمهم ، وقد نكـون صادقين فى

من أعلام الأزهر

بعضهم وقد نكون واهمين .. المهم أنه يودهم ولا يداخله شك فى علمهم وقدرتهم على العطاء فأبرز صفاته الوفاء ، ولم أجده فى حديث ما نسى الشيخ محمد عبد اللطيف دراز أو الشيخ أحمد حسن الباقورى أو صديقه رياض هلال ، ولقد بقى الى آخر أيامه يلهج برياض هلال وقد كتب عنه عقب وفاته فى حادث أليم ، ويقول لى : لقد رأيته فى منامى وسألته عن الموت فلم يجب .

ولا أحب الدخول فى تفصيلات قد لا تهم القارىء فأقص ما جرى خلال ست سنوات حفلت بدراسة جادة أثمرت ثمرا جنيا ، فكانت بضاعة اعتز بها الشيخ ابراهيم حمروش رحمه الله ، وكان الشيخ يمر علينا أثناء أداء الامتحان ، وفى مرة منها نظر فوجد الطالب عبد الرحيم فودة يتفصد عرقا .

فسأل : ما بال فودة ؟

قلنا : انه مشرق . فقال : لا ، انه محترق . حياة اجتماعية طيبة فيها الرعاية والعناية وتفهم أمانى الطلاب .

الحرب العالمية الثانية :

وجاءت سنوات الحرب العجاف فأظلمت القاهرة وترددت صفارات الانذار تبلو الأجسام والأفهام وكم كانت المخابىء مخيفة ومزعجة ندخلها فزعين ونخرج منها ساخطين ، وقراءة القرآن فيها بصوت مرتفع كانت تلاقى معارضة يحتدم من أجلها النقاش . وكم كان لعبد الرحيم فودة من تعليقات تدين أوربة وحضارتها ويصف أهلها بأنهم شر البرية . ثم أهملنا المخابىء واتكلنا على الله فالموت يأتى بكل مكان ، والنزول والهرولة كل ليلة جعلت العذاب مضاعفا ، فليكن ما يكون . ولم يمنع هذا الظلام الدائم من السيطرة على النفس والجد فى مراجعة الكتب ، وقد انتصرنا عليها وتخرجنا عام ١٩٤٣ قبل أن تضع الحرب أوزارها ... ولم يعكر علينا صفو الفرح بالتخرج الا أننا سنفترق ، ونستقبل أيام لا ندرى ماكنها ، وذهب كل الى طريق ، وعملت الحياة عملها فينا ، فبعضنا عاش بعيدا عن مركز القيادة ، وبعضنا بلغ منصب الوزارة . أما عبد الرحيم فودة فعرف الطرق جميعا : احتضنته وزارة المعارف ، ثم جذبه الأزهر اليه فدرس فى معاهده وكلياته ثم استقر آخر الأمر مديرا لمجلة الأزهر الغراء .

الأديب الألمعى :

اختلف سكرتير مجلة الأزهر عبد الرحيم فودة مع رئيس تحريرها أحمد حسن الزيات حول مقال عده السكرتير تملقا وعارض فى نشره ، وأصر رئيس التحرير على النشر ، ثم افترقا . وفكر السكرتير فى أمر الزيات ، لقد كان مثله الأعلى انه صاحب مقال « فلاحون وأمراء » به تحدى الأسرة المالكة فى عز سلطانها فكيف يجامل اليوم حتى يصل الى نشر الرياء ؟ واتهم نفسه فى فهم الرجل . وذهب الى منزله غاضبا ومد يده الى مجلدات « الرسالة » التى يحتفظ بها مزمعا التخلص

منها باحراقها أو القائها فى الشارع ، وأمسك بمجلد منها ، فقرأ موضوعا ثم آخر ثم ثالثا • وراح فى تفكير عميق ، وأجل مشروعه ونام، وفى الصباح أقبل على الأستاذ الزيات مبتسما وقال له : افعل ماشئت فلك من أدبك شفيع لا يرد ، فقد زال غضبه حين استباه أدبه •

وأنا أذكر تلك النادرة لأبين مدى اعجاب عبد الرحيم فودة بالكلمة البليغة ومكانة الأدباء ، انه أديب ذواقة يسحره الأثر الأدبى ، ويستولى على لبه وقلبه ، وكانت له حافظة واعية لا يخرج منها ما دخل فيها وانه ليسمعنا القصائد الطوال ذات الألفاظ الغريبة والتراكيب الجاهلية مما يعسر حفظه ، ويند عن الذاكرة ذكره • وكان له بصر بمعرفة الجيد والردىء ، وله محفوظة من الشعر والنثر على اختلاف العصور يضاف الى ذلك موهبة أدبية قادرة على التعبير بلغة مضر ، كما يقول ابن خلدون ، وأنت تعلم أن اللغة العربية فى عصرنا بعد العهد بها عن صحرائها ، فنحن نتعلمها تعليما ، ونحصلها تحصيلا ، وقد حفت بالمكاره : من العامية بأزجالها وتمثيلياتها ولغة التخاطب بها ، ومن اللغات الأجنبية التى تزاحمها ، وما يترجم منها بأسلوب سقيم له أثره فى فساد اللسان العربى ، لكن عبد الرحيم فودة تكب عن كل هذا جانبا ، لم يعط أذنه للعامية ، بل حرص على الجيد من عيون الشعر والبليغ من مختار النثر وهو كثير وجده فى الأدب القديم والأدب الحديث فلزمه طويلا وحمى نفسه من الشعر الفلسفى عملا بنصيحة البحترى فله مختاراته ومحفوظاته ، وقد اختار من العصر الحديث شاعرا هو شوقى وناثرا هو الزيات ، وليس معنى هذا أنه حبس نفسه عليهما وانما معناه أنه اتخذهما رفيقين وغيرهما معارف •• ولكننى حين أنظر الى شعره ونثره أرى له شخصية متميزة ••• فتأليف العبارة عنده موسيقى دائما ، وليس ذلك من صنيع السجع والازدواج والتجنيس ، انما يرجع فنه الى مجىء التعبير على توقيع انفعالاته ولحن فؤاده ، وانطلاق نفسه على سجيتها فلا اكراه للفظ ولا غوص على معنى لا يقتضيه المقام وأغلب الظن أنه حفظ القرآن وأطال النظر فيه والتأمل فى معانيه فطبع أسلوبه هذا الطابع ذا الأداء الأوحدى الذى هو فى الشعر أنغام وألحان ، وفى النثر زغزقة عصفور جذلان • وقد أقلقنى حين ترك نظم الشعر فسألته أن يعود اليه فكان جوابه : الشعر دالت دولته وان كان رواده ، فعصر العلم والكشوف ومعطيات الديمقراطية جعلت للنثر الأولوية ، وهو رأى قد تخالفه فيه وقد تصغى اليه ، ولكنه — هذا الرأى — من مقتضيات العصر •

ولو نظرت الى شعره لرأيته من هذا الطراز الراقص الأخاذ ، ومن الخسارة ألا يجمع فى ديوان يقف بجانب ديوانه الأول ، وهذه قصيدة من شعره أضعها بين يديك لتقرأها وسترى فيها مصداق ما قدمت • ومناسبة هذه القصيدة تفهمها من أبياتها فمن قبلت فيها كانت طلبته لتكون شريكة حياته ، ولكن تطلعاتها نحو الجاه والمال حالت بينها وبينه ••

من أعلام الأزهر

وقد نظمها وطواها كما طوى حبه ، ولكنى أخذتها على غير علم منه ونشرتها بمجلة الصباح (١٣ فبراير ١٩٤٢) وحين قرأها لم يرض ولم يسخط كأنه لا شأن له بها . قال :

سانساها وابحث عن سواها
فلست بطالب ذهبا وجاها
بذلت لها الهوى صفوا فضنت
على ، وباعدت عنى هواها
وصورت الحياة كما أراها
فصورت الحياة كما تراها
مناها من تطلعها نضار
تجمعه وتكثر من حلاها
ومهوى نفسها قصر منيف
تشيده ليسكنه سواها
فلا تعتب اذا أغضبت عنها
ولا تعجب اذا قلبى سلاها
فقد كانت كما (أحببت ليلى)
ترى فى حبها (قيسا) غناها
وكنت اريدها زوجا وحسبى
من التطليم — لو علمت — نهاها
ففى رأيها رأى جديد
وكدر صفوها نجح زهاها
ولجت فى تحررها وخلت
ديار الحب تنعى من بناها

وهذا الشعر يصلح نموذجا لما يطلبه النقد فى العصر الحديث ، ففيه التجربة والوحدة الفنية والأداء النفسى وصدق العاطفة ، ولا أريد أن أحللها فحسبى أن تقرأها معى ، وحسبى أن أشير الى كلمة « تحررها » فقد جاءت دقيقة فى موضعها ، فقد تقول كان ينبغى أن يقول « تمردها » ولكن بقليل من التأمل تدرك أن الشاعر وضع الكلمة فى مكانها ، لأن ضياع حبها جاء من مفهوم الحرية التى سيطرت على عقول الفتيات بعد أن تعلمن وقرأن الروايات والقصة وشاهدن ما يعرض على شاشة « خيالة » ، وطغت عليهن الحياة المادية ، فتمردن وظنن التمرد تحررا .

وقد تزوج سواها كريمة الشيخ على محفوظ فولدت له ست بنات استقبل ميلاد كل منهن بمقالة متفائلة .

أما نثره فيرجع الى نتاج ظهرت سماته فى الادباء الذين تخرجوا فى الازهر والذين طبعتهم الدراسة الأزهرية على النهج الجميل حين أشربت نفوسهم حب الادب وتمرسوا بالكتابة فكانوا رواد الادب الحديث ، نذكر منهم على سبيل المثال : مصطفى لطفى المنفلوطى ، وعبد العزيز البشرى وأحمد حسن الزيات وطه حسين فاشراقاتهم راجعة الى تأثرهم بالقرآن الكريم ومعرفة أساليبه ، ولكل منهم أسلوبه الفريد فى بابه ، وطريقة كل منهم تختلف عن الآخر — وان جمعتهم النغمات الاشراقية والترجيعات العفوية — وأديبنا عبد الرحيم فودة لم يبك كما بكى المنفلوطى ، ولم يمزح كما مزح البشرى ، ولم يلتزم هندسة الاسلوب كما هندسه الزيات ولم يكرر كما كرر طه حسين وانما كان الجد سبيله ، والكلمة تستقل بمقامها

وتأبى الترادف ، ولا يجعل للزينة سيطرة على قلمه ، وأنا أفسر ذلك بطول اشتغاله بالصحافة وكتابة المقال الأدبى حسب تطـوره الحديث وأبرز سماته الايجاز ، وينسحب مانقوله على المقال الصحفى والاجتماعى لان الكاتب يجزىء موضوعه الى أفكار يجعل لكل فكرة مقـالا . ولك أن ترجع الى كتاباته فى مجلة الازهر أو فى غيرها لتجد نماذج لما أشرت اليه .

المفكر الاسلامى

هناك عالم اسلامى ، وهناك مفكر اسلامى ، ولكلمنهما مجاله وعطاؤه ، وتسألنى عنمميزات هذا وذاك والأمر — كما هو معهود — لايحتاج الى كثير من التأمل ، فالعالم الاسلامى غالبـا انسان تخصص فى الشريعة ، وتعمق فى دراسة الكتاب والسنة وما جاء نتيجة لهما من العلوم كالتفسير وتمحيص الاحاديث وبيان الصحيح وغير الصحيح ، وكأصول الفقه الذى ظهر على يد الامام الشافعى ، ولكنه قيد نفسه بما حصله من كل أولئك فهو يردد اقوال من سبقوه مـن اصحاب المذاهب الفقهيـة ويعتز بهـا ، وانى لأذكر لأول عهدى بطلب العلم فى العقد الثالث من قرننـا هذا أن شـيخ المعهـد واسـمه (عبد الحكم عطا) كان يعلن أنه لوضاع مذهب مالك لجمعه من صدره . وهو جهد يشكر عـليه ويثاب على نيته فيه ، ولكنه لا يعـد مفكـرا اسلاميا ، لأن المفكر الاسـلامى يجمـع الى التجرد للعلم والتبحر فيـه بعث الحـركة فى معطيات الدين وجلاء ما خفى على معاصريـه حتى ليعدونه مجردا وهو دائمـا يتطلـع الى آفاق جديدة ، فيه من القلق والتوتر مايدفعه الى منازلة خصومه بروح البطل الواثق بنفسه وبسلاحه ، وله من دينه السمح وكتاب اللـه المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمـد — صلى الله عليه وسلم — وما سنه الرسول — عليه الصلاة والسلام — ومـا رواه عـن السلف الصالح ذخيرة يغلب بهـا المكابرين ، ولا يلتفت الى قولهم : ان باب الاجتهاد قـد سد فالعقول التى وهبها الله للمتقدمين لا يبخل بها على المتأخرين والمشاهد لنا فى محيط العلم أن الأفكار تستنير من جيل الى جيل ، والقرآن الكريم لا تنقضى عجائبه ، ولا ينضب معينه ، ولم يصل فيه أحد من المفسرين الى تفسير يقال فيه : انه وصـل الى مـراد الله فيه . وكلما نضجت العقول وتفتحت الأذهان أتت بجديد ، ولكل عصر أعلامه ، ومن الموروث أن لكل قرن علمه الذى يجـدد ويبعث الحيـاة فى النفوس والقلوب والعقول فيعود الاهتمام بالشريعة ، ويقبل المؤمنون على العبادة وينهض الناهضون للذود عنه والموت فى سبيله بعيدين عن الأوهام والخرافات وكأنهم عادوا الى صدر الاسـلام بايمانهم القوى وقدرتهم الرائدة .

وفى عصرنا هذا ظهر مفكرون كان لهم الاثر الطيب ، والمنهج الحميـد فى الاصـلاح مـن العقيـدة الى التشريع وفـرق كبير بـين « الخريدة » « ورسالة التوحيد » للامام محمد عبده فالأولى « أكاديمية » لا تخـرج عـن قاعة الدرس « ورسالة التوحيد » صالحة لقاعة الدرس كما هى صالحة للثقافة العامة .

وأين موضع الشيخ عبد الرحيم فودة من هذين الصنفين ؟ أنا لا أتكلف الاجابة عن هذا السؤال ولكنى أحاول أن أضعه فى موضعه كان الشيخ فودة يسر سرورا عظيما حين يجد من طلابه تفهما لدرسه ولكنه فى الوقت نفسه يريد أن يرى نفسه فى مجتمعه وأمته موجها يهدى الى سواء السبيل ، ومن هنا ظهرت له مقالات فى الصحف تحت عنوان : « مع الناس » أو « السلام عليكم » وهى تشير الى أنه لا يكتفى بدروسه بين طلابه ولا بالكتب المقررة عليهم ، دائرته أوسع ، ومهماته أكبر ، ومن ثم كان اعجابه بالشيخ أحمد الدردير من علماء القرن الثامن عشر الميلادى ، والامام محمد عبده وتلميذه الامام محمد مصطفى المراغى ، لأنهم فى نظره أولو عطاء جديد وتفكير اسلامى مفيد ينال الطلاب فى صحن الأزهر كما ينال العالم الاسلامى فى آفاقه الواسعة ، فلا عجب أن صاح فى شبابه نحن جنود المراغى لا لغيره ، ومعنى هذا أنه أعد نفسه ليكون على طرازهم يفكر ويعلن تفكيره ويتخذ من القرآن والأحاديث الصحيحة طريقة الى بعث الحياة فى ضوء ما وصل اليه من استنباط وأفكار عملية فما من قضية من قضايا الفكر أو قضايا المجتمع الا شارك فيها فرأيناه فى مجلسه وفى الاذاعة والتليفزيون وفى الصحف والمجلات يبدى الرأى مؤمنا بما يراه متخذا سبيل المصلح بجانب العالم الدينى المفكر ، فهو يحاور ويكتب بروح بعيدة عن التعصب وتبنى الرأى المثير .

وقد ظهرت فى هذا العصر مذاهب اقتصادية وعقلانية وفلسفية تقف من الدين الاسلامى موقفا عدائيا فكان على ذوى الرأى النير من العلماء المبلمين أن يبدوا رأيهم بالبرهان الساطع حتى لا يضل الشباب أمام الافكار الوافدة أو المستوردة . ومن الآراء التى نهض الشيخ فودة للرد عليها وبيان الخطل فيها دعوة اسرائيل فى حقهم نحو فلسطين العربية فألف كتاب « العرب واليهود فى القرآن » وانك لتراه يقف موقف الذى يتحرى الحقيقة ويلتزم الصدق ، فمن كلماته فى هذا الكتاب عن منهجه : « وقد توخيت فى هذه الكلمة هذا الصراط المستقيم ، وهذا النهج القويم ، فلم أمدح العرب لأنهم عرب ، ولم أذم اليهود لأنهم يهود ، وانما ذكرت بعض مايمدح به العرب ومايذم به اليهود مستنبطا من كتاب الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه، ليعرف العرب واجبهم تجاه ربهم ، وواجبهم تجاه عدوهم وواجبهم تجاه تاريخهم الذى شرفوا به ، وواجبهم نحو مصيرهم الذى أشرفوا عليه » وانظر اليه كيف يبطل الاوهام الشائعة من تميز اليهود عن غيرهم بالمواهب العقلية ، وان كثيرا من المخترعات الحديثة يقترن بأسماء علماء من اليهود ... كما يدفع وهم الواهم الذى يقول : ان العقل الآرى يمتاز عن العقل السامى بخصائص العمق فى البحث والاستقراء ، وأن

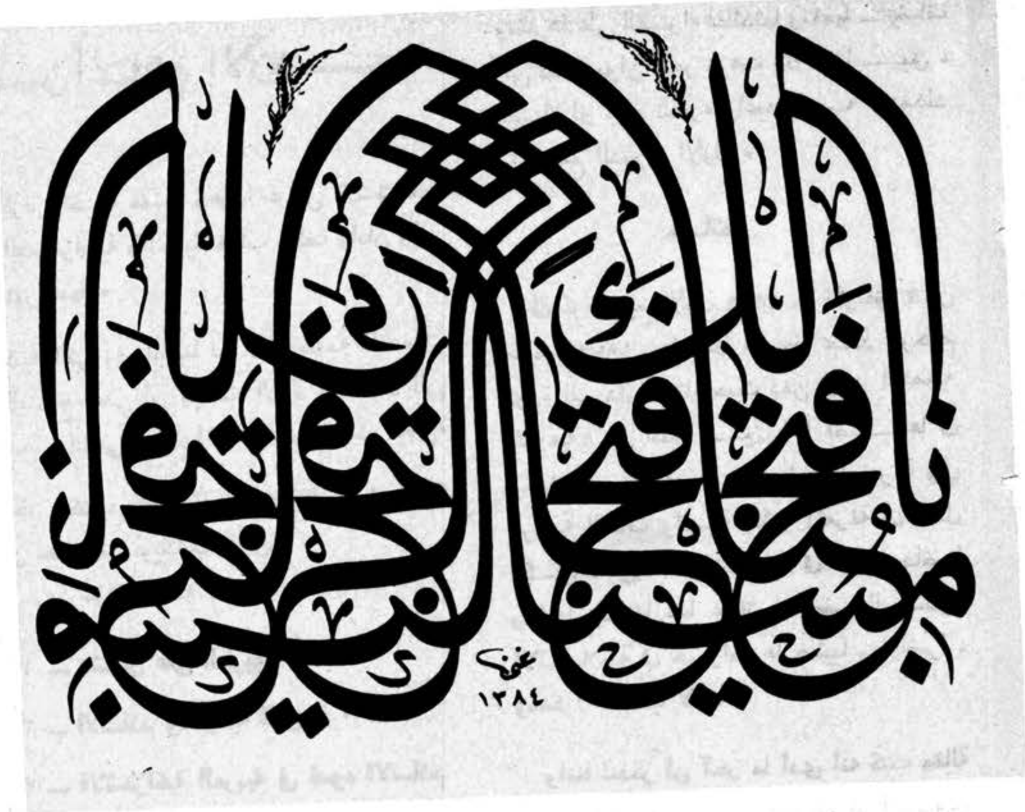

العقل السامى سطحى البحث ، ضحل القرار يقف عند ظواهر الاشياء فيقول :

« والصحيح أن كلتا الفكرتين مجرد زعم كاذب ، ووهم خاطىء وأن الظروف الاجتماعية والمادية والتوجيه العلمى والشعور بالحاجة وما الى ذلك من مختلف العوامل هى التى تعمل على ايقاظ المواهب أو تعمل على اخمادها واطفاء نورها ، وقد عاش اليهود آلاف السنين قبل عصر النهضة الاوربية غارقين فى ظلام الجهل والذل دون أن نرى لهم أثرا أو خطرا ، وعاش الأوربيون كذلك آلاف السنين ذئابا .. الثابت الذى لا شك فيه أن هذه المنطقة من العالم (الشرق الاوسط) عرفت الحضارات قبل أن يعرف أولئك وهؤلاء طريق الحياة » ويدحض نظرية الآرية وتميزها عن السامية بقوله « هذه النظرية ــ ان صحت ــ تهدم ما يقال عن مواهب اليهود ، لأنهم ساميون ، وان صح أن عقلية اليهود كما يقال كان ذلك دليلا على خطأ النظرية التى تشيد بالعقلية الآرية » وهكذا تراه يعرض الرأى ويدحضه فى

من أعلام الأزهر

عبارة واضحة مقنعة وهكذا عرض للاشتراكية والديمقراطية والحرية فكتب وألف وأبان رأى الدين فيها ٠

وكتبه التى بين أيدينا لها عطاء يشبه المقدمات والنتائج أعنى أن البحث الأول يوصل الى البحث الثانى ويرتبط به وهكذا حتى يجىء آخر الكتاب نتائج لما قدم ، وكل بحث يمكنك أن تقف عنده ويكفيك ما تريد ٠

ومن مؤلفاته :

١ ـ **مشاعل على الطريق ٠**

٢ ـ **الاسلام والقومية العربية ٠**

٣ ـ **الاشتراكية العربية فى ضوء الاسلام**

٤ ـ **قصة بنى اسرائيل ٠**

٥ ـ **من معانى القرآن ٠**

٦ ـ **العرب واليهود فى القرآن ٠**

٧ ـ **كلمات قرآنية ٠**

٨ ـ **أحاديث مختارة ١ ، ٢ ٠**

٩ ـ **شرح عبقريات العقاد ٠**

وله مقالات كثيرة فى الصحف والمجلات ومجلة الأزهر يحسن بالأزهر جمعها وطبعها ونشرها على القراء لفائدتها ونفعها ـ يضاف الى ذلك ديوان شعر نوهت عنه فيما سبق ، حبذا لو جمع شعره وأعيد طبعه فى مجلد واحد مع الديوان الأول ٠

خاتمة

فى غرة ربيع الأول ١٣٩٦ ـ الموافق ٢ من مارس ١٩٧٦ رحل عنا الشيخ عبد الرحيم فودة الى دار البقاء حيث دفن فى « الجمعية الشرعية » عن اثنين وستين عاما قضاها فى اسداء البر والخير ، والبحث والمعرفة وفى دراسة الكتاب والسنة ونشر المعرفة فى كل مكان ، عرفته المحافظات فى مصر محاضرا وداعيا ومثقفا كما عرفته بعض الدول الاسلامية فى حواضرها خطيبا ومحاضرا ، ومفكرا اسلاميا لامعا ٠

واننا لنذكر أن آخر ما أدى أنه كتب مقالة لجريدة الجمعة بالأخبار تحية للمولد النبوى الشريف ، فكانت آخر ما كتب بعنوان : « مكانة النبى » وقد كتبت المقالة يوم الاثنين وشيعت جنازته يوم الثلاثاء ٠

رحم الله عبد الرحيم فودة ثواب ما أدى لأمته فى كتبه وخطبه ومقالاته وأحاديثه ، وأفسح له فى جناته جزاء ايمانه وصلاته وطول عبادته ومناجاته ٠ ولنا من تراثه ما يجعله معنا ، وسلام عليه فى الخالدين ٠

السيد حسن قرون

من التراث

مجلة الأزهر
من خمسين عاما

من نوادر مخطوطات
مكتبة الأزهر

مجلة الأزهر

من خمسين عاما

التعليم الدينى فى مدارس الحكومة •

ان الاسلام دين ينير العقول بالحجة ، ويهذب النفوس بالحكمة ، وكم أخرجت مدارسه رجالا لا يخافون فى الحق لومة لائم. يخفضون أجنحتهم تواضعا للمستضعفين • ويرفعون رءوسهم عزة على الطغاة والجبارين وتمتل عقول أو قلوب فيصفون الدواء عدلا كأنه القسطاس المستقيم وسخاء كأنه الغيث العميم •

والامة فى حاجة الى نشء ترتبط قلوبهم بالتعاطف وتمتلىء نفوسهم بالغيرة على حقوق الوطن • والدين يفجر ينبوع التعاطف ، ويجعل الغيرة على الحقوق حامية •

والتعليم الدينى لو كان آخذا حقه فى جميع مدارسنا لم نر مانراه الآن من تجاف بين أفراد تربوا فى مدارس دينية ، وآخرين نشئوا فى مدارس ليس للدين فيها نصيب • وما انحرف البعض بفهم خاص لاعلاقة له بسماحة الدين ولعل ادخال العلوم الحديثة فى المعاهد الأزهرية يذهب بجانب من هذا التجافى • فاذا عنيت وزارة التربية والتعليم بدراسة علوم الدين درسا جديا لاتحد أبناؤنا فى أصل التربية ولخرجوا الى معترك الحياة بعقل سليم وفكر مستقيم ووحدة شاملة •

يشعر كل من يطلع على ما ينشر فى الصحف

• الجزء السادس ، جمادى الاخرة سنة ١٣٥٠ هـ المجلد الثانى •

لصاحب الفضيلة الشيخ
محمد الخضر حسين
إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

أو يشهد مجلس طوائف من الناس مختلفة أن انحرافا غريبا طرأ على الأخلاق، وأخذ يدب فى نفوس النشء دبيب السم الناقع فى جسم اللسيع ، ويمتاز هذا الانحراف بأنه ناشىء عن زيغ العقيدة ، لا عن مجرد الأهواء الغالبة ، وزيغ العقيدة مصدر الأخلاق المرذولة فى كل حين ، الا أن الدعاية الى القبائح لم تبلغ فى علانيتها ما بلغته اليوم ، ألم يبلغ الحال أن ينادى المنادى مثلا — الى ما يمزق رداء العفاف والكرامة مخادعا الشباب باسم الحرية أو الفن الجميل ، ولا جمال الا مع الفضيلة ، ولا حرية الا لمن يلقى الناس بعرض سليم !

والانحراف الناشىء عن زيغ العقيدة أصعب علاجا من الانحراف الناشىء عن طغيان الشهوات ، فان زائغ العقيدة يستهين ببعض محاسن الآداب ، بزعم أنها ليست من الحسن فى شىء ، ويخرج عن حدود المكارم بدعوى أن هذه الحدود رسمت على غير حكمة .

والمغلوب للشهوة وحدها قد ينصرف عن الحسنة معترفا بأنه أقبل على سيئة ، وينتهك حرمة الحق غير منازع فى أنه ارتكب جرما ، واذا احتجت فى تهذيب أخلاق الأول الى اصلاح عقيدته بالحجة ، فانه يكفيك فى تقويم أخلاق هذا شىء من الموعظة ، وتأثير الموعظة فى زجر من يعرف الحق حقا ، والباطل باطلا ، أيسر من تأثير الحجة فيمن يبصر الباطل حقا ، أو الحق باطلا .

وقد يندى جبين المغلوب لأهوائه اذا أنبته ، ويعرف لك فضل النصيحة اذا ذكرته ، أما زائغ العقيدة فانه يحمل بين حاجبيه وناصيته ما هو أشد قسوة من الحجارة ويرى ارشادك له لغوا فى القول ، فلا يعيرك فؤادا صاغيا الا أن تبقى فيه للانصاف وحرية النظر بقية .

ولا مرية فى أن انحراف الزائغين أظهر فسادا وأشد فتنة من انحراف الشاعرين بقبح ما يفعلون ، فان الزائغ يندفع فيما لا يليق الا أن يرهب قانونا حازما ، ولا يبالى أن يبصر به من لا يملك للقانون نفاذا ، أما الشاعر بقبح ما سيفعل فشأنه أن يجتهد فى التستر عن أعين الناس حتى فى حال أمنه من أن يناله القانون بأذى ، فاذا قست الجاحد بأمثاله فى التعلم أو الأمية ، وجدت لخروجه عن مكارم الأخلاق مواطن أكثر ، ومشاهد أظهر ، فتكون جنايته فى الناس أكبر وأفظع ، فلا شبهة فى أن اصلاح العقائد أساس لتهذيب الأخلاق ، وأن الأخلاق الكريمة لاتستقيم الا على العقيدة السليمة .

لم يتفش زيغ العقيدة فيما سلف تفشيه اليوم ، لأن وسائل ساعدت على سريان وبائه لم توجد قبل ، وأمهات هذه الوسائل ثلاثة أمور :

(أحدها) هذه المدارس التى يفتحها الأجانب فى أوطاننا باسم العلم ، ويغفل بعض المسلمين عن سريرتها ، فتأخذهم بظاهرها ، حتى يسلموا أطفالهم وهم على الفطرة الى من يصبغ هذه الفطر بسواد ، وينزع منها روح الأدب الذى يجعلهم أولياء لعشيرتهم نصحاء لأمتهم .

(ثانيها) ، تهاون بعض الآباء بواجب أبنائهم، اذ يرسلون الناشىء الى معاهد العلم بأوربا قبل أن يتلقن من علوم الدين ما يجعل عقيدته مطمئنة ، فيلاقى فى أثناء الدراسة هنالك أوفى بعض المحادثات شبها لا يجد فى نفسه من الحجج ما يدفعها ، واذا تواردت الشبه على الناشىء رانت على قلبه ، وأصبح يبصر وجه الحق أسود قاتما ، فيعود الى وطنه وهو يحمل لأبويه عقيدة أنهما فى ضلال قديم ، وذلك جزاء من يستهين بهدى الله ولا يهمه الا أن يكون لابنه مورد رزق واسع ، أو منصب فى أحد الدواوين وجيه .

(ثالثها) أن كثيرا من الحكومات الاسلامية ضعف فيها روح الاعتزاز بالدين الحنيف ، فاستباح واضعو برامج التعليم العام فى مدارسها أن لا يضربوا لعلوم الدين بسهم ، ومن يضرب لها ، فبسهم لا يغنى من جهل ، والتعليم الذى يهضم فيه جانب العلوم الدينية، لا يرجى منه تهيئة نشء تتساقط عليهم الشبه فيطردونها ، أو توسوس اليهم الشياطين فيستعيذون منها .

واذا كان سوء الأخلاق الذى هو علة اختلال النظام ، ينشأ من زيغ العقيدة تارة ، ومن طغيان الشهوات تارة أخرى ، فان الاسلام دين ينير العقول بالحجة ، ويهذب النفوس بالحكمة ، وكم أخرجت مدارسه أو مجالس القوامين على هدايته من رجال يلاقون الأسود فيصرعونها ، ويجارون الرياح فيسبقونها ، يخفضون أجنحتهم تواضعا للمستضعفين ، ويرفعون رءوسهم عزة على الجبارين ، تعترضهم الأخطار فيخوضون غمارها ، وتعتل قلوب أو عقول فيضعون الدواء موضع عللها ، عدل كأنه القسطاس المستقيم ، وسخاء كأنه الغيث النافع العميم ، وجد فى طلب العلم وان كان بمناط الثريا ، وطموح الى المعالى وان انتبذت وراء الفلك الدوار مكانا قصيا ، الى ما يشاكل هذا من الخصال التى ترفع بعض الأمم على بعض درجات .

والامة فى حاجة الى نشء ترتبط قلوبهم بالتعاطف ، وتمتلىء صدورهم بالغيرة على حقوق الوطن ، والاخلاص فى كفاح من يروم اغتصابها ، والدين يفجر ينبوع التعاطف ، ويجعل الغيرة على الحقوق حامية ، ويبعث فى النفوس اخلاصا تسقط أمامه المنافع الخاصة جملة .

والتاريخ يملأ آذاننا بأسماء رجال أحرزوا بعلمهم الزاخر مكانة تكفيهم لأن يعيشوا بين الناس فى هناءة واجلال ، ولكن ما يبذره الدين فى نفوسهم من غيرة والخلاص يأبى لهم أن يقضوا حياتهم بين جدران المدارس أو المساجد

دون أن ينفقوا منها فى تعرف الشئون العامة والجهاد فى نجاة الأمة قسطا وافرا ، ولو أخذنا نضرب الأمثال على أن التعليم الدينى يطبع النفوس على خصال الشرف ، ويملؤها هما لا تقف عند حد ، وغيرة لا تلهو عن حق ، لملأنا صحفا كثيرة أو أسفارا ، ولكن المقام للتذكرة ، ومن مقامات التذكرة ما يغنى فيه الايجاز عن الاسهاب .

واذا رأينا فى بعض المتلقين لعلوم الدين عوجا ، فتلك سنة الله فى الخليقة أن لاتخلص الطوائف الكثيرة من أفراد يشهرون بكأسها ، ويظهرون فى زيها ، ثم هم يشذون عنها ، ويسيرون فى غير وجهتها ، لعوارض تجد فى نفوسهم من الاستعداد للهو أكثر من الاستعداد للجد ، ويكفى شاهدا على استقامة الطريق أن يبلغ أكثر سالكيه غاية الفلاح ، فان قعد فى منتصفه ذو همة خامدة ، أو التوى عنه ذو هوى غالب ، فالطريق لا يزال طريق رشد وفلاح ، والوزر على رقبة من قعد فى منتصفه لاهيا ، أو التوى عنه قبل أن يدرك من الاهتداء به حظا كافيا .

فسماحة الدين وما له من الأثر الخطير فى اعداد أمة روحها البطولة ، وزينتها التقوى ، وغايتها السيادة ، من أشد ما يبعث أولى الأمر منا على أن يضعوا علوم الدين بالمكانة العليا ، ويقرروا لها فى جميع المدارس وفى كل سنى الدراسة ما فيه الكفاية .

ومما يقضى عليهم بأن يعنوا بها عناية ضافية أن الأمة مسلمة ، والأمة المسلمة لا ترضى الا أن يكون أبناؤها مطمئنين بحجج الدين الحنيف ، سائرين فى ضوء حكمته الغراء ، فمن سلك فى تعليم أبنائها طريقا لا يأتى بهم على هذه الحجج ، ولايدخل بهم فى نهار من ضوء هذه الحكمة ، فقد تصرف فى شئونها تصرف من لايرعى ذمتها ، ولا يحترم وكالته على أمرها ، واذا وجد فى الناس من لا يؤلمه أن يكون ولده فى ظلام من الغى ، فأمثال هؤلاء على قلتهم طائفة استهواهم زخرف الحياة غرورا ، ولم يهتدوا الى خير أبنائهم سبيلا ، وما كان للحكومة الرشيدة الا أن تقيم سياستها على رعاية ما فيه خير النشء ، وما يرتضيه أهل العلم والعقل ، ويكون قسط تلك الطائفة من هذه السياسة تقويم عوجهم ، واصلاح ما فسد من أخلاقهم ، واذ أهملت التعليم الدينى حكومة باض الالحاد فى أدمغة رؤسائها وفرخ ، فأعلنوا فسوقهم عن الدين فى غير استحياء فان حكومة يكون على رأسها ملك يعتز عرشه الرفيع بعزة الدين الحنيف ، وينص فى دستورها على أن دينها الرسمى الاسلام ، لجديرة بأن يكون للتعليم الدينى فى مدارسها شأن لا يقل عن شأن غيره من العلوم النافعة فى الحياة .

ولا يكفى فى تعليم الدين أن تكون له جامعة كالأزهر وما يتصل به من معاهد ، فان قصره على الأزهر والمعاهد الدينية يجعل تربيته العالية فى طائفة من الناس خاصة ، والخير فى أن تكون روح الدين سارية فى نفوس الأمة قاطبة ، وبثها فى جميع الأفراد مدعاة الى الائتلاف والاتحاد الذى هو أساس كل نهضة ، وكل عمل اجتماعى يقام على غير هذا الأساس ،

ينقلب الى فساد .

ولو كان التعليم الدينى آخذا حقه فى جميع مدارسنا ، لم ير الناس ما يرونه من التجافى بين أفراد نشئوا فى مدارس دينية ، وآخرين نشئوا فى مدارس ليس للدين فيها من نصيب ، ولا منشأ لهذا التجافى الا بعد ما بين النشأتين، وادخال العلوم الحديثة فى المعاهد الدينية يذهب بجانب من هذا التجافى ، فاذا عنيت وزارة المعارف بدراسة علوم الدين درسا جديا ، اتحد أبناؤنا فى أصل التربية ، فيكون فضل المعاهد الدينية والمدارس الرسمية على الشرق فى اخراجهما نشئا يتقارب شعورهم وتتدانى عواطفهم،فيتسابقون الى أعباء الحياة بكواهل ملتئمة ، ويرمون فى وجوه العظائم عن قوس واحدة .

لا يغيب عنا أن فى بعض الأمم التى لا تعنى وزارات معارفها بدرس علوم الدين شيئا من خصال الكمال ، ونقول مع هذا : ان الأمم التى يقوم تعليمها على روح دينية قوية تبلغ من العظمة ما لا تبلغه أمة تساويها فى غير هذه الروح من وسائل الحياة .

فاذا تقدمت فرنسا — مثلا — على بعض الشعوب الشرقية ، وكانت أبسط منه سلطانا وأنعم بالا ، فانما فضلته بالقوة المادية ، ثم بجانب من الأخلاق التى ينتظم بها شأن الاجتماع فى بلادها ، ويجعلها قوية أمام خصومها ، ولو جاراها ذلك الشعب الشرقى فى وسائل الحياة المادية ، واستنار فى تقويم أخلاقه بحكمة الدين ، لكان أسعد منها حالا ، وأرسخ فى السيادة قدما ، وأعلى يوم ينادى المنادى علما .

وليس فى اعطاء علوم الدين بمدارس الحكومة حقها مايجحف بحق دراسة العلوم الأخرى ، لأنا لا نرجو من وزارة المعارف أن تغذى التلاميذ من علوم الدين بمقدار ما يتغذى به طلاب العلم بالمعاهد الدينية ، وانما نرجو منها أن تقرر من هذه العلوم ما يستنير به التلميذ فى كل سنة من سنى الدراسة ، وتجعله مادة أساسية فى امتحانى النقل والشهادة ، وأن تسن لهذه العلوم مناهج حكيمة ، ولا تغمض فى كفاية من يعهد اليهم بتدريسها .

وقد دلنا التاريخ والمشاهدات على أن وزارات المعارف فى بعض الشعوب الاسلامية ، قد تستخف بالتعليم الدينى متى ألقى أمرها الى من نشأ فى غفلة عن آداب الدين ، وقصر فى السياسة شأوه ، فليس له بصيرة يحس بها فضل الدين ومحاسنه ، ولا بعد نظر فى السياسة يفقه به أن خير ما تتألف به الأمم الاسلامية رعاية دينها ، وجعله روحا فى تربية أبنائها ، ومن أشد ما تبلى به المصالح العامة أن يصرفها من لا يدرى كنهها ولا يتدبر العواقب فى تصريفها ، واذا انتهز أولئك الخاطئون غفلة الأمة فرصة لاهتضام حق الدين فى التعليم والتربية ، فانها اليوم فى يقظة تميز

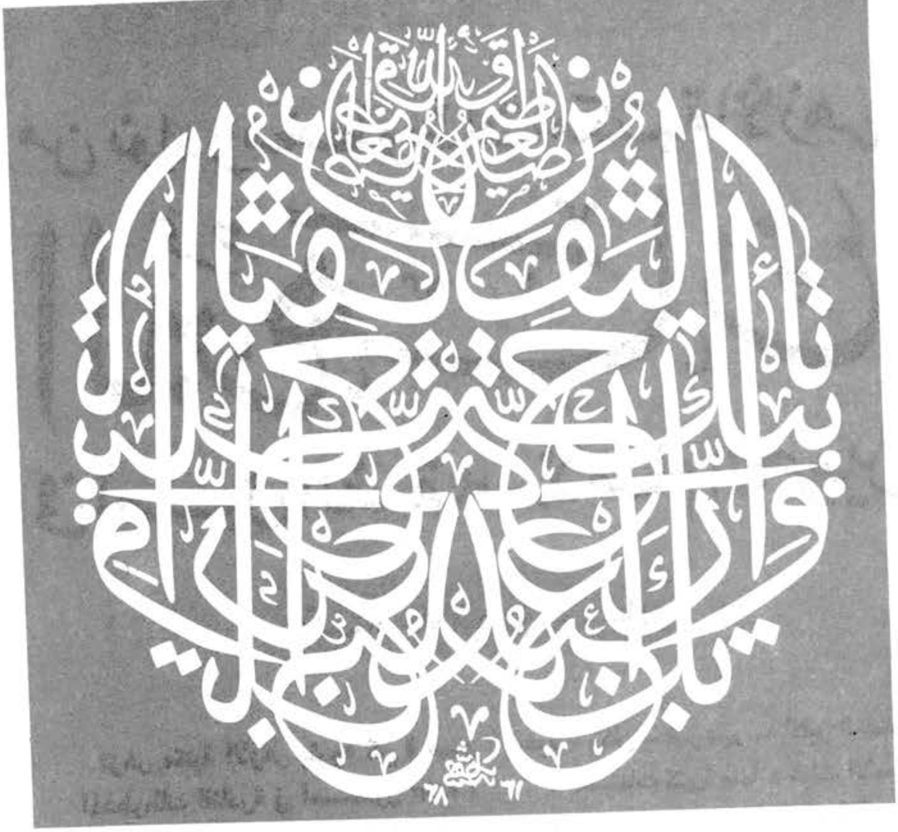

بهـا المهوشين من المصلحين ، فتقابل المهوش بامتعاض وتنديد، وتلاقى المصلح باقبال وتأييد ، ورجاؤنا فى حضرة صاحب المعالى وزير المعارف أن يكون الرجل الذى يؤثر اقبال الأمة على امتعاضها ، وتأييدها على تنديدها، بل صلاحها على فسادها ، وسعادتها على شقوتها، فيوفى للتعليم الدينى حقه ، حتى تصبح مدارسنا منبع العلم ومطلع الهداية .

ومن فائدة الشرق أن تكون له عاصمة تلتقى فيها آراء المصلحين ، ويتدفق منها الشعور السامى الى سائر الأقطار ، وموقع مصر فى البلاد يستدعى أن تكون مصر هى ملتقى تلك الآراء ، ومصدر ذلك الشعور ، ولا يكفيها لهذه الزعامة أنهارها التى تجرى من تحتها ، والعلوم والفنون المالئة ما بين جوانبها ، وانما تحن لها القلوب ، وتمتلىء بمهابتها العيون اذا أضافتالى هذه الأنهار والمدارس تربية دينية عامة ، حتى يقول كل زائر لها فاضل ــ مثل ما قال العلامة أبو عبد الله المقرى ــ حين زارها وعاد الى المغرب فى أثناء المائة الثامنة « من لم ير مصر لم ير عز الاسلام »

محمد الخضر حسين
الجزء السادس
جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠
المجلد الثانى .

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

البرهان

فى أصول الفقه - لإمام الحرمين

للأستاذ محمد عميرة على

تزخر مكتبة الأزهر بثروة كبيرة من المخطوطات النادرة فى أصول الفقه، وتبارى فى الكتابة كثير من العلماء ..

ومن الأئمة الأعلام فى هذا المجال الذين عنوا بتفريع الاحكام الفقهية وتخريج الوقائع والحوادث الوقتية على دعائم تنبنى عليها وتؤخذ منها ..

ومن الذين توفرت لديهم هذه الدعائم الامام « عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى، أبو المعالى، ركن الدين »، الملقب بامام الحرمين: أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعى . ولد فى « جوين » من نواحى « نيسابور » ورحل الى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين . وذهب الى المدينة فأفتى ودرس جامعا طرق المذاهب . ثم عاد الى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك « المدرسة النظامية » فيها، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء .

له مصنفات كثيرة منها « غياث الامم والتياث الظلم » و « العقيدة النظمية فى الأركان الاسلامية » و « البرهان فى أصول الفقه » و « نهاية المطلب فى دراية المذهب » فى فقه الشافعية اثنى عشر مجلدا و « الشامل فى أصول الدين » على مذهب الاشاعرة و « الارشاد » فى أصول الدين .. الخ .

ولد سنة ٤١٩ هـ سنة ١٠٢٨ م وتوفى بنيسابور سنة ٤٧٨ هـ سنة ١٠٨٥ م

قال الباخرزى فى الدمية يصفه .. الفقه فقه الشافعى، والأدب أدب الأصمعى، وفى الوعظ حسن البصرى .

قالت عنه وفيات الأعيان : انه رزق من التوسع فى العبادة مالم يعهد من غيره، وكان يذكر دروسا يقع كل واحد منها فى عدة أوراق

ولا يتلعثم فى كلمة منها وتفقه فى صباه على والده أبى محمد وكان يعجب بطبعه وتحصيله وجودة قريحته وما يظهر عليه من مخايل الاقبال فأتى على جميع مصنفات والده وتصرف فيها حتى زاد عليه فى التحقيق والتدقيق ، ولما توفى والده قعد مكانه للتدريس .

واذا فرغ منه مضى الى الأستاذ أبى القاسم الاسكافى الاسفراينى بمدرسة البيهقى حتى حصل عليه علم الأصول .

قال أبو جعفر الحافظ سمعت الشيخ أبا اسحاق الشيرازى يقول لامام الحرمين . يا مفيد أهل المشرق والمغرب أنت اليوم امام الأئمة ، وسمع الحديث من جماعة كثيرة من علمائه . وله اجازة من الحافظ أبى نعيم الأصبهانى صاحب « حلية الأولياء » ، وكان اذا شرع فى علوم الصوفية وشرح الأقوال أبكى الحاضرين ولم يزل على طريقة حميدة مرضية من أول عمره الى آخره .

وقال أيضا صاحب « وفيات الأعيان » ان والده اشترى جارية موصوفة بالخير والصلاح ولم يزل يطعمها من كسب يده أيضا الى أن حملت بامام الحرمين ، وهو مستمر على تربيتها بكسب الحل فلما وضعته أوصاها أن لا تمكن أحدا من ارضاعه ، فاتفق أنه دخل عليها يوما وهى متألمة والصغير يبكى وقد أخذته امرأة من جيرانهم وشاغلته بثديها فرضع منها قليلا ، فلما رآه شق عليه وأخذه اليه ونكس رأسه ومسح على بطنه وأدخل اصبعه فى فيه ولم يزل يفعل به ذلك حتى قاء جميع ما شربه وهو يقول يسهل على أن يموت ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير أمه ، وحين وفاته أغلقت الأسواق وكثرت فيه المراثى ومما رثى به :

قلوب العالمين على المقالى
وأيام الورى شبه الليالى
أيثمر غصن أهل العلم يوما
وقد مات الامام أبو المعالى

والمخطوط الذى نقدمه هو « البرهان » فى أصول الفقه للشيخ الامام أبى المعالى امام الحرمين .

قال فى مقدمته : « الحمد لله رب العالمين والصلاة على خير خلقه محمد وآله ، قال الشيخ الامام أبو المعالى امام الحرمين رضى الله عنه : حق على كل من يحاول الخوض فى فن من فنون العلوم أن يحيط بالمقصود منه وبالمواد التى منها يستمد الفن وبحقيقته وحده ان أمكنت عبارة سديدة على صناعة الحد . وان عثر أن يحاول الدرك لمسلك التقاسيم والغرض منذلك أن يكون الاقدام على تعلمه مع حظ من العلم الجملى بالعلم الذى يحاول الخوض فيه ، فأصول الفقه مستمدة من الكلام والعربية والفقه .

والكلام نعنى به معرفة العالم وأقسامه وحقائقه وحدثه ، والعلم بمحدثه وما يجب له من الصفات وما يستحيل عليه وما يجوز فى حكمه ، والعلم بالنبوات وتمييزها بالمعجزات عن دعاوى المبطلين وأحكام النبوات والقول فيما يجوز ويمتنع من كليات الشرائع ولا يندرج المطلوب من الكلام تحت حد وهو يستمد من الاحاطة بالميز بين العلم وما عداه من الاعتقادات ، والعلم بالفرق بين البراهين والشبهات ودرك مسالك النظر .

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

ومن مواد أصول الفقه العربية فانه يتعلق طرف صالح منه بالكلام على مقتضى الألفاظ ، وأن يكون المرء منه على ثقة من هذا الطرف حتى يكون محققا مستقلا باللغة والعربية •

ومن مواد الأصول الفقه فانه مدلول الأصول ولا يتصور درك الدليل دون درك المدلول ثم يكتفى الأصولى بأمثلة من الفقه فى كل باب من أصول الفقه ، فان قيل : فما الفقه ؟ قلنا : هو فى اصطلاح علماء الشريعة العلم بأحكام التكليف •

فان قيل معظم متضمن مسائل الشريعة ظنون قلنا ليست الظنون فقها وانما الفقه العلم بوجوب العمل عند قيام الظنون •

ولذلك قال المحققون أخبار الآحاد وأقيسة الفقه لا توجب عملا لذواتها وانما يجب العمل بما يجب به العلم بالعمل وهى الأدلة القاطعة على وجوب العمل عند رواية أخبار الآحاد واجراء الأقيسة •

فان قيل : فما أصول الفقه ؟ قلنا هى أدلته وأدلة الفقه هى الأدلة السمعية وأقسامها بنص الكتاب ونص السنة المتواترة والاجماع ومستند جميعها قول الله تعالى ، ومن هذه الجملة تستمد أصول الفقه من الكلام ، فان قيل : تفصيل أخبار الآحاد والأقيسة لا يلغى الا فى أصول الفقه وليست قواطع قلنا خط الأصول ابانة القاطع فى العمل بها ولكن لابد من ذكرها ليتبين المدلول ويرتبط الدليل به ... الخ •

ورتب المؤلف كتابه فى عدة فصول مندرجة تحتها مسائل نذكر منها نموذجا على سبيل المثال :

« فصل يجمع قول الأصحاب فى مراتب العلوم وما نختار من ذلك » قال الأئمة : مراتب العلوم فى التقسيم الكلى عشرة :

الأولى — علم الانسان بنفسه ويلتحق بذلك علمه بما يجده ضروريا من صفاته كألمه ولذاته •

الثانية — تحوى العلوم الضرورية كالعلم باستحالة المستحيلات وهذا دون الدرجة الأولى من حيث انه يستند العلم فيه الى فكر فى ذوات المتضادات وتضادها •

الثالثة — تجمع العلوم بالمحسوسات وهذه الرتبة دون الثانية لأن الحواس عرضة الآفات والتخيلات •

الرابعة — تحوى العلم بصدى المخبرين تواترا وهذا دون العلم بالمحسوسات لما يتطرق الى أخبار المخبرين من انكار التواطىء وان كثر الجمع فلابد من نوع من الفكر ولذلك ألحق الكعبى هذا القسم بالنظريات •

الخامسة — العلم بالحرف والصناعات وهى مخطوطة عما تقدم لما فيها من المعاناة والمقاساة وتوقع الغلطات •

السادسة — فى العلوم المستندة الى قرائن الأحوال كالعلم بخجل الخجل ووجل الوجل وغضب الغضبان وانما استأخرت هذه المرتبة لتعارض الاحتمالات فى محامل الأحوال وخروجها عن الضبط •

السابعة — العلوم الحاصلة بأدلة العقول وهى مستأخرة لا محالة عن الضروريات المذكورة

فى المراتب السابقة .

الثامنة ــ العلم بجواز النبــوات وابتعاث الرسل وجواز ورود الشرائع .

التاسعة ــ فى العلم بالمعجزات اذا وقعت .

العاشرة ــ فى العلم بوقوع السمعيات الكلية ومستندها الكتاب والســنة والاجماع ، ثم فى بعض الأقسام التى ذكروها مواقع خلاف عــلى ما نشير اليها . فمن الجملة التى اختلف فيهــا الخائضون فى التقسيم المحسوسات .

فقال قائلون كلهــا فى درجة واحــدة ، وقال آخرون السمع والبصر مقدمان على ما سواهما. ثم من هؤلاء من قدم البصر على السمع لتعلقه بجميع الموجودات بزعمه ، ومنهم من ســوى بينهما .

وذهب بعض أصــحاب الأوائل الى تقــديم السمع على البصر لوجهين :

أحدهما : أن السمع لا يحتاج الى الأشعة المتعرضــة للحركات والتعريجــات والآخر أن السمع لا يختص فى دركه بجهة بخلاف البصر .

وذكر العينى هذا واختاره وذكر أن البارئ تعالى قدم السمع على البصر فقال : « **أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُــوا لَا يَعْقِلُــونَ** » ثم قال « **وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ** » وجمع من هذا كثيرا وهــو ولاج هجوم على ما لا يحســنه ، ومما قاله ان الله لم يبتعث أصم وفى الأنبياء عميان ، ومما خاض فيه الخائضــون أنا قــدمنا ما يــدرك بالحواس على ما يدرك بالعقل ، وهو اختيــار شيخنا أبى الحسن وقــدم القلانسى المعقولات بالأدلة النظرية على المحسوسات من حيث ان العقل مــرجع المعقولات ومحلهــا ومرجــع المحسوسات الى الحواس وهى عرضة الآفات فهذه جمل من المقالات والحق عندنا بعيد نازح عن هذه المسالك .

وما أرى المقسمين بنوا تقاســيمهم الا على الرضــا والقناعة لعقــود ظاهرة لا تبلغ الثلج ومســلك اليقين ، ومن أحــاط بحقيقــة العلم واعتقد العلوم كلها ضرورية لم يتخيــل فيهــا تقديما وتأخيرا نعم الطرق اليهــا قد يتخيل أن فيها ترتيبا فى تعرضــها للزلل ، فأما العلوم فى أنفسها اذا حصلت عــلى حقيقتها فيســتحيل اعتقاد ترتيبها .

وختم المؤلف كتابه (فى الفــرق بين النسخ والتخصيص) قال الفقهاء النسخ تخصيص فى الأزمان دون المسميات المنــدرجة تحت ظــاهر اللفظ ، والمعتزلة يقرب مأخذ كلامهم من مأخــذ كلام الفقهاء ، فان النسخ عند هؤلاء بيان معنى اللفظ .

وأما القاضى فانه يقول التخصيص بيان المراد باللفظ العام والنسخ رفع الحكم بعــد ثبوته ، والمختار عندنا أن التخصيص بيان المراد باللفظ والنسخ لا يتعلق بمقتضى ولا يتضمن رفع حكم ثابت ولكنه اظهار ما ينافى شرط استمرار الحكم الأول كما سبق تقديره .

والنســخة الموجودة بمكتبة الأزهر فى مجلد بقلم نسخ بخط محمد أبى العينين عطيه ســنة ١٣٣٩ هــ فى ٣١٨ ورقــة ومسطرتها ٢٣ سطرا وتعتبر نسخة فريدة بالمكتبة وحالتها جيدة تقرأ بيسر وسهولة.

الفتاوى

« حكم التبنى فى الاسلام »

س : من السيد/على دردير محمد ــ امبابة

ما رأى الاسلام فى التبنى وكتابة اسم المتبنى باسم الزوج والزوجة واستخراج شهادة باسمهما ، وما رأى الدين فى القرار الوزارى رقم ٥٦ صحة لسنة ١٩٧٤ الذى ينص على : « أن مركز رعاية الطفل يقطع صلته بالطفل تماما بعد تسليمه للمتبنى ، وتقضى السرية التامة فى شأن التبنى الذى يعتمده النظام القانونى للدولة بعدم اذاعة بيانات تتعلق بالموضوع لأى طالب ولو كان ذا حق فى الطلب ، واخيرا تعطى شهادة سلبية أو كتاب سلبى ٠٠ ؟

« **وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ** » وبذلك فالتبنى بمعنى نسبة ولد ليس من مائه ولا من صلبه اليه حرام بنص القرآن الكريم سواء كان معروف النسب أو مجهوله قال تعالى « **ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ** » وبذلك فلا توارث بين الابن المتبنى ومن نسبه اليه ٠

أما رعاية الطفل وحسن تربيته والعطف عليه

ج ــ فنفيد بأن الله تعالى قال فى كتابه من ماله بما لا يضر الورثة فذلك ما يرغب فيه الاسلام ٠

« نبش القبور »

س : من السيد/صديق حسن المزارقى ــ الشوبك جيزة ٠

توجد بقريتنا مقابر خاصة بها من زمن بعيد ندفن فيها موتانا حتى الآن ، وتوجد بجوار مقابرنا مقابر لقرية أخرى مجاورة قام أهلها بنبش قبورنا واخراج العظام منها وبناء مقابر جديدة على أرض المقابر المنبوشة ٠٠ فما الحكم ؟

ج : لقد كرم الله تعالى الانسان فى حياته وبعد مماته قال تعالى : «**ولقد كرمنا بنى آدم**» وهذا يقتضى المحافظة على أجسام الموتى فى قبورهم وعدم نبشها فان نبشها امتهان للموتى واعتداء عليهم ، قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « كسر عظم الميت ككسره حيا فى الاثم » ٠

وأرض المقبرة موقوفة لله تعالى ينتفع بها العباد فى دفن موتاهم ، فاذا اختص أحد بالانتفاع بمكان منها لايجوز لآخر أن ينتفع به الا بعد أن تبلى الاجسام المدفونة بها ويتنازل أصحابها عنها أو تترك دون دفن فيها ٠

اعداد: عبد الحميد السيد شاهين

فاذا كان هناك اعتداء من الغير على المقابر المدفون بها الموتى وجب رده وعودة الانتفاع لأصحابه .

« عدة المطلقة بهجر الزوج لها ! »

س : من السيد/عبد الله ابراهيم البحراوى .

امرأة هجرها زوجها لمدة تزيد عن أحد عشر شهرا متصلة وطلقت بأمر المحكمة. فهل لها الحق فى الزواج من تاريخ العقد أم لابد لها من قضاء العدة ؟

ج : اذا طلقت المرأة بأمر القاضى بعد هجر زوجها لها مدة طويلة فان العدة تبدأ من تاريخ طلاق القاضى ولا عبرة بهجر زوجها لها قبل الطلاق مدة طويلة .

« فى الميراث »

س : من السيد/ محمود عبدالعزيز .

توفى رجل عن : زوجة ، بنت ، أب ، اخوة أشقاء ذكور واناث فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، وللبنت النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها ، والباقى للاب تعصيبا ، ولا شىء للاخوة الاشقاء جميعا لحجبهم بالاب.

س : من السيد/ على الحافى .

توفيت عن : ابن ، ابناء بنت متوفاة فى حياة الام . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة المتوفاة وصية واجبة لابناء البنت بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس سنة ١٩٤٦ .

والمسألة من ثلاثة أجزاء :

منها جزء لأبناء البنت المتوفاة يقسم بينهم بالتساوى .

والباقى جزءان هو الميراث للابن الذى على قيد الحياة تعصيبا .

والله أعلم ..

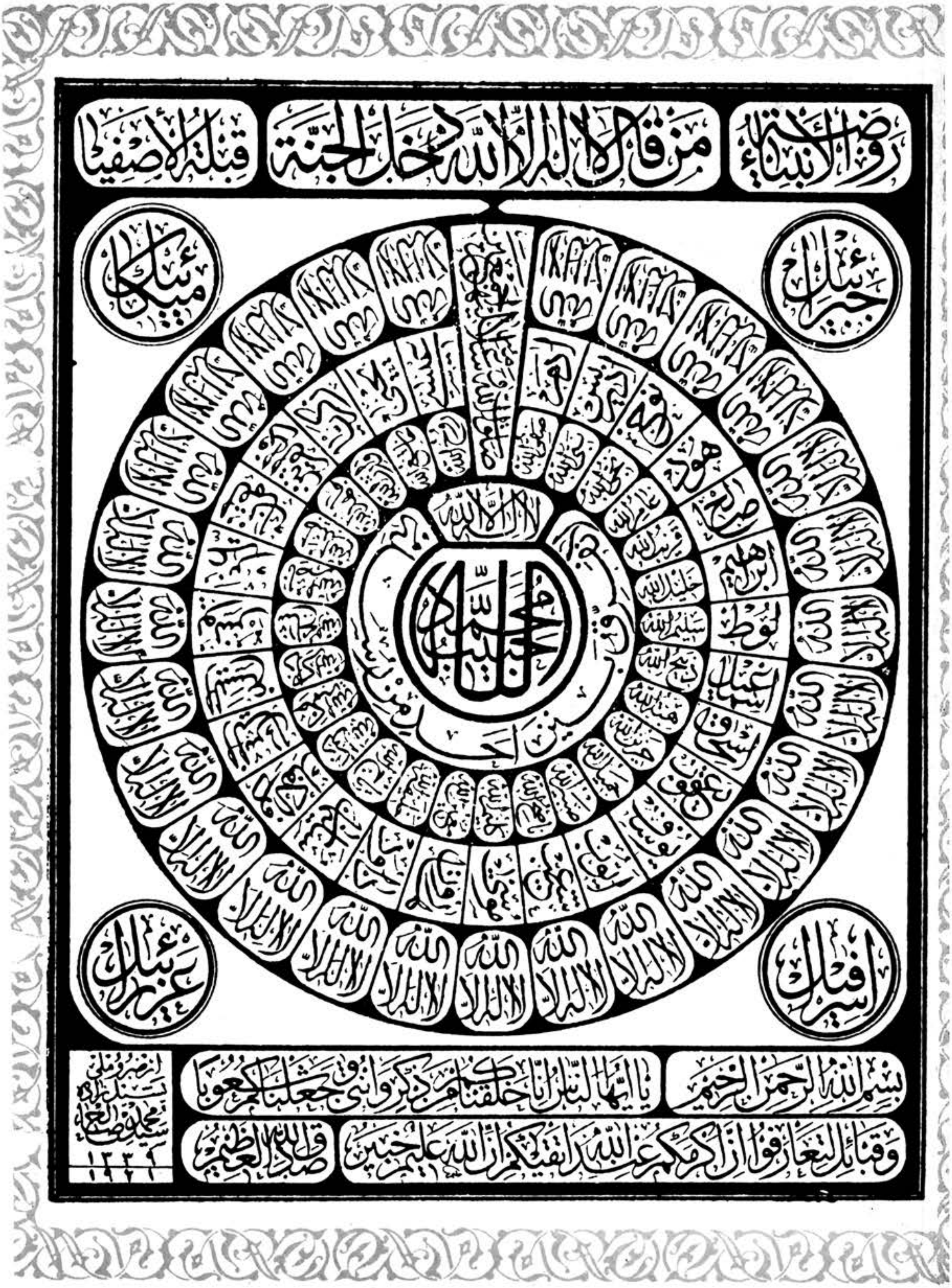
روضة الأنبياء
من قال لا إله إلا الله دخل الجنة
قبلة الأصفياء
جبرائيل
ميكائيل
عزرائيل
اسرافيل
بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير
صدق الله العظيم

اللغة والأدب والنقد

مصادر العقد

شوقي بين مجد الإسلام وعظماء رجاله

مع روجيه جارودي

السينما والدين

كل . كلما

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالى

كل اسم موضوع لشمول أفراد النكرة ، نحو قوله تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) وقوله سبحانه : (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ) وقوله جل شأنه (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) ، وقول الشاعر : وكل اناء بالذى فيه ينضح .

وكذلك شمول أفراد الجمع المعروف كقوله تعالى : (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) ، وقول النبى — صلى الله عليه وسلم — فى حجة الوداع : (كلكم لآدم ، وآدم من تراب) ، وأيضا أجزاء المفرد المعرف ، نحو : كل الكتاب

مفيد ، وكل المنزل صالح للسكنى . واذا كانت (كل) مضافة الى مفرد مقطوع عن الاضافة أفادت عموم الافراد ، نحو ، « قرأت كل كتاب للعقاد » ، فهى هنا تفيد أنك قد استوعبت كل كتب العقاد قراءة ، فاذا أضيف الكتاب الى صاحبه أفادت عموم أجزاء المفرد ، نحو « قرأت كل كتاب سيبويه » ، فهنا أفادت أنك قد استوعبت قراءة الكتاب جميعه ومن ثم وجب فى قراءة السبع غير أبى عمرو ، وابن ذكوان فى قوله تعالى فى سورة (غافر) : (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) ترك تنوين قلب، وتقدير كل أخرى بعد قلب ، ليعم كل أفراد القلوب كما عم من قبل أجزاء القلب الواحد .

ولكل باعتبار ما قبلها وما بعدها ثلاثة استعمالات ، فأما استعمالاتها باعتبار ما قبلها فهى ثلاثة :

أولها : أن تكون نعتا لنكرة أو معرفة فتدل على كمال المنعوت فى جنسه لأنها مؤولة بالمشتق أى الكامل ، وتجب اضافتها الى اسم ظاهر يوافقه لفظا ومعنى ، نحو « أكرمنا شهما كل شهم » « وأطعمنا شاة كل شاة » ، ومثل قول الشاعر :

وان الذى حانت بفلج دماؤهم
هم القوم كل القوم يا أم خالد

ثانيهما : أن تكون توكيدا لمعرفة أو لنكرة محدودة فى مذهب الاخفش والكوفيين ، فتفيد العموم ، ويجب اضافتها الى مضمر ، نحو « فرج عن المعتقلين كلهم » . وقوله تعالى : (**فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ**) وقد ينوب عنه الظاهر فى رأى ابن مالك كقوله :

كم قد ذكرتك لو أجزى بذكركم
يا اشبه الناس كل الناس بالقمر

وخالفه أبو حيان زاعما أن كلا فى البيت نعت مثلها فى أطعمنا شاة كل شاة ، وليست توكيدا وقوله هذا غير سديد ، لأن التى ينعت بها تدل على كمال المنعوت كما ذكرنا قبل لا على عموم الأفراد ، كما فى البيت .

ومن توكيد النكرة بها قول العرجى :

نلبث حولا كاملا كله
لانلتقى الا على منهج

وقول شاعر آخر :

لكنه شاقه أن قيل ذا رجب
ياليت عدة حول كله رجب

وقد أجاز الفراء والزمخشرى قطع كل المؤكدة عن الاضافة لفظا تمسكا بقراءة بعضهم (انا كلا فيها) بنصب (كلا) على أنها توكيد لاسم ان ، وليس هذا من التوكيد بكل لان شرط استعمالها توكيدا هو اضافتها الى الضمير أو ما ينوب عنه ، وخرجها ابن مالك على أن كلا حال من الضمير المستتر فى الظرف (فيها) ، وفيه ضعف من وجهين .

أحدهما : تنكير كل بقطعها عن الاضافة لفظا ومعنى لتصير نكرة وتصلح أن تكون حالا .

وثانيهما تقديم الحال على عاملها الظرف وهو غير جائز ، والاجود أن تقدر كل فى الاية بدل كل من اسم ان وهو ضمير للحاضر ، وانما ساغ ابدال الظاهر من ضمير الحاضر بدل كل ، لأنه يفيد الاحاطة والشمول . ولا يؤكد بكل الا الجمع ، نحو « حضر المدعوون كلهم » « انصرفت المرضات كلهن » ،أو المفرد الذى له أجزاء يصح وقوع بعضها موقعه فى نسبة الحكم اليه سواء على وجه ارادة البعض من لفظ الكل على سبيل المجاز المرسل ، أو على اسناد ما للبعض الى الكل على المجاز العقلى أو رفع احتمال تقدير (بعض) مضافة الى متبوعها نحو « رجع الجيش كله » و « روينا الحديقة كلها » ، و « خرجت البلدة كلها لاستقبال الرئيس » .

ثالثها : أن لا تكون تابعة لا نعتا ولا توكيدا فتتأثر بالعوامل المختلفة ، وتجىء مضافة الى الظاهر ، نحو **« صافحت كل الضيوف »** ، ونحو **« وكل لبيب بالاشارة يفهم »** ، انصرف كل عمال المصنع ، وقد تقطع عن الاضافة ، نحو قوله تعالى : (**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ**) ، وقوله أيضا : (**وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا**) . أما استعمالاتها باعتبار ما بعدها فهى ثلاثة أيضا .

أولها : أن تضاف الى الظاهر فتؤثر فيها جميع العوامل كما سلف ، نحو « نحن مصممون على استعادة كل حقوق العرب » ، « كافأت المدرسة كل النابهين فيها » وقوله تعالى :

كل - كلما

(يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) ، ونحو « يحرص كل العقلاء على اتقان العمل » .

ثانيها : أن يحذف ما تضاف اليه وهو ضمير وحكمها حكم ما قبلها لأنهما سيان فى امتناع التوكيد بهما .

ثالثها : أن تضاف الى ضمير ملفوظ به ، فلا يعمل فيها الا الابتداء غالبا نحو قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) فيمن رفع كلا ، وقوله سبحانه : (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) .

وقول البوصيرى رحمه الله فى وصف الصحابة رضوان الله عليهم :

وكلهم من رسول الله ملتمس
غرفا من البحر أو رشفا من الديم

ومن تأثرها بعامل غير الابتداء قول الشاعر :

تميد اذا مادت عليهم ولاؤهم
فيصدر عنها كلها وهو نائل

فان كلها فاعل للفعل يصدر كما هو واضح .

حكم (كل) من حيث المعنى واللفظ

لفظ كل هذا حكمه الافراد والتذكير دائما وأما معناه فبحسب ما يضاف اليه ، فان أضيفت الى نكرة وجب مراعاة معناها ، لهذا جاء الضمير مفردا مذكر فى قوله تعالى : (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ) (وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ)

وقول الحكم بن نهشل ، وقد تمثل به أبو بكر رضى الله عنه حين أصابته حمى المدينة :

كل امرىء مصبح فى أهله
والموت أدنى من شراك نعله

وقول أبى نواس :

فواعجبا !! كيف يقضى الاله
أم كيف يجحده الجاحد

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد .

وقول المتبنى :

وكل امرىء يولى الجميل محبب
وكل مكان ينبت العز طيب

وقول البارودى :

أسير على نهج يرى الناس غيره
لكل امرىء فيما يحاول مذهب

وقول لبيد فيما قيل : **انه أصدق بيت قالته** العرب :

ألاكل شىء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

وقول كعب بن زهير فى قصيدته المشهورة (بانت سعاد) :

كل ابن أنثى وان طالت سلامته
يوما على آلة حدباء محمول

وقول كثير عزة فى الغزل والعتاب :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه
وعزة ممطول معنى غريمها

وقول السموأل بن عادياء اليهودى :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

وجاء الضمير مفردا مؤنثا فى قوله سبحانه :

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) ونحو : كل فتاة بأبيها معجبة :
وجاء جمعا مذكرا فى قوله تعالى : **كل حزب بما لديهم فرحون**) ونحو ، كل العمال منهمكون فى عملهم .

وقول لبيد :

وكل أناس سوف تدخل بينهم
دويهة تصفر منها الأنامل

وجاء جمعا مؤنثا فى قول قيس ذريح :

وكل مصيبات الزمان وجدتها
سوى فرقة الاحباب هينة الخطب

كما جاء مثنى مذكرا فى قول الفرزدق :

وكل رفيقى كل رحل وان هما
تعاطى القنا قوما هما أخوان

وهذا البيت مشكل لفظا ومعنى واعرابا ، ونحاول هنا كشف بعض غوامضه والقاء الضوء عليها فبالنسبة للفظه فان كل الثانية زائدة ، وتعاطى أصله تعاطيا حذفت منه ألف الاثنين للضرورة أو أن الألف فى تعاطى هى لام الفعل، ووحد الضمير لأن الرفيقين ليسا اثنين معينين بل كثير ، أو أنه وحده مراعاة للفظ كل ، ولاحاجة لملاحظة أن الرفيقين كثير وليسا باثنين معينين لان هذا مفهوم بداهة من كل أما بالنسبة لاعرابه فان كل مبتدأ خبره جملة هما أخوان ، وقوما ، اما بدل اشتمال من القنا ، أى أن تقاوم الرفيقين من سبب القنا من حيث تعاطيهما والطعن بها لأن المطلوب أن يكون بين البدل والمبدل منه ملابسة وارتباط بغير الجزئية وعائد المبدل منه محذوف تقديره تقاوم بها ، أو مفعول لأجله ، أى تعاطيا القنا لمقاومة كل منهما الآخر أو مفعول مطلق لعامل محذوف مناسب للمقام لدلالته عليه .

أما معناه فهو بايجاز : ان كل الرفقاء فى السفر اذا ائتلفوا رفيقين رفيقين فهما كالأخوين لاجتماعهما فى السفر والصحبة ، وان حمل كل منهما السلاح ضد صاحبه لمقاومته والتغلب عليه .

والقول بوجوب مراعاة المعنى عند اضافة كل الى النكرة هو رأى ابن مالك ، ورده أبو حيان محتجا بقول عنترة :

جادت عليه كل عين ثرة
فتركن كل قرارة كالدرهم

حيث قال : تركن ، مع أن المضاف اليه (عين) مفرد مؤنث فكان المناسب أن يقول : تركت لاتركن ، فدل قوله هذا على أنه يجوز أن تقول كل رجل قائم أو قائمون لكن التحقيق خلاف قولى ابن مالك وأبو حيان ، وهو أن المضافة الى المفرد النكرة اذا أريد بها نسبة الحكم الى كل واحد من جنس المفرد وجب افراد الضمير نحو ، كل فارس يغنيه جواد ، وان أريد نسبة الحكم الى المجموع وجب جمع الضمير كما فى بيت عنترة ، فان المراد منه ، أن كل فرد من الأعين جاد ، وأن مجموع الأعين تركن كل قرارة كالدرهم وعلى هذا فيمكن أن تقول : « جاد على كل محسن فأغنانى » ، أو جاد كل محسن فأغنونى بحسب المعنى الذى تريده وليس من هذا الباب قوله تعالى :

(**وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ**) ولا قوله : (**مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ**) فان مجيء الضمير جمعا هنا باعتبار معنى الأمة ، فان مدلول الأمة هو مجموع الافراد المكونة منهم ، وليس منه كذلك قول الله جل شأنه : (**وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**) فان ضامرا • وان كان مفردا لفظا فانه جمع معنى لأنه اسم جمع كالجامل والباقر ، وهو قسيم الجمع في قوله : (**يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ**) أو هو صفة لجمع محذوف تقديره على كل نوع ضامر ونظيره قوله سبحانه : (**وَلاَتَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ**) فان كافر نعت لاسم محذوف مفرد لفظا جمع معنى ، أى أول فريق كافر به ، ولولا ذلك لما قال : كافر بالافراد وانما كان يقول : (**أول كافرين به**) •

فان أضيفت كل الى معرفة فقيل يجوز مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى ، نحو ، كل المدعوين حاضر أو حاضرون وقد اجتمعا فى قوله تعالى : (**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا • لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا • وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا**) ، والصحيح أن ضمير خبرها لا يعود اليها : الا مفردا مذكرا مراعاة للفظها ، نحو وكلهم آتيه يوم القيامة فردا •

وقول الرسول فيما يرويه عن رب العزة جل شأنه : (**يا عبادى كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم •• الخ ••**) •

وقوله صلى الله عليه وسلم : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) ونحو (كلنا لك صديق مخلص أمين) •

وقول المتنبى :

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه
حريصا عليها مستهاما بها صبا

ومن ذلك أيضا قول الله تعالى : (**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**) وفى هذه الآية حذف مضاف ، وتقدير ضمير راجع لمادل عليه المعنى لا اللفظ ، أى أن كل أفعال هذه الجوارح كان المكلف مسئولا عنه ؛ وسبب تقدير المضاف المحذوف هو أن السؤال عن أفعال هذه الحواس لا عن الحواس نفسها لأن المرء لايسأل عن شيء زوده الله به ولا ارادة له فى الاستمتاع به أو الحرمان منه ، وانما لم يقدر ضمير كان راجعا الى كل ، لأن مسئولا اسم مفعول يحتاج الى نائب فاعل هو الضمير المستتر فيه والعائد على المكلف ، ولولا ذلك لاعتبر مسئولا مسندا الى الجار والمجرور (عنه) وهو غير جائز لأن الفاعل وكذلك النائب عنه لايتقدمان على عاملهما

وقد يعود الضمير عليها من الخبر جمعا على قلة كما جاء فى حديث البخارى فى باب الاقتداء بسنن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى » فالضمير

هنا واو الجماعة عائد على كـــل » فــاذا قطعت كــل عــن الاضافة لفظا فمذهب ابى حيان أنه يجوز فيها مراعاة اللفظ ، كقوله تعالى: **(قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ)(فكلا اخذنا بذنبه)** ويجوز مراعاة المعنى ، نحو قوله تعـــالى : **(وكل كانوا ظالمين)** والصواب أن المضاف اليه المقدر اذا قدر مفردا نكرة وجب افراد الضمير كما لو كان منطوقا به ، نحو قـوله سـبحانه : **(وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِـــهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ)** وقوله **(وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَـدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ)** فان التقدير فى تلك الآيات السالفة وأمثالها : كل واحد من أفراد هـــذه الأجناس ، واذا قدر جمعا معرفا وجب الجمع نحو : **(وكل كانوا ظالمين ، وكل فيها خالدون ، وكل لهقانتون)** ونحو **(وكل فى فلك يسبحون ، وكل أتوه داخرين)** فان التقدير هنا كلهم .

اجتماع (كل) مع النفى وأثره

اذا اجتمعت كل مع النفى فى جملة ، فـــاذا دخلت فى حيز النفى ، أى تأخرت عن أداتـــه لفظا أورتبة :

نحو ما كل ما يتمنى المــرء يدركه
تجرى الرياح بما لاتشتهى السفن

ومثل : ماكل رأى الفتى يدعو الى رشد وكالمثل المعروف ماكل بيضاء شحمة ، ولاكل سـوداء فحمــة ، ونحـــو ماجاء كـل السـباحين ، وما تعـــاون كــل اللاعبيــن ولم آخـــذ كل النقود ، وكــل النقــود لم آخــذ ، ولــم أوزع كل التمر ، وكل الكتاب لم أقرأ والمدعوين كلهم لم أصافح كان النفى حينئذ موجهــا الى الشمول ، ودل على سلب العموم ، وأفـــاد

كل - كلما

بمفهومه ثبوت الفعل لبعض الأفراد أما اذا وقع النفى فى حيزها بأن تقدمت على أدائه لفظا أورتبة أفاد ذلك شمول جميع الأفراد ، ودل على عموم السلب ، وانتفى الفعل عن كل واحد من الأفراد ، نحو كل الكتائب لم تتحرك من مواقعها ، وكل الرسائل لم تصل الى أصحابها

وكقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — لذى اليدين ، وقد سأله : أنسيت أم قصرت الصلاة يارسول الله ، قال : كل ذلك لم يكن ، ولهذا كان الرد من ذى اليدين : بل بعض ذلك كان : ونحو قول أبى النجم العجلى يلوم زوجته :

قد أصبحت أم الخيار تدعى
على ذنبا كله لم أصنع

وربما يحدث اشكال على الاعتبار الأول ، وهو وقوع كل فى حيز النفى وافادته سلب العموم فى مثل قوله تعالى : (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) وقوله (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) وقوله أيضا : (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ) وقد رد السعد على هذا الاشكال بأن القاعدة أغلبية ، وليست مطردة فى جميع مايرد من أساليب وعبارات هذا النوع ، وكذلك فان دلالة المفهوم انما يعول عليها عند انتفاء المعارض وهو هنا ثابت وملحوظ ، اذ قد قام الدليل القاطع على تحريم الاختيال والفخر ، وعلى بشاعة الكفر والاصرار عليه ، وعلى انكار الخضوع لرغبات الانسان الكثير الحلف المحتقر ومجاراته فى سلوكه وتصرفاته .

كل ، وأثر التعريف فيها

كل هذه لفظ مبهم غامض موغل فى الغموض والابهام ، كبعض ، وحين ، وأبد ، وأزل ، ودهر ، ومثل ، وغيرها فلا يلحقها تعريف البتة لا باضافة أو بغيرها من وسائل التعريف ، ولهذا فاتصالها بأل غير فصيح ، ولا مستساغ ، وهو قليل فى كلام الصفوة من الفصحاء الخلص وأساطين البلاغة والبيان ، ومن هذا القليل قول أبى فراس الحمدانى يعاتب سيف الدولة، وقد تباطأ عن فكاكه من أسر الروم :

اذا صح منك الود فالكل هين
وكل الذى فوق التراب تراب

وقول شاعر آخر :

أتى على الكل أمر لا مرد له
حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا

ولهذا لم ترد قط مقترنة بال فى القرآن الكريم ، وهو — ولاريب — معدن السمو والفصاحة ، ومنبع البيان والحكمة والبلاغة ، فيجدر بنا أن نتبع سبيله ونسترشد بهداه وننهج نهجه ، وننسج على منواله ، فذلك هو السبيل الممهد المأمون الى البيان السهل المشرق ، والفصاحة الساطعة المنشودة ، ولنا فى مواكب الرواد من أسلافنا الماضين خير مثال ، وأحسن أسوة فى هذا المجال ، والله الموفق .

أحمد حسن عبد العواض هلالى

مصادر العقد

وطريقة ابن عبد ربه في الرواية والصياغة

للدكتور احمد محمد النجار

- ٣ -

ثم نمضى فى صحبة مؤلف العقد فنجد أن ما تضمنه هذا الكتاب الجامع من آيات التنزيل كان كثيرا زينت به كتبه وأبوابه وموضوعاته ، وكذلك تضمن مئات من الأحاديث النبوية معتمدا على ما رواه ابن ابى شيبة والموطأ ، وما نقل من أحاديث وردت فى (غريب الحديث) لأبى عبيد ، كما ورد بعضها فى (البيان والتبيين) للجاحظ «والكامل» للمبرد ، و (عيون الأخبار) لابن قتيبة ، وروى بعضها الآخر عن اساتذته : بقى بن مخلد ،ومحمد بن وضاح ، ثم ما رواه زياد اللخمى عن الامام مالك ، وطاهر بن عبد العزيز ، ويحيى بن عبد العزيز وغيرهم وقد أحصى (فهرس العقد) ما اشتمل عليه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

وكان صنيعه فى الحذف والاختصار ، والزيادة ،والتقديم والتأخير ، والتغيير ، سبيله فى رواية ما نقل عن الرواة ، قياسا على ما ذكرناه .

بقى الحديث عن رواية (الشارقة) فقد كانوا هم الرواة السابقون ممن أكثر النقل عنهم هنا أو هناك ، كالجاحظ والمبرد وابن قتيبة ، ونراه يذكر العتبى وحده ، أو أبا الحسن ، أو الشيبانى ، أو العتابى ، أو البغدادى ويسوق ما رواه لا يتجاوز تلك النسبة الا قليلا كان يقول : (قال أبو الحسن) أو (العتبى قال) أو (سفيان الثورى قال) ثم يذكر النصوص .. وأحيانا كان يقول : يحيى بن سعيد عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : كنت مع عثمان .. الخ

وأحيانا أخرى كان يقول : وأملى على بن محمد ــ ويقصد به أبا الحسن المدائنى ــ عن مسلمة ابن محارب عن داود عن أبى هند عن أبى حرب عن أبى الأسود عن أبيه قال : خرجت مع عمران بن حصين . الخ .

ولكنه يغلب اختصار هذا السند بذكر واحد فقط فى هذه التواريخ المروية من أخبار ، وأقوال ، وحكم ، وقصص ، ونوادر وفكاهات ..

ولابد أنه كان يأخذ مما روى ويدع ، ويجرى فيه قلمه بما شاء من اختصار أو تنقيح أو اضافة أو تغيير ..

ثم تبين لنا أنه نقل عمن نزل من الرواة بلاد المغرب أو زار الأندلس مثل ابراهيم بن محمد الشيبانى البغدادى ، وابنه محمد بن براهيم ، واسحاق بن عمران الاسرائيلى البغدادى الطبيب المعروف بـ (سم ساعة) فقد أطال النقل عن الأول ، وروى عن ابنه مرة ، ونقل رسالة اسحاق فى الطب الى بعض اخوانه ، كما نقلها (ابن جلجل) فى كتاب (الأطباء ، والحكماء) فى ترجمة اسحاق وذكر أنها فى خمس صفحات أوردها صاحب العقد الفريد (١) .

أما رواته الأندلسيون فقد كانوا ذوى عدد نذكر منهم : أبان بن عيسى ، وأيوب بن سليمان ، وبقى بن مخلد والخشنى ، وابن وضاح ، وطاهر بن عبد العزيز ، ويحيى ابن يحيى ، وفرج بن سلام ، وزيادا اللخمى شبطون ، ومحمد بن الغاز ، وعثمان بن المثنى، ويحيى بن عبد العزيز فيما رواه عن بعض علماء مصر مثل محمد بن عبد الحكم ، وابنه عبد الله فقيه مصر كما وصف فى العقد .

وكان المؤلف يعتمد على ذاكرته ومحفوظه فى بعض الأحيان كان يقول : قلت : انما المحفوظ أن عمر شك فى العتاق والهجن .. فى معرض الكلام عن صفات جياد الخيل ، وقد دار القول بين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وبين عمرو بن معد يكرب فى معرفة عراب الخيل (٢) ..

كما نظن ظنا أنه حرر بقلمه فصله فى (تدبير الصحة) بعد أن استوى له علمه ، وكذلك فعل فيما صح عنه فى فصله (تفاضل البلدان) ، وما اختصره من كتابى الخليل بن احمد : (العروض) (والمقال) فالأسلوب أسلوبه وضمير المتكلم له يدلان عليه .

عبث النساخ بالعقد :

بينما عبث النساخ بالعقد فأرادوا ، أو أريد منهم ، أن يتزيدوا فيه ، ويضيفوا اليه ، وظنوا أنهم بفعلهم يكملون جواهره ، ويستدركون على المؤلف ما توهموه من (تمام

---

(١) طبقات الاطباء لابن جلجل ص ٨٤ فى الحاشية .

(٢) العقد ١/١٥٤ .

الفائدة) مثل الذى أضافوه من (بـــاب من أخبار الدولة العباسية) وما عقبوا بقـــولهم (فرش : ذكر خلفاء بنى العباس وصـــفاتهم ووزرائهم وحجابهم) بادئين بخبر أبى العباس السفاح ثم من جاء بعده من أولئك الخلفـــاء ، ظانين أن (كتاب اليتيمة الثانية فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة) قد أخل بذكر الأخبار العباســـية التى يقع فى الظـــن أنهم أضافوها • وربما أضافوها استجابة لرغبـــة سياسية فى كتاب جامع كالعقـــد له شـــهرته والاعتداد بمـــا فيه ، وغاب عنهم أن نظـــام العقد قد سلك موضوعات محددة فى نظامه كما نص عليها مؤلفه ، والتزم بها منهجه ، ثم ان ذكر كلمة (فرش) هنا تدل على أن النـــاسخ كان يتوهم ما لم يكن من صنيع ابن عبد ربه أن يذكره •

ثم ان طريقة المؤلف قد تحددت للقارىء فى (ذكر أخبار بنى أمية فى الأندلس) فأسلوبه أسلوب أديب عنى بالصياغة وجمال العرض ، ودقة التعبير عن معانيه فيما عرف به ابن عبـــد ربه فى فرشه وغيرها ، تلك الصياغـــة التى لا تقل فى جمالها ودقتهـــا عن أســـلوب كـــاتب (مشـــاورة المهـــدى لأهـــل بيته فى حـــرب خراسان) (١) أو تلك التى صاغها فى (بـــاب أخبار الأزارقة) من جـــوهرة (الفـــريدة فى الحروب) (٢) ••

هذا من المظنون ، أما المقطوع باضافته فهو ما ذكر من أخبار الدولة العباسية بعد ســـنه وفاته،اذ المعروف أنه مات سنة ثلاثمائة وثمان وعشرين فى حين أن الخليفـــة الراضى مثـــلا مات سنة ثلاثمائة وتسع وعشرين على ما ذكر فى هذه الأخبار ، فكيف للمؤلف أن يخبر عنه ••

ثم يتصل القول فى طريقة المؤلف عندما نرى أنه لم يخل بعض ما روى أو نقل مـــن تعليق له : يستحسن أو يستهجن أو يشرح أو يوازن ، كما لم يخله من روايـــة بعض الأوهـــام مثل الذى رواه تحت عنوان (كبر السن) من أنه (دخل المستوغر بن ربيعة على معاوية بن أبى سفيان وهو ابن ثلاثمائة سنة فقال : كيف تجدك يا مستوغر •• الخ وقد روى الخبر فى عيون الأخبار (٢/٣٢١) ودار الحديث بين عبد الملك والعريان بن الهيثم (وصـــحته الهيثم بن الأسود بن العريـــان) كما روى فى البيـــان والتبيين (٣) هكذا : (دخل الهيثم بن الاسود ابن العريان ، وكان خطيبا شاعرا على عبد الملك ابن مروان ، فقال : كيف تجدك ، ومثله ورد فى (الفاضل) المنسوب الى المبرد دون اشارة الى هذه السن العالية ، مع اختلاف وقع فى رواية الأسماء ، وربما كـــانت حجتـــه فى ذلـــك أن همه روايـــة الأخبـــار المتعـــة والنوادر وعـــرض نمـــاذج ممـــا كـــان يـــدور بين الناس ، وما رواه الرواة • وقد نزعت بابن عبد ربه هذا المنزع روحه الفنية ، فسلكت بـــه سبيل الجاحظ فى (بيانه) اذ كان غير متأثم من

(١ ، ٢) انظر الجزء الاول من العقد ص٢٢٤ و ص ٢٥٣ وماتلاهما تحقيق احمد امين وزميليه

(٣) البيان والتبيين (١/٣٩٩) •

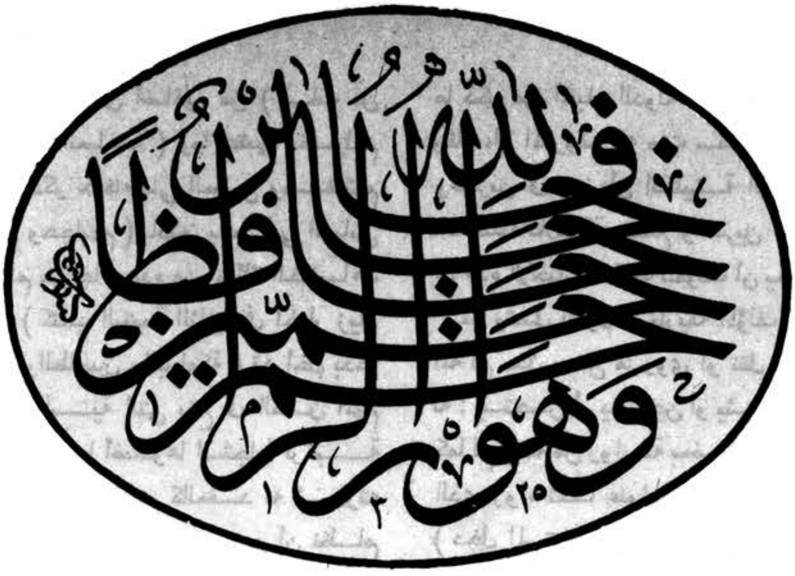

مصادر العقد

رواية ما ينكره الدين ، أو يرفضه العلم أو يزدريه النظر كالأساطير والخرافات وما اليهما، وغايته من وراء ذلك غاية فنية ترمى الى الامتاع ،واضحاك السن ، وتهذيب الذوق ، ونراه سلك هذا المسلك فيما اختار من شعر ،

اذ كان يعتمد على الجاحظ والمبرد وابن قتيبة فى كثير مما رواه من الشعر الذى تضمنته كتبهم ، ثم ما تناقله الرواة ، وقليلا ما كان يلجأ الى دواوين الشعراء ومجموعات الأشعار ، وأقل منه ما كان يعتمد فيه على ما حفظ من قصائد ومقطوعات ، ولم يقف فى النقل والرواية عند المشهور من كبار الشعراء ،

فقد روى لبعض الشعراء الذين أغفل الفحول ذكرهم مثل ابن يامين ، والأخطل الصغير ، وان يكن قد أولى أساتذته من الشعراء الكبار ذكرا محمودا ، وآثارا مشهورة من أمثال أبى تمام وأبى العتاهية ، ومسلم بن الوليد ،

وأبى نواس ، ومحمود الوراق فى الأغراض التى جادت فيها صنعته كالمدح ، والوصف ،

والغزل ، والحكمة ، والرثاء ، واحتفاله بشعرهم ، ومحاولته السير فى ركابهم تدل على أنه كان يسلك أحيانا سبيل محاكاتهم ، وأحيانا أخرى سبيل المناقضة والمساماة .. والأمر الذى يلفت النظر اهماله شأن شاعر كبير هو ابن الرومى ، فلم يرو له بيتا واحدا ، وبذلك يكون قد سبق أبا الفرج صاحب الأغانى فى اغفال ذكر ذلك الشاعر الكبير ..

وعندما تقصينا ما اختاره من شعر الأندلسيين . وجدنا أنه لم يحظ منهم بفضل اختيار الا الشاعر يحيى ابن حكم الغزال ومؤمن بن سعيد وابن الشمر ، وعباس بن

فرناس وفرج بن سلام ، وان يكن قد روى بضعة أبيات لكل من الخليفة الأموى عبد الرحمن الداخل ، والخليفة الحكم الربضى على قلة ما روى لهؤلاء الشعراء .. وكأن قد خلت بلاد الأندلس من الشعراء المجيدين ، ولم يكن له عذر فى ذلك مادام قد قال : (أن يعلم الناظر فى كتابنا هذا أن بمغربنا على قاصيته ، وبلدنا على انقطاعه خطا من المنظوم والمنثور) ، ولعله قد منح نفسه حق تمثيل بلاده بما حلى به عقده من غرائب أشعاره التى قرنها بشعر كبار الشعراء .

ولكن حسب ابن عبد ربه أن كتابه أوفى الكتب الأدبية السابقة عليه ، وأكثرها احتفالا بفنون الأدب وضروب المعرفة ، وأعظمها خطا من التنسيق والتنظيم ، وأذهبها فى سبيل الاعتدال حين يعرض المذاهب والمسائل والآراء .

مصادره :

هذا عن طريقته فى الأخذ والتناول والصياغة . أما تحديد مصادره فقد ظهر لنا بالاستقراء والمتابعة ، أنه تتعين مصادره بالكتب التى ذكرها وصرح بأسماء مؤلفيها ، ككتاب التاج لأبى عبيدة ، والأشربة لابن قتيبة ، والروضة للمبرد ، والموطأ للامام مالك، والأمثال لأبى عبيد ، والأدب ، والموالى والعرب ، وفخر قحطان على عدنان للجاحظ ، ومسند ابن أبى شيبة الى آخره ..

وكذلك تتعين تلك المصادر بالكتب التى لم يصرح بها ولكنه ذكر أسماء مؤلفيها كالشعر والشعراء ، والكامل . والبيان والتبيين .. الخ

وقد أثبتت المراجعة والمقابلة نقله عنها ، على الرغم من أنه كان يذهب الى حذف الأسانيد فى أكثر الأخبار طلبا للاستخفاف .

ومن مصادره أيضا ما لم يصرح فيه باسم المؤلف ولا باسم الكتاب ، ولكن ليس له مصدر سواه فى موضوعه ، كالكامل للمبرد فى باب الخوارج .

وقد يشترك كتابان أو أكثر فى ايراد ما نقل فى العقد ، ويتعين أحدها مصدرا له اذا تمت الموافقة بين العقد وبينه أو كادت تتم ، وقد علمنا أن ابن عبد ربه كان يتداخل بقلمه فى صياغة بعض الأخبار ، تشنيفا لها وتقريظا فيما كان يقال ، وأخذا بمبدأ الاختصار .

وهذا وقد ظلت بعض مصادره مجهولا بسبب ما انتهجه من ترك الاسناد وذكر المصادر ، وليس لدينا مصدر معتمد لما أخذ فى مثل « كتاب التوقيعات » من كتب العقد .

ثم ان ما رواه الرواة الأندلسيون يعد مصدرا من مصادره الأصلية وكذلك ما نقله عن رواد المغرب من رواة المشرق كابراهيم بن محمد الشيبانى .

وأخيرا يعتبر المؤلف نفسه أقدم معروف فى رواية أخبار الأندلس وشعر بعض شعرائها فى عصره أو قبله كما يعتبر العقد مصدرا لكثير مما لم يرد ذكره فى كتاب سواه ..

د. أحمد محمد النجار

حاجتنا إلى فن أدبي إسلامي

حين يمضى المسلم مع خطـــوات القــرن الخامس عشر الهجرى فى الربـــع الأخـــير من القرن العشرين ينظـــر فـــيرى كثيرا من القيم الدينية قد نالها كثير من الاهتزاز ، فى غمـــرة خضوع العالم من حوله لطابع مادى تبرز فيه أسماء « دارون » ، و « فرويد » و « كـــارل ماركس » ، و « ســـارتر » ، وأضرابهم ، وفى وسط هذا الخضم الهائل من تصـــارع الآراء والاتجاهات والفلسفات والنظريات فى الاقتصاد والسياسة والفلسفة ... يبدو الفن الأدبى فى حيرة من أمره ، ويبدو معه الكتاب والقراء حائرين على حد سواء فى تيه مدلهم ، وفراغ موحش قاتل ، وضلال سائد مخيف .

ومن جراء ذلك شهد الأدب العالمى موجات من النتاج الفنى بعضها منحل ســـاقط خلقيـــا وما أظنه الا كذلك فنيا .

وبعضها موغل فى الالحاد مسرف فى الضلال يقود كاتبه وقارئه ــ معا ــ الى هوة سحيقة مدمرة تقود الركب الانســـانى الى جـــاهلية القرن العشرين على نحو لم تشهد له البشرية مثالا سابقا أو بادرة سالفة من اســـفاف ، وكشف ، وســـقوط ، وتعرية .

* * *

ومن عجب أن هـــذا الأدب أو ذاك يلقى تشجيعا ورواجا هائلا ، وتتلقفه أيدى الناشئة بشوق وشغف فى غياب الوازع الـــدينى ، أو المرشـــد الأبوى ، أو المربى المـــدرسى ، أو الرباط العقدى .

* * *

ووسط هذه الأنواء العاصفة والتيـــارات الصاخبة نلتفت فى الساحة الاسلامية الأدبية حائرين مشغوفين فتصرعنا المفاجأة المـــرة ، وهى غياب الأقلام الجادة المؤمنة التى تنشىء للأجيال أدبا فنيا رفيعا يلتزم بروح عقيدتنـــا الاسلامية السمحة .

*** غابت أو ضـــاعت القصـــة والـــرواية الاســـلامية !**

بقلم
د. يوسف
نوفل

* وغابت أو ضاعت المسرحية الاسلامية !
* وغابت أو ضاعت القصيدة والمسرحية الشعرية الاسلامية !

* وغابت أو ضاعت التمثيلية الاسلامية !
* وغابت أو ضاعت الأغنية الاسلامية !
ماذا نقول ؟

هل هى أزمة نشر من نوع جديد ؟
هل هى أزمة ثقة بين الكتاب والمجلات ودور النشر ؟

هل هى أزمة ثقة بين الكتاب والقراء ؟
أم هى أزمة ثقة متبادلة بين جميع الأطراف ؟

أم أن الكاتب المسلم عانى من حرفة الأدب (١) خشية أن تتحول ويتحول معها الى حرقة (٢) الأدب !! .

تلك التى أشار اليها الشعراء فيما قالوا :
* اذا غنيت بشىء خلت أنى قد
أدركته أدركتنى حرقة الأدب
* عفت القريض فلا أسمو له ابدا
حتى لقد عفت أن أرويه فى الكتب
مجرت نظمى له لا من مهانته
لكنها خيفة من حرفة الأدب
* عيون جاهك عنى غير نائمة
وانما أنا أخشى حرفة الأدب
هل نقول مع من قالوا :

« حرفة الأدب آفة الأدباء ! » ؟
لا ...

فالمجال متسع امام القصاصين والروائيين والمسرحيين والشعراء وكتاب المقال ، والتمثيلية « والسيناريو » ليشيدوا مجدا عظيما بانشاء فن أدبى يلتزم بالقيم الخلقية والروحية ، ويقود البشرية الى سلام وعدل وايمان وحب ، وبذلك يحقق هذا الأدب خصائص الدين الاسلامى ، ويقود البشرية الى أمنها وخيرها وصلاح دينها ودنياها فى معركة مادية رهيبة لا تدرى البشرية مصيرها فيها .

د. يوسف نوفل

---

(١) حرفة بالفاء .
(٢) حرقة بالقاف .

١

الاستغناء في اللغة العربية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ٠

« وبعد »

فهذا بحث أقدمه بمشيئة الله لقراء العربية ، وموضوعه « الاستغناء فى اللغة العربية » والاستغناء باب واسع فكثيرا ما استغنت العرب عن لفظ بلفظ كاستغنائهم بـ (ترك وتارك) عن (وذر وواذر) ٠ وبقولهم : (رجل آلى) (١) عن قولهم : (رجل أعجز) ، وبقولهم : (امرأة عجزاء) عن قولهم (امرأة أَلياء) فى أشهر اللغات (٢) ٠

ومن ثم قال سيبويه : « اعلم أن العرب قد تستغنى بالشيء عن الشيء حتى يصير المستغنى عنه مسقطا من كلامهم البتة » (٣) ٠ وقال المبرد: « ومن كلامهم الاستغناء بالشيء عن الشيء حتى يكون المستغنى عنه مسقطا » (٤) ٠

وعندما تتبعت هذه الظاهرة وجدتها وقعت فى الأسماء والأفعال والمصادر والحروف ، كما وجدتها فى المجموع أكثر من أن تحصى ، وأعنى بذلك أنه قد يستغنى ببناء الكثرة عن القلة وبالعكس ، وقد يستغنى ببعض أبنية القلة عن بعض ، كذلك قد يستغنى ببعض أبنية الكثرة عن بعض ، وقد يستغنى بجمع التكسير عن جمع المؤنث السالم وبالعكس ، كذلك قد يستغنى بجمع المؤنث السالم عن جمع المذكر السالم وبالعكس ، هذا ما سوف أوضحه بمشيئة الله فى هذا البحث ، وسوف أبدأ بالحديث عن الاستغناء فى الأسماء ، وقد وقع فى أبواب أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ٠

(أ) التثنية ــ

(ب) الجمع ــ (جـ) التصغير ٠

---

(١) آلى : أى كبير الألية ٠
(٢) أنظر شرح المفصل لابن يعيش ج٥ ص١١١
(٣) الخصائص لابن جنى ١/٢٦٦ تحقيق الاستاذ محمد على النجار ٠
(٤) المقتضب للمبرد ج ٢ ص ٢٠١ تحقيق د٠ محمد عبد الخالق عضيمة ٠

للدكتور حمدى عبد الحميد المقدم

أولا : التثنية

استغنت العرب بتثنية (سى) عن تثنية (سواء) فقالوا : (سيان) ولم يقولوا : (سواءان) ، ومن ثم قال ابن هشام (١) : (سى) اسم بمنزلة « مثل » وزنا ومعنى ، وتثنيته (سيان) واستغنوا بتثنيته عن تثنية (سواء) فلم يقولوا : سواءان الا شاذا ، كقول قيس بن معاذ .

فيارب ان لم تقسم الحب بيننا
سواءين فاجعلنى على حبها جلدا

ومن ذلك استغناؤهم بتثنية (ضبع) ــ بفتح الفاء وضم العين ــ اسم المؤنث عن تثنية (ضبعان) ــ بكسر الفاء وسكون العين ــ اسم لمذكر ، فقالوا : (ضبعان) ، ولم يقولوا (ضبعانان) . ومن ثم يقول ابن عصفور فى شرحه لجمل الزجاجى : « ولا يجوز تغليب المؤنث على المذكر الا فى (ضبع) للمؤنث ، وضبعان للمذكر فانك تقول فيهما : (ضبعان) فتغلب لفظ المؤنث على المذكر ، لانه أخف منه لقلة حروفه ، وربما جاءوا به على الاصل فقالوا : (ضبعانان) بتغليب المذكر على المؤنث » (٢) .

ومن الاستغناء فى التثنية استغناؤهم ب (كلا وكلتا) عن تثنية أجمع وجمعاء ، فلا تقول على رأى جمهور البصريين : (جاء الزيدان أجمعان) ولا (جاءت الفاطمتان جمعاوان) وانما تقول : (جاء الزيدان كلاهما وجاءت الفاطمتان كلتاهما) . وقد وافقهم ابن هشام فى « أوضحه » حيث يقول :

« ولا يجوز تثنية (أجمع ولا جمعاء) استغناء ب (كلا وكلتا) كما استغنوا بتثنية (سى) عن تثنية (سواء) » (٣) .

كذلك وافقهم ابن عصفور حيث يقول فى شرحه لجمل الزجاجى : « ولم يثن أجمع وجمعاء ، لانه استغنى عن تثنيتهما ب (كلا وكلتا) ، ثم قال فى موضع آخر : (وأهل الكوفة وبغداد يثنون (أجمع وجمعاء) والصحيح أنه لا يجوز ذلك لا فى المذكر ولا فى المؤنث ، لاستغناء العرب عنه ب (كلا وكلتا) » (٤) .

(١) انظر مغنى اللبيب لابن هشام ص ١٤٨ ــ ١٤٩ تحقيق د. مازن المبارك وآخرين ، لسان العرب مادة (سوا) .
(٢) شرح الجمل ج ١ ص ١٤٤ تحقيق د. صاحب أبو جناح ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م .
(٣) أوضح المسالك لابن هشام ج ٣ ص ٣٣٢ تحقيق العلامة محمد محيى الدين عبد الحميد ط : الخامسة .
(٤) شرح الجمل ج ١ ص ١٣٨ ، ٢٦٥ .

وممن وافق جمهور البصريين ابن مالك حيث يقول فى ألفيته :

واغن بكلتا فى مثنى وكلا
عن وزن فعلاء ووزن أفعلا

وأجاز الكوفيون والأخفش من البصريين — ذلك ، أى تثنية (أجمع وجمعاء) فتقول على رأيهم : (جاء الزيدان أجمعان) بتثنية (أجمع)، (والهندان جمعاوان) بتثنية (جمعاء) •

قال ابن خروف : « ومن منع تثنيتهما فقد تكلف وادعى ما لا دليل عليه » وهذا الخلاف جار فيما وازنهما نحو (أكتع كتعاء) (١) •

وقد أعجبنى رأى اللقانى حيث يقول فى حاشية « يس » على التصريح :

« انما يصح الاستغناء بذلك ان قصد شمول الأفراد كما فى (جاء الزيدان ، أو المرأتان) ، أما اذا قصد شمول أجزاء الافراد كما فى (اشتريت العبدين أو الأمتين) فان كلا وكلتا لا تفيده » (٢) •

ومن الاستغناء فى التثنية : استغناؤهم (باثنين) عن (وَاحِدَيْنِ) و (بستة) عن (ثَلاَثَتَيْنِ) و (بعشرة) عن (خَمْسَتَيْنِ) و (بعشرين) عن (عَشْرَتَيْنِ) وما جرى هذا المجرى (٣) • واستغنوا عن تثنية (عشرين) بأربعين ، ومن ثم قال سيبويه : « وانما امتنعوا أن يثنوا (عشرين) حيث لم يجيزوا : (عشرونان) واستغنوا عنها بأربعين » (٤) •

ثانيا : الاستغناء فى الجموع

قبل أن أتحدث عن الاستغناء فى الجموع أود أن أشير بعبارة موجزة الى أن الاستغناء فى الجموع اما أن يكون فى الوضع ، أو فى الاستعمال •

وأعنى بالوضع أن تكون العرب قد وضعت أحد البناءين صالحا للقلة والكثرة واستغنت به عن وضع الآخر (كأرجل) جمع رجل — بكسر الراء وسكون الجيم — (وأعناق) جمع (عنق) ، و (أفئدة) جمع (فؤاد) قال الله تعالى : « **وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ** » (٥) وقال : «**فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ** » (٦) وقال : « **لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ** » (٧) فاستغنى فيها ببناء القلة عن بناء الكثرة ، لانها لم يستعمل لها بناء كثرة •

وأعنى بالاستعمال : أن تكون العرب قد وضعتهما معا ولكنها استغنت فى بعض المواضع

---

(١) انظر شرح الألفية لابن الناظم ص ١٩٩ ، وشرح التوضيح على التصريح للشيخ خالد الازهرى ٢/١٢٤ •
(٢) حاشية يس على التصريح ٢/١٢٤ •
(٣) الأشباه والنظائر للسيوطى ١/٥٢ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م •
(٤) الكتاب ج ٣/٣٩٣ تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون •
(٥) المائدة ٦ •
(٦) الأنفال ١٢ •
(٧) ابراهيم ٤٣ •

عن أحدهما بالآخر مجازا لقرينة مثل (أقلام) فى قوله تعالى : « وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ »(١) والمقام مقام مبالغة وتكثير قطعا وقد استعمل فيه وزن القلة مع أنه سمع للقلم جمع كثرة وهو (قِلام) .

وقد يعكس فيستغنى ببعض أبنية الكثرة عن بناء القلة وضعا ، نحو (رجال) جمع (رجل) — بفتح الفاء وضم العين — ، (وقلوب) جمع (قلب) ، (وصردان) — بكسر الصاد وتسكين الراء — جمع (صرد)(٢) — بضم الصاد وفتح الراء — ، وقد جاء فى التنزيل قوله تعالى :« يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ »(٣) وقوله « فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا » ، وتقول : « رأيت خمسة رجال بخمسة قلوب معهم خمسة صردان » فيستغنى بجمع الكثرة عن جمع القلة لعدم وضعه .

والقسم الثانى ، وهو ما وضعت له العرب بناء قلة ولكنها استغنت ببناء الكثرة عنه كقوله تعالى : « وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ »(٤) فقد فسر ثلاثة بجمع الكثرة مع وجود جمع القلة، كقوله صلى الله عليه وسلم: « دعى الصلاة أيام أقرائك » . وبعد هذا العرض الموجز أعود فأتناول الاستغناء فى الجموع بشىء من التفصيل فأقول — وبالله التوفيق :

اولا : بعض ما استغنى فيه ببناء الكثرة عن القلة

استغنت العرب بقولهم : (ثلاثة شسوع)(٥) عن أشساع . ومن ثم قال المبرد : « وقد يكون البناء للأكثر فيشركه الأقل ، كما تقول : شسوع »(٦) .

وقال سيبويه : « وقالوا : (ثلاثة شسوع) فاستغنوا بها عن أشساع »(٧) .

استغناؤهم : بقردة عن أقراد . قال الله تعالى : « وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت »(٨) . ومن ثم قال سيبويه : « فأما القردة فاستغنى بها عن (أقراد) »(٩) وقال الفارسى : « وقد كسر على (فعلة) —

(١) لقمان ٢٧ .
(٢) صرد : اسم طائر .
(٣) النور ٣٦ .
(٤) البقرة ٢٢٨ .
(٥) جاء فى اللسان مادة شسع = شسع النمل قبالها الذى يشد الى زمامها .

(٦) المقتضب ٢/٢٠١ .
(٧) الكتاب ٣/٥٧٥ ، والتكملة للفارسى ص ٤٠٩ تحقيق د. كاظم بحر المرجان .
(٨) المائدة ٦٠ .
(٩) الكتاب ٣/٥٧٥ .

بكسر الفاء وفتح العين — وذلك نحو قرد وقردة ، واستغنى بها عن أقراد » (١) •

استغناؤهم : (بثلاثة قروء) عن (أقرء) •

قال سيبويه : (وقالوا : ثلاثة قروء فاستغنوا بها عن ثلاثة أقرء » (٢) •

استغنت العرب بقولهم:جروح ولم يقولوا: أجراح • قال سيبويه : « وقالوا ، جرح وجروح ، ولم يقولوا : أجراح ، كما لم يقولوا: أقراد » (٣) •

وأنشد أبو زيد لعبدة بن الطبيب :

ولى وصر عن من حيث التبسن به
مضرجات بأجراح ومقتول

استشهد به على أن (جرحا) جمع على (أجراح) فيجوز أن يكون قد جاء فى الشعر للضرورة ، ولم يستعمل فى الكلام ، كما جاء فى الشعر فك الادغام فى قول القائل :

(الحمد لله العلى الأجلل)

وهذا مرفوض فى الكلام المنثور (٤) •

استغنت العرب فى جمع (خرج) — بضم الخاء — بخرجة — بكسر الفاء وفتح العين — عن أخراج قال سيبويه : وقالوا خرج وخرجة ، ولم يقولوا : (أخراج) ، كما لم يقولوا : أجراح » (٥) ولكن جاء فى لسان العرب مادة (خرج) والجمع (أخراج وخرجة)

وتعليقنا على ذلك أن سيبويه يتحدث عن لغة جمهرة العرب •

استغناؤهم بفعال عن أفعال حيث قالوا : رجل ورجال ولم يقولوا : أرجال ، وقد قالوا : ثلاثة رجلة استغنوا بها عن أرجال (٦) •

استغناؤهم بجمع الكثرة عن جمع القلة فى نحو (صرد وصردان وجعل (٧) وجعلان)

ومن ثم قال سيبويه : « ان كانت الكلمة على وزن (فعل) — بضم الفاء وفتح العين — فان العرب تكسره على (فعلان) — بكسر الفاء وسكون العين — وان أرادوا أدنى العدد لم يجاوزوه ، واستغنوا به كما استغنوا بأفعال فلم يجاوزوه فى القليل والكثير ، وقد أجرت العرب شيئا منه على (افعال) كقولهم : ربع (٨) وأرباع ورطب وأرطاب » (٩) •

---

(١) التكملة ص ٤٠٩ ، وابن يعيش ١٩/٥ •
(٢) الكتاب ٥٧٥/٣ •
(٣) الكتاب ٥٧٦/٣ •
(٤) التكملة ص ٤١١ بتصرف ، والصحاح مادة جرح •
(٥) الكتاب ٥٧٧/٣ •
(٦) الكتاب ٥٧٤/٣ ، وابن يعيش ١٩/٥ ، والمقتضب ٢٠١/٢ •
(٧) الجعل : دابة سوداء من دواب الارض ، قيل : هو أبو جعران — بفتح الجيم —
(٨) الربع من الابل : ما نتج فى الربيع •
(٩) الكتاب ٥٧٤/٣ بتصرف وابن يعيش ٢٠/٥ والتكملة ص ٤٠٨ •

ثانيا : بعض ما استغنى فيه ببناء القلة عن الكثرة

قالت العرب : قتب (١) وأقتاب ، ورسن (٢) وأرسان .

قال سيبويه : « وربما جاء (الأفعال) يستغنى به أن يكسر الاسم على البناء الذى هو لأكثر العدد فيعنى به ما عنى بذلك البناء من العدد . وذلك نحو قتب وأقتاب ورسن وأرسان » (٣) وقال المبرد : « وقد يكون البناء فى الأصل للأقل فيشركه فيه الأكثر ، كما تقول : أرسان وأقتاب فلا يكون جمع غيره » (٤) .

وقالوا فى جمع (رجل) ــ بكسر الفاء وسكون العين (أرجل) ، وجاء فى القرآن الكريم قوله تعالى : « **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** » (٥) . قال سيبويه : «لايجاوزون الأفعل كما أنهم لم يجاوزوا الأكف » (٦) .

قال أبو على : « ومما استغنى فيه بأفعال قولهم فى جمع (باب وباع ومال) (أبواب وأبواع وأموال » (٧) .

قال سيبويه : « وقد يلزمون الأفعال فلا يجاوزونها وذلك نحو لوح وألواح » ، وجوز وأجواز » (٨) جاء فى لسان العرب مادة (جوز) وجوز كل شىء وسطه ، والجمع (أجواز) قال زهير :

مقورة تتبارى لاشوارلها
الا القطوع على الأجواز والورك (٩)

ومما استغنى فيه بأفعل قولهم فى جمع ذراع : أذرع حيث كانت مؤنثة ، ولا يجاوز بها هذا البناء وان عنوا الأكثر ، كما فعل ذلك فى الأكف والأرجل (١٠) .

ومما استغنى فيه بافعلة عن (فعل) ــ بضم الفاء والعين قولهم فى جمع (عنان وكنان) : أعنة وأكنة ، ومن ثم قال سيبويه : « وأما ما كان من (فعال) ــ بكسر الفاء مضاعفا فانهم لم يجاوزوا أدنى العدد وان عنوا الكثير تركوا ذلك كراهية التضعيف » ــ وقال ابن يعيش : « وان عنوا الكثير استغنوا بأكنة وأعنة عن أن يقولوا : (كنن وعنن) فيكرروا النون من غير ادغام ، كأنهم استثقلوا ذلك وكان عنه مندوحة وهو الاجتزاء ببناء القلة » .

حمدى عبد الحميد المقدم
أستاذ اللغويات المساعد ــ كلية اللغة العربية ــ جامعة الازهر

---

(١) القتب : اكاف البعير وقد يؤنث والتذكير أعم .
(٢) الرسن : الجبل .
(٣) الكتاب ٣/٥٧٠ والتكملة ص ٤٠٤ .
(٤) المقتضب ٢/٢٠١ .
(٥) النور ٣١ .
(٦) الكتاب ٣/٥٧٥ ، واللسان مادة رجل
(٧) الباع والبوع : المسافة بين الكفين اذا بسطتهما .
(٨) الكتاب ٣/٥٨٧ والتكملة ص ٤٠١ .
(٩) المرجع السابق ٣/٦٠٦ .
(١٠) مقورة : ضامرة ــ تتبارى = يعارض بعضها بعضا فى السير ــ الشوار : المتاع ــ القطوع = الطنافس التى يوطأ بها الرحل .

"شوقي"

بين مجد الاسلام وعظماء رجاله

للأستاذ الدكتور
محمد سلامه صالح

— ٢ —

٧ — وممن أعجب بهم (شوقى) من عظماء الاسلام (عمرو بن العاص) فله الى جهوده فى فتح (مصر) مواقف خالدة ، كموقفه حين امتحن المسلمون(١) بعام الرمادة ، فقد وجه الى المدينة المدد الوافر من خيرات (وادى النيل) استجابة لطلب (عمر رضى الله عنه) · يقول فى قصيدة « كبار الحوادث » :

من كعمرو البلاد والضاد مما
شاد فيها والملة الغراء
شاد للمسلمين ركنا جساما
ضارفى الظل رأبه الايواء
طالما قامت الخلافة فيه
فاطمأنت وقامت الحلفاء
وانتهى الدين بالرجاء اليه
وبنو الدين اذ هم ضعفاء
فابك (عمرا) ان كنت منصف (عمرو)
ان (عمرا) لنير وضاء
جاد للمسلمين (بالنيل) ، (النيل)
لمن يقتنيه أفريقاء(٢)

---

(١) رحم الله شوقى فقد تناول هذا الموضوع عن غير دراسة فالثابت أن جيوش المسلمين طرقت أبواب مصر فى نهاية العام التاسع عشر الهجرى ودخلت الى قلبها فى العام العشرين ، بينما عام الرمادة كان العام الثامن عشر فلم يحدث هذا المدد ، وانما هو أمر تناوله القصاص ·· تماما كما تاثر حافظ — رحمه الله — برواية رؤية رسول كسرى لعمر بن الخطاب نائما بالمسجد ·· وكلا الامرين لا واقع له ··· مجلة الازهر ·

(٢) الشوقيات : ١/١٦ ، و (ديوان شوقى) : ١/١٨٦ ·

وفى قصيدة « أيها النيل » يكرر الحديث عن عمرو منوها بسمو الفتح الاسلامى وما تضمنته ودائع عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — من دين ولواء ، ولغة ، ويتحدث عن القائمين بالفتح فاذا هم جند من الملائكة ، وأصحاب بدر طويت بهم البلاد ، فهم جيش من الأخلاق ، ثم هم رسل هداية ، ودعاة حق وانصاف ، واذا عمرو فى عدله ، وتواضعه مناط اعجاب به ، وتساؤل عنه من أرباب الملل الأخرى ، يقول :

وودائع (الفاروق) عندك دينه
ولواؤه وبيانه والمنطق
بعث الصحابة يحملون من الهدى
والحق ما يحيى العقول ويفيق
فتح الفتوح من الملائك رزدق
فيه ومن (أصحاب بدر) رزدق(١)
يبنون « لله » « الكنانة » بالقنا
« والله » من حول البناء موفق
أحلاس خيل بيد أن حسامهم
فى السلم من حذر الحوادث مقلق(٢)
تطوى البلاد لهم وينجد جيشهم
جيش من الأخلاق غاز مورق(٣)
فى الحق سل وفيه أغمد سيفهم
سيف الكريم من الجهالة يفرق
والفتح بغى لا يهون وقعه
الا العفيف حسامه المترفق
ما كانت « الفسطاط » الا حائطا
يأوى الضعيف لركنه والمرهق
وبه تلوذ الطير فى طلب الكرى
ويبيت « قيصر » وهو منه مؤرق
« عمرو » على شطب الحصير معصب
بقلادة « الله » العلى مطوق(٤)
يدعو له « الحاخام » فى صلواته
«موسى» ويسال فيه «عيسى» البطرق(٥)

وفى «دول العرب» يمضى الشاعر مع «عمرو» فى قصة الفتح فيعرض صورا حربية ، يتحرك خلالها تاريخ النصر ، وهو فى ذلك مأخوذ بقوة ارادة « عمرو » القائد ، وبعبقريته الحربية ، وسداد رأيه ، وبفئة محدودة العدد ، مزودة بسلاح الايمان طاش بها رشد الروم ، فاندفعت تنتزع النصر ، وبين خطاها اليمن والسعد :

« عمرو » القنا والرأى والجدود
رمى به « الفاروق » فى الحدود

...

سما الى « مصر » بطرف وطمح
ولم يزل « بعمر » حتى سمح

...

(١) الرزدق : الصف من الناس ، والمراد جماعة .
(٢) احلاس : اى ملازمين ظهورها ، وأحلاس : جمع : حلس ، ومقلق : غير مستقر .
(٣) مورق : غانم .
(٤) الشطب : الاخضر من جريد النخل ، ومعصب : متوج .
(٥) الشوقيات : ٢/٨٦ ، و (ديوان شوقى) : ١/٢٤٢ — ٢٤٣ .

شوقى بين مجد الاسلام وعظماء رجالـه

وجهـــــه فهب والفـــــــزاة
كمـــا أطـــار الصـــيد البـزاة
...
ومـا النجـوم الزهـر حفت بالقمـر
أروع من « عمرو » على خيل « عمـر »
...
كتيبـــة قليلـــة العـــــديد
كثـــيرة بدينهـــا الجـديد
...
طوت الى « مصر » القفـار طيـــا
وركبت رياحهـــــا مطيـــا
...
واخترقـوا التخـــوم والحـدودا
سـبحان من يـــداول الجـــدودا
...
فضـــاع رشـد الروم والصـواب
وفتحت من نفســـها الأبـــواب
تبـــارك اللـــه وجلت العـــرب
لـم يثنهم جـــو ولـم يعـق سرب
...
وانـدفعت خيـل الامـام تعـدو
يقدمهـــا اليمن ويحـدو السعد(١)

٨ ـ ومن عظماء الاسلام ، ورجاله الأفـذاذ الذين جاهدوا فى سـبيله ، وحموا مقدسـاته (صلاح الدين الأيوبى) ، ذلك الذى تصـدى للصليبيين ، وانتصر عليهم ، وحمى (المسـجد الأقصى) من شرهم . يقول فى قصيدته (كبـار الحوادث) :

يعرف الدين من (صـــلاح) ويدرى
مـن هـــو المسجدان والاسراء
انـــه حصـــــنه الذى كـان حصـنا
وحمـاه الذى بـه الاحتمـــــاء
يـوم سـار الصليب والحـاملوه
ومشى الغرب قومه والنســـاء
بنفوس تجـول فيهـا الامـــانى
وقلوب تثـور فيهـا الدمـــــاء
يضمرون الدمــار للحـق والنـا
س ودين الذين بالحـق جـاءوا
ويهـــدون بالتـــلاوة والصلـــ
ـبان ما شـاء بالقنـا البنـــاء
فيلقتهمـو عـــزائم صـــدق
نص بينهـــن خبـــــاء (٢)
مزقت جمعهم عـلى كـــل أرض
مثلمـا مـزق الظــلام الضـــياء
وسبت أمـــرد الملوك فردتـــــ
ـه وما فيـه للرعايا رجـــاء (٣)
ولـــو ان المليـــك هيب أذاه
لـم يخلصـــه من أذاه الفداء (٤)

---

(١) دول آلعرب : ٦٣ ـ ٦٧ ، فى الاصـل (ويقدمها)
(٢) نص : رفع ، والخباء الخيمة ولعله يريد الملجـا .
(٣) (لويس التاسـع) ملك فرنسا أسره (توران شـاه) فى (موقعة المنصـورة) سنة ١٢٥٠ م وافتدى نفسه ومن معه بعشرة ملايين فرنك .
(٤) الشـوقيات : ١/١٧ ، و (ديـوان شوقى) : ١/١٨٧ ـ ١٨٨ .

وحين بـدا من (غليـوم الثانى) فى حديثه أمام قبر (صلاح الدين) مالا يفصح عـن اجـلال ، أو ازدراء ، وكـان (الامبراطور) متسما بالصلف والكبرياء مـع تظاهر بالعطف على المسلمين — انبرى (شوقى) يرده الـى ساحة الاعتدال فى قصـيدة تتأجج وطنيـة وحماسا ، نسجها بعد الزيارة بقليل أى سـنة ١٨٩٨ (١) .

يقول تحت عنوان (تحية غليوم الثانى لصلاح الدين فى القبر) :

عظيم النـاس مـن يبـكى العظاما
ويندبهم ولـو كانـوا عظـاما
أتـدرى أى سـلطان تحيـى
وأى مملك تهـدى السـلاما !
دعـوت أجـل أهـل الأرض حـربا
وأشرفهم اذا سـكنوا سـلاما
وقفت بـه تذكـره ملوكـا
تعـود أن يلاقـوه قياما !
وكم جمعتهمـو حـرب فكانـوا
حدايدهـا وكان هـو الحسـاما
كـلام للبريـة داميـات
وأنت اليـوم من ضمد الكلامـا
فلمـا قلت مـا قـد قلت عنـه
واسـمعت المـالك والأنـاما
تسـاءلت البريـة وهى كلمـى
أحبـا كـان ذاك أم أنتقاما ؟!
وأنت أجـل أن تـزرى بميت
وأنت أبـر أن تـؤذى عظـاما
فلـو كـان الـدوام نصيب ملك
لنال بحـد صـارمه الدوامـا (٢)

وفى تعقيب الامير (شكيب أرسلان) عـلى هذه القصيدة يقول :

« وقد ترجمت من عهد غير بعيد هذه الابيات لجلالة (الامبراطور غليوم الثانى) وذكرت له من (شوقى) فى العالم العربى ، وأنه كـان أشعر شعرائنا ، فارتاح جدا لهذه الابيـات ، وترحم على قائلها ... ثم يتبع ، ولو لم يكن (لشوقى) الا ما قاله فى هـذه القصـيدة عن الحرب الصليبية — لكان ذلك كافيا له حتى يلقب بالشاعر الاسلامى ، وهى الصفة التى استمالت له قلوب المسلمين شرقا وغربا — فكيف ، ولـه فى هذا الباب يتائم تتقلد بها جيد الدهر »(٣) .

٩ — وممن أشاد بهم الشاعر (السلطان محمد الفاتح) فى قصيدته (مسجد آيا صوفيا) وقد كان كنيسة من أعظم نمـاذج الفـن المعمارى البيزنطى ، ثم صـارت مسجدا بعـد الفتح العثمانى سنة ١٤٥٣ م ، وأضيفت اليها مآذنها الأربع ، واتخذت نموذجا معماريا لعدة مساجد

(١) انظر (شوقى) أو صداقة أربعين سنة : ٢٠١ .

(٢) (المؤيد) ١٤ أكتوبر سـنة ١٨٩٩ ، والشوقيات القديمة : ٢٤٠ ، والجزء الرابع من الشـوقيات : ٤٠ ط سـنة ١٩٤٣ و (ديوان شوقى) : ٢٤٧/١ وما بعدها .

(٣) (شوقى) أو صداقة أربعين سنة : ٢٠٢

شوقي بين مجد الإسلام وعظماء رجاله

تركية عظيمة شيدت (بالآستانة) (١)٠
وفى هذه القصيدة يشيد (بالفاتح) الشجاع العفيف فى حروبه مع الروم ، وانتصاره عليهم وعفوه عنهم ٠ يقول :

قد جاءها (الفاتح) فى عصبة
من الاسود الركع السجد
رمى بهم بنيانها مثلما
يصطدم الجلمد بالجلمد
وماتوا فى الروم يفدونها
والسيف فى المفدى والمفتدى
فخلتها من قيصر سعده
وايدت بالقيصر الاسعد
(بفاتح) غاز عفيف القنا
لا يحمل الحقد ولا يعتدى
اجار من القى مقاليده
منهم وأصفى الأمن للمرتدى
وناب عما كان من زخرف
جلالة المعبود فى المعبد
فيا لثار بيننا بعده
أقام لم يقرب ولم يبعد
باق كثار (القدس) من قبله
لا ننتهى منه ولا يهتدى
فلا يغرنك سكون الملا
فالشر حول الصارم المغمد

فكن لنا اللهم فى أمسنا
وكن لنا اليوم وكن فى غد (٢)

١٠ ــ ولمزيد اعجاب الشاعر (بصلاح الدين) و (الفاتح) تناولهما نثرا ، ناعيا على الكتاب المعاصرين اغفال الحديث عنهما ، ضاربا المثل بالغربيين فى مدى عنايتهم بعظمائهم ، وحرصهم على تجديد ذكراهم ٠ يقول :

« فلما فرغت من الانشاد ، واستحسنه الدرويش ، واستجار ٠ وقال : ليس بعد الخلفاء الراشدين أفضل من (محمد الفاتح) و (صلاح الدين) ٠ فأما (الايوبى) فدرع الاسلام ، ووقاه ، وعرينه وحماه ، وسيفه الذى انتضاه فنجاه من الغم ، وكفاه البلاء الجم ، وجعله مهيبا فى ماضيه ، رهيبا فى نفوس أعاديه ٠

وأما (الفاتح) فحياته المنبعثة ، ووجدانه المتجدد ، وشبابه العائد ، ودولته الكبرى ، ولواؤه الاعلى ، سمك بنيانه ، وشيد أركانه ؛ وأعلى مكانه ، وأظهر عزه وامكانه ، وأيد ملكه وسلطانه ، وكلا الملكين أبى همام ، كريم فى الولاء والخصام ، عظيم فى الحرب والسلام رءوف بصنوف الانام ، شريف القناة عنيف الحسام ٠ وانى أعجب للكتاب الحاضرين والشعراء المعاصرين ، كيف غفلوا عن تجديد ذكرهما ، وقعدوا عن تأبيد فخرهما ؟ وفى ذلك ما يوقظ راقد الهمم ٠

ويحيى موات هذه الأمم ، ويدعو الى التعلق

---

(١) راجع (ديوان شوقى) : ١/٨٠ وما بعدها ٠

(٢) (المؤيد) اكتوبر سنة ١٨٩٩ ، والشوقيات القديمة : ٢٣٦ ــ ٢٣٧ ، والشوقيات : ٢/٢٧ ــ ٢٩ و (ديوان شوقى) : ٨٠ ــ ٨٢ ٠

بكبير الآمال ، ويحمل على التشبه بمشاهير الرجال . حين نرى غابر الملوك الغربيين ، وموتى الاقيال الأوربيين ، مذكورين بكل لسان ، أحياء ، وان مضى بهم الزمان ، لكثرة ماشحنت بأسمائهم الآثار ، وامتلأت من وقائعهم الأشعار ، وسرت بهم الأحاديث ، وسارت الأخبار . هذا (نابليون) ملك ملك ، ثم خانه الفلك ، ثم هلك ، وذكره لايزال يسير مسير الشمس والبدر ، ويهب هبوب الريح فى البر والبحر ، فما من غربى الا ويحفظ نادرة عن نادر ذكائه ، بل ما من شرقى الا ويروى شيئا عن مدهش اقدامه ، وعجيب دهائه ، يستوى فى ذلك النساء والرجال ، ويشترك فيه الشيوخ والاطفال ، وتعدو عليه الأعصر وتروح الاجيال وليس الفضل فى بعث هذا المجد حيا ، وبقائه بعد الممات مثالا للامم عليا ، الا لقومه الفرنسويين ، وبنى جلدته الشارفين به المتفخرين (١) فانك لاتقرأ لهم جريدة الا وفيها نادرة عنه جديدة ، أو طرفة من غرائب سيرته المجيدة ، وكلما تفد الوطاب (٢) ، وأظمأت الكتابة الكتاب ، وصفوا الغريب ، واختلقوا العجيب ، وأدخلوا على الناس الأكاذيب »(٣).

١١ — و (شوقى) — فى اعجابه بعظماء الاسلام — لم يهمل الاشادة بمن عاصروه من هؤلاء العظماء ، فحين استبدت بالوزير الفرنسى المؤرخ (جبرائيل هانوتو) : نزوة التعصب المزرية ، وتناول الاسلام بالطعن فى مقالات جارحة أثارت حمية امام العصر (الشيخ محمد عبده) فانبعث بالرد عليه بثلاث رسائل(٤) فياضة بمنطق الحق ، وقوة الاقناع ، وقد أثارت هذه الرسائل اعجاب الشاعر بالامام ، لشدة غيرته على دينه ، فأشاد — بلسان الأمة — بموقفه الحق ، وبعلمه الجم ، ومنطقه العضب ، وما اتسم به من قرب فى الولاء ، وإباء فى الخصومة ، ومن تقى وجد ، فى زمن عز فيه التقاة ، وكثر الهازلون يقول مخاطبا الامام :

(محمد) ما أخلفتنا ما وعدتنا
صدقت وقال الحق فيك ضمير

******

فانت خصم العلم حال سكونه
وأنت خصم العلم حين تثور
وأنت أمير الحفظ والقول والنهى
اذا لم ينل تلك الثلاث أمير

******

ففوق عليم القوم منك معلم
وفوق وزير القوم منك وزير
اذا جهلت يوما علينا خصومنا
فانك من جهل الخصوم مجير

◄

(١) تفخر الرجل : تعظم وتكبر .
(٢) الوطاب : جمع وطب : سقاء اللبن .
(٣) (المؤيد) ١٤ اكتوبر سنة ١٨٩٩ ثم الشوقيات المجهولة : ١/١٨٢ — ١٨٣ .
(٤) نشرت (بالمؤيد) فى ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ابريل سنة ١٩٠٠ م .

«شوقى» بين مجد الإسلام وعظماء رجاله

وان جردوا الأقلام جردت اثرها
يراعا له فى الخافقين صرير (١)

**

اذا صال لاقى ضيغم القوم ضيغما
له فى نفوس الشانئين زئير
وأنت قريب فى الولاء مؤمل
وأنت أبى فى الخصام كبير
ويعجبنى منك التقى حين لاتقى
وجدك حين الهازلون كثير (٢)

وقد مهد (المؤيد) لتلك القصيدة بقوله :

« ان ذلك العالم المفضال ، والامام العظيم الذى رد على (مسيو هانوتو) قد كتب أعلى ما يكتب الفيلسوف ، وأشد ما يحتج به المنطقى وأبلغ ما يسطر البليغ ، ولذلك امتدحه شاعر من أبلغ شعراء هذا العصر ، يعشق كبار الاعمال ، وأعمال الكبار » (٣) •

وعلق عليها الدكتور (محمد صبرى) الذى أعاد نشرها بقوله :

« ان (شوقى) على الرغم من ولائه الشديد (للخديو عباس) الذى كان يرى فى (محمد عبده) خصما لدودا له ــ كان أشد ولاء لحرية الرأى والعقيدة • فكانت لاتخلو قصائد المديح (الرسمية) من الغمزات ، والجهر بالحقائق صراحة أو تلميحا ، وفى هذه الأبيات التى يخاطب بها (محمد عبده) ــ وضع الشاعر ممدوحه فى مرتبة أعلى من مرتبة الأمير ، والعالم ، والوزير » (٤) •

**

هكذا كان (شوقى) مصورا لمجد الاسلام ، معجبا بعظماء رجاله ، مشيدا بمواقفهم البطولية ، مسجلا مآثرهم المجيدة ، فى نشر الاسلام ، والدفاع عنه ، والتصدى لأعدائه ، مفاخرا بما أسسوه من دولة شامخة سادت العالم ، ونشرت العدل والأمن ، والحق والسلام فى ربوع الأرض •

وما من شك فى أنه كان فى ذلك معبرا صادقا عن مشاعره الجياشة نحو الاسلام ورجاله ، مترجما عما تجيش به نفوس أبناء الأمه الاسلامية من أعتزاز بماض مجيد ، وسلطان تليد ، وحضارة عريقة ، ومدنية زاهرة •

ولقد كان فى اشادته بهذا المجد ، وبهؤلاء العظماء يهدف الى تنبيه الأذهان لما انتهى اليه المسلمون فى عصره من ضعف ، وتخاذل ، وفرقة والى شحذ العزائم ، واستنهاض الهمم لاسترجاع الماضى ، واستعادة عزه ، ومجده وسلطانه • كما يقول :

حتى أراد (الله) أن نظمت
من سير الرجال ما استعظمت
علما بما يبعث فى الأحداث
جلائل الأعمال والأحداث (٥)

والأمة فعلا فى مسيس الحاجة الى تحقيق

---

(١) الخافقان : افق المشرق ، وافق المغرب •
(٢) (المؤيد) : عدد ٣ مايو سنة ١٩٠٠ •
(٣) المرجع السابق •
(٤) الشوقيات المجهولة : ١٩٨/١ •
(٥) دول العرب : ٦ •

هدفه هــذا ، وهو بعينــه ما نفهمــه من رأى المستشرق الفرنسى (جارديه) الذى يــرى أن نهضة المسلمين ليست فى مجرد التغلب عــلى مشكلاتهم ، وتطورهم فنيا أو أدبيا فحسب ، بل يبعث القيم الكامنة فى قلوب شعوبهم (١) .

وفى احياء ذكرى العظماء اقتداء بالسلف ، وتحريك للهمم ، وتطلع الى معــالى الأمــور ، وليس أقتل لأمة من الأمم ، من مرض النسيان اذا استبد بأبنائها ، فشغلهم بحاضرهم عن مجد ماضيهم ، وبأحيائهم عن ذكريات الأفـــذاذ من موتاهم .

ويرى (العقاد) أن « ايتاء العظمة حقها لازم فى كل آونة ، وبين كل قبيل .

ولكنه فى هذا الزمن ، وفى عالمنا هذا الـــزم منه فى أزمنة أخرى لسببين متقاربين لا لسبب واحــد :

أحدهما : أن العالم اليوم أحوج ما كان الى المصلحين النافعين لشعوبهم ، وللشعوب كافة ، ولن يتاح لمصلح أن يهدى قومه ، وهو مغموط الحق ، معرض للجفوة والكنود .

والسبب الآخر : أن الناس قد اجترأوا على العظمة فى زمننا بقــدر حاجتهم الى هدايتها ، فان شيوع الحقوق العامة قد أغرى أناسا مــن صغار النفوس بانكار الحقوق الخاصة : حقوق العلية النادرين الذين ينصفهم التمييز ، وتظلمهم المســاواة .. والمســاواة هى شرعة السواد الغالبة فى العصر الحديث .

ولقد جار هذا الفهم الخاطىء للمساواة على حقوق العظماء السابقين ، كما جار على حقوق العظماء من الأحياء والمعاصرين .

ويقرر أن « هذه الآفة » حطة تهبــط بالخلق الانسانى الى الحضيض ، وتهبط بالرجاء فــى اصلاح العيوب الخلقية والنفسية الى مــادون الحضيض .

فماذا يساوى انسان ، لايساوى الانســان العظيم شيئا لديه ؟

وأى معرفة بحق من الحقوق يناط بهـــا الرجــاء اذا كان حق العظمة بين الناس غــير معروف ؟ واذا ضاع العظيم بين أناس ، فكيف لايضيع بينهم الصغير ؟! »(٢) .

وهكذا تتجلى لنا عناية الشاعر بالتنقيب فــى منجم الاسلام ، وسير أعلامه ، لابــراز قيم الدين ، وجهود العظماء ، وبعث حضارة الأمة .

و (شوقى) فى منهجه هذا متفق مع رجــال الفكر من شرقيين وغربيين فى حاجة الأمـــة الملحـــة الى بعث قيمهــا ، ومجــد ماضيها ، استنهاضا لهمم أبنائها ، وقد أضاف الى مجــد السابقين تنويهه بمآثر المعاصرين ، وهو فى ذلك كله ترجمان الأمة فى ماضيها المجيد ، وحاضرها المتوثب .

---

(١) النص الفرنسى :

«Humanisme musulman de demain?

Il s'agit de bien autre chose que de solutions abstraites. Il ne s'agit point seulement de grandes oeuvres littréraires ou artistiques à promouvoir, et non plus seulement d'une prise en main de la technique moderne. Il s'agit d' une revivilication et d'un élargissement de valeurs séculaires, invétértes au Coeur du peuple»

La cité musulmane vie soale et politique par Louis Gardet page 322 — Paris 1954.

(٢) عبقرية (محمد) : ١٢ ـ ١٤ .

مع روجيه جارودى فى كتابه

ما يعد به الاسلام

عرض وتعليم
أ.د. طه مصطفى أبوكريشه

ـ ١ ـ

« ما يعد به الاسلام » عنوان الكتاب الذى صدر فى طبعته الثانية لمؤلفه « روجيه جارودى » .

وقد قام بترجمته الى العربية عن النص الفرنسى كل من : قصى أتاسى وميشيل واكيم .

وقدم له محمد البجاوى ممثل الجزائر فى هيئة الأمم المتحدة ومحمد ياسر شرف عضو اتحاد الكتاب فى سوريا ، وقامت بنشره دار الوثبة فى دمشق .

والمؤلف « روجيه جارودى » ليس غريبا عن القارىء ، فلقد عرف الناس قريبا قصة اسلامه بعد دراسات متصلة عن الاسلام ، أدت به فى النهاية الى ارتضائه دينا يعتقده ويدين به ، وينافح عنه ، ويقدمه لغيره من أولئك الذين يبحثون عن منبع هداية ، ومصدر يقين تطمئن اليه القلوب ، وتقتنع به الألباب.

والكتاب قائم على عدة موضوعات تتناول هذه العناوين : (الصوفية ملحمة الايمان ـ عقيدة وسياسة ـ العلوم والحكمة ـ فلسفة الكشف والالهام ـ كل الفنون تصب فى المسجد ـ شعر الاستشراف والتشوف) ، ويسبق ذلك مدخل للدراسة .

ـ ٢ ـ

أما المدخل ص ٣٣ فان المؤلف يعرض فيه للوضع القائم فى الغرب ، ومن وجهة نظره فان الغرب ليس الا حدثا تاريخيا طارئا ، اذ أن ثقافته منتزعة من ثقافات سابقة عليها ، وان بدا أن هناك من يحاول أن ينكر الجذور الشرقية التى اغتذت منها الحضارة الغربية .

ويعرض المؤلف فى هذا المدخل الى الهدف الرئيسى الذى يود اظهاره فى هذا الكتاب .

فيوضح أن ذلك متمثل فى بيان أن «الاسلام لم يكتف بادخال أعرق وأوثق الثقافات

واخصابها ونشرها من بحر الصين الى الأطلسى .. ثقافات الصين والهند والفرس واليونان ، ثقافات الاسكندرية وبيزنطة .. وانما بث فى امبراطوريات وحضارات روحا لحياة جديدة ، وأعاد الى الناس ومجتمعاتهم أبعادا انسانية والهية نوعية ، تأخذ بالتسامى والروح الجماعية ، انطلاقا من عقيدة متينة ، أدت الى تجديد العلوم والفنون ، والشرائع والفلسفة » .

ويلتفت المؤلف الى العصر الذى كان فيه الاسلام فى بلاد الأندلس فيذكر أن الحرب التى شنت على الاسلام والمسلمين ، كانت حربا ضد الحضارة والنهضة التى كان يمكن أن تكون عالمية .

وقد أدى ذلك الى أن ينزلق الغرب نحو أنماط انتحارية فى التنمية والتمدن ، مما أدى بالتاريخ الى مزيد من انعدام الانسانية والتقهقر ، وهذا واضح كل الوضوح قديما وحديثا فى سجل الاستعمار وسجل الحروب العالمية .

واذا كان العالم الغربى يعانى الآن من صراع عقيدى وسياسى واقتصادى ، وهو صراع يكشف عن بؤس روحى ، فانه لا منجاة له من هذا البؤس الا أن يقيم حوارا مع غيره من الحضارات .

وفى مقدمة ذلك الاسلام ، الذى هو ليس بالصورة التى رسمها الصليبيون والمستعمرون

حين ألصقوا به من الصفات ما هو براء منها .

ولقد سبق للاسلام أن أنقذ امبراطوريات كبرى متهافتة من الفناء فى القرن السابع الميلادى ، وهذا من شأنه أن يطرح سؤالا : اذا كان قد صنع ذلك فى الماضى « فهل بمقدوره

مع روجيه جارودى

اليوم أن يأتى بحلول لهـــذا القــلق ، ولتلك المشكلات التى تعانى منها حضارة غربية ، لم تنجح على مدى قرون أربعة الا فى أن تحفـــر قبرا للعالم كله » ؟

ويجيب المؤلف « تلك هى القضية التى ان لم يحلها هذا الكتاب فحسبه أنه يطرحها » •

ثم يضيف الى ذلك ما يؤكد ايجابية الجواب بأن الاسلام دين وروح جماعية مشتركة ، وهو عقيدة وطريقة للحياة فى آن معا ، وهذا مايكفل له ايجاد الحلول لما يعانيه البشر •

ولعل فى ظاهرة انتشاره السريع بعد ظهوره ما يؤكد تلاقى جوهره مع ما يبحث عنه الناس من معالم الهداية ، وانتصار الاسلام على هذا النحو لا يمكن فهمه الا على أنه عقيدة وروح جماعية مشتركة تقوم على هذه العقيدة •

وربما كان ما يشير اليه المؤلف هنا ، ملتقيا فى مضمونه مع ما نعلمه من أن الاســلام دين الفطرة ، «فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» •

وهنا يرد المؤلف على أولئك الذين يفسرون ظاهرة انتشار الاســلام بعــوامل خارجيـــة كالضعف البالغ أو الانحلال الذى أصـــاب الامبراطوريات المهزومة ، فينفى ذلك التفسير وينكره عليهم ، كما ينكــر تفســير الظــاهرة بعوامل عسكرية صرفة ، وتبقى بعـــد ذلك الأسباب الحقيقية الكامنة فى جوهر الاســلام وروحه ، وعلى رأس هذه الأسباب الالحـــاح على اعلاء كلمة الله ، وذلك باعادة النظـــر فى كل سلطة ، وبطرح مبدأ المساواة بين البشر •

والى جانب ما سبق فان المؤلف يعرض فى هذا المدخل الى أركان الاسلام ، معرفا بهـــا ، مشيرا الى أهدافها ومراميها ، وكذلك يقـــدم شيئا من تاريخ الفتوحات الاسلامية فى الشرق والغرب مشيدا بصـــنيع المسلمين فى هـــذه الفتوح من واقع ما سجله التاريخ عنهم •

— ٣ —

وتحت عنوان « الصوفية ملحمة الايمـــان ص ٧٧ » يذكر المؤلف أن التصوف بعد من أبعاد العقيدة الاسلامية ، مفسرا ذلك بأنه لون من ألوان الروحانية فى لاسلام ، وهـــو التوازن الأســـاسى بين الجهاد الأكبر ، جهاد النفس ، وبين الجهاد الأصغر ، جهاد المجتمع •

واذا كانت ممارسة الزهد والتنسك ممـــا يوجد شبها بين التصوف الاسلامى وبين بعض العقائد والمذاهب الأخرى ، فان ذلك لا يؤدى الى نسيان الطابع الخاص للتصوف الاسلامى الذى يتجلى فى التقوى ، أى فى تلك اللحظـــة من التأمل الداخلى التى تهـــدف الى انجـــاز ما تأمر به الشريعة فى سبيل المجتمع الانسانى•

ويلفت المؤلف النظـــر الى أنه لاينبغى أن ينظر الى الاســـلام من خـــلال بعض غـــلاة الصوفية ، وانما من خـــلال القـــرآن الكريم والسنة النبوية ، اذ هما المصدران الأساسيان لكل سلوك قويم •

ويبدو أن المؤلف متأثر بقراءات ذاتيـــة فى هذا الميدان ، وكان أولى به أن يقدم الاسلام من خلال معنى الاسلام ، وليس من خـــلال سمات مذهبية ، قد لا تتسع الا لفـــريق دون

فريق ، ممن ينضوى تحت مذهب معين لايؤثر سواه ، هذا فضلا عن أن هـذه الصفات والمسميات طارئة بعد فترة من الزمان منظهور الاسلام .

وبعد موازنة بين خصائص الاسلام وخصائص غيره ، ينهى المؤلف هـذا الفصل طارحا هذا السؤال :

« والآن ما الذى يستطيع أنيقدمه الاسلام اليوم ، ليهيئنا لتحمل المسئوليات الجسيمة التى تطرحها الطاقات العلمية على البشرية ؟»

ثم يجيب : ألا ان المشكلة كونية ، والحل لن يكون الا حلا كونيا .

وبذلك يمهد للحديث عن الحلول الاسلامية للمشكلات البشرية على النحو الذى يعرض له فى الموضوعات التالية .

— ٤ —

ومن هذه الموضوعات ما جاء تحت عنوان « عقيدة وسياسة ص ٩٥ » وفيه يتعرض المؤلف — كما ذكر — لمسيرة الاسلام ، دون فصل بين قضايا العقيدة وقضايا الحياة المدنية، مع الاحتفاظ بتلك الوحدة بين الايمان وبناء المجتمع المتعاون ، وبين التوحيد وممارساته العملية .

وفى البداية يتساءل المؤلف عن الانجازات التاريخية والاجتماعية التى أنجزها الاسلام على صعيد الاقتصاد والتشريع والسياسة ، انطلاقا من المبادىء الاسلامية الأساسية ، التى يمكن ايجازها فى أن الله وحده مالك كل شىء ، وأن الله وحده هو الذى يشرع ، وأنه وحده الآمر الناهى .

أما فى مجال الاقتصاد ، فان نسبة ملك كل شىء لله تعالى ، يجعل من يكون فى حوزته المال ، قائما بوظيفة اجتماعية ، دون أن يكون ذلك امتيازا لفرد أو جماعة أو دولة ، وعلى كل مالك (بالاستخلاف) سواء كان فردا أو جماعة أو دولة أن يقدم تقريرا عما يملك الى المجتمع لأنه ليس الا مسئولا فقط عن ادارة ملكيته وتسيير أمورها .

وفى هـذا المجال يشير المؤلف الى كثير من الآيات التى تحذر من اكتناز المال ، وعدم انفاقه فى سبيل الله .

كما يشير المؤلف الى ما فى تعاليم الاسلام من كراهية الظلم والظالمين ، والى ما فيه من النهى عن الاحتكار والاستغلال والغصب .

ويقف عند « التجارة » ويبين كيف أنها أمر مشروع فى الاسلام ، اذ تلبى الحاجات الضرورية ، مادامت تهتدى فى ممارساتها بتعاليم الاسلام .

كذلك يقف المؤلف عند « الزكاة » ، مشيرا الى كونها ركنا من أركان الاسلام الخمسة ، والى أنها ليست فريضة تفرض على الأرباح فحسب ، بل تتناول رأس المال ، وتعمل على خلق توازن داخل المجتمع .

وهذا أمر سبق الاسلام به كثيرا من النظم التى تبحثعن أمثل وسيلة للضمانالاجتماعى.

ويضرب لذلك مثلا بما قامت به فرنسا فى منتصف القرن العشرين بعد صراع طبقى استمر أجيالا .

مع روجيه جارودى

ومن خلال هذه الأسس يرى المؤلف فى « الاقتصاد الاسلامى » نظاما متميزا عن غيره من نظم الاقتصاد الغربية والشرقية .

وفى مجال « التشريع » يبين المؤلف أنه اذا كان الله وحده المالك فهو وحده المشرع ، وهذا مبدأ أساسى فى الاسلام ، انطلاقا من عقيدة التوحيد ، فالمجتمع لا يقوم على أساس من اعلان حقوق الانسان ، وانما يقوم على تعاليم سماوية ، هى وحدها التى تحدد واجبات الانسان .

ثم يأخذ المؤلف فى بيان الأسس العامة التى يتضمنها التشريع الاسلامى ، ومن ذلك نظرة الاسلام الى الانسان ، وكونه جزءا من كل أكبر ، أى هو فرد داخل جماعة ، وهذه الجماعة ينبغى أن تتوجه نحو أهداف وغايات سامية ، تسمو على غاياتها نفسها ، وهذا التسامى فى العلاقة بين الجماعة والانسان ، يجنب المجتمع الوقوع فى مزالق اضطهاد الانسان للانسان .

ومن هذه المبادىء مبدأ «المساواة والحرية» اذ هما فى الاسلام مختلفان اختلافا جذريا عن مفهومنا نحن ، فالمساواة والحرية فى المنظور الاسلامى لا علاقة لهما بالانسان من حيث هو فرد مستقل ، بل هما مظهران من مظاهر ارتباط الانسان بخالقه ، ونتيجة للحضور الالهى فى وجدان الانسان وهذا من شأنه أن يتيح له اتخاذ موقف المحايد الناقد تجاه الأنظمة القائمة وتجاه كل محاولة للسيطرة على البشر .

ويشير المؤلف الى ما فى هذا العصر من أمواج متلاطمة ، تبغى السيطرة على الانسان من قبل الدول العظمى ، ومن قبل مظاهر العنف المختلفة فى جميع المستويات ، وهى سيطرة تعمل على زيادة حدة سيطرة الأقلية ، كما تعمل على زيادة وتعميق بؤس الأكثرية .

وفى مجال هذه المبادىء يبين المؤلف موقف الاسلام من « المرأة » ، من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وهو موقف نلمس فيه تقدما ملحوظا لا شك فيه بالقياس الى تشريعات أثينا وروما حيث كانت المرأة فى مرتبة دنيا .

ثم يوضح المؤلف الحقوق التى كفلها الاسلام « للمرأة » ، ومنها حق التصرف فيما تملك ، وحق طلب الطلاق عند توافر شروط معينة .

أما فى جانب « السياسة » فان المؤلف يذكر أنه انطلاقا من مبدأ المساواة بين المسلمين ، فان الاسلام يرفض أى نظام فردى يهدف الى تحقيق أهدافه وغاياته الخاصة دون الاهتمام بغايات المجتمع وأهدافه .

فالمجتمع الاسلامى أمة تحمل سمة الشمولية ، لأن الصلة بين أفرادها صلة تسمو فوق الجنس والزمان والمكان والتاريخ ، ولأن الرباط الذى يوحد بين هؤلاء انما هو رباط الايمان المشترك بوحدانية سامية منزهة .

ويفرق المؤلف بين النظم البرلمانية الديمقراطية ، وبين مبدأ « الشورى فى الاسلام » .

فالناس تحت ظل الشورى لا تحكمهم علاقة

المنافسة كما فى تلك النظم ، وانما تحكمهم تلك العلاقة المباشرة مع الله الواحد .

وينتهى المؤلف من هذا الفصل مشيرا الى أن تجارب العصر السياسية تؤكد — من واقع فشلها — أنه لا بديل عن الغايات الانسانية السامية ، وهى غايات لا توفرها الا السلطة فى الاسلام ، حيث تأتمر بأمر غايات تتجاوزها وتسمو عليها .

— ٥ —

ومن العقيدة والسياسة ينتقل المؤلف الى « العلوم والحكمة ص ١١٣ » وتحت هذا العنوان يعرض المؤلف للتفوق الذى بلغه العصر فى مجال العلوم ، مشيرا الى دور العلم فى حل مشكلات وقضايا الانسان ، ذاهبا الى أن « الاعتقاد بقدرة العلوم الموضوعية على حل مشكلاتنا .

والقول بأن مفتاح جميع القضايا الانسانية فى يد هذه العلوم — ان هذا الاعتقاد وهم خرافى فتاك » . ويكفى أن ننظر فى عواقب التفوق قديما وحديثا لنرى كيف كان ذلك فى كثير من الاحيان حربا موجهة ضد الانسان .

ومن ذلك ما صنعه تيمورلنك فى القديم ، وما صنعته قنبلة « هيروشيما » فى الحديث .

ومن هذا المنطلق بين المؤلف دور العلوم الاسلامية ، ضاربا صفحا عن هؤلاء الذين لم يروا فى العلوم الاسلامية الا ناقلا للعلوم اليونانية والهندية والفارسية ، والا سلسلة من الاكتشافات لا دور لها سوى أنها مهدت الطريق أمام العلوم الحديثة .

ويبين المؤلف ما فى العلوم الاسلامية من ميزة الايمان الذى كان روح هذه العلوم وجوهرها ، اذ أن كل مافى الطبيعة شاهد على وجود الله ، لذا كانت كل معرفة للطبيعة عن طريق العلم ، نوعا من العبادة ، ولونا من ألوان التقرب الى الله .

وهنا يذكر المؤلف كيف حث « القرآن الكريم » « والحديث النبوى » الشريف على البحث العلمى ، وأشادا به ، وشجعا عليه ، وأمرا بطلبة حتى لدى الناس من غير المسلمين ، وهذا ما يفسر الدور البناء الذى قام به الاسلام ، كما يفسر البعث العلمى الذى انتشر فى مختلف أقطاره .

هذا فى الوقت الذى كانت الحضارات الأخرى تقر فيه بذلك الحاجز بين الله وبين الطبيعة والانسان ، كما حدث فى الحضارة الاغريقية .

وفى هذا المجال يشير المؤلف الى جهود المسلمين التى قاموا بها فى سبيل العلم حين استطاعوا أن يستوعبوا عن طريق الترجمة كل علوم الحضارات الأخرى ، وأن يهضموها ويتمثلوها فى ظل ثقافتهم الاصيلة .

وقد قام الخلفاء المسلمون بتشجيع العلم والعلماء فى كل عصر .

وعن طريق المقارنة يقدم المؤلف أمثلة من التعصب الأعمى ضد العلم فى القرون السابقة عند الغرب ، وهو تعصب ظهر فى احراق كثير من المخطوطات ، مما أدى الى ركود دام عدة

مع روجيه جارودى

قرون ، على حين كان المسلمون المنتصرون بدل أن يهدموا يعرفون كيف يستقبلون حضارة الآخرين وينتفعون بها ، ولهذا عرفت ثقافتهم ازدهارها واشراقها ، تلك الثقافة التى تستهدى فى كل جوانبها بمذهب التوحيد ويذكر المؤلف أن من خصائص العلوم العربية أنها متداخلة متصل بعضها ببعض بسبب من مبدأ الوحدة ، اذ لا تفريق بين علم الطبيعة والمرئيات من جانب ، وبين علوم الدين من جانب آخر ، وهذا ما يفسر ظهور عباقرة موسوعيين أفرزتهم الثقافة الاسلامية ، وهم فى الاسلام كثيرون ، بينما يعدون بعدد الاصابع فى العلوم الغربية.

ومن هنا كانت الروح التى جعلت من العلوم العربية علوما ذات أصالة وابداع وعطاء ، وليست مجرد همزة وصل بين العلوم اليونانية والعلوم المعاصرة ، وذلك مايجعلها صالحة للمستقبل كما صلحت فى الماضى .

ويخلص من ذلك الى أننا حين نعى العلوم العربية فى روحها وجوهرها لا فى منجزاتها التاريخية فحسب ، فاننا نرى أنها تهبنا الطريقة والمنهج وتسعفنا فى الانعتاق من تلك النزعة العلمية التى تفصل بين العلوم والحكمة ، وتسخر الفكر والعقل لخدمة غايات مرسومة وتزعم أنها تجعل من العلم المزق المجرد من أبعاده أداة لتفتح الشخصية الانسانية .

ثم يسوق المؤلف فى أعقاب ذلك أمثلة من النبوغ الاسلامى فى مختلف العلوم العملية مثل الرياضة والفلك والجغرافية والطب والزراعة، وغيرها ، مفيضا فى اظهار دور الايمان فى الاهتداء الى أمثل الطرق وأنجحها التى أدت الى نجاح المسلمين فى هذه العلوم نجاحا عظيما، كان له الفضل كل الفضل على العلماء الغربيين البارزين فى مختلف المجالات . فالغرب المعاصر ليس الا وليد الحضارة الاسلامية التى كانت على مقربة منه فى أسبانيا وصقلية .

– ٦ –

وتحت عنوان « فلسفة الكشف والالهام » ص ١٤٩ يعرض المؤلف للفلسفة الاسلامية وعلمائها ، ممهدا لذلك بحديث عن الفلسفة اليونانية وأهدافها ، وموقف المسلمين منها ، مضيفا الى ذلك ماقدمه علماء المسلمين من آراء تجاه القضايا الالهية والانسانية ، اذ بحث هؤلاء قضية علاقة الانسان بخالقه وحريته فى التوجه اليه توجها قائما على نداء الفطرة ونداء العقل معا فى آن واحد ، ويدخل فى نطاق هذه القضايا ما درسوه فى علم التوحيد من مباحث حول صفات الله .

وفى هذا المجال يتتبع المؤلف المدارس الفلسفية ودورها ، واقفا عند أبرز الفلاسفة المسلمين من أمثال الفارابى وابن سينا والغزالى وابن رشد عارضا لآرائهم فى قضايا كانت ومازالت موضع خلاف بين وجهات النظر المتعددة .

وفى ثنايا عرض الآراء نشير الى ماانزلق اليه

المؤلف من خطأ حين قـال عـن ابراهيم عليه السلام انه « لم يكن يهوديا ولا مسيحيا ولا مسلما ، وانما كان صـورة للنمـوذج الأمثل للانسان والعقيدة ص ١٧٢ » فالمعروف أن نص القرآن الكريم فى ذلك هو قوله تعالى « مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًـا مُّسْلِمًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » آل عمران ٦٧

ويبدو أن المؤلف قرأ الآية من خلال ترجمـة محرفة فبنى عليها ما أشار اليه .

ونشير الى أن المؤلف فى هـذا الفصـل لم يستطع أن ينجو من مزالق الفلاسفة التى تبدو فى كثير من الأحايين بعيدة عن روح الاسـلام وجوهر تعاليمه الواضحة ، البعيدة عن متاهـة الفكر الفلسفى الذى استظل بظل أفكار فلسفية نقلت الى ثقافة المسلمين ، وبهذا لم يكن فى هذا الفصـل شىء غير تحصـيل حاصـل دار فى مناقشات الفلاسفة المسلمين .

— ٧ —

وبعد ذلك يعرض المؤلف لموضوعين هما . (كل الفنون تصب فى المسجد والمسجد يدعـو الى العبادة — وشعر الاستشراف والتشوف) وفى الموضوع الأول ص ١٨١ يتنـاول الفـن الاسلامى الذى برز فى بناء المساجد ونقوشهـا وزخارفها وهو فن تبدو فيه وحدة الطابع الذى يعكس وحدة اليد التى كانت وراءه ، وهنا يسجل المؤلف انطباعه الشخصى بقوله : « حينما أرى

روائع الفن الاسلامى أحس أن رجلا واحدا قام ببنائها مدفوعا بدافع ايمانه بالله واحـد مـن الجامع الكبير فى قرطبة الى فسيفساء المسـاجد فى تلمسان ، وفى جامع القرويين بفاس وجامع ابن طولون فى القاهرة الى مساجد اسـتامبول الفخمة ، ومن قباب أصفهان السـاحرة الـى المئذنة البسيطة الجبارة الحلزونية فى سامراء ، ومن قصور الحمراء بغرناطة الى قصور وروائع أصفهان .

مع روجيه جارودى

ان الفن الاسلامى يعبر عن رؤية للعالم توحى فى الوقت نفسه بوظيفته وموضوعاته وأساليبه التشكيلية وأساليبه المعمارية •

ويعرض المؤلف لتفسير بناء المساجد على نظامها الموحد الذى تبدو عليه ، والذى تتخذ فيه نظام المسجد النبوى قدوة لها فى التنظيم الهندسى كما يشير الى عدم احتواء المحاريب فى المساجد على أى صورة أوتمثال مما يوحى بفكرة الاله الذى لا يرى لكنه حاضر موجود فى كل مكان ، هذا فضلا عن أن الايمان فى جوهره يقتضى أن ينشغل المؤمن عن تفكره وتدبره كما يقتضى أن ينصرف عن شواغل العالم المادى واغراءاته ، وفيما عدا ذلك فان كل مظاهر الفن الاسلامى فى المساجد توحى بالجلال والمهابة والخشوع •

أما الموضوع الثانى ص ١٩٧ فان المؤلف يقدمفيه نماذج من الشعر الصوفى القائم على التأمل فى الكون والحياة ، على الترجمة عما يكنه القلب من حب فى الله • وهنا يبين المؤلف من واقع المقابلة بين النماذج — أثر الأدب الاسلامى فى الآداب العالمية •

ويرى أن هذا الجانب بالذات كان له أبلغ الأثر فى الشعراء الوجدانيين •

وتأتى بعد ذلك خاتمة المؤلف ص ٢٣١ التى يقول فيها ان كتابه « ليس كتابا فى التاريخ بل هو معايشة جديدة للاسلام عن كثب ، ومن ثم اقتراب مما يسمى بالعالم الثالث حين يجرى التلاعب هناك بمصير الانسانية »

ويوجز المؤلف خلاصة ما هدف اليه من هذا الكتاب ، وهى ابراز أن الاسلام قوة حية ليس فى ماضيه فحسب ، بل فى كل ما يمكن أن يسهم به لخلق مستقبل مشرق •

ويشير المؤلف الى أن العقبة الكئود التى تعترض سبيل ذلك هى نظرة الغرب الى الاسلام منذ أكثر من ألف عام ، وهى نظرة الخوف ، والخوف أسوأ مرشد كما يقول المثل •

والكتاب بذلك محاولة من المؤلف لتبديد هذا الخوف ، بغية تقريب تلك القلوب النافرة الى منابع الهداية والارشاد ، على شريطة التخلى عن أخطاء القرون الوسطى تلك الأخطاء الفكرية والدينية التى صورت الاسلام عدوا ، الى جانب تلك الأضاليل التى أبرزت الاسلام صورة للجهل والظلام ضاربة عرض الحائط بكل ما فى الحقيقة والفكر من أبعاد سامية رفيعة

وبعد فقد كان ذلك كله كلام المؤلف قبل أن يشهر اسلامه ، وهو وغيره من مؤلفاته مما ادى به الى الدخول فى الاسلام عن ايمان واقتناع بعد أن طوف فى الاديان والمذاهب المختلفة ، فلعل فى رحلته الايمانية ما يكون نبراسا لأولئك الحيارى من أبناء جلدته « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ » يونس ٥٧ •

د • طه مصطفى أبو كريشه

إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم
لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون

إعداد : أحمد عبد الرحيم السايح
: عبد الفتاح السيد عبد السلام
: صفوت عبد الجواد

رسالة من ملك المغرب لفضيلة الإمام الأكبر

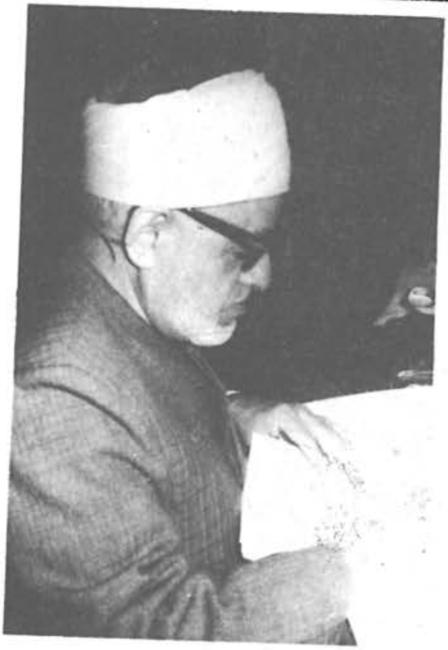

تلقى فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر رسالة من مستشار جلالة الملك الحسن ملك المغرب أعرب فيها باسم جلالة الملك عن شكره وتقديره الكبير لفضيلة الامام الأكبر على حسن عنايته وعظيم اهتمامه وما تقدم به من نصائح قيمة بصفته شيخ الجامع الأزهر الى مؤتمر القمة الاسلامى الذى عقد أخيرا فى الدار البيضاء •

من مستشار صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى الى سماحة الأستاذ الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر

الموضوع : حول كتابكم الى صاحب الجلالة فى موضوع القمة الاسلامية الرابعة بالدار البيضاء •

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

وبعد : فقد توصل الديوان الملكى بكتابكم القيم ، الموجه الى صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى ملك المغرب ، والى اخوانه ملوك ورؤساء الدول العربية والاسلامية ، فى مؤتمر القمة الاسلامية المنعقد فى الشهر المنصرم ، بمدينة الدار البيضاء •

وانه ليشرفنى ياصاحب الفضيلة ، أن أنهى الى سماحتكم باسم صاحب الجلالة ، شكره وتقديره الكبير لكم ، على حسن عنايتكم ، وعظيم اهتمامكم ، وما تقدمتم به من نصائح قيمة ، بصفتكم أحد أئمة المسلمين وعلمائهم، وشيخ الجامع الأزهر الذى يعتبر مركز اشعاع دينى وثقافى ، من أهم المراكز التى اضطلعت بدور هام فى البلاد الاسلامية •

وان المغرب الذى تشرف دوما بخدمة الاسلام والمسلمين ووفقه الله بالأمس القريب

منذ عقد ونصف من السنين الى دعم اخوانه الملوك والأمراء والرؤساء فى الدول الاسلامية، الى عقد قمة اسلامية فى العصر الحديث ، ليحمد الله ملكا وشعبا على نعمة التوفيق فى خدمة الاسلام وقضاياه ، فى جهود متواصلة منه ومن بقية الدول الاسلامية الشقيقة ، حتى تحقق الأهداف المنشودة ، من صادق الأعمال المبذولة .

ثم ان المحاور الاسلامية التى ركز عليها كتابكم المشار اليه ، من جمع لكلمة المسلمين ، ونبذ للخلاف وأسبابه ، ونصرة لقضيتى أفغانستان وفلسطين ، نالت بحمد الله نصيبها الأوفى من عناية المؤتمر واهتمامه .

وتجدون صحبة هذه الرسالة الجوابية ، نسخة من الميثاق المصادق عليه فى هذا المؤتمر الذى كان ايجابيا ، وتيسرت فيه سبل التفاهم والعمل .

وتفضلوا سماحتكم بقبول وافر التحية والاحترام ، والسلام .

الجلسة الثانية للجنة العليا للدعوة الإسلامية

عقدت اللجنة العليا للدعوة الاسلامية اجتماعها الثانى بقاعة الاجتماعات بادارة الأزهر . برئاسة الامام الاكبر شيخ الازهر وكان فى مقدمة الموضوعات التى ناقشتها اللجنة الاقتراحات المقدمة من الاستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمى نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم والبحث العلمى شملت كثيرا من القضايا الهامة التى تتصل بالعمل الاسلامى فى مصر والعالم الاسلامى .

كما ناقشت اللجنة فى اجتماعها وسائل النهوض بالتربية الاسلامية فى معاهد التعليم والمساجد وغيرها من الاندية الثقافية والرياضية .

وكان من أهم المقترحات المقدمة الى اللجنة ضرورة الاهتمام بالمساجد الاهلية وضرورة تعيين أئمة وخطباء من خريجى الأزهر .

كما ناقشت اللجنة أيضا الاقتراح الذى قدمه الاستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمى بشأن تعيين ملحق دينى فى كل سفارة وبخاصة فى البلاد الناطقة بغير اللغة العربية فى أوربا وأمريكا وافريقيا . وآسيا .

وقد صرح الدكتور عبد الودودشلبى الامين العام للجنة العليا .

بأنمقترحات أخرى على جانب كبير من الأهمية سوف تناقش فى جلسة أخرى مقبلة ومن أهمها انشاء معهد الاعداد والتدريب والتوجيه الذى يعود بصورة جديدة فى حدة التطورات الجارية فى العالم الاسلامى .

توزيع جوائز الشيخ صالح عبد الله كامل بجامعة الازهر •

أقامت كلية التجارة بجامعة الازهر احتفالا لتشجيع أبحاث الاقتصاد الاسلامى وتوزيع جائزة الشيخ صالح عبد الله كامل على الفائزين • بلغت الجوائز واحدا وخمسين جائزة • وقد ألقى فضيلة رئيس الجامعة كلمة بهذه المناسبة التى حضرها نواب رئيس الجامعة وعميد كلية التجارة وعمداء الكليات المختلفة جاء فى كلمة رئيس الجامعة •

•••ليس غريبا على الأزهر ولا على جامعة الأزهر أن تشارك فى بحوث الاقتصاد والمعاملات الاسلامية فهو أمر مقرر فى الفقه الاسلامى والذين يدرسون الفقه الاسلامى يعرفون أن هناك بابا كبيرا من أبواب الفقه يتناول المعاملات ، فالدراسة فى الاقتصاد والمعاملات ليس جديدا بل هو أمر مقرر منذ ظهر الفقه الاسلامى فى القرن الاول من الهجرة بل منذ ظهر الاسلام نفسه وعلى هذا فاننا سعداء أن يتفضل الشيخ صالح عبد الله كامل بتخصيص جوائز سواء كانت للرسائل العلمية أو ما يعلن عنه فى الصحف وأجهزة الاعلام •

اننا نحب أن نؤكد على ماجاء فى الاسلام أن المال فى الاسلام وسيلة وليس هدفا ولذلك فان أجيالنا بحاجة الى أن تتعرف على وجهة نظر الاسلام فى كثير من الامور والشئون التى نتسامع بها اليوم ويحلو لبعضنا أن يقول اننا نستورد من الغرب أو نستوردمن الشرق اقتصادا موظفا أو اقتصادا مؤمما أو اقتصادا موجها الخ الكلمات التى يحلو لهم أن يصفوها أمام أعيننا محاولين أن يفهمونا •

وهى محاولات مقضى عليها ان شاء الله •

أنهم هم الذين يصطنعون هذه الامور والحق الذى يجب أن يعرفه الجميع أن الاقتصاد فى الاسلام أمر مقرر منذ أول لحظة نزل فيها دين الله فى الارض •

طالبة مسلمة من ماليزيا تفوز بالمركز الأول مع مرتبة الشرف !!

اعتمد فضيلة الاستاذ الدكتور / محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الازهر نتيجة امتحان بكالوريوس طب بنات الازهر فازت بالمركز الاول الطالبة بلقيس هانوم بنت محمد الماليزيه مع مرتبة الشرف بلغ عدد الناجحات ١٢٩ طالبة •

جائزة ماليزيا العالمية لجامعة الأزهر

عاد وفد جامعة الازهر برئاسة فضيلة الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الازهر والدكتور احمد عمر هاشم عميد كلية أصول الدين بالزقازيق والشيخ محمد بركات ، تسلم فضيلة رئيس جامعة الازهر جائزة • (تون عبد الرزاق) العالمية لجامعة الازهر ، وقد مكث الوفد عشرة ايام بين كوالا لامبور ومقاطعات ماليزيا حيث تم اقامة مؤتمرات وندوات ولقاءات بين رئيس الوزراء والوزراء والسفراء ، وزيارة الجامعات الاسلامية والمدارس والمعاهد ·· كان للزيارة أكبر الاثر فى توطيد العلاقات بين مصر وماليزيا وبين جامعة الأزهر والجامعات الأخرى •

الدرجات للعاملين بأجر نظير عمل بالازهر •

وافق الجهاز المركزى للتنظيم والادارة على طلب الامانة العامة للمجلس الاعلى للازهر الخاص باعتماد الدرجات اللازمة لتثبيت المعينين بأجر نظير عمل فى الأزهر على الدرجات المناسبة لكل منهم حتى تستقر حالته الوظيفية وتقبل بكل جهده على العمل والانتاج •

فى حقل الدعوة والامامة

تبدأ خلال شهر رمضان وشوال دورات تدريبية للعاملين فى حقل الدعوة والامامة والخطابة من أبناء الفلبين وغينيا • ويشرف على هذه الدورات ــ التى ستجرى فى جنوب الفلبين وكوناكرى عاصمة غينيا ــ المجلس العالمى للمساجد ، والاتحاد العالمى للمدارس العربية والاسلامية • وتأتى فى اطار الدورات التى يقوم بها الجانبان فى الأقطار الاسلامية غير العربية ، لتدريب معلمى اللغة العربية ، والثقافة الاسلامية فى هذه البلدان •

مدة كل دورة شهر ، وعدد المشتركين فيها من مائة الى مائتى طالب يدرسون فيها المواد الاسلامية التى تؤهلهم للدعوة والامامة والخطابة بالاضافة الى المواد التربوية والعلمية ، حتى يتمكن الخريج من القيام بواجب الدعوة ونشر لغة القرآن الكريم •

ضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية

صدر قرار دستورى من المحكمة العليا الاتحادية فى دولة الامارات العربية المتحدة باعتبار الشريعة الاسلامية المصدر الأسمى لكل القوانين • وأنه لو صدر قانون خاص بوقف تطبيق الحدود الشرعية يكون غير دستورى لتعطيله حدود الله وأن كل عقوبة تعزيرية

لا تتعارض مع تطبيق حــد الشرب الواجب التطبيق فهى دستورية .

وقد صدر هذا القرار بناء على توجيهــات سمو رئيس الدولة بضرورة تطبيق الشريعــة الاسلامية فى جميع الأحكام . وســتكون لهذا القرار صفة الالزام ، بحيث يكون عــلى كل ذى سلطة أن يبادر بتصحيح ما يخالف القرار المذكور .

١٣٤ يشهرون اسلامهم

ذكرت احصائية صادرة عن دائرة القضاء الشرعى أن مائة وأربعة وثلاثين قد أشــهروا اسلامهم فى الأيام الأخيرة فى دولة الامارات العربية المتحدة . وهم من جنسيات مختلفــة منهم الهندى والبريطانى والفرنسى والأمريكى واليابانى . وقد اختار معظمهم أسماء عربية بعد اسلامهم .

مجلس عالمى للدعوة الاسلامية

أصــــدر المؤتمر العالمى الاسلامى الثانى للدعوة والدعاة ، الذى عقد فى المدينة المنورة أخيرا ، قرارا بانشاء مجلس عالمى للدعــــوة الاسلامية . كما أوصى بضرورة ايداع أموال المسلمين فى مصارف اسلامية ملتزمة بأحكام الشريعة الاسلامية .

وقرر المؤتمر اعتبار قضية فلسطين قضــية اسلامية ، وأن على المسلمين واجب الجهــاد لاسترداد فلسطين والمسجد الأقصى من أيدى المغتصبين ، ووقوف المسلمين بجانب الشعب الأفغانى المسلم فى جهاده ضــد العــــدوان الشيوعى .

مركز اسلامى بمدينة « مالو »

بعد احدى وعشرين سنة من الاعداد لاقامة مركز اسلامى بمدينة « مالو » بالسويد . بدأ تنفيذ المرحلة الأولى لبناء المسجد ومنارته التى يبلغ ارتفاعها أربعين مترا . وفى المرحــلة الثانية يتم بناء مكتبة ومحل لبيع اللحــــوم المذبوحة وفقا للشريعة الاســلامية ، ومأوى للعجزة ، ودار للحضانة ، ومدرسة ، ومدفن للمسلمين .

يتم الانتهاء من بناء المركز الاسلامى بعــد ثلاث سنوات ، ويتكلف المشروع نحو خمسة وعشرين الى ثلاثين مليون « كراون » ساهمت فيها حكومة السويد والمملكة العربية السعودية ومن المنتظر أن يكون لهذا المركز الاســلامى شأن عظيم فى منطقة أوروبا الشمالية .

نشرات بالعربية فى باكستان

بدأت الباكستان فى نشر الأخبار باللغــــة العربية . ويرى المراقبون أن هذا يعد خطوة

جادة لجذب الاهتمام باللغة العربية فى المنطقة الآسيوية واعترافا بأهميتها ومكانتها ، واهتمام باكستان باللغة العربية نابع من الروح الاسلامية القوية التى تسود المجتمع الباكستانى ، وتجعل منه قلعة من قلاع الاسلام .

(عكاظ ٢٦ فبراير)

وثيقة لاصلاح التعليم

شكلت ندوة الثقافة التى نظمتها « المنظمة الاسلامية » للتربية والثقافة والعلوم — لجنة صياغة للنظر فى وثيقة عمل حول تكريس الجهود للبحث فى وسائل اصلاح ما يعانيه العالم الاسلامى فى مجال التربية والتعليم .. وتتضمن الوثيقة عددا من المقترحات عن كيفية جعل التعليم اسلاميا فى كل مراحله .

وذكرت وكالات الأنباء « تونس افريقيا » أن الندوة صدقت على اقتراح يهدف الى جعل الثقافة الاسلامية محور مناهج التعليم ، وذلك بمساعدة خبراء فى التربية والتعليم والاعلام .

البدء فى بناء مسجد روما

قالت مصادر رسمية فى بلدية « روما » ان العمل فى بناء مسجد روما سيبدأ قريبا بعد منازعات استمرت سبعة أعوام . وسيقوم عمال البلدية بهدم منزل قديم فى منطقة « مونتى نيينى » الواقعة فى حى « باريولى » المعروف . لأن المنزل القديم داخل القطعة التى تبرعت بها بلدية العاصمة للجالية الاسلامية والتى تبلغ مساحتها خمسين ألف متر مكعب .

وبعد استكمال هدم المنشآت القائمة فى هذه القطعة . يبدأ العمل فى مسجد روما الذى شهد منذ عام ١٩٧٧ حملة شعواء ضد وجوده فى هذه المنطقة على يد منظمة تدعى « ايطاليا لنا » « ايتاليا نوسترا » يشك فى اخلاص ونقاء مبرراتها المعارضة لبناء مركز عبادة دائم لأكثر من مائة ألف مسلم يعيشون فى العاصمة الايطالية .

مسجد جديد بـ « ويلز »

تم افتتاح مسجد جديد بمقاطعة « ويلز » فى بريطانيا تكلف ستمائة وخمسين ألف دولار . ويضم مدرسة وعدة مبان لاقامة الصلاة .

معهد للشئون الاسلامية بامريكا

أقيم مؤخرا احتفال بالعاصمة الأمريكية لتحويل لجنة الاحتفال بمقدم القرن الخامس عشر الهجرى الى معهد دائم للدراسات الاسلامية .

كانت لجنة الاحتفال بمرور أربعة عشر قرنا

على الهجرة النبوية تأسست سنة ١٩٧٩ م • وقامت منذ ذلك الحين بدور كبير وفعــال فى التعريف بالاسلام وبالتراث الاســلامى فى الولايات المتحدة ، وعن طريق عقــد الندوات والمعارض والمحاضرات المتعلقة بالاســـلام والتاريخ الاسلامى فى الجامعات والمؤسسات والمعاهد العلمية والمكتبات فى كثير من الولايات الأمريكية •

وقد أعلن « كريستوفر خان هولين » مدير المعهد الجديد ، فى تصريح أدلى به بأن المعهد سوف يسير على النهج الذى سارت عليه لجنة الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجــرى ، ولا سيما بالنسبة للتعريف بالاسلام والتاريخ والتراث الاسلامى فى الغرب •

دار القرآن الكريم بحيدر أباد

تم تأسيس دار للقرآن الكريم لنشر الدعوة الاسلامية بحيدر أباد بالهندلطلابها ومحبيها • وتتبع دار القرآن الكريم منظمة « الخــدمة الاسلامية » • وجدير بالذكر أنأهم مشروعات منظمة الخدمة الاسلامية تنحصر فى الأعمال العالمية والدينية وتقدم تفاصيلها للنــاس • وستحظى دار القرآن الكريم • وهى أحــد مشروعات الخدمة الاسلامية بخدمات علمــاء حيدر أباد وأصحاب الآراء المسلمين • ويعتزم المشرفون على الدار القيام بنشر تعليم القرآن الكريم بين النــاس وترغيبهم فى ممارســة السلوك بالخلق الاسلامى •

اكاديمية اسلامية

تم فى مدينة « كيمبردج » بانجلترا انشــاء مؤسسة للأبحاث العلمية والدراسات باســم الأكاديمية الاسلامية • بهدف اعــداد المناهج والمقررات الدراسية وشتى فروع المعرفة •

وقال الأمين العام للمؤسسة الدكتور سيد على : ان الهدف من وراء انشاء الأكاديمة هو القيام بصياغة المفاهيم الاسلامية لكل فرع من فروع المعرفة على أساس القرآن والسنة فى مواجهة المفاهيم العلمانية السائدة الآن • كما أن الضرورة تقتضى قيام مؤسسة للأبحــاث يستطيع العلماء منخلالها تنفيذ هذا البرنامج•

ويقول الأمين العام : ان هـــذه المؤسسة ستكون بمنأى عن النفوذ والسيطرة المباشرة لأى بلد ، حتى يمكننا تقديم الأبحاث بتجرد وحياد ، وهذا هو السبب فى اقامتها فى قطــر غربى حر مثل انجلترا •

معهــد للترجمة الاسلامية

بدأت اقامة معهد الترجمة الاسلامى الذى ينبع منظمة المؤتمر الاسلامى • والغرض منه

تنظيم وتكثيف نشاط الترجمة بعد أن كانت مجهودات فردية • وهدفه اعداد متخصصين فى ترجمة الفكر والتراث الاسلامى من اللغة العربية الى اللغات الأوروبية والافريقية والآسيوية والعكس ، حتى نأخذ بالمعارف والعلوم العصرية الحديثة • ونمد الجماعات الاسلامية غير الناطقة بالعربية بما تحتاجه من معرفة بأصول دينها وفروعه •

آراء

اعداد/عبد الفتاح السيد عبد السلام

كتب السيد/ربيع السيد أحمد — الصف — جيزة ••

مقترحا أن تنشر المجلة فى باب دراسات فى السنة مقالا شافيا يوضح فيه الكاتب كيفية الفرق بين الاحاديث الصحيحة والاحاديث الضعيفة لكى نعرف الفرق بينهما ووفقكم الله الى ما فيه الخير •

المجلة تشكر لك هذا الاهتمام وسنعمل ان شاء الله على هذا ونسأل الله ان يوفقكم ويوفقنا لما فيه الخير للاسلام والمسلمين •

كتب السيد/عبد القادر السيد محمد — السيدة زينب — القاهرة ••

يقول نرجو متابعة قصص الانبياء حتى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لأننا استفدنا كثيرا من قصة سيدنا شعيب عليه السلام ونحن فى حاجة ماسة الى هذه القصص لعدم وجودها فى أسواق الكتب بمثل هذه الجودة التى رأيناها •

*** المجلة تشكر لك هذا الشعور الطيب محاولة تنفيذ ذلك ووفقكم الله •**

ردود خاصة الى السيد/عبد الرحمن على رجب — كلية اللغة العربية — جامعة الأزهر :

الكتابة فى المجلة ليست قاصرة على أفراد معينين ولكن لمجلة الأزهر طابعها الخاص بها وهى ترحب بالبحوث العلمية المبتكرة • وفقك الله الى مايحبه ويرضاه •

حظى الاستاذ/كمال الدين كامل محمد حسن النفاض •

وكيل مدرسة حلوان الثانوية للبنات — وزارة التربية والتعليم بلقب « المعلم المثالى » لجمهورية مصر العربية •

الأستاذ خريج كلية اللغة العربية — جامعة الأزهر •

لفضيلة الاستاذ الدكتور/محمد عبد الخالق عضيمة « رحمه الله » موسوعة : « دراسات فى مسائل القرآن الكريم » •

تقع الموسوعة فى أحد عشر جزءا تعتبر « معجما نحويا صرفيا للقرآن الكريم » •

انتهى — رحمه الله — من تأليفها عام ١٩٨١

فهرس العدد

الموضوع — الصفحة

- الاسراء والمعراج من معجزات الرسول
  لفضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر ... ١٠٣٧
- آيات الغيب فى عالم اليقين
  للدكتور على احمد الخطيب ... ١٠٤١

باب (دراسات قرآنية)

- ازمة خلقية فى قصر عزيز مصر
  لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير ... ١٠٤٦
- الحمد فى القرآن الكريم
  للدكتور محمد محمد خليفة ... ١٠٥٤

باب (فى التشريع)

- حديث فضيلة الامام الاكبر لمجلة « اخبار العالم الاسلامى »
  للاستاذ منير حسن منير ... ١٠٦٢
- مبادىء القانون الدولى العام فى الاسلام
  للدكتور محمد عبد الله دراز ... ١٠٧٢
- شرعية الذبح فى البلاد غير الاسلامية
  للدكتور حسين امين زيتون ... ١٠٧٧
- تحقيق عن اللحوم المستوردة ··· والدول النامية
  الدكتور على احمد الخطيب ... ١٠٨١
- تاثير « الهرمونات » على العنصر الحيوانى
  الدكتور ثلاث اسماعيل محمد ... ١٠٨٨

باب (فى مواجهة الراى الآخر)

- آراء ··· وآراء حول تطبيق الشريعة الاسلامية
  المستشار السيد عبد العزيز هندى ... ١٠٩٠
- آراء ··· وقضايا
  للاستاذ محمد حسام الدين ... ١٠٩٦
- ليلة الاسراء
  للشاعر عبد العليم القبانى ... ١١٠٢
- فى ذكرى الاسراء والمعراج
  للاستاذ عبد الفتاح الطاهر ... ١١٠٣
- حديث القمر
  للاستاذ الدكتور حسن جاد ... ١١٠٤
- من وحى الاسراء والمعراج
  للاستاذ محمود شاور ربيع ... ١١٠٦
- الشعر الجديد
  للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ... ١١٠٧
- الشاعر محمود ابو الوفا
  بقلم احمد مصطفى حافظ ... ١١١١
- طرائف ومواقف
  للاستاذ عبد الحليم محمد عبد الحليم ... ١١١٨
- سفراء النبى صلى الله عليه وسلم وكتابه
  للدكتور مختار الوكيل ... ١١٢٠
- من اعلام الازهر (الشيخ عبد الرحيم فوده)
  للاستاذ السيد حسن قرون ... ١١٢٦

باب (من التراث)

- مجلة الأزهر من خمسين عام
  اعداد وتقديم عبد الفتاح حسين الزيات ... ١١٣٨
- من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر
  للاستاذ محمد عميره على ... ١١٤٤
- الفتـاوى
  اعداد عبد الحميد السيد شاهين ... ١١٤٨

باب « اللغة والأدب والنقد »

- كل ـ كلما
  للاستاذ احمد حسن عبد العواض هلالى ... ١١٥٢
- مصادر العقد الفريد وطريقة ابن عبد ربه فى الرواية والصياغة
  للدكتور احمد محمد النجار ... ١١٥٩
- حاجتنا الى فن ادبى اسلامى
  للدكتور يوسف نوفل ... ١١٦٤
- الاستفناء فى اللغة العربية
  للدكتور حمدى عبد الحميد المقم ... ١١٦٦
- شوقى بين مجد الاسلام وعظماء رجاله
  للدكتور محمد سلامة صالح ... ١١٧٢
- مع روجيه جارودى فى كتابه ما يعد به الاسلام
  (عرض وتعليق) ا· د· طه مصطفى ابو كريشة ... ١١٨٠
- انباء وآراء
  للاستاذة صفوت عبد الجواد ...
  عبد الفتاح السيد عبد السلام ...
  احمد عبد الرحيم الشايح ... ١١٩٠

القسم الانجليزى

- المقال الثانى
  للاستاذ سليمان بركات ... ١٢٠٠
- المقال الأول
  الدكتور السى النجـار ... ١٢١٠
  مراجعة وعناوين داخلية
  الاستاذ عبد المنعم ابراهيم مهنا ...

earth, Director of forces and fates, founder of causes and courses. Such is the nature framed by Allah by which He has created man.

Promise and warning, both in this life and in the Hereafter. According to the Qur'an, the righteous are promised in this life establishment in the land and inheritance of power; whereas adverse consequences and dreadful inflictions that no one can repel await the infidels who deny the Reality. Concerning the Hereafter, the Qur'an portrays the endless and unalloyed delight of the Garden, which allures man into seeking the pleasure of the Creator. On the other hand, the Qur'an portrays the terrors of Doomsday and points out the inevitable abasement into ceaseless punishment of the unbelievers.

These are the objects of the Holy Qur'an and the way it teaches. It is therefore a must that we turn towards it to recite it of listen to its recital. We have also to make out its ordinances and follow its requirements. This will surely make it easy for us to find our right way and broaden our understanding of this blessed Book. We will certainly apply its teachings on ourselves as well as on our folk. In this way, we attain the pleasure of Allah and His requital for it, both in this life and in the Hereafter.

As to those who hold fast by the Book
And establish regular prayer, never
Shall we suffer the reward
Of the righteous to perish

(Surat Al-A'raf Vll, 170)

* Translation from :

To the Glorious Qur'an

Imam Mahmoud Shaltout
Pulications of Administration of Islamic Culture
Azhar University
Cairo - 1962

the employer and the workman, the landlord and the tenant, man and neighbour, property and mortgage, ruler and subject, crime and punishment, peace and war, covenants and immunity, retaliation and absolution, inland and abroad, and all that governs man's life and society.

The Qur'an also points out the sources of Islamic Law. These are : the Qur'an , the Tradition and the well-founded conclusion of the learned and thinking Imams, drawing on the Qur'an and the Tradition. As for government, the Qur'an ordains it to be based on "Counsel" , which has to be a peculiarity of Muslims.

Such are the mainlines of the objects of the Glorious Qur'an. The Qur'anic call to such objects has its manifestations in the following :

1. Drawing men's attention to consider the dominion of the heavens and the earth and what Allah has created. This will persuade man to look at the prints of Allah's mercy and omnipotence. The hearts will then be swollen with faith in His existence and greatness. Rather than limitation or invention, such faith will be based on solid grounds of personal findings and conviction. For Allah has honoured man's intellect and opened for it the door to research in all fields.
2. Narratives of the history of mankind, of individuals and nations, good and bad. The Qur'an provides different moving parables and examples which hammer consideration into minds and hearts, and show Allah's means of requiting man. In doing this, the Qur'an does not follow patterns of history books concerned with times, lands and people, arranged chronologically nor does it aim to exhibit wonders and abnormities as fables.
3. Awakening man's inner feelings to inquire into his origin, substance, constitution, life and fate. This will guide him to the acknowledgement of Allah, God of the heavens and the

THE OBJECTS OF THE HOLY QUR'AN

Creed purifies the heart from all traces of atheism, and polytheism. It brings man in spirit, into contact with the Holy unseen Reality. It encompasses all that man has to embrace as regards the attributes of Allah (Exalted be He), the Angels, the Apostles, the Holy Scriptures, Resurrection and Requital on the Last Day.

Morality polishes man's character and refines his manners. It elevates both individuals and society, and strenghens the ties of fraternity and co-operation. It constitutes sincerity, steadfastness. Loyality, fidelity, clemency and sympathy. Morality is both the necessary soil and the blessed fruit of man's faith.

Law is all that Allah(Exalted be HE) has decreed or pointed to in His Book and made incumbent on man. Almost on the same footing it embraces man's attitude both towards his Maker and towards his fellow creatures. It demonstrates the acts of worship that must be observed; namely, prayers, almsgiving, fasting, pilgrimage, oath-taking, and in fact all that nourishes faith in the heart and hleps it bear its admirable fruits. It also embraces all that can be labelled

"Personal Statute Law", "Commercial Law","Penal Law", " Military Law", "International Law" and so on. It cares about marriage and divorce, child and parent, the present and the missing, the well-off and the needy, the dead and the living, the seller and the buyer, the creditor and the debtor

THE OBJECTS OF THE HOLY QUR'AN

by: Soliman Barakat

The Holy Qur'an is the last and unsucceeded heavenly Book which Allah (Exalted be He) has sent down for the guidance of the entire mankind. Allah (Exalted be He) reveals:-

A.L.R. A Book which we have revealed
Unto thee, in order that Thou mightest
Lead mankind out of the depths of darkness
Into light- by the leave of their Lord - to the
Way of (Him) the Exalted in power,
Worthy of all Praise.

(Surat Ibrahim, XlV, 1)

Verily this Qur'an Doth guide to that
Which is most right, and giveth the glad
Tidings to the Believers who work
Deeds of righteousness, that they
Shall have a magnificent reward

(Surat Bani Isra-il,XVll,9)

From this, it is quite clear that the Qur'anic objects have three themes of subject matter; namely creed, morality and law.

THE SUMMONS IN PUBLIC

The tyrannical oppression and cruel antagonism continued from Koraysh to Muslims in resolute pitiless and bitter severity. Amidst this were instances of negotiative approaches and challenges.

Prayers and Peace from Allah upon our magnanimous Prophet.

References:

1) Alsira Alnabawiah
3rd. Edition 1981
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Publisher, Dal Al Sharook, Jeddah

2) Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
24th. Edition 1978
Sheikh Mohamed Alkhodary Bey
Publisher, Great Commerical Library, Cairo

3) Mashahid min Alsira Alatirah
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library - Cairo Printed 1980

4) Hayyat Mohammad
Mohammd Hussein Heikal
Dar Al- Marrif, 1977, Cairo

5) The Holly Qur'an
Text , Translation and Commentary
Abdullah Yusuf Ali

6) Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramadan Albooty
7th. Edition, 1977
Dar Al Fikr , Cairo

It is revealed to me by revelation that
Your God is one God : so stand true to Him,
And ask for His forgiveness. And woe to those

Who join other gods with God.

(Surat Fussilat, XLl, 1-6)

Then the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) told Utbah " You have heard, and I leave you to that". When Utbah returned to Koraysh he told them " I have heard words, never have I heard the like, it is not poetry, it is not witchcraft, neither it is sorcery nor delusion.

Leave the man to his concern, I have heard words that will have dominant renown". Koraysh then suggested to the Proph- et (Prayers and Peace from Allah upon him) to participate in their creed of worship, and they will participate in his creed of worship; that suggestion was utterly refused, and in this the Qur'an states

Say : O ye that refject faith
I worship not that which ye worship,
Nor will ye worship that,which I worship
And I will not worship that which
Ye have been want to worship
Nor will ye worship that which I worship
To you be your way , and to me mine.

(Surat Kafirun, CiX , 1-6)

ed other patterns of policy, that of negotation and dialoge. They deligated as their envoy Utbah Ibn Rabieah Alabshamy from Bani Abd-Shams to meet and talk with the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him), Utbah said " Nephew, you are amongst us of high esteem, and you came to us with a matter that has disturbed their ideas, abolished their beliefs, denied their gods, and caused great commotion in their society.

Listen to me offer you ideas for your choice. If it is wealth you seek, we will provide you to make you the richest; if you seek rank, we will nominate you leader and king; and if you are bedeviled or bewitched, we will spend for your cure". The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) said "if you have finished, now listen to me, and recited from the Qur'an

Ha-M.A revelation from the Most Gracious, the Most Merciful.
A book, whereof, the Verses are explain in detail;
A Qur'an in Arabic, for people who understand;

Giving Good news and Admonition, yet most
Of them turn away, and so they hear not.
They say : Our hearts are under veils concealed
From that to which thou dost invite us, and
In our ears is a deafness, and between us

And thee is a screen : so do thou what thou wilt.
For us, we shall do what we will.
Say thou , I am but a man like you,

humility. Even the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) himself, and several followers including Abu Bakre who belonged to high ranking clans of Kuraysh; did not escape the fierce, violent, blind, brutal and coercive conduct of Koraysh towards muslims. Examples of Bilal Ibn Rabah, Ammar Ibn Yaser and his parents, Musaab Ibn Umair, Khabbab Ibn Alberet, are but very few representative models of the numerous other muslims that experienced the relentless obstinate ruthless cruelty and torture which Koraysh inflicted upon muslims. The Prophet himself (Prayers and Peace from Allah upon him) was beaten, ridiculed, atrociously contempted and humiliated; always confronted with scornful sarcasm and satiric derisive actions and speech. However, inspite of all the intense pitiless and unyielding oppression and despotic enmity of Koraysh; the muslim minority stood their grounds with patience, steadfastness, firm conviction, true faith, and absolute belief that Allah (Exalted be He)will vindicate and champion them both in this life and in the Hereafter.

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) was once struck and cursed by Abu Jahle(Amr Ibn Hisham) in public. The incident was related to Hamza Ibn Abdel Mutaleb who became violently angry and outraged, and went directly to where Abu Jahle sat among men of Koraysh and with full intention struck Abu Jahle with his bow to wound his scalp and said " How dare you beat and insult my nephew when I follow his creed, spead as he speaks, and think and believe as he thinks and believes".This was the Islam of Hamza whose bravery and compelling personality gave him the high ranking honour and prestige in the defence and propagation of Islam.

Together with tyranny and persecution, Koraysh tri-

THE SUMMONS IN PUBLIC

The opposition and contradiction of Kuraysh to the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) escalated into tyranny, oppresion, humility, and inflicting harm upon him and his followers. The Prophet (Pryaers and Peace from Allah upon him) was protected by his uncle Abu Taleb as chieftain of Bani Hashim. Some men from Koraysh spoke to Abu Taleb compalining that his nephew ridiculed their creed , and mentioned their gods with cantempt and derision; and asked him to stop his nephew from such action, or to lift his protection and allow them to deal with him. Once again they came to Abu Taleb, this time they were severe in words and impatient in demand, they threatened open confrontation. Abu Taleb mentioned the matter to his nephew the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) who replied with the famous statement " Uncle, I vouch by Allah, if they place the sun in my right hand and the moon in my left hand to leave that matter, I shall not; untill Allah exposes it or I cease to exist". Abu Taleb in reply to this statement affirmed his protection to the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him), who continued with conviction and steadfastness the call and public summons to the new faith of Islam and its doctrines as directed and commanded by the continuing revelation.

The opposition and antagonism of Kuraysh was fierce; and the tyranny, oppression,humility, cruelty, torture, and severe torment which they inflicted on muslims was beyond measure. Inprisonment, chain binding, carnal pain, hunger, thirst, flog with whip and lash were all common daily paractices. No muslim escaped the opposition and antagonism of Kuraysh; and very few escaped the intense severe carnal cruelty, torture and torment; and all muslims experienced the tyranny,oppression and

to grace justification, purification, consecration, salvation, and devout reverence.

The call to atonement, restitution and redemption; the call to worship Allah the One god, the Creator, the Almighty, the Omnipotent, the Eternal, the Absolute, the Infinite....; the call to belief in the Revelation, in the Messenger, in the Unseen, and in the reward and punishment in the Hereafter.

The reaction of Kuraysh to the call of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) was absolute denial and rejection to the call. They abjured and disdained with incredulity and skepticism the doctrines of the belief he presented. They justified their reaction with the allegation and pretext that they cannot conceive to denounce and condemn the faith they inherited from their fore-fathers which is ideographic of their identity and representational of their creedal system. In answer to their allegation, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) exploited their logic and reasoning, and addressed their minds as to the basic need and necessity to liberate their thoughts and beliefs, and emancipate themeselves from bigotry and chauvinism. The gods they worshipped were worthless stone idols incapable of benefit or harm; and that following their fore-fathers in their creedal system was no justification; and that simulation with repetitive imitation of feudalism of worship should be discarded. These imitative traditions are parasitic patterns of human conduct that spontaneously grow to cover and engulf the normal law and logic of human behavior and mind. The people of Kuraysh remained to reject and refuse, they unanimously decided to oppose and contradict the message of the new faith.

THE SUMMONS IN PUBLIC

In conformity with the divine command, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) started to summon call to Islam by public announcement, first to his Kinsmen and then to the inhabitants of Macca at large. He ascended the Safa and called all the clans of Kuraysh by name to gather and hear his words. He asked them " Would you believe me if I tell you that from where I stand, I see horses along that valley yonder ready to raid upon you ?". The audiance from all the clans of Kuraysh Knowing him as the honest and truthful , and accepting that by standing on the Safa, could have wider and more clear vision than below the Safa- They answered "We believe you , we vever knew you to lie". The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) said " I am indeed he that warns you openly, and without ambiguity - I am the Messenger of Allah to you and to all mankind. You will be judged in the Hereafter, rewarded for good deeds, and punished for evil ones - it is paradise or hell". All attendants remained silent except his uncle Abu Lahab who said in denying hostile repugnance " Is that all you summoned us for?".

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) with confident belief and conviction obeyed the divine command to admonish his nearest Kinsmen, and publicly call for the worship of Allah and that Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) was the Messenger of Allah. The performance of the command was undertaken in frank open simple and direct straightforward manners. There was no mincing of words or compromises with contradictions. The mannerism by which the divine command was executed indicates the sagacity and wisdom of speaker, and designates the status of prophethood. The call to freedom from paganism and idolatry, from profanity and heathenism; the call

THE SUMMONS IN PUBLIC

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

The summons to Islam in secret lasted for three years from the start of the Revelation. The second phase of the call to Islam started by divine command from Allah to the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) to expound his call openly in public and to advice and warn his nearest Kinsmen.

Therefore expound openly what thou art commanded,
And turn away from those who join false gods with God.
(Surat Al-Hijr,XV,94)

So call not on any other god with God,
Or thou wilt be among those under the penalty,
And admonish thy nearest Kinsmen, and lower
Thy wing to the Believers who follow thee.
Then if they disobey thee,
Say, " I am free from what ye do !
And put thy trust on the Exalted
In Might - The Merciful.
' Surat Shu'araa,XXVl,214 - 216)

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة الأزهر

التقيت به فى رحلة مباركة :

كان هو الصديق العالم د / فانيام مبادى عبد الرحيم .

أعرف فيه — ولا أزكى على الله أحدا الحرص على الدين ، والاهتمام بالأزهر الشريف خاصة ، فقد حمل منه أرفع درجاته العلمية فى اللغويات .

سألنى — فى احتجاج مصحوب بأسف أليم :

كيف سمح الأزهر لنفسه أن يشرف وليم ويلكوكس على مجلة الأزهر ، وتخرج المجلة الى المسلمين حاملة اسم هذا الرجل ؟ .

قلت : ذلك لم يحدث أبدا . قال : هذا هو الدليل .

ثم أخرج كتابا أورد باحدى صفحاته فقرة عن اللغة العامية مصدرها مجلة الأزهر التى يشرف عليها وليم ويلكوكس المستعمر سالف الذكر ، والتى صدرت فى القرن الماضى داعية الى استعمال العامية ونبذ الفصحى لأن الفصحى سبب تأخر المصريين ، وأشتد بذلك فى دعوته .

الجزء الثامن — السنة السادسة والخمسون

مايو ١٩٨٤ ميلادية — شعبان ١٤٠٤ هجرية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

د . على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان : إدارة الأزهر بالقاهرة

٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف

قلت : هى ليست مجلة الأزهر الصادرة عن مشيخته ، وانما هذه مجلـــة أطلق عليها صاحب امتيازها اسم مجلة الأزهر .

قال : ليس يعلم ذلك كل أحد . قلت : صحيح !!

وعلمت بذلك واجبى ، فاذا كنـــا ــ نحن فى مصر ــ ندرك هــذه الحقيقة ، فان المسلم فى بقاع العالم الاسلامى تتشرد عنه ، فما أن عدت الى أرض الوطن حتى اســتعنت بالله وكلفت زميلا بتقديم دراسة وافيــة عن هــذه المجلة اثباتا للحقيقة ، وعثــر الزميــل على مجلتين لا واحدة تحمل اسم الأزهر ولم تصدرا عنه ،وابتداء من هذا العدد يجد القارىء دراســة مستوفية عنهما .

فأما مجلتنا هذه ... مجلة الأزهر الصادرة عن مشيخته ، فقد قدم اقتراح بانشـــائها الى المجلس الأعلى للأزهر فى جلسته المنعقدة فى ٣ من جمادى الآخرة عـــام ١٣٤٥ المـــوافق ٨ ديسمبر ١٩٢٦ ثم عرض الموضــوع عــام ١٩٢٧ م فشكلت لجنة من الشيخ أحمد هرون المــدير العام للمعاهــد ، والشـــيخ محمــد عبد اللطيف الفحام وكيل الجــامع الأزهـــر ، والشيخ عبد الغنى محمود شيخ معهد طنطـــا رحمهم الله أجمعين .

ثم أدرج لها ميزانيـــة تخصـــها فى عـــام ١٩٢٩ م ، واهتم الامام الأكبر الشيخ محمـــد الأحمدى الظواهرى بها وتوجهت عنايته اليها حتى صدر أول أعدادها فى المحـــرم ١٣٤٩ هـ الموافق ١٩٣١ باسم « نور الاســــلام » ثم حملت اسم مجلة الأزهر ابتداء من منتصف عام ١٣٥٤ الهجرى وكتب رئيس تحريرها .. بهذا الصدد يقـــول :

« رأى حضرة صاحب الفضـــيلة الأســـتاذ الأكبر أن يغير اسم هذه المجلة فجعلـــه (مجلة الأزهر) بدل (نور الاسلام) وهو عمل حكيم ، فان هذه التسمية الجديدة دلالة ذاتيـــة على مصدر المجلة وبيانا لوجهتها وغايتهـــا خـــلافا للاسم القديم ، فـــانه لا يفـــرق بينهـــا وبين ما يصدره الأفراد من المجلات فتحتاج معهـــا الى التعريف والتمييز .

وقد ظهرت هذه المجلة من أول هذا العدد بهذا الاسم الجامع ، فنرجو الله أن يجعلـــــه فاتحة عهد جديد لها تنال فيه غاية ما قدر لهـــا من ذيوع وانتشار وتؤدى للعالم الاســـلامى كله ما يتطلـــع اليـــه من غـــذاء عقلى وروحى وما يرمى اليه من ثقافة عامة وارتقاء فكـــرى

محمد فريد وجدى » .

ولئن كـــان هنـــاك عبـــرة تطرحهـــا الأحـــداث ، فانما هى كلمـــة تقال لكـــل مسلم : انك على ثغرة من ثغر الاســــلام فاحذر أن يؤتى الاسلام من قبلك .

للدكتور أحمد على الخطيب

دراسات قرآنية

دراسة قرآنية

نظرات قرآنية

الحمد فى القرآن الكريم

دراســـة قــرآنيـــة

إيمان ابراهيم عليه السلام لاشـك فيــه ..

قال الله تعالى فى سورة البقــرة « وَإِذْ قَــالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى » الآية ٢٦٠

ابراهيم ــ عليه السلام ــ رسول الله وخليله ، كما أنه أبو الأنبياء والمرسلين ، فولداه اسماعيل واسحاق رسولان .

ومحمد خاتم الأنبياء والمرسلين من ولد اسماعيل ــ عليهما الصلاة والسلام ــ ، ويعقوب ــ عليه السلام ــ رسول وهو من ولد اسحاق بن ابراهيم ، وكما يسمى يعقوب يسمى اسرائيل واليه ينتهى أنبياء بنى اسرائيل ورسلهم .

ومع مكانة ابراهيم وعراقته فى الخلة والرسالة وأبوته للمرسلين ، نجده فى هذه الآية الكريمــة يسأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ، فيقول له ربه « **أَوَ لَمْ تُؤْمِن** » فيجيبه بقوله : « **بَلَى وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى** » أى نعــم آمنت ولكن ليطمئن قلبى .

وجوابه هذا يشعر أنه غــير مطمئن القلب ، ومن كان كذلك فكيف يكون مؤمنا ، وكيف يجيب بقوله : بلى آمنت ، مع أن أســاس الايمــان طمأنينة القلب ، وكيف وصل الى الرسالة والخلة وهو غير مطمئن القلب .

هذه أسئلة تمر بعقل من يقرأ هــذه الآيــة الكريمة ومن يسمعها ، ومن أجل ذلك كان لابــد من الجــواب عليهــا ، لتنتفى عن النفس تلك الخواطر التى تعتمل فيها نحو رسول الله وخليله وأبى الأنبياء والمرســلين ــ عليهم الصــلاة والسلام ــ .

الجــواب

اذا تأمل القارىء أو السامع صورة السؤال يشك فى ايمان ابراهيم ــ عليه السلام ــ بأن الله تعالى يحيى المــوتى وقت توجيهه لهـ ا السؤال ، فانه لم يقل : أأنت تحيى الموتى ، بل قال : كيف تحيى الموتى ؟ وهذا يدل على أنــه مؤمن بأن الله تعالى يحييهم ، ولكنه يريد أن يعرف طريقة احيائه اياهم وكيفيته ، فكأنه يقول عرفنى طريقة احيائك الموتى ، وهذا كمن يقول لمن اخترع آلة لصنع الخبز ــ وهو يعلم أنــه مخترعهــا ــ أرنى كيف صــنعتها ، أى عرفنى

للشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

الخطوات التى أتبعتها فى صنعها ، فسؤاله هذا ليس فيه شائبة الشك فى أنه صانعها، بل الغرض منه أن يعرفه طريقة صنعها •

فالسؤال بكيف يكون عن كيفية شىء مقرر الوجود عند السائل والمسئول جميعا ، فان قيل: لو كان ابراهيم — عليه السلام — مؤمنا بأن الله تعالى يحيى الموتى ، وأنه يريد أن يتعرف طريقة فى احيائهم ، لما قال له سبحانه : أو لم تؤمن •

فالجواب أن المراد بقوله تعالى «أَوَ لَمْ تُؤْمِن» أنك آمنت باحيائى لها وهذا يكفيك ، فانك تعلم أن من قدر على الابداع قدر على الاعادة ، فأى داع لطلبك معرفة كيفية احيائها •

فالاستفهام فى قوله « أَوَ لَمْ تُؤْمِن » انكارى بمعنى النفى ، وهو مسلط على النفى بعده ، ونفى النفى اثبات ، أى أنك تؤمن فلماذا تسأل ؟

وقد أجاب ابراهيم — عليه السلام — ربه بأنه مع كونه آمن بأنه يحيى الموتى ، له غرض آخر من طلبه من الله تعالى أن يريه كيف يحييها وهو أن يطمئن قلبه •

وقد كنى بطمأنينة القلب عن العلم والمعرفة ، فهو من اطلاق اللازم وارادة الملزوم ، ولاشك أن العلم بالمجهول يجعل القلب مطمئنا الى ماعلم بعد أن كان قبل علمه تواقا الى المعرفة طالبا لها، غير مطمئن القلب الى حالة الجهل التى تلف فؤاده وتكتنفه فطالب المعرفة يدعوه قلبه الى أن يتعرف ما جهل ، لا شكا بل تعلما ، ولا يستقر فؤاده حتى يبلغ ما يريد من المعرفة •

النبى ينفى الشك عن ابراهيم

ولقد نفى النبى — صلى الله عليه وسلم — الشك عن جده ابراهيم بأروع أسلوب من التواضع فى تقرير الحق حيث قال « نحن أحق بالشك من ابراهيم اذ قال «رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى(١) » يعنى أنه لو كان ابراهيم — عليه السلام يشك فى قدرة الله على احياء الموتى ، لكنا نحن الأنبياء أحق بالشك منه ، واذا كنا لا نشك فى احياء الله للموتى ، فأبونا ابراهيم أولى منا بأنه لا يخالجه شك فى قدرة الله على ذلك •

ما يقوله المفسرون فى الآية

يقول المفسرون : انه سأل ربه ذلك لينتقل من مرتبة علم اليقين الى مرتبة عين اليقين ، وليس الأمر كما قالوا ، فانه يفتح أبواب الشر ، فانه اذا كان الأنبياء لا يكتفون بعلم اليقين الناشىء عن آيات الله ، بل يريدون يقينا نابعا من المشاهدة ، فان غيرهم يكون معذورا ان طلب مثل ما طلبوا فان لم يجابوا فلا حرج عليهم ان ظلوا فى حيرة واضطراب ، وهذا — بلا شك — يفتح باب الشك والعذر لمن لا يجد المشاهدات

(١) من حديث اخرجه الامام البخارى بسنده فى كتاب بدء الخلق •

دراســة قــرآنيــة

التى توصله الى عين اليقين .

والذى أراه أن ابراهيم — عليه السلام — ، طلب أن يعرف ذلك لينتقل عنـه الى الناس عبر الأجيال ، حتى يكون حجة من الله على خلقه ، اذ لم يكن هو بحاجة الى معرفته ، لمكانته عنـد الله نبوة وخلة .

فاذا كان الأنبياء لا يجوز عقلا أن يختـارهم الله الا من أصحاب اليقين الذى لا غاية وراءه ، فكيف يكون خليل الله وأبو الأنبياء محتاجا الى عين اليقين ليثبت به فؤاده .

فالحق أنقصة ابراهيم هنا تصويرية وتعليمية للناس ، اذ فرض نفسه فيها غير مطمئن القلب الى احياء الموتى ، وطلب الدليـل الحسى الذى يوصل الى الطمأنينة ، لغرض هداية الحيارى والمتشككين .

كما كان شأنه مع عباد الكواكب ، فقد فرض نفسه أمامهم جاهلا بالخالق سبحانه وتعالى . ثم جعل يتعرفعليه ، «**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ، فَلَمَّآ أَفَـلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ الْآفِلِينَ**» وهكذا ظل يشير الى أمارات بطـلان عبادتهـا ، حتى انتهى الى قوله « **يَاقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّـذِى فَطَرَ السَّـمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًـا وَمَا أَنَـا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** » . كل ذلك حدث وهـو عارف بربه، عالم بأنه خالق الأرض والسماء ، ولكنه أسلوب تجاهل العارف ، لغرض هـداية من لا يعرف ، وسنفرد لذلك مقالا ان شاء الله تعالى وحسبك دليلا على يقين ابراهيم عليه السلام باحيـاء الله للموتى وبعثهم ، ما نقله الله تعالى عنه فى قوله « **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ** » الآية

ووجوب الايمان بالبعث قـدر مشـترك بين جميع الناس ، فكيف بالأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — ، أما ما قيلمرويا عن الحسن وقتادة وغيرهما . من أن ابراهيم ، رأى جيفة نصـفها فى البر تتنازعه السـباع ، ونصـفها فى البحر تتنازعه الأسماك ، فلما رأى تفرقهـا أحب أن يرى انضمامها . فسأل ليطمئن قلبه برؤية كيفية الجمع كما رأى كيفية التفريق ، فلا نعول عليـه لأنه لم يرفع الى الرسول — صلى الله عليـه وسلم — بسند ضـعيف أو قوى . فضـلا عن أنه لا يرفع الاشكال الناشىء من أنه طلب ذلك ليطمئن قلبه :

نعم روى عن محمد بن اسحاق بن يسار ، أن سبب السؤال منازعة النمروذ اياه فى الاحياء . فقد قال ابراهيم « **رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ** » قال نمروذ « **أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ** » وجـاء ببعض المسجونين فأبقى عليهم وسمى هـذا احياء . وقتل بعضهم ، فلما قال ابراهيم ان العفـو عن المسجونين لا يكون احياء ، بل الاحياء هو الذى يكون بعد الموت ، فطلب منـه نمروذ أن يريه

كيف يحيى ربه الموتى ، وتوعده بالقتل ان لم يفعل ، فدعا ربه حينئذ .

وهذا الذى روى لو صح يكون خير بيان لسبب طلبه من ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ، ويكون معنى قوله « وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى » ولكن ليستريح فؤادى بافحام الله لعدوى النمروذ ونصرى عليه .

كيفية احياء الطيور الأربعة

استجاب الله دعاء ابراهيم — عليه السلام — وعرفه السبيل الى تحقيق دعائه ، وذلك فى قوله تعالى حكاية لأمره له « قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ(١) ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا » أى بعد أن تذبحها وتقطعها « ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »

وكانت هذه الطيور الأربعة من أنواع متعددة، ذكر ابن اسحاق أنها الديك والطاووس والحمام والغراب . وروى هذا عن مجاهد وعطاء بن يسار وابن زيد ، وكذا عن ابن عباس ما عدا الرابع ، فانه الكركى فيما روى عنه .

فأخذ ابراهيم عليه السلام هذه الطيور وذبحها ، ثم قطعها قطعا صغيرة ، بريشها وعظامها ، ثم خلط بعضها ببعض ، وضم الى الخليط الدم السائل من ذبحها ، ثم جعل على كل جبل جزءا من هذا الخليط ، ووقف على مكان يشرف منه على هذا الخليط الموزع على الجبال ، ثم أمسك رءوس الطير فى يده ، ثم قال : تعالين باذن الله ، فتمايزت تلك الأجزاء ، وتجمع لحم كل طائر على جبل وانحاز الى لحمه على باقى الجبال ، وكذلك فعل الريش والعظام والدماء ، حتى التأمت كما كانت أولا ، وبقيت بلا رءوس ، ثم كرر النداء فجاءته سعيا على أرجلهن ، وكان اذا قرب الى أحدها رأسا غير رأسه تباعد عنه ، واذا قرب اليه رأسه التحم به ، ولما تم التحامها طارت باذن الله تعالى ، قاله ابن كثير وغيره .

ولم يذكر فى الآية أن ابراهيم عليه السلام نفذ ما أمره ربه ، وأنه قد ترتب على التنفيذ آثاره ، لأن ذلك معلوم بالضرورة ، فلا يحتاج الى تنصيص .

وفى الآية دليل على مكانة ابراهيم — عليه السلام — عند ربه ، حيث أجابه الى دعائه من غير مهلة : لما يعلمه الله منه من حبه لنشر دينه .

سبحانك اللهم ، خلقتنا من تراب ثم من نطفة ، وجعلتنا فى أحسن تقويم ،ووعدتنا على ألسنة رسلك الأكرمين بالبعث للحساب والجزاء عدلا وفضلا ، بذلك آمنا ، وبقلوبنا صدقنا ، فمن قدر على الابداع ، فهو قادر على الاعادة ، تعاليت يارينا فأنت العزيز الحكيم .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

(١) أى ضمهن اليك .

نظـرات قـرآنيـة

من أصحاب الأعراف

تختلف آراء المفسرين فى تحـــديد بعض المعانى والالفاظ اختلافا يمتد ويتسع دون ضابط حتى ليطلق اللفظ على الشىء ونقيضه فى بعض الأحيان لتبريرات عقلية تقوم لدى أصحابهـا مقام الأدلة الواضحة .

وقد يجد هؤلاء من الآثار الضعيفة مـا يتشبثون به ، وأظنه قد آن الاوان لكى نحصر ما اختلف فيه المختلفون ثم نحاول أن نرجح ما يهدى اليه المنطق الصريح ضاربين صفحا بما تزدحم به بعض الشروح من أقوال لا تكـاد تنهض على أساس وطيد .

واذا كان النظر فى المتن والاسناد ديدن من ينظرون الى الأحاديث المروية فى كتب الصحاح تحت باب التفسير، وقد وفق فضلاؤهم الى خير كثير فاننا نجد ضرورة تلجئنا الى التفسير البيانى اذ يحتم مراعاة السياق ويراعى ايحاء الموقف وصلة السابق باللاحق على نحو متعانق لنجعل من ذلك كله أشعة تكشف المراد .

وقد ضربنا أمثلة لذلك فى بعض ما كتبناه من قبل ونريد اليوم أن نقدم مثالا آخر حين نجيب عن هذا السؤال ، من أصحاب الاعراف ؟

نزول الاعراف وبعض مشاهد القيامة

ونحن نعلم من تاريخ النزول القرآنى أن سورة الاعراف قد نزلت بعد سورة (ص) وأن بعض مشاهد القيامة قد جاء فى السورة السابقة حين تحدثت عن أصحاب الجنـــة وأصحاب النار فى موقف حوارى رائع ، يزخر بالأحاسيس ويفيض بشتى المشاعر اذ يقـول الله عزو جل : (هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ • جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ • مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ • وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ • هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ • إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ • هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ • جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ • هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ • وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ • هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ • قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَـرَارُ

أ . د . محمد رجب البيومى

قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار ، وقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار ، أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار ، إن ذلك لحق تخاصم أهل النار(١)) .

هذا الحوار الجدلى العنيف ـ على ايجازه ـ فى تخاصم أهل النار ، لانجد أبرع منه فى تصوير النزعات ورصد المشاعر اذ يقتحم فوج كاره بغيض على فوج كاره بغيض فى أتعس مكان يتلاقى فيه البغضاء فتشتد الازمة القابضة اشتدادا ينفرج عن حمم مشتعلة تصورها الكلمات بحروف من لهيب ، ثم جاءت بعد سورة ص سورة الاعراف لتتسع فى عرض مشاهد القيامة اذ تلعن كل أمة أختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ، وترد الاولى متذمرة ناقمة ناقمة ، ثم تتتابع ثلاثة مشاهد رائعة حين ينعم أهل الجنة بما يشهدون فيقولون : (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) .

ثم ينادون أصحاب النار : (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا)) .

والمشهد الثانى : خاص بأصحاب الاعراف وهو لب حديثنا اليوم .

أما المشهد الثالث : فخاص بأصحاب النار حين يستصرخون مستغيثين يقولون لأهل الجنة أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله فيجابون بمن يقول ان الله حرمهما على الكافرين .

يتوسط مشهد أصحاب الاعراف هذين المشهدين ، وهو بنصه كما قال الله عز وجل :

(وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون . وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار . قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ، ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون ، أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون (٢)) .

هذا هو النص القرآنى الخاص بأصحاب الاعراف نقرأه ثم نرجع الى كتب التفسير لنعرف من هؤلاء ، فنجد من يقول والتلخيص

---

(١) سورة ص ٤٩ ـ ٦٤ .

(٢) سورة الأعراف ٤٦ ـ ٤٨ .

نظـرات قـرآنيـة

عن تفسير ابن كثير (١) ــ انهم ناس من أهــل الذنوب بين الجنة والنار فى رأى .

أو أنهم قوم قد استوت حســـــناتهم وسيئاتهم فى رأى ثان أو أنهم قوم قتلوا فى سبيل الله بمعصية آبائهم فمنعوا من الجنــة لعصيانهم آباءهم . ومنعــــوا من النــــار لاستشهادهم فى سبيل الله فى رأى ثالث أو أنهم أولاد الزنا فى رأى رابع أو أنهم مؤمنو الجن فى رأى خامس ثم نجد من يقول انهم الشهداء أو فضلاء المؤمنين أو الملائكة أو الأنبياء رضوان الله عليهم .

نظرة فى ضوء ما تقدم :

وفى هذه الاقوال ما هو مرفوض قطعا اذ كيف يمنع رجل استشهد فى سبيل الله من الجنة لأنه عصى والده ، وكيف يكون هؤلاء من أهل الذنوب وهم يخاطبون أصحاب الــذنوب فى النار مبكتين لائمين على ما اقترفوه من آثام ؟ وما الفرق بين الجماعتين اذن ؟ وكيف يكــون مؤمنو الجن بعيدين عن الجنة وهــم والانس سواء أمام عدالة الله ؟ وما الذى صنعه ولــد الزنا المؤمن العابد حتى تحرم عليه الجنــــة لمعصية قد اقترفها أبواه وليس له بها شأن ، والله عز وجل يقول : « أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٢)) !!

اننا حين ننظر الى منطق أصحاب الاعراف نجدهم أصحاب سطوة وجهارة وتحـــــد واستعلاء .

فهم يتوجهون الى أهل الجنة بالســـــلام ، والسلام على أهل الجنة لن يكون الا من مصدر طاهر كريم رفيع الدرجات عند الله فاذا انتهوا من تحية أهل الجنة وصرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار انقضت صدورهم ، واشمأزت نفوسهم وقالوا فى وجل : (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) .

ولو كان هؤلاء الداعون من أصحاب الذنوب كما تقول بعض الروايات لكانوا من القـــــوم الظالمين فعلا فى يوم لا تغنى فيه نفس عن نفس شيئا اذ يضع الله الموازين بالقسط حتى اذا فرغوا من دعائهم توجهوا الى أصحاب النار بالتقريع ولن يقوم بهذه المجابهة السافرة الا من ارتفع عن مستوى المعصية وأصبح فى مقام من يؤاخذ المذنب ويبكت المسىء ، انهم يشيرون الى أصحاب الجنة فى اعتزاز حين يســـائلون أصحاب النار متهكمين : أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ؟ وليت شعرى من يملك سطوة التقريع غير شهيد أو نبى أو ملك أو نفر ممن اجتبى الله واختار ؟

ان الواقع الذى يمليه سياق المحاورة يوحى بارتفاع مكانة أصحاب الاعراف وبارتقـــــاء

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢١٦ ط الحلبى

(٢) سورة النجم .

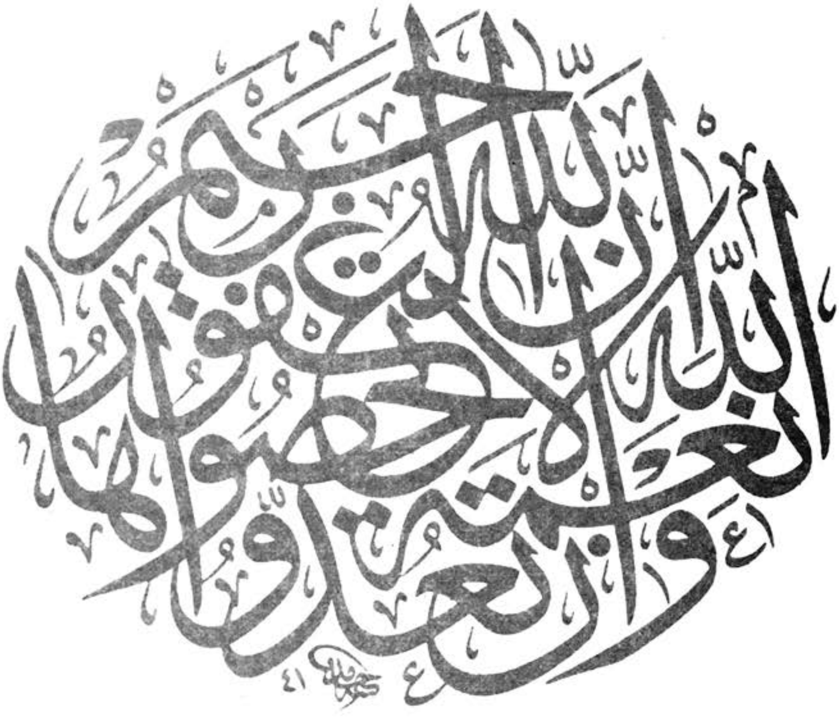

منزلتهم لدى فاطر الارض والسموات ، فليسوا اذن من العصاة أصحاب الذنوب، واذا ازدحمت كتب التفسير بآراء تنتمى الى هذا الوجه فانها تتطلب المعـاودة والتعقيب ونحن نعلم ان الانسان يوم القيامة ـ أى انسان ـ يفر من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، وفصيلته التى تؤويه ومن فى الأرض جميعا حتى يحكم الله فى أمره ويعرف مكانه النهائى من الجنة أو النار فكيف يكون أصحاب الاعراف عصاة مذنبين ثم لا يشغلهم ما قدموه من ذنب عن محاجة أهل الجنة والنار ، ومالهم لا يلومون أنفسهم كما يلومون المذنبين اذ يقولون لهم :

« مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ، أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَايَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ »!!

أصحاب الاعراف :

ان النص القرآنى الكريم بجوه وسياقه وايحائه يمنع أن يكون أصحاب الاعراف من أهل الذنوب ويرجح أن يكونوا من ذوى المستوى الرفيع عند الله من الملائكة أو النبيين أو الشهداء وحسن أولئك رفيقا وقد يجد الباحث نفسه فى حاجة الى معرفة المراد من قول الله عز وجل عن أصحاب الاعراف (لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ) .

اذ كانت الآية فى ظاهرها تكأة لمن يذهبون الى أن هؤلاء قد استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم لم يدخلوا الجنة بما أسلفوا من سيئات ،

نظـرات قـرآنيـة

ولكنهم لم يفقدوا الامل فى دخولها لما قدموا من حسنات فهم يطمعون فيها ملتمسين الرجاء من واهب الخير والاحسان •

والذين يتجهون هذا المتجه يقفون عندمـــا يتبادر للذهن لاول وهلة من مدلول كلمـــــة (يطمعون) التى تفيد الرجاء المرغوب ، ولكن سياق العربية فى فصاحتها الذائعة لا يمنع أن تقول لصديقك أطمع أن تفعل كذا وأنت تتأكد أنه سيفعل ، ولكنك لا تريد له الا الزامـــا بالطلب الصريح يقول الامام القـــرطبى ولم يدخلوها بعد وهم يطمعون على هذا التأويل بمعنى وهم يعلمون أنهم يدخلونها وذلك معروف فى اللغة أن يكون طمع بمعنى علم ، ذكـــره النحاس (١) •

وهناك أقوال أخرى تتجه بالطبع الى قوم آخرين غير أصحاب الاعراف ، ومكانهـــا كتب التفسير ، اذ لا تعنينا الآن مناقشتهـــا فليرجع اليها من يرى الاستيفاء •

على أن مما يؤكد هذا المنحى اننا نجد فى كتاب الله ما يدل على قيام الأنبياء بالشـــهادة على أممهم يوم القيامة اذ يقول الله عز وجل :

(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَـــا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا) (٢) ويقول تعـــالى :

(وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَـــهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَـا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَـــةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (٣) •

ويقول : **(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَـــطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُـولُ عَلَيْكُمْ شَـــهِيدًا)** (٤) •

ففى الايتين الاوليين ما يدل على أن الانبياء شهداء على الناس يوم القيامة • •

وتتسع الآية الثالثة فى سورة البقرة لتجعل المؤمنين من أمة محمد ــ صلى الله عليـــه وسلم ــ شهداء على الناس جميعا وجائز جدا أن تكون الشهادة على الاعراف فى حيز أقيم بين أهل الجنة والنار •

ولعلنا بعد هذا العرض الهادىء نـــرى أن التفسير البيانى يقدم الجديد حين يحتكم الى موقع النص وسياقه وايحائه ، وحين يرجـح ما يراه مناسبا للسياق العام ، رافضا مالا يجد سنده من القول الملفق والتخريج الغريب •

أما موضع أصحاب الاعراف ووصف السور الذى ضرب بين الجنة والنار فليس من شأننا فى هذا النطاق وما أكثر ما قيل •

الاستاذ الدكتور/محمد رجب البيومى
عميد كلية اللغة العربية بالمنصـــورة
جامعة الأزهر

---

(١) تفسير القرطبى عن الآية الكريمة •
(٢) سورة النساء ٤١ •
(٣) سورة النحل ٨٩ .
(٤) سورة البقرة ١٤٣ •

الحمد في القرآن الكريم

للدكتور محمد محمد خليفة

٣٩ ـ الملك والحمد لله :

(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

التغابن ١ .

أخبر الله بأن مافى السموات ومافى الأرض من كل ما فيهما يسبح لله بلغة يعلمها الله ويسمعها الله : لغة لا تدرك البشرية كنهها ، ولا تعلم منها الا تنزيهه تعالى عن كل نقص .

وتقديم الجار والمجرور فى قوله : « لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ » يدل على اختصاصه بالملك وأن ملكية ذلك الملك لله عز وجل لا تتجاوزه الى غيره فهو مالك السموات والأرض وما فيهما ومالك الوجود كله بكل ما فيه لا يشركه فيه رب غيره ، لأنه مبدع الوجود والمنعم به على ما فيه ومن فيه .

وله الحمد ، وهو مختص به لأنه المنعم الذى تشمل نعمه كل شىء وكلها من فيض يده ولذلك كان الحمد لله لا لغيره (**وَإِن مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**) فاذا سبح له كل شىء فى السموات والأرض ، ونزهه كل شىء ففى ذلك اقرار بأنه منزه عن النقص والمنزه عن النقص خليق بأن يكون المالك المتصرف فى ملكه القادر على تدبير هذا الملك .

وله الحمد ، على أن وفق كل شىء الى تسبيحه وتحميده والثناء عليه .

«وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ» «إِذَا أَرَادَ شَيْئاً

أن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُون » يفعل ما يشاء بارادته وحكمته •

٤٠ ــ أمره لنبيه بالتسبيح والتحميد والاستغفار :

(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) النصر ١ ــ ٣ •

النصر : الظهور على العدو ، والفتح : فتح البلاد ، والمعنى : أن الله نصر رسوله على العرب ، وفتح له مكة •

وقيل : نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم •

وقد فتح الله لرسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مكة ، وحين دخلها وقف على باب الكعبة وقال : « لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده •

وقد أمكنه الله من رقابهم ، ثم أطلقهم ، فسموا الطلقاء ، وبايعوه على الاسلام ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا وكانوا من قبل يسلمون واحدا واحدا أو اثنين اثنين ، أما فتح مكة فقد دخلوا بطونا وعشائر وقبائل مجتمعة ، وجاء أهل اليمن يعلنون اسلامهم •

روى أبو هريرة رضى الله عنه : أنه لما نزلت هذه السورة قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن : قوم رقيقة قلوبهم : الايمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية •

وعن الحسن : لما فتح رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا : أما اذ ظفر بأهل الحرم فليس به يدان ، فكان الناس يدخلون فى دين الله جماعات جماعات •

وقد أضاف الله الاسلام الى نفسه فى قوله : دين الله ، ولم تعرف ملة غير الاسلام أضافها الله الى نفسه **(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)** ثم أمر الله نبيه حين دخل الناس فى دين الله أفواجا :

بالتسبيح بحمده : ومعنى ذلك أن يسبح الله وينزهه ويقرن ذلك التسبيح بالتحميد على نعمة النصر والفتح والدخول فى دين الله أفواجا (وفى ذلك طاعة) •

وبالاستغفار : وفى ذلك محو المعصية ، وهو عبادة فى نفسه ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : **انى لأستغفر فى اليوم والليلة مائة مرة •**

موقف الصحابة والأهل

بعد نزول هذه السورة :

روى أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ حينما نزلت قرأها على أصحابه ، فاستبشرو وبكى العباس ، فسأله الرسول : ما يبكيك

يا عم ؟ فقال : نعيت اليك نفسك ، قال النبى : انها لكما تقول .

وقيل : ان ابن عبــاس هو الذى قال ذلك ، فقال الرسول : لقد أوتى هذا الغلام علما كثيرا وروى أنها لما نزلت به خطب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه ، فاختار لقاء الله فقال أبو بكر فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا .

وروى أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ دعا فاطمة فقال : يابنتاه ، انه نعيت الى نفسى ، فبكت فقال : لا تبكى فانك أول أهلى لحوقا بى.

وقد ختم الله السورة بقوله : انه كان توابا أى كان كذلك فى الماضى ، فكم تــاب على مــن اقترف فى الماضى خطاياه فليتوقع كــل مقترف لخطيئة أن الله يتوب على من تــاب ، ويغفــر له ماجنى من الذنوب اذا ندم واستغفر وعزم ألا يعود الى ارتكــاب الخطايا .

٤١-تسبيح الرعد بحمده :

هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِىءُ السَّحَابَ الثِّقَالَ.وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَــن يَشاءُ وَهُمْ يُجَــادِلُونَ فِى اللَّــهِ وَهُــوَ شَــدِيدُ الْمِحَالِ) الرعد ١٣ .

يخاطب الله منكرى البعث من الكفار وكأنما يقول لهم : ان الله الذى تنكرون قدرته على البعث هو الله الذى يريكم البرق حال كونه خوفا وطمعا فى نفسه ، أو ذا خوف وطمع ، أو حال كونكم خائفين وطامعين ٠

والبرق يكون خوفا أو يخافون منه أن يحمل اليهم الصواعق ، ويكون طمعا أو يطمعون فيه لأنه بشير بالأمطار ، وكما أنه يريكم البرق على تلك الصورة فهو الذى ينشىء السحاب الثقال بالماء ، وان الرعد ليسبح بحمده ، وكان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : سبحان من يسبح الرعد بحمده ٠

وكان يقول اذا اشتد الرعد : اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك ٠

وكما أن الرعد يسبح لله فهو يسبح بحمده **(وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)** ولغة الرعد فى تسبيحه وتحميده يعلمها الله ٠

وملائكة الله يسبحون من خيفته **(يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ)** فتنطلق أفواههم وأعمالهم تسبح رب الملائكة والروح وتحمده لنعمه ٠

وانه سبحانه ليرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ويصرفها عمن يشاء ، وقد سأل أحد الكفار رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أخبرنا عن ربنا أمن نحاس أم من حديد ؟ فأرسل الله عليه صاعقة أهلكته ٠

وانهم ليجادلون فى الله ، حيث ينكرون على رسوله ما يصف به الله من القدرة على البعث والاحياء ، ويقولون : ان الملائكة بنات الله **(سبحانه أن يتخذ ولدا)** ٠

(وَاللَّهُ شَدِيدُ الْمِحَالِ) والمحال : المماحلة وشدة المكر ، وقد شاكل الله بين جدالهم ومماحلتهم وبين محاله ومماحلته **(وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)** فهم يكيدون والله من ورائهم محيط ٠

وقيل المراد بالمحال : الشدائد ، ومنه تسمى السنة الشديدة : سنة المحل أى الشدة ٠

وقد قدم الله فى البرق الذى يريه للناس دليلا على قدرته حين يرسل البرق يشق السحاب بما تحمل من أمواه ثقال فتتطلع الأبصار الى ما وراءه من خير ، وكم من طامع يطمع فيما وراءه ٠

٤٢-تسبيح السموات والارض وكل شىء ٠

« تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)

الاسراء ٤٤ ٠

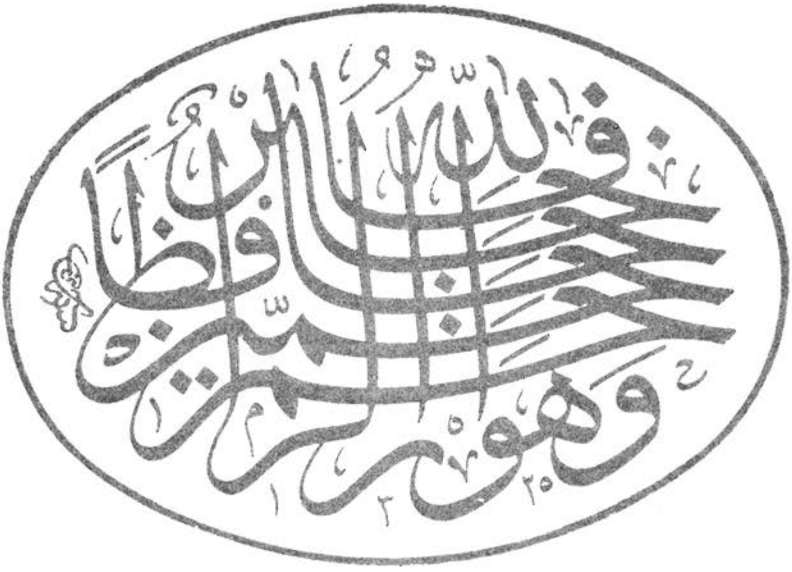

ان تسبيح من فى السموات والارض من الملائكة والثقلين ظاهر ، وتسبيح الطير والحيوان والجماد والنبات انما هو بلغة لا نفقهها كما يشير عجز الآية (**وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**) .

وأما تسبيح نفس السموات والأرض فقيل : انها تسبح بلسان الحال حيث أنها تدل على الصانع المبدع ، وكأن لسان حالهما ينادى : سبحان الله الذى خلق فأبدع ، وفى كل ماتحمل السماء وما تقل الارض ما يدل على أنه الصانع القادر .

فكأن كل ما خلق الله يسبحه باللسان أو بدلالة الاحوال ، فالجمادات تسبح الله بطريق الحال ، وقد أكد الله بعد تسبيح السموات والارض ومن فيهما أن كل شىء يسبح بحمده فقال : وان من شىء الا يسبح بحمده أى يرسل التسبيح مقرنا بالحمد ، فينزه الله عن النقص ، ويحمده على النعم .

وقيل : المراد بقوله : ولكن لا تفقهون تسبيحهم : هم الكفار بمعنى أنهم لا يفقهون ذلك ، ويتفكرون فى أنواع الدلائل التى ساقها الله مما يدل على قدرته فى أن السموات والارض تسبح بحمده .

أو أنهم غافلون عن أكثر الدلائل التى تدل على توحيد الله وقدرته ، ولما كان عدم تفقههم لكل ما يدل عليه التسبيح من قدرة الله بل كمال تلك القدرة جرم ذيل الآية بقوله : « **إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** » فما أشد حلمه على خلقه بعامة وعلى من لا يسبحونه ، ومن لا يفقهون تسبيح كل شىء من خلقه بخاصة ، فهو الحليم بحيث لا يعجل لهم العذاب .

وهو الغفور لكل من أخطأ وتاب ، أو رجع عما كان يقول : من أن مع الله الها آخر أو آلهة أخرى ، (سبحانه وتعالى عما يقولون) وما أكثر مايقول الكفار ، وخاضوا وطعنوا فى الكثير

مما جاءهم به رسول الله •

٤٣ ـ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا) الاسراء ٥٢ •

لقد أنكر الكفار البعث وقالوا (أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا) أى أئنا اذا صرنا عظاما بالية ورفاتا : أى أجزاء متفتتة أئنا لمبعوثون خلقا جديدا •

وشبهتهم : أن الانسان اذا مات جفت أعضاؤه على مر الزمن وتفرقت فى العالم فاختلطت بأجزاء العالم واختلطت الاجزاء المائية فى البدن بالأجزاء المائية فى العالم واختلطت الأجزاء الترابية من البدن بالأجزاء الترابية فى العالم فكيف يفعل بعد عودة حياة (فلان) بكل أعيانها وما كانت عليه فى دنياها ؟ **وجواب هذه الشبهة** : أن أجزاء البدن مهما اختلطت بغيرها فهى متميزة فى كمال علم الله وكمال قدرته ، وعلمه وقدرته قادران على اعادة بدن ذلك الانسان كما كان فلاتعجز قدرته وعلمه عن اعادة بدن كل انسان كما كان مهما اختلطت وتباعدت أجزاؤه ولما استبعد القوم أن يردهم كما كانوا قال لهم على لسان أمره لنبيه (قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا) أو خلقا آخر أبعد من أن تمتد اليه الحياة أى لو كنتم كذلك لما أعجز الله عن الاعادة (فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أى الذى خلقكم أول مرة هو الذى سيعيدكم كما كنتم فسينغضون اليك رءوسهم ، وذلك عندما تخبرهم يامحمد بأن الذى سيعيدكم سيحركون الرءوس الى أعلى وأسفل وهم بهذه الحركة يعلنون كذبك لما أخبرت به

ويعودون فيسألون : متى هو ؟ وعندئذ يكون الجواب : عسى أن يكون قريبا ، والتعبير بعسى من الله واجب الحصول وان رسوله لا يعلم من أمر الساعة شيئا حتى يحددها (إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى) (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ) (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) فان قالوا : كيف يكون قريبا وقد انقضى بعد القول الكثير من الاعوام ولم يجىء الوقت الذى تقوم فيه الساعة قيل : انه قريب بالنظر الى ما مضى من عمر الزمان •

ثم بين ذلك القرب بأنه : يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) والاستجابة موافاة المدعو للداعى وقال سعيد بن جبير : يومئذ ينفضون رءوسهم ، ويقولون : سبحانك وبحمدك حيث لا ينفعهم التسبيح والتحميد أو تستجيبون بحمده أى بطاعته ، وكأن تسبيحهم وتحميدهم هنا اشارة الى طاعتهم •

أو تستجيبون حامدين وهذا مبالغة فى انقيادهم• (وَتَظُنُّونَ) أنكم لم تلبثوا غير قليل من الزمن ، والمعنى تقريب وقت البعث أو استقلال لبثهم فى البرزخة وقال بعض المفسرين : ان موقف الكفار ينتهى عند قوله : عسى أن يكون قريبا وأما قوله يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ، خطاب مع المؤمنين ـ والاولى أن يكون الخطاب متصلا بالكافرين ، وهذا هو المشهور من أقوال المفسرين •

د • محمد محمد خليفة

دِرَاسَات إسُلاميّة

من مؤلفات الإمام البخارى

الانتماء فى توجيهات الاسلام

الاسلام والتعايش السلمى

القيادة الادارية فى الإسلام

من مؤلفات

الامام البخارى

وهو كما عرفه الامام البخارى – رضى الله عنه – :
كتاب مختصر من تاريخ النبى – صلى الله عليه وسلم – والمهاجرين والأنصار وطبقات التابعين لهم باحسان ومن بعدهم ووفاتهم وبعض نسبهم وكناهم ومن رغب فى حديثه .

وابتدأ الجزء الأول بالتحدث عن أخبار مهاجرى الحبشة وآخره التحدث على من مات فى عهد النبى – صلى الله عليه وسلم – من المهاجرين والأنصار ممن حدث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

ومن مات فى خلافة أبى بكر – رضى الله عنه – ومن بعده من الخلفاء وتلاه الجزء الثانى وبه ذكر من مات فى خلافة عثمان وهكذا الى آخر الجزء السادس وبه ذكر من مات فى سنة ست وخمسين ومائتين .

وهو رواية أبى ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الهروى – والحافظ قال : أخبرنا أبو على زاهر بن أحمد الفقيه السرخسى بها قراءة علية سنة ٣٨٩ تسع وثمانين وثلاثمائة قال : أخبرنا أبو محمد بن محمد النيسابورى قال حدثنا محمد بن اسماعيل البخارى .

كتاب الضعفاء الصغير

ابتدأه مرتبا على حسب الحروف الهجائية مبتدئا بحرف الألف .

قال ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع بن جارية الأنصارى يروى عنه وهو كثير الوهم يروى عن الزهرى وعمرو بن دينار يكتب حديثه .

ابراهيم بن اسماعيل بن أبى حبيبة المدنى الأنصارى الأشهلى عن داود بن الحصين – منكر الحديث .

وبعد أن انتهى من باب ابراهيم جاء بيان من اسمه اسماعيل ثم من اسمه اسحاق ثم أيوب ثم باب الباء وهكذا الى باب الياء وجاء فى آخره بالكنى من الضعفاء . قال أبو بكر بن عبد الله ابن أبى سيره المدنى – ضعيف – أبو الرجال سمع النضر بن النضر بن أنس عن أبيه عن النبى – صلى الله عليه وسلم – منكر الحديث

لفضيلة الدكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

عنده عجائب ، أبو ماجد الحنفى عن ابن مسعود ويقال العجلى قال الحميدى عن ابن عيينة عن يحيى – (هو منكر الحديث) .

« كتاب الكنى »

وقد ذكر البخارى فيه كنى من غلبت كنيته على اسمه ومن لم يعرف الا كنيته وابتدأ بحسب ترتيب الحروف الهجائية بعد لفظ أب أو أم ذكر فيه .

أولا : باب أبو أمية بن الأخنس قال قبيحة عن أبى سلمة بن شفيق المخزومى عن أبى أمية بن الأخنس عن عمر فى الموضحة قال انا لا نتعاقل المضغ بيننا .

ثانيا : أبو أمية المخزومى أن النبى – صلى الله عليه وسلم – أتى بلص فاعترف فلم يوجد معه متاع فقال : ما أخالك سرقت ؟ . قال : بلى . قال ما أخالك سرقت ؟ مرتين أو ثلاثة قال : بلى . قال : اقطعوه : ثم جىء به فقال استغفر الله وتب اليه فقال أستغفر الله وأتوب اليه . قال : اللهم تب عليه . قال : موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة عن اسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أبى المنذر مولى أبى ذر ، وقال حيان أنبأنا همام سمع اسحاق عن أبى المنذر والبراد عن أبى أمية رجل من الأنصار عن النبى – صلى الله عليه وسلم – ونحوه .

وبعد أن انتهى من الألف جاء بالباء والتاء الى آخره . ويذكر أحيانا الاسم مثال ذلك ترجمة رقم ٩٦٦ أبو ريحانة اسمه عبد الله وذكر فيه فى الرجال ٩٩٣ رجلا .

وفى آخره الكنى من النساء واسم أم هانىء بنت أبى طالب هند وقال بعضهم اسمها فاختة واسم أم سلمة هند بنت أبى أمية – وأبو أمية اسمه سهل واسم أم حبيبة رملة وفى آخره هذا آخر كتاب التاريخ الكبير على حروف المعجم وفى آخره الكنى وذكر من غلبت كنيته على اسمه وعلى ذلك فهو جزء من التاريخ الكبير .

« تصنيف أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله »

وبآخر الكتاب بحث عن كتاب الكنى للامام البخارى بقلم الأستاذ الناقد فى الرجال الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليمانى المعلمى .

ومن خلاله يتبين اعتماد الأئمة كالامام مسلم ابن الحجاج وابن أبى حاتم والحاكم وابن عبد البر فى تاريخ الرجال على الامام البخارى، كما يتبين منه صلة كتاب الكنية بالتاريخ الكبير وعناية العلماء بمؤلفات البخارى .

من مؤلفات الإمام البخاري

قال الشيخ عبد الرحمن المعلمي أما بعد فان جمعيتنا العلمية دائرة المعارف العثمانية لما اعتزمت طبع كتاب التاريخ الكبير للامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله تعالى ظفرت بالجزء الرابع منه في الخزانة الآصفية بحيدر آباد الدكن فسارعت الى استنساخه ثم بعد البحث والتنقيب علم بأن في بعض مكاتب استانبول نسخة من الكتاب . وفي المكتبة المصرية نسخة أخرى فاستحصلت الجمعية على صورة مأخوذة منها وعند المقابلة تبين أن المصرية منقولة عن الاستانبولية ووجد في آخر المجلد الرابع من النسخة الآصفية زيادة مشتملة على الكنية لا توجد في الاسلامبولية مع أن في آخر الاسلامبولية ما لفظه « كمل جميع كتاب التاريخ الكبير » وذلك صريح في أن أبواب الكنى المتصلة بآخر النسخة الآصفية كتاب مستقل عن التاريخ .

ولكن الذي تبين بامعان النظر أن هذا الجزء المشتمل على الكنية تأليف البخاري قطعا وانه ان لم يكن قطعة من التاريخ فهو تتمة له .

فان ابن أبي حاتم مع اقتفائه في ترتيب كتابه أثر البخاري في التاريخ غالبا قال في أواخره (باب ذكر من روى عنه العلم ممن عرف بالكنى ولا يسمى) ثم اقتفى في الترتيب أثر البخاري في هذا الجزء غالبا وربما سماه (أي البخاري) كقوله أبو المعلى بن رؤبة كما قال البخاري في كتابه .

وبالمراجعة وجد ذلك في الكنى رقم ٦٨٥ كما ذكره البخاري ووجدنا ابن عبد البر في الكنى من الاستيعاب ربما نقل عن هذا الجزء فيما يظهر كقوله في الترجمة (أبو خالد ذكره البخاري قال وقال وكيع عن الأعمش عن مالك ابن الحارث عن أبي خالد وكانت له صحبة قال وفدنا الى عمر رضي الله عنه ففضل أهل الشام) .

وتجد هذه العبارة بتغيير يسير في الترجمة رقم ٢٢٣ من هذا الجزء أ . هـ ، وقد رجعت اليها كما أرشد الشيخ عبد الرحمن فوجدتها عند البخاري على الوجه الآتي : ٢٢٣ . أبو خالد له صحبه وسمع عمر روى عنه مالك بن الحارث قال عبد الله بن محمد العبسي حدثنا وكيع عن الأعمش عن مالك بن الحارث عن أبي خالد وكانت له صحبة قال وفدت الى عمر ففضل أهل الشام علينا في الجائزة أ . هـ ، وهكذا كل ما أشار اليه الشيخ عبد الرحمن راجعته فوجدته مطابقا .

قال الشيخ وقد نقل ابن حجر في كتبه كثيرا عنها تارة يسميها الكنى المفردة وتارة يسميها الكنى المجردة .. وربما اقتصر على قوله كتاب الكنى أو الكنى أو ذكره البخاري فقط ويظهر من مواضع في كلامه أنه وقف على هذا الكلام وفي مواضع أنه ينقل عنه بواسطة كتاب الكنى للحاكم أبي أحمد كأنه كان في نسخته نقص .

وقد عد في مقدمة الفتح تصانيف البخاري الى أن قال « وكتاب الكنى ذكره للحاكم أبو أحمد ونقل منه » .

قال أحمد الحاكم في الكنى ، قال مسلم

أبو بشر ـ يعنى بالمعجمة ـ وقال وقد بينا أن ذلك خطأ أخطأ فيه مسلم وغيره وخليق أنيكون محمد يعنى البخارى قد اشتبه عليه مع جلالته فما نقله مسلم من كتابه تابعة عليه ومن تأمل كتاب مسلم فى الكنى علم أنه منقول من كتاب محمد حزو القذة وتجلد فى نقله حق الجلادة اذ لم ينسبه الى قائله والله يغفر لنا وله .

قال الشيخ عبد الرحمن أقول قول الحاكم أبى أحمد (ومن تأمل كتاب مسلم فى الكنى علم أنه منقول من كتاب محمد) يعنى البخارى أراد بكتاب البخارى فى التاريخمع هذا الجزء ـ نقل مسلم كنى من عرفت أسماؤهم من التاريخ وكنى من لم تعرف أسماؤهم من هذا الجزء . وقد علمت تسمية الحافظ بن حجر لهذا الجزء (الكنى المفردة) أو (الكنى المجردة) والاسم الأول يقتضى أنها ليست من التاريخ لأن معناه الكنى المفردة عن التاريخ كما سموا الأدب للمؤلف (الأدب المفرد) يريدون المفرد عن الجامع الصحيح والاسم الثانى محتمل والظاهر أن معناه الكنى المجردة عن الأسماء أى أنها فيمن لم تعرف الا كنيته مجردة عن الاسم وذلك بالنظر الى الغالب .

وبالجملة فعبارة الحاكم أبى أحمد (علم أنه منقول من كتاب محمد الخ) وأراد ما يشمل أصل التاريخ ، وهذا الجزء مع ما يدل عليه صنيع ابن أبى حاتم كما تقدم ظاهر فى أن هذا الجزء ان لم يكن من التاريخ فهو تتمة له . والله أعلم .

« د. الحسينى هاشم »

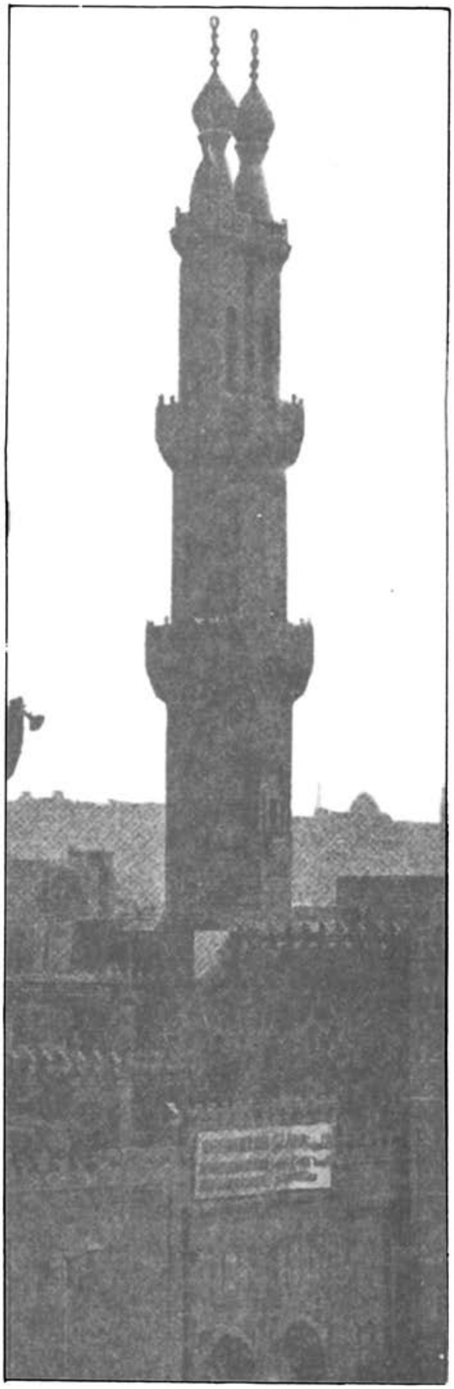

الانتماء

فى توجيهات الإسلام

الانتماء ، وحب الوطن والاعتزاز به والولاء له ، من القضايا التى تعنى بها أمتنا فى هذا العصر ، لانقاذ أبنائها من العمليات التى تستهدف تخريب شخصية الانسان ، وتفريغها من كل الحوافز النفسية التى تدفعه الى العمل والانتاج وبناء وطنه والنهوض به بكل الاخلاص والايجابية .

والحق أنها قضية ينبغى أن تكون على رأس ما يشتغل به فكر المفكرين والمصلحين والدعاة والمربين ، لأن الغفلة عن خطر هذه العمليات ، وعدم التصدى لها ، يهدد بالهدم كل محاولاتهم للبناء ، فقد قال الشاعر :

فلن يبلغ البنيان يوما تمامه
اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

توجيهات الاسلام :

وكل الدول تعمل على تنمية دافع «الوطنية» فى نفوس أبنائها منذ نعومة أظفارهم لكى تملأ قلوبهم بالعاطفة الوطنية التى تدفعهم الى العمل الجاد فى السلم والى الاستبسال فى القتال فى الحرب دفاعا عن الوطن وردا للعدوان عليه ، مضحين بالأرواح فى سبيله .

ولقد اعتدنا ونحن نطلب العلم على التعبير عن حب الوطن « بصور جمالية » وعاطفية عن أرضنا الخضراء المنبسطة ، وسمائنا الصافية ، ونيلنا العذب ، وهوائنا العليل ، الى غير ذلك مما كانت تمتلىء به « كراسات » الانشاء والتعبير ، ومع تقديرنا لما لصور الجمال من آثار طيبة على عواطف الفرد ووجدانه ، الا أن توجيهات الاسلام فى هذا المجال تتجاوز تلك الصور ، وتتميز بالأصالة والقوة والعمق ، وتحقق الأهداف المرجوة على أكمل وجه .

١ ــ الربط بين حب الوطن والخطر الذى يهدده :

فان أول ما يسترعى الانتباه ، عناية الاسلام بالربط بين « حب الوطن » وبين « تجسيد الخطر المحدق به » .

انه أسلوب فى التوجيه يعتمد على بعث الحوافز المعنوية والدوافع النفسية فى النفس الانسانية ، فالانسان اذا أحب شيئا ، ثم أحس بأن هذا الشىء الذى يحبه مهدد

للواء أركان حرب
محمد جمال الدين محفوظ

بالخطر ، تراه يندفع بكل قـواه لدفع هـذا الخطر •

انظر الى الأم حين ترى وحشـا يريد أن يفترس وليدها •• انها — على ما فى المـرأة من ضعف — تنقض على الوحش انقضـاض الصاعقة لكى تنقذ وليـدها ، وتدفع الخـطر عنه ، غير مبالية بما يصيبها من جـراح قـد تودى بحياتها •

*** أسس الانتماء والتزاماته :**

فلو تأملنا قول الله تعالى : « **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** » ، يمكن أن نستخلص كثيرا من المعانى السـامية التى نذكـر منها ما يلى :

١ — اعتزاز المسلم بأمته لا يقـوم على أسس عنصرية أو عصبية ، بل يقوم على دعائم الرسالة الاسلامية السمحة من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق فاضلة •

٢ — « التزام » المسلم بالمحافظة على تلك المكانة العالية : « خير أمة » التى أرادهـا الله تعالى لأمته ، وبأن يبـذل فى سـبيل ذلك كل طاقاته المادية والمعنوية •

٣ — ادراكه بأن تفريطه فى واجبـه ، ينزل أمته من مكانتها العالية التى حمله الله أمانتها ، فيبوء بغضب الله ومقته •

٤ — اعتقاده بأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والايمان بالله هو الذى يحل أمتـه تلك الدرجة الرفيعة العالية بين الأمم •

*** تجسـيد الخطر المحدق :**

ثم يفتح الاسلام عيوننا على الخطر المحدق بهذه الأمة من أعدائها المتربصين فيقول جـل شأنه : « **وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً** » •

انظر الى تصوير القرآن لنتائج الغفلـة عن الخطر (**فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً**) ، انـه لا يجسد الخطر فحسب ، بل يجعـل الأمـر بالنسبة للأمة مسألة « حياة أو موت » •

كما يعرفنا الاسلام بأعـدائنا ، ويوجـه انظارنا الى أننا لا نواجه عدوا واحدا ، بـل ثلاثة أعداء : « **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** » •

١ — « فعدو الله » واضح ، وهو كل خوان أثيم يعتـدى على حـرمات الله ويجـاهر بمعصيته •

٢ — و « عـدوكم » واضح ، وهـو عـدو المسلمين ، وهو كل من يسىء الى عقيدتهم أو

الى أوطانهم أو الى حقوقهم المقدسة .

٣ ـ وأما الفئة الثالثة (وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) فقد فسرها السابقون بالمنافقين الذين يلبسون ثوبا ظاهره الرحمة وباطنه العذاب ، الا أنها تنطوى بلغة العصر ، على كل القوى المضادة التى تحقد على الأمة وتنفث سمومها فى الخفاء وتروج الشائعات ، وتثير الفتنة ، وتغرى بالسلبية وعدم المبالاة والفساد وتقتل الارادة والايجابية .. ومن هذه الفئة من يكون داخل البلاد الاسلامية ، وبين صفوف أبنائها ، ومنهم من يكون خارجها يدبر ويخطط ويتحرك بكل الأساليب العلمية للحرب النفسية والغزو الفكرى الهدام .

٢ ـ ضرورة الحذر والحيطة :

وتوجيهات الاسلام لا تتوقف عند حد توضيح محتويات الانتماء والتزاماته ، وتجسيد الخطر المحدق بالأمة ، بل تتناول أيضا « الجانب العملى » فتحدد لأبناء الأمة واجبهم فى دفع هذا الخطر ، لكى يعيشوا فى أمان واستقرار ، ولكى تظل أعلامهم مرفوعة على الدوام .. ومن ذلك الحث على الحذر واتخاذ الحيطة والاستعداد والتأهب ، الى حد أن المسلمين مطالبون بذلك وهم فى الصلاة التى يؤدونها لله ويكونون فيها بين يديه : **« وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ... »** (الآية ١٠٢ سورة النساء بشأن الصلاة فى الحرب) .

كما يقول جل شأنه :

ـ **« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ »** (النساء ٧١) .

ـ **« وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا »** (المائدة ٩٢) .

ـ **« وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ »** (التوبة ١٢٢) .

٣ ـ اعداد القوة الرادعة :

وقد أوجب الله تعالى على الأمة « اعداد القوة التى تردع الأعداء وتخيفهم من عاقبة عدوانهم ، فقال جل شأنه : **« وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ... »** (الآية ٦٠ من سورة الانفال) .

ولابد لنا من ايضاح مفهوم « القوة الرادعة » التى أشارت اليها الآية الكريمة : فليس من صواب الرأى أن نتصور أن اعداد القوة الرادعة ينحصر فى القوات المسلحة فحسب ، وأبلغ دليل على ذلك أن لفظ « قوة »

فى الآية ورد مطلقا دون تحديد ، ليرشد الى أن القوة المقصودة هى « القوة الشـاملة » التى تجمع كل مصـادر القوة كالقوة الاقتصـادية والاجتماعية والسياسية والمعنوية الى غيرهـا من القوى التى تشكل حقا « القـوة الرادعة » جنبا الى جنب مع القوة المسـلحة •• فهـذه القـوى المجتمعـة هى التى ترهب الأعـداء وتخيفهم من عاقبة عدوانهم •

وقد نتساءل على سبيل المثال : كيف ترهب القوة الاقتصادية الأعداء ؟

والجواب أن الجيوش لا تستطيع أن تحارب ما لم يكن وراءها اقتصاد قوى ، فاذا عـرف العدو ــ الذى يفكر فى العدوان ــ أنه سوف يواجه جيشا قويا ووراءه قاعدة اقتصادية قوية وقادرة على تلبية احتياجاته مهمـا طـال أمد الحرب ، فسوف يتخلى عن فكـرة العـدوان تحسبا للنتائج التى لن تكون فى صـالحه •• وهكذا يكون للاقتصاد المتين « قوة الردع » •

وبالمثل ، وعلى نفس المنوال ، نجد « قـوة الردع » لدى الشعب المؤمن المتحـد المنتج المتأهب القادر على تحمل أعباء الصراع ماديا ومعنويا مهما طال أمده ، ونجدها كذلك فى القوة السياسية والاجتماعية •• الخ •

فينبغى أن يدرك أبناء الأمة أن قيـامهم بواجبهم باخلاص وايجابية على تعدد مواقعهم واختلاف مراكزهم ، هـو « التعبير العملى » عن الانتماء ، وهو فى الوقت نفسـه ، الطريق الصحيح لصنع الحياة الحـرة الكريمـة على أرضهم ، فليس الايمان بالتمنى أو التحلى ،

ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل » •

٤ ــ المحافظة على الشخصية المسـتقلة للمسلمين :

ولعل أخطر ما يهدد روح الانتمـاء والولاء تلك الدعوى الهـدامة التى تنطلـق فى بعض أجوائنا منادية بأن الطريق الى التقدم انما هو فى تصفية التراث القديم والانصهار الكـامل فى بوتقة المدينة الغربية ، وتقليد الغرب تقليدا أعمى فى كثير من مظـاهر حيـاته وعـاداته وتقاليده ، وهو اتجاه خطير يقـود الامة الى التبعية ويمحو شخصية أبنائها ، وهو ما نراه الآن حولنا فى بعض المجتمعات الاسلامية التى

تعيش عيشة بعيدة عن الاسلام وتقـاليده ولغته وآدابه ، ويصبح المسلم حينئذ انسانا تافه الشخصية ، لا وزن له فى المجتمع المسلم ولا تقدير ، لا يحترمـه حتى الـذين يقلدهم ويفنى فيهم ، فقد قال الشاعر :

اذا أنت لم تعرف لنفسـك حقهـا
هوانا بها كانت على الناس أهونـا

من أجل ذلك يهاجم الاسلام هذا الاتجاه ، ويسخر من المقلدين ويجعلهم كالحيوانات التى لا ارادة لها ولا ادراك فيقول عنهم : ◄

الانتماء فى توجيهات الإسلام

« وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ • وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ » •

(١٧١ — ١٧٢) •

ولقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم كل الحرص على ابراز الشخصية المستقلة للمسلمين وهو يكون أول مجتمع اسلامى فى المدينة ، ولم يتركهم يذوبون فى المحيط المشرك أو اليهودى الذى يعيشون معه ، فكان يتتبع خطواتهم وتصرفاتهم بالتعديل ، وينقلهم شيئا فشيئا الى معالم الشخصية الجديدة للمجتمع الاسلامى الجديد ، ويخلصهم من آثار الجاهلية أو اليهودية ، سواء كان ذلك فى العبادة أو مظاهر الحياة الأخرى •

من ذلك أن أهل المدينة — حين دخلها الاسلام — كانوا يحتفلون بعيدين من أعياد الطبيعة ، فمنع الرسول — صلى الله عليه وسلم — المسلمين من الاستمرار فى الاحتفال بهما وقال لهم : « ان الله تبارك وتعالى — قد أبدلكما بهما خيرا منهما : يوم الفطر ويوم النحر » ، ثم وضع للمسلمين قاعدة اجتماعية كلية • وتحذيرا عاما لهم عن التشبه بغيرهم والذوبان فيهم فقال « من تشبه بقوم فهو منهم » •

كما قال عليه الصلاة والسلام : « ان الله جواد يحب الجود ، نظيف يحب النظافة فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود » (١) •

ثم يعلمنا الرسول صلى الله عليه وسلم كيف نبنى شخصيتنا المستقلة ، ولا نكون امعات تابعين لغيرنا ، ولا أسرى لتقاليد باطلة ، فيقول : « لا يكن أحدكم امعة ، يقول ان أحسن الناس أحسنت ، وان أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا أن تجتنبوا اساءتهم » (٢) •

محمد جمال الدين محفوظ

---

(١) حديث « ان الله جواد ••• الحديث بتحفة الاحوذى — شرح جامع الترمذى للمبادكفورى — كتاب الاستئذان رقم ٢٩٥١ « ان الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكريم ، جواد يحب الجواد ، فنظفوا — أراه قال : أفنيتكم ، ولا تشبهوا باليهود • فى بعض رواته خالد بن اليا قال الترمذى : هذا حديث غريب ، وخالد بن اليا ، ويقال : ابن اياس يضعف وقال البخارى : منكر الحديث ، وقال النسائى : متروك الحديث •

(الباجورى)

(٢) حديث « لا يكن احدكم امعة » .. الحديث : لا يكن أحدكم امعة •• بنفس المصدر فى كتاب البر ١٤٥/٦ رقم ٢٠٧٥ •• عن حذيفة قال ، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : لا تكونوا امعة ان أحسن الناس أحسنا ، وان ظلموا ظلمنا وطنوا أنفسكم ، ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا فلا تظلموا » •

قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه

(الباجورى)

آراء وقضايا

لا اجتهاد مع النص

للشيخ محمد حسام الدين

رأيان طالعتنا بهما صحيفة « الأهرام » منذ أسابيع فى هذه المقولة : «لا اجتهاد مع النص » .

أحدهما ينفى ثباتها ، أو اطرادها على الدوام ، مقررا أن الاجتهاد يجرى مع النص كثيرا .

والآخر يعارضه ، ويؤكد ثباتها . واستقرار مدلولها ، وأنه « لا اجتهاد مع النص » رأيا فاصلا .

وجرى النقاش بين الرأيين دون تنقيح لموضع الخلاف ، أى دون تحرير للمراد من كلمة اجتهاد .

ولقد يلزم للنظر فى الموضوع أن نحدد المقصود من مصطلح « اجتهاد » لدى أئمة الفقه الذين أصدروا هذا الحكم : « لا اجتهاد مع النص » .

ذلك أن « الاجتهاد » يرد فى عبارات الفقهاء والأصوليين بمعنيين : عام ، وخاص ، تبعا للمجال الذى يجرى فيه عمله .

فتارة يرد بمدلول عام ، وهو : بذل الجهد والوسع لتحقيق المناط ، واستنباط الحكم من الدليل ، نصا كان أو غير نص .

وبهذا المدلول ورد قول الغزالى : « هو بذل الوسع فى طلب العلم بأحكام الشريعة » (١) .

وقول الآمدى : « هو فى الاصطلاح : استفراغ الوسع فى طلب الظن بشىء من الأحكام الشرعية » (٢) .

وقول ابن قدامة المقدسى : « هو بذل الجهد فى العلم بأحكام الشرع » (٣) .

١ ــ المستصفى للغزالى ص ٤٧٨ ط الجندى سنة ١٩٧١ .

٢ ــ ارشاد الفحول للشوكانى ص ٢٥٠ ط دار الفكر بيروت .

٣ ــ روضة الناظر ص ٩٠ ط السلفية ١٣٩٧هـ

فالاجتهاد بهـذا المعنى العـام يجـرى فى النصوص ، وغيرها من الادلة ، « والمجتهد فيه « بالبناء للمجهول » هو : كل حكم شرعى ليس فيه دليل قاطع ، واحترز بالشرعى عن العقليات، ومسائل الكلام ، وبقولنا : ليس فيـه دليـل قاطع ، عن وجوب الصلوات الخمس ، والزكاة، وما اتفقت عليه الأئمة من جليـات الشرع » قاله الرازى فى المحصـول (١) ، والغزالى فى المستصفى (٢) .

وتـارة يرد الاجتهاد بمدلول خـاص ، وهو : استنباط الحكم بالدليل الرابع من الادلة الشرعية بعد الكتاب والسـنة والاجماع ، أى استنباط الحكم بالقياس أو الرأى عموما .

قال الشافعى : كل مانزل بمسلم ففيـه حكم لازم ، أو — على سبيل الحق — فيه دلالة موجودة .

وعليه اذا كان فيه بعينه حكم اتباعه ، واذا لم يكن بعينه ، طلب الدلالة على سبيل الحـق فيه بالاجتهاد ، والاجتهاد : القياس »(٣) .

وقال أبو بكر الرازى : الاجتهاد يقع عـلى ثلاثة معان :

أحدها : القياس الشرعى ...

والثانى : مايغلب على الظن مـن غـير علة ، كالاجتهاد فى الوقت والقبلة والتقويم (٤) .

والثالث : الاستدلال بالأصول (٥) .

فاذا أخذنا الاجتهاد بمعناه العـام ، ونظر الفقيـه فى النصـوص لاسـتنباط الأحكـام الشرعية منها ، ثم أمعـن النظر فى الأسانيد ، والدلالات ،ومناط الحكم ،والناسخ والمنسوخ والاطلاق والتقييد ، والتعارض بين الأدلة ... وهكذا ، ثم خرج من هذه الأدلـة بأحكـام فى المسائل ، كان عمله اجتهادا ، ولا خلاف فيه .

لكن هل يكون هذا النوع من الاجتهاد هـو مقصود الفقهاء من قولهم : « لا اجتهاد مـع النص » ؟؟ .

الجواب : لا .....وانما المقصود بهـذه العبارة الاجتهاد بمعناه الخاص أى : استنباط الحكم بطريق القياس أو الرأى عموما .

وقصر العبارة على هذا المعنى يسانده حديث معاذ بن جبل وهو حديث مشهور تلقته الامـة بالقبول .

قال له — صلى اللـه عليه وسـلم : « كيف تقضى اذا عرض لك قضـاء ؟ . قـال : أقضى بكتاب الله . قال : فان لم تجد ؟ . قال : أقضى بسنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : فان لم تجد فى سنة رسول الله ، ولا فى كتاب الله ؟ . قال : أجتهد برأيى ولا آلـو (٦) فقد جاء الاجتهاد بالرأى — فى الحديث — بعد ان لم يجد النصوص .

وقد صاغ الفقهاء هذه العبارة : « لا اجتهاد مـع النص » متفقين — مـاعدا أهل الظـاهر

---

١ — ارشاد الفحول ص ٢٥٢ .
٢ — المستصفى ص ٤٨٢ .
٣ — الرسالة للشافعى ط مصطفى الحـلبى سنة ١٩٦٩ ص ٢٠٦ .
٤ — اى تقدير القيمة فى المتلفات . وارش — الجنايات . وجزاء الصيد فى الحرم .
٥— ارشاد الفحول ص ٢٥٠ .
٦ — الحديث اخرجه ابو داود والترمذى .

منهم — على أن الاجتهاد بالرأى لا يكـون الا عند فقد النص •

قال موفق الدين ابن قدامة المقدسى المتوفى سنة ٦٢٠ هـ ان الصحابة رضـوان الله عليهم كانوا لايصيرون الى قياس مع ظفرهم بالخبر ، فانهم كانوا يجتمعون لطلب الاخبار ، ثم بعد حصول اليأس كانوا يعدلون الى القياس ، وقد أخر معاذ رضى الله عنه العمل به — أى العمل بالرأى — عن السنة فصوبه النبى — صلى الله عليه وسلم (١) •

وقال أيضا : أجمع الصحابة رضوان اللـه عنهم على الحـكم بالرأى فى الوقائع الخالية عن النص (٢) •

وهذه حكاية لاجماع الصحابة فى المسألة •

وقـال الامـام السرخسى الحنفى المتوفى ٤٩٠ هـ : « ان العمل بالقياس يكون بعد النص، وفى الحكم الثابت بالنص لا مدخل للقياس فى التغيير ، كما لا مدخل له فى الابطـال ، ولا معتبر بالقياس فى معارضة النص (٣) •

وقال : « النص مقدم على القياس بلفظـه ومعناه ، فكما لا يعتبر القيـاس فى معارضـة النص بابطال حكمـه ، لا يعتبر فى معارضـته بابطال لفظه » (٤) •

وقـد أشار ابن نجيم المصرى — المتـوفى سنة ٩٧٠ هـ — فى شرح المنـار الى أن بعض الحنفية أجازوا وجود القياس مع النص على أن يكون معاضدا له ، لامعارضا •

قال صاحب المنار أبو البركات عبد الله بـن أحمد المعروف بحافظ الـدين (٥) النسـفى المتوفى سنة ٧١٠ هـ فى شروط القياس : « وأن يتعدى — أى القياس — الحكم الشرعى الثابت بالنص بعينه الى فرع هـو نظـيره ، ولا نص فيه » •

قـال ابن نجيم فى شرح هـذه العبـارة : « ولانص فيه ، أى فى الفرع لأنه ان كان موافقا — أى للنص — فلا حاجة اليه ، وان كان مخالفا يبطل • كذا فى التوضيح ، واعترض بأن وجود النص لا ينافى صحة القياس ، ولذا لم يشترطه مشايخ سمرقند وكثير • قـال فى التلويح : والاستدلال به قصـدا الى تعاضـد الأدلـة كالاجماع عن قاطع (٦) ، ولهذا ذهب كثير مـن المشايخ وكثر فى كتب الفروع الاسـتدلال فى مسألة واحدة بالنص والاجمـاع والقيـاس انتهى » (٧) هذا هو تقرير المسـألة كما حرره الفقهاء •

واذا كانت هذه العبارة : « لا اجتهاد مـع النص » مـن المقـررات الأصـولية ، التى استقرت ، وتحددت مقاصدها ومعانيها •

فـان نقضها اليـوم ، ونقض المقـررات والأصول الاسلامية التى استند اليها فقـه الاسلام لأجيال عديدة هو أمر فى غاية الخطورة فى هذا العصر الذى تجـرى فيه عملية التغيير الاجتماعى والفكرى ، بل والعقدى للمجتمعات الاسلامية •

١ — روضة الناظر ص ١٨٢ •
٢ — المرجع السابق ص ١٤٨ •
٣ — أصول السـرخسى جـ٢ ص ١٥٠ ط دار المعرفة بيروت •
(٤) — المرجع السابق ص ١٥١ •
(٥) — هو غير صاحب التفسير نجم الدين عمر ابن محمد المتوفى سنة ٥٣٧ هـ •
(٦) — أى الاجماع على حـكم ورد فيه دليل قاطع •
(٧) — شرح المنار جـ٢ ص ٦ مصطفى الحلبى سنة ١٩٣٦ م •

وقد يعرض هنا سؤال :

ماهى الأهداف العملية من اثارة النقاش — أصلا — فى هذه المسألة ؟ • ربما كان الهدف هو الرغبة فى احداث اجتهاد جديد ينظر فى الأدلة بوجه عام ، سواء منها النصية ، وغيرها ، للخروج بأحكام تعالج شئون العصر معالجة جديدة — على حد التعبير الذى يتردد كثيرا هذه الأيام — •

اذا كان هذا هو الهدف فلابد من النظر الى عدة اعتبارات •

أولا : أن الاجتهاد بالرأى فيما ورد فيه نص أمر لا مساغ له ، وقد حكم عليه بالتحريم — على مانص به الشافعى (١) — •

ذلك أنه اجتراء بالتشريع فيما شرع فيه الوحى •

فضلا عن أن هذا النوع من الاجتهاد — اذا حدث — لا جدوى منه ، لأنه ان خالف النص فهو باطل ، وان وافقه كان عديم الأثر ، فان الدلالة النصية أقوى من دلالته •

ثانيا : أن الأئمة والفقهاء السابقين قد نظروا فى المسائل التى عرضت لهم ، وأفتوا أجيالهم ، وعصورهم فى نظرها ، وخرجوا فيها بآراء ، لا يجوز لنا أن نزيد فيها اليوم ، أو نخالفها بنظرنا •

والجمهور على هذا المنع ، واستقر هذا الرأى أجيالا ، بما يدخل فى حساب الاجماع • قالوا :

ان « الامة اذا اختلفوا » فى حكم مسألة « على أقوال » فى عصر من الأعصار « كان اجماعا منهم على أن ماعداها » من الأقوال « باطل » ولايجوز لمن بعدهم احداث قول آخر •

هذا ما نص عليه ابن نجيم فى شرح المنار (٢) ، والقرافى فى شرح تنقيح الفصول (٣) والرازى فى المحصول ، وقد حكاه الشوكانى فى ارشاد الفحول (٤) ، وكذلك نص عليه تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكى فى جمع الجوامع (٥) •

وهو ما يطلق عليه اليوم : اغلاق باب الاجتهاد فيما اجتهد فيه السابقون • والحق أنه كان توفيقا من الله لهذه الأمة ، وحفظا منه لشريعته ، وقد تعهد سبحانه بحفظ كتابه :

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »

والشريعة لكتاب الله تبع •

ولنا أن نتصور كيف يكون الكم هائلا من

---

١ — الرسالة للشافعى ط الحلبى ١٩٦٩ ص ٢٦٢ •

٢ — شرح المنار جـ٢ ص ٧ مصطفى الحلبى سنة ١٩٣٦ •

(٣) ص ٣٢٨ — دار الطباعة الفنية ١٩٧٣ م

(٤) ص ٧٦ — دار الفكر بيروت •

(٥) حـ ٢ ص ١٩٧ ط مصطفى الحلبى •

الآراء والفتاوى فى كل مسألة ، وكيف يكون الاختلاف ، لو أنه أجيز للفقهاء ، والمفتين ، والقضاة فى مختلف الاعصار والامصار أن ينفرد كل منهم برأى حسبما يؤدى اليه اجتهاده فى كل مسألة . ؟

أفكان من الممكن عندئذ ضبط الأحكام ، وتحديد معالم الأصول الشرعية من خلال هذا الكم الرهيب . من الخلاف ، ومن الآراء؟.

وأكان من الممكن ضمان أهلية الاجتهاد ، والتجرد للرأى خالصا للدين فيمن يجتهدون فى كل يوم ، وفى كل مكان ؟.

سبحانك اللهم ، ولك الحمد : « إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ » (١) .

لقد كان من فضل الله على الأمة أن اكتمل جمع الحديث النبوى ، وتم تخريجه — تقريبا فى القرن الثانى الهجرى ، وعليه اعتمد الفقه فى تحرى مقاصد التشريع القرآنى ، ثم برز دور الاجماع فى وقف الخلاف ، وبخاصة بين الأعصر المتتالية ، كما وضح من هذا الحكم الذى أوردنا آنفا .

كان لكل هذا أثره فى ثبات الفقه الاسلامى، ووحدة الأمة الاسلامية فى أحكامها الشرعية من أقصى الشرق فى اندونيسيا الى أقصى الغرب المطل على المحيط من بلاد المغرب .

ولقد تنبه الاوربيون — أعنى غير المسلمين منهم — الى هذه الحقيقة ، وأشاروا اليها (٢)، ولذا فانهم يمكرون بالاسلام على أساس من المعرفة بحقائق قوته ، وثبات عقائده ، وأحكامه .

وهم يجتهدون لاغراء المسلمين باعادة النظر فيما استقر من الاحكام ، بحجة ملاءمة احتياجات العصر .

وباعادة فحص السنة ، واخضاعها للنقد العقلى والتاريخى ، ثم بطرح الاجماع جانبا ، وبهذا يتغير بناء الشريعة .

والمسألة ذات ابعاد أسال الله أن يعين على متابعتها ، والنصح للامة فى أمرها . وقد وضح شىء من خطوط هذا التدبير فى كتاب جوليوم : « الاسلام » (٣) Islam. ومما قال فيه : «اننا اذا أعدنا فحص السنة على هذا الأساس انتقض بناء الشريعة ، واذا أعدنا النظر فى الأحكام الفقهية على أساس النقد الغربى — المسيحى — انقسم العالم الاسلامى — كما حدث فى أوربا بالنسبة للاصلاح المسيحى — الى فرق : احداها تتمسك بالقديم، وأخرى تتجه الى المعاصرة والاستحداث ، وثالثة تقع بين بين ... وهكذا ... » (٤)

ثالثا : أن الاجتهاد فى الوقائع الجديدة الحادثة فى عصرنا ، سواء بالنظر فى النصوص ، أو الأدلة الأخرى ، أمر لم يمنعه أحد .

بل انه فرض كفاية على الأمة فى علمائها ،

◄

(١) الآية ١٠٠ من سورة يوسف .

(٢) Encyclopoedia Britanica — 1977 — V. 9- p. 913.

(٣) ALFRED Guillaume — Islam — 1954 — p. 163-166.

(٤) P165. والنص بالانجليزية . وهذا مضمونه ، فى ترجمتنا له .

آراء .. وقضـــايا

وذلك حتى لاتتعطل الشريعة ، وقد نص الفقهاء على هذا ٠

كما أن رأى الأكثرين منهم على أن الزمان لا يخلو من مجتهد ٠٠٠٠٠٠

وهذا مايؤيده الواقع ، فانه لا توجد مسألة الا وللفقهاء فيها رأى وفتوى ٠ الا أن تعرض ظروف خاصة تحول دونها ٠

« **وبعد** » فلنعد الى أصل المســألة ، وهى : « لا اجتهاد مع النص » ٠ ولم أجد مــن حرر القول فى موضوعها مثل الشافعى رضى الله عنه قال فى عبارة تجرى على وجه الحوار :

قال : « أى الســـائل للشـــافعى » فمن أين

قلت : يقال بالقياس فيما لا كتاب فيه ، ولا سنة ، ولا اجماع ؟ أفا لقياس نص خبر لازم ؟

قلت : لوكان القياس نص كتاب ، أو سنـــة **قيل فى كل ما كان نص كتاب** : هذا حكم الله ٠ **وفى كل ما كان نص السنة** : هذا حكم رســـول الله ٠ ولم نقل له : قياس ٠

قال : فما القياس ؟ ٠ أهو الاجتهاد ؟ ٠ أم هما مفترقان ؟ ٠

قلت : هما اسمان لمعنى واحد ٠

قال : فما جماعهما ؟ ٠

قلت : كل مانزل بمسلم ففيه حكم لازم ، أو ــ على سبيل الحق ــ فيه دلالة موجودة ٠

وعليه (١) اذا كـــان فيه (٢) بعينـــه حكم اتباعه (٣) ، واذا لم يكن بعينـــه طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد ، والاجتهـــاد القياس » (٥) ٠

قال : فقد حكمت بالكتاب والســـنة ، فكيف حكمت بالاجماع ثم حكمت بالقياس ، فأقمتهما مع كتاب ، أو سنة ؟ ٠

قلت انى وان حكمت بهمـــا (٥) كما أحكم بالكتاب والسنة ، فأصل ما أحكم به منهما (٦) مفترق ٠

قال : أفيجوز أن تكـــون أصـــول مفرقـــة الأسباب يحكم (٧) فيها حكما واحدا ؟

قلت : نعـــم : يحكم بالكتـــاب ، والســـنة المجتمع عليها ، الذى لا اختلاف فيها ، فنقول لهذا : حكمنا بالحق فى الظاهر والباطن ٠

ويحكم بالسنة قد رويت من طريق الانفراد، لا يجتمع الناس عليها ، فنقول حكمنا بالحق فى الظاهر ، لأنه قـــد يمكـــن الغلط فيمـــن روى الحديث ٠

ونحكم بالاجماع ثم القياس ، وهـــو (٨) أضعف من هذا ، ولكنها منزلة ضرورة ، لأنـــه لا يحل القياس والخبر موجود ٠ (٩)

---

(١) أى المسلم ٠
(٢) أى فيما نزل بالمسلم ٠
(٣) أى علمية اتباعه ٠
٤ الرسالة للشافعى طبعة مصطفى الحلبى سنة ١٩٦٩ ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦ ٠
(٥) فى بعض الاصول للرسالة « بها » ٠
(٦) فى بعض الاصول : « منها » ٠
(٧) يحكم ــ بالبناء للمجهـــول ــ وفى بعض النسخ : تحكم ــ بالتاء ٠
(٨) أى القياس ــ فيما يبدو منظاهر العبارة
(٩) الرسالة للشافعى ص ٢٦١ ، ٢٦٢ ٠

الإسلام

والتعايش السلمى

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

شاء الله أن يكون الاسلام ختام رسالات السماء الى الأرض ، وأن يبقى مع الزمن الى نهاية الخلود لأنه دين الأزل والأبد فقد استوعب كافة مافى الرسالات الأولى من أصول ثابتة بعد أن نفى عنها ما علق بها من خرافات الجهلة من الأتباع وأكاذيب الدجالين المنسوبين الى رجال الدين من الكهنوت والأحبار .

بدأ اشراق الاسلام فى مكة المكرمة ، وبعد مرحلة تأسيس دامت عشر سنوات فى المدينة المنورة فى جمع الملايين من أهل جزيرة العرب على سعة أطرافها وتباين نزعاتها جمع الاسلام شمل قبائل تلك الجزيرة ولم شعثهم وجعل منهم أمة واحدة قضت وقتئذ على دولتى العالم الفارسية ، والرومانية فى فارس والعراق ومصر وبلاد الشام .

ثم غزا الاسلام بعقائده العالم فى كل مكان من أقصى الشرق الى أقصى الغرب لأنه الصورة العامة الأخيرة للوحى الالهى التى تستغرق الأجناس كلها وتتناول الأجيال التى تسكن الارض حتى قيام الساعة .

وهكذا انتشر الاسلام بسرعة لم يعهد التاريخ لها مثيلا فى تاريخ الأديان مما حير العلماء والمؤرخين فى تفسير هذه السرعة التى لم يعرفوا لها نظيرا .

السر فى انتشار الاسلام :

سر ذلك أن الاسلام دعوة الى الحياة على أسس جديدة تكفل الحياة فى أمن وسلام بعد أن سئم المفكرون فى البحث عن هذه الأسس يقول الله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)** (١) .

(١) سورة الانفال ٢٤ .

الإسلام والتعايش السلمى

ايمان المسلمين والتعايش السلمى :

ان ايمان المسلمين بعقيدة التوحيد لله رب العالمين وبرسالة النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد وسع كل من أرسله الله من الأنبياء والمرسلين لذلك لم يشعر المسلمون بأى غضاضة من أن يعيش معهم مواطنوهم أهل الديانات الأخرى كاليهود والنصارى والمجوس وأن يسود السلام بينهم وبين جيرانهم الذين يخالفونهم فى عقيدتهم الدينية ، وأن يمتد بينهم طريق المعايشة السلمية ، ولقد تجاوز الدين فى مفهوم الاسلام تلك الحدود ، من صلة الانسان مع قوى الغيب العلوية الى حدود أخرى أعطاها نفس الاهتمام ألا وهى (صلات الانسان مع أخيه الانسان) .

التعايش السلمى هو أهم مشاكل الانسانية منذ القدم :

لقد كان من آثار التطور الاجتماعى أن انقسم العالم الى جماعات من الأفراد تسكن كل جماعة منها اقليما محددا ، وتخضع لهيئة حاكمة تسيطر عليه وعلى كل ما هو موجود به من أشخاص وأشياء هذه الجماعات هى التى تعارف الناس على تسميتها بالدول ، ولقد نشأ بين تلك الجماعات علاقات مختلفة كنتيجة حتمية لوجودها جنبا الى جنب وعدم امكان الواحدة منها أن تستغنى عن الأخرى (١) ، ولما خرجت تلك الجماعات منذ أواخر القرون الأولى ومطالع القرون الوسطى عن عزلتها واحتكت ببعضها خصوصا فى مجال التجارة أورث ذلك الاحتكاك أحقادا وحروبا دامية دائمة طغى فيها القوى على الضعيف وتنكر الانسان لأخيه الانسان ، واتخذ بعض الناس أنفسهم أربابا من دون الله على الآخرين ونزلوا بغيرهم الى أدنى الطبقات ، وجردوهم من الحياة الكريمة حتى أصبحت حياة الافراد والمجتمع فى جحيم مقيم .

ومع تقدم الحضارات ورقى المدنية وتشابك المصالح زاد احتكاك الشعوب فيما بينها مما دعا الى المناداة بما سبق أن نادى به الاسلام من ضرورة التعايش السلمى بين الأمم والدول والرغبة فى السلام ما بين ابناء الانسان فى كل مكان وبين جميع الأقوام ومختلف العقائد والنظم والأديان ، لكنها تعارفت فيما بينها على مفهوم لذلك التعايش السلمى على خلاف ما نادى به الاسلام .

مبادىء التعايش السلمى الخمسة فى العصر الحديث (٢) :

رغم أن روح التعايش السلمى لم تتبلور بعد ، ولم يشعر بجديتها أحد حتى الآن ولم يتمكن أحد من صوغها فى مبدأ حيوى ايجابى الا أن الشعوب تعارفت فيما بينها على مبادىء خمسة للتعايش السلمى هى :

١ ــ مبدأ عدم الاعتداء .

٢ ــ تجنب التدخل فى الشئون الداخلية

---

(١) كتاب القانون الدولى العام تاليف دكتور محمود سامى جنينه استاذ القانون الدولى العام بكلية الحقوق جامعة القاهرة سابقا مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٨ .

(٢) كتاب منادى الاسلام الدستورية فى نواحى الحياة تاليف محمد معروف الدواليبى مطبوعات المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ١٥ صفر سنة ١٣٨١ هـ ـ ٢٨ يوليو سنة ١٩٦١ م

للدول الأخرى .

٣ ـ الاحترام المتبادل للسيادة والاستقلال .

٤ ـ مبدأ المساواة والنفع المتبادل .

٥ ـ المعايشة فيما بينها فى سلام .

وقد كثر الاعتراض على تلك المبادىء السابقة لسلبيتها ولغموض فكرتها وخاصة فى المعايشة فيما بينها بعكس الحال بالنسبة لمبادىء الاسلام فى التعايش السلمى .

مبادىء التعايش السلمى فى الاسلام :

ان السلام هو المقصد الاصلى فى علاقة المسلمين بغيرهم وكانوا لا يلجأون الى الحرب الا باختيار عدوهم ، فهم لا يبغون الا العمل على نشر الاسلام وتعاليمه بالطرق السلمية فى شتى المدن والبلاد فيخيروا أهلها بين الاسلام أو أن يتعاهدوا معهم على العيش فى سلام

ولقد نادى الاسلام بذلك المبدأ منذ أربعة عشر قرنا دون أن يطوقه بحدود فيما بين الأقوياء ودون أن يقصره على فريق من الشعوب أو على جمع فقط من أهل الأديان وقد تناول فيه جميع نواحى حياة الانسان منفردا ومجتمعا ، وما اسم الاسلام الا كلمة مشتقة من مادة السلم والسلام ، ولذلك اتخذ الاسلام (السلام) تحية له وشعارا يقول تعالى

(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (١) .

قواعد الاسلام الخمسة فى التعايش السلمى :

وهذه القواعد الخمسة تقوم على روح السلام فى جميع نواحى الحياة طبقا لما يلى :

أولا : السلام فى العقيدة :

١ ـ ففى مجال العقيدة فرض نظام الاسلام السلام ما بين العلم والعقل من جهة وبين العقيدة من جهة أخرى فاختص فى خطابه الذين يعلمون والذين يعقلون قال تعالى :

(قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (٢) .

(وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (٣) .

(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (٤) .

٢ ـ كذلك فرض الاسلام السلام فى العقيدة فيما بين أصحاب الأديان فقال الله تعالى :

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) (٥) .

(فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ) (٦) .

وهذا منتهى ما وصلت اليه البشرية فى دساتيرها الراقية الحرة فى سبيل حماية حرية المعتقدات وقد سبقها الاسلام فى ذلك قبل أربعة عشر قرنا من الزمان .

---

(١) سورة آل عمران ١٩ .
(٢) سورة يوسف ١٠٨ .
(٣) سورة المؤمنون ٨٠
(٤) سورة الحشر ٢١ .
(٥) سورة البقرة ٢٥٦ .
(٦) سورة الغاشية ٢١ .

الإسلام والتعايش السلمى

(أ) فليس فى طبيعة الدعوة الاسلامية من التعقيد والغموض والمشقة العقلية ما تحتاج معه الى اكراه جلى بالقوة المادية كضغط الدولة بسلطانها وجبروتها وحديدها ونارها ، أو اكراه خفى كالخوارق الحسية التى تخضع لها الأعناق .

(ب) ان شريعة الاسلام أخذا من كتاب الله لا تغاير أو تخالف سنة الله الكونية التى جعلها أساسا لايمان من يؤمن وكفر من يكفر وهى ترك الناس وما يختارونه لأنفسهم عن طريق النظر والاقناع .

(حـ) ان شريعة الاسلام لاتبيح نصوصها المحكمة الواضحة اتخاذ الاكراه وسيلة من وسائل الدعوة الى الله .

(ء) ان صاحب الدعوة الاسلامية ورسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه ليس مسئولا امام ربه الا عن مهمة الرسالة التى بينها القرآن الكريم وهى التبليغ والانذار وليس مطالبا بايمان الناس حتى يسمح له باكراههم .

(هـ) فضلا عن ذلك فان كتاب الله مصدر الدعوة الاسلامية لايحترم ايمان المكره ولايرتب عليه آثاره يوم البعث والجزاء فكيف يأمر بالاكراه ، ويبيح اتخاذه وسيلة من وسائل الايمان بدعوة الاسلام (١) .

ثانيا ــ السلام فى الحياة الخاصة :

ذلك أن الاسلام فرض السلام ما بين رغبات الانسان ومطالبه فى الحياة ، وما بين فكرة الانسان وما يصله بها الى تلك الرغبات قال تعالى :

(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (٢) .

فلم يشترط الاسلام فى وصول الانسان الى الطيبات وزينة الحياة غير الطرق المشروعة والعمل الصالح ، أما مايتجاوز هذه الحدود فقد منعه الاسلام لأنه يخرج بالانسان من نطاق السلام الى نطاق العدوان والفساد قال تعالى **(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ)** (٣) وقوله جل شأنه **(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَاتَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَاتَبْغِ الْفَسَادَ فِى الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَايُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (٤) .**

(آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) (٥) .

وبذلك احتفظ الاسلام للانسان بمكانه فى الوجود كانسان وأباح له ما شاء من حظوظ وما أوتى من ملك بشرطين اثنين هما :

---

(١) كتاب الاسلام والعلاقات الدولية فى السلم والحرب لفضيلة الاستاذ الاكبر المرحوم الشيخ محمود شلتوت مطبعة الازهر شوال سنة ١٣٧٠هـ يوليو ١٩٥١ م .

(٢) سورة الاعراف ٣٢ .
(٣) سورة البقرة ١٨٨ .
(٤) سورة القصص ٧٧ .
(٥) سورة الحديد ٧ .

١ ــ الاحســــان .
٢ ــ عدم الفساد .

ثالثا ــ السلام فى الصلات فيما بين الناس :

فقد جعلهم الله شعوبا وقبائل لتسهيل التعارف والتقارب فيما بينهم وليس وسيلة لكى يرتفع بعضهم على بعض أو يتخذ بعضهم من أنفسهم آلهة من دون الله فوق الآخرين قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (١) .

ويرتبط بصلات المسلمين بغيرهم من الناس علاقاتهم التجارية مع غيرهم وكما قدمنا آنفا فان العلاقة التى تربط المسلمين بغيرهم انما تقوم فى أصولها على الود والسلام ، لذلك فان الاسلام لايدعو فقط المسلمين أن يسعوا فى الارض بل شجع غير المسلمين الى دخول دار الاسلام للاتجار فيها وله الأمان أربعه شهور قابله للتجديد اذا لم تنته تجارته خلالها . كما أن له أن يطلب البقاء فى دار الاسلام عاما على أن يدفع الجزية كذمى وله عندئذ الانتقال فى سائر ديار الاسلام بحرية كاملة فيما عدا الأماكن المقدسة (٢) .

رابعا ــ السلام فى النظام العام :

ذلك أن الاسلام فرض السلام ما بين الانسان وأخيه الانسان فلا طبقية ولا عرقية ولا أجناس فيما بين الناس بل قرر المساواة بين جميع البشر فيقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى حجة الوداع التى جعلها دستورا للمسلمين من بعده (أيها الناس ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر فضل الا بالتقوى ، ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب) (٣) فاستل بذلك من نفوس المسلمين ما رسخ فى نفوس الأقدمين وكثير من الحديثين الزعم برجحان جنس على جنس أو شعب على شعب فى الحقوق والكرامة وتجريد الكثير من الناس من حقوقهم الطبيعية .

خامسا ــ السلام فى الحكم :

فرض الاسلام السلام فيما بين الناس فى الحكم لأنه جعل العدل والمساواة فى الحقوق لجميع ما يسوده نظام الاسلام بحمايته ولو لم يكن عربيا أو مسلما كأهل الذمة فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وذلك تطبيقا لما يروى عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بشأن الذميين اذ يقول لأحد مبعوثيه : (فاذا قبلوا عقد الذمة فأعلمهم أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين) (٤) .

ويقول الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه (انما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا) وفى مسائل العقوبات سوى الاسلام بين المسلم والذمى

---

(١) سورة الحجرات .

(٢) بحث العلاقات الدولية فى الاسلام للاستاذ عامر الخطيب بمجلة الفيصل السعودية العدد ٨١ السنة السابعة ديسمبر ١٩٨٣ .

(٣) كتاب مسيرة الرسول للدكتور محمد الطيب النجار ، وكتاب حقوق الانسان فى الاسلام للدكتور على عبد الواحد وافى نشر ادارة الثقافة بوزارة الاوقاف المصرية بدون تاريخ .

(٤) ذكره الامام الكاسانى فى بدائعه .

الإسلام والتعايش السلمى

فى أحكام الديات ، والضمان ، والتعاذير وحماية الاسلام لأهل الذمة ينصب على الاعتداء الخارجي والظلم الداخلى وذلك فى دمائهم وأنفسهم وأبدانهم كما يتضمن حماية أموالهم وأعراضهم على التفصيل الذى أورده علماء الاسلام فى كتب الفقه المختلفة ، يقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : (من ظلم معاهدا أو انتقصه حقا أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة) (١) .

كما فرض الاسلام للذميين حظا فى ضمان الاسلام الاجتماعى يرقى على كثير من التشريعات المعاصرة فى عالم اليوم يشهد بذلك كتاب خالد بن الوليد رضى الله عنه الى أهل الحيرة فقد جاء فيه (للنصارى) أيما شيخ ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار **الاسلام (٢)** .

لكن هل كانت نظرة أعداء الاسلام الى المسلمين بمثل مبادىء المسلمين السامية ؟

الواقع أن رجال الحرب والسياسة والقانون فى الدول غير الاسلامية كانوا ينظرون الى المسلمين ببغضاء شديدة ، فقد كانت العائلة الدولية فى العصور الحديثة تستبعد دار الاسلام من حظيرتها ، فمنذ نشأة القانون الدولى الحديث بمفاهيمه الأوروبية عمل فقهاؤه على اعتبار الاسلام خارج نطاق العلاقات الدولية وعدم الاعتراف بتمتع الشعوب الاسلامية بالحقوق التى يقررها هذا القانون مما يشير الى تقرير عدم التعايش السلمى معهم طبقا لما يلى .

أولا — (جروسيوس) والذى يدعى فى أوروبا أبو القانون الدولى قال بوجوب عدم معاملة الشعوب غير المسيحية على قدم المساواة مع الشعوب المسيحية ، ومع أنه يرى القانون الطبيعى مجيزا لعقد معاهدات مع أعداء الدين المسيحى الا أنه نادى بتكتل الأمراء المسيحيين ضد أعداء المسيحية (ويقصد بكلامه هذا المسلمين) .

ثانيا : وبناء على ما قرره ذلك الفقيه وغيره من الفقهاء الأوروبيين لم تقم الدول الأوروبية باشراك الدولة العثمانية فى مؤتمر وستفاليا سنة ١٦٤٨ ميلادية حينما وضعت أسس القانون الدولى الحديث .

ثالثا : وفى القرن الثامن عشر لم تر تلك الدول الأوروبية أن تمنح الدولة العثمانية الحقوق المقررة للدول فى القانون الدولى العام لأن الدول الأوروبية فى تعاملها مع الشعوب الاسلامية كانت تنظر اليها كجماعات غير جديرة

---

(١) رواه ابو داود والبيهقي .
(٢) بحث العلاقات الدولية فى الاسلام للاستاذ عامر الخطيب بمجلة الفيصل السعودية العدد ٨١ ديسمبر ١٩٨٣ .

بالتمتع حتى بقواعد قانون الحرب لذلك كانت تعتبر الاستيلاء على أراضى المسلمين واستبعادهم عملا فاضلا يدعو تلك الدول الأوروبية الى الفخر ٠

رابعا : وبعد انتهاء حروب نابليون وانعقاد مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ م لم تدع اليه الدولة العثمانية وبقيت خارج الجماعة الدولية ٠

خامسا : واستمر استبعاد الدولة العثمانية (بوصفها دولة مسلمة) من العائلة الدولية حتى النصف الاول من القرن التاسع عشر ونشوب حرب القرم سنة ١٨٥٤ — سنة ١٨٥٦ م بين الروسيا وتركيا وانعقاد مؤتمر صلح باريس منحها مزايا القانون الدولى ،ومع ذلك لم يشفع لها ذلك أمام تلك الدول الأوروبية فلم تعاملها على قدم المساواة مع باقى أفراد العائلة الدولية بل تواطأت فيما بينها على نهش جسدها والتهام أملاكها ثم القضاء عليها وهذا ماحدث فعلا بعد ذلك (١) ٠

فأين هذا مما قرره الاسلام وعرضناه سابقا فى هذا المقال ، ولم يكتف بذلك بل زاد عليه فيما قرره من حض على البر بأبناء الاديان الأخرى مهما كانت عقائدهم مالم يقاتلونا فى الدين ومالم يخرجونا من ديارنا فيقول تعالى :

(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (٢) ٠

وقوله تعالى : **(الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ) (٣) ٠**

وما قرره الرسول — صلى الله عليه وسلم — من مبادىء سامية فى حجة الوداع تعتبر ذروة ما تنشده الانسانية اليوم ومفكروها ٠ ومنتهى ما تعمل على ادخاله فى دساتيرها من حقوق طبيعية للانسان مما يشهد للاسلام بروح السمو التى يحملها فى علاقته بغير معتنقيه ، فهو لم يدع الى التعايش السلمى معهم فقط بل تجاوز ذلك الى نواحى البر والقسط والتعاون والمؤاكلة والمصاهرة وهى علاقة يتضاءل أمام روعتها وانسانيتها أحدث مبدأ عرفه العقل البشرى فى العلاقات الدولية٠

المستشار محمد عزت الطهطاوى

---

(١) كتاب القانون الدولى العام تاليف الاستاذ الدكتور محمود سامى جنينه ، وكتاب كفاح دين للشيخ محمد الغزالى مطبعة دار التاليف سنة ١٩٨٢ ٠

(٢) سورة الممتحنة ٨ ٠

(٣) سورة المائدة ٥ ٠

القيادة الادارية في الاسلام

١ ــ مفهوم القيــادة الادارية :

« القيادة بمفهومها العام تعنى فن استخدام الأفراد ، وتنسيق جهودهم لتحقيق أهــداف محددة ومعينة » .

وهى فن ، لما تتطلبه من تأثير فى الأفــراد ، وتطويعهم مختارين الى طاعة القائد ، وليس جبرا أو قسرا .

لذلك كانت القيادة فنا يتوقف على عــوامل وصفات لا تتوفر عند كل الناس . والقــائد لا يستطيع أن يكون نشيطا ما لم يتوفر لديه نظام للاتصال جيد وفعال .

٢ ــ القيادة فى الاسلام :

تتميز القيادة فى الاســلام بأنهــا قيادة روحية وسياسية فى وقت واحد ، كما أنهــا تتميز بأنها تقوم على مبادىء :

كمبدأ الشورى والقدوة الحسنة ، فالقائد فى الاسلام مثله كمثل الأب الــرحيم يرعى أسرته وأبناءه ، ويكفــل لهم ســبل الراحــة الطمأنينة ، ويرشدهم فى لين ، ويوجههم فى صبر ، يخشاه الناس ولا يخافونه ، يســعون اليه ولا يتفرقون منه ، فهو القوى فى غــير عنف ، الرحيم فى غير ضعف .

٣ ــ حتمية القيادة فى الاســلام :

الاسلام يؤكد حتميــة القيــادة كضرورة اجتماعية يقول النبى (صلى الله عليه وسلم) (لا يحــل لثلاثة يكــونون بفــلاة من الأرض الا أمروا عليهم أحدهم) (١) ويقول :

(اذا خــرج ثــلاثة فى ســفر فليــؤمروا أحدهم) (٢) .

يقول الامام الشوكانى تعليقا على هــذين الحديثين :

« ان فيهما دليلا على أنه يشرع لكل عــدد بلغ ثلاثة فصاعدا أن يؤمروا عليهم أحدهم ، لأن فى ذلك السلامة من الخــلاف الذى يؤدى الى الاختلاف ، فمع عدم التأمير يســتبد كل واحد برأيه ، ويفعل ما يطابق هواه فيهلكون ، ومع التأمير يقل الاختلاف ، وتجتمع الكلمة .. ويستطرد فيقول : « واذا شرع هذا لثــلاثة

(١) روى بلفظ (واذا كان ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم)أبو هريرة مرفوعا وسنده حسن .

(٢) رواه أبو داود باسناد حسن عن أبى هريرة (رضى الله عنه) .

للشيخ محمد صابر البرديسى

يكونون فى فلاة من الأرض أو يسافرون ، فشرعيته لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار ، ويحتاجون لدفع المظالم أولى وأحرى .

ومن أجل وحدة الأمة وأن يصان كيانها ، وتحمى أطرافها لابد لها من قيادة موجهة رشيدة ، وتكون فى يد ولاة الأمور الذين تختارهم الأمة ويتولون الحكم ، وفيمن يختارون للاشراف على مختلف مرافق الدولة ويديرون ادارتها .

هذه القيادة ليست من الأمور السهلة فهى تتطلب مقومات لابد أن تتوافر فيمن يتولى عملا ، أو يشرف على ناحية ، أو يرأس ادارة ، وليس ولى الأمر الأعلى وحده هو المسئول عن رعاية الأمة بل كل فى موقعه مسئول ، يقول (صلى الله عليه وسلم) (كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته) الحديث (١) .

٤ ـ المجتمع الاسلامى مجتمع فاضل :

العلاقات الاجتماعية فى المجتمع الاسلامى تقوم على الروابط المعنوية والأدبية من تواد وتراحم لا على أساس من العلاقات المادية فقط .

مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم ، كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (٢) والعلاقات التى تقوم على المودة والرحمة هى العلاقات التى يقوم عليها بنيان الجماعات الانسانية : علاقات تربط الناس بعضهم ببعض برباط وثيق لا ينهار .

وهى علاقات تقوم على أساس التوجيه الدينى الذى وضعه الاسلام بالقرآن والسنة ، والذى يغذى النفوس ، نفوس الآحاد لتجتمع ، ونفوس الجماعات لتتآلف ، ونفوس الحكام ليعدلوا فى دولتهم ، ونفوس القادة لينهضوا بمؤسساتهم واداراتهم ، وليكونوا فى تصرفاتهم مع كل انسان ، ملاحظين المعانى الانسانية من غير نظر الى اختلاف الأجناس والألوان .

وقد عمل الاسلام على اقامة ذلك المجتمع الفاضل بتربيته للنفوس وتربيته للجماعات ليتكون من ذلك مجتمع انسانى متآلف متحاب ، يكون الفرد فيه مؤتلفا مع الجماعة ملتقيا معها ، يؤثرها على نفسه ، ولو كانت به خصاصة ، مستجيبا لها يعمل لمصلحتها ، منتميا اليها ، يكون ممن قال فيهم النبى (صلى الله عليه وسلم) .

« ان لله عبادا ما هم بأنبياء ، ولا شهداء ،

(١) عن ابن عمر ، أخرجه الخمسة ، ورواه البخارى جـ ٣ ص ١٥٧ و ص ١٩٦

(٢) رواه مسلم وأحمد .

القيادة الادارية فى الاسلام

يغبطهم الأنبياء والشهداء ، لمكانهم من الله تعالى يوم القيامة .

قيل : ومن يارسول الله ؟

قال : « قوم تحابوا بروح من الله على غير أرحام تربطهم ، ولا أموال يتعاطونها ، والله انهم لنور ، وانهم لعلى نور ، لا يحزنون اذا حزن الناس ، ولا يخافون اذا خاف الناس » .

(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ • الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ • لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) » (١)

كفاية التشريع الاسلامى وصلاحه لأى مجتمع :

لقد وسعت الشريعة الاسلامية بمبادئها السامية ، وقواعدها الأصيلة مصالح الناس على اختلافهم ، فمع امتداد الدولة الاسلامية فى عصورها الذهبية .

ما ضاقت القوانين الشرعية الاسلامية عن حاجة ولا وقفت عقبة فى سبيل مصلحة أحد : مسلم أو يهودى أو نصرانى — بل عاش جميعهم فى ظل عدالتها وتسامحها عيشة راضية .

والتشريعات الاسلامية التى كانت تطبق آنذاك سبقت المدنية الحاضرة بكثير واشتملت على كل ما يتطلبه المجتمع المتحضر وقد اعترف بذلك علماء الغرب يقول أحدهم (٢) .

(ان فى الفقه الاسلامى ما يكفى المسلمين فى تشريعاتهم المدنية ان لم نقل ان ما فيه يكفى الانسانية كلها) .

ونخلص من ذلك الى أن نظام الاسلام قد عالج بنجاح مصالح الدولة الاسلامية فى أوج توسعاتها ، وأقامت الشريعة الاسلامية صرح نظم ومؤسسات متعددة ومختلفة ، وما ذلك الا لمتانة أصولها وشمولها وعمومها .

(ب) أهم مقومات القيادة الادارية فى الاسلام :

يهتم الاسلام بالمجتمع ويضع الأسس الثابتة التى يقوم عليها بنيانه والخطوط العريضة التى تصون كيانه وتحفظه من التصدع :

واهم مقومات القيادة الادارية فى الاسلام هى :

١ — الشورى :

فالقائد الجدير بالقيادة من اذا واجهه موقف وله أكثر من حل ، وكل حل فى ذاته صحيح ، جعل المشورة طريقا لاختيار أفضل الحلول ، وقد جاء النص القرآنى الكريم بوجوب الشورى فى أساس الحكم وفى فروعه

(١) الآيات ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ من سورة يونس .

(٢) وددنا — والله — أن نعلم القائل ، ويبدو أن الكاتب نسى ادراج اسمه فقد رقم له ولم يعط عنه بيانا ، ونرجو أن يتداركه فى العدد القادم مجلة الازهر

قال تعالى فى وصف المؤمنين الصادقين فى ايمانهم :

(وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) (١) .

فحكم المسلمين يجب أن يكون بالشورى الجامعة ، لا بالاستبداد المفرق .

ولقد ابتدأ عمر ينظم الشورى فكان له منها الشورى الخاصة (٢) . وفيها يستشير كبار العلماء من الصحابة كعلى بن أبى طالب ، وعثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت وغيرهم من كبار الصحابة ، فكان يستشيرهم فى أمور الدولة ، وما يلزمها من أحكام .

والقسم الثانى من الشورى : وهى : الشورى العامة ، وهى يحتاج فيها الى تقرير مبدأ ، أو يكون الأمر فيها خطيرا . هذا وكان يستشيرهم فيما يتعلق بشخصه اذا اتصل بمصلحة عامة فانه يروى : « أنه لما تكاثفت جيوش الفرس على الجيش الاسلامى خشى الفاروق على المسلمين ، فأراد أن يخرج الى الفرس بنفسه ، فاستشار كبار الصحابة فى ذلك ولتنقل مشورة على رضى الله عنه ، ورأيه فيما دار من مناقشة بين عمر (رضى الله عنه) وبعض الصحابة فى أمر خروجه بنفسه . قال الامام على موجها الكلام الىالامام عمر .

(ان هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولاقلة وهو دين الله الذى أظهره وجنده الذى أعده وأمده ، حتى بلغ ما بلغ ، وطلع حيثما طلع ، ونحن على موعد مع الله والله منجز وعده ، وناصر جنده ، ومكان القيم من الامر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه ، فاذا انقطع النظام تفرق الخرز ، ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا ، والعرب اليوم ، وان كانوا قليلا، هم كثيرون بالاسلام ، عزيزون بالاجتماع ، فكن قطبا ، واستدر الرحى بالعرب ، وأصلهم دونك بالحرب فانك ان شخصت من هذه الأرض ، انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى تكون ماتدع وراءك من العورات أهم اليك مما بين يديك ، ان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا يقولوا هذا أصل العرب ، فاذا قطعتموه استرحتم ، فيكون ذلك أشد لكليهم عليك وطمعهم فيك . فأما ما ذكرت من سير القوم الى قتال المسلمين ، فان الله سبحانه وتعالى أكره لمسيرهم منك . وهو أقدر على تغيير ما يكره ، وأما ما ذكرت من عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ، وانما كنا نقاتل بالنصر والمعونة) (٣)

والله سبحانه قد أوجب الشورى على نبيه عليه الصلاة والسلام وهو المعصوم الذى نزل عليه الوحى ، فالمشورة على من بعده ومن دونه من الأئمة والحكام من باب أولى وفيهم تكون أوجب وألزم ، ولذلك جرى عليها الخلفاء من بعد النبى (صلى الله عليه وسلم) فكان أبو بكر (رضى الله عنه) اذا نزلت به نازلة ، نظر فى كتاب الله ، فان وجد فيه شيئا قضى به ، وان لم يجد نظر فى سنة رسول الله، فان وجد فيها شيئا قضى به فان لم يجد سنة جمع الناس ، وقال لهم : أفيكم من يحفظ فى

(١) سورة الشورى ــ آية ٣٨ .

(٢) نظمت الشورى من عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كغيرها من الامور مثل الدواوين وغيرها .

(٣) نهج البلاغة حـ ١ ص ٢٨٢ شرح الاستاذ الامام محمد عبده .

هذا شيئا عن رسول الله ، فان وجد قضى به ، والاجمع رءوس الناس وخيارهم ، وقال: أشيروا على أيها النـاس ، فيقضى ويبـرم ما يجمعون عليه ، أو يتفقون عليه .

كذلك كان عمر ، وكان يقول (لا خير فى أمر أبرم من غير شورى) كما قال أيضا (حق على المسلمين أن يكون أمرهم شورى بينهم ، وبين ذوى الرأى فيهم)

فالاسلام لا يستبعد السيادة الشعبية ، ولا ينكر الحكم عن طريق الاغلبية ، وانما هو يفرق بين مجالين ، مجال النص الصريح القطعى الواضح ، ومجال النص المحتمل أو عدم وجود النص ، فاذا كان فى الامر نص واضح من القرآن أو السنة ، أو اجماع من المسلمين على أن هذا الامر من السنة ، ومتفق معها فليس للأغلبية أو الاجماع المخالف للسنة من سبيل ، فالله تعالى — وهو الذى أنزل هذا النص ، وأوحى الى رسوله — صلى الله عليه وسلم — به ، ووجهه اليه — أعرف من الجماعة بمواضع المصلحة ، ومظان العدل ، قال تعالى : (وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (١) .

ويقول فى الذين يترددون فى حكم الله والأخذ به (أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ؟) (٢)

أما فى المجال الآخر حيث يكون النص محتمل التأويل ، وحيث لا يعالج المسألة نص من القرآن والسنة المؤكدة ، فان الاسلام يجعل الوزن الاكبر لرأى الجماعة ، جاعلا منه دليلا على الحق وشاهدا له عند انعدام المعيار الموضوعى الذى يكشف عن الحق فى ذاته المستمد من النص القطعى ، وفى ذلك يقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — (يد الله مع الجماعة) (٣) ، ويقول : (ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن) (٤) ويقول :

(لا تجتمع أمتى على ضلالة) (٥) .

فالاجماع على أمر من الامور حجة عند جمهرة المسلمين يجب العمل به ، ولا يجوز الخروج عليه ، ولقد بدا لعلى (كرم الله وجهه) فى مسألة وقع فيها الاجماع فى عهدى الخليفتين الأولين (أبى بكر وعمر) « رضى الله عنهما) بدا له أن يرجع عن هذا الرأى ، فقال له أحد أتباعه :

(رأيك مع الجماعة أحب الينا من رأيك وحدك) ونزل على (رضى الله عنه) على رأيهم اقتناعا بأن رأى الجماعة أوفق من رأى الفرد .

٢ — اصطفاء المستشارين :

لابد أن يختار الانسان من يستشيره بأن يكون على جانب من الذكاء وأن يكون أمينا ملما بما يستشار فيه معروفا بالشجاعة فى الرأى وحسن الخلق .

وفى ذلك يقول الامام على كرم الله وجهه : (ولا تدخلن فى مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ، ويعدل بالفقر ، ولا جبانا يضعفك

(١) سورة البقرة — آية ٢١٦ .
(٢) سورة النور — آية ٥٠ .

(٣) رواه الترمذى ص ٢١٦٦ .
(٤) كشف الخفاء ٢/٢٦٣ .
(٥) المستدرك ١/١١٥ .

عن الأمور ، ولا حريصا يزين لك الشدة بالجور ، فان البخل والجبن ، والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله •

٣ ـ القدوة الحسنة :

وذلك بأن يكون القائد قدوة حسنة لغيره فكرا ، وسلوكا ولكى يكون كذلك فكرا ينبغى أن يكون على علم بكل دقائق العمل ، ولكى يكون قدوة فى سلوكه ينبغى أن يكون عالما حكيما ، صبورا حليما ، يجيب سائلهم ، ويهتم بأمورهم ، يعطف عليهم ، ويسأل عنهم لا يعبس ، ولا ينفر ، وأن يكون صادقا أمينا عادلا وقورا •

وهكذا كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقد اجتمعت فيه صفات القيادة الحقه ، فكان (صلوات الله وسلامه عليه) حسن الاصغاء الى من يحدثه ، لا يلوى عن أحد وجهه ، ولا يكتفى بالقاء السمع الى من يحدثه ، بل يلتفت اليه بكل جسمه ، وكان قليل الكلام ، كثير الانصات ميالا للجد من القول ، لا يقول الا حقا ، وكان مزاحه حقا ، طلبت منه امرأة عجوز أن يسأل الله لها الجنة ، فقال لها : ان الجنة لا يدخلها عجوز ، فولت تبكى ، فقال لها مهدئا ومطمئنا :

ان الله يقول : **(إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا)** (١) فضحكت العجوز واستبشرت وكان (صلى الله عليه وسلم) حليما لا يغضب ، واذا غضب لا يظهر غضبه الا من نفرة عرق بين حاجبيه ، وكل من يراه يهابه ، ومن يخالطه يحبه ، يقول الله تعالى : **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا)** (٢) •

وكان الرسول قدوة لمن جاء بعده أيضا من الخلفاء ، فهذا أبو بكر أول من آمن به من أصحابه ، لازم الرسول ، وتخلق بخلقه أحب الخير فعطف على الناس ، وقاد الأمة لما فيه صلاحها وفلاحها ثم جاء من بعده عمر (رضى الله عنه) فقام بأمر الخلافة على خير وجه ، بما عرف عنه من قوة الشخصية ، وما اتصف به من حزم ووداعة ، يتفقد أحوال الرعية بنفسه ، ينصر المظلوم ويرحم الضعيف ، ويعطى المحتاج ، يهابه الناس لشخصيته ويحبونه لعدله ، ثم يخلفه عثمان (رضى الله عنه) وهو الشيخ التقى الورع الذى تغلب عليه الطيبة والتسامح ، فتراه يغدق العطايا ، ويكثر من المنح والتوسعة على الناس ، مما أثار عليه القائمين على بيت المال ، فكان رده عليهم ، **(منع عمر لله ، وأنا أعطى الله)** فلم يتهم عمر فى المنع ، ولم يتهم نفسه فى العطاء •

وهكذا تختلف الصفات من قائد الى آخر ، فقد تتغلب الصفات الذاتية على المكتسبة ، والعكس ، فتكون شخصية القائد ، والكل يتصرف فى نطاق تقديره للأمور ، فى ايمان كامل بصحة عمله وسلامة تصرفه ، لا يرعى فى السن •

---

(١) سورة الواقعة ـ آية ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ومعنى عربا اترابا (متحببات الى أزواجهن ومستويات فى السن) •

(٢) سورة الاحزاب آية ٢١ •

الا الله ، ولا يفعل الا مـا يعتقـد صـحته وسلامته .

٤ ــ الاخـاء :

الاسلام كما يهتم بالمجتمع يهتم بالفـرد ، لأنه لبنة فيه فاذا صلح صـلح المجتمع كله ، ومن هنا ربط المسلمين جميعا برباط هو أوثـق الروابط ، وهو رباط الأخوة الاسـلامية التى تنمحى أمامها جميع الفـوارق ، من نسـب عريق ، ومال وفير وجاه عريض .

وهذا الاخاء يقتضى تبعات وحقوقا ، وليس اخاء مجردا لا ثمرة فيه ، ولا أثر له فى الواقع ، بل هو اخاء يقتضى التآلف ، والتعاون ، والعمل الدائب فى سبيل رفعة الآخرين ، ويقتضى حسن الرعاية ومن الأخوة أن يشعر القائد أو المدير للادارة أنه أخ لمن يعمل معه ، وواجبـات الأخوة توجب عليه النصح لمن معه يقول النبى صلى الله عليه وسلم (ما من عبد اسـترعاه الله فلم يحطها بنصحه الا لم يجـد رائحـة الجنة) (١) .

وتوجب الحب والرحمة ، وتستهدف تحقيق الخلق العالى ، والأدب الرفيع ، واشاعة البر والرحمة .

ومن أجل هذا المعنى تجد الارتباط الوثيق بين عقيدة الاسلام وتشريعاته وتوجيهـاته ، وبين معانى الأخوة والحب ، والتضحية والعمل لبناء خير الجماعة ، وخير الانسانية كلها ، وكل تشريعاته وتوجيهاته تعمل على تهذيب النفس ، واقامتها على الصراط السوى .

فالعقيدة الاسـلامية من شـأنها أن توقظ حواس الخير وتربى ملكة المراقبة ، وتبعث على طلب معالى الأمـور وتنـأى بالانسـان عن محقرات الأمور وسفاسف الأعمال .

يقول الامام على (رضى الله عنه) :

« وأشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبـة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكن سيفا ضاريا يغتنم أكلهم » .

والبر والرحمة صفتان من شأنهمـا جـذب القلوب ، وتأليف النفوس ، ومحو كل أثر للحقد والعداوة ، وقد يغفر الله للمذنب الـدنس اذا تفجر فى قلبه نبع الرحمة ، وتولد فيه البر .

يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

(بينما رجل يمشى فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب منها ، ثم خرج ، فاذا هـو بكلب يلهث يأكـل الثرى من العطش فقـال : لقـد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى ، فمـلأ خفـه ، ثم أمسكه بفيه ، ثم رقى ، فسـقى الكلب فشكر

(١) اخرجه البخارى .

الله له فغفر له ، قالوا : يارسول الله وان لنا في البهائم أجرا ، قال : في كل كبد رطبة أجر) (١) .

فالرحمة بالانسان ، بل وبالحيوان عاطفة نبيلة ، وخلق شريف من أفضل الأعمال وأزكاها .

ولقد مدح الله بها رسوله (صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه في وصف رسوله (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (٢) .

والرحمة فضيلة والقسوة رذيلة ، وقد عاقب الله بها اليهود ، لما نقضوا العهود ، اذ يقول جل وعلا : (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) (٣) .

ويقول سبحانه لرسوله (وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) (٤) .

ومن رحمة القائد أن يعلم من يعمل معه ما يقدرون عليه مما ينفعهم ، ويأخذ بهم عن اللمم ، الى سبيل النفع الأعم ، ويعمل لعزهم ، ودفع المذلة عنهم ، يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لها ، وهذا من كمال الخلق ، بل كمال الايمان ، يقول الرسول ، عليه الصلاة

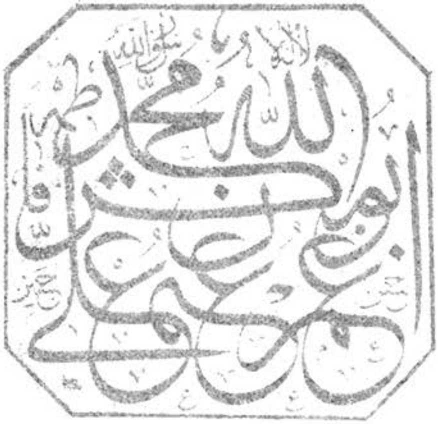

والسلام :

(ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم والقائم) (٥) .

ويقول : (أكمل الناس ايمانا أحسنهم خلقا) (٦) .

ومن الاخاء مقابلة أخيك بالبشر وطلاقة الوجه ، وتخاطبه بالكلمة الطيبة ، فكلمة طيبة ، تؤلف بين القلوب ، وتجذب الناس الى الخير ، وتدفعهم الى العمل ، وتنسيهم الهموم والآلام .

والشخصية الفاضلة والقيادة الحكيمة هي

(١) اخرجه البخاري .
(٢) آية ١٢٨ من سورة التوبة .
(٣) آية ١٣ من سورة المائدة .
(٤) آية ١٥٩ سورة آل عمران .

(٥) رواه أبو داود .
(٦) رواه الترمذي باسناد حسن عن أبي هريرة (رضي الله عنه) .

● القيادة الادارية فى الإسلام

التى تنطلق عن سـجيتها وتبعث السرور فى نفوس الناس ، قـال تعـالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) (١) .

ونار الله المؤقدة الشديد الأوار (٢) وقودها الناس والحجارة انما تطفئها نصف ثمـرة أو كلمة طيبة تقولها :

يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) . « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة) (٣) .

٥ ـ الايثـــار :

من مقومات القيادة الايثار ، وهو أن يقدم الانسان لأخيه عن رضى ما هو فى حاجة اليه .

ولم يعرف تاريخ البشرية ايثارا كايثار النبى ـ صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم « ايثار الأنصار للمهاجرين » من مثـل هذا الحب الكريم ، والبذل السخى ، والمشاركة الرضية ، والتسابق الى الاطعام ، والايواء ، واحتمال الأعباء .

والايثار على النفس مع الحاجة قمة عليا ، وقد بلغ اليها الأنصار بما لم تشهد له البشرية نظيرا ، وكانوا كذلك فى كل حـالة ، بصـورة خارقة لمألوف البشر قديما وحـديثا . وليس بعد الايثار شىء يربط القلـوب ، ويبعث على التفانى فى العمل .

واذا اتسمت بها القيادة فقد بلغت الذروة من النجاح ، والغاية القصـوى التى تنشـدها الادارة ، وقليل من يصل اليهـا ، وليس ذلك على من تجرد من الأنانية ، وأحب العمل ابتغاء وجه الله ، واتصف بالانتماء ، ليس ذلك عليـه ببعيـد ، ولا شاق ، بل يجد فيه متعة ولـذة .

محمد صابر البرديسى

---

(١) سورة ابراهيم آية ٢٤ .

(٢) شديدة الحر .

(٣) رواه البخارى ومسلم عن عدى بن حاتم .

● أورده الحاكم فى كتاب البر والصلة جـ ٤ ص ١٧٠

بزيادة وبعض مغايرة فى اللفظ وهو بتمامه عنده بلفظ عن ابن عمـر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شـهداء يغبطهم الشـهداء والنبيون يوم القيامـة لقربهم من الله تعـالى ومجلسهم منه .

فجثا أعرابى على ركبتيه فقال يا رسول الله : صفهم لنا وحلهم لنا قال قوم من أمناء النـاس من نزاع القبائل تصادقوا فى الله وتحابوا فيـه يضع الله عز وجل لهم يوم القيامة منابر من نور يخاف الناس ولا يخافون هم أولياء الله عز وجل لاخوف عليهم ولا هم يحزنون قال الحاكم هـذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى صحيح .

حاشية جمع الجوامع
٢ / ٢٣٦٠ ، ٢٣٦١

العمل فى ضوء الكتاب والسنة

بقلم المستشار توفيق على وهبة

الاسلام دين ودنيا ، فكما جاءت دعوة الاسلام تدعو الى عبادة الله وحده جاءت أيضا بنظام كامل لبناء المجتمع وكان أول ما ركز عليه « العمل » لكونه قيمة من قيم الاسلام لبناء المجتمع .

فبعد استقرار المسلمين فى المدينة المنورة بعد الهجرة بدأوا يعملون ليعيشوا من ثمرة عملهم ، ومن عرق جبينهم وأصبح العمل هو مصدر رزق الكثير من المهاجرين الذين تركوا أرضهم وديارهم وعاشوا بعيدا عن وطنهم فى المدينة المنورة .

ومن شدة اهتمام الاسلام بالعمل ورد بالقرآن ٣٦٠ آية تتحدث عن العمل ، ١٠٩ آيات تتحدث عن الفعل .

والانسان حر فى التصرف فى اجره الذى يتقاضاه عن عمله بشرط ان يكون انفاقه فى الاوجه المشروعة التى يحددها الاسلام كأن ينفق على نفسه أو اسرته أو فى مصالح المسلمين أو يدخره لحين الحاجة اليه على الا يؤدى هذا الادخار الى حبس المال عن التداول لأن فى حبسه اضرارا بمصالح الناس .

العمل فى القرآن :

ولقد قرن القرآن العمل بالايمان فى كثير من الآيات بقوله سبحانه وتعالى : « **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً** » (١) وقوله : « **وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا** » (٢) .

(١) الكهف ٣٠

(٢) النساء ١٢٤

العمل فى ضوء الكتاب والسنة

ويقول سبحانه : « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (١) .

العمل فى السنة النبوية :

يقول سيدنا رسول الله — عليه الصلاة والسلام — : « ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا أن يتقنه » (٢) ويقول — صلى الله عليه وسلم — : « ما أكل احد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده وان النبى داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » (٣) ، ويقول — عليه الصلاة والسلام — : « افضل الأعمال الكسب من الحلال (٤) ، وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « ما من رجل يغرس غرسا فيأكل منه انسان أو بهيمة الا كان له صدقة » (٥) .

ويروى ان النبى — صلى الله عليه وسلم — كان جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى . فقالوا ويح هذا ، أو كان شبابه وجلده فى سبيل الله فقال — صلى الله عليه وسلم — (لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله ، وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو فتية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو فى سبيل الله ، وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو فى سبيل الشيطان (رواه الطبرانى بسند ضعيف) .

تكريم الاسلام للعامل :

لقد كفل الاسلام للعامل حياة حرة كريمة مستقرة فحارب التعطل فى كل صورة وحارب الفقر بكل وسيلة فلم يسمح للفرد بالتعطل بدعوى انه قد كتب عليه أن يعيش فقيرا بل حبب الانسان فى العمل ودعا اليه حتى يستطيع الفرد ان يكسب من عمل يديه . ولا عذر لأحد فى ترك العمل لأن الفقر مرض اجتماعى يجب درؤه وليس بقدر مقدر على الانسان فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالسعى والعمل يقول جل وعلا : « هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » (الملك ١٥) .

ويقول سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم فى طلب المعيشة » (٦) .

ومما يدل على نفرة الاسلام من التعطيل الذى يؤدى الى الفقر أن الرسول — صلى الله

---

(١) النحل ٩٧

(٢) الحديث أخرجه السيوطى فى الصغير رقم ١٨٦١ من رواية البيهقى فى شعب الايمان عن عائشة رضى الله عنها . قال المناوى : أخرجه ابو يعلى وابن عساكر وغيرهما وفيه (بشر بن السرى)تكلم فيه من جهة (تجهمه) .

(٣) أخرجه البخارى فى البيوع ٧٤/٣ ط الشعب .

(٤) أخرجه السيوطى فى الصغير رقم ١٢٣٨ من رواية ابن لال عن ابى سعيد الخدرى — وهو ضعيف، فيه اسماعيل بن عمر وهو شيخ لايعرف وعطية العوفى أورده الذهبى فى الضعفاء .

(٥) أخرجه البخارى فى اكثر من موضع .

(٦) الحديث فى الجامع الصغير بلفظ «ان من الذنوب » من رواية أبى نعيم فى الحلية ، وهو ضعيف .

عليه وسلم — يقول فى دعائه :

« اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل وأعوذ بك من الفقر والكفر »(١) .

ومن قوله — عليه الصلاة والسلام — كاد الفقر أن يكون كفرا (٢) .

ويقول — صلوات الله وسلامه عليه — لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » (٣) .

فضل العمل فى رأى عمر :

يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى فضل العمل والسعى على الرزق : « ما من موضع يأتينى الموت فيه أحب الى من موطن أتسوق فيه لأهلى أبيع وأشترى » .

ويقول : « لأن أموت بين شعبى رحل اسعى فى الارض أبتغى من فضل الله كفاف وجهى أحب الى من أن أموت غازيا » ومن قوله المشهور : « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » .

الامام احمد ينتقد تارك العمل :

قال الامام أحمد بن حنبل — رحمه الله — فى رجل قعد فى بيته أو مسجده وقال : لا أعمل شيئا حتى يأتينى رزقى : « هذا رجل جهل العلم ، ولقد كان أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخيلهم والقدوة بهم » .

ومنه قول النابغة الجعدى فى الدعوة الى العمل :

اذا المرء لم يكسب معاشا لنفسه ... شكا الفقر أو لام الصديق فاكثرا

فسر فى بلاد الله والتمس الغنى ... تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

المبادىء العامة التى وضعها الاسلام للعمل والعمال :

١ — يجب ان يكون العمل بشرف وأمانة وان يحترف كل مسلم حرفة يتعيش منها فقد روى عن سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « ان الله يحب العبد المؤمن المحترف أى صاحب الحرفة أو الصنعة » (٤) .

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وأحمد . انظر الجامع الصغير للسيوطى الارقام : ١٥٥٣ — ١٥٥٥ — ١٥٥٦ — ١٥٥٨ .

(٢) الحديث فى الصغير للسيوطى برقم ٦١٩٩ من رواية أبى نعيم فى الحلية عن انس ، وهو ضعيف ... فيه يزيد بن الرقاشى قال الذهبى فى الميزان : تالف .

(٣) الحديث اخرجه البخارى فى كتاب الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة ج ٢ ص ١٥٢ من رواية الزبير بن العوام .

(٤) الحديث أخرجه الامام السيوطى فى الصغير برقم ١٨٥٣ وعزاه للطبرانى فى الكبير والحكيم الترمذى فى نوادر الاصول والبيهقى فى الشعب : عن ابن عمر وهو ضعيف لضعف عاصم بن عبد الله . ا هـ مناوى .

٢ ــ العمل نعمة من الله على الانسان : يقول سبحانه وتعالى : « لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ » يس ٣٥ ٠

٣ ــ كل عامل مسئول عن عمله واصلاحه فيه ، يقول سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه » (١) ٠

٤ ــ رب العمل مسئول عن عماله يقول ــ صلى الله عليه وسلم ــ « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (٢) ٠

٥ ــ الاجر بقدر العمل ، يقول المولى عز وجل : « وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ » (التوبة ١٠٥) ٠

ويقول سبحانه : « وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ »
(الاحقاف ١٩) ٠

٦ ــ الاجر حق للعامل وليس منة ، يقول سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « ما كسب الرجل كسبا أطيب من عمل يده وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة » (٣) ٠

٧ ــ الدولة تحمى حق العامل فى الاجر ، يقول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ : « اعطوا الاجير أجره قبل أن يجف عرقه » (٤)٠

٨ ــ لكل عامل ان يأخذ اجرا على ما عمل ٠ يروى سعيد الخدرى ان سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم نهى عن استئجار العامل حتى يتعين له أجره (٥) ٠

٩ ــ العمل على قدر الطاقة : يقول المولى سبحانه وتعالى : « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ » (البقرة ٢٨٦) ٠

١٠ ــ حق العامل فى تأمين نفقته : على

---

(١) سبق تخريجه فى المقال ٠
(٢) الحديث جزء من حديث أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة : باب الجمعة فى القرى والمدن ج ٢ ص ٦ عن ابن عمر ٠
(٣) الحديث اخرجه ابن ماجة فى سننه (كتاب التجارات ٠٠٠) ٧٢٣/٢ رقم ٢١٣٨ ٠
(٤) الحديث اخرجه ابن ماجة فى سننه فى كتاب الرهون باب أجر الاجراء ٨١٧/٢ رقم ٢٤٤٣ بلفظة الى ابن عمر ٠

(٥) الحديث فى مجمع الزوائد كتاب البيوع باب بيان الاجر ٩٧/٤ بلفظ (عن ابى سعيد ان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ نهى عن استئجار الاجير حتى يتبين اجره) قال الهيثمى رواه احمد ورجال احمد رجال الصحيح الا أن النخعى لم يسمع من ابى سعيد فيما أحسب .

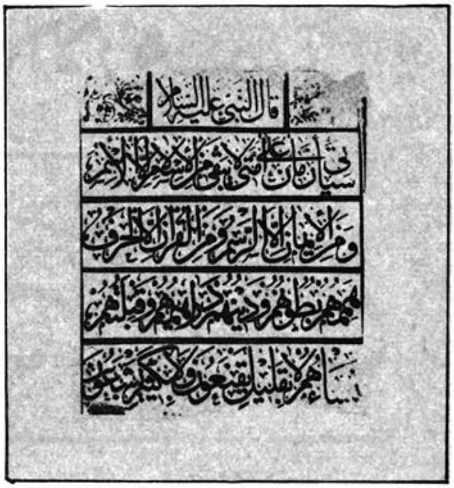

الدولة أن تضمن للعامل حياة حرة كريمة وتمده بالمال اللازم له اذا لم يكفه أجره ٠

١١ — يجب أن يأخذ العامل قسطا من الراحة ويقوم بالعادة الواجبة عليه ، يقول تبارك وتعالى : « وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا » (القصص ٧٧)٠

١٢ — تقتضى قوانين التكافل الاجتماعى فى الاسلام بضرورة حق العامل فى تأمين معيشته والحفاظ على كرامته وضرورة ايجاد العمل المناسب اذا تعطل ولم يجد عملا ٠

ومجالات العمل التى يستطيع الفرد مزاولة نشاطه فيها كثيرة فى الزراعة والصناعة والتجارة وغير ذلك من الطرق المشروعة التى لا يحرمها الاسلام فكما يقول سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : (الحلال بين والحرام بين) (١) فيجب على الانسان ان يختار اوجه العمل الحلال ليعمل فيها ويتجنب الحرام أو ما يشتبه فى حرمته حتى يأمن لدينه ودنياه ٠

هذا هو موقف الاسلام من العمل كما توضحه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة فهو دين وعمل وجد واجتهاد يكره الكسل ويمقت التعطل ٠ فهل آن لأعداء الاسلام الذين يدعون انه يحارب العمل والعمال وانه ضد الطبقة العاملة (١٢) هل آن لهؤلاء أن يخرسوا لأن تجارتهم قد بارت بعد أن عرف الشباب المسلم زيفها وتضليلها وان ما ينشر عنه وسط الشباب ليبتعدوا عن دينهم لن يجدى وسيبقى الاسلام دائما قويا ظاهرا ليتم وعد الله سبحانه وتعالى ٠

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »(٢) ويقول سبحانه « يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » (٣) ٠

صدق الله العظيم

المستشار توفيق على وهبه
خرج الأحاديث أحمد عبد الله باجور

(١) الحديث جزء من حديث أخرجه البخارى فى كتاب البيوع باب الحلال والحرام ج ٣ ص ١٩ ط الشعب من رواية النعمان بن بشير ٠

(٢) الحجر (٩)
(٣) الصف ٨

من أعلام الأزهر

محمد أبو زهرة

شيخ الفقهاء المعاصرين

قال أمير المؤمنين عمر ــ رضى الله تعالى عنه « موت ألف عابد ، قائم الليل ، صائم النهار ، أهون من موت عالم ، بصير بحلال الله وحرامه » .

وان العالم اذا مات اهتز له عرش الرحمن لمنزلته عند الله ، وتقديرا للرسالة التى حملها ، اذ هو من ورثة الأنبياء ، ومن أتى القرآن ، فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لم يوح اليه .

والعلماء أحياء بما تركوه من علم نافع ، وتراث خالد ، وسيرة حميدة تهدى الخلق الى سبيل الحق ، وصدق رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذ يقول : « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

ومن أبرز العلماء ، الذين تركوا ثراء عريضا وتراثا خالدا للأجيال ، رجل جمع بين العلم والشجاعة ، احتاز من علم الدين كثيرا ، ذلكم الرجل هو الامام الحجة ، الثبت ، الفقيه المتمكن المفسر الملتزم ، الخطيب المصقع ، المحاضر المقنع ، العالم المصرى :

محمد أبو زهرة .

مولــده ..

ولد ــ رحمه الله ، وطيب ثراه ــ بمدينة المحلة الكبرى ــ احدى مدن محافظة الغربية ، بمصر ، فى التاسع والعشرين من شهر مارس عام ثمان وتسعين ، وثمانمائة ، وألف ميلادية من أسرة دينية ، وجده الشيخ مصطفى أبوزهرة الشِّشتاوى ــ رحمه الله ــ ممن عرف بالصلاح والتقوى ، له مسجد باسمه فى هذه المدينة .

نشــأته :

كان أحمد والد شيخنا ــ رحمهما الله ــ من

بقلم عبد المعز عبد الحميد الجزار

عرف بالتدين ، والتمسك بأهداب الدين الحنيف والتمسك بمكارم الأخلاق ، ووسط هذه البيئة الريفية الكريمة نشأ أبو زهرة ، ولما بلغ سن التمييز أرسل الى كتاب القرية ، فحفظ القرآن الكريم ، ثم التحق بالمكاتب الراقية ، وكان منهاجها كمنهاج المدارس الابتدائية القديمة ،

لولا أنها ينقصها اللغة الانجليزية ، ولكنه استعيض عنها بدراسات دينية عربية •

وبعد أن استوعب القرآن ، وبعض الثقافات الأولية فى هذه السن المبكرة أرسل الى طنطا فدخل الجامع الأحمدى عام ثلاث عشرة وتسعمائة وألف ، وعرف بجده واجتهادة حتى كان مرموقا من شيوخه ، ومن شيخ المعهد : الأحمدى الظواهرى •

مدرسة القضاء الشرعى :

وفى عام ألف وتسعمائة وستة عشر ميلادية دخل مدرسة القضاء الشرعى ، ومما يذكر أن أكثر مدرسى هذه المدرسة — حينئذ — كان من تلاميذ الأستاذ الامام محمد عبده ، وكان على رأسهم عميدها وناظرها الأستاذ / محمد عاطف بركات « باشا » •

واستمر يتلقى العلم من مشايخه الأجلاء ،

وأساتذته العظام ، وهم مجموعة من العلماء الأفذاذ ومنهم فضيلة المرحوم الشيخ على الخفيف ، وفضيلة المرحوم الشيخ عبد الجليل عيسى — حتى نال شهادة العالمية من درجة أستاذ عام خمس وعشرين وتسعمائة وألف بدرجة ممتاز •

وكان من زملاء شيخنا فى سنى الدراسة بهذه المدرسة فضيلة الأستاذ الشيخ على حسب الله ، وفضيلة الاستاذ المرحوم الشيخ محمد الزفزاف ، والشيخ حسن الخطيب والشيخ على الشورى ، والشيخ اسحاق الحداد وغير هؤلاء كثير من جلة العلماء والأعلام الذين تبوءوا مكانة مرموقة فى العلم •

لما قامت ثوره سنة ألف وتسعمائه وتسعة عشر كان رحمه الله تعالى — فى مقدمة شبابها،

من أعلام الأزهر

ثورة ١٩١٩ :

وقد ساعدته الظروف ــ حينذاك ــ أن يقف على دقائق كثير من أحداثها ووقائعها ، التى كانت تشغل الرأى العام ، ورأى فى شخصية الزعيم الوطنى : سعد زغلول ــ بغيته ، فأحبه عن قرب ، وتعلق به ، ولم يترك شيخنا فرصة سنحت له بالالتقاء بسعد الا اهتبلها ، وحرص على حفظ خطبه وتردادها .

وبفضل الذاكرة الواعية لشيخنا أصبح بحق مؤرخ أدق أسرار هذه الثورة ، فكان يحدثنا عن كثير مما غاب عن مؤرخيها ، وما ترك مناسبة ورد فيها ذكر سعد زغلول الا اندفع فى الثناء عليه ، وألقى بعض كلماته ، ويتبعها بمناسباتها ويفصلها تفصيلا كأن الحدث مشاهد الآن ، وكان بهذا يصل حاضرنا بماضينا القومى القريب .

فى مدرسة دار العلوم :

وفى عام سبع وعشرين وتسعمائة وألف حصل على شهادة دار العلوم العليا من الخارج وتلقى العلم فى هذه المدرسة على نخبة ممتازة من العلماء منهم على سبيل المثال :

الأستاذ الكبير المرحوم/ عبد الحميد حسن عضو مجمع البحوث الاسلامية ، وكان شيخنا يثنى عليه كثيرا لدماثة خلقه ، وقد تلقى عليه مادة التربية .

وحدثنى شيخنا ذات يوم عن نظرية من النظريات التى تعلمها من هذا العالم وهى نظرية (الأوزة) فطلبت منه تفسيرها فأجاب انه اذا أردت أن تمسك أوزة بين جمع من نظرائها فحدد ماتريده واستمر فى مطاردة من حددت ، وحتما ستحظى بها دون أن يأخذك الاعياء . ونستفيد من هذه النظرية أن تحديد الهدف المقصود فى كل شىء لابد أن يوصل الى نتيجة مشرفة .

وبعد أن تخرج من دار العلوم عين مدرسا للشريعة الاسلامية والتفسير ، والعلوم الدينية، واللغة العربية بمدرسة تجهيزية دار العلوم ، وقد ارتوى من معين فيضه فى هذه الدار جيل كبير من التلاميذ النجباء منهم على سبيل المثال الأستاذ عمر الدسوقى ، والأستاذ عبد المنعم خلاف ، والدكتور عبد العزيز عتيق، والأستاذ سيد قطب ، والأستاذ الكبير على عبد العظيم أطال الله حياته واستمر مدرسا بها ثلاث سنوات انتقل بعدها الى المدارس الثانوية العامة نظرا لالغاء مدرسة التجهيزية بالتدريج ودرس بالمدارس حتى آخر شهر ديسمبر من عام ثنتين وثلاثين وتسعمائة وألف ميلادية .

فى الأزهر الشريف :

وفى اليوم الأول من يناير عام ثلاث وثلاثين وتسعمائة وألف نقل الى الازهر الشريف حيث يجد مكانه فى كلية أصول الدين مدرسا لتاريخ الخطابة ، ثم مادة الجدل ، وتاريخ المذاهب الاعتقادية ، والملل والنحل ، بقسم الوعظ والارشاد وارتوى من معين شيخنا جيل عريض من طلبة هذه الكلية ممن أصبح لهم القدم المعلى

فى تربية جيلنا ومنهم على سبيل المثال الدكتور المرحوم عبد العظيم الغباشى عميد كلية أصول الدين الأسبق والأستاذ الدكتور عبد الرحمن عثمان ، وفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ مصطفى الطير أطال الله حياته وفضيلة الأستاذ :المرحوم الشيخ محمد سليم زيدان رحمه الله وفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب الساكت الخ العديد من هؤلاء التلاميذ النجباء الذين حملوا ويحملون مشعل النور والهداية •

فى كلية الحقوق :

استمر شيخنا يعمل فى كلية أصول الدين ، وكان يرتدى الزى المدنى الى أن نقل الى كلية الحقوق بجامعة القاهرة فارتدى الزى الأزهرى ، حيث كان من مستلزمات هذه الوظيفةالجديدة •

وقد قدم شيخنا كتابه « تاريخ الخطابة » كمرشح لالتحاقه فى هذا المنصب ، ووقع عليه اختيار الأستاذ الشيخ أحمد ابراهيم رئيس قسم الشريعة ــ آنذاك ــ للقيام بالتدريس فيها وظل أستاذنا مندوبا لتدريس المواد السابقة الى عام ١٩٤٢ بالقسم الاعدادى بها•

ثم حول الى قسم الشريعة ، وتدرج فى التدريس بها من مدرس ، الى أستاذ مساعد ، الى أستاذ ذى كرسى ، الى رئيس لقسم الشريعة ، واستمر ــ رحمه الله ــ رئيسا لقسم الشريعة بكلية الحقوق ، الى أن اختاره اخوانه وكيلا للكلية مدة خمس سنوات انتهت ببلوغه سن التقاعد عام ثمان وخمسين وتسعمائة وألف •

وقد تخرج على يديه جيل قانونى كبير منهم على سبيل المثال الأستاذه الدكتورة مفيدة عبد الرحمن •

واستمر يقوم بالتدريس بالندب فى هذه الكلية بعد سن التقاعد ــ ومختلف الكليات الحقوقية وغيرها حتى رحل الى الرفيق الأعلى•

فى معهد الدراسات الاسلامية :

بجانب عمله فى التدريس بالكليات المختلفة اختير رئيسا لقسم الشريعة الاسلامية بمعهد الدراسات الاسلامية ، فدرس فيه : تاريخ المذاهب الفقهية ، والأصول والفقه ، وألقى محاضرات فى : التكافل الاجتماعى فى الاسلام والمجتمع الانسانى فى ظل الاسلام •

وكان من حسن حظى أن كنت أحد تلاميذه فى هذا المعهد وتعلمت منه الكثير حتى نلت دبلوم المعهد عام ١٩٦٤ •

ولاحظت فى أثناء تلقى العلم على يديه أنه كان يمزج فى محاضراته العلم الجاد الوقور بالدعابة الحلوة الخفيفة ، ويشيع فيها المرح ، وكانت تجرى على لسانه أحاديث متنوعة ، فى السياسة المصرية ووقائعها ، بنفس الدقة والغزارة التى تجرئ بها أحكام الفقه والشريعة ونصوصها •

فى مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر :

ولما صدر قانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ الخاص باعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها أنشئت « هيئة عليا للبحوث الاسلامية لدراسة كل مايتصل بالبحوث الاسلامية ، والعمل على تجديد الثقافة الاسلامية وتحريرها من الفضول والشوائب ، وآثار التعصب السياسى والمذهبى

وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص » ، كان شيخنا أبو زهرة فى مقدمة من يتولون حمل تنفيذ هذه الرسالة لما عرف عنه من علم وجهاد وورع فى ماضيه وحاضره .

وفى ظل المجمع قام أستاذنا بنشاط دينى واسع ، وبذل جهدا مشكورا فى سبيل الدفاع عن الاسلام وقضاياه .

ونظرا لما كان يتمتع به من سعة اطلاع ، ووفرة انتاج ، وحيوية متدفقة ، وبعد نظر فى الأحداث الجارية ، يكلل هذا شجاعة منقطعة النظير اختاره زملاؤه فى المجمع مقررا للجنة بحوث القرآن . واضطلعت بوضع كيفية تنفيذ قرارات وتوصيات مؤتمرات المجمع ومتابعة تنفيذها .

وقد أصدرت اللجنة عدة قرارات فى موضوعات مختلفة كقرار الالتزام عند كتابة المصحف بالرسم العثمانى ، وتلحين القرآن ، وحكم الجمع بين القراءات فى مجلس واحد . وترتيب الآيات والسور للقرآن الكريم .

وكان مقررا للجنة التفسير الوسيط فوجه وأشرف على أعمال هذه اللجنة فى جد متواصل ثم لجنة تنسيق التفسير ثم عندما انتشرت بعض الأبحاث الصادرة عن بيروت تحت سلسلتى : دروس قرآنية .. وفى سبيل الحوار الاسلامى المسيحى باسم الأستاذ الحداد وكانتا تتعرضان لتشويه المفاهيم الاسلامية شكلت لجنة برئاسته للرد على هذه الافتراءات .

ثم تولى لجنة المتابعة ولجنة السنة المطهرة ثم اختير شيخنا مقررا فى لجان التقنين للمذهبين الحنفى والشافعى وأمكن بفضل جهوده أن تواصل هذه اللجان عملها وتقدم انتاجها .

مجالات أخرى :

اختير شيخنا عضوا بمجلس جامعة الأزهر وكان له نشاط ملحوظ وجهد مشكور ثم اختير عضوا فى معهد البحوث الجنائية والاجتماعية ، ثم عضوا بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، وساهم فضيلته فى جميع هذه الأنشطة ، والمساعدة فى أداء رسالتها على الوجه الأكمل حتى وافاه الأجل المحتوم .

بعض مميزاته :

صفته :

كان رحمه الله متوسط الطول ، ممتلىء الجسم ، أبيض اللون ، مشربا بحمرة جهير الصوت ، واضح النبرات ، شديد الايمان بما يقول ، حلو الحديث ، جميل الشمائل ، حاضر النكتة ، ناصع الظرف ، كيس العقل ، حر الفكر ، مستقل الرأى ، يمزج فى محاضراته العلم الجاد الوقور بالدعابة الحلوة الخفيفة .

أسلوبه :

سلس العبارة مع سلامتها وجزالتها ومتانتها خال من شوائب الهجنة مبرءا من العى واللكنة.

سعة علمه :

قد يجد الانسان عالما متبحرا فى الفقه

وأصوله ، أو أستاذا فى علوم القرآن وتفسيره، أو متخصصا فى مقارنة الأديان ، أو متكلما فى علم الكلام والجدل أو فيلسوفا فى المنطق والفلسفة ، ولكن اذا بحثنا عن وعاء جامع لكل هذه العلوم لعز ذلك الا أن شيخنا أبا زهرة قد جمع بين كل هذه العلوم والفنون ، فكنت تراه خطيبا مصقعا أو فقيها متمكنا ، وطورا أصوليا متعمقا ، وحينا متكلما مجادلا ، لايشق له غبار ، يقرع الحجة بالحجة والمنطق بالمنطق ، واذا قرأ المرء تفسيره يجده بحرا زخارا وفيضا فياضا ومن هنا كثر رواده وعظم قصاده .

ذو مبدأ :

الناس أمام الحياة على أنماط ثلاث :

اما رجل يعيش حياته لنفسه ولا شىء بعد هذا فموته وحياته سواء .

أو رجل يعيش لنفسه ثم يسخر الناس لمصلحته ويتعالى عليهم فان هذا يكون موته خاتمة لحياته ، ونقطة تحول فيه ينطفى سراجه وينكشف القناع عن زيفه أما النمط الثالث من الرجال ، فرجل يعيش لمبدأ ، وينافح من أجله، ويناضل لعقيدة يحيا فيها ، ويعيش فى رياضها، ويعلن رأيه ، يقول قوله ، ويجمع الناس عليه ، وهذا النوع لايكون موته موتا ، بل فترة تنفصل به ميمه عن جسمه ، وتشرق به النفس ومصباحا ينير كل طريق .

ومن هذا الصنف أستاذنا أبو زهرة كان — رحمه الله — فقيها فى مقدمة الفقهاء ووفيا ساعة يتوارى من الناس الوفاء ، ورائدا تقدم القافلة ، وقد تشابهت أمامها السبل المتباينة ، واستحكم فى النفوس الأهواء فكان رائدا لايكذب أهله عاش حياته حاملا اللواء الى أن احتضنته يد القضاء .

وقد نعاه المرحوم الشيخ صالح الجعفرى بقوله : جزاك الله أبا زهرة عما قدمت فى سبيل العلم ولقد تميزت بخصلتين : العلم والشجاعة.

هيبته :

كان أستاذنا أستاذا بالطبيعة والتكوين بالفهم والتحصيل ، موسوعة شاملة لاتغيب عنها شاردة ولاواردة ، يلتزم النص ولايحيد عنه ، يعتد برأيه ، يدافع عنه بأقصى ما يملك معتقدا أنه بذلك يخدم عقيدته ودينه ، وكان أعرف الناس بقيمة الدين وأحرصهم على الربط بين العلم والعمل وهكذا العلماء . وصدق الشافعى اذ يقول : ما أحد أرعى لحقه من الفقهاء .. وفى رواية « ان لم يكن الفقهاء أولياء لله فى الآخرة فليس لله ولى » .

ومن هنا أخذ شيخنا العلم بحقه فهابه الناس .

« انتاجه العلمى »

كان أستاذنا دائم الدرس والتحصيل ، وقد ترك لنا ثروة قيمة من المؤلفات العلمية القيمة منها الكتب والابحاث التالية .

١ — الخطابة : أصولها ، وتاريخها فى أزهر عصورها عند العرب .

٢ — خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم .

٣ — القرآن المعجزة الكبرى .

٤ — تفسير القرآن الكريم ، من أول القرآن الى آية : رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى

من أعلام الأزهر

أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ »

سورة النمل •

٥ ـ تاريخ الجدل •
٦ ـ محاضرات فى الديانات القديمة •
٧ ـ أهل الكتاب •
٨ ـ الوحدة الاسلامية •
٩ ـ محاضرات فى النصرانية
١٠ ـ تاريخ المذاهب الاسلامية •
١١ ـ الملكية ونظرية العقد •
١٢ ـ مذكرة فى الوقف •
١٣ ـ شرح قانون الوصية •
١٤ ـ الأحوال الشخصية •
١٥ ـ أحكام التركات والمواريث •
١٦ ـ الميراث فى الفقه الجعفرى •
١٧ ـ أصول الفقه الجعفرى •
١٨ ـ عقد الزواج وآثاره •
١٩ ـ كتاب الوقف •
٢٠ ـ الجريمة فى الفقه الاسلامى •
٢١ ـ العقوبة فى الفقه الاسلامى •
٢٢ ـ فلسفة العقوبة فى الفقه الاسلامى •
٢٣ ـ مصادر الفقه الاسلامى من النصوص •
٢٤ ـ أصول الفقه •
٢٥ ـ أبو حنيفة : حياته وعصره ، آراؤه ، وفقهه •
٢٦ ـ مالك : حياته وعصره ، آراؤه ، وفقهه
٢٧ ـ الشافعى : حياته وعصره ، آراؤه ، وفقهه •
٢٨ ـ ابن حنبل : حياته وعصره ، آراؤه ، وفقهه •
٢٩ ـ الامام زيد : حياته وعصره ، آراؤه ، وفقهه •
٣٠ ـ الامام الصادق حياته وعصره ، وآراؤه ، وفقه •
٣١ ـ ابن حزم حياته وعصره ، آراؤه وفقهه •
٣٢ ـ ابن تيمية حياته ، وعصره ، آراؤه ، وفقهه •
٣٣ ـ تاريخ المذاهب الفقهية •
٣٤ ـ تنظيم الاسلام للمجتمع •
٣٥ ـ مجموعة الفتاوى •
٣٦ ـ الحديث والمحدثون •
٣٧ ـ الحرب فى الاسلام •
٣٨ ـ شريعة القرآن وقانون الرومان •
٣٩ ـ شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله •
٤٠ ـ الربا •
٤١ ـ التكافل الاجتماعى فى الزكاة •
٤٢ ـ العلاقات الدولية فى الاسلام •
٤٣ ـ التكافل الاجتماعى فى الاسلام •
٤٤ ـ مشكلة الوقف •
٤٥ ـ نظرات فى قانون الاسرة •
٤٦ ـ الحكر •
٤٧ ـ نقد لمشروع قانون الوقف •
٤٨ ـ نقد لمشروع قانون الوصية •
٤٩ ـ نقد لمشروع قانون تقييد الطلاق وتعدد الزوجات •
٥٠ ـ عرض لقانون الوصية الجديد •

٥١ ــ الاستحقاق الواجب فى قانون الوقف الصادر سنة ١٩٤٦ ·
٥٢ ــ الوقف فى حاضره وماضيه ·
٥٣ ــ المصالح المرسلة فى الفقه الاسلامى ·
٥٤ ــ الذرائع ·
٥٥ ــ اصلاح الاسرة ·
٥٦ ــ اساءة استعمال الحق ·
٥٧ ــ الاجماع ·
٥٨ ــ الاجتهاد ·
٥٩ ــ ديوان المظالم ·
٦٠ ــ الغزالى الفقيه ·
٦١ ــ ابن خلدون الفقيه ·
٦٢ ــ الولاية على النفس وعلاقتها بالمجتمع الاسلامى ·
٦٣ ــ الجزائر المسلمة ·
٦٤ ــ قواعد العقوبة فى الفقه الاسلامى ·
٦٥ ــ الزكاة والخراج ·
٦٦ ــ تنظيم الاسرة للمجتمع الصغير ·
٦٧ ــ الملكية بالخلافة ·
٦٨ ــ التوبة وأثرها فى الحدود فى الفقه الاسلامى ·
٦٩ ــ القانون الدولى الاسلامى ·
٧٠ ــ العقيدة الاسلامية كما جاء بها القرآن الكريم ·
٧١ ــ تنظيم الاسرة وتنظيم النسل ·
٧٢ ــ الجهاد ·
٧٣ ــ الزمخشرى صاحب الكشاف فى تفسير القرآن ·
٧٤ ــ ابن جرير الطبرى ·
٧٥ ــ الفخر الرازى ·
٧٦ ــ ابن حزم :

٧٧ ــ الحسن البصرى ·
٧٨ ــ أبو الحسن الأشعرى ·
٧٩ ــ الرد على مشروع وزارة الشئون الاجتماعية فى الاسرة ·

الى غير ذلك من الأبحاث والرسائل القيمة شارك فى وضع المنتخب فى تفسير القرآن الكريم بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية هذا

بجانب كتاباته العديدة فى المجلات الاسلامية العربية فى داخل البلاد وخارجها ·

وكان يذيع الأحاديث الدينية فى الاذاعات العربية ، ويتلقى طوفانا من الاسئلة من داخل البلاد وخارجها فيجيب عنها ، وكان يقظا

من أعلام الأزهر

كل اليقظة لما يمس الشريعة الاسلامية فيثور كالبركان • وكان صريحا كل الصراحة يفيض ما فى قلبه على لسانه ، ومن أكرم مواقفه الأخيرة موقفه فى مناقشة مشروع قانون الأحوال الشخصية •

وكان فى طليعة العاملين فى تقنين الشريعة الاسلامية ، والدعوة الى أن تكون مصدر التقنين فى البلاد الاسلامية وله كتاب ضخم فى القانون الجنائى اسمه : الجريمة والعقوبات فى الشريعة الاسلامية •

ولا نستطيع أن نلخص جوانب حياته — رحمه الله تعالى — فى هذه العجالة الوجيزة على صفحات مجلة انما هى تحية لشيخنا فى ذكراه ، ويا حبذا لو كرم هذا العالم الفذ بأن يطلق اسمه على أحد المدرجات فى كليات الشريعة وأصول الدين والحقوق وأن يطلق اسمه على أحد شوارع القاهرة وأن تجمع آثاره وتطبع فى نطاق مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية وأن يقام حفل تأبين له فى قاعة الامام محمد عبده وأن تقام مكتبة دينية فى مسجده ومكتب لتحفيظ القرآن الكريم • وأن تنشأ جائزة باسمه للمتفوقين فى الشريعة الاسلامية فى مراحل الازهر المختلفة وفى كليات الحقوق •

وفاته :

توفى رحمه الله فى منتصف الثامنة من مساء يوم الجمعة ١٩ من شهر ربيع الاول عام أربع وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة ، ووافق الثانى عشر من ابريل عام أربع وسبعين وتسعمائة وألف ميلادية بمنزله بالزيتون شارع طمانباى عن ست وسبعين سنة •

ولما أذيع نبأ وفاته ارتجت القاهرة والعالم الاسلامى بالبكاء ، وتأسف عليه المسلمون العارفون لقدره ، وصلى عليه يوم السبت صلاة الجنازة بالجامع الازهر وأم المصلين فضيلة الامام المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر • ثم رثاه المرحوم الشيخ صالح الجعفرى بقوله : رحمك الله يا أبا زهرة رحمة واسعة فقد تحليت بخصلتين: العلم والشجاعة• أما العلم فحزت فيه قصب السبق وأما الشجاعة فكنت فيها القدوة ، فرفعك الله بالعلم درجة وبالشجاعة أخرى ، وألهم المسلمين الشجاعة وجزاك أفضل ما يجزى به عالم عن جهاده » •

ثم حملت جنازته على الأعناق فى صمت مهيب وحشد حافل ودموع تذرف وقد تقبل العزاء عليه أبناؤه ومحبوه والسيد رئيس الجمهورية الأسبق محمد نجيب فى السرادق الذى أقامه شيخنا عند بيته حيث كان معدا لمناقشة قضايا العصر فصار سرادق العزاء فيه أسكن الله فقيدنا فسيح جناته وجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين •

اللهم آمين •

عبد المعز عبد الحميد الجزار
رئيس المكتب الفنى لوكيل الازهر

دراسة صحفية

"جريدة الأزهر" أو "مجلة الأزهر" ١٨٨٩ - ١٨٩٣

للاستاذ عاطف زهران

صدرت بمصر جريدتان (مجلتان) تحمل كل منهما اسم الازهر لم تكن لمشيخة الازهر علاقة ما بأى منهما ، وصدرت كلتاهما حين كان من الممكن أن تسمى أية صحيفة أو مجلة بما شئت من أسماء ، ولو كان للاسم طابعا قوميا خاصا .

صدرت أولى الجريدتين أو المجلتين فى نهاية القرن الماضى ، وهى ماتعنينا بالدراسة فى هذا المقال ، والذى يليه ، قبل أن نشرع فى دراسة الثانية ، وفى هذه الدراسة نعنى ببيان سياسة المجلتين وخطتهما فى العمل ، ونذكر مع كل السبب الذى دعا منشىء كل منهما الى تسميتها باسم « الأزهر » هذا المعهد العتيق مفخرة مصر الفذة الذى أراد الله لمصر أن تعيش به الى ما شاء سبحانه .

والمجلة التى نحن بصددها لم تحمل اسم الأزهر فور صدور أول أعدادها ، فقد صدر أول أعدادها باسم « الصحة » فى أول أغسطس سنة ١٨٨٧ م الموافق ذى القعدة سنة ١٣٠٤ . (كذا) لمنشئيها : حسن بك رفقى المفتش بمصالح الصحة العمومية ، وابراهيم بك مصطفى المدرس بالمدرسة الطبية .

وحمل الغلاف أسماء لجنة تحريرها ، وأسماء الذين التزموا المساعدة فى التحرير وتكونت لجنة محرريها من ستة نفر ، منهم المسيو بريس ، بينما كان مساعدو التحرير سبعة منهم الدكتور ميلتون ، والمسيو ليتل دافيد ، والمسيو والترابنس.

لذا ستنقسم دراستنا لهذه المجلة قسمين يضم كل منهما مرحلة من تاريخها تبعا لامتيازها:

◄

جريدة الأزهر

. المرحلة الاولى : وتبدأ من أغسطس ١٨٨٧ الى ديسمبر ١٨٩٢ لصاحبيها : حسن بك رفقى وابراهيم بك مصطفى .

المرحلة الثانية من ١٨٩٣ الى انتهاء صدورها لصاحبيها ويليم ولكوكس واحمد الأزهرى .

وصدرت – كما تقدم – أولا باسم « الصحة » وبقيت تحمل هذا الاسم أكثر من سنتين .

وهى مجلة طبية كما يبدو من اسمها تصدر كل شهر .

الهدف منها معالجة الموضوعات الصحية والوقائية لأهميتها فى حياة الاسر والافراد وقد أفصح منشئاها عن مقصدهما هذا فى افتتاحية العدد الاول ، فقد جاء فيه قولهما :

.. ولم نر لنا جريدة فى علم قواعد الصحة والتدبير الواقية .. أى العلم الذى يقى به الانسان نفسه من هموم الداء .. ولذلك رأينا مع اعترافنا بالقصور أن نصل أبناء ديارنا بفوائد هذا العلم فاستمنحنا حكومتنا السنيةفى انشاء جريدة يجد فيها الناس عموما والاطباء خصوصا أخبار هذا العلم المفيدة واكتشافاته الجديدة وما يحصل فيه من المباحث وما يطرأ على وسائله من التحسين فسمحت لنا – أيدها الله – ورخصت لنا فى تسميتها (الصحة) وسنقوم بها – ان شاء الله – ناقلين ما يهم من هذا القبيل عن الجمعيات العلمية والكتب والجرائد المنشورة لهذا الموضوع .

وصدرت فعلا مجلة الصحة فى ملزمتين من القطع المتوسطة ملتزمة بالخطة التى رسمت الى أبعد الحدود :

مقالات عن الامراض ومعالجتها مترجمة عن لغات أجنبية فى معظم الأحيان .

وبعض الاخبار الطبية وأسماء الادوية والكتب الجديدة فى الطب .

وكانت تطبع فى المطبعة الاميرية ببولاق .
وتصدر أعدادا مسلسلة فى ترقيم الصفحات بداية من أول رقم حتى نهاية العام . ثم يستأنف الترقيم بداية كل عام . مما يسر جمعها فى مجلدات سنوية .

وطبيعى أن يكون غالب المشاركين فى تحريرها من المشتغلين بالطب – ان لم يكن كلهم – تدريسا أو ممارسة . الا أن تغيرا مفاجئا حدث فى العدد الخامس من المجلة يعتبر خروجا عن خطتها . فقد نشرت ملحقا فى أربع صفحات بحجم المجلة عن (الذراع والقيراط الشهرى)

ويبدو أن ذلك كان ارهاصا بالتحول الذى سيحدث بعد عدة أشهر فى سياسة الجريدة وخطتها وتنوع موضوعاتها وعمومها بدل تخصصها .

تغيير الاسم وسببه :

فماذا حدا بصاحبى الامتياز أن يغيرا اسم هذه الجريدة أو المجلة وقد تعود عليها القارىء بذلك الاسم ؟

ولماذا اختير اسم الازهر بالذات ؟

(السنة الثالثة)

(العدد الثانى) سبتمبر سنة ١٨٨٩ الموافق محرم سنة ١٣٠٧

جريدة صحية علمية

تصدر أول كل شهر

الصحة

لمنشئيها

الدكتور حسن بك رفقى — ابراهيم بك مصطفى

قيمة الاشتراك تدفع مقدما

مليم

٧٧١/٢ أى ٧ ريال واحد فى القطر المصرى

٨٥٠ أى ٨٥ قرش خارج القطر المصرى

ولطلبة المدارس العليا المصرية بنصف هذه القيمة

(تنبيه) — المراسلات ترسل بعنوان أحد منشئى الجريدة

لا شك أن جريدة الصحة كانت مقصورة على قارىء معين هو المشتغل بالطب أو طلبة المدرسة الطبية • فتوالت الرسائل من القــراء تطلب من صاحبى الامتياز تغيير مادتها ولو نسبيا • فاستجابا لذلك وأعلنا — فى افتتاحية العدد الاول من السنة الثالثة (أغسطس ١٨٨٩) والعدد الثانى أى سبتمبر من نفس السنة :

أنه تمشيا مع طلبات القراء قررا تنوع المادة وعدم اقتصــارها على الموضوعات الطبيـــة • وعليه رأيا — أنه تمشيا مــع هــذه الخطــة الجديدة — أن يغيرا الاسم الى اســم آخــر يتمشى مع ما انتوياه فى العهد الجديد للجريدة• مادامت ستنطلق فى تعميم موضوعاتها بعــد التخصص • فاختارا لها اسم (الأزهر) لما له

من باع طويل وتاريخ مديد مجيــد فى خــدمة المعرفة •

ونقرأ قولهما فى عدد سبتمبر وهــو العــدد الأخير من جريدة الصحةيعلنان عن تغيير الاسم والخطة فيقولان :

ألا يخفى على القراء الكــرام أن المســلك الذى ســلكناه بجريدة الصــحة وهــو تعميم موضوعها بعد التخصيص ، واطلاق عنانهــا تجرى فى أى موضوع يســتوجب أن يكــون اسمهــا غير منوه بفن مخصوص ولا مشعــر بمبحث معين ضرورة أن يكــون الاســم على مسماه وترجمان ينبىء بمغزاه ومن أجــل ذلك استبدلنا باسم (الصحة) اسم (الأزهــر)

عنوانا لهذه الجريدة نضـعه عليها من العـدد القـادم ان شـاء الله (الثالث) فليكن ذلك معلوما لمن كتب الينا فى أمر يتعلق بالجـريدة ومن يرد عليه العدد بهذا العنوان (١)) •

ونلاحظ أن صاحبى الامتياز يسميان عملهما هذا (جـريدة) ويتكـرر ذلك فى كلامهمـا • ولكنها من ناحية الموضوعات والحجم وزمـن الصدور أقرب الى المجلة من الجريدة • والى هذا يذهب كثير من مؤرخى الصحافة فيسمونها (مجلة الأزهر) ويفضلون ، وهذا ما نؤيده — هذه التسمية • فالقارىء لها يراها خالية من المواد الرئيسية فى الجـريدة من الأعمـال التحريرية — أو الأحداث والتحقيقات الصحفية وتغطيات للأحداث والتقريرات وغير ذلك •

هذا الى جانب مراعاة التسلسل فى ترقيم الصفحات فى أعدادها السنوية • الى جـانب منهجها العلمى التخصصى (٢) •

وبهذا العدد ختم عهد تسـميتها مجلـة الصحة • وانتقلت الى عهد آخر باسم جـديد فى خطة جديدة الى حد ما •

مجلة الأزهر :

ولا زلنا — فى المرحلة الأولى لتاريخ هـذه المجلة باعتبار استمرار ملكيتهـا لمنشـئيها الأصليين — وقد مضى القسم الأول من هـذه المرحلة ، وهى طبية — وهذا هو القسم الثانى لهذه المرحلة ، قبل انتقال ملكيتها :

يحتوى هذا الزمن من الدراسة عهد المجلة الجديد لنفس المنشئين يبدأ من اكتوبر ١٨٨٩ حتى ديسمبر ١٨٩٢ • وهـو أكثر من ثـلاث سنوات استمرت مجلة الأزهر تبلغ رسالتهـا وتصل الى قرائها أول كل شهر •

وهى مجلة علمية أدبية •

تصدر عن نفس المطبعة ، وبنفس التغليف والورق والحجم •

غـاية ما هنالك زيـادة بعض موضـوعات علمية عامة بعيدة عن الطب •

ولكن الصبغة الطبية ظلت مـلازمة للمجلة بقدر أدنى مما قبـل — لاسـيما أن تأهيـل صاحبى امتيازها طبى •

وكان العدد الأول من مجلة الأزهـر هـو العدد الثالث من مجلة الصحة فى عـام ١٨٨٩ وفعلا كتب على غلافه (العدد الثالث) وتوالت أرقام صفحاته مع أرقام صـفحات العـدد السابق له من مجلة الصحة • مباشرة •

٢ — صورة العدد الأخير من مجلة الصـحة (غـلاف) •

---

(١) مجلة الصحة العدد الثانى السـنة الثالثة ص ٣٣ •

(٢) يطلق عليها اسم (مجلة) الدكتور سـامى عزيز رئيس قسم الصحافة بجامعة القاهرة على سبيل المثال فى كتابه (الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى) •

٣ ـ صورة العدد الأول من مجلة الأزهر (غلاف) .

ومما عرفنا أن صاحبى المجلة تخيرا (الأزهر) اسما لمجلتهما لما له من أثر فى شتى نواحى المعرفة .

يضاف الى ذلك سبب آخر نقرؤه فى العدد الأول من الأزهر فى المقال الافتتاحى وتحت عنوان (الأزهر) .

انهما اختارا هذا الاسم تيمنا بالجامع الأزهر . ثم نقرأ معهما ذلك المقال الأدبى الرائع فى فضل الأزهر وأثره :

(المكان الأول والجامع الذى جمع ضروب الفنون وأنواع العلوم .. فمن هذا الجامع المصابيح التى بها يستصبح ، والمفاتيح التى بها يستفتح ، واليه كم شدت رحال ، وتقاطرت رجال ، ومنه خرج الفقيه والمحدث والمفسر والكلامى والمنطقى والنحوى واللغوى والفرضى والحاسب والفلكى وغير هؤلاء من حملة العلوم وأساة المنطوق منها والمفهوم ومنه استقضى القاضى ، واستفتى المفتى ، واستكتب الكاتب (١) ..) وهى قطعة أدبية نكتفى بايراد هذه الفقرة منها وليطلع عليها من يشاء فى المجلة .

(١) الازهر فى اكتوبر ١٨٨٩ ص ٦٥ من الافتتاحية

جريدة الأزهر

اعتاد صاحبا المجلة أن ينشرا فى الغلاف الداخلى منها بيانا بمحتويات العددين .. الحالى والسابق . وهى عادة دامت ملازمة للمجلة فى سنى صدورها كلها .

ولو أوردنا هنا (فهرس) العدد الأول لأمكن للقارىء أن يكون فكرة عن مضمون المجلة .

(الأزهر ــ الصوم والحرمان ــ منتجات صناعية ــ الرحل القطبية ــ الفسدى فى السجون) .. وتستغرق هذه الموضوعات (٢٣) صفحة . وباقى المواد عبارة عن أخبار وطرف ومعلومات وتعليمات وهى كالآتى : (زلزلة فى بلاد اليونان ــ ارتفاع فى أرض النرويج ــ حجم الماء المنصرف من النياجرا ــ قوة الأمواج ــ تنوير عربات السكك الحديدية) .. ثم يختم العدد بالاعلان عن (مؤلفات جديدة) يعرض فيها لبعض الكتب الجديدة وكانت كالتالى :

(الدستور المرعى فى الطب الشرعى ــ الوسائل الجلية للدروس الطبيعية ــ رسائل اخوان الصفا) .

ومع أنهما جعلا شعار المجلة أو خطتها (علمية أدبية) فلم نعثر فيها على مادة أدبية من قصة أو مسرحية (١) أو شعر . اللهم الا بيتا من الشعر هنا أو هناك يستدل به الكاتب ، وبعض ما نراه أحيانا من التحرير بالأسلوب الأدبى لبعض موضوعاتها العلمية .

وظل الطب صاحب القدر الأوفى من موادها . ففى العدد السادس نقرأ عن (مشاهدة فى الالتهاب البريتونى) وفى العدد السابع نقرأ عن (الميكروب المضيىء ، مشاهدة طبية ، بيض الدجاج ومنافعه) الى غير ذلك .

وبعد صدور العدد التاسع من المجلة فى السنة الثالثة (السادس من مجلة الأزهر) يعلن مؤسساها عن أن ملزمة طبية ستضاف من العدد التالى عبارة عن دروس فى الطب للدارسين والمشتغلين . (دروس اكلينيكية طبية لبعض الأطباء ليستفيد منها الأطباء) (٢) حتى الاعلانات التى كانت تنشرها المجلة كانت عن الكتب الطبية والمؤتمرات وما شاكل ذلك .

وفى عدد يوليو ١٨٩٠ مثلا نجد هذه الدروس :

(اكلينيك الجراحة . د/ محمد بك درى ، اكلينيك أمراض باطنة .

د/ حسن باشا محمود) .

وبهذا الأسلوب صدرت مجلة الأزهر هذه حتى ديسمبر ١٨٩٢ وهو العدد الأخير الذى أصدراه . وبعده انتقل الامتياز .

الحديث موصول

---

(١) فات الكاتب واقع القرن الماضى فى تعليقه هذا .. مجلة الازهر .

(٢) الازهر العدد التاسع الافتتاحية .

سيكوتوري

الرجل والمبادئ

دكتور عبد الودود شلبى

* فى القاهرة أذاعت رئاسة الجمهورية بيانا اعلنت فيه ان الرئيس حسنى مبارك تلقى ببالغ الحزن والأسى نبأ وفاة المغفور له (1) ، الرئيس أحمد سيكوتورى رئيس جمهورية غينيا بعد حياة حافلة كرسها لخدمة وطنه والأمة الاسلامية وكافة الشعوب الافريقية .

* وأن مصر التى اعتزت دائما بالزعيم الراحل مفكرا عظيما وبطلا من أبطال النضال الانسانى فى سبيل الحق والمبدأ لواثقة من أن سيرته ستظل نبراسا يهدى الأجيال المتعاقبة من أبناء شعوب العالم الثالث فى مسيرتها على طريق الحق والكرامة والسلام .

* وسوف يظل شعب مصر الوفى يذكر للفقيد العظيم مواقفه البطولية التى وقفها دفاعا عن الحق والمبدأ وتجسيدا لقيم الاسلام وأخلاقياته الرفيعة وسيظل كل مصرى ومصرية

---

(1) انتقل الزعيم احمد سيكوتورى الى رحمة الله فى يوم ٢٣ من جمادى الآخر ١٤٠٤ هـ — ٢٦ مارس ١٩٨٤ م .

سيكوتورى الرجل والمبادئ

يعتز بالانتساب مع الرئيس سيكوتورى الى خير أمة أخرجت للناس .

* ولد الرئيس الغينى أحمد سيكوتورى فى ٩ يناير ١٩٢٢ م فى قرية تسمى « فاراناه » وهى واحدة من بقاع غينيا التى يصل عدد سكانها الى خمسة ملايين نسمة منهم ٩٨٪ من المسلمين . وقد ولد أحمد سيكوتورى لأبوين من العمال حرصا على تعليمه القرآن الكريم واللغة العربية فى فصول تشبه « الكتاتيب » المصرية القديمة وكانت هذه الفصول الغينية من نشاطات الدعوة الاسلامية للتنوير . شأنها فى ذلك شأن « الزوايا » السنوسية فى الجزائر وليبيا .

* وبعد مرحلة تعلم مبادىء القرآن الكريم بدأ سيكوتورى الدراسة فى مدرسة قرية « كورانكى » ثم التحق بمدرسة صناعية فرنسية وكان يواصل دراسته الثانوية ثم العالية بالمراسلة وبعد انتهاء الدراسة التحق كاتبا بشركة فرنسية . وعندما بلغ الثامنة عشرة حصل على اجازة تؤهله للعمل فى مصلحة البريد والبرق وساعده هذا العمل على تثقيف نفسه وانتقل بعد ذلك الى مصلحة الخزانة ثم استقال لينضم الى التنظيمات العمالية حيث كان مؤسسا ورائدا لها ثم اختير رئيسا لفرع اتحاد العمال العالمى فى غينيا وأتاح له هذا الموقع أن يسافر فى الخمسينيات الى فرنسا وسويسرا والمجر وبولندا وتشيكوسلوفاكيا .

* وفى عام ١٩٥١ انتخب ممثلا لبلاده فى الجمعية الوطنية الفرنسية وقد أعيد انتخابه عام ١٩٥٤ ضمن ممثلى مجموعة دول (الفرانكفون) المسماة مجموعة « الأوكام » أى الدول الافريقية المتحدثة بالفرنسية والمرتبطة بفرنسا .

* وقد انتخب سيكوتورى عمدة لمدينة كوناكرى فى عام ١٩٥٦ ثم عين نائبا لرئيس الحكومة المحلية فى عام ١٩٥٧ حتى كان اصراره على استقلال بلاده فى عام ١٩٥٨ .

* وقد ذاع صيت هذا الزعيم المسلم بعد رفضه شروط الجنرال ديجول الذى حاول احتواء المستعمرات الفرنسية بعد الاستقلال فى اطار مايسمى بـ « المجموعة الفرنسية » أو رابطة المتكلمين بهذه اللغة نظير مساعدات مالية وثقافية وعلمية تقدمها فرنسا لهذه المستعمرات بعد استقلالها . لقد رأى الزعيم

سيكوتورى أن هذه محاولة لدخول فرنسا الى المستعمرات من النافذة بعد أن طردت من الباب بعد فترة جهاد طويلة فرفض كل هذه الاغراءات بقوة وآثر لنفسه وشعبه الحرمان والجوع على التساهل قيد أنملة فى الكرامة الوطنية وقال كلمته المشهورة :

* « اننا نفضل الفقر مع الحرية على الغنى مع الذل والعبودية » ..

* وكان هذا الموقف الأبى من الزعيم المسلم صفعة لفرنسا .. فبدأت تشن حملاتها الدعائية ضده وتلصق بحركته ودعوته أشنع تهمة ، فكان اتهامه بالشيوعية جزءا لا يتجزأ من حملة العداء والكراهية .

* وبعد عامين أو أقل من نشوب هذه الحملة الاعلامية قام الرئيس أحمد سيكوتورى بزيارة للولايات المتحدة وكان ذلك — على ما أذكر — فى عهد رئيسها الراحل « دوايت ايزنهاور » .

* ففوجئت بزيارة الرئيس الغينى للمركز الاسلامى الثقافى ، ومسجده الكبير فى واشنطن وكان مما أثار دهشة الصحفيين فى هذه الزيارة أن الرئيس سيكوتورى حين خلع حذاءه استعدادا لدخول المسجد ، ظهر جوربه ممزقا من خلف قدمه والتقط الصحفيون صورة هذا الجورب الممزق ثم أذاعوها على العالم بشتى وسائل الاعلام الملفق .

* لقد أحسست منذ هذه اللحظة أن الرجل

كان صادقا مع نفسه .. وأن موقفه من فرنسا تجسد فى صورة هذا الجورب الممزق من خلف قدمه .

* ومن أقوال سيكوتورى فى هذا الشأن : « متى توقف المرء عن اقامة العدل لم يعد مسلما » .

* « الحكومة المسلمة تنادى بالاستقلال وترفض الاستعمار وتعمل من أجل الحرية وتطبيق العدالة ومكافحة الفساد » .

* وفى مجال الفكر السياسى كان للزعيم الراحل أحمد سيكوتورى اجتهادات عديدة نعبر عن نظريته فى الثورة والعمل السياسى والاحزاب والسياسات الاقتصادية والعلاقات الدولية . كان سيكوتورى نموذجا لرجل الدولة المنشغل بالتفكير وكان يردد نفس المعنى الذى

سيكوتورى الرجل والمبادئ

ذهب اليه المفكر العربى الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد من أن التفكير فريضة اسلامية .

* وكانت أفكار سيكوتورى تدور حول نقطة واحدة أو محور واحد هو « جماعية الاسلام » فليس المسلم فردا . بل عضوا فى جماعة .

* وتأخذ فكرة الجماعة هذه مكانها كالركيزة فى فكر سيكوتورى فهو يراها فى فاتحة القرآن الكريم اعلانا من المسلم بانضمامه لجماعة المسلمين حين يتلو قوله تعالى **« اياك نعبد واياك نستعين »** فذلك اعلان جماعى يلغى كل احساس بالذات فى اطار المجموع ويجدها فى كل عبادات الاسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج ، ففى جميعها يقترب المسلم من أخيه بجسده وفكره بعواطفه وحسه ، وهكذا يرى سيكوتورى المسلم من خلال الصورة الرائعة التى رسمها نبى الاسلام ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى حديثه الكريم « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » وهو ما يجعله يقف هذه الوقفة الصريحة الى جانب « الجماعة » وان كان لا يستخدم كلمة الجماعة كثيرا ويفضل استخدام لفظ « الشعب » فالشعب فى نظره أكثر تحديدا ووضوحا وشيوعا من كلمة « الجماعة » أو « المجتمع » وان كانت كل منها تؤدى معنى الاخرى . فهو لا يرى فى الاسلام « فردية » تبيح لفرد تميزا على آخر ، بل « جماعية » يظفر فيها كل فرد بنفس الحقوق ويلتزم بنفس الواجبات فهى « جماعية » كل فرد ، وليست « فردية » بعض الأفراد .

* ويقول « سيكوتورى » فى مقدمة كتابه « الاسلام دين الجماعة » :

منذ تأسس المجلس الاسلامى الوطنى وتصديه لحمل رسالته الطموحة لدعم مكانة الاسلام ونشر فكره وترسيخ قواعده فى أرجاء غينيا ، وفى أنحاء أفريقيا والعالم كله ، وأنا أتامل العلاقة الوثيقة بين فهم الاسلام والدفاع عنه ، ذلك أن المرء لا يملك أن يدافع حقا الا عن الشىء الذى يحبه ، وما يحب المرء الاما يعرفه وما يعرف الا ما أتقن تعلمه ، ولهذا لايستطيع أحد أن يحب الاسلام حبا صادقا دون أن يعرفه ولا أن يعرفه دون أن يعرف ذاته .

* ولكن كيف يستطيع الانسان أن يعرف ذاته ؟؟

* اننى أتصور أن عليه أن يوجه لنفسه عددا من الاسئلة التى تضىء أمامه الطريق .

* عليه أن يتساءل عما اذا كان يعرف أسرته والمحيط الاجتماعى الذى يحيا وسطه ..؟

وطبيعة المنطقة التى يعيش على أرضها والقوانين التى تحكم بلاده .؟

والتقاليد التى تشكل ملامحه الخاصة وعناصر الطبيعة الجغرافية من حوله ..؟

* فبالاجابة على هذه الأسئلة يهتدى الانسان الى معرفة ذاته التى تتطلب تحديد مكانه فى المجتمع وتعيين موقعه الجغرافى ، أى معرفته من خلال معرفة المحيطين به ومعرفة بلاده ، بل وأحيانا معرفة سلالته العرقية وعقيدته الدينية ، كما تتطلب معرفة سلوكه النفسى وأوجه نشاطه المختلفة ، فليس فى الكون من ينفرد بالوحدانية سوى الله الذى يعرفه الناس فردا أحدا لا شريك له . بينما لايمكن معرفة الانسان وحيدا منبت الصلة عما عداه . ومن هنا تبدأ معرفة الاسلام .

* تتطلب معرفة الاسلام (فى ايجـــاز) الاعتراف بوحدانية الله الفرد الأحد والتسليم بأن الانسان كائن مركب من عناصر متغـــايرة تجعل وجوده على الأرض رحلة قصيرة المدى ، فالانسان متعدد العناصر المتنوعة بين معلومة ومجهولة . فى حين أن الله تعالى أحد بـــاق منزه عن كل شبه بالمخلوقات .

* ويعنى هذا أن الله منزه عن المتناقضات وهو أحد باق لا يوصف بأن له عمرا أو حجما أو وزنـــا .

بينما يجتمع فى الانســـــان كل ما يمكن أن يتطرق له الخيال . ففيه من الثرى والمـــــاء والشجر وفيه تكمن ينابيع الخير والحق والنقاء ولكن الشيطان يسكنه أيضا ، أى أنه يطـــوى بين حناياه الشر والزيف والدنس (فالانسان يضم المتناقضات ، ولما كان المجتمع يتشكل من مجموع الافراد الذين يطوى كل منهم صدره على تناقضه الذاتى فمن المحتوم أن يتضـــمن المجتمع كل تناقضات أفراده) .

*** وهكذا يبدأ الانســـــان معرفة الاسلام بمعرفته بذاته وبشعبه وبالطبيعة المادية حوله وبالتسليم لله بالقدرة عـــلى خلق كل ما عرفه ، فيجب لمعرفة الاسلام معرفة الله عبر مظاهر قدرته وخلقه .**

* على أن المعرفة الحقة بالاسلام تكشـــف عن دوره الهائل فى توحيد الجماعة وتثقيفهـــا وهدايتها ، فقد جاء الاسلام ليتيح للانســـان أداء جميع واجباته على الأرض تجاه اللـــه ، وتجاه مجتمعه .

* ويستطيع المرء بسهولة أن يدرك أنـــه لايوجد دين للشجر ولا للحيوان ، وأن الدين لم يخلق الا لأفراد الجنس البشرى .. وليست حياة النباتات ، والحيوانات الا جزءا من حياة الطبيعة خاضعا لها ، فى حين أن حياة البشر ، وان كانت تعتمد هى الاخرى على حياة الطبيعة، الا أنها تتجاوزها مع ذلك فقد غرس اللـــه فى الانسان ذلك الوجدان الذى يتيح له ـــ رغـــم احتوائه داخل الكون الطبيعى ـــ أن ينفذ خارج اطاره هذا حتى يرى ذلك الكون الذى يحتويه، بل ليحتوى بفكره هـــذا الكون الـــــذى يحتـــوى جسده .

*** لقد انفـــرد الجنس البشرى اذن بوجود دين له . لأن البشر هـــم الذين كرمهم الله وفضلهم على جميع المخلوقات لانهم وحدهم الذين يتملكون « الوجدان ـــ الوعى » . وها نحن هنا حبيســـون داخل هذا البيت ، غير أنه لا شىء حبيسا هنا حقيقة الا اجسادنا اى كل ما اخذناه من التراب والماء ، من الكون الطبيعى ، أما ما خصنا الله به مما هو أعظم مـــن كل هذا وهو (الوعى) ، وهو الوجدان ، فهذا مالا يمكن سجنه .**

وكانت شهادة الدكتوراه الفخرية التى منحها الأزهر الى الزعيم أحمد سيكوتورى تتويجا لجهاده الذى لم يتوقف لحظة واحدة طـــوال اثنتين وستين عاما هى كل حياته .

وفى كلمته التى ألقاها فى قاعة الامام محمـــد عبـــده يقول « سيكوتورى » موجها كلامـــه الى شيوخ الأزهر وعلمائه :

* اننا مدينون بالاعتراف بأن « جامعـــة الأزهر » وهى واحدة من أقدم وأشهر جامعات العالم قد ساهمت بطريقة دائمة ومثمرة فى

سيكوتورى الرجل والمبادئ

تشكيل مئات الآلاف من المثقفين فى جميع الفروع، والذين عملوا وسط عديد من الشعوب على دعم القيم الاسلامية والتقدم السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى لكثرة من الأمم • وسنظل معترفين بهذا الشرف الذى يفوق كل تقدير والذى تمنحه لنا هذه الجامعة العظمى ذات الاشعاع العالمى حين تعدنا بين أولئك الذين يحملون الشارة الفخرية لدعمها وثقتها •

* ان جامعتكم التى تعد بحق واحدة من أكثر جامعات العالم هيبة وجلالا، وليس فى العالم الاسلامى وحده، وتسكن المسجد الذى تحمل اسمه، والذى أسس عام سبعين وتسعمائة على يد مهندسين أكفاء سجلوا عبقرية الفن الاسلامى •

* هذا يعنى أن واجبكم هو أن تذكروا المشاعر التى حفزت هؤلاء البناة لكى يجعلوا من الحضارة الاسلامية واحدة من ركائز الازدهار الجمالى والثقافى للاسلام •

* وعليكم أن تتشربوا هذا التعليم، وأن تجعلوا منه وسائل اشعاع لمصر على امتداد الأمة الاسلامية، وأن تتصدوا للقمع والقهر والعدوان الثقافى الخبيث المخطط والمندس فى أعمال مسموعة ومرئية من خلال نزعة المتاجرة المادية التى تخرب المبادىء الخلقية التى يدافع عنها الاسلام •

ان كون المرء طالبا فى الأزهر هو ميزة هائلة غير أنا نعرف أنكم لن تتخذوا موقفا سلبيا بالحصول على معارف لا يفيد منها الشعب •

أننا ندعو الله أن تظل جامعة الأزهر تنعم بفضائلها الخاصة فى كل مسجد وبخاصة هذا المسجد الذى يأوى الجامعة ؛ ذلك المكان العلوى للتعليم ونشر الثقافة للجميع، وهو المكان المتميز بالتركيز على المشاكل التى تشغل البشر فى وجودهم المادى من أجل تحديد الطرق الجديدة والتحولات السعيدة فى حياتهم •

اننا ندعو الله العلى القدير أن يمكن جميع العلماء والأساتذة الأجلاء فى جامعة الأزهر المهيبة من مواصلة رسالتهم فى نشر الاسلام بين ربوع العالم • وأن ينعموا بما منحوا من فطنة وذكاء • ذلك الذكاء الذى يتيح لهم نفع الآخرين بقدر ما يحقق لهم من ثواب يوم القيامة، هم به جديرون •

وسيكوتورى هو أحد أحفاد الامبراطور « ساموری توری » الذى قاد حملة الجهاد ضد الغزو الفرنسى الذى حاول فرض سيطرته على أقطار الاسلام فى غرب أفريقيا •

لقد ظل هذا الامبراطور المسلم ستة عشر عاما فى جهاد وحرب ضد جحافل «التتر الجدد» من أبناء أوربا •• ستة عشر عاما من الجهاد بأسلحة بدائية فى مواجهة أحدث وسائل الدمار والقتل التى لم تستطع اخماد جذوة الايمان والكفاح حتى فنى المجاهدون شهيدا بعد شهيد فى أحراش افريقيا •

غير أن هذه الشعلة بقيت متوهجة فى قلوب مسلمى « غينيا » حتى جاء يوم «الثأر المقدس» للانتقام من همجية أوربا •• فكانت صيحة سيكوتورى — التى تردد صداها فى أرجاء العالم — مرحبا بالحرية مع الفقر على الرخاء والثراء مع العبودية والذل •

د/عبد الودود شلبى

شعر وشاعر

شاعر الاسلام - محمد اقبال

الجمرة

شاعر الإسلام

محمد اقبال

- ١ -

شاقه الخلد رونقا وجلالا وشجاه خمائلا وظلالا
تطبيه ربا الفراديس أيكا عبقرى الرؤى سنا وجمالا
يطلق الروح فى سماه فتطوى فى مداها الآباد والآزالا
والذرا الحالمات تلهمه الشدو فيسبى قوافيا وخيالا
شاعر هام بالخلود فغناه دعاء وصبوة ، وابتهالا
وشدا بالجمال فوق رباه نغما ساحر الصدى سلسالا
عزفته قيثارة الروح لحنا باكى الجرس أنة وانفعالا
هز سمع الوجود أرضا وافقا وسماء وأنجما ، وهلالا
وسرى فى عوالم الروح نجوى بلغت سدرة الجلال مقالا
نغم خالد الصدى سوف يبقى سرمديا يحرك الأجيالا

للدكتور حسن جاد

كلما طاف بالعشية ساقيه تصبى الغدو ، والآصالا
هانه الأريحى شف نداماه ، ورقوا شمائلا وخصالا
وتسامو بالقرب فاعتلوا الشمس بساطا والفرقدين مجالا

وتساقوا من كرمة الله كاسا | كرمت عنصرا ، وطابت خلالا
كان فى العرب جدها فارضيا | وأبوها فى الروم كان جلالا (١)

يا نديم الأرواح هات اسقنيها | وأنلنى من راحتيك نوالا
تنهل الروح من سناها فيجلو | عن سناها الحجاب والأسدالا

واذا النفس باكرتها تجلى الحق فيها سبحانه وتعالى
مالك يصطفى من الملك ماشاء بما شاء قادرا فعالا
يقسم الحظ فى المدائن كالناس ويجريه حكمة لا ارتجالا
حسب (باكستان) العظيمة مجدا وفخارا أن انجبت (اقبالا)

للقصيدة بقية

---

(١) كان اقبال يعتز بالشاعر الفارسى جلال الدين الرومى ويعترف بفضله عليه وهو فى حبه الالهى متاثر بابن الفارض .

الجمرة

فى فؤادى لا يديا أو سعتنى العمر كيا
فى زمان تلتوى فى ليله الأعناق ليا
غابت الاقمار فيه واختفى ضوء الثريا
لم اجد لى فى مجال الـ عيش خلا أريحيا
او ظهيرا عند فصل الـ قول لماحا ابيا
صرت امشى فى طريق موحش فردا شجيا
كالذى يمشى بقفر لا يرى فيها نجيا
غير ذؤبان ورقط تبتغى لحما طريا
كلما يممت شطرا جمرتى زادت صليا
بيد أنى لست أرضى عن لظاها الحلو شيا
لذعتنى ، نعمتنى من عطاياها مليا
فهى نار ذات روح ينفح الأرواح ريا
ذاك ومض البرق نار خالطت ماء رويا
انها الايمان يسرى فى كيانى كالحميا
نشوة فى صحوة ما زالتا دفئا وريا
انها الاسلام دينى أرحب الاديان فيا
كان لى حصنا ورشدا كان لى تاجا سنيا
كان فى الطوفان فلكا آمنا أبقى عليا

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

كيف أنساى عنه يوما ... كيف لا أرضاه زيا ؟
والذى من غير دين ... ليس انسانا سويا

انه جرم عليل ... قد حوى داء خفيا
حائر فى التيه منطوى ... عمره الأوهام طيا

كم نصيح قال : دعها ... لا تكن غرا غبيا
القها كالناس وأنشد ... مثلهم عيشا رخيا

هذه الدنيا تنادى ... تلك أقداحى فهيا
وارتشف منها رحيقا ... سائغا حلوا شهيا

لا تقل هذا حرام ... انه غنم تهيا
من تحاماه ابآء ... عاش محروما شقيا

قلت يامفتون دعنى ... ليس طيب العيش غيا
وانتبذ فى الاثم ركنا ... نائيا عنى قصيا

ان غذا الاسلام قلبا ... كان بالتقوى حريا
لست من دنياك أبغى ... متعة تغرى غويا

كل لذات تلاشى ... كيفما كانت وأيا
ان زهر الورد يزهى ... بكرة يذوى عشيا

انما أبغى نعيما ... عند ربى سرمديا
جمرة الايمان أحلى ... فى فؤادى أو يديا

سوف أبقيها بقلبى ... جاهدا مادمت حيا
علنى ألقى بها ربى ... على عهدى نقيا

من شعراء الأزهر

أحمد الزين

الشاعر الراوية

لقاؤنا اليوم ، مع شاعر كبير ، لاقى من عنت الأيام وبلواء الحياة ، ما جعله ينصهر فى بوتقة ، ولكن .. ليصبح معدنه بعد ذلك أكثر صلابة ونفاسة ، حتى لكأنه كان يناجى نفسه متأسيا ، بقوله لوالد فقد ولده :

عزاء .. فمثلك ان يمتحن
تكشف عن جوهر منتخب
له فى عقيدته مفزع
ومن حسن ايمانه محتسب
فاى الليالى صفت من عناء
واى صفاء بها .. لم يشب (١)

وقوله ، فى مرثية أخرى :

أقول لعين لاتمل بكاءها
لك الله .. ما تجدى عليك المدامع ؟
ومن عرف الأيام معرفتى .. رأى
مناياه عن تلك المنى وهى وازع
تبينت قبرى فى القبور .. ومن رأى
بعينى، رأى اللذات وهى مصارع (٢)

فأصبح ، كما نرى كالحزين الذى يأوى لحزنه ، راضيا بالقضاء والقدر .. فرضى الله تعالى عنه ، وعوضه عن عاهته ، بفقد بصره ، بموهبة شعرية متوهجة ، قلما تتاح لغيره ، جعلته فى الطليعة الملحوظة من شعرائنا المعاصرين .

والخطوط العريضة لحياة أحمد الزين ، التى استطاع الاستاذ عبد الرحمن خليل ابراهيم أن يرسمها لنا فى كتابه القيم (المجتمع فى شعر أحمد الزين) (٣) . استقاها من أسرة الشاعر ،

(١) ديوان احمد الزين ص ١٠٧ .
(٢) ديوان أحمد الزين ص ١٢٥ .
(٣) ط ١٩٦٤ .

بقلم أحمد مصطفى حافظ

ومن صديق الزين الشيخ محمد عبد العظيم بدر ، وبالرجوع للمذكرات التى أملاها عليه .. ومنها نعلم أن الزين حرم نعمة الابصار بعد ثلاثة أيام من مولده سنة ١٨٩٨ بقرية (ميت نابت) مركز السنطة ، بمحافظة الغربية من أسرة تعمل بالزراعة ، وكان والده من أعيان قريته . وكان من أثر علته .. شحذ قوة ذاكرته، لدرجة أنه حفظ القرآن الكريم فى مدة تسعة أشهر بكتاب القرية ، فى سن التاسعة ، وأتم تجويده وعرف أحكامه فى هذه السن الغضة ، الأمر الذى حدا بوالده — الذى لم ينل أى قسط من التعليم — أن يلحقه بالأزهر ليستكمل تعليمه مع شقيقه المرحوم محمد الزين ، الذى كان شاعرا بدوره ، وطالبا بمدرسة القضاء الشرعى .

حفظ شاعرنا المتون الأزهرية ، كألفيه ابن مالك ، والكافى فى العروض والقوافى وغيرها وأثر ذلك ظهرت موهبته فى قرض الشعر فى سن الحادية عشرة ، وظهر ديوانه الاول سنة ١٩١٧ بعنوان : (القطوف الدانية) مشتملا على بواكير الصبا ، من المدائح والتهانى ، وتخميس معلقة امرىء القيس .. وأتبعه بديوان آخر عام ١٩١٨ ، بعنوان : (الأراجيز الأخلاقية) ، ضم الكثير من شعر الحكم ، وظفر هذا الديوان بتقريظ شيخ الشعراء : « اسماعيل صبرى » ، الذى يقول فيه :

اذاكنت يازين .. زين الأدب
فان كتابك زين الكتب
قلائد طوقت جيد البيان
بهن .. وحليت جيد العرب

كما ظفر بمقدمة من الاستاذ محمد فريد وجدى ، قال فى ختامها : « هذا غيض من فيض أسوقه بين ما أنا فيه الساعة من النظر فى أرجوزة الأخلاق ، الموسومة بقلائد الحكمة ، للشاعر المطبوع أحمد الزين ، فقد جمعت فى أقل من ألف بيت ، ما تشتت من شمل الكلم ، وتفرق من درر الحكم .. » (١) .

وحصل الزين على (العالمية) من الازهر عام ١٩٢٤ ، وقيد اسمه فى جدول المحامين الشرعيين فى ذات العام ، وبعد اتمام فترة التمرين بمكتب أحد كبار المحامين بالقاهرة ، لم يستطع المضى قدما فى مهنة المحاماة ، لما اعتورها من عقابيل ، فتركها ليتفرغ للأدب ، وليعمل فى ذات الوقت مصححا باليومية فى دار الكتب ، الى أن أدركه الانصاف فترقى الى الدرجة السادسة ! ، كما يقول زميله الشيخ

(١) مجلة الازهر سنة ١٣٦٧ هـ ص ١٧ ، المجلد التاسع عشر .

عبد الجواد رمضان الذى كان يعمل بالأزهر ، ثم يضيف : « وزرت القسم الأدبى (بدار الكتب) بعد ذلك بأسابيع ، فسألت عنه — (أى عن الزين) ، فقيل لى انه نقل الى وزارة المعارف ، قلت : عجبا •• وما يصنع الزين فى وزارة المعارف ؟ قيل : نقل لأن التنسيق أهله للدرجة الخامسة ، ولما لم يكن فى الدار ميزانية، فقد نقل الى قسم الثقافة بالوزارة ، نشدانا للدرجة ، قلت : خير •• وأخذت أنظر فى ترقيات الوزارة على اسمه ، ففاجأنى •• خبر نعيه فى الجرائد •• » •

وهكذا انتقل الزين الى رحمة الله تعالى سنة ١٩٤٧ متأثرا بقرحة فى المعدة ، قبل أن يكمل الخمسين من عمره ، مثله فى ذلك كمثل الأديب الجهير مصطفى لطفى المنفلوطى •• ولم يترك الزين لامرأته وابنه شيئا من حطام الدنيا •

وتراث الأديب فى الشرق حزن لبنيه •• وثروة للرواة

مما تقدم من وقائع سيرة حياة الزين ، التى لم توضح لنا يوم ميلاده أو حتى يوم وفاته على وجه التحديد ، نتبين مدى الغبن الشديد الذى تجرع غصصه فى حياته العملية ، بعد أن شب عن الطوق •• وفى أثناء طفولته المعذبة الشقية ، بعد فقد بصره ، وتعرضه للمهانة بسبب ما لقيه من لداته ، أو بعضهم ، فى (كتاب القرية) •• من التعريض به ، والسخرية منه •• الا أن ذلك كله لم يفت فى عضده ، بل زاده ثقة بالنفس وتجلدا على المصائب ، واعتزازا بالرأى ، حتى قال :

سأحمل فى الرأى مض الألم
واصبر للخطب اما ألم
وأحمل نفسى على مرها
اذا ضامها مايضيم الكرم
ولا أشترى كل هذا الوجود
ولا العيش فيه•• ببعض الشمم(١)

وقوله بقصيدته (الضمير) :

لا تسلنى عن صاحبى ونصيرى
لم أجد لى فى الدهر غير ضميرى
هو صوت السماء فى عالم الأر
ض •• وروح من اللطيف الخبير
هو روح من الملائك يسمو
بسليل الثرى •• لعالم نور
هو ان شئت •• كان جنة خلد
واذا شئت •• كان نار السعير(٢)

ويبلغ الذروة فى درة شعره كله فى اعتقادنا التى تحمل عنوان : « غربة النبوغ » اذ يفصح فيها عن تجربته الشعورية العميقة ، ويطلق العنان لشاعريته المحلقة ، لتصور مدى ما تعرض له فى حياته الشقية وما تجرع من غصص وآلام رهيبة ، جعلته يشعر بالغربة بين قومه ، ويتحسر على ما لقيه من غبن وتضييع ،

(١) ديوان الزين ص ٦ •
(٢) ديوان الزين ص ٨

رغمموهبته الأدبية الكبيرة ، فيتحدث عن نفسه بضمير الغائب ، قائلا :

منلثاو فى الاهل ٠٠ يشكو اغترابه
سئم العيش عذبـه وعذابــــه
ود لـــو تطفىء المنـــون وميضا
من حيـــاة بروقهـــا ٠٠ خلا به
راح فى الليـل يعقد الامـل الضخ
ـــم فلما بـدا الضـــياء أذابه

ثم يصور خيبة أملـه ، لكـدح لا يلاقيه ، وأمنيات تبددت كقصور بناها فى الخيال ، بعد ارتطامه بالمتناقضات وواقع الحياة المـرير فى عهده ، بقوله :

جمـدوا عنـــده المـواهب حتى
لم يبالوا ان يجمدوا وهــــابه
يرسل النـور فى عيون الخفافيش
فتـــأبى العيـون الا احتجابـه
ويسوق اللحن الشجى الى الصـم
فتـــأبى الاسمـاع الا نعابـه
ويفيض العذب الشهى على افـوا
ه مـرضى ٠٠ لا تسـتسيغ شرابه

ثم يتحسر على نفسه بأبيـات تكاد تكــون قطرات الدموع تنساب بين فقراتها ، فيقول :

يالجهد قد كان يذكو التهـــابا
أخمد الغبن والعقـوق التهـــابه
وفؤاد قـد كـان مهـد الامـانى
صار لحدا ٠٠ تسقى الدموع ترابه

الى أن يجأر فى وجـوه شانئيــه وجاحدى موهبته ، ببلاغة المحامى المفوه ، الذى يعوض نكوصه عن مجال القضايا الشرعية ، بتصديـه للدفاع عن قضيته الشخصية ، يقول :

كم دعى قلدتموه خطـير الأمـــ
ـــــر فيكم وندتم أربـــابه
وغبى يحيـا سـعيدا ويعـزو
ن اليـــه ٠٠ مـن كل فن لبـابه
٠٠ حين يمضى أخو الذكاء ويطوى
فيكم العمر ٠٠ حاملا أوصا بـه !

ثم يختتم قصيـــدته ، أو (سيمفونيته) ، محذرا ومنذرا ، بقوله :

ان سفك الدمـاء أوهى حســـابا
من دم الفضـل تحملون حسـابه
انما العبقرى روى مـن اللــــ
ـــه أمين يوحى اليكم كتابه
ان قتل النبوغ قتـل لشـــعب
وعنـــاد للــه فيمن أنـابه

وقد فاء الزين بعد ذلك الى السلوى والعزاء، بما لقى من حفاوة واحتفاء كبـار الشـعراء والأدباء من معاصريه ، به وبشعره ، وبخاصة الأستاذ « أحمد حسن الزيات » صاحب مجلة (الرسالة) ، الذى كان ينشر قصائد الزين فى أبرز مكان ، ويطلق عليه لقب : (الشاعر العالم الراويـة) ، وكذلك لقى ذات الاحتفاء مـن الأستاذ أحمد أمـين رئيس تحـرير مجلـة (الثقافة) الذى وافق على طبع ديوان الزين ، بعد وفاته ، على نفقة لجنة التأليف والترجمـة والنشر ، التى كان يرأسها •

شعر الزين

وكان الزين فى أول أمره يعمد فى بواكيره الى احتذاء الفحول وتقليد البلغاء ، قائلا :

من لم يقوم بالقديم لسـانه
فبيانه ــ مهما يجده ــ صهيل
كنز مـن الأدب الرفيـع ، مضيع
يعش النواظر ٠٠ دره المجهول (١)

الا أنه ارتقى باحتذائه وتقليده عن مغبة افناء شخصيته فيمن يقلده ، لأنه كـان لديه ما يقوله ، بل مالا يملك الا أن يقوله ٠٠ بعد أن استكمل عدته اللغوية ، وأداته البيانية ، وخلص الى سجيته النقية ، وطبعه السـخى ، فأمتع وأبدع وأجاد ، بالشعر الخالص ، الذى سكب فيه ذات نفسه ، وبثها فى تضاعيفه ، مع نبض مشاعره ، وحرارة احساسه واتقاد وجدانه٠٠ فكان الحال معه ، بعكس الحال مع أبى نواس ، الذى يصف الزين فنه الشـعرى فى احـدى مقالاته التى تحمل عنوان : « من أحسـن ما يروى » بقوله عنه انه : « لا يتسع فى خيال، ولا يغرب فى معنى من معانيه ، ولا يولد معنى من معنى آخر ، ولا يبتكر جديدا ٠٠ ولكنـه يصف كل شىء كما هو ، ويصوره بحقيقته التى يشعر بهـا ، لا يزيـد على ذلك ولاينقص ٠٠ فاذا رأيت فى معانيه شيئا من الجدة والطرافة ، فذلك لجدة الموصوف وحده وطرافته ، لا أنـه ابتكر جديدا ، أو أجهد فكـره فى الاتيـان بطريف ٠٠ » (٢) فنرى الزين ، حينما تهدى اليه « طاقة زهر » ، ينفعل بهـا ويطيب رياها، فيأتى بالعجب العجاب لما توحيه اليه من معان وأخيلـة ورؤى ببصـيرته ، أو بالنـور الذى يصفه لنا (أبو القاسم الشابى) ، بقوله :

النـور فى قلبـى ، وبين جوانحى
فعـلام أخشى السـير فى الظلمـاء ؟

فيقول الزين واصفا (طـاقة الزهر) أبدع وصف ، وكأنه يراها رأى العين :

رقت رسائلها (٣) فى الكون ، فاتخـذت
من النسيم بريدا ، شـاع فى الأفـق
ومـا رأيت بريـدا خـف محمـله
مثل النسيم ، حكى المعنى ٠٠ بـلا ورق

الى أن يقول :

وكم على صـفحات الزهـر من كتب
فى الشوق يعيابها ذو المنطـق الذلـق
وللأزاهـير لطف فى سـفارتها
كم ألفت ، فى هـواها ، كـل مفترق

(١) من قصيدته (فى ذكرى تيمور باشا) ص ١٣٢ بديوانه ٠
(٢) عدد مجلة (الثقافة) الصـادر فى ٢٢ اغسطس سنة ١٩٣٩ ص ٣٩ ٠
(٣) اى طاقة الزهر ٠

وهذه الأبيات الجميلة ، تفوق فى روعتها ، قول الكاتبة الانجليزية المشـــهورة (مـــارى كوريللى) فى وصف الزهور :

Flowers are like visible messages from God Messages written in all the brightest and loveliest colours.

I never gather one, without finding out that it has something to say to me.

A flower gives pleasure to a person in sorrow.

وترجمتها والزهور كأنها رسائل مرئية جلية من لدن الله .

رسائل كتبت بأزهى وأحب الألوان .

ولم يتفق لى قطف واحدة منهـــا ، دون أن أشعر ..

بأن لديها شيئا ، تريد قوله لى ..

وان الزهـــرة لتبعث ســــلوا للانســـــان الحزين ..

وكم يشجى ويمتع بقصيدته التى تحمـــل عنوان : (الذكرى) ، وكأنها أنشودة تهمس بها نفسك أنت ، حينما تجتر ذكـــريات المـــاضى ، وتقارنها بلفحات ومنغصات الحاضر ، يقـــول بسلاسة آسرة :

ادكـــارا ، بعـــد مـــا ولى الشـــــباب
ومن الذكـــرى نعيم .. وعـــــذاب

لا تقـــــل تعـــزية عـــن فـــــائت
كم عـــزاء .. فى ثناياه المصـــــاب

واذا الـــدار جفـــاها أنســــــها
فمغانيهـــــا ـ مع الترب ـ تـــراب

الى أن يقـــول بلوعة وتبريح :

واذا مـــا الزهـــر ولـــى حســنه
فبقـــاياه .. عبـــوس واكتئـــــاب

واحمـــرار الشـــــمس فى مغـــربها
دمعهـــا القـــانى .. أو القلب المذاب

.. انما الذكـــرى شجـــون وجـــوى
يسكن القلب لهـــا وهـــى خـــراب

رب نفس عشـــــقت مصرعهــــــا
كفـــراش النـــار .. يغـــريه الشهاب
ولكم أنس وفيـــــه وحشـــــــة
واقتـــراب .. هـــو نـــاى واغتراب

الى أن يختتم هذه القصيدة ذات الموسيقى العذبة بهذا البيت المذيب :

لم يـــدع لى اليـــاس ما أحيـــا به
غير قد كنا .. وقد كان .. الشباب

ونراه بخريدته : (وصف القلب) يعطينـــا ما يشبه السيرة الذاتيـــة الباطنيـــة لما اعتمـــل فى فؤاده ، حين يقول :

من شعراء الأزهر

مـن لقلب ، بين الجـوانح ، عـــان
جمـع اليـأس والمنى فى مكـــان

باكيـا شــجوه ، وآنـا تـــراه
يتغنـى بأعـــذب الألحـــان

فهـو كالعـود فى يـد الدهر يشـــدو
بالذى شـــاء دهــــره من أغـــانى

قطـــع العيش بين خــــوف وأمن
ورجــــــاء ناء ، وآخــــر دان

الى أن يبلغ مداه فى دقة الوصف وطرافته ، بقوله فى القلب أنه •

مضـــغة فى الضـــلوع يؤلمهـا اللـ
مس •• غـدت نهبـة لصـرف الزمان

فـوق مـوج الآلام تـذهب حـيرى
كســـفين تسرى • بـــلا ربـــان

•• جـل من صـاغها ميـــولا وأهوا
ء •• ولم يعـــد طينـــة الانســـان

فهـى بين الضـــلوع لا تمـــلأ الكف
وفيهـا •• صـــحيفة الأكــــوان

ولو مضينا فى اقتطاف ما يروق ويشوق من شعره لأتينا بمعظمه ، ولم نستطع كبح جماح القلم ، ولذا نقتصر بعد ذلك على بيان بـاقى آثاره الأدبية الأخرى ، التى تتمثل فى عـدة مقالات نشرها بمجلة الثقافة بعنوان : « من أحسن ما يروى » تشى بذوقه الـرفيع وتنم عن طول باعه وواسع اطلاعه على ذخائر الشعر العربى فى شتى عصوره ، وله مقالات أخـرى تظهر حسه النقدى الدقيق المرهف ، نشرهـا بالرسالة والثقافة بعنوان « النقد والمثال » ، وهذه المقالات جميعها ، بالاضافة الى المقالات التى نشرها فى جريدة الأهرام بعنوان « النقد الأدبى » ، جديرة بأن تجمع بين دفتى كتاب ، يخلد اسـم الـزين ويجمع تراثـه المبعثر ، وينصفه ميتا ، بعد أن فاتنا انصافه حيا •

آثاره العلمية والأدبيـة

ومن آثاره أثناء عمله بدار الكتب ، تحقيقه الأجزاء : السابع والثامن والتاسع والحـادى عشر والثانى عشر والثالث عشر من كتـــاب (نهاية الأرب فى فنون الأدب) ، لشـــهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى ، بادئـا كل جزء بمقدمة له ، من يراعه • كمـا صحح الجزء الأول من ديوان الهذليين ، بمقدمة ممتعة له ، كما صحح بعض ملازم الجزء الثـانى من هذا الديوان •

وصحح خارج نطاق عملـه بدار الكتب ، ديوان شاعر النيل حافظ ابراهيم بجـزئيه ، وكذلك ديوان الوزير محمد رضا ، وديـوان أستاذه الشاعر الكبير (اسـماعيل صـبرى) بمقدمة نفيسة له ، كما صحح الجزء الأول من كتاب (الامتاع والمؤانسـة) لأبى حيـــان التوحيدى ، وبعض أجزاء من العقد الفريـد

لابن عبد ربه ، بمشاركة الأستاذين : أحمد أمين وابراهيم الأبيارى .

ويروى صاحب كتاب (المجتمع فى شعر أحمد الزين) ، عن الأستاذ عبد المغنى المنشاوى المفتش العام بوزارة المعارف سابقا ، والذى تبنى طبع ديوان أحمد الزين ، أن الزين كان داهية فى الأدب ، جيد التصوير فى الالقاء (١) ، وذكر عنه الحادثة التالية : وذلك أنه أثناء قيامه بالتصحيح فى دار الكتب عثر على عبارة « وكان غبيا بين أبيناء » ، وكان معه الأستاذ أحمد أمين ، فتحيرا فى معنى العبارة ، وأخذ الزين يبحث عن صحتها ، حتى وجدها .. فجاء الى الأستاذ أحمد أمين متهللا ، وقال : « لقد عثرت عليها .. » فقال الأستاذ أحمد أمين : فما هى ؟ قال الزين : كان عييا بين أبيناء . » (٢) .

وهذه الواقعة تظهر بجلاء ووضوح ما كان عليه الزين من ذكاء وفطنة ، فى بحوثه واستدلالاته ، وشعره ونتاجه الأدبى ، سواء بسواء ، وبخاصة فى شعره الاجتماعى ، الذى تقول عنه الدكتورة عائشة عبد الرحمن بعدد جريدة الأهرام الصادر فى ١٩/١٠/١٩٥٣ — ولعل هذا التاريخ يطابق أو يقارب ذكرى وفاته — :

« ان الشاعر أحمد الزين أقوى ما تبدو شاعريته فى اجتماعياته ، اذ تسمعه يصف حال مجتمعنا المريض ، وصفا بارع النكتة لاذع الفكاهة ، مرير السخرية .. ولعلى لم أقرأ فيما طالعت من شعر حديث مايفوق شعر الزين الاجتماعى ، دقة تحليل ولطف حس وقوة انفعال وبساطة أداء ، بل أكاد أشك فى استطاعة النثر — مع تحرره من قيود النظم — أن يبلغ ما بلغه الزين فى هذا المجال ، وبحسبى ها هنا أن أنقل أبياتا من قصيدته : « خدعة الثناء » :

كلهم فى الهوى يزين دينه
ألف مفت ومالك بالمدينة
جهلوا لجة البحار ومسرى
ريحها .. وادعوا قياد السفينة

رحم الله أحمد الزين رحمة واسعة ، وألهم المنصفين أن يقوموا بجمع ونشر ما لم يصدر فى كتب بعد من نتاجه ، صونا له من الضياع ، واستنقاذا من يد التشتت والتبديد . والله ولى التوفيق .

« أحمد مصطفى حافظ »

---

(١) نكرت الاهرام بعددها الصادر فى ١٥ـ٦ـ١٩٣٦ ص ٩ تحت عنوان (موسم الشعر فى جمعية الشبان المسلمين) أن « جماعة الشعراء » هى التى نظمت حفل موسم الشعر ودعت اليه ، وأن الاستاذ الزين حين جاء دوره للالقاء وقف متكئا على عصا ، فأعاد للناس سيرة خطباء العرب بوقفته ، ونقلهم بشعره الجزل الى صدر الاسلام ، واستولى بقصيدته (صرعى الاغراض) على الالباب واستعاد الحاضرون ابياتها مرارا وقال احد الحاضرين من زملائه الشعراء ان الزين يلقى اللهم بالسبع !

(٢) المجتمع فى شعر أحمد الزين للاستاذ عبد الرحمن خليل ابراهيم ص ٥٨ .

الله والعقل

أراد أن يدرك ذات الله سبحانه وتعالى فكانت هذه القصة

للأستاذ عبد العليم القبانى

سعى ليدرك ذات الله عن كثب ... فاوغل السير فى سهل وفى جبل

حتى اذا لم يجد فى بحثه أملا ... واوشك العقل أن يختل من كلل

رأى غلاما بشط البحر مشتغلا ... بحفر بئر بلا يأس ولا ملل

فقال : ويحك ، ماذا تبتغى ؟ فرنا ... اليه فى ثقة كبرى وفى أمل

وقال : انى أريد البحر أنقله ... لهذه البئر ؟ هلا زدت فى عملى ؟

فقال : ويحك هذا البحر تنقله ... لهذه البئر ؟ هذا منتهى الخبل

فقال : حسبك يا من جئت ترشدنى ... لقد تماديت فى لومى وفى جدلى

أ أنت أكبر ، أم رب الوجود هدى ... حتى ترى نقله فى رأسك الثمل ؟؟

من التراث

من نوادر مخطوطات
مكتبة الأزهر

مجلة الأزهر
من خمسين عاما

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب شرح الزوزنى

على "لباب الإعراب"

من المعلوم أن علم النحو هو دعامة أساسية لمعرفة وتجلية مسائل العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه ونواحى فروع التشريعات الاسلامية ٠

ولن تجد علما من العلوم يستقل بنفسه عن النحو أو يستغنى عن معاونته أو يسير بغير نوره وهداه ٠

وهذه (٢) العلوم النقلية ، على عظيم شأنها لاسبيل الى استخلاص حقائقها ، والنفاذ الى أسرارها ، بغير هذا العلم ، فهل ندرك كلام الله تعالى ، ونفهم دقائق التفسير ، وأحاديث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وأصول العقائد ، وأدلة الأحكام وما يتبع ذلك من مسائل فقهية ، وبحوث شرعية مختلفة قد ترقى بصاحبها الى مراتب الأئمة ، وتسمو به الى منازل المجتهدين ـ الا بالهام النحو وارشاده ؟

ولأمر ما قالوا : « ان الأئمة من السلف والخلف أجمعوا قاطبة على أنه شرط فى رتبة الاجتهاد ، وأن المجتهد لو جمع كل العلوم لم يبلغ رتبة الاجتهاد حتى يعلم (النحو)(٢) فيعرف به المعانى التى لاسبيل لمعرفتها بغيره ، فرتبة الاجتهاد متوقفة عليه ، لاتتم الا به » ٠

وهذه اللغة التى نتخذها ـ معاشر المستعربين ـ أداة طيعة للتفاهم ، ونسخرها

(١) الكتاب بمكتبة الازهر برقم خاص ١١٢٣ رقم عام ١١١٣٠ فى علم النحو ٠

(٢) النحو الوافى ـ للأستاذ عباس حسن ٠

للأستاذ محمد عميرة على

مركبا ذلولا للابانة عن أغراضنا ، والكشف عما فى نفوسنا ، ما الذى هيأ لنا ، وأقدرنا على استخدامها قدرة الأولين من العرب عليها ، ومكن لنا من نظمها ونثرها تمكنهم منها ، وأطلق لساننا فى العصور المختلفة صحيحا فصيحا كما أطلق لسانهم ، وأجرى كلامنا فى حدود مضبوطة سليمة كالتى يجرى فيها كلامهم وان كان ذلك منهم طبيعة ، ومنا تطبع ؟

انه النحو وسيلة المستعرب وسلاح اللغوى وعماد البلاغى ، وأداة المشرع والمجتهد ، والمدخل الى العلوم العربية والاسلامية جميعا .

ونشير أولا الى كتاب (اللباب فى النحو) كما جاء فى كشف الظنون (١) للعلامة الامام تاج الدين محمد بن محمد بن احمد بن السيف المعروف بالفاضل الاسفراينى المتوفى سنة ٦٨٤ هجرية ورتبه على مقدمة وأربعة أقسام :

الأول : فى الاعراب .
والثانى : فى المعرب .
والثالث : فى العوامل .
والرابع : فى المقتضى للاعراب .

أوله : أحمد الله على ما تناسقت من كعوب (كعوب) أياديه .. الخ ، قال جمال الدين فى شرحه هو مشتمل على ملخص أبحاث المتقدمين فى ألفاظ بليغة عذبة جارية محتويا على لطائف عميقة لاتوجد فى جل كلام الاولين بالغ درجات الكمال لكنه أصعب الكتب المؤلفة فى هذا الفن وأوعرها لاشتماله على مباحث غريبة ومسائل عميقة .

وعليه شروح منها (القباب) للسيد جمال الدين عبد الله بن محمد الحسينى المعروف بنقره كار المتوفى سنة ٧٧٦ هـ فرغ من تأليفه سنة ٧٣٥ هـ .

أوله : الحمد لله الذى له الكلمة العليا .

وليحيى بن القاسم المعروف بالفاضل اليمنى المتوفى بعد سنة ٧٥٠ هـ .

ولقطب الدين محمد بن مسعود بن محمود السيرافى الغالى فى مجلد أوله : الحمد لله الذى هدانا الى معرفة اعجاز القرآن .. الخ .

وللشيخ علاء الدين على بن محمد الشهير بمصنفك المتوفى سنة ٨٧١ هـ وكان فراغه سنة ٨٢٨ هـ وهو شرح كبير ذكر فيه من قواعد النحو ومسائل العربية شيئا كثيرا والنسخة المكتوبة

(١) جـ ٢ ص ١٥٤٣ .

بخطه فى مجلدين ، أوله : ان أحق ما يضمر قبل الذكر فى فض الافتتاح بالختام .. الخ ، وقال فى آخره ، اتفـق نقله الى البياض بقونية ــ بوادى مرام سنة ٨٥٩ هـ .

ولمحمد بن عثمان الزوزنى أتمه فى ربيـع الأول سنة ٧١٢ هـ بشيراز يذكر فيه أنه استفاد كثيرا من الاسفراينى .

وكتاب اليوم الذى نقدمه هو (شرح المولى المعظم فخر العلماء الأعلام محمد بن عثمان بن محمد بن أبى على المشهور بالامام الزوزنى على (لباب الاعراب للاسفراينى) ، والامـام الزوزنى عالم نحوى بيانى توفى سنة ٧٩٢ هـ (١٣٩٠ م) (١) ومن آثاره : « شرح تلخيص المفتاح » للقزوينى فى المعانى والبيان و « شرح لب الالبـاب .

قال المصنف فى مقدمة كتابه : الحمد للـه رب العالمين وشرائف صلواته على محمد وآلـه أجمعين وأصحابه المهتدين ، يقول المفتقر الى الله الغنى محمد بن عثمان بن محمد بن أبى على الزوزنى رحم الله أسلافه وتجاوز عن سـيئاته جمعت حواشى للامام العلامة أفضل المتأخرين تاج الملة والدين محمد بن محمد بن أحمد بن السيف الاسفراينى المعروف بالفاضل شكر الله سعيه على كتابه المسمى « باللباب » وتعليقـه عليه وفوائد أخرى من مصنفاته كاعراب الفاتحة وغيره ومن غير مصنفاته لايضاح مواضع مـن الكتاب يحتاج الى حلها وأكثر كتابى هذا مـن شرح الفاضل الكامل العلامة نجم الملة والدين الرضى تغمده الله برضوانه للكافية والشافية .

وكلما جرى ذكر الشرح فالمراد شرحه هذا ، وكانما اياى خاطب فى هـذا التاليف البـديع الهمزانى بقوله :

أراك على شـفا خطـر مهـول
بمـاأودعت رأسـك من فضـول

ولكن المرجو من المحصلين أن يغمضوا عـن اجتراء من يرتجى عفو الاخوان ، وأن يتخلفوا بأخلاق الله فى رفع الخطأ والنسيان ومن البارى المتعالى الهام الصواب والرحمة والرضوان .. الخ .

قال الامام الزوزنى ان كتاب « اللبـاب » بناه مؤلفه على مقدمة وأربعة أقسام (أمـا المقدمة فهى أن الكلمة من اللفظ الموضوع للمعنى مفردا) فى التعليق اللفظ أولى من اللفظة لأنه أخصر وأدفع للاجمال أما أنه أخصر فظاهر وأما بيان الاجمالى فى اللفظة فهو أنه لو قال : الكلمة اللفظة الموضوعة لكان المعنى أن الكلمة لفظـة واحدة . وضعت تلك اللفظة الواحدة ، كما أن معنى الضربة ضرب واحد ، فان أراد باللفظة الوحدة التى يطرأها الوضع أقلها يطلق عليـه اللفظ فهو فاسد . لأن أقله حرف واحد فيلزم أن يكون نحـو همزة الاستفهام مـن الكلمات

(١) معجم المؤلفين جـ ١٠ ص ٢٨٥

الموضوعة على حرف واحد كلمة دون غيرها لأن مؤدى التعريف أن الكلمة حرف واحد موضوع .

وان أراد عددا مخصوصا ينتهى اليه . بأن أراد باللفظة ماهو على حرفين مثلا ورد عليه ما فوقه بأن لايكون كلمة . لأن مؤدى التعريف أن الكلمة حرفان وضعا . وان أراد ما هو على عشرة أحرف مثلا ورد عليه مادونه . وان أراد المتوسط بينهما ورد عليه ما فوقه وما دونه جميعا فبان فى اللفظة اجمال ليس فى اللفظ فيكون هو أدفع للاجمال عن المعرف من اللفظة لوضوح المراد به دون المراد بها كما بينا .

ثم قال اللفظ ما يتلفظ به سواء كان مستعملا أو مهملا قليلا كان أو كثيرا فهو بمنزلة الجنس القريب للكلمة والبعيد هو الصوت وغيره ، ولعل مراده بالغير المقولة الداخل تحتها الصوت ، وفى الشرح احترز بقوله اللفظ عن نحو الخط والعقد والنصبة والاشارة فانها ربما دلت بالوضع على معنى وليست بكلمات ، ويجوز الاحتراز بالجنس أيضا اذا كان أخص من الفصل بوجه لأن الموضوع للمعنى قد يكون لفظا وقد لايكون اذ الوضع تخصيص الشىء ليفهم الثانى عند ادراك الأول .

ثم قال والموضوع للمعنى بمنزلة الفصل ويخرج به المهملات والمجرفات والدوال بالطبع (كأج) على السعال لكن عقلا لا وضع ولا يكون كلمة .

ثم قال وقد حصل الغنية به أى بالموضوع

عن ذكر الدلالة لأن الموضوع للمعنى مأخوذ من الدلالة ، لأن وضع اللفظ تعيين اللفظ بنفسه للدلالة على معنى وقوله بنفسه احتراز عن تعيين اللفظ بقرينة للدلالة على معنى ، أعنى المجاز نحو رأيت بدرا يتكلم فان ذلك التعيين لايسمى وضعا ودخل المشترك فى الحد لأن عدم دلالته على أحد معنيين بنفسه لعارض الاشتراك لاينافى تعيينه بنفسه للدلالة عليه .

ثم قال والمفرد صفة اللفظ دون المعنى لأن المعنى المفرد ينتقض بالفعل ، وأسماء الأفعال وأسماء الجموع عكسا والعكس هو أنه اذا عدم الحد عدم المحدود . وقد عدم الحد أعنى اللفظ الموضوع للمعنى المفرد فى كل منها لدلالة الفعل ، وأسماء الأفعال على معنيين حدث وزمان ودلالة نحو رجال وركب على أكثر من شخص واحد ولم يعدم المحدود عنها لاطلاق الكلمة

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

عليها باتفاق ولا يصدق عكس الحد مع اشتراطه .

واستطرد المصنف فى كتابه وقال فى الخاتمة القسم الرابع فى المقتضى للاعراب : وهو توارد المعانى المختلفة على الكلم بسبب الترتيب فانها تستدعى ما ينتصب دليلا على ثبوتها . قوله على الكلم وقوله بسبب الترتيب يتعلقان بالتوارد أى توارد المعانى على الكلمة انما حصل بسبب التركيب . اذ الكلم فى حال تعدادها لا يتوارد شىء من المعانى عليها .

والفاء . من قوله فانها للسببية وانتصب دليلا على الحال من المستكن فى ينتصب أى توارد المعانى على الكلمة صار سببا لنصب دليل يدل على ثبوت تلك المعانى فى الكلم ، وذكر أولا الكلم مطلقا ثم بين أن تلك الكلم التى هى محل توارد المعانى من الاسماء دون الافعال والحروف بقوله ، والحروف بمعزل عنها أى عن تلك المعانى المختلفة فى الشرح الحروف لا يطرأ على معانيها شىء من المعانى بل معانى ألفاظ أخر ، وكذا الأفعال بمعزل عن المعانى لدلالة صيغها ، أى صيغ الأفعال على معانيها أى معانى الأفعال . قيل لما جعل العرب الأفعال محلا لبعض من المعانى وهو المضى والاستقبال والحال وكونها أمرا ونهيا الى غير ذلك لم يجعلوها محلا لبعض آخر من المعانى وهو الفاعلية والمفعولية والاضافة ، وهى تدل على معانيها بصيغها فلا تحتاج فى دلالتها عليها الى نصب دليل عارض يفهم به المعانى منها كما نصب فى الاسم .

وانما محل المعانى المقتضية للاعراب هو للاسم ، ومن ثمة أى من أن محل المعانى المقتضية للاعراب هو الاسم ، حكم له بأصالة الاعراب وأصول تلك المعانى بحكم الاستقراء بلغة الفاعلية وهى المقتضية للرفع والمفعولية وهى المقتضية للنصب وللاضافة وهى المقتضية للجر فى الشرح ... الخ .

والنسخة موجودة بمكتبة الأزهر نوعية فريدة وليس لها نظير بالمكتبة بقلم تعليق قديم كتبها العلامة أبو بكر النيسايورى من نسخة المؤلف فى سنة ٧٤٠ هـ وانتهى منها مؤلفه سنة ٧٣٦ هـ فيكون الفرق بينهما أربع سنين ، وقرأ هذه النسخة على المؤلف وغيره كما يظهر من الهوامش فان هذه النسخة أحسن النسخ وأصحها ، بهامش بعض أوراقها حواش وتقع فى ٢١٩ ورقة ومسطرتها مختلفة ، وكتاب « اللباب » الذى شرحه المؤلف مدون بداخل النسخة بالمداد الأحمر . كما أنه يلاحظ بين السطور بعض التصحيحات عليها .

وخدمة للقراء والعلماء وأصحاب البحث فان المكتبة توالى ان شاء الله تعريف ماهو غال ونفيس من مكنونات العلم وذخائره خدمة للاسلام والمسلمين واسهاما فى احياء التراث الذى أفنى فيه علماء المسلمين الأوائل أعمارهم جزاهم الله عنا خير ما يجزى به عباده الصالحين .

مدير
مكتبة الأزهر
محمد عميره على

مجلة الأزهر

من خمسين عاما

ضلالة فصل الدين عن السياسة

لصاحب الفضيلة الشيخ
محمد الخضر حسين

اعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

سبقت مجلة الازهر الى كلمة فاصلة فى هذا الموضوع من أكثر من نصف قرن فى غير مزايدة ، أو استخدام لاطار جماعة أو حزب ، ذلك لانها تعبر « علميا » عن الاسلام الذى سبق الى تقرير هذا الجانب منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ،فانه دين وشريعة نزل من عند الله هداية للبشر فى كل شئونهم فعالج ـ حياة الانسان الروحية ـ بمناهج ... وأرسى ـ لحياته الاجتماعية ـ موازين ... ذلك ليصلح شانه فى الحالين وكان بدهيا أن تلزمه سلطة :

فانه حتى فى جانب مناهج العبادة أرسى أحكاما وأصولا تنال من يخل بها ، فقضى عليه بعقوبة ... ان ترك الصلاة ... أو الزكاة وما من شك فى أن ممارسة أمرها تحتاج الى « سلطة » لها حق الحكم ... وأخرى لها حق

التنفيذ ... وذلك بدهى للغاية .

كذلك فان له أحكامه وأصوله فى حياة الانسان الاجتماعية وعلاقاته المادية بدءا باقراره ... وانتهاء برأس حكومته فقرر الحقوق والواجبات للمرءوس والرئيس فيما بينه وبين شعبه ... أو فيما بينه وبين دولة أخرى من علاقات دولية فكيف يقال : للدين ميدان ... وللسياسة آخر .

لذا أوجب الازهر على نفسه أمر تقنين الشريعة ، وهو متم واجبه فى ذلك .

أن الحق لامرية فيه ... وهو احق أن يتبع، وان الدين يصعد بالأمم متى شاءت الصعود .. والناس فى حاجة الى الدين ماشاءوا لانفسهم الخير ... وفى الاسلام الخير كله .

قال الشيخ ــ رحمه الله :

ضلالة فصل الدين عن السياسة

مازال الرسل عليهم السلام يرمون فى الدعوة الى أصول الايمان بالله عن قوس واحدة ، ولكل رسول بعد هذا شريعة يراعى فى أمرها ونهيها حال من يرسل اليهم خاصة ، حتى حضر الوقت الذى تهيأ فيه البشر على اختلاف بيئاتهم للانتظام فى شريعة واحدة ، فبعث الله المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالحنيفية السمحة ، وجعله خاتم النبيين ، وقضى بأن تكون شريعته خاتمة الشرائع ، ولعموم رسالته ، سواء الشاهد فيها والغائب والعربى والعجمى ، أقام على صدقه آيات باقيات ما نظر فيها ذو فطرة صافية أو بصيرة نافذة الا أسلم وجهه لله قانتا (**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ**) ولخلود شريعته جعلها أبلغ الشرائع حكمة ، وأوفاها أصولا ، وأوسعها للمصالح رعاية .

ثلاث حقائق كل واحدة منها شطر من الاسلام : عموم رسالة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ واشتمال شريعته بنصوصها وأصولها على أحكام ما لا يتناهى من الوقائع ، وكون هذه الشريعة أحكم ما تساس به الأمم ، وأصلح ما يقضى به عند التباس المصالح أو التنازع فى الحقوق .

أجمع علماء المسلمين على هذه الحقائق وعرفها عامتهم ، فمن أنكر واحدة منها فقد ابتغى فى غير هداية الاسلام سبيلا ، ومثل من يمارى فى شىء منها ، ثم يدعى أنه لا يزال مخلصا للاسلام مثل من يضرب بمعوله فى أساس صرح شامخ ، ثم يزعم أنه حريص على سلامته ، عامل على رفع قواعده .

فتنت مدنية الشهوات أشخاصا ينتمون الى الاسلام فانحرفت بهم عن المحجة ، وأدركوا أن مجاهرتهم بانكار رسالة المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ تسقطهم من حساب المسلمين دفعة ، فلا يبلغون من فتنة الأمة مأربا ، فبيتوا أن يبقوا ثوب الاسلام على أكتافهم ، ويحركوا بمدحه فى بعض المجالس ألسنتهم ، أو فى بعض الصحف أقلامهم لكى يركن الغافلون من المسلمين الى أقوالهم ، فيقذفوا من وراء ريائهم وثقة بعض الناس بهم ما شاءوا من آراء خاسرة ،

ويزعموا أن هذه الآراء من هداية الاسلام أو أن الاسلام لا ينكرها .

والواقع أن هـذا الصنف من المنحرفين قد أحدث فى بعض البـلاد الاسلامية آثـار فساد لم يحدث مشارها النابذون الى الدين على سواء ، وكم أرتنا الأيام فى هذا الصـنف من عجائب : دلتنا على أن هناك مغارات يأتمرون بالدين بين حيطانها ، ولغة اذا حضرهم بعض المسلمين يجنحون الى التخاطب بها ، وضروب من الاغواء يجهدون أنفسهم فى تمويهها .

منذ عهـد قـريب أخـذ بعض الكـاتبين يتشبهون بمن يؤلف على طريق البحث العلمى، فقالوا ما شاءوا أن يقولوا ، وخرجوا بغـير مناسبة منطقية الى انكار أن يكون للاسـلام مدخل فى الشئون القضائية والمعاملات المدنية. جـال هذا الصـوت جولة البـاطل ثم ذهب كصيحة فى واد ، ولم يبق له صدى الا فى آذان رهط لا يسمعون رشدا ، ولا يفقهون حجة ، وان شئت فقل : صـادف ذلك الصـوت أفئدة هواء ، فجعلوا يحاكونه فى بعض ما يكتبون ، ويوقظون فتنا لو أقبل كـل على ما يحسـن أن يتحدث فيه لكانوا عنها فى شغل .

ما كدنا ننتهى من اماطة أذى ذلك الذى ادعى أنه يفسر القرآن ، حتى خرجت احدى المجلات تحمل مقالا تحت عنوان « داء الشرق ودواؤه » وفى هذا المقال دعاية الى فصـل الـدين عـن السياسة ، وبلغ بكاتبه الحال أن زعم أن سبب تأخر المسلمين عدم فصلهم للدين عن السياسة.

ونحن نود والله يعلم أن يقبل كل من بيده قلم على ما فيه خير للناس ، والموضوعـات العلمية والأدبية والسياسية مترامية الأطراف ، وانصراف نفس الكاتب عن البحث فى أمثال هذه الموضوعات ليس بعذر يبيح له أن يخوض بقلمه فى الحديث عن الدين خوض من يقولون ما لا يتدبرون .

ونود والله يعلم أن نقبل على شأننا ، ونمضى فى سبيلنا ، وليس فى فطرتنا الولوع بأن نفند لكاتب رأيا ، أو نبطل لباحث قولا ، ولكن القوم أصبحوا يتساقطون على طمس معالم الحقيقة والفضـيلة تسـاقط الفراش على السراج ، والسكوت عنهم تفـريط فى جنب الله ، ومـن فرط فى جنب الله خسر الدنيا قبل الآخرة .

قال صـاحب المقـال فى ذكـر أهم النقط الجوهرية التى ترجع اليها أسـباب ضـعف الشرق : « الثانية عدم التفريق بنظام قـاض بين السلطتين الدينية والدنيوية ، فكان هذا من جملة المسببات لتأخر المسـلمين اذ أن جمع السلطتين فى شخص واحد بدون تحديد لهمـا كان من أبعد الأمور الى اختلال النظـام واذا كان هذا أفاد المسلمين فى صدر التاريخ الاسلامى وأمر العـالم لهم كما قدمنا ، الا أنه كان بلاء بعد انقسام المسلمين الى ممالك وفرق وشيع ومذاهب وأحزاب ووجود دول أخـرى تنـازعهم السيـادة على العالم ، وقد عـاد اجتماع هاتين السلطتين بلاء عليهم اذ أصبحت الرياسة الدينية والدنيوية فى الواقع فى قبضة تلك الدول التى نازعتهم كما هو مشاهد الآن ».

نعرف من قبل أن يظهر هذا المقال أن الذين يدعون الى فصل الدين عن السياسة فريقان : فريق يعترفون بأن للدين أحكاما وأصولا تتصل

بالقضاء والسياسة ، ولكنهم ينكرون أن تكون هذه الأحكام والأصول كافلة بالمصالح آخذة بالسياسة الى أحسن العواقب ، ولم يبال هؤلاء أن يجهروا بالطعن فى أحكام الدين وأصوله وقبلوا أن يسميهم المسلمون ملاحدة ، لأنهم مقرون بأنهم لا يؤمنون بالقرآن ولا بمن نزل عليه القرآن .

ورأى فريق أن الاعتراف بأن فى الدين أصولا قضائية وأخرى سياسية ، ثم الطعن فى صلاحها ، ايذان بالانفصال عن الدين ، واذا دعا المنفصل عن الدين الى فصل الدين عن السياسة كان قصده مفضوحا وسعيه خائبا ، فاخترع هؤلاء طريقا حسبوه أقرب الى نجاحهم وهو أن يدعوا أن الاسلام توحيد وعبادات ، ويجحدوا أن يكون فى حقائقه ما له مدخل فى القضاء والسياسة ، وجمعوا على هذا ما استطاعوا من الشبه لعلهم يجدون فى الناس جهالة أو غباوة ، فيتم لهم ما بيتوا .

هذان مسلكان لمن ينادى بفصل الدين عن السياسة ، وكلاهما يبتغى من أصحاب السلطان أن يضعوا للأمة الاسلامية قوانين تناقض شريعتها ، وسلكوا بها مذاهب لا توافق ما ارتضاه الله فى اصلاحها ، وكلا المسلكين وليد الافتتان بسياسة الشهوات ، وقصور النظر عما لشريعة الاسلام من حكم بالغات .

أما أن الاسلام قد جاء بأحكام وأصول قضائية ، ووضع فى فم السياسة لجاما من الحكمة ، فانما ينكره من تجاهل القرآن والسنة ولم يحفل بسيرة الخلفاء الراشدين اذ كانوا يزنون الحوادث بقسطاس الشريعة ، ويرجعون عند الاختلاف الى كتاب الله أو سنة رسول الله .

فى القرآن شواهد كثيرة على أن دعوته تدخل فى المعاملات المدنية ، وتتولى ارشاد السلطة السياسية قال تعالى : (**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**) وكل حكم يخالف شرع الله فهو من فصيلة أحكام الجاهلية ، وفى قوله تعالى : (**لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**) ايماء الى أن غير الموقنين قد ينازعون فى حسن أحكام رب البرية ، وتهوى أنفسهم تبدلها بمثل أحكام الجاهلية ، ذلك لأنهم فى غطاء من تقليد قوم كبروا فى أعينهم ولم يستطيعوا أن يميزوا سيئاتهم من حسناتهم ، وقال تعالى : (**وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ**) فرض فى هذه الآية أن يكون فصل القضايا على مقتضى كتاب الله ، ونبه على أن من لم يدخل الايمان فى قلوبهم يبتغون من الحاكم أن يخلق أحكامه من طينة ما يوافق أهواءهم ، وأردف هذا بتحذير الحاكم من أن يفتنه أسرى الشهوات عن بعض ما أنزل الله وفتنتهم له فى أن يسمع لقولهم ، ويضع مكان حكم الله حكما يلائم بغيتهم ، قال تعالى :

(**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**) وفى آية : (**فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**) وفى آية ثالثة :(**فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**) .

وفى القرآن أحكام كثيرة ليست من التوحيد ولا من العبادات ، كأحكام البيع والربا والرهن والدين والاشهاد ، وأحكام النكاح والطلاق واللعان والولاء والظهار والحجر على الأيتام والوصايا والمواريث ، وأحكام القصاص والدية وقطع السارق وجلد الزانى وقاذف المحصنات، وجزاء الساعى فى الارض فسادا ، بل فى القرآن آيات حربية فيها ما يرشد الى وسائل الانتصار كقوله تعالى، مرشدا الى القوة المادية : (وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) وقوله تعالى مرشدا الى القوة المعنوية : (وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) وقوله تعالى منبها على خطة هى من أنفع الخطط الحربية : (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ) والكفار هنا المحاربون ففى الآية ارشاد الى أن يكون ما بينهم وبين ديارهم أمنا ، ولا يدعوا من ورائهم من يخشون منه ان ينهض الى اموالهم وأهليهم من بعدهم، أو يجلب عليهم بخيله ورجله ليطعن فى ظهورهم وقد أقبلوا على العدو الذى تجاوزوا اليه بوجوههم ، وفى الآيات الحربية ما يتعلق بالصلح كقولة تعالى : (وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) وقوله تعالى : (حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) وفيها مايتعلق بالمعاهدات كقوله : (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ) .

وفى السنة الصحيحة أحكام مفصلة فى أبواب من المعاملات والجنايات الى نحو هذا مما يدلك على أن من يدعو الى فصل الدين عن السياسة انما تصور دينا آخر وسماه الاسلام .

وفى سيرة أصحاب رسول الله — وهم أعلم الناس بمقاصد الشريعة — ما يدل دلالة قاطعة على أن للدين سلطانا على السياسة ، فانهم كانوا يأخذون على الخليفة عند مبايعته شرط العمل بكتاب الله وسنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

ولولا علمهم بأن السياسة لا تنفصل عن الدين لبايعوه على أن يسوسهم بما يراه أو يراه مجلس شوراه مصلحة ، وفى صحيح البخارى « كانت الأئمة بعد النبى — صلى الله عليه وسلم — يستشيرون الأمناء من أهل العلم فى الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها ، فاذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه الى غيره اقتداء بالنبى — صلى الله عليه وسلم — .

ومن شواهد هذا محاورة أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب فى قتال مانعى الزكاة ، فانها كانت تدور على التفقه فى حديث « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله » فعمر ابن الخطاب يستدل على عدم قتالهم بقوله فى الحديث : « فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم » وأبو بكر الصديق يحتج بقوله فى الحديث « الا بحقها » ويقول الزكاة من حق الأموال ، ولو لم يكونوا على يقين من أن السياسة لا يسوغ لها أن تخطو خطوة الا أن يأذن لها الدين بأن تخطوها ، ما أورد عمر بن الخطاب هذا الحديث ، أو لوجد أبو بكر عندما احتج عمر بالحديث فسحة فى أن يقول له : ذلك حديث رسول الله ، وقتال مانعى الزكاة من شئون السياسة .

ومن شواهد أن ربط السياسة بالدين أمر عرفه خاصة الصحابة وعامتهم ، قصة عمر بن الخطاب اذ بداله أن يضع لمهور النساء حدا ،

فتلت عليه امرأة قوله تعالى: ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾ فما زاد على أن قال : رجل أخطأ وامرأة أصابت ، ونبذ رأيه وراء ظهره ، ولم يقل لها : ذلك دين وهذه السياسة •

وكتب السنة والآثار مملوءة بأمثال هذه الشواهد ، ولم يوجد حتى فى الأمراء المعروفين بالفجور من حاول أن يمس اتصال السياسة بالدين من الوجهة العلمية وان جروا فى كثير من تصرفاتهم على غير ما يأذن به الله ، جهالة منهم أو طغيانا ، أراد الحجاج أن يأخذ رجلا بجريمة بعض أقاربه ، فذكره الرجل بقوله تعالى : ﴿ ولاتزر وازرة وزر أخرى ﴾ فتركه ولم يخطر على باله وهو ذلك الطاغية أن يقول له ما تلوته دين وما سأفعله سياسة •

وأما قيام أحكام الشريعة على أساس العدل ، ورسمها للسياسة خططا محكمة الوضع فسيحة ما بين الجوانب ، فذلك مالا أستطيع تفصيل الحديث عنه فى هذا المقال ، وفيما كتبناه ونكتبه ان شاء الله تعالى تحت عنوان « الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان ما يساعد على الالمام بأصول الشريعة ومعرفة اتساعها لكل ما يحدث من الوقائع ، والذى نقوله فى هذا المقام أن السياسة لا تجد فى الدين ما يقف دون مصلحة ، ولاتجد منه مايحمل على اتيان مفسدة ، لا تجد فيه هذا ولا ذاك متى وزنت المصالح والمفاسد بميزان العقل الراجح ، وكان القابضون على زمامها من حصافة الرأى فى منعة من أن يطيش بهم التقليد أو ارضاء طائفة خاصة الى أن يروا الفساد صلاحا فيشرعوه ، أويروا الصلاح فى لون الفساد فينصرفوا عنه ، وليس من شأن الذين أن يراعى فيما يشرع الأهواء الجامحة وان كانت أهواء الملأ الذين استكبروا ، أوأهواء من فى الارض جميعا •

والرؤساء الذين لم يحافظوا فى سياسة شعوبهم الاسلامية على أحكام الشريعة وآدابها ، فوضعوا لهم قوانين جائرة ، وأذنوا بمظاهر غير صالحة ، انما أتوا من ناحية جهلهم بسماحة شرع الاسلام وسعة قواعده وسمو مقاصده ، واذا كان على غير هؤلاء الرؤساء تبعة فعلى أولى الحل والعقد من فضلاء الأمة وعلمائها اذا أهملوا علاجهم ، ولم يبذلوا فى دعوتهم الى الاستقامة جهدهم •

أما الأحداث وأشباه الأحداث الذين لا يهدأ لهم بال ما داموا يسمعون اسم الدين يجرى فى لسان بعض الدول باحترام ، فان من نشأ فى غير جد ، وأسرف فى حب اللهو ، لا يألف شريعة تأمر بالعدل ، وتضع دون الأهواء الجامحة حاجزا ، فلا عجب أن يتآمروا بها ، ويشيروا على السياسة بأن تبتعد منها ، واذا بلغ هؤلاء مأربهم فى سياسة وقع زمامها فى يد زائغ عن سبيل الرشد ، فستذهب آمالهم خائبة فى كل قطر يسوسه رئيس يقدر الاسلام قدره ، ويجد من حوله علماء درسوا الشريعة بنباهة ، ولا يخفى عليهم قصد من يتغنون بمدح الاسلام ، و بل أن تستريح حناجرهم يطعنونه فى الصميم •

يقول الكاتب : « ان جمع السلطتين فى شخص واحد بدون تحديد لهما كان من أدعى

الأمور الى اختلال النظام » .

ليس فى الاسلام سلطة دينية الا على معنى أن الأمير ينفذ أحكام الشريعة المفصلة فى الكتاب والسنة ، أو المندرجة فى الأصول المأخوذة منهما . وقاعدة الشورى التى قررها القرآن الكريم ، وجرى عليها الخلفاء الراشدون كافلة بصحة الاجتهاد فى الأحكام المستنبطة من الأصول ، أما النظم التى تقوم بها الشورى على وجهها الصحيح فموكولة الى الآراء الراجحة وما تقتضيه مصالح الأمم أو العصور ، فالاسلام لم يترك السلطة التى وضعها فى أيدى الأمراء مطلقة عن التقيد ، واذا استهان بعض الأمراء بقاعدة الشورى فان التشريع تام ، والوزر على من لم يأخذ نفسه بما قرره الشرع العزيز .

واذا كان بعض الأمراء الذين خرجوا عما حده الاسلام لسلطتهم الدينية ، فحكمة الكاتب متى كان مسلما أن يقرر الحد الذى رسمه الاسلام ، ويبين للناس كيف تعداه أولو الأمر ، ليطالبوهم بالوقوف عنده ، لا أن يقول كلاما مبهما ، ويبنى عليه المناداة الى شهوة هى فصل الدين عن السياسة .

ويقول صاحب المقال : « وقد عاد اجتماع السلطتين بلاء عليهم اذ أصبحت الرياسة الدينية والدنيوية فى الواقع فى قبضة تلك الدول التى نازعتهم كما هو مشاهد الآن » .

لسقوط الشعوب الاسلامية فى قبضة تلك الدول التى نازعتهم أسبابه ليس الجمع بين السلطتين منها فى شىء ، ومن طبيعة سيطرة تلك الدول عليهم أن تتصرف فى شئونهم على طرق لا تحفظ حقوقهم ولا تراعى فيها مصالحهم ، وهل ينقص هذا البلاء لو أن المسلمين أعلنوا فصل سياستهم عن الدين قبل أن يسقطوا فى أيدى هذه الدول المنازعة لهم ؟!

حرص الكاتب على شهوة فصل الدين عن السياسة جعله يورد فى معرض التشويق اليها ما ليس بحق ولا يشبه أن يكون حقا ، بأى طريق عرف الكاتب أن تلك الدول اذا وجدت السياسة فى يد والدين فى يد أخرى ، سلبت مافى اليد الأولى من سياسة وتركت اليد الأخرى تعمل فى حدود سلطتها بحرية !

ويقول الكاتب : « واذا كان هذا أفاد المسلمين فى صدر التاريخ الاسلامى وأمر العالم لهم كما قدمنا ، الا أنه كان بلاء بعد انقسام المسلمين الى ممالك وفرق وشيع ومذاهب وأحزاب ، ووجود دول أخرى تنازعهم السيادة على العالم » .

قد عرفت أن الأمير المسلم ليس عنده فى الواقع سوى سلطة واحدة هى تدبير شئون الأمة على مقتضى القوانين الشرعية والنظم التى لا تخالف شيئا من أصولها ، فتجريد الأمير من السلطة الدينية هو عزل له عن الامارة فى نظر الشريعة ، ومن لم يكن أميرا فى نظر شارع الاسلام ، فليس بأمير فى نظر المسلمين ، فالمسلمون لا يستطيعون أن يتصوروا أميرا مجردا من السلطة الدينية فضلا عن أن يجردوه منها بالفعل ويرضوا بعد تجريده منها بالاستماع اليه والطاعة له . ولم تكن السلطة الدينية بيد الأمراء فى يوم من الأيام بلاء على المسلمين ، وانما بلاء المسلمين فى عدم قيام بعض أمرائهم بما توجبه هذه السلطة من نحو العدل والشورى والمساواة واعداد القوة

لتقرير الأمن وكف العدو الذى يبسط اليهم يده بالسوء .

قال صاحب المقال : فكل مملكة احتضنت مذهبا فى العقائد والفروع لتبقى وحدها منفصلة عن الممالك الأخرى ، فبعد الانقسام أصبح كل أمير منهم اماما دينيا وحاكما سياسيا لقطره ، فكانت النتيجة من هذا الجمع الاخلال بالنظام العام وزالت الوحدة المقصودة من روح التشريع الاسلامى فتعددت الخلافة واختلت أحكامها ، بعكس الأمم الأخرى التى تنبهت الى حكمة الفصل بين السلطتين فصار ذلك الفصل مصدرا لفائدة الأمة وحمايتها من التلاشى والانهيار فلم يضرها اختلاف الدول فيها لوجود الرياسة الدينية قائمة فى حدود سلطتها وتخصصها ، ولذلك بقيت وحدتها خالدة فى عصمة من الانشقاق والتدهور اللذين أصابا الوحدة الاسلامية » .

وقع تفرق فى الممالك الاسلامية ، وأصبح كل أمير مستقلا بالنظر فى أمور قطره فكانت النتيجة من استقلال كل أمير بمملكة مع تقاطع هذه الممالك وتدابرها انحلال الرابطة الاسلامية وزوال الوحدة المقصودة من التشريع الاسلامى .

فسبب اختلال النظام العام أو أحكام الخلافة انقسام الامم الاسلامية الى دول انقساما غير مصحوب بشىء من التحالف والتعاطف ، أما أن كل أمير يرجع اليه النظر فى شئون رعيته الدينية فذلك من لوازم الامارة فى الاسلام ، فلم يكن لعد الأمير المستقل نفسه حارسا للدين فى مملكته الخاصة دخل فى اختلال النظام ، فوهن المسلمين جاء من جهة استقلال كل أمير بطائفة من المسلمين استقلالا يقطع بينها وبين الدولة العظمى صلة التناصر والتعاون ، لا من جهة أن رعاية الدين داخلة فى سياسة كل دولة .

ويقول الكاتب : « بعكس الأمم الأخرى التى تنبهت الى حكمة الفصل بين السلطتين ، فصار ذلك الفصل مصدرا لفائدة الأمة وحمايتها الخ » وهذا صريح فى أن الكاتب يريد من الدول الاسلامية أن تفعل ما فعلته الدول الغربية من تجريد السياسة من الدين ، وهو رأى لا يصدر الا ممن يكن فى صدره أن ليس للدين من سلطان على السياسة ، وهذا ما يبيته فئة يريدون أن ينقصوا حقيقة الاسلام من أطرافها حتى تكون بمقدار الديانة المسيحية ، ثم يصبغوا هذا المقدار من بعد بأى صبغة أرادوا ، فيذهب الاسلام ، فلا القرآن نزل ولا محمد صلى الله عليه وسلم بعث ، ولا الخلفاء الراشدون جاهدوا فى الله حق جهاده ، ولا الراسخون فى العلم سهروا فى تعرف الأصول من مواردها وانتزاع الأحكام من أصولها .

يضرب الكاتب المثل بالأمم الأخرى ويزعم أن فصلها الدين عن السياسة كان مصدر فائدة الأمة وحمايتها من التلاشى والانهيار ، ومن أجل فصلها الدين عن السياسة ووجود الرياسة الدينية قائمة فى حدود سلطتها لم يضرها اختلاف الدول فيها .

وضرب المثل على هذا الوجه أثر نظرة متسرعة ، اذ ليس للرياسة الدينية فى الاسلام حد تنتهى اليه ثم يكون للأفراد أو الجماعات

أن تفعل بعده ما تشاء ، ولو كان فى دين تلك الدول قوانين مدنية ونظم سياسية ، وقامت كل دولة على تنفيذ تلك القوانين والنظم داخل حدودها ، أفيكون مجرد رعايتها لما جاء به دينها سببا لانتشار مرض التقاطع بينها .

ليس فى طبيعة ربط السياسة بالدين التقهقر والتنازع الا أن يكون فى تعاليم الدين ما يسير بالناس الى وراء ، أو ما يغرى بينهم العداوة والبغضاء ، وليس فى دين الاسلام الا ما يصعد بالأمم متى شاءت الصعود الى السماء ، وليس فيه الا ما يدعو الى الائتلاف والتعاون على أن تكون كلمة الحق هى العليا .

قال صاحب المقال : « ولنضرب لذلك مثلا وحدة الكنيسة الكاثوليكية فانها على الرغم من اختلاف الدول الكاثوليكية بقيت لها زعامتها وشعورها بقوة فكرتها وقد رأينا أثرها فى الحروب الصليبية المستمرة بلوفى كل الحوادث التى تلتها والتى تألبت فيها أوربا على الأمم الاسلامية ، فان للكنيسة والجمعيات الدينية المختلفة التى تستمد سلطتها منها أثرها الفعال فى بقاء وانتشار المسيحية وتأثيرها فى سياسة العالم » .

ليس فى الاسلام سلطة دينية تشبه السلطة الكاثوليكية ، والسلطة الدينية فى الاسلام لكتاب الله وسنة رسول الله (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) .

وعلى العلماء البيان وعلى الأمراء التنفيذ ، فان أراد الكاتب من السلطة البيان ، فالبيان حق لكل عالم تفقه فى أصول الشريعة ومقاصدها ، فلا يختص به عالم دون آخر ، ولا يعد بيان العالم الذى تعينه الأمه للبيان أرجح من بيان غيره الا أن تكون حجته أقوى ، واذا كان الأمر للحجة ، فما معنى تعيين شخص ليكون مصدر البيان فى كل حال ، فان أراد من السلطة التنفيذ فليس له معنى سوى أن تكل الأمة الى شخص القيام بتنفيذ أحكام الدين على أن تكون هى يده التى ينفذ بها ، وسلاحه الذى يدافع به من يعارض فى التنفيذ ، وذلك معنى الخلافة المعروفة فى الاسلام .

قال صاحب المقال : « ولو رزق المسلمون رجالا ينظرون بعين الناقد البصير — من قبل قرنين — وفصلوا الدين عن السياسة لكان للاسلام اليوم من الشأن والسيادة فى الممالك التى اغتصبتها الدول الأوربية مالا يقل عما للفاتيكان ، وما كان خطر الاستيلاء الأجنبى عليهم عظيما » .

كلام يروج ولكن فى غير هذا الوادى ، ويتقبل ولكن بعقول لم تستنر بهداية ، يأسف صاحب المقال على الشأن والسيادة اللذين فاتا المسلمين لعدم فصلهم الدين عن السياسة من قبل قرنين ، ويرى أن ابقاءهم الدين فى جانب السياسة كان سببا فى أن صار خطر الأجنبى عليهم عظيما .

فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدين ، ولا يقدم عليه المسلمون الا بعد أن يكونوا غير مسلمين ، وليست هذه الجناية بأقل مما يعتدى به الأجنبى على الدين اذا جاس خلال الديار ، وقد رأينا الذين فصلوا الدين عن السياسة علنا كيف صاروا أشد الناس عداوة لهداية القرآن ، ورأينا كيف كان بعض المبتلين بالاستعمار الأجنبى أقرب الى الحرية فى الدين

ممن أصيبوا بسلطانهم ، ونحن على ثقة من أن الفئة التى ترتاح لمثل مقال الكاتب لو ملكت قوة لألغت محاكم يقضى فيها بأصول الاسلام ، وقلبت معاهد تدرس فيها علوم شريعته الغراء الى معاهد لهو ومجون ، بل لم يجدوا فى أنفسهم ما يتباطأ بهم عن التصرف فى مساجد يذكر فيها اسم الله تصرف من لا يرجو لله وقارا •

يقول الكاتب : « لو فصلوا الدين عن السياسة ما كان خطر الاستيلاء الأجنبى عليهم عظيما ، يقول هذا كأنه لا يدرى أن السياسة الطاغية لا تهاب الا حديدا أشد بأسا من حديدها ، ونارا أشد حرا من نارها ، فليس من المعقول أن تردها عن قصدها سلطة دينية ليس فى كنانتها سهم ، ولا فى كفها حسام ، أما قياسه حال السلطة الدينية الاسلامية — على فرض صحة اقامتها — بحال السلطة الكاثوليكية فى احترام مؤسساتها واطلاق يدها فى عمل يرفع اهل ملتها فمغالطة أو غفلة عن الفرق بين سلطة دينية يجد فيها الاستعمار مؤازرة أو موافقة على أى حال ، وسلطة دينية قد يكون فى بعض أصولها مالايلائم طبيعة الاستعمار •

ولو ربط المسلمون سياستهم بالدين من قبل قرنين ربطا محكما ، لم تجد يد الغاصب للعبث بحقوقهم مدخلا ، ولو أعلنوا فصل الدين عن السياسة لظلوا بغير دين ، ولو جد فيهم الغاصب من الفشل أكثر مما وجد ، فليست مصيبة المسلمين فى تركهم السياسة مربوطة بالدين كما زعم الكاتب ، وانما هى ذهولهم عن تعاليم دين لم يدع وسيلة من وسائل النجاة الا وصفها ، ولا قاعدة من قواعد العدل الا رفعها •

قال صاحب المقال : « فان أعظم ما أصاب المسلمين من المصائب انما هو فقد الرياسة الدينية بعد أن فقد منهم الاستقلال وحرمانهم من بقائها درعا حاميا وسدا منيعا من تسرب المستعمرين باسم السياسة الى السيطرة على شعور وضمائر الأمم الاسلامية حتى كاد يختل بناء الدين ، ويتنكر المسلمون تعاليمه الحقة » •

حقيقة فقد الرياسة الدينية من أعظم ما أصاب المسلمين ، وهى الرياسة التى فى احدى يديها هداية ، وفى أخراهما قوة ، أما الرياسة التى لا يتعدى صاحبها أن يكون واعظا عاما ، يدعو الناس الى الصلاة والصيام والحج ان استطاعوا اليه سبيلا ، فلم تفقد بعد ولم يحرم المسلمون منها ، ولا تزال باقية ولكن فى أشخاص متفرقين فى البلاد لا فى شخص واحد كما يرغب صاحب المقال ، ولم نذكر الزكاة فى قبيل ما يدخل فى الوعظ مخافة أن يكون الكاتب قد انتزعها من أحضان الدين وجعلها فى قسمة السياسة •

يربط الكاتب الوقائع ولكن بغير أسبابها ، ويصل النتائج ولكن بغير مقدماتها ، لنفرض أن المسلمين اتفقوا على ضلالة فصل الدين عن السياسة ، وأقاموا رياسة دينية لا جند لها ولا سلاح ، أمن المعقول أن تكون هذه الرياسة درعا حاميا ، وسدا يمنع من تسرب المستعمرين الى السيطرة على شعور الأمم الاسلامية وضمائرها •

اذا سيطر المستعمر على الشعور والضمائر فان أكبر مساعد له على هذه السيطرة

قبضه على زمام التعليم العام حيث يسير به على منهج يخرج به الناشىء مزلزل العقيدة غائبا عن سماحة الدين وحكمة التشريع ، ومعظم النشء مأخوذون بحاجات أو دواع الى أن يترددوا على مدارس الحكومة .

فان أراد الكاتب أن يكون لتلك السلطة الدينية فضل اقامة مؤسسات تغنى عن مدارس التبشير ومستشفياتهم التى يتخذونها وسائل للسيطرة على شعور المسلمين وضمائرهم ، قلنا : فى يد المسلمين أن يقيموا مؤسسات تحاكى تلك المؤسسات ، فينقذوا أبناءهم من شر مؤسسات الأجنبى ، ولا شىء يضطرهم الى موبقة فصل الدين عن السياسة ، وابتداع رياسة دينية لم ينزل الله بها من سلطان .

بسط صاحب المقال لسانه فى « الفقهاء المسلمين » كما يبسطه فيهم من لم يطالع كتبهم فعلا فى وصفهم بالجمود ، حتى زعم أنهم « لم يقولوا لنا كيف يجتهد الفقيه » وتمادى فى هذه المزاعم الى أن قال « ووجد من الفقهاء المزيفين من جوز امامة المغتصب الذى يتولى ولاية الأمة بغير رغبتها وارادتها » .

يقول الفقهاء : تنعقد الامامة ببيعة أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء ووجوه الناس ، وهذا هو الأصل الذى ينبغى أن تكون عليه الامامة فى كل حال ، وأجازوا للامام متى خشى التنازع فى الامامة من بعده ورأى فى أحد رجاله الكفاية أن يعهد اليه بها قطعا للفتنة ، ولم يجيزوا لأحد أن يتولى أمرها دون أن يبايعه أهل الحل والعقد ، أو يعهد اليه بها الامام ، وان قام مسلم ذو قوة فتولاها بالقهر والغلبة ، فان كان جامعا لشروط الولاية من نحو العلم والعدل والاستقامة كان اقراره أسلم عاقبة من منازعته ، وليس فى اقراره من بأس ما تحققت فيه شروط الولاية ، فالفقهاء يجيزون ولاية المتغلب على معنى أنه بعد القهر والغلبة يعد اماما لتحقق شروط الامامة فيه ، ولأن منازعته تفضى الى فتنة ليسوا فى حاجة الى اثارتها .

فان فقد منه بعض شروط الولاية منتخبا كان أو معهودا اليه ، أو متغلبا ، فمن الشروط ما يكون فقده مسقطا للولاية بنفسه كالارتداد عن الدين ، واختلال العقل ، ومنها ما يستحق به العزل باجماع كالفسق ، ومن الفقهاء غير المزيفين من يعد الفسق فى الشروط التى تسقط ولايته بنفسها ، ولا تحتاج الى اعلان أهل الحل والعقد بخلعه ، أما القيام على الفاسق وابعاده من مقر الولاية باليد ، فموكول الى اجتهاد أهل الحل والعقد وهم الذين يسلكون ما تقتضيه الحكمة وتستدعيه مصلحة الأمة .

هذا ما يقوله الفقهاء أخذا من أصول الشريعة ورعاية لمقاصدها فى الاستنباط ، وليس فيه تفريط فى المصلحة العامة ، ولا مايمس مقام الولاية العظمى بسوء .

محمد الخضر حسين

مجلة نور الاسلام

الجزء الخامس جمادى الاولى سنة ١٣٥٠
المجلد الثانى

مبادئ القانون الدولى العام فى الإسلام

-٢-

تعريف الحرب المشروعة

ليس من غرضنا قط أن نعمل الفكر والقياس الدقيق للتوفيق بين هاتين المجموعتين من النصوص القرآنية المتعارضة فى الظاهر : فالدستور القرآنى نفسه يعفينا من هذه المهمة بما يقدمه لنا من الصيغ المحددة للمقصود ، تمييزا بين الحرب المشروعة ، وغير المشروعة ، واليك طائفة من هذه النصوص :

(وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ، وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (٢ : ١٩٠) .

« فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ »

(٢ : ١٩٢ — ١٩٣) .

« فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً »

(٤ : ٩٠) .

« لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ »

(٦٠ : ٨ — ٩) .

واقرأ على الخصوص آية براءة التالية ، فان تحديدها لأهداف الاسلام فى هذا الشأن أوضح وأصرح :

« أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا

لفضيلة الأستاذ الدكتور
محمد عبد الله دراز

بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ » (٩ : ١٣) .

من هذه النصوص التى سردناها ، ومن نصوص كثيرة أخرى يخلص لنا تعريف «الحرب المشروعة » فى الاسلام وأنها هى « الحرب الدفاعية » .

ويجمل بنا أن نشير الى أن كلمة الدفاع ينطوى تحتها نوعان قد أشار القرآن الى كليهما .

(١) الدفاع عن النفس . وفيه يقول الكتاب المجيد :

« أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ » (٢٢ : ٣٩ — ٤٠) .

(٢) الاغاثة الواجبة لشعب مسلم أو حليف عاجز عن الدفاع عن نفسه . وهذا هو ما حث عليه القرآن فى قوله : « وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا » .
(٤ : ٧٥) .

وغنى عن البيان أن المفروض فى كلتا الحالين ، أن يكون العدو قد اتخذ بالفعل موقفا عدائيا ، وأن يكون فى حالة هجوم أو تاهب للهجوم . فالمظاهر غير الودية ، والاساءات الادبية ، والمقاومات العنيدة لامانينا المشروعة ، كل ذلك لا يسوغ لنا أن نتخذه ذريعة لاعلان الحرب . وانه لمن أكبر مفاخر الاسلام أن يكون القرآن نفسه هو الذى وضع هذا التحديد فى صراحة حيث يقول : « وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ » (٥ : ٢) .

— ٣ —

الصلح المجحف خير من الانتصار الدامى

من هنا نرى أن الحروب فى نظر الاسلام شر لا يلجأ اليه الا المضطر . فلان ينتهى

المسلمون بالمفاوضة الى صلح مجحف بشىء من حقوقهم ، ولكنه فى الوقت نفسه يحقن الدماء ، خير من انتصار باهر للحق تزهق فيه الأرواح.

وان لنا فى موقف الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى غزوة الحديبية لنموذجا حسنا لهذا الروح العالى فى التسامح والصفح ،حرصا على السلام من جانب الطرف الأقوى ، فهو — عليه الصلاة والسلام — لم يكتف بالرجوع مع جيشه من حيث أتوا ، وبتأجيل ما كانوا أجمعوا على أدائه فى ذلك العام من المناسك « زيارة الاماكن المقدسة » ، ولم يكتف بأن رضى بتجريد اسمه فى نصوص الهدنة من كل لقب تشريفى هو أهله ، ولكنه فوق ذلك كله قبل مختارا مقترحات الهدنة التى لا يعامل فيها الطرفان على قدم المساواة بل تخول الأعداء حقوقا لا تخولها المسلمين . ناهيك بالشرط الذى يلزم المسلمين باعادة من يلجأ اليهم فرارا من معسكر قريش بينما يجعل للمهاجرين من معسكر المسلمين حق البقاء فى معسكر قريش دون ازعاج ولا رد ، ونحن نعرف كم كان هذا الموقف البالغ الحد فى المسالمة مثيرا لاستفسارات الصحابة واعتراضاتهم . ولكن كل هذه المآخذ لم تكن لترجح كفة الحرب فى نظر قائدهم الأعلى ، ولم تكن لتعدل به عن طريق السلام الذى يحفظ به دماء الناس وأرواحهم . ولنستمع له حين يقول مصمما فى جواب السائلين له عن السر فى هذا العدول عن دخول مكة .

« والله لا تدعونى قريش الى خطة يسألوننى فيها صلة الرحم . الا أعطيتهم اياها » .

— ٤ —

قواعد الحرب

هكذا يوصينا الاسلام بالمصابرة ما بقى فى قوس الصبر منزع ، ولا يخولنا حق الالتجاء الى القتال ، الا حيث يفرضه علينا العدو فرضا ، وحيث يكون القعود معناه الالقاء باليد الى التهلكة .

لكنه — حتى فى هذه الحال المشروعة — لا يبيح لأحد أن يخوض غمار الحرب انقيادا لسورة الغضب ، أو اندفاعا مع غريزة الانتقام ، دون تعقل ولا عاطفة انسانية ، بل يوجب أن يسير فيها الجيشان ، وفق قانون معين يضبط هذه الانفعالات وينظمها .

فلنعرف الآن بعض تلك التعاليم التى أراد الاسلام — لا أقول أن يمحو بها الى الابد تلك الكارثة العالمية ، فذلك مالا يمكن تحقيقه ما بقى على الارض شريرون لا يقمع نشاطهم الاجرامى الا بالقوة — ولكن أراد الاسلام بها تضييق مجال الحروب ، وتخفيف عواقبها الوخيمة الى أقصى حد ممكن .

(أ) الأهداف الحربية :

رأينا كيف أن القرآن حين أباح الحرب الدفاعية المشروعة قد ميز تمييزا واضحا بين المحاربين وغير المحاربين ، فأمر بألا يقاتل ، الا المقاتل ولابد أن نفهم من كلمة المقاتلين : أنهم الذين يحضرون ميدان القتال بالفعل

ويستخدمون فيه قوتهم العدوانية .

ولقد استرشد التشريع الاسلامى بتعاليم النبوة فى هذا الشأن فحدد هذا الشرط على وجه يزيل كل لبس ، ويكفل ابعاد شرور الحرب عن الضعفاء ، ويجنب المدنيين كل ويلاتها : فالأطفال ، والشيوخ ، والنساء ، والمرضى والمعتوهون ، بل حتى الفلاحون فى حرثهم ، والرهبان فى معابدهم (١) كل أولئك معصومون بحصانة القانون من أخطار الحروب .

والذى يلفت نظرنا بوجه خاص فى هذا المقام هو حرص الاسلام ، لا على حماية هؤلاء الضعفاء من الاضرار المادية فحسب ، بل على حمايتهم أيضا من التعرض لكل ألم نفسى يبدو لنا ذلك جليا بتأمل المثال التالى ، الذى ترويه لنا الآثار عن واقعة خيبر ، ذلك أنه حين انتهى حصار هذه المدينة بنصر المسلمين ، وقعت امرأتان يهوديتان فى أسر بلال ، فمضى بهما بلال الى مركز القيادة ، مارا بميدان المعركة حيث سقطت جثث القتلى من اليهود ، وكان لهذا المشهد أثره العميق فى نفس احدى الأسيرتين ، فصاحت وأجهشت بالبكاء ، وما ان علم النبى — صلى الله عليه وسلم — بسلوك بلال هذا ، حتى استنكر فعلته ، ووجه اليه اللوم العنيف قائلا له : « هل نزعت منك الرحمة يابلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ » .

وينساق بنا الحديث فى هذا المعنى الى التنويه بالقاعدة الاسلامية المتعلقة بأسرى الحرب والتى تحرم الفصل بين المرأة الأسيرة وأبنائها ، وتوجب الجمع بينهم فى مكان واحد، فيالها من عناية رحيمة حتى فى معمعة البأس .

(ب) النهى عن حبس الطعام عن المدن :

ويظهر أن الاسلام لا يستحسن — بل لا يبيح — فرض حصار يرمى الى حبس الطعام عن مدن الأعداء ، أو أن هذا على الاقل هو ما تدل عليه حادثة ثمامة (أحد أشراف بنى حنيفة)

فقد صمم هذا الرجل وهو فى حداثة اسلامه ، وأقسم مندفعا بحرارة ايمانه الغض ، على منع تموين مكة بالحبوب التى تنتجها بلاده (اليمامة) ما لم ينهه النبى عن ذلك نهيا صريحا ، فلما عانى أهل مكة ما عانوا من بأس هذا الحصار وجهوا الى النبى رسالة موجزة يقولون فيها : « انك تأمر بصلة الرحم ، ولكنك قطعت أرحامنا فقتلت الآباء ، وجوعت الأبناء » . فبعث النبى على الفور الى ثمامة يأمره برفع هذا الحظر ، وبأن يدع أهل مكة يتمتعون بمواردهم العادية

(جـ) تقييد مرمى الأسلحة :

ومن ثمرات القاعدة التى توجب حصر العمليات الحربية فى الاهداف العسكرية النهى عن استعمال الاسلحة البعيدة المدى ، وخاصة كل وسيلة عامة للتدمير كالتغريق والتحريق .

(١) هذا أحد الادلة الساطعة على أن هدف الحرب الاسلامية ليس هو محو الديانات الاخرى فها نحن أولاء نراه على العكس من ذلك يحرص على تحصين أبناء تلك الديانات وحماية رؤسائها — الذين هم أبرز من يمثلها — من كل عدوان ماداموا بعيدين عن اشعال نار الحرب .

مبادئ القانون الدولى

(د) حظر وسائل الانتقام الوحشية :

يستنكر القرآن فى غير موضع تلك العادة الهمجية التى يشيع استعمالها فى أثناء الحروب، ألا وهى تعذيب الاعداء ومعاملتهم بالقسوة والخشونة ، وانه ليصل فى استنكار هذه الفعلة الى حد أن يعد تعذيب العدو أشد جرما من القتل : (**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**) ٢ : ١٩١ (**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**) ٢ : ٢١٧ •

ثم اننا نجد تعاليم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ التى كان يوجهها الى قواد حملاته الحربية زاخرة بنصائحه لهم على التزام النظام وحسن السلوك فى قتالهم • ومن بين هذه النصائح تحذيره المتكرر لهم من السلب ، والنهب ، والقتل غدرا ، والتمثيل بجثث القتلى• نعم انه ذات مرة اشتد غضبه من أهل مكة ، لتمثيلهم بجثة عمه حمزة الذى استشهد فى غزوة أحد ، وحمله ذلك الغضب على التفكير فى مضاعفة الانتقام منهم فى واقعة مقبلة ، ولكن القرآن لم يلبث أن نفره من هذه المحاولة ، محذرا اياه من مجاوزة الحد فى الانتقام مرغبا له فى الصبر والصفح « **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ • وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ** » (١٦ : ١٢٦ ، ١٢٧) فلم يسع النبى عليه

الصلاة والسلام الا العدول عن هذه الفكرة ، واختار ما هو أليق بخلقه الكريم ، فشمل مجرى الحرب هؤلاء بكرمه وصفحه •

ولقد بلغت دقة تطبيقه لحكم القرآن الذى يأمر بالعفو عن الأعداء متى انتهوا عن عدوانهم أن نهى عن تعقب من يفر منهم من الحرب ، فما بالك بمن يلقى سلاحه ويتقدم الينا فى صراحة بعبارات السلام والاستسلام ؟•

ان القرآن ليحرم علينا اي ذاءه تحريما قاطعاً ، حتى لو كان ذلك بحجة الشك فى صدق ايمانه « **وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** » (٤ : ٩٤) •

تلك كلها أدلة ملموسة على أن الاســـلام لا يرمى قط الى القضاء على أعـدائه ولا الى الاســتيلاء عليهم بالقهــر ، ولكن الى تجنب خطرهم ، فمتى تحقق هذا الغرض لم يبــق للصراع فى نظره مبرر ٠

(هـ)الهدنة الاجبارية فى الأشهر الحرم :

وهذا أسلوب آخر من أســـاليب تخفيف ويلات الحرب فنحن نعرف مدى ما ســتنفده الحروب الطويلة الأمد من جهود الشـــعوب وقواهم ، وكيف أنها تصيب نشاطهم التعميرى بالجمود والشلل ، وعــلاجا لهذه الحال ســن القرآن ، أو بالاحرى أحيا سنة النبوة الأولى : عــدم اســتمرار الحــروب حولا بـــأكمله والتزام هدنة جبرية فى أثنـائه تعـود فيهـا العلاقات السليمة سيرتها الأولى ، وتــأخـذ الحياة مجراها الطبيعى بين الأمم ٠ فى مــدة أقلها أربعة أشهر ٠ هذا الوضع الذى تكف به أعمال الحرب جبرا خلال ثلث العام لا تنحصر مزيته فى اشعار المتحاربين بلذة السلم فى هذه المدة فحسب ، بل انه بما يتركه من الأثــر فى نفوس الجماهير يثبطهم عن الحرب ، ويغريهم باطالة أمد الصلح وقد يدعوه الى تحــويله من هذنه مؤقتة الى هدنة حقيقية أو الى ســلم دائم ٠

(و) التسلح :

من أنواع العلاج الواقى الذى يوصى بــه ساسة الغرب فى العصور الحديثة منعا لنشوب الصراع بين الدول ٠ مشروع منع التســـلح أو تقييده ٠ غير أن هذا العـــلاج لم يتخذ قط حتى الان صفة القانون الدولى ، ولم تطبــق مبادئه تطبيقا عادلا على الجميع ، وانما كــان يفرض على المغلوب وحده ، بل يمكن القول بأن تطبيق هذا المبدأ الذى يتعارض وغريزة البقاء سيظل دائما حلما مستحيل التحقق ٠

أما القرآن فان نظرتــة الواقعية النفـــاذة جعلته على العكس من ذلك ، يحضنا على أن نعد للطاغين كل ما استطعنا من قــوة غــير أن تلك النظرة الواقعية الى الوســـائل التى يجب اتخاذها لم تكن لتحول دون نظرته المثالية الى الغــايات التى يهــدف اليهــا من وراء هــذا الاستعداد الحربى ، وهى غــاية تختلف كــل الاختلاف عن الغايات التى يسعى اليها الغزاة الطامحون ، فالمسألة فى نظر القرآن ليســت مسألة اعــداد للهجــوم على الأعــداء ، بل للتحصن من شرهم ، وانذارهم بالقوة الباطشة التى تنتظرهم اذا لم يقفــوا عنــد حــدهم (٨ : ٦٠) ٠

ها هنا يكمن أنجع عــلاج فى نظرنــا لآلام الانسانية الحاضرة ، فليس الشأن فى أن نقلل من مقادير عتادنا الحــربى أو نغير من طبيعته وانمــا الأمــر فى أن نعدل أسلوبنا الفكرى من أساسه ٠ علينا أن ننظر الى الحياة نظرة جديدة تخضع فيها المادة للروح ، وتسمو فيها المعنويات على الجثمانيات ٠ وكل حل ينقصه هــذا العنصر ، انما هو حــل ســطحى واه ، لا بقاء له ٠

د/محمد عبد الله دراز

طرائف

فضل العلم

قيل للخليل بن أحمد : أيهما أفضل العلم أو المال ؟

قال : العلم

قيل له : فما بال العلماء يزدحمون على أبواب الملوك ؟ والملوك لا يزدحمون على أبواب العلماء .

قال : ذلك لمعرفة العلماء بحق الملوك ، وجهل الملوك بحق العلماء .

قال بعضهم :

العلم يحيى قلوب الميتين كما
تحيا البلاد اذا مسها المطر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه
كما يجلى سواد الظلمة القمر

قالوا

* من ظلم نفسه كان لغيره أظلم ، ومن هدم دينه كان لمجده أهدم .
* ما أسهل الموت على من أيقن بما بعده ، وأصعبه على من شك فيما بعده .
* الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك ، فان كان لك فلا تبطر ، وان كان عليك فاصبر .
* اذا أراد الله بقوم سوءا منحهم الجدل ، ومنعهم العمل .
* لا فقر أفقر من الجهل ، ولا صاحب أكيس من الشورى .
* من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته.

رمى اللسان

قال سفيان الثورى : لأن أرمى عدوى بسهمى خير له من أن أرميه بلسانى ، لأن رمى اللسان لا يخطىء ، ورمى السيف يصيب ويخطىء .

وقال ابن مسعود : لسانك سيف قاطع يبدأ بك ، وكلامك سهم نافذ يرجع عليك ، فاقتصر فى المقال ، وإياك وما يوغر صدور الرجال .

تطلبنى ثمانية

قيل للامام الشافعى — رضى الله عنه — كيف أصبحت ؟

ومواقف

إعداد :

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

قال : أصبحت تطلبنى ثمانية :
الله ــ تعالى ــ بالفرض ، ورسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالسنة ، والدهر بصروفه ، والعيال بقوتهم ، والحفظة بما ينطق به لسانى ، والشيطان بالمعاصى ، والنفس بالشهوات ، وملك الموت بقبض الروح ٠

من المروءة

أنشد أبو بكر الاسماعيلى :

واذا جلست وكان مثلك قائمـــا
فمن المروءة أن تقوم وان أبى
واذا اتكأت وكان مثلك جالســا
فمن المروءة أن تزيل المتكــا
واذا ركبت وكان مثلك ماشـيا
فمن المروءة أن مشيت كما مشى

جئتك مستجديا

اعترض بعض الأعراب المأمون ، فقال يأمير المؤمنين : أنا رجل من الأعراب ٠
قال : لا عجب ٠
قال : انى أريد الحج ٠
قال : الطريق واسعة ٠
قال : ليس معى نفقة ٠
قال : سقط عنك الحج ٠
قال : أيها الأمير جئتك مستجديا لا مستفتيا فضحك المأمون وأمر له بجائزة ٠

حقا

من خاف من الله خافه كل شىء ، ومن خاف من غير الله خاف من كل شىء ٠

نعمة العقل

سئل حكيم عن أولى الناس بالسعادة ؟
فقال : أنقصهم ذنوبا ٠
فقيل له : ومن أنقصهم ذنوبا ؟
قال : أتمهم عقلا ٠

دعاء

اللهم أصلح ولاة أمورنا بالعدل والسداد واقامة الحق فى كل حال وناد ٠

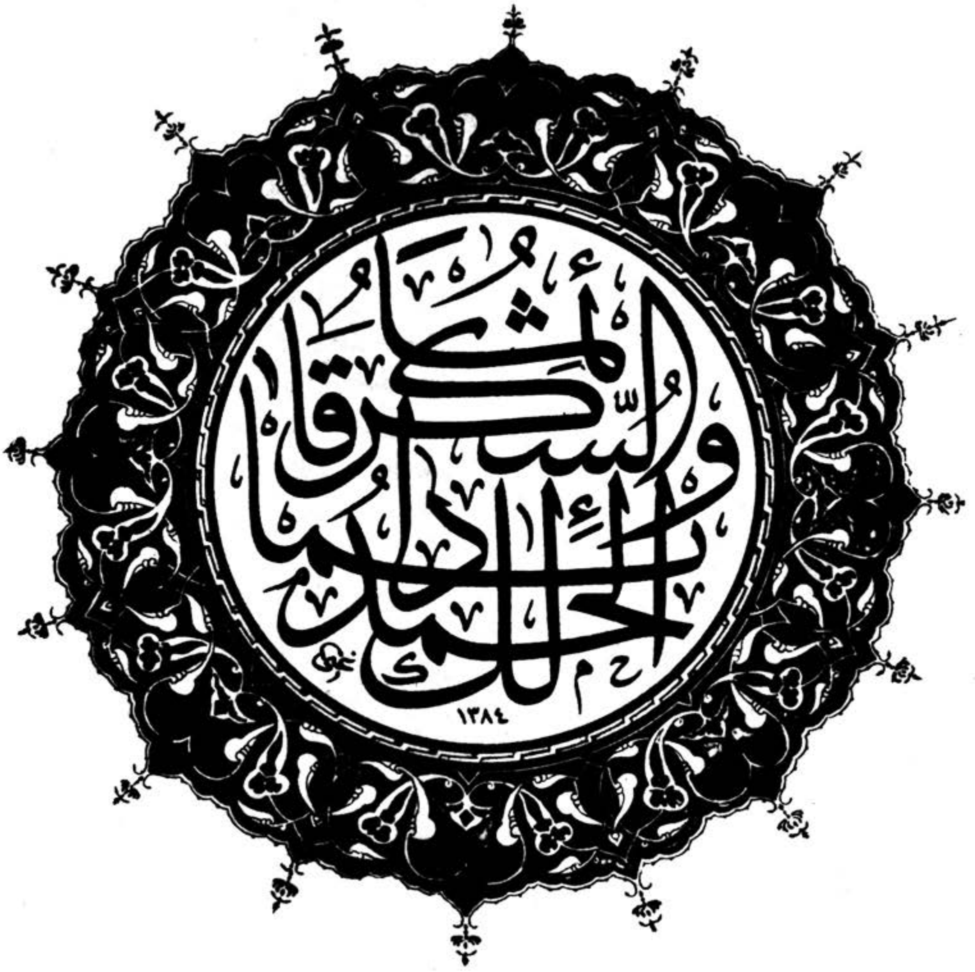
١٣٨٤

لغة وأدب ونقد

قياسية المصادر

في حاشية الأمير
مع "دليل المسلم"

القرآن الكريم
في التوراة والإنجيل والعلم

كلما

كلمة هى (كل)زيدت عليهـا (ما) فى آخرها فغيرت رسمها وأثرت فى تصرفها واعرابها فلم يعد لهـا حينئذ الا اعراب واحد باتفاق هو النصب على الظرفية ، وناصبها هو الفعل الذى هو جواب لهـا فى المعنى مثل قالوا فى قوله تعالى : (كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ) وقد اكتسبت الظرفية من (ما) التى تحتمل وجهين •

أولهما : أن تكون حرفا مصدريا والجملـة بعده صلة فلا محل لها فى الاعراب ، والأصل كل رزق ثم عبر عن معنى المصدر بما والفعـل ثم أنيبا عن الزمان ، أى كل وقت رزق كما أنيب عنه المصدر الصريح فى نحو (جئتك خفـوق النجم ، وسطوع القمر) •

والثانى : أن تكون اسما نكرة بمعنى وقت ، فلا تحتاج الى تقدير لفظ وقت والجملة فى محل جر صفة فتحتاج الى تقدير عائد على (ما) من جملة الصفة أى كل وقت رزقوا فيه ولكـن يضعف هذا التأويل ، ويزهد فى قبوله ادعـاء حذف الصفة فيه وجوبا حيث لم يرد مصرحا به فى أى مثل من أمثلة هذا التركيب أما الوجـه الأول فيقويه ويدعمه ويقربه من الاستساغة والقبول أمران •

أولهما : كثرة مجىء الماضى بعدها كما يتبين من الأمثلة الآتية ، قال الله تعالى : (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) وقال سبحانه : (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ) وقال عـز شأنه : (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ) وقال أيضا : (وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ) وقال جل علاه : (كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ) وقال : (كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ) وقال سبحانه : (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا) ، وقال أيضا : (وَنَحْشُرُهُمْ

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض

يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) .

ثانيهما : أن (ما) المصدرية الظرفية فى حكم أداة الشرط فى المعنى ، ولهذا تحتاج الى جملتين احداهما مرتبطة بالاخرى ارتباط الجواب بالشرط ، الا أنها ليست شرطية مثلها فى نحو قولك : (ما تقرأ ، وما تبغض أبغض ، وما تفعل من خير تنل جزاءه) ذلك لأن ما فى هذه الأمثلة تفيد العموم ، فلا يجوز أن تدخل عليها أداة تفيد العموم مثلها هى كل ، ولأنها أيضا لا تأتى بمعنى الزمان على أرجح الأقوال .

لكن بعضهم أجاز دخول أداة دالة على العموم علىأداة عموم مثلها تأكيدا لها أو مغايرة بين العمومين ، نحو قوله تعالى : **(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)** . وقول الشاعر :

وكل الذى فوق التراب تراب

وقول شاعر آخر :

كل من فى الوجود يطلب صيدا .. غير أن الشباك مختلفات

وقول الشاعر أيضا :

كل من فى الكون يشكو دهره .. ليت شعرى هذه الدنيا لمن ؟

لأن من ، وما ، والذى ، وكذلك التى من الموصولات العامة ، وقد دخلت عليها كل كما نرى فى هذه الأمثلة واذا أعقبت كلما جملة شرطية اتصلت أداة الشرط فيها بالفاء مثل : كلما رأيتك فان لقيتنى بوجه طلق ففرسى هدية لك ، فكل فى هذه العبارة منصوبة أيضا على الظرفية ، ولكن ناصبها محذوف دل عليه لفظ (هدية) المذكور فى جواب الشرط ، وليس ناصبها فعل الشرط (لقيتنى) لوقوعه بعد أداة الشرط (ان) والفاء وهما مانعان من عمل ما بعدهما فيما قبلهما . وقد شط بعض النحاة وجانبه الصواب ، فزعم أن كلا فى هذه العبارة وأمثالها مرفوعة بالابتداء ، وأن جملتى الشرط والجواب خبرها ، وأن الفاء فى (فان لقيتنى) دخلت فى الخبر ، مثلها فى نحو قولنا : كل رجل يأتينى فله درهم ، وقدر فى الكلام ضميرين محذوفين ، أى كلما رأيتك فيه فان لقيتنى بوجه طلق بعده أى بعد وقت الرؤية ، لترتبط الصفة بموصوفها والخبر بمبتدئه .

وما قالوه مردود ، اذ لم تأت كل فى هذه العبارة وأشباهها الا منصوبة كما يتضح جليا فى الآيات الكريمة آنفة الذكر ، وكما فى قوله تعالى : **(أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ)** .

وقول الشاعر

أو كلما وردت عكاظ قبيلة .. بعثوا الى عريفهم يتوسم

وقول عمرو بن الأطنابة :

وقولى كلما جشأت وجاشت .. مكانك تحمدى أو تستريحى

فكل فى تلك الأمثلة وسواها لم ترد الا منصوبة كما ترى ومن قال غير ذلك لا يعول على قوله ؟

قياسية المصادر

من أقسام الكلمة العربية الاسم ، وهـــو قسمان : جامد ومشتق .

فالجامد : مالم يؤخذ من غيره ، فهو قـــد وضع على صورته الحالية ابتداء ، فليس لــه أصل يرجع اليه ، وهو : اما ذات واما معنى .

فالذات : ما تقوم بنفسها ، أى تدل عــلى جسم محسوس ، وذلك كأسماء الأجناس مثل : رجل – جمل – شجر – بيت .

والدال على الذات هو اسم العين والمعنى : مايقوم بغيره ، لانه يدل على شىء معنـــوى محض ، لا وجود له فى غير الذهن ، ويدركــه العقل ، وذلك مثل : النصر – الضرب – الفتح – الفرح – والدال على المعنى هو المصدر . ومنه يكون الاشتقاق ، وقد يجىء من أسماء الأجناس المحسوسة .

والمشـــتق : ما أخذ من غيره ودل على ذات وحدث ، فهو يدل على شيئين ، وله أصل ينتسب اليه يقاربه فى المعنى ويشاركه فى الحـــروف الأصلية ، كالضارب والمضروب .. الخ .

فالمصدر قسم من قسمى الجامد ، اذ هـو اسم المعنى الذى هو أحد قسمى الجامد ، اذن فالمصدر جامد .

وضابطه : هو كل اسم دال على الحدث – أى المعنى المجرد – جار على فعله ، فلا دلالة له على ذات أوزمان أو مكان أو تذكير أو تأنيث أو تثنية أو جمع أو علمية ، فلا شىء أكثر من هذا المعنى المجرد ، وهذا هو الغالب الأعم ، لأنه قد يدل على المرة مثل : جال جولة ، قال تعالى (**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ**) – الحاقة ١٣ – ، أو الهيئة مثل . جلسة المعتدل مريحة ، قال – صلى الله عليه وســـلم – « اذا قتلتم فأحسنوا القتلة واذا ذبحتــــم فأحسنوا الذبحة » – الترمذى الديات ١٤ ، والنسائى الضحايا ١٢ ، ٢٣ .

والمراد بالحدث : الذى لايستقل ، بل يكون معنى قائما بغيره ، ومعنى جريانه على الفعل : اشتماله على حروف فعله ، لفظا مثل : اكرام ، أو تقديرا بدون تعويض مثل : قتال ، فان ألف الفعل لهذا المصدر – وهو قاتل – وان نقصت منه الا أنها موجودة تقديرا ، بدليل ظهورهـــا أحيانا مقلوبة « ياء » لوقوعها بعد الكسرة – فيقال فى نطق لبعض قبائل العرب – وهــذا لغة أهل اليمن – أو تقديرا مع التعـــويض ، مثل : زنة ، فالتاء عوض عن فاء الفعل ، الذى

للدكتور محمد زين العابدين حسن

هو « وزن » ؛ ومثل : تقديس ، فالتاء عوض عن الدال المكررة فى الفعل وهو « قدس » •

والمصادر لها أبنية معروفة فى علم الصرف ، ولكن هل هذه الأبنية لها قياس مطرد لا تخرج عنه ولاتحيد ، أو هى سماعية المعول فيها على السماع وممنوع الخروج عليه •

اتفق على أن مصادر الفعل غير الثلاثى — الرباعى والخماسى والسداسى — تسير على نظام معين مستقر ، لايتغير ولايتبدل . فلها ضوابط قياسية ثابتة لاتحيد عنها ، فمثلا اذا قيل : كل فعل رباعى على « أفعل » مصدره « الافعال » فاننا نرى جميعها مثل : أكرم وأوعد وأفاد وأعطى ؛ لايخرج مصدرها عن الافعال ، مع قلب أو حذف وتعويض أو ابدال فى بعضها . وكذا اذا قيل : « تفعل » مصدره « تفعل » •

أما مصادر الفعل الثلاثى فقد اختلف العلماء فى قياسيتها ، وفى معنى هذا القياس على ثلاثة مذاهب :

(قياسية المصادر)

١ — يرى بعض العلماء أن مصادر الثلاثى لم تجر على أوزان معينة ، بل وردت على أوزان شتى متباينة ، لا ضابط لها ولا قياس يجمعها فهى اذن سماعية نتيجة لهذا ، ويجب أن نقف عند المسموع ، فلو وجد فعل وأردنا معرفة مصدره ، نقف عند نطق العرب فيه ، اذا نطقوا بمصدر له . ولكن اذا ورد فعل وأردنا مصدره، ولم يعلم كيف نطق العرب بمصدره ، فلا مصدر له . ولا يجوز النطق بمصدر له على قياس أمثاله •

ولايخفى ما يستلزمه هذا من التعويق والتعنت ، والوقوف أمام بلوغ اللغة درجة الكمال ، والوفاء بحاجات الانسان المتجددة ، وتعطيل الكثير من الكلمات التى يجوز لنا أن نحصل عليها بالقياس على أمثالها ، وذلك لكثرة أفعال هذا النوع كثرة يتبعها الكثير من المصادر •

٢ — ويرى سيبويه — وتبعه الأخفش — أن مصدر الثلاثى قياسى ، فله ضوابط يخضع لها ولكن هذه الضوابط لايصح استخدامها قياسا مطردا قبل الرجوع الى السماع فى مظانه ؛ ويجب الاقتصار على المسموع وحده بعد البحث عنه والعثور عليه ويوقف عنده ، فان لم يوجد سماع تستخدم الضوابط والأقيسة للحصول على المصدر . بمعنى أنه اذا ورد فعل وسمع له مصدر أخذ به . لأننا مقيدون بالمصدر الذى نطقت به العرب . وعرفناه عنهم ، ولا داعى معه لايجاد مصدر جديد لم تنطق به العرب نصا ، أما اذا لم يعلم لهذا الفعل مصدر ؛ فاننا نأتى بمصدره على الوزن الغالب المقرر فى أمثاله لأن كثرة استعمال بناء أى مصدر لأى فعل

قياسية المصادر

مصححة للقياس عليه ، قال سيبويه : « ولكن الأكثر يقاس عليه » — الكتاب ٢/٢١٥ •

وقال بذلك ابن مالك ، وذكره الشيخ خالد — التصريح ٢/٧٣ — والأشمونى — حاشية الصبان ٢/٣٠٤ — فى كتبهم ، وهذا الرأى هو الذى جرى عليه علماء الصرف واعتمدوه فى كتبهم ••

وتطبيقا لهذا الرأى فالفعل مثلا « علم » لا يأتى مصدره على « فعل » — فتح الفاء وسكون العين — فيقال : « علم » ، كما هو مقتضى قياس أمثاله — وهى الفعل الثلاثى المتعدى — لأنه قد سمع فيه « علم » فيؤخذ بهذا المصدر المسموع فى هذا الفعل ، بدون قياس على الوزن الغالب وهو « فعل » •

٣ — **ويرى الفراء** : أن مصادر الأفعال الثلاثية قياسية ، ومعنى القياس عنده : أنه يجوز القياس على الكثير الشائع ، سواء أورد السماع به أم بخلافه ، أى يسوغ لنا فى كل فعل ثلاثى أن نأتى بمصدره على الوزن الغالب فى أمثاله ، وان سمع له مصدر على خلاف هذا الوزن ، لأن ماقيس على كلام العرب فهو من كلامهم ، ويجوز لك استعمال أى المصدرين شئت ، القياسى أو السماعى ان عرفته •

فمثلا « علم » فعل ثلاثى متعد ، وقياس مصدر مثله أن يكون على « فعل » ، فلك أن تقول فى مصدره « علم » — بفتح العين وسكون اللام — وان كان قد سمع له مصدر آخر هو « علم » بكسر العين وسكون اللام ، ولا يهمل هذا المسموع بل أنت بالخيار فى استعمال القياسى أو السماعى • وتسهيلا وتيسيرا مع كثرة النفع ، ما أجدر الأخذ برأى الفراء لما يأتى :

١ — الفراء امام كبير له مكانته اللغوية والنحوية ، يقول فيه ثعلب — امام الكوفة فى عصره — « لولا الفراء ماكانت عربية ، لأنه خلصها وضبطها » — أنباء الرواه ٤/١٧١ وقيل أيضا : « الفراء أمير المؤمنين فى النحو » — المرجع السابق — وقيل أيضا : « لو لم يكن لأهل بغداد من علماء العربية الا الكسائى والفراء لكان بهما الافتخار على جميع الناس — المرجع السابق وكذلك افتخر به أهل الكوفة — المرجع السابق — وكذلك قيل فيه « كان ثقة اماما » — المرجع السابق — وقال فيه الفقيه محمد بن الحسن — صاحب أبى حنيفة — بعد مناقشة علمية « ما ظننت آدميا يلد مثلك » — المرجع السابق — وأخيرا قال فيه أستاذه الكسائى — رأس المدرسة الكوفية ومؤسسها — «الفراء أحسن عقلا ، وأنفذ فكرا وأعلم بما يخرج من رأسه » — المرجع السابق — وغير ذلك كثير — المرجع السابق •

وامام هذه العقلية التى أخذ صاحبها هذه النعوت، والتى ورثت علم الكسائى وأصبح امام الكوفيين بعده — لا ضير ولاتثريب اذا أخذ بمذهبه فى قياسية مصدر الثلاثى ، بخاصة اذا كان فى هذا الرأى مايفيد اللغة ومتعلم اللغة •

٢ — ما قال به الفراء مستنبط من أكثر الكلام العربى فصاحة وصحة وشيوعا فالعمل بما استنبطه انما هو تطبيق صحيح على ذلك الكثير المسموع ومجاراة سليمة للشائع الوارد عن العرب ، ومحاكاة سائغة لصحيح نطقهم •

وهذا هو معنى القاعدة ، فهى حكم عـــام مستنبط من الكثير الوارد عن العرب منتزع من الغالب الذى استعملوه ، وعلى ذلك فلا يمتنع عن القياس على ذلك الكثير حين يوجد مايخالفه وأن نقتصر على ذلك المخالف وحـــده دون استخدام القياس الذى يجرى على نهج المخالفة له ؟ أليس من الاولى أن نعتبره شاذا خارجا عن الكثرة ؟ كما نصف الفاعل حين يكـــون منصوبا .

٣ ــ قصر القياس على الأفعال التى لـــم يرد لها مصادر مسموعة ، يقتضينا أن نرجـــع لكل المظان المختلفة ، ونطيل البحث ، وذلك حتى نطمئن الى عدم وجود مصدر سماعى للفعـــل كى نستبيح استعمال المصدر القياسى ، وفى هذا من الجهد المضنى والوقت الطويل مالايقـــدر عليه خاصة الناس ، فكيف الحال مع الذى يطلب تعلم اللغة ؟ ولو أخذنا به قبل استعمال كـــل مصدر لحملنا أنفسنا مالا نطيق ، ودفعناها دفعا الى الانصراف عن لغتنا ، حتى مع وجود المعاجم هناك جهد ووقت وبخاصة مع المتعلم ، وليس كل مبتدىء أو شاد فى اللغة يملك معـــاجم أو أحدها ، وليست المعاجم هى مظان الســـماع وحدها ،فهنالك الكلام العربى القديم والمأثورات وغير ذلك ، يضاف الى ذلك : أن هذا العمـــل جهد ضائع وعمل مكرر ، فلقد استنفد ثقات الأئمة والعلماء جهدهم فى استنباط قواعدهم ، وانتزاع أحكامهم من غالب كلام العرب الفصيح فى دقة وأمانة ، وحرص وتمحيص ، فلامكان لايجاب الرجوع الى المسموع قبل استعمال الضوابط والقواعد ، لأن فى الرجوع اضـــاعة للجهد والوقت ، وتعجيزنا لغير المتفـــرغين المشتغلين باللغويات ، واهمالا لرأى الثقات من العلميين المتخصصين المتفرغين اهمالا يستحيل معه أن تستقيم أمور اللغة أو يستقر لها وضع صالح واضح .

فدفعا لهذا يؤخذ بما استنبطه ثقات العلماء ويستند اليه ، من غير بحث فى كلام عربى ، أو فى مرجع لغوى أو غيره ولو كان البحث لايكلفنا جهدا ولا وقتا .

وهذا ما درجنا عليه فى التعليم والتعلم، يذكر الفعل وتطبق عليه القاعدة للحصول على مصدره بدون رجوع الى مظان السماع ، تطبيقا لرأى الفراء ، ولم يكن لرأى سيبويه من نصيب سوى السطور التى تكتب تبيانا لرأيه .

٤ ــ لم يقتصر الأمر على الفراء بل جـــاء بعده غيره ممن له مكانته وقال بمثل ذلك .

كابن جنى ، فهو القائل « ماقيس عـــلى كلام العرب فهو من كلام العرب » ــ والقائل: « ليس كل مايجوز فى القياس يخرج به سماع يجب عليه أن يورد فى ذلك ســـماعا ، ولا أن فاذا أخذ انسان على مثالهم وأم مذهبهم لـــم يرويه راوية . » أنظر الخصائص ١/٣٦٢ ، ٣٦٧ .

وقال بقياسية مصدر الثلاثى أيضا الزمخشرى ومكانته معروفة ــ النحو الوافى ٣/١٩٠ .

ونقل عن أبى حيان أنه قال : « انما نبنى المقاييس العربية على وجود الكثرة » ــ الهمع ١/٢١٧ .

وعلى ذلك تصاغ مصادر الفعل الثلاثى على النهج الغالب فى كلام العرب ، وقد يكون هذا المصدر الذى لم ينطق العرب بلفظه نصا غريبا على الأسماع ، ولكن هذه الغرابة وتلك الوحشة تزولان بالاستعمال .

ولايتحتم استعمال هذا القليل ، بل يعتبر من

قياســية المصادر

النادر فى كلامهم الذى لايقاس عليه ويسمى : مصادر سماعية ، مصادر شاذة ، مصادر قليلة الاستعمال ، أو غير ذلك من الأسماء الدالة على قلتها وندرتها .

ولذلك نظير فى مصادر الأفعال الرباعية التى قال الصرفيون بقياسيتها ، فقد قالوا : فاعل مصدره « المفاعلة » و « الفعال » والثانى قليل بالنسبة الى الأول ، ويتعين تركه فيما فاؤه ياء مثل : « ياسر ويامن » ــ أخذ بيساره أو بيمينه ــ وتجب فيه « المفاعلة » فنقول : ميامنـــا ومياسرة ، ويمتنع أن نقول فى مصدره عـــلى الوزن الثانى : يمان ويسار بكسر الياء فيهما ــ لثقل الكسرة على الياء فى أول الكلمة ،شــذ : ياومه يواما ــ المعـــاملة بالأيام ــ حكـــاه ابن سيده ، وحكى مياومة على القياس ــ التصريح ٧٦/٢ .

فنقول فى مصدر الثلاثى أيضا : علم مصدره « علم » وشذ « علم » على أنه يجوز استعمال هذا المصدر المسموع مع المصدر القياسى ، فمن شاء استعمال المسموع أو القياسى فله ماشاء، فان استعمال أحدهما مباح ، فورود السماع لا يلغى القياس ، ولايمنع استخدام القاعـــدة المخالفة له .

ولعل ماسبق كان فى ذهن أعضاء مجمـــــع اللغة العربية بالقاهرة ، فلقد أصدر قرارات فى قياسية مصادر الثلاثى فقال : للأفعال الثلاثية بصادر تأتى على أوزان شتى ، منها الكثـــير المشهور ، ومنها القليل المهجور ، فجعل بعض النحويين كثير الورود قياسيا ، وجعل بعضهم جميع المصادر الثلاثية سماعية ، فاختار المجمع المذهب الاول ، وهو مذهب سيبويه والاخفش وابن مالك وكثير ممن تابعهم ، ومنهم الفراء ــ وهو يجيز القياس على جميع المصادر الثلاثية القياسية ولو سمع غيرها من وزن آخـــــر ــ الألفاظ اللغوية خصائصها وأنواعها للأســـتاذ عبد الحميد حسن ص ٢٦ ومابعدها .

ويقول فى موطن آخر فى تكملة مادة لغـــوية لم تذكر بقيتها ، كاذا لم تذكر من مادة لغوية فى المعجمات ونحوها الا ألفاظها ، كالمصدر أو الفعل أو أحد المشتقات الأخرى .

وكل ما تقدم جائز مالم ينص على أن الفعل ممات أو محظور ، ومالم يسمع عن العـــرب مايخالفه ، فان سمع عملنا بالمسموع فقط ، أو عملنا بالمسموع والقياس ــ المـــرجع السابق ٢٤ ــ ٢٥ .

ويقول الأستاذ عبد الحميد حسن فى كتـــابه « الألفاظ اللغوية ــ خصائصها وأنواعها : فماذا يمنعنا من زيادة أوزان وصيغ نرتضيها فى عصرنا وفى عصور قادمة ، مادامت جارية على سمت مانطق به العرب ، ومقيسة على كلامهم (١) ». السابق ص ٢٣ .

د/محمد زين العابدين حسن سلامة

---

(١) الالفاظ اللغوية خصائصها وانواعهـــا للأستاذ عبد الحميد حسن .

(٢) تصريف الاسماء للدكتور محمـــــد زين العابدين حسن سلامة .

ينابيع الثقافتين الإسلامية والعربية فى الأندلس قبل العقد

للأستاذ الدكتور احمد النجار

قال لى صاحبى : قد بان لنا مماجمعت فأوعيت من مصادر ومراجع اعتقد منها أحمد بن محمد ابن عبد ربه جواهر كتابه ، ونظمها فى سلكه ، استقصاؤك جهد الوسع لاستيعابها ، وتحريك لما أخذ منها ، فتستشرف النفس ما كان من تراث دينى وعقلى وأدبى كان للأندلسيين الى عهد تأليفه ، فهلا ألقيت على تلك الفترة ضوءا تستبين به بعض ملامح هذا الوجه المشرق من الحضارة الاسلامية فى المغرب ؟

فقلت : لعله يكفيك من ذلك الذى طلبت ما أسجله لك ، على قدرى ، مما أعده تعبيرا عن واقع الحضارة الأندلسية فى زمان ابن عبد ربه وما قبله ، وهى حضارة قامت أصلا على مواريث الاسلام والعروبة :

أما الاسلام فقد عنى بتربية المسلم وتهذيبه، وخلف فى نفسه آثارا ثقافية كانت تمتلىء بها جنبات العالم الاسلامى فى شتى المراكز الدينية فى مكة والمدينة ، وخراسان ، والشام ، ومصر والعراق ، وتموج بها نفوس الدارسين من طلاب العلم ، ويملأون الحياة حركة دءوبا فى الجمع والتحصيل والتحرى ، وما ان استقر الأمر للمسلمين بالأندلس — وان كانت دائما تغلى غليانا يقصر أو يطول — حتى أقبل الأندلسيون يغترفون من معين الثقافة الدينية أول ما اغترفوا ، فالقوم قريبو عهد بما كان عليه الحال فى الشرق ، ولم يزل بهم المنزع الدينى يوجه سلوكهم فى الحياة ، كما لم يزل بينهم من التابعين وأصحاب الأئمة ، وبخاصة أصحاب الامام مالك ، من يعمل على بسط سلطان الفقه تشريعا للدولة الفتية ، والاستعانة بالفقهاء فى مشاركة أولى الأمر توجيه دفة الحكم ماداموا يتمتعون بثقة الناس الذين كانوا يخلعون عليهم وعلى سائر المثقفين وصف (فقيه) ماداموا قد نبغوا فى الفقه وسائر فروع العلم والأدب ،

وكان على الأمراء أن يستمعوا لهم ، وأن يذعنوا لما يفتون به ، خشية ثورة هؤلاء الذين غلب عليهم اقامة الحدود ، وانكار التهاون بتعطيلها ، وقيام العامة فى ذلك بانكار التهاون من أصحاب السلطان بخاصة ، ونعلم أنه قد يلج السلطان فى شىء ولا ينكره فيدخلون عليه قصره المشيد ، ولا يعبأون بخيله ورجله حتى يخرجوه من بلدهم ، وهذا كثير فى أخبارهم على ما ذكر المقرى فى كتابه نفح الطيب(١) .

وفى أخبار هشام بن عبد الرحمن ومحمد ابن عبد الرحمن ، وعبد الله بن محمد ما يشهد بقوة سلطانهم وتداخلهم فى كثير مما يتصل بسياسة الدولة ، وخضوع الحكام لهم فى كثير من الشئون الا ما كان من ثورة الحكم الربضى عليهم .

نشاط الحركة الدينية

وقد حفل الأندلس فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن بنشاط الحركة الدينية على أيدى أعلام منهم : أبان بن عيسى بن دينار ، وبقى ابن مخلد ، ومحمد بن وضاح ، ومحمد بن عبد السلام الخشنى ، ويحيى بن عبد العزيز وعبد الله بن يحيى بن يحيى ، ومطرف بن فطيس ومحمد بن عمر بن لبابه ، وأحمد بن خالد ، وقاسم بن أصبغ وغيرهم كثير ممن ملأوا الأندلس فقها وعلما وتحديثا ، محاضرين ومؤلفين ، وقد استعان بهم الأمير محمد ،وعظم شأنهم فى عهد ابنه عبد الله « الذى كان مجلسه قبل الخلافة وبعدها أعمر مجالس الملوك بالفضائل ، وأنزهها من الرذائل وأجمعها لطبقات أهل الآداب والتعالم »(٢) .

وقد ذكر محمد بن وضاح فضل ذلك الأمير فيمن أثنى عليهم وقال عنه : « كان الأمير عبد الله من الصالحين المتقين ، العالمين العاملين ، روى الحديث كثيرا ، وطالع الرأى ، وأبصر العلم ، وتفقه ونظر فى السنن »(٣) وشجع العلماء على ارتياد مناهل الشريعة والدين ، الى ما رغب فيه هؤلاء العلماء أنفسهم من الارتواء منها الى حد الامتلاء ، فشدوا الرحال فى طلب العلم الى مكة والمدينة وبغداد والشام ومصر وبلاد افريقية ، وحرصوا على أن ينقلوا ما علموه ، فجلبوا الى الأندلس كتبا كثيرة تعتبر أصولا فى علوم الدين ، وكان مما حملوه معهم فى عودتهم « الموطأ » للامام مالك ، وكان منهم من يحفظه، ونقلوا صحيح البخارى وصحيح مسلم ومسند أحمد ، ومسند أبى بكر بن أبى شيبة الذى أثار ثائرة الفقهاء على ناقله « بقى بن مخلد » وهو العالم الذى ملأ الأندلس حديثا ورواية ، فقد حدثوا أن أصحابه الأندلسيين الذين كانوا يتعصبون لرأى الامام مالك الذائع بالأندلس — أنكروا عليه ما أدخله من كتب الاختلاف ،

(١) نفح الطيب ٢/١٠٥ .
(٢) المقتبس ص ٣٤٠ .
(٣) المقتبس ص ٣٦ .

وغرائب الحديث ، حتى انهم أغروا به السلطان وأخافوه به ، ولكن الله أظهره عليهم وعصمه منهم ، فنشر حديثه ، وقرأ للناس روايته ، ومن يومئذ انتشر الحديث بالأندلس ، وكان الغالب عليها قبل ذلك حفظ رأى مالك وأصحابه .

ما انفرد به بقى بن مخلد

وكان مما انفرد به بقى بن مخلد ولم يدخله سواه كتاب فى الفقه للامام الشافعى ، كما وضع بقى أيضا تفسيرا للقرآن الكريم ، وهو الذى قال عنه ابن حزم فى رسالته :

هو الكتاب الذى أقطع قطعا لا استثنى فيه انه لم يؤلف فى الاسلام تفسير مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبرى ولا غيره .

وله فى الحديث مصنفه الكبير الذى رتبه على أسماء الصحابة ، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام ، فهو مصنف ومسند ، وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه .

ومصنفه فى فضل الصحابة والتابعين ومن دونهم الذى أربى فيه على مصنف أبى بكر بن ابى شيبة ، فصارت تآليف هذا الامام الفاضل قواعد للاسلام لا نظير لها(١) .

شأن التحديث بالأندلس

ثم عظم شأن التحديث بالأندلس أيضا بـ « محمد بن وضاح » الذى شأى شأو بقى بن مخلد فى هذا العلم ، فقد حدث بالأندلس مدة طويلة ، وانتشر عنه به علم جم ، وروى عنه من أهل جماعة مشهورون لهم مكانة وذكر من أمثال وهب بن مسرة ، وقاسم بن أصبغ ، وأحمد ابن خالد . وكان قد رحل الى المشرق مرتين ، وطوف فى البلاد طلبا للعلم ، حتى بلغ عدد الرجال الذين سمع منهم فى الأمصار مائة وخمسة وسبعين رجلا ما بين بغداديين ومكيين وشاميين ومصريين وقرويين ، وكان شديد التدقيق فيما يقبل من الأحاديث فى قول ابن الفرضى : « وكان ابن وضاح عالما بالحديث بصيرا بطرقه متكلما على علله ، محتسبا فى نشر علمه ، سمع منه الناس كثيرا ، ونفع الله به أهل الأندلس ، وكان لا يقدم على ابن وضاح أحد فى رأى أحمد بن خالد ، وعرف عنه كذلك أنه كان ممن لا علم له بالفقه ولا بالعربية »(٢) .

نقل التراث النادر الى المغرب

ولم تقتصر عليهما حركة النقل عن المشارقة والرحلة فى تلك الفترة التى صحبت زمان ابن عبد ربه وما قبله ، وانما نشطت أعظم نشاط بهمة طائفة أخرى من العلماء نقلوا – فيما نقلوا – كتب ابن قتيبة فى علوم الدين ، وكان من أدعية العلم ، وكانوا يتحدثون بفضله ، ويمتدحون بنقل كتبه ورواياتها حتى قيل : من استجاز الوقيعة فى ابن قتيبة يتهم بالزندقة .. وكانوا يقولون : « كل بيت ليس فيه شىء من تصنيفه لا خير فيه »(٣) ولهذا اشتهر لديهم

(١) نفح الطيب ٢/١٢٧ الطبعة الازهرية .
(٢) تاريخ علماء الاندلس ١/٣١٧ .
(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١١/٥٧ .

كتابه « تأويل مختلف الحديث » وكتابه « المعارف » وكتابه « الأشربة » وغير أولئك من مصنفاته • كما حملوا معهم الى الأندلس « مسند على بن عبد العزيز » صاحب « أبى عبيد القاسم بن سلام » وهو الذى أخذ عنه « طاهر بن عبد العزيز الرعينى » محدث قرطبة كتبه فى مكة •

كما عرفوا مذهب الطبرى وتفسيره ، ومذهب داود بن خلف الظاهرى وسائر المذاهب التى كان لها بالمشرق صدى عميق ، وأحدثت ألوانا من الصراع الفكرى نجا منه الأندلس الى حينئذ ، ونجد الفكر الفقهى لدى بعض المثقفين قد تحرر من الثبوت عند مذهب الامام مالك الذى ظلت له الدولة والانتشار فى البلاد منذ عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل ، فقد عرفت كتب الامامين الشافعى وابن حنبل — وكان بقى بن مخلد من كبار أصحابه — ومنذ ذلك العهد رأينا الخلافات التى وقعت بين الفقهاء فى المشرق ، وألفت فيها الكتب تنتقل الى الأندلس ، حتى صار شأن الأندلسيين فى ذلك شأن المشارقة ، فازدهرت الثقافة الدينية ، وعلا شأن رجال الدين حتى قال المقرى فى ذلك :

« وقراءة القرآن بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة وللفقه رونق ووجاهة ولا مذهب لهم الا مذهب مالك ، وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ملوكهم ذوى الهمم فى العلوم ، وسمة الفقيه عندهم جليلة ، حتى ان المسلمين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم الذى يريدون تنويهه « بالفقيه » ، وكانوا يقولون للكاتب والنحوى واللغوى « فقيه » لأنها عندهم أرفع السمات »(١) •

وظاهر أن حكم الأمير عبد الله بن محمد ، وهو الفقيه العالم ، وحكم الخليفة الناصر لدين الله، كانا شباب هذه الحركة الدينية ومصدر قوتها وانطلاقها الى آفاق بعيدة •

وقد أعان عليها شيوع الرغبة عند كثير من علماء الأندلس فى الرحلة الى المشرق طلبا للعلم ونقلا للآثار المختلفة فى جميع فروع الثقافة والمعرفة ، حتى وجدنا المكتبات العامة والخاصة تزخر بهذه الكتب وبخاصة فى قرطبة « حيث كانت أفقهم الواسع •• وكانت أكثر بلاد الله كتبا ، وأهلها أشد الناس اعتناء بخزائن الكتب، حتى ان الرئيس منهم الذى لا تكون عنده معرفة ، يحتفل فى أن تكون فى بيته خزانة كتب، ليس الا أن يقال : فلان عنده خزانة كتب وما أشبه الليلة بالبارحة » ، والكتاب الفلانى ليس عند أحد غيره ، والكتاب الذى بخط فلان قد حصله وظفر به »(٢) •

كما كان مسجدها الجامع جامعتها الكبرى التى التقت فيها جموع غفيرة من الطلاب من كل جنس وصقع ، وكانت عندهم حرما آمنا يحج الناس اليه ، ولم يكن لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرأون جميع العلوم

(١) نفح الطيب ١٠٨/٢ •

(٢) المصدر السابق ١٠٢/٤ •

فى المساجد بأجرة(١) .

واذ عظم احترام الدين فى النفوس ، وغذيت العقول بمعرفة ما يتصل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ واحتاج الناس الى رجل الدين لحل مشكلاتهم كانت خطة القضاء فى الأندلس أعظم الخطط ، ويخضع لها الخفير والأمير بحيث لو توجه الى الأخير حكم حضر بين يدى القاضى ــ هذا وصفها فى زمان بنى أمية ..

دراسة التصوف

ثم كان من الظواهر الثقافية المستحدثة فى بلاد الأندلس اقبال بعضهم على دراسة التصوف فظهر « ابن مسرة القرطبى » وكان له نشاط فكرى واسع حتى قيل انه باذر بذور التعاليم الافلاطونية الحديثة ممزوجة بتعاليمّ الاسلام، واعتزل ــ وكان الاعتزال فى الناس قليلا ، وغير مرغوب فيه ، ومعروف أن المعتزلة كانوا يتسلحون بعلم الفلسفة والمنطق دفاعا عن الاسلام ودحض شبهات المفترين عليه ، ولذلك أقبل على معارفهم ، ودرس مذاهبهم ، ثم تحنث بأخرة واعتزل الناس ، ولكنه لم ينج من اتهامه بالالحاد ، وهو المحدث المشهور وأحد أعلام تلاميذ ابن وضاح ، ومع ذلك ذاعت شهرة « وهب بن مسرة » كمتفلسف ومتصوف بين أهل الأندلس كافة ، وقد قدر لهذه البذرة التى بذرها أن تنمو وتثمر مع الزمان .

وهكذا صارت الأندلس تستنير بانوار الهداية الدينية المنبعثة من الشرق ، هناك من مكة وسائر المراكز الثقافية التى دأبوا على الرحيل اليها ، حتى أصبحت تنافسها فى بث هذه الأشعة الهادية بالمغرب والمشرق .

يتبع

احمد محمد النجار

(١) المصدر السابق ١٠٦/٢ .

فى حاشية الأمير

-٣-

عـدى بن زيد العبادى

اذا اردت أن تزور أحدا من حاشية الامير أو بطانته فمن اليسير أن تصل الى ماربك فلقصر الامـير أبـواب معلومة ولكـل بـاب اسم خـاص بـه ، وقـد كـان طلبنـا (عـدى ابن زيد) وهـو شـاعر جاهلى لـه منزلـة عظيمة يود النـاس لقـاءه والرواية عنـه ، والبـاب الذى حـواه هـو باب « الفاء » ولـه بـاب آخر يمكنك أن تراه فيه هـو باب « لو » .

وقد أخذنا « ابن سلام الجمحى » الى باب الفاء ، فاذا بنا نرى صاحب المغنى يقرر أن من مسائل الفاء « أن تكون زائدة دخولها فى الكلام كخروجها ، وهـذا لا يثبتـه سيبويه ، وأجاز الأخفش زيادتها فى الخبر مطلقا وحكى أخوك فوجد ، وقيد « الفراء ، والاعلم » وجمـاعة الجواز بكون الخبر أمرا أو نهيا كقوله « خولان فانكح فتاتهم » وقوله :

أرواح مـــودع أم بكـــور
أنت فانظـــر لأى ذاك تصير ؟ »

وهنا تدخل مولانا محمد الأمير صـاحب الحاشية فقال : « أرواح مودع أم بكور » هو على حد عيشة راضية أى مـودع صـاحبه ، وأنشد السيوطى تتمته « لك فاعمـد لأى ذاك نصير » وعرفنا الأمير بقائل الشـعر على هذا النحو : وهو لعدى بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب جاهلى فى زمن النعمان كان نصرانيا هو وأهله وليس معدودا من الفحول ، عيب عليـه أشياء .

وكان الأصمعى وأبو عبيدة يقولان : عدى بن زيد فى الشـعراء بمنزلة سـهيل فى النجوم يعارضها ولا يجرى معها ،وكذلك عندهم أمية ابـن أبى الصـلت ، ومثلهما عنـدهم مـن الاسلاميين الكميت والطرماح .

وجد عدى أول من سمى من العرب (أيوب) وجده (حماد) أول من كتب من العرب ، لأنـه نزل الحيرة فتعلم الكتابة منها . وذكره الجمحى فى الطبقة الرابعة من شعراء الجاهلية .

وقال هم أربعة فحول شعراء موضعهم مـن

للأستاذ السيد حسن قرون

الأوائل ، وانما أخل بهم قلة شعرهم بأيدى الرواة : طرفة ، وعبيد بن الأبرص ، وعلقمة بن عبدة ، وعدى بن زيد .

ولابأس على مولانا الامير اذا لم يذكر تاريخ الكتابة هنا ، فقد ذكره فى مكان آخر ، وانما كنا نرجو منه أن يذكر قبيلة الشاعر ، وقدنسبته أنا فقلت « العبادى » ولكن هذا يقتضى توضيحا .

وعدى بن زيد نسبه ابن اسحاق الى الحيرة . قال : وكان أحد بنى تميم .

قال ابن هشام : ثم أحد بنى امرىء القيس ابن زيد مناة بن تميم ، ويقال : عدى من العباد من أهل الحيرة . وقد ذكره الطبرى بهذا النسب مع اختلاف فى سلسلة النسب . ويرى بعض النساب أنه من ربيعة من (عبد القيس) وعللوا التسمية بالعباد بأنهم انتسلوا من أربعة : عبد المسيح ، وعبد كلال ، وعبد الله ،وعبد ياليل ففى كل اسم « عبد » وكانوا قدموا على ملك فتسموا له . فقال : أنتم العباد فسموا بذلك . والرأى الأول هو المشهور وأنهم من بنى تميم سكنوا الحيرة (٢) .

ويؤرخ له مولانا الأمير عند الحديث عن « لو » فيقول : انه أول عربى قتل خنقا ، حبسه النعمان بن المنذر فقال عدى :

أبلغ النعمان حنى مالكا
أنه قد طال حبسى وانتظارى

لو بغير الماء حلقى شرق
كنت كالغصان بالماء اعتصارى

ولكن النعمان خنقه ، فما كان من ابنه زيد بن عدى الا الانتقام منهفوشى لكسرى بأن النعمان عنده بنات حسان ، فخطب كسرى احداهن فتحيل النعمان فى الرد ، فكتب اليه كسرى أن أقبل ... ورماه تحت أرجل الفيلة فقتله .

ومقتل النعمان كان له أثر سىء فى العلاقة بين كسرى والعرب . والمألكة : الرسالة ، والاعتصار : ازالة الغصة بالماء قليلا قليلا هكذا شرح الشيخ الغصة .

وكان سعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩ اذا جاءته الاساءةمن رجل أحسن اليه وقومه ينشد : لو بغير الماء حلقى شرق .. البيت يعنى أن الغصة نزال بالماء فاذا غص بالماء فكيف يتصرف ؟

ثم نعود الى ماكنا فيه أولا فنقرأ للشيخ الأمير — وقد ذكرنا البيت . أرواح مودع أم بكور ... ؟ — قوله : ومن القصيدة :

أيها الشامت المعير بالدهر أأنتالمبرأ الموفور؟

(١) نستميح الكاتب عذرا ، فان الاولية فى هذه الامور غير مقطوع بها ، ويكاد يستحيل الوصول اليها أصلا ..

(٢) سيرة ابن هشام جـ ١ .

في حاشية الأمير

أم لديك العهد الوثيق من الايا
م أم أنت جاهل مغرور ؟
من رأيت المنون خلد أم من
ذا عليه من أن يضام خفير ؟
أين كسرى : كسرى الملوك أنو شر
وان أم أين قبله سابور ؟
وبنو الاصفر الكرام ملوك الرو
م لم يبق منهم مذكور؟
وأخو الحضر اذ بناه واذ
دجلة تجبى اليه والخابور
لم يهبه ريب المنون فباد
الملك عنه فبابه مهجور
ثم أضحوا كأنهم ورق جف
فألوت به الصبا والدبور

قال الشيخ : والحضر كان قصرا بحيال تكريت بين دجلة والفرات وأخوه صاحبه « الضيزن بن معاوية » كان ملك تلك الناحية وبلغ ملكه الشام ثم تغلب عليه سابورذو الأكتاف وقتله .

وابن هشام فى السيرة النبوية يتوسع فى تلك القصة قصة الحضر وصاحبه فيقول فى الحديث عن نسب النعمان بن المنذر انه من ولد (ساطرون) والساطرون : الملك بالسريانية ، والحضر : حصن عظيم كالمدينة كان على شاطىء الفرات وهو الذى ذكره عدى بن زيد فى قوله :

وأخو الحضر اذ بناه واذا دجلة
تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير فى ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فبان الملك عنه فبابه مهجور

والبيت الثانى من الأبيات الثلاثة لم يذكره الشيخ .

وقال الشيخ « فباد » وقال ابن هشام « فبان » وهذا من اختلاف الرواة .

قال ابن هشام : وكان سابور ذو الأكتاف غزا ساطرون ملك الحضر فحصره سنتين ، فأشرفت بنت ساطرون يوما ، فنظرت الى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ ، وكان جميلا ، فدست اليه . أتتزوجنى ان فتحت لك باب الحضر ؟ فقال : نعم ، فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر وكان لا يبيت الا سكران ، فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه ، فبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب فدخل سابور فقتل ساطرون ، واستباح الحضر وخربه . وسار بها معه فتزوجها . فبينما هى نائمة على فراشها ليلا اذ جعلت تتململ لا تنام ، فدعا لها بشمع ، ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس فقال لها سابور : أهذا الذى أسهرك ؟ قالت : نعم . قال : فما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت : كان يفرش لى الديباج ، ويلبسنى الحرير ، ويطعمنى المخ ، ويسقينى الخمر . قال : أفكان جزاء أبيك ما صنعت به ؟ أنت الى بذلك أسرع . ثم أمر بقتلها وانتهى أمرها .

وهناك روايات فيمن قتلها

خالد بن صفوان

على أن هذه القصة أخذت مكانها فى أدبنا الحديث بقصة « ورقة الآس » وقد مثلت ، ولم تنته قصة الحضر وصاحبه عند هذا الحد ،

فيستطرد الشيخ الأكبر راويا عن الأغانى أن خالد بن صفوان (التميمى) توفى سنة ١٣٣ هـ ـ ٧٥٠ م وفد على هشام بن عبد الملك توفى سنة ١٢٥ هـ وقد خرج متنزها بقرابته وحشمه وحاشيته وجلسائه وندمائه ونزل فى أرض ضحضاح فى عام قد كثر خيره ، وأخرجت الأرض زينتها من اختلاف ألوانها ، وضرب له سرادق مزخرفة ، وفرشت له ألوان الفرش ، وزينت بأحسن الزينة ، فقال له خالد : يا أمير المؤمنين ، ان ملكا من الملوك خرج فى مثل عامنا هذا الى الخورنق والسدير (١) ، وكان قد أعطى بسطة فى الملك مع الكثرة والغلبة والقهر ، فنظر فأنفذ النظر فقال لجلسائه : لمن هذا ؟ قالوا : للملك • قال : فهل رأيتم أحدا أعطى مثل ما أعطيت ؟ وكان عنده رجل من جملة الحجة ولم تخل الأرض من قائم لله بحجته فى عباده •

فقال : أيها الملك ، انك قد سألت عن أمر فتأذن لى فى الجواب عنه ؟

قال : نعم • قال :

أرأيت ما أنت فيه : أشىء لم تزل فيه أم صار اليك ميراثا وهو زائل عنك وصائر الى غيرك كما صار اليك ؟

قال : كذلك هو •

قال : فلا أراك عجبت بشىء يسير لا تكون فيه الا قليلا وتنقل عنه طويلا ، فيكون غدا عليك حسابا •

فقال : ويحك فأين المهرب ؟ وأين المطلب ؟ وأخذته القشعريرة •

فقال : اما أن تقيم فى ملكك لتعمل فيه بطاعة الله تعالى على ما ساءك وسرك ، واما أن تنخلع عن ملكك وتضع تاجك وتلقى عليك أطمارك وتعبد ربك فى هذا الجبل حتى يأتيك أجلك •

فقال : انى متفكر الليلة وأوافيك فى السحر فأخبرك احدى المنزلتين •

فلما كان فى السحر قرع عليه بابه وقد لبس مسوحه ووضع تاجه ، ولزما الجبل حتى أتاهما أجلهما • وفى مثل ذلك قال عدى : « أيها الشامت ••• » الأبيات • فبكى هشام حتى اخضلت لحيته •

وما من شك فى أن خالد بن صفوان قصد بما قصه على الخليفة العظة والاعتبار ، وكان ديدنه أن يخوف الحاكم من المصير المجهول ، بل كان يتعرض أحيانا بغمز الولاة حتى يحفظهم عليه ، ويثيرهم نحره ومن ذلك ما وقع له مع (بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى) كان اذا مر بلال وهو فى المسجد يسأل عن صاحب الموكب ، فيقال له الامير بلال ، فيقول :

« سحابة صيف عن قليل تقشع » •

وبلغ بلالا ما يقوله ، فأجلس معه من يأتيه بخبره ، ثم مر بلال فردد خالد مقاله ، فقيل ذلك لبلال ، فأقبل على خالد فقال له :

« لا تقشع والله حتى تصيبك منها بشؤبوب برد ، فضربه مائتى سوط ، وقال بعضهم : بل أمر به فديس بطنه • وما قاله خالد حدث وأقصى بلال عن عمله •

وخالد يعد ممن يولعون بكثرة الكلام • قال

---

(١) الخورنق = قصر بالعراق بناه النعمان، والسدير قصر ايضا والقصة لا تتحدث عن النعمان •

له رجل : انك لتكثر ، فقال : أكثر لضربين : أحدهما فيما لاتغنى فيه القلة ، والآخر لتمرين اللسان ، فان حبسه يورث العقلة •

ويقول : لا تكون بليغا حتى تكلم أمتك السوداء في الليلة الظلماء في الحاجة المهمة بما تتكلم به في نادي قومك ، فانما اللسان عضو اذا مرنته مرن ، واذا أهملته خار كاليد التي تخشنها بالممارسة والبدن الذي تقويه برفع الحجر وما أشبهه ، والرجل اذا عودت المشي مشت •

والكلام عن خالد بن صفوان قطع حديث الأمير ، ولذلك عاد يقول : وقال أبو القاسم الزجاجي في أماليه ، حدثني أبو الحسن قال : كان الحجاج بن يوسف (الثقفي) تخوف أن يعزل عن العراق فيتولاه خالد بن عبد الله بن أسيد ، فلما مات خالد بلغ الحجاج موته ، فقال لسعيد بن عبد الرحمن بن عتاب ابن أسيد وهو عنده : أعلمت أن خالدا قد مات ؟ قال سعيد ــ وهو ابن عم خالد : فأخذني من ذلك ما الله به عالم لتركه بعده وشماتته بموته فلم يلبث أن أخذ في حديث ثم أقبل علي فقال : أي العرب أشعر ؟ فقلت الذي يقول :

أيها الشامت المعير بالمو
ت أ أنت المبرأ الموفور ؟

فغضب الحجاج وقال : والله انك لردىء الجواب • قال يونس : لو تمنيت أن أقول الشعر لما تمنيت أن أقول الا مثل قول عدي بن زيد •• « أيها الشامت ••• » الأبيات وشعر عدي بن زيد كان مطلب الخلفاء والأمراء والمتأدبين في العصر الأموي وما بعده حتى عصرنا هذا وكان المنفلوطي في قصصه أو وصفه يستخدم قول عدي :

شاده مرمرا وجلله كلسا
فللطير في ذراه وكور

وحسبنا أن الخليفة هشام بن عبد الملك دار في خلده بيت لعدي وهو لا يدري قائله ، والبيت :

فدعوا بالصبوح يوما فجاءت
قينة في يمينها ابريق

فبحث عن راوية يخبره بقائل هذا البيت فدل على حماد الراوية وكان له كارها لانقطاعه الى يزيد بن عبد الملك فأرسل في طلبه من العراق دون أن يفزع ونفقات السفر على الخليفة فلما حضر قال له هشام من قائل : « فدعوا بالصبوح ••• » البيت ؟ فقال له : يقوله عدي بن زيد في قصيدة له • قال : فأنشدنيها ، فأنشده :

بكر العاذلون في وضح الصبح يقولون لي اما تستفيق ؟

الى أن قال :

فدعوا بالصبوح يوما فجاءت
قينة في يمينها ابريق
قدمته على عقار كعين الد
يك صفى سلافها الراووق
ثم كان المزاج ماء سماء
غير ما آجن ولا مطروق

وكان أن أنعم عليه بعشرة بدر وجاريتين ، فاذا عد عدي مع أمية بن أبي الصلت والطرماح والكميت ، واذا عده ابن سلام الجمحي في الطبقة الرابعة فذلك لا ينزل من قدره ، لأن شعره يكتب ويحفظ ويروى ويتمثل به ولو نشأ

فى بيئة الشعر نجـد والحجـاز لأتى بالعجب العجاب ، وقد أطلنا فى الحديث عنه لأن الأمير أراد ذلك ونحن فى خدمة الأمير •

(العرجى الشاعر)

وقال أبو الفرج الأصـــفهانى صـاحب الأغـانى :

أنا أقودكم الى باب آخـر من الحاشـية وسترون منظرا أنيقا ومجلسـا رشيقا فيـه المساجلة وتبادل أطراف الحـديث فى حـذق ولباقة ، فهيا بنا نحو مجلس الخليفة الـواثق بالله •

وهنا صاح ابن السكيت : دعونـا من الواثق وخذوا فى الحديث عن عبد الله بنرواحة رضى الله عنه فحديثه أشهى •

فقال أبو الفرج : أنت يا يعقوب لم تنس ما جرى لك من بنى العباس فسيكون لك ولابن رواحة مجلس آخر •

واختلف الأئمة واختلافهم رحمة ، واستقر الأمر على رأى أبى الفرج ، وقالوا : مـاذا عند الواثق ؟ ودخلوا البـاب (١) فى رغبـة ورهبة ، وهنا قال مولانا الأمير : الحكاية تتصل بقول العرجى :

أظلـوم ان مصـابكم رجـلا
رد السـلام تحية ظلم

غنتـه جـارية بحضرة الـواثق ، فاختلف الحاضرون فى نصب « رجل » ورفعه ، وقـال اليزيدى بالرفـع كما حـكى المغنى وأصرت الجارية على النصب ، وزعمت أنها قرأته على أبى عثمان المازنى (النحوى) كذلك ، فـأمر الواثق باشخاصه من البصرة ، فلما حضر أوجب النصب ، وشرحه بأن « مصـابكم » بمعنى اصابتكم « ورجلا » مفعول له و «ظلم» الخبر ولا يتم المعنى الا به ، واستحسن الجـواب الواثق ثم أمر له بألف دينار ورده مكرما •

ولم يكتف الأمير بما ذكر ، فعرفنا بالواثق بأنه هو أبو جعفر هرون بن محمد المعتصـم ابن هرون الرشيد ــ بويع بالخلافة بعد موت أبيه وسنه ست وثلاثون سـنة ، وكان شجاعا مسرفا فى التمتع بالنسـاء حتى أنه أكـل لذلك لحم الأسد فولد له أمراضا تلف منها ، أديبـا من شعره فى واقعة حال :

حيـاك بالنـرجس والـورد
معتـدل القـامة والقـد
فالهبت عينـاه نـار الجـوى
وزاد فى اللـوعة والوجـد
نكثت بـالملك وصـالا لـه
فصـار ملكى سـبب البعـد
مـولى تشكى الظلـم من عبده
فانصـفوا المولى من العبـد

فأقام خليفة خمس سنين وتسعة أشـهر ومات يوم الأربعاء لست يقين من ذى الحجـة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين • ولما مـات ترك وحده واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل فجـاء جرذ واستل عينيه وأكلهما ، فسبحان العـزيز المتعال الذى بيده الملك لا يزول ولا يـزال ،

(١) البـاب الخامس من الكتاب فى ذكر الجهات التى يدخل الاعتراض على المعرب من وجهتها •

كذا فى تاريخ الاسحاقى .

وخبر أكل الجرز عينيه لم أقرأهما الا فى الحاشية لأنى لم أقرأ تاريخ الاسحاقى .

وابن عبد ربه فى « العقد الفريد » يروى عنه أنه كان مولعا بأكل الباذنجان يطلبه ولا يسأمه . وحكاية أنه أكل لحم الأسد غريبة ، والواثق قيلت فيه حكايات كما قيلت فى جده هرون الرشيد وهو براء منها .

ويهمنا ما جرى منه لأبى عثمان المازنى فقد قدر العلم وفضله ، ونحن فى حاجة اليوم لتشجيع القائمين بدراسة اللغة العربية فى المدارس ، فالضعف ظاهر فيها وقد يصل ذلك الى طلبة الأزهر .

يقول الأمير : فى السيوطى انه قال لأبى عثمان : ألك ولد ؟ فقال : بنية ليس غير . قال : فما قالت حين ودعتها . قال : أنشدت قول الأعشى :

تقول ابنتى حين جد الرحيل
أرانا سواء ومن قد يتم
أبانا فلا رمت من عندنا
فانا بخير اذا لم ترم
أرانا اذا أضمرتك البلاد
نجفى ويقطع منا الرحم

قال الواثق فما قلت لها ؟ قال : قلت ما قال جرير (يمدح عبد الملك بن مروان) :

ثقى بالله ليس له شريك
ومن عند الخليفة بالنجاح

قال : ثق بالنجاح ان شاء الله تعالى . ان ههنا قوما ما يختلفون الى أولادنا فامتحنهم ، فمن كان منهم عالما ينتفع به ألزمناه اياهم ومن كان بغير هذه الصوره قطعناه ، قال أبو عثمان : فجمعوا الى فامتحنتهم فما وجدت طائلا ، فحذروا ناحيتى . فقلت : لا بأس على أحد . فلما رجعت ، قال : كيف رأيتهم ؟ فقلت : يفضل بعضهم بعضا وكل يحتاج اليه ، فقال لى : انى خاطبت منهم أحدا فكان فى نهاية الجهل فى خطابه . فقلت : يا أمير المؤمنين : أكثر من تقوم منهم بهذه الصفة ، ولقد أنشدت فيهم :

ان المعلم لا يزال ضعيفا
ولو اعتلى فوق السماء بلواد
من علم الصبيان أصبوا عقله
حتى بنى الأمراء والخلفاء

وهذا رأى فى معلم الصبيان أكثر منه الجاحظ حتى جعله لا تقبل شهادته ، وان كنا نخالفه لحاجة النشء اليهم .

قالوا لقد حدثتنا عن الجارية وأبى عثمان والواثق ولم تحدثنا عن القائل . وهنا أومأ مولانا الأمير الى ما سجله قبلا فى الجزء الأول فى الكلام عن (كل) قال صاحب المغنى ومن توكيد الفكرة بها قوله :

نلبث حولا كاملا كله
لا نلتقى الا على منهج

قال الأمير : « منهج » أى طريق مارين ، فهو عتاب ، وصدر القصيدة :

عوجى علينا ربة الهودج
انك ان لم تفعلى تحرجى

وهو للعرجى ، وهو عبد الله بن عمرو الامام عثمان بن عفان رضى الله عنه ، يكنو

أبا عمرو وأبا عثمــان (١) توفى ســنة ١٢٠ هـ لقب بالعرجى ، لأنه كان يسكن (عرج الطائف) وقيل : لمال كان له بالعرج ، وكان من شــعراء قريش وممن شهر بالغزل ، ونحا نحو ابن أبى ربيعة مشغوفا باللهو والصيد غــير مبال ، فلم يكن له نباهة فى أهله ، وكان أشقر جميل الوجه من الفرسان المعدودين .

ذكر أن حبشية كانت بمكة ظريفة فلما أتاهم نعى ابن أبى ربيعة اشتد جزعها وجعلت تبكى وتقول : من لنســاء مكــة يصــف حســنهن وجمالهن فقيل لها : خفضى عليك فقد نشأ فتى من ولد فتى يأخذ مأخذه ويســلك مســلكه ، فقالت أنشدونى من شعره فأنشدوها (فقالت : الحمد لله الذى لم يضيع حرمه ومســحت عينيها .

وقيل كانت العرب تفضل قريشا فى كــل شىء الا الشعر ، فلما ظهر فيهم عمر بن أبى ربيعة (المخزومى) والعــرجى (الأمــوى) وعبد الله بن قيس (الرقيــات العــامرى) والحارث بن خالد المخــزومى وأبو دهبــل (الجمحى) أقرت لها العرب بالشعر أيضا .

أخرجه فى الأغانى عن يعقوب بن اسحــاق (السكيت) .

وختم كلامه عن العرجى بنــادرة يعف القلم عن ذكرها .

وما سجله الأمير سجله شارح « الحماسة » لأبى تمام حين روى شعرا للعرجى ، والأمير وشارح الحماسة متماثلان فى تدوين ســيرة الرجل ، ولا أدرى كيف يكون من الفرســان ، المعدودين ثم يكون خاملا فى قومه لا نبــاهة له ، وفى رأيى أن قومه بنى أمية سبب خمــوله فقد آذوه حتى قال :

اضــاعونى وأى فتى أضــاعوا
ليوم كريهــة وســداد ثغــر ؟
كانى لم أكن فيهم وســيطا
ولم تك نسـبتى فى آل عمــرو

وتاريخ أبناء عثمان رضى الله عنه وأحفــاده ملىء بالتنكر لهم سواء على عهد خــلافة بنى أمية أو خلافة بنى العباس الشعر الذى جاء فى المغنى وعلق عليه الأمير له قصة ذكرها المبرد فى الكامل قال :

لقى ابن أبجد عطاء بن رياح وهو يطــوف فقال : اسمع صوتا للفريض ، فقال له عطاء : أفى هذا الموضع ؟ فقال ابن أبجر : ورب هــذه البنية (الكعبة) لتسمعنه خفية أو لأشـــيدن به ، فوقف له ، فتغنى :

عوجى علينــا ربة الهــودج
انك ان لا تفعلى تحــرجى
انى أتيحت لنـــا يمانيــة
احدى بنات الحارث منمذحج
نلبث حـــولا كامــلا كله
لا نلتقــى الا على منهـــج
فى الحج ان حجت وماذا منى
وأهلــه ان هى لم تحجــج

فقال له عطاء : الكثير الطيب ياخبيث .

وهذا يعطينا دليلا ناصعا على منزلة شــعر العرجى ، وأنه مقروء يغنى به ، ويتمثل ببعضه فى المواقف الجليلــة وانتهت جــولة الأدبــاء والشعراء واتفقوا على القيام بجولة أخرى فى موعد يحدد قريبا .

---

(١) جاء فى « شرح الحماسة » هو عبد الله ابن عفان بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس وهو الصحيح .

القرآن الكريم

والتوراة والانجيل والعلم

ـ ١ ـ

« القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم » عنوان لكتاب ألفه الطبيب الفرنسى « موريس بوكاى » Maurice Bucaille أحد الذين عنوا بالدراسات العلمية ومقابلتها بالكتب المقدسة • وقد ترجم الكتاب الى عدة لغات عن النص الفرنسى وقامت دار المعارف بمصر بنشر الترجمة العربية التى بين أيدينا •

والكتاب يهدف ـ كما كتب تحت عنوانه ـ الى دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة •

وقد احتوى على مقدمة تلتها دراسة عن التوراة ، ثم دراسة عن الأناجيل الأربعة ، وشغلت كل من هاتين الدراستين مع المقدمة الى ص ١٣١ • وجاء باقى الكتاب دراسة عن القرآن الكريم والعلم الحديث حتى ص ٢٨٦ ، ومن ثم فان الحديث عن القرآن الكريم وحده قد شغل الجانب الأكبر من الكتاب ، وهو الجانب الذى سوف يكون موضع وقوفنا مع المؤلف فيما عرض له من أفكار ، مع ما قد نجد فى الدراستين الأخريين مما يتصل بالقرآن الكريم •

ـ ٢ ـ

أما المقدمة فان المؤلف يعرض فيها لموقف أصحاب كل دين من بقية الأديان ، من حيث الاعتراف بالرسالة الأخرى ، وفى هذا يذكر أن اليهودية تنكر كل وحى بعدها ، فلا تؤمن بالمسيحية ولا بالاسلام ، أما المسيحية فانها قد اعتمدت التوراة العبرية ، وان كانت قد زادت عليها بعض الاضافات ، لكنها لا تعترف بأى وحى جاء بعد المسيح ، ولذلك فهى تستبعد القرآن •• اما الاسلام وقد جاء بعد المسيح بستة قرون فانه يذكر التوراة والانجيل والقرآن يوصى كل مسلم بالايمان بالكتب

تأليف: موريس بوكاى
عرض وتعليق
أ.د. طه مصطفى أبوكريشة

السابقة ، مؤكدا المكانة البارزة التى يحتلها رسل الله فى تاريخ التنزيل مثل نوح وابراهيم وموسى والأنبياء خاصة المسيح الذى يحتل مكانة بارزة بينهم •

ويعترف المؤلف بأن كثيرا من المعارف التى جاء بها القرآن الكريم عن التوراة والانجيل وسائر الرسالات السابقة ، مجهولة عموما فى البلاد الغربية ، ومرد ذلك الى الطريقة التى اتبعت فى تثقيف الأجيال الكثيرة فيما يتعلق بالقضايا الدينية لدى الانسان ، حيث فرض عليهم الجهل فى كل ما يمس الاسلام •

ومن أمثلة المعارف الخاطئة التى تكونت نتيجة لهذا الجهل المفروض اطلاق الغربيين على الاسلام اسم « الدين المحمدى » ، وعلى المسلمين اسم « المحمديون » وذلك حتى تظل النفوس مقتنعة بذلك الرأى الخاطىء بأن معتقدات الاسلام هى معتقدات انتشرت بفضل جهاد رجل ، وليست وحيا من عند الله •

كذلك يسجل المؤلف مظهرا من مظاهر العصبية الموجودة لدى بعض الأوساط المسيحية ، وهو ما يتمثل فى احتقار المسلمين ، وعدم التسليم بقبول اجراء أى حوار حول عدد من الأخبار المذكورة فى القرآن والتوراة معا فى موضوع واحد ، كان الرجوع فى ذلك الى القرآن يعنى الاعتماد على الشيطان •

ومع هذا فان المؤلف يشير الى بعض المحاولات التى بذلت من قبل جهات معينة فى الغرب لتصحيح الأفكار الخاصة عن الاسلام ، ولتخفيف حد التعصب التى بنيت على مفاهيم مغلوطة لا شك فيها •

ويتوقف المؤلف عند توثيق النصوص الخاصة بكتب كل من الأديان الثلاثة ، وفى هذا المجال يذكر أن هناك فرقا جوهريا بين المسيحية والاسلام فيما يتعلق بالكتب المقدسة ، مشيرا الى فقدان نصوص الوحى الثابت لدى المسيحية فى حين أن الاسلام لديه القرآن الذى هو وحى منزل وثابت معا •

فالقرآن هو الوحى الذى أنزل على محمد — صلى الله عليه وسلم — عن طريق جبريل ، وقد كتب فور نزوله ، ويحفظه ويستظهره المؤمنون عند الصلاة وخاصة فى شهر رمضان ، وقد رتب فى سور بأمر من محمد — صلى الله عليه وسلم — ، وجمعت هذه السور بعد وفاة النبى عليه الصلاة السلام وفى خلافة عثمان رضى الله عنه ، ذلك لتصبح النص الذى نعرفه اليوم •

أما الكتاب المسيحى المقدس فان المؤلف يذكر أنه يختلف بشكل بين عما حدث فى الاسلام ، فالانجيل يعتمد على شهادات

بشرية متعددة ، وغير مبــاشرة ، ولا توجد شهادة لشــاهد عيان لحياة عيسى عليه الصلاة والسلام ، وهذا خلافا لما يتصوره كثـير من لمسيحيين ، كذلك يذكر أن الكنيسة قد حسمت منذ قرونها الأولى وبشكل نهائى بين الأناجيل المتعددة وأعلنت رسمية أربعة منها فقط برغم التناقضات العديدة فيما بين هذه الأناجيــل فى كثير من النقاط ٠

أما عن النظر فى الكتب المقدسة ، ومقــابلة نصوصها بحقائق العلوم الحديثة فان المؤلف يسجل أن النتائج التى انتهت اليهــا هــذه الدراسة أثبتت أن القرآن الكريم يثير وقــائع ذات صفة علمية ، وهى وقائع كثيرة جدا خلافا لقلتها فى التوراة ، اذ ليس هنــاك أى وجــه للمقارنة بين القليل جدا لما أثارته التوراة من الأمور ذات الصفة العلمية ، وبين تعدد وكثرة الموضوعات ذات السمة العلمية فى القــرآن ، وأنه لا يتناقض موضوع ما من مواضيع القرآن العلمية مع وجهة النظر العلمية ٠

ويقدم المؤلف هنا توضيحا لما يقصده بحقائق العلم ، اذ يؤكد أننا عندما نتحدث عن حقائق العلم فاننا نعنى بها كل ما ثبت منها بشــكل نهائى ، مع استبعاد كل نظريات الشرح التى قد تفيد فى عصر ما لشرح ظاهرة ، ولكنها قــد تلغى بعد ذلك تاركة المكان لنظريات أخــرى أكثر ملاءمة للتطور العلمى ٠

كذلك فانه يحدد اطار دراسته ، اذ يخصه بالظاهرات الطبيعية المتنــوعة الكثيرة ، دون محاولة الاقتراب من القضايا ذات الصــبغة الدينية البحتة ٠

وفيما يخص التوراة والانجيل والحقــائق العلمية ، فانه يذكر أنه من خلال دراســة موضوعية لسفر التكوين وجد مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا فى عصرنا ٠

كذلك وجد الأمر فيما يتصل بالاناجيل ٠

وهنا يشير الى أن هذه الأمور المتناقضة تقــع المسئولية فيها على البشر ، اذ لا يستطيع أحد أن يقول :

كيف كانت النصوص الأصلية ؟

وما نصيب الخيــال والهــوى فى عمليــة تحريرها ؟ ٠

أو ما نصيب التحريف المقصــود من قبــل كتبة هذه النصوص ؟ ٠

أو ما نصيب التعديلات غير الواعية التى أدخلت على الكتب المقدسة ؟ ٠

وذلك أمر يتجاهله المتخصصون فى دراســة النصوص ٠

ويخلص المؤلف فى مقدمته الى الاشــارة الى عناية الاسلام بالعلم حيث اعتبر دائما أن الدين والعلم توأمان متلازمان ، فمنذ البــدء كانت العناية بالعلم جزءا لا يتجزأ من الواجبات التى أمر بها الاسلام ، وأن تطبيق هذا الأمر أدى الى ذلك الازدهار العظيم للعلوم فى عصر الحضارة الاسلامية ، التى اقتات منها الغرب نفسه قبل عصر النهضة فى أوربا ٠

ــ ٣ ــ

ونعبر حديث المؤلف التفصيلى عن التوراة والانجيل بعد المقــدمة لنعرض حــديثه عن القرآن والعلم الحديث اذ أن هذا هــو الذى

قصدنا اليه من البداية وهو ما يعنينا فى المقام الأول .

يبدأ المؤلف حديثه عن ذلك بافتتاحية يقدم فيها لمحة عن الاسلام الذى طالما أسىء فهمه فى بلاد الغرب نتيجة للجهل حينا وللتسفيه العامد حينا آخر ، ذلك الذى يقدم الواقع بشكل ينافى الحقيقة ، وهو أمر يصيب الانسان بالذهول خاصة عندما يقرأ فى أكثر المؤلفات جدية أكاذيب صارخة من مؤلفين مشهود لهم بأنهم مؤلفون أكفاء .

ومن أمثلة التشويه المتعمد عند هؤلاء المؤلفين ما ذكروه عن القرآن حين اعتبروه سيرة ذاتية !!

ويرد المؤلف على هذا التضليل بقوله : « لا صلة بين القرآن وبين ما يسمى بالسيرة الذاتية ، ولو كان القائل بذلك قد استعان حتى بأسوأ ترجمة للقرآن لثبت له أن القرآن رسالة .. ان نشر أكاذيب من هذا النوع يساهم فى اعطاء صورة زائفة عن القرآن والاسلام » (١٣٦) .

ومما قدمه المؤلف فى التعريف بالاسلام موقفه من العلم .

فموقفه موقف فريد بين أتباع الأديان ، اذ أن هناك من العلماء من لاقوا متاعب جمة من السلطات الدينية لبعض الأديان ، وقد اتخذت هذه السلطات ضد هؤلاء العلماء اجراءات متشددة ، أدت ببعضهم الى المنفى تلافيا للموت حرقا ، أو الى طلب المغفرة بتعديل مواقفهم وبالتماس العفو .

أما فى الاسلام فقد كان الموقف مختلفا ، اذ ليس هناك أوضح من الحديث الشهير للنبى — صلى الله عليه وسلم — الذى يقول ان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة (١) .

والقرآن الكريم يدعو الى المواظبة على الاشتغال بالعلم .

وفوق هذا فانه يحتوى على تأملات عديدة خاصة بالظاهرات الطبيعية ، وبتفاصيل توضيحية تتفق تماما مع معطيات العلم الحديث ، وليس هناك ما يعادل ذلك فى التوراة والانجيل .

وفى مجال الواقع التطبيقى يذكر المؤلف أنه فى عصر عظمة الدولة الاسلامية فيما بين القرن الثامن والقرن الثانى عشر الميلادى أنجزت كمية عظيمة من الأبحاث والمكتشفات بالجامعات الاسلامية ، حيث كان الباحث بهذه الجامعات يجد وسائل ثقافية عظيمة ، ومن شواهد ذلك ما كان فى قرطبة من نشاط علمى عظيم أدى الى أن يسافر اليها كثير من طلاب العلم من مختلف بلاد أوربا مثلما يحدث فى عصرنا من السفر الى الولايات المتحدة لتحسين وتكميل بعض الدراسات .

ثم يعقب المؤلف ما عرضه من أوجه النشاط العلمى بقوله :

« كم هى كثيرة تلك المخطوطات القديمة التى وصلت الينا بواسطة الأدباء العرب ، ناقلة بذلك الثقافة الى البلاد المفتوحة . ولكم نحن مدينون للثقافة العربية فى الرياضيات وعلم الفلك والبصريات والجيولوجيا وعلم النباتات والطب .

(١) كذا .. ولم يقع لنا فى الصحيح زيادة « ومسلمة » مجلة الازهر .

القـــرآن الـكـــريـــم

لقد اتخذ العلم لأول مرة صـــفة عالميـــة فى جامعات العصر الوسيط الاســـلامية ، فى ذلك العصر كان الناس أكثر تأثرا بالروح الدينيـــة مما هم عليه فى عصرنا ، ولكن ذلك لم يمنعهم من أن يكونوا فى آن واحد مؤمنين وعلماء . كان العلم الأخ التوأم للدين » (١٤١) .

أما العالم المسيحى فى تلك الفترة من القرون الوسطى فقد كان فى ركود وتزمت مطلـــق ، حيث توقف البحث العلمى بأيدى هؤلاء الذين كانوا يدعون أنهم خدام التوراة والانجيـــل .

وفى هذه الافتتاحية يتعـــرض المـــؤلف للأفكار الخاطئة عن الاسلام لدى الغـــرب ، ويذكر الأسباب التى أدت اليهـــا ، ويتـــوقف فيها عند دور الترجمات المغلـــوطة للقـــرآن الكريم ، مشيرا الى أن هناك أجزاء من القرآن وخاصة ما كان مرتبطا بمعطيات العلم ، قـــد ترجم بشكل سيىء ، أو علق عليها بحيث يكون من حق العالم أن يوجه انتقادات لا يستحقهـــا القرآن فى الواقع ، ثم يتساءل عن الســـبب فى أخطاء تلك التراجم ، ويجيب بأنها ترجع الى أن المترجمين المحدثين يستعطون فى أحيـــان كثيرة ودون روح نقـــدية تفســـيرات لمعلقين قدامى ، لم يستطيعوا فى عصرهم أن يعطـــوا المعنى الفعلى للكلمة أو للجملـــة ، فهنـــاك من المعانى ما لم يظهر الا فى أيامنا بفضل معارفنا العلمية .

ويسجل المؤلف تجربته الخاصـــة مـــع القرآن الكريم فيمايتصل بالجانب العلمى ، ويذكر أن دهشته كانت عميقة لما اكتشـــفه فى القـــرآن الكريم من الجوانب العلمية ، اذ لم يعتقد قط أنه من الامكا ناكتشاف عدد كبير الى هـــذا الحد من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقة تماما للمعارف الحديثة ، وذلك فى نص كتاب منذ أكثر من ثلاثة عشر قانا . كما يذكر أنه قد درس هذه النصـــوص القرآنيـــة بروح متحررة من كل حكم مسبق وبموضوعية تامة ، وقد أذهلته دقة بعض التفاصيل الخاصة بالظواهر الكونية ، من حيث مطابقتها للمفاهيم المعروفة عن نفس هذه الظواهر اليوم ، والتى لم يكن ممكنا لأى انسان فى عصر محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أن يكون عنها أدنى فكـــرة ، وهنا يخرج المؤلف بتساؤل يقرر فيه حقيقـــة مصدر القرآن الكريم :

« لوكان كاتب القرآن انسانا ، كيف استطاع فى القرن السابع من العصر المســـيحى أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع المعارف العلميـــة الحديثة ؟ ليس هناك أى مجال للشـــك ، فنص القرآن الذى بين أيدينا اليوم هو نفس النص الأول ... واذن فليس هناك سبب خاص يدعو للاعتقاد بأن أحد سكان شبه الجزيرة العربية استطاع أن يملك ثقافة علمية تســـبق بحوالى عشرة قرون ثقافتنا العلمية فيما يخص بعض المعلومات » (١٤٥) .

ويدفع المؤلف تلك الشبهة التى تثار والتى سجلها القرآن الكريم ، وهى أن يكون محمـــد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قـــد استلهم الكتب السابقة وفى سبيل دفعها يقول .

« ان اليهـــود والمســـيحيين والملحدين فى الغرب يجمعون على الزعم ـــ وذلك دون أدنى

دليل — بأن محمداً — صلى الله عليه وسلم — كتب أو استكتب القرآن محاكيا التوراة ،

ويزعم البعض أن هناك أقوالا قرآنية فى التاريخ الدينى تعيد أقوال التوراة والانجيل ، فمثل هذا الموقف لا يقل استخفافا عن ذلك الذى يقود الى القول بأن المسيح أيضا قد استلهم العهد القديم فى أثناء تبشيره ، فكل انجيل متى يعتمد على تلك الاستمرارية مع العهد القديم ، فمن ذا الذى تعن له فكرة أن ينزع عن المسيح صفته كرسول لله لنفس السبب ؟ ، ومع ذلك فهكذا يحكم فى الغرب على محمد — صلى الله عليه وسلم — فى غالب الاحيان يزعمون أنه لم يفعل أكثر من أن نقل التوراة والانجيل !!

ومن الغريب أنهم حين يزعمون ذلك ينسون أو يتناسون أن هناك اختلافا فى الروايات عن نفس الحدث الواحد ، ثم ينكرون أنها متماثلة مؤكدين ما يذهبون اليه من شبهة النقل » (١٤٩) .

ويعود المؤلف بعد ذلك ليؤكد صحة القرآن التى لا تقبل الجدل ، مما يعطيه مكانة خاصة بين كتب التنزيل .

ولايشترك مع القرآن فى هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد .

فالعهد القديم تعدد كتاب روايته بالاضافة الى تعدد المراجعات .

وأما فيما يخص الاناجيل فلا يستطيع أن يجزم بأنها تحتوى دائما على رواية أمينة لرسالة المسيح أو على رواية تامة لأعماله تتفق بدقة تامة مع الواقع ، وزيادة على ذلك فكتاب هذه النصوص ليسوا شهود عيان .

ويختلف الامر بالنسبة للقرآن ففور تنزيله أولا بأول ، كان النبى — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه يحفظونه عن ظهر قلب ، وكان الكتبة من صحبه يدونونه ، واذن فالقرآن يتمتع منذ البداية بعنصرى الصحة هذين اللذين لا تتمتع بهما الاناجيل .

ويتتبع المؤلف النصوص التى تؤكد تدوين القرآن الكريم ومراجعته ، كذلك يتتبع المراحل التى ، انتهت بجمع القرآن الكريم فى مصحف واحد على النحو الذى بقى عليه الى اليوم ونظامه هو النظام الذى اتبعه النبى — صلى الله عليه وسلم — فى تلاوته الكاملة له أيام شهر رمضان .

— ٤ —

ويأخذ المؤلف بعد ذلك فى عرض الظواهر الكونية التى عرض لها القرآن الكريم مقارنا فى بعضها بين مايأتى فى القرآن الكريم وماجاء فى التوراة ومن ذلك خلق السموات والارض ومراحل الخلق ، ويستعرض فى سبيل ذلك كثيرا من الآيات القرآنية التى يعقب عليها فى نهاية العرض بأنها تعلمنا — فيما يتعلق بالخلق وجود ست مراحل للخلق عموما ، وتداخل مراحل خلق السماوات مع مراحل خلق الارض ، وان الكون خلق ابتداء من كومه أولية فريدة كانت تشكل كتلة متماسكة ، هذا مع تعدد السماوات وتعدد الكواكب التى تشبه الارض ، ووجود خلق وسيط بين السماوات والأرض .

ثم يأخذ فى سرد ما وصلت اليه مكتشفات العلم الحديث سواء ما كان منها على جهة

اليقين أو على جهة الحدس والتخمين ، وينتهى من ذلك الى تأكيد أنه لا يوجد على أى حال أقل تعارض بين المعطيات الخاصـــة بالخلق وبين المعارف الحديثة عن تكوين الكون ، وذلك أمـر يستحق الالتفات اليه فيما يخص القـرآن على حين قد ظهر بجلاء أن نص العهد القديم الذى بين أيدينا اليوم قد أعطى هذه الأحداث معلومات غير مقبولة من وجهة النظر العلميـة •• ومثل هذا الاختلاف بين رواية التوراة وبين المعطيات القرآنية عن الخلق جـدير بالتنـويه أمام الاتهامات التى تقول ان محمـدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد نقل روايات التوراة ، وهى اتهامات لا تتمتع بأى أساس ، فالقرآن يعطى عن الخلق رواية تختلف تماما عن رواية التوراة •

ــ ٥ ــ

وينتقل الكتاب من تلك البداية السـابقة الى العرض المستفيض للآيات القرآنية التى تدعو الى التأمل فى خلق السموات والأرض •

(أ) فمن ذلك التأملات العامة فى السماء ، فى مثل قوله تعالى « **أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ** » (ق ٦) وقوله تعالى « **وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ** » (الحج ٦٥) ويعقب على هذه الآية بقوله « كلما تباعدت الاجرام وهنت قوة جذب كل منها للأخـرى ، وكلمـا تقاربت كان لكل منها تأثير على الاخرى ، وتلك حالة القمر ، فهو لقربه من الارض يؤثر بقوة الجاذبية على موقع الماء فى البحار ومن هنـا تجىء ظاهرة المد والجـزر ، وان التقـارب الشديد بين جرمين سماويين يؤدى لا محالة الى اصطدامها ، ومن ثم فالقرآن كثيرا مايذكر خضوع السماوات لأمر الله • (١٧٦) •

(ب) ويتوقف عند الآيات الخاصة بالشمس والقمر والتى تفرق بين طبيعة كل منهما ، ومن ذلك قول الله تعالى « **أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا • وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا** » (نوح ١٥ ــ ١٦) •

ويعقب على وصف كل منهما بالصفة المذكورة بقـوله « المعـروف أن الشـمس نجم ينتج باحتراقه الداخلى حرارة شديدة وضوءا ، على حين أن القمر ليس مضيئا بذاتـه ، بـل هـو يعكس الضوء الذى يستقبله من الشمس ، كما أنه كوكب خامل •• واذن لا شىء فى القـرآن يناقض كـل ما تعـرف عن هـذين الجرمين السماويين » (١٨٠) •

(جـ) أما النجوم فان القرآن الكريم يصفها بكلمة « ثاقب » فى قول الله تعالى « **وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ • وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ • النَّجْمُ الثَّاقِبُ** » (الطارق ١ ــ ٢ ــ ٣) وهو وصـف يدل على ما يلتهب ويحترق وينفذ عبر شىء وهو ظلمات الليل (١٨٠) •

(د) والكواكب ليست منيرة بذاتها ، انهـا تدور حول الشمس وأرضنا جزء منها ، وتعريف الكوكب يمكن أن يؤخذ من دلالة الآية الكريمة « **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ** » (النـور ٣٥) فالمقصـود هنا فعلا سقوط ضوء على جسـم

يعكسه الزجاج ، ويعطيه بريق الـدر ، مثل الكوكب الـذى تضيئه الشمس ، وذلك هـو التفصيل الوحيد الخاص بكلمة الكوكب ، والذى يمكن أن نجده فى القرآن (١٨١) .

(هـ) وعن النظام الشمسى يذكر المؤلف أن هناك آيتين فى غاية الأهمية ، تخصان مـدارى الشمس والقمر وهما قوله تعالى « **وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** (الانبياء ٣٣) .

وقوله تعالى « **لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** » (يس ٤٠) .

فالقرآن يذكر بوضوح أمرا جوهريا وهـو وجود مدار لكل من الشمس والقمر كما يشير الى تنقل هذين الجرمين فى الفضاء كل بحركة خاصة ويذكر المؤلف أن كلمة فلك قـد حيرت المفسرين القـدامى فى المـراد بمعنـاها وذلك يوضح الى أى حد كان الناس عـاجزين عن تمثل فكرة المدار الشمسى والمدار القمرى وعلى هذا نرى أن القرآن الكريم قد قـدم فى عصر نزوله مفهوما جديدا لم يتضح تمـام الوضوح الا بعد قرون عدة (١٨٤) .

(و) وفى ظاهرة تعاقب الليل والنهار يذكر المؤلف من الآيات قوله الله تعـالى : « **يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً** » (الأعـراف ٥٤) وقوله تعالى : « **وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ** » (يس ٣٧) .

وقوله تعالى : « **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ** » (لقمان ٢٩) .

وقوله تعالى « **يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ** » (الزمر ٥) ويتوقف عنـد هاتين الآيتين الأخـيرتين بالتعليـق فيقـول « القرآن يصف بشكل كامل هذه الدورة التى لا تكف أبدا للنهار والليل وهى اليوم يسـيرة على الادراك الانسانى ، فنحن نملك اليـوم خبرة فكرية عن الثبوت النسبى للشمس التى هى مضيئة دائما ، وعن دوران الأرض ، هذه العملية الدائمة فى التكور مع الولوج المستمر لقطاع فى آخر ، يعبر القرآن عنهـا وكـأن اكتشاف استدارة الأرض كان قد تم فى عصر تنزيل القرآن وبالطبع لم يكن هذا قد حـدث بعد ١٨٩ .

(ز) وتحت عنوان « تطور العالم السماوى يقف المؤلف عند قول الله تعالى : « **وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** » (يس ٣٨) وقـوله تعـالى « **وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى** » (الرعد ٢) وقد تكرر ذلك فى آيـات كثيرة ، ويعقب المؤلف بأن القرآن هنا يعطى حدا لتطور الشمس ومكانا لوصولها وهو يحدد أيضا نهاية شوط القمر ، ثم يتساءل : كيف تبدو المقابلة بين ما أثبته القـرآن وبين المعطيـات التى أقـرها العلم الحـديث ؟ ويجيب بـأن المعطيات الحديثة تسمح بالتنبؤ بأنه بعد عدة مليارات من السنوات لن تكون ظروف النظـام الشمسى على ما هى عليه اليوم ، قياسـا على التحولات الماضية التى حـدثت فى تكـوين

الشمس . وكما حدث بالنسبة لنجوم أخرى سجلت تحولاتها حتى المرحلة الأخيرة فانه يمكن توقع نهاية للشمس .

وفيما يتصل بكون «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا» يذكر المؤلف أن علم الفلك الحديث يحدد بشكل كامل هذا المكان ، بل لقد أعطاه اسم « مستقر الشمس » . Apex Solair

والواقع أن النظام الشمسى يتحرك فى الفضاء نحو نقطة فى فلك ، وقد أمكن تحديد سرعة هذه الحركة وهى تقريبا ١٩ كم ثانية . ان تلك الآيتين تتطابقان تماما فيما يتضح مع المعطيات العلمية الحديثة . (١٩٢) .

(ح) وعن توسعات الكون يورد المؤلف قول الله تعالى « وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ » (الذاريات ٤٧) مرجحا احتمال تفسير التوسعة بما وصل اليه العلم الحديث من خلال دراسات طيف المجرات ، حيث لوحظ الانتقال المنهجى نحو اللون الأحمر من الطيف ، وهذا يجد تعليلا له فى تنحى المجرات كل عن الأخرى ، وعلى ذلك فامتداد الكون لا يكف عن الكبر ، وهذا الاتساع على أهمية كبرى خاصة وأن المجرات تبتعد عنا .

(ط) وعند قول الله تعالى « يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ » الرحمن ٣٣ .

وقوله تعالى « وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ » (الحجر ١٤ — ١٩) يشير المؤلف الى ما تم من انجازات فى غزو الفضاء نتيجة للتقدم العلمى الذى حول الأحلام الى حقائق .. وفيما يتصل بالآية الأولى فان المؤلف يذكر أن هذه الآية تشير الى امكانية البشر ذات يوم بأن يحققوا ما نسميه فى عصرنا — ربما بشكل غير محدد — بغزو الفضاء ، مع ملاحظة أن النص القرآنى لا يتنبأ فقط بالنفاذ عبر السموات فقط ، وانما يتحدث أيضا عن النفاذ عبر مناطق الأرض حيث استكشاف الأعماق .

أما آيتا الحجر فانهما تشيران الى حدث لن يشهده من كفر بمكة ، ولكن هناك آخرين سيعيشون هذا الحدث ، كما تبين الآية الثانية منها وصف رد الفعل الانسانى أمام المشهد غير المنتظر الذى سيوهب لمسافرى الفضاء نظرات مضطربة وشعور بالانسحار ، وهو ما عاشه تماما رواد الفضاء فى تلك المغامرة الخارقة منذ عام ١٩٦١ ، فالمعروف أننا عندما نكون خارج طبقة الجو المحيطة بالأرض لا تبدو السماء مطلقا فى صورتها اللازوردية الموهوبة لسكان الأرض ، انما تبدو السماء سوداء ، بينما تكون الأرض محاطة بهالة لونية زرقاوية بسبب ظاهرات الامتصاص الضوئى ، وهنا يكون المشهد الذى يراه الانسان فى الفضاء مشهدا جديدا تماما .

وأمام هذا الاعجاز يعقب المؤلف بقوله « وهنا عندما نقابل نص القرآن بالمعطيات العلمية الحديثة ، كيف لا ننبهر بتلك التحديدات الدقيقة التى لا يمكن افتراض أنها صدرت عن فكر انسان عاش منذ أربعة عشر قرنا

تقريبا » (١٩٥) .

— ٥ —

هذا عن آيات الله فى السماء كما عبر عنها القرآن الكريم ، أما الآيات الكونية فى الأرض فان للمؤلف وقفات أخرى عند الآيات القرآنية التى عبرت عنها ومن ذلك :

(أ) تلك الآيات التى تتحدث عن الأرض بصفة عامة من حيث خلقها صالحة لمعيشة الانسان عليها ، من ذلك قوله تعالى « **وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ . وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ . وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ** » (الحجر ١٩ — ٢٠ — ٢١) وقوله تعالى « **الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى . كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِى النُّهَىٰ** » طـه ٥٣ ، ٥٤) وغير ذلك من الآيات التى ترددت فى القرآن الكريم ، ويقف المؤلف عند دلالة تكرار ذكر الماء ، ويذكر أنه يصرف النظر عن الفائدة الجغرافية التى تجعل خصوبة التربة مترتبة على وجود الماء ، فان الآيات تبرز ثراء الكوكب بالماء ، وتلك ميزة فريدة فى النظام الشمسى على حسب أحسن معطيات المعارف الحديثة ثبوتا ، فلولا الماء لكانت الأرض كوكبا ميتا مثل القمر (١٩٨) .

(ب) وعن دورة الماء والبحار يورد المؤلف قول الله تعالى « **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ** » (الحجر ٢٢) وقوله تعالى « **وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ، فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، كَذَٰلِكَ النُّشُورُ** » (فاطر ٩) .

هذا الى جانب حشد كبير من الآيات القرآنية فى نفس المعنى ، وتصديرا لهذه الآيات يذكر المؤلف أننا فى عصرنا عندما نقرأ المرة بعد الأخرى الآيات القرآنية الخاصة بدور المياه فى حياة الانسان ، فانها تبدو لنا معبرة عن أفكار واضحة تماما ، بسبب أننا عرفنا كيف تتم دورة المياه فى الطبيعة أما اذا أخذنا فى اعتبارنا ما كان عليه مختلف المفاهيم القديمة فى هذا الموضوع فاننا ندرك أن المعطيات القرآنية لا تحتوى على عناصر نابعة من المفاهيم الأسطورية التى كانت سائدة فى ذلك العصر ، والتى كان للتفكير النظرى فيها دور أكبر من معطيات الملاحظة (١٩٨) .

(جـ) وعن البحار يذكر المؤلف قول الله تعالى « **وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ** » (ابراهيم ٣٢) .

وقوله تعالى « **وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا** » (الفرقان ٥٣) كما يذكر آيات أخرى ، وفيها يقول ما قاله فيما يخص الماء من أنه ليس هناك جملة قرآنية واحدة عائدة على البحار تدعو الى المقابلة مع المعطيات العلمية بحصر المعنى ،

ومع ذلك فلا يقلل هـذا من ضرورة التأكيد على أنه ليس فى القرآن أية جملة عن البحار تحتوى على مرجع الى معتقدات أو أساطير أو خرافات كانت سائدة فى عصره (٢٠٤)

(د) وعن تضاريس الأرض ومكوناتها يورد المؤلف قول الله تعالى « وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا » (نوح ١٩ — ٢٠) وقوله تعالى « وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ » (الذاريات ٤٨)

وقوله تعالى « أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا . وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً » (النبأ ٦ — ٧) • ويعقب على هذه الآية بقوله « يصف علماء الجيولوجيا الحديثون تعرجات الأرض بأنها تثبت الأجزاء البارزة التى تتنوع أبعادها ، ومن ظاهرة التعرج هذه ينتج ثبات القشرة الأرضية •• أما الطريقة التى خلقت بها الجبال فانها موائمة للثبات ، وذلك يتفق تماما مع معطيات علم الجيولوجيا •

(هـ) وعن الظواهر الجوية المحيطة بالأرض ، يتحدث المؤلف عن اختلاف الضغط الجوى فى مجال الآية الكريمة « فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ » (الأنعام ١٢٥) وعن الكهرباء ونتائجها من الصواعق والبرد فى مجال قوله تعالى « هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ • وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ » (الرعد ١٢ — ١٣)

وكذلك يتحدث عن ظاهرة الظل وانتقاله مع قوله تعالى « أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً • ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا » (الفرقان ٤٥ — ٤٦) • وفى بداية حديث المؤلف عن كل ذلك يؤكد أن المقابلة بمعطيات العلم الحديث لا توجد تناقضا بين ما يقول القرآن الكريم وبين المعارف الحديثة التى نملكها اليوم عن الظاهرات المذكورة •

(و) ولم يغفل المؤلف الحديث عن عالم النبات والحيوان من خلال الآيات القرآنية التى أورد كثيرا من نصوصها ، وفيما يتصل بأصل الحياة يذكر قول الله تعالى « وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى » (طه ٥٣) •

وقوله تعالى « والله خلق كل دابة من ماء » (النور ٤٥) ، وفيما يتعلق بالحديث عن النبات يستشهد فيما يستشهد بقوله تعالى « وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا ، فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ • وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ • رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ

الْخُرُوجُ » (ق ٩ ــ ١٠ ــ ١١) كما يذكر الآيات التى تشير الى تنوع المأكل والى تناسل النبات ، ومن ذلك قوله تعالى « فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ » (لقمان ١٠) وقوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى » الأنعام ٩٥ •• وكل ذلك يؤكد فيه المؤلف من خلال المقابلة مع المعارف الحديثة بأنه لا يجد فى القرآن تنافرا مع علم اليوم (٢١٦) •

(ز) ومع عالم الحيوان يقف يتحدث المؤلف عند التناسل فى عالم الحيوان مع قوله تعالى « وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى، مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى » (النجم ٤٥ ــ ٤٦) •

وعند تسجيل القرآن الكريم وجود الجماعات الحيوانية من خلال قوله تعالى « وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ، مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ » (الأنعام ٣٨) •

وهنا يقف فى تأمل خاص عند حديث القرآن الكريم عن النحل فى قوله تعالى « وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ، ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (النحل ٦٨ ــ ٦٩) •

كما يقف عند أصول مكونات لبن الحيوان من خلال قوله تعالى « وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ » (النحل ٦٦) •

(ح) ويختم المؤلف حديثه عن آيات الله فى الارض كما عبر عنها القرآن الكريم بحديث مطول عن التناسل الانسانى ، ومن الجوانب التى تحدث عنها القرآن تمام الاخصاب بفضل كمية من سائل ضئيلة جدا ، والى هذا تشير الآية الكريمة « خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ » (النحل ٤) • ومنها الاشارة الى طبيعة هذا السائل المخصب ، فهو أمشاج مخاليط « إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ » (الانسان ٢) ومنها الاشارة الى مكان البويضة المخصبة « وَنُقِرُّ فِى الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى » (الحج ٥) مع بيان تطور الجنين فى الرحم ، فى قوله تعالى « ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا » (المؤمنون ١٤) •

القـــرآن الــكــريــم

ويعقب المؤلف بعد هذا العرض بقوله « وبناء على كل هذه فالمقولات الخاصـــة بالتناســـل ، والتوجيهات العملية التى يصوغها القرآن فيما يختص بحياة الازواج الجنسية ، تلاحظ أنـــه ليس هناك أى مقولة من المقولات التى سقناها تتعارض مع معطيات المعارف الحديثة ، ولامع ما يمكن أن يخرج منطقيا عنها » (٢٣٧) .

— ٦ —

ويختم المؤلف كتابه بحديثين قارن فى أولهما بين القرآن الكريم وبين التوراة فيما ورد فيهما عن الطوفان وخروج موسى مـــن مصر . أمـــا الحديث الثانى فكان عن الاحاديث النبوية وما جاء فى بعضها عن بعض ظواهر العلم خاصة فى مجال الطب وهذان الموضوعان خارج الدائرة التى قصدنا الوقوف عندها فى هذا الكتاب وبعد هذين الامرين ينتهى حديث المؤلف الذى ختمه بقوله « لا يستطيع الانسان تصور أن كثيرا من المقولات ذات السمة العلمية ، كانت من تأليف بشر وهذا بسبب حالة المعارف فى عصر محمد — صلى الله عليه وسلم — لذا فمن المشروع تماما أن ينظر الى القرآن الكريم على انه تعبير الوحى من الله ، وأن تعطى له مكانة خاصة جدا، حيث ان صحته أمر لا يمكن الشك فيه ، وحيث ان احتواءه على المعطيات العلمية المدروسة فى عصرنا تبدو كأنها تتحدى أى تفسير وضعى » (٢٨٦) .

— ٧ —

وبعد . فان هذا الكتاب فيه بلاغ لطائفتين من الناس :

الطائفة الاولى : أولئك الـــذين حـــاربوا الاسلام طويلا عن حقد أعمى وتعصب ممقوت، وليس عن دراسة موضوعية محـــايدة لتعاليم الاسلام ، ذلك لانهم قاموا بمثل هذه الدراسة لاهتدوا الى مثل مااهتدى اليه هـــذا العـــالم الطبيب الذى نستشـــعر فى كتابته الايمـــان والخشوع الظاهرين ، فى حماس يعززه الوعى العلمى الصادق والفهم الثاقب ، فلعل ظهـــور هذا الكتاب فى لغته وفى اللغـــات الاخرى التى ترجم اليها فى الغرب ما يكون معينا لأولئـــك المعرضين الصادين عن سبيل الله لكى يعيدوا النظر فيما يعتقدون ، وبالتالى لا يجدون حرجا حين يسرعون الى الدخول فى دين الله أفواجا .

أما الطائفة الثانية : فهم أولئك الشاردون التائهون من أبناء أمتنا ، العازفون عن كتاب الله حتى أصبحوا غرباء عنه ، ولا نستثنى من ذلك العلماء فى مجال المادة ، ان هذه الطائفة تمثل جانبا كبيرا من أبناء الاسلام فقدوا الحماس لدينهم حين فقدوا الاتصال بكتاب ربهم ففقدوا بذلك التأمل فى آياته وفى آيات الكون .

ترى هل نقول لهؤلاء الذين يفتحون آذانهم لكل فكر مستورد ، هيا افتحوها الآن مـــع شهادة قادمة من الغرب ولكن مع قلوب خاشعة وعقول متدبرة واعية ، ونية صادقة فى الايمان بكتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

« إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَـــهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ » (ق ٣٧)

د . طه مصطفى أبو كريشة

مع "دليل المسلم"

ما هكذا نتورد يا سعد الإبل

للأستاذ عبد الظاهر عبد الكريم

عندما تناولت « دليل المسلم الحزين ، الى مقتضى السلوك فى القرن العشرين .. منيت نفسى بمغنم علمى دينى ، بايحاء عنوانه الطويل المسجوع ، لكنى — بعد قراءته — لم أظفر من ذلك بشىء ، ولو أن للعقل أثرا فى أمورنا العلمية والثقافية ، وسلطانا فى حياتنا الدينية والاجتماعية لما تحقق لهذا الكتاب النشر وهو على هذه الصورة ، فان النصوص التى فيه تحتاج — فى الأعم — الى توثيق باسنادها الى مصادرها التى أخذت منها ، ودعك من النظر فى صدقها وكذبها ، أو ضعفها وقوتها .

وغالبا لا توضع أمام القارىء ليأخذ منها عقله ما يتقبله أو يرتضيه ، وانما تحاط بتأويل ماكر جىء به عن عمد ، ليخدم هدفا مرسوما بدقة ، مغلفا بغلاف من الغيرة المصطنعة ، كى يقى صاحبه من المؤاخذة ، ويجعله بمنجاة من الملام والحساب .

وربما دخلها التحريف ، ليعطى للهدف ماعجز عنه التأويل الخبيث .

وربما جىء بنص مقطوع ببطلانه — حتى عند المؤلف — لتكون له معاونة فى توهين الرأى المقابل ، أو مؤازرة فى تقوية الفكرة المتبناة ، فان للالحاح والتكرار تأثيرا ولو مع البطلان .

وأحيانا تعوزه النقول على أمور متمكنة فى النفس ، فتسعفه الفروض الجامحة التى تستعين بروافد مشبوهة ، لتعطى ما لله لقيصر، ولتخلع على المادة ما للروح ، ولتفسر بها ما

◄

مع دليل المسلم

نحن فى غنى عن تفسيره .

وربما سيقت مقرونة بكم هائل من السخرية ، ومن النعت بأقبح الصفات .

وتبرز الغاية أو الغرض من تأليف هذا الكتاب — بعد السير فى الدروب والمنحنيات — فاذا هو وضع العوائق أمام تطبيق الشريعة الاسلامية بادعاء أن أحكامها لم تعد مناسبة لعصرنا الذى نعيش فيه ، وإن كانت صالحة لما مضى من الأزمان ، وعلينا أن نحل الاحكام الوضعية محلها ، وأن نعمل بما نراه مصلحا لما فى مجتمعنا من فساد .

ولايسبق الى وهمك أن الاحكام التى يكثر من حولها الكلام ، ويشتد فيها الجدل ، هى الأحكام التى استنبطها العلماء فلو كان الأمر كذلك لقلنا :

ان أى اجتهاد يغنى عنه اجتهاد آخر أو يسد مسده وانما هى الأحكام التى نص عليها القرآن ، وحددتها آياته الكريمة .

ولست فى عجلة من أمرى لأبادر بالحديث عن هذه الاحكام التى تقام أمامها العراقيل ، والتى يظن كثير من الناس أن التعرض لها بهذه الكيفية ، وعلى تلك الصورة مما تضيق له الصدور ، أو يبعث التوتر فى الاعصاب . لكنى سأعرض أمامك نصا — كيفما اتفق — من نصوصه الكثيرة ، التى سنعرضها عليك فى مقالاتنا المقبلة ، لترى بنفسك مصداق ماذكرناه لك ، فاستمع اليه فى ص ٣٩ ، ٤٠ يتحدث فى ص ٣٩ ، ٤٠ عن هجرة المسلمين الى الحبشة ، وعن قيام حلف « الفضول » و « الأحلاف » بمكة ، وعن مقاطعة قريش لبنى هاشم والمطلب ، وعن صمودهما أمام هذه المقاطعة ، ثم انهيارها أخيرا . وسنذكره كاملا مرقما ثم نناقش كل جزء على حدة — دون استقصاء أو اشتطاط .

قال ، هدانا الله واياه :

« أدت المصالح التجارية المشتركة الى قيام روابط جديدة بين تجار قريش ، وسرعان ما ظهرت فى مكة جماعتان رئيسيتان ، متنافرتا المطامح :

فأما بنو هاشم — وهم الاقل ثراء — فتزأسوا حلفا يعرف بحلف الفضول ، من تلك الجماعات التى عجزت عن تنظيم قوافل مستقلة تعود عليها بالربح الذى حرمت منه ظلما . وكان هذا الحلف على عداء مع ما يعرف « بالأحلاف » ، وهو تنظيم أقامه أثرياء التجار ممن سعوا الى فرض نوع من الاحتكار .

٢ — وربما كان من بين البواعث التى حدت بالنبى — عليه الصلاة والسلام — الى أن يوجه أكثر من نصف عدد المسلمين وقتها الى الهجرة الى الحبشة (رغم ما قيل من أن الاضطهاد الذى تعرضوا له ، هو الباعث الوحيد على هذه الهجرة) رغبة فى السعى الى كسر هذا الاحتكار ، بأن يبحث هؤلاء المسلمون عن طريق آخر للتجارة ، غير خاضع لسيطرة كبار التجار من قريش .

ومما يدعم هذا الافتراض أمران :

الاول : أن جل مهاجرة الحبشة كانوا من أفراد الجماعات الداخلة فى حلف الفضول .

والثانى : أن عددا منهم بقى فى الحبشة حتى بعد هجرة النبى والمسلمين الى المدينة ، وانقضاء ذلك الاضطهاد فلم يتركها الى الحجاز

حتى العام السابع من الهجرة .

٣ ــ وبعد حوالى عام من تلك الهجرة الى الحبشة اجتمعت كلمة بطون قريش على مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب ذوى الصلات الوثيقة ببنى هاشم ، وحظرت التعامل التجارى معهم ، أو الزواج منهم .

وكان السبب الظاهر لهذه المقاطعة رفض أبى طالب أن يسقط الحماية عن ابن أخيه ، أو أن يقنعه بالعدول عن الدعوة الى الدين الجديد .

وبالرغم من أن العرب كانوا يرون عارا عظيما فى أن تتخلى العشيرة عن حماية أفرادها لمجرد أن العشائر الأخرى هددتها بالعقاب ان هى لم تفعل ، فقد كان من السهل على أبى طالب أن ينتحل عذرا أو آخر للتخلى عن ابن أخيه ، لو أنه كان حقا راغبا فى تجنب مقاطعة بطون قريش لبنى هاشم .

والواقع أن استمرار تحدى بنى هاشم لهذه المقاطعة على مدى ثلاث سنوات دليل على أنه كان لبنى هاشم مصلحة حقيقية فى موضوع الخلاف ، ودليل على أنه قد ظل باستطاعتهم النهوض ببعض النشاط التجارى، ولو على نطاق أضيق من ذى قبل .

٤ ــ وقد انهارت المقاطعة فى النهاية حين انسحب منها بعض البطون ، وذلك حين أدركت أن نجاحها انما سيؤدى الى تعاظم قوة أغنياء التجار ممن دشنها على نحو بتعدى الحدود التى كانوا يأملون فى الوقوف عندها .

وأنت عندما تسمع هذا النص ، أو تقع عليه عيناك تعرف أنه يتكون من أربعة أقسام أو أجزاء ، ففى كم منها ترى أنه صدق ، أو أنه أصاب . ؟

والخطأ الذى يسرى فى أوصالها جميعا جعل الرغبة فى الحصول على المال هى التفسير الوحيد لكل ما كان من تصرفات القوم ، والباعث المتفرد الذى حملهم على مباشرة الافعال أو الابتعاد عنها ، دون استثناء لأحد ، حتى لكبار النفوس .

ففى القسم الاول حملت هذه الرغبة كبار التجار من قريش على اقامة حلف «الأحلاف» ليحتكروا ــ عن طريقه ــ سوق التجارة ، وينفردوا بحصول المغانم والارباح .

وهى نفسها التى دفعت بنى هاشم الى أن ينشئوا حلف « الفضول » من الجماعات التى عجزت عن تنظيم قوافل تجارية مستقلة تعود عليها بالربح الذى حرمت منه ظلما . وبسبب من هذه الرغبة كان العداء بين الحلفين .

ونحن ــ عندما نرجع الى التاريخ ــ لانجد من ذلك شيئا ، فحلف « الاحلاف » لم ينشئه كبار التجار فى قريش ولم ينشأ من أجل احتكار التجارة والارباح ، ولم يكن بينه وبين حلف « الفضول » تنافس فى شىء حتى يكون بينهما عداء ، وبين وجودهما كان كثير من السنين ، فحلف الفضول نشأ بعد وفاة عبد المطلب باثنى عشر عاما وقبل بعثة النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ بعشرين سنة . وحلف «الأحلاف» كان بعد وفاة عبد مناف جد عبد المطلب ، وفى حياة أبنائه : هاشم وعبد شمس ونوفل والمطلب .

وكانت أسباب انشائهما مختلفة ، ومهمة كل منهما تغاير مهمة الآخر . وكذلك موقع كل منهما فى النفوس . فلحلف الفضول فى نفوس

العرب موقع ليس لصاحبه ولا لغيره من الأحلاف ، ولذلك وصفوه بأنه أكرم حلف سمع به وأشرفه فى العرب.

وسببه : أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاصى بن وائل السهمى ، وكان ذا قدر وشرف فى قريش ، فحبس عنه حقه ، فاستعدى الزبيدى عليه الأحلاف ... فأبوا أن يعينوه على العاصى ، وانتهروه فأوفى على أبى قبيس عند طلوع الشمس ، وقريش فى أنديتهم حول الكعبة ، وصرخ بظلامته ، فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب ، وقال : ما لهذا مترك .

واجتمعت هاشم وأسد وزهرة وتيم فى دار عبد الله بن جدعان التيمى ، وتعاقدوا قياما فى شهر حرام هو « ذو القعدة » ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم ، حتى يؤدى اليه حقه » ثم مشوا الى العاصى بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدى ، فدفعوها اليه.

وعرف العرب هذا الحلف ومكانته فكان الذى يظلم بمكة يذهب الى أهله القائمين به ، فيأخذون له حقه من ظالميه . وكانت تصرفاته محل الرضا والتقدير من القرشيين جميعا .

ولم يمت كما مات غيره من الأحلاف بمجىء الاسلام ، ودخول الناس فيه ، فان رد الحقوق الى أربابها ودفع الظلم عنهم مما يتفق وتعاليم الاسلام . وحادثة الحسين بن على — فى عهد معاوية — مع والى المدينة : الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، وتهديده بالدعوة الى حلف « الفضول » واستجابة عبد الله بن الزبير الأسدى ، والمسور بن مخرمة الزهرى ، وعبد الرحمن بن عثمان التيمى دليل قوى على بقائه فعالا الى ذلك الوقت .

ومن أجل هذه المعانى النبيلة التى كان يؤديها فى الجاهلية يقول الرسول الكريم تنويها بشأنه — كما يحدثنا ابن اسحاق ، وابن سعد والبيهقى : لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ، ما أحب أن لى به حمر النعم ، ولو دعى به فى الاسلام لأجبت .

وبما سقناه يتضح لك السبب فى انشائه ، والغرض الذى حمل عليه ، والزمن الذى وجد فيه ، والبطون التى قامت به والرضا بالأفعال التى كانت تصدر عنه ، من كل العرب والقرشيين .

ونعرج على حلف « الأحلاف » فنرى أن سبب انشائه أمر لا يتصل بالمال ، وأن الغرض الذى قام من أجله ليس هو الاحتكار والأرباح وأن من أقاموا هيكله كانوا غير التجار ، وأن الغرض منه استنفد عن قريب .

ذلك أن قصى بن كلاب جد هاشم بن عبد مناف — كان قد جعل كل ما فى يده من المكرمات لابنه عبد الدار اذ كان بكره ، وكان اخوته قد تقدموا عليه شرفا ، فقال له أبوه : أما والله لألحقنك بالقوم ، وان كانوا شرفوا عليك .

فلما انقضت حياة أبناء قصى ، وآل ما كان فى يد عبد الدار الى أبنائه أجمع أبناء عبد مناف: هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل . على أن يأخذوا ما بأيدى أبناء عمهم عبد الدار ، لشرفهم عليهم ، ولفضلهم فى قومهم ، فتفرقت قريش عند ذلك ، فكانت طائفة مع بنى عبد مناف ، يرون أنهم أحق بهذه المكارم من بنى عبد الدار لمكانتهم فى قريش . وكانت

طائفة مع بنى عبد الدار ، يرون ألا ينزع منهم ما كان قصى جعله لأبيهم عبد الدار .

وعقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على ألا يتخاذلوا ، ولا يسلم بعضهم بعضا . ثم تداعى القوم الى الصلح فأعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة ، وتركوا الحجابة والندوة واللواء لبنى عبد الدار . والمؤرخون يسمون حلف بنى عبد مناف بالمطيبين ، وحلف بنى عبد الدار بالأحلاف . وخرجت عن هذين الحلفين عامر بن لؤى ، ومحارب بن فهر ، فلم يكونوا مع أحد من الفريقين .

وكل ما قلناه فى هذا هو ماذكره كتاب السيرة ومؤرخو الاسلام ، فهل تجد بينه وبين ما قاله « دليل المسلم » شيئا من اشتراك أو وفاق .

ولعلك ــ قارئى ــ تحاول أن تعتذر عنه بأنه أخطأ ــ وكل بنى آدم خطاء ــ فوضع حلف « الفضول » موضع حلف « المطيبين » الذى يقابل ــ فى الحقيقة ــ حلف « الأحلاف » فهو الذى يمكن أن يقال فيه ــ مع التسامح ــ انه كان يعادى « الأحلاف » لكن هذا لا يجديك ولا ينفعه ، فانك لا تستطيع أن تتقبل ــ تاريخيا أن هذه الاحلاف أنشأتها التجار أو كبارهم سعيا وراء الربح والاحتكار ، وأن الفضول أو المطيبين وقع عليه ظلم لعجزه عن تنظيم قوافل مستقلة تعود عليه بالربح ، ولا تستطيع أن تحدد من الذى ظلمه ، ولا بأى شىء ظلمه . وان حاولت شيئا من ذلك فالخصومة لن تكون بينى وبينك ، وانما هى بينك وبين التاريخ الذى سيأبى عليك أن يمدك بشاهد عدل يؤيد ما تقول ، فانتقل بنا الى الفقرة الثانية أو القسم الثانى من النص ، فلعل حظنا معا يكون أسعد علميا .

وعندما نفعل ذلك ، نجد ــ كما وجدنا سابقا ، وكما سنجد لاحقا ــ تحريفا للتاريخ أو تحريفا فى التاريخ فان النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ لم يأذن لأصحابه فى الهجرة الى الحبشة ، أو لم يهجرهم اليها من أجل انقاذهم من اضطهاد قريش أو تخفيف العذاب الواقع عليهم بدنيا ونفسيا ، أو للحفاظ على دينهم خوف الفتنة فان هذا مرفوض من « دليل المسلم الحزين » وان قال به كل العلماء . أو على الأقل لا يصلح أن يكون سببا وحيدا ، أو حتى أساسيا . والذى يصلح لذلك ، وله عمل الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وبه عنى هو السعى الى كسر سلاح الاحتكار ، بأن يبحث هؤلاء المسلمون عن طريق آخر للتجارة غير خاضع لسيطرة كبار التجار .

ولست أقف طويلا أمام ماتوحى به الفروض أو التراكيب التى أخرجتنا من جو الهجرة الدينى العالى النبيل الى الجو التجارى الدنى الذى صورت فيه النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ بصورة السياسى الدنيوى ، الذى يعنى بالمال وطرق التجارة ، وبانتصار حلف الفضول المشرك على حلف الأحلاف ــ أكثر أو قيل عنايته بدينه وبأصحابه والذين آمنوا به واتبعوه . هذه الصورة التى تجعله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ أقرب الى ذى الوجهين منه الى ذى الوجه الواضح الصريح ، فانه قال أمام المسلمين : لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه ــ كما فى سيرة ابن هشام ــ متظاهرا أنه انما أخرجهم

أو أذن لهم بـه ليخلصهم من ظلم قريش وعدوانها عليهم ، فى الوقت الذى يتفق فيه — مع هذه البعثة التجارية — على أن تعمل على اكتشاف طريق آخر للتجارة لا يخضع لسيطرة حلف الأحلاف أو كبار التجار .

لا أقف طويلا أمام هذه الايحاءات وأمثالها، ولكن أشير اشارة تاريخية خفيفة أضعها أمام هذا الفرض ، فقد علم كل من شدا شيئا من التاريخ أن قريشا عرضت عليه — صلى الله عليه وسلم — أن تجعله ملكا عليها ، أو تعطيه من الأموال ما يجعله أغنى الناس بمكة ، أو أن تصنع له مايريد ، ويبقى على مابينه وبينها فأبى، وكلمه فى شىء من ذلك عمه فقال : والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر ماتركته حتى يظهره الله ، أو تنفرد سالفتى . فلو أن الامر أمر المال أو السلطان لأغناه عرض قريش عن تهجير أصحابه ، ومفارقتهم له ، وتعريضهم للمشاق والغربة ، واكتشاف الطرق ، وتذليل الصعاب .... ونتجه الى صاحب الفرض فنقول له :

لم عدلت فى الهجرة الى الحبشة عن تعليل معقول ، قال به كل المؤرخين الى فرض لم يقله قبلك انسان فيما نعلم ، والفروض لا يلجأ اليها العقلاء الا عندما يجدون أن مابين أيديهم قاصر أو غير صالح ، فماوجه القصور فى تعليل المؤرخين ، أو عدم الصلاحية ؟

واذا كان باب الفروض أمامك مفتوحا على مصراعية ، فما سر اختيارك لهذا الفرض ؟ وكنا ننتظر منك أن تحدثنا عن فشل سياسته التجارية أو نجاحها ، فلماذا سكت؟ واذا كانت هجرة الحبشة وقعت مرتين فمع أى منهما رسم سياسته التجارية ؟ وذلك شأن المحققين . وهل ذكر أحد من المؤرخين أن مهاجرى الحبشة ، أرسلوا ، ولو قافلة واحدة اليه ، من الطريق القديم أو الجديد الذى هاجروا خصيصا لاكتشافه ؟

وهل تعلل الهجرة الى المدينة بنفس ماعللت به الهجرة الى الحبشة ، والتاريخ ضدك فى الايجاب ، فان الهجرة الى غيرها من البلاد العربية لم تكن متاحة فى ذلك الأوان . والعقل يطالبك بسند التفرقة بين الهجرتين ، ان اخترت السلب فى الجواب ؟

واذا كان معروفا — تاريخيا — أن بعض الأنبياء قد هاجر فهل تستطيع أن تعلل هجرته بما عللت به الهجرة الى الأحباش ؟

ويبدو أن صاحب الفرض لم يذكره لاقتناعه به ، أو لتصديقه بما احتواه ، وانما ذكره لحاجة فى نفس يعقوب ، فانه نقل فى ص ٦٤ — دون تعقيب — عن بعض المستشرقين — أثناء حديثه عن مهاجرى الحبشة — أنهم كانوا رجالا ذوى عقيدة دينية قوية ، اعتنقها بعضهم حتى قبل ظهور الاسلام ، وأن اختلاف عقيدتهم عن عقيدة سائر المسلمين هو السر فى انتقاء الرسول لهم ، ليهاجروا الى الحبشة ، وهو السر فى أن الكثيرين منهم بقوا بها ، ولم يلحقوا

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى

وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون

١٣٨٦

بالمسلمين فى المدينة حتى العام السابع الهجرى .

وفى ص ٦٣ يقول : وقد كان النبى – صلى الله عليه وسلم شديد الخشية من أن يحدث هؤلاء النفر فى الدين ماليس منه ، واذن فان تهجير النبى اياهم الى الحبشة كان خوفا من أن يحدثوا فى الدين الاسلامى ما ليس منه ، أى كان المقصود ابعادهم عن المسلمين ونفيهم عن المجتمع الاسلامى بمكة حرصا على سلامة الدين ولهذا تركوا بالحبشة ولم يلحقوا بالمسلمين فى المدينة حتى العام السابع الهجرى .

واذن فان بقاءهم بالحبشة – عند هذا المستشرق – كان لمعنى يغاير المعنى الذى ذكره صاحب الفرض تدعيما لفرضه ، واذا قارنت بينهما عرفت من منهما نقل عن أخيه ، واستغل رأى صاحبه أو قوله . ولم يشر اليه . ولعل هذه هى الأمانه عند باحثى القرن العشرين .

وكما ذكر الفرض لحاجة فى نفس يعقوب تتعلق بالنبى ، فقد ذكر هذا النص أيضا لحاجة فى النفس تتعلق بأصحاب الرسول . ولنا – ان شاء الله – عودة الى نص هذا المستشرق فيما نستقبل من الايام .

وليس من الصدق أن جل المهاجرون الى الحبشة كانوا من حلف الفضول ، فان دليل المسلم وعددا من المؤرخين يقولون ان عددهم كان ٨٣ فردا ، فعلى فرض أنه كان كذلك ، ولم يكن أكثر كما يدعى بعض كتاب السيرة فاننا نجد – اذا بحثنا – أن القلة كانت من حلف الفضول .

ذلك أن حلف الفضول كان يتكون من بطون هاشم والمطلب وأسد وزهرة وتيم ، ولم يكن من بنى المطلب أحد فى هؤلاء المهاجرين وكان من بنى هاشم جعفر بن أبى طالبه وزوجه

مع دليل المسلم

أسماء بنت عميس ، وكان من بنى أسد أربعة نفر ، ومثلهم من بنى زهرة ، وثلاثة من بنى تيم ومجموعهم كما ترى ثلاثة عشر شخصا رجالا ونساء ، وهو أقل من عدد بنى سهم الذين هم من حلف « الأحلاف » اذ كان أربعة عشر شخصا ، فاذا أضفت اليهم أحد عشر من بنى جمح ، وثمانية من مخزوم ، وخمسة من بنى عدى ، وخمسة من بنى عبد الدار ، وواحدا من بنى عبد بن قصى — وهم الذين يتكون منهم حلف الاحلاف — وجدت أنهم أربعة وأربعون مهاجرا ، واذا نسبت هذا العدد الى العدد الكلى للمهاجرين تبين لك أن الكثرة فى جانب حلف الأحلاف لا حلف الفضول ، وتبينت لك الامانة فى البحث وعرض الحقائق التاريخية •

وهنا ألمح على شفتيك — قارئى — كلمة دفاع عن « دليل المسلم » بأن كلمة « جل » فى النص ، محرفة تحريفا مطبعيا عن « قل » وكثيرا ما يحدث ذلك •

أقول لك كما قلت سابقا : هذا لا يجديك ولا ينفعه ، فان المقام يأبى عليك ذلك ، والنص سيق لتقوية الفرض ، « وقل » لا تأتى عن طريقها تقوية ، وهو بعد ذلك توجيه للقول بما لا يرضاه صاحبه ، فدع « دليل المسلم » يضرب فى بيداء البحث كيفما شاء فعله فى النهاية يصل الى طريق لاحب أمين •فان أبيت الا ذلك فاجبنى بصدق وأمانة •

كان حلف « الاحلاف » يمتلك طريق القوافل التجارية فهو بذلك يمنع الحلف المناوىء من السير فيه ؟

أم كان يضع يده عليه بالايجار فيستطيع أن يفرض على الحلف الآخر ضرائب ثقيلة تقلل من الارباح ؟

واذا لم يكن ذلك فما معنى أن يطلب النبى صلى الله عليه وسلم من أصحابه المسلمين البحث عن طريق آخر ؟

وعلى فرض أنهم وجدوه فهل يملكون الاختصاص به ؟

وما الضمان أن حلف الأحلاف لا يسلكه ، ويتخذه معبرا لتجارته •

وانن فما الداعى للبحث عن طريق جديد لا يحل مشكلة ولا يقدم خدمة لمن فكر فيه ولا لأهله ، ولا يمتاز بشىء عن الطريق القديم ؟ وعجز الفضول عن تنظيم قوافل مستقلة تعود عليه بربح لا أظن أنه ينقلب الى قدرة بواسطة الطريق الجديد • ومسألة التنظيم المستقل تحتاج الى شواهد من التاريخ ، فانها مخالفة لمنهج القوافل التجارية للبطون القرشية ، وهو منهج لم يكن عليه اعتراض لبطن من البطون ، فضلا عن حلف يضم عددا من هذه البطون •

ولست اورد عليك ما هو أكثر من ذلك فهلم بنا الى القسمين :

الثالث والرابع•

يتبع

عبد الظاهر عبد الكريم

السينما والدين

للأستاذ / مجدى صلاح

تمهيـــــد :

ليس من العســير على المتتبــع للظواهر الاجتماعية أن يدرك الى أى مــدى ساهمت وتساهم « الســينما » فى تغيير شكل « الانماط السلوكية » بل وتســاهم فى تكوين الاتجاهات tendencies سلبية كانت أو ايجابية عــلى المدى الطويل . ولعله من المعــروف أن أهم ما يميــز التغييرات الاجتماعية هــو حركتهــا البطيئة غير المحسوسة والتى تستغرق عشرات السنوات حتى تتضح معالمها .

لهذا كانت عملية « رصد » هذه التغييرات فى نفوســنا وحولنا ـ بل واكتشاف عمليــة زرع خلايا فكرية سرطانية فى أعمــال « دراميــه » تؤدى فيما بعد دورا خطيرا فى تشكيل وجدان وعقــل المجتمع الاســلامى ـ لهــو أمر بالغ الصعوبة ، ويســتدعى منا درجــة عاليــة من الحساسية واليقظة الفكرية .

وقد يتخيل البعض منا أنه فى غنى عن قراءة هذه الدراسة اما لاتخــاذه موقفا مســبقا من السينما أو لاعتقاده بأنه بمنأى عن « السينما » وآثارها السلبية ، ولكن الحقيقة ان « الافلام السينمائية » لم تعد قابعة هناك فى دور العرض السينمائى تكلفك عناء الذهاب اليها .. لكنهــا اخترقت الحواجز والحوائط الى منزلك .. تطل عليك من شاشات « التليفزيون » .. ومــن أجهزة « الفيديو » المنتشرة فى كل مكان .

وتهدف هذه الدراسة الى ازاحة الستار عن بعض الاساليب المستخدمة فى بث عــدم الثقة والازدراء بالاسلام وسحب الاجيال المســلمة تدريجيا بعيدا عن نقاء الاسلام .. وان كنــا قد حاولنا الامساك بالخيوط ـ المتناثرة داخل الاعمال الدرامية وربطها ـ بعضها الى بعض ـ لقراءة مايحاك للاسلام فى غفلة منا ـ الا ان هذا المجهود المتواضع لايمكن الادعاء ـ بأى حال من الاحوال ـ بأنه يغطى مايدور عــلى الساحة السينمائية ، لكنه الخــوف من كتمــان

السينما والدين

العلم وعملا بقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « رب مبلغ أوعى من سامع (١) »

هل السينما حرام ..؟

« السينما » .. اختراع علمي ينتمي الى الفيزياء في تركيب عدساتها وتنظيم أنوارها ، وتنتمي الى الكيمياء في حساسية « الفيلم » الخام الذى تكتب عليه الاحداث المقدمة الى آلة التصوير السينمائى: أى «الكاميرا ... من هذه الصبغة العلمية البحتة نشأت السينما (١) ومن البديهى ان السينما كأداة ليست محرمة ـ فى حد ذاتها ـ ولكن ما يقدم من خلالها من مضامين قد يصدق عليه التحريم ، فاذا ما قدمت أعمالا تدعو الى الفضيلة والى نشر الثقافة الاسلامية فهى اذن خير عون فى مجال الدعوة الاسلامية .

« انها حلال طيب ، وقد تستحب وتطلب اذا توفرت لها الشروط الآتية : ـ

أولا : أن تتنزه موضوعاتها التى تعرض فيها عن المجون والفسق وكل ماينافى عقائد الاسلام وشرائعه وآدابه ، فأما الروايات التى تثير الغرائز الدنيا ، أو تحرض على الاثم أو تغرى بالجريمة أو تدعو لأفكار منحرفة ، أو تروج لعقائد باطلة .. الى آخر مانعرف فهى حرام لايحل لمسلم أن يشاهدها أو يشجعها .

ثانيا : ـ ألا تشغله عن واجب دينى أو دنيوى وفى طليعة الواجبات الصلوات الخمس التى فرضها الله كل يوم على المسلم ، فلا يجوز للمسلم أن يضيع صلاة مكتوبة كصلاة المغرب من أجل رواية يشاهدها ، قال تعالى :

« **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ • الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** » سورة الماعون ، الآية ٤ ، ٥ . وفسر السهو عنها بتأخيرها حتى يفوت وقتها ..

ثالثا : أن تتم المشاهدة فى اطار اسلامى خالص يتعرض الملايين من المسلمين لافلام السينما من خلال ثلاثة منافذ هى :

١ ـ **دار العرض السينمائى** .

٢ ـ **أجهزة التليفزيون** .

٣ ـ **أجهزة الفيديو** .. وسيأتى شرحها فيما بعد ، اذ ان ذاك الحجم الهائل من الجمهور ـ الذى تصله « السينما » من خلال المنافذ الثلاثة السابقة الذكر ـ يعد مسرحا للاحداث حيث تجرى له عملية تشكيل وجدانى .. وعقلى » .. أهم ما يميزها انها غير ملموسة ولكنها مخفاة تحت أقنعة درامية فى الافلام الدرامية الروائية » التى تحاول هذه

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى للامام العسقلانى ج ١ ص ١٤٥ .

(١) النقد السينمائى ، خميس خياطى ، سلسلة كتابك ، دار المعارف ص ٦ .

الدراسة فيما يلى تحليل آثارها .

السينما كوسيلة اتصال :

فالسينما – كما يطلق عليها اسم الفن السابع – تتركب من « **مرسل** » و « **رسالة** » و « **مستقبل** » ، لذا كان لزاما علينا التعرف على « مرسل » العملية السينمائية وهم مايطلق عليهم :

١ – صانعو العملية السينمائية (المرسل) : –

وهم بدءا بالمؤلف السينمائى للقصة و « السيناريست » وصانع الحوار ، فالمنتج والمخرج والممثلون والمصورون والفنيون واخصائيو « الديكور والماكياج » والاضاءة والصوت .. كل هؤلاء يتآلفون تحت مسئولية المخرج الذى – ومن المفروض أن يعبر عن مجتمعه – يساهم أيضا فى تنمية الانسان .. ولكن من الضرورى ألا تكون تلك التنمية غرسا لأفكار مضادة للاسلام !! وان لم تكن فى صورة مباشرة – الا أنها تنمو فيما بعد – وعلى المدى البعيد – نموا سرطانيا مضادا .

وصناعة السينما – نشأت بين احضان أوروبا « .. وكانت مصر من أوائل بلاد العالم التى عرفت السينما كعروض ، فالمعروف أن أول عرض سينمائى تجارى فى العالم كان فى ٢٨ ديسمبر ١٨٩٥ م فى الصالون الهندى بالمقهى الكبير فى شارع كابوسين بباريس ، وكان أول عرض سينمائى فى مصر فى مقهى زواتى بالاسكندرية فى أوائل يناير ١٨٩٦ م(١)

ونظرا لنشأة السينما « الاوروبية » كان لزاما على من أراد تعلم هذا الفن أن يسافر الى أوروبا – أو أن يتعلمه فى مصر على أيدى أوروبيين مما صبغ الكثير من صانعى السينما – شكلا ومضمونا – بأنماط سلوكية غربية تأصلت فى نفوسهم فصارت فكرا وسلوكا ، وروجوا لها من خلال أعمالهم الفنية التى غالبا ما تمجد روح الغرب ، فقد بهرتهم المدنية الاوروبية – ولا أقول الحضارة الاوروبية التى هى أبعد ما تكون عنها .

٢ – الرسالة : –

وهى المحتوى أو المضمون الفكرى الذى يتخذ شكلا دراميا – حيث تنصب هذه الدراسة على الأفلام الروائية التى تعتقد بأهمية دورها فى تشكيل العقل والوجدان الاسلامى العام .. ونظرا لخلو الساحة الادبية من الادباء الاسلاميين ذوى الادراك والفهم لابعاد الدين الاسلامى والحضارة الاسلامية ممن يجيدون فنون الكتابة الشيقة والابداع الفنى والادبى ، وممن يجيدون تصوير وتجسيد شخصية المسلم السوى فى سلوكياته وأسلوب تفكيره وتفاعله مع المجتمع(١) .. نظرا لهذا كله باتت السينما – كصناعة للاتجاهات – حكرا على عناصر معينة سواء فى مجال الكتابة للسينما وحتى .. ◄

(١) هذا رأى الكاتب .. مجلة الازهر .

اخراج « الفيلم » ـ وباتت مقدراتنا الفكرية للامة الاسلامية فى أيدى تلك الحفنة التى ارتوت من بريق الفكر الغربى للدرجة التى خلطوا فيها بين أسباب التقدم المادى الاوربى من ناحية ـ هذا التقدم الذى تساهم فى صنعه عوامل تاريخية وسياسية وتكنولوجية ـ وبين المظاهر السطحية التى كانت انعكاسا لنشوء علاقات جديدة فى المجتمع الغربى وأخذوا من تلك المظاهر السطحية « الشكل والأنماط السلوكية » التى رجع الغرب عنها بعد أن اكتشف زيفها وهدمها للمجتمع الاوروبى : كمحاربة الخمر والتدخين والعلاقات الجنسية المحرمة ، والعودة الى الدين لملء الفراغ الروحى الذى لن تستطيع المادية اشباعه !!

من هنا كانت الرسالة التى توجه لنا من خلال الأعمال الدرامية السينمائية انعكاسا لما رسخ فى نفوس هؤلاء القائمين على أمر السينما من مبادىء مادية وكما ان فاقد الشىء لا يعطيه ، فانه ليس من المجدى مطالبتهم بالعدول أو الكف عن هذا التخريب فهم يظنون بأنفسهم « التقدمية » ! • وبالقيم السامية الاسلامية •• « الرجعية »!!

يقول الله عز وجل « الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا » (١) •

بل ما نراه حيويا هو « الدعوة الى وضع ••• استراتيجية ثقافية (اسلامية) تعيد بناء التصاميم الذهنية الاسلامية •• لتنتهى بذلك مرحلة الرسم بالفراغ التى ورثناها وساهم فى تكريسها الغزو الثقافى الذى لا نزال نعانى من آثاره على أكثر المستويات » (٢) •

وأن يصبح فى اطار تلك الاستراتيجية صناعة سينما اسلامية من الألف الى الياء •

٣ ـ جمهور السينما (المستقبل) : ـ

من خلال قراءة الواقع نجد أن السينما « كأفلام » تصل تأثيراتها الى قطاع كبير من افراد المجتمع ، فهى ـ كما سبق القول ـ تطل عليهم من خلال منافذ ثلاثة : ـ

* المنفذ الأول :

دور العرض السينمائى : وتلك الدور المنتشرة فى طول البلاد وعرضها تستقطب عددا كبيرا ـ أكثرهم من الشباب المراهق ـ وفى احصاء عن سنة ١٩٦٩ م وجد فى مصر ١٦٥

(٢) سورة الكهف ، الآية ١٠٤ •

(٣) حول اعادة تشكيل العقل المسلم د• عماد الدين خليل ، كتاب الامة ، ص ٨ •

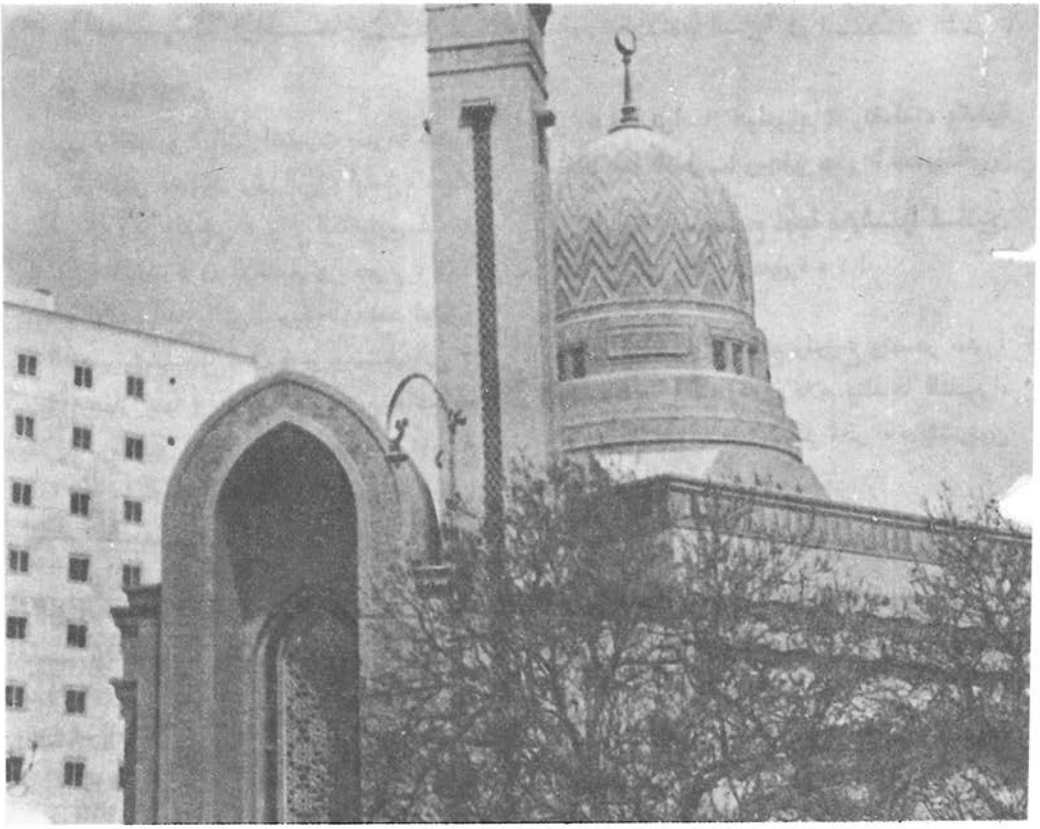

دارا لعرض الأفلام مقاس ٣٥ مم ، وداران لعرض الأفلام مقاس ١٦ مم فيهـا ١٥٠ ألف مقعد .. أى أن قرابة ستين مليون شـخص يدخلون السينما فى مصر كل عام (١) .

— المنفـذ الثانى :

التليفزيون : لا يكاد يخلو بيت فى مصر من جهاز تليفزيون — بل حتى المحلات التجـارية وبائعى الفاكهة وأكشاك السجائر أصبحت هى الأخرى تحتوى على جهاز تليفزيون ، وتشير الاحصاءات التى أجريت قبل مرحلة الانفتاح الاقتصادى فى مصر ١٩٧٠ الى وجود ٤٧٥ ألف جهاز (٢) ، الا ان هذا الرقم قد تضـاعف بسرعة مذهلة حتى وصل الى ما يقرب من ١٠ ملايين جهاز فى مصر فى بداية الثمانينيـات .

وليس بخـاف على أحـد ما للأفلام العربية — التى تعرض من خـلال شـاشات « التليفزيون » — من شعبية جارفة ، خاصة فى الأوساط الشعبية أو التى تنخفض فيهـا نسبة التعليم والوعى .

(١) . (٢) الاعـلام ولغـة الحضـارة ، د. عبد العزيز شرف ، ص ٤٥ .

* **المنفذ الثالث :**

أجهزة الفيديو : التى انتشرت بسرعة عجيبة ليس فى المدن فقط بل وفى الريف أيضا ، حيث تنتشر فى : « المقاهى » و « الكافيتريات » الصغيرة المتناثرة فى الاقاليم والنجوع ، وقد أثبتت الاحصاءات التى أجريت أن عدد أجهزة « الفيديو كاسيت » فى مصر وصل الى ٢ مليون جهاز منها ٧٥٠ ألف جهاز فقط دخلت بطريقة رسمية ٠ وهى نسبة مرتفعة جدا اذا ما قورنت بنظيرتها فى أوربا والوطن العربى ٠

شريعة هوليوود الموجهة : ــ

« تغوص السينما فى اغوار الغريزة ودهاليز النفس الانسانية ، وتضرب فى الأرض من من مكان الى مكان ، وفى غيابات الزمان من حقبة لحقبة ، ومن ثقافة لثقافة مستثيرة الجوانب العاطفية والخيالية والجمالية فى تكويننا ٠٠ » (١) ولا يقف تأثيرها عند حد الاستثارة بل انه يتعداها الى وسم جماهير المسلمين بسمات هدامة لا يمكن وصف هذه السمات بأنها غير مقصودة ، لا ٠٠ ، خاصة اذا عرفنا أن مركز السينما العالمية فى « هوليوود » بأمريكا ، حيث يسيطر على الحياة الثقافية والمالية والسياسية جماعات الضغط الصهيونية ، التى مازالت تنفذ بروتوكولاتهم السرية فى استعباد العالم ٠

« فما تراه « هوليوود » وتفعله ، وكيفية نفاذ هذا الفعل ــ ويحنو حذوها السينمائيون فى كل مكان ــ يصبح نهجا معيشيا لملايين الناس على نطاق المعمورة ، ؟ !

ان هوليوود لا تنتج وتوزع وتصدر صورا فحسب ٠٠ الصور والافلام يتلقاها الناس ، لكنهم يتشربون منها شيئا آخر ٠٠ يتشربون فلسفتها ٠ !

وطرز الزى والأناقة ٠ ! من تسريحة الشعر حتى الحذاء ٠٠ وأساليب السلوك : كيف يدخن ٠٠ كيف يجامل ٠٠ كيف يقبل ٠٠ وكيف يتصرف فى شتى المواقف ٠٠٠ (٢) » انه تخطيط كامل لعقل الانسان ؟! لقد عرفت الجهات المعادية أخيرا كيف تنفذ الى العقل الاسلامى والى الوجدان الاسلامى ٠ !

فبعد أن فشلت أساليب الغزو العسكرية الصريحة وحركات الاستشراق التى واجهت حساسية دينية من علماء الدين ٠٠ اتجهت الى تجنيد تلك القوة الجبارة الخفية وهى السينما التى أطلق عليها اسم « مصنع الاحلام فى المجتمع (٣) » ٠

كيف تنفذ السينما الى داخلنا : ــ

ان الهدف الأول للسينما هو النفاذ الى أعماق النفس الانسانية قفزا من فوق العقل

(١) ، (٢) ، (٣) السينما ٠٠ مصنع الاحلام فى المجتمع ، محمد فتحى ، مجلة الدوحة يوليو ١٩٨٢ ٠

الواعى الذى يتعامل مع الاشياء بمنطقية ووصولها الى العقل الباطن أو اللا شعور unconscious «حتى ان أكبر شركة عالمية للانتاج السينيائى (الميترو) طلبت من عالم النفس « فرويد » أن يعمل معها مقابل مائة ألف دولار ، ذلك لأنها تعرف العلاقة بين هذا الفن وعلم النفس (١) » .

وما يحدث بالضبط ، يمكن أن نطلق عليه ، عملية « بذر معلومات » فى ذهن المتلقى أما كيف تحدث عملية بذر المعلومات هذه : فهى :
أولا : عملية غير مرئية وغير محسوسة لأن ما يزرع فى الذهن — يكون فى الغالب — مقدمات منطقية خاطئة ، ما تلبث أن تنمو داخل الذهن وتختمر داخل شخصية المتلقى ، فتتلون بلون الشخصية المزروع فيها المعلومات مما يجعل « المتلقى » لا يفطن الى أن هناك أيدى بذرت داخل عقله ووجدانه « معلومات بذرية » فى شكل مقدمات منطقية قد تظل « كامنة » فى غيابات العقل الباطن لسنوات عديدة ولكنها لا تلبث أن تظهر فى صورة سلوك واضح كما لو كانت تنبع من داخله !! وليست من صنع أشخاص آخرين قاموا « ببرمجة » عقله ووجدانه !!

وقد يتساءل البعض : **كيف تتم عملية البرمجة أو « بذر المعلومات » فى عقلى ووجدانى وأنا أجلس أمام « الفيلم » — فى كامل قواى العقلية الادراكية ؟ فأين عقلى اذن !؟ .**

أود أن أقول : ان السينما تقفز فوق حواجز العقل لتصل الى العقل الباطن أو اللا شعور ، ولعل من المناسب تذكر جملة « المنتج السينمائى الايطالى كارلو بونتى : « يجب أن تصل السينما الى أحشاء المتفرج ، أما اذا وصلت الى دماغه (عقله) فذلك يعنى أن الفيلم سىء فالانسان الذى يريد تثقيف نفسه لا يذهب الى السينما ، وانما يأخذ كتابا (٢) » !؟ ، ومن هنا وفى كلام المنتج الايطالى المشهور نجد فلسفة السينما واضحة فى كلماته القليلة السابقة .

وخاصية النفاذ أو الاختراق لدى السينما يمارسها صانعو السينما فى شكل أشبه ما يكون « بالتنويم المغناطيسى » فالجو المظلم استعدادا لتشغيل الفيلم ، وتوزيع الاضاءة ، والتمثيل الطبيعى ، والمؤثرات الصوتية والماكياج والديكور اللذان يقنعانك بأن ما يحدث حقيقى مائة فى المائة بالاضافة الى استخدام « الكاميرا » بعدا وقربا ومن زوايا مختلفة .. كل هذا الى استخدام « المونتاج » والحيل السينمائية يولد لدى المشاهد حالة نفسية عقلية يمكن أن نطلق عليها « حالة تداعى القوى المنطقية » .. اذ أن « الفيلم » يوهمك بنمو بطل الفيلم من الطفولة وحتى الكهولة فى زمن لا يتعدى بضع

(١) النقد السينمائى ، خميس خياطى ، ص ٣٩ .

(٢) النقد السينمائى ، خميس خياطى ص ٠٦ .

السينما والدين

دقائق ، كما يستطيع الانتقال بك من مشهد تجرى أحداثه فى القاهرة الى مشهد آخر تجرى أحداثه فى نيويورك أو باريس ، ينتقل بك فى زمن لا يتعدى ثلاث ثوان ٠ ! وأنت حينئذ تجلس أمام شاشة العرض فى ذلك الجو الساحر الذى يلفه الظلام والغموض ومشاعر هى أقرب لعالم الاحلام منها للواقع ٠٠ تأسرك الشاشة المضيئة فتندمج فى أحداثها كأنك جزء من تلك الأحداث ، وتساهم خاصية « التقمص الوجدانى » (*) فى ذلك الاندماج ٠٠ فتغضب من شخصية وتحبس أنفاسك هلعا على شخصية أخرى كأن ما يحدث هو الحقيقة بعينها ، حينئذ **يختلط الخيال بالواقع وتضعف القدرة التمييزية العقل الواعى حتى يصل الى حالة « تداعى القوى المنطقية » التى تجعل أعماق الانسان وغيابات نفسه مفتوحة على مصراعيها لزرع افكار فى صورة شخصيات تتحرك من خلال الحدث الدرامى بطريقة تجعلك تكره تلك الشخصية (الشريرة)** ، الا انهاتنطبع على جدران العقل الباطن ثم ما تلبث أن تجد نفسك تكره الشخصيات (الحقيقية) التى تطابق ملامح وشكل الشخصية (الدرامية) ٠٠

وهذه الكراهية أو التعاطف أو الحب لشخصيات الفيلم : (فى حالة حدوثها نتيجة للبناء الدرامى للفيلم قد لا تجد لها مبررا عقليا منطقيا فى الواقع ٠ !

الا ان تلك المشاعر الوجدانية سرعان ما يبحث الانسان لها عن قناع منطقى يخفى وراءه تلك المشاعر ، وهذا القناع قد يكون — على الأرجح — قناعا منطقيا سوفسطائيا ٠ !

وهذا قد يفسر « التعصب » الأعمى لفلسفة ما أو لمذهب معين دون سند عقلى سليم ٠ !

وبرغم أن العلاقة بين التمثيل (الذى هو اب الافلام الروائية) وبين الدين علاقة قديمة — « قد عبر فيها الممثل الكاهن عن طقوس العبادة (وليقرب الى أذهان العامة فكرة الألوهية) منذ عهد يرجع الى أربعة آلاف عام (١) » الا ان استخدام التمثيل فى اطاره السينمائى فى عصرنا الحديث يشوبه الكثير من النوايا السيئة التى تهدف الى اذابة الأديان جميعا وعلى رأسها « الاسلام » ٠٠ والسينمائيون المسلمون أنفسهم قد ساهموا فى ذلك — بقصد أو بدون قصد !؟ وهذا ما سنحاول القاء نظرة فاحصة عليه فى اللقاءات القادمة ان شاء الله ٠

مجدى صلاح

(*) التقمص الوجدانى : هو نوع خاص من الشعور الذى يشمل قدرة الفرد على أن يحل محل فرد آخر من الناحية العاطفية وأن يتعاطف مع مشاعر الآخرين ٠

المصدر : التنشئة الاجتماعية والسياسية والنمو الاخلاقى ، تأليف : ريتشارد ويلسون ، ترجمة : د٠ نايف خيرى ، مجلة الثقافة العالمية عدد ١٠ مايو ١٩٨٣ ص ٩٤ ٠

(١) فن التمثيل المسرحى ، احمد زكى دار المعارف ص ١٢ ٠

تعقيب على
الأسس الإعلامية فى
التصور الإسلامى

للدكتور رءوف شلبى - متولى يوسف حسن
بقلم : حسن على العنيبسى

من بدهيات البحث العلمى أن يحدد الباحث مصطلحاته قبل المضى فى بحثه ، كذلك يتحاشى استخدام اللفظ الفضفاض حتى لا يخرجه عن مقصده من بحثه وغايته التى يسعى اليها •

وقد قدمت « مجلة الأزهر » بحثا بعنوان « الأسس الاعلامية فى التصور الاسلامى » ، وفى الحق ، فان ما قدمته المجلة دراسة جادة نحو « اسلام الاعلام » الا أنه قد حوى — فى ضوء الدراسات العلمية فى الاعلام — على بعض الهنات نشير اليها :

* استهل الكاتب بحثه بمقدمة يحدثنا فيها عن نظريات الاعلام ووسائله وأسسه وكنت أتمنى أن يشير بشىء من التوضيح الى كل نظرية من هذه النظريات ، ثم يكشف لنا بأسلوب علمى — عيوب كل نظرية ثم يقدم لنا البديل فى الاعلام الاسلامى •

* كذلك من الطبيعى جدا أن تستخدم هذه الأنظمة غير الاسلامية الاعلام فى خدمة مصالحها دون النظر الى مدى أخلاقية الوسيلة •• ، ومن الضرورى جدا أن يكون للنظام الاعلامى فلسفة نابعة من فلسفة النظام الاجتماعى والاقتصادى والسياسى لهذه البلاد

◄

التصور الإسلامي

اذ المعروف أن الاعلام يعكس مجتمعه بدرجات متفاوتة .. !

ومن هنا كان الأولى أن يكشف لنا الكاتب زيف هذه النظريات وعدم ملاءمتها لبلاد العالم الاسلامى ثم يقدم لنا البديل فى اعلام اسلامى قوى ..

* والكاتب حين يجعل « المصدر » Source أى القائم بالاتصال هو القرآن الكريم (١) والسنة .. يتجاوز تحديد « المصدر » فى مفهوم الاعلام العلمى فان « المصدر » فى أى عملية اتصالية اعلامية هو الجهة التى ترسل المعلومات أو تبدأ فى الحديث بصفة عامة وبشكل مطلق ، فأنت حين تكتب هذا المقال فأنت « مصدر » أو « مرسل » والقارىء « متلق » .

ولكن ربما كان الكاتب يقصد بهذا القول أن منطلق النظام الاعلامى فى الاسلام أساسه القرآن الكريم والسنة النبوية أما أن يجعل القرآن الكريم هو « المصدر » فى الاعلام الاسلامى فانه قد تجنب ما حدده « الاعلام » من مفهوم لكلمة « المصدر » او للعملية الاتصالية بصفة عامة .

ولهذا يمكن القول أن الخطيب فى الاعلام الاسلامى هو « المصدر » والصحفى فى الصحافة الاسلامية هو « المصدر » و « المذيع » أيضا « مصدر » ، ومن هنا يمكن القول أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما الاطار العام والدستور الشامل المنظم لسير العمل الاعلامى فى الاسلام .

صحيح أن القرآن الكريم هو « الكتاب الوحيد الذى يعتبر (رسالة ووسيلة) فهو رسالة اعلامية من الخالق الى عباده وهو أيضا وسيلة الاتصال بين الناس وخالقهم .. ، ثمة نظرية اعلامية ترى أن الرسالة الاعلامية هى الوسيلة كذلك (٢) .

ورأى الكاتب فى مفهوم كلمة « المصدر » جره الى تصور آخر مخالف حين (٣) تحدث عن « المصدر » بأنه وحده القادر على المنع والعطاء .

نعم توجد فى الدراسات الاعلامية نظرية اصطلح على تسميتها « حراس البوابات » ويطلق هذا المصطلح على العاملين فى الاعلام حيث ينشر أو يذاع أو يقال ما يريدونه هم ولا ينشر أو يذاع مالا يريدونه مثال «المذيعون»: حين يحددون ما يذاع — وفق تعليمات معينة — ومالا يذاع ، ورئيس التحرير فى صحيفة أو مجلة يسمح بنشر كذا ولا يسمح بكذا .. الخ فليس « المصدر » فى التصور الاسلامى وحده هو القادر على العطاء والمنع وانما هذا فى كل النظم الاعلامية خصوصا ذات الصفة الجماهيرية .

* والكاتب يجعل « الرسالة » (٤) فى

---

١ — راجع المقال ، ص ٩٧١ عدد جمادى الآخرة ١٤٠٤ هـ .

٢ — وصاحب هذه النظرية العالم الاعلامى مارشال ماكلوهان .

٣ — مجلة الازهر ص ٩٧٢ .

٤ — الرسالة هى احد اركان العملية الاتصالية فى أى موقف اتصالى يتم بين اثنين .

التصور الاسلامى هى شهادة التوحيد وهـذا أيضا فيه تحديد للعملية الاتصالية فليست « الرسالة الاعلامية » هى شـهادة التوحيد وحسب .

فان معنى « الرسالة » Messaye فى العملية الاعلامية : كل ما يصدر عن القائم بالاتصال أو ما يسمى بالمصدر الى المتلقى Receiver .

« فخطبة الجمعة » رسالة ، ونشرة الاخبار .. رسالة وهذا المقال رسالة ، « والاعـلان » الموجود فى الشارع .. رسالة ، ولافتات المحال رسالة .

وقد تكون الرسالة الاعـلامية رمـزا أو كلمة أو ضوءا .

وشهادة التوحيد فى النظـام الاعـلامى الاسلامى ليست رسالة وانمـا هى أسـاس الالتزام بأخلاق الاسلام وأعماله فى الاعـلام ولكنها ليست « الرسالة » وانما هى « رسالة » من الرسائل المراد توصيلها للناس أمـا أن يقصر الكاتب « الرسـالة » الاعـلامية على شهادة التوحيد فهذا مخالف لواقع ما سيقدمه المصدر الاعلامى عن الاسلام عقيدة مـرة ، وشريعة أخرى وسلوك .. وغير ذلك .

* والكاتب حين يرى أن « المستقبل » (١) أو « المتلقى » لم يحفل به رجال علم الاتصال ناقض مع نفسه وهو يقول بعـدها : لأنـه المستهدف المراد تغير عقله وشعوره واتجاهاته وتفكيره (٢) » .

ان كل الدراسات والبحوث الاعـلامية فى العالم ما قامت الا من أجل «المستقبل» لافهامه ولمحاولة توجيهه وفقا لما يريد « المصدر » أو « القائم بالاتصال » والقـول بأن الاعـلام لا « يغير » عقـلا ولا اتجـاها ولا شـعورا نظرية قديمة ثبت علميا مدى الخطأ الذى وقع فيه من قال بها .. ، وانما الاعلام « يعدل » السلوك و « يدعم » الاتجاهات وحتى هـذا التعديل أو ذاك التدعيم يتم فى فترات طويلة المدى وليس بين يوم وليلـة .. فأثر الاعلام « تراكمى » وليس مباشرا .. !!

* وبصدد قول الكاتب « بأن المشاركة بين الداعية والمستقبل فى موضوع الرسـالة هى الحلقة التى يغفل عنها واضعو علم الاتصـال وهى الحلقة غير المرجوة عندهم » أرجـو أن يقرأ نظرية « ولبورشرام » : الجزء الخـاص « باطار الدلالة المشترك » (٣) .

* ثم هناك بعض الأقوال أطلقها الكـاتب وتحتاج الى مناقشة مثل قوله : ان الاتصال أو عملية الاتصال فى الاسلام خطرية وأنا أقول له:

من قال بذلك ؟

وما معنى (خطرية) عندك ؟

*** واخيرا أرجو ان يكون لـدى اخى كاتب المقال من سعة الصدر ما يتقبل بـه مناقشتى وانى لأشكر له حسـن النيـة واهتمامه بهذا المجال الاعلامى واحساسه بخطورته رغم اغفال المسـلمين لـه وانشغالهم عنه .**

وبالله تعالى وحده التوفيق ..

حسن على العنيسى

---

١ ــ بصيغة اسم الفاعل .

٢ ــ مجلة الأزهر ص ٩٧٢ .

٣ ــ وليرجع ــ ان شاء ــ الى الاسس العلمية لنظريات الاعلام : د. جيهان شـتى ، دار الفكر العربى .

الفتاوى

توزيع التركة

س : من السيد عبد العزيز عطية ·

رجل يريد أن يوزع تركته وهو على قيد الحياة ، ويريد أن يميز بعض أولاده الذين لم يتعلموا حتى يتساووا باخوتهم الذين تعلموا · فهل يجوز له ذلك شرعا ؟

ج : يجوز للوالد أن يوزع تركته على أولاده وهو على قيد الحياة ، ولا مانع من أن يميز أولاده الذين لم يتعلموا حتى يتساووا باخوتهم الذين تعلموا ·

فى الطلاق

س : من السيد / أحمد محمد عرابى

أنا مريض مرضا نفسيا وأعالج عند أحد الأطباء المتخصصين ، وعندما أغضب تأتينى حالة أخرج بها عن حالتى الطبيعية ولا أستطيع التحكم فى أعصابى نتيجة هذا المرض · وأثناء هذا أتلفظ بكلمة « أنت طالق » وقد تكرر منى هذا اللفظ وفى نفس الحالة ·· علما بأننى عندما أهدأ أندم على ماحصل منى فما الحكم ؟

ج : هذه الطلقات التى صدرت من الحالف لا يقع بها طلاق ، حيث ان المذكور مريض مرضا نفسيا لا يستطيع معه التحكم فى أعصابه وهو مازال يعالج منه حتى الآن · وهذا على رأى ابن القيم الجوزية ·

فى الزكاة

س : من السيد /حسنى محمد خليل ·

هل يجوز دفع الزكاة لترميم منزل أملكه ، نظرا لفقر المستأجرين وعدم استطاعتهم ذلك ·

ج : الترميم واجب بحكم القانون على المالك واذن فلا يجوز أن يدفع من الزكاة شىء لترميم المنزل ، ولكن يجب أن تدفع الزكاة لمصارفها من الفقراء والمساكين وغيرهم فان كان السكان فقراء أو مساكين فيجوز أن يأخذوا الزكاة وهم بعد ذلك مخيرون فى أن يساعدوا فى الترميم أو لا ·· حسب رغبتهم ·

فى الميراث

س : من السيد / عبد الرحمن عبدالحميد سعودى ·

توفى رجل عن زوجة ، أخت شقيقة ،أختين لأب ، عم لأب ·· فمن يرث ومانصيبه ؟

ج : للزوجة الربع فرضا لعدم وجودالفرع الوارث · وللأخت الشقيقة النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها·

إعداد : عبد الحميد شاهين
يجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

ج : للأخت الشقيقة النصف فرضا لعدم من يعصبها أو يحجبها . والباقى للأخوة والأخوات لأب تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الانثى .

س : من السيد / فكرى عبد العظيم نصار
توفى رجل عن زوجة ، أخت شقيقة ، أختين لأم ، أولاد أخ شقيق .. فمن يرث وما نصيبه؟

ج : للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث .

وللأخت الشقيقة النصف فرضا لعدم من يعصبها أويحجبها .

وللأختين لأم الثلث فرضا لعدم من يحجبهما يقسم بينهما بالتساوى .

والمسألة من اثنى عشر جزءا وتعول الى ثلاثة عشر جزءا توزع كما يأتى : ـ

للزوجة : ثلاثة أجزاء ، وللأخت الشقيقة ستة أجزاء ، وللأختين لأم أربعة أجزاء .

ولا شىء لأولاد الأخ الذكور لاستغراق الفروض التركة ، كما لاشىء للاناث من أولاد الأخ لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين عن أصحاب الفروض والعصبات .

والله أعلم

حكم التبنى فى الاسلام

س : من السيد/على دردير محمد ـ امبابة
ما رأى الاسلام فى التبنى وكتابة اسم المتبنى باسم الزوج والزوجة واستخراج شهادة باسمهما ، وما رأى الدين فى القرار الوزارى رقم ٥٦ صحة لسنة ١٩٧٤ الذى ينص على : « أن مركز رعاية الطفل يقطع صلته بالطفل تماما بعد تسليمه للمتبنى ، وتقضى السرية التامة فى شأن التبنى الذى يعتمده النظام القانونى للدولة بعدم اذاعة بيانات تتعلق بالموضوع لأى طالب ولو كان ذا حق فى الطلب ، واخيرا تعطى شهادة سلبية أو كتاب سلبى .. ؟

جـ ـ فنفيد بأن الله تعالى قال فى كتابه « وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ » وبذلك فالتبنى بمعنى نسبة ولد ليس من مائه ولا من صلبه اليه حرام بنص القرآن الكريم سواء كان معروف النسب أو مجهوله قال تعالى « ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ » وبذلك فلا توارث بين الابن المتبنى ومن نسبه اليه .

أما رعاية الطفل وحسن تربيته والعطف عليه من ماله بما لا يضر الورثة فذلك ما يرغب فيه الاسلام .

أنباء وآراء

* الرئيس حسنى مبارك يستقبل فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر

---

*استقبل الرئيس محمد حسنى مبارك فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر .

من الموضوعات التى دارت فى المقابلة . استضافة مصر وفود المؤتمر العالمى للسيرة النبوية الشريفة فى نوفمبر القادم .

من المنتظر أن يعلن فضيلة الامام الاكبر عن تشكيل الامانة العامة واللجنة التحضيرية للمؤتمر من كبار علماء وأساتذة السيرة النبوية !!

---

*أول مصحف كريم يطبع على مطابع الأزهر فى شهر شعبان .

تبدأ مطابع الأزهر الشريف فى طباعة أول مصحف على مطابع الأزهر الشريف فى شهر شعبان ـ ان شاء الله ـ صرح بهذا فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

*افتتح فضيلة الدكتور السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر مبنى كلية البنات الاسلامية ، والمدينة الجامعية وبعض المشروعات الاسلامية بمدينة أسيوط .

جامعة

الملك فيصل

اعلن الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر انه تم اعتماد ١٣ مليون جنيه لاستكمال باقى منشئات جامعة الملك فيصل الأزهرية باسيوط والتى ستتكلف ٣٦ مليون

جنيه . وتعد أكبر جامعة اسلامية متكاملة بالمحافظات .

ومن المنتظر أن تبدأ الدراسة العام القادم فى أول كلية طب أزهرية بالصعيد تكاليف الانشاءات التى تمت فى الجامعة حتى الآن بلغت ثلاثة عشر مليونا من الجنيهات ، وسيبدأ العمل من الآن فى انشاء كليتى طب الأسنان والصيدلة بهذه الجامعة الجديدة .

التأمين وفقا لأحكام الشريعة الاسلامية

أوصى المجلس القومى للانتاج والشئون الاقتصادية خلال اجتماعه برئاسة الدكتور عبد القادر حاتم المشرف العام على المجالس القومية المتخصصة بضرورة تركيز الجهود للتغلب على مظاهر ضعف سوق التأمين ومستوى الوعى التأمينى ، واصدار قانون خاص ينظم عقد التأمين وفقا لأحكام الشريعة الاسلامية ..

القوانين الغربية فى حاجة الى الشريعة الاسلامية

قال الدكتور كونراد دلجر أستاذ الشريعة الاسلامية بجامعة « هامبورج » الألمانية : ان ادخال القانون الاسلامى فى المحاكم والدراسات القانونية فى الدول الغربية ، حاجة ملحة فى الوقت الحالى . وقد استجدت دوافع نفسية ومادية ، تدفع الاوربيين الى دراسة القانون الاسلامى والاستعانة به . وأضاف فى المحاضرة التى ألقاها بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر الشريف : أن ملاحظة بعض القضايا التى حدثت فى المحاكم الألمانية تؤكد أن النظم الاجتماعية الغربية فى حاجة الى اعادة نظر لتؤكد على الصيغة الاجتماعية التى يجب أن تكون عليها الأوضاع الأسرية .

ان المعاهد العلمية القانونية فى ألمانيا وكثير من الدول الأوربية تقوم بدراسة التراث الفقهى الاسلامى . وان أسماء الأئمة أبو حنيفة والشافعى ومالك معروفة للجميع . كما لا ننسى أن المستشرقين منذ العديد من القرون قاموا بدراسة التراث الفقهى الاسلامى

إعداد :
أحمد عبد الرحيم السايح
صفوت عبد الجواد
عبد الفتاح السيد عبد السلام

أنباء وآراء

وهناك نفر تأثروا بالفقهاء ..

وطالب الدكتور « كونراد دلجر » بضرورة أن تعمل الجهات العلمية فى مصر على نقل القوانين الشرعية والتعريف بها فى دول أوربا، ويجب فى هذا المقام تبادل الزيارات العلمية بين الجامعات الغربية والجامعات الاسلامية .

أربعون ألف مخطوط إسلامى

أعلن المستشرق الروسى مظفر خيروبيتش مدير معهد الدراسات الشرقية بأكاديمية العلوم بروسيا : أن المسلمين لهم فى الاتحاد السوفيتى أربعون ألف مخطوط اسلامى نادر يرجع بعضها الى العصور الاسلامية الأولى وأنها وغيرها تعتبر المصدر الأول للثقافة الاسلامية واللغة العربية وانتشارها فى الجمهوريات السوفيتية .

مسجد ومدرسة إسلامية

تم افتتاح مسجد ومدرسة اسلامية جديدة فى بلدة « ووتر تاون » الواقعة على الحدود الكندية الامريكية . وكان للاخوة القائمين على **تسيير وادارة المركز الاسلامى لشمال ولاية « نيويورك » مساع حميدة فى هذا العمل الاسلامى النبيل .**

والمسجد والمدرسة ضمن بناية واقعة على مساحة من الارض تبلغ حوالى سبع (هكتارات) تم شراؤها مؤخرا من أجل انشاء مركز تجمع اسلامى يمارس فيه مسلمو المنطقة شعائرهم الدينية ونشاطاتهم الاسلامية . بالاضافة الى عقد المؤتمرات والندوات الاسلامية .

واشارت صحيفة **« ووتر تاون ديلى تايمز »** اليومية الى افتتاح المسجد والمدرسة الاسلامية فى أحد أعدادها قائلة : بأن بناء أول بيت لله فى منطقة شمال ولاية نيويورك يعتبر عملا طيبا لاقى القبول والاستحسان من سكان المنطقة غير المسلمين ..

ومما هو جدير بالذكر فى هذا المقام أن تعداد العائلات الاسلامية فى المدينة نحو عشرين الى خمس وعشرين عائلة اسلامية .

منظمة للطب الإسلامى

وافق مجلس الأمة الكويتى على مشروع انشاء منظمة للطب الاسلامى

بالكـــويت تهتم بالعلوم الاســـلامية والأبحاث فى هذا المجال واحيـاء التراث الاسلامى وفق منهج علمى حديث ..

جامعة الخرطوم

اقر مجلس جامعة الخرطوم اقتراح الأستاذ عبد الله احمد عبـد الله رئيس المجلس بتعـريب مـناهج التعـليم فى الجامعة لتكون اللغة العربية هى اللغـة الأولى بالجامعة مع الاهتمام بالانجليزية لغة ثانية . كمـا يتم التـداول داخـل مؤسساتها باللغة العربية الآن .

آراء

كتب السيد / رشاد اسماعيل — الزقازيق مقترحا . بأن يكون فى المجلـة (خطبة جمعة) تسهيلا على الدعاة .

* نشكر لك هذا الاهتمام وأولى به مجلـة أسبوعية كذلك يجب على الوعـاظ والـدعاة ، ونقصـد — هنا — حملـة المؤهـلات العلمية المتخصصة — أن يلوذوا بكتاب اللـه وسـنة رسوله وشروحهما وفى ذلك الكفاية والله الهادى الى سواء السبيل .

كتب السيد / عبد الله أحمد رفاعى — كلية التجارة — جامعة الازهر مقترحا . أن تخصص المجلة بابا يعنى بالاقتصاد الاسلامى ينشر فيه كل ما يخص هذا اللون الكريم من المعـاملات الى جانب معاملات البنـوك الاسلامية وغير الاسلامية .

ردود خاصة

الأخ / سلامة خضر جمعة — المنصـورة

الكهف — هو النقب المتسع فى الجبل وانا لم يكن متسعا فهو غار (١) .

(١) مع اعلام المفسرين — تفسير سورة الكهف — ص ١٠ للشيخ محمد على الصابونى .

فهرس العدد

الموضـــوع	الصـــفحة
* مجلة الازهـــر	
بقلم رئيس التحرير	١٢١١
دراســـات قرآنية	
* ايمان ابراهيم عليه الســلام لا شك فيه	
لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير	١٢١٤
* من أصحاب الأعراف	
للدكتور محمد رجب البيومى	١٢١٨
* الحمد فى القرآن الكريم	
للدكتور محمد محمد خليفة	١٢٢٣
دراســـات أسلامية	
* من مؤلفات الامام البخارى	
للدكتور الحسينى هاشم	١٢٣٠
* الانتماء فى توجيهات الاســلام	
للواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ	١٢٣٤
* لا اجتهاد مع النص	
للشيخ محمد حسام الدين	١٢٣٩
* الاســلام والتعايش السلمى	
للمستشار محمد عـزت الطهطاوى	١٢٤٥
* القيادة الادارية فى الاسلام	
للشيخ محمد صابر البرديسى	١٢٥٢
* العمل فى ضوء الكتاب والسنة	
للمستشار توفيق على وهبة	١٢٦١
من أعلام الازهـــر	
* محمد ابو زهرة شيخ الفقهاء المعاصرين	
بقلم عبد المعز عبد الحميد الجزار	١٢٦٦

* **جريدة الأزهر « دراسة صحفية »**
للاستاذ عاطف زهران ١٢٧٥
* **سيكوتورى .. الرجل والمبادىء**
للدكتور عبد الودود شلبى ١٢٨١

شعر وشاعر

* **شاعر الاسلام محمد اقبال**
للدكتور حسن جاد ١٢٨٨
* **الجمرة**
للاستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين ١٢٩٠
* **من شعراء الأزهر الشاعر الراوية أحمد الزين**
بقلم أحمد مصطفى حافظ ١٢٩٢
* **الله والعقل**
للاستاذ عبد العليم القبانى ١٣٠٠

من التراث

* **من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر**
للاستاذ محمد عميرة على ١٣٠٢
* **مجلة الأزهر من خمسين عاما**
اعداد وتقديم عبد الفتاح حسين الزيات ١٣٠٧
* **مبادىء القانون الدولى العام فى الاسلام**
للدكتور محمد عبد الله دراز ١٣١٨
* **طرائف ومواقف**
للاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
١٣٢٤

لغة وأدب ونقد

* **كلما**
للأستاذ أحمد حسن عبد العواض ١٣٢٨
* **قياسية المصادر**
للدكتور محمد زين العابدين حسن ١٣٣٠
* **ينابيع الثقافتين الاسلامية والعربية فى الاندلس قبل العقد**
للدكتور أحمد محمد النجار ١٣٣٥

الموضـــوع	الصـــفحة
* فى حاشية الأمير	
للاستاذ السيد حسن قرون	١٣٤٠
* القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم	
عرض وتعليق : أ٠د طه مصطفى أبو كريشة	١٣٤٨
* مع « دليل المسلم »	
للاستاذ عبد الظاهر عبد الكريم	١٣٦١
* السينما والدين	
للاستاذ مجدى صلاح	١٣٦٩
* تعقيب على الاسس الاعلامية فى التصور الاسلامى	
بقلم حسن على العنيبسى	١٣٧٧
* الفتـــاوى	
اعداد الاستاذ عبد الحميد شاهين	١٣٨٠
* انباء وآراء	
اعداد أحمد عبد الرحيم السايح	
عبد السلام السيد	١٣٨٢
صفوت عبد الجواد	
القســـم الانجليزى	
* المقال الثـــانى	
بقلم الاستاذ سليمان بركات	١٣٩٤
* المقـــال الأول	
بقلم الدكتور أنس النجار	١٤٠٠

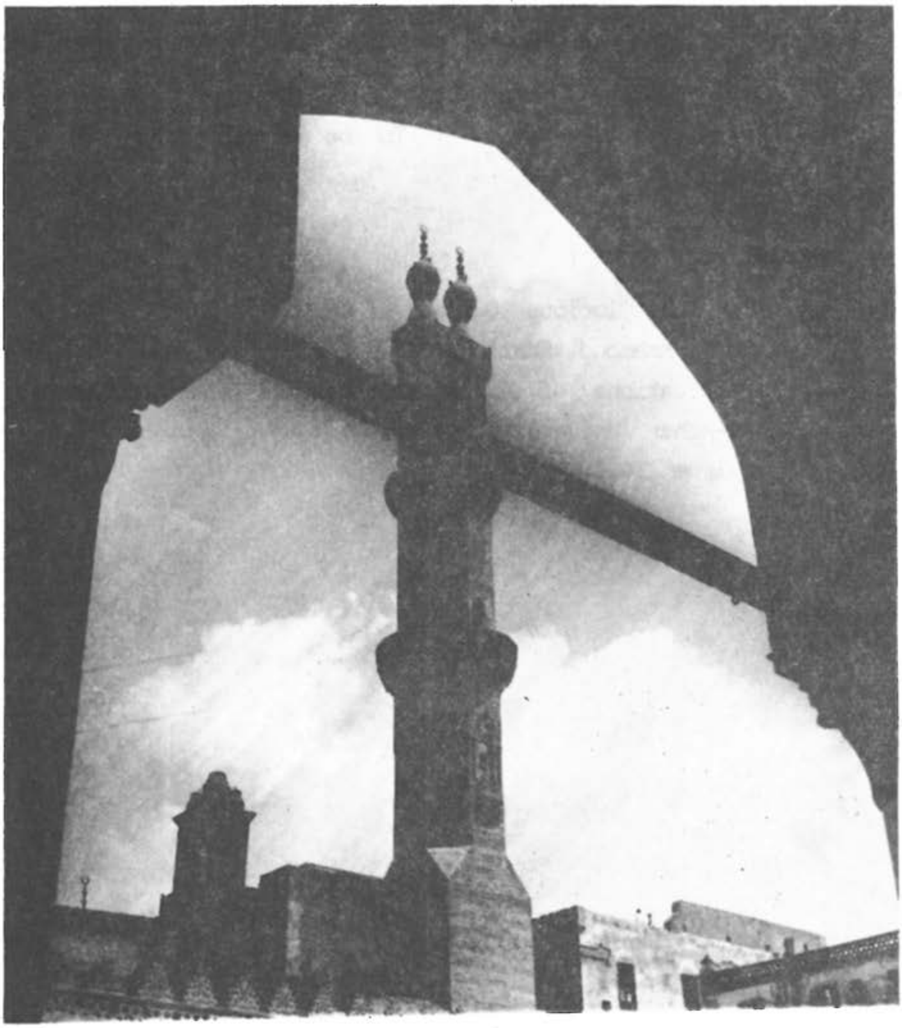

الجامع الأزهر

conviction and true faith and do righteousness are promised the felicity of the garden of paradise to enjoy in everlasting bliss.

(To be continued)

Translations from :

To the Glorious Qur'an
Imam Mahmoud Shaltoot
Publications of Administration of Islamic Culture
Al-Azhar University
Cairom 1962.

When it lighted all around him,
God took away their light
And left them in utter darkness
So they could not see.

(Surat Al-Baqara II, 17)

Or (another similitude)
Is that of a rain-laden cloud.
From the sky : in it are zones
of darkness, and thunder and lightning:
They press their fingers in their ears
To keep out the stunning thunder-claps
The while they are in terror of death
But God is ever round
The rejectors of Faith.

(Surat Al-Baqara II, 18)

The Sura proceeds to direct mankind to worship the Creator, the Exalted, and to grant with full conviction the belief in the Message conveyed to them by Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) . Allah has bestowed upon mankind the favours of creation and teaching, and has subdued to their service and exploitation the earth and its uses, and the heavens and the sustenance its water secures. So mankind should realise Reality and Truth and should not set up rivals and false gods with God.

Allah defies and challenges those who doubt the truth of the Revelation to produce a word of its like. Such is utterly impossible to attain. This is stated in brief and decisive words. Those are warned of Fire whose fuel is men and stones prepared for those who reject Faith. Those that believe with

Those that believe that all Revelations are from Allah; and thefore believed, and had assurance of the Hereafter. Men as such are rightly guided by their God and assured of prosperity.

Another group of people is portrayed, those who are belligerent and stubborn, obstinate in disposition, and blind to the signs of Reality and deaf to the voice of Right. The path to their rescue is blocked; and Allah (Exalted be He) describes them to the Prophet (Prayers and Peace From Allah upon him) by the verses.

As to those who reject Faith
It is the same to them
Whether thou warn them,
Or do not warm them
They will not believe
God has set a seal on their
Hearts and on their hearing
And on their eyes a veil;
Great is the penalty they incur

(Surat Al-Baqara II, 6,7)

Then a third class of people is described who were the hypocrites, the most evil and bitter. Similar to the infidels, they inwardly disregarded the call for Truth. However, unlike the bold antagonists, they kept up appearances among the faithful by false compromise and double faced deceit and pretext. The Sura describes those hypocrites in thirteen verses to expose their malice, arrogance, duplicity, Cynicism and evil nature. These verses stigmatises them with much disgrace and discredit. They are those who trade away guidance for error. However, their traffic will not profit ; and they will never be guided. Two similitudes are given to show the accursed doom that awaits them.

Their similitude is that of a man
Who kindled a fire;

THE OBJECTS OF THE HOLY QUR'AN

" The way of those on whom Thou have bestowed Thy Grace, whose portion is not wrath, and who go not astray". These verses show that Those men are three types before the Law of Allah :

1 - Those who abide by the straight path and are distinguished by the attribute of Allah's Grace.

2 - Those who rejected God's Signs out of iniquity and arrogance, and are given the attribute of those who have earned God's anger.

3 - Those who are hesitant between apparent faith and hidden infidelity, and are described as " going astray ".

Comprehensively, " Alfatiha " has fulfilled the essence of the creed during life and after death, giving man the achievement of knowledge. It has also marked the path to grace and righteous conduct, giving man the achievement of self discipline and self government. It encompasses all meanings detailed in the Holy Qur'an.

Sura Al - Baqara

Next to "Al-Fatiha" comes "Al-Baqara" the longest Sura in the Qur'an. It is the first Madina Sura. Its early verses comprise definition of various human catagories as regards the impact of Qur'an upon them. Addressing mankind with the elements of the creed, and drawing attention to various manifestation of Unity in Belief.

It opens with concrete affirmation of the undoubted reality of the Book; and it affirms both its Divine source and its blessed value as a guide of the Righteous and Godfearing. Those who are not enslaved by blind materialism nor by fanatical racism. The men of this class have firm belief in Allah and in the Unseen; and in recognition they are steadfast in prayer; and spend out from what Allah has provided for them.

THE OBJECTS OF THE HOLY QUR'AN

by: Soliman Barakat

Sura " ALFATIHA ", the opening sura of the Holy Qur'an, also named the 'Substance of the Book starts with " Praise be to Allah"; so does four other suras namely Al-Anaam, Al-Kahf, Saba and Fatir. Alfatiha comprises seven verses which are rightly placed at the beginning of the Qur'an summing up in comprehensive words man's relation to Allah.

"Al-Fatiha " summs up all that has been detailed throughout the Qur'an. It covers creed, acts and law.

The verses " In the Name of Allah " "Praise be to Allah God of the worlds ", The Most Gracious and Merciful ", all affirm the Unity of Allah, the Sole Creator, Sustainer and Cherisher of all that was, has been and will ever be.

" Master of the Day of Judgement " confirms Resurrection on Doomsday, when man is requited for his deeds.

" Thee do we worship, and Thine aid we seek " displays man's incessant need of his God's succour and sustenance, and excludes any guidance or divinty to whosoever other than Allah.

" Show us the straight way " calls man to search for and follow the directions that Allah has ordained; recommended or prohibited.

THE EGRESS AND THE PROHIBITION

References :

1) Alsira Alnabawiah.
3rd. Edition 1981
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Publisher, Dal Al Sharook, Jeddah

2) Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen.
24th, Edition 1978
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commerical Library, Cairo.

3) Mashahid min Alsira Alatirah.
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library - Cairo - Printed 1980

4) Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dal Al-Marrif, 1977, Cairo

5) The Holly Qur'an
Text, Translation and Commentary
Abdullah Yusuf Ali.

6) Fiqh Alsira.
Dr. Mohammad Ramadan Albooty
7th Edition, 1977
Dar Al-Fikr, Cairo

to seek knowledge and wisely inquire into this new creed of faith that has appeared and gained an integral and challenging form in their society. Al-Tofail Ibn Amre Al-Dawsy cheiftain of the tribe of Daws came to Mecca to meet and listen to the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him), after which he proclaimed islam, and summoned his people to follow the call of Truth. Also, a delegation of twenty Christians from Negran came to Mecca for the same purpose. After listening to the demands and teachings of islamic creed, and understanding throught their honest Christian faith the Truth and Reality of the new religion, they announced their islam. So continued the slow but steadfast tide of Islam to propagate in subtle propensity among the clans of Koraysh in Mecca and among the Arab tribes at large.

In succession of events, came the death of Khadija Bent Khuwaylid faithful wife of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) ; and so ends the source of sentiment, support and reconciliation. Soon after her death, his uncle Abu Taleb died; and so ends the social support and patronage accorded to him before their death.

This was the year of grief and sorrow. Through divine will, the death of Khadija and Abu-Taleb came at this very crucial phase; and the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) and all muslims realising with concrete conviction that Allah (Exalted be He) is the Sole Power and Supporter of All.

The summons to Islam continued, and the torch of True belief propagated to light the path to Reality . However, Koraysh remained blinded in darkness of their dire animosity and hatred, continued to inflict the Muslims with abject humility and berating insolent derision; more severe and cruel than ever before.

Prayers and Peace from Allah upon our magnanimous Prophet.

THE EGRESS AND THE PROHIBITION

Accordingly, Bani Hashim and Bani Al-Mutaleb Muslims and non-muslims alike were seriously besieged in the valley of Bani Hashim. The muslims because of their faith, and the non-muslims because they refused to surrender the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) - a man of their clan to the other clans of Koraysh. Only Abu Lahab Ibn Abd Al-Mutaleb took sides with Koraysh. The stringent implementation of the prohibition caused severe distress and dire affliction to those under the impact of the prohibition. Their situation was so grievous and disastrous that they resorted to shrubs and plant leaves for food. This concrete prohibition lasted for three years from the seventh to the tenth year from the start of prophethood.

The termination of the prohibition started by the decision of five men from Koraysh to renounce the document, after perceiving the indignity and disgrace implicated in the continuation of such unwarranted profanity on the part of Koraysh. Their speaker was Zuhair Ibn Umayah who with determined words spoke to the clans of Koraysh insisting to reject the document and terminate the prohibition. He was fully supported and seconded by the other four men, and finally Mutaam Ibn Adii got hold of the document to tear it. The document was moth eaten except for the word " Allah " that remained; a fact that was related by the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) to his uncle Abu Taleb before it was discovered. So ended the prohibition, and Bani Hashim and Bani Al-Mutaleb returned to their homes in Mecca together with the muslims amongst them. The conflict and antagonism of Koraysh towards the muslims, however, continued with relentless adamant acuity.

In the meantime the Qur'an and the doctrines of Islam were steadily propagating among the tribes, it certainly induced people with deep seated wisdom, clarity of thought and freedom of spirit

ordered the envoys of Koraysh to depart, and accepted the Muslims to remain in Ethiopia in safe conduct enjoying his kind protectorship where they remained till the Hijrah of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) to Al-Madina.

The ultimate success of the Muslim egress from Mecca caused great anger and perturbance in the ranks of Koraysh. They finally resoluted to assassinate Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him). With austere insolence and defiance, they consulted Bani Hashim, and Bani Al-Mutaleb the parent clans of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) to surrender him to them. Bani Hashim and Bani Al-Mutaleb refused the request and in challenge insisted to protect the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) against the other clans of Koraysh.

In the course of these stirring circumstances, came the islam of Omar Ibn Al-Khattab; an event that had a pounding and bitter effect on the moral of Koraysh, adding to their mordancy and acrimony. This episode materialised on the hands of his sister Fatimah Bent Al-Khattab, her husband Said Ibn Zayd and their teacher Khabbab Ibn Al-Erit. After a conflicting discourse with them, Omar Ibn Al-Khattab guided by Ibn Al-Erit went to the presence of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) to announce his islam. Subsequent to this event, the Muslims convened publicly in the courtyard of the Kabaa. The islam of Hamza Ibn Abdel-Mutaleb, and now Omar Ibn Al-Khattab certainly promoted the position of Muslims, and deprecated that of Koraysh.

The clans of Koraysh resolved to challenge the Muslims and all those who protected them from Bani Hashim and Bani Al-Mutaleb. They decreed in a written document to prohibit and boycott all social and economic relations with them. The ostracism must strictly be enforced until the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) is surrendered to them. The militant clans of Koraysh posted up the document inside the Kabaa as sign of ascertained coalition and resolute determination.

women; nominating as their leader Osman Ibn Mathoon. They remained in Ethiopia for three months under the kind guardianship of the good Christian Ethiopian king Al-Nagashi. They heard news from Mecca that relations between Koraysh and Muslims had improved and that Koraysh embraced Islam. They returned to Mecca and discovered the falseness and fakery of what had reached them of news, and that conditions were more atrocious and turbulent with vehement fierceness. Those that entered Mecca experienced severe hostility and mortification on the hands of Koraysh. Some returned to Ethiopia followed by other Muslims conforming with the conciliation of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him). This was the second Muslim egress from Mecca to Ethiopia of a total number of eighty three men and eighteen women, including Gafar Ibn Abi Taleb and his wife, Abdullah Ibn Massood, Abdullah Ibn Gahshe, and some Muslims from Yemen Abu Moussa Al-Aashary and several of his clan.

The exodus of these Muslims from Mecca caused severe agitation and anger to the leaders of Koraysh. They decided to send Abdullah Ibn Abi Rabieah and Amre Ibn Al-Aas to Ethiopia in pursuit of Muslims, to meet with Al-Nagashi in an endevour to alienate and antagonise the existing good relations and kind guardianship to the Muslims.

Ibn Al-Aas and Ibn Abi Rahieah contrived in guile cunning strategum; however, Al-Nagashi gifted with honest wisdom and clear provident thought, gathered the Muslims and the envoys of Koraysh in confrontation. Gafar Ibn Abi-Taleb spoke on behalf of the Muslims denying and discarding the words of the envoys, and exposed the falseness and pretext in the words spoken by Ibn Al-Aas and his friend. On the request of Al-Nagashi, Gafar recited verses of the Qur'an from Surat Mariam, in response to which Al-Nagashi shed tears and said " This and that which Jesus Christ spoke, both originate from the same source of Light ". He

THE EGRESS AND THE PROHITION

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

IN the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

The tyrannical oppression, cruelty and fierce antagonism on the part of Koraysh towards the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) and Muslims continued relentlessly with bitter hatred. The Muslim minority amidst the expansive majority of the clans of Koraysh in Mecca were helpless with absolutely no means or power to protect themselves. There was yet no divine command by Revelation to resort to armed challenge even for self defence. They remained passive, patient, bearing, unyielding, fully confident, and self supported by the belief in the faith that illuminated their souls. The tyrannical oppression of Koraysh only added to their strength, resoluteness, endurance and constancy.

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) witnessed the atrocious cruelty inflicted upon the Muslims and perceived no capacity or provision for their protection, and therefore commended them to depart to Ethiopia, a land of truth and justice; until a time Allah provides for them what He wills. Upon this commendation, the first Muslim egress from Mecca to Ethiopia started; among who departed were Osman Ibn Affan and his wife Rukayah (Daughter of the Prophet - Prayers and Peace from Allah upon him), Abdul Rahman Ibn Aouf, Osman Ibn Mathoon, Musab Ibn Umair, Zubair Ibn Al-Awam, and others, to make a total number of ten men and five

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف

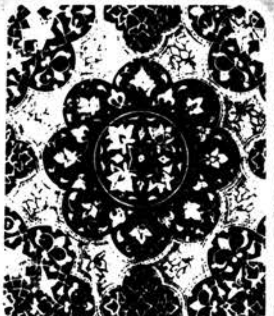

بسم الله الرحمن الرحيم

رمضان
شهر الصفاء والنقاء

هذا شهر رمضان ، غرة الزمان ، ومتجر أهل الايمان ، قد اختصه الله بانزال القرآن وفرض فيه على المؤمنين الصيام ، وجعله أحد أركان الاسلام (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (١) .

(١) البقرة : ١٨٥ .

* رمضان ١٤٠٤ هجرية * يونيو ١٩٨٤ ميلادية

السنة السادسة والخمسون — الجزء التاسع

رمضان

أليس هذا تنويها من الله سبحانه بفضل شهر رمضان الذى وجب على المسلمين صومه ؟ وأليس تنويها بفضل القرآن الذى أنزله الله هدى للناس على رسوله محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذى جاءت رسالته للهداية العامة لجميع الأنام ؟

(وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) (١) .

وفى شأن هذا الشهر وفضله روى ابن خزيمة فى صحيحه عن سلمان رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم فى آخر يوم من شعبان فقال :

(انه قد أظلكم شهر مبارك : شهر كتب الله عليكم صيامه ، شهر جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة وشهر يزاد فيه فى رزق المؤمن ، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من اجر الصائم شىء) .

---

(١) النمل : ٧٧ .

شهر الصفاء والنقاء

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

أرأيت أنه شهر الصبر على طاعة الله ، والاستسلام لأمر الله ، والبعد بالصوم عما حرم الله ، ومآل المسلم فيه وبه الى الصفاء والنقاء :

الصفاء من نوازع الشر والآثام .
والنقاء عن اللغو والرياء .

وذلك باعتبار أن الصوم عبادة ورياضة ، وتهذيب لبنى الانسان وتعويد على الصبر والالتزام بطاعة الله والابتعاد عما حرم الله وبه يصبح الصائم مالكا لأمر نفسه ، قويا فى دينه ودنياه ومن هنا كانت تسمية الرسول ــ صلى الله عليه وسلم : (شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة) .

والصوم نوع من الجهاد فى سبيل الله ، اذ المجاهد هو من جاهد نفسه وألزمها الوفاء بطاعة الله والكف عما حرم الله ، وهذا النوع من المجاهدين قد وعدهم الله أجزل المثوبة (**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً**

إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ) (١) ٠

فى رمضان ينبغى أن تصفو النفوس وتتطهر القلوب من الغل والبغضاء ، ففيه ينادى مناد :

(يا باغى الخير أقبل ، ويا باغى الشر أقصر) ٠
وفيه تنزل رحمة الله ويستجيب الله الدعاء ويغفر الخطايا ٠

حبذا لو انعقدت فيه الندوات والحلقات لتدارس القرآن وسنة خير الآنام ، بل ان على كل أسرة أن تتذاكر أمور دينها وأن تجعل من وقتها ما تستمطر به رحمة ربها وخيراته التى بها تطمئن القلوب وتصفو الأنفس وتسخو الأيدى بالبر والخير والعطاء ، فتنتشر المودة والألفة ، وتندفع الحاجة وتتوثق أواصر المجتمع الاسلامى ، بل والانسانى ٠

وهكذا كان احياء رمضان بالعبادة وتلاوة القرآن ومداومة الاحسان سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ٠

ان الصوم سر بين المسلم وربه ، فهو عبادة لا يدخلها الرياء ومن ثم كان على ما وصفه الحديث القدسى الذى ثبت فى البخارى ومسلم :

(قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به ، والصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل ، فان سابه أحد أو شاتمه فليقل : انى صائم) ٠

هذا الصوم وقاية من الآثام والاجرام قولا وفعلا ، فهو حصن للمسلم ، وهو وسيلته الى اعتياد الاستقامة والترفع عن الدنايا ٠

هو رياضة بدنية ونفسية وتربية خلقية ، وهو قوة تدعو الى الحزم والى الحسم ٠

(١) التوبة : ١٢٠ ٠

تعالوا أيها المسـلمون ونحن فى غرة هذا الشهر المبارك نتعهد القـرآن بالحفظ والتـلاوة والتدبر فى آيـاته ، والعمل بأحـكامه والجلوس الى مائدة الله التى لا ينفد خيرها ..

تعـالوا نتخـذه شـهرا لوقف الاسراف فى الطعـــام والشراب ، ولا نجعله موسما للموائد الزاخرة بمـا يثقل البطون ويمرض الأجسـاد ويتلف الأموال .

تعالوا : نتخذه موسـما لعـلاج السرف والترف ، فنوفر لبلادنا ولأنفسنا الكثير من المنافع والمرافق ونرفع عـن كاهلنا عبء هـذه الديـون التى قـد استمرأناها واسترسلنا فيها .

ها هو ذا شهر رمضان اتخـذوه موسما للاقـلاع عن سيء العـادات ، وصوموه احتسـابا لربكم ، وقـوموه احسـانا لعاقبتكم ، وتوادوا فيـه ، وتحابوا واكتسبوا فيه بعبادتكم الصفاء والنقـاء ، فـان الله طيب لا يقبـل الا طيبا .

تعالوا نستمع الى وصية رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمعـاذ ابن جبل رضى الله عنه لنأخذ أنفسنا بها فى هذا الشهر المبارك أملا فى رضـوان الله وهـدايته قال ـ عليـه الصـلاة والسـلام :

« ألا ادلك على أبواب الخير ؟
قلت بلى يارسول الله .
قال : الصوم جنة ، الصدقة تطفىء الخطيئة كمـا يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل ثم تلا :

(تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُـونَ رَبَّهُمْ خَـوْفًا وَطَمَعًـا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُـرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (١) .

جاد الحق على جاد الحق
شـيخ الأزهر

---

(١) السجده : ١٦ ، ١٧ .

من نوادر التشريع

صيام نوح عليه الصلاة والسلام

نوح – على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام – من أولى العزم من الرسل ، ورسالته – صلوات الله وسلامه عليه – فى أصول عقيدتها ، وفى شىء من تشريعها كانت وحيا عاما لكل ما تلاها من رسالات .

ويذكر الرواة فى صيامه وقومه ، آثارا نعطيها ما تستحقه من دراسة ، بعون الله :

أ – جاء فى مسند الامام أحمد بن حنبل – رضى الله عنه : « حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى ثنا أبو جعفر . ثنا عبد الصمد ، عن أبيه عن شبيل ، عن أبى هريرة قال :

مر النبى – صلى الله عليه وسلم – بأناس من اليهود قد صاموا يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا من الصوم ؟

قالوا : هذا اليوم الذى نجى الله موسى وبنى اسرائيل من الغرق ، وغرق فيه فرعون ، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودى ، فصامه نوح وموسى شكرا لله تعالى .

فقال النبى – صلى الله عليه وسلم – :

أنا أحق بموسى ، وأحق بصوم هذا اليوم . فأمر أصحابه بالصوم (١) .

هذا الحديث – الذى رواه أحمد – أدرجه الامام الحافظ ابن حجر ، فى شرحه لصحيح البخارى ، دون تعقيب عليه (٢) .

واذا سكت ابن حجر عن « الحديث » فى « فتح البارى » دل ذلك على «حسن الحديث» أو « صحته » ، كما بين ذلك فى مقدمته ، حين عرض لمنهجه فى ذكر شرح الكتاب .. فقال : عما يقدمه بين يدى هذا الشرح النفيس :

« .. منتزعا كل ذلك من أمهات المسانيد والجوامع والمستخرجات والأجزاء بشرط الصحة أو الحسن فيما أورده من ذلك » (٣) .

---

(١) الامام احمد بن حنبل – المسند ٢/٢٥٩ – المطبعة الميمنية ١٣١٣ هـ .

(٢) انظر للحافظ احمد بن على بن حجر العسقلانى – فتح البارى بشرح صحيح الامام ابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى – ٤/٢٤٧ – المطبعة السلفية ومكتبتها بالروضة القاهرة (١٣٨٠) .

(٣) الحافظ احمد بن على بن حجر العسقلانى – هدى السارىمقدمة فتح البارى ص (٤) المطبعة السلفية ومكتبتها بالروضة – القاهرة .

للدكتور على الخطيب

ثم نص الشيخ الساعاتى — فى تخريجه لأحاديث المسند على أن « سنده جيد » فقال — عن الحديث :

« لم أقف عليه لغير الامام أحمد ، وسنده جيد (١) » .

لكن بعض الدارسين يعل الحديث بوالد « عبد الصمد » وهو « حبيب بن عبد الله الأزدى » لأنه مجهول ، لا علم لأحد بمكانته من التحديث : هل هو ثقة ، أو صدوق ، أو ضعيف ، أو متروك ولما كان الحكم بـ «وضع» الحديث — فى هذه الحال — غير جائز ولا مقبول ، رأى أنه « ضعيف (٢) » فقط .

قلت : ولكن الحديث استشهد به ابن حجر ، وهو نفسه صاحب « تهذيب التهذيب » وصاحب « التقريب » الذى بين فيهما أن حبيبا « مجهول » فكيف سكت عنه فى «الفتح» وأورده بحيث يفهم منه أنه « حسن (٣) » أن لم يكن « صحيحا » ، وهو العالم بالرجال ، صاحب التآليف فيهم ؟

انما كان الأمر كذلك ، لأن للحديث شاهدا آخر — عند ابن حجر — قد أورده — بدوره — فى « فتح البارى » أيضا ، وهو من رواية ابن عباس — رضى الله عنهما — قال ابن حجر :

« وقد أخرج أحمد — من وجه آخر — عن ابن عباس — زيادة فى سبب صيام اليهود له ، وحاصلها أن السفينة استوت على الجودى فيه فصامه نوح وموسى شكرا (٤) » .

فللحديث اذن روايتان ، تشهد كل منهما للأخرى ، ولا على ابن حجر من سبيل اذا أورده بشرطه فى « فتح البارى » . وقال — رضى الله عنه — معقبا :

« وكأن ذكر موسى دون غيره ، هنا لمشاركته لنوح فى النجاة ، وغرق أعدائهما (٥) » .

روى الامام محمد بن جرير الطبرى ، قال :

« حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر الرازى (٦) ، عن قتادة قال :

هبط نوح من السفينة يوم العاشر من المحرم

---

(١) الشيخ احمد بن عبد الرحمن البنا — الشهير بالساعاتى — الفتح الربانى لترتيب مسند الامام احمد بن حنبل الشيبانى — ١٠/١٧٧ — ١٧٨ — ط اولى ٣٥٧ مطبعة الفتح الربانى .

(٢) هذا رأى بعض الاساتذة الزملاء بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

(٣) راجع حرف « الحاء » المهملة بكلا المصنفين لابن حجر .

(٤) ابن حجر — فتح البارى ٤/٢٤٨ .

(٥) نفس المرجع بنفس المقام .

(٦) الرواة فى هذا الخبر هم : القاسم بن الحسن ، عن الحسين بن داود الملقب بـ : سنيد « مصغرا » عن الحجاج بن محمد المصيصى ، عن أبى جعفر : عيسى بن أبى عيسى ماهان الرازى عن قتادة بن دعامة ابن قتادة السدوسى البصرى » .

فقال لمن معه : من كان منكم اليوم صائما فليتم صومه ، ومن كان مفطرا فليصم (١).

ومثل هذه الأخبار لا يتحدث بها التابعى الثقة عن رأى .

وما ورد لنا فى صيام نوح يمكن أن نستنتج منه أن الصيام كان بشريعته فرضا ونفلا ، اذ

كان فى قومه يوم « الجودى » مفطرون ، ولو كان صيامه فى هذا اليوم فرضا ما كان بحاجة الى تنبيه المفطر أن يصوم .

فأما ما أورده (ابن ماجه) بشأن صيام نوح الدهر ، فحديث ضعيف وان كان لا سبيل الى الطعن فيه بكذب ، قال رضى الله عنه :

« حدثنا سهل بن أبى سهل ، ثنا سعيد بن أبى مريم ، عن ابن لهيعة (٢) ، عن جعفر بن

ربيعة ، عن أبى فراس ، أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : سمعت رسول الله — صلى الله

عليه وسلم — يقول : « صام نوح الدهر الا يوم الفطر ويوم الأضحى » .

ورجال هذا الحديث جميعا ثقات الا ابن لهيعة ، فهو صدوق وهم ، مات عام أربع

وسبعين ومائة من الهجرة ، واحترقت كتبه سنة سبعين ومائة ، ولا دلالة — بين أيدينا —

تقطع بأن الحديث من روايته قبل احتراق كتبه، وقد قال الامام الذهبى فيه :

(العمل على تضعيف حديثه (٣)) .

واذا كان الحديث لدى المحدثين ضعيفا ، ولا دليل على أنه كذب ، فان دلالته « التاريخية » ليست بعيدة عن واقع الامور :

فقد تحرينا فى صيامه : الفرض والنفل .

فأى مانع يمنع أن ينتهى صيام الفرض فى شريعته بـ « عيد » للفطر ؟

و « القربان » أمر مقرر فى الشرائع القديمة من عهد آدم — عليه الصلاة والسلام — وهو

من وجه يماثل « الأضحيه » فى الاسلام ، فما يمنع أن يكون لهم أضحية أو عيد للقربان ؟.

ليس ما يمنع وجود العيدين ، بل ذلك هو الأغرب فى سنن التشريع وهو الأقرب أيضا فى تحريم الصيام فى هذين اليومين .

---

(١) راجع بتفسير الطبرى — تفسيره للآية رقم (٤٤) من سورة هود .

(٢) بزنه كريمة .

(٣) الامام الذهبى — الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة ١٢٢/٢ مطبعة دار التأليف بالمالية بمصر ١٩٧٢ . وراجع لابن حجر — تهذيب التهذيب ٣٧٣/٥ — ٣٧٧ .

وقد أورد ابن كثير — رضى الله عنه — بتفسيره رأيا يرى أن المراد : بـ « الذين من قبلكم » فى آية الصيام — هم قوم نوح ومن بعدهم فقد روى : « ان الصيام كان أولا (أى فى الاسلام) كما كان عليه الأمم قبلنا من كل شهر : ثلاثة أيام — عن معاذ ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وعطاء ، وقتادة ، والضحاك بن مزاحم ، زاد :

« لم يزل ذلك مشروعا من زمان نوح الى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان (١) » .

كيفية الصيام فى شريعته — صلى الله عليه وسلم : —

تقدمت لنا أصول رسالة تامة ، كانت — كما ذكرت — وحيا عاما لما تلاها من رسالات فى أصولها وبعض تشريعها مما يجعل أصحابها أهل كتاب سماوى خالص ، وتلاوتنا لسورة « نوح » تهدينا الى أصول هذه الرسالة فى عقيدة « الوحدانية » المصفاة التى بعث بها نوح — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، وهذه الدراسة تقدم شيئا من تشريع الصيام فى تلك الرسالة .

لذلك نستطيع أن نستأنس لكيفية الصيام فى هذه الشريعة بما رواه الامام مسلم فى صحيحه — قال — رضى الله عنه :

حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا الليث عن موسى بن على عن أبيه عن أبى قبيس — مولى عمرو بن العاص ، عن عمرو بن العاص أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال :

« فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر » (٢) فكان هذا الصيام — والله أعلم :

(١) الحافظ ابن كثير — تفسير القرآن العظيم ٢١٣/١ دار احياء الكتب العربية .

(٢) صحيح مسلم ١٢٠/٣ ١٣١ مؤسسة الطباعة دار التحرير للطبع والنشر .

من بواكير التشريع

كف عن المطعم والمشرب والمنكح النهار كله ومعظم الليل وانما ورد التخفيف فى شريعة رسولنا — صلى الله عليه وسلم — فى قوله تعالى :

« وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ » (١) .

التحريم الأبدى فى شريعته عليه الصلاة والسلام .

ونعنى بالأبدى : الكف عن نوع أو أكثر من الطعام أو الشراب على سبيل التحريم الدائم.

ويبدو أن هذا اللون من التحريم لم يرد فى شريعته — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

قال ابن كثير :

« ان نوحا — عليه السلام — لما خرج من السفينة أباح الله له جميع دواب الأرض يأكل منها » (٢) .

والقرآن الكريم يصدق ذلك ، قال تعالى :

« كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ » (٣) .

وابن كثير — رضوان الله عليه — دارس للعهد القديم دراسة مستفيضة ، يعلم ذلك من عكف على تفسيره ، ودرس منهجه فى مقدمة كتابه الجليل « تفسير القرآن العظيم » فقد صرح فى هذا المنهج بتصديقه للأخبار الاسرائيلية التى يصدقها الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة » أو كلاهما .

وقد ورد فى العهد — بصدد نوح — عليه السلام :

« كل دابة حية تكون لكم طعاما ، كالعشب الأخضر دفعت اليكم الجميع » (٤) أى شريطة ذكاة مايذكى منه .

وقد كان يعقوب — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام — ممتعا بتلك الاباحة حتى حرم هو على نفسه لحم الابل أو عروقها وألبانها .

د/على الخطيب

---

(١) البقرة ١٨٧ .
(٢) المصدر السابق ٣٨٢/١
(٣) آل عمران الآية ٩٣
(٤) التكوين ٩/٤و٥

دراسات قرآنية

رؤية الهلال
والحساب الفلكى

القرآن الكريم
كيف نزل من السماء
فى رمضان ؟

غزوة بدر الكبرى
ومقومات النصر
على العدو المتفوق

رؤية الهلال
والحساب الفلكى

البيـــان

شرف الله شهر رمضان بانزال القرآن الكريم فيه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر ، ليكون هاديا للناس وبينات من جنس الهدى الالهى والفرقان السماوى الذى يفرق بين الحق والباطل، ومن أجل ذلك جعل الله هذا الشهر موسما لركن من أهم أركان الاسلام هو الصيام .

ولما كانت الشهور القمرية التى يدور أمر الصيام عليها تكون تارة تسعة وعشرين يوما ، وأخرى ثلاثين يوما ، فلهذا أوجب الله صيامه على أساس العلم بهلاله ، وذلك بقوله سبحانه « فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ » فالمراد بشهود الشهر العلم بمجىء رمضان ، وذلك اما باستكمال شعبان ثلاثين يوما ، واما برؤية هلال رمضان ليلة الثلاثين من شعبان ، لقوله — صلى الله عليه وسلم — فيما رواه الأئمة « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين » ولفظ البخارى « الشهر تسع وعشرون ليلة ، فلا تصوموا حتى تروه ، فأن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » رواه ابن عمر .

ويحكم القاضى بثبوت الرؤية اذا شهد بها عنده عدلان أو اكثر ، لقوله — صلى الله عليه وسلم « فان شهد ذوا عدل فصوموا وأفطروا » .

وقال الامام ابن حجر : ان الشهادة بها ليست محض شهادة ، بل فيها شوائب من الرواية التى تقبل من عدل واحد ، فلهذا يحكم بثبوت الهلال بشهادة عدل واحد ، وذلك فى هلال رمضان ، أما هلال شوال فلا يثبت الا بشهادة عدلين اثنين احتياطا للصوم فى كليهما .

واذا غم الهلال ليلة الثلاثين من شعبان وجب فطره عند الشافعية ، ولا يصح صومه الا قضاء عن فائت أو أن يوافق عادة له ، كمن اعتاد صيام الاثنين فوافق الثلاثين من شعبان ، وأجاز أبو حنيفة وأصحابه صيامه تطوعا ،

قال الله تعالى: "شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه" الآية ٨٥ من سورة البقرة

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

وبه قال الليث بن سعد وأحمد ومالك فى المشهور عنه :

ويرى بعض الحنفية صحة صيامه عن رمضان مع الكراهة ، وفى المسألة أقوال عديدة ذكرها الامام العينى فى كتابه عمدة القارى •

والصواب ما ذهب اليه الشافعية ، فقد صح عن عمار بن ياسر أنه قال « من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم ــ صلى الله عليه وسلم ــ » والصحابى لا يقول ذلك من قبل رأيه ، فله حكم المرفوع •

اختلاف الأقاليم فى الرؤية

اذا رؤى الهلال فى بلد ولم ير فى بلد آخر ، فان كانا متقاربين وجب على أهل البلدين الصوم ، وان كانا متباعدين وجب الصوم على أهل البلد الذى رأوه ، ولم يجب على من لم يروه ، لما رواه الامام مسلم عن كريب قال « قدمت الشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ، ثم قدمت المدينة فقال عبد الله بن عباس : متى رأيتم الهلال ؟ فقلت ليلة الجمعة ، فقال : أنت رأيت ؟ قلت : نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية •

فقال : لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل العدة أو نراه ، قلت : أولا نكتفى برؤية معاوية ؟ قال : هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم » •

هذا ما قاله أبو اسحاق ابراهيم بن على الشيرازى فى كتابه المهذب ، وعلق عليه الامام النووى فى المجموع شرح المهذب فقال (١) **(المسألة الثالثة)** اذا رأوا الهلال فى رمضان فى بلد ولم يروه فى غيره ، فان تقارب البلدان فحكمهما حكم بلد واحد ، ويلزم أهل البلد الآخر الصوم بلا خلاف ، وان تباعدا فوجهان مشهوران :

(أحدهما) لا يجب الصوم على أهل البد

---

(١) جـ ٦ ص ٢٨٣ طبع منير الدمشقى •

رؤيــة الهـــلال

الآخر ، وبهذا قطع المصنف والشيخ أبو حامد الغزالى والبندنيجى وآخرون وصـــححه العبدرى والرافعى والأكثرون .

(**والثانى**) يجب وبه قــال الصـيمرى .. الخ ثم قال الامام النووى : والصحيح الأول .

وقد عقبه بقوله : وفيما يعتبر بـه البعـد والقرب ثلاثة أوجه (**أصحها**) وبه قطع جمهور العراقيين والصيدلانىوغيرهم أن التباعديختلف باختلاف المطالع كالحجاز والعراق وخراسان ، والتقارب أن لا يختلف كبغداد والكوفة ــ ثم قال ــ (**والثانى**) الاعتبار باتحـاد الأقـاليم واختلافها ، فان اتحدت فمتقـــاربان ، والا فمتباعدان ــ ثم قال ــ (**والثالث**) أن التباعد مسافة قصر الى آخر ما قال .

مصر ورؤية الهلال

وقد كانت مصر الى وقت قريب هى صاحبة القرار فى اثبات الرؤية لهلال رمضان أو نفيها ، فلا تعتمد فى رؤيته على قطر آخر قرب أو بعد ، وهذا حقها الشرعى وحقها القيادى ، ولكنهـا منذ وقت غير بعيد ، جعلت تعتمـد فى رؤيـة الهلال على سواها بطريقة التبعية والتقليد .

وتظل تنتظر أخبار الأقطـار الاســلامية القريبة ، حتى تحكم بمقتضاها ، وربما تضارب الحكم فى ليلة واحدة كالذى حدث فى العــام الماضى ، وترتب عليه ما ترتب من افطار بعض المسلمين وصيام البعض الآخر ، حتى اكتشف المفطرون تغير القرار فأمسكوا .

وما كلفنا الاسلام بذلك ، فان أهل الحجاز صاموا بعد أن أتموا شعبان ثـلاثين يـوما ، لأن الهلال لم يروه ليلة الثلاثين من شـعبان ، وأهل الشام رأوه ليلة الثلاثين فأصـــبحوا صائمين ، ولما علم ابن عباس بما حـدث فى الشام رفض هو وأهل الحجـاز أن يـأخذوا برؤيتهم ، كما تقدم فى حديث كـريب ، وأفتى بأن لكل قطر حكمه فى الرؤية ، فهل مصر أعلم بفقه السنة من عبـد الله بن عبـاس وأهـل المدينة .

ان اقليم الحجاز مجـاور للشـــام ، ولم يأخذوا برؤية أهل الشام ، فلمـاذا يتـوقف الصيام فى مصر على الرؤية فى السعودية مـع أنها ليست مجاورة لنا ، ولماذا لا يعود الحكم فى الرؤية الينا نحن كما كان لنا من قبل وكمـا تمنحه لنا السنة .

لقد مضى القول الأصح بأن العراق لا يأخذ برؤية الحجاز ولا العكس لاختلاف المطالع ، وانما تأخذ بغداد برؤية أهل الكوفة ، وتأخذ الكوفة برؤية أهل بغداد لأنهما من اقليم واحد ومطلعهما واحد بل لقد قال بعض الفقهـاء ان مسافة القصر لا توجب التبعية فى رؤية الهـلال فكيف بالبعد الاقليمى والاختلاف فى المطالع .

لماذا تنفرد مصر بظاهرة التردد فى الحكم برؤية الهلال فى رمضان ، ولا يحدث مثله فى جميـع الدول الاسلامية ، فكلها تعتمد على رؤية الهلال فى بلادها ــ كما فعل أهل المدينة وعلى رأسهم ابن عباس ــ ولا يجدون حرجا فى أن يتقدموا أو يتأخروا عن سـواهم .

شهر واحد لا يصح الاختـلاف فى هلاله

وبعدما تقدم نقول ان شهرا واحدا يجب فيه اجماع المسلمين على هلاله ، وهـو شـهر ذى

الحجة لأن مناسك الحج تكون فيه ، والوقوف بعرفات فى تاسعه ، ويوم النحر عيد المسلمين فى عاشره ، فالقول فى هلاله لأهل الحجاز الذى تقع مناسك الحج فيه ، فلا يخالفهم أحد فى الحكم برؤية هلاله وعلى المسلمين فى بقاع الأرض أن يجعلوا عيد النحر لديهم مرتبطا بعيد النحر فى أرض المناسك توحيدا لميقاته مع ميقات أهل الحرم عمارا وزوارا .

هل يعمل بالحساب عند الغيم

قال القرطبى فى المسألة الثالثة فى تفسير هذه الآية ـ موضوع المقال ـ : (وقد ذهب مطرف ابن عبد الله ـ وهو من كبار التابعين ـ وابن قتيبة من اللغويين فقالا : يعول على الحساب عند الغيم بتقدير المنازل واعتبار حسابها فى صوم رمضان ، بحيث لو كان صحو لرئى الهلال .

لقوله صلى الله عليه وسلم « فإن غم عليكم فاقدروا له » أى فاستدلوا عليه بمنازله ، وقد روا اتمام الشهر بحسابه) .

وقال ابن سريج ان غم الهلال وعرف رجل بالحساب ومنازل القمر دخول رمضان يلزمه الصوم ، لأنه عرف الشهر بدليله ، فكان كمن عرفه بالبينة .

وفسر قوله ـ صلى الله عليه وسلم « فان عم عليكم فاقدروا له » بمعنى فاحسبوا له ، وجمع بين هذه الرواية وبين رواية « فأكملوا عدة شعبان ثلاثين » بأن الأولى لمن يعرف منازل القمر وحساب النجوم ، والأخيرة لمن لا يعرف ـ نقله صاحب المهذب .

وجاء فى الكفاية ما نصه « وعن الشيخ أبى حامد الغزالى أنه ذكر فى التعليق وجها آخر ، وهو أن ذلك بمنزلة الشهادة على الرؤية ، فيتعدى الوجوب ممن عرفه بالحساب الى من لم يعرفه » وبهذا الرأى قال جماعة من العلماء ، وخلاصته أن الحاسب وغيره ممن علم بحسابه ، اذا أثبت أن يوم الثلاثين من شعبان هو أول رمضان ، وجب عليهم صيامه ، لقيام الحساب مقام الرؤية ،ولا يشترطون عند الغيم تعددا، وانما يشترطون أن يكون الحاسب ثقة فى فنه ، كما يشترط فى رائى الهلال أن يكون عدلا .

وكما يؤخذ بحسابه عند الغيم يؤخذ به عند الصحو اذا دق الهلال وتعذرت رؤيته بالعين المجردة ، كما يؤخذ بقول الراصد بآلات الرصد الحديثة ، فانها أولى من العين المجردة ، لبعد مداها ودقتها ، وتعظيمها للجرم الصغير حتى يرى .

اذا تعارضت الرؤية والحساب

اذا أثبت الشهود فى الصحو الهلال ، ودل الحساب على خطأ هؤلاء الشهود ، فان بعض العلماء يقدمون الرؤية على الحساب ، وهذا هو رأى الجمهور ، ولعله ناشىء من عدم وصول الحساب وقتئذ الى الدرجة التى يرجح فيها على الرؤية ، أما وقد وصل الآن الى أدق درجة وأصحها ، فانه أولى بأن يقدم على الرؤية .

ولهذا قال ابن السبكى ما ملخصه: محل قبول شهادة العدل بل العدلين ، اذا دل الحساب على امكان الرؤية ، فان دل على عدم امكانها ـ وهو يدرك بمقدمات قطعية لم تقبل : أ هـ نقله ابن حجر فى الاتحاف .

● رؤيـة الهـلال

وفى هذا المعنى يقول القليوبى فى حاشيته على الخطيب ، عند قوله « وتثبت رؤيته بعدل » ما نصه : أى ان لم يدل الحساب القطعى على عدم رؤيته ، والا لم يعمل بقول العدل وان تعدد بل يحكم بكذبه — كما قال العبادى : وهو مما لا يجوز القول بخلافه •

وقال ابن عوض ما ملخصه : ذكر فى الكواكب الدرية ، أن الحساب مؤسس على آلات رصدية محسوسة ، يتوصل بها الى معرفة مقادير حركات الكواكب وغيرها ، فان تلك الآلات اذا وضعت على وضعها المخصوص عند أهل هذه الصناعة ، أفادت بواسطة معظمة — أى آلة معظمة — حركات الكواكب ومقاديرها ومواضعها وأبعادها بعضها عن بعض بالحس والمشاهدة ، وعلى ذلك أسست الأزياج التى أثبتت مقادير حركات الكواكب وما ينشأ عنها من حساب الأهلة وغيرها ، ولهذا تكون قطعية الدلالة — كما قال ابن السبكى •

واشترط ابن حجر لايثار الحساب والرصد المذكورين على الشهادة، أن يكونا من عدد يؤمن معه الخطأ ، كما ذكروه فى التواتر ، وليس لذلك عدد معين ، وأقله خمسة على الراجح •

فمما سبق يمكن الاعتماد فى اثبات رمضان على الحساب المذكور ، لمنع الاضطراب الذى يحصل من تضارب الحكم بثبوت الهلال مرة ونفيه أخرى ، كما يمكن به اثبات هلال شوال وسائر الشهور ، كما يمكن به توحيد المواسم فى البلاد الاسلامية ان أخذت به عملا بفتوى هؤلاء الأئمة •

تنبيهان هامان

١ — يشير كلام ابن حجر فى التحفة ، الى أن لأئمتنا الشافعية ثلاثة أقوال :

فيما اذا دل الحساب القطعى على استحالة الرؤية (أحدها) رد الشهادة مطلقا ، وهو عليه السبكى وهو الأدق فى النظر ، لأن وجود الهلال الشرعى — وهو الذى تمكن رؤيته حقيقة لا يمنعه الحساب القطعى ، وحيث منعه دل على استحالة رؤيته ، لأن قواعد الحساب مؤسسة على آلات رصدية مضبوطة ، دقيقة ، يتوصل بها الى معرفة مقادير حركات الكواكب ، فالاخبار عما ينشأ عنها من حساب الأهلة ، اخبار عن أمر قطعى ، مع ما فى ذلك من استصحاب أصل محقق ، وهو بقاء الشهر •

(وثانيها) قبول الشهادة مطلقا وهو ما عليه الرملى

(وثالثها) التفصيل وهو ما عليه ابن حجر وهو أقواها ، لاعتباره تعدد الحساب المقوى لرد الشهادة — وقد مر بيانه •

٢ — يرى المالكية :

أنه لا يؤخذ بقول الحساب فى اثبات الهلال ولا يعمل به وان وقع فى القلب صدقه ، لأن الشارع حصر الثبوت فى الرؤية أو اكمال العدة •

الصيام فى البلاد التى لا هلال فيها

يوجد بعض الاقطار لا يطلع فيها هلال ، ويأتى عليها زمن يكون وقتها كله نهارا أو ليلا كالبلاد القطبية ، فهؤلاء لا سبيل لهم الى رؤية الأهلة حتى يعرفوا أوائل الشهور القمرية جميعا ومنها شهر رمضان ، فكيف يعرفون قدومه ، وكيف

يصومون ؟ والجـواب على ذلك أنهم يعرفون قدوم شهر رمضان من أقرب البلاد التى يوجد فيها مسلمون ويظهر فيها الهلال ويكون النهار فيها معتدل الزمان ، فاذا كان هؤلاء يصومون ست عشرة ساعة من طلوع فجرهم الى غروب شمسهم مثلا ، فعلى أولئك الذين يدوم نهارهم أن يصوموا منه ست عشرة سـاعة ويفطروا ثمانى ساعات .

ويجعلوا لهم يوما اعتبـاريا مقـداره أربع وعشرون ساعة ، ويمضون فى صومهم وفطرهم على هذا النحو حتى ينتهى رمضان عند الذين لهم ليـل ونهـار وشروق وغـروب ، فينتهى صيامهم معهم ، ويصلون صـلاة عيد الفطر فى أول شوال عند غيرهم فى يوم اعتبارى جديد عندهم . وعلى من يـدوم الليل عنـدهم أن يفعلوا مثل ذلك فى ليلهم ، فيقدرون فيه أياما اعتبارية يصومون بعضها ويفطرون بعضها على النحو السابق .

صـلاة التراويح وعددها ودليلها

يختص شهر رمضان دون باقى الشهور بصلاة تسمى صلاة التراويح ، وتكون بعد صـلاة العشاء والاصل فيها ما أخرجه الامام البخارى عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى عليه وسلم خرج ليلة من جوف الليل فصلى فى المسجد وصلى رجال بصلاته ، فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلـة الثالثة ، فخرج رسول الله ــ صلى الله علـيه وسلم ــ فصلى فصلوا بصـلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح ، فلما قضى الفجـر أقبل على الناس فتشهد ثم قال : أما بعد فانه لم يخف على مكانكم ، ولكنى خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها ، فتوفى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والامر على ذلك »

ولم يفصح هذا الحديث عن صلاة الصحابة بصلاة الرسول : أكانت على سبيل الجماعة ، أم كانت أسوة بما يفعله رسول الله ، دون أن يرتبطوا معه بنية الجماعة .

وكانت صلاته هذه لا تزيد على احدى عشرة ركعة بوترها ، فقدروى الامام البخارى بسنده عن أبى أسامة بن عبد الرحمن ، أنـه سـأل عائشة رضى الله عنها : كيف كانت صلاة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى رمضان ؟

فقالت : ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غيره على احدى عشرة ركعة ، يصلى أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى أربعا فلاتسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى ثلاثا .

فقلت يارسول الله أتنام قبل أن توتر ؟

قال : يا عائشة ان عينى تنامان ولا ينـام قلبى .

وظل الناس يصلونها فرادى بعد أن تخلف عنهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وكان الامر كذلك فى خلافة أبى بكـر وصـدر خلافة عمر رضى الله عنهما ، ثم جمع عمـر الرجال على قارىء واحد يؤمهم ، أخرج الامام البخارى بسنده عن عبد الرحمن بن عبد القارى أنه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة فى رمضان الى المسجد ، فـاذا النـاس أوزاع متفرقون ، يصلى الرجل لنفسه ، ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط .

رؤيـة الهـلال

فقال عمر : انى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبى بن كعب ، ثم خـرجت معـه ليلـة أخـرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، ، قال عمر : نعم البدعة هذه ، والتى ينامون أفضل مـن التى يقومون ، يريد آخر الليل وكان النـاس يقومون أوله » .

ومعنى الجملة الأخيرة من كلام عمر رضى الله عنه أن التراويح فى آخر الليل أفضل منها فى أوله ، فلو قاموا أوله وصلوا القيام آخره لكان أفضـل .

وروى سعيد بن منصور من طـريق عروة (أن عمر جمع الناس على أبى بن كعب ، فكان يصلى بالرجـال وكان تميم الدارى يصـلى بالنساء) ورواه محمد بن نصر فى كتاب قيام الليل له من هذا الوجه فقال سليمان بن أبى خثمة بدل تميم الدارى ، ولعل ذلك كان فى وقت ، وهذا كان فى وقت آخر .

ولم يأت فى هذا الحديث العدد الذى جمعهم عليه عمر رضى الله عنه .

وذكر عبد الرازق فى المصنف بسـنده عـن السائب بن يزيد (أن عمر بن الخطاب جمـع الناس فى رمضان على أبى بن كعب وعلى تميم الدارى على احدى وعشرين ركعـة يقومون بالمئين ، وينصرفون فى بزوغ الفجر) قال ابن عبد البر هو محمول على أن الواحدة للوتر .

وفى رواية أخرى عن السائب أنه جمعهم على ثلاث وعشرين ــ وتلك الرواية محمولة على أن الثلاث للوتر ، والباقيات للتراويح .

وروى الامام مالك فى الموطأ بسـنده عـن السائب بن يزيد أنه قال (أمر عمر بن الخطاب أبى بن كعب وتميما الدارى أن يقوما للنـاس باحدى وعشرين ركعة ، قال : وقد كان القارىء يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصى من طول القيام ، وما كنا ننصرف الا فى بزوغة الفجر) وهو اختيار الامام مالك لنفسه واختاره أبو بكر العربى .

وهذا هو الموافق لفعل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، كما سبق ذكـره فى حـديث البخارى عن عائشة أنه ــ صلى اللـه عليـه وسلم ــ ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غـيره عن احدى عشرة ركعة وسميت صلاة التراويح لأنهم كانوا يستريحون بعد كل أربع ركعات ، وهذه الركعات الأربع تسمى ترويحة مجازا .

وهذه التراويح هى قيام رمضان الذى رغب فيه النبى ــ صلى الله عليه وسلم بقوله .

« من قام رمضان ايمانا واحتسـابا غفر له ما تقـدم مـن ذنبه » أخرجـه البخارى عن أبى هريرة .

وحسبنا الله وكفى ، وصلى الله على نبيه المصطفى ، وعـلى آلـه وأصحابه أجمعين .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

القرآن الكريم

كيف نزل من السماء فى رمضان؟

للمستشار
محمد عزت الطهطاوى

القرآن ورمضان :

القرآن اســم كتاب الله خاصة ، ولا يسمى به شىء من سائر الكتب غيره وانما سمى قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها وتفسير ذلــك فى آية من القرآن الكريم قال الله جل ثناؤه : (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ٠ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) ، ولقد اختار الله شهر رمضان ليكون مظهرا لرحمته بعباده واصطفاه عــلى سائر الشهور ليفيض فيه منته العظمى ونعمته الكبرى على الناس وهى القرآن الكريم حاملا هداية السماء الأخــيرة الى أهــل الأرض ، وبتعاليم هذا الكتاب سما العقل الانسانى على الوثنية المظلمة والخضوع لغير الله الى التوحيد الخالص النقى فأصبح الانسان لا يعرف الا ربا واحدا تعنو له الوجوه واليه تنيب القلوب.

القرآن الكريم :

هو كلام الله تعالى المنزل على النبى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ المتعبــد بتلاوتــه والمنقول الينا بالتواتر جيلا عن جيل مبرأ من التغيير والتبديل حفظا فى الصدور وتسجيلا فى السطور ، يتصل هــديه وارشاده الى جميع الأمم فى جميع العصور غير محدود بزمان ولا محصور فى مكان يشتمل على مائة وأربع عشرة سورة عجز العظماء والبلغاء من العــرب أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بســورة من مثله مع أنهم فرسان ميــدان الفصــاحة ومالكو أزمة البلاغة مما يقطع بأنه ليس مــن عمل البشر وانما هو قول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين .

ذلكم هو جبريل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام تلقى القرآن من لدن حكيم عليم ثم نزله بلسان عربى مبين على قلب النبى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فتلقنه منه كما يتلقن

التلميذ من أستاذه نصا من النصوص فلا صنعة فيه للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا لأحد من الخلق ، وانما هو نزل من عند الله بلفظه ومعناه (إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى) .

فلا مراء ولا غرابة بعد ذلك أن تساقطت أساليب العرب حوله وانحنت جباههم اكبارا لبلاغته وتقديرا لفصاحته ، وقد حوى من المعرفة كنوزها ومن التوجيه والارشاد أسمى المبادىء وأنبل الغايات عصمة للانسانية من أن يستهويها الشطط واللجج .

ولقد أتى القرآن الكريم بكل جديد وبأكثر وبأكبر مما أتى ويأتى به أى جديد ، وان جدته حقيقة وجدت ولا تزال موجودة حتى اليوم ومستمرة الوجود كما شاء الله رب العالمين ، كما كان جديدا على عقل انسان القرون الاولى لنزوله فانه بفكره المشرق المضىء وبما أتى به فى مجال العقيدة والشريعة وبناء الحياة على أقوم الأصول وأرسخ الدعائم هو جديد أبدا وسيظل هو الجديد دائما على مر العصور والأجيال والأحقاب ، فهو خلاصة لكل ما فى الحياة من حقائق ومعارف وعلوم وثقافات ومنهج كامل لكل جانب من جوانب الحياة الروحية والعقلية والاجتماعية والسياسية فهو كتاب الانسانية كلها وصحيفة البشرية قاطبة .

(قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

كيف نزل القرآن الكريم من السماء .

مما لا خلاف فيه أن القرآن كان مسجلا أساسا فى اللوح المحفوظ ثم نزل بعد ذلك فى ليلة القدر من شهر رمضان فى بداية البعثة المحمدية الى بيت العزة فى السماء الدنيا قال تعالى (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) .

وقال جل شأنه :

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ .

وقال سبحانه :

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) .

لكن العلماء اختلفوا فى كيفية انزاله من اللوح المحفوظ على عدة أقوال

أحدها : نزل الى السماء الدنيا فى عشرين « ليلة قدر » أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، فى كل ليلة ما يقدر الله انزاله فى كل السنة ، ثم نزل بعد ذلك منجما فى جميع السنة ،وهذا القول ذكره الامام فخر الدين الرازى فقال (يحتمل أنه كان ينزل فى كل ليلة قدر ما يحتاج الناس الى انزاله الى مثلها من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم توقف).

ثانيها : أن القرآن ابتدىء انزاله فى ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما فى أوقات مختلفة من سائر الاوقات وبه قال الشعبى .

ثالث هذه الاقوال: ما حكاه الماوردى من أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة وأن الحفظة نجمته على جبريل ملك الوحى فى عشرين ليلة وان جبريل نجمه على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى عشرين سنة ، ويقول الامام جلال الدين السيوطى ان هذا القول الذى حكاه الماوردى أخرجه ابن أبى حاتم عن طريق

الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال (نزل القرآن جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتبين فى السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل على النبى — صلى الله عليه وسلم عشرين سنة).

القول الرابع : وهو الأصح الأشهر ، أن القرآن الكريم نزل الى بيت العزة فى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ، ثم نزل بعد ذلك منجما فى عشرين سنة أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين على حسب الخلاف فى مدة اقامته — صلى الله عليه وسلم — بمكة المكرمة بعد البعثة ومما يقوى هذا الرأى ويجعله أقرب الى القبول ما يأتى :

١ — ما ذكره ابن عباس رضى الله عنه قال (نزل القرآن فى ليلة القدر جملة واحدة الى سماء الدنيا وكان بمواقع النجوم ، وكان الله ينزله على رسوله — صلى الله عليه وسلم — بعضه فى اثر بعض) .

٢ — كما ورد عن ابن عباس أنه قال (أنزل القرآن فى ليلة واحدة الى السماء الدنيا ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة ثم قرأ قوله تعالى (**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**) سورة الفرقان ٣٣ وقوله جل شأنه :

« **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا** » سورة الاسراء ١٠٦

٣ — وعن ابن عباس قال (فصل القرآن من الذكر فوضع فى بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبى — صلى الله عليه وسلم —

٤ — وعن ابن عباس أنه سأله عطية بن الأسود فقال (أوقع فى قلبى الشك قوله تعالى (**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**) وقوله (**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**) وهذا نزل فى شوال وفى ذى القعدة وفى ذى الحجة وفى المحرم وصفر وشهر ربيع فقال ابن عباس انه أنزل فى رمضان ليلة القدر جملة واحدة ثم أنزل على مواقع النجوم رسلا فى الشهور والأيام . رسلا تعنى رفقا

وعلى مواقع النجوم تعنى على مثل مساقطها يريد أن القرآن أنزل مفرقا يتلو بعضه بعضا على تؤدة ورفق .

٥ — حكى الاجماع على أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة فى السماء الدنيا قاله ابن كثير .

٦ — يقول ابن حجر فى شرح البخارى (ان هذا الرأى هو الصحيح المعتمد) .

▶ القرآن الكريم

السر فى انزال القرآن جملة الى السماء :

يقول أبو شامة فى المرشد الوجيز (سر ذلك هو تفخيم أمره وأمر من نزل عليه وذلك باعلام سكان السماوات السبع ان هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم المرسلين ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأشرف الأمم ــ ولولا أن الحكمة الالهية اقتضت وصوله اليهم منجما بحسب الوقائع لهبط به الى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين : انزاله جملة ، ثم انزاله مفرقا و وذلك تشريفا للمنزل عليه •

وقال السخاوى فى جمال القراء (فى نزوله الى السماء جملة تكريم بنى آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة ، وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم ، ولهذا المعنى أمر سبعين ألفا من الملائكة أن تشيع سورة الأنعام ، وزاد سبحانه فى هذا المعنى بأن أمر جبريل باملائه على السفرة الكرام ، وانساخهم اياه وتلاوتهم له :

قال : وفيه أيضا التسوية بين نبينا ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبين موسى علية السلام فى انزاله كتابه جملة والتفضيل لمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى انزاله منجما ليحفظه) •

السر فى نزول القرآن الكريم منجما :

لقد تولى الله سبحانه وتعالى الاجابة عن هذا السؤال فى قوله (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً**) يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل وأجابهم الله بقوله (**كَذَٰلِكَ**) أى أنزلناه مفرقا (**لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ**) (١) أى لنقوى به قلبك فان الوحى اذا كان يتجدد فى كل حادثة كان أقوى بقلب المرسل اليه وأشد عناية به ، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك اليه وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة عن ذلك الجناب العزيز فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ولهذا كان أجود ما يكون فى رمضان لكثرة لقائه جبريل فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

(كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة) متفق عليه •

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

---

(١) سورة الفرقان ٣٢ •

غزوة بدر الكبرى
ومقومات النصر على العدو المتفوق

لواء أركان حرب
محمد جمال الدين محفوظ

من بين الدروس التى تستخلص من غزوة بدر الكبرى ، درس كبير وثيق الصلة بواقع المسلمين اليوم ، عليهم أن يتدبروه بكل الوعى والاهتمام ، وهو كيف يمكن احراز النصر على العدو المتفوق ؟ .

ففى بدر كانت موازين القوى من جميع جوانبها فى صالح المشركين على أساس الحسابات المعمول بها فى العلم العسكرى ، وهى حسابات كفيلة باقناع أى قائد حربى بالعدول عن دخول مثل تلك المعركة التى تنطوى على مجازفة غير محمودة العواقب ، ولا لوم عليه ان فعل ذلك .

ويزيد من قيمة هذا الدرس أن نعرف أن للنصر فى الحروب مقياسا علميا مقررا فى العلم العسكرى ، يحكم به على نتائجها وتقوم به أعمال قادتها ثم يدون ذلك فى سجلات التاريخ .

المقياس العلمى للنصر .

والمقياس العلمى للنصر ، هو أن يكون هذا النصر : « بدون » أو بأقل قدر من الخسائر

فى الأرواح وفى المعدات ، وفى أقل وقت » ، من ذلك يتضح :

١ ــ أن قمة النصر ، أن يتم احرازه بــلا خسائر على الاطلاق سواء فى الأرواح أو فى المعدات ، وذلك منتهى أمل كل قائد .

وقد تحقق هذا النوع فى بعض الحــروب قديما وحديثا ومن ذلك اجتياح جيوش «هتلر» فى بداية الحرب العالمية الثانية لبعض البلاد الأوربية دون اطلاق طلقة واحدة تقريبا .

٢ ــ وأنه اذا لم يمكن تحقيق هذا المستوى من النصر ، فلابد أن يكون احرازه « بــأقل ثمن » وفى « أقصر وقت » ، أى أن النصر الذى يخسر فيه الجيش أرواحا ومعدات أكثر مــن اللازم ، ويستنفد فى احرازه وقتا أطول مــن اللازم ، لا يعد نصرا حقيقيا بالمقياس العلمى .

واقع المســـلمين :

ولو نظرنا الى وضع المســلمين اليــوم فى موازين القوى العالمية ، لوجدنا أن التفــوق ليس فى جانبهم ، وهو وضـــع يفــرض عليهم البحث عن طريق لبناء قــدراتهم الــدفاعية القادرة على مواجهته .

واذا كان الحصول على النصر بأقل الخسائر ــ كما قدمنا ــ هو هدف القيادة فى الــدول المتقدمة التى بلغت أعلى المستويات فى التقدم العلمى والفنى وأسلحة القتال وفنونه ، فهــو ــ من باب أولى ــ يعد بالنسبة للدول محدودة القدرات والامكانات ، أهم وأكبر أهدافهــا ، وذلك حتى لا تستنزف مواردها وقــواها من اثر الحرب .

والأمر يزيد أهمية وخطــورة لــو حكمت ظروف الدولة بأن تتصدى لعدو متفوق عليها فى القوة ، اذ يصبح حصولها على النصر بأقل التكاليف وبمواردها المحدودة قضية « حيــاة أو موت » ، ولابد لهذه الدولة أن تضع هــذا الأمر على قمة « أهدافها الاستراتيجية » ، وأن تسخر كل طاقاتها المادية والمعنوية لتحقيقه .

ذلك ما ينبغى على المسلمين تدبره ليحققوا لأنفسهم الســلامة والأمن فى هــذا العالم ، وعليهم أن يستوعبوا دروس تاريخهم وينتفعوا بها فى هذا المجال .

دروس بـــدر :

لقــد حقق المســلمون فى بدر ــ بالمقاييس العلمية ــ نصرا حقيقيا ، يزيد من عظمته أنه تحقق فى مواجهة عدو متفوق بنســبة أكبر من ثلاثة الى واحد فى الرجال ، وبنسبة مائة الى واحد فى الخيل (مائتا فرس مقابل فرسين) وبنسبة ساحقة فى السلاح اذا ما قارنــا بين ما يحمله كل من الطرفين من السهام والقسى والرماح .

ومع ذلك استشهد منهم أربعة عشر رجــلا فقط بينمــا قتل مــن المشركين سبعون وأسر سبعون ، ولم تستغرق المعركة أكثــر من يوم واحد ، وبمعنى آخر فقد انتصر المســلمون على العدو المتفوق بأقل الخســائر وفى أقصر وقت .

ولو عرض موقف الطرفين قبل المعركة على أى محلل عسكرى خبير بفن الحرب والقتــال لكى يقدم توقعاته عن النتائج التى سوف تسفر عنها لقال لنا : ان المسلمين سوف يدفعون ثمنا باهظا من الأرواح والمعدات لكى يحصلوا على

النصر ، هذا اذا لم يتوقع أن ينهزموا أصلا .

مقومات النصر الاسلامى :

من أجل ذلك « ينفرد » الاسلام بمقومات للنصر تتجاوز المقاييس التى وضعتها عقول خبراء الحروب ، وتعد « نظرية متكاملة وأصيلة فى ادارة المعركة فى مواجهة عدو متفوق » . وهو ما نحاول عرضه فيما يلى : —

أولا — قوة الايمان وارادة القتال :

١ — تزويد المقاتل بأقوى الدوافع النفسية :

* لقد كان الاسلام حريصا على أن يزود المسلمين بأقوى الدوافع النفسية التى تملأ نفوسهم حمية واستبسالا ، فكانت هذه الدوافع الصادقة « تحارب » الى جانب أصحابها كما يحارب الجندى الى جانب صاحبه ، **ولهذا كان حساب المسلمين فى موازين القوى حسابا خاصا لا يتسامى اليه غيرهم .**

فلقد كان حساب المقاتل المجاهد فى الحرب مقدرا بما فى قلبه من ايمان وعقيدة ، وبما فى نفسه من مبادىء يحارب عنها ، وأسباب تدعوه الى خوض هذه الحرب .

وهذا ما نجده فى قول الله تعالى : «**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ**» (الأنفال ٦٥) .

وذلك لأن الذين كفروا قد خلت نفوسهم من المبادىء الكريمة والدوافع الصادقة ، ولهذا حرموا « الفقه » الذى كان من شأنه أن يبصرهم بالمبادىء التى يقاتلون عليها ، **والمثل التى يدافعون عنها ... ومن حرم هذا الفقه فى مجال الحرب ، فقد تعرى من كل سلاح يدافع به ، وكانت عاقبته الهزيمة والبوار .**

وها هو ذا قائد عسكرى مشهور هو المشير « مونتجمرى » ، يدرك هذا المعنى ويشير اليه حين يقول : « ان التعب والخوف والرعب والحرمان وتحمل الموت ، أمور سوف يواجهها الجندى المقاتل بقلب جسور اذا كان على علم وايمان بالغرض الذى يقاتل من أجله » ..

وقد أثبتت الدراسات التى أجريت عقب الحرب العالمية الثانية حول سلوك المحاربين الذين اشتركوا فيها ، أن أغلب الذين كانوا يتمتعون بروح عالية هم الذين كانوا يؤمنون بالغرض من الحرب .

* ولقد ضرب المسلمون فى هذا المجال أمثلة لا نظير لها فى تاريخ الحروب على مر العصور ، حسبنا أن نذكر أن أبا عبيدة بن الجراح — رضى الله عنه — **قتل أباه فى معركة بدر .**

وأن عبد الرحمن بن أبى بكر كان مع المشركين ، فقال لأبيه أبى بكر الصديق — رضى الله عنه بعد اسلامه : « لقد صدفت لى يوم بدر فلم أقتلك » .

فقال أبو بكر : « والله لو صدفت لى لقتلتك » ، فما الذى يدعو الى أن يقتل الابن أباه ، والأب ابنه ، غير الايمان والعقيدة ! .

* بهذه الحسابات الاسلامية ، أراد الله تعالى من المؤمنين أن يحققوا فى أنفسهم

ما يجعلهم أهلا لتلك الغاية الفذة والانتصار الفريد ، من التربية الخلقية والعسكرية ، والاقدام على التضحية ، واتقان الجهاد ، والثبات فى مواطن اليأس ، والتمسك بمبادىء الفروسية الاسلامية التى لا يذل صاحبها ولا يخزى ، وهو فى الوقت نفسه ، لا يضل ولا يطغى •

٢ ــ خطاب القائد :

ويوجب الاسلام على القائد المسلم أن ينصح جنده ، ويذكرهم بالله ،ويحرضهم على القتال ، وهذا ما يرشد اليه قول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « ما من أمير يلى أمور المسلمين ثم لا يجتهد لهم ولا ينصح لهم الا لم يدخل الجنة » (رواه مسلم) •

وقد خطب الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه يوم بدر فقال : « أما بعد فانى أحثكم على ما حثكم الله عليه وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ، فان الله عظيم شأنه ، يأمر بالحق ، ويحب الصدق ، ، ويعطى على الخير أهله أعلى منازلهم عنده ، به يذكرون ، وبه يتفاضلون ••• وانكم قد أصبحتم بمنزل من منازل الحق ، لا يقبل الله فيه من أحد ، الا ما ابتغى به وجهه ، وان الصبر فى مواطن البأس مما يفرج الله به الهم ، وينجى به من الغم ، وتدرك به النجاة فى الآخرة •• فيكم نبى الله يحذركم ويأمركم ، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله على شىء من أمركم بمقتكم عليه ، فان الله يقول : (**لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ**) •

انظروا الى الذى أمركم به من كتابه ، وأراكم من آيته ، وما أعزكم به بعد الذلة ، فاستمسكوا به ، يرض ربكم عنكم ، وأبلوا فى هذه المواطن أمرا تستوجبوا به الذى وعدكم من رحمته ومغفرته ، فان وعده حق ، وقوله صدق ، وعقابه شديد ، وانما أنا وأنتم بالله الحى القيوم ، اليه ألجأنا ظهورنا ، وبه اعتصمنا ، وعليه توكلنا ، واليه المصير ، يغفر الله لى وللمسلمين » •

وفى العصر الحديث نرى القادة يوجهون الى قواتهم التى تستعد للمعركة ما يطلقون عليه « أمر قيادة » ، وهو خطاب حماسى يستهدف رفع الروح المعنوية واذكاء الروح الوطنية وارادة القتال •

٣ ــ التعبئة المعنوية قبل القتال وأثناءه :

ويعنى الاسلام « بالتعبئة المعنوية » قبل القتال وأثناءه لرفع الروح المعنوية للمقاتلين الى أقصى حد ، ومن ذلك قول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم بدر :

« والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر ، الا أدخله الله الجنة » •

وقد ألهب هذا الحديث حماسة المسلمين للقتال وزاد فى قوتهم المعنوية حتى ان عمير بن الحمام حين سمع حديث النبى ــ وكانت فى يده بعض التمرات يأكلها ــ قال : أما بينى

وبين ان أدخل الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء ؟ .. وقذف بالتمرات من يده ، وأخذ سيفه ، ومازال يقاتل حتى استشهد — رضى الله عنه — .

٤ — ذكر الله فى ساحة المعركة :

* ويوجه الاسلام المجاهدين الى ذكر الله فى ساحة المعركة بعد أن يأخذوا بأسباب القوة والتجهيز للقتال كما يشير اليه قوله تعالى : « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** » (الأنفال ٤٥) .

وكما يفهم من قول النبى — صلى الله عليه وسلم — : (١) « واطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش واقامة الصلاة ونزول الغيث » ، وقوله : « ثنتان لا تردان ، أو قلما تردان ، الدعاء عند الندا وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا » (٢) .

وفى بدر ، وبعد أن أتم الرسول — صلى الله عليه وسلم — الاستعداد للمعركة ، استقبل القبلة ثم مد يده فجعل يهتف بربه ويقول : « اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم آتنى ما وعدتنى ، اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد فى الأرض » ومازال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه .

فقال أبو بكر — رضى الله عنه : « يانبى الله : بعض مناشدتك ربك ، فان الله منجز لك ما وعدك » .. وقد خفق (٣) رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خفقة وهو فى العريش ، ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثناياه النقع » (٤) .

* **وهنا يعلمنا الرسول — صلى الله عليه وسلم — أنه ليس فى الاسلام ذلك التواكل العاجز الذى يدع الأخذ بالأسباب ، وينتظر النصر منحة من القدر ، وهبة من السماء ، وقد جرت سنته — عليه الصلاة والسلام — على احكام أمر الجهاد من الناحية المادية احكاما دقيقا من حيث تجهيز الجيش واستطلاع أحوال العدو واعداد الخطة وانتخاب أفضل موضع للمعركة واصدار أمر القتال ثم يأخذ هو والمحاربون فى الدعاء والتضرع واستنجاز الله وعده .**

٥ — هتاف المقاتلين :

ويوجه الاسلام المسلمين الى اتخاذ الشعارات والهتافات عند الالتحام بالعدو لاثارة انفعالات الشجاعة والحماسة فى نفوسهم مع ترويع العدو وبث الرهبة والخوف

◄

---

(١) الحديث اخرجه الامام السيوطى فى الجامع الكبير وعزاه الى الامام الشافعى والبيهقى فى المعرفة عن مكحول مرسلا (الباجورى) .

(٢) الحديث اخرجه ابو داود وفى سننه فى كتاب الجهاد باب الدعاء عند اللقاء ج ٣ ص ٤٥ من رواية سهل بن سعد .

الباجورى

(٣) خفق : نام نوما يسيرا .

(٤) ابن هشام — السيرة النبوية ج ٢ ص ٦٢٧ — والنقع : الغبار .

فى قلبه فى الوقت نفسه . ففى غزوة بدر كان هتاف المسلمين : « أحد ، أحد » ، وفى غـزوة أحد كان هتافهم : « أمت أمت » ، وفى غزوة ذى قرد والخندق وبنىقريظة كان هتـــافهم « حم ، لا ينصرون » .

ثانيا ــ التخطيط العلمى الجيد :

ومن مقومات النصر الاسلامى بعد قـوة الايمان وارادة القتــال ، التخطيط العلمى الجيد ، وهو جوهر الأخذ بالأسـباب وأهم مظاهره ، ولقد برزت فى بدر بكل وضوح أركان التخطيط الجيد فى نظر الاسـلام كمـا يتبين مما يلى : ــ

١ ــ السرية والأمن :

من المبادىء المعروفة أن الأمم التى تحافظ على أسرارهـا هى الأمم التى تنتصر ، وأن الأمم التى لا تحافظ على أسرارها لا يمكنهـا احراز النصر ، وقد عنى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بهذا المبدأ كل العناية ومن ذلك ما يلى : ــ

* قال عليه الصلاة والسلام : « استعينوا على انجاح الحوائج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود » (أخرجه ابن عـدى فى الكـامل ، والطبرانى فى الكبير ، وأبو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى شعب الايمان) (١) .

* وفى سـبيل المحـــافظة على الأسرار استخدم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أسلوب الخداع فى الحرب ، فعن كعب بن مالك رضى الله عنه أنه قال : « ولم يكن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها » (رواه البخارى) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنــه أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم قال : « الحرب خدعة » (رواه الخمسة) .

* وفى غزوة بدر ، حينما اقتــرب الجيش من بدر ، انطلق الرسول ــ صــلى الله عليــه وسلم ــ أمام قواته وبصحبته أبو بكــر ــ رضى الله عنــه ، حتى وقف على شــيخ من العرب .

فسأله عن قريش وعن محمد وأصـــحابه وما بلغــه عنهم .

قال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما ؟

قال النبى صلى الله عليه وســلم : « اذا أخبرتنا ، أخبرناك » .. وعلم عليه ــ الصلاة والسلام ــ من رد الشيخ أن عـير قـريش قريبة منه .

فقال له : « نحن من ماء » !!

انظر كيف حرص الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على اخفاء هويته وأمر المسلمين عن الشيخ حتى لا تعلم قريش بهم ، فهو حين التقى به لم يساله عن قريش فقط ، بل سأله عن الطرفين (عن قريش وعن محمد) ، وحين طلب الشيخ أن يعرف هوية الرسول وصاحبه (ممن أنتما) ، استطاع الرسول « تأجيـل الرد » حتى يقول الشيخ ما عنده أولا ، وفى

(١) أنظر السخاوى فى « المقاصـد الحسنة » رقم ١٠٣ ، والحديث ضعيف جملة « الباجورى » .

النهاية حين أراد أن يجيب الشيخ عن هويته قال : نحن من مــاء ، وهو رد صحيح (أى من ماء دافق وهو المنى) لكنه لا يكشف سر المسلمين .

* وفى مسير الاقتــراب من بــدر راعى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يكون تشكيل المسير فى هيئة مقدمة محدودة تقــوم بالاستطلاع والوقاية ، يليها القوة الرئيســية للجيش ، ثم مؤخــرة بامــرة قيس بن أبى صعصعة لوقاية ظهر الجيش .

* وعن عائشة رضى الله عنها أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الابل يوم بدر ، حتى لا يسمع لها صــوت .

٢ ــ التخطيط على أحدث المعلومات :

ومن أركان التخطيط الاسلامى أن يكــون على أساس أحدث المعلومات والبيانات وذلك من أهم المطالب الحيــوية للتخطيط الجيد عامة وللتخطيط الحربى بخاصة . فحين اقتــرب المسلمون من بدر ، أرسل الرســول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مفرزتى استطلاع للحصول على معلومات عن قوة قريش ومواضعها :

*** المفرزة الأولى :**

مؤلفة من على بن أبى طــالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقــاص فى نفــر من أصحابه ، استطاعت الوصول الى مــاء بدر ، وعادت ومعها غلامان لقريش ، فاستنطقهمــا الرسول فعلم منهما أن قريشــا وراء الكثيب « بالعدوة القصوى » ، ولمــا أجــابا بأنهمــا لا يعرفان عدد رجال قريش سألهما ، « كم ينحرون يوميا ؟ » فأجابا : « يوما تســـعا ويوما عشرا » ، فاستنبط من ذلك أنهم « بين التسعمائة والألف » ، وعرف من الغــلامين كذلك أن أشراف قريش جميعا خرجوا للقتال .

*** المفرزة الثانية :**

مؤلفة من رجلين من المسلمين وصــلا ماء بدر فسمعا جارية تطالب صاحبتها بدين عليها والثانية تجيبها : « انما تأتى العير غدا أو بعد غد ، فأعمل لهم ثم أقضيك الذى لك » . فعاد الرجلان فأخبرا الرسول بما سمعا .

*** استطلاع القائد بنفســه :**

أضف الى ذلك حرص الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على استطلاع أحــوال العــدو بنفسه حينما انطلق أمام الجيش ومعه أبو بكر ولقيا شيخ العرب كما ذكرنا .

« للبحث بقية »

لواء محمد جمال الدين محفوظ
عضو المجلس الأعلى للشئون الاســلامية

ذكر الله

عن أبى موسى الأشعرى ــ رضى الله تعالى عنه ــ عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال :

« مَثَلُ الَّـذِى يَذْكُرُ رَبَّـهُ وَالَّذِى لاَ يَذْكُرُهُ مَثَلُ الْحَىِّ وَالْمَيِّتِ »

رواه البخارى

راوى الحديث : هـو الصحـابى الجليل ، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضـار بـن حرب بن عامر بن عنز بن بكر بـن عـامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر ابن أدد بن زيد بن تشجب أبو موسى الأشعرى واسم الأشعر : نبت . وأمه ظبية بنت وهب أسلمت وماتت بالمدينة .

وكان عامل رسول الله ــ صلى الله عليـه وسلم ــ على زبيد ، وعدن واستعمله عمـر على البصرة . واستعمله عثمان ــ رضى اللـه عنه ــ على الكوفة حتى قتل عثمان .

وقال فيه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ « لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود » .

روى عنه أولاده : ابراهيم وأبو بردة وأبو بكر وموسى وأنس بن مالك وسعيد بن المسيب وخلق .

مات سنة أربع وأربعين بالكوفة وقيل بمكـة وله نيف وستون سنة .

الشرح

الاسلام الحنيف جاء لاصـلاح نفـوس البشر ، وتزكيتها ، والعلو بها الى منتهى الكمال الممكن لها ، وقد أوضح للانسانية جمعاء الغاية القصوى ، وحدا بها نحو المثل الأعلى . وكان هذا المثل هو : « قدس الله جل وعلا » واللـه يقول : (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) .

واذا عرف المسلم هذا فلا يستغرب بعد أن يكون ذاكرا لله على كل حال ولا شك فى أنه ليس بعد تلاوة القرآن عبادة أفضل من ذكر الله ، فان الله تعالى جعل لسائر العبـادات مقدارا ووقتا وزمانا ، بعكس الذكر ، فانه غير مؤقت ، اذ العبد مأمور به فى كل الأوقات ، اما فرضا ، واما ندبا ، والصلاة وان كانت عمود الدين فقد لا تجوز فى بعض الاوقات ، بينمـا الذكـر باللسان ، وبالقلب مستحب فى جميع الحالات.

وصدق الله العظيم اذ يقول : « الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ...) وقال تعالى

للأستاذ عبد المعز عبد الحميد الجزار

(وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)

وكفى أن من رحمة الله سبحانه وتعالى أن جازى عباده عن ذكرهم له بذكره لهم فقال (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) وقد ذكر العلماء فى هذه الآية عشرين قولا :

قيل : « اذكرونى بأخلاص ، أذكركم بالاختصاص » .

وقيل : « اذكرونى بالحضور ، أذكركم بتيسير الأمور » .

وقيل : « اذكرونى بالنية ، أذكركم بجزيل العطية » .

وقيل : « اذكرونى بالصفا ، أذكركم بغفران الجفا » .

وقيل : « اذكرونى بالقلوب ، أذكركم بغفران الذنوب » .

وقيل : « اذكرونى بالضمائر ، أذكركم بدفع الضرائر » .

وقيل : « اذكرونى بالأصوات ، أذكركم بتيسير الأقوات » .

وقيل : « اذكرونى فى الخلوات ، أذكركم بالرحمة والصلوات » .

وقيل : « اذكرونى بلا نسيان ، أذكركم بمغفرة العصيان » .

وقيل : « أذكرونى فى المساء والصباح ، أذكركم باللطف والصلاح » .

وقيل : « اذكروذى فى السجود ، أذكركم بالنعمة والجود » .

وقيل : « اذكرونى بالمعذرة ، اذكركم بالمغفرة » .

وقيل : « اذكرونى بأداء الفريضة ، أذكركم بالرحمة العريضة » .

وقيل : « اذكرونى بالاستغفار ، أذكركم بالنواهد والأبكار » .

وقيل : « اذكرونى بالأسحار ، أذكركم بغرس الأشجار » .

وقيل : « اذكرونى فى الأيام القلائل ، أذكركم بلبس الحلل والغلائل » .

وقيل : « اذكرونى بالصبر على البلاء ، أذكركم بالدرجات العلا » .

وقيل : « اذكرونى بالشوق والحب ، أذكركم بالدنو والقرب » .

وقيل : « اذكرونى بالألباب ، أذكركم بزوال

الحجـاب » .

وقيل : « **اذكرونى على التوالى ، أذكركم بفضلى ونوالى »** .

وليس العجب من قوله : (فاذكرونى) انما العجب من قوله (أذكركم) .

ولس العجب من قوله : (ويحبونه) انما العجب من قوله : (يحبهم) . وليس العجب من فقير يحب محسنا انما العجب من محسن يحب فقيرا .

نزل جبريل عليه السلام على رسـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال له : ان اللـه يقول لك : أعطيت أمتك ما لم أعطه أحدا مـن الأمم .

قال : « وما هو ؟ » .

قال : « **قوله تعالى (فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ)** .

ولقد أجزل العطاء والموهبة ، من حلاك بهذه المنقبة حيث خلق الفلك ، والملك ، والنـور ، والحلك ، والعلوى ، والسـفلى ، والعرش ، والكرسى ، والبهائم ، والهـوام ، والوحش والأنعام ، فلم يقل لصنف منهـا : اذكرونى أذكركم الا لك ، فمتى تؤدى شكر مولاك عـلى ما أنعم عليك وأولاك » .

وقال أبو سعيد الخدرى ــ رضى الله تعالى عنه ــ سئل رسـول الله ــ صلى اللـه عليه وسلم ــ أى العباد أفضل عند الله درجة يوم القيامة ؟

قال : الذاكرون الله كثيرا ».

قال : قلت يارسول الله : ومن الغـازى فى سبيل الله ؟ .

قال : لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينحنى ويختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا أفضل منه درجة » . رواه الترمذى .

وقال عبد الله بن بشر : قال رجل يارسول الله ان شرائع الله قد كثرت على فمرنى بأمـر أتشبث به . قال لايزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى . رواه الترمذى وقال أبو الـدرداء ــ رضى الله تعالى عنه ــ قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : ألا أنبئكم بخير أعمـالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من اعطاء الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم ، فتضربـوا أعنـاقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : وماذاك يارسـول الله قال ذكر الله .

وقال أبو هريرة ــ رضى الله تعالى عنه ــ قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسـلم ــ قال الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى فى نفسـه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وان تقرب الى شبرا تقربت منه ذراعا ، وان تقـرب الى ذراعا ، تقربت منه باعـا ، وان أتانى يمشى أتيته هروله .

وعن أبى هريرة ــ رضى اللـه عنـه ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « سبق المفردون » قـالوا : ومـا المفردون يارسول الله ؟ قال : « **الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ** » .

وقال جابر بن عبد الله ــ رضى الله تعالى عنه خرج علينا رسول الله ــ صلى الله عليـه وسلم ــ ونحن فى مسجد المدينة فقال : ان لله سرايا من الملائكة تحل وتقف فى مجالس الذكر

فى الارض ، فاذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة يارسول الله ؟ قـال : مجالس الذكر • اغدوا وروحوا فى ذكـر الله من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده ، فان الله تعـالى ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه •

وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ان

لله ملائكة يطوفون فى الطرق ، يلتمسون أهـل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنـادوا : هلموا الى حاجتكم ، قال : فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا،قال : فيسألهم ربهم ــ وهو

أعلم بهم ــ ما يقول عبادى ؟ قال : يقولون : يسبحونك ، ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك

فيقول : هل رأونى ؟ قال : فيقولون : لا ، والله مارأوك قال : فيقول : وكيف لو رأونى ؟ قال :

يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيدا وتحميدا وأكثر تسـبيحا قـال :

فيقول : فما يسألوننى ؟ قال : يسألونك الجنة ، قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقـولون :

لا والله يارب ما رأوها قـال : فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم روأها كانوا

أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيهـا رغبة • قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون :

من النار قال : يقـول وهـل رأوها ؟ قـال : يقولون : لا والله يارب ما رأوها • قال يقول :

فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشـد لها مخافة • قال : فيقول : أشهدكم أنى قد غفرت لهم •

قال : يقول : ملك من الملائكة : فيهم فلان ؛ ليس منهم ، انما جاء لحاجة ، قال : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم •

ويشير هذا الحديث على فضـل بنى آدم وفضل مجالس الذكر والعبادة وحضورها مـن دراسـة علم ومذاكرته وقراءة قرآن وذكـر وتهليل فهى مجالس النور والحياة •

وذكر الله تعالى يقى المرء من الأهوال ألا ترى أن يعقوب عليه السلام حين وجه يوسف مع اخوته لم يزد على أن قال : ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ فعوقب على ذلك بطول البين وأبعـد من قرة العين ، ولما سأله أولاده توجيه بنيامين قال : فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين • فلما قدم ذكر مولاه أنعم عليه برجوع الابنين اليه وهما ولداه •

وذاكر الله : يكون على طهارة من الحـدث والخبث وأن يستقبل القبلة ان كان وحـده ، والا تحلقوا وأن يكون مفرغا لقلبه مما سوى الله حتى لا يطلب دنيا ولا أخرى ولاثوابا ولا ارتقاء ، وانما يذكر الله حبا فى اللـه لانـه

ذكر الله

أسرع فى تنوير القلب وأن يخفض الصوت ما أمكن ذلك مع اليقظة التامة والهمــة الكــاملة ومراعاة الاماكن والاوقات وان الذكر الخفى أفضل من الجهر حتى قــال عبــد الوهــاب الشعرانى : أجمع العلماء ســلفا وخــلفا على استحباب ذكر الله تعالى جماعة فى المساجــد وغيرها من غير نكير بشرط أمن من الريــاء ، ومن تأذى نحو مصل » فحينئذ تمنع الجماعة فى الذكر لهذه المفاسد لا للجماعة فى ذاتها وقد شبه الامام الغزالى ــ رحمه الله ذكر الانسان وحده ، وذكر الجماعة بأذان المنفرد ، وأذان الجماعة ، فان أصوات المؤذنين جماعة تقطــع جرم الهواء أكثر من صوت مؤذن واحد وكذلك ذكر الجماعة على قلب واحد أكثر تأثيرا فى رفع الحجب ، فان الله شبه القلوب بالحجــارة • ومعلوم أن الحجر لا ينكسر الا بقوة جماعــة مجتمعين على قلب واحد لأن قوة الجماعة أشد من قوة شخص واحد •

وأفضل الذكر : لا اله الا الله • اذ هى كلمة الاخلاص وما أعظم بركاتها ، وعلى المسلم أن يرطب لسانه بها كى ينــال بركة احســانها ، ويظفر بحلاوة امتنانها •

ومن الذكر الصلاة على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولها فوائد كثيرة منها أنها سبب لكفاية المهمات فى الدنيا والآخــرة • حكى أن العلماء اتفقوا على آن جميع الاعمال منهــا المقبول ومنها المردود الا الصلاة على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فانه مقطوع بقبولها اكراما له ــ صلى الله عليه وسلم •

قال العينى : وجه الشبه بين الذكر والحى : الاعتداد والنفع والنضرة ونحوها ، وبين تارك الذكر والميت : التعطيل فى الظاهر والبطــلان فى الباطن •

ذكر الله علم الايمان ، وبراءة من النفاق ، وحصن من الشيطان ، وحرز من النــيران ، وعلامة حب الله حب ذكر الله ، وعلامة بغض الله بغض ذكر الله • وذكر الله كالمصباح فى يد الذاكر يستضىء به وتحصل الواردات فى قلبه بقدر ذكره •

الذكر يزود المسلم بشحنة ايمانية تدفعــه على الانطلاق فى أعمال الحياة بهمة وعزيمــة ونشاط ، وفى ذكر الله تجديد لأسلوب الحياة ، ومراقبة ساهرة للمولى ــ عز وجل ــ واخلاص صادق فى عبادته ، وتحصين منيع يحصــنه ، ولجوء قوى الى كنف الله وحماه ، وفيه حلاوة القرب ، ولذة الوصال •

اللهم لا تحينا على غفلة ، ولا تأخــذنا على غرة ، واجعل آخر كلامنا يامولانا من الدنيــا قول : لا اله الا الله محمد رســول الله وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها وأرحنا من هموم الدنيــا وغمــومها بالــروح والريحان الى الجنة ونعيمها وصــلى الله على خاتم النبيين وآله وأصــحابه الكرام البررة وسلم تسليما كثيرا والحمد لله أولا وآخرا •

عبد المعز عبد الحميد الجزار
رئيس المكتب الفنى لوكيل الأزهر

مما يوجب الكفارة في رمضان

للشيخ على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جـاء رجل الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال هلكت يا رسول الله ، قال : وما أهلكك ؟ قـال وقعت على امرأتى فى رمضان ، قال : هل تجد ما تعتق به رقبة ؟ قال : لا ، قال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا ، قال : فهل تجد ما تطعم به ستين مسكينا ؟ قال : لا ثم جلس ، فأتى النبى ــ صلى الله عليه وسلم بعرق ((مكيال يسع خمسة عشر صاعا)) فيـه تمر ، قال للرجل : تصدق بهذا ، فقال الرجل : على أفقر منا يا رسول الله ، فما بين لابتيهـا أهل بيت أحوج اليه منا ، فضحك ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى بدت نواجذه وقال للرجل اذهب فأطعمه أهلك .

رواه الجماعة

كلما أقبل شهر رمضان صام المسلمون ... وامتنعوا عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، لينطلقوا فى آفاق الصفاء الروحى ، والضياء النفسى شهرا من كل عام ، يتذوقون فيه حلاوة الطاعة ، ويتزودون من معانى الخير لعامهم كله ، فالصوم مدرسةتهذب السلوك ، وتزكى الأخلاق وتصون النفس من عبث الشهوات والصوم مدرسة نتعلم فيها معنى الصبر والمقاومة ، والارادة . وأدنى مراتب الصوم : الامساك

٥

مما يوجب الكفارة فى رمضان

عن الطعام والشراب والشهوة مع النية الا أن بعض الناس قد تغلب عليهم رغباتهم ، وتنتصر عليهم شهواتهم . والحديث الشريف يوضح قصة واحد من هؤلاء انتصرت عليه نفسه ، وغلبته شهوته فجامع زوجته فى نهار رمضان .. ثم أحس بكبير ذنبه ، وعظيم جرمه .

قيل : انه سلمان أو سلمة بن صخر البياضى — قال ابن عبد البر : انه ظاهر من زوجته ، فترتب على ذلك الكفارة ، وقال ابن حجر يحتمل وقوع الأمرين له . هذا الرجل عندما شعر بخطورة ما أقدم عليه جاء الى الرسول مقرا بذنبه قائلا : هلكت وأهلكت أى فعلت ما هو سبب لهلاكى وهلاك غيرى يعنى زوجه ، وفى رواية السيدة عائشة عن البخارى أنه قال احترقت وفى اللفظ ما يفيد عمق الندم والاحساس بالذنب فلم يعاقبه النبى — صلى الله عليه وسلم — حتى لا يحجم الناس عن الاستفتاء :

فسأله الرسول — صلى الله عليه وسلم :

هل تجد ما تعتق به رقبة ؟

قال الرجل : لا والذى بعثك بالحق ما ملكت رقبة قط ، قال الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال الرجل : لا ، وهل لقيت مالقيت الا من الصوم .

قال النبى — صلى الله عليه وسلم : فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا ؟ والحديث يشترط ستين مسكينا — وهو كذلك عند المالكية والشافعية والحنابلة .

وقال الأحناف : يجوز أن يطعم عشرة لمدة ستة أيام ، أو ستة لمدة عشرة أيام ، أو فردا لمدة ستين يوما .

قال العلماء فى تعليل هذه الأحكام من المناسبة :

ان من انتهك حرمة الصوم بالجماع — أو الأكل عمدا — قد أهلك نفسه بالمعصية فناسب أن يعتق رقبة فيفدى نفسه ، وقد صح أن « من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار » .

وأما الصيام فمناسبته ظاهرة لأنه كالمقاصة بجنس الجناية — أى أنه قابل العمل بآخر من نوعه .

وأما كونه شهرين ، فلأنه لما أمر بمصابرة النفس فى حفظ كل يوم من شهر رمضان على الولاء فأفسد منه يوما ، كان كمن أفسد الشهر كله من حيث أنه عبادة واحدة بالنوع فكلف صيام شهرين مضاعفة على سبيل المقابلةلنقيض مقصودة .

وأما الاطعام فمناسبته ظاهرة ، لأنه مقابلة كل يوم باطعام مسكين .. ثم ان هذه الخصال جامعة لاشتمالها على حق الله بالصوم وحق الأحرار بالاطعام ، وحق الارقاء بالاعتاق ، وحق الجانى بثواب الامتثال .

الكفارة من حيث الترتيب والتخيير

وهل الكفارة تؤدى على الترتيب أم على التخيير ؟

قال جمهور العلماء هى على الترتيب فلايصح الانتقال الى الصوم الا عند عدم وجود رقبة

مملوكة ، ولا يصح الانتقال الى الاطعام الا عند عدم استطاعة الصوم •

قال الشوكانى : قد وقع فى بعض الروايات ما يدل على الترتيب والتخيير والذين رووا الترتيب أكثر ، وجمع بعضهم بين الأمرين بحمل الترتيب على الأولوية والتخيير على الجواز •

قال الشافعية ، وبعض المالكية : ان الكفارة على الترتيب •

وقال جمهور المالكية والأحناف هى على التخيير•

ونقل عن بعض متأخرى المالكية أن الكفارة تختلف باختلاف الأوقات : ففى وقت الشدة تكون بالاطعام ، وفى غيره تكون بالعتق أو الصوم •

ومنهم من قال : الافطار بالجماع يكفر باحدى الخصال الثلاث والافطار بغير الجماع لا يكفر الا بالاطعام •

قال ابن جرير الطبرى : هو مخير بين العتق والصوم ولا يطعم الا عند العجز عنهما •

فأما عن الصحابى — رضى الله عنه — فقد أتى النبى — صلى الله عليه وسلم — بعرق — « بفتح العين والراء » وهو المكتل الذى يضفر من الخوص (١) • ويسع خمسة عشر صاعا ، أو أكثر — فيه تمر •

وفى رواية : فجاء رجل بصدقة يحملها ، فقال النبى للأعرابى تصدق بهذا •

فقال : أعلى أفقر منا فما بين لابيتها • أهل بيت أحوج اليه منا — فقصد المدينة المنورة — حيث تقع بين لابتين أى حرتين من حجارة سود — يريد أن يقول انه لا يوجد بالمدينة

(١) يطلق عليه . الزنبيل ، والقفة والوعاء .

● مما يوجب الكفارة فى رمضان

من هو أفقر منا – فضحك النبى حتى بـدت نواجذه • تعجبا من أمر رجل جاء أولا هالـكا خائفا على نفسه راغبا فى فدائها بكل ما يمكنه فلما وجد الرخصة طمع فى أن يحوز ما أعطيه للكفارة ، أو ضحك من ذكاء الرجل وفطنتـه • حيث كان دقيقا فى ألفاظه متلطفا فى خطابه •• فقال – صلى الله عليه وسلم – للأعرابى اذهب فأطعمه أهلك •• أو عيالك ، قيل : ان هـذا الحكم خاص بهذا الرجل حيث سوغ لـه النبى – صلى الله عليه وسلم – أن يأكل من صدقته •

وقيل هذا الحكم منسوخ •

وقيل : أعطاها له لا على جهة الكفارة – بل هى باقية فى ذمته – مع القضاء •

وأما المرأة فاذا مكنت زوجها طائعة غـير مكرهة • فهل عليها كفارة ؟

قال الشافعية بوجوبها فى قول وفى آخـر بعدم الوجوب ، لأن النبى لم يعلمها بوجـوب الكفارة عليها •

وقال المالكية : بوجوب الكفارة ، وهو مذهب الأحناف أيضا ، وأصح الروايتين عن أحمد ، واذا وجبت عليها الكفارة : فهل من مالهـا أو من مال الرجل ؟

فى ذلك آراء ••

واذا تقررت الكفارة على أى مفطر بالاطعام فما مقدارها على ضوء المذاهب • قال المالكية – هو مد بمد النبى – صلى الله عليه وسلم – لكل مسكين – ويشمل الفقير •

والمد ملء اليدين المتوسطتين ، من غـالب القوت والصـاع أربعة أمداد فيكون مقدار الكفارة خمسة عشر صاعا •

وعند الشافعية مد أو مدان ، وعند الأحناف نصف صاع من بر ، أو صـاع من التمر – وتجزى القيمة •

وعند الحنابلة مد من بر أى ربع صـاع أو نصف صاع من تمر أو شعير •

ويرى – بعض العلماء أنه تكفى وجبتان لكل مسكين أو فقير عن كل يوم •

وقد استنبط العلماء من هذا الحديث أحكاما كثيرة :

منها : أن من ارتكب معصية لاحـد فيها ، وجاء مستفتيا لا يعاقب كما فعل النبى – صلى الله عليه وسلم – مع هذا الصـحابى رضى الله عنه لان العقاب يكون سببا فى احجـام الناس عن الاستفتاء ، وفى هذا مفسـدة عظيمة •

ومنها : السؤال عن حكم مايفعله المرء مخالفا للشرع •

ومنه الرفق بالمتعلم •

ومنها التلطف فى التعليم •

ومنها التأليف بالتيسير على السائل •

ومنها الندم على المعصية •

ومنها استشعار الخوف من اللـه الى غير ذلك •• فاما الذين ينتهكون حرمة شهر الصيام بالفطر عمدا من غير عذر •• فنسوق لهم حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة لقى الله بـه وان صام الدهر كله ان شاء غفر وان شـاء عذبه •

صدق رسول الله •

على حامد عبد الرحيم

أيرى النبى صلى الله عليه وسلم "يقظة"

للأستاذ سليمان الصغير

تكلم (١) كثير من العلماء قديما وحديثا بما يفيد ان رؤية النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى اليقظة بعد وفاته ممكنة وليست بمستحيلة وقال بعضهم انها غير ممكنة .

ومع القول بانها ممكنة فليست فى مقدور كثير من الناس ، وانما هى لقليل من الذين اتقوا ربهم وأخذوا أنفسهم بعزائم الطاعات وصانوها عن تناول المحرمات والوقوع فى الشبهات حتى قوى استعدادهم وزال حجابهم فأبصروا وأدركوا ما لم يحط به غيرهم ممن ليسوا على خلالهم ففى الحديث القدسى (ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه) رواه البخارى .

والحديث الذى رواه البخارى ومسلم (من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة

◄

(١) حدث فى هذا الموضوع ـ اخيرا ـ كلام فى غير مقامه ، وغير ما ينبغى لهذا المقام من جلال العلم وقدسية الموضوع ، وخاض فيه من خاض ، مما دفع كاتب المقال أن يقدم فيه جهده العلمى فى هذه الكلمة التى لا تعتبرها المجلة آخر الحديث فى الموضوع ، وانما هى فاتحة ، فمن شاء ان يقول فى الموضوع شيئا فان المجلة تتقبله شريطة أن يقوم على صيغة علمية بحتة سداها ولحمتها الحكم منوطا بالدليل .

مجلة الازهر

ولا يتمثل الشيطان بى) يدل على أن رؤيته — صلى الله عليه وسلم — ممكنة بعد وفاته وليست مستحيلة والقول بأن رؤيته — صلى الله عليه وسلم — غير ممكنة فى الدنيا بعد وفاته وأنها لا تكون يقظة الا فى الآخرة يتعارض ولفظ الحديث والقول بأن الرائى لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقظة بعد وفاته يعتبر صحابيا والصحبة انتهتبوفاته وبأن العين الفانية لا ترى العين الباقية والنبى — صلى الله عليه وسلم — فى دار البقاء والرائى له فى دار الفناء والفناء والبقاء لا يجتمعان .

يجاب عنه بأن رؤيته — صلى الله عليه وسلم بعد وفاته لا تثبت بها صحبة للرائى لأن الصحبة لا تثبت الا لمن رآه فى حياته مؤمنا به وانما تعتبر رؤيته — صلى الله عليه وسلم يقظة بعد وفاته كرامة يكرم الله بها من شاء من عباده .

ولولا أن الرائى له — صلى الله عليه وسلم — جاهد نفسه حتى قهرها وتخلص من سيطرتها عليه ووصل بها الى رتبة الشهداء والصديقين ما استطاع أن يرى فى اليقظة ما لم ير غيره ممن لم يصل الى ما وصل اليه مما يعتبر من كرامات الرائى .

ورؤية الصحابة للملائكة فى غزوة بدر الكبرى ورؤيتهم لأمين الوحى جبريل عليه السلام يسأل النبى — صلى الله عليه وسلم — عن أمور الدين والنبى يجيبه . ورؤية عمران بن الحصين رضى الله عنه للملائكة واستماعه لسلامهم ومصافحته لهم دليل على قدرة الله تعالى وسعة فضله على من شاء تكريما له وتثبيتا .

ورؤية النبى — صلى الله عليه وسلم — يقظة بعد وفاته تعتبر كرامة للرائى كرؤية الصحابة للملائكة على أن لرؤية النبى — صلى الله عليه وسلم يقظة شروطا لا بد منها فى الرائى .

منها :

١ — عدالة الرائى .

٢ — تقواه .

٣ — مسارعته فى تحصيل مرضاة الله بما يجعله أهلا لثقة العلماء وأهل الفضل فيه .

٤ — استمتاعه بقواه العقلية .

٥ — تثبته مما رأى وسمع .

٦ — الا يخالف ما اتى به نصا من نصوص الكتاب والسنة .

٧ — أن يتفق ما تكلم به مع اجماع الأمة .

وقوله صلى الله عليه وسلم (من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى) جملة شرطية اتحد فيها الشرط والجزاء فدلت على أن رؤيته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته حق وأنها ممكنة كرؤيته مناما يختص الله بها من يشاء من عباده كرامة له .

والكرامة أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد من يشاء من أوليائه تثبيتا له وتأييدا وتنبيها لغيره على أنه فى معية الله وأن الله يراه ويتولاه ولا يتركه لأحد سواه .

قال صاحب الجوهرة :

« واثبتن للأوليا الكرامة
ومن نفاها فانبذن كلامه »

ومن جملة الكرامات ما أكرم الله به مريم

عليها السلام من ايجاد الارزاق لديها مما جعل نبى الله زكريا عليه السلام يسألها قائلا (يَامَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا) فتجيبه بما أخبر الله عنها (قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) «آل عمران ٣٧» .

ومن الكرامات ما كان من نقل عرش بلقيس فى أقرب من لمح البصر بصدق توجه آصف بن برخيا الى الله الذى آتاه من علم الكتاب ما آتاه (قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ) .

وصدق الله القائل (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

ويرى الامام الغزالى أن بعض المنقطعين لله تعالى يرون فى اليقظة الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال الى درجات يضيق عنها نطاق الناطق .

ويرى أبو بكر المالكى أن رؤية الأنبياء والملائكة فى اليقظة وسماع كلامهم ممكن للمؤمن كرامة والكافر عقوبة .

وفى المدخل لابن الحاج : رؤيته — صلى الله عليه وسلم — فى اليقظة ليست الا للقليل من الناس جدا . ولا يقع ذلك الا لمن كان على صفة عزيز وجودها فى هذا الزمان .

ويرى جلال الدين السيوطى وابن حجر الهيتمى وابن أبى جمرة أن رؤية النبى — صلى الله عليه وسلم — ممكنة فى اليقظة لمن هم أهل لها من المتبعين للكتاب والسنة لا لغيرهم ومن يدعى أن الرؤية مخصوصة بيوم القيامة بدون تخصيص منه — صلى الله عليه وسلم — فقد تعسف باعتقاده استحالة الممكن وبانكاره لكرامات الأولياء الثابتة بالكتاب والسنة قال الحافظ للسنة المرحوم الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى فى شرحه لمؤلفه زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم (والذى يتحصل من كلام المحققين) أن رؤيته — صلى الله عليه وسلم — فى اليقظة ممكنة شرعا وعقلا ولا حاجة الى انكارها ولا تخصيصها برؤية المثال مع أن نصوص الأحاديث تدل على امكانها ووقوعها لمن خصه الله تعالى بها .

قال ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه : كنت أرى النبى — صلى الله عليه وسلم — مناما فى بدء سلوكى وكنت أخبر أمى بما أرى فتقول لى كل الناس يرونه مناما حتى النساء والأطفال والعصاة ليهتدوا . ياولدى انما الرجل من يجتمع به فى اليقظة ويشاوره فى أموره : فلما اجتمعت به فى اليقظة وأخبرتها سرت وقالت الآن بدأت تشرع فى مقام الرجولية .

ورؤيا اليقظة تكون لمن رآه مناما ولو عند الموت تحقيقا لوعده الشريف وبشارة بحسن الخاتمة ولا يجوز أن يفهم من رؤيا المنام أو اليقظة أى حكم شرعى خلاف ما جاء به — صلى الله عليه وسلم — لأن الشريعة كملت واستقرت وأنزل الله عز وجل (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**) .

وبوفاة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — انتهى وحى التشريع فلا وحى بعده .

غاية ما يمكن أن يكون من أمر الرؤيا تنبيه الرائى الى ما قد يجهله عن بعض الاحكام الشرعية ، والى الأخذ بالعزائم وترك الرخص لأن كثرة الأخذ بالرخص يوهن الدين .

والذى يتتبع الرخص ويأخذ بها ليس له فى مقام الرجال حال .

قال تعالى (**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**) (العنكبوت ٦٩) .

فالتأسى برسول الله — صلى الله عليه وسلم — لابد منه لمن أراد العناية والولاية والمعية التى لا تنال الا بالعزيمة القوية والهمة العلية .

قال — صلى الله عليه وسلم — (ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل) (١) .

لما تقدم انصح للذين يقولون انهم يرون النبى — صلى الله عليه وسلم — مناما أو يقظة أن يعرضوا ما لديهم على الاثبات من العلماء المشهود لهم بالصلاح والتقى ليوجهوهم الى ما ينبغى فهمه وفعله .

والذى يرى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مناما أو يقظة لايضيع وقته فى الاعلان عن نفسه بأنه هو الذى يرى اعجابا بنفسه لأن حبه لله تعالى ولرسوله — صلى الله عليه وسلم — يملك كل وقته وان بحثت عنه فلن تجده وان وجدته فلن تجد منه الا ما لابد منه مما ينبغى فهمه وفعله ولا يسوغ تركه .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وآله وأصحابه وأتباعه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه فكثر صمتهم وقل كلامهم الا ما كان من ذكر الله ففى الحديث القدسى « أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حيث يذكرنى » متفق عليه .

قال تعالى (**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**) .

سليمان امام الصفى

---

(١) انظر للامام النووى — رياض الصالحين

مع "دليل المسلم"

— ٢ —

ما هكذا تورد يا سعد الإبل

— ٣ —

للأستاذ عبد الظاهر عبد الكريم

يرى « دليل المسلم الحزين » فى الفقرتين : الثالثة والرابعة من نصه الذى ذكرناه فى مقالتنا الأولى ٠

١ — أن بطون قريش كلها ، قد اجتمعت كلمتها — بعد حوالى عام من الهجرة الى الحبشة — على مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب ، وحظرت التعامل التجارى معهم والزواج منهم ٠

٢ — ويرى ايضا أن بنى هاشم كانت لهم مصلحة حقيقية فى موضوع الخلاف ، وأن أبا طالب كانت له رغبة فى هذه المقاطعة ، اذ كان من السهل عليه أن ينتحل عذرا أو آخر ، للتخلى عن ابن أخيه ، واسقاط الحماية عنه ، أو يقنعه بالعدول عن الدعوة الى الدين الجديد ، لو كان حقا راغبا فى تجنب المقاطعة القرشية له ولأهله ٠

٣ — ويرى أن هذا هو السبب الظاهر الذى تذرعت به قريش ففرضت المقاطعة على بنى هاشم مدة (لا تقل عن سنتين عند المقلل من المؤرخين) ٠

٤ — وفى النهاية يرى أن المقاطعة انهارت لانسحاب بعض البطون التى أدركت أن نجاحها سيؤدى الى تعاظم القوة لأغنياء التجار على نحو يتعدى الحدود التى كانوا يأملون فى الوقوف عندها ٠

◄

مع دليل المسلم

والمسألة الأولى : لا اختلاف عليها ولا نزاع فيها بين المؤرخين . ولكن .. من حق القارىء على كاتبه أن يعرف السر فى هذا الاجماع أو الاجتماع ، على مقاطعة بطنين من قريش ، لم يبغيا أو يطغيا .

ولهما قرابة قريبة ورحم ماسة بكل البطون القاطعة ، مع أن قريشا لم يعرف عنها ذلك الاجتماع أو الاجماع إلا فى أمور محدودة أو معدودة . لاسيما أن « دليل المسلم » أعطاه أن هنا سببا باطنا سوى السبب الظاهر الذى اتخذه أهل مكة ذريعة فقاموا بفرض المقاطعة على اخوتهم وبنى عمومتهم الذين كانوا أقل منهم ثراء — كما قال دليل المسلم — وأقل منهم عددا .

وأظن أن من حق القارىء على كاتبه — مادام يقوم بالكتابة من أجله ولفائدته — أن يكون معه واضحا ، دقيقا أمينا ، فلا يطرح عليه ضبابا يحمله على أن يضرب فى بوادى الظنون ، أو تلفه متاهات الأفهام وان شئت — الأوهام . ثم هو — بعد اللتيا والتى — لا يدرى أخرج من ذلك بخفى حنين ، أم بما حمله تأبط شرا ؟ .

فان هو اتجه فى تعليل هذا الاجماع المكى ، الى الدين والتمسك به ، أو الحفاظ عليه ، رده عن ذلك دليل المسلم الذى يقول : ان قريشا لم تكن — كما يعتقد الكثيرون — شديدة التمسك بآلهتها ، ولا كانت الوثنية عندها عميقة الجذور ، وانما استمرت عبادتها للأوثان من قبيل التقليد المحض لسنة أسلافها ونتيجة للافتقار — حتى ظهور الاسلام — الى أية معارضة منظمة لهذه العبادة .

ومما يدلنا على ذلك ما نعلمه من استخفاف الكثيرين منهم فى الجاهلية بهذه الآلهة ، ودعوة الحنفاء الى عبادة اله واحد ، وتسفيههم لعقيدة قومهم ، دون أن يلحقهم أذى أو اضطهاد ، ثم ما نعلمه عن ذلك التقبل السهل المذهل من جانب قريش ، وبعد فتح مكة لهدم أوثانها ، دون أن يصيبهم شىء من لواعج الأسف أو الحيرة أو الانزعاج ص ٤١ .

ودليل المسلم — بذلك — يبعده عن التعليل بالدين والتمسك بقضاياه ، ويحمله على أن يلتمس علة أخرى ، فان هو اتجه التعليل بالسياسة ، ومسائل الاقتصاد ، وموازين القوى العشائرية — كما صرح به فى ص ٤١ ، ٤٢ حال دون قبوله ذلك أن بطون أسد وتيم وزهرة — التى كانت سابقا مع بنى هاشم والمطلب فى حلف المطيبين ، وبعده فى حلف الفضول الى أن فرضت المقاطعة — والتى زعم دليل المسلم أن النبى هجر أصحابه من مكة الى الحبشة من أجل اكتشاف طريق جديد لصالحها ولصالح تجارتها رغبة فى كسر سلاح الاحتكار الذى كان يقوم الأحلاف به ضد بنى هاشم وهذه البطون — صارت الآن مع قريش ضد بنى هاشم . وكانت السياسة وموازين القوى العشائرية — فضلا عن الوفاء الذى اشتهرت به العرب — تقضى بأن تكون مع النبى ومع بنى هاشم لا مع قريش .

وأيضا فان بنى عامر بن لؤى ، وبنى محارب ابن فهر كانوا مع قريش فى المقاطعة ، وهم الذين أبوا أن يدخلوا معهم — فى السابق —

حلف الأحلاف ، كما لم يدخلوا حلف الطيبين ولا الفضول .

وكان مع قريش أيضا بنو الحارث بن فهر ابن مالك بن النضر ، وهم أحلاف بنى هاشم فى المطيبين ، فأين السياسة ؟ وأين موازين القوى العشائرية ؟ ولم انضم هؤلاء جميعا الى قريش فى المقاطعة ان لم يكن من أجل الدين ؟ ولم انفض عن بنى هاشم حلفاؤهم ان لم يكن من أجل الدين القديم ، ونفورا من الدين الجديد ؟ ولم ترك أبو لهب أهله وأخوته

وانضم الى قريش فى مقاطعتها الجائرة ؟ أكان ذلك من أجل الدين ؟ أم مراعاة لموازين القوى العشائرية التى كانت توجب عليه البقاء فى صفوف اخوته وبنى أبيه ؟

ولماذا كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يعادى الرسول ويهجوه ، وهما ابنا عم ، وبينهما مودة ومصافاة قبل مبعث الرسول وأخوة من الرضاع ؟ أكان ذلك من أجل الدين ؟ أم من أجل المال والسياسة وما سماه بالموازين ؟ وكلها — مهما تفتن الناس فى أسمائها . وصفاتها وتعدادها كانت تقضى بغير الذى كان من أبى سفيان .

وأبو طالب الذى تحمل فى نصرته — صلى الله عليه وسلم — ما تنوء به الجبال ، مات على دين قريش الذى نشأ عليه ، مع حبه لابن أخيه ودفاعه عنه ، وعداوته لقومه من أجله ، أفكان ذلك رغبة فى الدين ؟ أم رغبة عن الدين ؟

وبنو هاشم تأخر اسلام الكثيرين منهم بل الأكثر ، بل لم تؤمن منهم أعداد ، فهل كان ذلك منهم تمسكا بالدين ؟ أم انفلاتا من السياسة والموازين التى كانت قوانينها تقضى بأن يكونوا من المؤمنين ؟

* وأبناء أبى لهب الذين كفروا بالرسول وجحدوا نبوته ، وطلق اثنان منهم ابنتيه — عليه الصلاة والسلام — بعد البعثة ، بم يفسر أصحاب هذه النظرية منهم تلك التصرفات ؟

وأبو لهب ، والدهم ، آذى الرسول ايذاء لم يصل اليه من الأجانب ، وحاصر دعوته حتى لا تنتشر ، بصورة لم يسلكها معه أعدى أعدائه ، اذ كان يتبعه ، ويلقى عليه الحجارة ، ويقول للقبائل التى يدعوها : لا تصدقوه فانه ... فتقول القبائل : قوم الرجل أعرف به ، أو لو كان صادقا لآمن به أهله ، فلم كان يصنع كل ذلك أبو لهب ، مع أنه كان يعلم تماما أن عز محمد عز له هو ، وأن فى رفعته ارتفاعه ؟ أكان ذلك منه خضوعا لقوانين السياسة وموازين القوى العشائرية ؟ أم تمردا على تلك الأشياء وخضوعا للدين ؟

ان التعليل بالدين — فى نظر القارىء — مطرد ، يشمل هؤلاء وهؤلاء وأولئك وجميع المناوئين للدعوة ولكن دليل المسلم يرفضه ، ويصده عن تقلده واعتناقه . والتعليل بالمال والسياسة والحسد وموازين القوى العشائرية وحدها يمنعه من قبوله بعض ما سمع فكيف بكل ما قيل ، وما يمكن أن يقال ؟ فما التعليل اذن ياقارئى ؟

والحق أنى أراك فى حيرة ، فسل « دليل المسلم » الذى رماك فيها أن يقدم لك شيئا يساعدك على أن تخرج من مآزقها . وأظن أنك

مع دليل المسلم

ستقول : وأنت أيضا قد شاركت — بما قدمت — فى هذه البلبلة ، فقدم لى من المساعدة ، كفاء ما قدمت من نصيبك فيها ، وحدد لى موقفك من تأثير الأشياء التى ذكرها وجعلها من أسباب معارضة قريش دعوة الرسول ، فقد أصبحت مقتنعا بتأثير الدين وأن له نصيبا كبيرا فيها فهل تنكر أن للأشياء الأخرى تأثيرا ؟

قلت : لا أنكر تأثيرها ولكنى أنكر انفرادها ، أو أن لها النصيب الأوفى ، لأنها ان صح أن تتوافر فى القادة والأغنياء • فانها لا تتوافر فى القاعدة العريضة من المدعوين للدين الجديد، ولا أستطيع أن أجرد كل سادة قريش وقادتها من عصبيتهم للدين •

ومما يستدل به على وجودها عندهم — سوى ما قدمناه — ما ورد عن ابن اسحاق — كما فى سيرة ابن هشام أن أبا لهب لقى هند بنت عتبة — حين فارق قومه ، وظاهر عليهم قريشا — فقال : يابنت عتبة هل نصرت اللات والعزى ، وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما ؟ قالت : نعم ، فجزاك الله خيرا يا أبا عتبة •

واذا وجد التمسك به عند القادة فكيف بالقاعدة العريضة من الشعب والأتباع وسائر الناس ؟ فادعاء أن قريشا (هكذا جملة) كانت فاترة الدين ضعيفة العناية به فى محل المنع ، كيف وهم الموصوفون عند العرب وعند أنفسهم بالحمس (أى المتشددين فى الدين وما يتصل به) وكثيرا ما كان الرسول يخالفهم فيه لدى مواسم الحج ويصنع ما يصنعه غيرهم من القبائل العربية •

والحق أن هذا القول وأشباهه لا يصدر فى زماننا هذا الا من مستشرق يتظاهر بالبحث العلمى ، فيلوى الكلام ليا ليأخذ منه ما يصبو اليه من تهجم على الرسالة ، وتهوين شأن الرسول • أو مسلم مخدوع تربى على مائدته ، فاعتقد أنه أخلص للعلم ، وأعمق فى الفهم ، وأقدر على البحث ، وأقوى على الاستنباط • أو يسارى لا يرضى عن الأديان ، ولا عن انسان ينتسب الى الأديان • ودع عنك أنبياء الله ورسله الهداة •

ان معنى هذا الكلام أن محمدا — صلوات الله وسلامه عليه — لم ينجح فى دعوته لامتياز فى مسلكه ، ولا لقوة فى دينه وشريعته ، وانما نجح لأن قريشا كانت ضعيفة فى دينها ، لا يهمها أن تتمسك به أو تدافع عنه ، ولو كانت قويه فيه لرد على عقبيه خائبا ، وكان أمره كأمر الأنبياء الذين تحدث هو عنهم — صلى الله عليه وعليهم أجمعين •

بأن بعضهم يجىء يوم القيامة ومعه الرجل والرجلان ومالا يزيد عن ذلك كثيرا •

ان معنى هذا الادعاء أن شأن محمد — صلى الله عليه وسلم — فى دعوته الى الدين ، وشأن الجهد الذى بذله ، والمشقة التى تصدى لها ونالته كانت أهون مما تصدى له غيره من الأنبياء أولى العزم الكبار ، لضعف الدين فى قومه وعدم تمسكهم باعتناقه ، فلم يكن أمره فى هذا كأمر موسى — عليه السلام — مثلا الذى أرسل الى قوم يدينون بدين ، له فى نفوسهم موقع ، ولهم بتعاليمه تمسك ، ولقضاياه اتباع ، فبذل جهدا ، وغلب سحرتهم به ، واستطاع أن يحرر بنى اسرائيل من

عبودية فرعون وقومه ، وعن طريقه كانت لهم — بعده — دولة وسلطان ...

وهذا كلام ليس بالجديد المخترع فى عصرنا هذا ، وانما هو قديم ... قديم ... قيل بـه منذ زمـان ... وزمان ..

وقد رده العلماء وبينوا ما فيه من ادعاءات تخالف الواقع .. وممن أسهم فى ذلك القاضى عبد الجبار المتوفى فى عام ٤١٥ هـ عن سن عالية فاستمع اليـه يتحـدث فى ص ٨ — ٩ — من الجزء الأول مـن كتـابه : « تثبيت دلائـل النبوة » عن العـرب والرسـول فيقـول : جاءهم مجيئا ما جاءه نبى قبله فى مثل حاله ، فان موسى — صلى الله عليه وسلم — أتى قومه من بنى اسرائيـل ، وهم أولاد الأنبيـاء ، قـد اعتقدوا الربوبية ، وعرفوا الطريق اليهـا ، واعتقدوا النبوة ، وعرفوا الأنبياء قبل موسى ، كآدم ونوح ، ثم الى ابراهيم واسـحاق ويعقوب والأسباط ، وألفوا عبـادة الله ، واعتقدوا المعاد وعرفوه . ثم جاءهم وهم فى

ذل وأسر وقهر فى أيدى الجبـابرة من القبط والفراعنة ، يقتلون أبناءهم ويسـتحيون نساءهم ، ويمنعونهم الصـنائع الشريفـة ، ويقصرونهم على ضرب اللبن وقطع الأحطاب والأعمال الشاقة المؤلمة ، فجاءهم موسى عليـه السلام بما يعتقدون من الربوبية والنبـوة ، ثم أخرجهم من الذل الى العز ومن الشـقاء الى الرفاهية والدعة ، ومن الفقر الى الغنى .

ثم جاءهم من بعد موسى عليه السلام مـن الأنبياء بما جاءهم به موسى عليه السلام ، الى أن انتهت النبوة الى المسيح عيسى ابن مريم — صلى الله عليه وسلم — فـأتى بنى اسرائيل بسنن موسى عليه السلام وشرائع التوراة .

فقدم هو والأنبياء قبله على أمـر ممهـد مألوف معروف وعلى قوم قد ألفوا وعرفوا ، وجاء محمد — صلى الله عليه وسلم — قـوما لا يعرفون الربوبية ، ويعبدون الأصـنام ، وينكرون البعث والمعاد أشـد الانكـار ، لا يعرفون نبوة ولا طهارة ، ولا صـلاة ولا صياما ولا زكاة ، أشد الناس نخـوة وجبرية وأنفة ، قساة جفـاة ، معاشـهم من شـن الغارات ، يسفكون دماءهم ويئـدون ذريتهم فرارا من العار .

ودعاهم — صلى الله عليـه وسلم — الى الربوبية ، والى الاقـرار بالنبـوة والبعث والقيامة ، وأخذهم بالصدق والوفـاء وأداء الأمانة والخضوع للحق ، وبالطهارة والصلاة والصيام والاعتكاف والزكاة ، وصـلات الأرحام ، وقطع السارق ، وجلد القـاذف والزانى وشارب الخمر ، ومساواة المـوالى والفقراء والأعاجم والضـعفاء فى الـدماء ، وأخذهم بالبراءة منهم ، وببـذل أمـوالهم وأخذهم بالبراءة من آلهتهم التى يعبدونها من دون الله ومن آبائهم ومن أديانهم ، وبالاقرار بضلالهم والتدين بالبراءة منهم ، وببذل أموالهم ودمائهم فى طاعته ، وبمجاهدة الأمم ومعاداة الجبابرة والملوك فى طاعته ، فأخذهم بكل شدة وأخرجهم من الراحة الى الكد ومن المسـالمة الى العداوة ، وألزمهم مـالم يكونوا ألفـوا ولا عهدوا وألزمهم الكلف والمؤن فأجابوه بهذه الشرائط . وهم أشد الناس حقـدا وأنفـة وجبرية ، وطلبا بطائلة ، لا يقارون مـن عـاب

مع "دليل المسلم"

خيولهم وجمالهم فكيف بمن عاب آلهتهم وآباءهم وعقولهم وضلل أديانهم . أ هـ ومثل هذا المجيء لم يجئه غيره من الأنبياء ، ولكن المبغض والمقلد لا بد له من مقال .

وما عجبت من شيء عجبي مما ساقه دليلا على دعواه أن قريشا كانت ضعيفة التدين ، وهو .

١ ـ علمه باستخفاف الكثيرين منهم فى الجاهلية بهذه الآلهة .

٢ ـ بدعوة الحنفاء الى عبادة اله واحدة ، وتسفيههم لعقيدة قومهم ، دون أن يلحقهم أذى أو اضطهاد .

٣ ـ ثم علمه بالتقبل السهل المذهل من جانب قريش ـ بعد فتح مكة ـ لهدم أوثانها، دون أن يصيبها شيء من لواعج الأسف أو الحيرة أو الانزعاج .

وعلى فرض أن الاستخفاف من بعضهم أو الكثيرين منهم ، ان شاء ، كان واقعا ، فهل ينسحب هذا على القبيلة كلها ؟ .

وبأى منطق يتقبل الناس أن ينصب حكم بعض الأشياء على كلها دون استقراء ؟

واذا صح هذا فى قريش (الحمس) فانه يصدق فى جميع العرب من باب أولى ، وفيمن اذن كان قوله تعالى : « وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ » ، وقوله عز وجل : « وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ، وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ » ومن القائل : « مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ » « أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ » ومن الذى كان يلبى فى موسم الحج ويقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك الا شريكا تملكه وما ملك .

وفيم كانت عناية القرآن اذن ، وتوجيهه نظر العرب ، فى عشرات السور ومئات الآيات ، بل كل الفرقان ، الى أن الآلهة التى عبدوها من دون الله ، عاجزة ، لا تخلق ولا ترزق ، ولا تحيى ولا تميت ، ولا تبصر ولا تسمع ، ولا تضر ولا تنفع ؟ ولمن كانت توجه هذه الآى ؟ ألقوم بأصنامهم يتعلقون ، ولها يتعبدون واليها يتقربون ؟ أم لقوم بها يستهزئون ، وبعبادتها يستخفون ، ولألوهيتها لا يخضعون ؟

ولم كان القرآن يعيد ويبدىء فى هذا الشأن ، ألأن العرب كانت بهذه الآلهة ساخرة ، ولها محتقرة ؟ أم لضد هذا كان تكرار القرآن الحكيم ؟

وقد أقام النبى بضعة عشر عاما فى مكة ، وشرعه يكاد يكون مقصورا على الدعوة الى وحدانية الله ، ونبذ عبادة الأصنام ، فعلام يدل هذا ؟

ان قيمة هذا الدليل فى موازين العقول هى بالضبط القيمة لعبث عابث أو لجهل جاهل يقول : ان المصريين أو الناس جميعا مخمورون أو لصوص ، فقد قبض البوليس على كثير منهم متلبسا بالجريمة ، أو ان طلاب الثانوية نجحوا

فى الامتحان فان ابنى قد نجح وكذلك أخى ، وابن عمى !

ومن حق القارىء أن يطالب كاتبه هنا بابراز عشر حالات فقط من حالات الكثيرين الذين كانوا يستخفون بهذه الآلهة ، لا على طريقة القرآن الكريم ، شريطة أن يكونوا من قريش الجاهلية لا الاسلام فانه يعرف بعض الساخرين من القبائل العربية ، ولكنه لا يعرف الساخرين بالآلهة من قريش .

ودليله الثالث لا يبعد عن هذا التقدير فان القارىء لا يدرى لماذا كان « دليل المسلم الحزين » ينتظر لواعج الاسف من قريش والحيرة والانزعاج لتحطيم الأصنام ، وهم تركوا عبادتها ، ورأوها على حقيقتها حجارة ..... مجرد حجارة لا تنفع ولا تشفع ، وقالوا لها : كنا منك فى غرور ، كما عبرت بذلك هند بنت عتبة بن ربيعة .

وكان ينبغى ــ ان كان للأسف موضع ــ أن يكون على الزمان الذى أضاعوه فى تعظيمها وعبادتها ، وعلى قلة العقل والضلال الذى كانوا غارقين فيه ، وعليه مات آباؤهم الأقربون والأبعدون ، وعن طريقها صاروا الى الجحيم .

وأما دليله الثانى فانه يتكون من جزئيات ثلاث : الأولى أن الحنفاء دعوا الى عبادة اله واحد .

والثانية أنهم سفهوا عقيدة قومهم .

والثالثة أن قريشا لم تلحق بهم أذى أو اضطهاد .

فلنلق نظرة على هذه القضايا بالتعرف ما فيها من خطأ أوصواب ، مستندين الى سيرة ابن هشام التى تقول ــ بعد أن ذكرت أسماء أربعة وذكرت تشككهم فى الوثنية .

وقال ابن اسحاق : اجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم ، يعظمونه وينحرون له ، ويعكفون عنده ، ويديرون به ، فخلص منهم أربعة نفرنجيا ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا ، وليكتم بعضكم على بعض . قالوا : أجل . فقال بعضهم : تعلموا . والله ما قومكم على شىء ، لقد أخطأوا دين أبيهم ابراهيم ، ما حجر نطيف به ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ؟ ياقوم التمسوا لأنفسكم ، فانكم والله ما أنتم على شىء . فتفرقوا فى البلاد يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم .

وكان هؤلاء الأربعة ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى ، وعثمان بن الحويرث بن أسد ابن عبد العزى ، وكلاهما عشيرة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ــ رضى الله عنها .

والثالث : عبيد الله بن جحش من بنى أسد ابن خزيمة أخو أم المؤمنين زينب بنت جحش ــ رضى الله عنها وأمه أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ــ عليه الصلاة والسلام ــ .

والرابع : زيد بن عمرو بن نفيل من بنى عدى من عشيرة عمر بن الخطاب ، وهو والد سعيد ابن زيد من العشرة ، وأخو الخطاب لأمه وابن أخيه فى نفس الوقت .

فأما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب . (وأقام فى مكة لا يهيج ولا يهاج ، حتى جاء الاسلام ، وعرضت عليه خديجة أمر الرسول وقال له ما هو معروف فى كتب

◀ مع "دليل المسلم"

الحديث والسيرة والتاريخ) .

وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين الى الحبشة ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان مسلمة ، فلما قدمها تنصر .. حتى هلك هنالك نصرانيا .. وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده .

قال السهيلى : وكان يقال له البطريق ، ولا عقب له ، ومات بالشام مسموما ، سمه عمرو ابن جفنة الغسانى الملك .

وأنت — يا قارئى — عندما تريد أن تطبق جزئياته الثلاث التى تكون دليله ، على رجاله الثلاثة هؤلاء لا تجد جزئية واحدة ، حتى الثالثة لعدم دواعيها تنطبق على فرد واحد ودع عنك الجميع ، فالذى أقام فى مكة متحيرا كيف يدعو الى التوحيد وهو لم يهتد اليه ؟ وكيف يسفه عقيدة قوم يطمئنون اليها وليست له عقيدة تبعث على الاطمئنان ، ومن أجل أى شىء كانت قريش تؤذيه ؟

وعثمان تنصر ومكث فى الشام ومات هناك فكيف تنطبق عليه تلك الجزئيات ؟ وورقة بن نوفل استحكم فى النصرانية .

وعلى فرض أنها موحدة فقريش ليست فى حاجة الى هذه الدعوة فأمامها علماء النصارى وأحبار اليهود ، فليست فى حاجة الى تلميذ من تلامذتهم يتلقون عنه ، وورقة من أعلم الناس بقومه فلا يقدم عليهم بما يغضبهم ، فكيف تقدم اليه الأذية ، وهو لم يقدم اليها أذية ؟

وأما زيد بن عمرو وبن نفيل فوقف ، فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه فاعتزل الاوثان والميتة والدم والذبائح التى تذبح على الاوثان ، ونهى عن قتل الموءودة ، وقال : أعبد رب ابراهيم وبادى قومه بعيب ماهم عليه .

وكان يسند ظهره الى الكعبة أحيانا ويقول : يا معشر قريش ، والذى نفس زيد بن عمرو بيده ، ما أصبح منكم على دين ابراهيم غيرى ثم يقول : اللهم لو أنى أعلم أى الوجوه أحب اليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه .. وهذا هو الوحيد الذى يمكن أن تقبل فيه — بتسامح — الجزئيتان الاولى والثانية ، وأما الثالثة فلا ولا ثم لا ، ولا .. الى ما شئت من مكراراتها حتى تشعر أنك فى حاجة الى التقاط الانفاس .

ذلك أن زيد لما فارق دين قومه ، وعابه آذاه الخطاب حتى أخرجه الى أعلى ، فنزل حراء ووكل به الخطاب شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم ، وقال لهم : لا تتركوه يدخل مكة ، فكان لا يدخلها الا سرا منهم فاذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب فأخرجوه ، وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم ، وأن يتابعه أحد منهم على فراقه (وضم هذا الى الأدلة السابقة فى تمسك قريش بدينها ، وكذلك قول الأربعة : وليكتم بعضكم على بعض) فقال ، وهو يعظم حرمته على من استحل منه ما استحل :

لا هم انى محرم لا حله   وأن بيتى أوسط
المحله   عند الصفا ليس بذى مضله

وكان الخطاب قد وكل به صفية بنت الحضرمى زوجه ، وقال لها : اذا رأيته قد هم بأمر فآذنينى به ، فكانت كلما رأته تهيأ للخروج

ليضرب فى الارض ، يطلب الحنيفية دين ابراهيم — صلى الله عليه وسلم — آذنت به الخطاب ابن نفيل •• الذى كان يؤذيه ويعاتبه علـى فراق دين قومه ، وفى عتابها وعتابه يقول زيد :

لا تحبسينى فى الهوا
ن ، صفى ، ما دابى ودابه
انى اذا خفت الهوا
ن ، مشيع ذلل ركابه
واخى ابن أمى ثم عمى ،
لا يواتينى خطابه
واذا يعاتبنى بسو
ء ، قلت : أعيانى جوابه
ولو أشاء لقلت ما (١)
عندى مفاتحه وبابه •

ثم خرج يطلب دين ابراهيم — عليه السلام — حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ، ثم أقبل فجال الشام كله ، وقد كان شام اليهودية والنصرانية ، فلم يرض شيئا منهما ، وخرج يريد العودة الى مكة ، حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه • أ ه •

هذا هو حال الاربعة ، وحال قضاياه الثلاث ، فانظر ، كم قضية منها صادقة ، وكم قضية منها بعدت عن الصواب ، ولا أقول شيئا أكثر من ذلك ، فانى أحب أن أعود به • أو أعود معك من قريب الى ما زعمه من أن لبنى هاشم مصلحة حقيقية فى موضوع النزاع ، وأن بأبى طالب رغبة عن تجنب المقاطعة القرشية ، أى رغبة فى المقاطعة ، فقد كان من السهل عليه أن ينتحل عذرا أو آخر للتخلى عن ابن أخيه ، أو اسقاط الحماية عنه •• ألخ ما قال •• والذى يتخيل ذلك لايعرف الطباع العربية ، ولا الطبائع الهاشمية ••

ومن حق القارىء هنا أن يسأل الكاتب عن المصدر الموثوق به الذى نقل عنه هذا الكلام الغريب ، وأن يسأل عن السر الذى حدا به الى اخفاء هذه المصلحة عنه ، مادام يكتب له رغبة فى افادته وتثقيفه •

والقارىء يعرف من المؤرخين القدامى والجدد ومن كتاب السيرة أن النبى وأصحابه ، وبنى هاشم والمطلب — مسلمين وكفارا ، احتموا فى شعب من شعاب الجبل بظاهر مكة سنتين أو ثلاثا متوالية ، يعانون الحرمان ألوانا ، ولا يجدون — أحيانا كثيرة — من الطعام ما يدفعون به جوعهم ، أو يسدون به رمقهم ، ولم يكن يتاح لهم فيها الاختلاط بالناس والتحدث اليهم الا فى الأشهر الحرم ، حين يفد العرب الى مكة حاجين ، وحين تضع الخصومات أوزارها — كما يقول د• هيكل — فى حياة محمد — وسواه ، وكل هذا يعطى أنه لا مصلحة لبنى هاشم فى المقاطعة ، ولا مصلحة لأبى طالب فى التضييق عليه وعلى أهله ، ومحاصرتهم جميعا فى شعبه •

ولقائل أن يقول : لماذا — اذن — فرحوا

---

(١) فى البيت خزم ، وهو اسقاط الحرف الاول من الجزء الاول ، فيما هو مبنى على الاوتاد المجموعة ، وقد ذكر علماء العروض أنه يكون فى الطويل ، والوافر والهزج ، والمضارع ، والمقتضب ولا يكون فى الكامل ، لكنه وجد فى هذا البيت ، وفى بيت قبله فى هذه القصيدة ، وكذلك وجد فى شعر ابن الزبعرى ، ارجع الى القوافى لأبى يعلى التنوخى ص ٨٥ بتحقيق د• عونى عبد الرءوف و ص ٧٧ ، ٢٦١ من الروض الأنف للسهيلى جـ ١ بتحقيق طه عبد الرءوف سعد •

جميعا بانتهاء المقاطعة ، وتركوا شعب أبى طالب ورجعوا الى منازلهم التى تركوها ، أو أرغموا على أن يتركوها ؟

وهل وصل الغباء ببطون قريش أجمعين أن يجمعوا على عمل فيه مصلحة لأبى طالب وبنى هاشم ، وفيم كان تعوذه بالبيت الحرام ؟ ولم كان يعتب على قاذة عبد شمس ونوفل ، ويكاد يتملقهم ، ويستجد بهم نصرته على باقى بطون قريش ؟

واستمع لما يقوله ابن هشام فى سيرته لتعرف الحقيقة ، وفى أى اتجاه تتجه ؟ : لما خشى أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التى تعوذ فيها بحرم مكة ، وبمكانه منها ، وتودد أشراف قومه وهو مع ذلك يخبرهم وغيرهم — فى ذلك من شعره — أنه غير مسلم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولا تاركه لشىء أبدا حتى يهلك دونه. ولولا خوف الاطالة لذكرت لك شيئا من شعره الناطق بحاله وحال اخوته وأهله ، وتودده لبنى أمية ، وبنى عبد شمس ، وبنى نوفل ، وتودده حتى لأخيه أبى لهب الذى كان ضدهم مع قريش ، فهل يدل ذلك كله على رغبة فى المقاطعة ؟ أم على رغبة فى ضدها ؟

وهل يعطينا ذلك اللهفة على الصلح مع قومه أم التوق الى العداء ؟ وأترك لك — ياقارئى — الفصل فى هذا الموضوع. وأنتقل معك الى الزعم الاخير من مزاعمه التى احتوى عليها نصه السابق .. وهو أن المقاطعة انهارت لانسحاب بعض البطون منها ، وعلل انسحابها بأنها أدركت أن نجاحها سيؤدى الى تعاظم قوة الاغنياء التى تعدت الحدود التى كانوا يأملون الوقوف عندها . ونتساءل عن هذه البطون التى انسحبت ، ولماذا لم يحددها ويعرفنا بها ؟ فان التاريخ يجهلها ، ولذلك يذكر خمسة أشخاص عند التعرض لهذه الحادثة ، ولا يذكر بطونا ، ويذكر لنا أن هؤلاء الخمسة اتفقوا مع بعضهم دون أن يشاركهم فى هذا الاتفاق أحد ، أو يعلم به ، أو يساعدهم فيه ، أو يضم اليهم صوته .

واليك — يا قارئى — كلمة عن هؤلاء الأشخاص ، وعن الصورة التى تجمعوا بها ، والكلام الذى دار بينهم ومن تدرك السبب الذى حملهم على نقض هذه الصحيفة الظالمة ، ومقدار الأمانة فى كتابة التاريخ .

وأول هؤلاء ، وأكبرهم أثرا فيها هشام بن عمرو بن ربيعة — من بنى عامر بن لؤى ، وكان واصلا لبنى هاشم أثناء المقاطعة فكان يأتى بالبعير ، قد أوقره طعاما ، ليلا ، حتى اذا أقبل الى فم الشعب خلع خطامه من رأسه فضرب به على جنبه ، فيدخل عليهم الشعب فيأخذونه ، وهكذا ، حملته على ذلك الرحم والقرابة فانه ابن أخى فضلة بن هاشم لأمه .. فمشى الى زهير بن أبى أمية بن المغيرة من بنى مخزوم وهو أخو أم سلمة أم المؤمنين ، واختاره ، لأن أبا طالب ، واخوته أخواله ، فان أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، ولذلك أتاه من هذه الناحية وقال له : يازهير ، قد رضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب ، وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ، لا يباعون ، ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ، أما انى أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبى الحكم بن هشام — يعنى

أبا جهل ــ ثم دعوته الى ما دعاك منهم ماأجابك اليه أبدا .. قال : ويحك يا هشام انما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها ، حتى أنقضها ، قال هشام : قد وجدت رجلا . قال : فمن هو ؟ قال : أنا . قال زهير : فأبلغنا ثالثا ، فذهب الى المطعم بن عدى ــ من بنى نوفل بن‌عبد مناف أخى‌هاشم جد أبى طالب فهما أبناء عم ، وهو الذى كان أبو طالب يعاتبه كثيرا ويتودد اليه فى شعره ليجذبه الى ناحيته ومن قوله له لما اشتدت عليه المقاطعة وأضرت به وبأهله :

أمطعم لم اخذلك فى يــوم نجــدة
ولا معظم عند الأمــور الجــلائل
أمطعم ان القوم ساموك خطـــــة
وانى متى أوكل فلست بـــوائل

ومن هذه الناحية أتاه هشام فقال لـــــه . يا مطعم ، أرضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف ، وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ؟ أما والله لئن آمكنتموهم من هذا لتجدنهم اليها منكم سراعا .. قالويحك يا هشام ، فماذا أصنع ؟ انما أنا رجل واحد ، قال قد وجــدت ثانيا ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال : أبغنــا ثالثا ، قال قد فعلت ، قال : من هو ؟ قال : زهير ابن أبى أمية ، قال : آبغنا رابعــا ، فذهب الى

مع دليـل المسـلم

أبى البخترى بن هشام ومن بعده الى زمعـة ابن الاسود ، وهما من بنى أسد بن عبد العزى عشيرة خديجة أم المؤمنين ، وهى العشيرة التى كانت صفية بنت عبد المطلب متزوجة فيهـا ، ولها ابنان من العوام أحد رجالاتها هذه همـا الزبيروأخوه السائب ، وكانت أسدحليفة لهاشم وبنيه من بعده فى حلف الطيبين والفضول ،فقال لهما نحوا مما قال لمن سبقهما فاستجابا له .. واتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلى مـكة ، فاجتمعوا هناك وأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام فى الصحيفة ــ حتى ينقضوها .. فلمـا أصبحوا غدوا الى أنديتهم ، وغدا زهير بـن أبى أمية وعليه حلة ، فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشـم هلكى ، لا يبـاع ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد ، حتى تشـق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ، قال أبو جهل : كذبت والله لا تشق ، وكان فى ناحية المسجد ، فقال زمعة : أنت والله أكذب ، مارضينا كتابتها حين كتبت ، قال أبو البخترى : صدق زمعـة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به ، قال المطعم ابن عدى كفاك قبحا وكذبا ، من قال غير ذلك ، نبرأ الى الله منها ، ومما كتب فيها ، وقال هشام ابن عمر نحوا من ذلك ، فقال أبو جهل : هـذا أمر قضى بليل ، تشوور فيه بغير هذا المكان . فقام المطعم الى الصحيفةليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها ...... ألخ .

هذه هى قصة نقض الصحيفة كما ذكرهـا ابن هشام ولا يختلف عنه مؤرخ مسلم أو أحد من كتاب السيرة ، فهل ترى فيها انسحاببطون أم ترى أفرادا عن الظلم يتكلمون ؟ ولـكن لعل دليل المسلم الحزين يعتبر الفرد بطنـا ، وهو ــ مع عدم معقوليته ــ لا يسلم له ، فان زهيرا من بنىمخزوم ، وأبا جهل منبنى مخزوم فعلى هذا تكون مخزوم منسحبة وغير منسحبة فى الوقت نفسه

وفى هؤلاء الأفراد ــ لا البطون ــ يقـول صاحب الهمزية :

فتية بيتوا على فعل خير حمد الصبح أمره والمساء
يا لأمر أتاه بعد هشام زمعة انه الفتى الأتاد .
وزهير والمطعم بن عدى وأبو البخترى من حيث شاءوا
نقضوا مبرم الصحيفـة اذ شد ت عليه من العدوى الأنداد .

ويقول بعض شراحها توضيحا لفعل الخـير الـذى أتوه فى البيت الأول : هو نقضهـا (الصحيفة) والمخاطرة دونه بالنفوس ، لشدة قريش فى ابقائها مع كثرتهم وعتوهـم ــ وفى البيت الأخير : نقضوا هذا الامر المبرم الذى قواه عشائرهم وصمموا عليه .

واذا لم تكن هناك بطون انسحبت ، فعليك ــ يا قارئى ــ أن تنظر قيمة تعليله الذى لـم تدركه هذه البطون الذكية الا بعد ثلاث سنوات والحقيقة أن انضمام هذه البطون فى المقاطعة الى قريش ، ثم انفصالها عنها بعدثلاث سنوات أو سنتين امر غير معقول ان لم يكن هناك تعليل غير تعاليله التى يشغلك بها ، فخذ بنا فى شىء آخر ، علنا نظفر بما هو أدنى الى التعقـل ، وأقرب الى الحقيقة .

يتبـع

عبد الظاهر عبد الكريم

المستشرقون والسنة

واقع .. أمل .. ومنهج

للأستاذ / محمد أحمد بدوى

تحتاج كتب التراث بعامة ، وكتب السنة بخاصة الى المضى بهمة أكبر ، وبمنهج واضح فى اعادة مراجعتها مراجعة شاملة وعميقة ، واستلهام روح العصر ومنجزاته العلمية والفنية فى اعادة عرضها ميسرة ومفهرسة ، وفى استخراج كنوزها ، وتيسير توظيفها فى حياتنا ، على أن تستخدم لذلك أشد المناهج صرامة ، وأبعثها على الاطمئنان . ولذلك أسباب كثيرة منها :

١ ــ لما انتهى الحوار الفكرى المعاصر الى رفع التقابل والتضاد بين الأصالة والمعاصرة ، استقام المنهج على الأصالة والمعاصرة معا والأخذ منهما لكل ما هو صحيح ومفيد ، والترك منهما لما هو غير صحيح ولا مفيد .

٢ ــ وجوب اكتشاف المنطلقات الباهرة فى تراثنا لآفاق العلم والمعرفة ، وتجميد ما أدى وظيفته فى عصره بكفاءة يجب ألا نغمطها حقها من الاعتراف ، اذا كان بمقاييس عصره ، قمة العلم بالنسبة للحضارات الأخرى .

٣ ــ ضرورة تناول تراثنا بأيدينا من المستشرقين الذين أخذوا المبادرة فى تناوله فى أطر من أغراضهم ومناهجهم ، فأبرزوا ما لو تناولناه لاتسع المنهج العلمى لشرحه والاعتذار عما فيه من قصور ، وغضوا مما لو تناولناه لاتسع المنهج العلمى لابرازه وتنميته والانطلاق منه ، وقد خلصوا الى أخص ما يخصنا وهو نشر كتب السنة وخدمتها وترقيمها وتبويبها وفهرستها فهرسة ألفاظ وفهرسة معان .

٤ ــ يقتضى العصر الحديث أن يكون العلم وبخاصة العلم الدينى شعبيا بالمعنى الأعم لكلمة شعبى التى لا تعنى فقط رخص الثمن ، ولكن أيضا التبسيط وتسهيل التناول لعامة الشعب .

٥ ــ معرفة المستشرقين باللغة العربية

المستشرقون والسنة

مهما كانت كبيرة فانها تقصر عن فهم دقائق التراث وروحه وبخاصة التراث الدينى .

أغراض المستشرقين فى الدراسات الاسلامية ومناهجهم

وجد الاستشراق كأحد نتائج الحروب الصليبية فى ابتعاث النهضة الأوربية . وباشر نشاطه فى أثنائها وبعد انتهائها ، وتم فى القرنين أعمال ظهر بعضها الى الضوء ، وبعضها الى الآن لا تستبين ماهيته . وان بدا من آثاره ما يشم منه العارفون روائح ما عملوا فيها ، لكننا لا نستطيع تكوين فكرة متكاملة عنه ، وربما كشفت عنه الأيام .

ويبدو للنظر غير المدقق أن الحروب الصليبية فشلت من كل وجه . ولم تؤد أى غرض من أغراضها المعلنة على الأقل ، وذلك من نظرة ضيقة الى أهدافها وحصرها فى الغرض العسكرى واحتلال الأرض ، ولكنها حققت نتائج على أعظم جانب من الخطورة ، فقد نقلت الغرب من ظلام العصور الوسطى الى عصر التنوير ثم عصر النهضة ثم عصر التفوق والتفرد فيه ؛ ومن نتائجها التعديل فى مناهج التطويع للشرق بترك الوسائل العسكرية الى الغزو السلمى والثقافى .

الاستشراق والغزو السلمى

كانت الأغراض الأولى للاستشراق منبعثة من خلفية هى مزيج من التعصب الصليبى وخدمته ؛ ومن الانبعاث للرقى الذى ولده الاحتكاك بالحضارة الاسلامية ؛ ثم تطورت له أغراض أخرى وتشعبت ، فمنها :

١ – معرفة كل شىء ممكن عن الشرق يوفر من فرص الانتصار عليه وتطويعه بقدر كبير .

٢ – نقل المعركة الى داخل المجتمعات الشرقية والى حياتها يتم بتلمس مواطن الهجوم على تراثه وتشكيك أهله فيه ، وتعبئة الشعور الغربى ضده وضد أهله .

٣ – اثارة ضباب وشكوك قد يجدون لها مداخل ، ويركزون انتباه الشرقيين عليها ، ويبثون كثيرا مما يريدون بثه من سموم كمسلمات لا ينتبه اليها الناس ، كما يدوس اللص على قدمك فى السيارة العامة لكى يسرق محفظتك .

٤ – يستخدمون معرفتهم بالقوانين الاجتماعية التى تحكم سلوك الشعوب المتأخرة ازاء الأفكار الواردة من المتغلبين الأقوياء فى تيسير نقل ثقافاتهم الى المسلمين ليجدوا فى استقبالها الفئات التالية :

(أ) محبو التقليد للغالب .

(ب) محبو الظهور بمخالفة أفكار قومهم ومعتقداتهم ، والتعالى عليهم .

(ج) العملاء الظاهر منهم والخفى ، فقد وجد لكل ما أثار المستشرقون من شبهات من يرددها فى العالم الاسلامى .

(د) المغترون فعلا بأفكار المستشرقين ويعتقدونها عن اقتناع .

٥ – تناولهم لموضوعات اسلامية بمنهج ظاهره علمى محايد ليعطى انطباعا بأن ما كتبوا فيه لم يترك شاردة ولا واردة الا أتى

بها . وبذلك يسدون الطريق على المسلمين للاقتراب منه ، بينما يسع المنهج العلمي تناول ما تناولوه بوجهات نظر علمية بحتة ومن زوايا مختلفة .

٦ — يخافون أن يستقيم لنا منهج فى احياء تراثنا ، فنختار أحسن ما فيه وننشره ونخدمه ونفهرسه ونغفل أسوأ ما فيه أو نشرح ونعلق ونصوب ، فأسرعوا بنشر ما لم تكن له أولوية من وجهة نظرنا ، ومالايسعدنا نشره على نطاق واسع .

٧ — اهتمامهم الذى يظهر محايدا بالملحدين والشعوبيين ، وأعداء الاسلام ، ونشر كتبهم بل وترجمتها الى اللغات الأجنبية ، وابراز ما فيهم من النواحى التى تروق للقارئين ، واغفال ما عندهم من انحراف ، وما فى كتبهم من شرور ليكسبوا تعاطف القراء معهم ، حتى اذا كشف من انحرافهم شىء ، فاما ألا يصدق القارىء ما قيل ضدهم ، واما أن يعتذر عنه .

٨ — العمل على هدم الذين لهم فى قلوب المسلمين مكانة علمية ، بتلمس الأخطاء لهم واثارة الشكوك حولهم .

٩ — بطء التأنى وحسن التأدى ، فيكفى أن يبث واحد منهم دسيسة مخبلة أو فكرة مخربة يكون قد قام بواجبه ، وصار عندهم من القديسين . ويصوم اليهود الى هذه الأيام ثلاثة أيام كل عام لاستير صاحبة السفر الشهير فى العهد القديم .

١٠ — اغفال التاريخ الهجرى — كمبدأ مقرر وابراز الأوربى حتى لما لم يؤرخه الافرنج . ولم يعرف له تاريخ الا من العرب ، ولو كلفهم ذلك التماس التاريخ الافرنجى للحادثة العربية من كتب مقارنة التواريخ ، وعندنا منها كتاب اللواء محمد مختار باشا ، وقد أكمله أحد العلماء العرب المعاصرين الى نهاية القرن الخامس عشر الهجرى .

١١ — مالا يستطيعون مناهضته ولا الوقوف فى سبيله ينخرطون فى سلك المتحمسين له لدرجة تؤهلهم لقيادة الطابور أو ركوب الموجه ، لكى يعملوا على تفريغه من محتواه ، وحشوه بمعان لا تمت اليه بصلة مثل تفريغ التدين الحق من محتواه من العمل الجاد والعلم ، فيحيلونه موالد وغناء ورقصا باسم الدين .

١٢ — اغراق أسواق القراء بالقصص وأسواق المشاهدة بالمسرحيات والأفلام ، وهى من أفعل الوسائل فى العقول اذ تطبعها بما يوحى به فيها ، وهى احدى وسائل (بروتوكولات) حكماء صهيون .

١٣ — من القواعد فى الاستراتيجية العامة العمل على ابقاء القوى المتصارعة فى الفكر الاسلامى متكافئة القوى أو على الأقل متقاربة ليظل الصراع قائما ، وذلك بنجدة القوى التى تتهاوى ، حتى تقوى وتستأنف الصراع ، ومثل ذلك يعملونه فى السياسة الدولية كما يفعلون مع ايران والعراق ، وفى الموضوعات التى التقى فيها الناس على كلمة سواء يدأبون على اثارتها من جديد كما تثار الآن من آن الى آخر مسألة المعاصرة أو التراث .

١٤ — اقامة محطات غير منظورة لرصد

المستشرقون والسنة

المقالات والاتجاهات ، والعمل على ترويج بعضها واهمال البعض الآخر .

الحرب الثقافية التى شنت على العالم الاسلامى

وصف الأستاذ محمود شاكر هذه الحرب فى تقديمه للظاهرة القرآنية للأستاذ مالك بن نبى فقال :

لم تكن المعركة بين العالم الاوربى وبين العالم الاسلامى معركة فى ميدان واحد بل كانت فى ميدانين :

ميدان الحرب وميدان الثقافة ، وكانت معركة الثقافة أخطر المعركتين ، وكان خصمنا يعلم من خباياها مالا نعلم ، ويدرك من أسرارها ووسائلها مالا نعلم . وكما بقيت معارك الحرب المتتابعة سرا مكتوما لا يتدارسه قادة الجيوش الاسلامية وجندها بقيت أيضا معارك الثقافة على تطاولها سرا خافيا لا يتدارسه قادة الثقافة الاسلامية أ هـ .

وانه لما يثير العجب — كما يقول الدكتور مالك بن نبى — أن نرى كثيرا من الشباب المثقف يتلقون اليوم عناصر ثقافية تتصل بمعتقداتهم الدينية،وأحيانا بدوافعهم الروحية من كتابات المتخصصين الاوربيين .

عندما بدأت كتابات المستشرقين عن الاسلام لم تكن بحوثا علمية تتوخى حقائق التاريخ ، وتميزت الكتب التى صدرت خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر بكثير من التهور والاندفاع ، وقد أعلن القس بيتر أن نقطة البداية فى حرب الاسلام هى القرآن ، ويظهر أن الرأى الرسمى فى أوربا قد اعتنق هذا المبدأ مددا طويلة ، واستمر هذا العداء هو الطابع الغالب على كتابات المستشرقين حتى عهد قريب . قال الدكتور محمد حسين هيكل فى (حياة محمد) : جاء فى موسوعة لاروس خلال العرض لآراء كتاب المسيحية الى النصف الأول من القرن التاسع عشر ما يأتى : بقى محمد مع ذلك ساحرا ممعنا فى فساد الأخلاق كردينالا لم ينجح فى الوصول الى كرسى البابوية ، فاخترع دينا لينتقم من زملائه .

كان هذا هو الطابع الغالب ، لكن كثرة من المنصفين وجدت بين هؤلاء المستشرقين ، قال جب من المحدثين فى كتابه : (حيث يكون الاسلام) : .. ولكن الاسلام مازال فى قدرته أن يقدم للانسانية خدمة جليلة فليس هنا أى هيئة سواء يمكن أن تنجح نجاحا باهرا فى تأليف الأجناس البشرية المتنافرة فى جبهة واحدة أساسها المساواة .

السنة وخدمتها قبل المستشرقين

من الافكار التى روجت بقصد فى الفكر الحديث أن تدوين السنة لم يبدأ الا فى القرن

الثانى الهجرى وقد ركز على هذا بعض المستشرقين ومن تأثر بآرائهم ممن يريدون التشكيك فى السنة بجملتها وفى حجيتها وان حجية السنة فى التشريع الاسلامى أمر فوق الشبهات ، ولا يمكن أن ينال منها غبار يثار ثم يهبط ، فتطور التدوين ابتداء من حياة النبى – صلى الله عليه وسلم – وانتقاله من حال الى حال حتى وصل الى صورته الأخيرة لا ينال من هذه الحجية اذ أن العناية بحفظ السنة كتابة وعن ظهر قلب لهى أمر مجمع عليه من جميع المفكرين مسلمين وغير مسلمين وقد فاق توثيق السنة – بما لا يقاس – توثيق كتب الأديان الاخرى .

ان تدوين السنة قد بدا مبكرا ، وفى زمن النبى – صلى الله عليه وسلم – ، فقد روى البخارى فى ٣٩ – باب كتابة العلم من ٣ – كتاب العلم فوق عبد الله بن عمرو بن العاص أبا هريرة فى كثرة الحفظ عن النبى – صلى الله عليه وسلم – بأنه كان يكتب وكان أبو هريرة لا يكتب ، وروى الشيخان : البخارى فى الباب السابق ومسلم فى ٨٢ – باب تحريم مكة من ١٥ – كتاب الحج ان أبا شاه طلب الى النبى – صلى الله عيه وسلم – أن يكتبوا له خطبة النبى – صلى الله عليه وسلم – فى فتح مكة ، فقال النبى – صلى الله عليه وسلم – : اكتبوا لأبى شاه . وروى مسلم فى ٨٥ – باب فضل المدينة من ١٥ – كتاب الحج ، ان رافع بن خديج قال لمروان : ... ولم تذكر المدينة وحرمتها ، وقد حرم رسول الله – صلى الله عليه وسلم ما بين لابتيها ، وذلك عندنا فى أديم خولانى ان شئت أقرأتكه ، وأخبار كتابة الحديث النبوى فى زمن النبى – صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصى ، ولا يعنى عدم العثور على ما كتب فى هذا العهد فقدان محتويات صحفه ، وانما فقدت الصحائف بعد أن أفرغت محتوياتها فيما تلاها من مجموعات .

ان تدوين السنة فى زمن النبى – صلى الله عليه وسلم – كان يحكمه بصفة عامة نهى النبى – صلى الله عليه وسلم – عن كتابة شىء غير القرآن وورد ذلك فى الحديث رقم ٥٩ من ٥٣ – كتاب الزهد من مسلم ، وهو عند الامام أحمد والدارمى أيضا وذلك كما قال ابن عبد البر فى (مختصر جامع العلم وفضله) ان من كره كتابة العلم انما كرهه لوجهين : أحدهما : ألا يتخذ من القرآن كتاب يضاهى به ، ولئلا يتكل الكاتب على ما يكتب فلا يحفظ .

وقد بدأ التدوين المقصود وبنوع من التنظيم فى القرن الثانى بقصد تخليص السنة الصحيحة من الموضوعه .

قال الشيخ مصطفى عبد الرزاق فى كتابه تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية : مما أكد الحاجة الى التدوين شيوع رواية الحديث ، وقلة الثقة ببعض الرواة ، وظهور الكذب فى الحديث لأسباب سياسية ومذهبية وتضاءلت النزعة الى خطر التدوين .

ولم يصل الينا مما ألف فى هذا العصر الا موطأ مالك ، واندثرت الكتب والصحائف بعد أن فرغت فيما ألف بعد ذلك فى القرن الثالث (١) .

التدوين بعد المائتين

أخذ التدوين صورة أخرى بأن يفرد حديث النبى — صلى الله عليه وسلم — بعد أن كان ممتزجا بما ليس بحديث من أقوال الصحابة ، فصنفت المسانيد وكانت للحديث وحده ، وكانت تجمع من الصحيح وغيره مثل مسند الامام أحمد ومسند الحميدى .

ثم جاء عصر البخارى ومسلم وأصحاب السنن ، وهذا هو الطور الرابع طور التنقيح والاختيار ، وبه اختتمت أطوار التدوين .

وخلص لنا من خلال مجهودات هؤلاء الأئمة أوثق الأخبار عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — التى اختار من مئات آلافها الامامان البخارى ومسلم أعلاها وأضبطها مفهرسة على أبواب الفقه وغيره ، وتمتاز فهرسة البخارى بتغطية جميع أبواب الفقه وتضمنها لأنواع من التبويب سبق بها عصره ليعيش معنا بها عصرنا هذا .

وفى القرن الرابع والخامس ظهرت المستخرجات والمستدركات على كتب السنة .

وفى القرن السادس والسابع ظهرت الجوامع ، وهى مصنفات تجمع أحاديث الصحيحين أو تجمعهما مع غيرهما ، وهى اما على نظام المسانيد بايراد أحاديث كل صحابى على حدة تامة المتون ، ويلتحق بها كتب الأطراف التى تجمع أحاديث كل صحابى مع الاكتفاء بطرف من الحديث ، واما على نظام الموضوعات بجمع الاحاديث فى الموضوع الواحد تحت عنوان واحد .

وتجدر الاشارة هنا الى التأكد بأن الصحيحين لم يجمعا جمعا كاملا على نظام الموضوعات قبل كتاب (كفاية المسلم فى الجمع بين البخارى ومسلم) فضلا عن جمعها على ترتيب البخارى فى هذا الكتاب .

(١) راجع الرسالة القيمة : السنة قبل التدوين للدكتور عجاج الخطيب .

ثم جاء العهد الموسوعى عهد النووى وابن حجر ونور الدين الهيثمـى ، وفيـه شرحت السنة بالشروح الطوال مثل فتح البـارى وعمدة القارى وارشاد السارى .

فهرسـة السـنة

كـانت أول فهرسة للسنة الشريفة على يد أصحاب المسانيد اذ فهرسـوها بحسـب الصحابة وما روى كل واحد عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ثم تلتها خطوة الفهرسة على نظام الموضوعات من كتب وأبواب على يد الأئمة مثل الصحيحين والسنن والموطـأ ، ثم تلتهـا خطوة الفهرسة بالتجميع الذى له مظهران :

- تجميع نظام المسانيد .
- وتجميع على نظام الموضوعات .

المستشرقون والسنة

فالذى على نظام المسانيد ينقسم أقساما :

١ ـ قسما يجمع أحاديث الصحيحين تامة النصوص مثل الحميدى لكن مع حذف المكرر أو بالاطراف مثل أبى مسعود الدمشقى وأبى خلف الواسطى .

٢ ـ قسما يجمع أطراف الكتب الأربعة غير الصحيحين لابن عساكر .

٣ ـ قسما يجمع أطراف الكتب الستة مثل جوامع الحسينى الدمشقى وابن الخراط والمزى .

٤ ـ قسما يجمع الأطراف العشرة لابن حجر .

أما الذى على نظام الموضوعات فمنها ما يجمع الصحيحين كجمع الأشبيلى والجوزقى وأبى نعيم الأصبهانى والموصلى ، ومنها ما يجمع الكتب الستة لرزين بن معاوية العبدرى السرقسطى .

ثم وجد التجميع بالاختيار من كتب السنة تحت أبواب من صنع مؤلفيها مثل جامع الأصول لابن الأثير الجزرى .

ثم جاء الأسيوطى فاتبع ترتيب أوائل الحديث الملفوظ من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حروف المعجم ، وألف على هذا المنهج معجمية الصغير والكبير ، وتبعه علاء الدين البرهان نورى الهندى بكنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال .

وفى العصر الحديث صنع ابن مصطفى التوقادى مثل ما صنع السيوطى والبرهان نورى لكل من صحيح البخارى وصحيح مسلم ، وتم بالموازاة مع ذلك أعمال فى المتفق بين البخارى ومسلم الا أن الشيخ الشنقيطى عمل فهرسه على ترتيب أوائل اللفظ النبوى ، وعمل الأساتذ محمد فؤاد عبد الباقى اللؤلؤ والمرجان على ترتيب موضوعات مسلم .

ولم تكن الفهرسة على نظام المسانيد التامة أو المكتفية بالأطراف ولا الفهارس المؤلفة على أوائل اللفظ النبوى بذات فائدة تذكر للقارىء العادى .

أما الفهرسة على نظام الجمع فهى بغية جميع الناس .

يتبع

في التشريع

الشريعة .. مايراد لـهـا

حرم ربكم عليكم الميتة

حجـاب المـــرأة

الشريعة

... ما يراد لها

تواجه الشريعة – منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادى – تحديا يهدف الى أمرين :

عزلها عن الحياة العامة ، وعن نظم التعامل فى المجتمعات الاسلامية .

وتطويعها لتقبل النظم الغربية فى المجال المالى والاجتماعى .

وقد نجح هذا المخطط الى حد كبير فى تحقيق أهدافه ، فقد غاب سلطان الشريعة عن الحياة العامة ، وقواعد التعامل ، ونظمه ، ولم يبق فى سلطانها الا قليل جدا من بلاد الاسلام وقليل من شئون الحياة العامة .

والغريب فى الأمر أن هذه الظاهرة التى أطبقت على جنبات العالم الاسلامى لم تظفر منا – نحن المسلمين – بالدراسة الكافية ؛ التى تستقصى أسبابها ، ونتائجها القريبة ، والبعيدة .

فى حين أن بعضا من كتاب الغرب كشفوا عما يرونه من نتائج هذه الظاهرة . ومنهم « كالفيرلى » (١) الامريكى . وقد كتب : « انه يجب أن يلاحظ التحول الذى يجرى فى العالم الاسلامى من أمة ذات حضارة تربط أطرافها تشريعات دينية واحدة ، الى أمم وشعوب متباينة مختلفة . تزيد تباينا واختلافا

---

(١) هو : د. ادوين كالفيرلى ، عمل أستاذا بجامعة هارفارد الامريكية ، ومحررا لمجلة « العالم الاسلامى » بالولايات المتحدة ، ثم عمل بعد احالته الى المعاش أستاذا زائرا فى الدراسات الاسلامية بالجامعة الامريكية بالقاهرة من ١٩٥٤ حتى ١٩٥٦ م ، ثم مستشارا لشركات النفط الامريكية بالمملكة العربية السعودية .

للشيخ محمد حسام الدين

فى ظل الأحكام « الزمنية » الوضعية (١) •

والغريب أيضا أن بعضا من علمائنا حين فزعوا ، ونهضوا لمواجهة هذا التيار المعادى أخذت تجرى على ألسنتهم وأقلامهم شعارات وعبارات تكاد تستقر فى وجدان الناس ، وضمائرهم – لكثرة ترداداها – وهى فى ايحائها ونتائجها مما يجرى فى مجال المخطط الغربى •

ان بعضا من كتابنا يرفع هذا الشعار : « الأحكام تتغير بتغير الزمان » تنبيها الى مرونة الشريعة الاسلامية ، وصلاحيتها لرعاية المتغيرات الاجتماعية •

وينسب هذه العبارة الى السابقين من الفقهاء الأجلاء •

والحق أن العبارة لبست هكذا قيلت ، وأن معناها ، ومقاصدها لدى السابقين الأجلاء يختلف عما يتبادر من لفظها الحالى ، وعما تستغل له الآن •

لقد شغلت الصحافة ، وشغل الرأى العام فى مصر هذه الأيام بما يكتب عن تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية ، تأييدا ، أو معارضة له •

وأفصحت بعض الكتابات عن خطأ فى المفاهيم يستوجب المناقشة والتوضيح ، قياما بالواجب ، وتقريرا للصحيح •

فقد جاء فى مقال (٢) ينازع فى تطبيق الأحكام الشرعية فى القوانين المصرية :

« ان هناك فارقا كبيرا بين الدين والشريعة الاسلامية •••

لأن ما فى القرآن والسنة خاصا بالدين الاسلامى هو من قبيل الأحكام التى لا تتغير بتغير الزمان والمكان •

أما ما جاء فى القرآن أو الحديث من نصوص تشريعية لا علاقة لها بالدين ، فهذه تتغير بتغير الزمان ، والمكان » •

ومن المؤكد أن صاحب المقال قد درس القوانين المصرية « المطبقة حاليا » ودرس معها القوانين الأوربية ، وتعرف على ما بين هذه ، وتلك من قرابة ، وصلة •

ومما لا ريب فيه أنه طالع القوانين الكنسية ، وتابع نشأتها وتطورها ، وأنه قرأ عن الدين فى أوربا ، وعلاقته سلبا ، أو ايجابا – بالقوانين المدنية •

لابد أنه تأثر بهذه القراءات ، ولم يضع فى اعتباره تلك الفروق الدقيقة بين المصطلحات

◄

---

(١) P.77 «Islam An Introduction» Calverely — Cairo 1974.

(٢) مقال نشرته مجلة « المصور » فى ٢٥ – ١ – ١٩٨٤ للاستاذ مصطفى مرعى ، ثم اعادت صحيفة « الجمهورية » نشره مرة أخرى وتناوله العلماء بالرد والتفنيد •

فى التعبيرات الاسلامية ، وما يقابلها لغويا فى التعبير الأوربى ٠

لم يضع فى اعتباره الفرق بين مفهوم كلمة « دين » وكلمة «Religion» وهى المقابل اللغوى هناك ٠

ولم يضع فى اعتباره الفرق الدقيق بين مفهوم كلمة : « شريعة » وكلمة : «Law» أو : «Deroit» ٠

من هنا جاء اللبس ، وجاء هذا الرأى الغريب الذى فرق بين الدين الاسلامى ، والشريعة الاسلامية ٠

علما بأن الغالب من دوائر المعارف الغربية ، ومن كتب المستشرقين ، نبه الى حقيقة مفهوم « الشريعة » ، والى الفوارق فى المدلول بين المصطلحات الاسلامية : دين ، وشريعة ، وبين ما يقابلهما من ألفاظ فى اللغات الأوربية تجرى الترجمة اليها ضرورة ٠

ومن الذين نبهوا الى هذه الفروق د٠ جوزيف شاخت (١) فى تقديمه لكتاب : «The Legacy of Islam» (٢) تراث الاسلام — وقال :

« ان الاسلام ليس مجرد دين بالمعنى الغربى للكلمة ، وانما هو نمط للمجتمع » ٠

ومنهم « كالفيرلى » فى كتابه : « مقدمة عن الاسلام » «Islam An Introduction»

ففى حديثه عن تركيا بعد أن أوقفت العمل بالشريعة فى قوانينها ، وأحلت محلها القوانين الوضعية الأوربية ، قال : « لقد أصبح الاسلام فى تركيا وفى بلاد اسلامية أخرى — أى بعد تطبيق القوانين الوضعية — دينا بالمفهوم الغربى لكلمة « دين » بمعنى جانب الحياة الذى يتعلق بالايمان بقوة سامية فوق الطبيعة — أى بالله — وبالعبادة وباخضاع السلوك لسلطان الروح (٣) » ٠

هذا هو مفهوم الدين فى المحيط الغربى ، وهناك فصل تام بين الدين والقانون ، لاختلاف مجال كل منهما فى حياة الناس هناك : ولأن التشريعات هناك — بما فيها التشريعات الكنسية — تعتمد على مصادر بشرية بحتة٠

اما فى الاسلام فان الشريعة هى الدين بكامل

---

(١) هو : د٠ جوزيف شاخت ، مستشرق المانى ، عاش بين عامى ١٩٠٢ ، ١٩٦٩ م ، تخرج من جامعات المانيا ، وعمل أستاذا بها ، وبعدد آخر من الجامعات الاوروبية ، والامريكية وكذلك بالجامعة المصرية سنة ١٩٣٤ ٠

وانتخب عضوا فى مجامع وجمعيات ونواد كثيرة ، منها المجمع العلمى العربى فى دمشق٠ وله شهرة واسعة فى دراسة الشريعة الاسلامية، وقد أصدر فى مجالها العديد من الكتب والمقالات بالانجليزية ، والالمانية ٠ راجع «المستشرقون» لنجيب العقيقى ج ٢ ٠

(٢) كتاب : « تراث الاسلام » «The Legacy of Islam» واحد من كتابين وضعهما المستشرقون تحت هذا الاسم ، لكنهما يختلفان وصدر فى مانشستر بانجلترا سنة ١٩٧٣ ، وله طبعة ثانية سنة ١٩٧٩ ، وصدرت له ترجمة فى ثلاثة اجزاء فى سنة ١٩٧٨ وما بعدها — سلسلة عالم المعرفة باشراف المجلس الوطنى للثقافة ، والفنون والآداب بالكويت ٠

(٣) وقد سبق التعريف به
P.77 «Islam An Introduction»
Calverely — Cairo 1974.

تعاليمه ، انها هى الدين بعقائده ، ومبادئه الروحية والأخلاقية ، وأوامره ، ونواهيه فى شئون الدنيا والآخرة .

قال تعالى : « **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** » (١) .

والأمر فى هذه الآية باتباع الشريعة هو الأمر باتباع الوحى فى قوله سبحانه : « **اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** (٢) » وفى مثلها من الآيات .

فالشريعة فى الأصل هى الوحى ، وهى الدين يقول الله عز وجل : « **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** .... الآية » (٣) .

أما ما اصطلح عليه المتأخرون من اطلاق كلمه : « شريعة » على الأحكام الفرعية العملية ، التى يختص بها علم الفقه » فهو اصطلاح خاص ، وهو استعمال مجازى من باب تسمية الجزء باسم الكل .

وهذا الاصطلاح الخاص لا يحجب المعنى الأصلى لكلمة : « شريعة » .

قال الزمخشرى (٤) فى أساس البلاغة : « الشريعة هى الدين » .

وقال التهانوى (٥) : « الشريعة ما شرع الله تعالى لعباده من الأحكام التى جاء بها نبى من الأنبياء صلى الله عليهم ، وعلى نبينا وسلم ، سواء كانت متعلقة بكيفية عمل ، وتسمى فرعية وعملية ، ودون لها علم الفقه .

أو بكيفية الاعتقاد وتسمى أصلية واعتقادية ، ودون لها علم الكلام ، ويسمى الشرع أيضا بالدين والملة .

فان تلك الأحكام من حيث انها تطاع : دين . ومن حيث انها تملى وتكتب : ملة . ومن حيث انها مشروعة : شرع .

فالتفاوت بينها بحسب الاعتبار ، لا بالذات .

وقد يخص الشرع بالأحكام العملية الفرعية ، واليه يشير ما فى شرح العقائد النسفية : « العلم المتعلق بالأحكام الفرعية يسمى علم الشرائع والأحكام .

وبالأحكام الأصلية يسمى علم التوحيد والصفات . انتهى » (٦) .

وعلى هذا فان عبارة الكاتب: « ان هناك فارقا كبيرا بين الدين والشريعة الاسلامية » مقولة غير صحيحة ، ولا تستند الى أساس صحيح .

أما الفقرة الثانية من مقولته التى أوردناها بتمامها ، وهى : « أما ما جاء فى القرآن ، أو الحديث من نصوص تشريعية لا علاقة لها بالدين فهى تتغير بتغير الزمان والمكان » .

◄

(١) الآية ١٨ من سورة الجاثية .
(٢) الآية ١٠٦ من سورة الانعام .
(٣) الآية ١٣ من سورة الشورى .
(٤) جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ .
(٥) محمد بن على الفاروقى التهانوى المتوفى فى القرن الثانى عشر الهجرى ، وينسب الى تهانه – موطنه – بالهند .
(٦) كشاف اصطلاحات الفنون .

هذه الفقرة الخطأ فيها أكثر وضوحا .

ذلك أن النصوص التشريعية سواء كانت من كلام الله رب العالمين ، أو من كلام رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تتغير مهما تغير الزمان أو المكان . فالنصوص لا تتغير بداهة .

واذا تجاوزنا عن هذا الخطأ الظاهر ، وحملنا العبارة على مايتكرر القول به اليوم من أن « الأحكام تتغير بتغير الزمان والمكان » وجدناها خطأ كذلك .

ان الشريعة الاسلامية ثابتة ، وأحكامها التفصيلية ثابتة أيضا ، كلية كانت هذه الأحكام أو جزئية فردية بحسب الوقائع .

لكنما يترك للامام فى التعزيرات ، والسياسة الشرعية ، وللقاضى فى أحكامه وللمفتى فى فتاواه أن ينظر فى المسائل ، فيطبق فى كل مسألة ما تقتضيه من الأحكام .

فاذا تعددت الوقائع وتغيرت شروطها ، وأسبابها ، وملابساتها أخذت كل مسألة منها حكمها الخاص ، ولا يقال : ان الأحكام قد تغيرت بتغير شروط المسألة ، ولكن الوقائع هى التى تغيرت بتغير الملابسات .

انهم ينسبون أصل هذه العبارة الى الامام ابن القيم ، والحق أن عبارته تختلف تماما عن هذه التى يرددونها تختلف عنها فى لفظها ، ومقاصدها .

فقد جاء فى أعلام الموقعين :

« فصل : فى تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة ، والأمكنة ، والأحوال ، والنيات ، والعوائد » .

ولا ادرى كيف ساغ تحريف هذه العبارة الى ما ينسبونه اليه اليوم « الأحكام تتغير بتغير الزمان والمكان » .

ومهما يكن من أمر فان مقصد ابن القيم أن الفتوى يجب أن تراعى المقاصد والنيات التى يتوخاها الناس فى عقودهم ، وأيمانهم ، واقراراتهم ، وسائر معاملاتهم .

وأن تعبيرهم ينبغى أن يفسر بما تعارفوا عليه من المعانى فى شأنه فلا يؤخذون بالمدلول اللغوى العام أو المشتهر انكان لهم عرف خاص فى هذه التعبيرات .

فلو أقر انسان لآخر بألف دينار ـ مثلا ـ

واختلفت الدنانير فى القيمة ، كان الحساب بدينار صاحب الاقرار .

ومن هذا الباب ما يحكى أن قائدا اسلاميا قال لجنوده ، فى ليلة شاتية : « دافئوا أسراكم .. » . فقتلوهم جميعا .

وكانت كلمة « دافئوا » تعنى التدفئة بلغة قريش ، وتعنى القتل بلغة قبيلة أخرى ، وكان الجنود من أبناء هذه القبيلة .

فهل نحاسب القائد عن هذه الواقعة ، بوصفه جانيا ؟

أم ننظر الى مقصده ، وعرف قبيلته فى التعبير بهذه اللفظة : « دافئوا » ؟ .

من الواضح أن المفتى والقاضى فى حاجة الى رعاية المقاصد ، والنيات ، التى يتوخاها الناس فى تعبيراتهم ، وعقودهم ، وأيمانهم ..

وألزم ما تكون هذه الرعاية عند النظر فى كنايات الزواج ، والطلاق ، وتعبيرات الوصايا ، والأوقاف ، وما ماثلها .

ومن هنا يختلف القضاء ، وتختلف الفتوى فى المسائل ، وفقا لما تشف عنه التعبيرات ، والأحوال من مقاصد ونوايا .

أما ما يقال اليوم بصيغة التعميم من أن « أحكام الشريعة تتغير بتغير الزمان والمكان » فهو قول باطل ، ولا يقول به فقيه يعتد بقوله .

ذلك أن احكام الشريعة ــ وقد اكتملت بكمال الدين وتمام الوحى ــ ثابتة ، لا يعرض لها نسخ ، ولا تخصيص ، ولا تقييد ولا تزول ، ولا تتبدل .

وكل واقعة تحدث فى حياة المسلم لها حكم خاص بها فى ظروفها ، وملابساتها . وشروطها، وأسبابها .

فاذا تغيرت الشروط والأسباب والملابسات اختلفت الواقعة عن سابقتها ، واستوجبت الحكم الخاص بها فى شكلها الجديد .

فلا يقال ان الحكم قد تغير ، ذلك أن الواقعة هى التى تغيرت ، أو هى واقعة أخرى تقتضى حكما خاصا بها .

أما اذا تكررت الواقعة بنفس شروطها ، وأسبابها ، وملابساتها ــ سواء كان هذا التكرار فى زمانها ، ومكانها ، أو فى زمان ومكان آخر ــ فان حكمها هو هو لا يتغير .

ولا يعترض علينا باختلاف الرأى بين الفقهاء فى المسائل ، فهذا موضوع آخر .

كذلك فان ثبات الأحكام الشرعية لا يضر بمرونة الشريعة ، انها مرنة ، ومرونتها تأتى من وجوه عديدة ، ليس منها أن تكون فى أيدى الخلق ، يغيرون منها ما يشاءون .

ولو أن الأحكام تتغير بتغير الزمان ، والمكان ، لكانت الشريعة تابعة لهما ، محكومة بهما ، ولتبدلت ، وبطل حكمها على

المجتمعات .

وحاشا لشريعة الله التى جاءت لصلاح العالمين : للناس كافة ، الى آخر الزمان ، أن يكون لها هذا الوصف .

لو كانت الشريعة كما يقولون لوقعت فى مجال نظرية ماركس : « التفسير المادى للتاريخ » .

ومؤدى هذه النظرية الباطلة أن البيئات والأزمان والظروف الاقتصادية هى التى تشكل عقائد الناس ، وأفكارهم ، وقوانينهم ، وعواطفهم ، ومبادئهم ، وسلوكهم .

وأن الظروف المادية هى التى توجه تيار التاريخ بين الأمم ، حضارة ، وسلما ، أو حربا .

لو كانت الشريعة كما يقولون لكان فيها قدر كبير من نتاج الأعراف ، والبيئات والظروف المادية ، وهو ما يردده أعداء الاسلام ، وقد كذبوا .

انما يؤثر فى تيار التاريخ للأمم عقائدها ومعنوياتها ، فتكون حضارتها وثيقة الصلة بهذه العقائد .

فاذا صلحت القيم ، والمبادىء ، وقويت رعايتها صلحت الحضارة وقويت الجماعة .

واذا اختلت القيم والمبادىء أو ضعفت رعايتها فسدت الحضارة ، وضعفت الجماعة .

يقول الله سبحانه : «**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ** (١) » .

ان ثبات الشريعة ، وحكمها للأحداث ، وضبطها للسلوك ، والعادات ، والأعراف ، فى مختلف الأزمان ، والأماكن هو سر صلاحها ، وهو السر فى كونها مصلحة تحفظ المجتمعات ، وتضبط النوازع البشرية ، وتمسكها عن الجموح .

وان هؤلاء الذين يغرون المسلمين بهذه العبارة « الأحكام تتغير بتغير الزمان والمكان » يستدرجونهم إلى مزالق ، ويبيتون للشريعة ، ويدبرون لها ، ويمكرون .

« **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** (٢) » .

محمد حسام الدين

الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الاسلامية

(١) الآية ١١ من سورة الرعد .

(٢) ٢١ من سورة يوسف .

حرم ربكم عليكم

الميتة

بقلم الدكتور الطبيب
عمر عثمان والى

قال الله ــ عز وجل ــ فى كتابه العزيز «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١)» .

وقال ــ سبحانه :

«يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى الأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً» (٢) .

من أجل ذلك حرم الله : الميتة والدم ولحم الخنزير كما حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال تعالى :

«إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ» (٣).

وقال تعالى :

«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ» الآية (٤) .

ذلك أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ طيب فلا يحل الا طيبا .

قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :

◄

(١) البقرة ١٧٢ .
(٢) البقرة ١٦٨ .
(٣) البقرة ١٧٣ .
(٤) المائدة ٣ .

حرم ربكم عليكم الميتة

« أيها الناس :

ان الله طيب لا يقبل الا طيبا ، وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين :

فقال : يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وقال :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ » الحديث (١) •

ونحن نتناول ــ فى تلك الكلمة : الميتة •

وهى من أول ما حرم الله ، فيجب الايمان بما شرع ولو ندرك سر التحريم فحسبنا أن الله العليم الحكيم شرع فينبغى أن نؤمن بأن ما شرعه حق •

ولقد ندرك من أسرار التشريع شيئا فى مستوى ادراكنا البشرى كالذى نسوقه فى الميتة فنكتشف ــ بما أدركنا ، وهو ليس كل شىء ــ مدى رحمة الله بنا اذ حرم ما حرم

يعزى العلم الموت الى ثلاثة أسباب ، أو توقف أحد أجهزة ثلاثة :

(أ) الجهاز العصبى •

(ب) الجهاز الدورى « توقف القلب » •

(جـ) الجهاز التنفسى •

فتوقف جهاز من هذه الأجهزة يؤدى الى الموت ، ومعنى أن تقول : « هذا الحيوان ميت » يعنى ذلك أن دمه بكامل حجمه قابع فى جسده لم يخرج منه ــ عكس الذبيحة (٢) ــ أو خرج منه جزء ضئيل للغاية لا يمثل نسبة تذكر أمام كتلة حجمه •

هذا الدم القابع داخل جسد الحيوان الميت بأوعيته الدموية من أوردة وشرايين قد تخلل جميع الأنسجة اللحمية ، ولم يخرج منها نتيجة توقف الحياة فتوقف الدورة الدموية •

كذلك تعرف أن الدم فى الجسد الحى هو الناقل لنواتج « الأيض »(٣) فى الخلايا الجسدية كما أنه ناقل للسموم التى تدخل الجسم كذلك • والدم هو الذى يحمل « النواتج » ويحمل « السموم » لتمر على الكبد ليتخلص الجسد منها اما بتكسير أثرها ،

أو بتحويله الى صورة أخرى غير سامة ، ثم تنقل بعد ذلك عبر الدم الى « الكلية» مصفاة الجسم فيتم تخلص الجسم منها بخروجها « بولا » •

كذلك تخرج هذه السموم عن طريق « العرق » أو عن طريق « الرئتين » أثناء التنفس •

ذلك ما يعمله الدم فى الجسد الحى •

فأما اذا حدث الموت فان الجهاز الدورى

---

(١) رواه مسلم : انظر الجامع الصحيح ٨٥/٣ مؤسسة الطباعة لدار التحرير ــ القاهرة ١٣٨٣ •

(٢) فانها ــ حين يتم الذبح على مقتضى الشريعة يستصفى دمها كاملا فلا يتبقى منه داخل الأوعية الدموية شىء •

(٣) الأيض فى اللغة : مصدر الفعل آض بزنة ضرب بمعنى : الرجوع ، والتحول ، وهو هنا اصطلاح لعملية البناء والهدم ليتم للجسم تمثل الطاقة اللازمة لحيويته ونشاطه •

يتوقف تماما فتبقى السموم كلها داخل الجسد ويؤدى احتباسها الى المظاهر التالية :

(أ) ملء البطين الأيسر بالدماء .

(ب) يصير لحم الحيوان داكن اللون

(جـ) تحتقن الأجهزة الداخلية ، وخصوصا : الكبد والرئة .

(د) يتشبع الجهاز « الليمفاوى » بالدماء .

(هـ) تمتلىء الأوردة السطحية ــ الموجودة تحت الجلد ــ بالدماء .

ونتيجة ذلك مباشرة تغير نوع اللحم من طيب الى خبيث ، فان كلا من اللون والطعم والرائحة قد تأثر بالموت ، وساعد ذلك على بداية عملية التعفن ، هذا التعفن الذى تبدأ عملياته بمجرد موت الحيوان ، وبدرجة سريعة جدا .

فاذا أضفنا ــ الى ما تقدم ــ امكان أن يكون الحيوان قد مات نتيجة مرضه بمرض معد ترك بجسده (بكتريا) هذا المرض ، أو (فيروسه) ، فان هذا الفيروس ، أو البكتريا ممكن أن ينتقل ،أوتنتقل لجسد الآدمى آكل هذه الميتة .

وبذلك تصير الميتة مصدرا للعدوى ، وثمة أمراض كثيرة جدا تنتقل من الحيوان الى الانسان مثل : السل الرئوى ، والحمى الفحمية ، ومرض الصفراء .. الخ .

والأمر كذلك اذا كان التسمم هو السبب فى موت الحيوان نتيجة أكله نباتا به سم أو تناوله سما بطريق ما ، فان هذا السم يقبع بجسد الميتة ويفعل مفعوله فيمن يأكلها .

ثم بعد ، فليس للميتة قيمة غذائية ذلك أنه بموت الحيوان تبدأ « أنزيمات » التحلل الجسدى عملها ، وهى موجودة داخل الخلايا فتحلل الأنسجة العضلية وغير العضلية فتقضى بذلك على كل قيمة غذائية بها .

وهنا تتجلى حكمة الخبير فى تحريم الميتة ، فلا قيمة غذائية بها ، ولا وقاية منها بما يمكن أن تبثه فى جسد آكلها من سموم .

فليس الا الذبح الذى شرعه القانون الالهى على ما ارتضاه ــ سبحانه ــ هو الذى يعطى لحما طيبا هنيئا فانه يؤدى الى الادماء الكامل نتيجة حركة القلب والرئتين والعضلات فى الحيوان المذبوح لطرد الدماء خارج جسده ، وصدق رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :
ان الله كتب الاحسان على كل شىء : اذا اقتلتم فاحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته .

د / عمر عثمان والى رئيس قسم اللحوم والمجمدات (كومبيصل) .

حجاب المرأة

عودة للتمسك بالدين والعفة والفضيلة

خطاب مفتوح الى :

أخى الاستاذ الدكتور زكى نجيب محمود

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد :

فقد (١) لاحظت أن نغمة التشاؤم تسرى فى مقالاتك التى توجهها الى الشعب المصرى عن طريق جريدة الاهرام ، فأنت لا ترى الا نواحى الضعف ، وما تبقى من علامات التخلف الذى لا مجال لتقصى أسبابه فى هذه العجالة .

وقد لا حظت كذلك ان هذا التشاؤم قد ازداد ونما واقترن به عامل الغضب فى حديثك بعنوان: « ردة فى عالم المرأة » وانك حاولت أن تستر هذا الغضب ، بين الحين والحين ، باللجوء الى بعض العبارات مثل قولك « تعالوا نناقش الأمر فيما هو أهدأ من الهدوء . تعالوا نناقشه بأعصاب محكومة لعلنا نميز الحق من الباطل » واعتقد أن ذلك التشاؤم وهذا الغضب قد اثارا الدهشة فى نفوس الكثير من اخوانك ومحبيك ، ويسعدنى أن أكون واحدا منهم ، وذلك لانهما اجتمعا معا فى ثورة عارمة على الرغم مما اصبح يلوح فى الافق من بوادر توحى بكثير من الأمل، وتشجع على الرضى وعن عديد من عوامل الاصلاح التى تبعث على الرجاء فى مستقبل أخذت تبدو للعيان فيه طلائع النهوض والازدهار ، وهذا هو ما يؤكده لفيف من كبار كتابنا المعاصرين ، وأذكر من بينهم ، على سبيل المثال : الاستاذ / مصطفى أمين الذى لا ينفك يتلمس قبسا من أمل فينفخ فيه ، ثم يتابع النفخ فى صبر وأناة حتى تشتد حرارته فيبزغ منه النور ، فاذا توصل الى اصلاح بعض ما طمع فى اصلاحه تلمس قبسا آخر وأخذ ينفخ فيه .

وقد سول لك الغضب يا أخى أن تجور على المرأة المصرية المعاصرة ، فترميها بكثير مما ليس فيها وأشهد أن الكثيرين ممن أعرفهم من

---

(١) عالج الكاتب فيما عالج من هذا المقال ـ شئونا اجتماعية سجل عنها رأيه ، وعليه المسئولية وحده .. مجلة الازهر .

للأستاذ
عبد المنعم عمر

اخوانك ومحبيك قد فوجئوا بهذه الثورة الغاضبة وقد كانوا بالأمس يعهدون فيك هدوء الطبع ووفرة الحلم ، ولا أكتمك أن ذلك التشاؤم وهذا الغضب وتلك الثورة العارمة وماسطرته من جور على الفتاة المصرية المعاصرة ، كل ذلك قد أخرجنى عن صمتى الطويل الذى لزمته منذ اعتزلت الخدمة فى دار الكتب ووزارة الثقافة ، ولذلك رأيت أن أكتب اليك عن طريق الاهرام ، عاتبا حينا ، وراجيا أن تنبذ ذلك الغضب وهذا التشاؤم حينا آخر وأن ترجع الى ما عهدناه فيك من حلم وصبر وأناة ، فان الشعوب لا تتغير بين غمضة عين وانتباهتها • وأحب أن أطمئنك أن مصر سائرة باذن الله على درب الاصلاح ، ومن سار على الدرب وصل ، ولذلك أرجو أيها الاخ الكريم أن أسوق حديثى اليك بالترتيب الذى التزمته فى مقالك مستعيرا بعض عناوين ذلك المقال ، وعلى الله التوفيق والسداد •

المرحلة الاولى : عن تعليم المرأة وعملها :

أنت تعلم يا أخى أن الدولة تبذل أقصى ما تستطيع من جهد ومال لنشر التعليم بالمجان فى أرجاء الجمهورية بين البنات والبنين ، وأن الشعب المصرى أصبح يؤمن بذلك ، وتتسابق الاسر المصرية فى ارسال بناتها وأولادها الى المدارس فى مختلف المستويات التعليمية حتى ضاقت بهم تلك المدارس على كثرتها ، ولذلك عمدت وزارة التربية والتعليم الى ارسال التلاميذ الى تلك المدارس على فترتين أو ثلاث فى بعض الأحيان ، وفتحت أبواب الجامعات القديمة والجديدة بالمجان كذلك أمام الطالبات والطلاب ، فأقبلوا جميعا عليها ، وهكذا أمكن تنفيذ الدستور ، وأصبح المجال مفتوحا أمام المواطنات والمواطنين جميعا حتى يحصل كل منهم على أكبر قدر مستطاع من التعليم حسب ظروفه وقدراته فى النصف الثانى من القرن العشرين وهو ما لم تستطع مصر تنفيذه فى النصف الاول منه •

وفى النصف الثانى : أيضا من هذا القرن فتح باب العمل على مصراعيه أمام الشبان والشابات ، فاقتحموه جميعا ، وقد أدى نشاط

◐ حجاب المرأة

الشابات فى التحصيل أثناء الدراسة ، واخلاصهن فى العمل بعد التخرج ، الى نجاحهن الكبير فى مختلف مجالات الحياة العلمية والثقافية والاجتماعية مما لا يمكن الاحاطة به فى هذه العجالة ، ولكن يكفى أن نشير الى بعض المجالات ، والى أن الكثير منها استحدث فى هذه الفترة الزمنية ، فقد اشتركن فى حمل أعباء المعيشة وفى العمل فى أكاديمية العلوم ، وأكاديمية الفنون ومجالات الاعمال الهندسية وفى الصحافة وأعمال التمريض فى مستوياته الراقية ، وفى العلاج الطبيعى ، وأقبلن على العمل زرافات فى مجال الطب والمحاماة ، وزاد اقبالهن على النهوض بالتدريس فى مختلف مستوياته وبخاصة الجامعية وفى أغراضه الحديثة مثل التربية الرياضية والرسم والموسيقى .

ألا ترى يا أخى أن فى هذا النشاط وهذا النجاح استمرارا لطموح المرأة وأنك ظلمتها بقولك « ان عزيمتها قد فترت وما حسبناها تفتر بهذه السرعة الخاطفة » ؟

المرحلة الثانية : عن المرأة زوجة واما لأطفال :

وهنا « كما ذكرت فى مقالك : » تنشأ المشكلة المحيرة حقا ، فكيف توفق المرأة بين واجباتها فى العمل وواجبات الرعاية لأطفالها الصغار ؟ ولا يستطيع أحد الا أن يتفق معك فى هذه المقدمة فهى مشكلة عسيرة ولكن شدة عسرها لا تمنع من العمل الجاد لحلها ، ثم استطردت يا أخى بعد ذلك فقلت : « هذه هى المشكلة التى يحتج بها من يريدون للمرأة أن تنسحب من ميادين العمل التى من أجلها تعلمت لتنحصر فى دارها» ؟ فمن هم يا أخى هؤلاء الذين يريدون ذلك ؟ هل سمعت أحدا من المسئولين فى الدولة أو من غيرهم يدعو لمثل ذلك ؟ أرجو أن ترشد عنهم لنحاربهم معك .

وقد استطردت فقلت « والرأى عندى هو أن يترك لكل امرأة على حدة حق الاختيار لنفسها فى ضوء ظروفها » فهل أنكر عليها أحد هذا الحق حتى انبريت لتقريره والدفاع عنه ؟ ثم رتبت على تقريرك لهذا الحق الذى لا ينكره أحد قولك : « فاذا اختارت ميدان العمل فواجب الدولة أن تيسر لها السبل التى تكفل الرعاية للطفل اذ لا يجوز أن ننسى أن الطفل مواطن له على الدولة ما لسائر المواطنين من حق الرعاية » .

والغريب فى أمر هذا المبدأ الذى تقرره ، وكأنه شىء غير موجود ، وأنك تنشط للدعوة له ، الغريب أن الدولة والشعب يؤمنان به فالدولة لا تتوانى عن انشاء كل ما تقدر عليه من دور الحضانة ورعاية الطفولة وغيرها من الجهات التى ترعى الحوامل ، كما تعنى بالطفل وتطعيمه بالمجان ضد الأمراض المختلفة ، وتحتفل وزارة الصحة بأيام الطفل ، وتبذل الجمعيات النسائية كل ما تستطيع ، وتشجعها الحكومة فى هذا النشاط النسوى النابع من الشعب ولعلك استمعت يا أخى الى وزيرة الشئون الاجتماعية وهى تدلى ببيانها عما تم انشاؤه وما تعتزم الدولة أن تنشئه من هذه المؤسسات فى الخطة الخمسية .

ومن الغريب يا أخى أنك عدت ثانية ،

« فأعدت بأسلوب جميل » تلك المقدمات التى أشرنا اليها فتكلمت ثانية عن حق المرأة فى أن تتعلم ، وحقها فى أن يكون لها تبعا لذلك مكانا فى دنيا العمل وبنيت على اعادة هذه المقدمات نتيجة لا تؤدى تلك المقدمات اليها ، فقد قلت « ليست المأساة هى فى أن أحدا يتدخل فى شئون حياتها ، فيحد من حقها فى التعليم وحقها فى العمل ، أو يحد من حرية اختيارها لميدان نشاطها : أيكون فى دنيا العمل العام أم يكون فى أسرتها الخاصة ؟ بل المأساة أنها هى التى أخذت ترتاب فى جدوى التعليم بالنسبة اليها — والتعليم المهنى بصفة خاصة — ثم زادت طينها بلة بأن أخذت تشك كذلك فى مشروعية حقوقها الانسانية من حيث هى مواطنة » .

وهنا لابد لى أن أتوقف لأسأل : هل تؤدى تلك المقدمات التى ذكرتها ، ثم أعدت ذكرها الى النتائج التى ذكرتها فى هذه الفقرة ؟ .

أما ان للمرأة حقوقا قررت أنت فى بداية هذه الفقرة أن أحدا لم يتدخل ليحد من حقها فى التعلم ولا من حقها فى العمل ، وأما أنها هى نفسها أخذت ترتاب فى جدوى التعليم ، وأنها أصبحت تشك فى مشروعية حقوقها الانسانية فهاتان قضيتان أخريان على جانب كبير من الخطورة وهما فى حاجة كبيرة الى البرهان ، فأين نجد ذلك فى مقالك ؟ ان الامر فى حاجة ماسة الى ذكر الأساس الذى بنيت عليه العديد من أمثال هذه الآراء المتشائمة .

وهنا أرجو أن أوجه النظر الى النواحى الآتية :

هل حقيقة قل اقبال المرأة على التعليم كما ذكرت ؟ ان الاحصاءات التى تنشر فى مستهل كل عام دارسى تؤكد أن اقبالهن على التعليم المهنى وغير المهنى فى تزايد مستمر عاما بعد عام ، فما هى المصادر التى استقيت منها هذه المعلومات ؟ ثم ألا تعمل المرأة التى تخرجت فى التعليم المهنى جنبا الى جنب مع زميلها الذى تخرج فى نفس هذا التعليم ؟ وألم تهاجر المرأة المتعلمة التى تخرجت فى جميع التخصصات المهنية وغير المهنية الى البلاد العربية بحثا عن عمل يدر عليها عائدا أكثر مما تحصل عليه فى مصر ؟ فاذا أضفنا الى ذلك ما هو ثابت من تزايد اقبالها على جميع أنواع الدراسة فكيف بربك قررت هذه الآراء وكأنها نظريات مسلم بها وليست فى حاجة الى برهان ؟؟؟؟

وهناك يا أخى دليل آخر يثبت فساد ما ذهبت اليه : فقد أباحت الدولة للمتزوجات العاملات أن يطلبن اجازة قدرها عامان يتفرغن فيها لرعاية كل مولود فهل أقبلت النساء على استعمال هذا الحق ، وعدن الى المنزل مدفوعات بما لاسميته « بالموجة الرجعية العاتية التى تغرق حياتنا الفكرية كلها اليوم ؟ وأن هذه الموجة هى التى نثرت رذاذها فى كل اتجاه حتى أصاب المرأة ما أصابها ؟ » .

وهل تجد فى هذا التساؤل شيئا من الهدوء الذى وعدت به القراء فى مستهل مقالك وطالبتهن أن يتبعوه أسوة بك ؟

ولقد سقت فى مقالك بعد ذلك موضوعا آخر أطلت فيه الحديث والشرح : هو موضوع الخلاف والاتفاق بين الرجل والمرأة فى الطبائع والمميزات ... الخ وأنت يا أخى أول من يعلم

حجاب المـرأة

أن العلماء والفلاسفة قد فرغوا منذ زمان بعيد من بيان هذه الأمور ، واتفقوا على أن لكل من الجنسين مميزاته التى حباه الله بها ، وأعتقـد يا أخى أن الله سبحانه قد خلقهم كذلك حتى يكمل كل منهما الآخر ، فيعاون كل منهما الآخر فى عمارة هذه الأرض التى استخلف الله الانسان فيها ، ولعلك تؤمن مثلى أن الغالبية العظمى من المصريين تؤمن اليوم بذلك فليس مـن حـق جنس من الجنسين أن يملى وليس على الجنس الآخر أن يذعن أو يطيع ، وأن الاكثرية العظمى من قومنا الآن لم تعد تحكم بالتفوق لأحـد الجنسين على الجنس الآخر ، والدليل على مـا أقول هو التعاون الوثيق بين الرجل والمـرأة اليوم فى حياة الأسرة ، وبخاصة بين الشبان الذين تزوجوا وكـونوا أسرا تكـد وتكـدح مقتحمة مختلف الميادين فى مصر وخارج مصر فى سبيل ارساء سعادتها وسعادة أبنائها على أسس صحيحة ناجحة ، ولذلك فـانى أرى أن لا حاجـة بى الى مناقشـة ما أثرتـه فى هذا الموضوع ، ولا أن أتحدث عن مختلف الآراء التى قالها القدماء والفلاسفة فى عصور سابقة مثل آراء شوبنهور ، فانها جميعا أصبحت غير صالحة للأخذ بها عند دراسة الانسان وصفاته ومميزاته فى أواخر القرن العشرين ولذلك فانى أستسمحك فى الانتقال الى مناقشة الموضوعات الأخرى التى وردت فى مقالك •

الموضوع الاول : هو قولك : «أن المرأة اليوم تتبرع سلفا لحجاب نفسـها قبل أن يأمـرها بالحجاب والد أو زوج » ان هذا الموضـوع ، كما تعلم يا أخى جد خطير لأنه يتعلق بحقوق الانسان وضرورة الاعتراف بحقه فى ممارستها والتمتع بها مادامت لا تحـد من حقـوق الآخرين •

وهنا لا اجد مندوحة لى من أن اتساءل :

١ ــ ألسنا نعيش فى قرن تعهدت فيه أكثر الشعوب المتحضرة باحترام حقوق الانسان ، وأن أكثر دول العالم قـد وقعت فيمـا بينها اتفاقيات تتعهد فيها بحماية هذه الحقوق ؟

٢ ــ ألا يتمتع عدد كبير من الناس فى غرب أوربا وفى أمريكا بهذه الحقوق ؟

٣ ــ أليس من حق المرأة اذن أن تسبغ على نفسها من اللباس ما تشاء فتغطى ما تشاء مـن شعرها أو من وجهها دون تحكم من أب أو زوج أو دون اعتراض من أحد كبار علمائها ؟

٤ ــ ألم تستعمل المرأة فى كثير مـن بـلاد العالم حقها وحريتها كاملة ، فأسـفرت عـن رأسـها ووجهها وذراعيها ، ثم اختـارت فى فترة من فترات هذا القرن ليس «المينى جيب» فكشفت عن ساقيها وعن جزء فوق ركبتيها ، كما كشفت فى سهراتها عن صدرها وعن جـزء كبير من ظهرها غير عابئة بنقد ناقد أو نصيحة ناصح ؟ فهل تعرض لها أحد ؟ فلماذا تترك هناك حرة وتثور أنت على ذلك اذا تصرفت ؟ فى اطار حقوقها ؟ •

٥ ــ ألم ترجع المرأة بعد ذلك مختارة عن كل أو بعض هذا العرى الذى كانت تسير بـه فى الطرقـات وتذهب به الى أماكن العمـل وفى سهراتها الخاصة ، ولكنها عدلت من تلقـاء نفسها عن ذلك وأسبغت على نفسها من اللباس الذى تطور الى أن أصـبحت تجر ذيلـه على

الأرض ، وذلك دون أن يحاول أحد منعها ؟

٦ ــ ألم يفتتح قبل ذلك فى كثير من العواصم الأوربية الكبرى وفى أمريكا نواد للعراة يعيش فيها النساء والرجال وقد طرحوا كل ما كان يسترهم من اللباس ، ولم يغط أحد منهم سوأته ولو بورقة من ورق التوت ؟ وهل تدخل أحد هناك لمنعهم ؟

٧ ــ هذا هو يا أخى بعض ما حدث فى بعض المدن الكبرى فى أوربا وأمريكا دون أن يغضب الغاضبون أو يتدخل لمنعهم المسئولون فلماذ يشد بك الغضب يا أخى اذا عمدت قلة من فتياتنا الى تغطية رؤوسهن بمحض اختيارهن ، أو اذا اختارت قلة قليلة من بينهن تغطية وجوههن دون ان يرغمهن على ذلك والد أو زوج ؟

٨ ــ ولماذا تظهر الأسى والأسف محاولا تقييد حرية المرأة المصرية المعاصرة ، وأن تمنعها من اختيار الزى الذى تريده ، فتغطى اذا شاءت رأسها أو وجهها ، أو تغطيها معا ، أو تكشف عنهما معا مادامت تفعل ذلك دون أن يفرض أحد عليها شيئا ؟

الموضوع الثانى : لقد حملك الغضب يا أخى عندما حجبت المرأة وجهها فوصفتها بقولك « فكأنها بذلك الحجاب الطوعى تقف على مئذنة لتصيح فى الناس :ها هى ذى سلعة من عهود الحريم لمن يشترى !! فاسمح لى يا أخى أن أذكر لك أن الغضب كان قد استبد بك وأنت تكتب هذه الفقرة ، فقلبت الأوضاع رأسا على عقب ، فانك تعلم حق العلم أن من المسلم به فى عالم التجارة ، وفى قانون العرض والطلب ، أن على أصحاب السلع أن يحسنوا عرضها على الناس ، فيكشفوا عنها حتى يتعرف المشترون على مزاياها ، والأمر هنا مختلف جد الاختلاف، اذ أن المرأة فى حالتنا هذه ، تخفى مفاتنها ، فتحجب عن الناس رؤية وجهها وهو من أجمل أجزاء جسمها،فهى اذن لم تحاول عرض نفسها كسلعة تباع وتشترى ، ولم تناد من فوق مئذنة بصوت خفيض أو جهورى لأنها أكرم على نفسها من كل ماذكرت ، فلعلك يا أخى تراجع نفسك عندما يتخلى عنك الغضب حتى تدرك أن الامر أجل وأخطر من الصياح من فوق مئذنة لعرض سلعة للبيع مما ألحقته بالمرأة المصرية من مهانة ، ولكنه يا أخى صحوة مباركة جعلت المرأة بعد أن عثرت على ذاتها التى ضاعت فى أوقات لاداعى لشرح ما كان فيها فلما عادت اليها حقوقها أدركت بعقلها وسليقتها حاجتها الى أن تحتمى بنور الايمان فأسبغت على نفسها ملابسها وغطت رأسها ، وبذلك عادت اليها روحها الأصيلة وهى راضية ، حيث رجعت من تلقاء نفسها الى طاعة ربها ، قبل أن يأمرها بذلك أب أو زوج ، وهذا هو السمو الخلقى والروحى الذى لا سمو يعلو عليه ، ولا يضيرها فى هذا المجال أن قلة قليلة من بنات جنسها قد تغالين وأسرفن فى الحجاب فأسبغن على وجوههن الأقنعة •

واضح يا أخى مما أسلفت أنه ليس فيما صنعت المرأة المصرية الحديثة ردة للحريم، ولا يوجد فى هذا الأمر قليل ولا كثير من الشك فى رغبة المرأة المصرية المعاصرة فى مشاركة الرجل مشاركة الأنداد فى كل شىء ، وأنها

حجاب المـرأة

لا تشترك معه فقط ولكنها تتعاون معـه تعاونا جادا مثمرا فى جميع المجالات .

الموضوع الثالث :

تطرقت بعد ذلك الى التساؤل : « هل تدرى المرأة — ياترى — بأية سرعة سريعة يتحـول حجاب الوجه حجابا للفكر ؟ انها اذا لم تكـن تعلم ذلك فهى اذن لا تعلم شـيئا عن تـأثير الظاهر فى الباطن . فالأمر فى هـذا الصدد لا يقتصر على أن يتتبع حجـاب الوجـه حجابا للروح كما يستتبع سفور الوجه سفورا للروح بل يجاوز ذلك الى كل ظاهر وباطن ! » .

فهل تعتقـد حقيقة يا أخى أن الرجل أو المرأة اذا حجب أحدهما وجهه سرعان ماتحول ذلك الى حجاب الفكر أم أن هذه القـاعدة التى ناديتبها لاتنطبق الا على المرأة وحدها ؟ لقد أثار هذا القول فى نفسى الدهشـة فأنت تعلم ياأخى أن الفلاسفة والمتصوفين اختلفوا منذ القدم فى اتباع الطـرق المؤدية الى طلب العلم والوصول الى المعرفة فمنهم كما يقـول « ابن الأكفانى) فى كتاب « ارشـاد القاصـد الى أسمى المقاصد » : من رام ادراكه (أى ادراك العلم) بالبحث والنظر ، ويقيم عـلى ما يظهر له الدليل والبرهان ، وهؤلاء هم زمرة الحكماء والباحثين ورئيسهم أرسطوطاليس . ومن المجتهدين من سلك طريق تصفية النفس بالرياضة ، هؤلاء هم النساك .. ونساك أمتنا هم الصوفية ، ولهم آدابشرعية واصطلاحية. ومن المجتهدين من ابتدأ أمره بالبحث والنظر وانتهى الى التجريد وتصفية النفس ، فجمع من الفضيلتين وحاز كلتا الحسنيين » . وقـد توسـع فى شرح ذلك « طاش كبـرى زاده » فى موسوعته الكبرى : « مفتاح السـعادة ، ومصباح السيادة فى موضوع العلوم » فذكر الآلاف من كبار الكتاب والباحثين من النسـاء والرجال فى مختلف العلوم والفنون وبين طرق البحث التى اتبعها كل منهم ، كما ذكر المؤلفات التى شاركوا بها فى بناء الحضارة الاسلامية . واسمح لى يا أخى أن أذكر لك أننى لم أسمع أو أقرأ أن أحدا من الفلاسفة أو المتصـوفين قال أن غطاء وجه المرأة أو الرجل يتحـول بسرعة سريعة الى حجاب للفكر والروح وذلك بتأثير الظـاهر فى البـاطن ، فلعلك تتفضـل ياأخى فترشدنا أنا وأمثالى ممن أثار هـذا الكلام فى نفوسهم الدهشة حتى نستطيع أن ندرس هذه النظرية لأنك فاجأتنا بذكرها دون أن تقدم من المقدمات ما يسـوق الفكـر الى الايمان بها ، وأنت القائل على لسان التوحيدى فى مقال آخر : « ان الحديث الجيـد والنافع معناه أن تجىء الأجزاء مرتبة على نحو يكون فيه الجزء اللاحق قائما على بينات وردت فى الأجزاء السابقة ، ومثل هـذا التسلسل مؤد حتما الى نتيجة يخرج بها السامع اما أن يأخذ بها واما أن يعترض عليها ... » .

وهناك أمر آخر أرجو أن أحدثك فيه هو : لماذا نجرى وراء الأفكار القديمة أو الحـديثة فقط ولا نتخذ لأنفسنا عظة نسترشد بهـا من

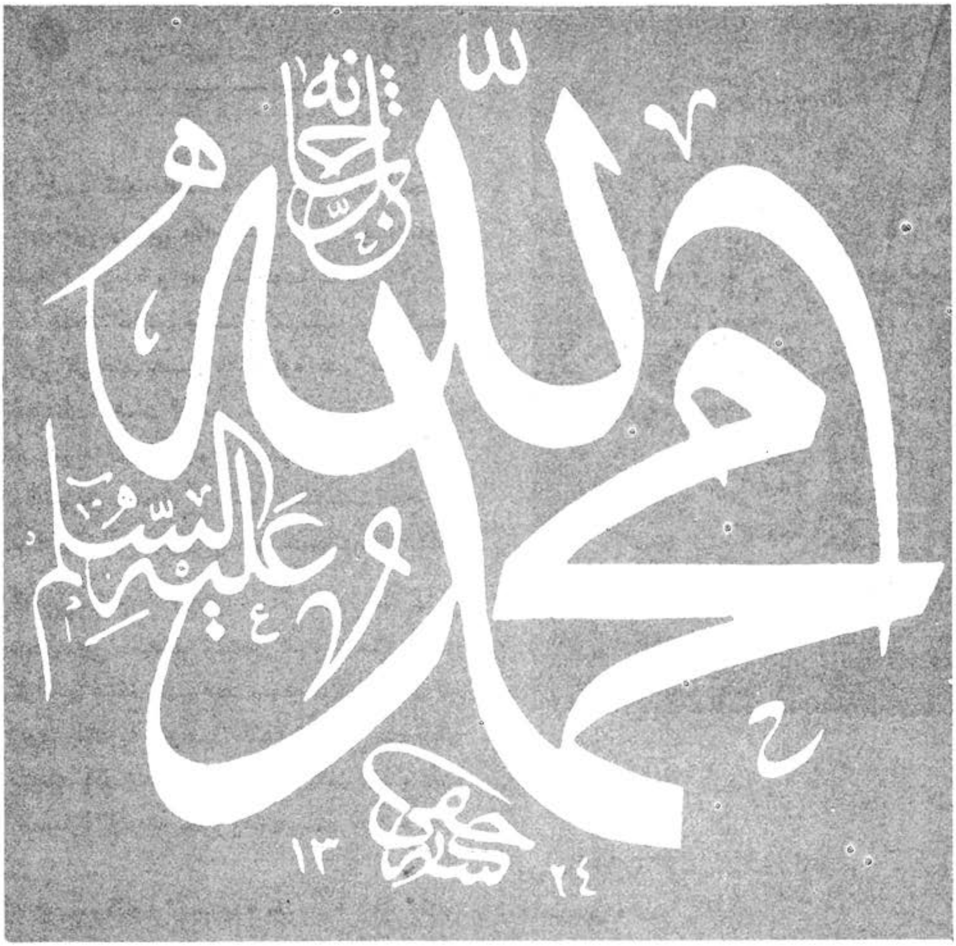

بين تجارب أمتنا طوال تاريخها الحضارى الذى وصفته بقولك فى حديث آخر : « وكنـــــا فى طليعة الطليعة على مدى قرون من الزمان » ، وذلك بشرط عدم اهمال الحقائق العلمية التى أظهرها العلم الحديث •

ولذلك أرجو أن تسمح لى يا أخى أن أضرب بعض الأمثلة التى أختـارها من تاريخنـــــا الحضارى لعلها توضح للقراء وجهة نظرى فى هذا الذى أثار فى نفسى الدهشـــة :

١ ــ كان السيد أحمد البدوى ، وهو أحد أقطاب المتصوفين ، يغطى وجهه دائما باللثام ورغم ذلك فقد فتح الله عليه وأنار له السبيل فكان له من التعاليم وآداب السلوك ما حبب فيه آلاف المريدين ، فسلكوا طريق التصــوف الذى انتهجه فى خشوع مؤمنين بأنه يهدى الى الصراط المستقيم •

حجاب المرأة

٢ ــ كانت السيدة سكينة بنت الحسين ابن على بن أبى طالب ، سليلة بيت النبوة : شاعرة مجيدة واعترف لها تاريخ الادب ، كما قالت الدكتورة بنت الشاطىء والدكتور على ابراهيم حسن بالسيطرة على عصرها فى مجال النقد الأدبى ، فاحتكم اليها فحول شعراء القرن الاول الهجرى ، مثل جرير والفرزدق وجميل ، وكثير ، فكانت تسمح لهم بالدخول الى منزلها ولكنها كانت تصدر حكمها الأدبى من وراء حجاب ، ولم تسمح لنفسها أن تنطق هى بالحكم ولكنها كانت ترسل احدى جواريها لتبلغ كل واحد منهم حكم سيدتها ثم تقوم الجارية بتوصيل الجائزة التى خصصتها سيدتها لكل شاعر منهم ، وقد ظلت تتمتع بهذه السيطرة الأدبية حتى وفاتها سنة ١٧٧ هـ .

٣ ــ وكانت السيدة نفيسة بنت حسن الأنور من نسل الحسن بن على بن أبى طالب من فاطمة الزهراء ،كانت من ربائب العبادة والعلاج والزهد والعلم ، قابلها الامام أحمد ابن جميل فى بغداد وهى تعود العالم المتصوف بشر بن الحارث المشهور بالحافى ، وكانت متحجبة فلما سأل وعرف من هى أبدى احترامه لها ولعلمها وورعها ، وقد قدمت مصر وأقامت بها حتى وفاتها سنة ٢٠٨ هـ فكانت بيتها مقصد العلماء والفقهاء وعلى رأسهم الامام الشافعى وعبد الله بن الحكم ، وقد سمع عليها الشافعى الحديث من وراء حجاب ، وكانت فوق تقواها وورعها كثيرة الاحسان للفقراء والمرضى المصريين .

ولما كثر ظلم أحمد بن طولون للمصريين ، استجاروا بها ، فاعترضت طريقه ، وكانت كعادتها متحجبة ، ونادت عليه فعرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها رقعة كانت قد كتبتها جاء فى آخرها « **فمحال أن يموت المظلومون ويبقى الظالم ، اعملوا ماشئتم فانا صابرون ، وجوروا فانا الى الله مستجيرون ، واظلموا فانا الى الله متظلمون ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** » فلما قرأ الرقعة سكنت موعظتها فى قلبه ، وأعم بشجاعتها وفصاحتها ،

وعدل عن ظلم الرعية (تاريخ ابن خلكـــان ، خطط المقريزى ، وأعـــلام النساء لعمـــر رضا كحاله) .

ولست أريـــد أن أشـــق عليك يا أخى فان الأمثلة كثيرة جدا ، ولكنى أرى أن من حـــق نســـاء مصر علينا أن نتحـــدث عن شىء من تاريخهن ، كانت النســـــاء فى عصر المماليـــك متحجبات فكن كمـــــا يقول الدكتور ســـعيد عبد الفتاح عاشور ، يخفين وجوههن بحجاب أو برقع أسود اللون ، تصنعه المرأة لا يمكن أحدا من رؤية وجهها فى حين يمكنها من رؤية كل ما يحيط بها .. « ولكن ذلك لم يمنعهن من المساهمة بنصيبكبير فىالحياة العامة بالقاهرة» « فمنهن من كن يتدخلن فى شئون الحكم ، وكان لهن نفوذ كبير ، والكثيرات منهن شاركن فى الحياة العلمية والثقافية والدينية ، فقـــــد نظم الكثيرات منهن الشعر ، وتفوقن فى النحو وفى الفقه والحديث وغير ذلك » وقـــد أورد السخاوى فى كتابه «الضوء اللامع» جزءا كاملا ذكر فيه ما يزيد على الالف ترجمة لنساء توفين فى القرن التاسع الهجرى « ولم يأنف كثير من فقهاء القاهرة فى عصر المماليك من الاعتراف بأنهم سمعوا من بعض المسندات الشـــهيرات اللاتى أجزن لهم،ويذكر السخاوى كيف تزاحم طلب العلم فى عصره على احدى المحدثات » كما يذكر أسماء كثيرات ممن تعلم على أيديهن مثل آمنة بنت الشمس المتوفى سنة ٨٣٣ هـ ــ ١٤٣٠ وأم هانىء التقى المتوفاة سنة ٨٨٥ هـ ــ ١٤٨٠م « ولولا خوف الاطالة لذكرت للقراء أســـماء غيرهن من المتحجبات اللاتى أخذ عنهن فى ذلك العصر شيخ الاسلام ابن حجر العسقلانى فقد ذكرهن بالخير وأثنى على ما كن يمتزن به من علم وتقوى فى كثير من مؤلفاته فى كتـــــابه « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة وفى غير هذا من مؤلفاته » .

ومن الانصاف لك يا أخى فانى أرجـــو أن لا تظن أننى من الذين يدعون الى أن تســـير المرأة فى الطرقات أو تشترك فى المجتمعات وقد غطت وجهها وذلك لأن الاسلام لم يأمر بذلك ، ومن المشهور عن النبى ــ صـــلى الله عليـــه وسلم ــ أنه نصح لأسماء بنت أبى بكر (ذات النطاقين) بقوله أنه اذا بلغت المرأة المحيض لم يحل لها أن يرى منها الا وجهها وكفيهـــا ، ولذلك فقد حرصت كثيرات من أجمل نســـاء القرنين الأول والثانى من بنات الصحابة على أن لا يغطين وجوههن وذلك بالرغم عن غيرة أزواجهن وعتابهن لهن ورجـــائهن لهن أن يحجبن وجوههن ، ومن الأمثلة المشـــــهورة فى ذلك السيدة عائشة بنت طلحة بن عبد الله أحـــــد الرواد الأوائل الذين دخلوا فى الاســــلام ، وأحد الذين أسهموا مع الرســـول ــ صـــلى الله عليه وسلم ــ فى أكثر غزواته ، وأمهـــا أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق فقد كانت من أجمل نساء عصرها وكانت مشهورة بالعفـــــة والحرص على التدين ، والعلم بأخبار العرب وأشعارها وأيامها وفى النجوم ، ولكنها كـــانت لا تحتجب من الرجال ، فكانت تجلس وتأذن لهم بالدخول عليها ، فلما تزوجها مصعب بن الزبير بن العوام وهو ابن خالتها أسماء ذات

حجاب المرأة

النطاقين ، وأحبها حبا عظيما ، واشتدت غيرته عليها فعاتبها وطلب اليها أن تسدل الستار على وجهها ، ولكنها رفضت وأبت أن يتدخل أى انسان فى حريتها فيحرمها من رخصة أحلها الله لها ، فلما عجز عن اقناعها برأيه أذعن لمشيئتها .

فالأمر اذن يا أخى هو أن أمر المرأة بيدها فى حدود الحرية التى أباحها الله لها ولذلك أرى أن لها أن تسفر عن وجهها ولها أن تحجبه عن الناس فهذا شأن من أخص شئونها سواء فى ذلك رضيت أنت وأنا أو لم يرض أحدنا ، غير أننا لا نملك الا أن نقول أن حجبها للوجه تطرف لم يطالب به الدين الاسلامى ، ولعله يا أخى أثر مباشر أو غير مباشر لانحراف الكثيرات غيرهن فى كافة أرجاء العالم ، ذلك الانحراف الذى وصل الى مصر منه الشىء الكثير .

الموضوع الرابع :

وقد اختتمت بحثك يا أخى بقولك : « آلا ما أبعد الفرق فى حياة المرأة المصرية بين الليلة والبارحة ففى بارحتها ألقت بحجابها فى مياه البحر عند شواطىء الاسكندرية ايذانا بدخولها عصر النور ، وأما فى ليلتها هذه فباختيارها تطلب من شياطين الظلام أن ينسجوا لها حجابا يرد عنها ضوء النهار » .. وأرجو أن تسمح لى يا أخى أن أعقب على ذلك فأقول : ان المرأة المصرية حين ألقت بحجابها فى بداية القرن العشرين فى مياه البحر عند الاسكندرية انما ألقته عندما كان البحر الابيض المتوسط فى حالة الجزر ، فانحسرت الأمواج عن شواطىء الاسكندرية وهى تحمله فوق زبدها ، فلما أسبل الليل سدوله ، انتشر الظلام ، وهبت الريح العاتية ، وخضع البحر لعوامل المد ، فزحف الموج عائدا الى الشاطىء حاملا مع ما فوقه من الزبد « المينى جيب » . فالتقطه قلة من المصريات ، وفرحن به فارتدينه أسوة بأخوات لهن فى أوربا وأمريكا ، فكشفت كل واحدة منهن عن ساقيها وسرن بهذا اللباس فى الطرقات ، وذهبن به الى بعض أماكن العمل ، ثم دار الزمان دورة أخرى ، وجاء ليل مظلم آخر ، وسيطر على البحر عامل المد مرة ثانية ، وزحف الموج كعادته عندما يعم الظلام قاصدا شواطىء الاسكندرية ، وحاملا « المايوه البكينى » فوق زبد الموج الزاحف ، فهرعت اليه قلة قليلة من فتياتنا وأعجبن به ..

كما اعجبت به من قبل أخوات لهن فى أوربا وأمريكا فارتدينه ، وسرن به شبه عاريات على بعض شواطىء الاسكندرية ، واستمر سيرهن على هذه الحال حتى ألهم الله رجال الأمن فى مصر الى تدارك الأمر ، فأعادوهن الى بعض الصواب والاحتشام . وصدق الله العظيم حيث يقول : « فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الْأَرْضِ » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد المنعم محمد عمر

شعر وشاعر

شاعر الاسلام - محمد اقبال

الصيام

رمضان الفتح الأكبر

دعاء الفجر

من آلاء الله في

رمضان

الفتح الأكبر

لمـن الحشود تموج موج الأبحـر ... حـول الحمى فى خفيـة وتستر

نيرانها فى خل فج حولت ... ليل الفلاة الى صباح مسفر
هل شقت الغبراء عنها ؟ بل عيو ... ن القوم قد عشيت فلا من مبصر

ياويح مكة أى غاز رامها ... أجيوش كسرى أم جحافل قيصر ؟
هل فى رحاب المشرقين سواهما ... جيش يخوض الوعر دون تعثر ؟

واللات والعزى لقد باتت قريش على خطر فى الأمور محير
هذا أبو سفيان أقبل صائحا ... وعلى محياه صرامة منذر

يا آل مكة أغمدوا أسيافكم ... فالأمر أعظم من لجاجة ممتر
انى شهدت محمدا قد جاءكم ... فى هالة عظمى وأقوى عسكر

فدعوا العناد فقد دأبت صوارما ... لا تتقى بالدرع أو بالمغفر
من أ مدارى صار فيه مؤمنا ... أولاذ بالبيت الحرام فقد برى

وتدفق الجيش المظفر من فجا ... ج ام القرى كالعارض المتحدر

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

وطريدها بالأمس يدخــل فاتحـــا   كالبـــــدر بين مهلـــل ومكـــــابر

والســـاحر الكذاب عند الجاحـــد   ين غدا الكريم ابن الكريم العنصر
ما أعجب الانســـــــان يقســوحين يملك قـــــدرة ويلين أن لـــم يقـــــــــدر !

والخير فى الدنيا يمــوت وينزوى   ان لم يقف للشر وقفـــــة قسور

يتصـــــــارع الأمران مذ كان ابن آ   دم فوق ظهر الارض عبر الأعصر
قضـــت المطامع فى الحيـــاة بأنـــه   لا حـــق بـــين النـــاس غير مؤزر

فالفارس المبهـــور ليس بفـــارس   والخـــير المظــــول ليس بخـــير
خضعت قريش وخر أعتى معقـــل   للشرك والحقـــد العنيد المسعر

وغدت مقاليد الأمـــور بكف مـــن   هجر الحمى بدم مبـــاح مهـــدر
ماذا تراه اليـــوم يفعل فى الألى   نبذوه فى البيداء نبذ المنكـــــر ؟

أيقطــــع الاعناق أم يبقى عليهــــــــــــــــــــــا فى المهانة والعذاب الاكبر ؟
أيصادر الأمـــوال حتى يفتـــدى   أربـــــابها فى حـــيرة وتحسر؟

كــــلا ومرسله سراجا رحمـــــة   للعــــالمين على هـــدى وتبصر
بل رحمة وتســـــامح وتخشـــع   للـــه ليس بــــه غرور مظفـــــر

ذاك الذى ملك المشـــاعر والـــذى   جعل القلوب تلين بعـــــد تحجـــر
فمضت به الأجيال نشـــوى من رحيــــــــــــــــــــق الذكر فى رمضان بدر الأشـــهر

شاعر الإسلام

محمد اقبال

ايه ياشاعر الحياة ، تسنمت ذراها تأملا والقلالا ٠٠
مستثيرا دفائن النفس ، مرتادا خفايا آفاقها جوالا

فاشد للنفس والحياة ورقرق   لحنك العذب دافقا سيالا
وأعد فى مسامعى شدو ناى   أنت أفعمته جوى واشتعالا

وحديثا للروح قد شف همسا   وسرى فى النفوس سحرا حلالا
ولحونا صوفية ضاق عنها   وتر عى عن مداها كلالا

قد كشفت المكنون من كل سر   وحطمت القيود والأغلالا ٠
ورأيت الحياة فى سيرها الدائب مجدا وقوة ونضالا ٠

انما اليأس والتشاؤم ضعف   فأغتنمها بشاشة وافتئالا
فاز من واجه الحياة قويا لا يبالى الصعاب والأهوالا

فتخط العقاب واقتحم الصعب، وحقق لذاتك استقلالا
قوة الذات للجماعة درع   تتحامى به وتقوى صيالا

انها قوة الكيان ، وليس الضعف الا تفتتا وانخذالا
فيها تصبح الرمال جبالا   وبه تصبح الجبال رمالا

للدكتور حسن جاد

قطرة الماء ماسة حين تقوى ... فدع الضعف واطرح الاتكالا
واسم بالنفس أن تذل سؤالا ... آفة النفس أن تذل سؤالا
ما ارتقت أمة بضعف بنيها ... تعست أمة بنوها كسالى
كنت يا شاعر الحقيقة والحق ... شعارا وقدوة ومثالا
قد عبرت الحياة لم تبغ جاها ... من غرور الدنيا ولا رمت مالا
ليس من يرفع الشعار كلاما ... مثل من يرفع الشعار فعالا

منطق الحق لم يعد منطق العصر ، فخاطب بالقوة الأنذالا
شاعر الشرق كم تغنيت بالشرق وباهيت باسمه مختالا
لا ترى فى حضارة الغرب الاخلبا خادع الوميض وآلا
دمية تخدع الغرير بمرآها ... وتغرى بزيفها الجهالا
لم يقدها الى الهدى ألق الروح فضلت تمزقا وانحلالا

أصبحت من ضراوة العلم غابا ... وغدت من سعاره أدغالا
ومن العلم ما يكون حراما ... ومن العلم ما يكون حلالا
واذا العلم لم يسانده دين ... كان جهلا ونقمة وضلالا

ولقد يعمر الحياة وقد يغدو سلاحا مخربا قتالا
واذا العلم كان سيف غرور ... حول الارض كلها أطلالا
ومتى كانت الحضارة غدرا ... وانتهابا وخدعة واحتيالا !
واعتداء على الشعوب وبطشا ... وانتهاكا لحقها واغتيالا !

بهدى الحق والنبوة كان الشرق أسمى حضارة ومجالا
وعلى الروح وهى سر هداه ... أنجب المصلحين والأبطالا

« للقصيدة بقية »

الصيام

للأستاذ الربيع الغزالى

رويدا ·· رويدا ·· أنا صائم — وللصوم فى عالمى عالم
ويطوى كيانى على سره — بسر ·· ولم يدره الحالم

فلا الجوع جوع ·· ولاذو صدى — بصاد ·· ولا طاعم طاعم
فدع عنك ذكر آفانينه — وخذ منه ما ياخذ الهائم

مسابح للروح فى افقه — وسر على أمره قائم
وقوة نفس على ضعفها — وضعف لأهوائها حاكم

اذا كنت فيه على طينتى — ينازعنى الظلم والظالم
فللروح فيه الهيبة — تعالى بطينتها الآدم

عرفت مكانى ·· ولما أكن — عرفت مكانى ·· انا صائم
أنا صائم ·· قد غلبت الهوى — صيامى بسر له هادم

وسر الصيام وراء الصيام — هو المرء من سره ناجم

ومن صام صام فجاز المدى ... وجاوزه الاثم والآثم

وللسائمات بمرعى الفلا ... مراح يسوم به السائم
فلا تملك النفس .. الا هوى ... ولا رد جامحها لاجم

فقل لى .. وأنت امرؤ ذو حجى ... وما أنت ياذا الحجى راغم
أتمنع نفسك من شهوة ... ويشهد منك لك العاجم

أتقوى على النفس ان راودت ... وللمرء من نفسه خاصم
شكيمة نفسك فى غيها ... اذا شئت عزم لها شاكم

اذا شبت النفس عن طوقها ... ففى الطوق منها لها فاطم
ومعنى من الصبر ترتاضه ... وحزم على امرها حازم

عرفت مكانى .. ولما أكن ... عرفت مكانى .. أنا صائم
أنا صائم .. قد غلبت الهوى ... أنا غالب للهوى هازم

أنا مسلم .. قد هدانى الهدى ... ودين الحقيقة لى عاصم
ودين الحقيقة لى وحد ... هو الحق .. والحق بى قائم

أنا الخلق .. والله فى مهجتى ... هو النور فى عالمى ساجم
حياتى من سره مظهر ... وسر الخليقة لى ناظم

ومنه وجودى .. وفيه فنائى ... وسلطانه قائم دائم
ورحمته وسعت خلقه ... فسبحانه الغافر الراحم

فياليت شعرى .. وبين يدى ... صلاتى وصومى .. من الغانم
أيشفع لى أننى طائع ... وأنى برحمته عالم

وما هى منى سوى سبحة ... الى الله يعنو لى العالم
وهذا الصيام به رحلتى ... اليه .. وانى امرؤ صائم

الربيع الغزالى

دعاء الفجر

للشاعرة جليلة رضا

يارب اعط البائس المحزون أسباب السرور
وامنح لكل مشرد ركنا موشى بالحرير
اطفىء وقود الحرب فى الدول المؤججة السعير
وامح الضغينة من فؤاد الذئب للحمل الصغير
وعلى جبين الكون ضع قبل المحبة والضمير
يارب هب للروض بهجته وللزهر العبير
والعش للعصفور والهمس المنغم للغدير
وعلى فراش الأم اطلق ضحكة الطفل النضير
امنح جميع الكون اسباب السعادة والسرور
وانا ؟ انا يارب جزءا من هواك ومن سناه
مادمت انت تحبنى ماذا أريد من الحياة ... ؟
يارب انك سيدى .. لك تنحنى كل الجباه
عرفتك روحى فى الضياء وفى الجمال وفى شذاه
عرفتك ربا كاملا فوق الكمال وما علاه
يارب انك قدرة هى وحدها قلب الحياة
لاكن كجذع ثابت فى روض خلدك ، فى رباه
لاكن هشيما محرقا من نار حبك ، من لظاه
لاكن كخشب غارق وسط الغدير وفى المياه
تفنيه كثرة مائه ويميتنى حب الاله
مادامت أنت تحبنى ماذا أريد من الحياة ؟
يارب ان شئت ابتلاء لى وان رمت البلاء
انى على الحالين راضية .. بما حكم القضاء
ماذا يهم اذا أنا اشقى على أرض الفناء
مادام رأسى قد تطاول خلف سجنى فى اباء
وراك ربا ساهرا حمل التعزى والرجاء
امنح جميع الكون أسباب السعادة والهناء
وانا ؟ انا يارب جزءا من هواك ومن سناه
مادمت انت تحبنى ماذا أريد من الحياة ؟؟

تاريخ وحضارة

القيادة الإدارية فى الإسلام

نظام الإدارة والقضاء

الحضارة والمدنية فى معيار الاسلام

نظام الادارة والقضاء

الأتابكى والأرتقى فى بلاد الجزيرة الفراتية عبر القرن السادس الهجرى

للدكتورة سوسن محمد نصر

تقديم

تعتبر الجوانب الادارية والقضائيةمن الموضوعات التى تمثل جوانب حيوية من الخبرة التاريخية وهذا البحث محاولة لتقديم خلاصة تحليلية للنظم الادارية والقضائية فى منطقة الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجرى ، وهى فترة من أشد الفترات التاريخية تحرجا فى المشرق الاسلامى ، حيث كانت جحافل الصليبيين تجوس ديار المسلمين فى بلاد الشام والجزيرة من أجل الاستيلاء على بيت المقدس وتنظيم حملات صليبية مستمرة لتهديد مصر وسوريا وقيام امارات صليبية فى سوريا وفلسطين وبلاد الجزيرة ٠

ان دراسة النظم الادارية والقضائية فى بلاد الجزيرة الفراتية بنيت على أساس أن هذه البلاد تكون وحدة متجانسة متكاملة ، لها خصائصها المميزة على الرغم من تفاعلها مع النظم المجاورة ـ فضلا عن أن هذه البلاد ، مؤلفة من امارات عديدة ، تخضع أحيانا لقيادة سياسية موحدة أو يستقل بعضها عن الآخر فى أحيان كثيرة ٠

وفى هذا البحث أوضحت الأساس الذى قامت عليه النظم الادارية الأتابكية والأرتقية ـ التى كانت تمثل مظهرا عاما للادارة السلجوقية كما أوضحت طبيعة الوظائف وصلاحيات الموظفين الاداريين والقضاة ومسئولياتهم وواجباتهم وتعيينهم ونقلهم وعزلهم ،ثم قدمت صورة عن الأحوال الادارية العامة لهذه البلاد خلال القرن السادس الهجرى ٠

كانت النظم الادارية التى وضعها الولاة السلاجقة ٤٨٩ ــ ٥٢١ هـ / ١٠٩٥ ــ ١١٢٧ م لامارات بلاد المشرق والشام والعراق واقليم أذربيجان واقليم فارس واقليم الجزيرة الفراتية تتمشى مع ما كان سائدا فى الدولة السلجوقية الكبرى ، حيث انهم لم يستطيعوا حكمها مباشرة أو ادارتها ما لم يعاونهم أمراؤهم وقوادهم وحجابهم ومقربوهم ، ولذا أسندوا اليهم ولا يتها وقد سمى هؤلاء بالأتابكة

ولذلك تعد ادارة الامارات الأتابكية والأرتقية فيما بعد مظهرا للادارة السلجوقية لأنه لم يؤد تحول الامارات ــ من عهد ولاة السلاجقة الى عهد الأتابكة ــ الى ظهور نظم ادارية جديدة ، بل بقى أكثرها موجودا مع استحداث قليل من المناصب التى اقتضتها الظروف العسكرية والسياسية الجديدة .

هذا الى أنهم اقتبسوا بعض التنظيمات الادارية من الدولتين الأيوبية والمملوكية .

كان الأتابكة والأراتقة ، يحكمون دويلاتهم واماراتهم فى الجزيرة الفراتية بادارات بسيطة ذات وظائف محدودة وكان مجموعة من الموظفين الذين منحوهم سلطات فى ممارسة شئونهم الادارية ، مسئولين أمام « الأتابك » وتحت اشرافه ومراقبته ، وكان تنفيذهم لواجباتهم تستهدف أولا دعم السلطة الفردية الاقطاعية للأتابك التى كانت تقوم فى معظم الأحيان على القوة .

وكان هؤلاء الموظفون يشغلون مناصب الوزارة والدواوين والنيابة والولاية والأعمال . وكان اشغال هذه الوظائف يمثل جميع السلطات الادارية ، ولكل منها صلاحيات معينة ومحددة أحيانا وغير محدودة فى أحيان أُخَرَ .

ولابد من استعراض أهم الوظائف المدنية لنتبين طبيعة الادارة الأتابكية والأرتقية خلال القرن السادس الهجرى .

١ ــ النائب : ــ

وهو موظف ادارى ، يمثل رئيس وحدة ادارية ، أهم واجباته الاشراف العام على المدن التى تعهد اليه أو المدن المحتلة عسكريا نيابة عن الامير (١) . ويقابل هذا المنصب حاليا فى العراق « مدير الناصية » أو « المحافظ » أو « القائمقام » .

ويبدو أن النائب كان يصاحب الجيوش فى تنقلاتها قبل تولية منصبه ، فاذا احتل احدى المدن ، تولى الاشراف على ادارتها . ولقد ورد فى بعض المراجع ما يؤكد وجود هذه الوظيفة فى معظم الامارات الأتابكية والأرتقية مما يدل على استخدام النواب بنطاق واسع وقد أطلقت عليه لقب النيابة أو (دزدارية) القلاع (٢) .

وكان على النائب أن ينوب عن الأمير فى

---

(١) ابن الاثير ــ الكامل حـ ١٢ ص ١٨٣ ــ ص ١٨٤ .

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق (تحقيق آمدروز ــ بيروت سنة ١٩٠٨) ص ٦٣ ، ص ٢٧٠ ابن خلكان : وفيات الاعيان حـ ١ ص ٣١٥ . ابن العديم : زبدة الحلب حـ ٢ ص ١٩٤ . الفارقى تاريخ آمد . مخطوطة الورقة ١٣٧ أ ــ ١٣٨ أ .

يأتى ــ بعد سطور ــ تعريف بـ (الدزدار) ــ مجلة الازهر .

ادارة شئون الامارة ، وأن يكاتب السلطان السلجوقى والخليفة العباسى عن أحوالها العامة ، خلال تغيب الأمير ولقد أشار ابن خلكان الى بعض المهام التفصيلية التى كان يمارسها النائب مثل :

جمع الضرائب وجباية الاموال والاشراف المستمر على التحصينات والأسوار وتعميق الخنادق (١) ، بالاضافة الى أعماله العسكرية التوسعية (٢) .

كما كان من بين مهام نواب الأراتقة وولاتهم ، تلقى المكاتبات من الخارج ، وحفظ القلاع ، والاعتناء بغلق أبوابها وفتحها ، وتفقد أحوال سكانها والتعرف على أحوال مجاوريها من الأعداء فضلا عن مهماته المالية (٣) .

ويبدو أن هذه السلطات التى كان يمارسها النائب كانت واسعة فى شتى المجالات الادارية والمالية والعمرانية والعسكرية ، ينطبق عليها ما كان يمارسه النائب فى العهدين الأيوبى والملوكى فى مصر وبلاد الشام حيث كان هو « القائم مقام السلطان فى عامة أموره أو غالبها » (٤) .

وبمقارنة منصب النائب فى تنظيمات الأيوبيين والمماليك فى بلاد مصر والشام ، نجد أن لقب « الدزدار » هو متولى القلعة « ونائب الأمير » اللذان كانا يطلقان على نائب الأتابكيين والأراتقة ، يكونان مفهومين منفصلين عن بعضهما فى هذين العهدين .

فالنائب ، يشترك مع السلطان فى منح لقب الامارة والاقطاعات وتعيين الموظفين وتوقيع المراسيم وتنفيذ بعض القوانين ورئاسة اجتماعات ديوان الجيش والرد على مكاتبات المدن (٥) وبذلك يكون نائب الأيوبين والمماليك قد جمع لديه السلطات العسكرية والمالية والادارية .

أما (نائب القلعة) أو « الدزدار » فهو غير نائب السلطنة اذ أن اختصاصات الأول تتمثل فى الاشراف على فتح واغلاق باب القلعة المخصص لدخول الجند وخروجهم ، وتفقد الأسوار والمنافذ وصيانتها واصلاحها ، والفصل فيما يقع بين العامة من لخصومات ، وبذلك يكون قد تمتع باستقلال واضح عن النائب (٦) .

ويؤكد هذا الكلام دور النائب فى الادارة الاتابكية — عن عماد الدين زنكى صاحب الموصل فى بداية القرن السادس الهجرى

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان حـ ١ ص ٣١٥ — ص ٣١٦ .

(٢) ابن الاثير : الكامل حـ ١١ ص ٥ — ص ٦ . الباهر ص ٦٤ .

(٣) الفارقى وتاريخ آمد ، الورقة ١٣٨ أ ، القلقشندى : صبح الاعشى ٩٢/١١ .

(٤) القلقشندى : حـ ٤ ص ١٦ ، المقريزى : الخطط حـ ٢ ص ٢١٤ .

(٥) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٤ ص ١٦ ، المقريزى الخطط حـ ٢ ص ٢١٤ ، ص ٢١٥ .

(٦) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٤ ص ٢٢ — ص ٢٣ ، على ابراهيم حسن : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية (مكتبة النهضة المصرية ، حـ ٢١ القاهرة — ١٩٤٨ م ، ص ٢٣١ عن Van Berohem; Garpu, Egypte, Vol I, P. 210—211.

حيث كان يجمع بيده سلطات ثلاث هى : النيابة ، ودزدارية القلعة ، ومهمة الوالى ، وذلك بعد اثبات خبرته ومدى قدرته على معرفة نظم العصرين : الأيوبى والمملوكى فى الشام ومصر (١) .

كذلك كانت علاقةالنائب يشوبها الغموض ، وذلك لعدم وجود تفصيلات عنها فى المراجع من جهة ، وفيما يتعلق بتحديد الاختصاصات بين المؤسسات الادارية من جهة أخرى . هذا بالاضافة الى أن هذه المراجع تجعل العمل الادارى الواحد مشتركا بين عدة مؤسسات أو موظفين ، مما زاد فى صعوبة التوصل الى اختصاص كل موظف .

أدى التداخل بين المؤسسات الادارية وعدم وجود خطوط واضحة للتخصص الى صعوبة الكشف عن طبيعة النظم الادارية وتحديد معالم كل وظيفة ، ولكن يعزو وضوح سلطة بعض الوظائف الى شخصية شاغليها ، فعندما تظهر مواهب أحدهم ويقوى نفوذه ، يطغى على اختصاص غيره (٢) .

وكما أن السلطات الادارية الوسعة التى كان يمارسها نائب عماد الدين زنكى صاحب الموصل ، تتطلب جهازا اداريا واسعا ، لتنفيذ القرارات (٣) . كان ذلك ينطبق أيضا على نواب الأتابكيين الذين خلفوه وعلى نواب الأراتقة (٤) ، حيث يحتم بالضرورة وجود عدد من الموظفين الذين كانوا يمثلون الجهاز الحكومى الذى تكون له صفة تنفيذية . ويمكن بذلك ان نصل الى طبيعة العلاقة بين النائب وهؤلاء الموظفين التنفيذيين ونستنتج ما هو مفيد .

٢ ـ الدواوين (٥) :

كانت الدواوين فى البلاد الاسلامية ، تمثل أهم مظهر من مظاهر التنظيم الادارى ، وقد اتخذت أكثر الدول والامارات والممالك الاسلامية دواوين لها ، تشرف على ادارتها العامة اقتداء ببغداد حاضرة الخلافة

---

(١) على ابراهيم حسن : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية (مكتبة النهضة المصرية ط ٢ ــ القاهرة ــ ١٩٤٨ م ، ص ٢٣١ عن
Vah Berahem: Cakpus, Egypt, Vol, . I, P. 210-211.

(٢) على ابراهيم حسن : تاريخ المماليك ص ٢٦٠ ، عماد الدين خليل : عماد الدين زنكى ص ٢٣٨ .

(٣) عماد الدين خليل: عماد الدين زنكى ص٢٣٨

(٤) كان نواب الاراتقة يلقبون « بالحجاب » . وذلك اما انهم شغلوا وظيفة الحجابة سابقا ، او ان التقاليد كانت تقتضى تسمية كل نائب او وال باسم الحاجب .
الفارقى : تاريخ آمد ــ الورقة ١٠٥ أ ــ ١٠٥ ب ــ ١٣٢ أ .
ابن شداد : الاعلاق الورقة ١٠٢ ب .

(٥) اتخذت الادارة الاسلامية كلمة « ديوان » لتدل على سجلات الدخل والصادرات واطلقت فيما بعد على المكان الذى يعمل فيه ارباب الوظائف المالية . واخيرا اطلقت على جميع فروع الادارة الاسلامية ، سواء المدنية او العسكرية او الادارية : انظر :
Encyclopaedia of Islam P. 323, Art Diwan (A.A.Dur.)

نظام الإدارة والقضاء

العباسية حيث كانت مركزا لدواوين عديدة (١) .

وقلد ورث الأتابكيون والأراتقة فى الجزيرة الفراتية ، هذا النوع من التنظيم الادارى فأوجدوا لهم فى كل امارة ديوانا واحدا عرف بـ (ديوان الجند) أو الجيش كما هو الحال فى الدولة العباسية أو الدواوين التى شهدها العصران الايوبى والملوكى فى مصر وبلاد الشام (٢) .

وليس لدينا معلومات عما اذا كان ديوان الجند أو الجيش صار يسمى بمرور الزمن باسم المدينة التى يرجع اليها أو الامارة ، كما لم يرد فى المراجع ما يساعدنا على ادراك التطور الذى طرأ على هذا الديوان من حيث طبيعة العمل الادارى الذى كان يقوم به وعدد الموظفين والاشخاص الذين كانوا يشغلون الوظائف فيه :

فقد جاء عن ديوان الموصل (٣) انه كان على غرار ديوان الانشاء فى الدولة العباسية (٤) ، حيث وضعت أسسه فى الموصل منذ عهد عماد الدين زنكى بعد توليها من قبل السلاجقة ، وقد ورد ذكره على اعتبار أن له أهمية كبيرة ، بحيث جعل جمال الدين الأصفهانى الذى كان يتقلد منصب الوزارة ، مشرفا له . كما أشار ابن الاثير الى هذا الديوان الذى أوجده عماد الدين زنكى والذى كان يقاس بدواوين السلاطين لكثرة التجمل ونفاذ الأمر وعظيم الحاشية (٥) .

وهذا يؤكد أهمية ذلك الديوان وبلوغه مرحلة متقدمة من الاتساع والنمو وكثرة الموظفين .

ويبدو أن ديوان الموصل كان يمثل اختصاصات ديوان الجيش ، وكان يضم أسماء القواد ومناصبهم والجند وطوائفهم ورواتبهم وأعطياتهم وكل ما يتعلق بأحوالهم المختلفة

وكان على رأس ديوان الموصل ، موظف يسمى « نائب الديوان » (٦) حيث كان يقوم بادارة الديوان والمراسلات ويسمى أحيانا (صاحب الديوان) كما هو الحال فى الدولة العباسية فى عهودها الأخيرة ، حيث أشار ابن الاثير الى أن ديوان) الموصل كان يتولاه (صاحب الديوان) (٧) الذى صار يسمى فيما بعد « رئيس الديوان » أو « متولى الديوان » أو « كاتب الديوان » وكان يمارس صلاحيات

---

(١) اهمها : « ديوان الامام » ، « وديوان الانشاء » ، وديوان « الجدال » ، وديوان « عرض الجيش » « وديوان المقاطعات » « وديوان التركات « وديوان الابنية والعقار » .

(٢) عماد الدين خليل : عماد الدين زنكى ص ٢٦٩ .

(٣) ابو البركات المتوفى : تاريخ اربل ، كما جاء فى وفيات الاعيان حـ ٣ ص ٢٩٧ ، ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى حـ ١ ص ٨٤ .

(٤) ويسمى احيانا « ديوان الرسائل » : مقدمة مصطفى مراد للكتاب تاج الدين المعروف بابن الساعى ، الجامع المختصر .

(٥) ابن الاثير : الباهر ص ٨٣ ، عماد الدين خليل : عماد الدين زنكى ص ١٩٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ .

(٦) ابن الاثير : الباهر ص ٨٤ — ٨٦ ، ١١٨ — ١١٩ ، ١٢٧ — ١٢٨ .

(٧) ابن الاثير : الباهر ص ٨٣ .

تشبه الى حد ما ، صلاحيات صاحب الديوان في الدولة العباسية (١) ، حيث يكون لـه حـق التصرف المطلق في الولاية فيعين كبار الموظفين ويعزلهم وله حق العطاء والمنح (٢) .

وهناك دواوين أخرى ، غير ديوان الموصل ، كديوان أتابكية الجـزيرة (أى جـزيرة ابن عمر) ، وديوان أتابكية سنجار (٣) ولابد أن تكون للامـارات والمـدن الأخـرى دواوين مشابهة . وكانت تشرف على الادارة العـامة كما أن جانبا مهما من نشاطها كان ينصب على الأمور العسكرية .

أما دواوين الأمراء الأراتقة ، فقد ذكـر بعضها ومنها ما أشار اليـه « ابن شـداد » باسم « الديوان » الذى كان قد تولاه سـنة ٥٢٧ هـ / سنة ١١٣٢ م على بن أحمد الاموى فى مدينة آمد ، فسمى ناظر الديوان (٤) الذى أصبح مسئولا عن القضايا المالية وعن كـل ما يتم فى « معاملة » من خلل امـام الامـير الأرتقى ، وكان له عدد من النظار على الجهات المحلية الأخرى (٥) .

ويبدو أن ديـوانا آخـر باسـم ديـوان « الاستيفاء » وليه المـؤيد ابو الحسـن ابن محمـد سنة ٥٢٨ هـ / سـنة ١١٣٣ م كـان موجودا فى مدينة (ميافارقين) وقـد عمـل المستوفى الذى كان يتولاه على ضبط الاموال المتعلقة بالجيش وادارة ديوان الاستيفاء (٦).

وفى سنة ٥٤٥ هـ / سـنة ١١٥٠ م قـام « حسام الدين تمرتاش » صاحب (ميافارقين) بتعيين المؤيد أبو الحسن بن محمد وشـخص آخـر لقب « بالمهـذب » بالديـوان (٧) ، مما يدل على اشغال أكثـر من مشرف واحـد فيه . وعين الأراتقة عددا من المشرفين عـلى دواوينهم المحليـة (٨) ، التـى كـانت تعنى بالاشراف على ضبط الحسابات والصـادرات والواردات والموازنة بينهما ، وقد نقلـوا ذلك عن السلاجقة حيث كانت وظيفـة الاشراف عندهم تعد من الوظائف المهمة لديهم ولها ديوان خاص يقوم المشرف بادارته (٩) .

وبهذا يمكن القول بأن ديوانا آخر باسـم (ديوان الأشراف) (١٠) كان موجودا لـدى الأراتقة فى هذه الفترة .

٣ ـ البريـد :

اتخذ الأتابكة البريـد ، ضمـانا لـورود

(١) ابن الصابونى : تكملة اكمال الاكمـال (تحقيق مصطفى جواد ـ سنة ١٩٥٧) ص ١٥٤ ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٣٠ .

(٢) ابن الساعى : الجامع المختصر جـ ٩ ص ٢٠٠ ـ جعفر خصباك : العراق فى عهد المغول ص ٦٨ .

(٣) ياقوت : معجم الادباء جـ ٦ ص ٢٣٨ . ابن الساعى : الجامـع المختصر جـ ٩ ص ٢٥٧ ، ص ٢٩٩ .

(٤) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ـ مخطوطـة الجزيرة ـ الورقة ١٠٣ أ ، ب .

الفارقى : تاريخ آمد ـ مخطوطـة ـ الـورقة ١٠٩ أ ، ابن حجر .

العسقلانى : الدرر الكامنة فى المائة الثامنة جـ ٣ ص ٢٦٤ ـ ص ٢٦٥ .

(٥) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة جـ ٣ ص ٢٦٥ .

(٦) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ـ مخطوطة ـ الورقة ١٠٣ أ ، ب .

(٧) الفارقى : تاريخ آمد ـ مخطوطة ـ الورقة ١٣٤ ب .

(٨) اليونينى : ذيل مرآة الزمان جـ ١ ص ٤١٣.

(٩) الفارقى : تاريخ آمد ـ مخطوطة الورقة ١٣٩ أ .

(١٠) الفارقى : تاريخ آمد ـ مخطوطـة الورقة ١٣٩ أ .

واصدار المكاتبات التى كانت تجرى بين اماراتهم فى الجزيرة الفراتية أو بين البلاد القريبة والبعيدة ، عنهم فأمنت الطرق ورتب فيها الرجال لحمل الخرائط وبنيت الخانات والأبراج عليها ، وهو استمرار لما كانت عليه فى القرنين الرابع والخامس الهجريين حيث « جعلت رسما للبريد » (١) وقد بدا الاهتمام بنظام البريد منذ عهد عماد الدين زنكى فى الموصل حيث طرأ تقدم واضح فى هذا النظام لاسيما بعد الذى أصابه من الاضطراب أثر الحروب التى نشبت بين السلاجقة (٢) ، وكان هؤلاء قد اقتصروا على الخيل والبغال فى نقل البريد (٣) .

كما استخدم الأتابكيون نوعا من الحمام كان يطلق عليه اسم « الحمام الهوادى » (٤). يرسل فى حالة ما اذا تعرضت الطرق لخطر اللصوص فيأخذ الناس حذرهم ، كما استخده نوع آخر منه فى نقل الرسائل بسرعة وانتظام بين مدينة وآخرى . وقد أشار ابن الأثير الى أنه كان فى كل ثغر من ثغور الدولة الأتابكية فى الشام والعراق رجال يقومون بتربية عدد معين من الحمام يستخدمونه فى البريد ، ففى كل مدينة ينقل الحمام الرسائل الى المدينة المجاورة لها وقد يتعداها لمدينة أخرى (٥) .

وذكر القلقشندى أن الملوك الأتابكة أعدوا لنقل البريد الخيول والجمال السريعة العدو التى هى أسرع من الخيل وأصبر على السير منها وكذلك الرجال العدائيين (٦) الذين كانوا يقطعون مسافات بعيدة مشيا على الأقدام ، كل ذلك اتخذه الأتابكة لاتساع مملكتهم وترامى أطرافها (٧) .

ومما يجدر ذكره أن الحمام الذى عرف استخدامه فى بلاد مصر والشام فى هذه الفترة وما أعقبها ، كان قد نقل من الموصل وأن أول من اعتنى به من الملوك ونقله من الموصل هو نور الدين محمود ابن عماد الدين زنكى عام ٥٦٥ هـ (٨) .

وقد سار الأراتقة على نفس النظام الذى اتبعه الأتابكيون فى البريد فكانت لهم الخيول والجمال السريعة العدو لنقل ما يستجد بين مدنهم . كما أمنوا الطرق الرئيسية التى تصل بين المدن وفروعها ، ووضعوا عليها الخفراء والرجال الذين يقومون بحراستها ، فضلا عن اقامتهم للخانات والأبراج ومحطات القوافل التجارية .

(يتبع)

د / سوسن محمد نصر

استاذ التاريخ المساعد

كلية الآداب ـ جامعة الزقازيق ـ بنها

---

(١) قدامة بن جعفر : نبذة من كتاب الخراج ومنعه الكتابة ص ٢٢٥ ص ٢٢٧ ، ص ٢٢٩ .

(٢) عماد الدين خليل : عماد الدين زنكى ص ٢٧٤ .

(٣) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ١٤ ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠ .

(٤) ابن الاثير : الباهر ص ١٧١ .

(٥) ابن الاثير الباهر ص ١٧١ ، ص ١٥٩ .

(٦) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٤ ص ٣٧ .

(٧) ابن الاثير : الباهر ص ١٥٩ .

(٨) القلقشندى : جـ ٤ ص ٣٧ .

الحضارة والمدنية في معيار الإسلام

للدكتور مصطفى غلوش

منذ أن خلق الانسان ٠٠ والله سبحانه وتعالى يعطيه من التكريم والرفعة ما لم يعطه لغيره من المخلوقات ٠ ويتجلى لنا ذلك لو أننا :

١ ــ استحضرنا قول الله تعالى للملائكة : (إِنِّي (١) جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) وقوله عز وجل : (اسْجُدُوا (٢) لِآدَمَ) ٠ وقوله : (وَعَلَّمَ آدَمَ (٣) الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) وقوله : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) (٤) ٠

٢ ــ واستحضرنا أن . رسل الله عليهم الصلاة والسلام ، جاءوا (بشرا) أسوياء من نفس نوع (الانسان) ٠ تكريما لنوعه ٠ وفضلهم في الاصطفاء فقط ٠٠٠ وأن رسالة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالذات ــ اتسمت : بكون المعجزة فيها تستهدف الوجدان والبصيرة ــ القرآن الكريم ــ وليست مستهدفة (البصر) كالمعجزات التي لوحظت عند : موسى ، وعيسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ٠

٣ ــ ولو أمعنا النظر في أهداف الوحي والنبوات منذ آدم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام الى خاتم النبيين محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لوجدناها جاءت بغية : صلاح الانسان واصلاحه ٠ ومنهجها

(١) البقرة (٣٠) ٠
(٢) البقرة (٣٤) ٠
(٣) البقرة (٣١) ٠
(٤) الاسراء (٧٠) ٠

الحضارة والمدنيـة

فى ذلك : الأخذ بيد الانسان من : وهدة الانحطاط البشرى والعقائدى الى درجة رفيعة من : السمو والايثار .

ولسنا الآن بصدد : متابعة مناهج الرسل. أو حتى منهج رسالة الاسلام فى هذا المنشط. لكنا بصدد أن نلحظ حياة العرب قبل الاسلام وحياة العرب بعد الاسلام . لنصل فى قناعة الى : دور الاسلام الحقيقى فى (اعادة صياغة الانسان) .

فاننا لو ألقينا نظرة على : الفلسفات والعقائد ، التى تبتعد عن الاسلام قديما وحديثا ، لنتفهم دورها فى (اعادة صياغة الانسان) لوجدنا أنها تتسم بما يأتى : —

(أ) اعتبرت هذه الفلسفات الانسان (وجودا) فى (مجتمع ودولة) فقط فلم تحفل به فى غير هذا الاطار . ولم تلق بالا الى (ذاتيته) . ولعل هذا يفسر لنا : لم احتاج الناس الى : النقابات والأندية والروابط الفئوية التى تدافع عن مصالح كل فئة ؟ .

(ب) قصرت هذه الفلسفات نظرتها الى الانسان باعتبار : أنه مادة تكونت من (شحم ولحم) . فقدمت له ما يرضيه فى هذا المضمار . ولم تقدم الزاد الوجدانى .

(جـ) أثارت هذه الفلسفات والعقائد الانسانية لدى الانسان : التفاخر والاعتزاز بالعرق والجنس وتراث الأقدمين وآثارهم الوثنية انطلاقا . من : وضع (وجدان) الانسانية فى قالب (حسى) .

ونحن لا ننكر : أنه فى عصور عديدة استطاع الانسان من خلال هذه المجتمعات : أن يحقق لنفسه رقيا اجتماعيا . تمثل فى : المسكن والملبس والمأكل .... الخ من الأمور المادية .

ولكننا مع هذا نشير الى ما صاحب ذلك الرقى الاجتماعى ، مع انحطاط أخلاقى ، فنجد هذه الشعوب تقاتل غيرها وتفتك بضعفاء البشر .. وتنتهب ثروات الآخرين ،

ووجدنا بلادا تعيش فى (تخمة) بينما الغير يموت جوعا ، وقد وضح ذلك فى (حروب) بداية هذا القرن الميلادى ، والتى تعرض لها الشرق الاسلامى من دول أوربا المستعمرة . وفى الحروب التى تطحن شعب أفغانستان وغيره .

وظهرت الأخلاق والآداب التى تشجع على هذا الاتجاه المادى فى مدنية الانسان المعاصر .

وللأسف : نجد فى دراستنا المعاصرة عن هذه الشعوب ، أنها تدرس تحت عنوان (الحضارات) .

ونحن يزعجنا هنا : أن نعتبر هذه الأخلاقيات : (حضارة) .

ولذلك نرى لزاما علينا : أن نفرق بين أمرين :

١ ــ الحضارة .

٢ ــ المدنيـة .

أولا ــ الحضارة :

* نعنى بالحضارة : (الارتقاء الروحى للانسان فى جانب الأخلاق الاجتماعية والعقائدية) بحيث تجدد : يصدر فى كل تصرفاته العامة والخاصة . عن : قيمة أخلاقية

ومثل أعلى • وهدى روحى • وهذا السلوك الحضارى يلازم الانسان المتحضر •• سواء عاش فى فنن الجبال ، أم فنن الحدائق وسواء كان فقيرا أم غنيا •• وسواء نال أرقى الشهادات الدراسية أم لم ينلها •

** فالتحضر هنا هو : (اعلاء الذات •• وصبغها بصبغة التسامى الأخلاقى) ولا يمكن تحقق ذلك باخلاص الا اذا كان : مستندا الى (وحى) الهى • وأرقاه على الأرض رسالة الاسلام التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم •

ثانيا ــ المدنية :

* ونعنى بالمدنية : (الأخذ بوسائل العيش الراقية • فى البيئة المتمدينة المتطورة التى تأخذ بأسباب العصر) • فان ركوب الطائرة والسيارة المتطورة : مدنية •

والاستفادة من مخترعات العصر فى الاتصال والصناعة والمعيشة •••• الخ مدنية •

وهى ــ أى المدنية ــ دوما : بنت المال والصناعة وغايتها : تقديم المتعة والراحة للانسان فى جانبه : المادى والحسى •

موقف الاسلام منهما : ــ

* وهنا نعتبر أنفسنا قد وصلنا الى : تساؤل هام :

ما موقف الاسلام من الحضارة ؟ • وما موقفه من المدنية ؟ •

١ ــ اذا بدأنا بموقف الاسلام فى (المدنية) •• فاننا نجده : يحرض المسلم على الأخذ بأسباب الحياة وتطورها فى سبيل العيش والمنزلة الأكرم •• حتى ما نعتبره من قبيل (الزينة) •

قال الله تعالى (**يَابَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ**) (١) •

وقال تعالى (**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**) (٢) •

وقوله : (**كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**) (٣) •

وقال تعالى فى معرض الحديث عن البحر :

(**يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**) (٤) •

وبين مناط الاستعمال فقال : (**وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا**)(٥) ••

توقفنا هذه النصوص وغيرها على : أن الاسلام لا يحرم على الانسان أن يأخذ بطيبات الحياة • ومنها ــ بالطبع ــ ما تهيئة وسائل (المدنية) فى حياة الانسان وطرائق معيشته •

٢ ــ أما موقف الاسلام من (الحضارة) • فانه : موقف متوافق مترابط يحملنا على الجزم : بأن الاسلام ما جاء الا ليعمق فى

(١) الاعراف (٣١) •
(٢) الاعراف (٣٢) •
(٣) طه (٨١) •
(٤) الرحمن (٢٢) •
(٥) النحل (١٤) •

الحضارة والمدنية

نفس الانسانية معنى (الحضارة) . بهـذا المفهوم .

✽✽ فقد جاء الاسلام مستهدفا الانسان فى ذاته .. فولج قلبـه فى رفـق وانحصر اهتمامه — ابتداء فى زرع المعـانى السـامية والمبادىء الرفيعة والعقيدة السماوية فى نفس (الانسان) .

✽ ووضح من خلال الأفراد الذين كانوا باكـورة الاسـلام التطبيقى : أن منـهج الاسلام يشعرنا بعنايته بالانسـان كقيمـة وخلق وجوانب روحية ويحاول تنقية وجـدانه وبصيرته . وينشىء فيه (بصـيرة) تراقب الله — عز وجل — فى الخفـاء .. وفيـاف الجبال وفى السر والعلنية .

✽ وتجمع انسان الاسلام الجديد (١) .. وقد صيغ على هذا الشكل وفى اطار معانى : الأخوة والترابط .. فتكـون (المجتمـع) الاسلامى الحضارى (تلقـائيا) وصـار فى حقيقته الحضارية (شخصا) واحدا مسـلما يرقب الله ويرعـاه .. وبـذلك نفهم معنى الحديث الشريف (مثل المـؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ....) .

✽ واذا أردنا أن نضرب مثلا نعين به على فهم الفرق بين : الحضارة والمدنية فان لنا أن نتصور : رجـلا يقود (سيارته) الفارهـة فى طريق ملىء بماء المطر . ولا يحفل هـذا الرجل بما تنثره سيارته على المارة من رذاذ الماء الملوث بالتراب .

وهذه الصورة عند تحليلها نجدها كالآتى :

(أ) ركوب السيارة الفارهـة : مدنية لا يرفضها الاسـلام .

(ب) سرعته التى تسبب ايذاء الناس : سلوك يرفضه الاسلام ولا يعبر هذا السلوك عن علاقة هذا الرجل بالحضارة .

✽ فاذا ما أراد هذا الرجل أن يكـون : متمدينا ومتحضرا فى نفس الـوقت فعليـه استعمال (وسائل) المدنية . بأسـلوب (حضارى) أخلاقى .. لا يؤذى به مشـاعر الناس .

✽ وعلى ذلك : فالحضارة قيمة وخلق .. والمدنية سلوك واسـتهلاك . والاسـلام لا يمنعنا أن نعيش (مدنية) عصرنا .. ولكن يشترط علينا أن يكـون تناولهـا فى اطـار (حضارى) والذى تبدت أزهى صـوره فى اطار : حضارة الاسلام ، اذ الانسان الـذى يعيش حضارة الاسلام .. يعايش (المدنية) بمنهج الاسلام فلا يعتـدى .. ولا يفسـد فى الأرض بعد اصلاحها .

✽ أما من يعايش (المدنية) بمنهج بعيـد عن حضارة الاسلام فانه من الممكن أن يعتدى .. ويؤذى الضعفاء .. ويستعلى على البشر بوسائل هذه المدنية ويتخذها وسيلة للاذلال والاستعمار .

✽ ويكفى هنا : أن نتصور (الحـروب)

---

(١) الجديد : صفة للانسان وليس للاسلام أى الانسان الذى صار صوغا جديدا بالاسـلام ..

البشعة التى تعانيها الشعوب الفقيرة المستعمرة من أول العالم (المتمدين) .. وأن نتصور موقف احدى الدول الكبرى

(المتمدينة) التى ترمى كل عام : بملايين الأطنان من (من القمح والبطاطس) فى مياه المحيط . حتى تحافظ على (السعر) للزراع . بينما ملايين البشر يهددهم الجوع والحرمان.

* هذه هى (مدنية) العصر الحديث .. عندما تبتعد عن (حضارة الاسلام) انها مدنية .. آلية جافة ممزقة مبتورة .. وكلها بنيت على : الفلسفات الانسانية والاتحاد الفكرى وأشعة فلسفة (المنفعة) (البراجماتزم) . (الذرائع) .

* ويوما (ما) سيحق على هذه المدنية الآلية . قانون الله فى غضبه الذى أعده (للمدنيات) البعيدة عن اطار الخلق الالهى .

والذى تمثل فى قوله الله تعالى (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) . القصص ٥٨ . وقوله تعالى

(وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ)

القصص ٥٩ .

* ولن نجد فى القصص القرآنى الصادق . ما يعيننا على فهم ما نقصده ..

أكثر من (قصة قارون) فقد أوتى وسائل (المدنية) ولكن تباعد بنفسه عن طريق (النبوة) الذى يوصله الى (الحضارة) حتى فتن الناس (بمدنية) قارون . وحتى قال الضعفاء : (يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) القصص ٧٩ .

ولكن الذين لامست الحضارة الروحية قلوبهم لم يضعفوا :

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ) القصص ٨٠ .

وبين هاتين الصورتين جاء قانون الله على المفسدين (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ) القصص ٨١ .

وهكذا نجد الاهلاك انما هو محصلة التعلق (بالمدنية) البشرية وحدها : قال تعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) . والترف هو : الأخذ بأقصى أسباب المدنية وحدها .

وعليه : فالاسلام يهيب بالمسلمين أن يكونوا أصحاب (حضارة) .. وأن يجعلوها فى قلوبهم وعقولهم وأخلاقهم .. أما (المدنية) فهى (مشروعة) طالما هى فى خدمة (الحضارة الاسلامية) . والله الموفق .

د. مصطفى غلوش

القيادة الإدارية في الإسلام

الإحسان ؟

والأحسان غاية من الغايات التى يريدها الاسلام ، وقد رغب الاسلام فى الاحسان فى كثير من آيات القرآن ، ووعد المحسنين بأرفع ما تصبو اليه النفس ، وذلك لأن المحسنين ذووا احساس مرهف ، وضمير حى ، حتى ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) ينمى فيهم هذا الاحساس فيطالبهم بالاحسان الى الحيوان فيقول : « ان الله كتب الاحسان على نفسه فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » (١) .

فالاحسان الفعل الحسن .

« والافعال الحسنة تشمل كل خير وكل معاملة ترقى وترفع من شأن الانسانية ، وتهذب نفسية الانسان ، وتقربه من خالقه ، وفى هذا المعنى جاءت وصايا القرآن فى الدعوة الى الاحسان والترغيب فى اتيانه .

وقد عالج القرآن الاحسان بما يؤثر فى الشخصية الانسانية من ناحية دوافع العمل وتحقيق المثل العليا التى يدعو اليها دعاة الاصلاح .

وقد بين القرآن أن الاحسان ، هو الواجب الطبيعى الذى ينبغى أن يكون عليه الانسان ، وأن الله كما أحسن اليه بنعمه ، عليه أن يحسن الى الخلق . قال تعالى :

« وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ »(٢)

---

(١) رواه مسلم عن ابى يعلى . ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجة .

(٢) آية ٧٧ من سورة القصص .

للأستاذ صابر البرديسى

وقد بين القرآن ان الاحسان تعود منفعته على المحسن قال تعالى « **إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا** » • وهذا حق **فأن المحسنين يشعرون بطمأنينة لايشعر بها غيرهم ، ويكفى ما يقابلون به من الذين يحسنون اليهم ، من الود والمحبة والتقدير ، مما يدخل** السعادة فى نفوسهم ، **بينما الاساءة تجعل صاحبها منبوذا محتقرا لا يهنأ له عيش، ولايقر له قرار ،** « وقد أمر الله بالاحسان فىقولهتعالى **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ) (١)** والاحسان كما يكون فى معاملة الناس يكون فى العبادة لله ، ومعنى الاحسان فى العبادة : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك •

ومتى أحسن الانسان عمله وأتقنه وأحسن الى الناس فى معاملتهم ، وراقب ربه ، عاش سعيدا ، وأسعد من حوله ، وكانت ادارته للاعمال ناجحة ، وحقق الخير لنفسه ولمن يتعامل معه •

٧ ــ اقامة العدل :

العدل : ضد الجور ، وهو الاعتدال والاستقامة ، والميل الى الحق •

وشرعا :

هو الاستقامة على طريق الحق باجتناب ما هو محظور دينا ، فالعدالة تقتضى استواء أحوال المرء فى دينه ، واعتدال أقواله وأفعاله •

وهى من أجمل الفضائل ، من حيث أن صاحبها يقدر أن يستعملها فى نفسه وفى غيره •

ومن مزية العدل أنالحائرين يستطيبونهفيما بينهم فلو أن لصوصا تشارطوا فيما بينهم شرطا، فلم يراعوا العدالة فيه لم ينتظم أمرهم ، وتنازعوا فيما بينهم •

ومن فضائله أن كل نفس تتلذذ بسماعه حتى الجائر يستحسن عدل غيره اذا رآه أوسمعه •

والعدل يدعو الى الألفة والمحبة،ويبعث على الطاعة ، وبهتعمر البلاد ، وتنمو الأموال،ويأمن

(١) آية ٩٠ من سورة النحل .

الافراد ، وتستقر أوضاع الادارات .

وقد قال المرزبان ، رئيس المجوس لعمر (رضى الله عنه) لما رآه نائما لاحارس له :

(عدلت فأمنت فنمت ياعمر)

وفى ذلك يقول الشاعر حافظ ابراهيم فى عمريته المشهورة :

وراع صاحب كسرى ان رأى عمرا
بين الرعية عطلا وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس أن لها
سورا من الجند والأحراس يحميها
رآه مستغرقا فى نومه فرأى
فيه الجلالة فى أسمى معانيها
فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا
ببردة كاد طول العهد يبليها
فهان فى عينه ما كان يكبره
من الاكاسر والدنيا بأيديها
وقال قولة حق أصبحت مثلا
واصبح الجيل بعد الجيل يرويها
امنت لما اقمت العدل بينهمو
فنمت نوم قرير العين هانيها

والقائد ينبغى منه أن يكون عادلا مع من يدير شئونهم ويتولى أمرهم ، وذلك باتباع الميسور لهم ، وترك التسلط والقهر بالقوة ، ويقيم العدل فيهم ، قريبهم وبعيدهم ، غنيهم وفقيرهم ، وأن يكونوا عنده فى هذا سواء .

ويكون لهم مثلا أعلى فى معاملته لهم ، فيعاملهم بالانصاف فهو كالقلب من الجسد اذا صلح صلح من يعمل معه .

وعن يزيد بن أبى سفيان ، قال : قال لى أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) حين بعثنى الى الشام ، : يايزيد ، ان لك قرابة عسيت أن تؤثرهم ، بالامارة ،وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة ، فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم)(١)

وليس من العدل أن يتولى المرء أمرا من الامور ثم هو لا يتعرف دقائق هذا العمل ، ولا يحيط بظروف العاملين معه ، فمنهم من تلم به ملمة أو تنزل به نازلة فهو يحتاج الى أن يعينه عليه ، ومن الظلم أن نترك الناس ، وقد تولينا أمورهم ، يعيشون فى ضيق ، ويعطون تحت ظروف اليأس والقلق والاضطراب ، فمن العدل أن تتعرف على أدوائهم ، وتوفر لهم ما يخفف آلامهم وتمحو بقدر الاستطاعة بؤسهم وشقاءهم :

ومن أغاث البائس الملهوفا
أغاثه الله اذا أخيفا
قد قضت العقول أن الشفقة
على العدو والصديق صدقه

قالوا : انه لما رجع (عمر) «رضى الله عنه» من الشام الى المدينة انفرد عن الناس ، ليتعرف ويتفقد أحوال الرعية ، فمر بعجوز فى خباء لها فقصدها ، فقالت له : ياهذا ما فعل عمر قال : قد أقبل من الشام سالما ، فقالت : لا جزاه الله خيرا قال : ولم ؟ قالت : لأنه والله ما نالنى

(١) رواه الحاكم ، وقال صحيح الاسناد .

من عطائه منذ تولى أمر المسلمين دينار ولا درهم . قال : وما يدرى عمر بحالك وأنت فى هذا الموضع .

فقالت : سبحان الله ، والله ماظننت أن أحدا يلى على الناس ولا يدرى ما بين مشرقها ومغربها ، فبكى عمر (رضى الله عنه).

وقال واعمراه « كل أحد أفقه منك ياعمر حتى العجائز » .

ثم قال لها : ياأمة الله ، بكم تبيعينى ظلامتك من عمر ، فانى أرحمه من النار ؟

فقالت لا تستهزىء بنا يرحمك الله .

فقال : لست بهزاء ، فلم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا ، فبينما هو كذلك اذ أقبل على بن أبى طالب ، وعبد الله بن مسعود (رضى الله عنهما) .

فقالا : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فوضعت العجوز يدها على رأسها ، وقالت : واسوأتاه شتمت أمير المؤمنين فى وجهه .

فقال لها عمر : ما عليك يرحمك الله ، ثم طلب رقعة جلد يكتب بها ، فلم يجد ، فقطع قطعة من مرقعته ، وكتب فيها « بسم الله الرحمن الرحيم » هذا ما اشترى به عمر من فلانة ظلامتها منذ ولى الى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين دينارا فما تدعى عند وقوفه فى الحشر بين يدى الله تعالى فعمر منه برىء ، شهد على ذلك على وابن مسعود ثم دفع الكتاب اليهما ، وقال : ان مت فليجعل فى كفنى ، أتقى به ربى عز وجل .

هكذا يكون العدل ، وهكذا يكون العلماء العاملون .

قال الله تعالى : « **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** » (١) .

* والقرآن يقرر أن من غايات انزال الكتب وارسال الرسل ، هو اقامة العدل والحق فى الأرض قال تعالى : (**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** » (٢) .

قال قتادة ومجاهد : الميزان : العدل ، وسمى العدل ميزانا لأن الميزان آلة الانصاف والتسوية ، وعبر عن العدالة بالميزان لأن العدالة من أثرها الانصاف والتسوية ، ومن لا ينصف يظلم ، ومن ظلم فقد خسر الدنيا والآخرة .

يقول الامام على (رضى الله عنه) (أنصف الله ، وأنصف الناس من نفسك ، ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك ، فانك الا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عبادة ، ومن خاصمه الله أدحض حجته ، وكان الله حربا عليه حتى ينزع أو يتوب » .

وفى العدل رضا الجماعة ، يقول على كرم الله وجهه » .

(وليكن أحب الأمور اليك أوسطها فى الحق ، وأعمها فى العدل ، وأحبها لرضا الرعية ، فان سخط العامة يجحف برضا الخاصة ، وان سخط

(١) آية ٢٨ من سورة فاطر .

(٢) آية ٢٥ من سوره الحديد .

الخاصة يغتفر مع رضا الجماعة » .

٨ ـ المناقشة والحوار :

على القائد أن يفتح صدره للعاملين معه ، ولا يلقى اليهم الأوامر ، ويفرض عليهم الأمور دون مناقشة أو ابداء رأى بل لابد له فى بعض الأمور التى لا تكون واضحة أو تحتمل أكثر من وجه ، من أن تعرض على بساط المناقشة والحوار المبنيين على الاقتناع بالحسنى : قال تعالى :

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (١) .

والقائد الناجح يخصص وقتا للاجتماع بالعاملين معه ، يناقشهم فى الأمور التى يرى أنها تهم العمل ، وتهم العاملين ، يجلس اليهم ، ويستمع منهم ، ويستمعون اليه ، يناقشهم فى حوار مفتوح ، يجلسون على بساط المودة والمسرة ، يبحثون جميعا عن الحل الأمثل ، والرأى الأفضل ، من غير نظر الى صاحبه ، فالحكمة ضالة المؤمن ينشدها أينما وجدها.

ولا يوحى القائد برأى معين ، ولا يحيط مجلسه بجو من الرهبة ولا يحول المناقشة الى مجاملة أو مداهنة ، فان ذلك مفسدة للرأى ، ومضيعة للحقيقة ، ويجعل الآراء الحرة حبيسة .

والأب فى بيته قائد أسرة ، يدير أحوالها ، ويسوس أمورها فينبغى أن يخصص جزءا من وقته لمناقشة أولاده ، واجراء حوار معهم ، فيما يعترضهم من مشكلات ، ويخامرهم من أفكار فان الأبناء « وهم فلذ قلوبنا » فى حاجة الى هذا الحوار .

وتلك المناقشة ، تنمى فيهم الفكرة ، وتدربهم على حسن التعبير وتربى فيهم القدرة على ابداء الرأى ، وتعطيهم فرصة لعرض مشكلاتهم على من يحسنون التوجيه عن طريق الاقناع عن حب ورضى وارتياح .

ومن المناقشة والحوار ، المملوء بالحب والعطف والتوجيه ، يجد الأبناء حلا لمشكلاتهم ، التى لو تركت للجأ الأبناء الى مناقشتها مع الزملاء الذين تنقصهم الخبرة ، فيسلكون بهم الطريق المعوج ، ويوجهونهم توجيها غير مرض فيتعرضون للانحراف ، ويتفاقم الأمر ، ويقع الأبناء مع الآباء فى منازعات ومحاورات لا جدوى منها ، وقد تؤدى الى كثير من الأضرار .

ان اغلاق الأبواب أمام الأبناء ، أو ترك الحبل على الغارب وما يبديه بعض الآباء من الغلظة والقسوة باستمرار والظهور أمام الأولاد دائما بمظهر الآمر الناهى ، لا محل لمناقشته ، ولا مجال لمجالسته ، لأن ذلك فى رأيه ينقص من هيبته ، ويقلل من سيطرته ، ويفقده سلطانه .

وبعض الآباء يتعللون بأنهم مشغولون بالعمل ، وأنهم مجهدون وأن أعباء الحياة أصبحت ثقيلة ، وليس عندهم من الفراغ

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .

ما يمكنهم من الجلــوس مع أولادهم بعض الوقت يقضونه فى المحاورة والمناقشـــة وحل المشكلات وعرض الحلول والتوجيهات ٠

ولعل الآباء (وهم قادة ومســــئولون عن أولادهم) أن يدركــوا أن ما يقضــــونه مع أولادهم ، ليس من الوقت الضائع ، بل هــو أثمن هدية يقدمها الآبــاء للابنــاء ، ولعــل ما يقضونه من وقت مع أولادهم فى المناقشـــة والحوار يوفر عليهم كثيرا من الأوقــات التى تضيع فى التفكير والهم من اهمال الأبناء ٠

والقائد الذى تتوافر فيه هذه الصــــفات له حق الطاعة على الجماعة فقد شمل العاملين بكل ما تستلزمه القيادة من رعاية ، ومن كــان شأنه ذلك وجبت طاعته ، ومن لــزم الطــاعة حقت له الرعاية قال تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**) (١) ٠

ويقول (صلى الله عليه وسلم) « كــانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبى خلفه نبى ، وانه لا نبى بعــدى ، وســيكون خلفاء فيكثرون » قالوا فما تأمرنا ٠ فوبيعتهم (٢) الأول فالأول ، ثم أعطوهم حقهم فان الله سائلهم عما استرعاهم) (٣) ٠

ويقول (صلى الله عليه وسلم) « من يرى منكم من أميره شيئا فكرهه ، فليصبر ، فــانه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت الا مات ميتة جاهلية » (٤) وفى رواية أخرى (من فارق الجماعة قدر شبر ، فقد خلع ربقة الاســـلام من عنقه) (٥) ٠

ويقول (صلى الله عليه وسلم) « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشــق عصاكم ، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » (٦) ٠

وبجانب ذلك توجد مقومات لقيادة وردت فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع ، كما دعــا اليها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى أكثر من حديث ، وكلها توضح طبيعة العلاقة بين الراعى والرعية ، والقائد ومرءوسيه وهى تقوم على أساس اسلام الوجه لله ، والمساواة بين الناس فى الحقوق والوجبات ، وتحث على العمل والنفع العام ٠

وهناك « مجموعة الوثائق السياسية » (٧) التى تضم العهود التى عقدها الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتوجيهاته لرسله الى مختلف الجماعات الاسلامية ورســائله الى رؤســاء القبائل العربيــة ، وعظمــاء الممالك الأجنبية المجاورة « من فرس وروم وغيرهما » كمــا تضم طائفة من وثائق عصر الخلفاء الراشدين٠

(جـ) وثيقتان فى تاريخ الادارة الاسلامية :

ومن الوثائق الهامة كتابان مشهــوران فى تاريخ الادارة الاسلامية :

أولهما : ما كتب به الامام على (رضى الله عنه) الى « مالك بن الحارث الأشتر النخعى » حين أرسله واليا على مصر ، وقــد جاء بــه

(١) سورة النساء آية ٥٩ ٠
(٢) فو = اى : وفوابها ٠
(٣) رواه احمد ٠
(٤) اخرجه البخارى عن ابن عباس ٠
(٥) رواه البخارى ومسلم ٠
(٦) رواه مسلم عن عرفجة ٠
(٧) فى سنة ١٩٤١ نشر الباحث الهنــدى

تفصيل لمقومات القيادة فى الاسلام (١) .

وثانيهما : ما كتبه « أبو الطيب طاهر بن الحسين لابنه عبد الله لما ولاه المأمون (الرقة ، ومصر وما بينهما) فكتب اليه أبوه « طاهر » كتابه المشهور عهد اليه فيه ، ووصاه بجميع ما يحتاج اليه فى دولته وسلطانه » (٢) .

وبما أن الوثيقتين (الكتابين) متشابهان فى موضوعهما ، فكلتاهما عهد موجه الى وال على عمالة كبيرة من عمالات الدول الاسلامية وكلتاهما تحاول أن ترسم منهجا للوالى فى سلوكه الشخصى ، ونظامه فى الادارة والحكم ، واختياره لأعوانه ، وصلاته بوظائف الرعية ، لذلك سنقتصر على أهم ما ورد فى الوثيقة الأولى وعلى ما يتصل بموضوع القيادة اتصالا وثيقا .

الوثيقة الأولى :

منشىء الرسالة : هو الامام على (كرم الله وجهه) أحد الخلفاء الراشدين ، وابن عم الرسول (صلوات الله وسلامه عليه) ، وزوج ابنته ، وأحد كتاب وحيه ، شب فى حجر الدعوة ، فثقف أسرارها وأهدافها ، وروى من معينها الصافى منذ صباه ، وشهد مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) مواقع الحروب فى الاسلام ، وأبلى فيها بلاء حسنا ، وكان نموذجا فى بلاغته كما كان نموذجا فى بطولته .

ومما ورد فى كتابه بعد أن حدد فى مستهله معالم المهمة التى عهد بها الى واليه الجديد على مصر رسم الخطوط الرئيسية لشخصية الوالى المسلم ، وسلوكه وصلاته بالناس يقول :

(أملك هواك ، وأشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم واللطف بهم) ويقول :

(واياك ومساواة الله فى عظمته ، والتشبه به فى جبروته ، فانه يذل كل جبار ، وأنصف الله وأنصف الناس من نفسك ثم يقول :

(وانما عماد الدين ، وجماع المسلمين ، والعدة للأعداء ، العامة من الأمة ، فليكن صفوك لهم ، وميلك معهم ، وليكن أبعد رعيتك منك وأشناهم عندك أطلبهم لمعايب الناس ، وأطلق من الناس عقدة كل حقد ولا تعجلن الى تصديق ساع ، فان الساعى غاش ، وان تشبه بالناصحين .

ويقول : (ولا يكونن المحسن والمسىء عندك بمنزلة سواء واعلم أنه ليس شىء بأدعى الى حسن ظن راع برعيته من احسانه اليهم ، وتخفيفه المؤونة عنهم) .

بهذا يحدد الامام صفات الوالى النموذجى فى شخصه .

= (محمد حميد الله الحيدر آباد) فى القاهرة كتابان بهذا العنوان .

(١) هذه الوثيقة وذلك الكتاب وارد بنصه فى كتاب نهج البلاغة الذى جمعه السيد المرتضى من كلام سيدنا الامام على كرم الله وجهه .

(٢) هذه الوثيقة أوردها (ابن خلدون) فى مقدمته فى الفصل الذى عقده للكلام على أن العمران البشرى لابد له من سياسة ينتظم بها أمره .

وما يجب أن يكون عليه موقفه من الرعية عامة ، والصفات التى ينبغى أن يتطلبها فى أعوانه ومستشاريه ، والامام يؤيد كل توجيه بايراد سره وحكمته من طبائع النفوس وظواهر الاجتماع .

ويوجه الامام عناية خاصة الى الفقراء والضعفاء ، ويدعو الى « سياسة الباب المفتوح » والاتصال بالرعية ، ورعاية الفئة المحدودة المورد ، أو العاجزة عن الكسب ، فيقول :

(وأفرد نفسك للنظر فى أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمته من رعيتك ، ومرهم برفع حوائجهم ، وحالاتهم اليك ، لتنظر فيما يصلح الله به أمرهم ، وأكثر الاذن للناس عليك ، وأبرز لهم وجهك ، وسكن لهم حواسك ، واخفض لهم جناحك وأظهر لهم بشرك ، وألن لهم فى المسألة ، واعطف عليهم بجودك وفضلك .

« وأما بعد » فلا تطيلن احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور .

ويدعو الى تقدير الأمور وعدم العجلة فيها فيقول :

واياك والعجلة بالأمور قبل أوانها ، والتسلط فيها عند امكانها ، واللجاجة فيها اذا تنكرت ، أو الوهن عنها اذا استوضحت ، فضع كل أمر موضعه ، وأوقع كل عمل موقعه .

والقسم الرئيسى من رسالة الامام الى عامله يتناول أمورا عامة تعين العامل على النجاح . منها :

فورية الانجاز بأن يحرص على اصدار حاجات الناس يوم ورودها ، وأن يمضى لكل يوم عمله فان لكل يوم ما فيه .

وأن يحول بين بطانته وخاصته وبين ما ينحرفون اليه من استئثار وتطاول وقلة انصاف فى المعاملة .

وأن يظهر للرعية بعذره ان ظنوا به حيفا ، وألا يدفعن صلحا دعاه اليه عدوه ولله فيه رضا .

يقول (رضى الله عنه) وأفرغ عمل يومك ، ولا تؤخره لغدك ، وأكثر مباشرته بنفسك ، فان فى الغد أمورا ، وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذى أخرت ، واعلم أن اليوم اذا مضى ذهب بما فيه ، واذا أخرت عمله ، اجتمع عليك أمر يومين ، فيشغلك ذلك حين تعرض له ، فاذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك ، وبذلك أحكمت أمور سلطانك .

هذه الرسالة فى الحكم والادارة وما ماثلها من توجيهات للامام وللصحابة — رضوان الله عليهم أجمعين ، كلها نبع من المعين الأول ، الذى فجرته آيات القرآن الكريم وسنة الرسول — صلوات الله وسلامه عليه وعلى

آله وصحبه أجمعين .

وهي تكشف عن الاتجاه الاسلامي العام في سياسة الرعية وعلى وجوب تحلي القائد بالصفات النبيلة التي دعا اليها الاسلام ، وهذه الصفات لو تجمعت في قائد لارتقت ادارته أو منظمته أو المجتمع الذي يرعاه ويشرف عليه لأدى الى نجاح منقطع النظير ، والى هذه المقومات في القيادة الاسلامية يرجع السر في النجاح الذي حققته البشرية في عصورها الذهبية والذي يمكن أن تحققه في تاريخها الحديث اذا حافظت عليها واتسمت بها.

* ونرجو أن يعطي هذا الجانب من البحث فكرة عن القيادة الحقيقية التي رسمها الاسلام لتكون ضوءا يستضاء به في تربية الشباب وعونا لمن يعدون ويدربون لتولي الشئون العامة ، والاشراف عليها ووضعها موضع التطبيق الفعلي في سياسة الأفراد ، وقيادة الجماعات ، حتى تصل الأمة الى ما يرجوه لها كل مخلص لدينه وأمته .

(د) الاسلام أكثر تفهما لمعنى الشخصية القيادية :

ان الاسلام أكثر تفهما لمعنى الشخصية ذات القيادة الادارية وقد ذكرنا أهم مقومات القيادة الصالحة ، والادارة الناجحة في الاسلام وربما تبدو الصعوبة في تحقيقها ، وقد يكون حملها ثقيلا ، ولكن الرجال المؤمنين هم الذين يتحملون الصعاب ، ويؤمنون بالمستقبل ويقبلون على العمل بصدر رحب ، لا يخافون من شيء ، وكيف يخافون وعندهم الطمأنينة ، ولديهم كتاب الله فيه الهدى والرشاد ؟ . لا يخشون في سبيل الواجب أحدا وكيف يخشون ومعهم الله ؟

انهم يندفعون الى العمل ، وهم على يقين أنهم سينتصرون رغم ما يلاقون من نصب وجهد وألم !! ، انه نصب وجهد وألم ، ولكنه شهادة على الثقة في الله ، وبيان عن أصالة الجوهر ، ودليل على صفاء الطوية ، وبرهان على أن المسلم لا تكون أثقاله من دنياه أثقالا على نفسه ، بل تكون له أسباب قوة ، وزيادة يقين وايمان ، وطريقا الى أسمى غاية وهي النصر (**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ**) .

هذه هي أهم مقومات القيادة في ضوء تعاليم الاسلام ، عل من يتدبرها ممن يتصدون للقيادة أن يجد فيها ما ينير له الطريق ، ويأخذ بيده الى قيادة أفضل ، ويحقق له ولمجتمعه النجاح .

ولعلي في هذه العجالة أكون قد أوضحت الفكرة التي قصدت اليها وهي أن الاسلام أكثر تفهما للشخصية السوية ، وأسبق تعرفا على القيادة الرشيدة في مجال الحكم والسياسة والنواحي الادارية .

وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ..

محمد صابر البرديسي
مجمع البحوث الاسلامية

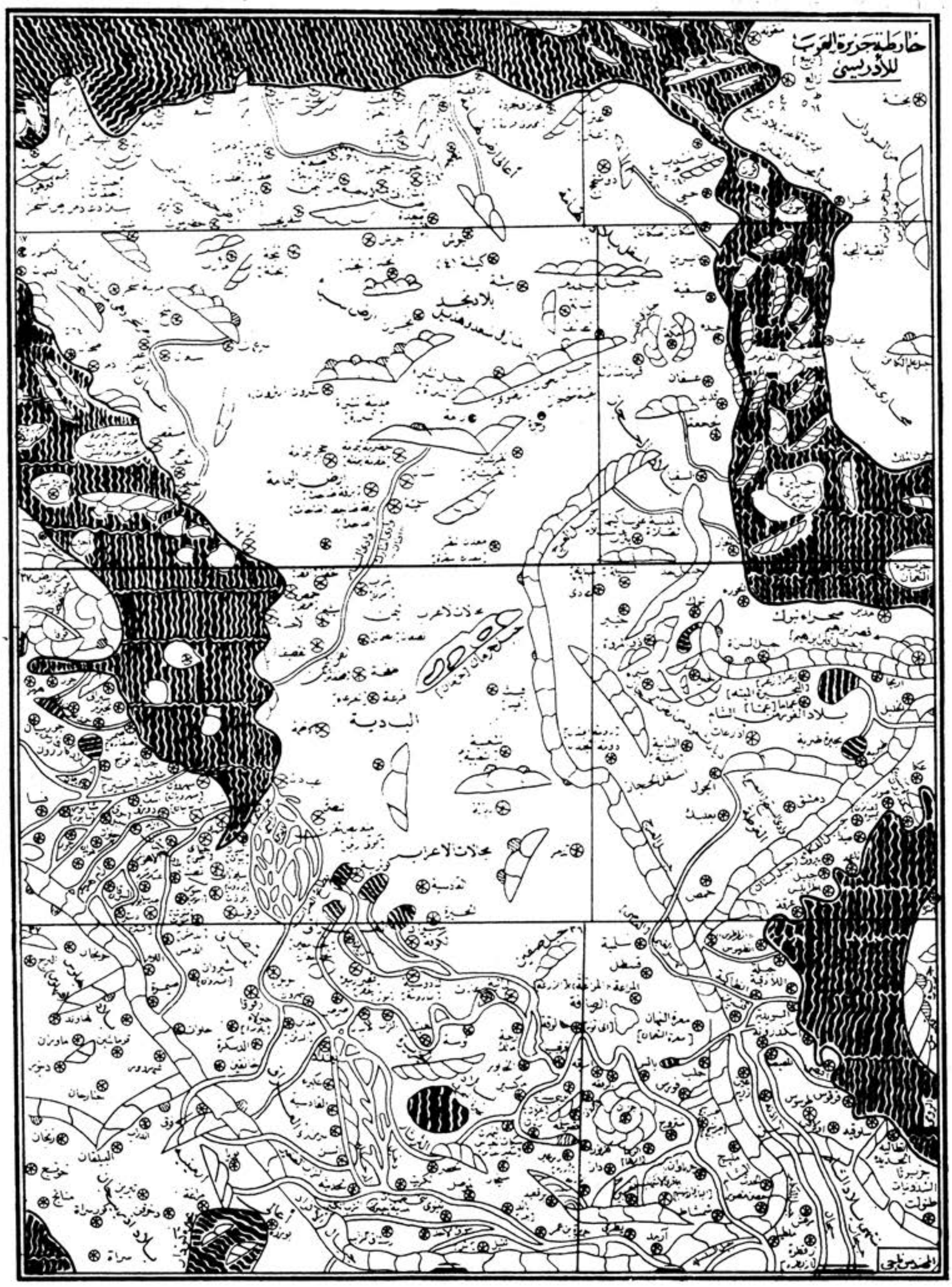

خارطة جزيرة العرب : خارطة الشريف الادريسى المتوفى سنة ٥٦٠ هـ ١١٦٤ م نقلت من الخارطة الاصلية التى جمع أجزاءها المتفرقة العالم المستشرق الالمانى (كونرادملر) وقد روعى فى النقل الامانة والمحافظة على شكلها الاصلى المقلوب على الطريقة الغربية القديمة ، ان الشمال فيها يقع أسفل الخريطة والجنوب اعلاها .

من أعلام الأزهر

الأستاذ الشيخ

كامل محمد حسن

وكيل كلية اللغة العربية السابق

لست بسبيل التعريف بفضيلة الاستاذ الشيخ كامل محمد حسن فهو غنى عن أن أذكيه بكلمة ، وليس بين رجال الازهر وطلابه فى رحاب العلم الواسعة من يجهل اسم أستاذنا أو من لم يقرأ له مقالا أو فصلا من فصول المعرفة ، وفى قاعات الازهر ومحافله له نصيب وافر وسهم نافذ .

غير أنى لا أجد مندوحة عن ألم بأطراف حياته بما يقرب تناوله ويطيب جناه بقدر ما يسمح به المقام .

ولد — رحمه الله — فى السادس من يونيو عام ١٨٩٦ م فى قرية السعودية مركز العياط محافظة الجيزة ، وتلقى تعليمه فى الازهر وتخرج فية عام ١٩٢٥ .

ونال الشهادة الأولية وكان ترتيبه فيها الثانى .

والشهادة الثانوية وكان ترتيبه فيها السابع والشهادة العالمية وكان ترتيبه فيها الثالث .

وكان قد تقدم لمسابقة العلوم الحديثة ونجح فيها وقام بتدريس الحساب والعلوم والجغرافيا . وألف كتابا فى الوضع لطلبة كلية اللغة العربية ، وأهداه لهم بلا مقابل .

مناصبه العلمية :

عين فى معهد طنطا الدينى فور تخرجه عام ١٩٢٥ — ثم نقل الى معهد دسوق عام ١٩٣٢ وظل ينتقل فى سلك التدريس حتى صار وكيلا لكلية اللغة العربية — جامعة الازهر عام ١٩٤٩

للأستاذ /
محمود عبد الرازق عقباوى

وظل يشغل هذا المنصب الى سن التقاعد فى ١٦ من يونيو ١٩٦٠ ، ووافاه أجله فى أول رمضان ١٣٨٩ هـ الموافق للحادى عشر من نوفمبر ١٩٦٩ .

مجالسه العلمية :

وكانتله مجالس علمية ، ومنها مجلسحظيت فيه بنادرة ، فقد كنت بزيارته بمنزله بحدائق حلوان فسألته عن فتوى الامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر فى جواز التعامل مع البنوك وأخذ أرباحها فقال لى أستاذنا الشيخ كامل : لقد قلت له : يامولانا هذه الفتوى فى عنقك وستتحملها أمام الله يوم القيامة فقال لى : ياشيخ كامل « أنا ألغيت هذه الفتوى وأرسلت الى الصحف بذلك وكان ذلك قبل انشاء البنوك الاسلامية (١) .

موقفه

كانت حياته تمتلىء بمظاهر الانتماء الى الازهر الشريف معقل الدين وحصن اللغة ذلك المعهد الذى أذاب فيه حياته وأفنى عمره خادما لهمتفانيا فى سبيل رقيه والعمل على انهاضه يدفع عنه ملمة ويدرأ عادية ويقهر عدوا ، يتحدث بعاطفة صادقة ملتهبة اذا رأى مايخالف الدين ولو كان فى ذلك حتفه ، ويثور اذا ما رأى باطلا أو فرية دخيلة على الدين .

وكتب مقالا فى مجلة الاعتصام عدد جمادى

●

(١) أشهد الله أنى سمعت مباشرة من الشيخ عبد الرحيم فوده — رحمه الله — برجوع فضيلة الامام الاكبر الشيخ شلتوت عن فتوى له فى الربا فى واقعة زيارة له ويعلم بذلك فضيلة الشيخ فوزى بركات — رحمه الله — ايضا وان الامام — رحمه الله — أبدى رغبته صريحة فى رفعها من كتابه ؟ على الخطيب

من أعلام الأزهر

الأولى سنة ١٣٨٨ هـ ـ أكتوبر سنة ١٩٦١ ص ٣ بعنوان (هل ينتقل الازهر الشريف الى وطن آخر غير مصر) ؟

جاء فيه :

« للأزهر ماض مجيد عزت به مصر دهرا طويلا ، وقد شاء الله أن يعمر فيها أكثر من ألف سنة ، وهو يؤدى للعالم الاسلامى رسالته الدينية وما يتصل بها من دراسات عميقة فى الثقافة العربية التى تخدم كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وبذلك كان الازهر للعالم الاسلامى كالماء يسوقه الله الى الارض الجرز فتحيا به بعد موتها وتؤتى أكلها كل حين باذن ربها .

ولقد كسبت مصر فى ظل الازهر زعامة البلاد الاسلامية وهو الذى جعلها موضع الانظار فيما أفاده من المعارف الدينية والخدمات الوطنية وتوثيق الروابط بينها وبين جميع الاقطار الاسلامية عن طريق البعثات التى يرسلها والتى تفد اليه للتزود من علومه ومعارفه عن رغبة ملحة ليتفقهوا فى دينهم ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ، تلك المكاسب الدينية والاجتماعية هى التى رفعت من شأن مصر حتى انطلق بعض ذوى الشأن فى بلاد الحجاز بالقول المأثور « ان فى بلادنا الكعبة المشرفة والقبر النبوى ولم نكسب ماكسبته مصر فى ظل الازهر .... وقديما كانت الصلة قوية بين الحكام والعلماء وكان ما يتصل بالدين موضع العناية والرعاية من الجميع فتجاوب ولاة الأمور مع علمائهم ومكن لرجال الدين فى ظل سلطانهم وبذلك صلحت المجتمعات وطبقت مبادىء الدين القويمة بين الافراد والجماعات ومصداق ذلك قول الرسول الحكيم ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ

« صنفان من أمتى اذا صلحا صلح الناس كلهم واذا فسدا فسد الناس كلهم : العلماء والامراء » .

هكذا كان الازهر فى ماضيه فكسبت مصر زعامتها فى ظله وهكذا امتد به الزمن الطويل وهو يؤدى رسالته حتى شهدت له قضية البقاء للأصلح فصمد قويا لم تضعف هيبته أمام التيارات الالحادية ـ بل عاش للدين والدنيا وكان للعالم عنوان الهداية والرشاد وكان للعلماء صولة وجهاد وكانت لهم الكلمة المسموعة النافذة فى كل واد »

اذا ادعوا جاءت الدنيا مصدقة
وان دعوا قالت الأيام آمينا

حقا ما قاله أستاذنا فمن نعم الله سبحانه وتعالى على الأجيال أن قيض لها علماء مصلحين ينشرون الدين بالمقال والحال وهؤلاء هم خلفاء الله فى أرضه والدعاة لدينه وهم لازمون لعلاج أدواء الروح لزوم الأطباء لعلاج أدواء الجسد وموقعهم من الملوك موقع أسماعهم التى بها يسمعون وأبصارهم التى بها يبصرون وألسنتهم التى بها ينطقون وأيديهم التى بها على الأعداء يبطشون .

والحمد لله حفظ الله للأزهر مكانته وصبغته حتى بقى هذا العهد الجديد شمسا زاهية وضاءة تبعث الحياة الروحية فى قلوب المسلمين ويبقى لمصر الاسلام والعزة والفخار بين العالمين .

وقال من محاضرة ألقاها فضيلته بقاعة المحاضرات الأزهرية الكبرى (١) تحت عنوان (أهداف الرسالة الاسلامية وبيان الصلة بين رسالة الأزهر ورسالة نبى الاسلام) .

« ثلاث وعشرون قضاها نبى الاسلام صلوات الله وسلامه عليه فى جهاد وجلاد فى سبيل الدعوة الى الله وقد بدأ تاريخ هذا الجهاد النبوى من يوم أن وجه الله الخطاب لنبيه بقوله « يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَاتَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ . وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ولم يزل يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة وقد أتم الله عليه وعلى المسلمين نعمة الايمان والاسلام وامتن عليهم فى نهاية الامر بقوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (١) وان من يستعرض سيرة رسول الله محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه يلتمس فيها أهداف رسالته التى بعث من أجلها وقد حققها الله له بعد جهاد طويل أمكنه أن يحصرها فى أمور ثلاثة .

أ ـ اصلاح العباد فيما بينهم وبين ربهم .

ب ـ اصلاح حال العبد فيما بينه وبين نفسه

جـ ـ اصلاح حال المجتمع الاسلامى .

وواجب كل فرد نحو هذا المجتمع الذى يعيش فيه تلك أهداف ثلاثة يرتبط بعضها ببعض ، وأولها يعتبر أساسا لثانيها ، وثالثها وسعادة العبد فى دنياه وآخرته لا تتم الا بتحقيق هذه الاهداف .

واذا كان الاسلام دين قوة وعزة فان مظهر تلك القوة وهذه العزة متصل تمام الاتصال بقوة المجتمع وعزته ومبلغ تمسكه بمبادىء دينه .

وعن الهدف الأول يقول رحمه الله .

(واذا أراد المسلم أن يعرف من أين يبدأ عمله فان له برسول الله أسوة حسنة ، فقد بدأ عمله بتحقيق الهدف الاول وهو : اصلاح حال العباد فيما بينهم وبين ربهم وذلك بتصحيح عقائدهم أولا وتطهير قلوبهم من دنس الشرك وظلام الالحاد والوثنية حتى يؤمنوا بالله عن بينة ويصدروا أعمالهم عن ايمان صادق وتوحيد خالص وعقيدة ثابتة تقوم بالاشراف على أعمالهم حتى تصادف المنهج النبوى ، فان القلوب اذا أخلصت والنفوس اذا صفت زال عنها الحجب وصلحت للمدد الالهى وكان الله لأصحاب تلك القلوب عونا فى كل شدة وآخذا بيدهم عند المحنة وهاديا لهم الى سواء السبيل .

وعن الهدف الثانى يقول « واذا عرف المسلم من أين يبدأ العمل وعرف أن الاساس الذى

(١) ألقيت مساء الثلاثاء غرة جمادى الاخرة ١٣٧٩ هـ الاول من ديسمبر ١٩٥٩ م الدورة الاولى الموسم الثقافى الثانى للمحاضرات العامة ١٣٧٩ ـ ١٩٦٠ وطبعتها « مطبعة الازهر » .

(١) المائدة ٣ .

تبنى عليه الاعمال هو اصلاح القلوب وتطهير النفوس وصدق الايمان أدرك أن القلوب المؤمنة ينبعث منها نور العقلية الانسانية الراجحة ، وأن النفوس الصافية تنبت فى ظلها شجرة الضمائر الاسلامية الواعية وأن القلوب اذا عمرت بالايمان قامت منها رقابة دينية على ضمير الانسان تقف به عند حدود الله ، فان الرقابة الدينية أوسع مدى من رقابة القوانين الوضعية لأنها تربط القلوب بعلام الغيوب الذى يعلم السر والنجوى .

الهدف الثالث وهو اصلاح المجتمع وواجب كل فرد فى المجتمع الذى يعيش فيه اذ عنى الاسلام باصلاح المجتمع ، لأن قوة الاسلام وعزته يرتبط مظهرهما بقوة المجتمع وعزته ، فالمجتمع القوى المتماسك بمبادىء دينه يستطيع المناضلة عن وطنه والدفاع عن شرف الأمة الاسلامية ويحقق التعاون المنشود فى السياسة الدينية والشئون الاقتصادية وحسن الانتاج فيما يتطلبه الاعداد المطلوب فى قول الله عز وجل « **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** » (١) والمجتمع المتأرجح بين القوة والضعف يهىء بضعفه الفرص السيئة للمتربصين من أعداء الدين .

لذا عنى الاسلام بما يحفظ للمجتمع الاسلامى قوته وعزته وتضافر الكتاب والسنة على وضع المبادىء والآداب الاجتماعية وحث المسلمين على رعايتها والتمسك بها كوسيلة لتوثيق الروابط بين الأفراد والجماعات .

ورثة الرسالة الاسلامية

لقد ورث المسلمون عن نبى الاسلام أعظم رسالة دينية رسمت لهم من مبادىء دينهم ما يصلح شأنهم فى كل زمان ومكان الى أن تقوم الساعة وأول من استخلفه الله على هذه الرسالة بعد الرسول صلوات الله وسلامه عليه هم الخلفاء الراشدون فكانوا خير من تمسك بها (**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ** (٢) ثم اختار الله لهذه الرسالة فى كل عصر صفوة العلماء ليكونوا حراسا عليها أمناء على تبليغها قائمين على أمرها حتى طلعت شمس هذه الرسالة فى سماء الازهر الشريف فكان هذا المعهد العتيد حصنا للشريعة الاسلامية ومعينا فياضا للبلاغة العربية وقد مضى عليه أكثر من ألف عام وهو يضطلع بهذه الرسالة حتى شع نورها على العالم الاسلامى فى مشارق الارض ومغاربها ، وبذلك صار الأزهر كعبة يقصد اليه طلاب البعوث الاسلامية من كل فج .

الصلة بين رسالة الازهر ورسالة نبى الاسلام:

ويقول رحمه الله تعالى « من ذلك ترون أن رسالة الازهر هى رسالة نبى الاسلام ولا ينجح علماء الازهر فى أداء هذه الرسالة الا بما نجح به نبى الاسلام ، والمتتبع للجهاد النبوى والمسلك الذى سلكه فى دعوة الناس الى ربهم، وكيف نجح فى تبليغ دعوته وأداء رسالته يجد قيامها على عاملين هما :

(١) الانفال ٦٠ .

(٢) الزمـر .

الدعوة القائمة على البيان والارشاد والاقناع أولا .
ثم عامل الجهاد ثانيا .

فقد بدأ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رسالته بدعوة الناس الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتوجيههم الى النظر فى الآيات والآفاق حتى استطاع بحكمته السامية وحجته الباهرة أن يستخلص من الجاهلية الجهلاء أمة اسلامية كانت خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون — وبهذا البيان أخرج الناس من الظلمات الى النور وأوضح لهم معالم الحلال والحرام — وبهذا البيان آمن بالله من آمن عن بينة وحى من حى عن بينة ولكن مع ذلك كله وجد فى الناس ما يوجد فى كل مجتمع من شذوذ فمنهم من سمع وعرف الحق وعرف الرسول كما يعرفون آباءهم وأبناءهم ولكنهم تخلفوا عن الايمان ولم يتذوقوا حلاوته ولم يكن لهم نصيب من هدى النبوة ومن بين هؤلاء المخالفين قامت طائفة معارضة للدعوة الاسلامية وقفت وراء الحجاب ولم تستجب لله ولرسوله عاندوا وتآمروا على وضع العقبات فى سبيل هذه الرسالة وقلب النظام الذى جاء به محمد رسول الاسلام ، وكادت فتنتهم تزلزل هذه الدعوة لولا أن أسعف الله نبيه بالعامل الثانى وهو عامل الجهاد والسلطان فهو الذى يعالج به من لا يخضع للحق ولا يأبه للاقناع بالحجة والبيان لذلك أمر رسول الله بالجهاد ليحصن دعوته من العبث وليؤمن المسلمين على أنفسهم واستقرارهم فى أوطانهم وبذلك الجهاد أسعد الله الناس بنعمة الاسلام برغم أنوفهم ولو كره الكافرون .

قام الازهر اذن لحمل رسالة نبى الاسلام فأدى الامانة العظمى كاملة وكان المشعل القوى الذى يهدى المسلمين الى الصراط السوى .

العوامل التى وقفت عقبة فى سبيل رسالة الازهر :

سياسة الاستعمار قام الازهر ضد المستعمرين بثوراته الوطنية القوية المشهورة وبرغم أن الأزهريين عزل من السلاح فقد كانت عقيدتهم الدينية أمضى من سلاح المستعمرين فأتعبوا المستعمر الفرنسى ودوخوا من بعده المستعمر الانجليزى — وكان للازهريين موقفهم المشهور فى ثورة ١٩١٩ ومن ذلك التاريخ أيقن المستعمرون أن العقيدة الدينية هى أقوى العوامل فى مقاومة الاستعمار اذ أن مبادىء الدين الاسلامى لا تتفق ومبادىء الاستعمار لذا عنى الانجليز بدراسة الازهر فوضعوا التقارير التى ترسم الخطط لتغيير نظام الازهر حتى يخضعوه وقد جاء فى بعض تقاريرهم .

« أن قدم انجلترا لا تستقر فى مصر مادام الأزهر يدرس هذا الكتاب » يعنى القرآن الكريم وقد ربط اللورد كرومر فى كتابه « مصر الحديثة » ثبات الاحتلال وتنفيذ سياسة الاستعمار باضعاف الازهر وتغيير نظامه حتى يطغى عليه نظام التعليم المدنى وينصرف الناس عنه ورسم بعض كبار الانجليز خطة لاضعاف الأزهر بحجة توحيد التعليم فيه تحت وصاية المستشار الانجليزى وكأنه استبعد تحقيق هذا

من أعلام الأزهر

الهدف فقال بعد هذا فى تقريره « فــاذا تعذر هذا الاندماج من جانب الأزهر فيجب رعايته»

الاقلام المأجورة المهجورة

ومما ساعد المستعمر بعض ذوى الاقــلام المهجورة فقد كان للاستعمار عملاء يستخــدم أقلامهم فى كل فرصة للحط من شــأن الازهر والنيل من كرامة أهله حتى يهونوا على المجتمع ومحاولة بعضهم توحيد التعليم فى بلادنا ولو تم لهم ماأرادوا من توحيــد التعليم لألزموا أطفالنا بالتقدم الى مرحلة التعليم الأولى وهم فيما بين السادسة والثامنة وحينئذ لا يوجــد واحد من أبناء المسلمين يتفرغ لحفظ القرآن الكريم .

« **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّــهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْكَرِهَ الْكَافِرُونَ** »

ومن العوامل التى تنفث سمومها ضد الأزهر ومبادىء الدين ما يقوم بــه بعض المحررين فى ذلك العهد فى الصحف والمجلات مــن نشر المقالات المشككة فى العقيدة ليضلوا بها أذهان الشباب والعوام الذين يجهلون سر الشريعة وليس لهم من علم يدفعــون بــه الشبهــات فينتهزون الفرص لنشر مقالات تشكك فى وجود الله وتستفهم من الشباب الجاهل هل تعتقــد صحة البعث والحساب ؟ وأنك تحيا بعــد أن تموت ؟ وكثيرا مايدعو بعض المحــررين الى الاختلاط ونشر الصور العارية المغرية عــلى الفساد ، ومن المؤلم أن هــذه الصــحف وتلك المجلات تعرض عن نشر المقالات الدينية الداعية الى التمسك بمبادىء الشريعة وتفسح صدرها للهدامين فأصبحت بعض المجلات الدينية هى المجال لمن أراد أن يكتب من العلماء وهى قليلة وقراؤها من الجمهور قليلون ــ ومن هنا كثر اللوم على العلماء كلما رأى الناس هذه المنكرات منتشرة فى كل مكان ولكن لهذه العوامل ولغيرها نجد أن لوم العلماء لا محل له فــان الله يزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن وان كان على العلماء أن يضاعفوا من جهودهم فى سبيل الله والدعوة الى الفضائل .

رحم الله أستاذنا فما فرط فى جلاده عــن الازهر يوما ولا تسمح فترة فى أن ينال منه أحد منالا ولا فترت له فى الــدفاع عنه همة وقــد جهر بكلمته ليوقظ رجال الازهر لرفع الغشاوة عن عيونهم ليكون الازهر داعى العلم ورائد الرقى ومبعث الحركة فهــو النفيســة والكنز الثمين فان أضعنا الفائدة منه كنا كمن رجــع بصفقة المغبون .

أدى شيخنا الرسالة الواجبة عليه فى دوائر العلم بحصيلة عظيمة من الثقافــة العاليــة التى ألم بهــا فى ســن مبكرة ببصيرته النافذة التى تقول : هذا حلال وهذا حرام وتبنى على ضوئها الاحكام وماينشده من يقظة شاملة وبديهة واعية عن نفس عازفة عن ضــجيج الاعــلان وطنطة الظهور ــ وبهذا عاش فى أزهرنا معزز المكانة أثير المحل وبقيت أعماله زادا وعتادا .

محمود عبد الرازق عقباوى

الفلسفة والإعلام

وسائل الإعلام

المجتمع الإسلامي

في التليفزيون

وسائل الاعلام :

المجتمع الاسلامي

في التليفزيون

لئن كان الاستعمار والصهيونية ، وجميع القوى المعادية للاسلام ــ قد سخروا وسائل الاعلام لحرب الاسلام .

ولئن كانت هذه الدوائر المعادية للاسلام قد استخدمت « السينما والتليفزيون » استخداما خبيثا حتى ان برامج الأطفال فى « التليفزيون » لم تسلم من عبثهم .

لئن كانوا جميعا يفعلون هذا كله .. ، فان من واجبنا ــ نحن المسلمين ــ أن ننبه لهذا اللون من الدعايات وأن نتنبه لهذه المداخل التى ينفثون سمومهم من خلالها ، وأن نحفظ وسائل الاعلام العاملة فى المجتمع الاسلامى من شرور هذه الدوائر المعادية للمسلمين والاسلام .. !

ومن واجبنا أن نشغل أنفسنا باصلاح وسائل اعلامنا ووضعها على الطريق السوى الذى يفيدها ويفيد المجتمع .. بدلا من كونها فى واد وواقع حياة المجتمعات الاسلامية فى واد آخر .. !

ونحن نسأل .. أليس من واجب المسلمين ــ وهم على حالتهم التى نراها ــ أن ينتبهوا الى أهمية « الفيلم » التليفزيونى « والبرنامج الدرامى » ، ويستخدموه كسلاح من أجل اسلامهم ؟

ان اليهودية تدافع عن نفسها بشتى الطرق .

والصليبية تفعل نفس الشىء .. ولعلنا نذكر أفلاما لهم مثل « الرداء » و « الوصايا

للأستاذ حسن علي العنيسي

العشر » و « بن هور » .. !

واذا نظرنا الى ما نفعله نحن بتاريخنا الاسلامى فى المسلسلات لوجدنا عجبا .. وتزويرا وتشويها لا يجرؤ أعداء الاسلام على فعله ، كما نفعل .. !! ولهذا نقدم هذه الدراسة تشتمل على الاطار التالى : —

١ — لمحة سريعة عن تاريخ دخول « التليفزيون » بلاد المسلمين .

٢ — واقع المجتمع الاسلامى وحاجته الى التليفزيون .

٣ — المضمون الاعلامى الذى يقدمه التليفزيون ومدى ملاءمته لواقع المجتمع الاسلامى .

٤ — تليفزيون يعبر عن واقع المجتمع الاسلامى .. كيف ؟ ولماذا ؟

٥ — خاتمة .

دخول التليفزيون الوطن الاسلامى : —

بداية أود أن أشير الى انتشار التليفزيون فى كافة أنحاء العالم ، ثم بعد ذلك أقدم الوطن الاسلامى على وجه الخصوص لتكتمل الصورة أمام القارىء .

١ — ينتشر التليفزيون — الآن فى جميع بلاد العالم تقريبا خلا بعض بلاد أفريقيا ودويلات فى آسيا ، بينما يبسط ارساله الآن على حوالى (١٣٣) دولة من دول العالم .. وقد وصل عدد أجهزة الاستقبال — حسب آخر الاحصاءات فى العالم — نحو ٣٦٦ مليون جهاز استقبال ، بمعدل ١١٧ جهاز لكل ١٠٠٠ الف نسمة ويوجد الآن جهاز تليفزيون لكل ٤ أشخاص فى دول أوربا والاتحاد السوفيتى ، وجهاز واحد لكل ١٢ شخصا فى أمريكا ، وجهاز واحد لكل ٤٠ شخصا فى البلاد العربية وآسيا ، وجهاز واحد لكل ٥٠٠ شخص فى أفريقيا (١) .

هذه الأرقام تؤكد لنا حقيقة هامة وبخاصة فى مدى اعتماد الدول التى ترتكز فى سياساتها على أساس (أيديولوجى) ففى الاتحاد السوفيتى لكل أربعة أفراد جهاز تليفزيونى فضلا عن نوادى الاستماع والمشاهدة الجماعية وذلك لتأكيد مبادىء الشيوعية وحمل رجل الشارع العادى على الاعتقاد بها .

٢ — واذا ما انتقلنا الى بلاد العالم الاسلامى — نجد أن أول دولة بدأ بها « البث التليفزيونى » كانت الجزائر فى عام ١٩٥٦ ثم تلتها العراق فى ١٩٥٨ ثم مصر وسوريا فى عهد الوحدة عام ١٩٦٠ .. (١) ثم بقية بلاد

(١) الفن الاذاعى — العدد ٩٦ ، السنة ٢٦ — يناير ١٩٨٣ ، ص ٩ .

(١) ماجى الحلوانى — الاذاعات العربية — القاهرة ١٩٨٠ .

العالم العربى ففى ١٩٦٣ أقامته السودان وفى ١٩٦٤ أنشأه اليمن فالسعودية عام ١٩٦٥ وهكذا حتى كانت آخر الدول العربية امارة عمان فى نوفمبر ١٩٧٤ ونظرا لأن تكاليف اعداد « التليفزيون » بأية دولة باهظة جدا .. فقد جاء متأخرا عن « الراديو » بكثير فانه يحتاج الى استوديوهات ضخمة فى « الدراما » على وجه الخصوص .ويحتاج الى معدات مكلفة ، الى جانب غلاء ثمن أجهزة الاستقبال . ومعظم بلاد المسلمين تقع فى عداد الدول الفقيرة . وبالتالى فان متوسط دخل الفرد لم يكن يساعده على شراء جهاز استقبال « تليفزيونى » (١) .

هذا . فضلا عن تكاليف الصيانة لهذه الأجهزة ، وتكاليف البرامج ، الى جانب التشغيل وادارة محطات الارسال مما يحتاج الى (كوادر) مؤهلة سواء فى الجانب الفنى أم الاعلامى وهو ما لم يكن متوفرا فى بلاد المسلمين — آنذاك .

واذا كان عدد أجهزة الاستقبال فى العالم الآن نحو ٣٦٦ مليون جهاز تقريبا فان عدد أجهزة « التليفزيون » فى البلاد الاسلامية جمعاء نحو ٤٠ مليون جهاز أو أكثر قليلا يشاهده حوالى مليار مسلم وهو عدد المسلمين فى العالم (٢) .

ولما كان معظم بلاد المسلمين يقع فى قارتى آسيا وأفريقيا فان متوسط عدد الأجهزة فى آسيا والبلاد العربية جهاز واحد لكل ٤٠ شخصا وهى نسبة تبدو معقولة اذا توافر الى جانبها نوادى المشاهدة الجماعية ، كذلك يوجد فى بلاد العالم الاسلامى حوالى (٢٣٩) محطة ارسال تليفزيونى ، وحوالى ٧٨ محطة تقوية (٣) منتشرة فى أرجاء الوطن الاسلامى.

وينتشر هذا الكم من أجهزة الارسال والاستقبال فى أرجاء هذا الوطن على مساحة قدرها ١٥٫٠٠٠ كم تقريبا ممتدة من روسيا والصين شرقا حتى المحيط الاطلنطى غربا وتوجه ارسالها الى مليار مسلم فى الوطن الاسلامى .

ولكــــن ..

الى أى مدى يحتاج المجتمع الاسلامى الى هذا الكم من أجهزة الارسال والاستقبال؟ وهل يلائم واقع المسلمين ما تقدمه أجهزة التليفزيون الى المسلمين .. !؟

وما مدى حاجة المجتمع الاسلامى الى هذه الأجهزة .

هذه الاستفهامات وما توالد منها تطرح نفسها أمام الباحث .. !!

---

(١) المعروف ان الارسال التليفزيونى بدأ فى العالم عقب الحرب العالمية الثانية ، وانتشر قبل ذلك على نطاق ضيق فى لندن فى ١٩٣٦ بينما اول دول عربية دخلها كان فى ١٩٥٦ اى بعد مضى عشرين سنة على ظهور التليفزيون فى العالم .. !

(٢) ماجى الحلوانى — المرجع السابق .

(٣) ماجى الحلوانى — نفس المصدر .

*** واقع المجتمع الاســـــلامى ٠٠ والبث « التليفزيونى » : —**

فى الحق ان واقع المجتمع الاسلامى لايسر، ولا يرضى أى مسلم يعلم علم اليقين أن العزة جزء من عقيدته وكيانه ٠٠ والحديث عن واقع المجتمع المسلم فى أى شىء يثير القلق ٠

* ان اشـــارة الى بعض هــذا الــواقع المتصل بالجانب الاعلامى توضــح الصــورة أمام من يريد الاصلاح ، أو يرغب فى التقويم ٠٠ واليك هذه الصورة : —

* ومسائل الاعلام الحديثة وبالتحــديد « الراديو » و « التليفزيون » و « السينما » و « المسرح » و « الفيديو » و « الكاسيت » ٠٠ الخ ٠

كل هذه وسائل لم نصنعها ٠٠ وانما أتت الينا ٠٠

فهل أحسنا استخدامها ؟

أم حققنا للغرب ما يريده لنا من امدادنـــا بهذه الوسائل ٠٠ !!

هذه واحـــــدة ٠٠

*** أما الثانية ٠٠ فان بلاد المســلمين على اتساع رقعتها وأهمية موقعها ، مازال ســوقا لتصريف هذه المنتجات بلا ضوابط أو قيود أو رقابة ومن هنا يأتى الغزو الفكرى لنا فى عقر دارنا بل وبأيدينا ٠٠ !!**

***أما الثالثة وهى قاتلة حقا ٠٠ فانه مــع زيادة انتشار التليفزيون واتســاعه وجــدت الدول الاسلامية نفسها مضطرة للاعتمـــاد على استيراد مواد أجنبيــة لمــلء ســاعات الارسال بها ، اذ أنها ليست قادرة على تغطية ساعات الارسال بها بمواد من الانتاج المحلى وذلك لأن المجتمع الاسلامى فى معظم بــلاده يفتقر الى رأس المال والى الخبرة فى مجالات الانتاج والتشغيل ٠**

*** ثم اذا نظرنا الى تكــاليف اســتيراد البرامج التليفزيونية لوجدناه أقل بكثير — فى معظم الأحيان — من تكــاليف انتــاج هــذه البرامج محليا مما يغرى وحـــده باستيرادها ، فعلى سبيل المثال نجد البرنامج الذى يتكلف ١٠٠ ألف دولار يباع فى الدول النــامية على أقصى تقدير بحوالى ٥٠٠ دولار (١) ٠**

ومن هنا تندفع دول العالم الاســـــلامى الى شراء البرامج بدلا من انتــاج ما يمــلأ الفراغ محليا ٠٠ وناهيك عما لهذه البرامج من آثار سيئة على النشء فى بــلاد المســلمين ، وسبق أن قدمنا بحثا فى هذا الشــأن بهــذه المجلة (٢) ٠

ولقد وجدت الــدول الكبــرى ضـــالتها المنشــودة فى تصدير برامجهــا الى الــدول الصغيرة وهو ما نحذر منه فتم فى أحيان كثيرة عن طريق اطار رسمى تحت ستار التعــاون الاعلامى فتم غزو بلاد المسلمين بأمــوالهم أنفسهم !!

الحق ٠٠ ان واقع الاعــلام فى مجتمعنــا الاسلامى مثير للقلق والأسف معا ونحن مــن

(١) راجع
Hifizi Topuz: Courier Magazine. Unesco. Pares. April — 1977. P. 16.

(٢) راجع مجلة الازهر عدد رمضان ١٤٠٣ هـ

هذا المكان .. من منبر اعــلام الأزهــر .. مطالبين دول العــالم الاسلامى وبخاصة أن مؤتمرا اسلاميا عالميا سوف يعقد بديارنا قريبا ننبه العالم الاسلامى أن يأخذ بعين الحــذر ما يقدم له من برامج سواء منها ما كان عــلى سبيل الهدايا أو المنح أو ما كــان فى صــورة تبادل برامج .. الخ !!

كذلك فان واقع المجتمع الاسلامى يســمح بمخطط اعلامى محدود الحركة جدا .. نظرا لما يسود هــذا الــوطن من أحــوال يألم لها المسلمون ورغبة فى عدم بسط الشــقاق فيما بينه ؟

لقد استخدمت دول العالم هذه الوســائل الاعلامية لتنمية وتطــوير شــعوبها ولتثقيف أبنائها وتأكيد القيم والمثل العليــا الموجــودة لديهم .. وكم نرجو أن تحذو بــلاد المسلمين حذوهم (١) فهل استخدم بلد مسلم التليفزيون فى محو الأمية مثلا .. ؟!

لا أريد أن أواصل الحديث عن واقع الاعلام فى المجتمع الاسلامى وأولى بنا أن نســتأنف الحديث حول بعض ما تقدمه أجهزة التليفزيون للمسلمين لتكتمل الصورة ولنقف مــع النفس هنيهة .. لنعلم الى أين نحن سائرون .. !

مضـــمون البرامج التى يقدمها التليفزيون فى المجتمع الاسلامى : —

ان الأعلام مرآة المجتمع يعكس مافيه مــن قوة وضعف ، كذلك فانه يسهم فى تجنب مواطن الضعف ويدعم مواطن القوة .

هكذا دائما وظيفة الاعلام القيم فى كل دول العالم .

ورأينا فى السطور السابقة حال المجتمــع الاسلامى .. على ما فيه من أمية تزيــد على ٨٥٪ فى كثير من الدول الاسلامية ولا تقل عن ٥٢٫٨٪ فى أحسنها حالا .. هذا الى ما فيه من ضعف مستوى المعيشة وانخفاضها .. وما فيه من مشــاكل أخر نأمــل أن يطرحهــا المولى — سبحانه — عنه ومن هنا فان من المنتظر أن يكون لمعالجة هذه القضــايا جــانب كبير فى « التليفزيون » وأن تسهم كل وسائل الاعــلام الأخرى بجهودها فى حل هذه الأزمات . ، بينما واقع الحال .. من خلال خرائط البرامج التى وصــلتنى مــن بعض محطــات التليفزيون العربية ، ومما هو منشور فى الصحف العربية والاسلامية — يرينا عجبا .

عجبا يثير الحيرة والدهشة معا .

لماذا يكون اعلام المسلمين بهذا الوضع . ؟

فمن واقع خريطة البرامج لدولة ما نجد أن المضمون المقدم للمشاهد فى واد والواقع الفعلى فى واد آخــر .. ولنقلب معــا بعض هــذه الوريقات .. !!

أولا : بالنسبة للمسلسلات التاريخية :

يلاحظ أن بعض كاتبى هذه المسلسلات غير متخصصين ، وبالتالى لا علم لهم ولا درايــة بأسلوب مؤرخى هذه العصور الذين يكتبــون الأحداث عــن روايــات مختلفة تحتــاج الى متخصص يعلم صدق الخبر من كذبه ونوازع نفس الراوى وعلاقته بالحدث وأصحابه ، قــد يوجد منهم قلة ذات درايــة ما بموضـــوع

(١) تصل مساحة الارسال المخصص للبرامج الدينية وتليفزيونات بعض الدول العربية الاسلامية الى ٥٪ من مجموع ساعات الارسال .

التاريخ لكنها ليست دائما صاحبة الشأن فيما يكتب وليتهم — اذ يكتبون ما يكتبون يتفضلون بعرضه على متخصص لتستقيم المادة ويخرج « السيناريو » على أحسن ما يكون .

والأمر فى « الاخراج » نظير أخيه فى « الكتابة » — ومعروف دور المخرج فى الاعمال « الدرامية » — وجل المخرجين على غير حظ من الثقافة الاسلامية ان لم تكن معدومة لدى البعض مما يجعل محيط معرفتهم بالتاريخ الاسلامى ضئيلا للغاية فيتسبب ذلك فى عدم وضوح الرؤية فتقع المسلسلات فى الأخطاء والاغاليط والتشويهات وذلك اما من أخطاء كاتب « السيناريو » أو أخطاء فى الاخراج « والديكورات » والملابس .. الى غير هذه الاشياء مما يستخدم عادة .

أيضا لاتزال النظرة الى « الأفلام السينمائية » الاسلامية أسيرة الخوف أو التخوف حين تأخذ مادتها من التاريخ الاسلامى وهذا الخوف ناتج اما عن غير معرفة كما أسلفنا آنفا أو حساسية زائدة لا مبرر لها .

وبسبب هذا الخوف يظهر الممثل دائما متجهم الوجه مقطب الجبين ، وكأن المسلمين لا يعرفون البسمة والبشاشة وطلاقة الوجه، والغريب أنه على مدى تاريخ « السينما » الدينية بالذات لم نشهد « فيلما » يقدم لنا المجتمع العربى فى الجاهلية بصدق وكذلك المقدمات التى صاحبت بعثة النبى — صلى الله عليه وسلم .. !!

ولست أدرى لماذا تقدم « أفلامنا » فى « التليفزيون » المسلمين الأوائل وكأن الاسلام قد منعهم من ممارسة الحياة الطيبة.

وأين « الفيلم الذى يصور لنا مثلا مجتمع مكة ذا الطبقية العنيفة) ؟

وأين مجتمع المدينة الذى أسسه النبى — صلى الله عليه وسلم —

ثم كيف كان سكان مجتمع المدينة يتعايشون؟ ويحصلون على أقواتهم .. ؟ ومعاملاتهم ؟

انه يجب أن نلتفت الى « الفيلم » أداة للتعريف بشخصيات اسلامية قدمت للاسلام جلائل الأعمال .. ، وأن نهتم بتطوير هذا اللون من « الأفلام » تطويرا يخدم قضايا المسلمين فى العالم المعاصر فى أسلوب يحافظ على القيم الاسلامية عن حب لها وتقدير لأحكامها فلا يخرج على مارسمت من حدود ، ولا على مادعت من آداب لتظهر الشخصية الاسلامية واضحة »

ولست أقصد من توجيه اللوم الى البرامج الدرامية والمسلسلات « والأفلام » فى التليفزيون العربى عموما وفى الدول الاسلامية خصوصا — لست أقصد من وراء هذا أننا لم نقدم « أفلاما » جيدة أو أن لا توجد بعض « الأفلام » ذات المستوى المعقول .. كلا .. فان هناك بعض الجيد ولا شك .

وأخيرا نتمنى أن يقدم الفيلم فى التليفزيون العربى الشخصية الاسلامية السوية المعاصرة حياتها — بيتها ، كيف تتصدى لمشاكل العصر الحديث جنبا الى جنب مع « الافلام » والمسلسلات التاريخية التى تقدم لنا نموذج الشخصية الاسلامية كقدوة ومثل أعلى يحتذى به الشباب فى حياتهم .

ثانيا وحتى نكون منصفين :

فان الذى يطلبه جمهور الناس فى العادة — هو سلاسل البرامج الترفيهية ، مثل «أفلام» رعاة البقر ، « وأفلام » الجريمة البوليسية ، « والدراما » ، « والكوميديات » ، والمنوعات الرياضية .. ، وكم نأســف اذ نجــد معظم تليفزيونات العالم الاسلامى لا تزيد عن هذه الأشياء فيما تقدمه .. !

ولكـــــن ..

فرق كبير بين أن أقدم للجمهور مايريده .. وبين أن أقدم له مايحتاج اليه ثم أطعمه بمــا يريده .. ، لذا أميل الى « المسئولية» فى ادارة التليفزيون لترعى الصالح العــام .. وتحمى البرامج الجادة ، وتسخر هذا الجهاز لحـــل المشكلات الواقعية فى المجتمع ، وكم نرجــو أن يكون هــدفها « خلق المواطن الصـــالح » فتنظر الى مقومات وجوده وتطرحهــا برامج « تليفزيونية » ناجحة .

من هنا فاننى أسأل ما حاجة مجتمع يبحث أفراده عن لقمة خبز الى أفلام رعـــاة البقــر مثلا ..! ؟

وما قيمة أفــلام الجريمة فى مجتمع أفراده ما تزال الامية تسيطر عليهم .. !؟

فهــل ترانى مخطئـــا اذا قلت ؟ ان برامج التليفزيون فى بلاد المسلمين فى واد والواقع فى واد آخر .. !؟

ان استخدام ساعة أو ساعتين فى اليــوم لارسال « فيلم » هابط ، أو برنامج لا يفيد ، انما هو مضيعه لهذه الوسيلة الباهظة التكاليف، وهى التى تمول بأموال المسلمين .

فما العمل .. ؟ وأين الطريق .. ؟!

رابعـــا :

« تليفزيـــون » يعبر عـــن واقـــع المجتمع الاسلامى ..

واقع المجتمع الاسلامى هو الذى يحدد لى كيف أعالج قضايا المجتمع الاسلامى من خلال التليفزيون .. ! ، ثم ان الامر يحتاج قبــل أى شىء الى صدق النفس ورغبة الاصلاح .. ثم يكون ما يلى :

أ — حصر مشكلات المجتمع الاســلامى الذى يبث الارسال « التليفزيونى » فيه ، لدولة مــا خلال فترة زمنية محددة .

ب — تقديم برامج تحمل أفكارا معبرة عن هذه القضايا ، على أن يراعى المخطط الاعلامى — لهذه الاجهزة — ذلك فى خريطة البرامج.

ثم لنـــا أن نسأل :

— ماذا لو أننا استخــدمنا « التليفزيون » بكامل طاقته فى مؤازرة التنمية الاقتصادية !؟

— وماذا لوا استخدمناه فى معاونة المدارس على تنمية النظام التعليمى ؟ ونستغل هنا مــا « للتليفزيون » من جــاذبية وســهولة وحب الأطفال لـــه .

— وماذا لو استخدمنا قدرة « التليفزيون » على الاقناع والتعليم فى محاربة القيم الهابطة والأفكار الخاطئة ؟

— ثم قضية الأمية .. ان حل هذه القضية

لن يكون الا عـن طـريق « التليفزيون » ·· وايطاليا نموذج يحتذى فى هذا المقام فلنستفد من التجربة الايطالية فى هذا الشأن بدلا مـن استيراد (أفلام) رعاة البقر ·· ؟!

ونأتى بعد هـذا الى أهميـة « الكوادر » الاعلامية القائمة على التنفيذ ومدى جديتهـا ورغبتها فى النهوض بمجتمعها فهى أمر أساسى للنجاح فى هذه المهمة · ان أمـام التليفزيون فرصة كبيرة فى حل مشكلات المجتمع الاسلامى أو على الاقل المعاونة بالرأى فى حـل هـذه القضايا (١) ، اما أن يأتى بسيل من الأفـلام الغربية عن مجتمعنا أو الافـلام الهابطة من الانتاج المحلى ثم يقدمها مضيما بذلك ساعات الارسال الثمينة ·· فان هذا ما لا يقبله عقل ولا يرضاه انسان يحب وطنه ·· ؟!

ثالثا :

اما عن البرامج الدينية فى التليفزيون فلن أتناولها بالنقد أو الدراسة هنا حتى لا أضيف الى الهموم هموما ·· وحسبى فى هذا أن أقول أنها لا تعبر عن واقع المسلمين ولا عن الاسلام بل انهـا لاتركز الا على جوانب العبـادات وتتناسى المعاملات وكأن الاسـلام ليس الا آيات تقرأ فى بداية الارسال ونهايته ·· !!

ولهذا فانه لا توجد برامج دينية بالمفهوم الصحيح فى تليفزيون العـالم الاسـلامى أو معظمها ·

وقد تظل مشكلة العمل التليفزيونى فى بلاد المسلمين منوطة بنقص الكفاءات المتخصصة فى هذا الفن الى جانب استيعابها للفكر الاسلامى جيدا ولذا قد تجد المتفهم للاسلام ولكنه على غير وعى بفن الاعلام أو العكس ونادرا مـا يجتمع الفهم للاسلام وللفن الاعلامى ·· وهذا أمر خطير يجب تداركه ·· !

وختاما :

أود أن أقول ·· ان وسائل الاعلام هى أمل الدولة ـ أى دولة ـ لسـد ثغرات التخلف ، وللمحافظة على الجدول الزمنى للتنمية الوطنية وليست هى وسائل ترفيه فقط ربما انحدر فى بعضها فصار أبواقا للسب والقذف ·· !!

ومـن هنا يتعين على المسلمين أن يتفحصوا بدقة وعناية مدى الاستفادة من هذه الأدوات العصرية ·· ، وليس سرا أن نقول : ان بلاد العالم الاسـلامى بحاجة الى عملية جرد واعادة ترتيب لهذه الوسائل ·· فلنسأل :

لماذا الاعلام ؟

وماذا هى فاعلة به

وبالله تعالى التوفيق والسداد ·

حسن على العنيسى

---

(١) فى نيودلهى يتلقى اكثر من ٣٠,٠٠٠ طالب دروستهم عن طريق التليفزيون، وفى المغرب حوالى ١٤٠,٠٠٠ تلميذ .

طرائف

المرء على دين خليله

قال عليه الصلاة والسلام : « المرء مع من أحب » وقال عبد الله بن مسعود ــ رضى الله عنه ــ ما من شىء أدل على شىء ، ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب وقال عدى بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى
اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم
ولا تصاحب الأردى فتردى مع الردى

أحب الشهور إلى الله

قال ابن الجوزى : ــ رحمه الله ــ مثل الشهور الاثنى عشر كمثل يعقوب ــ عليه السلام ــ فكما أن يوسف ــ عليه السلام ــ أحب أولاد يعقوب اليه ، فكذلك رمضان أحب الشهور الى الله ، فيغفر الله لهم بدعوة واحد منهم وهو يوسف ــ عليه السلام ــ كذلك يغفر الله ذنوب أحد عشر شهرا ببركة رمضان.

ومواقف

المعصية تكون

قال الرازى فى تفسيره : لا تكون المعصية

الا من الأعضاء السبعة وهى : الأذنان والعينان

واللسان واليدان والبطن والفرج والرجلان ، وأبواب جهنم سبعة « ولا اله الا الله محمد

رسول الله » سبع كلمات فكل كلمة تكفر معصية عضو ، وتسد بابا من أبواب جهنم بفضل الله.

وقيل للقاضى : أبى الطيب : قد كبر سنك ولم تتغير أعضاؤك .

فقال : حفظتها فى صغرى فحفظها الله فى كبرى .

موقفنا من السائل

قال اسماء بن خارجه : ما أحب أن أرد احدا عن حاجة ، فانه لا يخلو من أن يكون كريما فأصونه أو لئيما فأصون منه نفسى .

وقال بعضهم : من سألك لم يكرم نفسه عن مسألتك فأكرم وجهك عن رده .

لا أدرى

قيل للشعبى : أما تستحى من كثرة ما تسأل فتقول لا أدرى ؟

فقال : لكن ملائكة الله المقربين لم يستحيوا حين سئلوا عما لا يعلمون أن قالوا : « سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ » .

قالوا

* قال الفضل بن عياض

« لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة ، وانما أدرك بسخاء النفس ، وسلامة الصدر ، والنصح للأمة .

* قال الشيخ شقيق البلخى ؟

الزاهد الذى يقيم زهده بفعله ، والمتزهد الذى يقيم زهده بلسانه .

* قال المرحوم مصطفى صادق الرافعى :
الله أكبر . بين ساعات وساعات فى اليوم ترسل الحياة فى هذه الكلمة نداءها تهتف أيها المؤمن : ان كنت أصبت فى الساعات التى مضت فاجتهد للساعات التى تتلو ، وان كنت أخطأت فكفى ، وامح ساعة بساعة . الزمن يمحو الزمن ، والعمل يغير العمل ، ودقيقة باقية فى العمر هى أمل فى رحمة الله .

وقفة اعتبار

قال ميمون بن مهران — رحمه الله — خرجت مع عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — الى المقبرة ، فلما نظر الى القبور بكى

وقال : ياميمون ، هذه قبور آبائى كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم ، أما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات ، وأصابت الهوام من أبدانهم .. ثم بكى .

وقال : والله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار الى هذه القبور ، وقد أمن من عذاب الله .

« دعاء لعمر بن الخطاب — رضى الله عنه — »

اللهم ارزقنى التفكر والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك والفهم له والمعرفة بمعانيه والنظر فى عجائبه والعمل بذلك ما بقيت انك على كل شىء قدير .

من التراث

من نوادر مخطوطات
مكتبة الأزهر

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب

إتحاف أهل الإسلام فى

خصائص الصيام

لابن حجر الهيتمى

اعتادت مكتبة الأزهر الشريف على تقديم مخطوط من مخطوطاتها النادرة شهريا فى مجلة الأزهر، وييسرها ويشرفها أن تهنىء المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بحلول شهر رمضان المبارك .

وفى هذا الشهر الميمون الذى يتحدث فيه العلماء والباحثون عن فضائله التى تسعد البشرية بأسرها نقدم كتاب « اتحاف أهل الاسلام ، فى فضائل الصيام » للعلامة أحمد بن محمد بن على بن حجر الهيتمى السعدى الأنصارى ، شهاب الدين شيخ الاسلام ، أبو العباس : **فقيه باحث مصرى .**

مولده فى محلة أبى الهيتم (من اقليم الغربية بمصر) واليها نسبته ٩٠٩ هـ (١٥٠٤م) والسعدى نسبة الى بنى سعد من عرب الشرقية (بمصر) تلقى العلم فى الأزهر ، وله تصانيف كثيرة ، منها :

«مبلغ الأرب فى فضائل العرب» و«الجوهر المنظم » « رحلة الى المدينة » ، و « الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة » ، و « تحفة المحتاج لشرح المنهاج » فى فقه

للأستاذ محمد عميرة على

الشافعية ، و « الخيرات الحسان فى مناقب أبى حنيفة النعمان » . وتوفى بمكة سنة ٩٧٤ هـ (سنة ١٥٦٧ م) .

قالت عنه دائرة المعارف الاسلامية لما توفى أبوه فى حداثته ، تكفل بتربيته وتعليمه شيخا أبيه : شمس الدين بن أبى الحمائل وهو متصوف معروف ، وشمس الدين محمد الشناوى تلميذ الأخير . ولقد ألحقه الشناوى بمقام السيد أحمد البدوى ، ولما أتم ابن حجر دروسه الأولية ، بعث به عام ٩٢٤ هجرية الى الجامع الأزهر لاتمام دراسته . وقد درس رغم حداثته على أكابر شيوخ عصره مثل زكريا الأنصارى ، وعبد الحق السنباطى ، وناصر الدين الطبلاوى وغيرهم كثير ، ولما كان ابن حجر مبرزا فى أصول الدين والفقه ، فقد نال — ولما يناهز العشرين من عمره — اجازة اصدار الفتاوى والقيام بالتدريس ، وبعد أن زوجه الشناوى باحدى قريباته عام ٩٣٢ هـ حج الى مكة عام ٩٣٣ هـ .

وهناك بدأ الكتابة فى الفقه واستمر فيها بعد عودته الى مصر ، وحج مرة ثانية ، وعند أداء الثالثة استقر نهائيا فى مكة حيث وقف حياته على التأليف والتعليم ، وكان يرجع اليه فى الفتاوى من كل حدب وصوب .

قال الامام ابن حجر مفتتحا كتابه بقوله : « الحمد لله الذى جعل الصوم حصنا حصينا لأوليائه ، وتولى جزاءه وأضافه اليه دون غيره اعلاما للكافة بباهر فضله وعظيم جزائه ، وخصه من الفضائل والحكم والأحكام بما تقصر العقول عن الاحاطة بعلى كماله وعليائه ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة أتأهل بها لمشاهدة جلاله تعالى وكبريائه .. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى اختصه الله تعالى من وصل وصاله فى صومه بما امتن به على سائر أنبيائه وأحبائه — صلى الله وسلم عليه وعليهم صلاة وسلاما دائمين بدوام كرمه وبقائه آمين .

أما بعد فقد سنح لى فى مستهل شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة أن أألف كتابا فى الصوم ان شاء الله تعالى نافعا ، وأجمع مجموعا يقرر أحكامه وفضائله جامعا ليكون وسيلة لى الى النجاة من الله تعالى من سوء ما اقترفت وقبيح ما قدمت وما أخرت انه بكل خير كفيل وهو حسبى ونعم الوكيل» .

والكتاب يشتمل على أبواب أربعة :

الباب الأول : فى فضائل الصوم وفيه فصول نذكر منها على سبيل المثال ، الفصل الأول فى فضائل مطلق الصوم . أخرج أحمد والشيخان البخارى ومسلم — رحمهما الله تعالى — عن

سهل بن سعد ــ رضى الله عنــه ــ آن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « ان فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمــون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم يقـــال أين الصائمون ؟ فيقــومون فيدخلون فان أدخلوا أغلق عليهم فلم يدخل منه أحد » • وأخــرج النسائى عنه أيضا « للصائمين باب فى الجنــة يقال له الريان لا يدخل فيه غيرهم أحــد فاذا دخل آخرهم أغلق مــن دخل فيه شرب مــنه شربة ومن شرب منه شربة ، لم يظمأ أبدا » •

وأخرج البخارى عنه أيضا « فى الجنة ثمانية أبواب ، باب يســـمى الريان لا يدخلــه الا الصائمون » •

وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ «والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك • يقول الله عز وجل انما ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى فالصـــيام لى وأنا أجزى به » •

ووجه اضافة جزاء الصوم الى الله تعــالى دون سائر العبادات أنه لم يتقرب الى غــير الله بالصوم لذاته ، فلا يرد صوم أصـحاب الهياكل والاستخدامات للنجــوم لأنهــم لا يعتقدون أنها فعالة بنفسها •• فصــومهم فى الحقيقة لربها ، أو أن فى الصوم اشــارة الى سر صمديته تعالى دون سائر العبادات ، أو لأن الاستغناء عن الطعام وسائر الشــهوات من صفاته تعالى ، والصوم فيه نوع يوافقها فلذا أضافه تعالى اليه (ثم قــال القرطبى) معناه أن أعمال العباد مناسبة لأحــوالهم الا الصوم لأنه مناسب لصفة من صفات الحق ، فكأنه تعالى يقول : ان الصائم يتقرب الى بأمر هو من صفاتى ، أو ان الاخلاص فيـــه أتم وأسهل ، أو لكونه كصفة من صفات الملائكة، أو لأنه تعالى هو المنفرد بعلم مقدار ثوابـــه وتضعيف حسناته بخلاف غيره ، فانه تعـــالى يظهر بعض خلقه على سر مقدار ثوابه ، ولذا قال ، « وأنا أجزى به » •

الباب الثانى : فى أحكام الصوم وما يتعلق به وفيه فصول ذكر فى الفصل الاول قول الله تعالى « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـــوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ • أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ** » وهو معلــوم من الدين بالضرورة ، فمن تركه جاحدا وجوبه كفر ومن تركه كسلاوجب على الامام أونائبه حينئذ أن يمنعه الطعام والشراب بحبسه نهارا ليحصل له صورة الصوم ولأنه اذا عرف أنه يعــامل بذلك نوى من الليل ، ومما يحتاج اليه الــكلام على بعض معانى هذه الآية ليتضح المراد منها فنقول : بدأ الله تعالى بذكر المكتوب عليـــه وهو عليكم مع أن الأصل تأخيره وآخر المكتوب وهو « الصيام » • مع أن الأصل تقديمه لأنه نائب الفاعل فهو عمدة ذلك ، لأن الأول هــو الأهم اذ هو المتبوع والمقصود بالــذات ومن حيث أنه المقصود بذلك المكتوب والمخاطب به فحسب تقديمه اشعارا بتلك التبعية « وكتب » يأتى بمعنى فرض وهو المراد هنا •• وبمعنى قضى ومنه « كتب الله لأغلبن » • « **قُــل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا** » وبمعنى جعــل ومنه « **ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ**

لَكُمْ»أى جعـل لكم » « كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ » أي جعله . وبمعنى أمرومنه « وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ » أى أمرناهم وقال فى التشبيه الذى فى قوله تعالى « كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ » قولان :

أحدهما : أنه عـائد الحاصل ايجاز الصوم فعليه تكون هذه العبارة مكتوبة على سـائر الأنبياء وأممهم قبلنا من لدن آدم الى آخـر الدهر .

ثانيهما : أنه عائد الى وقت الصوم وقدره . ثم اختلف القائلون بذلك فقال مجاهد كتب الله رمضان على كل أمة وظاهره حتى من قبـل نوح ، وبه يعلم مافى قول القرطبى .

وقال أهل التاريخ أول من صام رمضـان نوح — صلى الله عليه وسلم — لما خـرج من السفينة .

وقال سعيد بن جبير كان الصوم من قبلنا من العتمة الى الليلة القابلة كما كان فى ابتداء الاسلام الى آخر ما ذكره العلماء فى شروحهم .

الباب الثالث : فى رخص الفطر وفى القضاء والفدية وتوابع ذلك وفيه فصول ذكر فى الفصل الاول ما يبيح الفطر قال : أخرج الديلمى عن أنس ستة يفطرون فى شهر رمضان : المسافر والمريض والحبلى اذا خافت أن تضـع ما فى بطنها والمرضع اذا خافت الفساد على ولدهـا والشيخ الفانى الذى لا يطيق الصوم والـذى يدركه الجوع والعطش أى لو تركهما مات . والخطيب عن ابن عمر من أصـابه جهـد فى رمضان فلم يفطر دخل النار « وعلم من هـذا الحديث أن مبيح الفطر أنواع » النوع الاول السفر المبيح للقصر ثم تارة يختـار الفطـر ويذم القصر وتارة يخير بينهما مـع ترجيح الصوم وقسمه أقسام :

القسم الأول : فيما يختار فيه الفطر ويذم الصوم.

والقسـم الثانى : فى التخيير بين الصـوم والفطـر.

والقسم الثالث : فى اباحة الافطار مطلقا ..

الباب الرابع : فى حكم صوم غير رمضـان استحبابا وكراهة وتحريما وغيرها وفيه فصول

قال الفصل الاول فى الايام التى يحرم صومها وهى نوعان :

النوع الاول : يوما عيد الفطر والنحر وأيام التشريق الثلاثة بعد يوم النحر قال أبو قرعـة سمعت عن أبى سعيد حديثا فأعجبنى فقلت له أنت سمعت هذا من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأقول على رسول الله — صـلى الله عليه وسلم — مالم أسمع .. قال سمعته يقول : « لا يصح الصيام فى يومين . يـوم الفطر ويوم الاضحى » وفى رواية أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — نهى عن صيام يومين . يوم الفطر ويوم النحر .. أخرجـه مسلم .. وروى الديلمى عن أبى هريرة سـتة أيام من الدهر يكره صيامهن آخـر يوم من

شعبان أن يوصل برمضان ويوم الفطر ويوم النحر وأيام التشريق فانها أيام أكل وشرب .

النوع الثانى : يوم الشك وما بعد النصف من شعبان بشرطهما الآتى .. أخرج البيهقى عن أبى هريرة نهى عن صيام يوم قبل رمضان والأضحى والفطر .. وأخرج أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة أنه — صلى الله عليه وسلم — قال « اذا انتصف شعبان فلا تصوموا حتى يكون رمضان » .

والفصل الثانى : فى الايام التى يكره صومها منها أفراد يوم الجمعة والسبت والأحد .. أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول « لا يصومن أحدكم يوم الجمعة الا يوما قبله أو بعده » ومسلم عنه « لا يصوم أحدكم يوم الجمعة الا أن يصوم قبله أو يصوم بعده » .

والفصل الثالث : فى الأيام التى يستحب أو يتأكد صومها والأصل فى صوم التطوع قوله — صلى الله عليه وسلم — « من صام يوما فى سبيل الله باعد الله وجهه من النار سبعين خريفا » رواه الشيخان وغيرهما .

وختم المصنف رحمه الله كتابه بأحاديث تتعلق بزكاة الفطر وبالعيد يقول أردنا التبرك بالختم بها . أخرج أحمد وأبو داود وعن عبد الله بن ثعلبة أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « صدقة الفطر صاع تمرا وصاع شعير عن كل رأس أو صاع بر أو صاع قمح بين أثنين صغيرا وكبيرا ، وحرا وعبدا ذكرا وأنثى ، غنيا أو فقيرا ، أما غنيكم فيباركه الله ، وأما فقيركم فيرد الله عليه أكثر مما أعطاه » .

وروى الدارقطنى والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما « زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات » .

والنسخة الموجودة بمكتبة الأزهر فى مجلد بقلم نسخ بخط عبد الفتاح البنهاوى سنة ١٠٧٥ هـ فى ٢٢١ ورقة ومسطرتها ٢٣ سطرا . ونسخة أخرى فى مجلد بقلم معتاد بخط محمد ابن سليم الشنوانى سنة ١٠٨٦ هـ فى ١٨١ ورقة ومسطرتها ٢٣ سطرا .

هذه خلاصة عاجلة « لكتاب اتحاف أهل الاسلام » تحتاج الى مزيد من الايضاح نضعها بين أيدى القراء ورجال الفكر والبحث ، وتضمنت المقالة تعريفا شاملا بالمصنفات التى ألفها العالم الفقيه « ابن حجر الهيتمى » أجزل الله له الثواب جزاء ما تركه تراثا اسلاميا خالدا ما بقى الزمن .

مدير
مكتبة الازهر
محمد عميره على

اللغة والأدب والنقد

الاتجاه الشمولي

في حاشية الأمير

الاستغناء في اللغة العربية

دور اللغة في ترابط شخصية الأمة

دور اللغة
فى ترابط شخصية الأمــة

لقد كان من أكبر العوامل التى دفعت ابن منظور لتاليف لسان العرب ما ذكره بنفسه فى المقدمة حين قال « وذلك لما رأيته قــد غلب فى هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان حتى لقد أصبح اللحن فى الكلام يعد لحنا مردودا ، وصار النطق بالعربية من المعــايب معدودا ، وتنافس الناس فى تصانيف الترجمانات فى اللغة الاعجمية و تفاصحوا فى غير اللغة العربيـــة فجمعت هذا الكتاب فى زمن أهله بغير لغتــه يفخرون وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون » (١)

تلك هى مكانة اللغــة فى عصره التى آملت عليه القيام بواجبه نحوها ، الواجب الــذى دفعــه الى الحــرص على تقريب النــاس اليها وتقريبها هى اليهم • أليس هذا هو واجب أبناء العربية اليوم،ولا شك أن مساهمتى هذه

(١) لسان العرب لابن منظور ١٣/١ طبعة دار المعارف فى ترتيبه الجديد على الأبجدية العادية .

المتواضعة تدخل ضمن هذا الاطار وتهدف الى مايهدف اليه ابن منظور فى زمانه • ولمزيد مــن الايضاح أستطيع ضبط الغاية من هذا البحث فى هدفين رئيسيين : —

(١) اللغة والوضع الحضارى للأمم بصورة عامة •

وبيان دور اللغة الحقيقى فى المجتمع مــن خلال النظريات التى حددت العناصر المقومة لكيان الأمة •

(٢) اللغة العربية وما أصابها من انتكاسات، وعوامل ذلك •

والاتجاهات التى حاولت على حد زعمهــا النهوض بالبلاد التى تتكلمها وكيف حكم عليها التاريخ •

ومقابلة ذلك بأقوال غيرهم من الذين راوا فى العربية مميزات وخصائص قد لا توجد حتى فى اللغات الحية المعاصرة •

اللغة والتمييز العنصرى •

د. محمد عبد الحفيظ العريان

يعتقد الباحثون فى اللغات وتاريخها وصلاتها بعضها ببعض أن اللغات السامية الثلاث العربية والآرامية والعبرية انحدرت من أسرة لغوية واحدة (١) بحيث كانت لهن أم واحدة ، ويعتقد بعضهم أن الآرامية أقرب الى تلك الام نسبا وأن العربية أكثر بها شبها (٢) . لقد عملت عوامل التاريخ مفعولها فى تطوير هذه اللغات فأصبحت لهجات ثم أضحت اللهجات لغات مستقلة كما هو الامر بالنسبة للعربية فى عصرنا اذ تفرعت الى لهجات متعددة ومتباينة ولولا أن العرب حافظوا على الفصحى ـ وهو دور القرآن تاريخيا ـ كتابة وأدبا وثقافة لتعذر التفاهم بينهم وتغلبت اللهجات وانفصلت لذلك الروابط الثقافية والفكرية بين أبناء البلاد العربية (٣) لأن اللغة الواحدة لها أكبر دور فى بلورة الفكر والاحساس والوعى الموحد بين الناطقين بها كما سيأتى بيان ذلك .

ان ما نريد ذكره الآن هو أن البحوث اللغوية فى القرن الماضى قد أفضت فى الغرب الى بناء نظريات عنصرية تستند الى العرق والسلالات البشريه ونالت صدى عميقا بين رجال الفكر والسياسة .

لقد غال علماء الغرب بوجود جنس (آرى) وآخر (سامى) لكل منهما خصائصه النفسية والاجتماعية والتاريخية التى تنتقل من جيل الى جيل بالوراثة وهى لثباتها فيه فانها تتحكم فى حاضر ومستقبله .

يقول عميد مجمع الخالدين ملخصا هاته النظرة الغربية «ان هناك نفسا سامية فطرت تدينا على التوحيد وفنا ولغة ومدنية على البساطة بينما أن النفس الآرية مفطورة فى عقيدتها على التعدد وفى علمها وفنها على انسجام التأليف» (٤) وقد برزت فى ميدان الدراسات الفلسفية مثلا كثير من الآراء والتحليلات والتعليلات التى تنفى عن الجبس السامى كل امكانية للتفلسف بحكم طبيعة تلك السامية ، منها دراسات أرنست رينان Renan وتنمان Tenneman وليون جوتيى وغيرهم من أصحاب الدراسات ذات الطابع العنصرى السخيف .

(١) د . وافى/فقه اللغة/٧ وعلم اللغة/٢٠١ ط ٧ . والطبعة الثامنة لفقه اللغة .

(٢) نفسه/١٥ وعلم اللغة/١٦٩ ـ ١٩٤ ط ٧ .

(٣) عبد الحق فاضل : مغامرات لغويه : دار العلم للملايين/٩ ـ ١٠ وللمؤلف نظرية جديدة ملخصها ان العربية هى ام اللغات الآرية بالاضافة الى السامية والحامية وقد برهن عليها فى هذا الكتاب .

(٤) د . ابراهيم مدكور : فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيق ـ دار المعارف . ط ٢ .

دور اللغة

ويقول أحد البحاثين فى الميدان اللغوى « ان فكرة الجنس الآرى تولدت من التدقيقات اللغوية لوجود تشابه بين اللغة السنسكريتية وبين سائر اللغات الأوربية فاستدل الأوربيون على وجود نسب وقرابة بين الأقوام الهندية والأوربية وهو النسب الهندأوربى واختصروا ذلك فى كلمة « آريانا » المذكورة فى الكتاب المقدس القديم « آفستا » — الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية — وهى البلاد المخلوقة من قبل هرمز (١).

أما العالم الفرنسى « دفيرجر » فقد قال « بأن العالم اللغوى « جونز » لاحظ تشابها بين السنسكريتية واليونانية واللاتينية والألمانية والسلتية فأرجع ذلك الى أصل مشترك لهذه اللغات وذلك سنة ١٧٨٨ وفى سنة ١٨١٣ أطلق العالم (توماس يونج) على هذا الأصل الأم « الهندأوربية » وسمى (آرى) الشعب الذى يتكلمها ، وقد فند العالم الألمانى المشهور « ماكس مولر » هذه المزاعم الواهية سنة ١٨٦١ (٢) .

ان هذه النظريات العنصرية المبنية على الافتراض والحدس يفسر ظهورها المرحلة التاريخية التى مرت بها الرأسمالية الغربية فى القرن الماضى . فقد بلغت مستوى من التقدم والتطور يحتم عليها البحث فى العالم عن مواد الثروة من المواد الخام لتشغيل مصانعها والزيادة فى الأرباح كما يحتمها البحث عن الاسواق لتصريف تلك المنتجات الصناعية .

ولكن هذه الأمور لن تتم الا بمساعدة خلق « أيديولوجيات » ترمى الى تبرير حركة الاستعمار أمام الشعوب المستعمرة ، ومن ثم كانت رسالة الرجل الأبيض فى تطوير هذه المخلوقات الضعيفة المغلوبة على أمرها اذ لا سبيل أمامها للنهضة والوصول الى ماوصل اليه هذا الابيض الا بأن تقلده وتأخذ عنه كل شىء لغته ، أساليب حياته ، طرق تفكيره أنماط سلوكه ، قيمه ومثله ... الخ وهكذا يبدأ فى التنازل عن ذاته وشخصيته شيئا فشيئا حتى يفقدها فينمحى من الوجود . واستطاعت هذه الأفكار باسم العلم و « العلمية » المزيفة أن تجذب اليها كثيرا من المثقفين فى البلاد العربية مثلا . فانخدع الاستاذ سلامة موسى بنظرية الجنس الآرى والسامى على أنها كشف علمى باهر يجب أن لا يفرط فيه فى اثبات أن المصريين والسوريين والعراقيين من الآريين عساهم يكسبون تأشيرة الدخول الى الحضارة الحديثة فقال ما نصه :

* « فاننا نحن — أى المصريون — والسوريون والعراقيون من حيث الدم سلالات آرية أى غربية لا تمت بصلة الى الصينيين أو اليابانيين » ثم يقول « عندما قام فى أذهانهم — أى الصينيين — أن ينهضوا أو يجاروا أوربا فى التقدم والرقى عمدوا الى ماضيهم فأنكروه »

---

(١) ابحاث فى القومية العربية — دار المعارف بمصر — ١٩٦٤ م — ص ١٠٩ .

(٢) مجلة الفكر : العدد /١٠٤/ص/١٦ — تونس — عام ١٩٧١ م مقال للاستاذ/دفيرجر عن اللغة العربية واللغات الحية .

ويضيف قائلا : « أما اليابان فارتقاؤها لا يرجع الى سبب آخر سوى تفرنجها أى تحلصها من تاريخها وعاداتها • وأن هذه الامم الشرقية لا تتقدم بتطلقها بالسلف واحترامه بل بتركه والانضمام قلبا وقالبا الى أوربا واصطناع الحضارة الغربية » (١) •

* أما عميد الأدب العربى هو الآخر فقد اعتبر قضية التمسك باللغة أمرا تافها بل ان مجرد الحديث عنها لا يفيد شيئا ليصل من ذلك الى امكانية تعويض العربية فى مصر بغيرها من اللغات الراقية فقال عام ١٩٣٨ : « لا تنخدعوا لو كان للغة وزن فى تقرير مصير الأمم لما كانت بلجيكا وسويسرا ولا أمريكا ولا البرازيل ولا البرتغال » (٢) .

الا أنه بات من الواضح علميا أن لا وجود لأجناس من البشر نقية يتميز بعضها عن بعض بخصائص ثابتة تضيف فضائل خاصة أو ذكاء خاصا الى جنس من الأجناس •

يقول ماكس مولر : « ان العالم الانثولوجى الذى يبحث عن عرق آرى ودم آرى وعيون آرية وشعر آرى يرتكب هرطقة لا تقل سخافتها عن سخافة العالم اللغوى الذى يجرؤ على التكلم عن قاموس مستطيل الرأس ونحو قصير الرأس » •

ويقول الفيلسوف الانجليزى (جون ميل) « ان رد الفروق التى تشاهد بين الأمم الى مافى طبائعها من اختلاف انما هو نوع من التهرب ، هو تهرب من درس الاحوال الاجتماعية ومن تحرى عواملها الاساسية »(٣)

اتجاهات فى الاصلاح اللغوى

لقد قامت محاولات عديدة قام بها بعض المستشرقين وتلامذتهم من المثقفين العرب لمسخ اللغة العربية وأفسادها كتابة ونطقا وتنتظم هذه المحاولات فى اتجاهات ثلاثة (٤) •

(أ) استشراقى : —

أصدر العالم الانجليزى « ولمور » ١٩٠٢ كتابا عن اللهجة المحلية المصرية ووضع لها قواعد وجعل منها اللهجة القاهرية تحل محل الفصحى • ودعا الانجليزى (وليام ولكوكس) الى جعل اللهجة العامية المصرية هى اللغة الفصحى وترجم الانجيل اليها وترتكز هذه الدعوة على تسكين أواخر الكلمات للتخلص من الاعراب والقصد من هذه المحاولة تدعيم الفوارق بين الشعوب العربية واذا تم انهيار اللغة انهار الأساس الثقافى والفكرى • وقد قامت فى المغرب العربى مثل هذه المحاولات وخاصة بالجزائر نذكر منها محاولات المستشرق الفرنسى (وليام مرسى) وقد حاولت هذه الدعوة أن تجدد نشاطها فى تونس فى السنوات ١٩٦٨ — ١٩٦٩ ولكن الدعوة لم تجد صدى فلاذ روادها بالصمت •

---

(١) ابحاث فى القومية العربية/ ١١٠ .
(٢) مجلة تراث الانسانية/المجلد الثانى/عدد ٣ . مقال للدكتور طه حسين/١٢ .
(٣) ابحاث فى القومية العربية/١١٣ .
(٤) رجاء النقاش/ادباء ومواقف/المكتبة العصرية بيروت .

دور اللغـة

(٢) عربى متفرنج : ـــ

طالب أصحاب هذا الاتجاه اما بالتخلى عن العربية أو باصلاحها(١)بتيسير قواعدها لتكون مثل اللغات الأوربية لتسهل نهضة العرب ومن هؤلاء محرر المرأة قاسم أمين الـذى نـادى الى التخلص من الاعراب بتسـكين أواخر الكلمات يقول قاسم أمين « هذه الطـريقة هى طريقة جميع اللغـات الافرنجية والتركيـة أيضا • يمكن حـذف النواصـب والجـوازم والحال والاشتغال الى آخره بدون أن يترتب على ذلك اخلال باللغة اذ تبقى مفرداتها كمـا هى » ووصلت هذه الدعوة أقصى درجة لهـا عند عبد العزيز باشا فهمى الذى نادى سـنة ١٩٤٣ فى مجمع اللغة العربية بكتابة العربيـة بأحرف لاتينية مثل الأتراك ونادى مثله سلامة موسى كما نادى حديثا الشاعر اللبنانى سعيد عقل باصلاح اللغة العربية ليتخلص العرب من تخلفهم الحضارى ، ينطلق الشـاعر سـعيد عقل من فكرة فلسفية تبرر لديه ادخال تغيير جذرى على العربية ، هذه الفكرة ملخصها أن الحيـاة الاجتمـاعية أساسـها الانسـان والمؤسسة ، الانسان مقدس بينما المؤسسـة ليست كذلك والحرف العربى من المؤسسات فيجب أن يتغير ولو خالف ذلك مـا تواضـع عليه المجتمع العربى ، ويعلل تقدم الغرب استنادا الى هذه الفكرة ، فهو يقدس الانسان لا المؤسسة ولذا استطاع أن يقلب ويغير كثيرا من التصورات والقيم والمؤسسـات خـدمة للانسان • أضف الى ذلك أن الحروف العربية ليست دقيقة والشـعب الـذى لا يعـرف الدقة لا يعرف الحضارة اذ يكفى ما نلاحظه من أمـراض فى هـذه اللغـة حتى نسـعى الى اصلاحها ، وأمراض لغتنا تتمثل فى : ـــ

(أ) الكتابة والنطق يختلفان هذا ـــ هاذا •

(ب) توجد صـوتيات ونطقيـات وعنـد الكتابة نحذف رموز الصـوتيات وهى رمـوز صغيرة (الشكل) •

(جـ) يكن تعويض الصـوتيات بحـروف أساسية فى الكلمة •

(د) هناك صـور للحـرف الواحـد فى الكتابة نحذف رموز الصـوتيات وهى رمـوز وضعه ـــ ء ـــ هـ ـــ ع ـــ ع ـــ فى الكلمة •

(جـ) يمكن تعويض الصوتيات بحـروف الى الخطأ (خرب) (حـزب) ان تزحـزح النقطة من الخاء الى الزاى يعطى معنى آخر مغايرا للأول • وقد تفطن سيبويه الى ذلك من قبـل •

(و) تفاوت الحروف العربية فى الحجم •

(ز) ليس هناك فى العربية حرف (كابيتال) لأن ذلك فى اللغات الأخرى الأوربية يجعلهم يميزون بين أسماء الأعلام من ناحية وبدايات الكلام من ناحية أخرى أما فى العربية فانك لو وجدت كلمة (وردة) مكتوبة لما علمت هـل هى فتاة أم زهرة ؟ ثم بعد كل ذلك أليسـت سنة الحياة هى التطـور فى كـل شىء ؟ فلم لا نطور الكتابة العربية ؟

(١)كذا ـــ فى زعمهم .

ان الأبجدية من ابتكار الفينيقيين الذين وضعوا اثنين وعشرين حرفا هى أصل الحروف اللاتينية واليونانية والعربية فحرف (Y) الفينيقى نقل كما هو الى اللاتينية وأصبح — واوا — فى العربية بتغيير طفيف فى رسمها كما أنه يمكن ملاحظة التشابه بين (ل) و (L) اللاتينية .

٣ — عربى وطنى : —

اقترنت فى مصر مثلا دعوة الأستاذ لطفى السيد بأن مصر للمصريين بالدعوة الى استعمال العامية للكتابة ١٨٨٩ واحياء القومية المصرية ونسى لطفى السيد ارتباط مصر الأصيل بالثقافة العربية الاسلامية وحصر اهتمامه فى بناء الشخصية المصرية بالتخلص من الترك والانجليز وهى دعوة قد تجاوزتها مصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ وربما قبل ذلك بقليل حينما اشتد ساعد الاتجاه العربى الاسلامى فى الحكم ، فتغيرت تبعا لذلك طبيعة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فيها .

مناقشة هذه الاتجاهات :

ان دراسة الأمم المتطورة والمتخلفة فى مراحل تطورها المختلفة يوضح بجلاء أن لا علاقة بين النهضة والتقدم الحضارى وبين اللغة ولنوضح ذلك بالأمثلة التى تظهر الحقيقة وتجعلها واضحة لكل ذى عينين : —

— فى آسيا :

نأخذ اليابان : وكلنا يعرف أن اللغة اليابانية تعد من اللغات المعقدة كتابة وحروفا ولكن هذا لم يمنع اليابان من التقدم قبل الحرب العالمية الثانية حتى فاقت الدول الأوربية ، ثم أصابها الخراب والدمار من جراء تلك الحرب ولكنها استجمعت قواها وعادت الى مكانتها الدولية فى الاقتصاد والصناعة والعلم والثقافة فأين هى قضية اللغة ؟

— تركيا :

تركت — كما هو معروف — الحروف العربية وأبدلتها بحروف لاتينية ١٩٢٨ فحقق كمال أتاتورك ارتباط تركيا شكليا بالغرب وفشل من ناحية المضمون فهى مازالت دولة من الدول النامية يسيطر عليها نظام رأسمالى متخلف لا علاقة له حتى بالرأسمالية الغربية العصرية .

ولم تصبح دولة صناعية حتى من درجة متوسطة بل تتفشى فيها البطالة ويعتمد اقتصادها على الاعانات الخارجية وعلى الزراعة والسياحة رغم أن ثورتها قامت سنة ١٩٢٢ فلا يفصلها زمان طويل عن الثورة الروسية سنة ١٩١٧ اما اذا قارناها بالصين فيبدو البون شاسعا لأن ثورة الصين لم تنتصر الا سنة ١٩٤٩ .

ولم تنشأ فى تركيا حركة فنية أو فكرية كبرى تلفت الأنظار كما أن المسنح الحضارى وصل فيها الى درجة الاعدام والقضاء التام على تراثها فهذا أستاذ تركى (برتف بروتاف) يقول « بأنه فى بحوث قام بها فى

مدن وقرى تركية سمع من الناس مباشرة أنه عقب الاصلاح اللغوى الذى تم سنة ١٩٢٨ أن أشخاصا كانوا يملكون مخطوطات قديمة مكتوبة بالعربية قضوا عليها خوفا من العقاب. وفى سنة ١٩٣٩ وفى جلسة من جلسات وزارة التربية التركية اقترح صحفى لامع مراجعة النصوص القصصية للأطفال لأنها – على حد رأيه – تظهر الأمراء والأميرات والباشوات فى مظهر يتعاطف معه الطفل مما قد يدفع بالأجيال الجديدة الى الحنين الى الماضى (١) .

فى الصين :

وهذه اللغة الصينية رغم صعوبتها وكثرة حروفها وتخلفها كتابة ، احتلت مكانة اللغة المعاصرة بعد نجاح ثورتها ١٩٤٩ وأصبحت لغة قادرة على التعبير عن الفكر والفن والعلم والتكنولوجيا وما سمعنا أو قرأنا أن صينيا يتألم من الوضع الذى عليه لغته أو يشعر بغربة لغته عن عصره .

* وهذه اللغة العبرية فى اسرائيل المزعومة (فلسطين المحتلة) تلك اللغة التى دفنها التاريخ وليس لها من تراث غير العهد القديم ، تعود حية تسعى لتحتل مكانة ذات قدرة على احتضان فنون العصر كلها فى علمه وثقافته وفنه وتكنولوجيته . وكان أول ما اتجه اليه اليهود عند احتلالهم لأرض فلسطين هو بعث اللغة العبرية من جديد والتفتيش عن تراث يهودى لاحيائه حتى ولو كان خرافيا – وهو كذلك لا محالة – فبعثت أمجادهم المختلفة وحفرياتهم الوهمية وانتصبت اللغة العبرية لغة للتعليم والدرس بالجامعة العبرية بالقدس ويتشدق زعماء الصهاينة بأنهم استطاعوا بعث لغتهم وتأسيس جامعتهم العبرية بالقدس فى زمن قصير لا يتعدى الخمس سنوات بالاضافة الى جعلهم كل الجيش اليهودى القادم بلغات مختلفة من جميع انحاء العالم يكتب العبرية وينطقها . يقول (لوى ماسينيون) المستشرق الشهير .

« ان الشعوبية المترمتة شعوبية دولة اسرائيل الجديدة لا تؤمن بشىء قدر ايمانها بلغتها العبرية ، وان مدارسها الأولية تعلم العبرية وفقا للاعراب العبرى التقليدى المنقول عن اللغة العربية ووفقا للأبجدية القديمة » (٢) .

أما فى أوربا : –

فيكفى أن ننظر الى اللغة الايطالية فقد أصبحت من اللغات الحية منذ (دانتى) . وهى الآن لغة جميع العلوم والفنون والآداب ببلادها ويسعى الايطاليون لحمايتها والاعلاء من قيمتها بين لغات العالم الحية .

وهذه اليونانية المعاصرة تشبه مع بعض الخلاف اليونانية القديمة . ولا يجهل أبسط مثقف منا مكانة اليونان فى تاريخ الفكر الانسانى فى مختلف ميادين نشاطه أدب ، فن ،

(١) دوريات جريدة الاهرام/اكتوبر ١٩٧٣ ، العدد الخاص بمناسبة مرور خمسين سنة على قيام الجمهورية التركية .

(٢) د . عثمان امين/فلسفة اللغة العربية – سلسلة المكتبة الثقافية عدد/١١٤/ص/٩ .

فلسفة ، علوم رياضيات ومازالت الانسانية الى اليوم تجد كنوزا فى التراث اليونانى ومصدررا خصبا تتغذى منه ولكن حينما نقارن بين يونان اليوم ويونان الأمس لا نجد مجالا للمقارنة على وجه الاطلاق •

والنتيجة :

النتيجة التى نصل اليها بعد هذا العرض هى أن اللغة برغم أهميتها الكبرى كوسيلة للتفاهم بين بنى البشر ليست ــ كما رأينا ــ هى المتحكمة فى النهضة الحضارية أو ركودها لأنها ليست هى الأساس فى التقدم فهناك شعوب تتقدم ــ كما رأينا ــ رغم تخلف لغتها وهناك شعوب تتخلف رغم تقدم لغتها كاليونان والعرب فى عصرنا هذا •

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فليست العربية هى وحدها التى تظهر فيها الصعوبات (٢) والمشاكل ، فحتى اللغات الأوربية الحية فيها من المشاكل والصعوبات ما فيها • خذ مثلا حرف (X) تجده ينطق فى الانجليزية بخمسة أصوات تقريبا كما تجد صوتا واحدا لحرفين (ch) ينطق (ش) فى العربية وينطق بنفس النطق بتغيير طفيف فى الانجليزية (sh) ثم بأى قانون سماوى نكتب (Brebis) هكذا دون النطق بحرف (S) أو (puits) النطق بالحرفين الأخيرين وهما (T , S) ثم أليست هناك مشكلة فى التفريق بين (puits , puis) عندما يملى علينا كتابة أحدهما : قد يكون الجواب ان سياق الكلام هو الذى يمكننا من ذلك ولكن ألا ينطبق هذا أيضا على التفريق بين (وردة) كاسم لبنت وبين كونها زهرة وهى المشكلة التى أثارها الشاعر سعيد عقل وكيف نستطيع أن نفرق بين كلمة تكتب بـ (F) وكلمة أخرى تكتب بـ (ph) وهما يمثلان نفس النطق (ف) • لماذا نكتب مثلا (Apostrophe) هكذا دون كتابتها (Apostrofe)

واذا كان تلافى الصعوبات فى العربية كما يدعى سعيد عقل يجعله قادرا على الغاء الأمية فى نصف ساعة فى البلاد العربية فيجب ألا نقع فى هذا الوهم والمغالطة لأن الأمية نتجت عن التجهيل المقصود بالعربية والفقر • لأن هذا هو الأساس لكل ما نعتقد أنه ناتج عن صعوبات لغوية •

ولا شك أن اللغة التى تترك الفم تموت ولكن هذا لا يرجع الى منافسة العامية للغة العربية لأن العامية كما نلاحظ قابلة للتطور الى الفصحى المرسلة من القيود بتعلم الفرد والاتصال بوسائل الثقافة المختلفة من صحافة واذاعة وتلفزة ونواد ثقافية ، بل يرجع الى منافسة لغات أجنبية أخرى لها فى الاستيلاء على الألسنة كالفرنسية فى بلاد المغرب العربى ولبنان •

ثم اننا لو حاولنا بعث العاميات فى الوطن العربى :

فماذا يكون مآل تراث فكرى بكامله بالنسبة للأجيال القادمة ؟

---

(١) لم تعرف دعوى صعوبة اللغة العربية المفتعلة الا من عصر ويلكوكس اواخر القرن الماضى.

دور اللغة

وماذا يكون مآل القرآن الكريم ؟ هل نضطر الى ترجمته ؟

وهل يمكن ترجمته :

وان ترجمناه فالى كم لهجة عامية يجب أن يترجم فى البلاد العربية ؟ اذ ليس يخفى أن العاميات كثيرة وتختلف من بلد الى آخر وحتى بالنسبة للقطر الواحد فاننا نجد ألوانا وأشكالا من العامية .

كلمة أخيرة أقولها لسعيد عقل وأمثاله من دعاة العامية .

اننا اذا سرنا معكم ـ لا قدر الله ـ فى هذا الاتجاه فاننا نهدم القرآن الذى نزل بلسان عربى مبين كما نهدم لغتنا أهم مقومات حياتنا والعمود الفقرى لتراثنا الدينى واللغوى بل ان شئت فقل تراثنا الثقافى كله . أعتقد أن الأجوبة على هذه الأسئلة هى التى دفعت بدعاة العامية الى السكوت فى أيامنا هذه فى مختلف البلاد العربية الا من كان شاذا والشاذ ليس محل قياس . !!

ان اللغة العربية لم تتجمد فى يوم من الأيام بل كانت دائما قادرة على مواكبة التطور الحضارى ، فقد برهنت على هذا قديما عند احتكاكها بحضارات أخرى كاليونانية والهندية والفارسية . يقول (سارطون) صاحب المؤلف العظيم « تاريخ العلم » : « انه لعمل عظيم أن ينقل العرب علوم اليونان وفلسفتهم ، وأن يزيدوا عليها حتى أوصلوها الى درجة مرموقة من النمو والارتقاء » (١)
ولما قامت النهضة الأوربية كانت بفضل المجهود الذى قدمه أبناء اللغة العربية يقول (سيديو) :

« ان العرب كانوا أساتذة أوربا كلها فى جميع فروع المعرفة ،فقد انتشرت علومهم فى مصر وسوريا ابان الحرب الصليبية ، كما انتشرت من صقلية ونورماندیا وجنوبى ايطاليا فى عهد بنى الأغاب وانتشرت من الأندلس وهى أكبر مركز للتصدير ، بواسطة التراجمة والرواد الذين أموها من بلاد الغرب ينهلون العلم من مناهله الثرية الدفقة فى ظلال الحكم العربى السمح ، وألمع هؤلاء الرواد (جوير) المولود فى أوفيرنيا والذى رقى فيما بعد لرتبة البابوية باسم (سلفستر الثانى) وذلك لطول باعه فى العلم الذى أخذه عن العرب فى الأندلس ، وهو الذى نقل الأرقام العربية الى أوربا وسهل بذلك علم الحساب والجبر والفلك » (٢) .

وكانت بلاد الأندلس (قرطبة وغرناطة وطليطلة وأشبيلية) منائر تتألق بالعلم فى غضون الحكم العربى .

وحينما سقط الفردوس المفقود « كان

---

(١) د . موسى اقبال/دراسات فى التاريخ والحضارة ـ ٥٤ ـ بيروت ـ دار العلم للملايين
(٢) د . موسى اقبال/دراسات فى التاريخ والحضارة/٧٧ بيروت ـ دار العلم للملايين .

أسقف طليطلة يجمع العلماء فى قصر الزهراء لترجمة الكتب العربية تمهيدا لتدريسها والافادة منها .

فقد نقل (ليونارد) كتب الجبر والطبيعة .

وأمر (روجه الأول) فى صقلية أن تكون كتب الادريسى المرجع العلمى المعتمد .

وحينما أفل نجم العرب عن صقلية وحكمها النورمانديون ، وجدوا أن لا مناص لهم من تعلم اللغة العربية ، وقربوا العلماء العرب للانتفاع بمعارفهم وحافظوا على آثارهم .

ودعا حاكم صقلية بعدئذ (روجه الثانى) الشريف الادريسى هذا للتأليف فى الفلك فوضع له كتابه الشهير (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) .

وحث الامبراطور (فردريك الثانى) على دراسة علوم العرب ، حتى كان أبناء الفيلسوف (ابن رشد) يقيمون فى بلاط الأمبراطور ، ليعلموه دروس النبات والحيوان (١) .

هذا ولم تذكر لنا المصادر التاريخية شيئا عن اللغة التى كانت تلقى بها هذه الدروس ، وتعليقنا على هذا الأمر أن المسألة لا تعدو أن تكون أحد أمرين : فاما أن تكون هذه الدروس قد أعطيت باللغة العربية ، وهذه مناسبة قوية للتدليل على فضل اللغة العربية واضطرار الغربيين لتعلمها ليستطيعوا دراسة العلوم العربية ، واما أن تكون قد أعطيت باللغة الأجنبية وهذا دليل آخر على أن اللغة العربية مرنة كريمة معطاءة تأخذ وتمنع وتتطور ولا تعجز عن نقل ما فيها الى لغات غيرها كما لم تعجز من قبل عن نقل ما عند الآخرين اليها .

واللغة العربية اليوم تحاول عن طريق مجامعها العلمية ومؤتمراتها مواكبة هذا العصر تشهد بذلك الجلسات التى يعقدها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وغيره من المجامع العلمية فى العالم العربى .

يتبع

د / محمد عبد الحفيظ العريان
كلية اللغة العربية جامعة الازهر

(١) نفسه/ ٩٠ ـ ٩٣ بتصرف .

الاستغناء فى اللغة العربية

- ٢ -

ثالثا : مما يستغنى فيه ببعض أبنية الكثرة عن بعض .

استغناؤهم (بفعلة) – بضم الفاء وفتح العين – عن (فعال) – بكسر الفاء – وعن (فعالى) – بفتح الفاء – حيث قالوا فى جمع (عريان) . (عراة) ولم يقولوا . عراء ولا عرايا . قال سيبويه . « ولم يقولوا فى عريان . عراء ولا عرايا ، استغنوا بعراة ، لأنهم مما يستغنون بالشىء عن الشىء حتى لا يدخلوه فى كلامهم » (١) .

وقال الفارسى . « وقالوا فى تكسير عريان ، عراة ، ولم يقولوا . عراء كخماص ، ولا عرايا كحيارى ، استغنوا بعراة » (٢) .

استغناؤهم بفعال – بكسر الفاء – عن فعلاء – بضم الفاء وفتح العين – وعن أفعلاء ، كقولهم فى جمع طويل : طوال وفى جمع قويم : قوام . ومن ثم قال سيبويه : « وأما ما كان من بنات الياء والواو التى الياء والواو فيهن عينات فانه لم يكسر على فعلاء ولا أفعلاء واستغنى عنهما بفعال » (٣) .

ومن الاستغناء بفعال عن فعلاء قولهم : صغير وصغار (٤) ولا يقولون صغراء وقالوا : سمين وسمان ولا يقولون سمناء . قال سيبويه: « وقد يدعون فعلاء استغناء بغيرها » ثم مثل بما مثلت به (٥) .

قال ابن يعيش : « وقد يستغنون بفعال عن فعائل ، قالوا : سمينة وسمان ، وصغيرة وصغار ، وكبيرة وكبار ، ولم يقولوا : سمائن ولا صغائر ولاكبائر فى السن ، وانما جاز ذلك فى الذنوب » (٦) جاء فى التنزيل : « **الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ** »(٧)

استغناؤهم بأفعلاء عن فعلاء – بضم الفاء وفتح العين – قال سيبويه : « وقالوا هين وأهوناء فكسروه على أفعلاء ، ولم يقولوا : هوناء ؛ كراهيه الضمة مع الواو ، فقالوا . ذا كما قالوا : أغنياء حين فروا من غنياء » (٨).

قال ابن عصفور : « ومما استغنى فيه

---

(١) الكتاب ٦٤٦/٣ .
(٢) التكملة ص ٤٨٥ .
(٣) الكتاب ٦٣٥/٣ .
(٤) جاء فى لسان العرب مادة صغر : الصغر ضد الكبر والجمع صغار ، وقد جمع فى الشعر على صغراء ، انشد أبو عمرو :

وللكبراء أكل حيث شاؤوا   وللصغراء أكل واقتثام

(٥) الكتاب ٦٣٦/٣ .
(٦) شرح المفصل لابن يعيش ٤٣/٥ .
(٧) النجم / ٣٢ .
(٨) الكتاب ٦٤٣/٣ .

للدكتور حمدى عبد الحميد المقدم

بأفعلاء عن فعلاء ــ بضم الفاء وفتح العين ــ قولهم فى جمع غنى وسرى : أغنياء وأسرياء وهو الفاضل ، وقد شذ منه شىء فجمع على فعلاء نحو تقى وتقواء ، فشذوا فيه شذوذين، جمعوه على فعلاء وأبدلوا واوا من ياء ، ولا يحفظ البصريون غيره • وحكى الفراء : سرى وسرواء » (١) استغناؤهم بفعائل عن فعل ــ بضم الفاء والعين ــ وكذلك استغناؤهم بفعل عن فعائل • قال سيبويه : « وقد يستغنى ببعض هذا عن بعض ، وذلك قولك : صعائد ولا يقال : صعد ، ويقال : عجل (٢) ، ولا يقال : عجائل» (٣) •

رابعا : مما يستغنى فيه ببعض أبنية القلة عن بعض •

استغنوا بقولهم : أدور عن أن يقولوا : أفعال ، ومن ثم قال المبرد « فأما دار فانهم استغنوا بقولهم : أدور عن أن يقولوا : أفعال، لأنهما لأدنى العدد » (٤) •

يستغنى فى الغلام بقولهم . غلمة عن أغلمة، ومن ثم قال سيبويه : « ولم يقولوا : أغلمة ، استغنوا بقولهم : ثلاثة غلمة ، كما استغنوا بفتية عن أن يقولوا : أفتاء » وفى التنزيل قال الله تعالى : « إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ » (٥) • وقال المبرد : فأما غلام فيستغنى أن يقال فيه أغلمة بقولهم : غلمة ، لأنهما لأدنى العدد » •

استغنوا بقولهم : صبية عن أن يقولوا : أصبية • قال الفارسى : « وقالوا فى القليل : صبية ولم يقولوا : أصبية » (٦) •

خامسا : بعض ما استغنى فيه بجمع التكسير عن جمع المؤنث السالم

قالوا : شفة وشفاه وشاة وشياه • قال سيبويه : « واستغنوا عن التاء حيث عنوا بها أدنى العدد وان كانت من أبنية الكثرة ، كما استغنوا بثلاثة جروح عن أجراح » (٧) وقال الفارسى : « وأماما كسر فرد اليه ماحذف فنحو

---

(١) شرح جمل الزجاجى ٢/٥٣٣ واللسان مادة وقى •

(٢) العجول : الواله •

(٣) الكتاب ٣/٦٣٧ •

(٤) المقتضب ٢/٢٠٤ •

(٥) الكتاب ٣/٦٠٣ والمقتضب ٢/٢١١ والتكملة ص ٤٣٦ •

(٦) الكهف / ١٢ •

(٧) الكتاب ٣/٦٠٥ والتكملة ص ٤٣٨ •

(٨) الكتاب ٣/٥٩٨ •

شاة وشياه وشفة وشـفاه ، واستغنوا عـن الألف والتاء ببناء الكثير كما استغنوا به فى ثلاثة شسوع » (١) .

وقالوا : فراسن (٢) ولم يقولوا : فرسنات. وقالوا : خناصر (٣) ولم يقولوا : خنصرات ، وقالوا : مجالج (٤) ومحـاليج ولم يقولوا : محلجات ، وقالوا : (٥) جواليق ولم يقولوا : جوالقات (٦) .

سادسا : بعض ما استغنى فيــه بجمع المؤنث السالم عن جمع التكسير

استغنى فى جمع (حبارى) (٧) بقولهم : حباريات عن حبائر وحبارى . قـال أبو على : « وما كانت الألف فيه خامسة فانه يجمع بالألف والتاء ، وذلك نحو حبارى وحباريات ، ولـم يقولوا : حبائر ولاحبـارى » (٨). وقـال سيبويه : « أماما كان على فعالى ــ بضم الفاء ــ فانه يجمـع بالتـاء . وذلك نحو حبـارى وحباريات ، ولم يقولوا : حبائر » (٩). قـال سيبويه : « وقالوا : سماوات فاستغنوا بهذا ، أرادوا جمع سماء لا من المطر ، وجعلوا التاء بدلا من التكسير » (١٠) وهـذا الذى قاله سيبويه يدل على أن (السمى) فى قول الراجز :

(تلفه الأرواح والسمى)

وقول أبو نخيلة السـعدى (كنهور كان من أعقاب السمى) .

الكنهور : السـحاب المتراكم بعضــه على بعض .

جمع ســماء التى هى المطر ، لا التى تظل الأرض . ومن ثم قال أبو على : « فأما المظلة للأرض فلا تكسر ، استغنى عن التكسير بالألف والتاء فى السماوات (١١) .

ومما استغنى فيه بجمع المؤنث السالم عن جمع التكسير قولهم فى جمع حلوة : حلوات .

قال ابن عصفور : « وأما مؤنثه ، أى مؤنث فعل ــ بضم الفاء وسكون العين ــ فلا يجوز فيه الا الجمع بالألف والتاء نحو حلوات ١٢ . وقال ابن منظور فى لسان العرب مادة (حلا) « والأنثى حلوة والجمع حلوات ولا يكسر ».

وكذلك استغناؤهم فى جمع سرادق وحمـام فى الأسماء ، وسبحل (١٣) وسـيطر (١٤) فى الصفات بجمع المؤنث السالم مع أنها مذكرات

(١) التكملة ص ٤٣٢ .
(٢) جاء فى اللسان والفرسن = فرسن البعير .
(٣) الخنصر ــ بكسر الخاء والصاد ــ الاصبع الصغرى ، وقيل = الوسطى .
(٤) المحلج والمحلجة ــ الذى يحلج عليه وهى الخشبة أو الحجر .
(٥) الجوالق ــ بكسر اللام وفتحها ــ وعـاء معروف معرب .
(٦) الكتاب ٣/٦١٥ .
(٧) الحبارى ــ طائر ــ وفى الصحاح أنه يقع على الذكر والانثى واحدها وجمعها سواء .
(٨) التكملة ص ٤٤٧ .
(٩) الكتاب ٣/٦١٧ .
(١٠) المرجع السابق ٣/٦٠٠ .
(١١) التكملة ص ٤٤٠ .
١٢ شرح الجمل ٢/٥٢٧ بتصرف .
(١٣) يقال ــ جمل سبحل ــ أى عظيم .
١٤ يقال ــ جمل سيطر وجمال سيطـرات سريعة لا تكسر .

وانما قصر جمعها على ذلك استغناء به عن جمع التكسير (١) .

سابعا : بعض ما استغنى فيه بجمع المذكر السالم عن جمع التكسير .

قالوا : رجل (٢) صنع وقوم صنعون — بفتح الفاء والعين — فى المفرد والجمع .

وقالوا: رجل رجل (٦) وقوم رجلون ، استغنى عن تكسيرهما بجمع السالم وذلك لقوة الجمع السالم فى الصفة (٣) . وقالوا : رجل شلل وهو الخفيف فى الحاجة فلا يجاوزون شللون (٤) .

وقالوا : رجل حلو وقوم حلوون (٥) .

وقالوا : رجل جد للعظيم الجد فلا يجمعونه الا بالواو والنون كما لم يجمعوا صنع — بكسر الفاء — الا كذلك يقولون : جدون .

ثامنا : بعض ما استغنى فيه بجمع المؤنث السالم عن جمع المذكر .

قالوا : ظبات وشيات ولم يقولوا : ظبون ولا شيون . قال سيبويه : « ولو سميت رجلا بشية أو ظبة لم تجاوز شيات ولا ظبات ، لأن هذا الاسم لم تجمعه العرب الا هكذا ، وقال فى موضع آخر : « وقد يجمعون الشىء بالتاء ولا يجاوزون به ذلك استغناء ، وذلك ظبة وظبات ، وشية وشيات » (٦) .

قال ابن يعيش : « كأنهم استغنوا بالألف والتاء ، وفى ذلك دليل على أن الجمع بالألف والتاء هو الأصل فى هذه الأسماء ، لأنك تجمع بالألف والتاء كل ما تجمعه بالواو والنون ، ولست تجمع بالواو والنون كل ما تجمعه بالألف والتاء منها » (٧) .

قال أبو على : « لقد قال سيبويه فى ظبة ما تراه ، ولكنا نرى الكميت يقول .

يرى الراؤون بالشرفات منها
كنار ابى حباحب والظبينا

فلعله يجعل ذلك مما جاء فى الشعر دون غيره للضرورة » (٨) .

ثالثا : الاستغناء فى التصغير

ذهب سيبويه الى أن (اللاتى) لا تحقر استغناء بجمع (التى) المحقرة بالألف والتاء كما فى دراهم ودريهمات ، فتقول : اللتيات . ومن ثم قال سيبويه : « واللاتى لا تحقر استغنوا بجمع الواحد اذا حقر عنه ، وهو قولهم : (اللتيات) فلما استغنوا عنه صار مسقطا » (٩) .

وممن وافق سيبويه ابن يعيش حيث يقول : « وأما اللاتى فلا يحقر على لفظه ، لأنه جمع

---

(١) الكتاب ٣/٦١٥ بتصرف .
(٢) يقال رجل صنع ، اى حاذق الصنعة .
(٣) الرجل هو الرجل الشعر .
(٤) الكتاب ٣/٦٢٩ وابن يعيش ٥/٢٦ .. والتكملة ص ٤٦٠ .
(٥) التكملة ص ٤٦١ والكتاب ٣/٦٢٩ .
(٦) جاء فى لسان العرب مادة (حلا) والحلو من الرجال = الذى يستخفه الناس ويستحلونه وتستحليه العين ، والجمع حلوون ، ولا يكسر ، وابن يعيش ٥/٢٥ .
٧ الكتاب ٣/٤٠٠ ، ٥٩٨ . ابن يعيش ٥/٣٧ .
٨ التكملة ص ٤٣٠ بتصرف .
(٩) الكتاب ٣/٤٨٩ .

كثرة فردوه الى الواحد وصغروه ثم جمعوه بالألف والتاء ، لأنه مؤنث كما يفعل بالجمع من غير المبهم نحو قولهم فى جفان وقصاع (جفينات وقصيعات) (١) .

وكذلك وافقه ابن هشام حيث يقول : « واذا أردت تصغير (اللاتى) صغرت (التى) فقلت (اللتيا) ثم جمعت بالألف والتاء فقلت (اللتيات) واستغنوا بذلك عن تصغير اللاتى واللائى على الأصح » (٢) .

وكان الأخفش يصغر اللاتى واللائى على لفظهما ويقلب الألف واوا ، لأنهما صارا حين حقرا بمنزلة ضارب اذا أجرى عليهما حكمه ؛ ويحذف الياء التى هى لامهما ، لأن ألف التصغير تزاد فيبقى الاسم على خمسة سوى ياء التصغير ، وانما كانت الياء هى المحذوفة لأنها طرف فتقول : (اللويتا) (٣) .

وممن وافق الأخفش ابن عصفور حيث يقول : « وتقول فى تصغير اللاتى اللوتيا . تبقى الأول على حركته وتقلب الألف واوا ، لأن (اللاتى) بمنزلة ضارب فكما تقلبها فى ضارب واوا ،كذلك تقلبها فى (اللاتى) وتزيد الياء ثالثة وتحذف الياء من اللاتى ، لئلا تخرج عن نظائرها من الأسماء المصغرة اذا زدت فى آخرها ألفا فى كونه على خمسة أحرف وليس قبل آخره حرف مد ولين ، فكذلك تقول : اللوتيا .

ثم يقول : ومن العرب من لا يصغر اللاتى واللائى استغنوا عن ذلك بتصغير التى لأنها فى معناها » (٤) . وهو بهذه العبارة الأخيرة يشير الى رأى سيبويه دون أن يوافقه ومن الاستغناء فى التصغير استغناؤهم بتصغير (الذى) عن تصغير (من) .

قال سيبويه : « ولا تحقر من ولا أى اذا صارا بمنزلة الذى ، لأنهما من حروف الاستفهام ، فمن لم يلزمه تحقير كما يلزم الذى لأنه انما يريد به معنى الذى ، وقد استغنى عنه بتحقير الذى ، ثم قال : « فهذه الأسماء لما لم يكن حالها فى التحقير حال غيرها من الأسماء المبهمة ، صارت يستغنى ببعضها عن بعض ، كما استغنوا بقولهم : أتانا مسيانا وعشيانا عن تحقير القصر فى قولهم : أتانا قصرا ، وهو العشى » (٥) .

ومنه استغناؤهم بتصغير (تا) عن تصغير (ذه أو ذى) . قال المبرد : « فان حقرت (ذه) أو (ذى) قلت : (تيا) . وانما منعك أن تقول : (ذيا) كراهة التباس المذكر بالمؤنث ، فقلت : (تيا) لأنك تقول : (تا) فى معنى (ذه) و (تى) كما تقول : (ذى) فصغرت (تا) لئلا يقع لبس ، فاستغنيت به عن تصغير (ذه) أو (ذى) على لفظها » (٦) .

(١) ابن يعيش ١٤١/٥ والتكملة ص ٥٠٧ .
(٢) التصريح ٣٢٦/٢ .
(٣) المرجع السابق ٣٢٦/٢ .
(٤) شرح جمل الزجاجى ٣٠٧/٢ ؛ ٣٠٨ .
(٥) الكتاب ٤٨٩/٣ .
(٦) المقتضب ٢٨٨/٢ .

ومنه الاستغناء بلفظ المصغر عن المكبر ، فمن ذلك قولهم : جميل وهو طائر صغير شبيه بالعصفور ، وكعيت وهو البلبل ، وكحيل : القطران • وقد تحدث سيبويه عن ذلك فى باب التصغير حيث قال : هذا باب ما جرى فى الكلام مصغرا وترك تكبيره ، لأنه عندهم مستصغر فاستغنى بتصغيره عن تكبيره » (١)•

الاستغناء فى الأفعال

اعلم وفقنى الله واياك أن الاستغناء وقع فى الأفعال كما وقع فى الأسماء ، فمن ذلك استغناؤهم : ب (ترك) عن (وذر وودع) ، ومن ثم يقول ابن جنى : (٢) •

« ومن ذلك امتناعك من (وذر وودع) لأنهم لم يقولوهما ، فأما قول أبى الأسود

ليت شعرى عن خليلى ماالذى

غاله فى الحب حتى ودعه

فشاذ • وكذلك قراءة بعضهم : « **ماودعك ربك وما قلى** » (٣) بالتخفيف • فأما قولهم : ودع الشىء — يدع — اذا سكن — فاتدع فمسموع متبع ، وعليه أنشد بيت الفرزدق •

وعض زمان يابن مروان لم يدع

من المال الا مسحت أو مجلف

فمعنى لم يدع — بكسر الدال — أى لم يتدع ولم يثبت (٤) •

ومنه الاستغناء بمطاوع بعض الافعال عن بعض نحو « أنخته فبرك » ولم يقولوا : فناخ (٥)•

وهناك ألفاظ استغنت العرب عن التعجب منها بأشد وما فى معناها ، نحو قال من القائلة فلم يقولوا : ما أقيله استغناء عنه ب (ما أكثر قائلته) •

يقول ابن الحاجب : « ووجه ذلك أنه لما كثر وقوع هذا المعنى والتعبير عنه بما أكثر قائلته فلو كان (ما أقيله) جاريا فى كلامهم على القياس فى هذا الباب لكان واقعا فى لغتهم ، ولما لم يقع فى لغتهم دل على أنه مستثنى عندهم ، فهذه طريقة سيبويه فى استثناء (ما أقيله) من هذا الباب » (٦) • ولذا قال سيبويه « واعلم أنهم لا يقولون : ما أقيله استغناء عنه بما أكثر قائلته ، كما استغنوا بتركت عن وذرت » • ومنها (سكر وقعد وجلس) فانهم لا يقولون (ما أسكره وأقعده وأجلسه) استغناء بقولهم : (ما أشد سكره وأكثر قعوده وجلوسه) (٧) • وقال ابن عصفور : « ولم يقولوا : (ما أقعده) ، لئلا يلتبس ب (ماأقعده من أب) ، ولم يقولوا : ما أجلسه حملا على ما أقعده ، لأنه فى معناه ، أو حملا على ما أقومه لأنه نقيضه ، ولم يقولوا ما أسكره ، لئلا يلتبس بقولهم : ماأسكر التمر ، اذاكان فيه السكر » (٨)•

---

(١) الكتاب ٣/٤٧٧ ، والمزهر ٢/٢٥٣ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .
(٢) الخصائص ١/٩٩ .
(٣) الضحا /٣
(٤) الخصائص ١/٩٩ .
(٥) الاشباه والنظائر ١/٥٢ .
(٦) الايضاح فى شرح المفصل ٢/١٠٨ . تحقيق د/ موسى بناى العليلى .
(٧) التصريح على التوضيح ٢/٩٣ .
(٨) شرح الجمل ١/٥٨١ .

الاستغناء فى الحروف

الحرف قسيم للاسم والفعل وكما وقع الاستغناء فى أخويه وقع فيه ، فمن ذلك استغناؤهم ب (اليه) عن (حتاه) ، ومن ثم قال ابن عصفور : ولا يجوز فى (سرت حتى الصباح) (حتاه) لاستغنائهم عنه ب (اليه) وقال فى موضع آخر : « وأما حتاك وحتاه وحتاى » فاستغنوا عنها ب (اليه واليك والى) لأنها فى معناها » (١) .

ومنه استغناؤهم ب (مثله ومثلك ومثلى) عن (كه وكك وكى) ، ولذا قال ابن الحاجب :

« ولا تدخل كاف الجر على الضمير ، لأنها لو دخلت على الضمير لأدى الى مثل قولهم :

(كك) ولا يخفى تهجينه فرفضوا دخولها على المضمرات بأسرها ، لأنه باب واحد أدى الى ما يستهجن مع الاستغناء عنه بمثل ، فاستعملوا (مثل) مع المظهر والمضمر جميعا ولم يستعملوا الكاف الا مع المظهر الا ماشذ » (٢).

وقال ابن عصفور : « ولا يجوز : زيد كه ، لاستغناء العرب عنه بمثله » وقال فى موضع آخر : « وأما كه وكك وكى فاستغنوا عن ذلك بمثله ومثلك ومثلى »(٣) .

ومنه استغناؤهم عن (مذه) بمذ ذاك .

وكان أبو العباس المبرد يرى اضافة ما تقدم الى الضمير ولا يمنع منها ويقول : اذا كان ما بعد حتى منصوبا اياه ؛ واذا كان مرفوعا : حتى هو ، واذا كان مجرورا : حتاه وحتاك ، ويقول فى (مذ ذاك) اذا كان مرفوعا : مذهو ، واذا كان مجرورا مذه ومذك . وكان سيبويه يمنع ذلك . يقول ابن يعيش : « والصحيح ما ذهب اليه سيبويه لموافقته كلام العرب »(٤) وربما جاء فى الشعر بعض ذلك مضمرا ، وهذا شاذ أو ضرورة ، كقوله .

(كام أو عال كها أو اقربا)

وقوله :

فلا والله لا يلفى أناس
فتى حتاك يابن أبى زياد

ومنه استغناؤهم عن جر هاء التنبيه وهمزة الاستفهام وقطع الف الوصل وواو القسم للضمير بباء القسم نحو : (بك وبه وبى) ، لأن الباء فى معناها (٥) ومنه استغناؤهم عن جر واو رب للضمير بربب (٦) .

وبعد فهذا آخر ما من الله به على فى الحديث عن الاستغناء فى اللغة العربية ، والله أسال أن ينفع به أنه نعم المولى ونعم النصير.

د / حمدى عبد الحميد المقدم

---

(١) شرح الجمل ١/٢٦٥ ، ٤٧٤ .
(٢) الايضاح شرح المفصل ٢/١٥٧ .
(٣) شرح الجمل ١/٢٧٥ ، ٤٧٥ .
(٤) شرح المفصل لابن يعيش ٨/١٦ .
(٥) شرح الجمل ١/٤٧٤ .
(٦) المرجع السابق ١/٤٧٤ .

الاتجاه الشمولى فى دراسة الأدب العربى

للدكتور يوسف حسن نوفل

فى المفهوم :

من الباحثين من اختاروا الاتجاه الشمولى طريقا الى محاولة الاحاطة بدرس الأدب العربى الحديث ، ونعنى بالشمولى هنا تناولهم لظاهرة أدبية أو تيار فنى ، أو حديثهم عن جنس أدبى من خلال نماذج من بيئات عربية شتى ، اذ لم يقتصروا فى دراستهم على نتاج بيئة بعينها أو بيئات متجاورة بعينها أيضا . بل حاولوا القاء نظرة أدبية شاملة على الأدب العربى المعاصر .

وانما أطلقنا على هذا الاتجاه سمة الشمول ، نظرا لما فيه من طموح الى تجاوز الدائرة البيئية المحدودة لاقليم ما ، **وان كان من الحق أن نقرر أن الشمول هنا ليس تاما ، وان هذا الطموح لم يحلق بعيدا** ، ولكى تتضح الصورة نلتقى ببعض النماذج التى حاول أصحابها دراسة الأدب العربى الحديث من منطلق يتجاوز حدود البيئة الخاصة ، ويمكن القول : ان نماذج هذا الاتجاه تراوحت بين الوجوه التالية :

- **القاء النظرة العامة .**
- **تناول جنس أدبى .**
- **دراسة تيار أو ظاهرة .**

ذلك أن من يطمح الى تناول الأدب العربى المعاصر فى اطاره العام ، وفى منطلقه الشامل يتحتم عليه أن يكون ملما بتياراته ، وظواهره ،

ومدارسه الأدبية ، ونمو أجناسه الأدبيــة ، وتعاقب الأجيال فيه ، والصلات الفنية الوثيقة بين أجيال كل بيئة من ناحية ، وأجيال البيئات الأخرى من ناحية ثانية .

وإذا حاول دارس أن يزعم لنفسه أنه مطبق لهذا الاتجاه ، الاتجاه الشمولى فقــد يجــد نفسه فى حاجة ماسة الى أن يضم فى دراســة واحدة عن الشعر أفرادا من جيــل واحــد — تقريبا — تناءت بهم الدار وبعدت الشــقة ، فيضع فى باقة البــارودى مثــلا (١٨٣٨ — ١٩٠٤ م) كلا من : أحمد فارس الشــدياق (١٨٠٤ — ١٨٨٨) ووردة اليازجية (١٨٣٨ — ١٩٢٤) من لبنان ومحمد بن عبد الله بــن عثيمــين (١٢٦٠ هـ — ١٣٦٣ هـ) من نجــد بالسعودية وابراهيم الأسكوبى (١٢٦٩ هـ — ١٣٣٢ هـ) من المدينة المنورة بالسعودية وأبى بكر العلوى (١٨٤٦ — ١٩٢٣) من اليمن ، وعبد الرحمن الكواكبى (١٨٤٩ — ١٩٠٢) من سوريا ، ويوسف النبهانى (١٨٤٥ — ١٩٣٢) من شمال فلسطين ، وكان هذا الشاعر قد رحل للى مصر سنة ١٨٦٦ ، وقال عنه « شــكيب أرسلان » انه من أشهر شــعراء العصر (١) ، وقد يضم بعضهم وآخرين غيرهم الى حديقة «شوقى» من أمثال الزهاوى (١٨٦٣ — ١٩٣٦)، والرصافى (١٨٧٥ — ١٩٤٥) بالعراق ، وأحمد رفيق المهدوى (١٨٩٨ — ١٩٦١) بليبيــا ، وشكيب أرسلان (١٨٦٩ — ١٩٤٦) بلبنان ، وفؤاد شاكر من السعودية .

وقد يجــد فى نطــاق مدرسة أبوللــو (٢) أن الشاعر ابراهيم ناجى (١٨٩٦ — ١٩٥٣) قد أنشأ هو ومجموعة من الأدبــاء المصريين ما سموه (رابطة الأدباء) (٣) وانضم اليهــا من بعض البيئات العربية من أمثال :

محمود مسعود من كندا ، وزكى قنصل من المهجر ، وعبد الله زكريا الأنصارى من الكويت وعبــد اللــه عبــد الجبــار ، ومحمــد سعيد العامودى ، ومحمد العــامر الرميح ، وابراهيم هاشم فــلالى ، وكلهم من المملكــة العربية السعودية وأحمد الملائكة ، وعدنــان الراوى ، ورووكس بن زائد العزيزى وهو من شرقى الأردن ، ومجيد الخفاجى من بغداد ، وأبــو القاســم كــرو من تــونس ، وزكى المحاسنى من سوريا ، ومصطفى الدباغ مــن الأردن ، وهارون هاشم رشــيد من غــزه . الخ .

---

(١) أحمد قبش ، تاريخ الشعر العربى الحديث دمشق ١٩٧٠ ، ص ٣٨ وغيرها .

(٢) بدأ انتاج بعض شعرائها منذ ١٩١١ كأبى شادى ، ويعتبر عام ١٩٢٧ تاريخ الظهور هــذا الاتجاه بظهور ((الشفق الباكى) لأبى شــادى ، وتدفقت دواوين اعضاء الجماعة سنة ١٩٣٤ ، وظهرت مجلة (ابوللو) سنة ١٩٣٢ ، وهكــذا كان شعر على محمود طه ، والهمشرى ، وخاجى وصالح جودت ، والصيرفى .

انظر عبد العزيز الدسوقى جماعة ابوللــو القاهرة ١٩٦٠ ، والدكتور احمد هيكل ، تطــور الادب الحديث القاهرة ط ٣ ص ٢٩٧ — ٣٦٣ .

(٣) أحمد قبش ، تاريخ الشعر العربى الحديث ص ٢٤٨ (وهى رابطة الادب الحديث) .

وفى ذلك يتاح للباحث أن يحيط بالظاهرة الأدبية من جميع وجوهها ، فيقف على الصلات التى تربط أديبا شاميا بآخر من الجزيرة ، وأديبا عراقيا بآخر مغربى ، فيصل الى ميلاد الظاهرة وامتدادها ، ولا تقوم أحكامه على التعميم .

كما أن دراسة أى وجه من وجوه النشاط الأدبى فى العالم العربى المعاصر ترتبط فيها البيئات ارتباطا كبيرا ، نذكر من ذلك ــ على سبيل المثال ــ حركة الترجمة التى وضع أسسها محمد على فى مصر ، لقد كان معظم المترجمين آنذاك من المغاربة والسوريين والمصريين والأرمن من أمثال :

روفائيل زاخور ، ويوسف فرعون ، ومحمد عمر التونسى ، ورفاعة الطهطاوى .

ويختلف الأمر هنا عما نراه فى الجهد العظيم لعلماء « البيليوجرافيا » ، حين يهتمون بحصر

رءوس الموضوعات على نحو ما زاد به محمود الشنيطى هذا المجال بدراسته (تصنيف

الموضوعات فى المكتبات العربية واعداد جدول قياسى لعناوين الموضوعات ونظام تصنيف موجز باللغة العربية) سنة ١٩٦٢ ثم أحمد أنور

عمر فى رءوس الموضوعات فى الفهارس (١) سنة ١٩٦٧ ، ثم جلال الدباغ فى (رءوس

الموضوعات لكتابة الأبحاث : دراسة منهجية فى الكشف عن المعلومات واعداد رءوس الموضوعات للمكتبة العربية) (٢) وما صدر عن مؤتمر الاعداد البيليوجرا فى للكتاب العربى(٣)

بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمدينة الرياض (٤) ، ثم جهود كل من محمد أمان ، ومحمد محمد الهادى ، وزاهدة

ابراهيم ، ومحمد فتحى عبد الهادى ، وابراهيم أحمد الخازندار ، ومحمود حشاد ويحيى

ساعاتى ، وأمثالهم (٥) . ويهمنا منها ــ بطبيعة الحال ــ ما يتصل بالأدب العربى

الحديث ، وقد قلنا : ان الأمر مختلف فى هذه الأعمال عما نراه فى الدراسات الأدبية ، التى

تتجاوز الحصر والتصنيف الى الدراسة والتحليل والتنظير والتطبيق ، ولعل اتصال

جهود الباحثين فى المجالين يؤدى الى ما نسميه « الببلوجرافية » الأدبية القومية (٦) .

وقد قلنا ان وجوه التناول تراوحت بين : النظرة العامة ، أو تناول الجنس الأدبى أو التيار والظاهرة .

---

(١) بغداد ، جامعة بغداد ١٩٦٨ .
(٢) بغداد ١٩٦٩ .
(٣) الرياض ١٣٩٣ هـ .
(٤) بين ٢٩ من شوال ، و ٧ من ذى القعدة ١٣٩٣ هـ (٤ نوفمبر ــ ١ ديسمبر ١٩٧٣) .
(٥) انظر فى ذلك مقالات حول رءوس الموضوعات بمجلة عالم الكتب ، السعودية العدد ٢ ــ ١٩٨١ .
(٦) انظر بحثا لنا بحولية كلية البنات ــ جامعة عين شمس .

في حاشية الأمير

قضايا فكرية وأدبية واجتماعية

في مغاني « المغنى » تهيأ الجمع الحاشد للاجتماع ، وكانت الاعلام مرفوعة ، ومصابيح العلوم والآداب والفنون مضيئة ، واتجه سعداء الحظ من أهل الفكر والشعر والفن الى قاعة الاجتماعات ، وماهى الا دقائق حتى كانوا على مقاعدهم يستشرفون طلعة الأمير وخاصته، وأهل عليهم ببسمة حانية ، ثم جلس ، فوقف « سكرتير » الجلسة السابقة يعلن اخلاء المكان لغيره ... وأهل الخلود لهم حسهم الكاشف ، فاتجهت أنظارهم الى « ابن الشجرى » ليقوم بتلك المهمة العظيمة .

وابن الشجرى كما هو مثبت في الحاشية « الشريف أبو السعادات هبة الله بن على بن محمد ، من أولاد الحسن بن على بن أبى طالب ، ناب في الكرخ عن الطالبيين في النقابة . امام مفرد في علوم الأدب ، صنف الأمالى والانتصار لنفسه على ابن الخشاب . قرأ على « الخطيب التبريزى » واقرأ النحو سبعين سنة ، أخذ عنه التاج الكندى . قال ياقوت : نسب الى بنت الشجرى من قبل أمه . وقال بعضهم : كان في بيته شجرة وليس في البلد غيرها . ولد في رمضان سنة خمسين وأربعمائة من الهجرة ومات في سادس رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة » وتنحى له القاضى عبد العزيز الجرجانى عن مقعده ، فأقبل ابن الشجرى وجلس وهو ينشد :

كانت منازلنا التى كنا بها
شتى فألف بيننا دوار

فضجت القاعة بالضحك ، فالحاضرون يعلمون أن «دوارا» هذا كان «سجن اليمامة» وقائل الشعر لص اسمه « جحدر » فقال ابن الشجرى : لئن جمع دوار وهو سجن اللصوص من كل صقع فقد جمعنا « المغنى » من كل قبر ، وهو مجمع الخالدين من كل قطر . قال القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى : لابأس في ذلك، فالأديب يوجد علاقة بين الشىء وضده فيكون المعنى جميلا نبيلا . قال ابن الشجرى : أود أن تكون جلستنا اليوم معنية بالموضوع عنايتها بالشخص ، ليكون مجال القول ذا سعة وحتى لا نحرج أحدا .

للأستاذ السيد حسن قرون

وسأتقدم بالموضوعات واحدا تلو الآخر دون تحديد حتى يكون الوقت وقوة الاحتمال هما الحد الفاصل لرفع الجلسة . فوافق الجمع السعيد . وبدأ طرح الأفكار ، على أن السكرتير مقيد بما فى الحاشية ، فليس له أن طرق موضوعا لم يكن من موضوعاتها ، ولا أن يذكر اسما لم يدون فى دفتر التشريفات ، والسكرتير على علم تام بتلك القيود . وقد جعل همه الاقدم فالأقدم فى سيره بالحوار وعرض المسائل .

ابن رواحة :

وكان أن أعلن : هل للرجل أن يكذب على أهل بيته ؟ وتبارى الحاضرون فى ابداء الرأى . وهنا قدم لهم ترجمة دونها مولانا الأمير عن الصحابى الشهيد « ابن رواحة » ذاكرا المراجع التى اعتمد عليها غير أنه سها عن سنة استشهاده ، فذكر أن « عبد الله بن رواحة » مات سنة سبع من الهجرة ، والصواب أنه استشهد فى غزوة « مؤتة » فى جمادى الاولى سنة ثمان من الهجرة — حسب رواية ابن اسحاق — وفى هذه الغزوة استعمل النبى — صلى الله عليه سلم — « زيد بن حارثة » وقال : ان أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس ، فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس ، وكل أخباره كما أثبتها الأمير صحيحة قال عنه : شهد بدرا والعقبة وهو أحد النقباء ، وشهد أحدا والحديبية وعمرة القضاء والخندق وخيبر .استخلفه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على المدينة حين خرج الى بدر الصغرى .

اخرج ابن عساكر عن عمر بن الخطاب قال رسول الله — صلى الله عليهوسلم — لعبد الله ابن رواحة لو حركت الركائب . قال لقد تركت قولى (يريد الشعر والرجز) فقال له عمر : اسمع وأطع فقال الأبيات التى منها الشاهد :

« ونحن عن فضلك ما استغنينا »

فعند النحاة أن « ما » لها الصدر مطلقا وأن ما جاء فى قول ابن رواحة خاص بالشعر مع الظرف للتوسع كأن الكلام ينبغى أن يكون « ونحن ما استغنينا عن فضلك » فقال رسول الله : اللهم ارحمه فقال عمر : وجبت . ولم يعقب : أى ليس له ولد . وعنه أنه قال : رحم الله ابن رواحة كان أينما أدركتهالصلاة أناخ. روى عنه ابن عباس وأنس وأسامة وكان أخا أبى الدرداء لأمه ، وخال النعمان بن بشير ، وكان يكتب فى الجاهلية ، وكانت الكتابة فى العرب قليلة . وعن حسن بن على رضى الله عنهما قال . قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم—لعبد الله بن رواحة : ما الشعر ؟ فقال: شىء يختلج فىصدر الرجل فيخرجه علىلسانه

شعرا، وأنشد فى النبى شعرا فلقبه بسيـد الشعراء ، وسنذكر هذا الشعر فيما بعد .

وعن محمد بن سيرين قال : كان شعراء النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بـن مـالك. وروى أبو يعلى عن أنس قال دخل النبى ــ صلى الله عليه وسلم مكة فى « عمرة القضاء » فى السنة السابعة من الهجرة ــ وابن رواحة بين يديه وهو يقول :

خلوا بنى الكفـار عن سبيله
اليـوم نضربكم على تأويلـه
ضربـا يزيل الهـام عـن مقيلـه
ويذهـل الخليـل عـن خليلـه

فقال عمر : يابن رواحة ، حـرم الله وبين يدى رسول الله ــ صلى الله عليه وسـلم ــ تقول الشعر ؟ فقال النبى : خـل عنه يا عمر فوالذى نفسى بيده لكـلامه أشد عليهم مـن وقع النبل .

وأخرج الزبير بن بكار عن هشام بن عروة عن أبيه قال : ما سمعت بأحد أجرأ ولا أسرع شعرا من عبد الله بن رواحة يوم يقـول لـه رسول الله ــ صلى الله عليه وسـلم ــ قـل شعرا تقتضيه الساعة وأنا أنظر اليك ثم أبده بصره ، فانبعث ابن رواحة يقول :

انى تفرست فيك الخـير أعـرفه
والله يعلم مـا ان خـاننى بصر
أنت النبى ومـن يحرم شـفاعته
يوم الحسـاب فقد أودى به القدر
فثبت اللـه ما آتـاك من حسـن
كالمرسـلين ونصرا كالذى نصروا

فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « وأنت فثبتك اللـه »

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن عروة قال: لما نزلت : « **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ** » قال عبد الله بن رواحة : قد علم الله أنى منهم . فأنزل : « **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** » الآية الأخيرة من سورة الشعراء .

هذه هى حياته الجادة تقابلها حياة مرحـة أخرج ابن عساكر عن عبد العزيز ابـن أخى الماجشون . قال : بلغنا أنه كان لعبد الله بـن رواحة جارية يستسرها سرا عن زوجته الحرة ، فبصرت به يوما قد خلا بها ، فقالت : لقـد اخترت أمتك على حـرتك ، فجاحـدها ذلك . قالت : فان كنت صادقا فاقرأ آية من القرآن. فقال :

شهدت بـأن وعـد اللـه حـق
وأن النـار مثـوى الكافرينـا

قالت : فزدنى آية أخرى . فقال :

وأن العرش فوق المـاء طـاف
وفـوق العرش رب العالمينـا

فقالت : زدنى آية أخرى . فقال :

وتحملـه مـلائكة كـرام
مـلائكة الالـه مقربينـا

فقالت : آمنت بالله وكذبت البصر ، فأتى ابن رواحة النبى ــ صلى الله عليه وسـلم ــ فحدثه فضحك ولم يغير عليه .

ولا يقتصر الأمير على تلك الرواية فيشفعها

برواية أخرى فى هذا الشأن فيقول :وأخرج ابن عساكر عن عكرمة مولى ابن عباس أن عبد الله بن رواحة كان مضطجعا الى جنب امرأته فخرج الى حجرة لجارية له فكان له معها ما يكون بين الزوجين ، فاستيقظت زوجته الحرة ولم تجده بجوارها فخرجت فاذا هو فى فراش الجارية فرجعت وأخذت الشفرة • فقال لها : مهيم مهيم ؟ فقالت : مهيم ! أما أنى لو وجدتك حيث كنت لوجأتك بها • قال : وأين كنت ؟ قالت على فراش الجارية • قال : ما كنت قالت : بلى • قال فان : رسول الله — صلى الله عليه وسلم — نهى أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب • قالت : فاقرأه فقال :

أتانا رسول الله يتلو كتابه
كما لاح مشهور من الفجر ساطع
اتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه
اذا التصقت بالكافرين المضاجع

فحدث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بذلك فضحك حتى رد يده على فيه • وقال : هذا من معاريض الكلام ، يغفر الله لك يابن رواحة ان خياركم خيركم لنسائه • فأخبرنى ما الذى ردت عليك حيث قلت ما قلت ؟ قال : قالت لى أما اذا قرأت القرآن فانى أتهم ظنى وأصدقك • فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :لقد وجدتها ذات فقه فى الدين (١)•

على أن ابن رواحة كان موضع ثقة من زوجته وتراه فى الرعيل الأول من أهل التقوى ، ويروى مولانا الأمير فى الترجمة رواية ابن عساكر عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : تزوج رجل امرأة عبد الله بن رواحة فقال لها : أتدرين لم تزوجتك لتخبرينىعن صنيع عبد الله ابن رواحة فى بيته ؟ فقالت : كان اذا أراد أن يخرج من بيته — صلى ركعتين ، واذا دخل داره صلى ركعتين ، لايدع ذلك أبدا • وأخرج البيهقى فى الدلائل عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أن عبد الله بن رواحة أتى النبى — صلى الله عليه وسلم — وهو يخطب فسمعه وهو يقول : اجلسوا ، فجلس مكانه خارجا من المسجد حتى فرغ النبى — صلى الله عليه وسلم — من خطبته فبلغ ذلك النبى فقال زادك الله حرصا على طواعية الله وطواعية رسوله •

ولقد استقصيت ما كتبه مولانا الأمير فى ترجمة عبد الله بن رواحة رضى الله عنه لأعطيك معى صورة عن صنيع صاحب الحاشية ومدى اطلاعه ، ولكنا نحن حين نترجم لانسلك مسلكه فهو ينص على المراجع ويستخرج الأخبار استخراجه للأحاديث الشريفة ، ولأمر كان معه لا معنا أن ما ذكره يتصل بصورة أو

(١) فى الشرح الصغير للشيخ أحمد الدردير أن الكذب تعتبره الاحكام ، فيكون واجبا لانقاذ نفس معصومة او مال معصوم من ظالم ولو حلف لا كفارة عليه عند التتائى ، وعليه الكفارة عند الناصر • وقسم حرام تكفره التوبة كالاخبار عن شىء وبغير ما هو عليه لغير ضرورة ، ومن الكذب الحرام الثناء على شخص بغير ما هو فيه• ويكون مندوبا كاخبار الكفار بقوة المسلمين وليس فيهم قوة ، ويكون مكروها كالكذب للزوجة وقيل مباح كالكذب للاصلاح بين متشاحنين •

بأخرى بسيرة النبى ــ صلى الله عليه وسلم.

وقد سجل ابن الشجرى ما قاله الحاضرون، فقد ارتضوا مسلك ابن رواحة فى جده ولعبه ، وأجازوا الكذبة البيضاء على الزوجة مادامت لا تحل حراما ، ولا تحرم حلالا • وقد لاحظ الأعضاء ما دونه الأمير من الروايتين ، وكان يمكن الاستغناء بواحدة منهما عن الأخرى •

وأنا أميل الى الأخذ بالرواية الأولى ، لأنها تحتوى على شعر به قواف نونية تشبه رءوس الآيات : الكافرين العالمين • المقربين ولا أدرى لم جاءت « المقربين » منصوبة مع أنها صفة لمرفوع ؟ ولعلها نصبت لقصد المدح •

وحياة ابن رواحة جديرة بالكتابة عنها فهو مثال المؤمن المجاهد الصادق وكفاه ذكرا استشهاده فى ميدان القتال فى غزوة مؤتة وكأنه دعانا للكتابة عنه بقوله قبل أن ينازل الأعداء ، فقد رد على دعاء المسلمين للجيش ، « صحبكم الله ودفع عنكم وردكم الينا صالحين » وكان رده شعرا قال :

لكننى أسـأل الرحمن مغفـرة
وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا (١)
أو طعنة بيـدى حران (٢) مجهزة
بحربة تنفـذ الأحشـاء والكبدا
حتى يقال اذا مروا على جـدثى
أرشـده الله من غاز وقـد رشدا

والشاهد البيت الأخير ، فنحن نذكره ونقول: « أرشده الله من غاز وقد رشدا » رضى الله عنه وأنزله منازل الشهداء والصديقين •

جـرير

وأعلن سكرتير الجلسة شكوى جرير من كثرة عياله ، فقد قرأ ما جاء فى المغنى وحاشية الأمير فى صوت واضح ، ونبرة متعجبة بقول صاحب المغنى ان « أو » تأتى للاضراب مطلقا مختجا بقول جرير راويا عن الكوفيين وأبى على وأبى الفتح وابن برهان :

ماذا ترى فى عيال قـد برمت بهم
لم أحص عـدتهم الا بعـداد ؟
كانوا ثمانين أو زادوا ثمـانية
لولا رجاؤك قـد قتلت أولادى !

علق مولانا الأمير هكذا : « قوله جـرير » أى يمدح معاوية بن هشـام بن عبد الملك ، والعيال جمع عيل بوزن سيد ، ويجمع أيضـا على عيائل وهو من عاله يعوله اذاقام بمصالحه وبرمت تعبت وزنا ومعنى •

شرح مولانا الأمير معنى « العيال » ومعنى « برم » ولم يتحدث عن مدى صدق الشاعر ولا عن الأمير الممدوح وكان أعضاء المجلس فى حاجة الى رأيه •

قال « مربع » راوى شعر جرير : لم اخترتم الحديث عن عيال جرير وقد سجل له مولانا الأمير كثيرا من المواقف والشعر الذى يستشهد به ؟ قال ابن الشجرى : لم يعب عنا ما تقول يامربع غير أننا نظرنا فوجدناه يشكو من كثرة

---

(١) ذات فـرغ المراد اتساع وتقذف الزبد ترمى بالدماء الغزيرة •

(٢) حران = مغيظ

عياله ، ولم ينظر الى ماجرى له من جده « الخطفى » فقد ولد جرير بن عطية باليمامة ، وكان أبوه راعى أعنز له ، وكان جده الخطفى ذا ابل ومال فلما ولد جرير وهب له ذلك الجد بعضا من ابله وماله ثم ولد لذلك الجد بنون فرجع فيما وهب لجرير ، وقد عاتبه جرير بشعر يقطر ألما وأسى منه :

فانت أبى ما لم تكن لى حاجة
فان عرضت أيقنت أن لا أباليا
باى سنان تطعن القوم بعدما
نزعت سنانا من قناتك ماضيا

فكان عليه أن يرعى حاله ولا يكون له ذلك العدد الضخم الذى يحتاج الى عداد ، كانوا ثمانين بل زادوا ثمانية ، ولو استخدمت «أو» للشك كان ملوما لأنه لا يعرف عدد أولاده .

ولأن المتحدث عنه قبله وهو ابن رواحة مات شهيدا ولم يعقب ولداولا بنتا ولم يشك يوما عيلة ولا فقرا ، بل كان مع جهاده وورعه يأخذ من الدنيا بشاشتها لا عبوسها ، وحلوها لا مرها .

قال قائل : ويخيل الى أن الامام الشافعى فسر « ألا تعولوا » من قوله تعالى فى سورة النساء « **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا** » أن لا تكثر عيالكم — مع أن معظم المفسرين ومنهم السيدة عائشة فسروا « ألا تعولوا » ألا تجوروا — بروايته شعر جرير..وأغلب الظن أن الأمير معاوية بن هشام كان عند حسن الظن به فأسنى الجوائز لجرير مادحه ، وقد تعود جرير الشكوى من الفقر منذ شبابه ، ولجده أثر فى عادته ، ولقد وجدناه يقول للحجاج :

انى لمرتقب لما خولتنى
ولفضل سيبك يابن يوسف راجى

فهو مرتقب لما تعهده به ، ومنتظر فضل عطائه ، وأوضح من هذا فى السؤال وذلةالطلب قوله للخليفة عبد الملك بن مروان :

أغثنى يافداك أبى وأمى
بسيب منك انك ذو ارتياح

يطلب الاغاثة بسيب وهو العطاء والتعليل انك ذو ارتياح وسرور بما تعطيه . والعجيب أننا نعتذر عنه بأن عصره كان لايذم هذا السلوك وأميره الذى شكا اليه حاله محظوظ بشعره فلولا شعر جرير ما نوه به رجال الأدب ، لأنه لم يل شئون المسلمين بعد أبيه هشام بل مات فى عهده على أثر حادث أليم فقد ركب حصانه وجرى به فى حديقة كثيرة الشجر متعانقة الاغصان ، أسرع الحصان واستبكت به الأغصان فسقط على الارض فكانت القاضية . وقد ترك أولادا صغارا كان الوالد هشام الخليفة كلما نظر اليهم بكى وتذكر ابنه . وقد بلغ نسيان التاريخ له أن ابنه « عبد الرحمن » صقر قريش والملقب بالداخل الذى هرب من العباسيين وركب الوعر من الجبال وذاق مشقة الخوف والسهر ثم عدى البحر الى الأندلس فأسس دولة عاشت أربعة قرون ، حينيكتب المؤرخ تاريخه ينسى معاوية ويضع مكانه اسما آخر .

قال المبرد : أنا لا أعرف له هذا العدد من الأولاد ، كانت عنده الزوجة الحرة ، وعنده

الأمة . وأشهر أمة أعطاها له الحجاج اسمها « أمامة » وله فيها شعر . فأولدها حكيما وبلالا وحزرة هؤلاء من أذكر من ولدها هكذا يذكر المبرد . ويقول فى موضع آخر :

وأنشد لبلال بن جرير وبلغه أن موسى بن جرير كان اذا ذكره نسبه الى أمه . لأنه ابن أم ولد . فيقول قال ابن أم حكيم فقال بلال •

يارب خال لى أغد أبلجـــا

مــن آل كسرى يفتدى متوجا

ليس كخال لك يــدعى عشنجا

والعشنج المتقبض الوجــه السيء المنظر • باب ٣٦ ـ الكامل . الجزء الاول

وتذكر كتب الادب ومنها مذكرات فى تتمة منهاج الأدب العربى وتاريخه للسنة الثانية من كلية اللغة العربية » ١٩٣٦تأليف « عبد الباقى ابراهيم ومحمد البيلى الفار » أن لجرير أخوين أحدهما يســمى « عمــرا » ويســمى الآخر « أبا الورد » وله أولاد ثمانية ذكور . وكــان أفضلهم وأشعرهم يــدعى « بلالا » فمــن نصدق ؟ أنصدق المؤرخين أم شعر جرير ؟ لقد عاش جرير عمرا طويلا . فمن الجائز أن يكون هؤلاء الأبناء قد تزوجوا وكثر نسلهم . فمنذ عهد « يزيد بن معاوية بن أبى سفيان » الــى عهد « هشام بن عبد الملك بن مروان » وهــو يمدح الخلفاء والأمراء والولاة والقــادة فلعله ينطق عن حق ويعبر عن واقع •

وقد وصفه مؤرخوه بالدين والخلق الطيب والفطرة السليمة ومثل هذا لا يكــذب . واذا كان قد هجا فأقذع فانما أكــره على الهجــاء اكراها . فالهجاء فى عهد بنى أمية كان مقصودا لذاته . ليلهوا النــاس به عن الاهتمام بأمور الدولة ومايحدث فى ربوع البــلاد ولأن بعض الشعراء لهم طبيعة العدوان المتمثل فى الطعن باللسان بدل السنان . ومنهم الأخطل والفرزدق الراعى النميرى . وجرير يقول عــن نفســه : « أنا لا أبتدى ولكن أعتدى » مات جرير سنة ١١٠ هـ فى خلافة هشام بعــد وفاة خصــمه المشاكس الفرزدق بستة أشــهر . وترك لنــا ديوان شعر به ستةآلاف بيت من سنى الشعر وفاخره.وشعر النقائض به رده على الفرزدق. حوى شعره وشعر الفرزدق معا • وأنا لست مع القائلين بأن جرير عاش طوال حياته فى هم ونكد من شظف العيش من جهة . ومن هجــوم الشعراء عليه من جهة أخرى . وأنا أعتقد أنه سعيد بموقفه من الشعراء ولأن عيشه باتصاله بالحجاج وعبد الملك وأولاده . وكيف لا يسعد وقد هاجاه نحو ثمانين شاعرا فغلبهم وأسكتهم ولم يثبت له الا شاعران : الأخطل والفرزدق. وكانت كفته راجحة عليهما لسهولة شعره ورقة نسيبه . ومصداق ذلك أن جريرا هجا الراعى النميرى بالبصرة وفى مجتمع « المربد » والمربد فى الاسلام مثل عكاظ فى الجاهلية له خطره وأثره فى ميدان الشعر ورواته . فحين سمــع الراعى الشعر فزع وترك البصرة ومعه ابنه جندل فما حط رحاله فى مكان الا سمع شــعر جرير ومنه قوله :

فغض الطــرف انــك من نمير

فلا كعبــا بلغت ولا كــلابا

ولمكانته الشعرية سعى اليه بنو « يربوع » اينزل البصرة حتى يكون تجاه الشعراء الذين

ينازلونه وفى مقدتهم الفرزدق . وأسكنوه منزلا خاصا به وفيه نظم هجاء الراعى النميرى والمربد فى البصرة جعل منه الشعر مسرحا يؤمه عشاق الشعر واللغة وطلاب الاخبار والانساب وارتفعت « يربوع » بشعره . فقد ذكر مآثرهم ومفاخرهم فى الجاهلية والاسلام . أما ما تراه فى شعره من شكوى فذلك راجع الى عادة سقطت على قلبه من موقف جده منه . وجرير فى نظرى يضارع شعره فى العصر الأموى شعر البحترى فى العصر العباسى . فكلاهما يغترف من بحر لا ينضب . وكلاهما يمثل الشعر العربى فى منهجه ووضوحه وسمو خياله .

وقد كان المبرد توفى سنة ٢٨٥ هـ معاصرا وصديقا « لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير »

وروى له شعرا كثيرا فى كتابه « الكامل » وجعله علامة على التفوق وان كان من المحدثين قال : وليس لقدم العهد بفضل القائل ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب . ولكن يعطى كل ما يستحق . ألا ترى كيف يفضل قول عمارة على قرب عهده .

تبحثتم سخطى فغير بحثكم
نخيلة نفس كان نصحا ضميرها
ولن يلبث التخشين نفسا كريمة
عريكتها أن يستمر مريرها
وما النفس الا نطفة بقرارة
اذا لم تكدر كان صفوا غديرها

وهذا شعر اجتماعى فى الطبقة العليا . شديد الامر شريف المعنى ويجدر بمن كان حفيد جرير أن يكون فى الشعر من الفحول . والحمد لله على أن جرير . لم يعرف تحديد النسل والا فاتنا رائع شعره وبارع أدبه .

وهنا رفعت الجلسة للاستراحة .

عادت الجلسة الى الانعقاد . وينبغى لنا أن ندرك أن الحاضرين ليسوا فى حاجة الى طعام وشراب . فطعامهم رواية الشعر والنظر فى معانيه ومراميه . وتقليب تراث الآباء من أدب وعلم وفن . وهم حين يستريحون يديرون فى رءوسهم ما حفظوا من منتخب القول وبارع الآداب .

« فتحت الجلسة » هكذا نطق سكرتيرها ابن الشجرى . واشرأبت الأعناق للسماع . فأعلن ابن الشجرى أنه سيقرأ ما دبجه يراع مولانا الأمير فى ترجمة حياة اللغوى الاديب « ابن السكيت » .

ابن السكيت

كان حديث « المغنى » عن « بيد » وهو اسم ملازم للاضافة الى أن وصلتها وله معنيان أحدهما « غير » والاخر « من أجل » وذكر من أمثلة الأول : « هو كثير المال بيد أنه بخيل » وفى المحكم أن هذا المثال حكاه « ابن السكيت » وهنا قال مولانا الأمير :

« قوله ابن السكيت » بالمهملة المكسورة كالكاف بعدها . أبو يوسف يعقوب . مصنف كتاب « اصلاح المنطق » من شعره :

يصاب الفتى من عثرة بلسانه
وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته بالقول تذهب رأسه
وعثرته بالرجل تبرأ على مهل

في حاشية الأمير

ومن الحكايات الغريبة أنه رحمه الله أنشد ولدى المتوكل : المعتز والمؤيد وهو يعلمهما هذين البيتين ، ثم جلس بعد ذلك بيسير مع المتوكل فأقبل ولداه المذكوران ، فقال المتوكل يا يعقوب ، أيما أحب اليك ابناى هذان أم الحسن والحسين ؟ فقال : والله ان قنبرا خادم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه خير عندى منك ومن ابنيك . فقال المتوكل للأتراك : سلوا لسانه من قفاه . ففعلوا ، فمات فى ليلة الاثنين لخمس خلون من شهر رجب سنة أربع وأربعين ومائتين (٢٤٤ هـ) رحمة الله تعالى عليه . انتهى كلام الأمير .

وطلب الكلام أكثر من واحد ، وكان من المتحدثين أبو زكريا الخطيب التبريزى ، وابن خلكان ، وصديق لابن السكيت وغيرهم من المفكرين بعضهم تعرض لحياته ، وبعضهم تحدث عن كتابه ، وبعضهم نعى عليه موقفه من الخليفة العباسى المتوكل وولديه ، وذكر بعضهم طرفا من شبابه وسعيه للتكسب وأثبت ابن الشجرى ملخص ما قيل على النحو الآتى :

أبو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت كان من أكابر النحاة واللغويين والسكيت لقب أبيه اسحق ، أخذ عن أبى عمرو والشيبانى والفراء وابن الاعرابى . وكان يؤدب مع أبيه صبيان العامة ببغداد فى درب القنطرة حتى احتاج الى الكسب فجعل يتعلم النحو واللغة ويختلف الى العلماء فى هذا الشأن ، وكان أبوه رجلا صالحا من أصحاب الكسائى حسن المعرفة بالعربية فحج وطاف ، وطلب من الله تعالى أن يعلم ولده النحو واللغة ، فأجيبت دعوته . فدرس لأهل القنطرة . ثم التحق بابن طاهر فكان راتبه « ألف درهم » ثم ترقت به الحال فصار مؤدب المعتز والمؤيد ابنى المتوكل .

وكان له صديق اسمه « عبيد الله بن عبد العزيز نهاه أن يكون مؤدبا لأبناء الخلفاء وقال فيه شعرا بعد مانكب هو :

نهيتك يايعقوب عن قرب شادن
اذا ماسطا أربى على كل ضيغم(١)
فذق واحس ما استحسيته لا أقول
اذ عثرت « لعا » بل لليدين وللفم

قال أبو الحسن الطوسى : كنا فى مجلس « أبى حسن على اللحيانى » وكان عازما على أن يملى نوادره ضعف ما أملى ، فقال يوما تقول العرب : « مثقل استعان بذقنه » فقام اليه ابن السكيت وهو حدث فقال : يا أبا الحسن انما هو « مثقل استعان بد فيه » يريدون الجمل اذا نهض بحمله استعان بجنبيه ، فقطع أبو حسن الاملاء ، فلما كان المجلس الثانى أملى فقال : تقول العرب « هو جارى مكاشرى » فقام اليه ابن السكيت فقال : أعزك الله وما معنى « مكاشرى » ؟ انما هو « مكاسرى » أى كسر بيتى الى كسر بيته .

---

(١) الشادن الغزال اذ اقوى واستغنى عن امه . وسطا بطش والضيغم من اسماء الاسد .

فانقطع اللحيانى عن الاملاء فما أملى بعد ذلك شيئا .

وشكا أحد الأدباء الى ابن السكيت ضائقة فقال له : هل قلت شيئا ؟ قال : لا قال : فأقول أنا وأنشد :

نفسى تروم أمورا لست مدركها
مادمت أحذر ما يأتى به القدر
ليس ارتحالك فى كسب الغنى سفرا
لكن مقامك فى ضر هو السفر

هذا له . أما الذى عليه فهو . قال أبوعثمان المازنى اجتمعت بابن السكيت عند محمد بن عبد الملك الزيات (وزير على عهد المعتصم والواثق والمتوكل) فقال الوزير : سل أبا يوسف عن مسألة فكرهت ذلك وجعلت أتباطأ مخافة أن أوحشه لأنه كان صديقا لى فألح على الوزير وقال: لم لا تسأله ؟ فاجتهدت فى اختيار مسألة سهلة لأقارب ابن السكيت فقلت له : ماوزن « نكتل » من الفعل من قول الله تعالى « **فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ** »(١) فقال لى : « نفعل » قلت : ينبغى أن يكون ماضيه « كتل » فقال : لا ليس هذا وزنه انما هو « نفتعل » فقلت « تفتعل » خمسة حروف « ونكتل » أربعة حروف أيكون أربعة أحرف بوزن خمسة أحرف ؟ فانقطع وخجل وسكت . فقال محمد الوزير ، فانما تأخذ كل شهر ألفى درهم على أنك لا تحسن وزن « نكتل » قال أبو عثمان المازنى : فلما خرجنا قال لى : هل تدرى ما صنعت ؟ فقلت له والله لقد قاربتك جهدى ومالى فى هذا ذنب قال بعضهم : ان هذا حدث بين يدى المتوكل .

وسواء حدث ما حدث بين يدى المتوكل أو فى مجلس ابن الزيات فان الأمر شائن لابن السكيت وهو اللغوى النحوى الكبير . ولكل

(١) من آية ٦٣ سورة يوسف .

عالم هفوة . وأبو عثمان لم يذكر الوزن وراوى الخبر لم يزن الفعل « نكتل » ونكتـل فعـل مضارع مجزوم فى جواب الأمر وحذفت عين الفعل لأن اكتال مزيد بالهمزة والتاء وثلاثية « كال » الأجوف والألف فيه منقلبة عن الياء . وعلى ذلك فوزن « نكتل » «نفتل » .

وقرأت فى كتاب لا أذكره زمن الصـبا أن بعض الناس سئل عن معنى « نكتـل » فقال : اسم رجل .

وقد أطلت فى هذا الامـر وكان حقـه أن يوجز ، ولكن موقف ابن السكيت من اللحيانى أغرانى بذكر حكاية أبى عثمان المازنى وسؤاله والتعليق عليه .

ونأتى الى حكاية المأساة التى أودت بحياة ابن السكيت ، وفيها أكثر من رواية لكنى أوثر ما ذكره مولانا الأمير ، لأن كل الكتب ذكرته . قال الرواة الكاتبون : كان المتوكل قد ألزمـه تأديب ولده المعتز بالله ، فلما جلس عنده قال له : بأى شىء يحب الأمير أن نبدأ (يريد مـن العلـوم) فقـال المعتز بالانصراف . قال ابن السكيت : فأقوم ؟ قال المعتز : فأنا أخف منك نهوضا ، فقام مستعجلا فعثر بسراويله فسقط والتفت الى ابن السكيت خجـلا وقـد احمر وجهه ، فأنشده :

« يصاب الفتى من عثرة بلسانه » البيتين .

فلما كان من الغد دخل المتوكل فاخبره بمـا جرى فأمر له بخمسين ألف درهم وقال : قـد بلغنى البيتان (١) .

ثم جاءت حكايـة المعتز والمـؤيد والحسـن والحسـين والأمر بقتله واختلفوا فى تـاريخ وفاته وأنا آخذ برواية الأمير وهو سنة ٢٤٤ هـ والمتوكل قبل ذلك بعام تسبب فى وفاة وزيره الشاعر محمد بن عبد الملك الزيات فى « تنوره » واراقة الدماء جرأت جنده الاتراك عليه فقتل منهم سنة ٢٤٧ هـ وهو ابتداء ضـعف الدولة العباسية .

وقد ترك لنا ــ كما قدمت ــ كتابا كان محط أنظار علماء اللغة ، شرحوه وهذبوه ، وكانوا يقولون : « اصـلاح المنـطق » لابن السكيت كتاب بلا خطبة أى مقدمة « وأدب الكاتب » لابن قتيبة خطبة بلا كتاب ، لأنه طول الخطبـة وأورد فيها فرائد . توفى ان قتيبة سنة ٢٧٦ هـ وممـن اهتم « باصـلاح المنطق » الـوزير أبو القاسم المعروف بابن المغربى وقد هذبـه أبو زكريا ابن الخطيب التبريزى المتوفى سنة ٥٦٢ هـ وعرف كتابه باسم « تهذيب اصـلاح المنطق » .

وأعود الى مقتل ابن السكيت فأقـول : ان معظم الذين تحدثوا عنه ــ مع عطفهم عليه ــ

---

(١) روايه الشيخ الامير أن الامر حدث فى اليوم نفسه وهى رواية مذكورة أعقبها ارسـال المتوكل ديته لابنه .

عابوا موقفه من المتوكل ، فالسؤال محدد عن أحب الفريقين اليه : الحسن والحسين أم المعتز والمؤيد ؟ فما الذى دفعه الى ذكر «قنبر» خادم على رضى الله عنه ؟ ولم أدخل المتوكل فى مقابلة قنبر مع ولديه ؟ ولم لم ينظر الى نفسه وهو يتقاضى أجره ممن يخاطبه ؟ وما هكذا يكون خطاب الملوك وأرباب الدولة ولم يكن ممن نيط بهم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر . لقد كان موقفه موقف « مالك الحزين »

فى كتاب « كليلة ودمنة » لابن المقفع ، موقف الذى يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه ، لقد كدت آخذ برواية من قال : ان ماحدث بين المتوكل وابن السكيت كان هزلا انقلب الى جد،

لأن الرجل الذى يروى عن الأعراب « جارى مكاسرى» لا يعزب عن باله وقع الكلمة السيئة على رجل مثل المتوكل يعتز بميراث ضخم منذ العباس عم النبى — صلى الله عليه وسلم — الى أبيه الخليفة المعتصم بن هرون الرشيد ألا يروى ما وقع لغيره مع الخلفاء وكيف تصرفوا ؟ ومما كان يروى أن معاوية بن أبى سفيان قعد بالكوفة يبايع الناس على البراءة من على بن أبى طالب فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ، نطيع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم فالتفت الى المغيرة فقال له : هذا رجل فاستوص به خيرا وكان ابن السكيت فى امكانه أن يقول : أنتم آل البيت نترحم على موتاكم وندعو بالتوفيق لأحيائكم ، ولا يأثم اذا قال ذلك ومثله ولا يخرجه عن تشيعه ، والمتوكل نفسه نسى ما حفظه عن آبائه وأجداده فقد كانوا يحلمون على من تصدى لهم بالقول السىء ، ولكنه كان « شادنا » يفترس افتراس

« الضيغم » كما وصفه صديق ابن السكيت.

والبيتان اللذان أنشدهما ابن السكيت للمعتز ونالا اعجاب المتوكل أرى أنهما ليسا من انشائه ، فقد جاء فى العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى بالجزء الثانى تحت عنوان «باب الصمت » وقال جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم .

يموت الفتى من عثرة بلسانه
وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمى برأسه
وعثرته بالرجل تبرأ على مهل

وقد يكون جعفر الملقب « بالصادق » متمثلا ، وأرجو أن أحقق ذلك ما وجدت اليه سبيلا . واذا كان ابن السكيت خانه التوفيق عند المتوكل فقد حالفه التوفيق فى خدمة لغة العرب ، فقد أدى لها فوائد ذات فرائد تجدها فى كتبه التى تضاف الى « الاصلاح المنطق » وهى على ما ذكروا : كتاب الزبرج ، وكتاب الألفاظ ، وكتاب الامثال ، وكتاب المقصور والمحدود وكتاب المذكر والمؤنث وكتاب الأجناس ، وكتاب الفرق ، وكتاب السرج واللجام ، وكتاب الوحوش ، وكتاب الابل وكتاب النوادر ، وكتاب معانى الشعر الكبير ، وكتاب معانى الشعر الصغير ، وكتاب سرقات الشعراء وكتاب فعل وأفعل ، وكتاب الحشرات ، وكتاب الاصوات ، وكتاب الأضداد ، وكتاب الشجر والغابات ، قالوا وله غيرها . ونحن نردد ما قاله مولانا الأمير فى الدعاء له بالرحمة وحسن الثواب . رفعت الجلسة ولنا عودة .

السيد حسن قرون

أنباء وآراء

جامعة إسلامية فى الجزائر

تقرر انشاء جامعة اسلامية فى الجزائر فى مدينة قسطنطينة • وستحمل الجامعة اسم الأمير عبد القادر الجزائرى •

وتقرر أن تكون الدراسة فيها داخلية وتتسع لألفى طالب — والهدف من انشاء الجامعة تثقيف الشباب الجزائرى ثقافة دينية معتدلة نقية ، لا تدفع الى افراط أو تفريط • ومن الجدير بالذكر أن الرئيس الجزائرى الشاذلى بن جديد يولى فكرة اقامة الجامعة الاسلامية كل اهتمامه •

صرح الشاذلى بن جديد أن هذه الجامعة سوف تكون صورة صادقة للاسلام وللفكر الاسلامى •

مؤتمر الحضارة الاسلامية

اختتم المؤتمر السنوى الثالث للمجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية بالأردن ناقش المؤتمر القضايا والمشكلات والتحديات المعاصرة التى تواجه الاسلام والمسلمين •

صرح الدكتور ناصر الدين الاسد رئيس المجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية بأن من أهداف هذا المؤتمر : ابراز تصور اسلامى معاصر وموحد لقيم المجتمع ونظمه مع استشراف المستقبل وارتياد آفاقه ومواجهة قضاياه وتحدياته المتجددة بمواقف وحلول علمية واسلامية من هدى الكتاب والسنة •

وكان من أبرز القضايا التى ناقشها المؤتمر : الخطة الثانية للمجمع الملكى والتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى ضوء تعاليم الاسلام • وحماية البيئة والفهرس الشامل للفنون العربية الاسلامية ، وترميم المخطوطات فى ببت المقدس وفهرستها وتصويرها • وقد اشترك فى المؤتمر أكثر من مائة عالم من كبار علماء المسلمين فى العالم •

والمؤتمر يسعى الى اقامة الروابط الفكرية وتبادل وجهات النظر بين جميع العلماء وتحقيق التعاون والتنسيق مع مراكز البحوث والهيئات العلمية المتخصصة فى مختلف أنحاء العالم •

التربية الإسلامية في أمريكا الشمالية

إعـــداد :

أحمد عبد الرحيم السايح

عبد الفتاح السيد عبد السلام

أقام الاتحاد الاسلامى فى أمريكا الشمالية دورة تربوية للمدرسين المسلمين فى أمريكا •

شارك فى الدورة ـ التى ناقشت موضوع التربية الاسلامية والنظريات التربوية المعاصرة ـ بعض رؤساء الجمعيات والمراكز الاسلامية ورجال التربية والتعليم فى الولايات الأمريكية •

وصرح الدكتور محمد فخرى عميد قسم التربية بالكلية الاسلامية الامريكية بأن الدورة تهدف الى ادخال أحدث الطرق التربوية الى المناهج فى العالم الاسلامى فى اطار اسلامى خالص •

وقال : ان المجتمعين قرروا القيام بحملة توعية بين صفوف الآباء والأمهات ليساهموا فى تحقيق برامج التربية بمفهومها الاسلامى •

المركز الإسلامى الأفريقى

قرر مجلس أمناء المركز الاسلامى الافريقى بالخرطوم عقد اجتماعه القادم بالقاهرة فى شهر أكتوبر من سنة ١٩٨٤ م • وقد اتخذ هذا القرار بأغلبية الدول السبع المشتركة فى تأسيس المركز •

واتخذ مجلس أمناء المركز عدة قرارات أهمها انشاء كلية للدعوة والتربية الاسلامية تضاف الى كليات المركز فى العام القادم ، وقبول مائتين وخمسين طالبا من الدول الاسلامية فى العام الدراسى القادم •

كما قرر المركز الاسلامى اقامة معسكرات للدعوة فى أوغندا وكينيا وتنزانيا لخدمة التجمعات الاسلامية فى هذه الدول •

وقرر المركز مد نشاطه ليغطى مكاتب تحفيظ القرآن التى تجمع حافظى القرآن من أبناء القبائل والمناطق النائية فى دول القارة الافريقية •

مؤتمر الزيتونة واللغة العربية الفصحى

أصدر المؤتمر الثالث للجامعات الاسلامية الذى عقد بكلية أصول الدين بالزيتونة بتونس عدة توصيات أهمها :

ـ تدريس الكتب والمراجع الاسلامية فى العلوم الشرعية باللغة العربية الفصحى •

ـ اعداد شخصية عضو هيئة التدريس علميا وتربويا ليكون قدوة صالحة •

ـ ضرورة تعميق الصلة بين الطالب وأستاذه فيما يحقق أهداف الجامعات الاسلامية •

ـ العناية بتدريس اللغات التى تحتاج اليها طبيعة التخصص والبيئة •

ـ عقد لقاءات بين عمداء كليات الشريعة والدراسات الاسلامية والعربية لوضع مناهج جديدة للدراسة بكليات الشريعة وأصول الدين والدراسات الاسلامية والعربية •

الفتاوى

إعداد : عبد الحميد شاهين
يجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

تعـــدد الجمعة

س : من السـيد / يوسـف يونس ..
نجع الشيخ مبارك البحرى .

أقمنا بقريتنا مسجدا جديدا وأدينا فيه الجماعات وأقمنا صلاة الجمعة .. وكنا قبل اقامة هذا المسجد نؤدى صلاة الجمعة فى مسجد يبعد عنا نحو كيلومتر أو أقل .

فهل يجوز صلاة الجمعة فى هذا المسجد الجديد علما بأن كل مسجد منهما يصلى فيه أكثر من أربعمائة مصل ؟

حيث أن بعض الناس يقول أن صلاة الجمعة لا تصح فيه بحجة هجر المسجد الاول .

ج : لا يصح تعدد الجمعة فى البلد الواحد الا لحاجة ، كأن ضاق المسجد بالمصلين .. أو كان هناك مضار من اجتماع الجميع فى مكان واحد بسبب نزاعات بينهم .

وبذلك يصح أن تتعدد الجمعة للحاجة ، فصلاة الناس فى المسجد الجديد جائزة بجانب اقامة الجمعة فى المسجد القديم .

التعامل مع البنوك

س : من السيد / م.ع. عبد الكريم ..
مقيم بالولايات المتحدة الأمريكية .

ما حكم الاسلام فى التعامل مع البنوك الأجنبية التى تتعامل بالربا .. ونحن نعمل كمسلمين فى أمريكا ولا توجد بنوك اسلامية هناك .. فهل يجوز لنا أخذ الفوائد أم نتركها ؟

ج : ايداع المسلم أمواله فى مصارف أجنبية مع امكان ايداعها فى مصارف وطنية حرام لما يؤدى اليه من اضعاف الاقتصاد الاسلامى وتقوية الاقتصاد غير الاسلامى الذى ينافسه وهو حرام .

وايداع المسلم أمواله بفائدة حرام ، لأنها زيادة فى أحد العوضين دون مقابل .. سواء كان الايداع فى مصرف أجنبى أم مصرف وطنى لأنه عين الربا .. أما ما قررته تلك المصارف أجنبية أو وطنية من فائدة مشروطة عند التعاقد فلا يحل للانسان الانتفاع بها خاصة .

غير أن الامام أحمد رضى الله عنه أجاز أخذها وصرفها فى المنافع العامة للمسلمين كالملاجىء والمستشفيات . وفى الجهاد فى سبيل الله وغيرها من أنواع البر .. وبه يفتى .

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
● رمضان شهر الصفاء والنقاء — لفضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق	١٤٠١
● من بواكير التشريع : صيام نوح عليه الصلاة والسلام — للدكتور على الخطيب	١٤٠٦
دراسات قرآنية	
● رؤية الهلال والحساب الفلكى — لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير	١٤١٢
● القرآن الكريم كيف نزل من السماء فى رمضان ؟ — للمستشار محمد عزت الطهطاوى	١٤١٩
● غزوة بدر الكبرى ومقومات النصر على العدو المتفوق — للواء محمد جمال الدين	١٤٢٣
● ذكر الله — للاستاذ عبد المعز عبد الحميد الجزار	١٤٣٠
● مما يوجب الكفارة فى رمضان — للشيخ على حامد عبد الرحيم	١٤٣٥
● أيرى النبى صلى الله عليه وسلم يقظة : — للاستاذ سليمان الصغير	١٤٣٩
● ما هكذا تورد يا سعد الابل — للاستاذ عبد الظاهر عبد الكريم	١٤٤٣
● المستشرقون والسنة .. واقع وأمل ومنهج — للاستاذ احمد بدوى	١٤٥٥
التشريع الاسلامى	
● الشريعة ... ما يراد لها — للشيخ محمد حسام الدين	١٤٦٤
● حرم ربكم عليكم الميتة — بقلم الدكتور الطبيب عمر عثمان والى	١٤٧١
● حجاب المرأة عودة الى التمسك بالدين والعفة والفضيلة — للاستاذ عبد المنعم عمر	١٤٧٤
الشعر	
● من آلاء الله فى رمضان الفتح الاكبر — للاستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين	١٤٨٦
● شاعر الاسلام محمد اقبال — للدكتور حسن جاد	١٤٨٨
● الصيام — للاستاذ الربيع الغزالى	١٤٩٠
● دعاء الفجر — للشاعرة جليلة رضا	١٤٩٢
تاريخ وحضارة	
● نظام الادارة والقضاء الآتابكى والأرتقى — للدكتورة سوسن محمد نصر	١٤٩٤
● الحضارة المدنية فى معيار الاسلام — للدكتور مصطفى غلوش	١٥٠١
● القيادة الادارية فى الاسلام — للاستاذ محمد صابر اليرديسى	١٥٠٦
من أعلام الأزهر	
● الأستاذ الشيخ كامل محمد حسن وكيل كلية اللغة العربية الأسبق — للاستاذ محمود عبد الرازق عقباوى	١٥١٦
الفلسفة والاعلام	
● المجتمع الاسلامى فى التليفزيون — للاستاذ حسن على العنيسى	١٥٢٤
● طرائف ومواقف — اعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٥٣٢
من التراث	
● من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر — للاستاذ محمد عميرة على	١٥٣٦
لغة وأدب ونقد	
● دور اللغة فى ترابط شخصية الأمة — للدكتور محمد عبد الحفيظ العريان	١٥٤٢
● الاستغناء فى اللغة العربية — بقلم الدكتور حمدى عبد الحميد المقدم	١٥٥٢
● الاتجاه الشمولى فى دراسة الأدب العربى — للدكتور يوسف حسن نوفل	١٥٥٩
● فى حاشية الأمير — للاستاذ السيد حسن قرون	١٥٦٢
● الفتاوى — اعداد عبد الحميد السيد شاهين	١٥٧٤
● أنباء وآراء — اعداد احمد عبد الرحيم السايح، عبد الفتاح السيد عبد السلام	١٥٧٦
القسم الانجليزى	
المقال الثانى — بقلم الاستاذ سليمان بركات	١٥٧٨
● المقال الأول — بقلم الدكتور انس النجار	١٥٨٤
مراجعة وعناوين داخلية — الاستاذ عبد المنعم ابراهيم مهنا	

THEY ARE, NEXT, REMINDED OF ALLAH'S DELIVERING THEM FROM PHARAOH, WHO EXTOLLED HIMSELF TO DEITY AND ILL-USED THEM MOST RUTHLESSLY. BEFORE THEIR VERY ASTONISHED EYES, WHEN THEIR HEARTS HAD SUNK WITH TERROR AND DESPAIR OF RESCUE, ALLAH DIVIDED THE SEA, LED THEM TO SAFETY, AND DRAGGED THEIR OPPRESSOR TOGETHER WITH HIS LEGIONS TO BE SWALLOWED UP BY THOUGH IT IS BEYOND IMAGINATION, THOSE PEOPLE WHO HAD ENDURED TYRANNICAL BONDAGE FOR GENERAT-IONS UNDER PHARAOIC RULE TURNED IMPATIENT WITH MOSES AND AARON THEY COMMITTED THE MOST GRIEVOUS ERROR OF MAKING A CALF OF MELTED GOLD AND TAKING IT FOR WORSHIP DURING MOSES'ABSENCE ON MOUNT SINAI. THEY COMMITTED SACRILOGE AND DRUNKEN ADULTORY.

MOSES, WHO HAD JUST RECEIVED THE TORAH CONTAINING GUIDANCE AND CRITERION, TOLD THEM IN ANGER TO TURN IN REPENTANCE TO THEIR MAKER AND THEN SLAY THE CULPRITS. A BUTCHERY FOLLOWED IN EXECUTION OF MOSES ORDER, BUT ALLAH FORGAVE THEM AT HIS ARDENT AND APOLOGETIC PRAYER.

TRANSLATIONS FROM:
TO THE GLORIOUS QUR AN
IMAM MAHMOUD SHALTOOT
PUBLICATIONS OF ADMINSTRATION OF ISLAMIC CULTURE
AL-AZHAR UNIVERSITY CAIRO,1962

WITH EXTINCTION THE GREAT PRIVILEGES OF THEIR RABBIES. So, RATHER THAN THE FIRST PEOPLE TO BELIEVE , THEY WERE THE FIRST TO REJECT THE FAITH. THEY IN NO TIME TOOK THE INITIATIVE OF OFFENCE WITH SILL WHOSE LINE WAS INTRIGUE. INFLAMED WITH MALICIOUS PASSION, THEY SEEMED TO FIND OUT THE ELIXIR FOR ALL THEIR ILLS IN THE TIRELESS WARRING AGAINST THE EMEGRENT COMMUNITY THEY STILL CONSIDERING THEMSELVES GOD'S PECULIAR PEOPLE, WHO THE FIRE WOULD NOT TOUCH FOR MORE THAN A FEW DAYS. RATHER, IT WOULD BE AGAINST THE NATURE OF THINGS THAT SUCH A SORT OF PEOPLE, WHO INCESSANTLY DISOBEYED GOD, MIGHT OBEY MAN. WOULD IT WERE THEY ONLY DISOBEYED GOD; THEY WENT TO THE FURTHEST EXTREME OF REBELLION AGAINST HIM AND KILLING, OR FAILURE TO KILL, HIS APOSTLES.

THE QUR'AN, WHICH ALWAYS BANS AGGRESSION AND COERCION, ADDRESSES THEM WITH WISDOM AND KIND EXHORTATION, REMINDING THEM OF THE SPECIAL FAVOURS ALLAH HAS BESTOWED. THEY WERE LINKS OF A FAR-REACHING CHAIN OF OFFSPRING OF A GREAT APOSTOLIC HOUSE; AND IT WOULD NOT BEFIT THEM TO HESITATE ABOUT ANSWERING THE CALL TO ALLAH. THE UMBRELLA OF DISTINCTION ALLAH HAD CONFERRED ON THEIR FOREFATHERS WAS STILL THERE TO SHIELD THEM; AND THERE WOULD BE NO POINT IN THEIR REFUSING FAITH. THE REVELATIONS WITH MUHAMMAD, PRAYER & PEACE FROM ALLAH UPON HIM CONFIRMED THE TORAH; AND AS A A RESULT IT WAS INCUMBENT ON THEIR PRIESTS TO SUPPORT HIS CLAIM, NOT TO COUNTERACT IT WITHOUT A RESERVE OF RIGHT.

IN FACT, THEIR RABBIES MISLED THEM, EVEN IN CONNECTION WITH CREED, AND WERE NOT THEMSELVES GOOD EXAMPLES TO FOLLOW IN PRIVATE LIVES. IN RETURN FOR THE FAVOUR OF ALLAH'S EXALTING THEM IN PREFERENCE TO OTHER RACES, THEY OUGHT TO TAKE DOOMSDAY IN THEIR CONSIDERATION.

BAQARA NOW TURNS TO THE CHILDREN OF ISRAEL TO SHOW HOW THEY DESERVED TO BE DETHRONED FROM THEIR RANK IN THE ORDER OF GUIDANCE. AL-BAQARA WAS REVEALED AFTER THE MUSLIMS HAD MOVED TO MEDINA AND TAKEN TO THE DEVELOPMENT OF THEIR PERSISTING COMMUNITY. THERE, THE JEWS HAD BEEN LIVING IN CLANS FOR GENERATIONS. PROMINENT AND WEIGHTY WAS THEIR ECONOMICAL POWER, AND CUNNING THEIR APTITUDE TO STIR THE NEIGHBOURING ARABS INTO FIERY HOSTILITY FOR SHEER JEWISH ENDS.

IN HIS CALL TO ALLAH, MUHAMMAD, BE ON HIM PRAYER AND PEACE FROM ALLAH, COULD NEVER HAVE IGNORED THEM. HE WAS SENT TO ALL MANKIND, AND THOSE PEOPLE HAD TO BE GUIDED AND GUARDED AGAINST. HE HAD A BOOK CONFIRMING BOTH THE TORAH AND THE GOSPEL IN THE ORIGINAL. ON THE OTHER HAND, THERE WAS MENTION OF HIM, AND OBLIGATION TO HEAR AND FOLLOW HIM, IN THOSE TWO HEAVENLY SCRIPTURES, WHICH BOUND HIM AND THOSE MEN ALTOGETHER. A GOOD TIME BEFORE HE SPOKE OUT HIS RELIGIOUS MISSION AT MECCA, THERE HAD BEEN A PREVALENT STRONG CONVICTION AMONG THE PEOPLE OF THE BOOK THAT THE ADVENT OF THE EXPECTED PROPHET WAS AT HAND. LONG HAD THE JEWS OF MEDINA PRAYED IN ARDENT URGE TO HURRY ON THAT ADVENT, BUT WITH AN EYE TO GAINING SUPERIORITY AND SUPREMACY OVER THE IDOLATERS.

SURPRISINGLY, WHEN THE CALL REACHED THEIR EARS, THEY DECLINED TO EMBRACE THE NEW FAITH, AND EVEN STORED EVIL FOR IT. THEY LOATHED A DESCENDANT OF ISMAIL TO ASPIRE AFTER TEACHING THEM AND REDUCING THEM TO THE RANK OF HIS DISCIPLES. IN NO WAY WERE THEY READY TO RELINQUISH THE LIFE-LONG SENSE THEY HAD CHERISHED OF DISTINCTION.
HE RECOGNIZED JESUS TO BE A PROPHET CREATED BY THE WORD OF ALLAH, AND ELEVATED MARY SO HIGH ABOVE ALL WOMEN.
HE REFERRED TO GABRIEL, WHO THEY HELD IN ANIMOSITY, AS THE ARCHANGEL ENTRUSTED WITH REVELATION. HE THREATENED

HEART-BURNT WITH ENVY, AND PERSISTENT IN MALICE, THE EVIL ONE DID NOT STOP UNTIL HE HAD LURED THEM AWAY FROM THEIR CONVENANT WITH ALLAH, TO THEIR BANISHMENT FROM THE GARDEN, THROUGH EATING OF THE FORBIDDEN TREE. DOWN TO THE EARTH, THEN, WENT ADAM AND EVE, AND SATAN, TOO. IN NO WAY DID ADAM BELITTLE HIS SIN; AND AS SUCH, HE WAS DIFFERENT FROM THE DEVIL. IN HIS REMORSE, HE LEARNT FROM ALLAH, IN ANSWER TO WHICH, ALLAH TURNED TO HIM WITH MERCY. ALLAH TOLD ADAM THAT :

A- THE EARTH IS INFERIOR TO THE GARDEN, SO THAT HIS TRANSFER FROM THE LATTER TO THE FORMER IS BUT A DESCENT;

B- LIFE ON THE EARTH IS STICKEN WITH HOSTILITY OF INTERESTS;

C-THE EARTH WILL BE THE DWELLING PLACE OF MAN AND DEVIL FOR AN APPOINTED TERM OF TIME, DURING WHICH SUSTENANCE AND ENJOYMENT ARE AVAILABLE TO BOTH;

D-GUIDANCE FROM ALLAH WILL BE SENT TO THEM SO THAT THOSE WHO FOLLOW IT WILL HAVE NOTHING TO FEAR OR GRIEVE OVER, WHEREAS THE ETERNAL ABODE OF GEHENNAM WILL BE THE FATE OF THOSE WHO REJECT FAITH.

SO, BY THE NATURE ALLAH HAS SET IN HIM, MAN IS TEACHABLE, MASTERFUL, ASPIRING, SELECTIVE, AND CAPABLE OF BOTH DEVELOPMENT AND DECLINE. WHATEVER RESTRICTS HIS POWERS, HE IS ACCOUNTABLE FOR HIS FREE ACTS. BOTH GOOD AND EVIL APPEAL TO HIM, AND HE HAS BEEN TAUGHT WHAT TO EXPECT FROM A PATH HE TAKES AND AN INTENTION HE NOURISHES. ALL THE APOSTLES KNOWN TO HIM OR HEARD OF BY HIM, ALLAH HAS SENT WITH REVELATION IN CALL TO HIM AND WARNING AGAINST HIS WRATH. THEY ALL ACKNOWLEDGE HIM TO BE ONE AND DENY WHOMSOEVER ELSE THE ATTRIBUTE OF DIVINITY. IN CONTINUITY OF THE STORY OF THE CREATION OF MAN FOR THE ROLE OF AN ACCOUNTABLE VICEGERENT ON THE EARTH, AL-

THE OBJECTS OF THE HOLY QUR'AN

by: Soliman Barakat

IN BRIEF COMES THE STORY OF THE CREATION OF ADAM, THE REMARKABLE RANK ALLOTTED TO HIM, HIS FALL AND THE TRUST HELD OUT TO HIM. THE ANGELS WHO AT FIRST WONDERED WHY ALLAH MIGHT PLACE SUCH A PASSIONATE KIND - CAPABLE AS IT IS OF CORRUPTED AND BLOOD SHED, AS VICEGERENT ON THE EARTH, ADMITTED THEIR INFERIORITY TO MAN IN VIEW OF HIS KNOWLEDGE WHICH EXCEEDED THEIRS BY FAR, AND OF THE PROBATION OF THE TRUST GIVEN TO HIM, WHICH THEY ARE EXEMPTED FROM.

SO, AT A WORD OF ALLAH, THEY BOWED THEMSELVES TO ADAM IN GREAT ESTEEM, WHEN ALLAH FASHIONED HIM AND BREATHED INTO HIM OF HIS SPIRIT. SATAN, WHO ACCORDING TO THE QUR'AN IS A JINN AND NOT AN ANGEL, STUCK TO PRIDE AND ENVY, SO THAT HE REJECTED FAITH AND REFRAINED FROM PAYING THE HOMAGE ALLAH ORDAINED TO ADAM.

FROM ADAM, ALLAH CREATED EVE TO BE HIS WIFE, AND HE ALLOWED THEM TO LIVE TOGETHER IN THE GARDEN, ENJOYED TO THEIR HEARTS'CONTENT BOTH THE FELICITY OF LOVE AND THE FRUITS OF PARADISE. HOWEVER, HE FORBADE THEM TO APPROACH A CERTAIN TREE, AND WARNED THEM AGAINST THE TRANSGRESSION THEIR APPROACHING IT WOULD INVOLVE.

REFERENCES

1. ALSIRA ALNABAWIAH
   3RD.EDITION 1981
   -ABU ALHASSAN ALY ALHUSNI ALNADAWI
   PUBLISHER, DAR AL-SHAROOK , JEDDAH

2. NUR ALYAKIN FI SIRAT SAYED ALMURSALEEN
   24TH.EDITION 1978
   SHEIKH MOHAMMAD ALKHODARY BEY
   PUBLISHER, GREAT COMMERCIAL LIBRARY, CAIRO

3. MASHAHID MIN ALSIRA ALATIRAH
   DR.MOHAMMAD ABDEL MONEM KHAFAGY
   KILANI LIBRARY - CAIRO PRINTED 1980

4. HAYYAT MOHAMMAD
   MOHAMMAD HUSSEIN HEIKAL
   DAR AL-MARRIF , 1977 CAIRO

5. THE HOLLY QUR'AN
   TEXT, TRANSLATION AND COMMENTARY
   ABDULLAH YUSUF ALI

6. FIQH ALSIRA
   DR.MOHAMMAD RAMADAN ALBOOTY
   7TH. EDITION, 1977
   DAR AL-FIKR, CAIRO

7. AL-SIRA AL-NABAWIAH
   IMAN ISMAIL IBN KATHEER
   REVISED BY MUSTAFA ABDEL-WAHID
   VOL.2, 1983 EDITION
   DAR AL-MAARIFA , BEIRUT

8. AL-AZHAR MAGAZINE
   VOL. 7, RAJAB 14 03 , MAY 1982

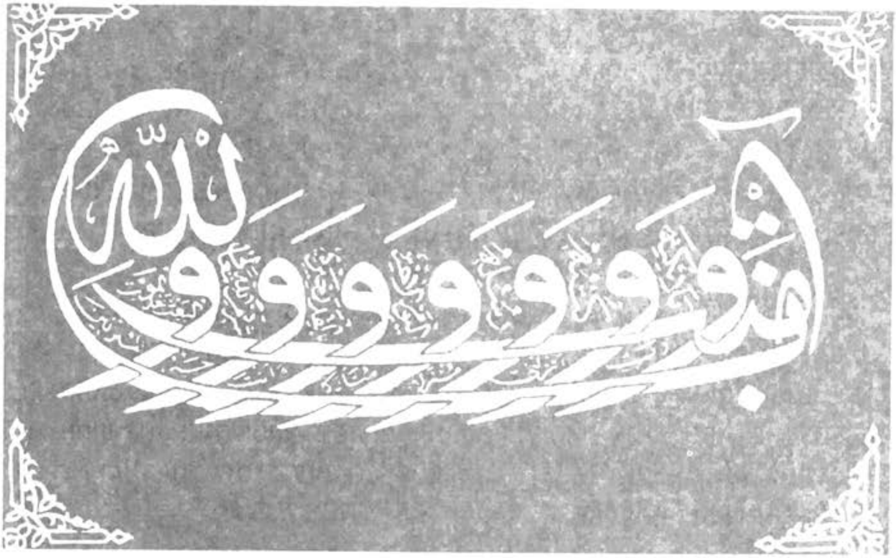

Ibn Al-Harith, Rafie Ibn Malek, Qutbah Ibn Amer, Oqbah Ibn Amer, and Gaber Ibn Abdullah. He invoked them to Islam and solicited their assistance and protection to propagate the Message of Allah. They accepted and acknowledged and promised to meet with him the following year. This was the prelude to the diffusion of Islam among the Arab tribes of Yathrib, and the precursor of events that finally materialised into the Hijrah of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) from Mecca to Al-Madina.

This was the most crucial and outstanding milestone in Islamic history. Prayers and peace from Allah upon our magnanimous Prophet.

P.S. The treatise on the Hijrah has been discussed in the Muharam issue of Al-Azhar magazine Volume 1, 1404, October 1983.

IEVE HIM IN THE WORDS OF THE REVELATION, HOW CAN I DENY HIM IN A MATTER OF LESSER ELEMENT) . THE ANSWER OF ABU BAKRE REFLECTS THE DEEP WISDOM, THE TRUE GENUINE BELIEF THE CLEAR INSIGHT OF A MAN WITH CONFIDENT REALISM AND COHERENT MASTERY OF HIS PERSONALITY AND CHARACTER.

DURING THE INCIDENCE OF AL-ISIRA AND AL-MIRAJ, THE FIVE DAILY PRAYERS SALAT WERE PRESCRIBED UPON MUSLIMS. ON THE DAY FOLLOWING THE INCIDENCE, THE ARCHANGEL GABRIEL CAME TO THE PROPHET (PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) TO INSTRUCT HIM IN THE TIMING AND CONDUCT OF THE SALAT (THE PRESCRIBED PRAYERS).

THIS IS SHORT RESUME OF THE MIRACLE OF THE NIGHT JOURNEY AND ASCENSION WHICH HAS BEEN EXTENSIVELY AND ELABORATELY RELATED AND DOCUMENTED WITH PRECISION IN THE LITERATURE OF THE HONOURABLE HADITH AND CHRONICLES.

THE MIRACLE HERALDS COMFORT AND SUPPORT TO THE PROPHET (PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) AND SOLIDIFIES HIS ZEAL AND EFFORTS IN THE SUMMONS AND CALL TO THE TEACHINGS OF THE MESSAGE OF ISLAM. IT CONCRETES THE CONVICTION THAT ALLAH IS THE SUPREME SUPPORTER, THE SOLE POWER, THE OMNIPOTENT. IT TRANSMITS THE UNDERSTANDING THAT THE HOUR OF SALVATION AND VICTORY WAS NEARING.

THE PROPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) CONTINED WITH ADAMANT CONVICTION TO SUMMON THE TRIBES TO THE MESSAGE OF ALLAH, TO CHAMIOPN HIM AND PROTECT HIM TO DELIVER THE MESSAGE. SOME ARGUED AND DISCUSSED, AND OTHERS REFUTED IN HIDEOUS LANGUAGE. THE ELEMENTS OF VICTORY CAME WHEN HE MET WITH SIX MEN FROM THE TRIBE OF KHAZRAJ FROM YATHRIB(AL-MADINA).THESE MEN WERE ASAAD IBN ZERARAH, AOUF

PROPHETS AND APOSTLES(PEACE BE UPON THEM ALL). HE THEN ASCENDED THROUGH THE SEVEN HEAVENS WHERE HE WITNESSED THE INFINITE VASTNESS OF CREATION, THE EXPANCE OF HEAVENS, THE SIGNS OF CELESTIAL DOMAIN, THE ASSEMBLY OF EQUINOCTIAL EQUILIBRIUM, AND THE REALMS OF DIVINITY AND DEITY. HE WAS INITIATED INTO THE SPIRITUAL MYSTERIES OF THE HUMAN SOUL STRUGGLING IN SPACE AND TIME AS A FITTING ANALOGY OF ITS SPIRITUAL GROWTH IN LIFE.

THE MIRACULOUS INCIDENCE OF AL-ISIRA AND AL-MIRAJ WAS CONFERRED UPON MOHAMMAD (PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) BY DIVINE POWER AND PURPOSE IN SUPPORT OF THE MESSAGE AND REVELATION, IN SUBSTANTIATION OF HIS PROPHETHOOD, AND IN CONFIRMATION OF HIS UNYIELDING EFFORTS IN PROPAGATING AND SUMMONING FOR THE WORSHIP OF ALLAH THROUGH THE DIVINE DOCTRINES OF ISLAM. THE INCIDENCE WAS EXPEDIENTLY MEDIATED THROUGH THE GRAND OFFICE OF THE ARCHANGEL GABRIEL. IT TOOK PLACE DURING THE NIGHT OF RAJAB 27TH.,TWELVE YEARS AFTER THE REVELATION, ONE YEAR BEFORE THE HIJRAH, IN THE YEAR 621 AD.

THE FOLLOWING MORNING AFTER AL ISIRA AND AL-MIRAJ, THE PROPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) WENT TO THE KABAA AND ANNOUNCED PUBLICLY THE DETAILS OF HIS NIGHT JOURNEY AND ASCENSION. THEY DISBELIEVED HIM, AND DENIED ANY TRUTH IN HIS WORDS,EVEN SOME MUSLIMS DOUBTED AND DENIED AND REVERTED FROM BELIEF IN ISLAM. THE MIRACLE WAS TOO GREAT AND MAJESTIC FOR THEM TO CONCEIVE AND COMPREHEND ITS REALITY, AND THEIR BELIEF WAS SHALLOW AND INSECURE UNABLE TO REALISE AND ASCERTAIN THE STOIC AND INFALLIBLE PROPERTY OF PROPHETHOOD. THE RETURN JOURNEY FROM MECCA TO JERUSALEM TAKES TWO MONTHS, HOW IS IT POSSIBLE TO TAKE ONLY ONE NIGHT. THEY HURRIED TO ABU BAKRE WHO SAID (IF MOHAMMAD (PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) ANNOUNCED THAT HIMSHELF, I BELIEVE HIM. I BEL-

THE NIGHT JOURNEY AND ASCENSION

IN ORDER THAT WE MIGHT SHOW HIM
SOME OF OUR SIGNS; FOR HE IS
THE ONE WHO HEARETH AND SEETH.

(SURAT AL-ISIRA(Bani Israil)-
, XVII,1)

THE LATTER (ALMIRAJ) IS THE ASCENSION OF THE PROPHET (PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) THROUGH THE SEVEN HEAVENS EVEN TO REACH THE SUBLIME INFINITE THRONE. THIS IS REFERRED TO IN THE QUR'AN MAINLY IN SURAT AL-NAJM, AND IS EVIDENCED AND IMPLICIT BY THE HONOURABLE HADITH.

WHILE HE WAS IN THE HIGHEST PART OF THE JORIZON
THEN HE APPROACHED AND CAMECLOSER,
AND WAS AT A DISTANCE OF BUT TWO
BOW-LENGTHS OR (EVEN) NEARER

(SURAT AL-NAJM, LIII, 7-9)

THE SURA CONTINUES TO INDICATE THAT THE ASCENSION OF THE PROPHET(PRYAERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) REACHED CLOSE TO THE SUBLIME INFINITE THRONE, AND THAT HE TRUELY WITNESSED THE GREAT SIGNS OF GOD.

THE MAJORITY OF AUTHORITATIVE COMMENTATORS ACCEPT THE NIGHT JOURNEY AND ASCENSION LITERALLY BOTH BODILY AND SPIRITUALLY, AND IT IS FIRMLY CONCEDED THAT THE MIRACULOUS NATURE OF THIS INCIDENCE IS INHERENT IN THE TRANSFORMATION OF THE BODY INTO SPIRITUAL FINENESS TO QUALIFY AND CONFORM WITH THE NATURE OF THE JOURNEY AND ASCENSION. THE STUDY OF THE HONOURABLE HADITH LITERATURE OFFERS DETAILS OF THE INCIDENCE AND ELUCIDATES ITS MYSTIC MEANINGS. THE PROPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) WAS FIRST TRANSPORTED TO THE SEAT OF EARLIER REVELATIONS IN JERUSALEM WHERE HE CONVENED IN PRAYER WITH HIS PREDECESSORS OF

CALL WITH RELENTLESS COURAGE AND UNFAILING STRENGTH. HE CALLED THEM TO WORSHIP ALLAH THE ONE GOD, AND TO WITNESS THAT MOHAMMAD(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) IS THE MESSENGER AND PROPHET. HE CALLED THEM TO BELIEVE IN HIM, HONOUR HIM, CHAMPION HIM, SUPPORT HIS CAUSE, AND OFFER HIM PHYSICAL PROTECTION. HIS UNCLE ABU LAHAB-ABDEL UZZA IBN ABDEL MUTALEB FOLLOWED HIM WHEREVER HE WENT AND SPOKE CONTRARY AND IN CONTRADICTION TO WHAT THE PROPHET (PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) SPOKE. THIS WAS IN EFFORT TO DENY THE WORDS OF TRUTH, AND TO ENSURE THAT NONE OF THE TRIBES WOULD LEND A TENDER LISTENING EAR TO THE WORDS SPOKEN FOR THE CALL TO ALLAH. THE SUMMONS CONTINUED AT MARKET PLACES, DURING TRADITIONAL SEASONS, IN THE DWELLINGS AND HOMES OF TRIBES, AND AT EVERY OCCASION POSSIBLE; THE SUMMONS CONTINUED WITH PATIENCE AND PERSISTANT CONFIDENT BELIEF. HOWEVER, ALL THE TRIBES REJECTED TO BELIEVE IN THE NEW CREED, AND REFUSED TO OFFER PHYSYICAL PROTECTION TO THE PROPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM). THE HONOUR AND TRIBUTE OF BELIEF EVENTUALLY WAS TO THE CREDIT OF AL-ANSAR, THE TRIBES OF AWS AND KHAZRAJ FROM YATHRIB(AL-MADINA) AS WILL BE DISCUSSED LATER IN FUTURE TREATISE ON THE SUBJECT.

DURING THE COURSE OF THESE EVENTS, CAME THE VERY FAMOUS INCIDENCE OF THE JOURNEY BY NIGHT AND THE ASCENSION (AL-ISIRA AND AL-MIRAJ). THE FORMER (AL-ISIRA) THE JOURNEY BY NIGHT IS THE TRANSPORT OF THE PROPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) FROM MECCA TO BEIT AL-MAQDIS (JERUSALEM) BY NIGHT AND HIS RETURN ON THE SAME NIGHT. THIS IS SPECIFICALLY STATED IN THE QUR'AN.

> *GLORY TO (GOD) WHO DID TAKE HIS SERVANT*
> *FOR A JOURNEY BY NIGHT, FROM THE SACRED*
> *MOSQUE TO THE FARTHEST MOSQUE,*
> *WHOSE PRECINCTS WE DID BLESS,*

CHRISTIAN FAITH. THE PROPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) RETURNED TO MECCA DENIED AND REFUTED THE SUPPORT OF BANI THAQEEF; TO FACE THE FIERCE AND OUTRAGEOUS ENMITY OF KORAYSH THAT BECAME HIGHLY INTENSIFIED. HE ENTERED MECCA UNDER THE PROTECTORSHIP OF MUTAAM IBN ADII.

THESE EVENTS, HOWEVER, DID NOT INDISPOSE OR DETER THE RESOLUTE DETERMINED INTENTION FOR THE SUMMONS TO ISLAM. THE PROPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) CONTINUED WITH PATIENT PERSEVERANCE AND WITH STEADFAST CONSTANCY TO SUMMON AND CALL ALL TRIBES TO ISLAM. HE CONTACTED THEM AS THEY VISITED MECCA DURING TRANDITIONAL PILGRIMAGE SEASONS; AND WENT OUT TO THEIR HOMES TO SPEAK AND CONVERSE WITH THEM, TO CALL THEM TO THE NEW CREED. DURING THAT PERIOD, THE PROPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM)HONOURED IN MARRAIGE SAWADAH BENT ZAMAAH ALAMRYIAH WIDOW OF AN ETHIOPIAN MUSLIM EMIGRANT. SHE HAD ACCEPTED ISLAM CONTRARY TO THE DESIRE OF HER CLAIN, AND EMIGRATED WITH HER HUSBAND. THE PROOPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM)ALSO BETROTHED AYSHAH BENT ABI BAKRE TO CONFER RESPECT AND PRESTIGE UPON HER FATHER. HE MARRIED HER AT AL-MADINA FEW YEARS AFTER THE HIJRAH.

THE SUMMONS TO ISLAM CONTINUED BY DIRECT CONTACT WITH THE TRIBES WITH NEGATIVE RESPONSE. THE SOCIAL INFRASTRUCTURE OF THESE TRIBES, AND THE ECONOMIC INTER-RELATIONS WITH OTHER TRIBES AND PARTICULARLY WITH KORAYSH MADE THE NEW CREED OF ISLAM VERY UNACCEPTABLE AND CONTRARY TO THEIR FALSE INTERESTS.
HOWEVER, DESPITE THESE ADVERSE CONDITIONS, AND INSPITE OF THE STUBBORN REJECTION TO THE NEW FAITH BY THE TRIBES; THE PROPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) CONTINUED WITH PATIENT RESOLUTE PERSEVERANCE TO SUMMON AND

THE NIGHT JOURNEY AND ASCENSION

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

IN THE NAME OF ALLAH MOST GRACIOUS, MOST MERCIFUL.

KORAYSH CONTINUED WITH BLIND ANIMOSITY AND HATRED TO INFLICT MUSLIMS WITH DEPLORING HUMILITY AND DEFIANT ARROGANCE THE DEATH OF KHADIJA BENT KHUWAYLID AND ABU-TALEB IBN ABDEL-MUTALEB INDUCED KORAYSH TO BE FLAGRANT AND FERVENT IN THEIR DESPOTISM AND CRUEL BITTER ENMITY TOWARDS MUSLIMS.

THE PROPHET (PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) DECIDED TO SUMMON BANI THAQEFF TO ISLAM AND GAIN THEIR SUPPORT AGAINST KORAYSH. HE WENT TO AL-TAIF WHERE THEY RESIDED. THEIR RESPONSE WAS CONTRARY TO WHAT HE HAD HOPED; AND WITH ADAMANT INSOLENCE REJECTED HIS WORDS. THEY ENCOURAGED THEIR VULGARS AND CHILDREN TO STONE HIM AND ADDRESS HIM WITH OBSCENE INDECENT MANNER. TIRED, DESOLATE AND ABJECTLY HUMILIATED, THE PROPHET(PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM) TOOK REFUGE BY A VINE TREE; FEELING DESPONDENT AND IN DESPAIR, HE ADDRESSED ALLAH IN SUBMISSIVE COMPLAIN. THE OWNERS OF THE VINEYARD WITNESSING HIS CONDITION SENT SOME GRAPES TO HIM WITH A CHRISTIAN DEPENDANT WORKING FOR THEM NAMED ADDAS.

DURING THE BRIEF DISCOURSE WITH THE PROPHET (PRAYERS AND PEACE FORM ALLAH UPON HIM), ADDAS VERY WILLINGLY ACCEPTED ISLAM THROUGH HONEST AND PURE UNDERSTANDING OF THE

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا يوم الجائزة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ...

وبعد :

فان الله تعالى اختتم الآية الثالثة من آيات الصوم فى سورة البقرة (١٨٥) بقوله سبحانه :

« وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .

وهذا القول من ربنا جل جلاله إنما هو دعوة الى عباده ليشكروه أن هداهم للإيمان والإسلام ، ووفقهم الى أداء ركن من أركانه الخمسة ، وقد منحهم جائزة كبرى على هذه الطاعة التى هى صوم شهر رمضان وكف النفس عن هواها ، والجسم

الجزء العاشر السنة السادسة والخمسون

شوال ١٤٠٤ هجرية

يوليو ١٩٨٤ ميلادية

هذا يوم الجائزة

بقلم فضيلة الإمام الأكبر

جاد الحق على جاد الحق

"شيخ الأزهر"

عن رغباته وشهواته ، وقيام ليله بالذكر ومدارسة العلم وتلاوة القرآن .

هذه الجائزة هى عيد الفطر

ان لهذا اليوم حرمته وأحكامه فى الاسلام ، فقد حرم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صوم عيد الفطر فهو من خصوصيات المسلمين كما يشير الى ذلك حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى رواه أبو داود والنسائى عن أنس . قال : قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما . فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية ، فقال رسول الله ـ صلى الله عيه وسلم ـ :

« ان الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما يوم الأضحى ، ويوم الفطر » .

فهما يوما ذكر وشكر وفرح بنعمة التوفيق للطاعة بدلا من يومى اللعب واللهو والصخب .

فهذان اليومان جائزة من الله لمن اتقاه ،وأدى العبادة التى كلف بها ..

ونحن نستقبل اليوم عيد الفطر المبارك ..أقدم فيه التهنئة الى الأمة الاسلامية فى كل مكان على أرض الله ، باعتباره يوما استكملوا قبله فرضا من فرائض الاسلام ، فهو يوم البشرى والسرور بفضل الله وتوفيقه بصيام شهر رمضان الذى وصفه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله :

« شهر كتب الله عليكم صيامه ، وَسَنَنْتُ لكم قيامه ، فمن صامه وقامه ايمانا واحتسابا

خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

هذا العيد يوم يستروح فيه المسلمون بعدتمام فريضة الصوم تعم فيه الفرحة جميع المسلمين ، الصغير والكبير والغنى والفقير .

وهو يوم صدقة الفطر ، ويوم عطف واحسان .. يخرج فيه الغنى بصدقته ساعيا الى أخيه الفقير لا يبتغى الا ثواب الله ورضوانه .

يوم تقرب فيه القرابة ، وتوصل فيه الأرحام ، ويلتقى فيه المسلمون على صفاء القلوب ونقاء الضمائر ..

هذا يوم ينبغى لنا أن نجدد فيه الأمل ،ونفتح باب الرجاء فى الله تجاه أحداث الأمة الاسلامية ، وهى احداث جسام : فهذه أفغانستان ، وهذا لبنان يدور فيهما قتال مدمر به فى الأولى قوة باغية ، استضعفت شعبا مسلما فبطشت به ، ولكنه لم يرض بالهوان ولم يستسلم طلبا للسلامة ،وتصدى أبناؤه للعدوان ومازالوا لم تلن لهم قناة . وتغافل عنهم المسلمون ، وأشعلوا نيران الحرب فيما بينهم وأوقدوا الخلافات والفتن التى شغلتهم عن أرضهم التى تنتقص من أطرافها .

فمتى يستيقظ المسلمون ؟
ومتى تتوحد كلمتهم، كما توحدت قبلتهم ؟

وهذا لبنان ثارت فيه الفتن أو استثيرت فاشتعلت نارا علا أوارها ، واتسع نطاقها ولما تنطفىء بعد .

ولعل الشعب الشقيق يرعى الله فى بلده ،ويكف عن عوامل التخريب والتمزيق والقتل والتدمير ، ويعلم أنه لا عاصم له ولا نجاة الا بوحدة الكلمة الرشيدة .

وهذه الحرب التى تدور بين ايران والعراق ، تجرى المحاولات لايقافها بعد أن امتدت لسنوات أكلت فيها الأموال والأولاد .

ان الرجاء فى الله أن يرفع عن المسلمين مانزل بهم من كربات ، ويجمع كلمتهم على الاخاء والتناصر ، ويأخذ بأيديهم الى سبل الأمن والنجاة ، فتشفى قلوبهم من الفرقة التى ضيعتهم وأغرت بهم أعداءهم .

هذا يوم الجائزة

ان المحنــة تلد المنحة ، وان الله تعــالى يدعونا فى مثل هــذه المــواقف الى الأمــل والعمل ..

الأمل فى الله مهما عظم الخطب أو كثــرت النوائب .
لنقرأ قول الله سبحانه :

« هَذَا بَيَانٌ لِلنَّــاسِ وَهُــدًى وَمَوْعِظَــةٌ لِلْمُتَّقِــينَ . وَلاَ تَهِنُــوا وَلاَ تَحْـزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ » .

.. تلكم الأمــل ..

أما العمل فهو لما ينفع المسلمين فى دينهم ودنياهم ، وجماع ذلك كلمة التقوى فى قــول الله عز شأنه :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » .

لنأخذ من عباداتنا المفروضة الوسيلة الى الوحدة ، وحدة الهدف ، ووحدة العمل حتى يتحقق فينا وصف القرآن وما طلبه منا ربنا فى قوله :

« وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ » .

ولنأخذ من شهر رمضان طهرة لقلوبنا من البغضاء والأحقاد ، ونعى ما حاق بنا بتفرقنا فقد تخطفتنا الأمم من حولنا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

باسم الله وكتابه وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فى هذا اليوم - يوم عيد الفطر - أدعو المسلمين حكاما ومحكومين أن يفيئوا الى أمر الله ، وأن يحتكموا الى كتاب الله وسنة رسوله حتى تجتمع كلمتهم ،ويرتد العدوان عن أمتهم ، وكفى ما نحن فيه من اختلاف وفرقة .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » .

فليكن هذا العيد بشير أمل ورجاء فى الله سبحانه نعتصم فيه بأمره ، وليكن بداية عهد نتلمس منه سبيل العمل لما يورث العز للمسلمين فى الدنيا والآخرة .

« فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا »

اسأل الله الكريم رب العرش العظيم ، أن يفيض على المسلمين من رحمته ، وينزل عليهم سكينته ، ويجمعهم على الهدى وان يكشف عنهم ما نزل بهم ، ويؤلف بين قلوبهم انه سميع مجيب .

وتهنئة من الأزهر الى المسلمين فى جميع أقطار الأرض ملوكهم ورؤسائهم وأمرائهم وشعوبهم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم بعيد الفطر المبارك ، تهنئة تصحبها الدعوة الى الأمل والعمل الجاد المثمر لرفع ما حاق ويحيق بأوطان المسلمين ، ولنتمثل قول الله سبحانه .

« قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ » .

فضيلة الامام الأكبر جاد الحق
على جاد الحق شيخ الأزهر

ما لهذا الحجاب ؟

ما لهذا الحجاب لا يغادر سخيمة الا ابداها ، ولا بَـلَاها إلاّ انتشرت حقدا على هذا الدين : أوامره ونواهيه ، وكراهية لحرية أبنائه وبناته ؟ !

ما لهذا الرداء الذى اتشحت به المسلمات صار أشعة تحت الحمراء تكشف ما استتر من ظلمات القلوب ، وتسجل ما أطلقت من نفثات السنتها المتحللة من كل خلق جميل ، وستر نبيل ، وحياء كريم ... ؟ !!!

ما لهذا الرداء جمرة تقض مضاجع أباة الحرية ، ودعاة مصارع السوء ؟ !!

أئن حسرت المسلمة عن ذراعيها ، وكشفت عن ساقيها ، وأبدت نحرها وعطفيها ، ونثرت شتى الألوان على وجهها ، وفاح العطر من أردانها ، وتركت لكل جزء من جسدها أن يعلن عن نفسه ، وتمثلت كل غواية طارئة ، وأشربت كل علة نازحة — فرح واستبشر الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا .

وان هى أطاعت الرحمن فسدلت الرداء وأخفت النحر والساق وأبدت ما أُذِنَ لها أن تبديه ، ووارت الفتنة ومشت على استحياء ، تكتم عطرها ، وتتجنب شياطين الانس والجان

— اشمأزت قلوبهم ، وفقدوا حتى أدنى مدارج اللياقة فى اللفظ ، والكياسة فى الرأى !!

وما الكسب الذى تربحه نساؤنا اذا استبدلن الْعُرْىَ بالكساء ؟ والقحة بالحياء ؟ والتبرج بالفضيلة .. ؟

نسى هؤلاء الدعاة أصحاب « المنطق الوضعى » أنهم شَذُّوا فضاقوا بأجمل رداء يحترمه العالمُ كله على اختلاف أديانه ومختلف مشاربه — فأبدوا حججا وأخفوا شهوات :

هذه هى الفلاحة المصرية لها نفس الرداء لا يظهر منها الا الوجه والكفان وما منعها ذلك أن تقاسم زوجها — ذا الفضل الأول

للدكتور على الخطيب

على مصر — جهاده من الفجر الى الغــروب دواما بلا كلل ولا ملل ، وتؤدى لمصر فــوق ما تطالبها به مصر من واجبات قانعة بـــأدنى الحقوق . وما عاقها رداؤها الطاهر عن عمل ، ولا قصر بها عن جهاد .

* * *

ها هو «فنان » مصر مختار — رحمه الله :

قدم تحفته الرائعة « نهضة مصر » ممثلة فى هذه الفلاحة بهذا الرداء توقظ « أبا الهول »

والعالم كله يجمع على روعة هــذه التحفــة وجلالها ، فما قَدَّمَ مختارٌ لايقاظ أبى الهــول

سيدة صالون ، ولا راقصة باليه ، انما قدمها فلاحة مصرية بحجابها وقد اكتملت لها معانى

الأنوثة ووظيفتها ناطقة بالطهر والعفاف والجد والعمــل :

ما لهذا الحجاب

ماذا فعل مختار ... ؟

لقد أخذ من ذاته الأصيلة فلم يستورد .

ومن دينه القويم فلم يبتذل .

ومن تاريخه التليد فلم يتنكر .

ونجح مختـــار .

* * *

ها هن الراهبـــات فى مشـــــارق الأرض ومغاربها عليهن نفس الرداء لا يكشفن عـــن ساق ، ولا يبـــدين فتنـــة ، ويقمن بمختلف الأعمال وأشقها ، ويتخصصن تخصصـــــات دقيقة يَعْيَا عنها أصحاب المنطق الوضعى الذين فقدوا العطاء ، وليس ينال هؤلاء الراهبـــات الا كل اجلال واكبار فى أى مكان حللن فيه من أهل دينهن ،ومن غيرهم على سواء .

* * *

ها هو « الحـــزام الانجيلى » بالـــولايات المتحدة نفسها يشقها من الغرب الى الشرق من شمال « نورث كارولينا » حتى جنـــــوب « يوتا » .

حزام معروف مشهور .

لأهله تقاليد صارمة :

ليس فى ديارهم محل للخمور أو شرابها ، وأهـــل الحزام لا يرقصـــــون فى محفـــل ، ولا يأكلـــون الخنـــزير ، ولا يشـــــاهدون التليفزيون ، ولا يلعبون الميسر ، ولا يختلط نساؤهم بالرجال فى الحفـــلات .

بل منهم من لا يركب سيارة .

واحترم المجتمع الأمريكى كله تقـــاليدهم ، وانحنى لها ، وحرص الأفراد على اتباعهـــا اذا نزلوا بديـــارهم ، وما نبـــخ عليهم نابح بنضيح وعائه « وَثَنِّيَاتِ » أفكاره .

فما بال الشيخوخة القاحلـــة تنعـــق على الفضيلة لتزرى بالحق وتستر الحيـــاء لتعلن الرذيلة .

الا أن نساءنا ــ من قبـــل ومن بعـــد ــ أصحاب الحق الأول والأخير فى اختيار ديـــن الله وممارسة فضيلته ، والتنعم بحجابه يُطِمْنَ قول الله ــ عز وجل ــ لنبيه الخاتم ــ صلى الله عليه وسلم :

« يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَـــاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُـــــورًا رَّحِيمًا » الأحزاب ٥٩

للدكتور على الخطيب

دراسات قرآنية

قصة الصرف

الحمد فى القرآن الكريم

منهج إبراهيم

منهج إبراهيم

فى الدعوة إلى الحق

المقـــال الاول

قال تعالى : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّى أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَــــلَالٍ مُبِينٍ » ٠

الآيات من ســورة الانعام

التفســـير

نشأ ابراهيم ــ عليه السلام ــ منذ صباه على سنة المرسلين ، مطمئن الفؤاد موقنا بأن للكون الها واحدا لا شريك له فيه ، وكان يبدو عجيبا أن ينشأ مستقيم العقيدة بين أســـرة وثنية وأمة مشركة ،تعكف علىالاصنام وتقدس عبادة الكواكب ، حتى اذا استقام عـــوده ، واكتمل الصفاء لروحه وفكره وارادته ،وبلــغ بذلك أشده ، أرسله الله سبحانــه الى قــومه الناكبين عن الصراط السوى لهدايتهم اليه ٠

والحق أنه لا غرابة فى أن ينشىء الله فتى على التوحيــد بين أسرة وأمـــة وثنيتين ، وأن يختاره بعد أن يبلغ أشده رسولا الى قومه ليحيى به مواتهم ، فتلك هى ســـنة الله فى خلقه ٠

فهو الذى يخرج الحى من الميت ، ويخلق الورد الفواح العبير من بين الأشواك ، ويبدع من الشجر المر ، الثمر الشهى الحلو ، وينبت الزرع النضير من بين التراب والسرجين ٠

مسلكه فى الدعوة الى الله

سلك ابراهيم ــ عليه السلام ــ فى دعوته الى الله مسلكين ٠

(أحدهما) صريح متفق مع عقيدته ــ وكان يسلكه مع أهله ٠

(وثانيهما) استدراجى على خلاف عقيدته، يصل منه فى النهاية الى مشكاة الهدى وشمس الحق ، وكان يسلكه مع قومه لمزيد عنادهم ٠٠ وعنيد اصرارهم على الباطل ، ومجافاتهم لكل ما يمس معبوداتهم المقدسة بسوء من قريب أو بعيد ٠

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الطير

ومن الأسلوب الأول ما سلكه فى سورة الانعام مع أبيه آزر ، واليك بيانه وما يتصل به .

من هو آزر ؟

صرحت الآية الكريمة التى صدرنا بها المقال بأن آزر كان أبا لابراهيم — عليه السلام — لكن المؤرخين أجمعوا على أن اسم أبيه تارح ، قال الزجاج : ليس بين النسابين خلاف فى أن اسم أبيه تارح — بتاء فوقية وألف بعدها راء مفتوحة . وحاء مهملة . ويروى بالخاء المعجمة . ولعل مصدرهم فى ذلك كتب أهل الكتاب .

وممن ذهب الى كون آزر ليس اسما لأبيه مجاهد وسعيد بن المسيب ومعظم أهل السنة . وبعض القائلين بذلك يرى أنه عمه . ويرى أصحاب هذا الرأى أنه لا مانع من اطلاق القرآن لفظ الأب على العم . فهذا عرف قرآنى: قال تعالى : « **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ** » (١) فقد أطلق لفظ الأب على اسماعيل مع أنه عم ليعقوب ، وأطلق أيضا على جده ابراهيم ، والعرب يفعلون ذلك .

وقد حمل أصحاب هذا الرأى على تأويل الأب هنا بالعم ، أنه لا يليق بنبى أن يكون أبوه أو أحد أصوله مشركا ، ولذا قال — صلى الله عليه وسلم — « لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات » (٢) .

والمشركون نجس فلا يصلح أحدهم أن يكون فى أصول نبى ، فلذا أولوا الأب فى الآية بالعم ، لأنه أقرب الآباء بعد الأب والجد .

لكننى أرى أنه لا داعى لتأويل ظاهر القرآن الكريم بما لا نص فيه فى شريعتنا ، ولا ضرورة تدعو اليه ، وعلى فرض صحة أن أباه كان اسمه تارح ، فليكن آزر لقبا له ، وقد ذكره القرآن بلقبه .

وأى مانع من أن يكون أبوه كافرا وهو

(١) سورة البقرة — ١٣٣ .

(٢) أخرج أبو نعيم عن طرق عن ابن عباس قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لم يلتق أبواى قط على سفاح . لم يزل ينقلنى من الأصلاب الطيبة الى الأرحام الطاهرة ... الخ . الخصائص الكبرى للامام السيوطى . تحقيق الدكتور محمد خليل هراس ج ١ ص ٩٣ باب اختصاصه — صلى الله عليه وسلم — بطهارة نسبه ... الخ . الباجورى .

منهج ابراهيم

رسول من سلالته . أفليس هذا دليلا على قوة داعى الحق عنده ، مع وفرة دواعى الباطل حوله فى أصله وأسرته وأمته ، أليس من سنن الله تعالى أن يخرج الورد من الشوك . والنور الساطع من النار المحرقة ، والعسل الشهى من النحل اللاسع ، وغير ذلك مما جاء فيه الفرع مخالفا لأصله نفعا وضرا ، وخيرا وشرا .

أما قوله — صلى الله عليه وسلم — « لم أزل أنتقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات » فالمقصود منه نظافة أصوله من سفاح الجاهلية .

صراحة ابراهيم مع أبيه

لقد كان ابراهيم عليه السلام صريحا مع أبيه آزر المشرك ، اذ قال له « **أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** » .

قال قائلون : أليس هذا جفاء وخشونة فى النصح لا يليقان مع الغرباء ، فكيف يحدثان من رسول فى خطابه لأبيه وقد قال تعالى لموسى وهرون فى شأن دعوتهما لفرعون « **فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ** » (١) فقد أوصاهما باللين فى مخاطبته ، وبين لهما أن حسن الأثر مرجو فى الملاينة ، لأن المخاشنة توجب النفرة .

وقال فى الوصية للوالدين « **فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** » (٢) وقال «**وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا** » (٣) والخشونة فى النصح أشد ايذاء من التأفف ، ومباينة للصحبة بالمعروف ، فكيف صدرت من ابراهيم عليه السلام لأبيه ؟

والجواب أن ذلك لابد أنه صادر منه بعد مزيد من النصح اللين . ويدل لذلك ما يحكيه الله تعالى عنه فى سورة مريم اذ قال :

« **يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ۝ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۝ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا** » (٤) .

فهذا بلا شك أرق وألين ما يكون فى النصح . ولكنه أصر على كفره وهدده بالايذاء ، وطلب أن يعتزله ويهجره فقال :

« **أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا** » (٥) .

فلاينه وسالمه قائلا :

(١) سورة طه — ٤٤ .
(٢) سورة الاسراء — ٢٣ .
(٣) سورة لقمان — ١٥ .
(٤) سورة مريم — ٤٢ — ٤٥ .
(٥) سورة مريم — ٤٦ .

« سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا » (١) .

فمن هذا يتضح أن ابراهيم عليه السلام بدأ أمره مع أبيه بالملاينة فى الدعوة الى الحق ، وكيف لا وقد وصفه الله بقوله :

« إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ » (٢) .

فقد شهد له ربه بالحلم ، فلابد أن يكون هذا أول أمره معه ، فلما أوغل فى مجافاة الحق والقسوة على ابراهيم ، اضطر الى القسوة عليه لعله يزدجر قال أبو تمام :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما
فليقس أحيانا على من يرحم

وبالجملة : فالمقامات تختلف ، ففى مقام يحسن اللين . وفى مقام آخر تحسن الخشونة ، ولذا قال الله لرسوله مرة :

« وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » (٣) .

وقال له أخرى :

« وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ » (٤) .

ليستعمل كلا منهما فى مقامه .

على أننى بعد كل هذا لا أرى فيما قاله ابراهيم — عليه السلام — لأبيه : أى نوع من الخشونة ، فقوله : « أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً » انكار لاتخاذه الاصنام معبودات بأخف أسلوب وأرقه ، مع أنه ارتكب أكبر الكبائر وهو الاشراك بالله . ومع ظهور الأدلة على فساده .

وقوله : « إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ » لا خشونة فيه أيضا . فهو أسلوب لغوى برىء من الجفاء . فان الضلال هو البعد عن الطريق الموصل الى الغاية ، والمبين معناه البين الواضح ، ولا شك أن عبادة أبيه وقومه للأوثان أبعدتهم عن الطريق السوى الموصل الى الحق ، فالعرف اللغوى لا يرى فى هذا جفاء أو خشونة . والسائل الذى يصف هذا الأسلوب بالخشونة غير منصف أرأيت لو أن رجلا ترك سبيلا واضح المعالم موصلا الى مدينة يقصدها ، واتخذ سبيلا آخر لا يوصل اليها ، فلما علمت حاله قلت له : لقد ضللت السبيل اليها ضلالا واضحا ، فخذ السبيل الآخر : أتكون بذلك خشنا فى خطابه بهذا التعبير المطابق لمقتضى الحال ، فاذا قلت : كلا ، قلت فكذلك ما قاله الله تعالى حكاية عن ابراهيم فى حديثه لأبيه بلغته ، فانه لما رآه ضل السبيل الى الحق ، أخبره بذلك ليعدل عنه الى السبيل الأقوم ، وهذا ما فعله الله تعالى مع نبيه محمد — صلى الله عليه وسلم — ، كما حكاه فى قوله :

« وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى » (٥) .

أصل عبادة الأوثان والكواكب فى العالم

ذكر الامام الرازى نقلا عن جعفر بن محمد المنجم البلخى أن كثيرا من أهل الصين والهند كانوا يعترفون بالله وبالملائكة ، الا أنهم يعتقدون أنه سبحانه جسم ذو صورة حسنة هى أعلى درجات الحسن ، وأن الملائكة أجسام لهم صورة حسنة أيضا ، وأنهم جميعا فى السموات ، فلهذا اتخذوا صورا وتماثيل حسنة

(١) سورة مريم — ٤٧ .
(٢) سورة التوبة — ١١٤ .
(٣) سورة النحل — ١٢٥ .
(٤) سورة التوبة — ٧٣ .
(٥) سورة الضحى — ٧ .

الرداء والهيكل . وجعلوا أحسنها لله — تعالى عن التجسيد والتمثيل علوا كبيرا — وجعلوا ما دونه منها للملائكة ، وواظبوا على عبادة تلك الصور والتماثيل . قاصدين الزلفى من الله تعالى والملائكة .

وذكر الامام الرازى رأيا آخر فى أصل عبادتها خلاصته أن الناس لما رأوا تغيرات الأحوال فى هذا العالم الأسفل مرتبطة بتغيرات أحوال الكواكب ، زعموا ارتباط السعادة والنحس بكيفية وقوعها فى الطوالع ، ثم غلب على ظن أكثر الخلق أن مبدأ حدوث الحوادث فى هذا العالم . هو الاتصالات الفلكية ، والمناسبات الكوكبية . فبالغوا فى تعظيم الكواكب . ثم منهم من اعتقدوها واجبة الوجود لذاتها . ومنهم من اعتقد حدوثها وأنها مخلوقة للاله الأكبر ، الا أنهم قالوا مع ذلك انها هى المدبرة لأحوال العالم .

وعلى كلا التقديرين اشتغلوا بعبادتها ، ولما رأوها قد تغيب عن الأبصار اتخذوا لكل كوكب صنما من الجوهر المنسوب اليه بزعمهم، وأقبلوا على عبادته ، وغرضهم من ذلك عبادة تلك الكواكب والتقرب اليها ، ولهذا أقام الأنبياء الأدلة على أن الكواكب لا تأثير لها البتة فى أحوال هذا العالم ، وأن الأمر كله لله كما قال سبحانه :

« **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** »

بعد أن بين أن الكواكب والنجوم مسخرات بأمره .

على أنها لو قدر صدور فعل عنها وتأثير لها فى هذا العالم ، فذلك بجعل الله وربطه المسببات بالأسباب ، وليس ذاتيا لها ، فهى حادثة ومخلوقة ودلائل ذلك واضحة ، فيكون الاشتغال بعبادة الفرع دون عبادة الأصل ضلالا محضا ، ويرشد الى أن حاصل دين عبادة الأوثان ما ذكر ، أنه سبحانه بعد أن حكى توبيخ ابراهيم لأبيه على اتخاذها ، أقام الدليل على أن الكواكب والقمر لا يصلح شىء منها للألوهية : انتهى بتصرف يسير .

أصل عبادة الأوثان فى بلاد العرب

قال الألوسى تعليقا على ما قاله الامام الرازى : وأنا أقول : لعل هذا سبب فى عبادة الأصنام أولا ، وأما سبب عبادة العرب لها فغير ذلك .

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أن عمرو بن لحى — وهو أول من غير دين ابراهيم عليه السلام — خرج من مكة الى الشام فى بعض أسفاره ، فلما قدم الى أرض البلقاء — وبها يومئذ العمالقة أولاد عملاق أو عمليق ابن لأود بن سام بن نوح عليه السلام — رآهم يعبدون الأصنام ، فقال لهم : ما هذه التى أراكم تعبدون ؟ فقالوا هذه الأصنام نعبدها ونستمطر بها فتمطرنا ، ونستنتصر بها فتنصرنا ، فقال لهم : ألا تعطوننى منها صنما فأسير به الى أرض العرب فيعبدونه ، فأعطوه صنما يقال له هبل ، فقدم به مكة ، فنصبه وأمر الناس بعبادته .. انتهى كلام الألوسى.

أقول : ويؤكد هذا ما ذكره هشام بن محمد ابن السائب الكلبى فى كتابه الأصنام ، تحقيق العلامة المؤرخ أحمد زكى باشا صاحب (الخزانة الزكية) أن عمرو بن لحى هذا أول من غير دين اسماعيل عليه السلام ، فنصب الأوثان وسيب السائبة ووصل الوصيلة وتجر البحيرة وحمى الحامية ، وهو الذى طرد جرهما عن ولاية الكعبة ، بعد أن قاتلهم ببنى اسماعيل وانتصر عليهم ونفاهم من مكة ، وولى حماية البيت بعدهم .

ويقول الكلبى : ان عمرا هذا مرض مرضا شديدا ، فقيل له : ان بالبلقاء من الشام حممة (١) ان أتيتها برأت من مرضك . فأتاها فاستحم بمائها فبرأ من مرضه . ووجد أهلها يعبدون الأصنام . فقال : ما هذه ؟ فقالوا نستسقى بها المطر ، ونستنصر بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا ، فقدم بها مكة ، ونصبها حول الكعبة ، وذكرْ رواية أخرى لا تتعارض مع ما سبق ، لامكان تعدد الأسباب ، فقال فى أول كتابه : ان اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام — لما سكن مكة . ولد له بها أولاد كثير ملئوا مكة ، ونفوا من كان بها من العماليق ، ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات، وأخرج بعضهم بعضا ، فتقسموا فى البلاد التماسا للمعاش ، وكان الذى سلخ (٢) بهم الى عبادة الأوثان والحجارة ، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة بمكة ، فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها ، وصبابة بالحرم وحبا له ، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على ارث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام .

ثم سلخ بهم الى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا الى ما كانت عليه الأمم قبلهم ، وانبجثوا — أى استخرجوا — ما كان يعبد قوم نوح عليه السلام منها ، على ارث ما بقى فيهم من ذكرها ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتنسكون بها ، من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة ، والوقوف على عرفة ومزدلفة واهداء البدن ، والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه ، فكانت نزار تقول اذا ما أهلت : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، الا شريك هو لك ، تملكه وماملك .

(١) اى عينا ساخنة .

(٢) اى مضى .

منهج إبراهيم

ويوحدونه بالتلبية ويدخلون معه آلهتهم ويجعلون ملكها بيده ، يقول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم « **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ** » أى ما يوحدونني بمعرفة حقي الا جعلوا معي شريكا من خلقي : انتهى .

أقول : ومما جعلهم يمضون فى عبادتها أن الشياطين كانوا يتكلمون من أجوافها ، ويعللون الناس بالأماني الباطلة ، ويخبرونهم بما استمعوه من الملائكة من أخبار الغيب . ويضيفون اليه ما يشاءون من الكذبات ، كما هو معروف من الكتاب والسنة ، ومن استراقهم السمع واضافة الأكاذيب الى ما يسترقون ، وكانوا يسمعون من أجوافها همهمة ، ويرون أشباحها .

فعن ابن عباس رضى الله عنه قال : كانت العزى (١) شيطانة تأتى ثلاث سمرات ببطن نخلة ، فلما افتتح النبى — صلى الله عليه وسلم — مكة بعث خالد بن الوليد قائلا له « ايت بطن نخلة فانك تجد ثلاث سمرات فاعضد (٢) الأولى » فأتاها فعضدها . ثم أتى النبى — صلى الله عليه وسلم فقال : « هل رأيت شيئا » ؟ قال لا : قال : « فاعضد الثانية » فأتاها فعضدها ثم أتى النبى — صلى الله عليه وسلم — . فقال : هل رأيت شيئا »؟؟ قال لا : قال : « فاعضد الثالثة » فأتاها فاذا هو بحبشية نافشة شعْرها ، واضعة يديها على عاتقها ، تصرف بأنيابها . وخلفها دبية السلمى — وكان سادنها — فلما نظر الى خالد قال :

أعزاء شدى شدة لا تكذبى
على خالد ألقى الخمار وشمرى
فانك ان لا تقتلى اليوم خالدا
تبوئى بذل عاجلا وتنصرى

فقال خالد :

يا عز كفرانك لا سبحانك
انى رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها ، فاذا هى حممة (٣) ثم عضد الشجرة وقتل دبية السادن ، ثم أتى النبى — صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : « تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب ، أما انها لن تعبد بعد اليوم » .

وفى بعض الروايات أن خالدا لما هدم العزى رمته بالشرر حتى احترق عامة فخذه ، فعوذه النبى — صلى الله عليه وسلم — .

وقد علمت مما سبق أن عمرو بن لحى هو أول من أدخل عبادة الأصنام فى بلاد العرب ، اذ جاء بها من البلقاء ونصبها حول الكعبة . قال

(١) من معبودات الجاهلية ، سميت باسم شيطانة فيها .
(٢) سمرات جمع سمرة نوع من الشجر . واعضد بمعنى : اقطع .
(٣) الحممة كل مااحترق من النار . انظر لابن الكلبى — الاصنام .

الكلبى : فلما صنع عمرو هذا دانت العرب للأصنام وعبدوها :

أقول : وكانت مكة مليئة بالأصنام ، فكان لأهل كل دار منها صنم فى دارهم يعبدونه ، فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع فى منزله أن يتمسح به ، واذا قدم من سفره كان أول ما يصنعه اذا دخل منزله أن يتمسح به أيضا . فلما بعث الله نبيه محمدا — صلى الله عليه وسلم — بالتوحيد عجبوا وقالوا : « أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ » (١) .

ولم تزل هذه الأصنام تعبد حتى دانت مكة للنبى — صلى الله عليه وسلم — فأمر بهدمها ، فهدمت وحطمت ولم تستطع أن تدافع عن نفسها . ولو كانت آلهة كما زعموا لاستعصت على من أرادها بسوء . ولجازته بالانتقام الشديد . وصدق الله تعالى اذ يقول فيها « وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ » (٢) .

ولسوف يلقى عمرو الذى تسبب فى عبادة العرب لها أسوأ عقاب .

روى هشام بن محمد الكلبى عن أبيه عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال النبى — صلى الله عليه وسلم « رفعت لى النار فرأيت عَمْرًا رجلا قصيرا أحمر أزرق يجر قصبته فى النار ، قلت من هذا ؟ قيل هذا عمرو بن لحى أول من بحر البحيرة ووصل الوصيلة ، وسيب السائبة، وحمى الحامى ، وغير دين ابراهيم ، ودعا العرب الى عبادة الأوثان .

قال النبى — صلى الله عليه وسلم — : أشبه بنيه به قطن بن عبد العزى ، فوثب قطن فقال : يارسول الله . أيضرنى شبهه شيئا ؟ قال : لا أنت مسلم وهو كافر .. » (٣) الحديث .

وبعد فهذه المامة كافية بأسباب عبادة الأوثان فى العالم وعند العرب ، وهى أسباب واهية هبطت بالعقل البشرى الى الحضيض فعبدها ، فبعث الله رسله لانقاذ عقائد الناس من الباطل وردهم الى الحق ، وتحرير أفئدتهم ونفوسهم من الجهالة العمياء .

ولقد كان لنبى الله ابراهيم — عليه السلام — دور هام فى ذلك ، فالى العدد التالى حتى ترى فيه أسلوبه الثانى الذى يتظاهر فيه بأنه على عقيدة أهل الباطل ، ثم يبرهن لهم على فسادها ، بأسلوب رجل كان يبحث عن الحق ، فلما عرفه آمن به ، ورفض ما كان مخالفا له مما تظاهر به ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

(١) سورة ص ٥ .
(٢) سورة الحج ٧٣ .
(٣) انظر تفسير ابن كثير سورة المائدة ج ٣ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ طبعة الشعب — الباجورى .

الحمد في القرآن الكريم

٤٤ـ التوكل على الله والحمد .

« وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا » الفرقان ٥٨ .

لما بين الله فى الآيات السابقة أن الكفار متظاهرون على ايذاء الرسول أمره أن يتوكل على الحى الذى لا يموت فى دفع كل ضر عنه وفى جلب المنافع اليه ، وأن من يتوكل على الحى الذى يموت فانه يضيع عندما يموت من يتوكل عليه ، أما المتوكل على الحى الذى لا يموت فانه لا يضيع ، لأنه مع الحى الباقى .

وقوله : وسبح بحمده : اما أن يكون المراد بذلك : التنزيه ، أى تنزيه الله تعالى عن كل نقص ، واقتران ذلك التنزيه بالتحميد على نعم الله .

واما أن يراد بالتسبيح : الصلاة ثم أمره بالحمد .

وحسبك الله وحده . فلا تحتاج معه الى غيره ، لأنه الخبير بالناس وبما يقترفون من الذنوب ، وهو قادر على الجزاء وفى ذلك وعيد للكفار وتهديد لهم بأن الله مطلع على أقوالهم وأعمالهم وهو مجازيهم على كل ذلك ، وسيعاقبهم بما يستحقون .

• • •

٤٥ ــ « التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » التوبة ١١٢ .

فى هذه الآية بين الله أوصاف المؤمنين الذين اشترى منه أنفسهم وأموالهم بالجنة ، والتقدير : هم التائبون أو التائبون العابدون الخ من أهل الجنة .

وقد تضمنت الآية تسعة أوصاف لأولئك المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم :

الأول : التائبون : من الشرك أو من

للأستاذ الدكتور
محمد محمد خليفة

الشرك والنفاق أو من كل معصية ، وشروط التوبة :

١ ــ التألم لحصول المعصية .

٢ ــ الندم .

٣ ــ العزم على الترك .

٤ ــ أن يكون الدافع لها طلب رضوان الله .

الثانى : العابدون : هم الذين عبدوا الله فى السراء والضراء ، ويرون عبادة الله واجبة عليهم .

الثالث : الحامدون : هم الذين يشكرون الله تعالى على نعمه الدنيوية والأخروية فيسبحون ويهللون ويكبرون ولا يغفلون عن ذكر الله وحمده على ما أنعم به .

الرابع : السائحون : قيل هم الصائمون ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : ما ذكر فى القرآن من السياحة ، فهو الصيام ، فالصائم اذا امتنع عن الأكل والشرب سد على نفسه أبواب الشهوات ، وانفتحت عليه أبواب الحكمة وتجلت له أنوار عالم الجلال وقيل : ان السائحين : هم طلاب العلم ينتقلون من بلد الى بلد فى طلب العلم .

الخامس والسادس : الراكعون الساجدون : هم المصلون ، وخص الركوع والسجود من أعمال الصلاة بالذكر هنا ، لأنهما يدلان على التواضع والعبودية ليشير الى أن المطلوب فى الصلاة انما هو خضوع العبد وتذلله لربه .

السابع والثامن : الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ورأس المعروف : الايمان بالله ، ورأس المنكر : الكفر بالله .

التاسع : الحافظون لحدود الله ، والمراد : تكاليفه من عبادات ومعاملات وسلوكيات .

وبعد ذكر تلك الأوصاف قال : وبشر المؤمنين ، وهم المقصودون فى قوله تعالى فى الآية السابقة على هذه : **فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُم بِهِ** ، وكأن البشارة هنا وهناك لا تشمل غير المؤمنين الذين وصفوا بتلك الصفات .

وقد جاء من بين هذه الأوصاف : الحامدون وهو مشتق من الحمد ــ الذى هو موضوع هذا البحث ــ على أنه صفة من الصفات التسع التى ذكرها الله للمؤمنين الذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بالجنة والذين بشرهم الله بالبيع الذى بايعوه .

٤٦ ــ صاحب المقام المحمود :

(أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ

الحمد فى القرآن الكريم

مَشْهُودًا • وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) الاسراء ٧٨ ، ٧٩ •

ان أشرف الطاعات بعد الايمان : الصلاة ، وقد أمر الله نبيه — صلى الله عليه وسلم — بأداء أفضل الطاعات والتقرب الى ربه بالصلاة بعد قوله : (وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا) يعنى من مكة ، وفى اخراجه من بلده التى ولد ونشأ فيها ما تضيق نفسه به ، فأمره الله فى هذا الموقف أن يفزع الى الصلاة ، ويداوم عليها آناء الليل وأطراف النهار ليدفع شرهم •

والمراد بقوله : لدلوك الشمس : غروبها ، وقيل : هو زوالها عن كبد السماء :

والمقصود : طلب المداومة على الصلاة من وقت زوال الشمس الى غسق الليل ، وفى هذا الوقت يكون وقت الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم قال : وقرآن الفجر ، والمراد منه : صلاة الصبح ، وقد وصف قرآن الفجر بكونه مشهودا ، لأن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فى صلاة الصبح ، فصلاة الصبح مشهودة للملائكة ، وحين يفرغ مصلى الصبح من صلاته ترجع ملائكة الليل فيقولون : يارب انا تركنا عبدك يصلى لك ، وتقول ملائكة النهار : يارينا انا أتينا عبادك وهم يصلون لك •

ويدخل وقت الصبح فى قوله : وقرآن الفجر ، لأن المراد وقرآن صلاة الفجر ، ويكون الأمر باقامة الصلاة والمداومة عليها فى أوقات الصلوات الخمس قد تضمنته الآية •

والمراد بغسق الليل : سواده وظلمته •

(وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ) •

التهجد : صلاة الليل ، وتهجد به ، أى بالقرآن ، والهاجد المصلى بالليل ، والهجود ، الرقاد ، وقال بعضهم : التهجد : الصلاة بعد الرقاد ، وكان — عليه الصلاة والسلام : يصلى ويرقد ، ويصلى ويرقد ، ويفعل ذلك فى الليل أكثر من مرة وهذا هو تهجده أى صلاته بعد رقاده •

والنافلة : ما كان زيادة على الأصل ، والأصل : الفرائض . وما أدى بعد الفرائض، فهو النفل (عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) •

اتفق المفسرون على أن كلمة عسى من الله واجب ، فالله تعالى أكرم من أن يطمع أحدا فى شىء ثم لا يعطيه ما طمع فيه •

والمقام المحمود الذى يطمع فيه هو : الشفاعة : وقد قال النبى — صلى الله عليه وسلم — فى تفسير المقام المحمود : هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى •

والحمد انما يكون على الانعام والمقام المحمود هو الذى ينعم فيه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على أمته ، فيحمد على ذلك الانعام وأى انعام فى يوم الحشر أعظم من تقدم رسول الرحمة بين يدى ربه ليشفع لأمته فيحمد ويشكر على مقامه المحمود هذا ، (ومحمودا) اسم مفعول من الحمد موضع البحث •

• • •

٤٧ ـ الله الغنى الحميد :

« حميد » احدى الصيغ المشتقة من الحمد ، وتدل على الكثرة ،وقد تكون بمعنى محمود .

قال تعالى « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** » البقرة ٢٦٧ .

حث الله على الانفاق فى الآيات السابقة ، وقسم الانفاق الى قسمين : (انفاق يتبعه المن ، وانفاق لا يتبعه المن والانفاق اما أن يكون من مال طيب ، واما أن يكون من مال خبيث .

وقد نادى الله المؤمنين المنفقين فى هذه الآية ليأمرهم فى حالة الانفاق أن ينفقوا من طيبات أموالهم التى كسبوها واختلف فى الانفاق المراد فى هذه الآية : أهو الزكاة المفروضة أم هو الصدقة المتطوع بها أو الاثنان جميعا ، واذا كان المراد ، الزكاة المفروضة فهى فى كل ما يكسبه الانسان ، ويدخل فيه زكاة التجارة والذهب والفضة والحيوانات الأهلية كالابل والغنم والبقر وزكاة الزروع والثمار الى غير ذلك مما بينت كتب الفقه وحددت أنصبته واختلف فى بيان الطيب المطلوب الانفاق منه ، فقيل : الجيد من المال ويقابله : الخبيث والزيف والرديء والعفن من الثمار والضعيف من الحيوان أو ما به عيب .

وقيل : المراد بالطيب : الحلال ويقابله الحرام ـ ولا تيمموا : أى لا تقصدوا والمراد بالاغماض فى قوله : الا أن تغمضوا فيه : المسامحة ، وترك الاستقصاء ، أى : ولستم بآخذيه فى حقوقكم وأنتم تعلمون خبثه ورداءته أو أنه حرام الا أن ترخصوا لأنفسكم أخذه بعيبه .

وعن الحسن رضى الله عنه : كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه .

ثم ختم الآية بقوله (**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**) .

ان العطاء وان وقع فى يد الفقير لكنه لله ، وحيث انه كذلك وجب أن يكون من الطيب ، لأن الله طيب لا يقبل الا طيبا واذا أبيتم الا الانفاق من الخبيث فلتعلموا أن الله غنى عن تلك الصدقات الخبيثة التى يحمل خبثها عدم رضاكم عن الانفاق الذى أمرتم به .

والغنى : صفة من صفات الله **فهو غنى عن** العالمين بكل ماف حوزتهم وما يملكون ، لأنه هو مالك السموات والأرض ومالك السموات والأرض وما فيهما ليس محتاجا الى أن تقدموا له خبيث أموالكم .

ثم أردف صفة الغنى بصفة أخرى وهى أنه حميد بمعنى محمود على ما أنعم به على خلقه من الأموال سواء أنفقوا أو غلت أيديهم ، أو حميد بمعنى حامد على ما تفعلون

مـن الخـير وما تقـدمون من طيب المـال (وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) •

• • •

٤٨-الحميد المجيد :

« قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ) هود٧٣ •

بين الله فى الآية السابقة مجىء رسـله الى ابراهيم ، وقد ذكر هؤلاء الرسل فى الذاريات فى قوله تعالى : « هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيم » وفى الحجـر فى قـوله تعـالى : « وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيم » وفى سـورة هـود : « وَلَقَدْ جَاءَت رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى) وعن ابن عباس رضى الله عنهما : الرسل هم جبريل وميكائيل واسرافيـل •

وقد بينوا لابراهيم أنهم أرسلوا الى قوم لوط للايقاع بهم جـزاء تكـذيبهم لوطـا ، وقد بشروا ابراهيم بسلامة لوط ومن آمـن معه ، ثم بشروا امرأة ابراهيم باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب •

وقد نظـرت امرأة ابراهيم الى نفسـها وهى عجوز والى بعلها وهو شيخ ثم أرسلت الاستفهام التعجبى : ياويلتا •

(أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا)

والويـل والخـزى ــ وتعجبها مرجعـه الى العرف والعادة لا بحسب قدرة الله فليس بمعروف أن يولد لمن فى سنهما ، وان كـانت قدرة الله فوق المتعارف والمعتـاد •

وقالت الملائكة : أتعجبين من أمـر الله ، ومعنى ذلك أنهم تعجبوا من تعجبهـا (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) •

ثم قالوا : (رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) والمعنى : ان رحمـة الله متـوالية متكاثرة متعاقبة عليكم أهل البيت : ورحمـة الله ونعمه عليهم : كانت فى النبوة والمعجزات العظيمة ثم فى هذا الانجاب فى الشيخوخة ، وأهل البيت : منادى محـذوف الأداة ، وفى ذلك النداء مدح لأهل البيت •

انه حميد مجيد ، والحميد : هو المحمود ، وهو ما تحمد أفعاله ونعمه ، والمجيد : الماجد : وهو ذو الشرف والكرامة •

واذا كان الله حميدا مجيدا فـلا مبـرر للتعجب من أننا نبشرك باسـحاق ومن وراء اسحاق يعقوب والله قادر على كل شىء •

٤٩ ــ العزيز الحميد :

(الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) ابراهيم ١ •

هنالك أقـوال كثيرة فى السورة المبـدوءة بحروف المعجم مثل : ص ــ ن ــ ق ــ حم ــ طسم ــ ألم ــ ألـر وغيرهـا ومـن تلك الأقوال : أنها أسماء للسور ف « ص » اسم للسورة وكذلك « ألر » •

ومن بينها كذلك : أن القرآن الذى عجـز

العرب عن الاتيان بمثله وهم أرباب الفصاحة والبيان ليس مؤلفا الا من الحروف التى تنطقون بها أ ل ر ، ن ، ق — فنظمه كله لم يخرج عن حروف المعجم التى يتحدثون بها ، وينظمون أشعارهم ، ويدبجون خطبهم ، ولكنه النظم المفحم الذى عجزتم عن الاتيان بمثله أو بعشر سور من مثله ، بل بآية من مثله •

وقد دلت الآية على أن القرآن منزل من عند الله لتخرج به الناس — والخطاب لمحمد — صلى الله عليه وسلم — من الظلمات الى النور ، وشبه الكفر بالظلمات ، لأن فى كليهما حيرة ، ففى الكفر حيرة العقول وعدم اهتدائها الى الطريق الموصل الى الحق وفى الظلمات حيرة لا يستطيع السارى معها أن يصل الى ما يريد •

وأضاف الاخراج من الظلمات الى النور الى الرسول ، والحقيقة أن الله هو المؤثر والهادى الى ذلك الاخراج ، وبينت الآية أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — انما يخرجهم من الكفر بالكتاب بمعنى : أنه يتلوه عليهم ليتدبروا وينظروا ليصلوا من وراء التدبر والنظر الى الاستدلال على قدرة الله وعلمه وحكمته ، والله هو هادئ العقول التى يريد لها الهدى الى التدبر وهو المؤثر فيها بهداه •

فالاخراج من الظلمات الى النور ، أو من الكفر الى الايمان انما يكون باذن الله ومشيئته ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغ ﴾ واخراجهم الى الايمان انما هو اخراج الى صراط الله العزيز الحميد •

والصراط : الطريق ، وأضافه الى العزيز لتشريفه وبيان أن الصراط المستقيم هو صراط العزيز وهو صراط الاسلام وما جاء به ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ والعزيز اشارة الى كمال قدرته ، والحميد : اشارة الى أنه مستحق للحمد فى كل أفعاله •

والصراط المستقيم صراط العزيز الذى يذل لعزته كل شيء وهو صراط الحميد الذى له ملك السموات والأرض وما فيهما من نعم فهو محمود على آلائه ونعمه التى ينعم بها خلقه •

٥٠ — « وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ » ابراهيم ٨ •

لقد حكى القرآن قول موسى لقومه : اذكروا نعمة الله وحكى قوله : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ بمعنى آذن ووعد وقال : « لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ والشكر : هو الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه ، فهو المتفضل ، وهو ولى الاحسان ، وأما الكفر فالمراد منه : كفر النعمة وجحودها •

وبهذا كان وعد الله على زيادة النعم عند الشكر ، وتوعده بالعذاب الشديد عند الكفر والجحود •

ثم حكى الله قول موسى لقومه : « إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ ، وتدل الآية التى قبلها على أن نفع الشكر يعود على الشاكر لا على المشكور ،

٥

وضرر الكفر يعود على الجاحد لا على المعبود ؟ فالله متعال عن الانتفاع بالشكر ، وعن التضرر من الكفر ، فان تكفروا ويكفر معكم أهل الأرض جميعا سواء حمل الكفر على ما يقابل الايمان أو على الجحود (**فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ**) عن العالمين ، لأنه مالك السموات والأرض ، ومالكهما بكل ما فيهما غنى عن كل ما فيهما ومن فيهما ، وهو (حميد) بمعنى محمود ومستحق للحمد لذاته ، ومستوجب الحمد لكثرة نعمه على من حمده وعلى من لم يحمده ، وهو لا يزداد كمالا بشكر الشاكرين ، ولا ينقص بكفر الكافرين .

٥١ ـ صراط الحميد :

« **وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ** » الحج ٢٤ .

بين الله فى الآية السابقة على هذه ما أعد للكافرين من العذاب : حيث تقطع لهم ثياب من النار ، وأنهم يصب من فوق رءوسهم الحميم وهو الماء المغلى ، ويصهر به مافى بطونهم وجلودهم ، ولهم مقامع من حديد يضربون بها ، وأنهم كلما أرادوا الخروج من النار أعيدوا فيها ، وقيل لهم : ذوقوا عذاب الحريق .

ثم قابل بين تلك الصورة وصورة المؤمنين الذين يعملون الصالحات حين يدخلهم الله الجنة ويحلون فيها بأساور الذهب واللؤلؤ ، ويلبسون الحرير .

ثم بين فى هذه الآية أنهم قد هدوا بهداية الله الى الطيب من القول ، وقد قيل ان الطيب من القول هو :

شهادة أن لااله الا الله ، (**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**) وليس أطيب من لا اله الا الله

وقيل : القرآن : وهو طيب القول بما اشتمل عليه من التوحيد والشريعة التى جاء بها خاتم الرسل .

وقيل : الحمد لله الذى صدقنا وعده وهذا قولهم الذى اهتدوا اليه فى الآخرة حين يشهدون النعيم وما أعده الله للمؤمنين وهدوا الى جانب ذلك : الى صراط الحميد أى الى ما أوصلهم الى صراط الحميد الذى تحمد نعمه وآلاؤه حيث ظهرت لهم الأنوار الالهية ، فربطوا أرواحهم البشرية بعالم القدس ، وكان ذلك الرباط الذى سلكوه الى نعيم الخلود هو صراط الحميد الذى يحمد له فضله .

٥٢ ـ « **لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**) الحج ٦٤ .

بين الله فى الآيه السابقة على هذه أنه ينزل من السماء ماء فتخضر به الأرض حيث يبقى أثر الماء فيها زمنا ينبت فيه البذر أو يخرج الساق حيث يصير وجه الأرض مخضرا بما نبت فيها ، وهو لطيف بعباده ورحيم بهم وبكل خلقه مما ينتفع بما تنبت الأرض ، وهو خبير

بما يحتاج اليه الخلق فى الحياة •

ثم قدم فى هذه الآية دليلا على قدرته ، وهو أن له مافى السموات ومافى الأرض جميعا ، فهو مالك ذلك الملك الواسع وحده وهو المدبر لكل ما فيه ، وان ذلك الملك بما فيه ومن فيه منقاد لارادته وحكمته ، ولذلك فهو الغنى بما يملك ليس فى حاجة الى شىء من أحد ، بل هو غنى عن حمد الحامدين لأنه غني بذاته عن كل ما سواه وانعامه يخلو عن كل غرض يعود اليه • فلهذا كان مستحقا للحمد •

ولأنه كان غنيا لم يفعل ما فعل من انزال الماء من السماء لتخضر به الأرض الا للاحسان وحده ، ومن كان محسنا للاحسان نفسه لا لغرض آخر وجب أن يكون حميدا محمود الأفعال مشكورا على نعمه •

٥٣ ــ « وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) لقمان ١٢ •

قيل : لقمان الذى ورد فى الآية هو لقمان ابن أخت أيوب أو ابن خالته ، وقيل : من أولاد آزر •

وقد أدرك داود عليه السلام وأخذ عنه العلم ، وقيل : كان قاضيا فى بنى اسرائيل •

وأكثر الأقوال : أنه كان حكيما ولم يكن نبيا •

وقيل : لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا •

وقال عكرمة : كان لقمان نبيا ، وقيل : خير بين النبوة والحكمة ، فاختار الحكمة •

والحكمة : توفيق العمل بالعلم ، ومن أوتى توفيق العمل بالعلم فقد أوتى الحكمة •

(وأن) بمعنى أى فى قوله أن اشكر لله أى أن الله أمره بعد أن آتاه الحكمة أن يشكر الله على ما آتاه من موافقة عمله لعلمه ثم بين أن الشكر ينفع الشاكر وحده فقال : « وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ » أى يعود نفع شكره على نفسه لا على غيره •

(وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) ومن كفر وجحد نعمة الله عليه فليعلم أن الله غير محتاج الى شكره بحيث يتضرر لجحود الجاحد وكفر النعم التى أنعم الله عليه بها فهو الغنى عن حمد الحامدين • أو أنه حميد ومحمود فى ذاته من غير حمدهم ، وانما الحامد ترتفع منزلته لكونه حامدا الله تعالى •

٥٤ ــ (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) لقمان ٢٦ •

ان كل مافى السموات والأرض من الموجودات لمالك السموات والأرض يتصرف فى كل ما فيهما كيف يشاء ، واذا كان كذلك كان الحمد مستحقا له سبحانه •

ومعنى أن كل مافى السموات والأرض لله أنه غير محتاج وغير منتفع بما فيهما ، فهو غنى لعدم احتياجه الى شىء على حين أن كل خلقه محتاج اليه ، وهو مستغن عن حمد الحامدين فلا يلحقه نقص لكفران الجاحدين وهو حميد مشكور ، لأنه يعطى من يشاء بقدر ما يشاء ، ولأنه محمود فى نفسه وفى فعله وعلى نعمه •

٥٥ ــ (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى

صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) سبأ ٦ •

لما بين الله فى الآية السابقة على هذه حال الذين يسعون فى آيات الله بالابطال ، وهم يريدون التعجيز ، ويظنون أنهم يفوتون الله وعقابه ، بين فى هذه الآية موقف الذين أوتوا العلم فى أن علمهم أفادهم فى معرفة أن ما نزل الى محمد هو الحق كل الحق ، وقوله : هو الحق : يفيد الحصر ، بمعنى أنه ليس الحق الا ذاك الذى جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم بين ذلك الحق الذى جاء به بأنه يهدى الى صراط العزيز الحميد •

أو أنه يجمع بين شيئين : كونه حقا وكونه هاديا الى الوصول الى صراط الله •

وقوله : العزيز الحميد : يدل على الرهبة والرغبة فهو عزيز ذو انتقام تحل نقمته عاجلا أو آجلا بمن يسعى فى تكذيب الحق •

وهو الحميد : أى يحمد ويشكر من يصدق بما جاء من الحق ، وفى ذلك ترغيب للاقبال على تصديق ما نزل من الحق فالقرآن يهدى للتى هى أقوم : يبشر المؤمنين ويرغبهم فى الصالحات ، وينذر الكافرين وينذرهم بسوء العاقبة •

٥٦ ـ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) فاطر ١٥ •

ما أكثر ما دعا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الكفار الى الله ، وما أكثر اصرار الكفار على رفض دعوته ، حتى لقد قالوا : لعل الله يحتاج الى عبادتنا فيتمادى نبيه فى دعوتنا الى الايمان بما جاء به ، بل انه ليهدد ويتوعد على انصرافنا عن تلك الدعوة •

فقال الله ردا على ما قالوه ولاكته ألسنتهم **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ** فانه لم يأمركم بعبادته لاحتياجه الى تلك العبادة ، فهو الغنى عنكم وعن عبادتكم اياه ، وانما يدعوكم اشفاقا عليكم قبل أن تحل عليكم نقمته **(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)** •

وان الناس مفتقرون الى الله ، وهذا يستوجب عبادته لا عبادة غيره مما لا يحتاج اليه ، بل مما لا يحيى ولا ينفع ولا يضر من مثل تلك الأصنام التى تعبد من دون الله •

(وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ) ومع استغنائه فانه يدعوكم ويرسل رسله لدعوتكم رسولا بعد رسول للكفار فى مختلف الأحقاب والأقطار والناس مع احتياجهم اليه لا يستجيبون لما يدعو له رسل الله وهو (الحميد) المحمود ، لأنه يقضى حوائج الخلق الدنيوية كما أنه حميد محمود فى الانعام على المؤمنين فى الآخرة •

٥٧ ـ (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ • إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ

لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ • لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) فصلت ٤١ ، ٤٢ •

الالحاد : الميل عن الاستقامة ، والملحد : المنحرف ، واختص بالمنحرف عن الحق الى الباطل ، وقد هدد الله الملحدين المنحرفين عن الحق بقوله : لا يخفون علينا فهو يعلمهم ويعلم ما يقولون فى آياته ، وقد ادخر لهم حسابهم على موقفهم وعقابهم الى الآخرة

ثم ساق تهديدا آخر فى قوله : أفمن يلقى فى النار خير ؟ والاستفهام تقريرى والغرض منه : التنبيه على أن الذين يلحدون فى آيات الله يلقون فى النار •

أما المؤمنون فانهم يأتون يوم القيامة آمنين على أنفسهم من شر الحساب والعقاب •

ثم ساق تهديدا ثالثا للملحدين هو قوله : (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) وهو يحمل من الوعيد الشديد ما يحمل فالله بصير بما يعملون من الالحاد فى آياته ولهم عقابهم فى الآخرة •

ثم ساق تهديدا رابعا فى قوله : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ) والذكر : القرآن ، وجوابه محذوف •

تقديره : يجازون بكفرهم او يكون جوابه : أولئك ينادون من مكان بعيد ، الذى جاء فى الآية التى بعد هذه وهى قوله : (وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) ومن دعى من مكان بعيد لم يسمع ، وان سمع لم يفهم فكذلك حال هؤلاء •

وانه لكتاب عزيز غالب قاهر بقوة حجته وبيانه ، أو عزيز لا ينال ، وليس له نظير اذ عجزوا عن الاتيان بآية من مثله ، وهو منيع محمى بحماية الله •

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، بمعنى : لا تكذبه الكتب المتقدمة عليه كالتوراة والانجيل والزبور ولا يأتى كتاب بعده يكذب ما جاء فيه •

أو أن ما قضى القرآن بانه حق فهو حق لا يأتيه الباطل ، وما قضى بانه باطل فهو باطل لا يصير حقا وهو محفوظ من النقص والزيادة والتحريف •

تنزيل من حكيم حميد أنزله الحكيم الذى ضمنه ما ضمنه من التوحيد والتشريع وهو الى جانب ذلك كتاب حكمة لأنه ابداع حكيم والحكيم اسم من أسمائه •

ووصف المنزل نفسه كذلك بأنه حميد محمود لكثرة انعامه على خلقه •

يتبع

د• محمد محمد خليفة

فى الأسرار العلمية للآيات الكونية

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن ليكون خاتما لكتبه المنزلة للبشر وليكون هداية لحياتهم ومحققا لخير آخرتهم ، أنزله سبحانه على قلب رسوله محمد — صلى الله عليه وسلم — بنص القول الحكيم « الٓمٓ ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ » (آل عمران ١ — ٣) ، وأنزل الله هذا الكتاب الجامع للناس كافة بالنص الكريم « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » (الاعراف / ١٥٨) ، كما أن هذا القرآن محفوظ من الله لا يعتريه تحريف أو تبديل وذلك بالنص الالهى « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » (الحجر / ٩) .

ومن ثم كان القرآن — ولم يزل — معجزا فى كل ما أتى به وكل ما احتواه ، معجزا فى بلاغة أسلوبه وسمو معانيه وجوامع كلمه ، معجزا بما قصه من سير الأنبياء والمرسلين السابقين ، معجزا بما تضمن من تشريعات حكيمة ومثل عليا تتفق مع طبائع البشر فى كل مكان وزمان تكميلا لفطرتهم وضمانا لسعادتهم ، معجزا بما حوى من آيات العلم والمعرفة الصحيحة عن الجانب المادى من الكون مما لم يكن للناس علم به قبل نزوله أو بعده حتى جاء العلم الحديث بوسائله البحثية المتقدمة التى أساسها الخبرة والتجربة والمشاهدة فكشف عن كثير منها وأماط اللثام عن حقائقها ، ولم تتعارض حقائقه معها فى شىء ما .

للأستاذ كاظم السيد غنيم

الغرض من ورود الآيات الكونية فى القرآن الكريم :

اذا كان القرآن الكريم منزل لهداية البشر وبيان عرى ارتباطهم بخالقهم فى كل شئون حياتهم وأمور آخرتهم فيخرجون فى الدنيا من ظلمات الجهالة والبغى وعبادة الأوثان — قديما وحديثا — الى نور الايمان واليقين « **الر ٠ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** » (ابراهيم / ١) واذا كان يدعو الناس الى تدبر آياته وتفهم معانيه « **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ** » (ص / ٢٩) ، فانه جاء يدعو الناس الى التدبر والتأمل فى بديع صنع الله وعظيم خلقه « **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ٠ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ** » (الشعراء / ٧ . ٨) ٠

« **أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ** » (الأعراف / ١٨٥) ، « **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** » (الزمر / ٢١) ٠

كانت دعوته هذه الى استعراض آفاق الحياة الكونية والتفكر فيها بقصد التعرف على آلاء الله وسننه فى كونه الفسيح وعندئذ تهتدى النفوس الى الواحد الخالق الواحد الاله الأوحد ، أو تزداد هذه النفوس ايمانا على ايمانها وتزداد خشية لله فى أعماقها ٠ وان نظرة فى الآيات القرآنية الآتية لتوضح بجلاء أن كل ما خلقه الله فى هذا الكون ما هو الا مقدمات لنتيجة مطلوبة هى معرفة الله والعلم به ٠

فهو سبحانه حينما يوجه نظر الانسان فى هذه الآيات « **إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ، ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ٠ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٠ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ**

٥

النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ • وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ • وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ، انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » (الأنعام / ٩٥ ، ٩٩)

هـذه هى المقدمات فالنتائج ؟ انهـا ما يلى :

« ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ » (الأنعام / ١٠٢) •

ودعوة القرآن الى دراسة الظواهر الكونية دعوة صريحة واضحة ، أفاض العلماء قديما وحديثا فى عرض خصائصها وأبعادها ولكننا نورد — للاختصار — قولا واحدا لأحد الأئمة الأعلام هو الامام الغزالى فى كتابه (جواهر القرآن) حيث يقول : (القرآن مصدر كامل لعلوم الروح والدين والطبيعيات والفلكيات والنباتات وعلوم الآلات بسائر أنواعها ، فاذا قال القرآن « الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ » وقال « قدره — أى القمر — مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ » وقال « وَخَسَفَ الْقَمَرُ ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ » ، « وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا » ، فلا يعرف حقيقة الشمس وسيرها ، وأبراجها ، ومنازل القمر ودورانه ، وخسوفهما ، وولوج الليل فى النهار ، وكيفية تكور أحدهما على الآخر الا من عرف هيئات تركيب السموات والأرض ، وهو علم تتفرع منه علوم) •

مفهوم الكون ومصطلحاته :

حينما نتكلم عن الآيات الكونية التى وردت فى القرآن الكريم وضرورة فهمها واستنباط أهدافها ودور ذلك فى النهضة الاسلامية الشاملة ، فانه لحرى بنا أن نتعرف على بعض المصطلحات كالكون والطبيعة والبيئة ، وان كانت كلها مرادفات لبعضها ، فالكون Ecosystem هو المحتوى لكل كائن فى الحياة الدنيا من أرض وسماء ونبات وحيوان وماء وهواء وجماد وكبير ودقيق الى غير ذلك مما لم تصل اليه حواسنا وآلاتنا الحديثة من موجودات كثيرة ، ويطلق علماء الغرب على هذا الكون لفظ « الطبيعة » Nature كما استعمله اليونان قديما فى كتبهم وفلسفتهم ، كما ان لفظ « البيئة » Environment يستخدم أحيانا ليدل على ما يدل عليه كلا اللفظين « الكون » ، « الطبيعة » الا أنه من الأفضل أن نسمى ذلك فى اصطلاحنا الاسلامى (عالم الشهادة) ذلك لأنه يوجد عالمين أحدهما مشاهد — بكل وسائل الحس والقياس — وهو « **عالم الشهادة** » ، والآخر مغيب عنا وهو « **عالم الغيب** » وهذا لا يلغى استخدام لفظ «الكون»

الذى ورد فى الكتب القديمة ، كما أن فى القرآن اشارة اليه فى قوله تعالى « **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** » (النحل / ٤٠) فالكون هو ما كونه الله وخلقه وقدر أموره وهو قائم على شئونه الى يوم القيامة .

طبيعة ورود الآيات الكونية فى القرآن الكريم :

تأتى الآيات الكونية فى أوائل السور القرآنية ، وقد تأتى فى أواسطها أو فى أواخرها ، أو بين هذا وذاك ، فعن خلق الانسان ومنحه ملكة الادراك والعلم تبدأ سورة العلق « **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ • اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ • الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** » (العلق / ١ ــ ٥) ، بينما نراها تأتى فى سورة نوح « **مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا • وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا • أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا • وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا • وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا • ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا • وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا • لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا** » (نوح / ١٣ ــ ٢٠) ، ونراها واردة فى أواخر سورة الطلاق « **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** » (الطلاق / ١٢) ، ثم قد ترد السورة القرآنية كلها أو جلها مؤلفة من الآيات الكونية ، كسورة الفيل وسورة الزلزلة ، وسورة القارعة وسورة الواقعة ، وسورة يس ، ومعظم سور جزء (عم) وجزء (تبارك) .

وشاء الله العلى الحكيم أن تشيع الآيات الكونية فى كل القرآن ولم يحصرها فى سورة خاصة دون غيرها ، وذلك لحكم عديدة منها :

١ ــ الأسلوب المتبع فى القرآن فى بيان الأصول أو الفروع هو ايرادها فى آيات متفرقة فى السور ممزوجة بغيرها من أنواع المسائل ، وليست فى مكان واحد .

٢ ــ لما كانت هذه المظاهر الكونية أدلة على وحدانية الخالق ومطلق قدراته فى خلقه ، والاستدلال على امكانية البعث بعد الموت ، كان من اللائق ايراد هذه الآيات مع سياق آيات التوحيد والبعث فى مواضعها .

٣ ــ اذا جمعت الآيات الكونية كلها فى موضع واحد تشرح جميع أطوار التكوين والخلق والايجاد ، لتعذر فهمها قبل تحصيل مقدماته بالبحوث العلمية والاستقصاءات العقلية .

خصائص العرض القرآنى للظواهر الكونية :

هى كثيرة وعديدة أبرزها ما يلى :

١ ــ الشمول والاحاطة :

حينما يتناول القرآن كلاما عن الكون فانه يضم أنواع النباتات كلها وأنواع الحيوانات كلها وأنواع البحار كلها وأنواع الظواهر الفلكية كلها وأنواع الأشكال الجيولوجية

والأرضية كلها ، فى ذلك ما وصلنا اليه وما لم نصل اليه حتى الآن :

ففى عالم النبات والمزروعات يقول الله تعالى « هُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ • يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (النحل / ١٠ ، ١١) .

فمن « كل الثمرات » تشمل كل ما يعرفه الناس فى منطقة جغرافية ما وكل ما غاب عنهم ووجده غيرهم فى منطقة أخرى ، وهكذا حتى تشمل كل ما خلقه الله فى أرجاء الأرض ، وفى عالم الحيوان نرى النص القرآنى « وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَالَا تَعْلَمُونَ » (النحل / ٨) .

وذلك يشمل كل ما يجد اكتشافه من مخلوقات على ظهر وبطن الأرض ، حتى لنضم اليها ما يصطنعه الانسان بيديه من سيارات وطائرات ووسائل أخرى ، ذلك لأن الذى خلق هذا الانسان ووهبه آلة التفكير وملكة الأختراع هو الله عز وجل .

٢ ـ الديناميكية الدائبة :

يقرر القرآن الكريم أن كل شىء فى هذا الكون الفسيح دائب الحركة متواصل الديناميكية ، فالأفلاك تدور وتتحرك « كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » (الأنبياء / ٣٣) والأرض (التربة Soil) فى حركة واهتزاز واضطراب ويلمح ذلك من النصوص « وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ » (الحج / ٥) .

« أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا » (الرعد / ٤١) ، « وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ » (الذاريات / ٤٧) ، « وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ » (النمل / ٨٨) ، والاشارة الى الديناميكية امتدت الى كل شىء فى الكون حتى الكهارب فى الذرة أو حتى الموجودات فى أدق الوحدات البنائية التى اكتشفت حديثا وتنفى أن الذرة هى أصغر مافى الوجود أو أدق وحداته .

٣ ـ نظام السببية :

يشير القرآن الى توالى حوادث الكون بانتظام دقيق تبعا لنواميس وضعها الخالق سبحانه وتعالى لتسير عليها ظواهر الوجود وأغيار الدنيا « وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ • وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ • لَا الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » يس / ٣٨) ، ولقد أوضح القرآن نظام الترتيب ، فكل شىء يترتب على شىء سابق له فى الحدوث ومؤثر فى ظهوره ، فحينما يقول الله فى القرآن .

« اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا

«فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ» (الروم / ٤٨) .

« وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ » (البقرة / ٢٢) (ابراهيم / ٣٢) .

كل حادثة تتلوها أخرى ، وهكذا تكون أجزاء الكون مترابطة ، صنع الله الذى أتقن كل شىء ، وسنن الله الكونية التى اقتضاها فى كونه الفسيح ، وكل شىء يجرى تبعا لهذه السنن — أو القوانين — الا أن الله أحيانا تشاء حكمته فتخرق هذه النواميس لأمور يريد الله ابداءها أو اثباتها أو تأكيدها ، وذلك كما حدث فى معجزات الأنبياء والرسل أو ربما تحدث فى عالمنا الحالى على سبيل ايقاظ الانسان من غفوته المادية وخلوده الى دنيا الترف والمتع ، فيظهر الله خرقا لأحد نواميس كونه حتى يتنبه الانسان ويرجع الى ربه العظيم .

٤ — ترشيد النظرة الانسانية الى الكون :

وذلك باقصاء الخرافات والخزعبلات عن نظرة الانسان المسلم لظواهر الكون وحوادثه ، فثار الاسلام على ضروب الكهانة والعرافة والتنجيم ، وعدها من أبواب الشرك ، يقول الرسول — صلى الله عليه وسلم : (من أتى عرافا فصدقه ، لم تقبل له صلاة أربعين يوما (١)) ، وحيث نفى الاسلام النظرة الخانعة الكسولة الى الكون فانه دعانا الى التعامل مع نواميسه ونظمه على أساس العلم والبحث والتقصى بعيدا عن الاعتباط والجهل والضلال . وعلينا أن نعلم جيدا أن الاسلام حينما دعانا الى ذلك فانه حدد العالم الذى دفعنا الى البحث فى جوانبه ألا وهو عالم الشهادة ، فلا نقلب القول فى عالم الغيب ذلك الذى لا نشهده مهما أوتينا من أجهزة وآلات حديثة فى البحوث والدراسات ، فلا شأن لبحوثنا بعالم الجن أو عالم الروح أو عالم الملائكة أو غيرها من المغيبات عنا .

وختاما فان الله سبحانه حينما يقول « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » (فاطر / ٢٨) فانه يحصر الخشية فى العلماء ، العالمين بأسرار الوجود وعجائب الخلق كما قال بذلك ابن رشد لأن هذه الآية لم ترد فى سياق الكلام عن أمر يتعلق بالعبادات وانما وردت فى سياق الدلالة على قدرة الله وحكمته فى انزال المطر وخلق النباتات والحيوانات على اختلاف أنواعها . فلننظر ولنتدبر ولنتأمل ولنفكر حتى نعد من أولى الألباب ونكتب من العالمين بجوانب عظمة الخالق فى خلقه وحكمته فى كائناته وجلاله فى موجوداته ، وعلى الله قصد السبيل .

كارم السيد غنيم

مدرس مساعد بكلية العلوم جامعة الأزهر

---

(١) الرواية — فى مسند احمد طبع الميمنية ٣٨٠/٥ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من اتى عرافا فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوما ، وفى بعض الروايات بمسند احمد ٤٢٩/٢ نفس الطبعة .. فقد كفر بما انزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) وأنظر صحيح مسلم — السلام ١٢٥ ، ومسند أحمد ٦٨/٤ . مجلة الأزهر .

قصة الصرفة

كانت حصيلة ما قيل فى الاعجاز فى عصر الجاحظ « النظم » الذى قال به الجاحظ « والصرفة » « والاخبار بالغيب » اللذين قال بهما النظام .

وظلت هذه الثلاثة تدور عند أهل العلم مع ما شققوه منها ، ووسعوه من وجـوه يرجع بعضها الى بعض كالوجوه السبعة التى ذكرهـا الرمانى ولن نتابـع هـذه الأقوال وانما نمضى مع قصة الصرفة .

ومن أبرز ما يواجه الباحث فى أمر الصرفة أن بعض أهل العلم الذين يؤكدون أن القرآن معجز ببلاغته يذكرون الصرفة على حد ماذكرها النظام وليس ذلك من باب استيفاء الأوجه المذكورة عند من سـبقوهم كما يذكر بعض الباحثين ، وذلك لأننا نجد لهم تعليقات على هذا الوجـه تفيـد قبولهم له ، وأنه مقنع من وجـه ، وليس ذكره لمجرد الاستقصاء .

كذلك فاننا نتردد فى قبول القـول بأن القول بالصرفة عند البعض راجع الى أنها مقالة شيعية من المعتزلة ، وذلك لأن هـؤلاء العلماء ليسـوا شخوصا فى مذاهب تردده وتقوم به ، وقد رأينا الجاحظ ـ وهو لسان المعتزلة يرد مقالة النظام ردا قاطعا لا مواربة فيه ، مع أننا لم نجـد من أكبر أبا اسحاق كما أكبره الجاحظ .

اذا فما وجه الجمع بين الصرفة والبلاغة عند هؤلاء ؟

نذكر حمد بن ابراهيم الخطابى البسـتى ـ وهو من أجل علماء أهل السنة علما وفقها وغزارة وورعا ، ومقالته فى الاعجاز البلاغى من أسطع وأخصب وأدق ، لأنه فطن الى أمر مهم جـدا وهو باختصـار شـديد توفر الكمال المطلق فى بلاغة القرآن ، وهذا يعنى أنه لم يصـدر عن نفس بشرية ، والنفس البشريـة ، بثباتهـا وملامحها ، وغرائزها ، وكمالها ونقصها مفرغة لا محالة فى نتاجها القولى ، فلو فتشت أى كلام بشرى وجدت فيه هذه النفس بملامحها الحيـة المتشخصة والمتميزة والتى لا تشتبه بغيرها ، ثم انك اذا فتشت عن هـذه النفس البشرية وراء كلمات القرآن وتراكيبه ومعانيه ، لا تجـدها البتة ، وانما تجـد وراء الكلمـات والتراكيب والمعانى كمالا مطلقا لا يشوبه كـدر من أكدار النقص .

وهذا الكمال المطلق لابد أن يكون وراءه علم محيط كامل مطلق ليس من طوق البشر ، وهـذا يعنى لا محالة أن القرآن لم تنبثق عنـه نفس بشرية ، وليست مصدرا له .

للدكتور محمد محمد أبو موسى

هكذا يقول هذا الشيخ الجليل ـ رحمه الله وأثابه ـ ، وكأنه كان يخاطب عصرنا ، وكأنه كان يلوح الى الطريق الذى مضى فيه مالك بن نبى رحمه الله حيث وجه همه فى كتابه الظاهرة القرآنية الى تحقيق استحالة صدور القرآن عن نفس بشرية .

والمهم أن من يرى فى بلاغة القرآن هذا الرأى الناضج اللامع يعرض مذهب الصرفة ، ويفسره ، ثم يعقب عليه بقوله : (وهذا أيضا وجه قريب الا أن الآية تشهد بخلافه وهو قوله سبحانه « قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » فأشار فى ذلك الى أمر طريقة التكلف والاجتهاد ، وسبيله التأهب والاحتشاد ، والمعنى فى الصرفة التى وصفوها لا يلائم هذه الصفة فدل على أن المراد غيرها والله أعلم) (١) انتهى كلام الخطابى .

وهذا رد للصرفة لا يقبل الجدل لأنه لو كان الحق سلبهم القوى ماذكر تساندهم وتعاونهم وتظاهرهم ، لأن المصروفين عن الفعل لا قيمة لتعاونهم ولو ألف أعمى على رؤيته شىء ما استطاعوا وهذا الوجه لقوته تناقله أهل العلم ، وشاع فى الكتب ، ولم أقرأ من فطن الى دفع الصرفة بهذا الوجه قبل الخطابى .

والاشكال هو كيف يقول عن الصرفة وهذا أيضا وجه قريب مع نقضه بالذى قاله ؟ ومع مصادمته لبلاغة القرآن التى ليست من معدن كلام الناس ؟

هل كان قوله هذا من باب المجاراة وارخاء العنان ليضرب المذهب ضربته القاضية ؟ أم أنها طريقة أهل العلم التى تهدم من الخطأ ما تهدم من غير ضجيج ولا صخب ولا تعالم كما يفعل الفارغون ؟ ولماذا لم يسلك الجاحظ هذا المسلك فى رفض المذهب وكان قمينا به لتلك اللحمة التى بينه وبين النظام ؟ وانما رأيناه يجابه ويكفح .

والذى يترجح عندى أن هذا الرأى كان له فى زمن الخطابى شيعته من أهل العلم الذين رأوه طريقا مختصرا وواضحا فى اثبات المعجزة ، وبرهان النبوة وأن الاحتجاج به نافع مع أهل الجدل من المخالفين ، والمضلين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم من أهل النظر ، وأن الدخول معهم فى مسألة النظم يفتح باب اللجاجة ، والشغب والمدافعة بالباطل ، لأنه باب يضيق مجال الحجة فيه ، على حد ما ذكرنا فى التماس علة ذهاب النظام الى هذا الوجه ـ وهو هو بلاغة ولسنا ـ فقول الخطابى « وهو وجه قريب » يعنى فى اثبات النبوة ، واقامة الحجة ، وأن من يقول به يصير من أهل القبلة .

(١) بيان اعجاز القرآن ص ٢٣ .

٥ قصة الصرفة

والذى يترجح بـه هـذا الكلام أن الرمانى وكان صاحب ذوق رهف فى فهم الأدب ، وبنائه ، وصوره ، ونغمه وقد بلغ فى بعض ذلك مراقى لم يبلغها كثير ممن كانوا أوسع منـه شـهرة ، وأسير ذكرا وحسبك ما نقله عنه أهل العلم من تحليلات وشواهد ، وكان من الحكمـة والنفاذ والتركيز بحيث أثر هـذا الأثـر الواسـع فى الدراسة البلاغية برسالة صغيرة جدا ، وقد قال هذا العـالم الأديب الحكيم فى الصرفة « وأما الصرفة فهى صرف الهمم عن المعارضة ، وعلـى ذلك كان يعتمـد بعض أهل العلم فى أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة ، وذلك خارج عن العادة ، كخروج سائر المعجزات التى دلت على النبوة ،وهذا عندنا أحد وجوه الاعجاز التى يظهر منها للعقول »(١) .

انظر الى قوله يظهر منها للعقول تراه يحـدد وجه صلاح هذا المذهب وأنه ظاهر للعقـول ، وصالح للاحتجاج ، وبين فى الاقناع ، وليس هو الوجـه الذى يراه الرمانى فى القرآن ، لأنـه احتشد لبيان وجوه البلاغة المعجزة فى القرآن الكريم ، وهذا الاقتناع باعجاز البلاغة القرآنية لا يجتمع فى العقل مع الصرفة ، التى لولاهـا لجاءوا بمثله ، وهذا واضح .

ولا يصح أن يقال ان الرمانى يقول بالصرفة مشايعة لشيعته من المعتزلة لأن هـذا تصـور ساذج لمواقف العلماء من المذاهب التى ينتمون اليها ، وكأنهم كانوا يغرسون ألسنتهم فى أفئدة شيعتهم ليقولوا ما تراه هذه الشيعة لا مايرونه هم .

نعم كانت هناك أساسيات فى مسـائل معينة جمعت من جمعت فى نحلة ، ودافعوا عنهـا ، وهى ليست كثيرة ، أما ماعدا ذلك مما تقلبـه عقول أهل العلم من مسائل وقضايا فقد كان كل واحد منهم فى ذلك عالما برأسـه هو لا برأس غيره .

وينبغى ألا يتجاوز فهم الخلافات بين الفرق هـذه الحدود حتى يصـح تصـور التكامل ، والتجانس ، والتواصل فى الجوانب الفكرية فى حياة الأمة .

وليس من الصـواب أن نقول ان علماءنا فى اللغـة والأدب كانـوا متشـيعين للفرق التى ينسبون اليها ، وأنهم ليس لهم صـدر الا من هـذا الباب لأن ذلك يؤدى بنـا الى تصـور التباين فى الحياة اللغوية والأدبيـة بمقـدار التباين فى الفرق ، وقضـايا الخلاف ، وهـذا لا وجود له فى واقع التراث . بل الذى نراه أن تحليل أصول البيان ، وبناء الأسـاليب يجرى عند المعتزلة كما يجرى عند الأشـاعرة ، وأهل السنة والجماعة ، رضوان الله عليهم أجمعين ، نرى الكل يتكلم فى التقديم ، والتأخير والتعريف والتنكـير ، والايجاز ، والاطنـاب ، والخبر والانشاء وأصـول النحو والتصريف ، وغـير ذلك من طرائق بناء اللسـان بلسـان واحـد لا نستطيع أن نجد فرقا فى صميم بحث هـذه المسائل نرجع به الى الخلافات المذهبية .

والخلاصة : أنه من الوهم ، أن نتحذلق ونقول ان بلاغة العلوى فى الطراز بلاغـة شـيعية ، وبلاغة الزمخشرى فى الكشاف بلاغة اعتزالية ،

(١) النكت فى اعجاز القرآن ص ١١٠ .

وبلاغة عبد القاهر بلاغة أشعرية ، وأن بحوث الفارسي وابن جنى فى اللغة ، والتصريف بحوث اعتزالية ، وماكان لنا أن نشير الى ذلك لولا شيوعه وطراقة مضغه عند بعض الباحثين .

بينا أن هناك من جمع بين القول بالصرفة والقول بالبلاغة وأنهم كان لهم فى ذلك وجه ، وأن من علمائنا من كان فى هذا الشأن ينافح بما يسكت أهل اللجاجة ولو كانوا غير مقتنعين هم أنفسهم بهذه الحجج المسكتة على حد ما رأينا عند الرازى الذى أرشد الى أنه يقال فى قصار السور ان الاعجاز فيها بالصرفة لاننا لا نستطيع أن نقنع بوجه اعجازها البلاغى من يتماحك ويكابد ويشغب وقد صرح ابن كثير وهو أحد شيوخ المحدثين بأن القول بالصرفة يصلح على سبيل التنزل والمجادلة والمنافحة عن الحق ، مع أنها غير مرضية وعبارته هى (وهذه الطريقة وان لم تكن مرضية لأن القرآن فى نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضته كما قررنا الا أنها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة والمنافحة عن الحق) وبهذه الطريقة أجاب الرازى فى تفسيره عن سؤاله فى السور القصار كالعصر و « **إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** » (١) .

ونقف الآن مع القائلين بالصرفة وحدها ، وقد كانوا فيما نرى فريقين :

فريق ذكر القول بالصرفة من غير أن يحتج لوجهه ، وفريق احتج لاثبات الصرفة ونفى الاعجاز من جهة البلاغة .

أما الفريق الأول : فيمثله ابن سنان الخفاجى الذى ذكر فى مقدمة كتابه سر الفصاحة أن الحاجة ماسة الى دراسة حقيقة الفصاحة والعلم بسرها ، وأن لذلك ثمرة جليلة فى العلوم الدينية والأدبية .

أما العلوم الأدبية فانها تدور حول أمرين :

الأول : نظم الكلام وتأليفه ، وهما الزيدة والنكتة .

والثانى : نقد الكلام ومعرفة ما يختار منه ، وما يكره ، وكلا الأمرين متعلق بالفصاحة .

أما العلوم الشرعية فان معجزة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ هى القرآن وقد ذهب الناس فى وجه اعجازه مذهبين قول يقول بأن فصاحته معجزة ، وجارية مجرى قلب الفصاحية ، والذين يقولون بهذا لا غنى لهم عن معرفة حقيقته والعلم بسرها ليثبتوا ذلك .

وقول آخر : يقول ان فصاحة القرآن من جنس ما فى أفواه العرب وما هو تحت السنتهم ولولا أن الله صرفهم عن المعارضة لجاءوا بمثله ، وهذا القول أيضا محتاج الى معرفة حقيقة الفصاحة والعلم بسرها ، حتى يتبين لقائله أن فصاحة القرآن من طبقة فصاحة الناس .

ثم مضى يعالج الفصاحة مبتدئا بالأصوات ثم الكلمات ثم التأليف ، وهذا تدرج دقيق ، ومصيب .

وقد كان فى رحلته يصيب أحيانا ، ويقع على دقائق ، ويضعف أحيانا فيقع على وهم ، وذلك حظ كل كاتب .

ولكنه لم ينس أن يذكر دائما حاجة من لا دربة له الى كتابه حتى يميز صنوف الكلام ، وكذلك حاجة من له طبع .

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٦١ مكتبة التراث الاسلامى .

● قصة الصرفة

ثم أفضى به الكلام الى التاليف فأشار الى تأليف الحروف وتلاؤمها ، ثم ذكر كلام الرمانى المتعلق بتلاؤم الكلمات فى القرآن تلاؤما خارقا من حيث امتزاج أصواتها ، وتوزيعات مداتها ، وغناتها ، وجهدها ، وهمسها ، وأن الفرق بين القرآن وأعدل الكلام فى هذا كالفرق بين الشعر والنثر ، وأن ذلك مما لا يشترك فى معرفته الناس ، وانما هو خاص بأهل الطبع ، الى آخر ما قال وهو كلام بصير ونافذ لأنه ادرك ما إستخرجه القرآن من لحون العربية الا أن أبا محمد لم يرض ذلك ، ولم يقع عليه فى القرآن ، وانما رأى أنه لا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار فى هذه المسألة .

« ومتى رجع الانسان الى نفسه وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار وجد فى كلام العرب ما يضاهى القرآن فى تأليفه » .

ثم انتقل الى ما هو أبعد من ذلك فقال : «واذا عدنا الى التحقيق وجدنا وجه اعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته بأن سلبوا العلوم التى بها كانوا يتمكنون من المعارضة فى وقت مرادهم ذلك»(١) .

وهذه العبارة توشك أن تكون عبارة الشريف المرتضى التى نقلها الشهرستانى فى الملل والنحل وهى « بل صرفهم الله بأن سلبهم العلوم التى يحتاج اليها فى المعارضة فهذا الصرف خارق للعادة ، فصار كسائر المعجزات »(٢) .

وكان الشريف المرتضى حفيا بأبى اسحاق النظام الا أنه كان ينبه الى شناعاته ، وتخليطاته ، ومذاهبه الفاسدة ، ويذكر أن الذى قاده الى ذلك تدقيقه وتغلغله ، ولعله أراد الأمور الالهية لأن التدقيق والتغلغل لا يؤدى الى الباطل الا فيما لا ينكشف الى العقل .

والمهم فى سياقنا أن عبارة ابن سنان مقتبسة من عبارة الشريف المرتضى ، وكان الأمير الخفاجى رحمه الله وأثابه قليل التدقيق والتأنى ، وفى كتابه تجاوزات كثيرة ، مرجعها غالبا الى واحد من أمرين السرعة المؤدية الى عدم احكام مقالة أهل العلم ، أو ضعف سليقة الرجل ، واحساسه بالفروق بين طبقات الكلام، وهذا لا يدفع أن الرجل قد هدى الى كثير من الدقائق .

ثم ان عبارة المرتضى التى اقتبسها الأمير فيها زيادة غريبة وعجيبة لم يقل بها أبو اسحاق فالذى روى عنه أن القرآن **« معجز من جهة صرف الدواعى عن المعارضة ، ومنع العرب عن الاهتمام به جبرا وتعجيزا ، حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن ياتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظما »**(٣) .

فالصرف هنا معناه صرف الدواعى والاهتمام جبرا وتعجيزا فلو دفع هذا واتجهت الهمم ، وتجردت العزائم للمعارضة لجاءوا بمثله بلاغة وفصاحة ونظما ، وهذا وان كان باطلا من محض الباطل غير ما قاله المرتضى ، اذ الصرفة عنده تعنى سلب العلوم التى يحتاج اليها فى المعارضة ، ولا أدرى المراد بهذه العلوم التى

(١) سر الفصاحة ص ٨٩ .
(٢) الملل والنحل على هامش الفصل حـ ١ ص ٦٧
(٣) المرجع السابق .

يحتاج اليها فى بناء الكلام الفصيح ؟ وهل كانت للعرب علوم تعينهم على بلاغة الكلام ؟ أم أنه لم يكن لديهم الا سلائق أنفسهم ، وصحة طباعهم تمدهم بما يشاءون من البيان ماداموا قد صرفوا هممهم نحو الغايات .

وهذا الكلام الذى ذكره المرتضى يلتقى مع كلام معاصره القاضى عبد الجبار وهو يستخرج الاحتجاجات التى يمكن أن تكون مرادة بالصرفة لينقضها واحدة واحدة ، قال :

« فان قال امتنع عليهم ذلك بأن أعدمهم الله تعالى العلوم التى معها يكون الكلام الفصيح فصار ذلك ممتنعا عليهم لفقد العلم ... » ثم ذكر أن هذه العلوم يمكن أن تكون كانت قائمة قبل القرآن ، فمنعوا منها ، بعد ظهوره ، وحينئذ يكون القرآن فى طبقة كلامهم الذى قالوه قبل المنع ، ويكون المعجز هو المنع ، وهذا مناف لما كان منه عليه السلام حيث تحداهم بالقرآن وجعله العمدة ، واما أن تكون هذه العلوم كانت غير حاصلة وكان حصولها ضروريا لمعارضة القرآن ، يعنى أنهم كان يمكنهم أن يعارضوا لو علمهم الله العلوم التى بهايعارضون القرآن ، ويعقب القاضى على هذا الاحتمال بأنه اقرار بالمزايا البلاغية التى يتفوق بها القرآن لأن القول بالاعجاز البلاغى يعنى **« أن للقرآن مزية من الفصاحة من حيث يحتاج الى قدر من العلم لم تجر العادة بمثله أن يفعله تعالى فيهم »(١) .**

وهذا الذى ذكره القاضى عبد الجبار ليدفعه كما دفع غيره من احتمالات هو ما قبله الشريف المرتضى .

وفى كلام أبى بكر بن الطيب وقد كان فى زمانهم ما يشير الى هذه التنويعات فى مفهوم الصرفة فقد عرض القول بالصرفة قائلا :

« وانما يصرفهم الله عنه ضربا من الصرف أو يمنعه من الاتيان بمثله ضربا من المنع ، أو تقصر دواعيه اليه دونه مع قدرته »(٢) .

وهذه الوجوه وان كانت من بحر واحد الا أنها تتمايز ، فهناك صرف ، وهناك منع ، وهناك تقصير دواع ، ثم ذكر الباقلانى بعد ذلك — وهومهم — كلاما يعجب منه ويعجب غيره ، وهو أنهم تأخروا عن المعارضة لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه »(٣) .

وهذه التعليلات التى شققت الصرفة ، واستخرجت منها هذه الاحتمالات دعت المتأخرين الى الوقوف عندها وتلخيص تفسيراتها فذكر الأمير العلوى أن لها تفسيرات ثلاثة :

الأول : أن يكون المراد أن الله سبحانه سلب دواعيهم الى المعارضة مع توفر الأسباب وهذا أصلها عند النظام .

والثانى : أن يكون المراد أن الله سلبهم العلوم التى لابد منها فى الاتيان بمثله — وهذا ما قاله القاضى ، والمرتضى ، ثم ذكر العلوى أن ذلك يحتمل أمرين الأول أن تكون هذه العلوم كانت حاصلة لهم فأزالها الله عن أفئدتهم ، وهذا ما ذكره القاضى ، والثانى أنها كانت غير حاصلة « خلا أن الله تعالى صرف دواعيهم عن

---

(١) المغنى فى أبواب التوحيد والعدل حـ ١٦ ص ٢٢٥ .

(٢) اعجاز القرآن ص ٢٩ .

(٣) نفس المرجع ص ٣١ .

قصة الصرفة

تجديدها مخافة أن تحصل المعارضة »(١) وقول العلوى « صرف دواعيهم عن تجديدها » عبارة

ملبسة وهى محرفة من كلام القاضى عبد الجبار وأصلها فيه « المنع من ذلك مستمر غير متجدد »

والتفسير الثالث : أن يـراد بالصرفة المنـع بالالجاء والقسر عن المعارضة ، وهذا ليس بعيدا

عن الأول ، الذى هو صرف الدواعى بل انهمـا كانا شيئا واحـدا فى كلام النظـام « صرف

الدواعى عن المعارضة ومنع العرب عن الاهتمام بها جبرا » .

والمهم أن الخفاجى بـدل أن يناقش هـذه الأفكار ويستخرج صوابها وخطأها ، رضـيها ودفع بها الصواب الثابت وهو الاعجاز البلاغى

ولم أعرف واحدا ممن احتفل بدراسة الفصاحة وأسرار الكلام أنكر الاعجاز البلاغى ، ورضى

مذهب الصرفة الا ابن سنان ، وهذا الرأى عنده غميزة فى أساس فقهه فى هذا الباب ، لأنه ليس

من الخطأ الذى يصـدر عن غفلة ، أو عـدم استيعاب الآراء فى المسألة ، وانما هو قادح فى

الأحساس والطبع ، وفرق بين أبى اسـحاق النظام وهو فى حومة الصراع يرمى بما يحسم

الشبهة ويسكت أهل الشعب وبين ابن سـنان وهو يكتب فى أسرار البيان .

نعم كانت للشريف المرتضى تخريجات بلاغية تذكر فى تاريخ البلاغة ولكن من المجازفة أن نعد دراسة من الدراسـات التى تتصـدى لبحث أسرار بلاغة الكلام ، وانما كانت تـدور حول الآيات والأحاديث التى فيها مقالة لأهل الفرق ، وهذا باب آخر .

وكان يبدو فى أكثر مقالاته شديد الذكاء سريع الخاطر بارعا من التقاط المعانى الغريبـة التى يوجه اليها الآيات والأحاديث حتى لا تصـادم ما يعتقده ، وهذا شىء وادراك الأسرار البلاغية التى تتوافى عـلى النفس من الآيـة الكريمـة والحديث الشريف شىء آخر .

وربما كانت طول الممارسة والدربة فى التخريجات البعيدة من الآيات والأحاديث التى جرى خلاف فى معانيها مما يستهلك القدرة على التذوق الذى يسـتطعم كل ما يترامى الى القلب من كلام الله وكلام رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

أما من احتج للصرفة واجتهد فى توهين القول بتفوق القرآن فى نظمه وبلاغتـه فسوف يكون موضـوع المقـال اللاحق ان شاء الله .

أ.د. محمد محمد أبو موسى

---

(١) الطراز جـ ٣ ص ٢٩١ .

دراسات فى السنة

شيخ أدباء مصر

الأمانة سر الفلاح

انتفاع الميت

المستشرقون والسنة

المستشرقون والسنّة

— ٢ —

أعمال المستشرقين فى السنة :

يقول الدكتور محمد أحمد الغمراوى فى كتابه مرشد المتعلم : أما الحديث فلا نعرف أحدا وضع له مفتاحا الا المستشرق (فنسنك)

وقال الشيخ أحمد شاكر : ان فن الفهارس عموما ، والفهارس لكتب الحديث على الخصوص لم تثبتقواعده الى الآن ، والقولان فى مقدمة مفتاح كنوز السنة ، وهذا التعميم ليس على اطلاقه وهو قابل للمناقشة .

ان القارىء العادى بل وكل قارىء يحتاج من الفهرسة الى ثلاثة أمور :

١ — معرفه نص الحديث اذا كان عارفا لبعض الفاظه ، والفهرسة التى توفر هذا هى التى لم يعتن المسلمون بها ، وان كانوا قد اعتنوا بهذا النوع من الفهرسة فى اللغة ، وسبقوا جميع الامم فى هذا ما عدا الصين ، فلم يفهرس أحد كتابا ولا مجموعة كتب من السنة فهرسة لفظية معجمية قبل المستشرقين .

٢ — معرفة نص الحديث اذا كان عارفا لأول ملفوظ النبى — صلى الله عليه وسلم — منه ، وعدد المحتاجين الى هذا أقل عددا من الأولين ، وقد سبق الى تلك الفهرسة السيوطى والبرهان نورى والتوقادى .

٣ — معرفة معنى من المعانى أيا كان المعنى وفى أى ميدان من ميادين المعرفة ويريد أن يعرف هل تناوله حديث من الأحاديث فى أى كتاب من كتب السنة أم لم تتناوله الأحاديث قط ، وهذه حاجة الأغلبية العظمى من القراء ، وهذه الفهرسة قائمة منذ عصر البخارى وبقية الأئمة ، اذ وضع كل مؤلف فهرسا لمصنفه . أما وضع فهرس عام لمعانى الأحاديث فى أكثر من مصنف فقد سبق اليه الأشبيلى والأصبهانى ورزين وابن الأثير الجزرى وعمر بن بدر الموصلى .

مفتاح كنوز السنة

أما وضع فهرس شامل لمعظم كتب السنة فلم يحاوله أحد قبل المستشرقين فى مفتاح كنوز السنة «للمستشرق فنسنك فقد فهرس لأربعة عشر كتابا هى :

الصحيحان والسنن الأربعة وسنن الدارمى

واقع وأمل ومنهج

للأستاذ محمد أحمد بدوى

ومسند الامام أحمد وهذه الثمانية هى أصول السنة ومصادرها الصحيحة الموثوق بها ، ويندر أن يكون حديث صحيح خارجا عنها ثم موطأ مالك ومسند أبى داود الطيالسى وهما من أقدم الكتب المؤلفة فى الحديث ثم سيرة ابن هشام ثم كتاب المغازى للواقدى ثم كتاب الطبقات لمحمد بن سعد ، والرابع عشر المسند المنسوب الى الامام زيد بن على ، لكن نسبته الى زيد مشكوك فى صحتها بل مجزوم بكذبها ، وقد نقل « المفتاح » الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى الى العربية من الانجليزية رحمه الله •

وهذا المفتاح لا يدلك على موضع الأحاديث التى تحفظ منها كلمة أو جملة أو أوائلها كما يفعل المعجم المفهرس ، وانما يدلك على ماورد منها فى كل موضوع ، وقد عبر كبار الباحثين فى السنة عن سرورهم بكتاب مفتاح كنوز السنة •

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى

يدل هذا المعجم الباحث على مواضع الأحاديث التى يحفظ منها كلمة أو جملة ، وهناك يستطيع أن يرى كثيرا مما يدور حوله الحديث ، وقد جعله مؤلفوه فهرسا لكتب ثمانية هى :

الصحيحان والسنن الأربعة (الترمذى والنسائى وأبى داود وابن ماجة) والموطأ ومسند ابن حنبل ، وقد بدأه المستشرق فنسنك قبل سنة ٣٢ ، ورعى المشروع الاتحاد الأممى للمجامع العلمية وأنفق عليه منذ بدئه ، وتولت الأكاديمية الملكية بأمستردام الادارة المالية للمشروع ، وساعد فيه جهات كثيرة من مختلف دول أوروبا ، وقد توفى (فنسنك) قبل ظهور المجلد الثانى فقام عليه علماء آخرون •

الموقف الآن

والموقف الآن فى الساحة الدينية بالنسبة لخدمة السنة لا يتحرك التحرك السريع الواجب ، ولم ترقم كتب « مصنفات السنة »

ولا أبوابها ولا أحاديثها الا قريبا وعلى أيدى المستشرقين ، مثل شرح الكرمانى للبخارى ، وقد طبع فتح البارى ما يزيد على عشر طبعات فى أقل من عشر سنين بدون تقدم يذكر الا مواضع الأحاديث المكررة من عمل الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى لطبعة السلفية لفتح البارى ، وقام المجلس الأعلى للشئون الاسلامية باخراج طبعة للبخارى بخدمة جيدة، كما قام باصدار ثلاثة عشر مجلدا من منتخبات من السنة الشريفة ، كما يقوم مجمع البحوث الاسلامية باعادة طبع « الجامع الكبير للسيوطى » مع تخريج أحاديثه ، والحاجة ماسة الآن الى أمور ثلاثة ؟

أولا — اعادة تاليف بعض الكتب

أصبح العود على جميع ما تناوله المستشرقون ومن لف لفهم فى جميع الدراسات العربية بعامة وفى السنة بخاصة ، بالدراسات مجددا ضرورة لازمة ومنها اعادة طبع كتب السنة التى رقموا أبوابها وكتبها ، ومنها فهرسة جديدة لألفاظ الحديث النبوى ، وفهرسة جديدة لمعانى الأحاديث كما هى موزعة فى كتبها الحالية والفهرستان الموجودتان للمستشرقين عليهما ملاحظات كثيرة .

ثانيا — تجميع الأحاديث الصحيحة

يتعاظم الشعور لدى جماهير المسلمين فى الآونة الأخيرة بضرورة الاقتصار على الأحاديث الصحيحة فى حياة المسلمين (١) ، وتبذل الآن محاولات جادة ومخلصة من جهات علمية على أعلى مستوى مطلوب لفرز الأحاديث الصحيحة من غيرها تمهيدا لجمعها ، ولكن للأسف بدون أى تنسيق أو تواصل حتى بالبريد لتبادل الخبرات ، وتقسيم العمل والتقريب بين المناهج وتحديد الأهداف .

ومن هذه الجهات .

كلية أصول الدين بجامعة الازهر الشريف ، فهى توكل الى طلبة « الماجستير والدكتوراه » تخريج أحاديث مسند الامام أحمد .

ومنها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

ومنها مركز بحوث السنة بجامعة قطر ، والتى هى بصدد التخطيط لموسوعة فى السنة الصحيحة ، الى جانب بعض الجهود الفردية .

وأرى وأقترح أن تقوم الجهات المعنية بالسنة بالدعوة لعقد ملتقى أو مؤتمر لبحث هذا الموضوع الخطير ، كما أن مجمع البحوث الاسلامية بما يحتشد فيه من كبار علماء العالم الاسلامى مدعو الى تخصيص أحد مؤتمراته العامة الموسعة لهذا العمل .

وبادىء ذى بدء لا يكون الجمع على نظام

(١) سبق ان بينت المجلة الراى العلمى لهذا الاتجاه ، بتقسيمها للأحاديث اقساما ثلاثة : صحيح وحاجتنا اليه ضرورة معروفة ، ومكذوب وهو مطروح لا نعول عليه ، وضعيف لم يثبت وضعه وينبغى الحفاظ عليه .

المسانيد لا التامة النصوص ولا المكتفية بالأطراف لأنها لا تفيد الا المتخصصين ولا تستفيد منها الجمهرة العظمى من القراء.

كما لا يكون على الترتيب الألفبائى لأوائل الأحاديث الملفوظة من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن فهمها يقتضى اعادة ذكر ما ساقه الأئمة فى خلاله من قصة أو مناسبة أو استفتاء فلم يبق الا أن يكون الجمع على ترتيب الكتب والأبواب .

البخارى محور الأحاديث الصحيحة

يحوز البخارى المؤهلات الفريدة التى تؤهله الى أن يكون ـ بلغة الهندسة ـ الهيكل الانشائى لذلك البناء الشامخ من السنة الصحيحة ، ومنها :

١ ـ تبويب البخارى أوسع تبويب للسنة فى كل العصور اذ يبلغ عدد كتبه تبعا لترقيم المستشرقين ٩٧ كتابا ، ويبلغ عدد ما فيها من أبواب ما يقرب من أربعة آلاف باب بينما يتراوح عدد الأبواب فى الدواوين الأخرى بين ١٢١٣ عند الدارمى وبين ٢٤٢٧ عند النسائى .

٢ ـ تمتاز ترجمات البخارى بما لا يوجد فى غيره من ابراز اهتمامات لم تبرزها كتب السنة الأخرى مع استيفاء الاهتمامات التقليدية ، فقد أبرز البخارى موضوعات (حياتية) واجتماعية واقتصادية وسياسية ودولية وصناعية وزراعية كأنه يعيش معنا المستوى الحضارى الذى نعيشه الآن .

٣ ـ تبويب كتب السنة الأخرى مشمول فى البخارى لا يفلت منه شىء .

٤ ـ يمتاز البخارى بوعى واضح بالأطر الشكلية الاجتماعية فى مضموناتها الاجتماعية بالتبويب لمثل الثياب والزينة وتسمية الحيوان وعادات الطعام والشراب والصيد والسفر .. الخ .

٥ ـ تضمين تراجمه وتحليل أحاديثه بآثار وآيات قرآنية ، وتوقيعات منه مختصرة، وتعليقات تتضمن مقتطفات مما هو على شرطه من الأحاديث ، وسبق له ايراده موصولا ، ومما ليس على شرطه من كتب السنة الأخرى ، وقد تكون من كل ذلك شرح لطيف مختصر من صنيعه وصياغته .

٧ ـ جرت الدواوين الأخرى على تجميع الأحاديث وطرقها تحت أهم ما فيها من معان فقهية تقليدية بينما يبرز البخارى كثيرا من المعانى المبتكرة مما يضفى على صحيحه التطابق الدقيق بين اسمه ومسماه ، اذ سماه الصحيح المختصر المسند من سنن الرسول وأيامه ، فهو التاريخ الاجتماعى لحياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الموثق بأقوى الأسانيد مما لم يتوفر لأى كتاب فى التاريخ بعد القرآن فى جميع العصور .

٧ ـ يحقق الجمع على ترتيب البخارى القاء أضواء ترجماته التى حيرت الأفكار وأدهشت العقول والأبصار كما قال ابن حجر على الأحاديث الأخرى التى ليست من صحيحه كما تضيف هذه الأحاديث غنى وثراء لهذه الترجمات .

٨ ـ سبق البخارى الى الفهرسة الحديثة ، فهو جدير بأن يشار اليه كمبتكر وسابق الى الفهرسة الحديثة فى التاريخ كله ، وذلك

بتكراره للأحاديث المختلفة ، واجترائه منها فى مواضع تحتاجها ، فهو يفتح بالحديث الواحد أبوابا من العلم فى مواضع مختلفة مناسبة ، ولولا أنه ألزم نفسه بعدم تكرار الحديث الا بعدد ما يجد له من أسانيد ، ولو أنه أباح لنفسه التكرار بعدد المعانى لأرانا من سعة علمه العجب العجاب .

٩ — انى لا أرى وجاهة الزعم بأن ترتيب مسلم أحسن من ترتيب البخارى كما يرى المغاربة من قديم لأنه ليس فى مسلم الا الحديث السرد ، ولسهولة البحث فيه عن حديث من الأحاديث ، اذ عند التحليل يتبين أن السببين فى صالح البخارى ، لأنه بما فيه من غير الأحاديث التى ليست على شرطه ومن الآثار الصالحة للاستشهاد ومن الآيات القرآنية الكريمة يفوق مسلما بغزارة ما فيه من علم واستنتاجات ، ولأن سهولة العثور على الحديث فى مسلم يرجع الى تجميع الطرق تحت أبواب تقليدية قليلة العدد مما يجعل مظان وجود الحديث محصورة وسهلة التوارد على الخاطر ، لكن التعرف الدقيق على منهج البخارى العالى كفيل بتذليل صعوبة البحث فى صحيحه عن الأحاديث وقد قال فى ذلك الأستاذ الشيخ أحمد شاكر :

ولذلك أجدنى بعد مرورى على الفهارس أيسر على أن أبحث عن حديث فى البخارى من أن أبحث عنه فى غيره من الصحاح والسنن ، لأنى أجد فى الأكثر الحديث فى أى معنى من المعانى التى يصلح للدلالة عليها .

يقتضى الأمر الاتفاق على الصحيح الذى يودع فى هذا الجامع .

وأولها : فيما يبدو لى ولكثير لا يحصى — ما رواه الصحيحان باتفاق ، ثم ما انفرد به البخارى ، ثم ما انفرد به مسلم ، ثم ما كان على شرط الشيخين أو أحدهما ، ولم يخرجاه ، وكان يلزمهما اخراجه لو وصل اليهما .

وثانيها : ماصححه غيرهما من أئمة الحديث فى الكتب التى سيتم منها الاختيار ، ولم يخالفهم غيرهم ولم تظهر فيه علة خفية ، وما سكتوا عنه يبحث بمناهج البخارى ومسلم ، فمناهجهما مع شدتها هى ما يتطلبه العصر الحديث .

ويستعان فى هذا بتخريجات الأئمة الذين ألفوا مجموعات من الحديث مثل .

السيوطى ومثل الهيثمى فى مجمع الزوائد ومثل الشيخ أحمد شاكر ثم الدكتور الحسينى هاشم أمد الله فى حياته ثم كلية اصول الدين فى مسند الامام أحمد ومثل الشيخ ناصر الدين الألبانى مع مراعاة حال كل منهم من حيث التساهل والتشديد ، فان الهيثمى والسيوطى والحاكم كانوا من المتساهلين ، وما اختلف فى صحته عند الأئمة أو سكتوا عنه يبحث مجددا .

وفى نظرى أنه يبدأ فى الباب بالمتفق عليه بين الأئمة جميعا وبالنص الأوفى للحديث من البخارى مع التعقيب بكل اختلاف بين رواية البخارى المبدوء بها وبين بأقى رواياتها فى جميع الكتب ، ثم يثنى بما انفرد به البخارى ثم بما انفرد به مسلم ، ثم بما انفرد به كل مصنف

عنى الترتيب الذى يرتبه القائمون على العمل من أى موضع من هذه الكتب ، وهى ٠

الكتب الستة وسنن الدارمى ومسند أحمد وصحيحا ابن خزيمه وابن حبان ومستدرك الحاكم ومسند أبى يعلى والبزار ومعاجم الطبرانى الثلاثة ، ويثبت فى الذيل بأرقام من المتن مواضع هذه الأحاديث فى المصنفات بحيث يسهل الاستدلال عليها مهما اختلفت الطبعات ، على أن ترقم المصنفات التى لم يتناولها الترقيم الى الآن ، وأن يعدل من التراقيم السابقة ما يحتاج الى التعديل فى المصنفات التى رقمها المستشرقون فهى بحاجة كبيرة الى اعادة ترقيم ٠

ثالثا ــ فهرسة علمية شاملة لجامع الصحاح

لا يؤتى هذا العمل ثمرته كاملة ليستفيد منه كل فرد مسلم وكل عالم مسلم ، ولكل من يريد الاطلاع على الاسلام وشموله للحياة الحديثة الا بعمل فهرسة علمية شاملة له ، فبعد أن يتم التجميع وحتى فى أثنائه وبالتوازى معه يتولى باحثون على أعلى مستوى بعملية هذه الفهرسة ، ويتم ذلك بدراسة كل حديث واستخراج المعانى والاستنتاجات التى يتضمنها ، ويوضع كل معنى فى (كرت) (٢) يذكر فيه المعنى وعنوان أو عنوانان أو ثلاثة بحسب الاحوال تتدرج صعودا فى العمومية ، ومكان وجود المعنى فى الجامع بطريقة لا تتأثر بتوالى الطبعات فى المستقبل ، فاذا انتهى تفريغ المعانى من الجامع تبدأ مرحلة التصنيف والتوزيع للكروت (٣) على تقسيمات تتم على مراحل :

اولا ــ تقسيم كبير يتم فى أول العمل وقبل البدء فى ملء الكروت (٣) ، ويمكن أن يكون هكذا :

١ ــ العبادات العقدية

٢ ــ العبادات المالية

٣ ــ العبادات الجسمية

٤ ــ العبادات فى السياسة الداخلية

٥ ــ العبادات فى العلاقات الخارجية

٦ ــ العلم

٧ ــ السير

٨ ــ الطبيعيات من جغرافية ومناخية ونبات وحيوان وعلوم وزراعة وصناعات ٠

ثانيا ــ تقسم هذه الفروع الى أقسام تؤخذ من تقسيمات الأئمة وتكمل بمراعاة الاهتمامات المعاصرة

ثالثا ــ تقسيم يتم ويتعدل أثناء توزيع الكروت (٣) لوضعها تحت العناوين المباشرة لها ، على أن تكون العلاقة بين كل قسم ومحتوياته الادنى علاقة منطقيةمشهورة يتادى اليها العقل بالمنهج لا بالتخمين ٠

ويستعان بمفتاح كنوز السنة وبمنهج الشيخ أحمد شاكر ٠

وقد بدأت فهرسة الكفاية ، ووصلت فى تفريغ معانى نصفه فى كروت (٣) ، وأسال الله العلى القدير العون على اكماله فهو لبنة صلبة فى بناء سيشمخ ان شاء الله ،

والله الموفق

للأستاذ محمد أحمد بدوى

(١) فى هذا الرأى أخذ ورد ... مجلة الأزهر.

(٢) بطاقة .

(٣) للبطاقات .

الأمانة سر الفلاح

عن حذيفة رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر :

حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ، ثم علموا من القرآن ، ثم علموا من السنة .

وحدثنا عن رفعها قال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت . ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل .. كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا ، وليس فيه شىء فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدى الامانة ، فيقال إن فى بنى فلان رجلا أمينا .

ويقال للرجل:ما أعقله .. وما أظرفه وما أجلده ومافى قلبه مثقال حبة خردل من ايمان . ولقد أتى على زمان وما أبالى أيكم بايعت لئن كان مسلما رده على الاسلام ، وإن كان نصرانيا رده على ساعيه ، فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا :"متفق عليه".

الأمانة كلمة جليلة فى معناها جميلة فى مبناها وهى خلق كريم .

وصفة حميدة من أهم الأسس التى يرتكز عليها الأمن والسلام فى الدنيا والفوز والفلاح فى الآخرة .

وهى من الغرائز الفطرية فتكون كالنواة التى اذا أصلحها صاحبها بالانبات وتعهدها بالسقى كانت شجرة تؤتى أكلها . واذا تركت فسدت وبطل النفع بها .

وقد قال علماء النفس : ان الفضائل متلازمة فاذا نمت غريزة الأمانة بسبب التعاليم الشرعية وظهرت قوتها فى الشخص دلت على حصول جميع الفضائل الانسانية التى يتأصل بها الاسلام والايمان والتقوى والاخلاص .. فيتقوى ايمان الشخص من هذه الناحية وتتجلى هذه الصفات فى بيعه وشرائه وجميع معاملاته.

معانى الأمانة :

الأمانة جاءت فى لسان الشرع على معان :

الأول : أنها أمانات الناس المعروفة أى الأشياء المادية التى يضعها صاحبها عند غيره ليستردها عند الحاجة اليها ، ومن ذلك قوله تعالى :

«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى

لفضيلة الدكتور
محمد محمود شعبان

أَهْلِهَـا » (١) .. وذلك لما أخذ النبى — صلى الله عليه وسلم — مفتاح الكعبة من عثمان بن مظعون وأراد العباس عم النبى — صلى الله عليه وسلم — أن يأخذه ليضم الى نفسه « سدانة الكعبة » مع « سقاية الحاج » فنزلت الآية الكريمة فسلم النبى — صلى الله عليه وسلم — المفتاح الى عثمان فكان ذلك سببا فى اسلامه.

وقال له النبى — صلى الله عليه وسلم — خذوها يا بنى طلحة بأمانة الله لا ينزعها منكم الا ظالم : فهو فى ذريته حتى اليوم ونزلت هذه الآية الكريمة تسجل أن الأمانة حق لصاحبها مهما يكن لونه ودينه ، ولذلك قال — صلى الله عليه وسلم :

« أد الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك» .

متفق عليه .

المعنى الثانى : انها الحقوق والواجبات المتعلقة بذمم المكلفين سواء أكانت لله تعالى أم للعباد ، وسواء أكانت فعلية أم قولية أم اعتقادية أم مادية .

ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما : ان الأمانة هى الفرائض .

وروى عن على — رضى الله عنه : أنه كان اذا دخل وقت الصلاة اصفر وجهه ، فسئل عن ذلك فقال : انه دخل على وقت أمانة عرضها الله تعالى على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وقد حملتها مع ضعفى.

وروى زيد بن أسلم عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « الأمانة ثلاث .. الصلاة — والصيام — والغسل من الجنابة » .

رواه عبد الرزاق فى مسنده .

وروى مسلم فى صحيحه أن الأمانة هى الامارة فعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال :

قلت : يا رسول الله ألا تستعملنى ؟ فضرب بيده على منكبى ثم قال : يا أبا ذر انك ضعيف وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها » .

وقال ابن العربى : انها الايمان بالله وملائكته واليوم الآخر .

وقال أبو حيان : انها كل ما يؤتمن عليه من أمر ونهى وشأن ودين ودنيا .

وقال آخرون : انها الطاعة كما فى قوله تعالى : « **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً** » الاحزاب — ٧٢ .

(١) النساء ٥٨ .

٥ الأمانة سر الفلاح

والمراد بحمل الأمانة ، الخيانة فيها : يقال فلان حامل للأمانة ومحتمل لها أى لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته .. اذ الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ولهذا يقال : راكبةالديوان : ولىعليه حق ، فاذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حامل لها والمعنى اذن على هذا،أن هذه الاجرام العظام من السموات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله تعالى انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجماداتوأطاعت له الطاعة التى تليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة كما قال تعالى :

« **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** » (١) وأما الانسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع ... وهذا معنى قوله .. « **فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا** » أى أبين الخيانة فيها وأن لا يؤدينها وخفن من الخيانة فيها : وحملها الانسان .. أى خان فيها وأبى أن لا يؤديها .

المعنى الثالث : أنها ضد الخيانة وهى صفة غريزية يتصف بها الشخص الأمين فتحمله على تأدية الحقوق لذويها مادية كانت أو معنوية للخالق أو للمخلوق .

وهى من أهم الصفات التى أمر بها الاسلام وحث على القيام بها ووصف بها الصفوة المختارة لله تعالى من الخلق والزمان والمكان .

قال تعالى : « **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا** » .. النساء .

وقال تعالى : « **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ.عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ** » الشعراء ١٩٣ ، ١٩٤

وقال تعالى« **ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ** » التكوير ٢٠ — ٢١ .

وقال تعالى فى شأن هود عليه السلام :

« **إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ** » الشعراء ١٢٥ .

وقال تعالى فى شأن صالح « **إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ** » الشعراء ١٤٣ .

وقال تعالى فى شأن لوط « **إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ** » الشعراء ١٦٢ .

وقال تعالى فى شأن شعيب « **إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ** » الشعرا ١٧٨ .

وقال تعالى فى شأن شعيب « **إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ** » الدخان ١٨ .

(١) فصلت ١١ .

وقال تعالى فى شأن موسى «إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ» القصص ٢٦ •

وقال تعالى فى شأن نبينا محمد — صلى الله عليه وسلم — «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» •

ولقد كان — صلى الله عليه وسلم — يلقب قبل الرسالة بالصادق الأمين •

وقال تعالى فى شأن المكان «وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ» التين ٣ •

«وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» آل عمران ٩٧ •

«أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا» العنكبوت آية ٦٧ •

«أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا» القصص ٥٧ •

«إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ» الدخان ٥١ •

ولهذا حرص الاسلام على تحلى المنتسبين اليه بهذه الصفة الجليلة ليرفع شأنهم ويعلى قدرهم ويسود الأمن والأمان فيما بينهم والثقة والاحترام •• وتتوطد دعائم الألفة والمحبة بين الأنام ويتحقق بها الهدوء والسلام ، ويستأصل بها داء الشرور والآثام والجرائم والفساد •• لذلك ظهرت هذه الفضيلة فى القرون الأولى من صدر الاسلام ، لما نزلت الامانة فى جذر قلوبهم وخلقت فى أصل أفئدتهم وزرعوها فى ضمائرهم وسقوها بماء الشرع من القرآن والسنة ولم يفسدوا شجرتها بالترك حتى صاروا لاتستعبدهم المطامع الشهوية ولا الأعراض الدنوية لذلك قال فيهم — صلى الله عليه وسلم — أفضل قول وأثنى عليهم الثناء المستطاب الجميل :

خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم : متفق عليه •

وأما الجزاء فى الآخرة فقد بينه رب العزة بقوله تعالى «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ •• الى أن قال تعالى :

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ . أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» المؤمنون آية ١ — ١١ •

وقد بين لنا الرسول الأعظم — صلى الله عليه وسلم — ان الامانة أشد شىء فى هذا الدين فهى كبيرة الا على الخاشعين ، وذلك أنها صفة لا تكون الا فى قلب سليم وضمير طاهر ونفس زاكية • فان المؤتمن مالك لأمر ما أئتمن عليه فان لم يكن له وازع من ضمير سليم استهواه الشيطان فغدر ، ولذلك قال على رضى الله عنه :

« كنا جلوسا عند النبى — صلى الله عليه وسلم — فطلع علينا رجل من أهل العالية فقال يا رسول الله أخبرنى بأشد شىء فى هذا الدين وألينه فقال : صلى الله عليه وسلم — « ألينه

٥ الأمانة سر الفلاح

أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله • وأشده — يا أخا العالية — الأمانة لا دين لمن لا أمانة له ولا صلاة له ولا زكاة له» رواه البخاري •

وقد نهى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن الحلف بالأمانة فقال :

« من حلف بالأمانة فليس منا » • رواه أبو داود •

وضدها الخيانة : فعدم التوحيد خيانة ••• وترك الصلاة خيانة • والافطار فى رمضان بدون عذر خيانة • وترك التكاليف الشرعية خيانة • ومطل الوفاء بالديون خيانة • والكذب خيانة • والقتل بغير حقه خيانة • والسرقة والغش والتدليس والنصب والنهب خيانة • والاعتداء على الحرمات خيانة • وعدم تعظيم حرمات الله خيانة • وعدم تصديق رسولنا محمد — صلى الله عليه وسلم • خيانة •

ولهذا نهى الله تبارك وتعالى عن الخيانة فقال تعالى : « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** » الانفال ٢٧ •

وقد طرد من رحمته الخائنين فقال : « **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** » الانفال ٥٨ •

وقال « **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ** » الحج ٣٨ •

وقال « **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا** » النساء ١٠٧ •

وقال « **وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ** » يوسف ٥٢ •

وحذر المؤمنين جميعاً من الدفاع عن الخائن فقال تعالى « **وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا** » •• النساء ١٠٥ •

« **وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ** » • النساء ١٠٧ •

ولقد بين الله عز وجل أن الخيانة من صفات الكفار المجرمين الذين لا مأوى لهم الا جهنم فقال تعالى :

« **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ** » التحريم ١٠ •

والخائن لابد أن يفتضح أمره وينكشف سره ويمكن الله منه •• قال تعالى : « **وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ** » • الانفال ٧١ •

وبين الرسول الأعظم — صلى الله عليه وسلم — أن الخائن فيه خصلة من النفاق فقال :

« أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه واحدة منهن ففيه خصلة من خصال النفاق حتى يدعها :

اذا اؤتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا

عاهد غدر ، « واذا خاصم فجر «متفق عليه»٠

والمنافق فى الدرك الاسفل من النار قال تعالى «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا »النساء ٠

ويعرف يوم القيامة بالغادر ٠ قال ــ صلى الله عليه وسلم : اذا جمع الله تعالى الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء ، فقيل : هذه غدرة فلان ابن فلان ٠ رواه البخارى ٠

ولقد أخبرنا الصادق المصدوق ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الحديث أن الخيانة ستفشو آخر الزمان فعن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن : متفق عليه ٠

لذا ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ٠

انه متى قويت الأمانة فى مجتمع انتظمت أموره وحسنت معاملاته ، واذا شاعت الخيانة ظهر الفساد فى كل شىء ٠

روى مسلم فى صحيحه عن عمر رضى الله عنه قال : لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا : فلان شهيد فقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ انى رأيته فى النار فى بردة غلها ٠٠ أو عباءة

وروى البخارى فى صحيحه عن أبى حميد عبد الرحمن بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال : استعمل النبى صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدى الى فقام رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فانى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى فيقول : هذا لكم وهذا هدية أهديت الى أفلا جلس فى بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه هديته ان كان صادقا والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه الا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة ٠٠ فلا أعرفن أحدا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رؤى بياض ابطيه فقال : اللهم هل بلغت متفق عليه ٠٠ وعن ابن عمرو رضى الله عنهما قال ــ قال : رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم لن يزال المؤمن فى فسحة من دينه مالم يصب دما حراما : رواه البخارى ٠

وعن خولة بنت عامر الانصارى قالت: سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم يقول : «أن رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » رواه البخارى ٠

فاللهم لا تجعلنا من الخائنين أو المنافقين ولكن اجعلنا من الذين وفقتهم لحفظ دينك وأمانتك واجعلنا من الآمنين يوم القيامة ٠٠ آمين ٠

« د٠ محمد محمود شعبان »

انتفاع الميت بسعي غيره من الأحياء

يقول الله تعالى :

« ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ »

صدق الله العظيم

قانون العصمة فى الجدل :

آية كريمة من قرآن كريم معصوم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ، ترشدنا أن نسلك فى الدعوة طريق الحكمة والموعظة الحسنة ، فان الله تعالى أعلم بحال من لا يرعوى عن الضلال بموجب استعداده المكتسب ، كما هو أعلم سبحانه بحال من يصير أمره الى الاهتداء لما فيه خير جبلى ، فما شرعه الله فى الدعوة ، هو الذى تقتضيه الحكمة ، فانه كاف فى هداية المهتدين ، وازالة عذر الضالين المضلين .

كما حثت الآية الكريمة على الانصاف فى المناظرة واتباع الحق ، والرفق والمداراة على وجه يظهر منه أن القصد اثبات الحق ، وازهاق الباطل ، وأن الغرض هو ذاك لا شىء سواه .

بيد أن الناس معادن : فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا ، لهذا بقى الجدل بينهم ما بقى الاختلاف فيهم .

والذى ظهر ويظهر أنه يحلو لكثير من الناس الجدال المذموم ، والنقاش الحاد المحتدم ، حتى تتعدد الآراء ، وتختلف العقول ، وتتشعب المسائل فتقل الحيلة ، ويرتفع أوار السفسطة ، وتخاض المعارك ، ويقع الخصام بين كل فريق منهم وبين الفريق الآخر .

ولو سألت عن وجه الحقيقة ، وتعيين الأمر الذى من أجله قام الجدال ، واحتدم الخلاف ، لرأيت عجبا لا تقره العقول ، ولا تقبله القلوب ولا تبيحه الشرائع .

انك لا ترى بينهم الا الجدال المذموم الذى يطول مداه ،ويتفاعل أثره ، بين أبناء الاسلام ،

للأستاذ الشيخ
موسى محمد على

وهذا الجدال الذى نقصده ، لم يكن جدلا من أجل الغيرة على دين الله سبحانه وتعالى ، حتى نسلم به ، كما أنه لم يكن كذلك جدلا من أجل احقاق حق ، أو ابطال باطل فنستجيب له ، انه لو كان لهذا ، أو لذلك ، لما صح لنا أن نقول عنه : إنه الجدال ، أو الجدل المذموم ، فان الحق لا يذم قط ، ومن باب أولى احقاقه لايذم ولا يترك أبدا .

الجدل حول انتفاع الميت بسعى الحى :

وصورة الجدال الذى نقصده ونهدف اليه ، أن أولئك المتشدقين بالمفتريات والخزعبلات التى طالما اختلقوها اختلاقا كاد أن يقضى على الفئة التى لازال الايمان مغلغلا فى قلوبها ، ويجرى مع الدم حيث جرى فى العروق .

تلكم الصورة ، أو هذه المسألة التى نقصدها هى اثارة الاختلاف فى مسألة انتفاع الميت بسعى غيره من الأحياء .

فمن قائل يقول : بعدم انتفاع الميت بسعى غيره من الأحياء .

وآخر يجهل ويفسق من يقول بانتفاع الميت بسعى غيره .

وثالث لا يجوز الانتفاع أصلا ....

وهكذا دون أن يرى للشرع حرمة ، ولا يعرف لهذه المسألة حكما ، ولا يدرك للعلم والعلماء منزلة وقدرا .

يا سبحان الله

ما الضرر الذى يلحق بالأمة لو قلنا بانتفاع الميت بسعى غيره من الأحياء ؟ .

ما خطورة القول بصحة الانتفاع ؟ .

وما هى المخالفة المذمومة التى تقع على من قال بانتفاع الميت بسعى غيره ؟ اذا زكت النفوس ، وصدقت النيات ، وخلصت القلوب .

لا شىء اللهم الا ما يراه أهل الأهواء المغرضة ، من حظ النفس ومرض القلوب .

وجه الحقيقة

ولبيان وجه الحقيقة ، وتوضيح رأى الدين فى هذه المسألة ، نكتفى بما ذكره فى هذا الشأن، شيخ الاسلام الامام احمد بن تيمية رحمه الله تعالى من الأدلة الشرعية ، فى فتاويه واليك نصه :

« ظن قوم أن انتفاع الميت بالعبادات البدنية من الحى ينافى قوله تعالى :

انتفاع الميت بسعى غيره

« وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى »

فليس الأمر كذلك ، فــان انتفــاع الميت بالعبادات البدنية من الحى بالنسبة الى الآية ، كانتفاعه بالعبادات المالية ، ومن ادعى أن الآية تخالف أحدهما دون الآخر ، فقــوله ظاهــر الفساد ، بل ذلك بالنسبة الى الآية كانتفاعــه بالدعاء والاستغفار والشفاعة ، وفى غير هــذا الموضع أكثر من ثــلاثين دليلا شرعيــا ، يبين انتفاع الانسان بسعى غيره .

والصحيح أن الميت ينتفع بجميع العبادات البدنية ، من الصلاة ، والصوم ، والقراءة ، كما ينتفع بالعبادات المالية من الصدقة ونحوها، باتفاق الأئمة ، كما لو دعا له ، واستغفر له ، ومن اعتقد أن الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع ، وذلك باطل من وجوه كثيرة :

أحدها : أن الانسان ينتفع بدعاء غيره ، وهــو انتفاع بعمل الغير .

ثانيها : أن النبى ــ صــلى الله عليه وسلم ــ يشفع لأهل الموقف فى الحساب ، ثم لأهل الجنة فى دخولها .

ثالثها : لأهل الكبائر فى الخروج من النار ، وهو انتفاع بسعى الغير .

رابعها : أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن فى الأرض ، وذلك منفعة بعمل الغير .

خامسها : أن الله تعــالى يخرج من النــار : من لم يعمل خيرا قط ، بمحض رحمته ، وهذا انتفاع بغير عملهم .

سادسها : أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنــة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير .

سابعها : قال تعالى فى قصة الغلامين اليتيمين: « وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا » فانتفعا بصلاح أبيهما وليس من سعيهما .

ثامنها : أن الميت ينتفع بالصدقة عنه ، وبالعتق، بنص السنة والاجماع ، وهو من عمل الغير .

تاسعها : أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة ، وهو انتفاع بعمــل الغــير .

عاشرها : أن الحــج المنذور ، أو الصــــوم المنذور يسقط عن الميت بعمــل غــيره بنص السنة ، وهو انتفاع بعمل الغير .

حادى عشرها : المدين قد امتنع ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الصــلاة عليه ، حتى قضى دينه أبو قتادة ، وقضى دين الآخر على بن أبى طالب ، وانتفع بصلاة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وهو من عمل الغير .

ثانى عشرها : أن النبى ــ صلى الله عليــــه وسلم ــ قال لمن صلى وحــده « الا رجــل يتصدق على هذا فيصلى معه » فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير .

ثالث عشرها : أن الانسان تبرأ ذمته من ديون الخلق اذا قضاها قاض عنه ، وذلك انتفــاع بعمل الغير .

رابع عشرها : أن من عليه تبعات ومظالم اذا حلل منهاسقطت عنه ، وهذا انتفــاع بعمــل الغير .

خامس عشرها : أن الجــار الصــالح ينفع فى المحيا والممات ، كما جــاء فى الأثر ، وهــذا انتفاع بعمل الغير .

سادس عشرها : أن جليس أهل الذكر يرحم بهم ، وهو لم يكن منهم ، ولم يجلس لذلك ، بل لحاجة عرضت له ، والأعمال بالنيات ، فقد انتفع بعمل غيره .

سابع عشرها : الصلاة على الميت والدعاء له فى الصلاة ، انتفاع للميت بصلاة الحى عليه ، وهو عمل غيره .

ثامن عشرها : أن الجمعة تحصل باجتماع العدد ، وكذلك الجماعة بكثرة العدد ، وهو انتفاع للبعض بالبعض .

تاسع عشرها : أن الله تعالى قال لنبيه — صلى الله عليه وسلم .

« وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ »(١)

وقال تعالى :

« وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ » (٢)

وقال تعالى :

« وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ »(٣)

فقد يرفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض ، وذلك انتفاع بعمل الغير .

عشرونها : أن صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ، ممن يمونه الرجل ، فانه ينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعى له فيها .

حادى عشرينها : أن الزكاة تجب فى مال الصبى والمجنون ، ويثاب على ذلك ولا سعى له .

ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الانسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى ، فكيف يجوز أن نتأول الآية الكريمة ، على خلاف صريح الكتاب والسنة واجماع الأمة ؟ » أهـ .

ها هو الامام ابن تيمية شيخ الاسلام ، وهذه حقيقة عقيدته ، بل وفهمه الدقيق للآية القرآنية الكريمة :

« وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى »

فهل يتأتى لقائل بعد هذه الأدلة الشرعية الواضحة ، أن يقول بانكار انتفاع الميت بعمل غيره من الأحياء ، ويستدل هذا الانكار بكلام الامام ابن تيمية ، وابن تيمية — كما وضح من هذا الخلط براء .

ان الحق واضح قوى ، غير أن تقريره واظهاره ، يحتاج الى رجال يخشونه ولا يخشون أحدا الا الله سبحانه .

بقى أن نقول : كنا نود أن نقف عند حد ما ذكره الامام ابن تيمية من هذه الأدلة الشرعية ، ولكن رأينا — زيادة فى الايضاح — أن نشفع هذه الأدلة التيمية ، ببعض النصوص القاطعة ، من السنة ، وأقوال الأئمة وسلف الأمة ، تدعيما لصحة القول بانتفاع الميت بسعى غيره من الأحياء .

جاء فى « فتح القدير » للامام الكمال بن الهمام رضى الله عنه :

« ان ما فى الكتاب العزيز ، من الأمر بالدعاء للوالدين ، ومن الاخبار باستغفار الملائكة ، للمؤمنين ، قطعى فى حصول النفع لهم أمواتا وأحياء » .

وفى « شرح المنهج » من كتب السادة الشافعية :

« والظاهر أن الدعاء متفق عليه أنه ينفع

---

(١) سورة الانفال الآية ٣٣ .
(٢) سورة الفتح الآية ٢٥ .
(٣) سورة البقرة الآية ٢٥١ .

• انتفاع الميت بسعي غيره

الميت والحي ، والقريب والبعيد ، بوصية وغيرها ، بل كان أفضل الدعاء أن يدعو المؤمن لأخيه بظهر الغيب » •

وذكر ابن قدامة رحمه الله تعالى ، في كتابه « المغنى » وهو من أنفس كتب السادة الحنابلة:

« سأل رجل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : « يارسول الله ، ان أمي ماتت أفينفعها ان تصدقت عنها ؟

قال نعم » •

وهذا الحديث أخرجه أيضا أبو داود في سننه ، عن سعد بن عبادة رضي الله عنه —

ويؤكد صحته ، ما أخرجه الامام البخاري ، والامام مسلم ، في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها ، أن رجلا قال للنبي — صلى الله عليه وسلم —

« ان امي ماتت فجأة وأراها لو تكلمت تصدقت ، فهل لها من أجر ان تصدقت عنها ؟ قال : نعم » •

ويستطرد ابن قدامة رضي الله عنه أيضا في كتاب «المغنى» فيقول :

« لا خلاف بين العلماء في الدعاء ، والاستغفار للميت ، والصدقة عنه ، وأن ذلك ينفعه ويصل اليه ثوابه بايضاح ، سواء أكان ذلك من الأولاد ، أم من الأقارب ، أم من غيرهم من المسلمين والأول : عبادة بدنية محضه ، كالصلاة ، والصوم ، والتلاوة ، والثالث عبادة ماليه محضة ، كالزكاة والكفارة » •

وجاء في كتاب « الهداية » لابن عابدين رحمه الله تعالى :

« ان كل من أتى بعبادة سواء أكانت صلاة ، أوصوما ، أو صدقة ، أو قراءة قرآن ، أو ذكرا ، او طوافا ، أو حجا ، أو عمرة أو غير ذلك من أنواع البر ، أن يجعل ثوابها لغيره من الأحياء ، أو الأموات ، يصل ثوابها اليه »

وذكر الامام ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » :

عن أنس — رضي الله عنه — ، أن النبي — صلى الله عليه وسلم — سئل فقال السائل يارسول الله ، انا نتصدق عن أمواتنا ، ونحج عنهم ، وندعو لهم هل يصل ذلك اليهم ؟

فقال — صلى الله عليه وسلم — : نعم ، إنه ليصل اليهم ، وانهم ليفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق يهدى اليه » •

ونقل الاجماع غير واحد ، على جواز نيابة الأحياء عن الأموات في الزكاة والصدقة ، والصيام ، والحج وغير ذلك ، كالوصية ، والتطوع ، ووردت في ذلك أحاديث صحيحة ثابتة ، بل ومتفق على صحتها ، ولم ينكر أحد عليهم •

كما نقل الاجماع غير واحد أيضا : على أن الدعاء ينفع الميت ، ودليله من القرآن الكريم، قوله تعالى :

« وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ »(١)

وقوله سبحانه :

«رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ » (٢) .

وقوله عز وجل : « رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ » (٣).

وغير هذا كثير من الآيات القرآنية الكريمة، ومن الأحاديث الصحيحة ، وأقوال الأئمة ، وسلف الأمة .

وبعد : فقد شرعت الصلاة على الميت ، وهي دعاء له ، بل وخصص الفقهاء قاطبة للصلاة على الميت بابا كاملا في جميع كتبهم المعتمدة أطلقوا عليها : كتاب الجنائز ، أو باب صلاة الجنازة ، وبينوا جميعا فى هذا دليل مشروعيتها، وكيفيتها ، وحكم أدائها ، وغير ذلك ، ولم يختلف منهم أحد على ذلك ، بل ولم يختلف عليهم أحد بالقول بعدم مشروعيتها .

فما فائدة صلاة الجنائز ـ وهى دعاء اذا لم ينتفع بها الميت ، ولم يصل ثوابها له ؟ فالصلاة على الميت ـ كما هو واضح ـ دعاء واستغفار، وشفاعة له ينتفع بها الميت فى قبره ، دليل قاطع على صحة وصول الثواب للميت .

ولهذا كانت حكمة السبب فى نهى الله تبارك وتعالى لرسوله ـ صلوات اللهوسلامه عليه ـ عن الصلاة على من مات من المنافقين والكافرين، والنهى عن الوقوف على قبورهم ، يقول تعالى:

« وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ » (٤) .

فعلة النهى فى الآية : انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ، فلا يستحقون الصلاة عليهم ، ولا الشفاعة لهم ، ولا الترحم عليهم ، فهم ليسوا للرحمة أهلا .

هذا وبالله التوفيق

موسى محمد على

---

(١) سورة الحشرة الآية ١٠ .
(٢) سورة نوح الآية ٢٨ .
(٣) سورة ابراهيم الآية ٤١ .
(٤) سورة التوبة الآية ٨٤ .

من أعلام الأزهر

شيخ أدباء مصر

سيد بن على المرصفى

« وللشيخ المرصفى فى نفوسنا منزلة ، وحين أذن الله فتوليت ـ بفضله ـ رئاسة تحرير هذه المجلة : مجلة الأزهر شاء سبحانه أن أضع نصب عينى بابا يتحدث عن أعلام الأزهر فكان أول هؤلاء الأعلام الشيخ سيد بن على المرصفى . كتب عنه تلميذه الشيخ حسن بطة من أبناء فلسطين ، ولم تكن الكتابة بشافية ولكنها شارة على الطريق ، وددت أن تمهد لشقه وسبر غوره حتى كان فضيلة الشيخ سيف النصر عبد الفتاح الطلخاوى ، فقدم عطاء أكثر يسعدنا أن نقدمه للقراء فيطمون : كم من خير يقدمه الأزهر ليس لمصر وحدها بل للعالم الاسلامى ». يقول الأستاذ سيف النصر:

ان شخصية « سيد بن على المرصفى » من الشخصيات المرموقة ، وفكره الأدبى واللغوى من المعالم الثابتة فى تاريخ الفكر بالجامع الأزهر .

وقد أشار الى صحة فكره ، وسلامة ذوقه ، وصدق رأيه فى الأدب ، وكثرة روايته لشعراء الجاهلية وصدر الاسلام ، كثير من تلامذته ، وفى مقدمتهم « طه حسين » فقد تحدث عن أستاذه فى تقديمه « لذكرى أبى العلاء » فقال :

" أستاذنا الجليل سيد بن على المرصفى ، أصح من عرفت بمصر ، فقها فى اللغة ، وأسلمهم ذوقا فى النقد ، وأصدقهم رأيا فى الأدب ، وأكثرهم رواية للشعر ، ولا سيما شعر الجاهلية وصدر الاسلام "!

وقرية (مرصفا) التى ينتسب اليها سيد بن على ، واحدة من ريف مصر ، وتقع بالقرب من مدينة بنها محافظة القليوبية ، فى جنوبها الشرقى ، وتتمتع بما يتمتع به ريف مصر من خضرة وجمال ، وأهلها لهم عناية زائدة بالعلم يعلمون أولادهم القراءة والكتابة فى كتاب

للأستاذ كاظم السيد غنيم

القريه ، ثم يلحق الكثير منهم بالازهر •

وقد نبغ كثير من اهل مرصفا فى الأزهــر ، وكان منهم مشاركون فى ريادة النهضة الأدبية، وفى الثقافـــة العصرية ، ومـــن تراثهم العلمى الخالد :

الوسيلة الأدبية لحسين المرصفى •

ورغبة الآمل من كتاب الكامل لسيد بن على المرصفى •

مولــده ونشأته :

وقد ولد سيد بن على فى بــدايه النصــف الثانى من القرن التاسع عشر ، وتعلم فى كتاب والده « الشيخ على » القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، وسجل اسمه فى أحد أروقة الجامع الأزهر بعد امتحان اجتــازه بنجــاح فى القراءة والكتابة وحفظ القــرآن الكريم : وجلس الى أحد أعمدة الجامع الأزهــر يتلقى دروس العلم المختلفة •

فهذا درس التفسير والحديث قبــل شروق الشمس •

وهذا درس الفقه بعد الشروق •

وهذا درس النحو والصرف بعد الظهر •

ومارس عادات الطلبة ، وتقاليد المجاورين ، فكان يقرا الدرس مع أقرانه قبل حضور درس الشيخ ، وأخذ يطالع لاخوانه ، وهم ينصتون لقراءته ، أو يكون مع المنصتين لقــراءة بعض زملائه •

وكان من عاداتهم أنهم اذا ختم الشيخ قراءة كتاب ، أتوا فى حلقة الدرس بالمباخر والقماقم الملآنــة بالطيب والعطريات ، والبعض يأتى بالفواكه الجافة ، وبعد الختم يقــرأ البعض شيئا من القرآن ، ثم يرش عليهم ماء الورد ؛ وينثر عليهم من الفواكه كاللــوز والتمر ، ثم يقبلون يد الشيخ •

وتدرج « سيد بن على » بين حلقات الدروس وانتفع بكتب الأزهر ، وأخذ ينقب فيها ، وأخذ نفسه بالجد والتحصيل والمثابرة فقرأ كثيرا من كتب الأزهر التى كانت تدرس آنذاك •

ثورة واعتقال

وبينما « الشيخ سيد » فى العقد الثالث من عمره ، اذ هبت فى أرجــاء مصر ريــاح ثورة

◄

عارمة ، ضد سياسة الخديو واستبداده ، والسخرة ، وفرض الضرائب الباهظة على المصريين ، وتدخل الأجنبى فى شئون البلاد وتمتعه بخيراتها ، فى حين يسام المصريون العذاب من قانون السخرة و «الملتزمين» .

وقام « سيد بن على » بين شباب الأزهر وعلمائه ، يتقدم الصفوف ، وينشد الجماهير ، منبها الى الخطر الذى أحدق بمصر ، ومايجب على المصريين ازاءه ، فأنشأ قصيدته المرصفية فى مدح أحمد عرابى باشا ، ومما جاء فيها قوله :

يا آل مصر تنبهوا فمن الذى
يرضى بذل فى الخليقة أنكد
يا آل مصر علمتمو ما حل فى
هند وتونس من بلاء سرمد

وانتهت الثورة العرابية بهزيمة الثورة ، واعتقل « سيد بن على » مع من اعتقل من الثائرين ، وخرج من السجن يؤثر العزلة والتوجة للقراءة والاطلاع .

اجازة علمية

وظل يتلقى العلم فى الجامع الأزهر ، حتى نضج فكره ، وآنس من نفسه القدرة العلمية ، فطلب من شيخه (الشيخ الشربينى) أن يمنحه اجازة لنشر العلم وتدريسه ، فأجازه شيخه بذلك عام ١٣١٠ هـ وقد جاء فى هذه الاجازة :

« ... طلب منى الامام الكامل ، والهمام الفاضل ، اللوذعى الأريب ، والألمعى الأديب ، ولدنا الشيخ سيد على المرصفى : اجازة ليتصل بسند سادتى سنده ، ولا ينفصل عن مددهم مدده ، فأجبته ــ وان لم أكن لذلك أهلا ــ رجاء أن ينشر العلم ، وأنال من الله فضلا ، وأنجو فى القيامة مما للكاتمين من الضرر ، فقلت أجزته بما تجوز لى روايته ، أو تصح عنى درايته ، من كل حديث وأثر ، ومن فروع وأصول ، ومنقول ومعقول ، وفنون اللطائف والعبر ، كما أخذته عن الأئمة السادة ، والأكابر القادة مسددى العزائم فى استخراج الدرر ..» الـخ

الوظائف التى شغلها :

بعد أن حصل الشيخ « سيد بن على » على اجازة شيخه الشربينى عام ١٣١٠ هـ ، عمل مدرسا بمدرسة « عباس باشا الابتدائية » ببولاق ، فقام بتدريس اللغة العربية ، واطلع فى هذه الأثناء على نظم التعليم بالمدارس ، وأعجب بما كانت تقوم عليه من نظام وتنسيق فقال : ذهبنا الى المدارس فوجدناها نظاما بلا علم ، ثم عمل بالتدريس بمدرسة السلحدار الابتدائية ولما تقدم لامتحان الشهادة العالمية ، حصل عليها بتقدير الدرجة الاولى المتازة ، منحه الشيخ الانبابى شيخ الجامع الأزهر مرتب التدريس بالجامع الأزهر على ان يلقى درسا بين المغرب والعشاء فى جامع الزاهد بجهة باب البحر ثم مرض الشيخ « الانبابى » فجاء وكيلا للأزهر الشيخ « حسونة النواوى » وانضم الى مجلس ادارة الأزهر الشيخ « محمد عبده » ١٨٩٥ م ــ ١٣١٣ هـ ومع اصلاح الأزهر ، وادخال العلوم الحديثة فيه،

صورة تذكارية لأعضاء هـذا المجمع فى مجلة المصـور فى عـددها رقم ٣٦ الصادر فى يونيو ١٩٢٥ وهم ٠

الجلوس من « اليمين » الأساتذة على حامد أفندى ، رفيع مشكى أفندى ، نـور الـدين مصطفى بك ، السيد رشيد رضـا ، عطوفـة ادريس راغب باشا ، الشيخ سيد على المرصفى ابراهيم رمزى بك ،محمد أمين واصف بـك صالح جودت بك ، الوقوف « مـن اليمين » الأساتذة : عبد الله أمين افندى ، الشيخ محمد على الدسوقى ، صادق عنبر أفندى ، محمـد كامل حجـاج أفنـدى ، عبـد القـادر فؤاد المناسترلى أفندى ، الشيخ أحمـد حسـن الزيات ، عبد الفتاح عبادة أفندى ، يوسـف احمد افندى ، الشيخ عمرو ٠

طلب الاستاذ الامام من ديوان الأوقاف مبلغا من المال لترقية التعليم فى علوم اللغة العربيـة فأجيب الى طلبه ، وقـدر مبلغ مـائة جنيـه سنويا لهذا الغرض ٠

محمد عبده والمرصفى :

والتمس الشـيخ « محمـد عبده » نبهـاء الأزهر ، ليعهـد بتدريس الكامل للمبرد الى أحدهم ، وكان « سيد بن على » قـد اشتهر بالتمكن من الأدب العربى ، وسـعة الاطـلاع على علوم اللغة العربية ، فعهد اليه بتدريس ذلك الكتاب مع ذخيرة من التراث العـربى ،

كالحماسة لأبى تمام ،والأمالى لأبى على القالى وغيرها ، وزيد مرتبه جنيهين عن غيره من المدرسين .

وكان درس الشيخ « سيد المرصفى » يلقى فى الضحى بالرواق العباسى ، وكان الطلاب يحرصون على حضور الدرس ، فهو أثر جديد من آثار الاصلاح أقامه الشيخ محمد عبده وغيره من المصلحين ، وكان محمد عبده يقربه منه ويحتفى به .

وكانت حلقة درس الأدب فى الرواق العباسى بالجامع الأزهر ، مهرجانا يضم الأدباء والشعراء على اختلاف بيئاتهم وألوانهم فلم تكن مقصورة على الأزهريين وحدهم — بل كانت ندوة يؤمها عشاق الأدب جميعا .

وقد بدأت دروسه بشرح (حماسة أبى تمام) ، وتنسيقها ، وتبويبها تبويبا جديدا ، ودراسة نصوصها دراسة مفيدة للطالب ، موضحا جمال العبارة ، وحسن الاستعارة ، ولطف الاشارة ثم اهتم بكتاب (الكامل للمبرد) فأتم درسه بروح الشجاعة والحرية فى النقد والشرح والتحليل .

فى دار الكتب :

وفى عام ١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م اشتغل « سيد ابن على » بالتصحيح بدار الكتب المصرية ، فصحح كتاب أساس البلاغة للزمخشرى ، والطراز فى البلاغة ، ونسخ بخطه الجميل بعض الكتب والمخطوطات حين أراد اقتناءها لنفسه .

عضوا بهيئة كبار العلماء :

ولما عين الشاعر العالم « الشيخ عبد الرحمن قراعة » مديرا للمعاهد الدينية بالأزهر ، سعى جاهدا لمنح الشيخ « سيد بن على المرصفى » عضوية هيئة كبار العلماء ، وفى اليوم السادس من أكتوبر من عام أربعة وعشرين وتسعمائة وألف من الميلاد أختير الشيخ سيد بن على عضوا بتلك الهيئة .

بذور مجمع اللغة العربية :

وفى هيئة كبار العلماء ، اتسع للأدب كرسى بها ، وأعطى لصاحبه قدره من الاجلال والتكريم ، فعرفه رجال الأدب والفكر ، وعرفه رجال السياسة ، فاتصل بنسيم باشا ، والتقى بمجمع ادريس راغب باشا اللغوى الذى تأسس فى خريف ١٩٢١ م وكان من دواعى تأسيسه ، ترقية اللغة العربية ، واحياء ما تدعو اليه الحاجة ، خصوصا ما اندثر من مفرداتها ، وجمع المواد اللازمة لوضع معجم حسن الترتيب ، شامل للألفاظ المدونة فى المعاجم المتداولة ، ووضع كلمات للمسميات الحديثة ، والمصطلحات العلمية والفنية ونحوها مما تقتضيه حالة العمران وانتشار الحضارة .

وفى جلسة ٨ ديسمبر ١٩٢٢ م تألفت لجان المجمع ، واشترك فى عملها « سيد بن على » وكان الاجتماع فى بيت ادريس راغب ، ثم فى المكتبة النورية بدرب الجماميز ، وكان يعاضد ذلك المجمع العلماء والمستشرقون ، وتلقى فيه

المحاضرات عن اللغة وآدابها .

مؤلفات سيد بن على المرصفى :

للمرصفى مؤلفات منظومة :

منها « القصيدة المرصفية » فى مدح أحمد عرابى باشا .

ومنها « تحفة العهد الجديد فى الفقه والتوحيد » وقد بدأها بالكلام فى علم التوحيد، فتحدث عما يجب وما يستحيل وما يجوز فى حق الله تعالى وفى حق رسله الكرام ، ثم تكلم عن مباحث فى الفقه على مذهب الامام الشافعى فتحدث عن أركان الوضوء وسننه ونواقضه ، وتكلم عن الاستنجاء وموجبات الغسل وسننه ، وذكر الصلاة المفروضة وأركانها .

ومن مؤلفاته الهامة فى النظم : « الدر الذى انسجم على لامية العجم » فهو فيها شاعر يحاكى القدماء ويطاولهم ، ويفخر بنفسه .

لم يصب عقلى يمان اللحظ من يمن
ولا سبانى غصن البان من يزن
أسمى وفكرى الى العليا ميتبعنى
... ... الــــخ

كذلك يبدو فيه المرصفى رقيق الحاشية ، مرهف الحس ، يحب الجمال :

أرواحنا بهوى الغزلان ما بقيت
تشكو من الوجد والتبريح ما بقيت
فسر بنا بنفوس طالما شقيت
نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت
نصالها بمياه الغنج والكحل

وللمرصفى أشعار قالها فى مناسبات مختلفة منها قصيدته فى مدح الخديو « عباس الثانى » ومن شعره قصيدته التى سماها « ثامنة المعلقات » فى تهنئة شيخه الشربينى حين تولى مشيخة الجامع الأزهر .

ومن مؤلفاته الدراسية اسرار الحماسة

و « رغبة الآمل من كتاب الكامل » وقد برزت الحماسة على يديه فى ثوب جديد بما أضفى عليها من روحه وفكره ، وترقيه بها نحو التذوق الأدبى ، والترتيب الزمنى ، فحين عمد اليها بالدراسة ، رأى أن ديوان الحماسة قد عبثت أيدى رواته بجمعه ، فوضعوه على غير وضعه، فمنهم من ابتدأه بشعر قيس بن الخطيم الأنصارى ، ومنهم من افتتحه بشعر قريط بن انيف العنبرى ، على أنهم كثيرا ما يفرقون بين أشعار القبائل ، ويذكرون الأواخر أثناء أشعار الأوائل ، وربما فرقوا بين كلمتين قيلتا فى حادثة واحدة لشاعر واحد ، وباعدوا بين أنساب العمائر وأحساب العشائر ، فأقام خطته للنهوض بالحماسة ، ورأى أن تقسم أشعار الحماسة الى موضوعات أدبية ، وشعراء الوقائع الجاهلية والاسلام ، وقد تم طبع الجزء الأول من أسرار الحماسة ١٣٣٠ هـ — ١٩١٢ م .

رغبة الآمل من كتاب الكامل :

والمؤلف الثانى أذاع صيت صاحبه ، واشتهر به بين أبناء عصره ، فقيل صاحب رغبة الآمل ، كما قيل لنصير اللغة سيد المرصفى ، وقد طبع فى ثمانية أجزاء ، ظهر الجزء الأول منها عام

شيخ أدباء مصر

١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧ م والجزء الثامن عام ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣٠ م ، والمرصفى فى مقدمته لهذا الكتاب يقول : « وقد سبرنا غور فكره ، وقصصنا بعيد أثره ـ يعنى كتاب الكامل للمبرد ـ أيام مطالعتى كتابه بالأزهر الشريف، فى عهد الامام العليم ، والفيلسوف الحكيم ، أستاذ مصره فى عصره « محمد عبده » غفر الله له ، وكان قد فحص نبهاء ذلك المعهد الكبير ، فوقع اختياره على وسلم زمامه الى .. فأحببنا أن نبين للناس ما فيه بحسن التنبيه ، فى شرح لطيف ، لا يمل مطالعه ، ولا يسأم سامعه ، وقد أسميته « رغبة الآمل من كتاب الكامل » مهتما فيه ببيان ماحاد فيه أبو العباس عن سنن الصواب ، من خطأ فى الرواية ، وخطل فى الدراية .

« وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ »

هذا وقد أردنا اذا ذكر أبو العباس شاهدا من شعر العرب أن نورد قصيدته ، مع ضبط كلماتها ، وبيان مبهماتها .

وكتاب الكامل من الكتب المعتبرة عند أرباب الصناعة ورجال الادب ، وكانت صحبة المرصفى له منذ ١٨٩٥ : ١٩٣٠ م مدة ست وثلاثين سنة ، اتصل خلالها بالكثير من الكتب الأدبية واللغوية والتاريخية وغيرها من الكتب ليحقق أخباره ، ويكمل ما نقص ، وينبه على أغاليط الرواة ، وقد تم له طبع الجزء الثامن والأخير قبل وفاته بعام .

تلامذة المرصفى :

لقد تحقق للمرصفى عدد وفير من التلاميذ الذين نشأوا على مثاله ، وبرعوا فى جميع الميادين ، فبرز منهم الكاتب الأديب صاحب الأسلوب العذب ، مثل :

أحمد حسن الزيات ، ومصطفى لطفى المنفلوطى .

وكان منهم المحقق الأديب مثل :

محمود محمد شاكر .

والقلم المصور للانفعالات النفسية فى حبها وحياتها ، وشروحها للأدب مثل :

زكى مبارك ، طه حسين .

ومن تلامذته :

محمد نائل المرصفى ، ومحمد حسن زناتى ، وأحمد محد شاكر ، وحسن السندوبى ، ومحمد المهياوى .

وفى مجال الشعر ظهر من تلامذته : حسن القاياتى ، وأحمد الزين ، وأحمد شفيع السيد، وابراهيم الدباغ ، وعلى الجارم .

وأستاذ كالمرصفى يترك مثل هذه المؤلفات الحية تنشر معارفه ، وتذكر فضله وعلمه وأدبه خليق بالتقدير والخلود .

بقلم
سيف النصر عبد الفتاح الطلخاوى

راجع : المرصفى وحياته ومنهجه رسالة ماجستير للمؤلف بمعهد البحوث والدراسات العربية . وراجع شيخ ادباء مصر سيد بن على المرصفى للمؤلف طبع مطبعة السعادة ١٤٠٤ هـ .

فضل الحج المبرور

للأستاذ عبد المعز عبد الحميد الجزار

عن عائشة : أم المؤمنين – رضى الله تعالى عنها – أنها قالت يارسول الله : نرى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ؟ .

قال : « لا ، لكن أفضل الجهاد حج مبرور » .

رواه البخارى ١٦٤/٢ ورواه النسائى فى الحج وكذا ابن ماجه .

راوى الحديث :

أم المؤمنين عائشة الصديقية ، بنت أبى بكر الصديق ، وزوج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تزوجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان عمرها فيما يروى ست سنين ، وبنى بها بالمدينة وهى بنت تسع ، وكانت أحب نسائه اليه ، ولم يتزوج بكرا غيرها .

وأمها : أم رومان ، واسمها زينب ، أسلمت وبايعت وهاجرت ، ولما دليت فى قبرها قال – صلى الله عليه وسلم – : « من سره أن ينظر الى امرأة من الحور العين فلينظر الى أم رومان » .

وكانت عائشة فقيهة جدا ، وكانت عالمة بكل العلوم .

قال عطاء بن أبى رباح : « كانت عائشة أفقه الناس ، وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأيا فى العامة » .

وقال عروة : « ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن ولا بفريضة ، ولا بحرام ، ولا بحلال ولا بفقه ، ولا بشعر ، ولا بطب ، ولا بحديث العرب ، ولا نسب من عائشة وكانت فصيحة .

قال معاوية : « والله مارأيت خطيبا قط أبلغ ولا أفصح ولا أفطن من عائشة » .

وروى لها ألفان ومائتا حديث وعشرة . اتفق الشيخان على مائة وأربعة وسبعين وانفرد البخارى : بأربعة وخمسين ومسلم بثمانية وستين .

٥

وكانت عارفة بأيام العرب ، وأشعارها ، وكانت زاهدة ، كثيرة الكرم والصدقة ، وكان فقهاء الصحابة يرجعون اليها •

وحدث عنها كثير من الصحابة والتابعين وأكثر الناس رواية عنها أهلبيتها : عروة بن الزبير : ابن اختها ، والقاسم بن محمد وهو ابن أخيها • توفيت سنة ٥٧ من الهجرة ودفنت بالبقيع ليلا — وصلى عليها أبو هريرة — رضى الله تعالى عنه — (١) •

سببه : أن السيدة عائشة — رضى الله تعالى عنها — قالت له — صلى الله عليه وسلم — نرى الجهاد أفضل العمل : أى نعتقده كذلك ، لما أتى به الكتاب المبين من فضائله ، فى غير ما آية ، والسنة فى غيرما حديث • أفلا نجاهد ؟ فقال : الخبر (٢) •

المفردات : الجهاد : هو قتال الكفار لاعلاء كلمة الله ، والقتال للدفاع عن الأوطان ، والأهل ، والولد •

لكن : للأكثر — بضم الكاف — خطاب للنساء • وللحموى لكن حرف استدراك قال ابن حجر : والاول أكثر فائدة ، لأنه يشتمل على اثبات فضل الحج ، وعلى جواب سؤالها على الجهاد •

المبرور : الذى لا يخالطه اثم ، ولا رياء فيه •

الشرح : الحج المبرور أفضل العمل فى الاسلام ، بعد الجهاد فى سبيل الله ، لأنه دعامة من دعائم الدين ، وأحد الأركان الخمسة، التى لا يستقيم الاسلام اذا قصر المرء فى واحد منها ، وهو عبادة العمر ، وفى هذه الفريضة أبلغ امتحان لصدق الايمان ، وقوة اليقين ، وهو واجب على كل مسلم ، بالغ ، عاقل ، حر مستطيع ، واجد للزاد والراحلة ، وأن تكون المرأة برفقة محرم لها •

ومن عزم على أداء هذه الفريضة أن يبادر بتوبة خالصة من جميع المعاصى والمكروهات ، بأن يندم على ما فرط ، ويقلع عن معاصيه ، ويصمم على عدم العودة اليها مرة أخرى ؛ ويسترشد بالحديث الشريف : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » (٣) وأن يخلص حجه لله تبارك وتعالى والتقرب به اليه سبحانه ثم يقضى ما عليه من دين حال ويرد الودائع الى أصحابها،ويتحلل كل منكان بينه وبينه معاملة فى شىء ، وأن يزيل الشحناء بينهما ، ولا ينسى أن يكتب وصيته بحقوق المولى عز وجل ، وحقوق الآدميين ، والاشهاد عليها (٤) ، وأن يجتهد فى ارضاء أصوله ، ومشايخه ، وأرحامه، وأن يعد المؤونة الواجبة عليه لمن لهم النفقة حتى يعود • وفى الحديث الشريف : « كفى

---

(١) تاريخ التشريع للشيخ محمد الخضرى ١٤١ . المواهب اللدنية للزرقانى ٢٢٩/٣ — ٢٣٦ •
(٢) هداية البارى الى ترتيب صحيح البخارى للاستاذ السيد عبد الرحيم عنبر ١٣٨/٢ •
(٣) الحديث اخرجه ابن ماجه فى سننه فى كتاب الزهد باب ذكر التوبة ج ٢ ص ١٤٢٠ رقم ٤٢٥٠ بلفظه من رواية ابى عبيدة بن عبد الله عن ابيه قال السندى : الحديث ذكره صاحب الزوائد فى زوائده وقال : اسناده صحيح رجاله ثقات .. الخ.
(٤) حاشية ابن الهيثمى على مناسك النووى ٢٢ •

بالمرء اثما أن يضيع من يعول » (١) • وأن تكون نفقة حجه ، وجميع أمتعته من الحلال الخالص من أية شبهة ، فعن عمر — رضى الله تعالى عنه — « من كرم المرء طيب زاده فى سفره ، وبذله لأصحابه » • وأن الطيب هو الجيد المستلذ طعمه • ولكن طيب النفس بما يخرجه ، بأن يفرح بذلك ، ليكون أقرب الى القبول ، مزيدا به وجه الله تعالى لا رياء ولا سمعة •

ويستحب له أن يترك المعاكسة ، والمماحكة، والمشاحنة فيما يشتريه لأى سفر من أسفار الطاعات ، وأن يودع أهله ، وجيرانه ، وقرابته ومعارفه ويصافحهم ، ويتحلل منهم ويطيب قلوبهم ، ويلتمس منهم الدعاء ، وأن يتصدق عند خروجه حتى قال بعض العلماء : « ينبغى للمسافر أن يشترى سلامته من الله تعالى — بما تيسر من الصدقة ، يأخذها بيده •

ويقول : « اللهم انى اشتريت سلامتى وسلامة من معى ، ويسميهم ، وسلامة ما معى — ويعدده شيئا فشيئا — منك يامولاى بهذه الصدقة ، فبعنيه ، وسلمنى ، ثم يتصدق به على أول من يستقبله من الفقراء ، ويقول : « خرجت بحول الله ، وقوته ، بغير حول منى ولا قوة • اللهم انى أسألك بركة يومى هذا وبره ، وبركة أهله » •

ثم يلتزم بالآداب الشرعية فى حله وترحاله ، حتى يكون حجه مبرورا ، وذنبه مغفورا ، وعوده حميدا (٢) •

لم شرع الحج ؟ شرع الحج الى بيت الله الحرام لحكم جليلة ، ومعان نبيلة ، يجل عنها الوصف ، ومنها أنه اظهار العبودية لله تعالى بما يتخلل أعمال الحج من التذلل للمعبود ، وابداء مظاهر الشعث والتقشف ، وترك أسباب التجمل ومن وقوف الحاج موقف المتضرع الحامد لمولاه ، المثنى عليه المستغفر له من الزلات ، الملازم لأبواب رحمته واحسانه ، اللائذ بجنابه وحماه العائذ بعفوه وغفرانه (٣)

كما أنه شرع اظهارا لحق الشكر على أن المولى عز وجل قد أنعم عليه بنعمتى الصحة ، والمال اللتين هما الدعامتان اللتان ترتكز عليهما عبادة الحج •

وهكذا نرى أن الحج انما هو حلول بحضرة المعبود ، ووقوف بساحة الجود ، ومشاهدة لذلك المشهد العلى الرحمانى ، والمام بمعهد العهد الربانى ، وأن القصد منه التقرب اليه سبحانه ، فاذا أخلص فيه ، وعمل بحديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « أعبد الله كأنك تراه » كان بمنزلة من حل فى حضرته ، لأنه حيث صور نفسه كالرائى له اتصف بتلك الصفة ، وأن الوقوف بساحة كرمه يمكن شبهه بمال كثير بفضاء واسع ،من

◄

---

(١) الحديث أخرجه فى سننه فى كتاب الزكاة باب فى صلة الرحم ج ٢ ص ٣٢١ رقم ١٦٩٢ بلفظه : غير انه ذكر يقوت بدل يعول ، من رواية عبد الله ابن عمرو بن العاص . وأخرجه مسلم فى كتاب الزكاة باب فضل النفقة على العيال .. الخ ج ٢ ص ٦٩٢ رقم ٤٠ بلفظ : كفى بالمرء اثما أن يحبس، عمن يملك قوته عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) الاحياء للغزالى ٢٤٨/١ . حاشية ابن حجر الهيتمى على مناسك النووى ٤٥ .

(٣) حاشية ابن حجر الهيتمى ٤١٤ .

دخله تمكن من أخذ ما شاء منه .

والقصد أن المخلص به ، فكان حجه مبرورا يصل الى مراده ، من شمول الرحمة العامة المقتضية لغفران ذنوبه فضلا منه سبحانه . ولا يخفى أن نفس الكون الوجود والحلول بتلك الأماكن شرف وعلو للحال فيها ، وأن التردد فى تلك المواطن فخار وسمو وارتفاع ؛ فان المحال المحترمة لم تزل تفرغ ، وتصب على الحال فيها من أدلاء مملوءة وصفها بفيض غامر .

ولذا فانه ينبغى للعبد أن يهتم بالحج ، ويبادر اليه ، ويحرك عزمه الفاتر انهاضا يحثه عليه بالاجتهاد فى أسبابه ، والسعى اليه ، وان بعدت المسافة ، ونالته مشقة ، ولا ينبغى له أن يتوانى أو يتكاسل فى طرح سيئات العمر بطلب المغفرة ، بالحج المبرور ، الذى يغسلها ، فيزيل أثرها ، كما يزيل الصابون أثر الأوساخ الحسية كما لا يحق له أن يتكاسل عن البدار فيعرضه للفوات بركوب عمياء المجازفة ، بركوب المخاطرة التى هى كالناقة العمياء فى أن من تلبس بها وقع فى الهلاك ، كما أن الراكب للناقة العمياء يقع بواسطة سيرها ، كيف اتفق فى الطرق الصعبة المؤدية الى هلاكه : روى عن ابن عباس أنه — صلى الله عليه وسلم — قال :

« من أراد الحج فليتعجل » (١) .

بم يكون الحج مبرورا ؟

قال ابن خالويه : الحج المبرور : المقبول ، وقال غيره : هو الذى لا يخالطه شىء من الاثم ، وقد رجحه النووى .

وقال القرطبى : « ان الأقوال فى تفسيره متقاربة المعنى » وحاصلها : أنه الحج الذى وفيت أحكامه ، ووقع موقعا — لما طلب من المكلف — على الوجه الأكمل (٢) وعلى أى فان مغفرة الذنوب بالحج ، وترتب الجزاء بالجنة عليه ، منوطان بكون الحج مبرورا ، وفى الوقت نفسه لا يكون الحج مبرورا الا اذا اجتمعت فيه من أعمال البر الكثيرة التى منها :

١ — الاحسان فى معاملة الناس سواء بالقول أم بالفعل ، وأن يتلطف فى مخالطتهم ، ومعاشرتهم ، وأن يطعم الطعام ، ويفشى السلام على من عرف ومن لم يعرف ، وأن يطيب كلامه .

قال — صلى الله عليه وسلم — : « لاتحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تفرغ من دلوك فى اناء المستسقى ، ولو أن تعطى صلة الحبل ، ولو أن تعطى شسع النعل ، ولو أن تنحى الشىء من طريق الناس ، يؤذيهم ، ولو أن تلقى أخاك ووجهك اليه منطلق ، ولو أن تلقى أخاك المسلم ، فتسلم عليه ، ولو أن تؤنس الوحشان فى الأرض » (٣) .

وقيل : « المروءة فى السفر : بذل الزاد وقلة الخلاف بين الأصحاب ، وكثرة المزاح ، فى غير

---

(١) رواه ابو داود واحمد والحاكم والبيهقى وقال الحاكم : صحيح ، وابو صفوان مهران راويه عن ابن عباس لم يجرح لكن قال ابن بطال انه مجهول وتبعه الذهبى فى المهذب والحافظ فى التقريب المواهب اللدنية ١٤٢/٨ .

(٢) شرح صحيح البخارى للشيخ زروق الفاسى ١١/٤ تحقيق الاستاذين موسى محمد على والدكتور عزت على عطية .

(٣) الحديث اخرجه احمد فى مسنده ج ٤٨٣/٣ ج ٦٣/٥ ، ٦٤ ، طبع المكتب الاسلامى بيروت .

مساخط الله ، والمخالطة بالمعروف ، والصبر على الأذى ، فخير الناس أنفعهم للناس » .

٢ ــ أن يفعل الطاعات كلها ، وقد بين الله عز وجل البر فى قوله تبارك وتعالى :

« لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » (١) .

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة أنواع البر فى الطاعات ، فمن استكملها فى حجه ، فقد استكمل أنواع البر جميعها .

٣ ــ ومن أعمال البر أن تكون نفقة الحج طيبة ، وأن تكون من كسب حلال :

« اذا خرج الرجل حاجا ، بنفقة طيبة ، ووضع رجله فى الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك »(٢) ناداه مناد من السماء : لبيك وسعديك ، زادك حلال ، وراحلتك حلال ، وحجك مبرور ، غير مأزور ، واذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة ، فوضع رجله فى الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء لا لبيك ، ولا سعديك ، زادكُ حرام ، ونفقتك حرام ، وحجك غير مبرور » .

٤ ــ ومنها كثرة ذكر الله تبارك وتعالى فى الحج ، لأن الله قد أمر بكثرته فى اقامة المناسك مرة بعد أخرى ، وخصوصا فى أثناء الاحرام ، ويكون بالتلبية والتكبير والتهليل وجاء فى الحديث النبوى الشريف حينما سئل ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « أى الحاج أفضل قال : « أكثرهم لله ذكرا » . وقال عليه السلام : أفضل الحج : العج والثج (٣) والعج : رفع الصوت بالتلبية والثج : نحر البدن .

وأن الانسان اذا ناداه انسان جليل القدر أجابه بالتلبية ، وحسن الكلام ، فكيف بمن ناداه مولاه الملك العلام ؟ ودعاه الى جنابه ليكفر عنه الذنوب والآثام وأن العبد اذا قال : لبيك يقول الله تعالى : ها أنا دان اليك ، ومتجل عليك ، فسل ما تريد ، فأنا أقرب اليك من حبل الوريد .

ضيف الرحمن : اجعل التقوى زادك ، والآخرة مرادك ، والزهد والورع مطيتك ، والانقطاع الى الله تعالى سجيتك ، وارم هذه الدنيا من قلبك فهو سبب الرجوع الى ربك ، واسلك طريق المذنبين تكتب فى ديوان

٥

---

(١) سورة البقرة الاية : ١٧٧ .

(٢) الحديث أخرجه المنذرى فى الترغيب والترهيب فى كتاب الحج باب الترغيب فى النفقة فى الحج .. الخ ج ٢ ص ١٨٠ رقم ٧ طبع دار احياء التراث العربى بيروت وعزاه للطبرانى فى الاوسط والاصبهانى من حديث أسلم مولى عمر بن الخطاب مرسلا مختصرا . و (الغرز) ركاب من جلد . ابو منذرى .

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه فى كتاب الحج باب ما جاء فى فضل التلبية والنحر ج ٣ ص ١٨٠ رقم ٨٢٧ طبع الحلبى تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

الموحدين ، وتلقى الله وليس بينك وبينه حجاب ولا يردك عنه بواب ، يارب ياقابل التائبين تقبل توبتنا وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

علامات الحج المبرور :

ــ ان يرجع صاحبه زاهدا فى الدنيا ، راغبا فى الآخرة ، وأن يترك سىء ما كان عليه من العمل .

قيل للحسن : ما الحج المبرور ؟ قال : **أن ترجع زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة » .**

وعن عائشة ــ رضى الله تعالى عنها ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال :

« ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا أو أمة من النار من يوم عرفة ، وانه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول : « ما أراد هؤلاء ؟ فيقولون يارينا يريدون العفو والمغفرة » فيقول الله تعالى : « **ياملائكتى أشهدكم أنى قد غفرت لهم ، وعفوت عنهم »** (١) .

والحج المبرور : يغفر الذنوب صغائرها وكبائرها حتى التبعات على المعتمد اذا مات فيه أو بعده وقبل تمكنه من أدائها (٢) .

ففى عرفات يهبط الله ــ تعالى ــ الى سماء الدنيا ، ليباهى بالحجاج ملائكته فيقول :

« عبادى جاءونى شعثا غبرا من كل فج عميق ، يرجون رحمتى ، فلو كانت ذنوبهم كعدد الرمل ، أو كقطر المطر ، أو كزبد البحر لغفرتها ، أفيضوا مغفورا لكم » (٣) .

ــ وأن تكون حالة الحاج فى طاعاته ومعاملاته ، ومخالطاته بعد حجه خيرا منها قبل الحج ، فان من علامة قبول الطاعة أن توصل بعدها بالتوفيق والاحسان ، ومن علامة ردها أن توصل بالمخالفة والعصيان .

ومن هنا رغبت السنة النبوية المطهرة فى تلقى الحاج ، والسلام عليه ومصافحته ، وطلب الدعاء ، والاستغفار منه ، لأن الحاج اذا كان حجه مبرورا غفر له ، ولمن استغفر له ، واستجيب دعاؤه ، ففى صحيح مسلم أنه ــ صلى الله عليه وسلم : كان اذا قدم من سفر تلقى من أهل المدينة » .

وعن ابن عباس ــ رضى الله تعالى عنه ــ قال : « **لو يعلم المقيمون ما للحاج عليهم من الحق ، لأتوهم حين يقدمون ، حتى يقبلوا رواحلهم ، لأنهم وفد الله فى جميع**

---

(١) الحديث فى الترغيب والترهيب للمنذرى ج٢ ص ٢٠٤ رقم ١٠ بلفظه عن عائشة وعزاه المنذرى لمسلم والنسائى وابن ماجه وزاد رزين فى جامعه فيه : اشهدوا ملائكتى انى قد غفرت لهم .

(٢) بقية المسترشدين لباعلوى ١١٤ .

(٣) الحديث اخرجه المنذرى فى الترغيب والترهيب فى كتاب الحج باب ماجاء فى فضل الحج ج ٢ ص ١٧٠ رقم ٣٢ طبع دار احياء التراث العربى بيروت وقال : رواه الطبرانى فى الكبير والبزار واللفظ له ، وقال : وقد روى من وجوه، ولانعلم له احسن من هذا الطريق ، ابو منذرى .

الناس » (١) • ان ســألوه أعطــاهم ، وان استغفروه غفر لهم ، وان دعوه استجاب لهم، وان شفعوا شفعوا ، وان الله تبارك وتعالى يختم على عمل الحاج بطابع من نور • فاياك

يا أخى أن تفك ذلك الختم بمعصـية الله عـز وجل •

وفى الحديث : **« اذا مات المحرم فانه يبعث يوم القيامة ملبيا » (٢)** •

قال الخواص ـ رحمه الله تعالى ـ مـن علامات قبول حج العبد ، وأنه خلع عليه خلعة الرضا عنه ، أنه يرجع من الحج ، وهو متخلق بالأخلاق المحمـدية ، لا يكـاد يقـع فى ذنب ولا يرى نفســه على أحـدا من خلـق الله ، ولا يزاحم على شىء من أمـور الدنيـا حتى يموت •

وعلامة عدم قبول حجه أن يرجع على ماكان عليه قبل الحج •

كما أن من علامات مقته أن يرجع وهو يرى أن مثل حجه أولى بالقبول من حج غيره لما وقع فيه من الكمال فى تأدية المناسك ، وخـروجه فيها من خلاف العلماء ، لكن لا يـدرك هـذا المقت الا أهل الكشـف » (٣) •

وان الحديث صريح فى أن النساء لا يجب عليهن الجهاد مثل الرجـال ، أمـا اذا أردن ادراك فضيلة الجهاد فيقـوم مقـامه الحج المبرور •

ومحل ذلك : اذا لم تدع الحـاجة اليهن ، فان دعت اليهن ، بأن دخل الكفار المحـاربون بلاد المسلمين فيكون واجبا على كـل مسـلم ومسلمة قادر عليـه ، أما من لا يقـوى على الجهاد لعذر شرعى فيحصل له بالحج ثـواب المجاهدين اذا أخلص فى عمله •

فعن رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ أنه قال : « الحج جهـاد كـل ضعيف » (٤) •

وبعد : فنسألك اللهم ايمانا كـاملا ، ويقينا صادقا ، ورزقا واسعا ، وقلبـا خاشعا ولسانا ذاكرا ، وحلالا طيبـا ، وتوبة نصوحا ، وتوبة قبل الموت ، وراحة عند الموت ، ومغفرة ورحمة بعد الموت ، والعفو عند الحساب ، والفوز بالجنـة ، والنجاة من النار برحمتك يا عزيز ياغفار واغفر لوالدينا ومشايخنا وكل من له حق علينا يارب العالمين • وصـلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

عبد المعز عبد الحميد الجزار

---

(١) لم نعثر عليه بهذا اللفظ ـ الباجورى .
(٢) حديث البخارى ومسلم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : بينما رجل واقف مـع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعرفة اذ وقع عن راحلته فأقصعته فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اغسلوه .. فانه يبعث يـوم القيامة ملبيا ـ ا هـ الترغيب والترهيب كتاب الحج ج ص ١٧٩ طبع دار احياء التراث بـيروت ـ الباجورى .
(٣) بغية المسترشدين لباعلوى ص ١١٤ ، ١١٥
(٤) رواه الامام احمد فى مسنده وابن ماجـه فى سننه ورجاله ثقات .

لِيَهْنِكَ العِلْمُ

عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يا أبا المنذر : أتــدرى أى آيــة من كتاب الله معك أعظم ؟ قال : قلت : الله ورسوله اعلم ، قال : يا أبا المنذر ، اتدرى أى آيــة من كتاب الللك معك أعظم ؟ قال قلت : (الله لا اله الا هو الحى القيوم) .

قال : فضرب فى صــدرى ، وقــال:والله ليهنك العلم أبا المنذر) (١) .

البيــان

القرآن هداية ونور :

القرآن هداية ونور ، شــفاء للصــدور ، وسرور للقــلوب ، غذاء لــلأرواح ، يحيى النفوس ، ويوقظ العقــول ، ان هــذا القرآن يشرق ويضىء على النفوس والقلــوب المظلمة السابحة فى ظلمة الشبهات والشهوات ، فينقلها الى النــور ، نــور الايمـــأن بالله وبالقيم والأخلاق ، وبذلك يتضح الهدف ، وتســتقيم النفس ، وتتجمل الحياة .

« قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّــورِ بِــإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (٢) .

والقرآن الكريم أساس الشريعة الاسلامية، ومنه تستمد الاحكام الشرعية ، والمســائل الفقهية ، فهو عمادنا فى أمر ديننــا ودنيانا .

عن أبى ذر رضى الله عنه ، قال قلت يارسول الله ، أوصنى ، قال : عليك بتقوى الله ، فانه رأس الأمر كله قلت يا رسول الله زدنى قال : عليك بتلاوة القرآن فانه نــور لك فى الأرض وذخر لك فى السماء » (٣) .

فالذى يقرأ القرآن ، ويعمل به ، تفتح لــه

(١) رواه مسلم .
(٢) المائدة . آية ١٦ .
(٣) رواه ابن حبان

للشيخ محمد صابر البرديسى

أبواب الخير ، ويمده الله باحسانه وتوفيقه ، ويعيش فى صفاء من نعيم النفس ، ويحظى بسعادة القلب فى الدنيا والآخرة .

وهذه هى القاعدة الأصيلة فى العمل والجزاء ، ايمان وعمل ، فعلى الايمان والعمل يقام البناء .

« وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا » (١) .

وقال تعالى :

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ، وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا » (٢) .

ان الذى يقرأ القرآن ويعمل بتعليمه يهديه الله للخير ، ويعظم له الأجر ، يهديه للخير فى أى زمان أو مكان ، يهديه للعقيدة الواضحة ومطابقه عمله لعقيدته ، وسلوكه لمشاعره ، وتصير كل أعماله عبادة ، ولو كان هذا العمل متاعا واستمتاعا بالحياة ، وهذه بشرى يبشر بها القرآن ، لو اتبعتها البشرية كلها وسارت على نهج القرآن ، لعاشت فى سعادة ومحبة ووئام .

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة » (٤) .

والبررة هم : الطائعون ، الممتثلون لأوامر الله ، والسفرة هم الملائكة الذين يقرءون كتاب الله فى عالم الملكوت .

وعن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال :

(من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين

---

(١) سورة النساء آية ١٢٤ .
(٢) سورة الاسراء آية ٩ .
(٣) رواه البخارى ومسلم .

جَنْبَيْهِ غير أنه لا يوحى اليه ..) (١) .

وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « ان الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب » (٢) .

فضل بعض السور والآيات :

(القرآن كله فضل وهدى وشفاء للمؤمنين : (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ) (٣) .

وقد اختص الله بعض السور والآيات بمميزات لأسرار أودعها الله فيها ، ولمعان انفردت بها .

فعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أيعجز أحدكم أن يقرأ فى ليلة ثلث القرآن ، قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ قال :

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) .

تعدل ثلث القرآن (٤) .

وعن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية فى كل يوم ؟ قالوا : ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية فى كل يوم ؟ قال أما يستطيع أحدكم أن يقرأ .

« أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ » ؟ (٥) .

وقد ورد فى سورة الفاتحة أحاديث تدل على ما يميزها ويشهد لما احتوته من فضائل لا تعد ولا تحصى : من ذلك أنها تسمى أم الكتاب ، وأم القرآن ، لاشتمالها على مقاصد القرآن من الثناء على الله والتعبير بأمره ونهيه ، وبيان وعده ووعيده ، وتسمى المثانى ، لأنها تثنى فى الصلاة .

ويقال لها الشفاء لما روى عن أبى سعيد مرفوعا (فاتحة الكتاب شفاء من كل سم) (٦) .

ويقال لها الرقية ، لحديث أبى سعيد فى الصحيح حين رقى بها الرجل السليم (٧) .

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (وما يدريك أنها رقية) ؟ .

وسماها يحيى بن كثير الكافية ، لأنها تكفى عما عداها ، ولا يكفى عنها ما سواها .

وقد ورد فى فضل سورة البقرة أحاديث

---

(١) رواه الحاكم .
(٢) رواه الترمذى ، وقال حديث حسن .
(٣) سورة فصلت آية ٤٤ .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه البيهقى .
(٦) رواه الدارمى عن أبى سعيد مرفوعا .
(٧) المريض .

كثيرة ، ومنها ما أخرجه البخارى ومسلم (أن أسيد بن حضير (رضى الله عنه) بينما هو يقرأ فى مربده اذ جالت (١) فرسه فقرأ ، ثم جالت أخرى ، فقرأ ثم جالت أخرى أيضا ، قال أسيد : فخشيت أن تطأ « يحيى » (٢) فقمت اليها ، فاذا مثل الظلة فوق رأسى ، فيها أمثال السرج ، عرجت فى الجو (٣) حتى ما أراها ، قال : فغدوت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقلت : « يارسول الله ، بينما أنا البارحة فى جوف الليل أقرأ فى « مربدى » (٤) اذ جالت فرسى ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اقرأ ابن حضير قال فقرأت ثم جالت أيضا ، ثمقال رسول الله (صلى الله (عليه وسلم) اقرأ ابن حضير ، قال : فانصرفت ، وكان يحيى قريبا منها خشيت أن تطأه ، فرأيت مثل الظله فيها أمثال السرج(٥).

عرجت فى الجو حتى ما أراها ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « تلك الملائكة تستمع اليك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم » .

ان من يقرأ القرآن مرتلا له ، ومستحضرا بقلبه جلال الله وعظمته ، وكانت القراءة بصوت حسن ، تحفه الملائكة ، وتتنزل لسماع صوته ، كما حدث لأسيد بن حضير ، ففى رواية للحديث قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم لأسيد (تلك الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى) (٦) .

والرسول (صلى الله عليه وسلم) يشير على أسيد قائلا له ، : كان ينبغى أن تستمر فى القراءة ولو أنه استمر فى القراءة لاستمرت الملائكة تظله ولكنه ما كان يعلم بأمر الملائكة وخاف على ابنه من الفرس وقد جالت فقام الى ابنه فصعدت الملائكة فى الجو والحديث الذى معنا وما نحن بصدد شرحه يدل على فضل سورة البقرة وعلى عظمة آية الكرسى ، ويؤكد نفعها لمن يقرأها ، ويدرك ما حوته من معان جليلة الشأن عظيمة القدر ، فان أبا المنذر أدرك بما وهبه الله من بعد نظر ، ودقة ادراك ، ومما منحه الله من علم نافع أن أعظم آية فى القرآن هى آية الكرسى .

عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (لكل شىء سنام ، (٧) وان سنام القرآن البقرة ، وفيها آية هى سيدة (٨) أى القرآن آية الكرسى) (٩) .

(١) نفرت .
(٢) يحيى ابنه .
(٣) عرجت = صعدت .
(٤) المكان الذى فيه التمر .
(٥) المصابيح .
(٦) هذه الرواية للبخارى .
(٧) سنام كل شىء أعلاه تشبيها بسنام البعير ، والمراد تعظيم سورة البقرة .
(٨) المراد من سيدة آى القرآن التى هى آية الكرسى ، يريدانها فاضلة .
(٩) أخرجه الترمذى .

العلم علمان :

لقد سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبا المنذر عن أعظم آية فى القرآن فلم يستطع أبا المنذر أن يجيب على السؤال أول الأمر ، وحينما كرر الرسول (صلى الله عليه وسلم) سؤاله اليه أدرك فى الحال جواب سؤال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

فقال : (الله لا اله الا هو الحى القيوم) .

ومن يستطيع أن يجيب على هذا السؤال غير من وهبه الله علما نافعا ، وادراكا ثابتا ، والهاما موفقا ؟

كثير من الناس لا يدركون المعانى البعيدة ، والأمور الخفية ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها فقال : (يا أهل السوق ما أعجزكم (١) قالوا وماذاك يا أبا هريرة ؟ قال : ذاك ميراث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقسم وأنتم ها هنا ، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه ؟

قالوا : وأين هو ؟ قال : فى المسجد ، فخرجوا سراعا (٢) ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا ، فقال لهم : ، مالكم (٣) ؟ فقالوا يا أبا هريرة ، قد أتينا المسجد ، فدخلنا فيه ، فلم نر فيه شيئا يقسم ، فقال لهم أبو هريرة، وما رأيتم فى المسجد أحدا ؟ قالوا : بلى ، رأينا قوما يصلون ، وقوما يقرءون القرآن ، وقوما يتذاكرون الحلال والحرام ، فقال لهم أبو هريرة : ويحكم فذاك ميراث محمد (صلى الله عليه وسلم) (٤) .

وعن جابر (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (العلم علمان علم فى القلب ، فذاك العلم النافع ، وعلم على اللسان (٥) فذاك حجة الله على ابن آدم) (٦) .

وروى عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (ان من العلم كهيئة المكنون (٧) لا يعلمه الا العلماء بالله تعالى ،

فاذا نطقوا به لا ينكره الا أهل الغرة (٨) بالله عز وجل (٩) .

والعلماء بالله تعالى ،هم الذين أجرى الله الحق على لسانهم ، وفقههم فى دينهم لكثرة

---

(١) اى شىء منعكم من كسب الخيرات .
(٢) اى مسرعين .
(٣) اى اى شىء تريدون ؟
(٤) رواه الطبرانى فى الاوسط باسناد حسن
(٥) يعنى الذين تعلموا العلم ويعظون الناس ولا يتعظون ، ويقولون ما لا يفعلون .
(٦) رواه الحافظ أبو بكر الخطيب فى تاريخه باسناد حسن .
(٧) الدر المستور .
(٨) لغفلة .
(٩) رواه أبو منصور الديلمى فى المسند .

تقواهم ، وأهل الغرة : هم أهل الغفلة الذين ركنوا الى الدنيا فغرتهم بزخارفها ، وعصوا الله واتبعوا شهواتهم وتركوا أوامر الله ورسوله ، وهجروا الدين قال الامام الشافعى (رضى الله عنه) :

شـــكوت الى وكيـــع ســـوء حفظى
فأرشـــدنى الى تـــرك المعـــاصى

وأخبـــرنى بـــأن العـــلم نـــور
ونـــور الله لا يهـــدى لعـــاصى

وحديث أبى المنذر يعجب فيه رسـول الله (صلى الله عليه وسلم) من فطنة أبى المنـذر وكياسته ، واستنباطه ما هو أعظم فيقول له : (لبهنك العلـم أبـا المنذر) أى هنيئـا لك ما أوليت (١) وليكن العلم هنيئا لك ، أى سهلا ميسرا ، لاتعب فيه ولا مشقة ، والمعنى لتطب نفسا بما وهبك الله من العلم •

وهذه شهادة فى العلم ، يمنحها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لبعض أصـحابه ممن أوتوا حظا وافرا من العلم النافع الذى كهيئة الدر المكنون ، والله سبحانه يقول :

(يُؤتِى الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ، وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا) (٢) •

فمن أوتى البصيرة المستنيرة التى تهـدى للرأى الصائب ؟ والهدى الراشـد والحـق الواضح ، فانه لا يضل فى تقدير الأمـور •

وهذه الحكمة ، يؤتيها الله من يشـاء من عباده ، فهى معقودة بمشيئة الله سبحانه •

وان طريق الحكمة لمفتوح لمن أراده ، فمن اتجـه الى الله ، وأراد لنفســه الهداية ، وسعى لها ســعيها ، وجاهـد فيها ، فان الله بمشيئته يؤتيه الحكمة ، ولا يحرمه منهـا ، بـل يعينـه عليها •

فليطمئن كل من يتجه الى هدى الله أن مشيئته تعالى ستقســم له الهـدى ، وتؤتيه الحكمــة ، وتمنحــه ذلك الخير الكثير •

(وَالَّـذِينَ جَـاهَدُوا فِينَـا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (٣) •

محمد صـابر البرديسى

---

(١) أعطيت •
(٢) سورة البقرة – آية ٢٦٩ •
(٣) سورة العنكبوت – آية ٦٩ •

مِنَ الشَّرِيعَةِ

مبادئ القانون
الدولي في الاسلام

الشريعة وما يراد لها
في الرأى الغربي

غزوة بدر الكبرى

مبادئ القانون الدولي العام

في الإسلام

٣

العلاقات السياسية

رأينا في الأسطر القليلة السابقة كيف نظم الاسلام حالة الحرب . فلننظر الآن (كيف نظم علائق السلم) وأول ما يعنينا من ذلك طريقة معاملته لمبعوثى أعدائه ، وحاملى رسائلهم ، وممثليهم السياسيين وهى معاملة يحق لنا أن نقول فيها انها سديدة مستقيمة ، فالاسلام فوق ما يكفله لهم من صيانة وأمن على الأرواح (١) يمنحهم نوعا من الحصانة الاجتماعية التى تخولهم حرية العودة الى أوطانهم متى شاءوا ، ولا يدع سبيلا الى حجزهم في بلادنا بحجة انهم من قوم عدو لنا .

يلى ذلك طريقته في الاستماع لهؤلاء المفاوضين ، وحسن استعداده للتفاهم والتعاقد معهم ، فالقرآن يحض الرسول — صلى الله عليه وسلم — على قبول مبدأ الصلح متى وجد من العدو ميلا اليه « وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا » (٨ : ٦١) .

أما شرائط الصلح وطرائقه ، فقد رأينا بصدد هدنة الحديبية ، كيف أن روح المسالمة التى تعمر قلب رسول الاسلام — عليه الصلاة والسلام — ، قد جعلته يضحى بكثير من التفاصيل المتعلقة بالألقابه الأدبية ، وبالسمعة الحربية لجيشه ، وببعض الحقوق الفردية لاتباعه على أنه ليس معنى ذلك أنه يوجب قبول كل اقتراح من جانب الأعداء مهما كان شاذا ، أو ضارا بحقوق الأمة والأجيال المقبلة ، فقد رأينا هذا الرسول الرحيم نفسه ،

(١) انظر قول الرسول لمبعوثى مسيلمة الكذاب « والله لولا ان الرسل لاتقتل لضربت اعناقكما »

للأستاذ الدكتور المغفور له
محمد عبد الله دراز

حين عرض عليه مسيلمة الكذاب تقسيم « الأرض » بينه وبينه ، يرفض ذلك العرض رفضا صارما ، ويجيبه بتلك الجملة الحكيمة التى يقتبسها من القرآن : « إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ » (٧ : ١٢٨) ٠

فاذا نحن درسنا الوثائق التى تركتها لنا السير عن العلاقات السياسية النبوية استطعنا أن نتبين فيها أنواعا مختلفة من المواثيق :

(أ) اعلان الأمن والحماية :

لعل أبسط العقود السياسية هو التصريح الذى يصدر من جانب واحد ، ولا يلزم الا الطرف الذى أصدره ، كاعلان دولة ما : أنها تلتزم الأمن والحماية لدولة أخرى ٠ واننا لنجد من هذا النوع مثالا واضحا فى ذلك العهد الذى أعطاه النبى لأهل سوريا ومن معهم فى أثناء غزوة تبوك ، وضمن لهم فيه حرية انتقالهم وأمن قوافلهم البرية والبحرية ، وحرية استعمالهم للطرق ومجارى المياه ، على شريطة واحدة ، وهى ألا يثيروا على المدنيين شغبا ٠

(ب) ميثاق عدم الاعتداء من الجانبين :

لكن المعاهدة بالمعنى الصحيح تتطلب اتفاقا وتبادلا للمنافع يقبله طرفا العقد جميعا ٠ وان أقل ما يتحقق فيه هذا النوع من العهود ، هو التعاقد الذى لا يتضمن الا التزامات سلبية تنحصر فى امتناع كلا الطرفين عن كل فعل ضار بالآخر ٠ وقد نقل لنا المؤرخون أمثلة لمواثيق من هذا النوع عقدها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتزم فيها الطرفان ـ اما لمدة غير محصورة ، واما الى أجل معلوم ـ ألا يهاجم أحدهما الآخر ، ولا يحالف عدوا له ، ولايساعد معتديا عليه فمن هذا القبيل ميثاقه الى أجل غير مسمى مع (بنى ضمرة) فى السنة الثانية من الهجرة ، ومنه أيضا ميثاق الهدنة التى عقدها مع قريش فى السنة السادسة من الهجرة لمدة عشرة أعوام ٠

(جـ) المحالفة :

على أن الحقوق والواجبات المتبادلة انما تبرز فى أكمل مظاهرها فى عهود الحلف ، ومن أمثلة هذه العهود فى حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، تانك المحالفتان اللتان مهد لهما صلح الحديبية حيث خول كلا من الفريقين أن يختار حليفا له من بين القبائل العربية

فاختارت « خزاعة » أن تحالف محمدا ، ــ صلى الله عليه وسلم ــ واختارت « بنو بكر » ان تحالف قريشا ولقد كان من نتائج هاتين المحالفتين أن نهض المسلمون فى السنة الثامنة لنجدة خزاعة حين نقضت قريش عهدها بازائها ، وينبغى أن يلاحظ أن هذا النقض لم يكن بقتال مباشر موجه علانية لخزاعة ، وانما كان معاونة سرية بالمال والسلاح لبنى بكر عليها ، ومن هنا تعرف وجهة نظر الاسلام فى هذه النقطة القانونية •

(د) الاعارة والتأجير :

وهذا مثال طريف لنوع من المواثيق لا نجده بعد الا فى العصر الحديث :

ذلك هو العهد الذى أعطاه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لنصارى نجران باليمن ، وهو وان كان عهدا مليا أكثر منه عهدا دوليا ، الا أن فيه شرطا يذكرنا بميثاق الاعارة والتأجير الذى عقدته الولايات المتحدة الأمريكية مع بريطانيا لتموين الجيوش الانجليزية فى الحرب العالمية الثانية •

فهذا العهد النبوى اذا نظرنا اليه من وجهتيه الاجتماعية والدينية ، نراه يلتزم للنجرانيين حرية عقيدتهم وعبادتهم ، وسلامة معابدهم ، وعدم المساس بمساكن كهنتهم ماداموا لا يحدثون اضطرابا ولكن الناحية الاقتصادية لهذا العهد أكثر طرافة فانه ينص على ضرورة تقديم مساعدة مادية معينة منهم للمسلمين فى حال حدوث نزاع بين المسلمين وبين طرف ثالث فى اليمن ، ومن بين هذه المساعدات اعارة جيش المسلمين ثلاثين وحدة من كل صنف من أصناف السلاح ، على أن يقوم المسلمون برد هذه الأسلحة الى حلفائهم النجرانيين بمجرد انتهاء الحرب •

ــ ٦ ــ

الوفاء بالعهود

وبعد : فان من المقرر المعترف به عند الجميع أنه يجب على طرفى العقد ــ مهما كان نوع المعاهدة التى بينهما ــ أن يحافظا بدقة وأمانة على تنفيذ كل شروط الميثاق بنصها وروحها •

غير أن هذا الالتزام يأخذ فى نصوص القرآن طابعا خاصا من التشديد ومن القدسية يجعله فرضا دينيا بالمعنى الحقيقى ، فالميثاق الذى يعقده المسلم لا يرتبط به أمام الناس فحسب ، بل أنهينعقد فى الوقت نفسه بينه وبين الله تعالى اذ يجعل المسلم ربه شهيدا وكفيلا على عقوده والتزاماته ، ومن هنا يصبح احترام هذه الالتزامات أمرا متغلغلا فى النفوس ، متصلا أوثق اتصال بعقد الايمان ، بحيث لا يبقى لقوة فى الأرض أن تحلله منه ، سواء فى ذلك دوافع المنفعة أو طلب النفوذ ، أو زيادة الرخاء ، أو المجال الحيوى ، أو التوسع الاقتصادى ، أو التوازن السياسى ، أو غير ذلك •

والى هذا كله يشير القرآن حيث يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء

صدق الله العلي العظيم

٦ : ١٣

(وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ، إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ)

١٦ : ٩١ ، ٨٢ .

فاذا نحن رجعنا الى السنة النبوية وجدناها قد بلغت من الدقة فى تطبيقها لهذه التعليمات القرآنية مبلغا يكفى فى وصفه أن نورد بعض أمثلة منه :

كان أبو جندل من المسلمين المحصورين فى مكة فبينما كانت تكتب شروط صلح الحديبية أقبل يرسف فى قيوده ليقيم مع المسلمين ، واذ كانت المعاهدة لم توقع بعد ، كان من الممكن ألا يطبق عليه شرط رد اللاجئين ، ولكن ممثل قريش عارض فى ذلك بحجة أن الاتفاق الشفوى قد تم آنفا قبل قدوم هذا اللاجىء ،

فصدقه النبى عليه الصلاة والسلام ، وتركه يأخذبتلابيب المهاجر ليرده الى مكة ، ولم يكن صياح أبى جندل وشكواه واعلان خوفه من أن يفتنه المشركون عن دينه اذا رجع اليهم ، ولا الألم النفسى الذى أصاب المسلمين بسبب هذا التنازل — لم يكن كل ذلك — ليغير من موقف النبى — صلى الله عليه وسلم — وما زاد على أن قال : (يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، ولكننا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا ، وأعطيناهم على ذلك عهدا ، واننا لانغدر بهم — أو — وانه لا يصلح فى ديننا الغدر) ولقد تكرر مثل هذا الحادث بعد فى شأن أسير آخر وهو أبو بصير ، وكان الحل هو الحل .

واليك مثالا من نوع آخر كان القادم فيه

◄

من المشركين لا من المسلمين وجاء مبعوثا لا هاربا ذلك هو أبو رافع الذى قدم برسالة من قريش الى النبى فما هو الا أن رأى النبى حتى وقع فى قلبه الاسلام ، وأراد ألا يرجع الى قومه ، فقال له النبى ــ صلى الله عليه وسلم : « أنا لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرد » .

بل هناك ما هو أعظم من ذلك دلالة على قدسية العهود والمواثيق فى نظر رسول الاسلام ، وأنه لم يكن حرصه على الوفاء بعهوده أشد منه على وفاء أتباعه بعهودهم الشخصية ، ولو شقت على نفوس المؤمنين . ومن أطرف الأمثلة فى ذلك وأشدها غرابة حادثة حذيفة وأبيه فقد كانا قطعا على نفسيهما لبعض الأعداء عهدا ــ بدون استئذان الرسول ــ ألا يقاتلاهم ، فلما جاء وقت القتال استفتيا فى ذلك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فما كان جوابه الا ان قال : « انصرفا ففيا لهم بعهدهم ، ونستعين الله عليهم » .

قطع العلائق السياسية

ــ ٧ ــ

شرطان لابد منهما فى نظر القرآن لاباحة نقض حلف سابق .

١ ــ هذا النقض لا يصح أن يحدث اعتباطا وابتكارا من قبلنا تحت تأثير الأغراض والمنافع ، أو بباعث الهوى والعاطفة ، بل لابد أن يكون مسبوقا باستفزاز من قبل الخصم وبأمارات تدل على أنه ينوى خيانة العهد .

٢ ــ ولا يصح أن يكون قطع العلائق عمليا فقط ، وبدون سابق انذار ، والا لكان غسلا للخيانة بالخيانة ، بل لابد أن يكون نبذا للمعاهدة صريحا واضحا وأن يصل الى علم الخصم فى الوقت المناسب ليكون على بينة من نيتنا نحوه حتى نكون واياه سواء فى ذلك ، هذا هو صريح نص القرآن (٨ : ٥٨) .

ــ ٨ ــ

الخلاصة

هكذا نرى أن التشريع الدولى فى الاسلام لا يكتفى بأن يستوحى فى كل خطوة من خطواته روح العدالة والمساواة بين الناس أمام القانون ، بل انه يستمد من ينابيع أشد عمقا من ذلك كله . يستمد من منابع الايمان الصحيح ، والخلق الكامل .

ونستطيع أن نقول ــ ووثائق التاريخ بين أيدينا ــ : ان هذا التشريع الدولى العام بمعناه الصحيح لم يكن له وجود قبل الاسلام ، ولم يصل اليه تشريع آخر بعد الاسلام الى يومنا هذا .

دكتور محمد عبد الله دراز

الشريعة

وما يراد لها .. فى الرأى الغربى

دائرة المعارف البريطانية

للشيخ محمد حسام الدين

كلمة أولى : ــ

منذ بداية القرن التاسع عشر تواجه الشريعة الاسلامية عنتا شديدا ، وعملا دائبا ، يهدف الى تغيير بنائها ، وتنحيتها عن وظيفتها القيادية ، الحاكمة فى المجتمعات الاسلامية .

وفى منتصف ذلك القرن بدأت هذه الأهداف تأخذ طريقها الى الواقع ، خطوة ، فخطوة .

وكان المسلمون فى أجيالهم المعاصرة لهذا التغيير على مواقف مختلفة منه .

فكان منهم مؤيد له ، ومنهم معارض أو متحفظ .

وقد أردنا أن نعرض من الكتابات الغربية ما يوضح الرأى الأوربى ــ فى عمومه ــ تجاه الشريعة ، والأهداف التى يستهدفها نحوها .

ثم نعرض بعضا من الكتابات الاسلامية ، مما يعبر عن مواقف المسلمين تجاه هذا التيار .

ولا يفوت القارىء أن ايراد هذه الآراء ، وبخاصة الأوربى منها ، لا يعنى الموافقة عليها ، أو تأييد ما فيها . بل ان الأمر قد يكون على العكس من هذا وأننا نعارضها جملة ، أو نعارض شيئا من تفصيلاتها .

وقد عزمنا ــ والعون من الله ــ أن نورد الآراء فى حياد ، فلا نتدخل فى سياقها برأى

◄

الشريعة ومايراد لها

لنا ، لتظل هذه الآراء على طبيعتها ٠ موحية باهدافها ٠

ولنا بعد كل هذا تعقيبات عليها ــ حسبما بيسر الله ــ ٠

محمد حسام الدين

تتفاوت الكتابة الغربية فى نقدها للشريعة الاسلامية ، والتحامل عليها ، ويتصل هذا بشخصية الكاتب ، والظروف المؤثرة فيه ، كما يتصل بالمؤسسة الاستشراقية التى ينتمى اليها ، وبالظروف السياسية لبلاده تجاه المسلمين ٠

وأكثر ما نقرؤه من الكتابات الغربية ــ وبخاصة المبكرة منها ــ يصف الشريعة بأنها متأثرة بأعراف جاهلية ، وأعراف بيئية ، وأنها مناقضة فى أحكامها للحضارة المعاصرة ، ومقتضياتها ، ومن ثم فانها فى حاجة الى اعادة النظر فيها لتفى بحاجات الناس فى هذا العصر٠

وأحيانا ما نجد بين الكتاب الغربيين من ينصف الشريعة ، بعد أن تنتهى به دراسته العميقة الى التعرف على أحكامها ، وصفائها ، ونقائها من كل شائبة ، وبراءتها من كل دخيل ، والى ادراك مقدار الجمال والدقة ، والسعة ، والرحمة فى موازين العدل بها ، والى وفائها بالحاجات البشرية ٠

وتختلف دوائر المعارف الغربية فيما بينها ، فيما تقرره عن الشريعة الاسلامية ، تبعا لموقف بلادها من الاسلام ، والمسلمين ٠

ثم تختلف طبعات كل دائرة منها على حدة تبعا لتغير الزمن ، فالطبعات الحديثة أقل حدة على الشريعة ــ من حيث الجملة ــ وأبعد عن قسوة التجريح لها ٠

ولعل السبب فى هذا هو الرغبة فى انتهاج الأسلوب الحضارى فى النقد ، أو الميل الى الالتزام العلمى أو تحسن العلاقات السياسية بين الغرب ، والبلاد الاسلامية ٠

وقد آثرت أن أستهل هذا الموضوع بما كتبته دائرة المعارف البريطانية ، من باب حسن الاستهلال ، ولأنها من أكثر دوائر المعارف اتزانا ، واعتدالا فى الرأى ، واستيثاقا للبحث ٠

مما هيأ لها مكانة علمية يطمأن اليها ، وجعلها موضع الثقة عالميا ٠

وفى الطبعة التى اخترناها ، وهى الطبعة الصادرة فى سنة ١٩٧٣ م تحدثت الدائرة عن الشريعة الاسلامية باتساع ، وان كانت قد قصرت حديثها على جانب الأحوال الشخصية ، دون الجوانب المدنية ، والتجارية ، والسياسية، والثقافية ، وقواعد العقوبات فى حياة المسلمين٠

ولعل السبب فى هذا أن كاتب « هذه المادة » رأى أن الشريعة الاسلامية قد تخلت بالفعل عن حكم هذه الجوانب فى المجتمعات الاسلامية ، لتتولاها قوانين أخرى ، فقصر حديثه على متابعة التطور فى قوانين الأحوال الشخصية ٠

كتبت دائرة المعارف البريطانية (١) ــ طبعة ١٩٧٣ ــ فى مادة «Islam» الاسلام • وتحت عنوان : « القانون الاسلامى المعاصر » •••• تقول : ــ

« كان للحضارة الغربية أثر كبير فى حياة المسلمين الاجتماعية ، خلال القرن التاسع عشر ، فقد حدثت تغييرات جوهرية فى ميدان القوانين المدنية ، والتجارية ، وقوانين العقوبات •

وقد أدرك رجال الشريعة الاسلامية أنهم لا يستطيعون أن يباشروا هذه الجوانب القانونية بسبب منهجهم التقليدى فى الفكر القانونى ، وفى طرق الاثبات ، وتعليل الأحكام فى قواعد الفقه ذاتها •

ونتيجة لهذا العجز صرفت معظم الأقطار الاسلامية نظرها عن الشريعة فى أحكام الجنايات ، والحدود ، والقواعد المدنية العامة ، واستبدلت بها مجموعات قانونية جديدة ، تتفق مع مناهج القوانين الأوربية ، وتستند الى نظام جديد ، وتطبقها محاكم خاصة •••••

هذا فيما عدا شبه الجزيرة العربية ، فانها لا تزال تطبق الشريعة الاسلامية بكامل فروعها وبصفة رسمية •

ومنذ بدأ القرن العشرين أصبح تطبيق أحكام الشريعة مقتصرا على أحكامها المتعلقة بشئون الأسرة ، بمايشمل قانون المواريث ونظم الوقف ••••••

ومع هذا فانها لا تطبق بشكلها التقليدى ، فى هذا النطاق المحدود من المسائل ، ولكنها صيغت فى شكل مجموعات قانونية حديثة ، فى بلدان الشرق الأوسط ، بصفة عامة •

وسبب تضييق نطاق عملها فى حدود الأحوال الشخصية يرجع الى افتقاد مشروع تفصيلى يضم مجموعات للقوانين ، وأحكاما شرعية ، تعتمد رسميا كمرجع للقانون فى جميع فروعه •

ففى الهند وباكستان نجد كثيرا من أحكام الأسرة قد أخذت شكلا تشريعيا متقنا •

لكنه لما كان القانون هناك يعتمد على نظام السوابق القضائية Case Law . فان أحكام القضاء تعتبر مرجعا قانونيا ، ولها السيادة على هذه المجموعات القانونية التى تمسك نظام الأسرة •

والأمر كذلك فى غالب بلدان الشرق الأوسط • فان أحكام القضاء لا يزال لها أثر فى التشريع ، وبخاصة بعد أن أعيد تنظيم الهيئات القضائية ، بما يكفل لها أن تجمع مهمة

---

(1) Encyclopaedia Britanica — Copyright 1973-1974 — Vol — 9 «The Islam» .... «Law in contemporary Islam» P. 941.

ترجمنا الى اللغة العربية هذه الفقرات التى نقلناها عن دائرة المعارف البريطانية فى طبعتها لسنة ١٩٧٣ ــ ١٩٧٤ م •

وقد كتب « المادة » فيها المستشرق ن• ج• كولسن N — J — Coulson. وهو من المستشرقين الانجليز المعاصرين ، الذين تخصصوا فى الشريعة الاسلامية •

وله كتاب فى « تاريخ التشريع الاسلامى » History of Islamic Law.

التشريع الى جانب وظيفة الفصل فى القضايا ، واصدار الأحكام .

أما فى مصر وتونس فقد ألغى القضاء الشرعى — وكان له وجود مستقل من قبل — فأصبحت قواعد الشريعة تطبق مع غيرها من القواعد القانونية عن طريق القضاء الموحد فى الدولة .

والأمر كذلك فى الهند منذ انفصلت باكستان عنها ، فان المسائل الشرعية تنظرها هيئات القضاء التى تنظر مسائل القانون المدنى العام ومسائل الجنايات .

وفى الآونة الأخيرة صدرت مجموعات قانونية تنظم الاجراءات القضائية ، وقواعد الاثبات فى المجالات التى تطبق فيها أحكام الشريعة الاسلامية .

وميزة هذه الاجراءات الجديدة أنها تفسح للقاضى آفاق الحرية فى التماس البينة أكثر مما كان له فى ظل النظام القديم .

ففى الهند وباكستان يطبق القضاء قواعد الاثبات للقانون المدنى على المسائل التى تطبق فيها أحكام الشريعة الاسلامية .

وهى قواعد ترجع الى نظام القانون الانجليزى ، وقد صدرت بقانون فى الهند سنة ١٨٧٢ م .

الاصلاح فى القوانين الشرعية
Reform of Shari'ah Law

فى مطلع القرن العشرين كان من نتيجة الظروف التى جدت فى الأقطار الاسلامية ، وبخاصة المتحضرة منها أن حدث تعارض واضح بين الظروف المتغيرة للحياة الحديثة وبين القواعد القانونية الشرعية القديمة .

ذلك أن أحكام الشريعة لم تستطع أن تجد لها تعليلا — (عقليا) مقبولا ، وكان من نتيجة هذا أن طبقت القواعد القانونية الغربية على المسائل المدنية ، والجنائية .

ولقد بدا لتركيا أن الحل الوحيد هو أن تهجر أحكام الشريعة الاسلامية بكاملها ، وذلك فى سنة ١٩٢٦ م ، وأن تستبدل بها قانون الأسرة السويسرى .

ولا نجد قطرا اسلاميا واحدا تبع تركيا فى هذا العمل حتى الآن . لكن هذه الأقطار طبقت القانون الشرعى القديم فى مجال الأحوال الشخصية ، بوجوه ، وبطرق مختلفة تلائم حاجاتها الاجتماعية المعاصرة .

ومنذ سيطرت هذه الفكرة — فكرة الاصلاح التشريعى — على الشرق الأوسط ، كانت هناك مسألة مهمة ، وهى البحث عن قواعد تشريعية تسمح بالتطلعات الاجتماعية،وترضى متطلباتها،

قال صلى الله تعالى عليه وسلم * لا يدخل الجنة الا مؤمن * اللهم صل على شفيع الأمة محمد وآله وصحبه الطاهرين آمين * كتبه أضعف الكتاب مهدي الخطاط المعروف بالجبوري

وتمنحها صفة الشرعية ، فى حدود القواعد الاسلامية ، وفى نطاق نظرياتها الأصولية .

ومن ثم وضعت اصلاحات وقواعد قانونية فى مظهرها ، وان كانت تنتمى الى آراء قديمة واردة فى الشريعة .

وفى المرحلة الأولى من مراحل الاصلاح التشريعى ، كان التقليد ، واتباع آراء الفقهاء السابقين لا يزال موضع الاحترام لدى الفقهاء الرسميين .

من أجل هذا صدرت قواعد الاصلاح التشريعى عن السلطة السياسية والحكومية .

فقد عمدت الدول الى تخويل السلطة التنفيذية والسياسية — وليست فى الحقيقة من الهيئات التشريعية — خولتها أن تصدر قرارات تنفيذية ، لتنظيم نوعين أساسيين من القوانين .

النوع الاول : يتعلق بالاجراءات وطرق الاثبات ، وتحديد اختصاص القضاء ، بحيث لا ينظر من الحالات الا ما كان صحيح الشكل تام الاجراءات .

ومن هذا النوع : القانون المصرى الصادر فى سنة ١٩٣١ م ، والذى ينص على أنه : لا يصح النظر فى دعوى الزواج ما لم يكن مثبتا بشهادة رسمية مسجلة ، وهذه الشهادة لايصح أن تصدر اذا كانت الزوجة دون ستة عشر عاما ، أو كان الزوج دون ثمانية عشر عاما فى تاريخ العقد .

وبمقتضى هذا القانون فان زواج الصغير بناء على عقد يجريه وليه ، وان كان زواجا له احترامه ، وجوازه شرعا ، لكنه عند النزاع عليه لا يكون محل نظر القضاء .

وعلى هذا فانه لا تعارض — من الناحية

الشريعة ومايراد لها

النظرية ـ بين هذا القانون وأحكام الفقه الاسلامى ، لكن الأمر من النلحية العملية يبدو كما لو كان محاولة لالغاء زواج الصغير •

والنوع الثانى : ـ الذى اتجه اليه الاصلاح بقرارات تنفيذية ـ يتمثل فى اختيار أحكام شرعية من بين الآراء ، والمذاهب الاسلامية المختلفة ، وجعلها واجبة التطبيق •

كما جاء فى لائحة ترتيب المحاكم الشرعية . فقد صدرت هذه اللائحة عن السلطة التنفيذية، والسياسية ، ومارست فيها حق الاختيار من آراء المذاهب الفقهية المختلفة ، واختارت ما رأته مناسبا للظروف الاجتماعية المعاصرة •

وعلى سبيل المثال فان المذهب الحنفى المتبع « رسميا » فى مصر لا يسمح للزوجة أن تطلب الطلاق من زوجها بسبب اهانته لها •

وقد نتج عن هذا الرأى مشكلات كثيرة ، ومتاعب للزوجات ، وكذلك فى ظروف هجر الزوجة ، أو سوء المعاملة لها •

فى حين أن المذهب المالكى يقر للزوجة بحق فسخ النكاح فى حالات قسوة الزوج ، أو عجزه عن النفقة الشرعية ، أو فى حالة هجره للزوجة•

ومن هنا صدر القانون المصرى سنة ١٩٢٠ م مقررا وجوب تطبيق أحكام المذهب المالكى فى هذه الحالات، وذلك من تاريخ صدور القانون•

وفى مجال المواجهة ، بين قواعد القوانين الشرعية القديمة ، وقواعد القوانين الجديدة نجد أن الاصلاح فى مسائل زواج الصغير ، وفى الطلاق ـ الذى صدر به قانون أقره البرلمان فى شبه القارة الهندية ـ قد أصبح له السيادة على أحكام القانون الحنفى •

فقد صدر قانون فى سنه ١٩٢٩ م فى شأن زواج الصغير يمنع زواج البنت قبل أربعة عشر عاما ، والولد قبل ستة عشر عاما ، ورتب على مخالفة القانون عقوبات بدنية •

كما صدر قانون فى سنة ١٩٣٩ م فى شأن فسخ الزواج بين المسلمين ، احتذى نمط قانون حقوق الزواج الانجليزى ، وخول للزوجة ـ الحنفية ـ أن تطلب فسخ الزواج لأسباب القسوة ، والهجر ، واعسار الزوج ••• الخ •

وفى سنة ١٩٥٠ م انتهى عهد السلطة التنفيذية ، والسياسية فى اصدار قوانين الاصلاحات التشريعية فى بلدان الشرق الأوسط •

ذلك أن مبدأ « التقليد » أصبح فى وضع سىء ، تنفر منه الناس نفورا شديدا ، بسبب اعتماد الفقهاء المقلدين على الكتب المؤلفة فى العصور الوسطى ، وادعائهم أنها تمثل التفسيرات ، والآراء الشرعية التى وردت عن فقهاء الصدر الاول ، وأنها تعتمد على القرآن والسنة •

لم يتماسك مبدأ « التقليد » اذن • ولم يحتفظ لنفسه بالسيادة مدى طويلا ، ولم

يحتفظ لأصحابه بالمكانة التشريعية المتميزة .

ذلك لأن فقهاء التشريع المعاصرين طالبوا بطرح الآراء القديمة ، ليبدأ الاستنباط من جديد مستقلا عما سبق ، رجوعا الى المصادر الأصلية للوحى الالهى ، فى ضوء الظروف الاجتماعية الجديدة .

وباختصار : انهم دعوا الى فتح باب الاجتهاد ، وقد كان مغلقا منذ القرن العاشر الميلادى .

ان تطور الاجتهاد فى مجال الاصلاح التشريعى الاسلامى يمكن أن يتضح من المقارنة بين القانون السورى للأحوال الشخصية الصادر فى سنة ١٩٥٣ م ، وبين قواعد القانون التونسى الصادر فى سنة ١٩٥٧ م ، فيما يتعلق بموضوعين : —

أولهما : تعدد الزوجات .

وثانيهما : الطلاق عن يمين .

فقد رجح المصلحون السوريون — فيما يتعلق بتعدد الزوجات — أن القرآن نفسه قد دعا الزوج أن لا يعدد الزوجات ، ما لم يكن مستطيعا — من الناحية المالية — أن ينفق عليهن ، بما يناسب مستواهن من النفقات : الضرورية والحاجية .

وكانت الآراء الفقهية (التقليدية) المحافظة ترى أن المراد من الأمر فى الآية (١) هو الاستحباب الأخلاقى ، وأن الوفاء به متعلق بضمير الفرد ودينه .

لكن المصلحين السوريين تمسكوا بأن المراد بالأمر هنا الوجوب ، فالقدرة على الانفاق شرط شرعى واجب لابد وأن يسبق الاقدام على تعديد الزوجات ، وهو أمر يرعاه القضاء .

فهناك ارتباط فى سوريا بين هذا التفسير الجديد ، وبين اللوائح التنظيمية ، والتنفيذية التى تنص على أن تسجيل مثل هذا الزواج لا يتم الا بعد الحصول على اذن من القاضى .

فقد جاء فى القانون السورى أنه « للقاضى أن لا يأذن للرجل المتزوج فى أن يضم الى زوجته زوجة أخرى ، ما لم يثبت لديه أنه فى وضع مالى يسمح له بالانفاق على الزوجتين كلتيهما » .

الحديث موصول .. وبالله التوفيق .

---

(١) لعل الكاتب يعنى قوله تعالى « لينفق **ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها .. »** الآية ٧ من سورة الطلاق ، والآية وان كانت نزلت فى النفقه فى عدة الطلاق الا أن المطلقة تأخذ حكم الزوجة فى النفقة فى فترة العدة .
او لعله يريد رأى الامام مالك وهو الذى يرى اعتبار حال المرأة فى النفقة الواجبة لها مستدلا بقوله تعالى : « **وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف .. »** الآية ٢٣٣ من سورة البقرة . وقوله — صلى الله عليه وسلم — : « خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف » والحديث اخرجه الجماعة الا الترمذى .

غزوة بدر الكبرى

ومقومات النصر على العدو المتفوق

- ٢ -

للاسلام حسابات خاصة ترجح بها كفة المسلمين المجاهدين فى موازين القوى الى حد الانتصار على العدو المتفوق بأقل الخسائر وفى أقصر وقت ، وقد تناولنا فى المقال السابق مقومات النصر الاسلامى، ذكرنا منها قوة الايمان وارادة القتال ، والتخطيط العلمى .

الشورى فى التخطيط :

والركن الثالث الذى يقرره الاسلام للتخطيط العلمى بعد ركنى السرية وتأسيس التخطيط على أحدث المعلومات والبيانات كما ذكرنا هو الشورى ..

فالرسول — صلى الله عليه وسلم — لم يشأ أن يبت فى أمر الدخول فى معركة مع المشركين حتى يستشير أصحابه ، فوجد منهم استعدادا للقتال رغم تفوق العدو ، فقرر دخول المعركة ، وأخذ بمشورة الحباب بن المنذر فانتقل بالجيش الى حيث أشار .

وقد جرت سنته — صلى الله عليه وسلم — على تطبيق قاعدة الشورى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — » (١) .

وفى مجال القيادة والادارة واتخاذ القرارات يعلمنا الرسول — صلى الله عليه وسلم — أن الأخذ بالمشورة الصالحة آية من آيات حسن القيادة يقترن بآية الابتكار والانشاء ، لأن القيادة الحسنة هى القيادة التى تستفيد من خبرة الخبير ، كما تستفيد من شجاعة الشجاع ، وهى التى تجند كل ما بين يديها من قوى الآراء والقلوب والأجسام .

ويعلمنا الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — أن القيادة الرشيدة هى التى لا تستأثر بصنع القرار واصدار التعليمات التى يتعين على المرءوسين تنفيذها ، بل هى التى تحرص على أن يشترك معها فى تقدير

(١) لم نقف عليه بهذا اللفظ — الباجورى .

لواء أركان حرب
محمد جمال الدين محفوظ
عضو المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

المواقف وصنع القرار أكبر عدد ممكن من أصحاب الرأى والمختصين ، وقد قال ــ عليه الصلاة والسلام ــ : « ما ندم من استشار » (١) .

ثالثا : القيادة الموحدة ووحدة الهدف والصف:

ومن مقومات النصر الاسلامى القيادة الموحدة ووحدة الهدف والصف ، وقد ظهر ذلك جليا فى أول معركة حاسمة بين المسلمين وأعدائهم ، ففى غزوة بدر كان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم هو القائد العام للمسلمين ، وكان المسلمون يقاتلون كرجل واحد لغاية واحدة .. أما على الجانب الآخر فلم تتوفر هذه المقومات .

فلم يكن للمشركين قائد واحد أو قيادة موحدة ، فقد كان أكثر سراة قريش مع الجيش ، ولكن البارزين من هؤلاء على ما يظهر هما رجلان : عتبة بن ربيعة وأبو جهل ، ولم يكن لهما رأى واحد اذ أنهما اختلفا حول مبدأ البقاء لقتال المسلمين ..

فأبو جهل أراد البقاء وقال : « والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم عليه ثلاثة ، ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها » .

« أما عتبة فقد أصابه التردد ، اذ أنه مال الى الأخذ بما نصحه به بعض قومه أن يرجع بالناس ، فرماه أبو جهل بالجبن ، فأخذته الحمية وقرر البقاء للقتال من قبيل التحدى» .

على هذه الحال من التردد والتضارب فى الآراء وطغيان الأنانية الفردية على المصلحة العامة ، وجاهلية الهدف (النحر والخمر والقيان) خرجت قريش للقتال .

أما عن وحدة الصف فقد توفرت للمسلمين معنويا وماديا ، ولم يكن من قبيل الصدفة أن ينمى الرسول فى المسلمين هذا المبدأ الحيوى بحرصه الشديد على أن تكون صفوف

---

(١) الحديث فى مجمع الزوائد للهيثمى فى كتاب الادب باب ما جاء فى المشاورة ج ٨ ص ٩٦ طبع دار الكتاب العربى ــ بيروت الطبعة الثالثة بلفظ : عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار ... الحديث. وقال : رواه الطبرانى فى الاوسط والصغير من طريق عبد السلام بن عبد القدوس ، وكلاهما ضعيف جدا ــ الباجورى .

غزوة بدر الكبرى

الجيش فى بدر على أعلى درجة من النظام والتنسيق ، وذلك بأن يمر عليها ويعيد من كان خارجا عن الصف الى موضعه الصحيح •

فيعلمنا الرسول — صلى الله عليه وسلم — بذلك كيف تكون وحدة الصف ، لكى نتدبر مغزاها وأثرها العظيم فى تحقيق الأهداف المرجوة ، ولكى نحظى بنصر الله وحبه :

« ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص » •

(الصف ٤) •

رابعا — الاستغلال الأمثل للموارد المتاحة :

ويوجه الاسلام المسلمين — لكى يحصلوا على النصر على العدو المتفوق — الى الاستغلال الأمثل لمواردهم المتاحة بحيث يفيدون مما يملكون ومما فى أيديهم الى أقصى حد بطريقة اقتصادية ، فلا يفقدون من هذه الموارد مثقال ذرة •

وفى بدر يعلمنا الرسول — صلى الله عليه وسلم — هذا الدرس العظيم ويرشدنا الى عناصره وأركانه وأهمها : السيطرة المحكمة على الموارد ، وتطبيق مبدأ « الاقتصاد فى القوى » وهو ما نوضحه فيما يلى :

١ — احكام السيطرة على الموارد :

لقد أحكم الرسول — صلى الله عليه وسلم — سيطرته على جيشه المحدود الذى يواجه قوة تعادل ثلاثة أمثاله على النحو التالى :

* فقد نظم الجيش فى كتيبتين ، كتيبة المهاجرين بقيادة على بن أبى طالب ، وكتيبة الأنصار بقيادة سعد بن معاذ •

* واتخذ لنفسه مركز قيادة محددا (العريش) يشرف على أرض المعركة ويستطيع منه ادارتها باحكام •

* ولم يقاتل المسلمون بأسلوب الكر والفر وهو الأسلوب المعتاد عند العرب والذى كانت تقاتل به قريش ، بل اتبعوا أسلوب القتال بالصفوف ، وهو أسلوب يضمن للقائد أحكام السيطرة على رجاله ، كما أنه يؤمن له احتياطيا للطوارىء يعالج به المواقف التى ليست بالحسبان مما يحقق « استمرار » السيطرة •

أما أسلوب الكر والفر فيجعل سيطرة القائد صعبة ولا يؤمن له أى احتياط للطوارىء •

* وأخيرا وليس آخرا فقد استكمل الرسول القائد — صلى الله عليه وسلم — سيطرته على جيشه بأن أصدر « أمر قتال » جاءت محتوياته بكل ما يحقق السيطرة التامة على أعمال الجيش فى مراحل القتال المختلفة وعلى ما يجعل المسلمين لا يقومون بأى عمل الا بأمر منه ، وقد وردت لأمر القتال عدة روايات :

١ — « اذا أكثبوكم (أى اقتربوا منكم) فارموهم ، واستبقوا نبلكم » •

(البخارى — حـ ٧ ص ٢٤٥)

٢ — « ان اكتنفكم القوم فانضحوهم

عنكم بالنبل » .
(ابن هشام جـ ٢ ص ٢٦٦)

٣ ـ « لا تقاتلوا حتى أوذنكم ، وان اكتنفوكم فارموهم ، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم » .

(الواقدى ـ مغازى رسول الله ، ص ٤٨)
وبتحليل هذه التعليمات نستطيع أن نستخلص نتائج تنفيذها كما يلى : ـ

استغلال طاقات كل سلاح الى أقصى حد :

* فيبدأ المسلمون أولا بقذف النبال (فارموهم ـ فانضحوهم عنكم بالنبال) والنبال هى السلاح « بعيد المدى » .

* وبعد أن يستغل المسلمون طاقات السلاح بعيد المدى الى أقصى حد الى أن يقترب العدو الى حد الالتحام ، يتحولون الى السيف وهو سلاح الالتحام (ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم) .

* بهذا الوضوح فى تحديد وقت وظروف استخدام كل سلاح ، لا يحدث خلط بين السلاحين يضيع معه جانب من طاقات كل منهما هباء .

٢ ـ الاقتصاد الشديد فى « الذخيرة » :

* فان معنى « اذا أكثبوكم ـ ان اكتنفكم القوم » ، تأخير اطلاق السهام حتى «يقترب» الأعداء جدا .

* ومعنى « واستبقوا نبلكم » ـ فضلا عن تأخير اطلاقها ـ عدم التسرع فى اطلاقها، فالسهام عددها محدود أصلا لقلة عدد الجيش ، فاذا بدأ المسلمون فى اطلاقها والعدو بعيد ، أو تسرعوا فى اطلاقها قبل التأكد من أنها مصوبة جيدا ، فسوف يطيش من سهامهم الكثير ، لعدم دقة التصويب على البعد .

* وهكذا يحقق تنفيذ هذه التعليمات هدفين فى وقت واحد ، الاقتصاد فى استهلاك « الذخيرة المحدودة » وضمان دقة الاصابة .

* والمدهش أن هذا الأمر ينطوى على قاعدة يعرفها العسكريون اليوم ويسمونها (كبت النيران) فى الدفاع ، فالرصاص الذى تطلقه البندقية الحديثة يمكن أن يصل الى مدى ١٠٠٠ ياردة على الأقل ، لكن أصول الرمى فى الدفاع تقضى بأن « يحبس » المدافعون نيران بنادقهم الى أن يصل العدو المهاجم الى مسافة ٢٠٠ ياردة ـ أو ربما أقل ـ من مواقعهم ، فيطلقون رصاصهم ، وذلك حتى يضمنوا دقة الاصابة مع الاقتصاد فى استهلاك الذخيرة فى الوقت نفسه .. ويكون فى ذلك تطبيق لمبدأ « الاقتصاد فى القوى وتحقيق الأهداف بأعلى قدر من الكفاية وبأقل التكاليف » وهو من أهم مبادىء علم

● غزوة بدر الكبرى

الادارة عامة ، والعلم العسكرى وفن الحرب بخاصة .

* وقد سار المسلمون على هذا النهج بعد ذلك ، فقد ورد فى شرح القسطلانى ج ٥ ص ٩٤ وعيون الأخبار ج ١ ص ١٠٧ ما يلى :

« ان العدو اذا زحف ، أمهله رماة المسلمين حتى يكون فى متناول السهام ، ثم أمطروه بوابل من سهامهم وهم جاثون على ركبهم جماعات جماعات ، بحيث تخرج سهامهم مجتمعة كأنها صادرة عن قوس واحدة » .

خامسا — الاخلال بالتوازن النفسى والمادى للعدو :

* ومن مقومات النصر على العدو المتفوق فى توجيهات الاسلام أن يسعى المسلمون الى احداث الخلل والاضطراب فى التوازن النفسى والمادى للعدو ، وقد أجمع رجال الاستراتيجية العسكرية على أن ذلك من أقوى أسباب النصر ، وهم يحللون الآثار المادية والمعنوية للاخلال بالتوازن النفسى والمادى للعدو فيما يلى (١) : —

١ — احداث انطباع مفاجىء فى أذهان القادة بأنهم يواجهون موقفا سيئا .

٢ — فرض حالة من التشتت والتمزق النفسى تنبع من احساس قادة العدو بوقوعهم فى « فخ » يصعب التخلص منه .

٣ — خلق الشعور بالعجز عن القيام بعمل مضاد لحركة الطرف الآخر .

وفى التاريخ أمثلة كثيرة لقوات أو شعوب محدودة الموارد والقوة تمكنت من قهر قوى أكبر منها ومتفوقة عليها ، وحرمانها من تحقيق أهدافها فى العدوان ، وذلك بفضل نجاحها فى الاخلال بتوازنها النفسى والمادى ومن ذلك حروب التحرير المختلفة .

* وفى بدر استطاع الرسول — صلى الله عليه وسلم — افقاد أعدائه توازنهم النفسى والمادى من خلال عدة أمور نذكر منها ما يلى :—

١ — اصابة العدو بالصدمة النفسية من اللحظة الأولى :

ففى مرحلة المبارزة التى سبقت المعركة — كما كانت عادة العرب فى ذلك الوقت — حرص الرسول — صلى الله عليه وسلم — على أن « يختار » ذوى الكفاءة العالية فى القتال والمبارزة ، ومن يتصفون بالشجاعة الفائقة ، وذلك ليكون نجاحهم على رجالات قريش وصناديدها أكيدا (٢) .

---

(١) ذكر الخبير الحربى « ليدل هارت » فى كتابه عن استراتيجية الاقتراب غير المباشر ما يلى : « ينبئنا التاريخ العسكرى فى جميع العصور ، وفى جميع الحروب الحاسمة على التقريب ، ان الاخلال بتوازن العدو نفسيا وماديا هو المقدمة التى لا محيص عنها للقضاء عليه » .

(٢) فى البداية خرج للمبارزة فتية من الأنصار ، لكن الرسول اعادهم وعين بدلهم عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن ابى طالب — رضى الله عنهم — .

وقد تحقق له صلوات الله وسلامه عليه ما أراد ، فقد قتل مبارزو قريش جميعا (عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة) فكان ذلك بالنسبة لقريش بداية سيئة صدمتهم وهزت معنوياتهم « قبل » أن تبدأ المعركة الفعلية ، فضلا عن ماله من أثر فى رفع معنويات المسلمين •

٢ ــ المباغتة بأسلوب جديد فى القتال :

ان مفهوم المباغتة فى العلم العسكرى هو « احداث موقف لا يكون العدو مستعدا له » •

والمباغتة : آثار مادية ومعنوية تزعزع الكفاءة القتالية للجيش الذى يتعرض لها ، وتتخذ المباغتة أشكالا متعددة ، فقد تكون فى « وقت » الهجوم أو « مكانه » وقد تكون فى « الأسلوب » وهو ما فعله الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى غزوة بدر ، بالقتال بأسلوب الصف ، وهو ما لم تتوقعه قريش التى كانت تقاتل بأسلوب الكر والفر ، فكان للمباغتة أثرها على نتائج المعركة •

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن ننوه بالدرس الذى يعلمنا اياه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وهو أن التغيير والتطوير فى الأسلوب ، آية من آيات القيادة الفذة التى لا تجمد فكرها على الأساليب المعروفة أو الموروثة ، بل تبحث دائما عن الجديد وعن الأفضل •

وفى هذا يقول ونترنجهام فى كتابه (الأسلحة والتكتيكات) :

« ان بعض الجماعات الانسانية بطيئة التغير ، وهى تنتظم على سنن فحواها أن التغيير لا ينبغى ، وأن العادات المأثورة كلها حسنة قويمة ، وأن كل ما يعمل الآن ، خليق أن يعمل كما قد عمل منذ أزمان ، فاذا برزت جماعات من هذا القبيل للقتال ، برزت وفى رءوس قوادها وجنودها فكرة عتيقة عن الحرب وحقيقتها ولم يغيروا خططهم وآراءهم للانتفاع بسلاح جديد أو معرفة جديدة ، ورسخت عندهم أصول رجعية للحرب ، أو لم تكن لهم فيها أصول على الاطلاق ، ولكنهم يمضون بحكم العادة وفاقا للترتيب الذى وضع منذ عهد بعيد ، **وان هذه الجماعات لتخرج جيوشا ليس أسهل من تحطيمها بجيوش الأمم التى يسهل عليها اتخاذ الأساليب الجديدة ومواجهة الغير والطوارىء »** •

٣ ــ تكبيد العدو أكبر الخسائر فى أقصر وقت :

وهو أمر يتحقق بالتأكيد نتيجة اتباع تعليمات الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فتأخير قذف السهام ، وضمان التصويب الدقيق يحققان نتائج باهرة وهى ألا يطيش من سهام المسلمين سهم ، بل يكون كل سهم برجل ، كما أن سيطرة القائد المحكمة على الرمى من حيث التوقيت ، تؤدى الى انطلاق السهام « بأكبر حشد » كأنها صادرة عن قوس واحدة وفى لحظة واحدة تقريبا •

كل ذلك يؤدى بلا شك الى تساقط أعداد كبيرة من العدو صرعى فى أقصر وقت •• ومن اليسير علينا أن نتصور ما لذلك من وقع على

٥ غزوة بدر الكبرى

توازن العدو النفسى ، وخاصة أنه جاء الى المعركة مزهوا بقوته وبتفوقه الساحق والظاهر •

ويجمع خبراء الحرب على أن تكبيد العدو خسائر كبيرة فى وقت قصير يشكل ضربة مدمرة لتوازنه النفسى » •

يقول شارنهورست فى كتابه (التكتيك) : « ان عشرة رجال » « يسقطون معا » فى ميدان المعركة ، يجبرون فوجا (أى حوالى ألف جندى) على التراجع بصورة مؤكدة ، أكثر من خمسين جريحا يسقطون « تدريجيا » فى أماكن مختلفة » •

٤ ــ اصطياد قادة العدو :

فى أثناء المعركة أمر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعض المسلمين بتوجيه كل همهم لاصطياد زعماء قريش وساداتها من بين صفوف الأعداء واستئصالهم ، (وهو ما يعرف بأعمال القناصة) لكى تحدث بقتلهم صدمة وارتباك فى صفوف الأعداء •

واذا كانت القاعدة الحديثة فى اختيار القناصة هى توفر المهارة فى الرماية ودقة الملاحظة ، فان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد أضاف الى ذلك عاملا جديدا هو « الدافع الذاتى » الذى هو أغوى الدوافع ، فقد اختار بلالا لاصطياد أمية بن خلف وهو من كبار قريش وكان يتفنن فى تعذيبه بسبب اعتناقه الاسلام فى أيام ظهوره ، فكان يأخذه الى الصحراء فى القيظ ويضجعه على ظهره ويضع صخرة عظيمة على صدره ليرجع عن اسلامه ، ولكن بلالا كان يردد قولته المشهورة « أحد أحد » ، وكذلك اختار الرسول ابن الصفراء لقتل أبى جهل لمثل ذلك •

٥ ــ سيطرة المسلمين على الماء :

ولقد كسب المسلمون قبل أن تبدأ المعركة « نقطة تفوق » على عدوهم باتخاذهم موقعا يسيطر على الماء ، وهو أمر بالغ الأهمية فى حروب الصحراء ، ثم ان من أهم ما يسعى اليه القائد المحنك ، أن يجر عدوه الى الدخول معه فى معركة فوق أرض من اختياره هو ، وبذلك يوقعه فى حالة من التشتت والتمزق النفسى •

وقد عبر عن هذه الحالة اندفاع الأسود ابن عبد الأسد وهجومه على الحوض الذى بناه المسلمون على بئر بدر وهو يقول : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه !!

وبعد فلقد كانت بدر ميدانا عمليا لظهور النظرية الاسلامية فى النصر على عدو متفوق ، ومقومات النصر بمقاييس الاسلام ، فاثبت لنا الرسول القائد ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن القوة المحدودة الموارد والقدرات تستطيع بقوة الايمان والعقيدة الراسخة مع الادارة العلمية والتخطيط الجيد أن تقهر القوة المتفوقة عليها والتى تفتقر الى هذه المقومات •

(تم البحث)

شعر وشاعر

محمد اقبال

الفتح الأكبر

محمد فضل اسماعيل

طرائف

شاعر الاسلام

محمد اقبال

-٣-

فيلسوف الاسلام ، ضوأت مغناه ، وجددت بالسنا الآمالا
وعلى دربه هديت الحيارى وفتحت الأبواب والاقفالا
وجلوت الفكر المغبر حتى عاد كالسيف جلوة وصقالا
راعك المسلمون حين أضاعوا المجد لما تقطعوا أوصالا
طوردوا كالجراد فى كل أرض بعد عز ، وعانوا الاذلالا

أين أيام بأسهم فزع الدنيا صداه ، فاجفلت اجفالا ؟
وخطاهم قد رجت الأرض زحفا : قدسيا ، فزلزلت زلزالا ؟
وهتاف مجلجل ضج بالتكبير فتحا وللسماء تعالى ؟
كم الى الاتحاد ناديت لما لم تجد كالشتات داء عضالا (١)

ودعاء التوحيد فى أذن الشرق أذان تشدو به اهلالا

ضج فى سمعهم فأصغوا خشوعا وراوا فيك من جديد (بلالا)
أى دنيا لمن يضيع دينا وبه تبلغ النفوس الكمالا ؟

---

(١) كان اقبال يدعو الى الاتحاد ، ويرى أن التوحيد وسيلة الوحدة والقوة ، وفى ظلاله يستوى الناس ، وبه تتحقق الآمال .

للدكتور حسن جاد

يستوى الكل فيه سودا وبيضا لا عبيدا وسادة اقيالا
اخوة فى الحقوق مهما تناءوا عنصرا أو تباينوا أشكالا

وهو الله فوق كل البرايا واحد جل قدرة ومحالا
وسع الخلق رحمة منه عمت كل شىء ، وقدر الآجالا

ما على المسلمين لو وحدوا الصف فقادوا المنى وراضوا المحالا ؟
واستردوا بالاتحاد المرجى وطنا ضائعا ، ومجدا مدالا

ينعب اليوم فى حمى المسجد الأقصى ، وفى القدس مندبات الثكالى
والقداسات دنستها خطا الرجس هوانا ، واوطاتها النعالا

وكان المآذن الشم أيد ضارعت شكاية وسؤالا
معولات وما لهن مصيخ ليت شعرى من يسمع الاعوالا
عصبة فى الحمى تعيث ذئابا وعلى أرضه تدب صلالا

شاعر الحق والجمال رأيت الشعر حقا وقوة وجمالا
وصلاة روحية تتسامى ليس بالشعر ما يكون ابتذالا

انما الشعر نفحة من عبير الروح تهفو قداسة وجلالا
وسمو يرقى الى الله بالشاعر حتى يدنيه منه اتصالا

شاعر الخلد كم صبوت اليه فاغنم الخلد منزلا ومآلا

الفتح الأكبر

اذهبوا فأنتم الطلقاء "الرسول الكريم"

يــوم اغــــر ومهرجـــــان مشرق ... ضــاح عليــه من الجـلالة رونــق
الأرض فيــه والســماء ازدانتــا ... بأجـل ما يهب الربيــع ويغــدق

واهتــزت الصــحراء فهى خميلــة ... تهفــو لرؤيتهــا القلــوب وتخفــق
فى كــل مسـبح نظــرة حلم يــرى ... ومنـــى تتـــاح وفرحـــة تترقرق

والغـــار والجبــل المقدس شــاقه ... نور على نور الســـــما يتالق ...
والبيت ذو الأســـــتار يهفو فرحة ... حتى يكاد من التشـــوق ينطـــق

والــروح يدنــو والملائــك تلتقــى ... زمـرا على ركب النبــى تحلـــق

أم المـــدائن لــم أقــل أم القــرى ... « بغداد » تعــرف ما أقول «وجلق»

منك اســتمد الغرب اشعاع الهــدى ... وطــوى الضلوع على ســناك المشرق

لــولاك فى الصــحراء ظلت قفــرة ... تودى بأعمــار الرجــال وتحـــرق

ارايت كيف اعتز من عــرف الهــدى ... وهـــوى فالصــق بالتراب الأحمــق

اين الجبـــابر فى رحـــابك ؟ راعهم ... صدق النذير فآمنوا ؟ أم أشــفقوا ؟

للأستاذ عبد العليم القباني

صفر الوجوه عليهم سمة الأسى ... والذل تعتصر الوجوه وترهق

عاد الرسول اليك يزجى فيلقا ... تعنو لعزته الجبال وتطرق

بيمينه من وحى ربك معجز ... أعيا البيان ، وحار فيه المنطق

دانت لدعوته العقول فاشرقت ... والليل يجلوه الصباح فيشرق

يوم النبوة لو شهدت جلاله ... لدرت عيون الشعر كيف تنسق

والجاهلية فى التراب مهانة ... ترنو الى ألق السيوف وتفرق

وجنودها بالقاع بين مصفد ... ترب الرداء ، ومطلق يتملق

حتى اذا اضاق الرجاء وزلزلت ... ألباب قوم واستبيح المغلق

وبدا الفضاء لهم كأن صفاءه ... جدران سجن تشمخر وتطبق

طلع الرسول فثبتت أبصارهم ... لا تستبين سواه فيما ترمق

واذ الرسول يطل من عليائه ... ويقول والمهج الخواشع تخفق

« ماذا ترون اليوم انى فاعل ... بكم » وكلكم أسير موثق

« قالوا الكريم ابن الكريم » أجل من ... أن يستبد به الخصام فيحنق

« قال اذهبوا » جمعا فان شمائلى ... تأبى مؤاخذة السفيه وتسمق

عبد العليم القبانى فى ديوانه " لله وللرسول "

" العزف على الوتر الأخير "

- ١ -

نبت هذا الشاعر فى عمق أعماق الشعب ، ودرج بين ظهرانيه ، فشرب من منابعه ، وصدر عن آماله وآلامه ، وشق طريقه بين الوعور وصلد الصخور، ليصبح واحدا من أكبر شعرائنا المعاصرين ، الذين أثروا حركة الشعر العربى الحديث ، باضافات خصبة أصيلة .. وعلى الرغم من ذلك لم نقرأ عنه بعد الدراسة المستوعبة التى تلم بشتى جوانبه ومناحيه ، وما قدم للمكتبة العربية من مؤلفات قيمة عديدة ، فى الشعر والأدب والسير .

ويرجع تاريخ ميلاده الأدبى الفعلى ، الى مهرجان الفنون والآداب الكبير ، الذى أقيم بدار الأوبرا عام ١٩٤٨ ، للاشادة بالفائزين فى المباريات العديدة التى أجريت بين شباب مصر ، فى الشعر والزجل والخطابة والقصة القصيرة والتمثيليات الاذاعية ، والتصوير والنحت والأشغال الزخرفية الخ .. وكشف هذا المهرجان عن أدباء وشعراء موهوبين ، يقبعون فى الظل ، فى انتظار الفرصة الملائمة للذيوع والانتشار .

وكان « عبد العليم محمد القبانى » الترزى العربى بـ «باب سدرة» بالاسكندرية ، هو الفائز الأول بجائزة الشعر ، بقصائده الأربع التى تقدم بها لهذا المهرجان واختير منها ثلاث قصائد ، واستبعدت القصيدة الرابعة ، التى كانت أشبه ما تكون بارهاص أو تنبؤ ، بثورة يوليو ، التى قامت بعد ذلك بأربع سنوات ، عام ١٩٥٢ ، وفيها يقول :

أخشى على الشرق المسالم ثورة
شماء تعصف بالبناء وتحدق
انى لألمح فى الرماد وميضها
وتكاد السنة الحوادث تنطق

وكان هذا العام — عام ١٩٤٨ — قد شهد حرب فلسطين ، وما حفلت به من أحداث جسام ، مثل قضية الأسلحة الفاسدة وغيرها .

بقلم أحمد مصطفى حافظ

أما الفائز الثانى بهذه الجائزة فكان الشاعر « كمال النجمى » — رئيس تحرير مجلة الهلال حاليا — عن قصيدة بعنوان : (سراب) •• وفاز بالجائزة الثالثة الشاعر الريفى « عبد المنعم قنديل » الذى كان يقيم ببلدة « أبو طوالة » ، من أعمال مركز منيا القمح •

المنابع الرائدة :

وكان ميلاد شاعرنا عبد العليم القبانى بقرية (مطوبس) بمحافظة كفر الشيخ فى اليوم الثانى من شهر أغسطس عام ١٩١٨ ، وانتقل مع والده ، الذى كان يعمل خياطا بلديا ، الى الاسكندرية سنة ١٩٢٢ ، لأن أغلب فروع العائلة كان مقيما بالاسكندرية منذ زهاء قرن ونصف من الزمان •

وفى سن السابعة أدخله والده أحد « الكتاتيب » ، حيث تعلم مبادىء القراءة والكتابة ، وحفظ بعض أجزاء من القرآن الكريم • وحين بلغ العاشرة أخرجه والده من (الكتاب) ، وضمه اليه ، ليعمل صبيا فى دكان الخياطة •• وكان والده يحب الاستماع الى سيرة عنترة العبسى ، وهى مليئة بالشعر الحماسى الذى يتخلل صفحاتها ، وهى تقع فى خمسين جزءا •• وجاء وقت كلف الوالد نجله عبد العليم بالقراءة له فيها •• واستوقف نظر عبد العليم وسمعه هذه الترنيمات والايقاعات ذات القافية المتواترة والنغم الرتيب ، التى يسمونها : شعرا •• فتعلق بها فؤاده ، ووجد صدى عميقا لها فى أعماق وجدانه •

وكان عبد العليم أكبر أبناء والده ، وله أخ واحد وأختان •• وعلى الرغم من أن أخاه هذا لم يتخرج من مدرسة أو معهد عال ، الا أنه كان ذا موهبة كبيرة فى الرسم ، جعلت الكثير من المعارض فى أمريكا وفرنسا تقتنى لوحاته وتحتفل بها بعد ذلك ، أى أن (عبد العليم) كان يرسم بالكلمة ، وكان شقيقه الأصغر (محمد) يرسم بالقلم والفرشاة والطباشير •• وكان فارق السن بينهما — وقدره ثمانية أعوام — سببا فى افلات (محمد) من براثن الخياطة •• ليس لاستكمال العلم بالمدرسة الأولية ، وانما للالتحاق بشركة الغزل الأهلية ، التى استمر فى العمل بها حتى سوى معاشه منها فى سن الثانية والخمسين ، ليخلص للفن ، الذى حلق فيه وأجاد ، وكانت آخر

وظيفة له بشركة الغزل هى وظيفة (كبير مصممى نقوش الأقمشة) .. وله شهرة عالمية فى هذا المجال بأوربا وأمريكا ، حيثتوجد مقتنيات من أعماله بها ، وأقام الكثير من المعارض بقصور الثقافة ومعهد (جوتة) بالاسكندرية والقاهرة .

ونرجع الى شاعرنا ، لنعلم أن رواد محل الخياطة كانوا من المشايخ الذين يتلون كتاب الله فى المحافل ، ومن طلبة وأساتذة المعهد الدينى بالاسكندرية ، ومن ثم أفاد الصبى من احتكاكه وتعامله مع هؤلاء الطلبة والأساتذة والمشايخ ، ومن هذا المنبع الدينى الثر ، ثبت الفصحى على تعبيره ونتاجه ، والا فقد كان من المنتظر أن يصبح زجالا ، خاصة وأنه كان قد نظم قليلا من الأزجال الاجتماعية فى بدايته .

وفى هذه الأثناء ، لفت نظر : (مأذون الحى) ، وكان يحمل عالمية الأزهر ، واسمه الشيخ (أحمد البصار) ، وكان هذا المأذون يقرض الشعر ، وذا بصر وباع طويل فيه ولهذا رحب بانتاج الصبى الصاعد ، وأخذ يرشده الى السبيل السوى لتجنب بعض المآخذ .. وكان فضل هذا الرجل كبيرا على شاعرنا ، اذ كان نقده له موضوعيا .

ولعل من أحسن توجيهاته له ، قوله : « اننى أريد أن يكون شعرك وجدانيا أصيلا ، بحيث لو ترجم الى لغة أخرى ، لما فقد شيئا من مضمونه الشعرى .. » .

وكانت طريقته فى النقد فذة حقا ، اذ يدع الصبى الشاعر يلقى قصيدته أمامه ، واذا جاء بيت ليس كما يجب أن يكون ، استوقفه ليسأله عن معناه ، ولا يزال يسأله ، حتى تبدو ركاكته، لأذن وعين الشاعر نفسه ، دون أن يوجه اليه لوما مباشرا ، أو عتابا قارصا .. واعتاد الشاعر عبد العليم ، أن يقرأ عليه القصيدة ، بعد ذلك ، حتى اذا أحس أن بيتا ما يلوح ضعيفا فى السياق ، تخطاه من تلقاء نفسه ، ويحس الشيخ — المأذون — أن عبد العليم قد تخطى شيئا .. فيحمد أنه قد أدرك الأمر بنفسه . ولكنه كان يقول : « كنت أود لو أنك وفقت الى ألا تشعرنى بأنك تخطيت أى شىء .. »

ومن هنا كان الأساس لوحدة القصيدة عند عبد العليم القبانى ، هذه الوحدة التى تبدو متلاحمة متماسكة تماما فى شعره . ولعل أبرز ما يكون ذلك فى قصيدته (الله والعقل) بآخر دواوينه : (لله وللرسول) ، التى يضيف بها بعدا جديدا لما أورده الكاتب الكبير « مصطفى محمود » بكتابه (حوار مع صديقى الملحد) .. وذلك أن أحد الأشخاص ، كما يقول القبانى فى مقدمة القصيدة ، أراد أن يدرك ذات الله سبحانه وتعالى .. فكانت هذه الأبيات :

سعى ليدرك ذات الله عن كثب
فاوغل السير فى سهل وفى جبل
حتى اذا لم يجد فى بحثه أملا
وأوشك العقل أن يختل من كلل
رأى غلاما بشط البحر مشتغلا
بحفر بئر .. بلا يأس ولا ملل

فقال : ويحك ، مـاذا تبتغى ؟ فـرنا
اليـه فى ثقـة كبـرى ، وفى أمـل
وقـال : انى أريـد البحـر أنقلـه
لهذه البئر .. هلا زدت فى عملى ؟
فقال : ويحك هـذا البحـر تنقلـه
لهذه البئر ؟ هـذا منتهى الخبـل
فقال : حسبك يا من جئت ترشـدنى
لقد تمـاديت فى لومى وفى جـدلى
أ أنت أكبر .. أم رب الوجود ، مدى
حتى ترى نقله .. فى رأسك الثمل ؟؟

هذا وان كان قد ورد فى الحديث القدسى ، قوله تعالى :

« لم تسـعنى سـمائى ولا أرضى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن (١) » .

اهم الروافـد :

وقد تأثر عبد العليم القبانى أول ما تـأثر بشعر الأقدمين ، وفى مقدمتهم عنتره العبسى ، من قراءاته المتكررة لسيرته كما تقـدم ، ثم تأثر بالمتنبى وشوقى وحـافظ ، من واقـع ما أهداه له المشايخ بالمعهد الدينى السكندرى ، من دواوين .

ثم تأثر بأبى القاسم الشابى واليـاس أبى شبكة من قراءاته لمجلة (أبوللو) . وافتتن افتتانا كبيرا بعلى محمود طه ، كما يبـدو فى قصيدة : (ليالى البحيرة) . متأثرا بصـياغة قصيدة (الجندول) لعلى محمود طه .

هجرة جبرية :

وحينما نشبت الحرب العالمية الثانية ، هاجر الى الريف بعد جحيم القنابـل التى صـبتها الطائرات المغيرة على الاسكندرية ، واسـتقر بقرية (أبو مندور) ، ثم بقرية (مطوبس) ، مسقط رأسه ، حيث وصـف بعض حـالات ومشـاهد الريف ، وأثر الغـارات على الاسكندرية .

الشـاعر يلتقى بمجـده :

وفى منتصف ديسمبر سنة ١٩٤٧ م ، حينما أعلنت الادارة العامة للثقافة بوزارة (المعارف) عن المسابقة الأدبية والفنية التى تقدم ذكرها ، ظل عبد العليم القبانى ــ الذى لم يتجـاوز عمره الثلاثين عاما كشرط المسـابقة ــ ظـل يرتقب النتيجة ، بعد تقدمه لهذه المسـابقة بأربع قصائد مختلفة الأغراض ، كما ذكرنا من قبل .. ويحسن أن نصف تفاصيل ما حـدث

---

(١) حديث : لم تسعنى سـمائى ولا ارضى .. الخ رقم ٢٢٥٦ .
ذكره العجلونى فى كشف الخفاء ج ٢ ص ٢٧٣ طبع مكتبة التراث الاسلامى بلفظ : (ما وسعنى سمائى ولا ارضى ، ولكن وسعنى قلب عبـدى المؤمن) وقال : ذكره الغزالى فى الاحياء بلفظ : قال الله : لم يسعنى سمائى ولا ارضى ، ووسـعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع .. قال العراقى فى تخريجه لم ار له اصلا ووافقه تبعا للزركشى ، ثم قال العراقى : وفى حديث ابى عتبة عند الطبرانى بعد قوله : وآنية ربكم قلوب عباده الصـالحين ، واحبها اليه الينها وارقها . ا هـ .
وقال ابن تيمية : هو مذكور فى الاسرائيليات ، وليس له اسناد معروف عن النبى ــ صلى اللـه عليه وسلم ــ وهناك فى المقاصد تبعا لشيخه فى اللآلىء ليس له اسناد معروف عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ا هـ « الباجورى » .

للقارىء ، ليدرك مدى طرافته .. فقد فوجىء الشاعر عبد العليم القبانى قبيل الظهر من يوم الثلاثاء — الرابع والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٤٨ — بسيارة فخمة تقف أمام دكانه المتواضع ، وكان هو صاحب المحل فى ذلك الوقت ، بعد وفاة والده سنة ١٩٤٢ وهبط من السيارة رجلان مهيبان ، وبعد أن تطلعا الى لافتةالدكان ، سألهأحدهما أن يدله على الشاعر « عبد العليم القبانى » ، فلما أجابه بأنه هو .. عبد العليم القبانى علت جبهتى الرجلين تقطيبة الدهشة .. بينما اتسعت نظراتهما ، لتضم الجلباب البلدى الذى يرتديه ، و « الكاكولا » التى يتدثر بها ، والمنضدة التى يقف وراءها ، وقطعة القماش التى لم يجر فيها المقص بعد .. وأجزاء من كتب وبقية من ورق أعد للكتابة .

وسأله أحدهما عما اذا كان قد اشترك فى مسابقة وزارة المعارف ؟ فأجابه بالايجاب .

وأخرج الرجل القصائد — التى اشترك بها عبد العليم — من حافظته ، وسأله :

— أهذه هى القصائد ؟ قال : نعم .

ثم وجه نظرهما الى أنه قد جمع بين أوراق القصائد بالابرة والخيط ، وليس بالدبابيس كالمعتاد ! .. وفى ذلك اشارة للمهنة التى أوضحها فى كتابه ، وأنكروها عليه فى اللجنة ، تلك اللجنة التى كانت مكونة من الأساطين : عباس محمود العقاد ، وابراهيم ناجى ، وعلى الجارم .. فشكوا فى نسبة القصائد اليه (١) وقدم المندوبان نفسيهما له ، بأنهما : « محمد فريد أبو حديد ، مدير عام الادارة العامة للثقافه بوزارة (المعارف) ، وزميله الأستاذ عبد الحميد العبادى ، عميد كلية الآداب بالاسكندرية .

وأبدى الشاعر سروره الشديد بتشريفهما ولما كان الشاعر قد نشر بعض أعماله الشعرية فى مجلة الثقافة ، التى كان يشرف عليها (أحمد أمين) و (فريد أبو حديد) فى ذلك الوقت ، فقد ذكرهما بما نشر ..

وقد كانت ذاكرة الشاعر قوية جدا ، لدرجة أنه استعرض لأبى حديد ما علق بذاكرته من مقطوعات كاملة من ملحمة (سهراب ورستم)، التى ترجمها أبو حديد شعرا مرسلا ، عن « ماثيو أرنولد » ، ونشرها بمجلة الثقافة قبل ذلك بأعوام مضت .

وقد ترك هذا اللقاء انطباعا حسنا فى نفس أبى حديد ، عبر عنه فيما بعد بقوله ، بالدراسة الملحقة بديوان : (بقايا سراب) للقبانى : « ان القبانى مثال للأديب الذى جردته الظروف من كل زخرف ومن كل بهرج ، ولا أظنه يأنف أو يغضب حين أقول هذا عنه وقد عرفت حينما تقدم ببعض شعره الى المهرجان الذى أقامته ادارة الثقافة سنة ١٩٤٨، وفاز بالجائزة الأولى ، وأرادت الوزارة أن تدعوه لحضور المهرجان ، فبحثت عنه طويلا ، حتى كادت تظن أنه اسم مجرد لا يدل على حقيقة ، وتطوعت أنا بالذهاب للبحث عنه ، حتى عثرت عليه آخر الأمر فى أعماق أحد الأحياء الشعبية بالاسكندرية ، وكان أول ما طالعنى منه ، صفحة وجهمتهلل، تشرق عليه ابتسامة رضا ، فوق صبغة من حمرة الخجل . كان وجهه يشى بأنه يجد فى شعره

علالة حياته ، وبأن كل مافى الحياة من مباهج ومن ثراء ومن مجد ، لا يعنى عنده شيئا الى جانب الصور التى يناجيها فى شعره ، والأجلام ذات الأضواء العجيبة ، التى ينقلها الى عالمه .. » (٢) .

وقام الشاعر بالقاء قصيدته الفائزة : (ليالى البحيرة) بدار (الأوبرا) بالقاهرة وتسلم الجائزة من عبد الرزاق السنهورى ، وزير المعارف فى هذا الوقت .

ومن عجب أن اللجنة عهدت فى أول الأمر بالقصيدة الى الفائز الأول فى التمثيل ، فالفائز الأول فى الخطابة ، ثم .. الى الشاعر عبد العليم القبانى نفسه وبعد استعراض الالقاء لدى الثلاثة ، اختارت الشاعر عبد العليم لأنه كان أكثر احساسا بمعانى الكلمات ، وبالتالى .. لتجسيدها بالصوت الملائم والنبرة المعبرة . ولعل من أستاذية فريد أبو حديد وأبوته الصادقة أن حاول بث الثقة فى نفس الشاعر بشتى الوسائل لاسيما أن هذه هى المرة الأولى بالنسبة له ، التى يواجه فيها جمهورا عريضا من هذا الطراز ، ذى المستوى الرفيع . كأن يقول أبو حديد للشاعر : ــ لاتهمك هذه الرءوس العالية التى تراها ، لأنها لأناس مثلى ومثلك ، رفعتهم الظروف .. » بل لعل أبا حديد كان يحاول اضحاكه ، حين استطرد قائلا بسخرية خفيفة : « لا تخيفك هذه الرءوس لتجمعها ، فليس بينها وبين رءوس الحجاج ، الا أنها لم تجد (حجاجها) بعد ! .

وقام الشاعر ــ بزيه البلدى ــ بالقاء قصيدته واستقبله الجمهور استقبالا حافلا ، لم يتخيله قط ، وكانت اذاعة القاهرة تنقل هذه الاذاعة على الهواء مباشرة .

وعاد الشاعر الى الاسكندرية وقد تفتحت آفاقه ، وارتفعت معنوياته ، وانطلق الى عالم الشعر الرحيب بكل ما يملك من طاقة .. وكان أبو حديد قد وعده باهداء مؤلفاته اليه ، عندما لم يجد كتبا بالقدر الكافى عنده .. ومرت عشرة أيام ، بعث الشاعر الى أبى حديد بعدها بأبيات يقول فيها :

أوليتنى منن الكريم وزدتنى
شرفا ، وأتبعت الجميل جميلا
وجعلتنى فى كل ناد غنوة
تشدو بفضلك بكرة وأصيلا
وأنا ابن عطفك .. لو كشفت جوانحى
لوجدت رسمك فى الفؤاد دليلا
أحييت آمالى .. وكنت وأدتها
وبعثتها ظلا على ظليلا
ووعدتنى الكتب الحسان .. فهل ترى
وجد السلو لما وعدت سبيلا؟!

الى آخر القصيدة .. فكان أن أرسل أبو حديد الى الشاعر عشرة كتب من مؤلفاته .

وكان من صدى حصول الشاعر على الجائزة الأولى للشعر ، قول الدكتور عبد اللطيف حمزة تعقيبا على ذلك : « عجب الناس فى مصر ، حين حملت اليهم الصحف نبأ الجائزة التى فاز بها فى الشعر أحد سكان الاسكندرية ، وهو ترزى بلدى ، وذهب اليه مدير عام الثقافة بوزارة المعارف يهنئه ويتعرف عليه ، أما نحن فلم نعجب لهذا النبأ ، لاعتقادنا أن الشعر مخلوق ديمقراطى .» واختتم الدكتور حمزة مقاله ، بقوله « ولعل هذا المقال أن يكون تحية لفنى الاسكندرية الشاعر . »

طرائف

مفاتيح خير

مفتاح الصلاة الطهور ، ومفتاح الحج الاحرام ، ومفتاح البر الصدق ، ومفتاح الجنة التوحيد ، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الاصغاء ، ومفتاح الفلاح التقوى ، ومفتاح الاجابة الدعاء .

إلى المرأة المسلمة

اهدى أحد أبناء أسماء بنت أبى بكر — رضى الله عنها — لها ثيابا رقاقا — ، وكانت قد عميت — فلما لمستها ردتها .

فقال لها ابنها : انها لا تشف ! .

فقالت : ان لم تشف فانها تصف ! .

غريب

قال الشاعر :

غريب الدار ليس له صديق
جميع سؤاله : أين الطريق ؟
تعلق بالسؤال لكل شىء
كما يتعلق الرجل الغريق
فلا تجزع فكل فتى سيأتى
على حالاته سعة وضيق

« حقا »

أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه .

متنبئ

لما ادعى المختار بن أبى عبيد الثقفى نزول الوحى عليه فى آخر زمان الصحابة قيل لابن عباس :

— ان المختار يزعم أنه يوحى اليه .

فقال حبر الأمة :

— صدق

فقالوا : وكيف ذلك ؟

فقال : قال الله تعالى :

إعداد :

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

مواقف

هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كــل أفــاك أثيم •

قــالـوا فى العـلم

* رتبة العلم أعلى الرتب •
* ردع الغضب بالحلم ثمرة العلم •
* دليل عقل المرء فعله ، ودليل علمه قوله •
* العلم وطن فى الغربة ، والجهل غربة فى الوطن •

وقال ابن قتيبة : لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل •

وقال بعض الحكماء لابنه : خذ العلم مــن أفواه الرجال فانهم يكتبون أحسن ما يسمعون، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويقولون أحسن ما يحفظون •

قال الشاعر :

العلم يحيى قلـــوب الميتين كمــا
تحيا البلاد اذا ما مســها المطــر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه
كمــا يجلى ســواد الظلمة القمر

هـــل تعـــلم ؟

* أن أول من اغتاب ابليس اغتاب سيدنا آدم ــ عليه السلام ــ بقوله : « **خلقته من طين** » قاله على سبيل التعبير •
* وأن أول كلمة قالها سيدنا ابراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ حين ألقى فى النار « **حسبى الله ونعم الوكيل** » •

وجرت كالمثل عند نزول المحن •

* وأن أول من بعث على رأس المائة الاولى عمر بن عبد العزيز ــ رضى الله عنه ــ فانه بعد الصحابة أول الأبرار ، وعلى رأس المائــة الثانية المأمون بن هارون الرشيد ، وكان أعلم الخلفاء العباسيين•

دعـــــاء

يا من لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلطه المسائل ، ولايبرمه الحاح الملحين ، أذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك •

محمد فضل اسماعيل

عندما يهل فصل الصيف على القاهرة ، حاملا معه تلك الحرارة المشبعة بالرطوبة ، فتمتلىء النفس بالخمول والكسل ، ويخترق أعصابنا « فيروس » الملل هذا العدو الأكبر للفنان ... عندما يأتى الصيف بنهاره الطويل ، باعثا فينا مشاعر الكآبة والوحشة.. تمر بنا ساعات مديدة يحس الفرد منا بضرورة قطعى فى التسلية والترفيه عن النفس ، بعمل آخر غير أعماله اليومية الرتيبة وقد يكون الفرد رب أسرة له من الأبناء ما يشغل فراغ وقته ولكن المثل يقول « لكل جديد زهوة » .

فى هذه الساعات المملة ، يتوق الانسان الى الخروج من حيز نفسه ومجال تفكيره لينطلق . ولكن الى أين ؟ . والشارع خال الا من الوجوه العابسة الغارقة فى عرقها الكادح .

الى أين والشارع يكلف النفس فوق طاقتها من ملبس ثقيل وحرارة جو أثقل . عندئذ تستهوى الانسان فكرة . فينهض من مقعده خفيفا ، نافضا عنه أعباء ملله ثم يدق باب الشقة المجاورة حيث يفتح له جاره الباب على مصراعيه ، مستقبلا اياه بالبشاشة والترحاب ، وحيث يلتف حوله أبناء الجار من كل سن وجنس ، يصيحون ، ويصرخون ، ويضحكون ويتسابقون نحوه ، فيهرع الزائر الى ضم هذا وتقبيل ذلك والربت على كتف هذه وعناق تلك .

وتمر الساعة بل الساعات ، ويعود الزائر الى شقته وقد نسى ملله واكتسب قوة جديدة يدفع بها عن نفسه جبروت ساعة أخرى مملة وهكذا الشاعر مع الشاعر فهما جاران متجاوران فى المبنى الواحد ... يحس كل منهما بحنين واحتياج الى زيارة الاخر ، والجلوس معه ، والتحدث اليه فى غير ما كلفة أو حرج .

وهذا ما فعلته أنا ، حين طرقت الباب الكبير لديوان شاعر وادى النيل الراحل محمد فضل اسماعيل ، رحبت بأبنائه القصائد ورحبوا هم بى ، عانقتهم فى حب واعزاز فالتفوا حولى وقضيت معهم ومع أبيهم أمسية رائعة قل أن يظفر بها « فنان أو يصادفها شاعر ، أجل قضيت هذه الأمسية فى شقة هذا الجار الكريم ، قدم لى كأس أشعاره الصافية

للشاعرة جليلة رضا

المعتقة ، فاذا بى أحلق معه بجناحى الضعيفين فى أرجاء فضائه الواسع .

واذا بى أحث الخطى خلفه فى دروب حياته المليئة بالزهور والأشواك جذبتنى خطواته الجريئة نحو كهوف مغاراته وهزنى مجدافه القوى الراقص فوق أمواج سبحاته حتى اذا ما أفقت وعدت الى نفسى وجدتنى وقد ملأت ساعاتى الموحشة التى تتخلل حياتى ، ملأتها بأجمل ما يوحى الى النفس بالبهجة والغبطة وبأعمق ما يشحن العقل بالمعرفة والخبرة ..وبأدق وأشف ما يبعث فى القلب من أحاسيس وذكريات وهكذا تحديت الملل .

وتلك هى رسالة الشاعر فى الحياة ، ويالها من رسالة ، فالشاعر الأصيل هو الذى يمنح قارئه من القوة ما يدفعه الى مصارعة أحداث زمانه ومن النور ما يجلو به دياجير مكانه ومن المشاعر النقية العارمة ما يغسل بها صدأ وجدانه .

ان الشاعر الأصيل يبلغ أسمى درجات الانسانية الشماء فهو قبل أن يولد قد وشمته الأقدار وعندما ولد كلل النور جبينه وأحرقت النار مهجته فهو فى بعض أبيات قصيدتى « أغنية شاعر »

أنا من عشت ظمآنا وليس لغلتى منقع
وهذى الكأس كأسكمو بكل هوى الدنى تترع
قذفت بها وراء الطهر فارغة ولم أشبع
فخمرى من دنى أخرى وثورى من سنا أبدع
وخلف جبينى المحموم كون آخر أوسع

ان الشاعر الأصيل يمتلك الدنيا بأسرها ، يصنع بها ومنها ما يشاء حتى اذا جاءها ليحقق لنفسه حلمه المنتظر وجدها وهما وسرابا ..

أنا كم غرست النور والآمال فى قلب الشجر
وأقمت أفراح النجوم لكى يباركها القمر
وخطبت أسراب الرياح والعاشقات الى المطر
أنا كم زففت الكلمة النشوى الى حضن الوتر
وفشلت حين أردت أن أحظى بحلمى المنتظر

تلك هى اذن رسالة الشاعر ، يظمأ ليروى ويملك ليعطى ويرسل من خلال نافذته

محمد فضل اسماعيل

الواسعة المطلة على جناته نسمات روحه الرطبية حينا والدفيئة أحيانا يرسلها الى اللاهثين والمقرورين فى كل صيف وشتاء وهكذا فعل شاعرنا الراحل محمد فضل اسماعيل • كان شاعرا بمعنى الكلمة حياته ، حركاته ، تصرفاته ، تمرده وعصيانه ، فأما حياته فقد تجلت واضحة صادقة من خلال قصائده المشحونة بالانفعال السائد سواء كانت تلك القصائد دينية أم وطنية ، مثال ذلك فى قصيدة « أبا الزهراء » •

أبا الزهراء ان الأرض شاهت
وصار الرأى فيها للجبان
ودب اليأس فى كل النواحى
وخيم فوقها نسج الهوان

واصبح كل ذى حق غريبا
عن الدنيا •• يعانى ما يعانى

سلاسة فى اللغة وجمال فى التعبير مع وضوح فى المعنى وموسيقى منغمة •• كل ذلك مع انفعال قلبى صادق •

وأما الوطنية الحماسية ففى قصيدته « لا تيأسوا » •

ما الفرق بين المرء يصبح جاهلا
غرا •• وبين فصائل الحيوان
المجد كل المجد أن تتقدموا
الشر كل الشر للمتوانى

وأما تصرفاته الشخصية فقد أوفاها الشاعر والصديق الحميم لصاحب الديوان الأستاذ أحمد مصطفى حافظ حقها فى الديوان ونحن نراها أو نرى بعضا منها فى قصائد الحرمان حين يعجز عن تحقيق مآربه الخاصة فيقول وقد بلغ سن التقاعد •

أموت على المكاتب كل يوم
فكيف اليوم أفزع من فراشى
كسبت لقيمتى ستين عاما
كما كسبت لقيمتها « المواشى »

وأما عصيانه وتمرده على أوضاعه فى ظروف معينة معروفة فقد حولها الشاعر الى دعابات ونكات وتلك هى طبيعة الانسان المصرى السودانى حين يلم به ظلم ويحوق به هوان ، ولأنه شاعر قدير فقد أبدع فى نظم هذا النوع من القصائد مثل « مجهل لا مدرس» و « الى طفيلى » او « الى دعى » وهى عامة قصائد تنم عن اعتماد بالنفس وكبرياء وشامخة كل الشموخ •• أبية كل الاباء ، فمن أين اكتسب شاعرنا الجليل محمد فضل اسماعيل هذا الشمم النبيل ؟ وهذه النفس المنطلقة التى لا تحدها حدود ، من أين اكتسب هذه الروح الفنية المغامرة التى تهزأ بالالم وتسخر بالأحداث ؟ من أين اكتسب حب الفروسية وحمل السلاح ؟ ربما ورثها عن أجداده الفراعنة القدامى •• أو ربما عن آبائه السودانيين العظام ، ربما كان « هذا وذاك •• فهو رغم وجوده بمصر أكثر من نصف عمره لم ينس قط وطنه الأول ومغانى صباه فى السودان حين يقول •

منابع النيل طالت فيك أشجانى
وطال للصحب فى واديك تحنانى
سقيتنى فى صباى الحب فامتزجت
بالحب نفسى ولم تنزع لسلوان

كم عشت فيك خلال الدور مغتبطا
وكم ظفرت بأحباب وخـلان

الى ان يقول بقصيدته « السودان فى عدسة المصور » .

ما لى اذا ذكر السوادن عـاودنى
طيب الحياة كأنى جـد نشـوان
فكم نثرت شبابى فى خمـائله
وكم نظمت بـه فى المهد الحـانى
سل الأحبة عن « حلفا » وجارتهـا
وسل رفاق الهوى فى « أم درمان»
وسل جزيرة « أرجو » وهى قائمة
فى منظر من جلال النيل فتـان
وسل اذا شئت فى«العطمور» عن سفرى
وكيف كان لدى«الخرطوم» ندمانى
دور لعمرى لغير الطهر ما خلقت
يا بارك اللـه فى دور وسكـان
سقيت فيها رحيق الحب من صغرى
وكنت فيها فتيا طوع ابـانى

ويسترسل فى قصيدته تلك مصورا ذكريات صباه وشبابه بالسـودان التى يلقى جـامع الديوان ضـوءا كاشـفا عليها حين يقـول فى مقدمته :

« طلب الشاعر اللحاق بالمدرسة الحربيـة فى القاهرة وهو فى السادسة عشرة مـن عمره فلم يوفق لهذا الغرض ولكنه استطاع فى آخر الأمر أن يلتحق بالمدرسة الحربيـة بالخرطوم نظرا لأن والده من أبناء السوادن ولما له مـن عمومة وأنساب فى شتى نواحى السـودان ، وكان الطالب العسكرى محمد فضل اسماعيل موضع اعجاب رفاقه وزملائه فهو شـاعرهم ولسـانهم الصـادق فى ندواتهم ومجتمعاتهم الأمر الذى أثار حفيظه « قومندان » المدرسة « الكولونيل باتيسون » وقتئذ وألب عليه مدير المعارف السودانية « المستر كروفت » ووكيله المستر « سمبسون » حيث تقرر بعد سنة مـن لحاقه بتلك المدرسة فصله مـن سـلك طلبتها وابعاده عن موطن أبيه وأجداده فورا لماكان يبثه بين الطلاب ــ بقصائده الوطنية الحماسية من روح منافية لأوضاع الحكومة السودانية وقوانينها » .

ويظهر أيضا اباء شاعرنا الراحلواضحا جليا فى قصائده « الهيات » حين يخاطب الله عز وجل فى خشوع وصدق .

الهى أنت تعـلم مـا بنفسى
وتعـلم كـل خـافيـة بحسى
فصن عـن كـل مخلوق ابـائى
ورض نفسى عـلى أدب التـأسى
عـزيز أنت فـاجعلنى عـزيزا
اذا ما عشـت أو جـاورت رمسى
فلم أر غير بـابك مـن سـبيل
ولا لسـواك قـد طاطات راسى

وعاش الشـاعر محمـد فضل فى مصر . تتجاذبه مدينتان هما السويس والاسكندريـة انهما الحبان الكبيران فى حياته وقد حمل لكل منهما أغلى الذكريات حيث يقول :

انـما الاسكندريـة
هى مهـد العبقريـة
وهى لـى دار واهـل
وهى ذات الأريحيـه

ويمجد تاريخها .

محمد فضل اسماعيل

اسكندرية قلعة الثوار
ومدينة التاريخ والآثار

هى كعبة للحسن وهى خميلة
للفن حف باكرم الأسوار

فيها قضيت من الشباب ربيعه
وبعثت فى ليل الهوى أشعارى

انه يحبها كل الحب • غير ان الحنين يعود به الى السويس مدينته المفضلة وهو الذى نظم فيها ما يقرب من عشرين قصيدة فيقول مزهوا :

على السويس تطل الشمس والقمر
فالنور فى برها والبحر منتشر

وللقناة بها عيد يجدده
يوم بتأميمها ما كان ينتظر

وللسويس يد فى كل مزرعة
لا الزرع يجحد ما أسدت ولا الثمر

وللسياحة فى أطلالها عجب
عيون موسى وعند الشط لو خبروا

انه يتغنى بالسويس مرحا منطلقا فقد أحبها الحب الذى جعله يذوب شوقا اليها ويبدع فيها أروع قصائده •

وصفوة القول • ان شعر محمد فضل تعبير خالص عن الوجدان الفردى للشاعر ، عن خلجات قلبه وأحاسيسه ، وهى فى الوقت نفسه تبدو قصائد وصفية موضوعية ، تعبر عن انطباعات النفس أمام الشكل الخارجى الواقعى العام ، فالشاعر لم يكن يوما منفصلا عن بيئته ووطنه وأخوته فى العروبة •

انه يخضع لمبدأ الالتزام :

لا لأنه ملتزم به والاكان شعره افتعالا ومبالغة واسرافا •

ولا لأنه مجرد وسيلة للتعبير عن آرائه شعرا ولكنه يقوم على احساسه بما كتب أولا ، ونفاذه الى صميم الأحداث الجارية على أرضه وبينه وبين أصدقائه •

انه شعر حى عاطفى يجمع بين عمق التعبير الفنى والتصوير الجمالى ، أما عنصر الموسيقى فيه فهو بالغ الأهمية عند الشاعر وهو يقف مع المعانى والصور الشعرية فى صف واحد وأخيرا وليس آخرا • ان حياة الشاعر محمد فضل مليئة وسمة ، وديوانه الذى قام المجلس الأعلى للثقافة باصداره عام ١٩٧٢ يعد ثروة شعرية ضخمة جديرة بالدراسة الشاملة لطلاب الدراسات العليا وهو حصيلة طيبة لأبناء الجيل الحاضر إنه وحده خميلة وارفة مزدهرة فى روضة شعرنا العربى المعاصر •

جليلة رضا

في التاريخ والفكر

نظام الادارة والقضاء

من مزاعم المستشرقين

مخطوطات مكتبة الأزهر

نظام الإدارة والقضاء

"الأتابكي والأرتقي" في بلاد الجزيرة الفراتية عبر القرن السادس الهجري

- ٢ -

ثانيا ــ القضـــاء :

اهتم الأتابكيون والأراتقة بالقضاء وببعض المناصب التى كانت ترتبط به كالقاضى والخطيب والمفتى • فقد أشار ابن الأثير الى أن الأتابكيين كانوا « يجلسون بدار العدل للانصاف والاشراف والأخذ من الاقوياء للضعفاء » ، وكانوا يحكمون بما تقضى به الشريعة الاسلامية فيامرون القاضى بتدوين اللوائح ضد الاشخاص الذين يدانون ، وبكتابة الاثبات لأصحاب الحق والاشهاد على الجميع (١) •

حظيت وظيفة القاضى ، وهى من الوظائف الجليلة التى ذكرها القلقشندى ضمن أرباب الوظائف الدينية ، باهتمام كبير لدى الأتابكة ، فكانوا يقلدون هذا المنصب لمن يرغبون أو يحجبوه عن آخرين وذلك على الرغم من أن قاضى القضاه فى بغداد هو الذى كان يقوم بتعيين القضاة فى امارات الجزيرة الفراتية فى هذه الفترة (٢) •

وكان القاضى يقوم بالفصل بين الخصوم وحل المنازعات بمقتضى الشريعة الاسلامية ، وكان له عدد من العدول يختارهم بنفسه من بين الاشخاص المعروفين بالتقوى وحسن الخلق ، حيث يقومون بمساعدته بالشهادة بين يديه أو تزكية الشهود (٣) ، وكثيرا ما كان القاضى يحتاج الى خدماتهم لمعاونته فى مهمته •

---

(١) ابن الاثير : ص ١٨٨ ، ص ٢٠٣ •

(٢) وموضوع قاضى القضاة القيام بالاوامر الشرعية والفصل بين الخصوم ونصبه النواب للتحدث فيما كفل عليه مباشرته بنفسه ، وهى ارفع الوظائف الدينية واعلاها قدرا واجلها رتبة ــ القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٤ ص ٣٤ ، ص٣٥.

(٣) ويطلق عليهم اسم « الشهود العدول » وكان القاضى يتصفح احوالهم ويراقبهم ويعاقب من يسىء استعمال السلطة ، وكانوا يتولون احيانا الفصل فى المنازعات نيابة عن القاضى •
ابن الاثير : الباهر ص ١٢٩ ، جعفر حقباك : العراق فى عهد المغول الايلخانيين ص ٧١ •

للدكتورة سوسن محمد نصر

ويعقد « مجلس الحكم » فى مكان معين للاجتماع بالمتخاصمين ، وهو مكون من القاضى والشهود العدول والموقعين (١) ، ويرجح كذلك اشتراك صاحب الشرطة فيه ، فينظرون فى القضايا المعروضة بين أيديهم . وكانت الجوامع هى المكان الذى يعقد فيه مجلس الحكم فى أغلب الأحيان . وكان قاضى الموصل أيام الأتابكة يسمى « الحاكم » ويقيم بدار العدل (٢) .

وأول من تقلد هذا المنصب فى الموصل بهاء الدين أبو الحسن على بن الشهرزورى الذى عينه عماد الدين زنكى قاضى قضاة بلاده جميعها وما يفتحه من البلاد ، وقد أصبحت له منزلة كبيرة .

كذلك تولى كمال الدين محمد بن الشهرزورى منصب قاضى قضاة الموصل فى عهد سيف الدين غازى الاول ٥٤١ – ٥٤٤ هـ ١١٤٦ م – ١١٤٩ م ، غير أن هذا الامير عزله واعتقله وفوض أمر القضاء فى الموصل واعمالها بعده الى القاضى نجم الدين أبى على الحسن بن بهاء الدين الشهرزورى .

أما فى عهد الأتابك عز الدين مسعود ٥٧٦ – ٥٨٩ هـ / ١١٨٠ م – ١١٩٣ م فقد تولى القضاء أبو حامد محمد بن القاضى كمال الدين الشهرزورى الذى كانت له منزلة رفيعة لدى الأتابك (٣) .

أما وظيفة « قاضى العسكر » التى كانت من الوظائف الدينية الجليلة التى عرفت لدى المماليك وقدمت المصادر عنها معلومات جيدة فاننا لا نجد فى هذه المصادر ما يشير الى وجودها فى أتابكيات الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجرى (٤) .

ومن المحتمل أن قاضى المدينة ، كان يقوم بمقاضاة العسكر (٥) . ومن قضاة الموصل الذى مارس مقاضاة الجند ، عماد الدين محمد بن يونس الموصلى الذى تولى منصبه

٥

(١) لم تشر المراجع الى طبيعة عمل الموقعين ، والمعتقد بأنهم يقومون بمهمة من ندعوهم الآن (بشهود الاثبات) امام المحاكم .

(٢) ابن الاثير : الباهر ص ٢٠٣ . واشار الى ان الملوك الاتابكة كانوا يجلسون فى دار العدل لمباشرة القضايا بانفسهم .

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان حـ ٣ ص ٣٧٥ ، ص ٣٧٦ ، ص ٣٧٩ .

(٤) محمود بن محمد عرنوس : تاريخ القضاء فى الاسلام ، وجاء فيه : كاتبه يحضر الى دار العدل مع القضاة ويسافر مع السلطان أثناء تنقله ويصاحب العسكر ا هـ المطبعة الاهلية المصرية الحديثة – القاهرة ص ٨٠ .

(٥) واغلب الظن ان الارانقة اتخذوا القضاة العسكر خلافا للأتابكيين .

القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٤ ص ٣٦ .

هذا فى عهد الأتابك نور الدين أرسلان شاه ابن مسعود ٥٨٩ ــ ٦٠٧ هـ / ١١٩٣ م ــ ١٢١٠ م (١) .

وكان للقضاة من أسرة بنى نباتة خلال القرن السادس الهجرى ، منزلة رفيعة لدى الامراء الأراتقة ، ففى ٥١٢ هـ / ١١١٨ م ولى البلغارى بن أرتق صاحب امارة حصن « كيفا » ، علم الدين أبو الحسن بن نباته ، قاضيا فى مدينة (ميافارقين) ، كما ولى ابنه أبا الفتوح رتبة قضاء (ماردين) ، حيث مكث فيها الى ما بعد منتصف القرن السادس الهجرى .

وممن تولى قضاء (ماردين) فى أواخر هذا القرن ، القاضى عبد السلام المقدسى الماردينى كما ذكر القفطى أن والد هذا القاضى وهو عبد الرحمن المقدسى كان قاضيا على (دنيسر) (٢) .

أما قاضى (خرتبرت) فكان الحكيم شمعون الخرتبرتى الذى اشتهر باتقان فن الخط العربى (٣) .

نظم الأراتقة القضاء فى اماراتهم ، فأوجدوا منصب قاضى القضاة وجعلوا مدينة (ماردين) مقرا له (٤) .

وكان الأمير الأرتقى هو الذى يعين قاضى القضاة مباشرة ويودعه صلاحيات كثيرة ، أهمها : أن يتولى تعيين نواب له فى المدن والمناطق التابعة للامارات ويراقب أعمالهم وتصرفاتهم فيكافئهم ويرقيهم أو ينقلهم أو يعزلهم (٥) .

وخصص الأراتقة لقاضى القضاة ونوابه مرتبات كبيرة ، وكانوا أحيانا يقطعونهم اقطاعا . ويزاولون النظر فى قضايا (الأحوال الشخصية) وممارسة القضايا المتعلقة بامامة المسلمين فى الصلاة والاشراف على دار ضرب النقود والأوقاف وأموال المواريث (٦) .

وتشير المراجع الى دور قاضى قضاة الأراتقة فى الحياة السياسية ، حيث كان يقوم بالمفاوضات مع ممثلى الامارات والدول الاخرى ، وعقد الاحلاف ، فضلا عن نشاطه فى مهمة السفارات (٧) .

التقسيمات الادارية فى بلاد الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجرى

كانت السلطة التى منحها السلاجقة للأمراء

---

(١) محمود بن عرنوس : تاريخ القضاء فى الاسلام ص ١٩٩ .
الفارقى : تاريخ آمد . مخطوطه ــ الورقة ١٠٢ ب .

(٢) القفطى : تاريخ الحكماء ص ١٨٩ ــ ص ١٩٠ .

(٣) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٤٤٤

(٤) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ــ مخطوطه ــ الورقة ١٣٥ أ .

(٥) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة حـ ٢ ص ٢٩٠ .

(٦) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٤ ص ٣٤ ــ ص ٣٥ .

(٧) كما أسهم قاضى القضاة فى تقرير الصفة الشرعية لامراء الاراتقة ، وتمتع بعضهم بصلاحيات القائد الاعلى للحرب والادارة والاشراف على الامور العمرانية ــ الفارقى : تاريخ آمد ، الورقة ١٣٨ ــ ١٣٩ ب ، ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ــ الورقة ١٣٥ أ .

فى الجزيرة الفراتية ، قد ساعدت على ظهور مجموعتين من الامارات •

الأولى : الامارات المحلية التى كان يحكمها الأمراء حكما وراثيا طويل المدى • والمجموعة الثانية هى امارات المدن التى استأثر بحكم كل منها أمير مستقل ، وقد تميزت عن المجموعة الأولى بكون صاحبها لم يكن يملك الا حكم المدينة وحدها وما يحيط بها — أحيانا — من أراض ومناطق محدودة (١) •

وقد سعى عماد الدين زنكى بعد توليه الموصل من قبل السلاجقة الى توحيد منطقة الجزيرة الفراتية فى دولة موحدة ، وكانت الظروف آنذاك مواتية له لتحقيق هدفه هذا • فقد بدأ وكأنه يستهدف من وراء ذلك تعزيز الارتباط السياسى والادارى بالسلاجقة • فاحتل أغلب المدن والقلاع والمناطق (٢) • وهدد الامارات الأرتقية فى الشمال الشرقى لبلاد الجزيرة الفراتية (٣) كما بدأ باخضاع حصن الأكراد القريب من الموصل (٤) •

ويتضح من ذلك أن المناطق التى تؤلف الجزيرة الفراتية فى القرن السادس الهجرى أصبحت مكونة من الاقسام الادارية الآتية : —

أولا : الامارات المحلية التى كانت تتألف من أكثر من مدينة أو قرية أو منطقة واحدة ترتبط كل منها بالمدينة الرئيسية التى تديرها وفيها مقر الأمير أو النائب أو الحاشية والموظفين وأرباب الدولة والجيش ، كما أن فيها المؤسسات الحكومية والادارية وتمثل هذه الامارات فى بلاد الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجرى ، الامارات الأتابكية والامارات الأرتقية •

ثانيا : امارات المدن التى لا تتعدى حدود المدينة والمناطق المجاورة أحيانا وكانت تدار بصورة مباشرة من الأمير وأعوانه من الموظفين • وتغلب على ادارتها الادارة العسكرية •

٥

(١) عماد الدين خليل : عماد الدين زنكى ص ٦٩ •

(٢) احتل (جزيرة ابن عمر) سنة ٥٢١ هـ / سنة ١١٢٧ م واستولى على (سنجار) وبعض المناطق المجاورة لها واخضع (حران) ٥٢٣ هـ/ ١١٢٨ م • وهاجم (اربل) سنة ٥٢٦ هـ/١١٣١ م التى كانت بمثابة الباب الشرقى الذى يصل امارات الجزيرة الفراتية ببلاد فارس والمشرق عامة وفى سنة ٥٢٩ هـ/١١٣٤ م ضم (مدينة الرقة) اليه ثم سقطت بيده (دقوقا) سنة ٥٣١ هـ/١١٣٦ م و (شهرزور) سنة ٥٣٤ هـ/١١٣٩ و (الحديثة وعانا) سنة ٥٣٦ هـ/١١٤١ م •
ابن الاثير التاريخ الباهر ص ٣٦ ، الكامل فى التاريخ حـ ١٠ ص ٢٤٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب فى اخبار بنى ايوب حـ ١ ص ٩٧ •

(٣) بدأ « باماره ماردين » فاحتل (نصيبين) التابعة لها واتخذها قاعدة عسكرية سنة ٥٢٣ هـ/ ١١٢٨ م للهجوم على المناطق المجاورة وفى سنة ٥٣٧ هـ/١١٤٢ م اخضع الحصون الواقعة اقاصى (دياربكر) ثم قام بترتيب اوضاعها الادارية ووضع فى كل منها حامية عسكرية تدافع عنها وفى سنة ٥٣٩ هـ/١١٤٤ م استولى على اكثر المناطق التابعة لاماره (حصن كيفا) ولكن بالرغم من ذلك لم يستطع ان ينهى الوجود الارتقى فى المنطقة .
عماد الدين خليل : عماد الدين زنكى ص ٨٥ : ص ٩٨ •

(٤) استطاع ان يضع يده على اكثر ممتلكات الاكراد وقواعدهم المهمة ويخضعها لسيطرته فى فترة قصيرة : عماد الدين خليل : عماد الدين زنكى ص ١٠١ — ص ١١٦ •

ثالثا : : مدن الأكراد (١) وقلاعهم وحصونهم ، التى كانت تتوزع فى مناطق تضم قبائلهم وطوائفهم وقد انقسموا الى قسمين : —

الأول : لم يكن يخضع لسلطة منظمة وهو يتألف من الأفراد والقبائل (٢) •

أما الثانى : فهو الامارات التى تختلف فى نظمها وأحجامها ، فمنها الواسعة ، التى كانت تحكم بالوراثة ومنها الصغيرة وهى التى تنفرد وتخضع لحكم الأمير القوى (٣) •

ولقد ورد فى بعض المراجع كلمات ، « القصبة » « والضياع » « والاعمال » « والولاية » ، وهى اصطلاحات وردت بما يفيد أنها تقسيمات ادارية شاعت فى بلاد الجزيرة الفراتية • وقد ترددت فى المراجع منذ القرن الرابع الهجرى خلال القرون التالية :

فالقصبة على ما يبدو ، هى المدينة الرئيسية التى تدير مدنا ومناطق وذكر الأصطخرى ، أن الثغور لا قصبة لها وكل مدينة قائمة بنفسها (٤) مما يدل على أن المدن الأخرى التى لها قصبة لا يمكن أن تنفرد هى بادارة شئونها بل تستمد ذلك من قصبتها • وقد أشار (ابن حوقل) الى التفريق بين القصبة والضياع التابعة لها من حيث متحصلاتها من الموارد المالية (٥) •

وأكد أبو الفدا ، أن القصبة هى مركز المنطقة بقوله : « وأما ديار بكر فقصبتها (الرقة) ، ومن مدنها (المحترقة) (والرافقة) (٦) •

وخلال القرن السادس الهجرى ذكر ياقوت ان مدينة حران هى قصبة ديار مضر (٧) •

أما الأعمال ، فقد وردت فى أغلب المراجع ، وتعنى كل ما يدخل ضمن الامارة من مدن وممتلكات وقلاع ومزارع وأراض وغيرها •

وجاء عن (الولاية) انها هى الامارة أو

---

(١) كان الاكراد فى القرن السادس الهجرى ينقسمون الى قبائل وطوائف ولقد ذكر ياقوت فى (معجم البلدان) ذلك فى حـ ١ ص ٤٧٧ ، حـ ٢ ص ١٥١ ، ٢٧٧ ، ٥٣٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، حـ ٤ ص ٣٠٥ كما ذكر ذلك ايضا المقريزى فى (السلوك لمعرفة دول الملوك) حـ ١ ص ١ — ٤ وذكر القلقشندى فى (صبح الاعشى) حـ ٤ ص ٣٧٣ — ٣٧٩ أن الاكراد عشرين طائفة موضحا مناطق كل من هذه الطوائف وعدد محاربيها وذكر كذلك خمسا وعشرين موضعا آخر يقطنها الاكراد الذين كانوا يتخذون القلاع مراكز ينطلقون منها .

(٢) ابن الاثير : الكامل حـ ١٠ ص ٢٣٠ .
(٣) امير ذكى : انظر خلاصة تاريخ الكرد وكردستان وتاريخ الدول والامارات الكردية فى العهد الاسلامى .
(٤) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٦٧ .
(٥) ابن حوقل : صورة الارض ص ١٩٣ — ص ١٩٤ .
(٦) أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٧٧ .
(٧) ياقوت : معجم البلدان حـ ٢ ص ٢٣٠ — ص ٢٣١ .

المدينة التى كان السلاجقة يقررون توليتها للأتابكة أو الأراتقة أو لغيرهم ، أو أن هؤلاء أنفسهم كانوا يولونها أمراءهم وقوادهم .

ان دراسة التقسيمات الادارية التى كان يسير عليها الأيوبيون والمماليك – من بعدهم – فى مصر وبلاد الشام (١) . لا توضح ما كان عليه الوضع الادارى فى امارات الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجرى والسبب فى ذلك يرجع الى عدم الاستقرار السياسى ونشوب الحروب ووجود المشكلات التى كانت تحول دون اتاحة المجال لاجراء الاصلاحات الادارية وفق تنظيم معين ، وكان يكتفى الأمير أو (الأتابك) بتعيين من يثق به على المدينة أو الموقع ، وكانت المدن والقلاع المفتوحة تقطع فى أحيان كثيرة لبعض القواد والمقربين مما لا يوفر كذلك مجالا لادخال الاصلاحات المذكورة (٢) .

ويلاحظ أن كثيرا من الأصول الادارية والملوكية ، قد ساد العمل بها فى امارات الجزيرة الفراتية خلال القرن السابع الهجرى والقرون التالية .

المحتسب :

وهو صاحب وظيفة « الحسبة » وموضوعها هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومراقبة المعايش والصنائع والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح فى معيشته وصناعته » (٣).

وكانت واجباتها مهمة ، تقابل على أقرب تقدير الكثير مما تقوم به فى عصرنا الحالى مؤسسات الشئون الاجتماعية والصحية والبلديات (٤).

---

(١) كانوا يقسمون دولتهم الى اقاليم أو نيابات تضم كل منها مجموعة من المدن والحصون حيث كان النائب هو المسئول الاعلى فى نيابته وممثل السلطان الشخصى الذى يرتبط به ويتلقى الاوامر منه ، كما كان السلطان يعين نوابا آخرين على القلاع فيصدر مرسوما سلطانيا يكتب بديوان الانشاء وكان نائب المدينة او القلعة مستقلا فى معظم الاحيان عن نائب السلطة فى الاقليم . وهو يتبع الحكومة المركزية مباشرة ، وكان من اهم واجبات نائب القلعة فضلا عما سبق ان «يتولى حفظ القلعة وصونها ، ولايسلم مفتاحها لاحد الا لمن يتولاها مكانه ، أو لمن يأمره السلطان بتسليمه له» القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٤ ص ١٨٥ هذا التقسيم الادارى كان فى بلاد الشام ، اما فى مصر ، فكانت الادارة المحلية تتمثل فى الوالى، حيث كان يشرف على كل مجموعة من الاعمال فئة من الموظفين وعلى راسهم والى الاقليم الذى كانت مهمته الاولى العمل على الامن والنظام والمحافظة على اموال الناس وارواحهم .
عماد الدين خليل : عماد الدين زنكى ص ٢٤٧، على ابراهيم حسن : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية ص ٢٣١ ، ص ٢٣٣ .
(٢) عماد الدين خليل : عماد الدين زنكى ص ٢٤٧ .
(٣) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٤ ص ٣٧ .
(٤) جعفر خصباك : العراق فى عهد المغول الالخانيين ص ٧٢ .

وقد أخذ أمراء الجزيرة الفراتية فى القرن السادس الهجرى بنظام (الحسبة) وطبقوه فى اماراتهم ، كما هو متبع فى البلاد الاسلامية • فى (الأتابكيات) كان القاضى ، يجمع ما بين القضاء والحسبة ، كما تدل الاشارات القليلة المتوفرة ، ان هناك محتسبين مستقلين بوظائفهم لا يخضعون فيها للقضاة فى أغلب المدن والامارات •

غير أن عدم وجود خطوط واضحة للتخصص بين الوظائف الادارية عموما فى (أتابكيات) الجزيرة الفراتية ، جعل من غير الممكن تحديد سلطة هذه الوظائف ومنها وظيفة المحتسب ، وخاصة فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى ، وأن أغلب الوظائف يتوقف اشغالها الى حد كبير ، على شخصية من يشغلها وكثيرا ما يطغى اختصاص موظف يتمتع بالقوة والنفوذ على اختصاص غيره ، مما لا يجعل هناك حدودا واضحة بين الموظفين •

أما دور المحتسب فى الامارات الأرتقية ، فيبدو أكثر وضوحا ، فقد أوجد الأراتقة محتسبا فى كل بلد من بلدانهم ، (١) فكان ينظر فى الأمور المتعلقة بالنظام العام وفى الجنايات وحسمها عن طريق السرعة ومراقبة مراعاة الآداب العامة وتطبيق أحكام الشرع وتفتيش الاسواق والمؤسسات التجارية والاشراف عليها والاطلاع على المرافق التى تحتاج الى اعمار واصلاح (٢) •

كما كان يؤدى دورا مهما فى ضبط الأمن الداخلى والمحافظة عليه « وتسكين الناس » خلال فترات الاضطراب وحوادث العصيان والثورات أو عند وفاة الأمير •

ويشير الفارقى الى دور المحتسب فى سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م عندما ساد الاضطراب بين أهالى (ميافارقين) لوفاة الأمير حسام الدين تمرتاش صاحب (ماردين) حيث ركب المحتسب وتوجه مسرعا اليهم وسكنهم « فاطمأنوا وطابت نفوسهم » (٣) •

وأشار القلقشندى الى وجود نواب المحتسب ، يطوفون الأسواق والمحلات العامة ويساعدون فى تنفيذ تعليماته (٤) ، ومن المحتمل أن مثل هؤلاء النواب كانوا موجودين فى مدن الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجرى •

تم

د / سوسن محمد نصر
أستاذ مساعد بآداب الزقازيق
بنها

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب حـ ٥ ص ١٢٥ الفارقى : تاريخ آمد ــ الورقة ١٣٨ ا ب ــ ١٣٨ ب •

(٢) المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار حـ ١ ص ٣٦٤ •

(٣) الفارقى : تاريخ آمد : مخطوطه الورقة ١٣٨ أ ــ ١٣٨ ب •

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٩٣ على ابراهيم حسن : المماليك البحرية ص ٣٠٤ ــ ص ٣٠٥ •

من مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامى

الاسلام والعلم

للدكتور محمود عبد المعطى بركات

ان الاسلام يفتح الطريق رحبا أمام العقل البشرى فى المجال الذى يبدع فيه وهو الكون الفسيح وقوانينه وما تقوم عليه من مبادىء وأسس .

وهذا هو المجال الحقيقى لنشاط العقل وابداع العلم . والاسلام حين يعزل العقل الذى هو أداة العلم الاولى عن التفكير فى ذات الله من جهة استيعاب حقيقتها وكنهها انما يضعه فى مكانه . ومكانته التى تليق به سيدا للكون محاولا سبر أغواره ويهيب به أن يتخذ من هذا الميدان « ميدان الطبيعة » طريقه الى الايمان بالقوة الالهية الحاكمة والمدبرة والعالمة عن طريق ما انبث فى الانفس والآفاق من آيات شاهدات ودلائل واضحات « **وَفِى الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** »

فهو يهيب بكل ذى لب أن يتصفح الكون حتى تسفر هذه الآيات الدالة عن وجهها الوضاء فتقوده الى حظيرة الايمان بالله . وخشيته التى تدعمها حركة العقل فى الكون . لأنه كلما ازداد الانسان معرفة بخالق الكون وصفاته من قدرة وعلم وهيمنة ازداد خشية لله . هذه الخشية التى تؤدى تلقائيا الى الالتزام بالمنهج الالهى فتستقيم للناس حياتهم بعد أن تستقيم عقيدتهم .

وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ • (سورة فاطر آية ٢٨) •

والآية الكريمة صدرت بهذا الاستفهام الملفت فى حث جميل على اجالة النظر فى هذه الآيات الباهرات • ومحاولة الوقوف على ما أتيح من أسرارها • وماتدل عليه من اتقان ونظام وترتيب دقيق • للخالق سبحانه وتعالى ثم هى تنطوى على اعلام الهى بتكريم العلماء هؤلاء الذين ضمهم الله تعالى • الى الملائكة فى الشهادة بوحدانيته وقرن كلا بذاته قال تعالى « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » — آل عمران ١٨ •

ومهما أرجف المستشرقون واتهموا الاسلام بمعاداة العلم والمدنية فان واجهة الاسلام الحقيقية انما هى القرآن الكريم ولو أخذ هؤلاء أنفسهم الى أول قبس من كتاب الله تعالى هبط به الروح الامين على قلب محمد — صلى الله عليه وسلم — لأدركوا أمرا فى غاية الأهمية فيما يتعلق بموقف الاسلام من العلم • هو أن الاسلام والعلم قرنا معا فى لحظة واحدة • لأن أول قبس الهى قرآنى كان قوله تعالى :

« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ • اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ • الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » هكذا كانت البداية ومن الجدير بالتنبيه اليه هنا أن «اقرأ» انما هى مفتاح العلم • ويتعدى معناها القراءة من الصحيفة فما كان محمد — صلى الله عليه وسلم — فى يوم من الايام بقارىء أو كاتب •

وفى اقرأ معنى الاستقراء الذى هو طريق الكشف عن أسرار الكون حتى يحقق الانسان مع « كمال السيادة » على هذا الكون « كمال العبودية » لمكون الكون ومنظم نظمه ومحول أحواله سبحانه وتعالى :

والامر فى « اقْرَأْ » يلفت النظر الى الخلق « الَّذِى خَلَقَ » هكذا بشكل عام • تفكروا فى خلق • « وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون » •

ثم يلفت النظر الى نمط من أنماط الخلق أو نموذج من نماذجه هو أقرب ما يكون الى الانسان وهو « خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ » « وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ » •

« فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ • خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ • يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ » •

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ • ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ • ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَة

عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ »

هذه المقدمات تؤدى الى نتيجة عقدية تنزيهية « فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » ثم نتيجة ايمانية غيبية « ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ » .

هكذا أعطتنا « اقْرَأْ » هذا العطاء الايمانى العلمى — الكبير فى باكورة الاسلام وأول عهد الانسان به « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ » لا تحمل الينا العلم فقط وانما هى تحمل العلم الموجه الى الخير العلمى والعملى . الدينى والخلقى — من حيث انها تكشف عن سمة هامة من سمات العلم فى المفهوم الأسلامى . وهى أن يكون العلم — أن تكون القراءة باسم الله تعالى . أى لأجله وابتغاء مرضاته .

ومعنى هذا ببساطة شديدة هو انضواء العلم ونشاطه تحت لواء الايمان وما يلزمه من خلق يحكم النشاط الانسانى بما فيه نشاطه العلمى أيضا .

وذلك أن العلم ونشاطه اذا كان معزولا عن تناول عالم الالهيات والغيبات من حيث معرفة الكنه — لا من حيث الاستدلال كما سبق لنا أن قدمنا فى دراستنا عن الاسلام والعقل فهو أيضا معزول عن التوجيه الأخلاقى .

ذلك لأنه لا يملك شرعية هذا التوجيه ولا يملك أهلية التشريع فى مجال الاخلاق كتقرير الأصول والمبادىء الاخلاقية ومن ثم فهو بعيد كل البعد عن أن يتخذ معيارا للتوجيه الأخلاقى . بل ان العلم نشاط انسانى يخضع لخلق صاحبه ومن ثم يخضع للتوجيه الدينى الاخلاقى .

وهذه قضية أخرى خطيرة فى حياة الناس . ذلك أن تحديد الخير والشر فى سلوك الانسان وتنظيم طريقة عمل هذا الجهاز الانسانى المعقد يجب ألا يرجع فيه الى غير خالقه وصانعه ، لأنه أخبر به وأعلم بما يحتاج اليه وما تستقيم به حياته ومن ثم كانت تشريعات الاسلام الأخلاقية مستوعبة لكل أنماط العلاقات التى تربط بين الانسان والانسان . وتحديد الخير والشر . والغريب أن الناس ينفذون مقتضى هذه القاعدة الهامة فى مختلف شئون حياتهم .

فاذا ما جاءوا الى ميدان الاخلاق وتحديد سلوك الانسان أعجبوا بعقولهم . وأرادو أن يجعلوها مقاييس لكل شىء .

ولنفرض مثلا : ان جهازا معينا أردت أن أشتريه من الاجهزة المعقدة والمفروض أننى لا أعلم طريقة تشغيله الا من خلال البيان الذى يدلى به صانع هذا الجهاز سواء كان فردا أو شركة أو دولة . وتشغيل الجهاز أو محاولة تشغيله بطريقة عشوائية قد تقضى على هذا الجهاز نفسه وتحول دون تحقيق الهدف من وجوده أصلا .

ولكل جهاز صانع ولا يمكن آن يحصل نوع من التبادل . فاذا ما عطل جهــاز التليفزيون فانني بالطبع لا أعطيه للنجار أو للحداد — وانما أعطيه لمن اختص باصلاحه والأ علم بما يصلحه وييسيره ويحقق الغرض من وجوده .

فاذا ما أردنا ان ننقل هــذه القضــيه الى مجال الاخلاق الانسانية وعلاقتها بالاســلام على اعتبار أن مصدر الاسلام وصانع الانسان هو الله الواحد . عجزت عقول الناس عن الربط واذا كل حزب بما لديهم فرحون .

على أن هناك أمرا آخر فى غاية الاهمية فيما يتعلق بهذا الموضوع وهو علاقة العلم بالاخلاق وهــو أن كل ما يصــدر عن الانســان مــن تشريعات أخلاقية انما تحمل فى طياتها سمة العقل البشرى من القصور وعدم الاستيعاب من حيث هو ملكةبشرية ومن ثم تأتى قاصرة . مما يترتب عليه أمر آخر هو الشعور بالحاجة الدائمة الى التمرد عليها نتيجة فشلها فى تحقيق التوازن فى حياة الانسان الأخــلاقية .

والحق أنه ليس أجرأ على العقل من العقل. وهنا تدور المسألة فى حلقة مفرغة فليس العقل البشرى المشرع بأولى من العقل المشرع لــه والعكس صحيح . وهذا يفسر لنا ظاهرة عدم الاستقرار فى مفهوم الفضائل والرذائل عبــر تاريخ الفكر الاخلاقى الانسانى . فكل معجب بعقله . لان عنصر الالزام الســماوى غــير موجود . أو عنصر عصــمة مصــدر التشريع الأخلاقى (١) .

وهناك عنصر هام فى الالتزام الاخــلاقى الناتج عن الالزام الســماوى . وهــو عنصر المراقبة التى لا تغيب عينها . وهذا أمر لا يمكن أن يكفله تشريع العقل الاخــلاقى ولا يمكن للعلم أن يضبطه وهذا ما يعبر عنــه اسلاميا « بمقام الاحسان » وهو أن « تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .

والعلم لا يســتطيع أن يحســم المســألة الأخلاقية . بل العلم ســلوك ومن ثم فهــو يخضع لخلق صاحبه سيئا كان أم حسنا . فهو خاضع « كسلوك » للتقويم الاخلاقى ومن ثم فهو يرتبط بالأخلاق . وفى المنظور الاســلامى هو مرتبط بالدين أيضا لان الــدين مصــدر الاخلاق المعصوم وليس غيره على أن هنــاك صلة مباشرة بين الدين والعلم عدا ذلك هى أن العلم هو طريق الى الايمان باللــه وحــده . والايمان الناتج عن العلم ليس ايمانا تقليديا. وانما هو ايمان يستند الى مابث فى هذا العالم من مظاهر الاتقان والعناية الالهية .

والدين والاخلاق هما صمام الأمان بالنسبة للعلم حيث يتوجه « كسلوك » بتوجهاتهما .

وهذا كله مضمن بشكل أو بآخر فى « اقْرَأْ

(١) لذا يقول ستاندال : ان خط عرض واحــد كاف بأن يجعل الفضيلة رذيلة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الإسلام نظيف فتنظفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف

بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ، خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ».

وارتباط العلم بالايمان والخلق هو الذى يضمن للحركة العلمية سلامتها . حتى لا تضل أو تذل . وبالتالى يمكن أن تترتب عليه ثمرته المرجوة منه وهو اسعاد البشرية سعادة حقيقية روحية ومادية .

وذلك لأن العلم فى وضعه الصحيح يصل الطبيعة بما وراءها ويزكى الايمان بخالقها وبارئها وكل جناية من العلم على حياة الناس وأمنهم وطمأنينتهم انما ترجع فى الاساس الى انفلات العلم من الدين وتحرره من تعاليمه مما يترتب عليه فى ذات الوقت انفلات العلم من الموجه الرشيد فى ناحية الاخلاق لان الدين هو مصدر الاخلاق المعصوم.

وارتباط العلم ــ كنشاط بشرى ــ بالدين والخلق سمة لازمة للعلم من منظور الاسلام وهى التى تميزه بشكل حاسم . عن العلم بالمفهوم الاوربى للعلم بوجه عام هذا المفهوم العاق للدين . والرافض له فى اتجاهاته المادية المفرطة فى الانكار والتعالى . وتلك مشكلة لها جذورها التاريخية عندهم .

ومن الواضح أن هذه الصفة لا تتعلق بالعلم من حيث كنه النشاط العلمى نفسه . وانما حادث من حيث أنه قد حكمته الغرائز الانسانية الجامحة بمقتضياتها المدمرة بدلا من أن يتوجه بأمر الدين المعصوم .

◄

وذلك لأن ، الطاقة ـ والاشعاع ، والذرة ـ مثلا ـ كلها بحسب طبيعتها المحضة عوامل هدم وبناء ـ وحـرب وسـلام ، وسـيادة واستعباد .

وترجيح أى جانب على الآخـر من هـذه الجوانب يحتاج الى دفعة أخـلاقية دينيـة يفتقدها أكثر من يملكون هذه القوى فى عالمنـا المعاصر .

فأحد الاطراف لا يملك الايمان بالله أصلا.. والآخر قد عزل الدين عن شئون الحياة مـن زمان بعيد . لذلك أفسح المجال للغرائز والميول والأهواء لتعمل عملها .

فهموان ملكوا الأداة الا أنهم فقدوا التوجيه السديد من الدين لانهم سدوا عليـه الطريق وأقاموا فى وجهه العقبات واتهموه ظلما بأنه عدو الانسان ، وعدو للنشاط العلمى . على أن فى هذا المقام ملاحظة لابد من ابدائها وهى أن العلم ومناهجه من حيث طبيعتهما ليسا مـن أعداء القيم الاخلاقية أو الدين بل ان أمرهما على العكس من ذلك تماما .

لأن مناهج العلم الصحيح أقرب فى روحها الى القيم الأخلاقية السامية . وذلك من حيث أن هذه المناهج فى ذاتها تحبذ الصدق وتحرى الحقيقة والموضوعية والحياد والرقة فى تناول الامور والصبر والتثبت وكل هـذه فضـائل أخلاقية لا يقوم العلم الصحيح الا بها . ولا يستحق الانسان وصف العـالم عـلى وجـه الحقيقة الا بتحصيلها ولكن العلمـاء الـذين رفضوا الدين بما يترتب عليه . لم يستفيدوا تربويا من مثل هذه الصـفات ولو تنبهوا الى مقتضى الدقة والتثبت ما انحرفوا الى انكـار الدين ولما وقعوا ضحية للتعميم الشائن كما سوف نرى فى مسألة الصراع بين الدين والعلم، والذى نشأ كرد فعل أعمى . لفعل هـو أعمى أيضا ... هكذا يبرز لنـا الفرق بين العلم فى التصور الاسلامى والعلم فى صورته الراهنة ولكن . فى بعض اتجاهاته المنكرة والملحدة .

اذا كانت هذه هى وظيفة العلم فى التصور الدينى الصحيح وبها يتميز العلم الاسلامى على غـيره .

واذا كان مقتضى هذه النظرة أن يكون كـل جهد للعقل وكل مجهود للعلم ابتغاء وجه اللـه وباسمه وفى سبيل مرضاته .

فمن أين اذن أتى ذلك الصراع المدعى بين الـدين والعلم . أو بـين الـدين والمدنية ؟ وكيف نشأ هذا الصراع ؟ ولماذا نشأ ؟

وما هى المبررات التى أدت الى المناداة بفصل الدين عن شئون الحياة كقائـد وموجه أمين ورشيد ؟ ذلك كله ما سـوف يأتى .

يتبـع

د. محمود عبد المعطى بركـات

حقوق غير المسلمين ..

فى ظل تقنين الشريعة الإسلامية

الدكتور عبد الله مبروك النجار .

— ٦ —

انتهينا فى المقال السابق من بيان حقيقة المسئولية التضمنية عن أموال غير المسلمين ، وهى التى تقابل فى نظرنا مسائل المسئولية المدنية فى القانون الوضعى ، ورأينا ان شريعة الله الخالدة قد كفلت الحماية التامة لغير المسلمين فى أموالهم كما كفلتها للمسلمين دون ادنى تفرقة بينهم فى هذا الخصوص حسبما تدل عليه مصادر الشريعة الغراء ، وعلى نحو ما استبان لنا من الدراسة ٠

وقد رأينا ان المسئولية التضمنية عن اموال غير المسلمين تقوم على اساس ثابت من كتاب الله الكريم وسنة نبيه الهادى البشير — صلى الله عليه وسلم — واجماع الفقهاء وآثار الصحابة ، وأن قيامها على هذا النحو يستوجب الوفاء بالعقود والالتزامات مع غير المسلمين اذا وقعت بينهم وبين المسلمين ، كما أن نطاقها لا يقتصر على هذا المدى ، بل يتعداه الى وجوب رد ما اخذ منهم على سبيل القهر والاغتصاب اذا تم حصوله بغير رضاهم ، أو تعويضهم عن ما أخذ منهم من مال اذا كان رد العين غير ممكن لفواتها بالهلاك والضياع وذلك على النحو الذى فصله الفقهاء فى كتب الفروع (١)٠

ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا الصدد ، أن شريعة الله الخالدة قد عالجت مسائل هذا ◄

---

(١) راجع الحلقة الخامسة من سلسلة مقالاتنا فى هذا الموضوع . والمنشورة بمجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة سنة ١٤٠٤ هـ — ص ٨٨٥ وما بعدها .

الموضوع المهم بالقدر الذى يكفى لحماية أموال الناس دون تفرقة بينهم بسبب اختلاف العقيدة ، وبما يكشف عن ثراء الفقه الاسلامى وقدرته الفائقة على حكم المشاكل القانونية فى حياتنا المعاصرة ويغنى عن أى تشريع وضعى لأداء تلك المهمة ، بعد ان كشفت الايام للناس أن مثل تلك التقنينات لم تعد كافية لما يرجونه لأموالهم من حماية ولحياتهم من أمن واستقرار ومن ثم أصبح الرجوع الى شريعة الله للاحتكام اليها والسير على منوالها ، أمنية بات الجميع يحرصون على تحقيقها ايمانا منهم بأن ما ينشدونه من خير فى هذا المضمار موجود فى مصادر تلك الشريعة الغراء ، ونبين فى هذا المقال ضوابط المسئولية الجنائية عن مال غير المسلمين .

المسئولية الجنائية عن مال غير المسلمين :

وكلمة «المسئولية » تفيد بحكم وضعها اللغوى معنى المساءلة ، لانها مصدر صناعى للفعل « سأل » الذى يدل على وجود شخص المسئول فى وضع يستوجب توجيه السؤال اليه لفعل وقع منه أو امر أنيط به ، وغالبا ما يراد بها عند الاطلاق ، ما يترتب على المساءلة من أثر وهو التعويض أو العقاب الذى تؤدى اليه (١) ، لان المصدر الصناعى يدل على العموم ، ومن ثم فانه يصلح للدلالة على آثار كل من المساءلة فى جانبها المدنى والجنائى ، أو ما يستوعب القضايا التى تترتب على وجود المسئولية المدنية والجنائية فى الفقه الوضعى ، والمسئولية على هذا الاطلاق تستدعى بيان ضوابطها وتحديد أركانها .

اركان المسئولية الجنائية :

والمسئولية الجنائية عن اموال غير المسلمين تستلزم قيام موجبها ، وهذا الموجب يتمثل فى فعل يصدر من المكلف ويتضمن اعتداء على مصلحة المال ، وسلب اموال الناس على سبيل الخفية والاستمرار على النحو الذى بينه الشارع فى جريمة السرقة وغيرها من الجرائم التى تتوخى تحقيق نتائجها كالحرابة والاختلاس والنهب ، حيث تنطوى تلك الجرائم على أفعال من شأنها انها تضيع مصلحة المال ، ولهذا حرمها الشارع سبحانه ووضع لها العقوبات التى تمنع وقوعها وتحمى أموال الناس من الضياع .

وجريمة السرقة تعتبر من أكبر نماذج التعدى على المال ، لشيوعها بين الناس وكثرة وقوعها ، ولأنها تكشف عن خسة الجانى وحقارة يده ، حيث لم يشأ أن يحيا شريفا بين الناس ، يعمل كما يعملون ، ويكدح كما يكدحون ، بل آثر أن يعيش فى مجتمعه عيش المتطفلين الذين لا يعملون ويكرهون أن يعمل غيرهم ومن ثم فانه لا يدخر وسعا فى السطو على مال الناس وبث الخوف والفزع بينهم ولهذا كان بما ارتكبه من فعل وبما اقترفه من اثم ، جديرا بما حكم الله به عليه ، وكانت جريمة السرقة من اخطر موجبات قيام

(١) راجع مقالنا السابق بمجلة الأزهر ــ ص ٨٨٦ .

المسئولية الجنائية عن المال ولهذا فأننا سوف نوضح حقيقتها ، ثم نبين اركان المسئولية الجنائية عن أموال غير المسلمين من خلالها .

حقيقة السرقة فى الفقه الاسلامى :

والسرقة فى اللغة : أخذ مال الغير خفية من حرز (١) ، والسارق هو الذى يجيىء مستترا الى حرز فيأخذ مالا لغيره (٢).

وفى اصطلاح الفقهاء : تعددت تعريفات السرقة :

١ ــ **فعرفها الحنفية** : بأنها اخذ مكلف ناطق بصير عشرة دراهم جياد أو مقدارها مقصورة ظاهرة الاخراج من صاحب يد صحيحة بمالا يتساع اليه الفساد فى دار العدل بلا شبهة ولا تأويل (٣) .

٢ ــ **وعند المالكية** : تعرف السرقة بأنها أخذ مكلف حرا لا يعقل لصغره أو مالا محترما لغيره نصابا اخرجه من حرز بقصد واحد خفية لا شبهة له فيه .(٤)

٣ ــ **وعرفها الشافعية** : بأنها أخذ المال خفية ظلما من حرز مثله بشروط (٥) .

٤ ــ **وعند الحنابلة** : تعرف السرقة بأنها اخذ مال محترم لغيره ، واخراجه من حرز مثله عادة ، لا شبهةله فيه على وجه الاختفاء (٦) .

ومن خلال تعريفات الفقهاء للسرقة نجد ان تعريفاتهم وان اختلفت فى مبناها الا انها تتفق فى معناها على ان السارق لابد ان يكون مكلفا مختارا ، وان المسروق لابد ان يكون مالا ، ولم يخالف فى ذلك غير المالكية ، حيث يجوز عندهم ان يكون المسروق مالا أو صغيرا لا يعقل ، وهم على هذا النحو يعتبرون سرقة الاطفال جريمة تستوجب قطع اليد ، كما تقطع فى المال ، ووجهتهم فى ذلك ان الطفل غير المميز يشبه العبد وبالتالى يكون كالمال ، وتكون سرقته موجبة للقطع على هذا النحو (٧) ، ويمكن تحليل عناصر المسئولية الجنائية عن المال من خلال تعريف السرقة الى ركنين هما الركن المادى ، والركن المعنوى .

١ ــ الركن المادى للسرقة :

وهو يتمثل فى حركة عضوية ارادته من الجانى تنتهى الى أخذ مال مملوك للغير على سبيل الخفية والاستسرار ، فالفعل الصادر من الجانى ينبغى ان يتسلط على مال يقبل النقل بطبيعته ، لأن السرقة هى أخذ الشىء خفية من حرز ، وان هذا الاخذ يقتضى اخراج الشىء ونقله من حيازة مالكه الى حيازة الجانى ، وهذا الأخراج والنقل لا يكون الا فى المنقولات غالبا (٨) .

كما ينبغى ان يكون المنقول ماديا ، وان يتوافر فيه شرط التقوم بأن يكون المال

(١) راجع تاج العروسى ــ جـ ٦ ص ٣٧٩ .
(٢) لسان العرب ــ جـ ١٢ ــ ص ٢١ .
(٣) حاشية ابن عابدين على الدر المختار ــ جـ ٤ ص ٨٢ .
(٤) شرح الخرشى ــ جـ ٨ ص ٩١
(٥) الاقناع ــ جـ ٢ ص ١٨٩ .
(٦) كشاف القناع ــ جـ ٦ ص ١٢٨ .
(٧) حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ــ جـ ٤ ــ ص ٣٣٣ .
(٨) راجع : دكتور محمود العكازى ــ جريمة السرقة الموجبة للقطع ــ ص ٨٥ ــ الطبعة الاولى

محترما له قيمة يجوز تملكه لها ، ويلاحظ أن المعيار فى ذلك ، هو تعارف الناس أن هذا الشىء مرغوب فيه ومنتفع به أو عدم تعارفهم ذلك ، ولاشك أن هذا أمر يتجدد على مر العصور واختلاف الأمكنة ذلك أن كثيرا من الاشياء لم يكن لها فى القديم فائدة فكانت محقرة بين الناس ، ثم اثبتت التجارب أو الكشف العلمى ان له منافع فى الطعام أو فى الطب أو فى الصناعة والزراعة والحرب فتموله الناس وقابلوه بالأثمان ، ولهذا تثبت المالية بتمول الناس كافة أو بتمول البعض (١) .

ويشترط ان يكون المال محرزا ، والحرز لغة هو الموضع الحصين (٢) ، وعند الفقهاء نلمس فى تعريفه اختلافا يمكن رده الى قولين .

اولهما : للحنفية : وحاصل قولهم ، أن الحرز هو كل بقعة معدة للاحراز ممنوعة من الدخول الا بأذن كالدور والحوانيت والخزائن والصناديق (٣) .

وثانيهما : لجمهور الفقها غير الحنفية ، وحاصل قولهم ، ان الحرز فى كل شىء بحسبه ، ويرجع فى تحديده للعرف (٤)

ونحن نميل الى ترجيح رأى الجمهور ، وان كنا لانرى اختلافا حقيقيا بين القولين ، لأن ما ورد عليه تعريف الحنفية لا يعدو أن يكون توصيفا لما جرى العرف به ، ومن ثم يكون الخلاف بين الفقهاء فى تعريف الحرز انما هو خلاف ظاهرى .

كما يشترط أن يبلغ المال المسروق نصاب السرقة ، لما روى عن عائشة رضى الله عنها مرفوعاء لا تقطع اليد الا فى ربع دينار فصاعدا (٥) .

٢ ــ الركن المعنوى للسرقة :

وهو يتمثل فى كون السارق أهلا لتعلق خطاب الشارع بفعله ، ويتحقق ذلك حين يتوافر فيه شرطان :

اولهمـا أهلية التكليف بأن يكون السارق أهلا لما كلف به ، وأن يتوافر فيه عنصر الاختيار ، فتتجه نفسه الى ارتكاب الفعل المحرم ، وهو حر الارادة مطلق الحركة يفعل ما يشاء من غير ارغام له على فعل شىء ، ودون تسلط من أحد عليه ، فاذا ما ورد على هذا الأصل ما يخل به بأن وقع على المكلف اكراه يعدم ارادته ، ويجعله كالآلة فى يد المكره فلا قطع عليه ، وكذلك الأمر بالنسبة لحالة الضرورة الملجئة اذا توافرت شروطها ، ولفاقد العقل والادراك .

ثانيهما : العلم بالجريمة بأن يكون الجانى عالما بجريمته علما تنتفى معه الجهالة ، والعلم بالجريمة يقتضى احاطة الجانى علما بمصادر التحريم ، وادراكه التام لخطورة ما يرتكبه من

(١) راجع : رسالة الشيخ احمد ابو سنة ــ العرف والعادة فى راى الفقهاء ــ ص ١٣٦ وما بعدها ــ مطبعة الازهر سنة ١٩٤٨ م .
(٢) مختار الصحاح ــ ص ١٤٧ .
(٣) بدائع الصنائع ــ حـ ٧ ص ٧٣ .
(٤) راجع : حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ــ حـ ٤ ــ ص ٣٥٨ ، ومغنى المحتاج ــ حـ ٤ ص ١٦٤ والمغنى لا من قدامة ــ حـ ٨ ص ٢٤٩ .
(٥) البخارى مع فتح البارى ــ حـ ١٢ ص ٩٦ .

ناحية التحريم وخروجه على أحكام اللـه وانتهاكه لحقوق الناس ، ويتمثل ذلك فى علم الجانى بأن ما يرتكبه جريمة ، وانـه محـرم شرعا ، فالعلم بالجريمة صفة ذات شقين ، علم بالتحريم وعلم بالجريمة .

أ ــ العلم بالتحريم :

والعلم بالتحريم ، يعنى أن يكون الجـانى عالما بحرمة ما يرتكبه ، حيث لا يؤاخذ الجانى على العمل المحرم الا اذا كان عالما بالتحريم علما لايـدع ادنى شـك فى ردء آثـار المسئولية الجنائية عنه ، ويكفى لتحقيق العلم بالتحريم ان يرجـع العبـد الى نصـوص الشريعة فى مصادرها ليقف على مواطن الحـرمة فيهـا فاذا لم يعط القدرة على الرجوع الى نصوص الشريعة فعليه بسؤال أهل الذكر ، امتثالا لقول الحق جل فى علاه : ﴿فَسْـئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١) ، ومن ثم يكـون العلم بالتحريم امرا مفترضا ، فلا يستساغ من أحد ان يتزرع بعدم العلم بالتحريم ، ولا يقبل فى دار الاسلام ذلك (٢) .

والعلم بالتحـريم لا يقتضى تحقق العـلم فعلا ، بل يعتبر النص المحرم معلوما للكافـة مادام العلم به ممكنا بالرجـوع الى النص أو السؤال عنه على نحو ما سلف ، والا فان ترك باب الادعـاء بجهل احكـام التحـريم على مصراعيه سيؤدى الى تعطيل حـدود اللـه ، واهمال نصوص الشريعة .

فاذا لم يتيسر العلم بالتحريم فى حالات معينة كمن يعيش فى البادية ، أو كان حديث عهـد بالاسلام ، فقد اعتبر الفقهاء ذلك عذرا ، يمثل شبهة تدرأ العقوبة وتمنع تطبيقها ، ويكـون ادعاء الجهل بالتحريم فى مثل تلك الحـالات الخاصة مدعما لجانب الصدق فى الادعاء ، لأن العلم بالامر الذى كلف الشارع به عباده شرط فى قيام المسئولية ، والتكليف بالمجهول تكليف بما لا يطاق (٣) ، وهو مخالف لقواعد الشريعة، التى تتسم باليسر وتتصف بالسماحة ، قـال تعـالى « يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ » (٤) ، وقال عز من قائل :

« وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » (٥) ، على أن قبول ادعاء الجهل بالتحـريم حينئذ لا يترتب عليه ضـياع المـال المسروق عـلى صاحبه لأن المسئولية التضمينية مـع ذلـك القبول لا تسقط ، ومن ثم يلزم السـارق رد المسروق عينا ، أو مثله أو قيمته اذا تلف ، لأن حقوق العباد لا تسقط بسقوط العقوبة للشبهة.

ب ــ العلم بالجريمة :

والعلم بالجريمة يعنى ان يقترن ارتكابهـا بالعلم بها من ناحية الافعال المكتسبة للجانى والتى تتسلط على مال الغير ، ومن ثم ينبغى أن يكون الجـانى عـالما بأن يده حين شرعت فى اختلاس مال الغير خفية ، قد ارتكبت فعـلا يدخل فى بيان جريمة السرقة ويمثل ركنا مـن

(١) سورة النحل ــ آية ٤٣ .
(٢) راجع فى هذا المعنى : دكتور محمـود المغازى ــ المرجع السابق ــ ص ٦٥ .
(٣) الموافقات للشاطبى ــ جـ ١ ص ٩٩ .
(٤) البقرة ــ آية ١٨٥ .
(٥) الحج ــ آية ٧٨ .

اركانها ، كما ينبغى ان يكون الجانى عالما بأن فعله هذا يتسلط على مال غير مملوك له ، وليست له فى ملكيته أية شبهة يمكن ان يتذرع بها لتبرير مثل ذلك الصنيع المحرم على مال الغير ، فاذا انتفى العلم بالجريمة على هذا النحو فلا جريمة ولا عقوبة ، كمن يحمل ثوبا مملوكا له ثم يفاجأ بأن فيه مقدارا من المال غير مملوك له ، ويكفى فى العلم بالجريمة هذا القدر ، فاذا ما تعدى مجال العلم هذا النطاق فلا يعفى الجانى من المسئولية ، كمن يدعى عدم معرفته قدر النصاب أو مقدار ما سرق أو يدعى الجهل بالحرز (١) ، فمثل تلك الادعاءات لا تقبل ، ولا تعفى صاحبها من انزال حكم الله به .

ولا شك فى نظرنا ، أن تكوين الركن المعنوى للجريمة انما يمثل فى مجموعة قصد ارتكاب الجناية ، لأن القصد الجنائى يتمخض فى النهاية عن اتجاه ارادة الجانى مع علمه بجريمته ؛ والقصد هو الاساس فى تحريك آثار المسئولية لما صح عنه — صلى الله عليه وسلم — « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى» (٢)، وعلى هذا النحو تتحدد اركان المسئولية الجنائية عن المال فى الفقه الاسلامى .

احكام المسئولية الجنائية :

اذا تحققت أركان المسئولية على نحو ما رأينا فى جانبيها المادى والمعنوى ، فان قيام تلك الاركان يترتب عليه حكمه ، حيث جعل الشارع وجود الجريمة سببا للعقاب ، وعلة له ، والعقاب فى جريمة السرقة يتمثل فى اقامة حد الله على السارق ، وهو قطع اليد ، اذا كانت الجريمة فى صورتها العادية وهى « السرقة الصغرى » ، فاذا ما تجاوزت حدود الجريمة ذلك النطاق بان اتخذت شكل الاشتراك مع التمرد على النظام والخروج على المجتمع ، كما هو معهود فى السرقة الكبرى وهى «الحرابة» فان العقوبة تزيد ايضا بمقدار جسامة تلك الجريمة وخطورتها على أمن المجتمع واستقراره ، وعلى حياة الناس وأموالهم ؛ حتى تصل الى قتل الجناة والاستئصال شأفتهم من المجتمع ، امتثالا لقول الله تعالى : « **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** » (٣) ، ومن ثم فان حكم قيام المسئولية فى جرائم التعدى على المال يبدأ بقطع اليد ، ثم يتدرج فى شدته حتى ينتهى الى القتل ، الأمر الذى يدل على مواءمة العقوبة للجريمة ، ويبرز جانبا من جوانب الأحكام فى شريعة الله

كيفية تنفيذ العقوبة :

ويتمثل تنفيذ العقوبة فى اقامة الحد ، وهو

(١) راجع : فتح القدير — جـ ٥ ص ٣٦٩ ، والمغنى لابن قدامة — جـ ٨ ص ٢٧٤ ومغنى المحتاج — جـ ٤ ص ١٥٩ . ومنح الجليل — جـ ٤ — ص ٥٥٢ .

(٢) البخارى مع فتح البارى — جـ ١ ص ٩ .

(٣) سورة المائدة — آية ٣٣

قطع اليد اليمنى فى السرقة الأولى بان تبتر من الزند وهو مفصل الرسغ ، ثم يحسم الزند بعد القطع ، والحسم لغة ، القطع من باب ضرب (١) ، وقد اختلف الفقهاء فى معناه الى قولين :

اولهما : للحنفية والمالكية والشافعية فى قول ، وحاصل قولهم أن المراد بالحسم هو كى محل القطع بالنار (٢) .

وثانيهما : للشافعية وبعض الحنابلة ، وحاصل قولهم : ان المقصود به غمس محل القطع فى زيت مغلى (٣) .

وفى تصورى ان الخلاف فى تلك المسألة خلاف غير جوهرى اذ المقصود من الحسم هو العمل على وقف سيلان الدم بأية وسيلة ، حتى لا يؤدى سيلانه الى ازهاق روح الجانى من جراء اقامة حد القطع عليه .

فاذا عاد الجانى لارتكاب جريمة السرقة مرة ثانية ، قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم أى من الكعب ، حيث قال بذلك جمهور الفقهاء وتحقق الاجماع عليه (٤) .

ضمانات تنفيذ العقوبة :

وقد تقول بعض ممن تقطرت قلوبهم شفقة على المجرمين بأن عقوبة القطع على النحو الذى قرره الفقهاء ، عقوبة قاسية ، تخلف عددا من المشوهين فى المجتمع ، حيث لا يستطيعون الانتاج بيد واحدة ، ومن ثم يصبحون عالة عليه ، وقد استمرأ البعض منهم القول على الله بغير الحق ، فراح يقرر معنى فى القطع أملاه عليه هواه ، دونما خوف من الله وحياء من عقابه ، فذهب الى أن المراد بالقطع فى اللغة ، مطلق المنع فيكون المراد به مجرد منع الجانى من السرقة دون قطع يده (٥) ، ولا شك أن هذا القول الضعيف قد غاب عن فهمه أن المعانى الشرعية لا يعول فيها الاعلى اصطلاحات الفقهاء ، وان دلالة اللغة على المعنى الاصطلاحى قد لاتؤدى المعنى المراد به شرعا ومن ثم يضبطه اصطلاح الفقهاء ويكون هو الدال عليه شرعا وقد قرر الفقهاء فى القطع هذا المعنى ، والقول بأن تنفيذ الحد سيخلف عددا من العاطلين فى المجتمع ، ينطوى على مجافاة لأبسط واجبات الايمان بالله ، والامتثال لاحكامه ، اذ لا يليق بواجب العبودية لله ولا آدابها ، أن يرد العبد على الله حكما ، لمجرد غرور عقله وزيوغ فكره ، قال تعالى :

« وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ » (٦) ، ولست أدرى ما هى المنفعة التى سيفقدها المجتمع من قطع الأيدى التى

(١) مختار الصحاح ــ ص ١٥٣ .
(٢) فتح القدير ــ حـ ٥ ص ٣٩٤ ، والام ــ حـ ٦ ص ١٣٨ ، وحاشية الدسوقى ــ حـ ٤ ص ٣٣٢
(٣) مغنى المحتاج ــ حـ ٤ ص ١٧٨ . ومنح الجليل حـ ٤ ص ٥١٧ ، وكشاف القناع حـ ٦ ص ١٤٥ .
(٤) راجع : فتح القدير ــ حـ ٥ ص ٥٩٥ ، ومغنى المحتاج ــ حـ ٤ ص ١٧٨ ، والاحكام السلطانية ــ ص ٢٢٦ ، والمغنى لابن قدامة ــ حـ ٨ ص ٢٦٠ .
(٥) راجع : الجنايات المتحدة فى الشريعة والقانون ــ للاستاذ رضوان المتعاق ص ٧٧ ــ طبعة ١٣٤٩ هـ ــ مشار اليه فى كتاب السرقة ــ للدكتور ابراهيم دسوقى التهاوى ــ ص ١٠ .
(٦) سورة الاحزاب ــ آية ٣٦ .

دأبت على العبث بأمنه ، والتعدى على اموال الناس فيه ، والعيش عالة على ما ينتجه أبناؤه العاملون الشرفاء ؟ .

التقليل من توقيع العقوبة :

ولا شك ان الشريعة الاسلامية حين قررت القطع عقوبة للسارق ، وضعت له ضمانات الدفاع عن نفسه ودرء الاتهام عنه ، بما يعد مفخرة للباحثين عن حقوق الانسان واتاحة الفرصة له لتبرئة ساحته مما نسب اليه من أفعال مشينة ، فالجريمة لا تثبت الا بشهادة رجلين عدلين ، أو اقرار الجانى على نفسه ، اقرارا متكررا فى مجالس مختلفة فان عدل عن اقراره فى مرة منها أطلق سبيله ، لما روى عن أبى أمية المخزومى ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، أتى بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع ، فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم ما أخالك سرقت ؟ قال بلى يارسول الله ، فأعاد عليه مرتين أو ثلاثا ، ثم أمر به فقطع » (١) ، ومن يستقرىء الشروط التى وضعها الفقهاء لاقامة الحد يجد أنها تتجاوز التسعة شروط (٢) ، كل شرط منها يعطى للجانى فرصة للدفاع ، وظرفا لمنع توقيع العقاب عليه .

ومن قبل عمدت الشريعة الغراء الى سد منافذ الجريمة والعمل على تقليل ارتكابها فهيأت فى المجتمع المناخ الصالح الذى يقتل فى النفس نزعاتها الشاذة للمال الحرام . وأوجدت فرص العمل الشريف ، ودعت الى السعى فى مناكب الأرض بالعمل المثمر فى الصناعة والزراعة والتجارة وغير ذلك من وجوه النشاط البشرى ، فسدت بذلك أبواب البطالة والعوز ، وأكدت حقوق الفقراء لدى الأغنياء ، وأرست مبادىء التكافل الاجتماعى فى المجتمع الاسلامى على النحو الذى يجعل مرتكب للجريمة فيه حريا بعقاب الله وجديرا باستحقاقه .

مصادر المسئولية الجنائية عن أموال غير المسلمين :

والشريعة الاسلامية حين قررت وجوب قطع يد السارق لم يفرق بين جان بعينه ، أو مجن عليه ، فكل من سرق واستوفى شروط القطع تقطع يده ، سواء كان السارق مسلما أو غير مسلم ، وسواء كان المسروق منه أيضا مسلما أو غير مسلم ، فالمسلم والذمى أمام شرع الله فى وجوب القطع عند الجناية على درجة سواء ، والشريعة الاسلامية لا تقر جناية المسلم على مال غير المسلم ، فاذا

(١) سنن ابن ماجه — جـ ٢ ص ٨٦٦ .

(٢) راجع فى هذا المعنى : دكتور ابراهيم دسوقى الشهاوى — المرجع السابق — ص ٦٩ . وبحثا للشيخ محمد ابو زهرة موضوعه : نظرة الى العقوبة فى الاسلام —منشور فى كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر — ص ٢٠٥ وما بعدها .

ما خالف أحكامها فى ذلك ، تقطع يده كما لو جنى على مال المسلم ، وعلى هذا النحو تتحدد معالم المسئولية الجنائية عن أموال غير المسلمين ، حيث تقوم مستندة على كتاب الله وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وسلم واجماع الفقهاء ، والأثر والمعقول .

١ ــ من الكتاب :

(أ) يقول الله تعالى :

« إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » (١) .

ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم :

أن الحق سبحانه قد أوجب تطبيق حد الحرابة على الجناة الذين يقترفونها ، حسب جسامة الفعل الذى ارتكبه كل منهم ، وقد يكون العقاب هو القتل أو الصلب أو تقطيع الأيدى والأرجل من خلاف أو النفى من الأرض (٢) ، والدلالة فى الآية عامة تشمل الجناة من المسلمين وغيرهم ، كما أنها ليس فيها ما يدل على اختصاص العقاب بحالة ما اذا سرق مال المسلم أو أخذ بالحرابة ، الأمر الذى يدل على شمول الحماية التى كفلتها الآية الكريمة لأموال غير المسلمين ، يقول الامام ابن كثير ، والصحيح أن هذه الآية عامة فى المشركين وغيرهم ممن ارتكب هذه الصفات » (٣) .

(ب) ويقول الله تعالى :

« وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤)» .

ووجه الدلالة فى هذه الآية :

أن الحق سبحانه وتعالى ، قد أوجب قطع يد السارق ، وقد أضيف الحكم فى الآية الكريمة الى السرقة ، لأن اضافة الحكم الى أمر مشتق يدل على علية مامنه الاشتقاق ، فتكون السرقة هى علة القطع ، ولفظ السارق عام يشمل المسلم وغيره ، ومن ثم فان المسلم اذا سرق مال غير المسلم تقطع يده ، وليس فى الآية الكريمة ما يدل على اختصاص مال المسلم بحكم دون مال غيره .

٢ ــ ومن السنة :

(أ) ما رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التى سرقت ، فقالوا : من يكلم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ومن يجترىء عليه الا أسامة حب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ، فكلم رسول الله عليه السلام ، فقال اتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ؟ ثم قام خطيبا، فقال: «أيها الناس ، انما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » (٤) .

(١) سورة المائدة آية ٣٣ .
(٢) راجع تفسير النسفى ــ جـ ١ ص ٢٨٢ .
(٣) مختصر تفسير ابن كثير ــ جـ ١ ص ٥١٠.
(سورة المائدة ــ آية ٣٨ .
(٤) البخارى على هامش فتح البارى ــ جـ ١٢ ص ٧٨ . وسبل السلام ــ جـ ٤ ص ٢٠ .

ووجه الدلالة فى الحديث الشريف :

أنه قد دل على وجوب قطع يد السارق مهما كان مركزه الاجتماعى ومهما كانت مكانته فى الاسلام ، وليس فى الحديث ما يدل على تخصيص السرقة بمال معين هو مال المسلم ، بل مال المسلم وغير المسلم فى الحكم سواء ٠٠

(ب) وبما أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة أنه قال « صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده » (١) ٠

ووجه الدلالة فى هذا القول الشريف :

أنه قد يدل على أن السارق ملعون ، واللعنة لا تكون الا على أمر محرم فتكون السرقة حراما ، ثم بين حكم السرقة وهو وجوب قطع اليد ، وليس فيه ما يدل على اختصاص مال المسلم عن غيره فى حكم السرقة ، ومن ثم فان المسلم اذا سرق من غير المسلم مالا فانه تقطع يده ٠

٣ ــ ومن الاجماع :

فقد أجمع الفقهاء على أن المسلم اذا سرق مال غير المسلم فانه تقطع يده وقد حكى هذا الاجماع صاحب بداية المجتهد ونهاية المقتصد (٢) ٠

٤ ــ ومن الأثر :

ما رواه أبو يوسف قال ، فى المسلم يسرق من الذمى ، انه يلزمه ما يلزم السارق المسلم ، ثم قال حدثنا أشعث عن الحسن قال من سرق من يهودى أو نصرانى أو أخذ من أهل الذمة من غيرهما قطع (١) ٠

٥ ــ ومن المعقول :

ان أهل الذمة بموجب العهد يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، ولما كانت السرقة من مال المسلم توجب قطع يد السارق بصرف النظر عن كونه مسلما أو غير مسلم ، فوجب أن يتساوى مال غير المسلم فى هذا الحكم ، ومن ثم فانه اذا سرقه مسلم فان يده تقطع به ٠

وعلى هذا النحو تقوم المسئولية الجنائية عن أموال غير المسلمين ، على أساس ثابت من كتاب الله الكريم وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، والأجماع ، والاثر والمعقول ، وبذلك نكون قد انتهينا من بيان منهج الشريعة الاسلامية الغراء فى حفظها وحمايتها لأموال غير المسلمين ٠

أما موضوع حماية الاسلام لأعراضهم ، فاننا سوف نقوم ببيانه فى مقالنا القادم باذن الله ، والله الموفق والمستعان ٠

دكتور عبد الله مبروك النجار
المدرس بكلية الشريعة والقانون

---

(١) سبل السلام ــ نفس المكان السابق .
(٢) راجع : بداية المجتهد ــ حـ ٢ ص ٢٨٢ .

(١) الخراج ــ لابى يوسف ــ ص ١٩١ وما بعدها ٠

من التراث

مجلة الازهر من خمسين عاما

جـريـدة الأزهـر

مجلة الأزهر

من خمسين عاما

"محاكاة المسلمين للأجانب"

من الظواهر الطبيعية التى نراها فى كل عصر وبيئة من زمان أو مكان • ظاهرة التقليد أو المحاكاة •

واذا كان لكل ظاهرة سبب أو أسباب تظهر بظهورها وتذهب بذهابها • فان السبب الأول للتقليد فى رأينا ــ هو الاجتماع •

ومع أننا أمة لها تاريخها وتقاليدها وعاداتها المستمدة من أصول شريعتها الجامعة الا أننا أفرطنا فى تقليد غيرنا تقليدا أنسانا حقيقتنا أحيانا مع أننا (خير أمة أخرجت للناس) •

ان من البلاء المبين أننا لم نقف فى تقليدنا للغرب عند حد ، ولم نقتصر على النافع بل أخذنا كل شىء قضية مسلمة وطبقناه فى عامة شئوننا وفى أدق أمورنا وفى هذا اهدار لما نحرص عليه من دين ولغة وتاريخ وتقاليد تخصنا • ان التقليد ليس شرا كله وليس خيرا كله • ولكنه يشمل الجانبين معا • والعاقل من تناول خيره ولفظ شره •

ان من الواجب أن نرفع الصوت ونقول بان كل من تقدمنا ــ فى الحياة ــ ما عدا الأنبياء والمرسلين ــ يصيبون ويخطئون • فلا معنى اذا للتقليد الأعمى لكل شىء •

قال الشيخ :

(١) قد يوجد فى أفراد البشر من يولد فى بيئة عفاف وحكمة ، وتتولاه يد التربية الحازمة بالتنبيه لمواقع الهنات ، فتكون سيرته

كالسبيكة الخالصة لا يجد فيها الناقد مغمزا ، وليس على وجه المعمورة اليوم أمة استوفت خصال الكمال وبلغت فى رقيها المدنى أن يفتح الناقد الألمعى فيها عينه فلا يرى الا أعمالا مرضية ، أو عادات مقبولة ، فاذا وجد فى الأفراد من يفضل ببراءته من العيوب جملة ، فان الأمم انما تفضل بغلبة خيرها على شرها ، ورجحان محامدها على مذامها ، واذا وجد فى

(١) مجلة (نور الاسلام ــ مجلة الازهر) ج ٦ المجلد الثالث .

لصاحب الفضيلة: الشيخ محمد الخضر حسين
إعداد وتقديم: عبد الفتاح حسين الزيات

الأفراد من يأذن لك أساتذة التربية فى أن تقتدى بسيرته على الاطلاق، فليس فى الأمم أمة يقول الرجل الحكيم لشعبه الناهض: خض خوضها فى كل واد، وشابهها مشابهة الغراب للغراب.

هذه حقيقة قد تغيب عن أذهان فئة من الشعوب الآخذة فى النهوض، فاذا رأوا أمة ذات معارف وسطوة، تهافتوا على محاكاتها فى غير تدبر واحتراس، وربما سبقوا الى ما يعد من سقط متاعها ومستهجن عاداتها، فصبوا هممهم فى تقليدها فيه، فزادوا شعبهم وهنا على وهن، وكانوا كالعثرات تعترضه فتعوقه عن السير، أو تجعل سيره فى الأقل بطيئا.

ومتى كثر فى الشعب أمثال هؤلاء الذين لا يميزون فى محاكاتهم السيئة من الحسنة، فقد الشعب هدايته الدينية، وتجرد من مميزاته القومية، ولا يفلح شعب نكث يده من الدين الحق، ولا يعتز شعب نظر الى قوميته بازدراء.

وقد تعرض ابن خلدون فى مقدمته لهذه المحاكاة من حيث انها طبيعة اجتماعية فقال: « ان المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب فى شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب فى ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت اليه اما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعى، انما هو لكمال الغالب » ثم قال: « ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب فى ملبسه ومركبه وسلاحه، فى اتخاذها وأشكالها، بل فى سائر أحواله » ثم قال: « وانظر الى كل قطر من الأقطار كيف يغلب على أهله زى الحامية وجند السلطان فى الأكثر، لأنهم الغالبون لهم، حتى اذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها يسرى اليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير، كما هو فى الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة، فانك تجدهم يتشبهون بهم فى ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم، حتى فى رسم التماثيل فى الجدران والمصانع والبيوت، حتى لقد يشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء، والأمر لله ».

وهذا الذى قرره ابن خلدون طبيعة من

٥

طبائع الأمم الضعيفة حيث توجد بجوار أمة قوية ، ولكنها طبيعة عرفت علتها ، فيمكن لزعماء الأمة الضعيفة أن يعالجوا العلة ، فتسلم الأمة من هذه الطبيعة ، ويمكنها أن تتحفظ من الاقتداء بالغالب الا فيما كان من وسائل الرقى والسيادة • يذكر ابن خلدون أن العلة فى هذا التقليد اما ما وقر فى صدر الأمة من تعظيم الغالب ، واما ما تغالط به من أن غلب الغالب ليس بعصبية ولا قوة بأس ، وانما هو بما انتحله من المذاهب والعوائد ، وكلتا العلتين انما تتفشى فى الأمة الملقى حبلها على عاتقها ، تمشى على غير بصيرة ، ولا تقصد الى غاية نبيلة • فاذا قيض الله للأمة المغلوبة رجالا يعالجون ما عساه أن يطغى فى صدرها من تعظيم شأن الغالب ، أو يوقظونها الى ما تغالط به من أن غلب الغالب بما انتحله من المذاهب والعوائد ، أنقذوها من عملية التقليد الذى تتجرد به من الآداب الدينية والمميزات القومية • والناشىء الذى يدرس تاريخ الاسلام ، وما كان لرجاله من مجد شامخ وسلطان كريم ، لا يكبر فى عينه سلطان الغالب الى أن ينحدر فى التشبه به فى كل حال•

يذكر الكتاب والخطباء تقليد المسلمين للأجانب ، ومنهم المسرفون فى الدعوة الى التقليد ، ومنهم الراشدون ، واليك كلمة تعرض عليك الرأى الذى يقف عند حدود الدين ، ويرعى حق القومية ، ويقدر المصالح ، ويحرص على أن لا يفوت الأمة منها مثقال ذرة :

محاكاة المسلمين للأجانب تظهر فى خمسة وجوه ؟

(أحدها) محاكاتهم فيما يشتمل على مصلحة دنيوية ، ولا يخالف حكما شرعيا وأدبا دينيا ، وهذا مما تأذن الشريعة فى الأخذ به ، ويتأكد العمل به على قدر مافيه من مصلحة ، وليس من المعقول أن تنهى الشريعة عما فيه خير لمجرد أن قوما من غير المسلمين سبقوا اليه ، ويدخل فى هذا مجاراتهم فى العلوم والصنائع ، ووسائل الدفاع ، والمرافق التى يخف بها جانب عظيم من عناء هذه الحياة ، ومن شواهد هذا ما فعله النبى — صلى الله عليه وسلم — من حفر الخندق حول المدينة المنورة وقد أشار به سلمان الفارسى ، وهو من مكايد الفرس فى حروبها •

وفى أوربا اليوم نظم ادارية نزنها بقاعدة رعاية المصالح ، فنرى اجراءها فى بلادنا من قبيل اصلاح الادارة ، كنت أرسلت من برلين برقية لصديق لى فى جنيف ، فجاءنى خطاب من ادارة البرقيات يقول لى : لم نهتد الى معرفة المبعوث اليه بالبرقية ، وبعد ساعات وصلتنى برقية من صديقى جوابا عن البرقية التى بعثت بها اليه ، وبعد ساعات جاءنى خطاب من تلك الادارة تقول فيه : اهتدينا الى معرفة صاحبك بعد وأبلغناه البرقية • فمن ذا ينكر فائدة مجاراة الأجانب فى مثل هذه النظم المريحة للنفوس ، وأذكر من أبيات للأستاذ محمد بن عبد الكريم المقيلى فى الرد على من أنكر تعلم علم المنطق قوله :

خذ العلم حتى من كفور ولا تقم
دليلا على شىء بمذهب أهله

ولا أسوق فى هذا الوجه محاكاتهم فى بعض أخلاق انتظمت بها مدنيتهم ، وارتفعت بها على كثير من البلاد رايتهم ، كالصبر على المكاره ، والاقدام على العظائم ، وقوة رابطة الاتحاد والتعاون بين أفرادهم وجماعاتهم ، فان الاسلام قد أرشد الى جميع الأخلاق التى تزدهر بها المدنية ، وتستحكم بها عرى السيادة ، فاذا ظهر المسلمون بخلق عظيم ، فانما يقتبسونه من حكمة دينهم وسيرة عظمائهم .

(ثانيها) محاكاتهم فى شىء من شعائر دينهم ، وهذه المحاكاة ان كانت عن رضا دلت على نبذ الاسلام ، ولاسيما محاكاة تقع منه مرة بعد أخرى ، فان قامت قرينة على أنه يقصد الاستهزاء بمن يقلدهم ، فهى سفاهة وعصيان ، فالذين يرسلون أبناءهم لمدارس أجنبية تحتم على كل تلميذ الاشتراك فى القيام بشعائرها الدينية ، انما يلقون بأفلاذ أكبادهن فى حفرة من النار .

وقد وصل ببعضهم الشغف بالانحطاط فى هوى الأجانب ، والانغماس فى التشبه بهم أن اقترح فى غير خجل قلب هيئة المساجد الى هيئة كنائس ، وتغيير الصلوات ذات القيام والركوع والسجود الى حال الصلوات التى تؤدى فى الكنائس ، وهذا الاقتراح شاهد على أن فى الناس من يحمل تحت ناصيته جبينا هو فى حاجة الى أن توضع فيه قطرة من الحياء .

(ثالثها) محاكاتهم فى شىء لم يكن من شعائر دينهم ، ولكنه مما نهى عنه الاسلام على وجه الحرمة ، كتقليدهم فى اختلاط الرجال بالنساء ورقص الفتيان مع الفتيات ، أو نهى عنه على وجه الكراهة ، كتقليدهم فى تناول الطعام باليد الشمال (١) أو اطالة بعض الأظفار ، والمحاكاة التى توقع فى محرم فسوق عن أمر الله ، والتى توقع فى مكروه يخسر بها صاحبها قسطا من ثواب الله ، هذا اذا كانت المحاكاة عن مجرد هوى ، فان كانت عن اعتقاد أن ما يفعله الأجنبى أحكم وأليق ، زلزلت أصل الايمان ، والتحقت بمحاكاته فيما هو من شعائر ملته ، وعلى هذا الوجه يجرى حكم استبدال قوانينهم الوضعية بأحكام الشريعة الغراء نحو القوانين المبيحة لما حرم الله من الربا .

ومن الأمراض التى سرت الى المسلمين على طريق التقليد للأجانب موبقة الانتحار ، فقد يتخيل صغير العقل حيث يقع فى بلاء أن الانتحار طريق يصح أن يسلك للتخلص من البلاء ، متكئا فى هذا الخيال على أن كثيرا من رجال الدول أو الأمم الغالبة يرتكبونه وسيلة الى الخلاص من مكاره تصيبهم ، أو مكاره يخشون اصابتها .

ومن هذا الباب محاكاتهم فى اغلاق محال التجار فى يوم الأحد أو السبت ، فقد ثبت أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قصد ◄

---

(١) ليس من الصعب على من يريد المحافظة على أدب اسلامى ان يعود يسراه قطع اللحم ونحوه بالسكين ، ويعود يمناه تناوله بالشوكة . وقد عزم على هذا قوم يعز عليهم ان يستخفوا بأدب دينى فوجدوه أمرا ميسورا .

الى صوم يوم السبت والأحد ليخـالف أهل الكتاب فى جعلهما يومى عيد ، لأن صوم اليوم يبعده من أن يكون عيدا ، نقـرأ فى سنن أبى داود أنه — صلى الله عليه وسـلم — كان يصوم يوم السبت والأحد ، يتحـرى ذلك ويقول : (انهما يوما عيد الكفار وأنا أحب أن أخالفهم) وأخرج الامام أحمـد والنسـائى أنه ما مات — صلى الله عليه وسلم — حتى كان أكثر صيامه السبت والأحد .

فاغلاق المسلم لمحل تجـارته يوم الأحـد أو السبت يناقض قصد رسول الله — صلى اللهعليه وسلم — الىصوم هذين اليومين ،لأن اغلاق محل التجارة أو الصناعة فى يوم معين لا يلتزمه الا من شأنه أن يعتقد أن ذلك اليوم حقيق بأن يتخذ عيدا .

ومن محاكاتهم فيما يحـرمه الشرع وينبـذه العقل انشاء مكتب يستأذنه فاسدات الأخلاق فى التجارة بأعراضهن فلا يجد فى صـدره حرجا أن يأذن لهن ، وقد تيقظ كثير من رجال دولتنا الرشيدة الى مافى هذه المحاكاة من شر مستطير ، فأخذوا يجاهدون فى تطهير البلاد من هذه الخبائث ، وسيلقون على هذا الجهاد شكرا صادقا ، وذكرا طيبا ، وما عند الله خير وأبقى .

(رابعها) محاكاتهم فيما لم يتعرض لـه الدين بنهى خاص ، ولكن رعاية جلب المصالح أو درء المفاسد تقضى بترك هـذه المحاكاة ، والمصالح كالمفاسد تتفاوت فى شدتها فيفصل الحكم على حسب هذا التفاوت ، ومن أمثلة هذا النوع اتخاذ بعض الأزيـاء الظـاهرة فى الاختصاص بهم كالقبعة ، فان وضع المسلم لها على رأسه بين قوم مسلمين يدل على ميله وترجيحه لجانب من يلبسها ، ويوقع فى اعتقاد الناظرين اليه أنه من طائفة المخالفين ، والمسلم المطمئن لدينه يتحامى ما يدل على أنه يميل الى غير أمته أكثر مما يميل الى أمته ، ويتألم من أن يصفه أحد بأنه من قوم غير مسلمين ، وقـد حاول بعض المفتونين بتقليد الغـالب فيمـا لا أثر له فى قوة سلطانه أن يحملوا أبنـاء المسلمين فى مصر على لبسها فخاب سـعيهم ، ولم يكن جند صلاح الـدين الأيوبى الـذى انتصر على جيـوش الأوربيين فى حطين حيث كانت الواقعة الفاصلة ، يرضى بأن يتخـذ فى شعاره القبعات ، ولم ينفع أعـداءه المنهزمين أن كان على رأس كل واحد منهم قبعة .

ويدخل فى هذا القبيل اتخاذ نحو الملابس وأثاث البيوت من مصنوعاتهم وفى المصنوعات القومية ما يغنى غناءها ، وفى الاقبـال عـلى المصنوعات القومية فتح باب عظيم من أبواب الثروة العامة ، وارتقاء الشعوب على قـدر يسارها .

ومما يثير الأسف البالغ أن يقتصر المسلم فى رسائله أو عند ذكر الحوادث على ما يؤرخ به المسيحيون ، وهو التاريخ القائم على ميلاد المسيح عليه السلام ، وقد فشت هذه المحاكاة، حتى أصابت أقلاما شأنها أن تنهى عن مثل هذا التشبه ، وفى الاعتمـاد على التاريخ الهجرى محافظة على ذكرى مبدأ علو الاسلام وظهوره على الدين كله ، وكان صاحبنا العلامة أحمد تيمور باشـا رحمـه الله تعـالى يقتصر فى مراسلاته على التاريخ الهجرى متعمـدا هذا

الاقتصار حتى فى مخاطبة الجمعيات أو الشركات الأجنبية .

(خامسها) محاكاتهم فى أمور لم يرد فيها عن الشارع نهى خاص ، ولم تكن فى نفس موافقتهم فيها مصلحة أو مفسدة ، ولا تلقى على صاحبها شبهة الانتماء الى ملتهم ، ولا حرج فى هذه المحاكاة الا من جهة الاحتفاظ بالتقاليد القومية ، فصغار النفوس أو العقول يسارعون الى التخلى عن المعروف بين الأمم الأجنبية ، ولا داعى لهم الى هذه المحاكاة الا الافتتان بكل شأن من شئون أولى الشوكة والسلطان ، أما أولو الأحلام الراجحة فلا ينتقلون عن المعهود فى بيئتهم الا الى ما هو أفضل ، ولا يفضل عرف على عرف لمجرد أنه يجرى بين قوم لهم القوة والغلبة ، ومن أمثلة هذا محاكاتهم فى لون خاص يلتزمونه فى حفلات خاصة ، فليس للون الخاص فى الحفلات مصلحة أو مدخل فى نهوض القوم ، وانما هى عادة جرت بينهم ، وألفتها أذواقهم ، فاذا لم يعتد قوم مسلمون التزام ذلك اللون فى مثل تلك الحفلات وأبوا تقليد الأجانب فى هذا العرف ، دلوا بهذه الاباية على الاعتزاز بقوميتهم ، ونبهوا على أنهم لا يريدون أن يكونوا أتباعا حتى فيما لا يقدمهم خطوة ، ولا يسد من حاجاتهم خلة .

فان خطر على بال أحد أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يسدل شعر رأسه موافقة لأهل الكتاب ، قلنا : كان عليه الصلاة والسلام بين فريقين : عباد الأوثان وأهل الكتاب ، وأهل الكتاب أقرب الى الدين الحنيف من عباد الأوثان ، فهم بالموافقة يومئذ أحق من عباد الأوثان ، ولكن بعد أن دخل عباد الأوثان فى الاسلام ، وأصبح فرق الشعر شعار فريق كبير من المسلمين ، عاد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ففرق شعر رأسه ، وكان الفرق آخر حالتيه .

وان تعجب فعجب لذلك الذى وضعت صولة الغالب على بصيرته غشاوة ، فقام يدعو المسلمين الى تقليد الأجانب بدون قيد ولا استثناء ، وذهب يذكر فى وجه هذا التقليد المطلق غاية هى العمل لاتحاد العالم ، ولا نطيل فى وصف انحراف هذا الرأى فان العالم فى حاجة الى الاتحاد فى معرفة واجبات الانسانية ، وفى احترام الأقوياء لحقوق الضعفاء ، ومتى ظفر بهذا الاتحاد لم يضره اختلاف شعوبه فى بعض مظاهر الحياة ، ثم ما بال هذا الكاتب يسعى لاتحاد العالم من ناحية دعوة المسلمين الى موافقة الغربيين فى كل شىء ، ولم ينظر المتدبر الرصين فيدعو الغربيين الى موافقة المسلمين فى آداب هى أشد انطباقا على ما تقتضيه الانسانية وترتضيه الأذواق السلمية ! .

هذه كلمة نوجهها الى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، لعلهم يجدون فيها تحقيق الفرق بين محاكاة الأجنبى المحمودة ومحاكاته المنبوذة ، فيسلكوا طريقا وسطا يكفل لهم سعادتى الأولى والآخرة ، (والله يقول الحق وهو يهدى السبل) .

محمد الخضر حسين

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

شرح الوجيز

فى فقه الإمام أحمد بن حنبل ـ للزركشى(١)

الامام أحمد بن حنبل انعقد اجماع المسلمين على أنه من الرجال الصالحين ، قال بعضهم لو قصد الشام ونواحيها لقالوا : أحمد بن حنبل رجل صالح ح وكذلك لو قصد العراق ونواحيها لقالوا : احمد بن حنبل رجل صالح ، وتسايرت الركبان بذكر صلاحه وتقواه وورعه وقوة ايمانه

وزهده ، واذا كان الاجماع حجة فقد قامت الحجة على صلاح احمد ليس فى ذلك من ريب ولا مجال للشك فيه ، اختبر احمد بالدنيا

وزينتها فصرف عنها وان كانت له نفس تطلب طيبات الحياة ، ولكنه كبحها عن شهواتها ،

وفطمها عن الترف ، طلبته الملاذ فردها وذايلها فلم يعلق به شىء من طارف الحياة (٢) اختبره خلفاء أربعة ح فخرج من الاختبار رجلا صالحا ، وقد تنوعت طرائق الاختبار .

اختبره المأمون بالقيد ، فسيق اليه مقيدا غلولا يثقله الحديد مع بعد الشقة وعظم المشقة ، واختبره المعتصم بالحبس والضرب ، واختبره الواثق بالمنع والتضييق ، فما نهنهوا من نفسه وما يعتقد ، وبعد تلك البلايا ابتلى بالبلاء الأكبر فساق اليه المتوكل النعم ، فردها وهو عيوف النفس ، وكان يشد على بطنه من الجوع ولا يتناول مما يشك فى حله أو يتورع عنه ، ثم ابتلى احمد بعد كل هذا بأعظم بلاء ينزل بالنفس البشرية ، وهو اعجاب الناس ، فما أورثه ذلك عجبا ولا دلاه بغرور .

وكان رحمه الله يقول : لو وجدت السبيل لخرجت حتى لا يكون لى ذكر » .

ويقول : « أريد أن اكون فى بعض الشعاب مكة ، حتى لا أعرف: قد بليت بالشهرة انى لأتمنى الموت ، صباح مساء » .

ان صلاح الامام احمد بن حنبل كان يمنعه من السير فى فقهه الى أقصى مداه ، كان يتوقف حيث يسير غيره ويتردد حيث يجزم سواه يجمجم بالمعنى حيث ينطق غيره ، ويسكت عن الفتيا حيث يسارع سواه ولذلك

(١) الكتاب فى مكتبة الأزهر فى الفقه الحنبلى برقم خاص ٦١ ورقم عام ١٠٦٤٢ .

(٢) ابن حنبل حياته وعصرة ــ محمد ابو زهرة

للأستاذ محمد عميره على

طغت على فقهه نزعته الى التحديث ووقوفه عند الأثر ، حتى لقد حسبه بعض العلماء السابقين محدثا ، وليس فقيها ، فنرى ابن جرير الطبرى لم يذكر مذهبه فى اختلاف الفقهاء ، وكان يقول عنه انه رجل حديث ، لا رجل فقه وامتحن لذلك .

وان مكتبة الأزهر لتذخر بكثير من كتب فقه الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه ومنها نموذج فريد لمخطوطه فى شرح « الوجيز » للامام محمد بن عبد الله بن محمد الزركشى المصرى الحنبلى « شمس الدين » أبو عبد الله توفى بالقاهرة سنة ٧٧٢هـ (سنة ١٣٧٠ م) (١) من آثاره : شرح قطعة من المحرر ، وشرح الخرقى ، وشرح قطعة من الوجيز ، قيل عن الامام الزركشى فى « شذرات الذهب » جـ ٦ ص ٢٢٤ :

أنه كان اماما فى المذهب له تصانيف مفيدة أشهرها شرح الخرقى لم يسبق الى مثله وكلامه فيه يدل على فقه نفسى وتصرف فى كلام الأصحاب ، أخذ الفقه عن قاضى القضاة موفق الدين عبد الله الحجاوى قاضى الديار المصرية .

وابتدأ المؤلف كلامه فى شرح قطعة من الوجيز الموجودة بمكتبة الأزهر والتى أشار اليها « معجم المؤلفين » بكتاب العتق وعدة أبواب أخرى .

الباب الأول : العتق : قال أهل اللغة العتق الحرية تقال منه عتق يعتق عتقا ، وعتقا بكسر العين وفتحها ، وأعتقته أنا ، قال الأزهرى هو مشتق من قولهم عتق الفرس اذا سبق ونجا ، وعتق الفرخ اذا طار واستقل ، لأن العبد تخلص بالعتق ويذهب حيث شاء ، وقال فى المغنى العتق فى اللغة الخلوص . ومنه عتاق الطير وعتاق الطير أى خالصها . قال : وسمى البيت الحرام عتيقا لخلوصه من أيدى الجبابرة . قال : وفى الشرع عتق الرقبة تخليصها من الرق ، والأصل فيه قوله سبحانه « فتحرير رقبة » .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم قال « من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتىفرجه بفرجه » متفق عليه .

وأجمع المسلمون على صحة العتق وحصول الفدية به فى الجملة قال وهو أفضل القرب .

---

(١) معجم المؤلفين حـ ١٠ ص ٢٣٩ .

وفى الشرع هو قربة عظيمة وذلك لما تقدم من حديث أبى هريرة .

وروى أبو ذر رضى الله عنه أى الأعمال أفضل قال الايمان ، وجهاد فى سبيل الله قال : قلت أى الرقاب أفضل قال أنفسها عند أهلها ، وأكثرها ثمنا متفق عليه أيضا . ولأن الله سبحانه وتعالى جعله كفارة للقتل والوطء فى رمضان والأيمان ولأن فيه تخليص ملك الآدمى المعصوم من ضرر الرق يملك نفسه ومنافعه .

(اشكال) اطلاق الأصحاب بأن العتق قربة مشكل . لأن القربة من شرطها النية والعتق يصح من غير نية وقد صرح الأصحاب بصحة اعتاق الكافر مع أن نيته غير صحيحة فينبغى أن يقال العتق على ضربين :

قربة وهو ما اقترنت به النية المعتبرة .

وغير قربة وهو ما عدمت به النية .

قال المصنف وعتق العبد أفضل من عتق الأمة قال الشارح هذا الذى قطع به أبو محمد فى المغنى ونقله بن منصور عن احمد وذلك لما روى سالم بن ابى الجعدى عن أبى أمامة وغيره من أصحاب النبى - صلى الله عليه وسلم يعنى عن النبى - صلى الله عليه وسلم قال « أيما امرىء مسلم أعتق امرأ مسلما كان فكاكه من النار فجزى كل عضو منه عضوا منه وأيما امرىء مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار ويجزى كل عضو منهما عضوا منه رواه الترمذى وصححه .

ولأحمد وأبى داود معناه من رواية كعب بن مرة أو مرة بن كعب السلمى وزاد فيه : « وأيما امرأة مسلمة اعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار ويجزى كل عضو من أعضائهما عضوا من أعضائها » .

باب التدبير :

وهو تعليق العتق بالموت قال الشارح التدبير مصدر دبر العبد أو الأمة تدبيرا اذا علق عتقه بموته ، لأنه يعتق بعد ما يدبر سيده والممات دبر الحياة قال بن عقيل هو متبق من ادباره من الدنيا . والأصل فيه ما روى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رجلا أعتق غلاما له عن دبر فاحتاج فأخذه النبى - صلى الله عليه وسلم فقال : من يشتريه منى فاشتراه نعيم بن عبد الله بكذا وكذا فدفعه اليه وأجمع المسلمون على صحة التدبير فى الجملة .

قال : المصنف وهو فى الصحة من الثلث قال الشارح هذا منصوص أحمد فى رواية المروزى وصالح وحرب وأبى طالب وعليه الأصحاب .

وذلك لأنه تبرع بعد الموت فاعتبر من الثلث كسائر الوصايا .

قال المصنف ويصح ممن تصح وصيته ، قال الشارح وذلك لأنه تصرف بعد الموت أشبه الوصية . قال وصريحه لفظ العتق والحرية المعلقين بالموت ولفظ التدبير وما تصرف منه كانت حر أو محرر بعد موتى أو معتق أو عتيق بعد موتى أو دبرتك أو أنت مدبر وذلك لأن جميع ذلك لا يحتمل غير التدبير ولأن هذا اللفظ موضوع له فكان صريحا فيه فلفظ العتق ، ويرد على هذا المضارع والأمر ، كما قال فى العتق .

باب الكتابة : قال : وهو بيع العبد نفسه بمال مؤجل فى ذمته ، والكتابة اسم مصدر لمعنى المكاتبة وأصلها من الكتب وهو الجمع لأنها تجمع على نحو ما . ومنه سمى الحراز كاتبا قال الحريرى .

وكـــاتبين ومـــا خطت أنـــاملهم
حـــرفا ولاقـــروا ما خط فى الكتب

وقيل لأن السيد يكتب عنه ومنه كتـــابا بما اتفق عليه .

ومعناها فى الشرع ما قاله المصنف وهو ابن حمدان فى الرعاية . ولابد فى المال من أن يكون

معلوما . وفى المؤجل أن يكون منجما وسيأتى ذلك والأصل فيها الكتاب والسنة والاجماع .

أما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى « **وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا** » (١) .
وأما السنة فقوله عليه السلام « المكـــاتب

عبد ما بقى عليـــه من كتـــابته درهم » رواه أبو داود وغير ذلك من الأحاديث ، وأجمع المسلمون على جواز الكتابة فى الجملة . قـــال

ولا يصح كتابة مرهون ، لأن الكتـــابة بيـــع العبد نفســـه كمـــا تقدم وبيع المرهـــــون لا يصح .. الخ .

كتاب النكاح . النكاح فى كلام العرب الوطء قاله الأزهرى وسمى التزويج نكاحا لأنه سبب الوطء .

وعن الزجاجى : النكاح فى كلام العرب بمعنى الوطء والعقد جميعا .

وموضوع نكح فى كـــلامهم للـــزوم الشىء والشىء راكب عليه قال ، ابن جنى عن الفارس فرقت العرب فرقا لطيفا يعرف به فى موضـــع

العقد من الوطء ، فـــاذا قالوا : نكح فـــلانه أو بنت فلان أرادوا تزوجها ، واذا قـــالوا نكح امرأته أو زوجته لم يريدوا الا المجامعة .

وقال الجوهرى : النكاح الوطء وقد يكـــون العقد ، وهو فى الشرع العقد فغدا الاطـــلاق يصرف اليه اختاره أبو محمد وابن عقيل وابن البنا وذلك لأنه الأشهر فى الكتاب والسنة .

وكلام أهل العرف وليس فى الكتـــاب لفظ نكاح بمعنى الوطء الا قوله تعالى :
« **حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ** » .
على خـــلاف فيه .

ولأنه يصح بعده عن الوطء فيقال هذا سفاح وليس بنكاح الى آخر ما ذكر فى هذا الباب .

باب الشروط والعيوب فيه أى فى النكـــاح : والشروط والعيوب جميعا شرط وعيب كفلس

(١) النور ٣٣ .

وفلوس • والأصل فى صحة الشروط فى النكاح ما روى عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

« أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج » رواه الجماعة •

فجعل الوفاء بالشروط التى يستحل بها الفرج أحق منه بغيرها • وروى عمرو بن عوف رضى الله عنهما قال :

« المسلمون على شروطهم الا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح •

وقد أمر الله سبحانه بالوفاء بالعقود ومدح من وفى بالعهد وذم من نقضه قال اذا شرطت المرأة طلاق ضرتها أو أن لا يتسرى ولا يتزوج

عليها أو لا يخرجها من دارها أو بلدها أو شرطت مهرا معينا أو زيادة فى مهرها صح • فان خالفه فلها الفسخ • أما كون جميع ما ذكر

يصح شرطه عدا اشتراط طلاق ضرتها • وقد نص احمد رحمه الله على ذلك فى رواية

ابن منصور وأبى الحارث اذا شرطت عليه أن لا يخرجها من بلدها أو دارها فلا يخرجها الا برضاها ، واذا أعطته مالا وشرطت عليه أن

لا يتزوج فتزوج يرد ما أخذه على هذا الشرط فانه تزوجها على أن لا يتزوج عليها أو لا

يتسرى ، فان تزوج أو تسرى فهى مخيرة ان شاءت أقامت وان شاءت فارقته ، وعلى ذلك الأصحاب •

وختم كتابه بباب الهبة وقال فى آخرها والمسألة أربعة أقوال الثالث الحكم فى البيع ، الحكم فى الصداق فلو باع عبدا وأبرأه من

ثمنه فوجد به المشترى عيبا فرده وطالب بثمنه أو أمسكه وطالب الأرش فهل له ذلك ؟

على وجهين بناء على ما تقدم قاله فى الثانى والله اعلم • هذا آخر ما وجد من شرح الوجيز فى الفقه على مذهب الربانى احمد بن حنبل

الشيبانى قدس الله روحه تأليف الشيخ العلامة شمس الدين الزركشى طاب ثراه ووافق الفراغ من نسخه فى العشر الآخر من جمادى الآخرة لسنة أربع وسبعين ، وسبعمائة كتبه

عبد الحق بن ادريس الانبارى ، عفا الله عنه والحمد لله والصلوات على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا •

والنسخة الموجودة بمكتبة الأزهر بقلم معتاد قديم بها أكل أرضه وتلويث على هامشها وبين سطورها هوامش وتصحيحات فى ١٣٠ ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرا •

محمد عميره على
مدير مكتبة الأزهر

جريدة الأزهر لولكوكس

ودورها فى الدعوة إلى العامية

يناير ١٨٩٣ ـ ديسمبر ١٨٩٣ (١)

بقلم عاطف زهران

ـ ٢ ـ

بينا فى المقال السابق من هذه الدراسة (٢) أن هذه المجلة التى حملت فى القرن الماضى اسم « الأزهر » لم تصدر عن مشيخة الأزهر ، وانما أصدرها : ابراهيم مصطفى وحسن رفقى « ١٨٨٧ ـ ١٨٩٢ » صاحبا امتيازها ، ومرت أثناء ملكيتهما لها بمرحلتين : سميت فى الأولى منهما « الصحة » وفى الثانية « الأزهر » ثم اعلن صاحباها نقل امتيازها الى المهندس الانجليزى « ويليم ويلكوكس » فى العدد الاخير ديسمبر ١٨٩٢ .

وفى هذا العدد نفسه أعلن « ويلكوكس » أيضا عن انتقال امتياز المجلة اليه ابتداء من يناير ١٨٩٣ م وحملت شعارا جديدا لها وسايرت فى ذلك العهد نفس الهدف الذى خدمته صحافة ضالة زاملتها فدعت بدورها الى الحث على تعلم اللغات الاجنبية (٣) ثم تصدرت هى الدعوة الى نبذ الفصحى والاقبال على العامية ، وكان هذا الاتجاه فى خدمة المستعمر بأكثر مما يرجو المستعمر نفسه

*** امتياز ويلكوكس**

فديسمبر سنة ١٨٩٢ أعلن ويلكوكس عن انتقال امتياز مجلة الازهر اليه من بداية العام الجديد « يناير ١٨٩٣ » وطالب المهندسين بأن يشاركوا فى تحريرها وحافظ على اسمها

٥

(١) هى معروفة بسجل الوثائق بـ « جريدة الازهر » وتسميتها بمجلة الازهر يراها بعض اساتذة الصحافة لصدورها فى شكل مجلة .

(٢) مجلة الازهر ـ شعبان ١٤٠٤ ص ١٢٧٥ .

(٣) د . سامى عزيز ـ الصحافة الانجليزية وموقفها من الاحتلال ص ٢٨٠ .

● جريدة الأزهر لولكوكس

وموعد صدورها وحجم ورقها وعلى شعارها (علمية أدبية)..فهو لم يرد أن يفجأ القارئ بأدنى تغيير فى الشكل . حتى ينطلى عليه المضمون الجديد هذا المضمون الذى أولى الرياضيات أهمية كبرى .

وهو لا يريد أن يفقد بعض القراء الذين ارتبطوا بالمجلة طوال سنى صدورها .

وليس من صالحه أن يبدل فله رسالة وهو صاحب دعوة يسعى الى تحقيقها وتبليغها . ودعوته تلح عليه وتؤرقه ، فقط عليه أن يحول الاتجاه من المحتوى الطبى الى الرياضيات وهو العلم الذى يجيده . ودليلا على هذا النهج أضاف رسم (الفرجار) الى جانب اسم المجلة رمزا لعلم الرياضيات وشعارا جديدا مميزا لعهده .

وشاركه الاستاذ أحمد الازهرى (امتياز المجلة) وظلت المجلة فى ذلك العهد على مدى عشرة أشهر تصدر بنفس صورة الغلاف فى العدد الأول الاسم (الأزهر) وبجواره الفرجار وأسفلهما عبارة لـ « ميلتون » اختارها ويلكوكس لتخدم خطته ولتمهد الأرض لما سيجهر به من دعوة .

«أعطنى الحرية فى أن أعلم وأتكلم وأتباحث حسب مامنحته من الذمة وأعطيته من الحرية..»

١ ــ (صورة غلاف العدد الأول)

وهى عبارة تترجم عما ينتويه ، وتطالب بالحرية فى التعبير .. فى القول والبحث والتعلم ، الحرية فيما يقول وفيما يجول . فهو صادع بدعوته بعد صفحه واحدة . لا يطيق صبرا عنها ولا كتمانا لها .

* العدد الاول

أصدر ويلكوكس مع أحمد الأزهرى ما أسماه مجلة « الأزهر » من يناير ١٨٩٣ حتى نهاية هذا العام نفسه .

وفى العدد الاول يشير ويلكوكس الى الموافقة الخديوية على اصدار جريدته ويرسم خطة عمله فى العهد الجديد فيقول :

جعلنا أكثر مواضيع هذه الجريدة علمية ، وسنبذل الجهد فى تحريرها ، ونحن نقدمها لجنابه (١) العالى حيث تشرفنا باجازته الشريفة .

وبعد عدة أسطر من الصفحة الأولى استغرقها هذا التنبيه . نرى مقالا كبيرا له يستغرق حوالى عشر صفحات من المجلة هو ترجمة عربية لمحاضرة ألقاها قبل حين فى حفل أقيم بـ (كلوب الازبكية) أفصح فيه عن مراده . وأعلن عن دعوته .. (وأد العربية الفصحى واحلال العامية المصرية محلها) ليتحقق كما يقول للمصرين الخير العميم !

وهو ان كان صرح بذلك فى حفل سمعه العشرات ، فلابد من نشر دعوته على أوسع مستوى . والصحافة أقدر على ذلك وأبقى فالمحاضرة لا تلبث أن تذهب مع الرياح .

(١) جناب الخديوى .

والصحافة أحرى بحفظها وأسرع فى نشرها وعليه فقد نشرها فى العدد الاول من المجلة •

كانت محاضرته بعنوان :

(لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن) •

بدأها بحديث عن قدماء المصريين وآثارهم العجيبة التى خلقوها مما يدل على يدهم الطولى فى الاختراع ، ويأسف لما أصاب الخلف من بعدهم من تأخر فى الاختراع • ويقرر فى البداية أنه محب للمصريين أشد الحب مما جعله يبحث عن سر تأخرهم وينقب عن الداء العضال قال :

« وما أوقفنى هذا الموقف الا حبى لخدمة الانسانية ورغبتى فى انتشار المعارف ، وما أجده فى نفسى من الميل اليكم (يعنى المصريين) الدال على ميلكم الى كما قيل : سلوا عن مودات الرجال قلوبكم (١) ثم يمهد لضربته •

(فالاختراع هبة وهدية لكل رجل ذكى ، ولكن أناسا كثيرين وضعوا أمام عقولهم حجابا منعهم عن نظر الاشياء ، والتفقه فى معانيها كما ينبغى لكل من منح هذه القوة الشريفة • وهو حجاب أسود كثيف ••(٢))

ثم يستطرد فيقول :

« انه يوجد فكيم أناس كثيرون توفرت فيهم الشروط المارة ، ولكن بسبب عدم وجود لسان علمى مشهور فيما بينكم لم تتحصلوا على شىء وأضعتم أعمالكم سدى • فالكتب العلمية الدنيوية يؤلفها أربابها بكلام مثل الجبال ، وفى آخر الامر لا يلد ا الكلام الصعب الا فأرا صغيرا • وما نشأ ذلك الا من كون اللسان العلمى غير مشهور فيما بين العامة • فبمجرد وضع الأفكار فى الكتب تموت ولم تعد تحياء فكأنهم يكفنونها فى الورق ، ويدفنونها فى جلود الكتب •

واللغة العربية الأصلية كانت قوية جدا مشحونة بالألفاظ الشهيرة كما أنها كانت مشتملة على ألفاظ كثيرة ضعيفة (٣) ، وعلى مر الزمان غلبت القوية الضعيفة ، وكونت لغة قوية حية (٤) •

ولكنكم أيها المصريون أصبحتم تقولون انها لغة دارجة لا ينبغى اتباعها ، وجنحتم فى مؤلفاتكم الى اللغة الضعيفة الخفية التى ماتت منذ زمن بسبب مزاحمة القوية لها •

وأقول لكم : اذا جنحتم الى هذه اللغة الدارجة القوية الشهيرة فيما بينكم ، وتركتم هذه اللغة الضعيفة تنجحون كثيرا •• »

هذا هو السبب الاكبر عند ويلكوكس فى تأخر المصريين وتخلفهم بعد تقدم ولا سبب سواه ، فلابد من أن ينفض المصريون عنهم هذا الثقل وليهبوا الى اللغة الدارجة ، يأخذون عنها ويكتبون بها • اذا أرادوا أن يسيروا فى الطريق الصحيح ساعتها وساعتها فقط سيرتقون فى زعمه فى سلم الحضارة ،

(١) العدد الاول ١٨٩٣ •
(٢) نفس العدد ص ٣ •
(٣) بداية الالباس فى العبارة ليمهد لدعواه أن العامية أقوى من الفصحى •
(٤) يقصد اللغة العامية •

جريدة الأزهر لولكوكس

وسيأخذون بأسباب التقدم ، ويسعون كما سعت الامم قبلهم الى الامام بخطى مسرعة !!

وفى ص ٧ من مجلته يوصى المصريين بقوله :

« اذا جنحتم الى هذه اللغة الدارجة القوية الشهيرة فيما بينكم ، وتركتم هذه اللغة الضعيفة تنجحون كثيرا بسبب أن اللغة التى تتكلمون بها هى قلب اللغة ، والتى تكتبونها كالملابس لها » .

ثم استمر فى قحته الى أبعد مدى فطالب القراء أن يتجاوبوا مع دعوته ، ونشر اعلانا — فى ختام المقال يغرى فيه القراء بمكافأة قيمتها أربع جنيهات افرنكية لمن يكتب هذه الخطبة باللغة الدارجة (ص ١٠) يناير ١٨٩٣ .

وظن أو اعتقد أن الرسائل ستنهال عليه ملبية دعوته ، لكن أحدا لم يستجب له ، وفوجىء بسيل من الرسائل تنقده وتكشف عن زيفه .

وفى الحق أنه وجد صحافة وعددا من الرجال شد من أزره ، وتردت « المقتطف » فى حمأته وارتوت من مستنقعه ، ثم ظهر من بعده « سلامة موسى » يؤيد منحاه مقتنعا بدعوته .

ولقد عنيت د/ نفوسة زكريا سعيد باعطاء تفصيل كبير للأحداث والأشخاص الذين كرعوا من حياض ويلكوكس (١) .

ولقد تصدت لهذه العناصر الهدامة صحافة ورجال أبانت وأبانوا عن خبث الدعوة ، وكشفوا عن هدفها ، ولولا أن الدراسة هدفها أن تحيط القارىء فى العالم الاسلامى بعدم ملكية الازهر الشريف لهذه « المجلة » لذهبنا فى دراسة موضوع العامية والدعوة اليه حتى نضع أمام القارىء المؤامرة بكل خيوطها ،

لا سيما أنه لازالت تطل من حين لآخر رءوس موجهة من خارج عقيدتها وقوميتها ووطنيتها تدعو بأساليب شتى لنفس الهدف الخبيث

صريحا تارة ومغلفا أخرى والهدف فصل الامة عن قرآنها المجيد ، المصدر الوحيد بلغته الذى يربط أفرادها وجماعاتها ، ويحفظ لسانها .

وواضح جدا أثره فى وحدة المسلمين ، ويوم تنجح هذه الدعوة وأشباهها — لا قدر الله — يوم تنفجر الفجوة بين العرب والمسلمين وتتفتت وحدة قلوبهم وأرواحهم ، فيتم القضاء على أبدانهم .

لقد تصدت صحافة وطنية ذات أقلام تأخذ من فكر أصحابها المستمد من عقيدتهم وايمانهم بالله ثم بالوطن أمثال : « البرهان » و « الاستاذ » و « الآداب » فكشفت عن زيف الدخلاء والأدعياء ومآربهم الخبيثة .

ولم يتراجع (ويليم ويلكوكس) حتى بعد افلاس جريدته عن دعوته فألف بعد أكثر من عشر سنوات كتابا دعا فيه الى الموضوع نفسه .

---

(١) د . نفوسة زكريا سعيد — تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها فى مصر — دار المعارف .

عرضنا فى الحديث السابق لمحاضرة وليم ولكوكس مهندس الرى الانجليزى وصاحب امتياز مجلة الأزهر التى أصدرها رجلان لا يمتان لمشيخة الأزهر بصلة ، وهى المحاضرة التى نشرها فى العدد الاول حين آل اليه امتيازها وأوجزنا أهم النقاط التى تعرض لها فى حديثه . وبان لنا أنه يدعو فى صراحة الى هجر الفصحى واستبدالها بالعامية . وبينا أن المحاضرة اثارت نقاشا حادا فى الأوساط المختلفة . ولقيت نقدا شديدا من الغيورين على لغة القرآن الكريم .

هبت الاقلام تكشف عما وراء هذه الدعوة من أغراض . ولم تكن جريدة ويلكوكس بمنأى عن المناقشات . اذ جاءته رسائل عديدة ترد عليه وتبطل دعوته نشر منها ثلاث رسائل فى العدد الثانى من المجلة (فبراير ١٨٩٣) :

الأولى : من ابراهيم مصطفى ناظر مدرسة دار العلوم الخديوية وأحد مؤسسى مجلة الأزهر فى مرحلتها الاولى .

والثانية : من أحمد افندى سليمان .

والثالثة : من السيد أفندى الزمزمى .

واستغرقت خمسا وعشرين صفحة من العدد . فلماذا نشرها صاحب المجلة ؟ هل رضى بما حوته واقتنع بأن الصواب قد جانبه فى دعوته ؟ أم أنه آمن بما فى تلك الرسائل من أفكار ؟

انه أراد أن يتظاهر بالحيدة التامة لكيلا يتهم بالتعصب لفكرته ، وليوهم أن الباب مفتوح للمناقشة ولعرض وجهات النظر فى حرية تامة كما أنه أراد احتواء هذه الرسائل التى تعارضه . وهنا يستفيد من ناحيتين . فيضمن عدم نشرها فى صحف أخرى بصورة (تشوش) عليه ، ويأمل فى استدراج أصحاب تلك الرسائل ايمانا منه بأنهم عما قريب سيؤمنون بدعوته . وهذا ماصرح به فى موضع آخر من المجلة بعد حين .

*** *رد ابراهيم مصطفى**

لا يتسع المجال لا يراد هذه الرسائل . وحسبنا أن نشير الى فقرة من رد ابراهيم مصطفى . ومن أراد المزيد فليرجع الى المجلة

يقول فى بيان ما امتازت به العربية عما سواها : « .. اذا قابلنا اللغة العربية باللغات الاشتقاقية – الانجليزية والفرنسية – نجد أنها قد امتازت عن غيرها بخصائص معها لا يكون للريب محل فى أنها أليق اللغات وأكفلها بحاجة العلوم – فمن ذلك سعتها . فعدد كلمات اللغة الفرنساوية (٢٥) ألف كلمة . وعدد كلمات الانجليزية (١٠٠) ألف كلمة . على أن معظم هذا العدد الأخير مصطلحات صناعية أما اللغة العربية فعدد موادها الواردة فى القواميس غير المطبوعة حتى الآن على قول بعض المطلعين (٤٠٠) ألف مادة . فاذا لم نعتمد الا على ما كان واردا فى القواميس المطبوعة حتى لا يكون محلا للريب فلسان العرب يحتوى على (٨٠) ألف مادة – مادة لا كلمة – ومعلوم أن معظم مواد اللغة العربية يؤخذ منها عدة كلمات التى تشتق من المواد المدونة فى لسان العرب ، وعليه فهى نصف مليون كلمة على

جريدة الأزهر لولكوكس

الأقل ، وليس لغة اشتقاق أخـرى غنية الى هذا الحد (١) .

وكانت الردود تنصب على عدة أمور منها :
أ ــ خطر الدعوة على الدين .
ب ــ خطرها فى التفـرقة بين المصريين وجيرانهم من الدول الاسلامية والعربية .
د ــ عدم جدوى العامية فى التأليف .

وقد نشرها ولكوكس ليدحضـها ، ويـأتى عليها من القواعـد ، وأعد تعقيبا عـلى تلك الرسائل ونشره فى العدد التالى .

* موقف الصحافة من الدعوة

حدث ما كان يخشـاه ولكوكس . وفتحت بعض الصحف الابواب للـرد على المهنـدس الانجليزى .. وكيف تسكت على هذا الخطـر الذى بات يهدد الفصحى ، أملا فى وأدها .

وكان عبد الله النديم أول وأسرع من تصدى لهذه الدعوة على صفحات جريدة الأستاذ فى ٣ يناير ١٨٩٣ . وكشف عن الهدف الذى يسعى اليه صاحب مجلة الأزهر ، قال :

« والقرآن الكريم هو الآية الكبرى والحجة العظمى لنا معاشر المسلمين ، فهو الداعى الى حب اللغة العربية الصحيحة وهو المقصود لكل محارب ساع فى أمانتها . » .

ومع ظهور الدعوات الى العـامية كـانت هناك دعوات موازية لها تشجع تعلم اللغـات الأجنبية بين فئات الشعب المصرى . ومن هنا تزداد خطورة الدعوة الى العامية حيث يؤدى الى نتيجة مـرة هى ضـياع اللغـة العربية الفصحى ، وانتشار العاميـة حتى يسـهل التخلص منها واحلال الانجليزية محلها لغـة للمصريين (٢) .

ولم تهدأ الدعوات الى العامية . ولم ينس الناس دعوة ولكوكس . حتى أن مصطفى كامل كتب معارضا لها فى جريدة اللواء بعد حوالى عشرين سـنة من نشر محـاضرة ولكوكس . فكتب فى ٢ فبراير ١٩٠٢ يقول :

« ومن السذاجة أن نعجب اذا سمعنا آنا بعد آن كاتبا من الانجليز أو مهندسا منهـم ينصحنا بتبديل لغتنا .. فانما الغـــربيون مهاجمون ونحن مدافعون .. (٣)

وامتدت أصداء الدعوة أوسع مـن ذلك . واتجهت هذه المرة وجهـة عملية للـرد على صاحب هذه المجلـة . فقال بعض المهندسين المصريين المعتزين بلغتهم بالرد العملى عـلى ويلكوكس . فأصـدروا مجلة علمية تسـمى (المهندس) للابحـاث الريـاضية والعلمية ، ليثبتوا عمليا امكان معالجة هـذه المسـائل ، بالفصحى . فأضاعوا بذلك جهود ويلكوكس التى كان يبذلها فى نشر دعوته متخذا من مجلته

(١) مجلة الازهر فى فبراير ١٨٩٣ ص ٣٩ .
(٢) راجع الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال د. سامى عزيز ص ٢٩٥ .
(٣) راجع فى ذلك كتاب د. سامى عزيز مرجع سابق ص ٢٩٥ .

مسرحا للقيام بمختلف الحيل والوسائل التى اعتقد أنها تساعد على نجاحها (١) .

لم تنطل على المصريين كلمات ولكوكس الشفافة الغزلية فيهم ، ولم تنل دعوته ما كان يأمله من رضا لديهم . فقد أحسوا أن المسألة جد خطيرة . فهى مسألة خيار صعب .. اما حياة للفصحى « واما ممات لم يصف بممات »! قرأ الرجل ما كتبته الصحافة عن دعوته من هجوم عليها . وناقش بعض ما أثير حول خطر هذه الدعوة . فماذا يفعل ؟ هل يحفظ مجلته خالصة لخدمة العلم وكفاه خوضا فى هذا الجدل ؟ أم يستمر فى طريقه حتى نهاية الشوط ولربما انضم اليه من يناصره فينجح فيما أسندته انجلترا اليه من عمل .

*** وفاؤه لدعوته**

كان لغير ولكوكس أن يضيق بالنقد الذى وجه الى دعوته . وكان لغيره أن يكف عن الحديث ولو همسا فى هذه القضية . أما هو فوفاؤه لدعوته قوى وتصميمه على السير فى الطريق أكيد . وهو كما قلنا — صاحب رسالة لا يعبأ بما يناله فى سبيلها .

فنشر مقالا فى العدد الثالث من المجلة عن « اللغة الدارجة » يرد فيه على معارضيه، ويأتى بما يزيد من وضوح دعوته وما يفيد أنه مؤمن بهدفه وخادم وفى لأمته عامل بوصية وزارة المستعمرات فيها .

ففى مقال يستغرق ثمانى صفحات من المجلة يقول فيه بعد الرد على معارضيه مبينا ما يمكن أن يتحقق من كسب مادى اذا استخدمت اللغة الدارجة فى الصحافة والكتب :

(.. واذا كانت اللغة الدارجة مستعملة فى البلاد ، وكانت الجرائد محررة بها تروج تجارتها ، وتجلب الثروة العظيمة بسبب أنها حررت باللغة المعلومة المنتشرة فى أنحاء القطر المصرى ، وكان الناس يقبلون عليها فتشحذ أذهانهم ، وتسموا مداركهم ، ولم يزالوا يترقون حتى يستحوذوا على التقدم فيبلغوا أوج الكمال (٢) .

ونلاحظ هنا أنه يسوق ألفاظه بأسلوب ركيك أقرب الى اللغة الدارجة كما نلاحظ أنه يدق على نفس الوتر : رقى المصريين وسمو مداركهم ، ويزيد على هذين كسبا ماديا يتحقق من وراء بيع الصحف والكتب التى كتبت باللغة العامية . وهكذا لا يزال يؤمل أن يستجيب له الناس .. ولكن هيهات !

*** ويلكوكس يترجم الى العامية**

عرض المهندس الانجليزى فكرته كما يريد ، ودافع عنها ورد على معارضيها ولم يبق أمامه الا أن يقدم أمثلة تطبيقية ، ومقطوعات باللغة العامية التى يحلم بها لغة للكتابة والقراءة . وحسبه ما قال عنها . ويبقى أن يقدم أمثلة فليكتب بعض الموضوعات بتلك اللغة ليبرز لمعارضيه فكرته عمليا ، وأمله لم ينقطع ولن ينقطع فى ضرورة استبدال العربية بالعامية.

---

(١) راجع كتاب تاريخ الدعوة الى العامية فى مصر وآثارها د. نفوسة زكريا ص ١٠٧ .

(٢) الازهر فى مارس ١٨٩٣ .

◀ جريدة الأزهر لويلكوكس

انكب على قطعة من مسرحية لشكسبير وترجمها الى العامية فى عددين من المجلة الخامس والسادس • قال فيهما على لسان (سرجيون) (١) وهو يناجى نفسه•

(اذا قطعتونى بالمنشار أربع حتت لكانت كل حته أكبر من القاضى واللى رفيع زى العصاية، وأنا بتعجب كتير ازاى القاضى وخدامينه زى بعض •• (٢)

ويكفينا ذلك فالكلام قد خلا حتى من الذوق مما يجعلنا نمسك عنه وبعد عدة أشهر نشر خطابا للمستر « ولترن » عن طرق التعليم باللغة الدارجة جاء فيه :

(أنا شفت ناس كتير رجاله ونسوان عندهم شغف بقراية الجرانيل ولكن بعد ما يقروها مايبقاش فى مخهم حاجة من اللى شافوها فيها وده جه من سوء التربية الأولنيه ، فاشوف انه يلزمنى اعلمكو التربية الناجحة) (٣) •

فالرجل يعمل ، ولا يهدأ الا ليكر ثانية ، ولا يسكت الا ليفكر فى سبيل أخرى ينفذ منها ، أو حيلة تجدى فى نشر فكرته ونصرتها ، وأخاله لم ينم ليلة الا وحلم باندحار الفصحى — — معاذ الله — ولا أظن غاية أخرى شغلته كما شغلته تلك الغاية ، ولا حلما أقض مضجعه كهذا الحلم • ! وخطاب (ولترن) الذى أخذنا عنه تلك العبارة خير دليل على ما نقول من أن الرجل لم يدع فرصة تمر دون أن يستغلها لخدمة فكرته •

✱ اعلان النهاية :

وعلى الرغم من تلك الجهود التى بذلها ويلكوكس لنشر دعوته وتأييدها،فلم يقف أحد الى جواره • وكلما أصر على رأيه وكرر القول فيها كلما أصر المعارضون على آرائهم وعلى كشف نواياه السيئة وراء ذلك الكلام المعسول• وصمت الآذان تجاه دعوته بالرغم من صبره الذى طال على مدى عشرة أشهر من صدور مجلته •

انقطع خيط الأمل الذى كان يتشبث به ، والذى سعى من أجله للحصول على أمتياز المجلة • فهو لم يسع — ذلك خدمة للعلم أو للرياضيات وانما لهدف أكبر هو القضاء على لغة القرآن •

يئس الرجل لهذه النتيجة التى توصل اليها لما لم تجد دعوته صدى • ورأى أن ليس ثمت ما يدعو لاصدار مجلة الأزهر بعد ذلك • فلا فائدة ترجى منها وهو يدور فى دائرة مفرغة • فليوفر تلك الجهود التى تضيع سدى — فالمصريون لم يهتدوا ولم ينتصحوا ، والمجلة لم ولن تؤدى دورها الذى من أجله سهر عليها• وصرح هو بذلك فى العدد العاشر من المجلة (ديسمبر ١٨٩٣) فى كلمة له بعنوان (لما نافع يسعى لبيب) تمثل فيها بقول الشاعر العربى :

---

(١) هو فى المسرحية ضابط فى الجيش والحبيب الاول للبرنس هنرى .

(٢) الازهر فى مايو ١٨٩٣ .

(٣) مجلة الازهر لويلكوكس فى ديسمبر ١٩٨٣ .

لما نافع يسعى اللبيب فلا تكن
لشيء قليل نفعه الدهر ساعيا

قال فيها : (حملنى حب نشر العلوم ، وحب تنوير المصريين أن أسير فى هذه المجلة سيرا معتبرا عاما . لذلك افتتحتها بمقالة تطالب المصريين وخصوصا المهندسين على وضع أفكارهم (كذا فى الأصل) فى اللغة الحية المستعملة رغبة فى فائدة العموم ، وحبا فى انتشار هذه العلوم ، فأبوا أن يترجموا عن أفكارهم بلغة غير مشهورة ، وأخذوا يرسلون بها الرسائل .. وحيث أنهم استمروا على الطريقة الأولى ، ولم يهتدوا الى الطريقة المعتبرة العامة فلا حاجة للاستمرار فى اصدار الجريدة . اذ أن الفائدة قاصرة على القليلين الذين يعلمون هذه اللغة التى استولى حبها على عرش قلب المؤلفين (يقصد العامية) (١).

وهو يعنى بالمؤلفين هو والأستاذ أحمد الأزهرى

وأعتقد أن فيما سبق ما يكفى لبيان ماذهبنا اليه من أن الرجل كان صاحب غاية ، سخر مجلته لخدمتها . وحين لم يجد فائدة أعلن عن توقف المجلة . ولكنه رأى ألا يدع آخر فرصة تفلت من يده ، فأعاد نشر المقالين اللذين تضمنا خلاصة دعوته .

أولهما : المقال الافتتاحى للعدد الأول (لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين ؟) .

وثانيهما : مقالة عن (اللغة الدارجة) الذى نشر بعده بأشهر . بحجة أن البعض ربما لم يتح لهم الاطلاع على المقالين أو أحدهما .

فنشرها فى آخر صفحات المجلة وعقب مقالة الختامى (لما نافع يسعى لبيب) .

وبعدها توقفت المجلة . ولكن الرجل لم يكف عن دعوته ، فقد ترجم الانجيل المتداول بأيد النصارى الى العامية ، وألف رسالة بعد عدة سنوات تفيد أن مصر وبعض البلاد العربية الأخرى لا تتحدث العربية الفصحى . وانما تتحدث لغة أخرى هى البونية . كل ذلك بغرض اقصاء الفصحى عن الحياة وعن الكتابة والتأليف .

◄

(١) العدد العاشر من مجلة الازهر لويلكوكس ديسمبر ١٨٩٣ .

اعتذار

تعتذر مؤسسة روز اليوسف عما حدث فى تجليد بعض النسخ من أخطاء فى عدد رمضان واعدة بعدم تكرار ذلك مرة أخرى

« مؤسسة روز اليوسف »

● جريدة الأزهر لولكوكس

*** مضمون المجلة :**

لا يفوتنا أن نتحدث عن محتوى هذه المجلة « الأزهر » فى عهد ويلكوكس . فلم تكن كلها مقالات فى الدعوة الى العامية وان كان ذلك هو الهدف الأكبر الذى أولاه صاحبها جل اهتمامه أما المحتوى الحقيقى للمجلة فكان علميا رياضيا وذلك ما أعلن عنه فى العدد الأول .. أنها مجلة رياضية تعنى بعلوم الرياضيات .

وطالب المهندسين أن يشاركوه فى تحرير المادة الرياضية . وحين تتصفحها تلمس ذلك جليا ، وتشعر بأنك تقلب صفحات أحد كتب الرياضيات .. مسائل فى الحساب والهندسة ومعادلات ورسوم هندسية . حتى أنها كانت تنشر دروسا مسلسلة فى هذه العلوم . خذ مثلا علم الميكانيكا التطبيقية . تنشر دروسه :

فى (٤٣) صفحة من العدد الثالث (٤٠) صفحة فى العدد الرابع (١٥) صفحة فى العدد الخامس .

وقس على ذلك سائر الاعداد . فالصيغة الرياضية لم تتخلف عنها فى عدد من أعدادها . وما سقناه مجرد مثال فقط . وهذه كلمة عن مضمون المجلة لم نشأ أن نغفلها .

*** ما بال أصحاب الحق !؟**

رأينا كيف تفانى الرجل فى خدمة دعوته وهى الباطل بعينه . وما أريد أن أقوله فى نهاية هذه الدراسة : لو كان ويلكوكس جادا وصادقا فى حبه للمصريين وارادة الخير لهم لأعمل عقله فى أى مشروع يعود خيره البين عليهم .. بناء مصنع أو مدرسة . أو كشف عن طرق جديد لرى بعض أراضى صحراء مصر الشاسعة . وهو مهندس فى الرى .

فالأعمال النافعة كثيرة ، والمشروعات الانتاجية البينة الصلاح الاكيدة الفائدة لا تحصى ، فلم يجهد نفسه فى تلك الدعوة بالذات الا ابتغاء المثوبة من حكومته ؟

وخطر ببالى سؤال : اذا كان هذا هو شأن أصحاب الباطل فى الدعوة الى باطلهم . فماذا فعل أصحاب الحق .. ؟!

وما أريد تأكيده هنا . ان (ويلكوكس) ان كان قد مات . فان دعوته لم تمت . فقد خلف وراءه عشرات يتبنون فكرته ويسعون مسعاه ، منهم من يعيش بين أظهرنا ، والا فكيف نفسر ما نسمعه فى هذا الصدد من حين لآخر ؟

وما فعلناه هو أننا سلطنا الضوء على أحد العمد فى هذا الميدان لنقرأ احدى صفحات الدعوة الى العامية . التى لا تفتأ تتكرر بأسلوب لا يختلف كثيرا عن أسلوب ويلكوكس أستاذهم .

عاطف زهران

يتبع ..

اللغة والأدب والنقد

تعدى الفعل ولزومه

المسلمون بين الأصالة والمعاصرة

فى حاشية الأمير

ماهكذا توردياسعد الابل

تعدى الفعل ولزومه

الفعل التام الذى يحتاج الى فاعل لوقوع الحدث ، المتصرف ، الذى يأتى منه أنواع الفعل الثلاثة : الماضى والمضارع والأمر، الفعل بهذه الأوصاف ، ينقسم الى لازم ، ومتعد ، وواسطة بينهما .

فاللازم هو الذى لا ينصب المفعول به بنفسه نحو : وقف ، جلس ، ورجع ، وخرج ، وسلم ، وغامر ، ونفر ، وهلل ، ويسمى قاصرا لقصوره عن المفعول به ، ويسمى أيضا غير متجاوز لعدم تجاوزه الفاعل الى المفعول به .

أفعال دائمة اللزوم حتمية القصور

هناك أفعال لزومها ثابت مطرد ، وقصورها حتمى لا تزايله ولا تخرج عنه الى التعدى الا أنواع محدودة منها ، وفى حالات قليلة ، وهى أنواع عديدة منها :

١ ــ أفعال السجايا ، والسجية الطبيعة والسليقة التى ليست حركة جسم من معنى قائم بالفاعل لازم له حسيا كان أو معنويا نحو : ظرف وشرف ، وشجع ، وجبن ، وبخل ، وكرم ، وطال وقصر .

٢ ــ اذا دل الفعل على عرض ، وهو ما ليس حركة جسم من وصف قائم بالفاعل غير ثابت فيه دائما ، مثل ، مرض وكسل ، وحزن ، وفرح ، وأشر ، وبطر ، ونشط .

٣ ــ اذا دل على نظافة ، نحو نظف ، وطهر ، ووضؤ بضم العين فيهن ، ويجوز فتح عين طهر فقط .

٤ ــ اذا دل الفعل على نقيض النظافة (دنس) نحو ، نجس ، ورجس وقذر بضم العين وكسرها فيهن .

٥ ــ أو دل على لون كاحمر واخضر واسود ، وأدم ، واحمار ، واخضار وابياض واسواد .

٦ ــ أو دل على حلية أو عيب ، نحو دعج وكحل وحور وشنب وسمن وعمى وعور وعمش وهزل .

٧ ــ ان يكون على وزن (افعلل) بفتح اللام الأولى وتشديد الثانية ، نحو ، اطمأن واشمأز ، واقشعر ، واكفهر .

٨ ــ أن يكون موازنا لما ألحق بافعلل ، كافوعل ، بسكون الفاء وفتح الواو والعين وتشديد اللام ، نحو اكوهد الفرخ اذا ارتعد لأمة لتزقه ، واكوأل الرجل ، أى قصر .

٩ ــ أن يكون على وزن (افعنلل) بسكون الفاء والنون ، وفتح العين واللام ، والنون

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالى

فيه زائدة بعدها حرفان أصليان نحو احرنجم، وافرنقع .

١٠ ــ ان يكون موازنا لما ألحق بافعنلل ، وهو ضربان .

الأول ما كان فيه بعد النون الزائدة حرفان أحدهما زائد بالتضعيف كافعنلل بزيادة احدى اللامين مثل اقعنسس الجمل اذا أبى أن ينقاد .

والثانى ما كان فيه بعد النون حرفان أيضا أحدهما من حروف سألتمونيها كافعنلى ، بسكون الفاء والنون وفتح العين ، وزيادة الألف اللينة فى آخره ، وهى من حروف سألتمونيها نحو (احرنبى) الديك ، بسكون الحاء والنون ، وفتح الراء والباء الموحدة اذا تحفز وتهيأ للقتال (واسلنقى) الرجل نام على ظهره ، وقد جاء منه المتعدى شذوذا ، نحو ، اسرندى ، واغرندى ، بمعنى علا وتمكن فى قول الشاعر :

قد جعل النعاس يسرندينى

ادفعه عنى ويغرندينى

١١ ــ مطاوع المتعدى لمفعول واحد ، نحو فتحت الباب فانفتح ، وكسرت الغصن فانكسر ، ومددت الحبل فامتد وأزعجت اللص فانزعج . والمطاوع لا يلزم وزن (انفعل) بل يأتى على أوزان أخرى مثل ضاعفت الجزاء فتضاعف ، وأدبت الصبى فتأدب ، وعلمته اللغة فتعلمها ، والمطاوع بالكسر ينقص عن المطاوع بالفتح درجة فى التعدى دائما فان كان المطاوع متعديا لاثنين تعدى مطاوعه لواحد نحو ألبسته الثوب فلبسه وان كان المطاوع متعديا لواحد فقط صار مطاوعه قاصرا . نحو أخرجته فخرج ، وأجلسته فجلس . وأصلحت الأمر فانصلح وزعم ابن برى أن الفعل ومطاوعه قد يتفقان فى التعدى لاثنين ، نحو استخبرته الخبر فأخبرنى الخبر واستفهمته الحديث فأفهمنى الحديث ، واستعطيته درهما فأعطانى درهما ، وفى التعدى لواحد أيضا ، نحو استفتيته فأفتانى ، واستنصحته فنصحنى، لكن الصحيح أن المطاوع لا يوافق مطاوعه فى التعدى بل ينقص عنه درجة كما سلف ، وما ذكره ابن برى ليس من المطاوعة ، بل من باب الطلب والاباحة .

لأن حقيقة المطاوعة هى قبول فاعل فعل أثر فاعل آخر .

١٢ ــ كون الفعل على فعل بفتح العين أو فعل بكسرها والوصف منه على فعيل فقط نحو ذل وقل فالوصف منهما على ذليل وقليل لا غير ، ونحو قوى فوصفه قوى فقط على وزن فعيل ، أما ان كان وصفه على فعيل وفاعل فانه يتعدى نحو علم فوصفه عالم وعليم ، ورحم فهو

تعدى الفعل ولزومه

راحم ورحيم ، وسمع ، فوصفه سامع وسميع .

١٣ ــ صوغ الفعل على (أفعل) لافادة أنه صار ذا وصف مميز نحو أغد البعير صار ذاغدة ، وأحصد الزرع صار ذا حصاد .

١٤ ــ مجيء الفعل على وزن (انفعل) من كل ثلاثى مزيد بالهمزة والنون نحو ، انطلق الثور من قيده ، انكسر النصل ، انفصل الشركاء فى رضا وهدوء ، ويختلف هذا النوع عن المطاوع فى أن علامته لفظية ، وعلامة المطاوع معنوية ، كما أن المطاوع لا يلزم وزن (انفعل) بل يأتى على أوزان أخرى غيرها كما سلفت الاشارة الى ذلك ، نحو ضاعفت الأجر فتضاعف ، وأدبت الغلام فتأدب وعلمته اللغة فتعلمها .

تعدية الفعل اللازم

الفعل اللازم يمكن نقله الى متعد بوسائل وطرق عديدة منها :

١ ــ زيادة همزة أفعل نحو أخلص على النية أحضر حقائبه استعدادا للسفر ، أخرج العمال البضاعة من مستودعاتها ، أرجع الشرطى المسروقات الى أصحابها ، ومن ذلك قول الله تعالى : ((أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا) وقوله سبحانه : (وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا. ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا) وقوله عز شأنه : (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) وقوله أيضا : (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا) . والمتعدى لواحد بنفسه قد ينقل بالهمزة الى متعد الى اثنين نحو : أبلغت الصديق مراده وألبست الخادم ثوبا قشيبا . وأعطيته منحة ، وأفهمت الطالب المسألة ، ولم ينقل فعل متعد الى اثنين الى ثلاثة بالهمزة الا فى فعلين فقط هما رأى وعلم ، لكن الأخفش قاسه فى أخواتهما القلبية وهى : ظن وحسب وزعم . وتعدى الفعل بالهمزة الى مفعول واحد بالنسبة للقاصر أو أكثر بالنسبة لغيره كله سماعى ، وقيل قياسى فى القاصر والمتعدي لواحد سماعى فى غيره ، والحقيقة أنه قياسى فى القاصر فقط سماعى فى غيره .

٢ ــ تضعيف عن الفعل ، نحو : قدم الخدم الشراب للضيوف ، اننا نحكم العقل فى سياستنا ، ونحو فرحت الطفل بلعبة جميلة .

ومنه قوله تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا) وقوله سبحانه : (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)وقوله جل شأنه : (وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ) الا أن المفعول هنا محذوف لتناسب الفواصل كما سيأتى .

٣ ــ زيادة حرف الجر سواء الباء أو غيرها نحو : سرت بعثمان ، وصفحت عن المسىء ، وغضبت على المهمل ومنه قوله تعالى : (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ، وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ) . وقول الشاعر :

اذا نزل السماء بارض قوم
رعيناه وان كانوا غضابا

والثلاثى اللازم قد يتعدى الى واحد بحرف الجر أو بالهمزة أو التضعيف بحسب السماع

وقد يعدى بالثلاثة جميعا مثل نزل : تقول : نزلت بديار الأمن ، ومنه قوله تعالى : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ) .

وقوله سبحانه : (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ) وقوله : (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ)، وتقول : أنزلت العصفور من عشه ، ومن ذلك قول العلى الحكيم : وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) وقوله عز شأنه : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) وقوله أيضا : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً) .

وقد اجتمع النقل بالهمزة والتضعيف فى قوله تعالى : (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ) .

٤ ــ زيادة ألف المفاعلة ، نحو ، جالس الأمير العلماء ، وماشيت الضيف ، وجالسته ، ونازلت الخصم وقاومته وسالم العرب أعداءهم ، ونادم هشام المثقفين والظرفاء .

٥ ــ زيادة الهمزة والسين والتاء للدلالة على الطلب ، نحو ، استخرج العمال الذهب من المناجم الجديدة ، واستنكر العالم العدوان على السودان ، أو للنسبة الى الشىء ، نحو استحسنت رأى المتكلم ، واستقبح العقلاء موقف أمريكا فى الشرق الأوسط ، وقد ينقل المتعدى الى واحد من هذه الصيغة الى متعد لاثنين ، نحو استكتب الغلام الرسالة واستغفرت الله الذنب . وقول الشاعر .

استغفر الله ذنبا لست أحصيه .

ولا يجوز . أستغفر الله من الذنب بجر المفعول الثانى بمن الا على تضمين استغفرت معنى (استتبت) أما اذا بقى مستعملا على أصله دون تضمين امتنع دخول الجار ، وقد لا ينقل ، ويبقى مقعد بالواحد فقط ، نحو استفهمت الخبر ، أى طلبت فهمه ، ومثل استفعل فى النقل الى مفعولين وعدمه ، التضعيف ، فقد ينقل الفعل بالتضعيف الى اثنين كما فى علم ، نحو علمت الغلام آداب الحديث ، وقد لا ينقل كما فى كسر مثلا نحو كسرت القدح وكسرته سيان فى التعدى الى واحد فقط ، فالتضعيف فى هذا المثال لم يغير من وضع الفعل ولم يؤثر فى بقائه على حاله قبل التضعيف .

٦ ــ التضمين النحوى ، وهو أن يشرب لفظ معنى لفظ آخر ، فيتعدى مثله ويعطى حكمة لتؤدى الكلمة مؤدى كلمتين : نحو قوله تعالى: (وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ) ضمن تعزموا معنى تنووا فتعدى الى واحد مثله لأن عزم لا يتعدى الا بعلى ، ومن ذلك قولهم : رحبتكم الطاعة ، وطلع بشر اليمن بضم العين فيهما ، فقد ضمن رحبتكم معنى وسعتكم ، وطلع معنى بلغ ، وليس فى اللغة العربية فعل مضموم العين تعدى الى المفعول بالتضمين غير هذين الفعلين ، ويختلف

تعدى الفعل ولزومه

التضمين عن وسائل التعدية الأخرى فى أنــه

قد يؤدى الى تعدية الفعل القاصر الى أكثر من مفعول واحد كالفعل (ألوت) بقصر الهمزة ، بمعنى قصرت فقد تعدى الى مفعولين بعد أن كان قاصرا كقولهم : أنا لا آلــوك نصــحا ، ولا آلوك عطفا ومودة ، ولا آلوك عونا وتأييدا، اذ قد ضمن معنى لا أمنعك ومنه قــوله تعالى

(يَآأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ) كما عــدى أخبر وخبر ، وأنبأ ونبأ وحــدث الى ثــلاثة مفاعيل لتضمنها معنى أعلم وأرى بعد أن كانت متعدية لواحد بنفسها والى ثان بحرف الجر ، نحــو قــوله تعــالى : (قَــالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّآ أَنبَأَهُم بِأَسْــمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .. الخ!

وقوله ســبحانه : (نَبِّئُونِي بِعِــلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) .

٧ ــ اسقاط حرف الجر توسعا نحو ، ذهبت المسجد ، ومررت الحديقة ، وجلست الأريكة ، فالحرف المحذوف هنا هو الى ، والباء ، وعلى بالتوالى ، ومنه قوله تعالى : (أَعَجِلْتُمْ أَمْــرَ رَبِّكُمْ) أى عن أمر ربكم ، وقوله ســبحانه : (واقعدوا لهم كل مرصد) أى على كل مرصد ، وقول الشاعر :

لــدن بهــز الكف يعســل متنــه
فيــه كمــا عســل الطريق الثعلب

أى فى الطريق ، والزعم بأنهما (كل مرصد ، الطريق) منصوبان على الظرفية مردود لعدم الابهام الذى هو شرط فى نصب اســم المكان على الظرفية ، فالابهام منتف فى الاثنين ، لأن المرصد خاص بمكان الرصد ، والطريق اسم للمكان المستطرق كمــا أكد ذلك ابن هشــام ،

ومنه أيضا قوله تعالى : (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِــنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَــذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) أى على الله ورسوله ، وقوله جــل شــأنه : (أَلَآ إِنَّ عَــادًا كَفَــرُوا رَبَّهُمْ) ، أى بربهم ، ويحتمل أن الفعل هنا تعدى الــى المفعول بالتضمين أى تضــمين كفــروا معنى جحدوا ، وفى الآية حذف مضاف ، والتقــدير جحدوا نعمة ربهم ، أو تضمينه معنى عصوا ، أى عصــوا ربهم ، وحينئذ فــلا حــذف .

والمعنى على هذا التقدير واضح مســتقيم لا غبار عليه ، وفوق كل ذى علم عليم .

٨ ــ صوغ الفعل على فعلت بالفتح أفعــل بالضم فيصير من باب (نصر ينصر) لافــادة الغلبة ، ما لم يكن الفعل واوى الفــاء نحــو وثق ، ووفد ، ووهن ، أو يائى العين أو اللام

نحو ، سار ، وحاد ، وجرى ورمى ومشى فانه يدل على الغلبة منه من باب (ضرب يضرب) المفتوح العين فى الماضى مكسورها فى المضارع ،

ومتى كان الفعل للدلالة على الغلبة كان متعديا وان كان أصله لازما وكان من باب نصر أو ضرب

من أى باب كان نحو قعدته أقعده أى أسبقه فى القعود ، وكرمت حسينا أكرمه أى أفوقه فى الكرم ، ووثبته فأنا أثبه أى أزيد عليه فى

الوثوب • وسرت صالحا أسيره ، أى أغلبه فى السير ورميته فأنا أرميه ، أى أعلو عليه

فى الرمى ، وقضيت طارقا أقضيه أى أسبقه فى القضاء •

٩ — تغيير حركة عين الفعل ، نحو ، كسى خالد بوزن فرح فهو حينئذ قاصر ، فاذا

فتحت السين أفاد معنى ستر وغطى وتعدى لمفعول واحد نحو • كسا المحسن الفقراء من ذوى قرباه ، وعليه قول الشاعر •

وأركب فى الروع خيفانة
كسا وجهها سعف منتشر

أو بمعنى أعطى كسوة وهو الغالب فيتعدى الى اثنين ، نحو كسوت عمران حلة ، ومنه

أيضا شترت عينه بكسر التاء انقلب جفنها فهو قاصر ، وشتر الله عينه بفتح التاء أى قلبها فصار متعديا •

ويرى ابن هشام أن هذا النوع لم ينقل الى التعدية بسبب تغيير حركة العين كما يدعى الكوفيون ، وانما هو من باب المطاوعة ، يقال :

شتره فشتر وثرمه فثرم ، وثلمه فثلم ، وكسوت مالكا الثوب فكسيه أى لبسه ، ومنه أيضا البيت السابق ، ولكن المفعول فيه حذف

ومن الأفعال ما يستعمل لازما كثيرا ، ويستعمل متعديا أيضا ، ومن هذه الأفعال : جاء ، ووقف ، وزاد ، ونقص نحو ، جاء المودعون ، وجاء

عمال الصيانة ، ومنه فى القرآن الكريم قوله تعالى : (**وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ**) •

وقوله سبحانه : (**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ**) •
وقوله : (**وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ**) •

وقوله : (**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**) •
وقوله جل شأنه : (**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**) •

فالفعل فى هذه الأمثلة جميعها قاصر كما ترى ، ولك أن تقول : جئت المدينة ، وجاء العمال المصنع ، ويجىء الموظفون ديوان

● تعدى الفعل ولزومه

العمل فى الثامنة صباحا ، ومن ذلك قوله تعالى : (قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ) .

وقوله سبحانه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ) ،

وقوله جل شأنه : (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ : أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ؟) .

وقوله تعالى : (وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا ، وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ .. الخ) .

وقوله أيضا : (وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ) فالفعل هنا تعدى الى المفعول . ونحو . وقف

القتال بين المتحاربين ، وقول حافظ ابراهيم :

وقف الخلق ينظرون جميعا
كيف أبنى قواعد المجد وحدى

فاستعمل الفعل قاصرا ، ويقال : وقف الجيش القتال ، وقف المهندسون العمل فى المشروع ، ومن ذلك قول الله تعالى (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ) فجاء الفعل متعديا ، ونحو ، نقص الانتاج فى بعض المصانع ، ونقص محصول القصب ونقص المال عن النصاب . فالفعل هنا لازم كما ترى ، ويمكننا أن نقول : نقص الفنيون مقدار الفاقد من النسيج فى مصانع كثيرة ، واستخدام طرق الرى الحديثة نقص كثيرا كميات المياه المطلوبة لرى كثير من

الحقول ، ومنه قول العلى الحكيم : (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا ، وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا ... الخ) .

فتعدى الفعل كما هو واضح وفى الفعل

(زاد) نقول مثلا ، زاد التوتر والعنف فى منطقتنا ، واذا زاد القول على العمل تأخر المجتمع ، ويزيد سكان مصر بمعدل يتجاوز المليون نسمة سنويا ، فالفعل فى الأمثلة السالفة

قاصر ، وبوسعنا أن نقول : زاد محمد نصيبه فى رأس مال الشركة ، وتزيد مصر مساعدتها العسكرية للعراق الشقيق باطراد ، وعليه قول الله تعالى : (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) .

وقوله جل شأنه : (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى) .

وقوله سبحانه : (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا) .

وقوله : (أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا) .

وقوله أيضا : (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) .

وقد صنف المتقدمون هذا النوع بقولهم : (فعل الشىء . وفعلت الشىء) .

أما المتأخرون فقد وصفوه بعبارة (يتعدى ولا يتعدى) أو (يستعمل لازما ، ومتعديا) .

يتبع

دور اللغة العربية

فى ترابط شخصية الأمة

للدكتور محمد عبد الحفيظ العريان

— ٢ —

لماذا الدفاع عن العربية ؟

ما كان الدفاع أو عدمه ليوجد لولا وجود التحدى ، هذا التحدى الذى يجعل منه (أرنولد تونبى) القانون الطبيعى الخالق للحضارات (١) .

ان التحدى هو الذى يشعرنا اليوم بضرورة القيام بواجبنا العلمى الموضوعى نحو العربية دون تعصب أعمى أو تغافل عن الواقع وهو ما فطناه فى الأسطر الماضية .

يبقى علينا الآن أن نضيف أن الأمة يتحدد كيانها كأمة مستقلة عن غيرها بلغتها وتاريخها وتراثها . فنحن اذا استعرضنا مختلف النظريات القومية التى تحاول تحديد مفهوم الأمة بالعناصر المكونة لها نجدها تكاد لا تختلف عن اعطاء اللغة مكانتها الكبرى بين تلك العناصر ولنستعرض باختصار هذه النظريات : —

١ — النظرية الألمانية :

ان هذه النظرية بداية من (فخته) تعتبر اللغة المقوم الأساسى للشعب الألمانى ووحدته، فقد ألقى أربعة عشرة خطبة فى قاعة من قاعات جامعة برلين امتدت من آخر شهر من سنة ١٨٠٧ الى بداية الشهر الثالث من ١٨٠٨ أمام جمهور من المستمعين اندس بين صفوفه جواسيس الفرنسيين — فقد كانت ألمانيا اذ ذاك تحت احتلال الجيوش البونابرتية . يرى (فخته) أن كل الذين يتكلمون اللغة الألمانية

◄

---

(١) أنور عبد الملك/دراسات فى الثقافة الوطنية ٨٣ دار الطليعة بيروت /ط ١/١٩٦٧ م .

دور اللغة العربية

يكونون أمة واحدة فيترتب عليهم طرح كل ما يفرق بين الألمان ويعرض رأيه صراحة فى أول خطبة فيقول «عندما أخاطبكم،أنتم المجتمعين أمامى هنا ، يتوجه ذهنى من ورائكم ، ومن وراء جدران هذه القاعة الى جميع الذين يتكلمون الألمانية » (١) .

وهو يرى أن اللغة جهاز الاجتماع فى الانسان وأن اللغة والأمة أمران متلازمان متعادلان . وأن المتكلمين بلغة واحدة يكونون كلا واحدا ربطته الطبيعة بروابط متينة وان كانت غير مرئية .

وهذا (ماكس نوردو) يؤكد بدوره على أن الفرد يندمج فى المجتمع باللغة وبها يستطيع أن يصبح عضوا فيه وبها يتلقى تراث الامة الفكرى والشعورى والأخلاقى والاجتماعى القديم والمعاصر ، وان حرمان شعب من الشعوب من لغته يجعله يشعر بالذل والمهانة(٢)

(٢) النظرية الايطالية :

لقد كان (مانسنى) « أول واضع للنظرية الايطالية فى مفهوم الأمة » (٣) فقد جعل موضوع درسه الافتتاحى الذى ألقاه فى جامعة (تورينو) فى ٢٢ فبراير ١٨٥١ تحت عنوان (الأمة كأساس لحقوق الدول) وعرف الأمة بأنها .

« مجتمع طبيعى من البشر يرتبط بعضها ببعض بوحدة الأرض والأمل والعادات واللغة من جراء الاشتراك فى الحياة وفى الشعور الاجتماعى (٤) .

فها نحن نرى مكانة اللغة فى النظرية الايطالية كما رأيناها فى النظرية الألمانية .

(٣) النظرية الفرنسية :

ان النظرية الفرنسية كما ظهرت فى كتابات (أرنست رينان) ترتكز « على المشيئة والارادة » (٥) فى بناء الأمة وليس هذا بصعب التعليل لماذا كانت النظرية الفرنسية بهذه الصورة ؟

ولندع الجواب هنا للدكتور « عزة ميردن » فى مجلة العربى اذ يقول :

ان فرنسا حققت وحدتها الوطنية القومية قبل ألمانيا وايطاليا بزمان طويل ولم تعد تخاف مما كان يصيب أوربا اذ ذاك من تصدع وقد كانت امبراطوزية عظيمة تملك ماتملك من القوة والمهابة أضف الى ذلك أنها استولت على البلاد التى لايتكلم أهلوها الفرنسية كالجزائر فى المغرب العربى ثم ان لفرنسا طموحا قديما نحو توسيع حدودها نحو الشمال بغية الوصول الى حدود طبيعية هى نهر الراين والشعوب القاطنة هناك ألمانية اللغة » (٦) .

فالتسليم بالنظرية الايطالية أو الألمانية يقع مانعا دون تحقيق فرنسا لأهدافها التوسعية،

---

(١) محمد المرزوقى/الحياة الثقافية فى أوربا/ ٢٤ ـ ٢٧ بتصرف/تونس/١٩٧٤ م .
(٢) نفسه/٤٨ .
(٣) محمد الشابى/اللغة العالمية/٤٩ منشورات الحياة الثقافية ـ دمشق/١٩٧١ م .
(٤) نفسه/٥١ .
(٥) فلسفة اللغة العربية/٧ .
(٦) مجلة العربى/عدد ابريل ١٩٧٤ م الأصل فى تعليم العرب أن يكون بالعربية .

وفى تقرير للاهرام عن موريتانيا نجد أن خمسا وسبعين فى المائة من سكان موريتانيا يتكلمون العربية ولكن فرنسا حاولت بكل الضغوط الممكنة محوها على اعتبار أنها لغة لم تتطور منذ نزول القرآن فلا تصلح للعلوم الحديثة فقامت موجة لمحاربتها بدعوة المستشرقين لالقاء المحاضرات طعنا فيها (١) ونشرت البحوث العلمية عن جمود اللغة العربية .

وقد ورد فى افتتاحية مجلة « الفكر » بقلم الأستاذ « محمد مزالى » أن السيد (فوشى) الذى كان وزيرا للتربية فى الحكومة الفرنسية صرح قائلا « لقد خسرنا امبراطورية استعمارية فيجب أن نتدارك ذلك بتشييد صرح امبراطورية ثقافية » (٤) ألا يدل هذا صراحة ، على ماللغة من أهمية فى نظر الفكر الفرنسى بالرغم من أن النظرية الفرنسية لا تعطيها قيمة على صعيد التنظير من حيث اعتبارها مقوما هاما فى تحديد شخصية الأمة ، ومع هذا يمكن العثور فى بعض كتابات المفكرين الفرنسيين على ما للغة من دور فى بناء الشخصية فهذه مدام (ستيل) قد كتبت العبارات التالية سنة ١٨١٥ :

ان اختلاف اللغات والحدود الطبيعية وذكريات التاريخ المشترك كل ذلك يتضافر بين الناس — على تكوين هذه الأشخاص الكبيرة التى تعرف باسم الأمم » (٣) .

(٤) النظرية الماركسية :

لم تكن المشكلة القومية بصورة عامة أو نظرية الأمة من هموم (ماركس) وصديقه (أنجلز) بل كان كل اهتمامهما يتجه نحو تجاوز القوميات ونظرياتها باعتبار أنها ذات خلفية أيديولوجية رأسمالية قصدها محو النضال الطبقى أو اخفائه ونـاديا بالاتحاد العالمى البروليتارى (٤) ذلك هو جوهر الفكر الماركسى الحقيقى ولكن حين اصطدمت النظرية الماركسية بالتطبيق فى الاتحاد السوفيتى الذى يشمل — كما هو معروف — قوميات كثيرة ذات تقاليد ولغات مختلفة وجدت الماركسية نفسها مضطرة لوضع نظرية فى مفهوم الأمة فنشر فى الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٢٩ كتاب بقلم (ستالين) يحمل عنوان (اللينينية والمسألة القومية) مقسم الى أربعة فصول ، والفصل الأول منه يحمل عنوان مفهوم الأمة (٥) ومن المعلوم أن لينين قبله قد أعطى لكل القوميات ضمن الاتحاد حرية استعمال لغاتها وبعث ثقافاتها .

حدد (ستالين) مفهوم الأمة بأنها « جماعة مستقرة من الناس تكونت تاريخيا ونشأت على أساس اشتراك العلائم والمقومات الأربع الأساسية التالية : اللغة ، الأرض ، الحياة الاقتصادية ، والتكوين النفسانى الذى يتجلى

---

(١) جريدة الاهرام الصادرة ١٤/٤/١٩٦٥ .
(٢) مجلة الفكر/عدد فبراير ١٩٧١ تصدر فى تونس ص ٤ .
(٣) ابحاث فى القومية العربية ١١٥ .
(٤) دراسات فى الثقافة الوطنية ٤٥ بتصرف .
(٥) د . عثمان أمين — مجلة تراث الانسانية

دور اللغة العربية

فى الخصائص التى تسمى الثقافة القومية » (٢) .

(٥) النظرية الانجليزية :

وهنا نجد أن الفكر الانجليزى تجريبى بالدرجة الأولى وليس نظريا مثل الفكر الفرنسى أو الألمانى خاصة«فهو فكر يميل الى التجريبية وما يفيد عمليا دون التفرغ لبناء النظريات والتفكير المجرد » (١) ولكن بالرغم من ذلك فقد ارتكزت سياسته التعليمية فى مستعمراته على التجهيل باللغة القومية ونشر لغته . فقد أورد عمر الدسوقى عن سياسة (دنلوب) ــ الذى دعاه المستر (كرومر) كمستشار فى وزارة المعارف العمومية بمصر ١٩٠٦ ــ ما يلى :

(أ) مناهضة الثقافة الفرنسية واللغة العربية فى المدارس واحلال الانجليزية محلها .

(ب) اعداد موظفين لأعمال الكتابة الادارية والفنية المتواضعة (٢) .

وقد رأينا من قبل محاولات المستشرقين الانجليز بعث العامية فى مصر والقضاء على العربية قضاء مبرما .

بعد هذا الدفاع عن لغة الضاد من خلال النظريات اللغوية ، ألا يمكننا تحديد وظيفة اللغة من الناحية الاجتماعية ، ويمكننا تحديد وظيفتها فى تلك الناحية فيما يلى: (٣)

(١) تجعل اللغة للمعارف والأفكار البشرية قيما اجتماعية فهى فى أى مجتمع انسانى تعبر عن تجاربه ومشاكل حياته وآماله وثقافته .

(٢) تحفظ اللغة التراث الثقافى والتقاليد الاجتماعية من التلاشى فهى قنطرة تصل بين مختلف الأجيال .

(٣) مادامت اللغة وسيلة لتعليم الفرد فهى وسيلة لتكييف سلوكه مع الجماعة ، فهى أعظم قوة من القوى التى تجعل الفرد كائنا اجتماعيا .

وخلاصة القول فان اللغة هى طريقنا الى اكتشاف جوهر وخصائص الأمة التى تتكلمها وهذا يدل على أن اللغة ليست فقط وسيلة

المجلد الأول عدد ٢ ص ١٠٩ .
(١) نفسه ٩٨ .
(٢) دراسات فى الثقافة الوطنية ٤٥ .
(٣) فلسفة اللغة العربية ١٧ ــ ١٨ .

للتفاهم ولكنها هى الفكر نفسه فلا فكر بدون لغة ولا لغة بدون فكر ، ومن البدهى أن « التفكير كلام صامت » •

واختتم هذا البحث بكلمة أخيرة عن لغتنا العربية تلك اللغة الشاعرة ، يقول العقاد :

« ان الحملة على اللغة فى الأقطار الأخرى انما هى حملة على لسانها أو على أدبها وثمرات تفكيرها على أبعد الاحتمال • ولكن

الحملة على لغتنا نحن حملة على كل شيء يعنينا وعلى كل تقليد من تقاليدنا الاجتماعية

والدينية وعلى اللسان والفكر والضمير فى ضربة واحدة ، لأن زوال اللغة فى أكثر الأمم

يبقيها بجميع مقوماتها غير ألفاظها ولكن زوال اللغة العربية لا يبقى للعربى أو المسلم قواما يميزه عن سائر الأقوام ولا

يعصمه أن يذوب فى غمار الأمم فلا تبقى له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا ايمان » (١) •

وهذا « لوى ماسينيون » يرى أن « اللغة العربية لغة وعى ،ولغة شهادة ، وينبغى انقاذها سليمة بأى ثمن — للتأثير فى اللغة الدولية المستقبلة واللغة العربية بوجه خاص هى شهادة دولية يرجع تاريخها الى ثلاثة عشر قرنا » (٢) •

كذلك يصف العربية بأن لها «بفضل تركيبها الداخلى وطراز الخلوة التى توحى به ، قدرة خاصة على التجريد والنزوع الى الكلية

والشمول ومن هنا كان للعرب الفضل فى استكشاف رموز الجبر وصيغ الكيمياء والمسلسلات الحسابية » (٣) •

وبعد :

أفلا يكون من السخافة او التجاهل أن يتجه أبناء العربية الى انكار فضل لغتهم واحتقارها بل الافتخار بعدم معرفتها أحيانا • ان العربية مرت عليها قرون وهى تكافح من أجل بقائها

وسوف تنتصر حتما بفضل المخلصين من ابنائها ومحبيها من غير أبنائها وهاهى اليوم يعترف بها من اللغات الدولية الرسمية فى الأمم المتحدة ومجلس الأمن الى جانب الفرنسية والانجليزية والاسبانية والروسية والصينية كلغات رسمية •

وقد لا يمضى وقت طويل حتى يمكن للبلاد العربية التى تخلصت من الاستعمار السياسى المباشر أن تتخلص من جميع ألوان الاستعمار الحديث بما فى ذلك الاستعمار الثقافى ، ودعاته •

محمد عبد الحفيظ العريان

---

(١) عباس العقاد اشتات مجتمعات فى اللغة والأدب ٤٣ .

(٢، ٣) كلاالقولين مأخوذين من كتاب فلسفة اللغة العربية ٦ — ٩ .

المسلمون بين الأصالة والمعاصرة

د. محمد عبد المنعم خفاجى

فى الأصالة ترجع الأمة الى شخصيتها وذاتيتها التى كونتها الأحداث والأجيال الطويلة والمؤثرات الأصيلة فى حياتها من الدين واللغة والآمال والآلام والعوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعقلية المتعددة .

وفى المعاصرة تلوذ الأمة بحاضرها أكثر مما تلوذ بماضيها وتتأثر بالمؤثرات المعاصرة المختلفة وفى مقدمتها التأثر بالحضارات والثقافات السائدة والوافدة وان كان هناك من يجعل المعاصرة أخذ الأمة كل تيار قديم أو حديث ومزج ذلك بروحها وبذاتها (وحين يقول الأستاذ الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتى (مجلة الثقافة عدد مايو ١٩٧٤) العصرية — وهى بالطبع موافقة للمعاصرة — استقطاب ما ينبثق فى العصر الحاضر من أفكار نيرة وتقاليد قومية صالحة وعادات حميدة ومبادىء رفيعة ، على رأسها حب الحرية والعدالة والمساواة والنزوع الى المحبة والسلام والى الطهارة والعفة ..) ، فيرجع بالمعاصرة الى المعنى الأول الذى ذكرته وهو اللواذ بالحاضر أكثر من الماضى نجد هناك كتابا يفهمون المعاصرة على معنى الاستفادة من الحاضر والماضى فى بناء وجدان الأمة وروحها ، وان المعاصرة لا تعنى الانسلاخ عن التراث والتخلى عن الماضى ، وانما تعنى مواكبة التطور الفكرى والعلمى من أجل الحفاظ على قداسة القيم والتمسك بها .

وأن الحاضر هو تراث الماضى مضافا اليه اجتهاد اليوم وفى الأصالة يقول بعض كتابنا ، مثل الدكتور بدوى طبانة (الأسبوع الثقافى — عدد الجمعة ١٢ من ربيع الأول سنة ١٣٩٤ هـ مفهوم الأصالة عند أمة من الأمم فى ناحية من النواحى هو عراقتها فى تلك الناحية وصحة نسبتها اليها ، بمعنى أنها من ابتكارها وحدها وأنها لم تأخذها عن غيرها من الأمم أو تقلدها فيها ومفهوم التجديد هو الاضافة والتعديل بالزيادة أو الحذف مجاراة لتطور

الأمة وتقدمها في الحياة وأخذها بأسباب الحضارة ، وتبدو الأصالة في ذلك التراث الضخم الحافل الذى خلفته الأمة العربية في كثير من مجالات الثقافة العلمية والفكرية والفنية .

ويقول كاتب آخر (المصدر السابق نفسه) (غالبا ما يعنون بالأصالة الارتباط بتراثنا القديم بكل ما فيه مع الاعراض عن الحاضر وما فيه ، وبالمعاصرة الاكتفاء بالجديد المحدث والانفصال الكامل عن كل قديم ، وهذا النوع من الفهم سقيم ، فالأصالة تعنى الشيء العريق والرأى المحكم والشيء الأصيل هو ذو الأصل الضارب في الأعماق .. فالأمة ذات الأصالة هي ذات التاريخ والماضي الرائع ، وذات الجذور القوية العميقة المتصلة بذلك التاريخ وبذلك الماضي ، ليس بكل الماضي بما فيه من غث وسمين ، بل الارتباط الوثيق بما فيه من عناصر الحقيقة والصواب والخير والجمال والسمو والقوة . فالأصالة هي في الانتقاء من الماضي ،والمعاصرة هي القدرة على الانتقاء من الحاضر) ويتابع ذلك الكاتب كلامه فيقول : وهناك من يرى أن الأصالة الحقيقية تكمن في المزج الذكى بين تراثنا وما يقدمه اليوم العقل الانسانى من ابداعات .

وفى الملتقى الثامن للفكر الاسلامى الذى عقد في الجزائر منذ شهور بحث أعلام الملتقى موضوع الأصالة والتفتح ، واختلفوا حولها :

فمن الناس من ينادى بالانحصار في التراث وحده ، ومنهم من ينادى بالانفتاح الكامل على الحضارة الغربية ، بحيث تكون هي الأساس ، وبحيث تكون حضارتنا الاسلامية مجرد تراث نقرؤه . ومنهم من نادى بأن تستمر المسيرة في طريقها تأخذ من الحضارة الاسلامية ومن الحضارة الغربية (راجع المصور عدد ١٩/٤/١٩٧٤) .

وأنا أقول : لنختلف ما شئنا حول تعريف الأصالة والمعاصرة،ولكن الشيء الذى لانختلف فيه أبدا ، ولا يصح الاختلاف فيه بحال من الأحوال ، هو أننا يجب علينا الاعتزاز بتراثنا اعتزازا كاملا لأنه قطعة حية من حياتنا وتاريخنا وكياننا الروحى والوطنى والقومى ، تراثنا الروحى المتمثل في عقيدتنا وشريعتنا وسلوكنا ، وتراثنا العقلى المتمثل في كل ما أنتجه العقل الاسلامى من آراء وأفكار وعلوم ومؤلفات ، وتراثنا الحضارى المتمثل في كل ما أبدعه الفكر الاسلامى من مقومات الحضارة وأصولها ، هذهالحضارة الاسلامية التى امتازت بروحانيتها وباشراقها وانسانيتها تميزا كاملا .. وأن من الواجب علينا في حياتنا المعاصرة ، ونحن نبنى بلادنا ، بعد تحررها من الاستعمار ، بناء كاملا ، أن نجعل هذا التراث هو كلشيء في حياتنا نأخذ منه ، ونستمد كل مقومات حياتنا من منبعه .

ان تلامذة المستعمرين والصليبيين والصهيونيين ينادون اليوم بيننا ، وفى غير استحياء ، بأن ننفصل عن الماضى كله وأن نعيش في الحاضر وحده ، وذلك جهل وظلم وجحود شديد .

ولقد عمل الاستعمار ما عمل في بلادنا من تخريب وهدم وتحريف لتراثنا ، وطعن في

المسلمون بين الأصالة والمعاصرة

تاريخنا وحضارتنا ، وتربية جيل من شبابنا على أفكاره ونظمه ومذاهبه ، وأصبح هؤلاء هم الذين يجأرون نيابة عن الاستعمار بالدعوة الى الحضارة والثقافة الغربية والأخذ عنهما والرجوع اليهما فى كل شىء ، وترك الثقافة والحضارة الاسلامية تركا تاما ، وهؤلاء هم الأخسرون عملا الذين ضلوا وأضلوا •• وقد أخلدوا الى الأرض ، فلم يرفعوا بالعزة والأصالة رأسا •

اننا ننادى بالأصالة فنعيش مع الماضى والتراث ، ومع الدين والقرآن الكريم ، ومع اللغة والعلوم الاسلامية والعربية ، ومع حضارة أمتنا الاسلامية وتاريخها المجيد ، عيشة كاملة تتذوق كل مافى كنوز التراث من جلال وجمال وروعة وسحر ، ونعيش كذلك معاصرين لكل جديد نافع من واقعنا ومن واقع غيرنا ، نأخذه ونتنفع به ، ونثرى به حصيلتنا من المعرفة والعلم •

ننادى بأن نعيش فى الأصالة والمعاصرة جميعا ، نشعر بعزتنا ومجدنا وجلال تراثنا ، ونشعر بحاضرنا ونعيشه وننتفع بالجديد النافع منه •

لقد أبدع العقل الاسلامى كل ثمين فى المعرفة وهداه الدين واستظل به ، فسار أشواطا بعيدة فى الكشف عن مجاهل الكون ، وسبر أغواره •

وأبدع كذلك فى كل جوانب العقل والعلم ابداعا أصيلا مميزا قدره ولا يزال يقدره رواد العلوم وأئمة الفكر الانسانى تقديرا كبيرا •

وتراثنا الفكرى والعقلى تراث جليل خالد شامخ يجب علينا أن نعيشه ونتمثله ، لأنه هو الذى أضاء للانسانية طريقها أجيالا وقرونا طوالا ••

فلدينا ديننا العظيم ، وشريعتنا الكاملة الخالدة الغنية بكل كنوز الفكر التشريعى المضىء الذى أخذت البشرية عنه كل قوانينها ونظمها وتشريعاتها ، فعاشت فى ظلالها عشرة قرون فى أمن وعدل ورخاء وسعادة ، ثم جاء الاستعمار الغربى لبلاد الاسلام فحارب قوانين السماء ، واستبدل بها قوأنين الأرض ، وخرب فى الحياة الاسلامية تخريبا شديدا بكل ما كان فى استطاعته من قوة ومن حقد ومن كراهية لكل تقدم اسلامى عظيم •

والحضارة الاسلامية الرفيعة التى أظلت العالم عشرة قرون كانت منارا مضيئا للانسان والانسانية ردحا طويلا ، مما هو فى غنى عن الاشادة به والتنويه بمفاخره •

ان أصالة الأمة الاسلامية ، وأصالة حضارتها وتراثها وأصالة ثقافتها ، كل ذلك من مفاخرنا الجليلة الخالدة ، التى يجب على أجيال المسلمين الاعتزاز بها ، والاهتداء بهديها والاستضاءة بضوئها أبد الآباد •

ولن تعود للامة الاسلامية عزتها وجلالها ومفاخرها الا اذا عادت لنبع هذه الأصالة ، ونهلت من موردها ، واستظلت بظلها ، ونعمت بالحياة فى نورها •

الأصالة والمعاصرة يجب أن يكونا جميعا شعار المسلمين المعاصرين فى الحياة •• نأخذ من ماضينا ونرجع اليه فى كل شىء ، ونضيف اليه من جديدنا وجديد غيرنا كلمفيد نافع ، وجليل ثمين

في حاشية الأمير

"١" عشاق الحاشية

للأستاذ/ السيد حسن قرون

لو نظرنا فى كتب النحويين منذ ألف « سيبويه » كتابه لوجدنا الشواهد تكاد تكون واحدة أو متقاربة ، ولكننا فى غير الشواهد نجد أمثلة من أقوال البلغاء والشعراء تنتظم كل العصور التى تسبق مؤلف كل عصر ، ونجد النحاة يرفهون عن أنفسهم باستخدام شعر الغزل ويدخل فى ذلك التشبيب والنسيب وما اليه مما يتصل بالرجل والمرأة والمجتمع . والأدب العربى مع نموه وفقا لما يجد بقى قادرا على الالهام والعطاء ، سواء للمنشئين أولى الابداع ، أو النقاد الذين يزنون الابداع .

ومن الغريب أنهم لا ينسون الأول كما أنهم لا يهملون الأخير ، فعيونهم مفتوحة على جميع النتاج ، وينشأ ناشىء الأدباء منهم على اتباع طرائق السابقين وان بدا لهم التجديد وأوما اليهم الكون أن ينظروا فيه ويتأملوا نواحيه ، ولكن القديم يواكبهم فكأنه يسرى فى مجرى دمائهم من هؤلاء شيخنا الأمير فى « حاشيته » فحافظته طافحة بكل ما قيل على مدى العصور التى سبقته، فهو لا يملك نفسه أمام كل شاهد ، ولا يكتفى به وبصاحبه ولا بطرائفه ، بل يضيف من محفوظاته ما يعد استطرادا ، ولكنه استطراد مشروع ينقلنا من عالمنا الى عوالم أخرى ولا نشعر بما فعل الا اذا قصدنا ذلك قصدا ، وأضرب لك مثلا واحدا يدلك على صنيعه ، ويقنعك بطريقته ، تحمد له ما أدى ، لأنك متعت واستفدت .

جاء ذكر زهير بن أبى سلمى فى «المغنى» ببيت من شعره ، فاذا به يؤرخ له ويمثل لأغراض شعره ، فيذكر « المعلقة » ورأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيها وهو « أشعر

الناس الذى يقول ومن ومن » ولو كان غيره لوقف عند ما ذكره ولكنه يأتى على غيرها فيقول ومما يستحسن من شعره :

لو كنت أعجب من شىء لأعجبنى
سعى الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها
والنفس واحدة والهم منتشر

ويستمر فى ايراد بعض قصائده فيذكر الأبيات التى منها :

ومن دعا الناس الى ذمه
ذموه بالحق والباطل

ويذكر الشاعر الذى زاد على هذا الشعر الناصح . ويقفز الى القرن السابع الهجرى فيذكر شعرا للبهاء زهير ، لأنه سمى الشاعر الجاهلى زهير بن أبى سلمى ولا يتركه حتى يذكر شيئا من ملامحه . والبهاء زهير عربى ينسب الى المهلب بن أبى صفرة الأزدى ، ولد بوادى نخلة قرب مكة سنة ٥٨١ هـ ونشأ بمصر، وصار وزير « الصالح نجم الدين أيوب » من ملوك الدولة الأيوبية وتوفى فى شوال سنة٦٥٦ هـ سنة سقوط بغداد ، فيقول عنه الأمير فى الحاشية : ومن لطائف زهير المولد كاتب الملك الصالح قوله مشيرا لزهير هذا « زهير بن أبى سلمى » من قبيلة « مزينة » بماذا أشار ؟ أشار بقوله :

بنفسى من أسميها « بستى »
فتنظر لى النحاة بعين مقت
وتزعم أننى قد قلت « لحنا »
وكيف وأننى لزهير وقتى ؟
ولكن غادة ملكت جهاتى
فلست بلا حن ان قلت ستى

وكلمة « ستى » نعدها دخيلة على لغة العرب ولكن شيخنا يقدمها لنا ببحثه عنها قائلا « وفى القاموس : وستى للمرأة أى ياست جهاتى ، أو لحن ، والصواب سيدتى ، وبنت أبى عثمان الصابونى محدثة ، وستيتة كجهينة جماعة محدثات » أرأيت كيف سار بنا الأمير فأرخ لأكثر من شاعر واستشهد بشعرهم ، وعرج بنا الى الطرائف ؟

وأنا أعتبره رائدا فى هذا الفن ، فالشاعر على الجارم حين ألف « البلاغة الواضحة » نحا نحوه ، فزيل مؤلفه بفهرس يحوى أسماء من استشهد بأقوالهم من الشعراء والخطباء والكتاب ذاكرا بايجاز نبذة عن تاريخ حياتهم ووفاتهم .

وأنا لم أترك ما أورده الشيخ دون المراجعة ، فقد وجدت « الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه » لمؤلفيه : الشيخ أحمد الاسكندرى والشيخ مصطفى عنانى ينسب الشعر الذى أوله :

« لو كنت أعجب من شىء لأعجبنى »

والشعر الذى منه :

ومن دعا الناس الى ذمه   ذموه بالحق وبالباطل

لسيدنا « كعب بن زهير » وهو الصحيح ، لأن أكثر الكتب الأدبية نصت على ذلك . وهذا لا يقدح فى علم الشيخ وتحريه فى ايراد النص الأدبى ، لكن المتأخرين أتيحت لهم فرصة أكبر بطبع التراث العربى كله فحسنت المراجعة ووضح المأثور .

ولقد كان البهاء زهير ممن يحسن استخدام التراث ويجعله فى شعره « تورية » أو تضمينا من ذلك قوله يمدح :

أنـا ذا زهـيرك ليس الا
جـود كفك لى مزينـه
اهـوى جميـل الـذكر
عنـك كانما هو لى بثينه
فاسأل ضميرك عـن ودا
دى انـه فيـه جهينـه

فالبيت الأول اشارة الى زهـير بـن أبى سلمى المزنى الجاهلى مادح هرم بن سـنان ، وانظر الى مزينة القبيلة جعلها فى البيت « المطر الصافى » تصغير « مزنة » والبيت الثـانى اشارة الى جميل الشاعر صاحب بثنية ، فهـو يحب الممـدوح حب جميل بثينـة فيجيـد الشعر فيه ، والبيت الثالث يشير الى جهينـة المضروب به المثل فى تعرف الأخبار ، والمعنى أن الممدوح يسأل ضميره على صدق وداده •

ولما كان البهاء زهير قد حظى بتسجيل اسمه ووصفه ولمحة من شعره اختار مجلس الحاشية البهـاء زهير ليتولى سكرتارية الجلسة ، وقد كان رقيق الحس متوقد العاطفة يهوى الشعر الرائق الفائق ، وقد جعل همه عرض حيـاة العشاق الذين عنيت بهم مضابط حاشية الأمير،

وأعلن البهاء زهير أن الحديث يبدأ بمن عاش للحب ومات فى سبيله « مجنون ليلى » واذا اتسع الوقت فلنبحثعن مأساة «قيس ولبنى» فكانت الموافقة وبدأت أعمال الجلسة •

مجنون ليلى

ونبئت ليلى أرسـلت بشـفاعة
الى فهـلا نفس ليلى شـفيعها ؟
أأكرم من ليـلى على فترتجى (١)
به الجاه أم كنت امرأ لاأطيعهـا ؟

قال الأمير هما لقيس بن الملوح ـ وهـو المجنـون ـ روى البيت الأول ابن هشـام صاحب المغنى شاهدا على أن « هلا » حـرف للتحضيض مختص بالجمل الفعلية ، و « هلا نفسى ليلى ••• » يكون الكلام باضمار فعـل بعد هلا • قدره فهلا كان هو أى انسان أو هلا شفعت نفس ليلى • والبيت الثانى أضـافه شيخنا الأمير • على أن «الحماسة» لم تنسبهما لأحد ، والأمـير هنـا أحق بالروايـة ، لأنه عنى بحياة مجنون ليلى عناية ملحـوظة حين استشهد المغنى بقوله :

ولـو أن واش باليمـامة داره
ودارى باعلى حضرموت اهتدى ليا

على اسكان « ياء واش » وهـو منقوص ينصب برد المحذوف ، ولكنه سكن الياء وحذفها لالتقاء الساكنين ، والتسكين للضرورة • وكم للشعر من ضرورات • يقول الأمير :

قال السيوطى : هذا من قصيدة لمجنون ليلى « قيس بن الملوح بن مزاحم » قال فى الأغانى: وهى من أشهر أشعاره وبعده :

٥

---

(١) رواية الحماسة فتبتغى •

وماذا لهم لا أحسن الله حظهم
من الحظ تصريم (١) ليلى حباليا ؟
فأنت التي لو شئت أشقيت عيشتي
وان شئت بعد الله أنعمت باليا
أحب من الأسماء ما وافق اسمها
وأشبهه أو كان منه مدانيا
هي السحر الا أن للسحر رقية
واني لا ألقى لنفسي راقيا
أعد الليالي ليلة بعد ليلة
وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا
أراني اذا صليت يممت نحوها
بوجهي، وان كان المصلي ورائيا (٢)
ومابي اشراك ولكن حبها
كعظم الشجا (٣) أعيا الطبيب المداويا
قضاها لغيري وابتلاني بحبها
فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا ؟

أخرج في الأغاني عن « ابن الكلبي » قال : لما قال مجنون بني عامر هذا البيت (الأخير) نودي في الليل أنت المتسخط لقضاء الله والمعترض في أحكامه ، فاختلس عقله وتوله منذ الليلة ، وذهب مع الوحش على وجهه . الى هنا والكلام على أن مجنون ليلى شخصية حقيقية مارس حظه في الحياة ، ولقي ما لقي ولكن ...

قال الامير أو قال « عوانة » المجنون اسم مستعار لا حقيقة له ، وليس له في بني عامر أصل ولا نسب ، قيل :من قال هذه الأشعار ؟ قال : فتى من « أمية » كان يهوى ابنة عم له، وكان يكره أن يظهر ، فوضع حديث المجنون وقال الشعر ونسبه له .. وقال : « أيوب بن عناية » سألت بني عامر بطنا بطنا عن مجنون بني عامر فما وجدت أحدا يعرفه .. وقال « الجاحظ » : ما ترك الناس شعرا مجهول القائل قيل في ليلى الا نسبوه للمجنون ، ولاشعرا هذه سبيله قيل في « لبنى » الا نسبوه « لقيس ابن ذريح » وقيل : اسم المجنون « قيس بن معاذ » وقيل « مهدي بن الملوح » وقيل « البحتري بن جعد » وقيل « الأقرع بن معاذ » وصاحبته « ليلى بنت سعد بن مهدي ابن ربيعة بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة » أقول ويتصل هذا النسب بقيس عيلان بن مضر .

وهذا البحث الذي أداره شيخنا الامير عن حقيقة المجنون وعن اسمه وأقوال بني عامر فيه ـ في أغلب الظن ـ هو الذي أوحى الى الدكتور طه حسين أن ينكر وجود المجنون وأن يلعب بما جاء من أمره فيما كان ينشره من « حديث الاربعاء » لان قومه بني عامر لم يعترفوا به ، واسمه تارة قيس ، وتارة أخرى مهدي ، وثالثة الاقرع ، واسم أبيه كذلك يجيء على أسماء متغايرة مثل اسمه ، فكان من هذا كله مندوحة لانكار وجوده أو التشكيك فيه وفي شعره .

وقد قرأت لابراهيم عبد القادر المازني مقالا يرد فيه على الدكتور طه نحا فيه المنحى

---

(١) تصريم ـ تطع .
(٢) ورائيا ـ امامي .
(٣) الشجا ـ ما ينشب في الحلق من عظم وغيره .

الذى اتخذه الدكتور ، فهو يورد الرد على هذا النحو .. والذى سيتولى البحث أديب يجىء فى الأجيال القادمة :

تقرأ فى الصحف فى القرن الماضى وكذلك فى الكتب مقالات تنسبه لشخصية ، تذكر تارة بتوقيع الشيخ طه حسين ومعنى هذا أنه من شيوخ الأزهر ولهم زى خاص ، وتجىء تارة بقلم طه حسين أفندى ، ونقرأ أيضا للدكتور طه حسين ، وتارة يقول قرأت وكتبت فهو مبصر وأحيانا يقول أمليت فصولا فى كذا فهو كفيف . والذى يظهر لى أن هذا الاسم لا مسمى له حقيقة انما هو شعار اتخذه جماعة من الأدباء ليكتبوا وينقدوا ويلهوا الناس بما يكتبون . وعلى ذلك فطه حسين لا وجود له . وأنا أكتب هذا من الذاكرة وقد أحصل على مقالة ومقال الدكتور طه فأنبه على خير ما جاء فى المقالين .

لكن المعتمد عندى وأنا ممن لا يهتمون بأمر المجنون الآخذ بقول القائل ان المجنون شخصية حقيقية ، نكبته الحياة فى حبه ، ونكبته ذكراه برفضه ، ولقد كانت حياته وشعره وما جرى له ملهمة للشعراء والأدباء أن يكتبوا عنه ، ويرووا كثيرا من شعره وأمير الشعراء أحمد شوقى أنشأ قصة أدبية تمثل هى « مجنون ليلى » فكان هذا ردا لاعتباره . وأدباء العصر العباسى ورواة الشعر عنوا به وبأدبه . ففى الكامل لأبى العباس حمد بن يزيد المبرد جاء عنه فى الجزء الأول :

وقال قيس بن معاذ أحد بنى عقيل بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهو المجنون .. وحدثنى عبد الصمد بن المعذل .

قال سمعت الأصمعى يثبته ويقول : لم يكن مجنونا انما كانت به لوثة كلوثة أبى حية النميرى وهو من أشعر الناس ومن شعره :

ولم أر ليلى بعد موقف ساعة
ببطن منى ترمى جمار المحصب
ويبدى الحصا منها اذا قذفت به
من البرد أطراف البنان المخضب
فاصبحت من ليلى الغداة كناظر
مع الصبح فى أعقاب نجم مغرب
الا انما غادرت يا أم مالك
صدى أينما تذهب به الريح يذهب

والبيت الأخير من أعجب ما قيل فى النحافة.

ومن الافراط فى وصف النحافة قوله أيضا :

فلو أن ما أبقيت منى معلق
بعود ثمام ما تأود عودها

« الثمام نبت ضعيف واحدته ثمامة » « وتأود تعوج » .

ومما يستجاد له :

واخرج من بين الجلوس لعلنى
أحدث عنك النفس فى السر خاليا
وانى لأستغشى وما بى نعسة
لعل خيالا منك يلقى خياليا

وفى هذا الشعر :

اشوقا ولما تمض لى غير ليلة
رويد الهوى حتى يغب لياليا

هذا من أجود الكلام وأوضحه . هكذا يقول المبرد ، ولم يتعرض لانكار وجوده ، ولم يذكر له غير الاسم الذى ذكره فى كتابه .. والثلاثة

الذين تحدثوا عنه : المبرد وابن المعذل والأصمعى رواة يتحرون القول ويدققون فى الرواية .

وما جاء على لسان بنى عامر لا يعتد به فهو فى نظرهم عار ينفضونه عن أنفسهم ، وحكاية الأموى لا يرضى بها مفكر . فمتى كان الأمويون يتحرزون من القول ؟ أو يخشون القيل والقال ؟ اقرأ حياة « الوليد بن يزيد بن عبد الملك » وموقفه من بنات عمه من بنى عثمان ابن عفان ، أو اقرأ حياة « العرجى » وتعرضه للمواقف المخجلة . واقرأ تلك النادرة :

سمع عبد الله بن أبى عتيق — وهو من نسل أبى بكر الصديق قول عمر بن أبى ربيعة وهو من بنى مخزوم :

من رسولى الى الثريا بأنى
ضقت ذرعا بهجرها والكتاب ؟

فلبس ثيابه وركب بغلته وأتى باب «الثريا» فاستأذن عليها فقالت : والله ما كنت لنا زوارا . فقال : أجل ، ولكنى جئت برسالة يقول لك ابن عمك (عمر بن أبى ربيعة) « ضقت ذرعا بهجرك والكتاب » فلامه عمر ، فقال له ابن أبى عتيق : انما رأيتك متلددا تلتمس رسولا فخففت فى حاجتك فانما كان ثوابى أن أشكر . والثريا من بنى أمية الأصغر والأصغر بن الأكبر والجميع من قريش ، ولم نر غضبا من الخليفة وهو من بنى أمية . فكيف يخاف عاشقهم ؟

وسأضرب صفحا عن حكاية أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وزوج الخليفة الوليد بن عبد الملك وقصتها مع وضاح اليمن فانى أكذبها وان احتفل بها أبو الفرج بالأغانى وكتب عنها الأستاذ أحمد حسن الزيات فى الرسالة ، فكيف يسوغ فى العقل أن يدفن « الوليد » « وضاح اليمن » وهو فى « صندوق زوجه » ولا يعكر صفوها ولو بكلمة واحدة ؟ وكيف يقع هذا من زوج خليفة وأخت خليفة هو عمر بن عبد العزيز ؟

وقصارى القول أن ماذكره الأمير عن فتى أمية وحبه لا يحكم بأن انسانا لم يولد ولم يعش وقد ملأ البادية والحاضرة بشعره . ومولانا الأمير فى موضع آخر من الحاشية يذكر لقاء حدث بين المجنون وغريمه « ورد الثقفى » زوج ليلى العامرية فيورد الحادثة على طريقته فى ايراد الخبر .

بربك هل ضممت اليك ليلى
قبيل الصبح أو قبلت فاها ؟
وهل رفت عليك قرون ليلى
رفيف الأقحونة فى نداها ؟

خاطب به — أى الشعر — زوجها وهو يصطلى فى يوم شات . فقال : اللهم اذ حلفتنى فنعم . فقبض المجنون على النار وخر مغشيا عليه . أبعد هذا اعتراف بوجوده ؟

لكن مولانا الأمير موسوعة ، ومن حق الموسوعة أن تتسع لجميع الأقوال والروايات حتى يكون لنا المجال الواسع فى الاختيار واتخاذ القرار .

ومن لطائف مجنون ليلى أنه ألهم أيضا الدكاترة زكى مبارك أن ينشر لنا مقالات ممتعة يصدرها بقوله :

يقــولون ليلى بالعــراق مريضــة
فيا ليتنى كنت الطبيب المــــداويا

ولئن جعلها زكى مبارك تمرض فقــد جعلها شوقى تموت ، فيرثيها باكيا على لسان المجنون بشعر منه :

عرفت القبــور بعــرف الريــاح
ودل عــلى نفســـه الموضـــع

كثكلى تلمس قبــــر ابنهـــا
الى القبــر من نفســـها تدفــع

هــداها خيــال ابنها فاهتـــدت
وليــلى الخيــال الــذى أتبـــع

اعينى هــذا مكـــان البكـــاء
وهـــذا مســـيلك يا ادمـــع
هنـــا جســـم ليلى ، هنا رسمها
هنـــا رمقـــى فى الثرى المــودع

ويخاطب نفســـه :
طريد الحيـــاة ألا تســـتقر؟
الا تســـتريح ؟ ألا تهجـــع ؟

بلــى ، قــد بلغت الــى مفــزع
وهــذا التــراب هــو المفــزع !

ويصيح من أقصى القاعة صائح ينشــد :
بالله ياظبيــات القـــاع قلن لنـــا
ليـــلاى منكن أم ليلى من البشر ؟

ويقول « العينى » أيها الصائح ان ليلى التى ذكرت فى هذا البيت ليســت ليلى صـــاحبة المجنون ، انها ليلى صاحبة العرجى وهنا يقول الأمير مؤيدا العينى فيما ذهب اليــه ، هــذا ومعه أبيات فى الشواهد الكبرى للعرجى وقــد شطرت منها البيت الذى سمعته القاعة . فقلت :

« بالله ياظبيات القـــاع قلن لنا »
قولا يزل حيرتى فى ريـــة الحور ؟
بالشعب بالشيخ بالأعشاب انشدكم
«ليلاى منكن أم ليلى من البشر»؟

فهتفت القاعة للأمير ، وصاح واحد : لم لم تشطر بيتا من شعر المجنون ؟ قال البهاء زهير . رفعت الجلسة .

السيد حسن قرون

مشارع الثقافة العربية

فى الأندلس قبل العقد

ثم قال صاحبى : الم تر انى بحاجة الى فضل بيان تجلو به وجه الأندلس فى تلك الفترة التى امتدت حتىأدركت تاليف « العقد » ، فقد عرفنا بضع صفحات من الوان الثقافة الاسلامية ، ويقى أن نستقبل صفحات أخرى تشتمل على الوان من الثقافة العربية .

فقلت : لك ما طلبت ، فان الأندلسيين حينئذ أخذوا يعبون من معين هذه الثقافة العربية أدبية ولغوية وتاريخية وفلسفية وسائر مايدخل فى اطار ثقافة الأديب ، وقد أثروا هذا النشاط منذ اتجهت اليه هممهم ، وبذلوا فى سبيله كل جهد ومال ومخاطرة ، فاذاهم يرحلون فى طلبه من مصادره المشرقية ، وينقلونه الى بلادهم الفسيحة يغرسون بذرته ، ويتعهدونها سقيا ورعيا حتى آتت أكلها ، والقوم عرب يهتزون للفصيح ويطربون للانشاد ، ويسمرون بلطيف الأسمار والأخبار والأشعار ، فتجرى ألسنتهم بعذب الكلام نظما ونثرا ، يستوى فى ذلك الخليفة والأمير والوزير والفقيه والقاضى والكاتب والشاعر ، حتى لتحسب أن كل من فى الأندلس من الفاتحين كان يتغنى بالشعر ، ويهتف بفصيح القول ، مما يدل على أثر البعوث المتصلة بين الشرق والغرب ، يمدون بينهما حبال تلك الثقافة المشتركة ، ورأينا منهم من رحل الى مكة حاجا أو طالب علم ، ووجدنا منهم من أخذ علم أبى عبيد القاسم بن سلام من طريق تلميذه وصديقه طاهر بن عبد العزيز ، فعرفوا فى الأندلس كتاب «الأمثال» كما عرفوا من كتبه أيضا «غريب الحديث» ، ورأينا منهم من رحل الى بغداد والبصرة ، وصدر عنهما

بشتى ألوان الثقافة والفكر والفن والأدب مما يضيق باحصائه مقالة أو مقالتان ، ونكتفى بالقول : انهم نقلوا علم الخليل فى اللغة

والعروض فعرفوا كتاب (العين) فى اللغة وكتابى (الفرش ، والمثال) اللذين استغلهما ابن عبد ربه فى « الجوهرة الثانية فى أعاريض

للدكتور أحمد محمد النجار

الشعر وعلل القوافى » (١) ، كما نقلوا علم سيبويه فى (الكتـاب) ، وعلم ابن قتيبة فى الأدب واللغة والتاريخ ، مثلما فعلوا عندما نقلوا علمه فى الدين ، فنقلوا « عيون الأخبار » و « المعارف » و « أدب الكاتب » أو الكتاب وغيرها من آثاره المشهورة . وتمكنوا من آثار الجاحظ فى كتبه ، والمبرد ، وابن سلام ، وكتب الطبرى ، والزبير بن بكار وهشام بن الكلبى والهيثم بن عدى وأبى عبيدة معمر بن المثنى فى التاريخ والنسب والأخبار والقصص ورواية الشعر الى آخر ما امتلأت به خزائن كتبهم فى المساجد والقصور والدور وماتذاكروه من علم مشرقى خالص ، وأدب عربى صرف أو ممزوج بآثار هندية أو فارسية وغيرهما ..

وقد قوى الطلب منتصف المائة الثالثة أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن ، ولما كان عهد عبد الرحمن الناصر طمحت نفسه الى منافسة قرطبة لبغداد فيما قوى به العباسيون أسس دولتهم ، وعمد حضارتهم ، وأعلوا من مكانتها، واشتهروا بها ، فكانت محاولات عبد الرحمن الناصر فى جذب المعلمين الكبار ينشرون الثقافة الاسلامية والعربية فى دولته ، كما أوفد البعوث الكثيرة وشجع على التأليف فى اللغة والأدب على مثال ما عرف عنهم فى الدين ، حتى رأينا الزبيدى الأندلسى يضع قسما خاصا فى كتابه « طبقات النحويين واللغويين » لنحاة الأندلس ولغوييها ورتبهم فى طبقات ، وذكر منهم الغازى ابن قيس ، وأبا عبد الله الشمر بن نمير الشاعر نديم الأمير عبد الرحمن الأوسط وعبد الله بن رافع ، وعبد الملك بن حبيب السلمى ، والشاعر عباس بن ناصح الجزيرى ، وأحمد بن نعيم ، وعثمان بن المثنى الذى رحل الى المشرق ولقى الشاعر أبا تمام وقرأ عليه شعره وأدخله الأندلس ، ولقى جماعة منهم ابن الأعرابى ، وأدب أولاد عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) وأولاد ابنه محمد وتوفى سنة ٢٧٣ هـ (٢) . كما ذكر منهم محمد بن عبد الله الغازى الذى رحل هو الآخر الى المشرق ولقى الرياشى وأبا حاتم وغيرهما ، وجلب الى الأندلس كثيرا من الشعر والغريب والعربية والأخبار ، ورويت عنه الأشعار المشروحة كلها ، ومات بطنجة سنة ٢٩٦ هـ . كذلك روى أن الخشنى محمد بن عبد السلام

(١) العقد جـ ٥ ص ٤٢ .

(٢) طبقات الزبيدى ص ٢٨٤ و ص ٢٨٨ .

رحل الى المشرق قبل سنة أربعين ومائتين ، فحج ودخل البصرة ولقى أبا حاتم السجستانى والرياشى والزيادى وأخذ عنهم كثيرا من كتب اللغة رواية عن الأصمعى وغيره ، ودخل بغداد وسمع بها عن غير واحد ، وكتب بها كتب أبى عبيد القاسم بن سلام ، وسمع بمكة ومصر ، وأدخل الأندلس كثيرا من حديث الأئمة وكثيرا من اللغة والشعر الجاهلى رواية . وكان فصيح اللسان (ولم يكن — على ما قال ابن الفرضى — له كبير علم بالفقه ، وانما كان الغالب عليه حفظ اللغة ورواية الحديث ، وكان فى ذلك ثقة مأمونا) (١) وقيل انه كان يتعصب للعرب

ولما أقام خمسا وعشرين سنة مغتربا تذكر مقامه فى الغربة فقال :

كأن لم يكن بين ولم تك فرقة
اذا كان من بعد الفراق تلاق
كأن لم تؤرق بالعراقين مقلتى
ولم تمر كف الشوق ماء مآق
ولم أزر الاعراب فى خبت دارهم
بجنب اللوى من رامة وبراق
ولم أصطبح فى البيد من قوة الندى
بكاس سقايتها الفراق دهاق

وعرفنا ممن رحل أيضا عباس بن فرناس الشاعر المشهور بحدة ذكائه فقد روى أنه « جلب بعض التجار كتاب (المثال) فى العروض للخليل ، فصار به الى الأمير عبد الرحمن ، وقد كان ذلك ممايتلاهى به فى القصر ،حتى ان بعض الغلمان كان يقول لبعض : صير الله عقلك كعقل الذى ملأ كتابه من «مما ، مما» فبلغ الخبر ابن فرناس ، فرفع الى الأمير يسأله اخراج الكتاب اليه ففعل ، فأدرك عنه علم العروض وقال : هذا كتاب قبله ما يفسره ، فوجه الأمير الى المشرق فى ذلك فأتى بكتاب « الفرش » فوصله بثلاثمائة دينار وكساه ، وكان مع ذلك يحسن علم الموسيقا ويضرب العود ويغنى عليه) (٢) وكان ممن اشتغل بعلم العربية واشتهر بالحديث طاهر بن عبد العزيز . وصالح بن معافى وكان ذا فضل فى الدين ، وكان من البارعين أيضا فى علم العربية الشاعر الهجاء القلفاط محمد بن يحيى غريم ابن عبد ربه المهاجى له . هؤلاء الذين روينا طرفا من أخبارهم قليل من كثير زخرت به كتب التاريخ والطبقات ، مما يدل على عناية وجلب الذخائر النفيسة من الكتب ، والأخذ عن الأئمة المشهورين ليؤسسوا صرح الثقافة فى بلاد الأندلس فى محاولة بعض هؤلاء الخلفاء أن يحاكوا النهضة المشرقية وأن تضارع قرطبة بغداد ، وأن يسامى الخلفاء من بنى أمية الخلفاء من بنى العباس . كل فى جهته ومملكته .

على أن الأدب بمعناه العام يشمل الثقافة التاريخية والجغرافية التى أولع بها الأندلسيون منذ أول كتاب صنف فى تاريخ الأندلس وبقى حتى الآن وينسب الى عبد الملك ابن حبيب السلمى ساكن البيرة وقرطبة ، وقد جاء بعده تلميذه ابن أبى الرقاع الذى ينسب

(١) تاريخ علماء الاندلس ١ — ٣١٦ .

(٢) طبقات الزبيدى ص ٣٠٤ .

اليه كتاب بن حبيب ، ولعله هو الذى أتمه حتى عام (٢٧٥ هـ) اذ المعروف أن ابن حبيب مات سنة ٢٣٨ أو سنة ٢٣٩ (١) .. وكان من أشهر المؤرخين أحمد بن محمد الرازى التاريخى ، فقد ألف كتبا كثيرة منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيها وأمهات مدنها وخواص كل بلد فيها ، وان فقد هذا الكتاب الا أنه بقى بعضه فى مقتبسات ابن حيان وابن عذارى وابن الأثير فى الكامل ، كما ألف أيضا فى صفة قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها كتابا يناظر ما بدأ به ابن طيفور فى أخبار بغداد .

وفى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر صنف فقيه من أسرة بنى أمية فى قرطبة ، لم يعرف اسمه ، أخبارا احتوى عليها كتاب (أخبار مجموعة) فى فتح الأندلس .

وقد أغرم بهذه الثقافة التاريخية من شعراء ذلك العصر يحيى بن حكم الملقب بالغزال الذى قيل انه نظم أرجوزة فى فتح الأندلس قال عنها ابن حيان : انها كانت جميلة طويلة عرض فيها أسباب الفتح والوقائع التى جرت بين المسلمين والنصارى ، وأطال الحديث عن الأمراء فأجاد وتقصى) (٢) . وكانت شائعة متداولة فى أيدى الناس فى ذلك الحين .

كما نظم « تمام بن عامر الثقفى المتوفى سنة ٢٨٣ » أرجوزته المشهورة فى ذكر افتتاح الأندلس وتسمية ولاتها ووصف حروبها من وقت دخول طارق الأندلس حتى آخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، ذكر ذلك ابن حيان ، ويكون عمله هذا نظير عمل يحيى بن حكم الغزال ، وقد استغله ابن القوطية فى كتابه (افتتاح الأندلس) ثم انه جرى ابن عبد ربه فى ذلك المضمار بنظمه أرجوزته فى غزوات الناصر لدين الله .

وكما عرف الأندلسيون كتب التاريخ العام عرفوا كتب السيرة والمغازى مثل السيرة النبوية لابن هشام والطبقات الكبرى لابن سعد ، وكتب المروانية والعثمانية والامامية ، وأخبار الأصمعى والعتبى والشيبانى والمدائنى والبغدادى وغيرهم ، ووقفوا على نوادر الطفيليين « والممرورين » والبخلاء وحكايات الأعراب والجوارى وملح أصحاب الفكاهة والمجون والظرفاء مما رواه الجاحظ وغيره ، وقد سار ذلك فى الأندلس وملأها بأريج مشرقى خالص .

وقارىء التاريخ الأندلسى لا يفتقد أثر الأندلسيين فيه اذ يتملكه الاعجاب بنسيجه الأدبى وتصويره لبيئتهم ، كما يذكر بصدق عواطفهم نحو بلادهم ، وقدرتهم على الجمع والاستيعاب ، ورغبتهم فى الاشادة والتباهى برجالهم الاعلام .

هذا ولا تنفصل الجغرافيا عن التاريخ فيما كتبوا ، اذ وجدناهم يعرضون لذكر أوصاف البلدان والثغور ، والحصون والوديان والسهول

(١) جذوة المقتبس ص ٢٦٤ .

(٢) نفح الطيب ٢-٢٤٢ .

والأنهار والغلات الى آخر ما أنشأوه أو ورثوه عن أهله الأصليين فى شتى الاصقاع والنواحى.

قال لى صاحبى : فما بال ما كان يسمى بعلوم الأوائل فى تشييد هذا الصرح الثقافى ؟

قلت : انه كان لابد أن تتوجه بعض الهمم الى نقل علوم الأولين والعكوف على درسها والبحث فيها استكمالا لبناء هذا الصرح ، فوجدنا عباس بن ناصح الشاعر مبعوثا للأمير عبد الرحمن بن الحكم الى المشرق يلتمس له تلك الكتب القديمة ، فجاء (بالسند هند) وغيره ، (وكان أول من أدخلها الأندلس وعرف أهلها بها ونظر هو فيها) (١) .

ولما كان عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن تحرك أفراد من الناس الى طلب هذه العلوم ، وعرفنا منهم من كان يعنى بالحساب والنجوم كأبى عبيدة مسلم بن أحمد المعروف بصاحب القبلة ، وكان من أهل العلم بحركات الكواكب ، ورحل الى المشرق وسمع بمكةمن على بن العزيز الفقه والحديث ، وسمع بمصر من المزنى والمرادى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم وغيرهم .

كما ظهرت بواكير الدراسة الفلسفية عند (وهب بن مسرة) ، ثم نمت حتى اكتملت فيما تلا ذلك من قرون .

اما دراسة الطب فلم يكن بالأندلس من استوعبها ولا لحق بأحد من المتقدمين فيها ، لأنهم لم يقرءوا أصوله فى كتب بقراط وجالينوس ، وانما قرءوا بعض فروعه استعجالا لثمرته الا أفرادا منهم رغبوا عن ذلك الغرض وطلبوا الدراسة لذاتها حتى انهم قرءوا أصولها وفروعها واستوعبوها وتمثلوها ، وقد ذكر ابن جلجل ، وهو أول أندلسى ألف فى طبقات الأطباء والحكماء أنه كان يعول فى الطب بالأندلس على كتاب مترجم يقال له « الابريشم » وهو الكتاب المشهور لأبقراط ، وقد ترجم الى اللاتينية ومنها الى العربية .

ووجدنا من برع فى الطب على عهد الأمير محمد ابن عبد الرحمن « حمدين بن أبا » و « أحمد ابن اياس » من أهل قرطبة ، وكان قد وفد على الأندلس الطبيب الحرانى « يونس بن أحمد » فى أيام ذلك الأمير ، واستقر هناك ، واشتهر بالطب أيضا « خالد بن يزيد » و « ابن ملوكة » الذى أدرك عهد الأمير عبد الله بن محمد وأول دولة عبد الرحمن الناصر ، وفى أيام عبد الله أيضا نبغ «اسحاق الطبيب » . وكانت له تجارب وصناعة فى الطب فاق بها جميع أهل عصره . ثم ظهرت دولة الناصر فدخلت الكتب الطبية وغيرها من المشرق ، وتحفزت لها الهمم ، وظهر المشهورون فى الطب من أمثال (عمران بن أبى عمر) وكان ممن حظى لدى الخليفة الناصر وتوفى سنة ٣٢٠ هـ . وقد سكن المغرب من الأطباء (اسحاق بن عمران الملقب بسم ساعة) ونقل عنه ابن عبد ربه رسالة فى الطب (٢) وكان من أهل بغداد . ثم دخل التيروان فى دولة (زيادة الله ابن الأغلب الثالث) سنة ٢٩٠ هـ الى سنة

(١) المغرب ١ـ٤٥ .

(٢) العقد ٦ـ٢٣٢

٢٩٦ هـ وبه ظهر الطب فى المغـرب وعـرفت الفلسفة لأنه (كان طبيبا حاذقا مميزا بتأليف الأدوية المركبة ، وكان أشبه بالأوائل فى علمه وجودة نظره ، واستوطن القيروان حينا ، وألف كتبا منها كتاب (نزهـة النفس) وكتـاب فى (الفصد) وكتاب فى (النبض) وقد تتلمذ عليه (اسحاق بـن سليمان) الاسرائيلى المصرى الذى خدم عبيد الله الشيعى ، واشتهر بكتابه فى (الحميات) وكتابه فى (الغذاء والـدواء) كما اشتهر بكتب له فى الفلسفة والمنطق .

ثم عرفنا أحمد بن عبد ربه صاحب العقد بمتطبب آخر لم يذكره أحد غيره وغير ابـن الفرضى فى ترجمة يسيرة هى (أنـه الطبيب الشاعر فرج بن سلام ، وأصله من أهل قرطبة وكان يعنى بالاخبار والاشعار ، وكان يتطبب ، وممن رحل الى المشرق ودخل العراق ولقـى الجاحظ وأخذ منه كتبه وأدخلها الأندلس رواية عنه) (١) ، ولعله كان صديقا لابن عبد ربـه ، فقد أشاد به ونوه عنه فى أكثر من موضع مـن كتابه (العقد) واختـار جملة مـن أقوالـه ومروياته وأشعاره فى الطب وغيره .

على أن بعض هذه العلوم التى تنسب الى الأوائل ـ وخاصة ما يتصل بالتنجيم والفلك ـ لقيت معارضـة وتهجينـا فى أول الأمـر ، واستوحش منها العامة ، ومن أجل ذلك ضـاق نطاق البحث والنظر فيها الا الطب والريضاة للحاجة اليهما وفى ذلك يقول صـاحب (نفح الطيب) :

« وكل العلوم لها عنـدهم حظ واعتناء الا الفلسفة والتنجيم فان لهما حظا عظيما عنـد خواصهم ولا يتظاهرون بها خوف العامة ، فانه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العامة اسم (زنديق) وقيدت عليه أنفاسه ، ولهذا سكن أكثر من تحرك طلبا لهذه العلوم حتى انتهت دولة بنى أمية » (٢) .

وكان طبيعيا أن تتخلف هذه العلـوم فترة طويلة ، وألا يظهر لدراسة الفلسفة أثر فيما أنشدوا من شعر وما كتبوا من نثر حتى ذلك العهد الذى كان فيه ابن عبد ربـه قـد نظم قصيدة يتهكم فيها من مسلم بن أحمد المعروف بصاحب القبلة ، وفيها يقول :

زعمت (بهرام) أو (بيذخت) ترزقنـا
لا بل (عطارد) أو (برجيس) أو (زحلا)
وقلت ان جميـع الخلـق فى فـلك
بهم محيط وفيهم يقسـم الأجـلا
والأرض كروية حف السـماء بهـا
فوقا وتحتا ، وصارت نقطـة مثـلا

واذا كان ابن عبد ربه قـد أسرف فى مهـاجمة المشتغلين بالفلك والحساب اذ لم يكن على حق دائما ، فانا نراه قد تأثر بالموقف الذى وقفه من قبل ابن قتيبة من المناطقة فى مقدمة كتابه (أدب الكاتب) ، كما يذكرنا هذا بالموقف الذى وقفه البحترى الشاعر مـن هؤلاء المشتغلين بالفلسفة والمنطق ، وما ينكر أحد ـ الا قليلا ـ فضل الثقافة الفلسفية على تنمية الأفكار وتعمق المعانى وترتيبها فى الشعر وغـيره مـن فنون القول .

---

(١) طبقات الاطباء والحكماء لابن جلجـل ص ٨٤ بتصرف .

(٢) نفح الطيب ٢ـ١٠٦ .

الأدب العربي

بين الاتجاه الخاص والعام

أ ـ الاتجاه البيئى الخـاص فى المفهوم ٠

نقصد بالاتجاه البيئى الخاص ، ذلك النوع من الدراسات الأدبية الذى يعنى فيه الباحث برصد حركة الأدب الحـديث فى بيئة خاصـة بعينها لا يتجاوزها الى غيرها ، (فهى دائـرة أضيق من الدائرتين السابقتين) سواء أكانت متناولة لتلك البيئة بوجـه عـام أو ازدادت الدائرة ضيقا فتناولت الدراسة جزءا من تلك البيئة ، مثال ذلك أن تجـد دارس الأدب فى المملكة العربية السعودية ، ـ مثلا ـ ينطلق فى دراسته فى اطار هذا العنوان السابق ، فهو حينئذ قد اختار بيئة خاصة من بيئات الأدب العربى المعاصر ، وقـد تجـد دارسا آخـر يختار جزءا من ذلك الأدب ، فيختـار (أدب الحجاز) ، أى المنطقة الغربية أو (أدب نجد) أى المنطقة الوسـطى ، أو أدب الشـمال أو الجنوب أو المنطقة الشرقية ، أو تجد دارس الأدب السورى يدرس أدب حلب ، أو دمشق أو اللاذقية ٠

ونظفر بهذا اللون من الدراسات ـ بطبيعة الحال ـ فى تلك البيئات الجغرافية الواسعة ، اذ يتيح الاتساع الجغرافى للباحث تصـور وجود شخصيات متميزة للآداب فى جنبات تلك البيئة فنجد فى البيئة الخاصة بيئات فرعيـة تتدرج فيها ، وسنجد أن هذا المنحى لا يؤتى ثمرات فنية محددة ، اذ لا تقـوم الظـواهر الفنية منعزلة عما عداها فى بيئات محـدودة متقاربة كهذه ، فضلا عن أن الأديب قد يتنقل فى هذه البيئات المتجاورة فى وطنـه ، ومـن الصعب ـ حينئذ ـ قصر انتسابه على بيئـة منها دون غيرها ٠ فلا نصدق حين نقول عـن أديب انه حجازى وقد قضى حياته فى نجـد ! أو دمشقى وقد قضى حياته فى حلب ٠٠٠٠ الخ

ويرتبط الاتجاه البيئى الخاص ببيئة سياسية وجغرافية هى فى عرف تاريخ الادب الحديث بيئة أدبية حسـب التقسـيم المدرسى الذى عرفناه مع ممارستنا لتاريخ الأدب على أيدى المستشرقين ، وقد درج الباحثون على تقسيم الأدب الى عصور ، كان الدكتور طه حسـين

للدكتور يوسف حسن نوفل

قد حمل فى كتابه (فى الأدب الجاهلى) على المقياس السياسى فى درس الأدب وتاريخه.

والحق أن هذا النوع من الدراسات هو أغلب ما نظفر به فى مكتبة الدراسات الأدبية وهو نتيجة متوقعة لانشغال كل باحث بقضايا بلده ، ومنها قضايا الأدب ، وقل أن تجد كاتبا يقرن الى انشغاله بقضايا بلده انشغالا يضيف الى بيئته بيئة أخرى ، واذا حدث هذا ، جاءت نظرته الى غير بيئته على عجل ،

ومن هنا كانت الكثرة الغالبة فى الدراسات هى من النوع الذى يهتم فيه كل باحث بأدب بلده على نحو يجعله يتفرغ له تفرغا تاما

أو على نحو آخر يجعله يضيف الى ذلك نوعا من الموازنات الفنية ، أو ربطا بين الظواهر والتيارات الأدبية .

ومما يذكر فى الحديث عن البيئة الأدبية الخاصة — على نحو ما حددناها — أن كثيرا من البيئات الخاصة أو المحلية أو الاقليمية قد طواها النسيان أو غمرها التجاهل فنسيها

الدارسون أو تناسوها ، ورجع ذلك التجاهل أو النسيان الى طغيان شهرة بيئة على شهرة بيئة أخرى ، واتجاه أنظار الدارسين اليها دون غيرها ، من ذلك — على سبيل المثال اهتمام دارسى الأدب ببيئتى : مصر والشام ، نظرا للسبق الأدبى البين لهاتين البيئتين، وتميزهما الفنى بالنسبة للبيئات الأدبية الأخرى ، بحكم سبقهما الفنى والحضارى ، والتفاعل مع البيئات الأدبية العالمية ، ولقد أشار أحد نقادنا الى هذه الظاهرة ، اذ نوه الدكتور شكرى عياد بذلك فى مقدمة كتاب (الشعر الحديث فى الحجاز) لعبد الرحيم أبو بكر ، فذكر أن كل من كتبوا فى الدراسات الأدبية أعطوا مصر والشام النصيب الأكبر وأهملوا أدب الحجاز .

ولعل هذا من الأسباب التى توجب العناية بأدب بعض البيئات الأدبية المجهولة أو الناشئة وتجلية قضاياها ، والابانة عن أوجه نشاطها ، ومجالات التفاعل الفنى بينها وبين غيرها من البيئات .

(ب) الاتجاه البيئى العام فى المفهوم :

ونقصد به ذلك النوع من الدراسات التى تتخذ مجال بحثها بيئة بعينها ، ولكنها لا تقتصر على بيئة واحدة بل تجمع ببيئتين فأكثر بحكم التقارب الجغرافى ، أو بحكم تقارب السمات الفنية ، أو التقارب الزمنى فى ظهور التيارات

الفنية فى تلك البيئات التى اختـــارها الباحث لبحثه مثلما نجد دراسة فى أدب الجزيرة ، أو أدب الخليـــج ، أو أدب الشـــــام ، أو أدب المغرب •

وسواء أكان الجامع فى هــذه الدراســـة : التقارب الجغرافى ، أو التقـــارب الفنى ، أو التقارب الزمنى فان العوامل الفنية هى التى كونت ذلك التجميع البيئى ، فاذا بدأنا مثـــلا من المملكة العربية السعودية وجدناها قد تدخل بأدبها فى تلك المسارات التجميعية الثلاثة ، اذ يحدها شـــمالا كل مــن : الأردن والعـــراق والكويت •

ويحدها شرقا كل من : قطـــر والامـــارات العربية المتحدة ، وسلطنة عمـــان • ويحـــدها غربا : البحر الاحمر •

ويحدها جنوبا : اليمن وسلطنة عمان •

وهى ــ بذلك ــ قـــد تكون ضـــمن (أدب الجزيرة) ، وضمن (أدب الخليج) فى الاتجاه البيئى العام •

وفى دائرة الاتجاه البيئى العام نجد ضيقا عن دائرة الشـــمول التى تناولناها فى البـــاب السابق ، وكما رأينا الشمول فى الدائرة الأولى لا يتحقق فنيا بالدرجة التامة ، نقول هنـــــا ان العموم لا يتم بالصورة الكـــاملة أيضـــا ، وسنجد فى الحالتين تطبيقـــات فنيـــة عجلى ، واشارات سريعة ، ونماذج عامة • بل ان من الكتاب الباحثين من لا يقتصر على تلك البيئـــة العامة التى ذكرناها فيضم اليها بيئة أو أكثر من ذلك ماكتبه سعد ميخائيل بعنوان (شعراء الشام والعراق ومصر) دون وجود مبرر فنى يجمع بين هذه البيئات ، ولســـنا نـــدرى ما الجامع بين شعراء مـــن هـــذه البيئات دون غـــيرها من البيئات الأخـــرى ؟ وما الذى يميز السمات الفنية فى شعرهم عن شعر غيرهم من شعراء البيئات الأخرى ؟

ولعل نظرة الباحثين فى هذه البيئة العـــامة تخلو من التوسع الشديد الملحـــوظ فى التناول البيئى الشمولى ، الذى تحدثنا عنه فيما سلف، كما تنأى عن التضييق الشديد الذى قد يقـــع فيه دارسو التناول البيئى الخـــاص ، الذى سنتحدث عنه فيما يلى ، أى أن هذا التنـــاول البيئى العام لا يصل فى اتساع بيئاته الى مـــا يصل اليه التناول البيئى الشمولى على مستوى العالم العربى • بل يكفكف مـــن طمـــوحه ، فيختار دائرة أضيق من الـــدائرة الســـابقة ، ويختار جملة بيئات متجاورة جغرافيا ، فيتخذ من الاقتراب فى المكان اقترابا ــ بالضرورة ــ فى السمات الفنية ، ولسنا ندرى هـــل يولـــد هذا الاتجاه دوائر أخرى تشترك فيها كل بيئة مع غيرها مـــن البيئات ؟

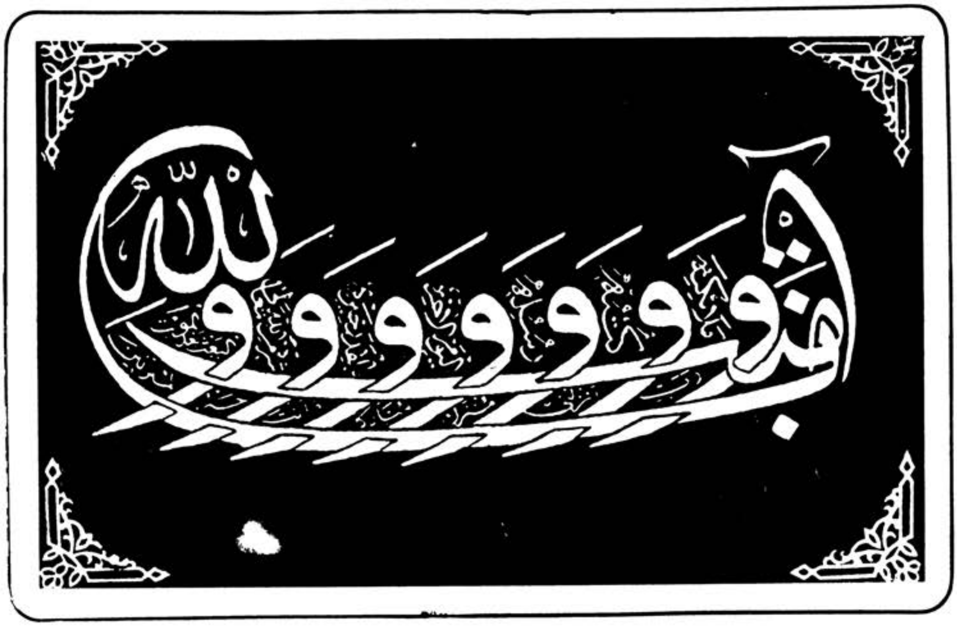

كما أن هذا التناول لا يبلغ فى تحديد مجاله ، وتضييق نطاقه الى مايرسمه التنــاول البيئى الخاص من اطار محدد ، وحدود مرسومة لبيئة أدبية بعينها •

بهذا يكون هذا الاتجاه حلقة وسـطى بين الحلقتين : الســابقة ، وهى التنــاول البيئى الشمولى ، والــلاحقة ، وهى التنــاول البيئى الخاص •

ومن المتوقع فى هذا التناول الفنى ، أن يكون الباحث منتميا الى احدى هذه البيئات مولدا ، ونشــأة ، وثقافــة ، وقــد ينعكس ذلك على دراسته ، فنجده أكثر ميــلا الى بيئتــه ، أو أعمق فهما لها بحكم المولد والنشأة والثقافة ، كما قلنا •

وحجة أصحاب هذا الاتجــاه تتمثل فى أن البيئات المدروسة فى كيان أدبى واحد ــ كما قلنا ــ مثل بيئــة الجزيــرة ، أو الخليج ، أو الشام •• الخ يجمعهــا توحــد جغــرافى ، وتــاريخى وتيــارات ثقــافية واجتمــاعية وحضارية متشابهة مما يحمل الدارس عــلى اعتبارها منطقة واحدة عــلى الرغم مــن انقسامها الى دول مختلفة •

على أن من جوانب هذا الاتجــاه مايقتصر على جزء من تلك البيئات ، فلا يــدرس أدب الجزيرة العربية كلها ، بل يدرس مثلا شرقيها ، كما رأينا فى كتاب (أدب النثر المعاصر فى شرقى الجزيرة العربية) (١) للــدكتور عبــد اللــه آل مبــارك •

---

(١) ط «١» ١٩٧٠ ؛

صورتا الغلاف الأول والأخير

لجريدة الأزهر لولكوكس

(انظر المقال صفحة ١٧٤٧)

(السنة السادسة)

جريدة علميـــة أدبية

أسسها حضرتا ابراهيم بك مصطفى وحسن بك رفقي

أعطني الحرية في أن أعلم وأتكلم وأباحث حسب ما تمليه ... وأعطنيه من الحرية . وإذا كانت كل ارياح المذاهب تهب على وجه الأرض وكانت الحقيقة موجودة معها فان العبث أن تمنع ظهورها وتعجزها ... من انهزامها . فلتترك الحق يحارب الكذب فانه لم ينظر أحد أن الحق ... انفسح له المجال . ومن يجهل من الخلق أن أكبر شيء بعد ... لا يحتاج في انتصاره الى السياسة والحيل بل تلك الامور هي طرق ... يستعملها الكذاب لاخفاء الحق

ميلتون

تصدر أول كل شهر

لمنشئيها

وليم ويلكوكس   احمد الازهري

(قيمـــة الاشـــتراك)

سنة واحدة ومن ستة أشهر ومن كل عدد

صورة غلاف العدد الاول لويلكوكس انظر المقال

ص ١٧٤٧ .

(العدد العاشر)   ديسمبر سنة ١٨٩٣

جريدة علميـــة أدبية

أسسها حضرتا ابراهيم بك مصطفى وحسن بك رفقي

أعطني الحرية في أن أعلم وأتكلم وأباحث حسب ما تمليه علي الذمة وأعطنيه من الحرية . وإذا كانت كل ارياح المذاهب تهب على وجه الأرض وكانت الحقيقة موجودة معها فان العبث أن تمنع ظهورها وتعجيزها خوفاً من انهزامها . فلتترك الحق يحارب الكذب فانه لم ينظر أحد أن الحق انهزم اذا انفسح له المجال . ومن يجهل من الخلق أن أكبر شيء بعد الله هو الحق فانه لا يحتاج في انتصاره الى السياسة والحيل بل تلك الامور هي طرق الدفاع التي يستعملها الكذاب لاخفاء الحق

ميلتون

تصدر أول كل شهر

لمنشئيها

وليم ويلكوكس   احمد الازهري

(قيمـــة الاشـــتراك)

سنة واحدة	ومن ستة أشهر	ومن كل عدد	
ص	ص	ص	
٧٥	٤٥	١٠	في القطر المصري وفي الخارج يزاد في كل مدة قرش واحد

غلاف العدد الاخير من المجلـــة انظر المقـــال

ص ١٧٤٧ .

مع المغفور له الرئيس
أحمد سيكوتوى فى كتابه
الاسلام دين الجماعة

ترجمة : محمد البخارى عرض د.ا. طه مصطفى أبوكريشة

من مآثر المغفور له الرئيس أحمد سيكوتورى رئيس جمهورية غينيا الراحل ، هذا الكتاب ، الذى الفه وجعل عنوانه ((الاسلام دين الجماعة)) • وهو كتاب يقع فى مائة وخمس وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، ونراه ان شاء الله تعالى من العلم الباقى الذى ينتفع به ، ويستمر به عمل الرجل بعد وفاته دون ينقطع •

والكتاب مجموعة من الأبواب تحمل هذه العناوين متتابعة (العمل ركيزة الاسلام — قواعد الاسلام الخمسة — دور المسلم فى تحقيق السعادة للشعب — اكتساب العلم فريضة اجتماعية — الاسلام أداة فى خدمة الشعب — الفاتحة طريق قهر الشيطان — الوجدان قيمة الانسان) ويلى ذلك الخاتمة التى ينتهى بها الكتاب •

والاسلوب فى هذه الابواب يتسم بسمة التركيز الشديد ، لكن مع الوضوح الذى أملته

سيكوتورى

عاطفة دينية قوية ، وحماس ايمانى متدفق ، يعكس مدى حب صاحبه لدينه •

وتلك علامة بارزة فى الكتاب ، يلتقى بها القارىء محددة معالم شخصية صاحبها ، وهى شخصية فرضت نفسها فى صفحات التاريخ المعاصر ، فى مجال الفكر الى جانب مجال السياسة •

— ٢ —

أما الباب الأول « العمل ركيزة الاسلام » (١٥ — ٢٧) فانه يصدره بالاشارة الى تلك العاطفه — عاطفه حب الدين — التى ألمحنا اليها فيقول « منذ تأسيس المجلس الاسلامى الوطنى وتصديه لحمل رسالته الطموحة لدعم مكانة الاسلام ونشر فكره وترسيخ قواعده فى أرجاء غينيا ، وفى أنحاء أفريقيا والعالم كله ، وأنا أتأمل العلاقة الوثيقة بين فهم الاسلام والدفاع عنه •

ذلك أن المرء لا يملك أن يدافع حقا الاعن الشىء الذى يحبه ، وما يحب المرء الا ما يعرفه وما يعرف الا ما أتقن تعلمه ، ولهذا لا يستطيع أحد أن يحب الاسلام حبا صادقا دون أن يعرفه ، ولا أن يعرفه دون أن يعرف ذاته » •

ومن هذا التصدير يطرح هذا السؤال :
كيف يستطيع الانسان أن يعرف ذاته ؟

ويجيب على ذلك بأن الانسان يستطيع أن يعرف ذاته اذا أجاب عن أسئلة يوجهها الى نفسه ، يعرف من خلالها تحديد مكانه فى المجتمع وتعيين موقعه الجغرافى ، ومعرفة سلوكه النفسى ، وجميع أوجه نشاطه ، ذلك لأن الانسان ليس منبت الصلة عما عداه ، وهنا تكون البداية لمعرفة الاسلام •

ومعرفة الاسلام تتطلب الاعتراف بوحدانية الله الفرد الأحد المنزه عن المتناقضات ، وهو اعتراف يتجسد فى وجدان الانسان من خلال كل مايراه من أدق الأشياء صغرا الى أكبرها حجما ، ومن خلال كل مايسمعه ويحسه ويحيط به ، ان على الانسان أن يتأمل مخلوقات الله ويصغى اليها ، فبهذا يدرك الله ، ويستشعر وجوده داخل وعيه ، دون أن يجعل لله حجما أو شكلا او لونا محددا لأنه تعالى ليس كمثله شىء •

أما أن العمل ركيزة الاسلام ، فذلك لأن الاسلام يصر على ضرورة العمل ، وهو الدين الذى يقود الانسان الى الوفاء بديونه ، فالانسان مدين لله الذى خلقه ، لكنه لا يملك ما يقدمه لله غير أن يبقى مؤمنا وعارفا به ، والانسان مدين للمجتمع الذى أنبته وأتاح له أن يولد على أرضه ، وأن يغتذى ويكتسى ويتعلم ، وهو لا يستطيع الوفاء للمجتمع ان لم يعمل •

ولهذا فمن واجبه أن يعمل حتى يؤدى للمجتمع ديونه ، وأن يبقى دائم الاعتراف بالله الذى وهبه الحياة ، ذلك هو أساس الاسلام ، فهو دين الواجب والاعتراف بالواجب ، وأداء الواجب المفروض على الانسان تجاه ربه وتجاه مجتمعه •

ومن هنا فان المؤمن الحق ليس فى حاجة لأن يقول انه مؤمن ، فحماسته فى العمل من أجل

المجتمع تكشف عن صدق ايمانه كما أن سلوكه الشريف وتمسكه بالكرامة والعدالة والمسئولية ، مما يؤكد عمق ايمانه .

واذا كان المؤمن — وهو يعمل — يتعرض بشكل متصل للاغراءات الشريرة ، فان عليه أن يصارع الشيطان ، وأن يجاهد نفسه ، فاذا توقف المرء عن محاربة الشيطان والتصدى له توقف عن أن يكون مسلما حقا .

كذلك فانه اذا كان من الواجب معرفة الطريقين : طريق الخير وطريق الشر ، فان على المسلم الاختيار الحاسم لطريق الخير ومعاداة طريق الشر ، وذلك هو ما يطالب به الاسلام .

— ٣ —

وفى الباب الثانى « قواعد الاسلام الخمسة » (٢٩ — ٤٠) يذكر اننا فى حاجة الى الاسلام لأن علينا أن نعترف بوجود الله الها وأحدا خالقا يسبغ رعايته على كل المخلوقات ، وأن نعترف بوجوده من خلال خلقه ، فاذا اعتقدنا ذلك فان علينا أن نترجم العقيدة الاسلامية فى سلوك عملى من خلال قواعد الاسلام الخمس : الشهادة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج .

وفيما يتصل بالشهادة ، فان شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا نبيه ورسوله ، هى قاعدة الاسلام وهى الشرط الاول لدخول الاسلام ، فليس يكفى أن يقر المرء بوجود الله وبوحدانيته دون أن يعترف بنبوه محمد ورسالته وهذا هو الانتماء الأساسى للاسلام .

وهو انتماء يجعل المسلم يعلن الحرب الدائمة على الشيطان ، ويجعله لا يقول ولايرى ولا يسمع ولا يقبل شيئا يتعارض مع الحق أو العدل ، ولا يقر أى شىء يكون الشيطان وراءه .

أما الصلاة فانها ثانية قواعد الاسلام ، وهى تعنى اتجاه المسلم الى الهه وربه وخالقه العلى العظيم ، وتتضمن اعترافا منه بفضل الله حين من عليه بحيز المكان وبحيز الزمان .

فكان المؤمن حين يصلى يقول « يا الهى لقد مننت على بالمكان واعترافا منى بفضلك ، فاننى أشغل هذا الحيز المحدود مسلما نفسى لك مقرا بعظمتك .

لقد وهبتنى الزمان واعترافا بك فاننى أشغل هذا الوقت الخاطف فى خشوع لك » وهكذا يلوذ الانسان بربه خلال الصلاة ، وهو يشغل حيزا محدودا من الزمان والمكان .

والقاعدة الثالثة فى الاسلام هى « الزكاة » ذلك الحق المعلوم الذى فرضه الله للفقراء فى أموال الأغنياء ، ان للزكاة معنيين .

أولهما : انه اذا كان هناك فقراء فذلك لأن هناك أغنياء ، واذا كان هناك أغنياء فلأن هناك فقراء ، ولو كانت جميع الخيرات والثروات موزعة بمساواة وعدالة لما كان فى العالم كله فقراء وأغنياء ولصار الجميع كما هم متساوين لحظة الميلاد واذا كان هناك اعتراف حقا بأن كل شىء ملك لله ، فان الزائد عن الحاجة يجب أن يعود الى المجتمع ، وحينئذ يعود اليه ما يخصه .

أما المعنى الثانى : فان سعادة الانسان فى الآخرة هى على قدر ما يفعله من خير فى الدنيا

سيكوتورى

ومنه ما يقدمه للغير من عون ومساعدة ، فهناك اذن سبب عاجل وهو أن يكون الانسان عادلا فى المجتمع ، وسبب آجل وهو اعداد المستقبل عن طريق تقديم العون للمجتمع ، وذلك هو تفسير معنى الزكاة •

والقاعدة الرابعة للاسلام وهى « الصوم » تنطوى على التميز الانسانى ، وهو الفكر الذى يسيطر على الطبيعة من حوله ، فكأن الانسان حين يصوم فانه يقول بلسان الحال « اننى فى حاجة الى الطعام وغيره غير أنى أرفض تناول ذلك بجهد من ارادتى ، وسأتقبل عن طواعية كل الآلام فى سبيل أن أنتصر على جسدى وأتقرب الى الله » •

من هنا كان الفكر هو الذى يقرب الانسان الى الله ، بينما يقرب الجسد الانسان من الحيوان والتراب ، ان الصوم يتيح للانسان أن يسمو ، وللفكر أن يسيطر على الجسد ، وللانسان أن يسود الطبيعة ، وذلك هو أساس الصوم •

والقاعدة الخامسة للاسلام هى حج بيت الله الحرام فى مكة المكرمة وذلك لمنّ استطاع السبيل الى ذلك ، ويمثل الحج المؤتمر العالمى السنوى للاسلام ، حيث يلتقى المسلمون القادمون من كل بلاد العالم ، فيتبادلون المعلومات عن أوضاع بلادهم وعن المكانة التى يحتلها الاسلام فى العالم وعن التقدم الذى يحرزه الاسلام أو الصعوبات التى تعترض طريقه • (١)

ثم يعقب على ذلك بأن قواعد الاسلام الخمسة تمثل فى حقيقتها جهدا فكريا حاضرا ، فالايمان بالله وبرسوله محمد — صلى الله عليه وسلم — ، هو من عمل الفكر وبهذه العقيدة يجب أن يعيش المرء نابض الفكر فى كل لحظة ، بل فى كل مكان وزمان •

وكذلك فان الصلاة لا تكون صلاة كاملة ما لم تكن مصحوبة بحضور القلب والفكر ، وبغير ذلك تكون مجرد قيام وركوع وسجود أقرب الى التدريب الرياضى •

والزكاة أيضا جهد فكرى ، لأن أداء المرء للواجب نحو التآزر الاجتماعى واسعاد الغير يمثل عصيانا للشيطان الذى يوسوس للانسان بالأثرة والأنانية •

والصوم كذلك يأخذ قيمته من الفكر الكامن فى ممارسته ، حين يقبل الانسان عليه ، ويلتزم به فى السر كما يلتزم به فى العلانية •

والامر كذلك بالنسبة للحج اذ ينبغى أن يتجرد عن الرياء وعن المنفعة الشخصّية ، وأن تكون وجهة الحاج أن يبتغى فضلا من الله ورضوانا ••• واذن فالفكر وحده هو الذى ينبغى أن يتسلم القياد فى كل تحرك فعلى داخل المجتمع ، حتى تأتى أفعال المسلم فى تعارض واع وحاسم مع الشيطان ، وفى تعانق حى ودائم مع الخط الذى رسمه • القرآن الكريم للأفراد والجماعات •

---

(١) يبدو — والله أعلم — ان المؤلف يريد بقوله : « جهدا فكريا •• الخ ما يجب على المسلم ان يبذ له من جهد فى استحضار عقله وقلبه ليكون على التزام دائم بما يقتضيه اسلامه من عقيدة وسلوك ولكى تكون العبادة مقبولة فى ميزان الثواب •

وفى الباب الثالث « دور المسلم فى تحقيق السعادة للشعب » (٤١ — ٥٣) يتحدث المؤلف عن علاقة الانسان بالمجتمع خلال التزامه بشعائر الدين اذ لا يمكن أن يعيش منعزلا بعبادته بينما المجتمع من حوله ينوء بكثير من ألوان الظلم والقهر ، ومن هنا كان معنى الجهاد فى الاسلام ، ومعنى مكافحة المسكرات حفاظا على العقل وسلامة الفكر وصحة الجسد • فلا ينبغى أن يقول أحد اننى مسلم ثم يكتفى بهذا « فليس الاسلام لقبا ، والجهاد هو الذى يصنع المسلم ، وبالعمل يصبح المرء مسلما ، والسلوك هو الذى يشكل المسلم ، ان نفع الانسان لمجتمعه هو الذى يجعل منه مسلما » •

ان السلوك الشخصى حينئذ يكون ترجمة للاعتقاد ، فاذا كان سلوك المرء يعادى كل ما يتناقض مع مبادىء الاسلام فهو اذن على الطريق المستقيم ، والمسلم القوى الايمان هو الذى يعارض بحسم كل ماهو اثم وشيطانى ويناصر فى حسم كل مايتفق مع الاسلام ، أى كل ما هو عدل وخير •

والعبادات كلها فى مضمونها وجوهرها تدريب عملى على مطاردة الشيطان ، وعدم الانقياد له ، مع اعلاء الارادة والتسامى بالفكر •• وبهذا كله يعمل المسلم على اشاعة جو من الأمن والرضا والاطمئنان والخير فى مجتمعه الذى يعيش فيه وبذلك يقوم بدور فعال فى تحقيق السعادة للآخرين •

والباب الرابع عنوانه « اكتساب العلم فريضة اجتماعية » (٥٥ — ٦٤) وفيه يتحدث المؤلف عن موقف الاسلام من العلم ، ويبين ذلك بأن الاسلام يفرض على كل مسلم تحصيل العلم وتعميق المعرفة والتربية الصالحة ونشر العلم على نطاق المجتمع كله •

فالعلم هو الذى تتحقق بواسطته سعادة البشر ، ولن تتحقق هذه السعادة الا اذا تبادل الناس المعرفة فيما بينهم عن طريق التعلم ، والبخل بالعلم هنا يشكل جريمة أكبر من رفض مد الجائعين بالغذاء ، ذلك لأن العلوم والمعارف يجب أن تكون ملكا للبشرية جمعاء : فهى الميراث المشترك بين جميع البشر •

واذا كان الاسلام هو الدين الذى ينادى بالمساواة بين الناس دون تميز بسبب اللون أو القومية أو السن أو النوع ، فانه يجب تسخير الثروة والعلم من أجل الارتقاء الدائم بمستوى مجموع الأفراد •

وفى الباب الخامس نجد له هذا العنوان « الاسلام أداة فى خدمة الشعب » (٦٥ — ٨١) وربما تكون الترجمة عن الأصل غير دقيقة ، أو تكون العبارة فى الأصل غير دقيقة فى التعبير عن المعنى المراد الذى قصد اليه المؤلف ، اذ أنه يقصد كما هو واضح فى العرض أن الاسلام بتعاليمه يهيىء وسائل السعادة وسبلها للناس أفرادا وجماعات ، ومن هنا فان القائمين على المؤسسات الاسلامية التى تدعو للاسلام : ينبغى أن تضع نصب عينيها هذا الهدف •

سيكوتورى

وفى هذا الباب يتحـدث عن ضرورة تنظيم الأفراد فى اطار الأخوة الاسلامية لأنها هى الأمر الجامع بين الناس .

فالاسلام دين واحد لكل الأجناس ، ولكل العصور ، ولكل البلاد ، فـلا يخص جنسا واحدا ، ولا لون بشرة معينا ، ولا بلـدا دون غيره ، فحيثما كان المسلمون عـلى اختـلاف أصولهم العرقية ، يجب أن يشكلوا كتلة واحدة

لا تتجزأ طالما أن الاسلام وحـدة لا تتجزأ . وهذا هو الشرط الأول لتقدم الاسلام .

ثم تأتى بعد ذلك الخطوة التالية وهى العمل على أن يضيىء القرآن الكريم ضمير الشعوب حتى تكـون جميع ممارسـاتها السـياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية متفقة مع تعـاليم الله التى ألزم بهـا البشر ، ذلك لأن القرآن يقدم حلا لجميع المعضلات التى تشغل الانسان .

أما الاسباب الداعيـة الى تنظيم العـالم الاسلامى فان ذلك لأجل اقامة وحـدة حقيقية لا شكلية بـين المسلمين ، اذ يجب أن تكـون وحدتهم بهدف اتباع هدى القرآن وحده .

واذا قام هذا التنظيم فانه يستطيع أن ينقذ البشرية التى تتجه اليوم شيئا فشيئا نحـو عبادة المال دون أن تتلقى تربية خلقية ودينية جادة . ويجب على هذا التنظيم بعد قيامه أن يتطور بشكل ثابت ليزداد اكتمالا ، وليكـون قادرا على أن يثبت تفوق الاسلام فى واقـع عملى .

وفى هذا الباب يتحدث المؤلف كذلك عـن تجربة بلاده فى سبيل نشر الاسـلام بـين الأفراد والجماعات ، وفى العمل به فى مختلف المؤسسات ، ويذكر من ذلك ما ألزمت به كـل قرية من هدم ما بها من أوثان ، وتحطيم مـا لديها من تمائم وتعاويذ ، وأن تقيم مسجدا ، وأن تربى الناشئة حسب القواعد القرآنية .

وبذلك تم القضاء على الوثنية والشـعوذة ولم يعد أحد فى بلاده يقـدس الأحجـار أو الأشجار أو التمائم ، هذا الى جـانب تحريم الخمور والفجور ، وتنظيم القضاء على أساس الهدى القرآنى والغاء جميع أنواع التفـرقة التى كانت قائمة على أساس الجنس ، وذلك من أجل تدعيم أواصر الوحدة بين المسلمين .

— ٧ —

ويـأتى البـاب السـادس تحت عنـوان « الفاتحة » سبيل قهر الشيطان (٨٣ — ١٠٣) ويذكر المؤلف فى التمهيد لحديثه أن الفاتحـة واحدة من أقصر سور القرآن ، لكنها عميقـة المعانى ، اذ تجمع على ايجـازها كل الهـدى الاسلامى ، وذلك ما جعلها فاتحـة القـرآن الكريم .

ثم يقدم بعد ذلك خـواطره فى تفسـير « سورة الفاتحة » ، فيذكر أن المسـلم حين يقرأ هذه السورة فانه يحمد لله قدرته ورحمته وعفوه وكرمه غير النهائى ، ويقر بوحدانية الله وبعلو صفاته وعظمته التى لا حدود لها ، وخيره العميم الذى يغمر به جميع مخلوقاته .

كذلك فان الانسان يدرك فى « الفـاتحة » وجود طريقين : طريق الاسـتقامة وطـريق الضلال ، ويدرك وجود الخير والشر ، ويعـد

بسلوك الصراط المستقيم سائلا الله عونه الدائم الكريم ، حتى يستطيع أن يظل دائما على طريق النجاة .

وحين يختار الانسان الطريق القويم فانه يدين بقراءته الفاتحة طريق الضالين ، ويحدد موقفه منهم ، وعلى رأسهم الشيطان ، وهو بهذا الدعاء « **اهدنا الصراط المستقيم** » يدين السلوك الاجتماعى السيء ، ويرفض طريق الشر والضلال طريق الشيطان .

ان « سورة الفاتحة » لا تتضمن ضمير المتكلم المفرد ، بل تتحدث بلفظ المتكلم الجمع « اهدنا » ولهذا فان على المسلم الذى يريد احترام « سورة الفاتحة » وترجمتها ترجمة

عملية صحيحة ،أن يدين جميع من يمارسون الأنانية والظلم ، وعليه أن يخدم المجتمع فى أمانة وصدق ، وذلك هو ما تفرضه « سورة الفاتحة » على سلوك الفرد .

وهنا يتحدث المؤلف عن الترجمة العملية لـ « سورة الفاتحة » ، وكيف تكون واقعا فى سلوك الأفراد والجماعات ، فيذكر أن علينا أن نقود فى حسم تلك المعركة التى تتعارض فيها العدالة مع الظلم والتقدم مع التخلف ، وأن نختار الخير ونقصى الشر المتمثل فى قوى الاستغلال والقهر من جانب ، وقوى الذين يعانون من الاستغلال والامتهان من جانب آخر .

واذا كانت محاربة الشيطان تتطلب القضاء على الشر وأسبابه ، فان « سورة الفاتحة » تقضى باقصاء الفردية والأنانية والخيانة وما اليها .

ومن هنا كان الاسلام دين جهاد من أجل انتصار الخير واختفاء الشر بجميع أسبابه ، وليس للجهاد القدس الذى حدده القرآن من هدف سوى حماية الجماعة واقصاء من يجرون الفاقة والبؤس على المجتمع .

ان طريق الاسلام يتطلب عملا جادا يقيم حياة انسانية أكثر ازدهارا وخصوبة وشرفا وكرامة ، وعلى المرء الذى يؤمن ايمانا حقا بأنه ملتزم بسلوك هذا الطريق أن يعمل على أن يستمتع بعقل سليم وجسد سليم ، وبيئة اجتماعية وطبيعية سليمة .

ان الاسلام دين العمل والتنظيم الاجتماعى .. دين التواضع من أجل تحقيق النفع الدائم للقريب والجار والجماعه كلها . أو ليس من وصايا الاسلام أن يجتمع مسلمو كل قرية وكل

حى ليصلوا معا وليبنوا لهم مسجدا فى حدود امكاناتهم ؟

أوليس المسلمون مطالبين يوم الجمعة بحضور صلاة الجماعة ؟ تلك كلها ملامح التنظيم الاجتماعى .

اذن من الخطأ اهمال تنظيم المجتمع ، ذلك التنظيم الذى يتيح لأعضائه أنيناقشوا بحرية جميع المشكلات التى تواجه حياتهم ، والتى تواجه ازدهار الاسلام ، والذى يعينهم على اتخاذ قرارات مشتركة ، وتنفيذها بطريقة مشتركة ، ومن يهمل هذا الجانب من الحياة الاجتماعية هو من لم يفهم الفاتحة حق الفهم.

سيكوتورى

— ٨ —

ويأتى الباب السابع والأخير تحت عنوان « الوجدان قيمة الانسان » • (١٠٥ — ١٤٧) وفيه يذكر المؤلف بعد حديث عن المادة ، أن الشيء الذى يحويه الانسان ، والذى تفوق قيمته قيمة المادة ، هو وجدانه الذى يمثل قيمته الحقة ، وبدونه يكون أقرب ما يكون الى الحيوانات الأخرى •

وكما تحوى الطبيعة متمثلة فى الأرض عناصر مختلفة ، بل متعارضة فان الانسان الذى سواه الله من الطبيعة يحوى عنصرين مختلفين هما : المادة والفكر •

وعنصر المادة فى الانسان هو الذى يجعله قادرا على ارتكاب جميع الحماقات التى ترتكبها الحيوانات ، غير أنه حين يستخدم ذكاءه وضميره يستطيع أن يكبح جماح امتداد الطبيعة فى كيانه ، بل يستطيع أن يسيطر على الأرض نفسها وأن يسخر الطبيعة لتحقيق السعادة للمجتمع •

ثم ان الانسان هو ملتقى المتناقضات ، لأنه فى المقام الأول حيوان بوصفه امتدادا للطبيعة •• قدمه وعظامه وأجزاء جسده كلها تتشكل من نفس العناصر التى تتشكل منها أجزاء أجساد الحيوان ، غير أنه يعد مع ذلك حيوانا أسمى بفضل ذكائه وضميره اللذين زوده الله بهما ، فهو لايستطيع فقط أن يدرك ، بل أن يريد ويختار ويقرر •

ثم هو يتمتع بذاكرة تتيح له استعادة الماضى ، ويتيح له ذكاؤه أن يرى ببصيرة أكثر اكتمالا ودقة ونفاذا من عينيه وأن يستمتع بحسه بأدق مما تسمع أذناه ، أى أن ذكاءه يتيح له اثراء حواسه ، وحين ينمى الانسان ذكاءه ، ويصقل ملكاته وقدراته البشرية ، ويبيح لكفاءاته أن تزدهر وتتألق ، فانه يتبع النهج الايجابى فى تطويق عناصره الحيوانية ، بأسوار سجن يحول بينها وبين تدنيس وجوده •

لكن اذا كانت طبيعة الانسان المادية تطلب من الأرض عناصرها الغذائية الضرورية لنمائه •• فمن أين يستمد هذا الوجدان غذاءه وريه ؟

ان المجتمع هو الذى يرعى الكائن البشرى كما ترعى الأرض جذور الشجرة ، فهو يحتضنه دائما بهدف تطوير ملكاته وقدراته ، ومن هنا يصبح الانسان مدينا للمجتمع بالعلوم والمعارف بفكره ووجدانه وبكل ما يجعله كائنا أسمى ، فالمجتمع هو الذى يفرز العناصر الغذائية الضرورية لنمو الفكر وتطويره ، وهو الذى يحملها الى الانسان •

لكن أهم دين يثقل عنق الانسان هو دينه نحو الله . الذى يوجهنا نحو تحصيل مزيد من المعارف عن الفرد والجماعة لصقل معرفتنا بالكائن البشرى ، وبالمصير الذى يجب أن يتجه

اليه وبكل ما يسمو أو يهبط به . والانسان دائم الاعتراف من النعم التى يدين بهما لله تعالى ، ولأن المسلم يدرك هذه الحقيقة ، فهو يحمد الله كل يوم ، ويقر له بالوحدانية ، ويتبع هديه الذى تجلى فى رسالة النبى محمد — صلى الله عليه وسلم — .

ان الانسان يفى بالدين الذى فى عنقه لله حين يقر بوجود الله ويسلك مع أفراد مجتمعه على النحو الذى رسمه النبى محمد — صلوات الله وسلامه عليه — . كما أن الفرد يفى

بديونه تجاه مجتمعه حين يتجنب الكذب وارتكاب أى عدوان على مصالح الجماعة أو أى فرد منها ، ولا يتحرر المرء من ديونه الاجتماعية الا اذا كان نافعا لمجتمعه ، الا اذا قدم للمجتمع قبل موته عوضا عما استهلكه من خيرات المجتمع التى أنتجتها أيدى الآخرين .

ولن يكون ذلك الا عن طريق العمل الصالح فى كل مجال ، والدين هو الذى يرشد الى العمل الذى يقود الى الخير ، بينما لا يفتأ الشيطان عن التأثير على الانسان فى كل مكان

ليزج به فى طريق الشر ، وأمام هذين الطريقين يجب على المسلم أن يتجنب ما حرم عليه القرآن فعله وأن يحترم تعاليم القرآن طول عمره ، فبذلك يستطيع الانسان أن يسيطر على طبيعته الجسدية من أجل اعلاء طبيعته الثانية التى زوده الله بها دون الحيوان تفضيلا له ، والتى تتمثل فى تلك الملكات التى تتيح للانسان أن يتأمل ويفهم ، وفى هذا الوجدان الواعى الذى يتيح له أن يعرف الله ، وأن يسجد خاشعا أمام جبروته .

— ٩ —

وفى خاتمة الكتاب يتحدث المؤلف عن تكوين « رابطة العالم الاسلامى » ، وأن ذلك كان استجابة لأمنية عزيزة على كثير من المسلمين

الذين يرون فى توثيق الصلات بين شعوبهم طريق ازدهار الاسلام وسيادة قيمه ومبادئه السامية ، ولن يكون ذلك الا على أيدى جنود يدافعون عنه فى ايمان عميق وفى حماسة واخلاص .

كذلك يتحدث عن منهج الاسلام بين المناهج الأخرى التى تسود العالم ، وكيف أنه أقوى وأصلب من أن تنال منه اتهامات أعداء الاسلام ، الذين يرمونه بالجمود والتخلف ومعاداة كل ما هو عصرى ومتطور .

كما يشير الى أن من واجبات المسلمين أن يعنوا بتربية الناشئة على هدى من منهج الاسلام ، حتى يطرحوا كثيرا من تلك

الخزعبلات التى غرستها التربية المعاصرة البعيدة عن القيم الدينية ، وتلك السموم التى بثها العدو فى كل مكان لافقاد المسلمين ثقتهم فى أنفسهم وفى تراثهم الدينى والفكرى .
وبهذا نعيد شباب المسلمين الى الاعتزاز بانتمائهم للاسلام ،الى الاغتراف من نبعه

سيكوتورى

الروحى ، والى الارتقاء الى ما يمثله الاسلام من سمو العقيدة والسلوك • وان نظـرة الى الوراء مع بداية مجىء الاسلام جديرة بأن تمد المسلمين بالثقة فى أنفسهم ، لأن الاسلام فى ذلك الوقت نشر أشعته عبر العالم الذى كانت تجثم الامبراطورية الرومانية والفارسية على أنفاسه ، فاذا بالاسلام يأتيه بالقيم السامية ، التى تربط الانسان بخالقه ، وتجعـل البشر أمام الله سـواء دون تفـرقة بين الأفراد والشعوب على أساس من اللون أو الجنس • وهذه الثقة سوف تخلع عنا أية عقدة نقص أمام أصحاب الفلسفات والنظريات الأخرى ، ذلك لأن الاسلام كان أسبق من أى فكر آخـر فى المناداة بالعدالة والسلام والمساواة بين البشر والاخوة بين الأفراد •

ويختم المؤلف خاتمته بقوله : « ان أكبـر عبء من مسئولية الارتقـاء بوعى المسـلمين لا يقع بالضرورة على كاهل الملوك والرؤساء بقدر ما يتحمله العلماء ، فالاسـلام يعطى السلطة للعلم والمعرفة ، قبل أن يعطيها للقوة المادية والمظاهر الخارجية •• ذلك لأن مسئولية الأفراد تتزايد كلما تزايدت معارفهم ، وكلما نضجت عقولهم ونما وعيهم » •

وبعد •• فتلك بعض الملامح البارزة فى هذا الكتاب ، وهو كتاب نرى أنه كان بمثابة ورقة عمل ، أو خطة دعوة الى الاسلام ، وضعهـا وقام بتنفيذها هذا العالم السياسى الداعية ، بين قومه وفى الوسط الافريقى المحيط به •

وقد غنى هذا الكتاب ــ مع تركيزه ــ بكثير من الشرح والتوضـيح وضرب الأمثلة ، فى محاولة صادقة للوصول الى الاقناع والقبول والتسليم • وتلك أمور تجعلنـا نتخيل الأثر الكبير الذى أحدثه الكتاب بين أولئك القـوم الذين نشر بينهم أولا باللغة التى يتحدثون بها •

ولعلنا بذلك نكون قد ألقينا مزيدا من الضوء على الجانب الآخر من فكر الرجل (١) الذى كان له دور بارز وملموس فى ميدان السياسة، لكنه من غير شك لم يكن أقل من ذلك فى ميدان العمل من أجل نشر الاسلام فى تلك الأوسـاط التى تمـوج بكثير من وفود الارسـاليات والتبشير •

وعلى قدر ما قام به فى هذا الميدان ، نحسبه من المجاهدين العاملين ، الذين أخلصوا العمل ابتغاء مرضاة الله ، وهو سبحانه لن يضـيع أجر من أحسن عملا « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » •

(يونس ٢٦)

دكتور طه مصطفى أبو كريشة

---

(١) فى عدد شعبان الماضى مقال عـن الرئيس احمد سيكوتورى للدكتور عبد الودود شـلبى بعنوان « سيكوتورى : الرجـل والمبادىء » ص ١٢٨١ .

الفتاوى

إعداد
عبد الحميد السيد شاهين

« فى الميراث »

س : من السيد / على ابراهيم الموجى ـ باب الشعرية ..

توفى رجل عن : زوجة ، بنت ابن ، عمين شقيقين وعمة ، أولاد عم . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث .

ولبنت الابن النصف فرضا لعدم من يحجبها أو يعصبها .

والباقى للعمين الشقيقين تعصيبا يقسم بينهما بالتساوى .

ولا شىء للعمة لأنها من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات . كما لا شىء لأولاد العم لحجبهم بالعمين .

ناسف لما وقع من خطا فى اسم كاتب مقال من أعلام الازهر ص ١٦٥٣

وكاتب المقال هو الاستاذ سيف النصر عبد الفتاح الطلخاوى كما هو مدون فى نهاية المقال .

توفى رجل عن : زوجة ، أولاد اخوة أشقاء ذكور واناث ، أولاد أخوات فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث .

والباقى للذكور من أولاد الاخوة الأشقاء تعصيبا ، يقسم بينهم بالتساوى كأنهم أبناء رجل واحد .

ولا شىء للاناث من أولاد الاخوة الاشقاء ، ولا لأولاد الأخوات ، لأنهم من ذوى الارحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

« فى الزكـاة »

ما كيفية اخراج الزكاة عن الأرض الفضاء ؟ وكيف نخرج الزكاة عن العقار المبنى الذى يدر ريعا ؟

ج : اذا اشتريت الارض الفضاء بقصد الاتجار بها وجبت الزكاة فى قيمتها كل عام عند الجمهور ، وعن العام الأخير فقط عند المالكية .

أما اذا اشتريت قصدا لبناء فلا زكاة فيها انما الزكاة فى ايراداتها اذا بلغت نصابا فائضا عن حاجته وحال عليه الحول.

أما العقار المبنى فتكون الزكاة فى ايرادات المبنى اذا بلغت نصابا وحال عليه الحول بعد استنزال ضروراته وحاجياته . **والله أعلم**

أنباء وآراء

برقية رئيس لجنة انقاذ القدس الى الامام الأكبر

الاشرافية ١٤٠ ــ ٤ ــ ١٥٠٠

فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق حفظه الله

القاهرة :

لقد أثلجتم ضمير كل مؤمن فى بيانكم الرحيم بمناسبة شهر الصيام بالدعوة الى انقاذ القدس بكل الوسائل ، واعادتها الى سابق عهدها اسلامية وعربية ، ورفضكم تدويلها من الواجبات الاسلامية نحو بلد الاسراء والمعراج .

ومناشدتكم ايران والعراق ضرورة وقف الحرب العراقية الايرانية فيها استجابة للقرآن ، وصيانة للنفس والأموال .

نشكركم على موقفكم ونؤيدكم ، ونرجو الاستمرار على تبصير المؤمنين بواجباتهم الى ان تتحقق أمنياتنا جميعا باستعادة القدس وتحريرها وتجنيد كل القوى الاسلامية والعربية لمقاومة الصهيونية العالمية التى هى العدو الأكبر للمسلمين والعرب .

أدامكم الله نصرا للمسلمين والعرب .

عبد الحميد السائح

رئيس لجنة انقاذ القدس

٧ من رمضان ١٤٠٤ هـ

٧ /٦/ ١٩٨٤ م

مركز اسلامى لاسهامات المسلمين فى الحضارة

* صرح فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر عقب عودته من الدوحة عاصمة قطر بعد زيارة استغرقت ثلاثة ايام تلبية للدعوة الموجهة لفضيلته لحضور الأجتماع التأسيسى « لمركز بحوث اسهامات المسلمين فى الحضارة » .

بأنه تم اختيار بعض المصنفات من التراث فى العلوم الشرعية والعربية وسائر العلوم وترجمتها الى اللغة الانجليزية بصفة مبدئية لاطلاع العالم غير الناطق بالعربية على مشاركة المسلمين فى بناء الحضارة الانسانية وهذا

إعـــداد

أحمد عبد الرحيم السـايـح

عبد الفتاح السيد عبد السلام

صفـوت عبد الجـــواد

المركز مسجل بكاليفورنيا بالولايات المتحـــدة الامريكية وسيكون مقره الدوحة وله مكاتب فى جهات أخرى وسيدعى المتخصصون من علماء المسلمين للمشاركة فى هذه البحوث وترجمتها واختيـــار الكتب التى تترجم لهـــذا الغرض وستوجه رسائل الى ملوك الـــدول ورؤسائها للمشاركة فى تمويل هذا المشروع وقد تولى السيد محمد ابراهيم كاظم رئاســـة مجلس الادارة وهو يشغل منصب مدير جامعة قطـــر ويعمل — اصلا — اســـتاذا بكلية التربية — جامعة الأزهر .

أما رئيس مجلس الأمناء فهو السيد محمد ابن حميد آل ثان وزير التربية والتعليم .

---

*رسالة ماجستير فى النقد البلاغى

بين القاهر الجرجانى وضياء الدين بن الأثير

ناقشت كلية اللغـــة العربية بجـــامعة الأزهر رسالة الماجستير المقدمة من الطالب عبد الله على محمد حسن بعنوان النقد البـــلاغى بين الامام عبد القاهر الجرجانى وضياء الدين بن الأثير .

تكونت لجنة المناقشة من الأساتذة

الدكتور / محمد رجب البيومى مشرفا

الدكتور / على البدرى

الدكتور / يوسف البيومى اعضاء

---

٢٥ دولة تقيم مسابقة لتلاوة وتجويد القرآن

وجهت حكومة ماليزيا الدعوة الى الشيخ على بركات والشيخ عبد المتعال منصور وكيل شئون القرآن بالأزهر والشيخ عبد الباسط عبد الصمد لحضور المسابقة التى تستمر اسبوعا وتقيمها اللجنـــة الوطنية للمســـابقات الدولية لتلاوة القرآن وتجويـــده فى ماليزيـــا يشـــارك فى المسابقة متسابقون مـــن الســـعودية ومصر وتشـــــاد والهند وايران والعراق والكويت وليبيا والمغـــرب وسلطنة عمـــان وبنجلاديش وسلطة بروناى واندونيسيا وماليزيا ومـــالى وباكستان والصـــين وسنغافورة وسريلانكا وأوغندا .

تعاون علمى بين جامعة القاهـــرة والجامعـــة الاسلامية .

تم توقيع أول اتفاقية للتعاون العلمى بين جامعة القاهـــرة ، ولجنـــة المنح الجامعيـــة الباكستانية ... جاءت الاتفاقية نتيجـــــة لدور مصر البـــارز فى دعم الجامعة الاسلامية بأسلام أباد فى بداية نشأتها والوقوف الـــى

أنبـاء وآراء

جانبها ، وتضمنت الاتفاقية عدة بنود منهـا :

تبـادل أعضـاء هيئة التدريس والخبرات والأبحاث فى مجـالات التربيـة والتدريس وتخصيص منح لاعداد أعضاء هيئـة تدريس جدد وطلاب دراسات عليا بالجامعة الاسلامية.

وصرح الدكتور حسن حمدى رئيس جامعة القاهرة بعد عودته مـن باكستان حيث راس الوفد الجامعى المصرى : أنه شعر بالرضا عن المستويات التى حققتها جامعة اسلام ابـاد من حيث خطط ومناهج الجامعة ومعاهدها .

ولتحقيق مزيد من الدعم العلمى لازدهـار الجامعة الاسلامية . تم توقيع هذه الاتفاقية التى تضمنت بعض هذه البنود العمل المستمر بين الجامعتين لتطوير المعـرفة فى المجـالات التربوية والعلمية والفنية وخاصة فى العلـوم العربية والاسلامية .

انتشار الاسلام بين نساء أمريكا

أعلن رئيس اتحـاد المسـلمين فى أمريكـا الشمالية بأن الاسلام ينتشر أكثر بين النساء فى أمريكا وكندا .

ولهذا السبب تم اختيار مسـلمة امريكية نائبة لمدير التعليم الاسـلامى حيث تقـوم بتنظيم برامج دراسية للأخوات المسلمات فى كـافة الفروع الاسـلامية وتعليمهن اللغـة العربية .

وأضاف سيد سعيد رئيس اتحاد المسلمين فى أمريكا الشمالية ــ وهو من كشمير ــ أن حقيقة انتشار الاسلام السريع بين النسـاء فى امريكا الشـمالية عرفت منذ تأسيس مركز التعليم الاسلامى عام ١٩٧٣ لنشر الاسلام بين الامريكيين والكنديين وتدريب من يصلح منهم للقيادة .

دورة تربـوية

انتهت مؤخرا بمركز الجـالية الاسـلامية بمدينة «جاردن جروف» بمقاطعة « اورانج كاونتى » بأمريكا الشمالية الدورة التربويـة التدريبية التى أقامهـا الاتحـاد الاسـلامى استمرت يومين لكافة المدرسين المسلمين لدى سائر الجاليات الاسلامية فى الساحل الغربى للولايات المتحدة الأمريكية .

كان موضوع الدورة الرئيسى « نحو تربيـة اسلامية فى امريكا الشمالية » .

وقد شارك فى هذه الدورة التربوية العديد من العاملين فى حقل التربية والتعليم الاسلامى فى المنطقـة ، كمـا حضرهـا بعض رؤسـاء الجمعيات ومديرى المراكز الاسلامية ورجال التربية والتعليم من مناطق متفرقة فى الولايات المتحدة الامريكية .

انشاء أول مسجد فى روما

أصدرت المحاكم الايطالية حكما بالسماح للجالية الاسلامية فى روما بانشاء أول مسجـد

فى العاصمة الايطالية . يأتى هذا الحكم بعد عشر سنوات من الانتظار والمشاكل القانونية. كانت الحكومة الايطالية قد أهدت الدول الاسلامية قطعة أرض لبناء مسجد عليها فى حى « فونتى اتينى » أرقى وأجمل أحياء روما عام ١٩٧٣ م وعلى الفور بدأت اللجنة المختصة بتنفيذ مشروع المسجد اجتماعاتها ، وأسندت عملية انشائه الى احدى الشركات الايطالية التى رصدت لتنفيذه مبلغ ثلاثة وثلاثين مليون دولار .

من المقرر أن يلحق بمبنى المسجد مكتبة اسلامية وقاعة محاضرات بالاضافة الى فصل للرجال وآخر للسيدات .

وصرح أبو القاسم أمين مدير المركز الاسلامى فى روما بأن اللجنة المشرفة على بناء المشروع ، بدأت اتصالاتها بالدول العربية والاسلامية لجمع التبرعات لاتمام المسجد .

معهد عال للدعوة فى المغرب

أعلن فى الرباط مؤخرا أنه تقرر تأسيس معهد عال للدعوة الاسلامية فى المغرب ، يهدف الى تخريج دعاة لنشر الدعوة الاسلامية فى القارة الافريقية والتصدى لحملات التنصير والأفكار الهدامة التى تنشرها القاديانية والأحمدية والبهائية .

معهد اسلامى فى أروقة الأقصى

تقرر اقامة معهد اسلامى عال فى مدينة القدس يعنى بدراسات علوم الشريعة والدراسات الفقهية والاسلامية .

قالت صحيفة الدستور الاردنية : أن المعهد سوف يتخذ من أروقة المسجد الأقصى مقرا له.

٣٥ مسجدا فى مدينة ليون

قامت الجمعية الدينية الاسلامية بمدينة ليون الفرنسية بانشاء خمسة وثلاثين مسجدا وقاعة صلاة فى ليون وضواحيها . وتقام صلاة الجمعة فى عشرة مراكز تشرف عليها الجمعية وتقوم بأعمال صيانتها وامدادها بالوعاظ والكتب الدينية .

أنشأت الجمعية ثمانية فصول لتعليم اللغة العربية للأطفال والكبار وبلغ عدد الطلاب بها مائتين وأربعة وخمسين طالبا .

تصدر الجمعية مواقيت الصلاة لمدينة ليون وضواحيها وامساكية شهر رمضان وتنظيم لزيارة بيت الله الحرام كما تقوم بعقد الزواج للراغبين من المسلمين والمسلمات كما تهتم بالجنازات والدعوة للاسلام بين الفرنسيين .

كلية للدعوة فى الخرطوم

تقرر انشاء كلية للدعوة والتربية الاسلامية فى الخرطوم ، وقبول طلبة من الدول الاسلامية فيها . كما تقرر اقامة معسكرات للدعوة فى أوغندة وكينيا وتنزانيا ومد نشاط المركز الاسلامى الافريقى ليغطى مكاتب تحفيظ القرآن الكريم فى كافة مناطق افريقيا .

أنبـــاء وآراء

مشروعات معهد المخطوطات العربية

وافق المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على برنامج مشروعات معهد المخطوطات العربيـــة العـــام ١٩٨٤/١٩٨٥ م والتى تتلخص فيما يلى :

– ايفـــاد متخصصين وخبـــراء للبحث والكشف عن واقع المخطوطـــات العربيـــة فى العالم .

– تصوير المخطوطات العربية .

– فهرســـة مخطوطات المعهـــد المصـــورة ونشرها .

– اعداد فهرس شامل للمخطوطات العربية الموجودة فى العالم .

– التنسيق بين مراكز التراث فى العـــالم العربى .

– اعداد فهرس شامل وكامل لما تم طبعـــه من كتب التراث العربى .

– المشـــاركة فى الاجتماعـــات الـــدولية والعربية .

– تزويد مكتبة المعهد بالمصادر والمراجع . تأمين احتياجات قسم التصوير .

– الاستمرار فى اصدار نشرة أخبار التراث العربى ومجلة معهد المخطوطات العربية .

– كذلك وافق المعهد على ثلاثة مشروعات أخرى بتمويل من دولة الكويت هى :

فهرســـة المكتبـــات التى لم تفهـــرس مخطوطاتها ، وايفاد مبعوثين لدراسة وترميم المخطوطات وصيانتها ، والاهتمام بنشر كتب التراث العربى .

الندوة ٢٣ من شعبان ١٤٠٤ هـ

زيادة عدد المسلمين ...

ذكرت صحيفة صنداى تلجراف البريطانية الاســـبوعية أن عـــدد المســـلمين المقيمين فى بريطانيا قـــد زاد بنســـبة مائتين وخمسين فى المائة « ٢٥٠٪ » خـــلال العشر ســـــنوات الماضية .

ندوة فى باريس عن البنوك الاسلامية

نظمت غرفة التجارة العربية الفرنســـية فى باريس ندوة حول البنوك الاسلامية وطريقـــة عملها وتمويلها وامكانية التعاون بينهـــا وبين البنوك الغربية . وشـــارك فى هـــذه النـــدوة أساتذة الجامعات ورجال البنوك الاســـلامية .

الاقتصاد الاسلامى

أكد وزير مالية باكستان أن اضفاء الطـــابع الاسلامى على بلاده لم يثر أى تصـــــدع فى الاقتصاد الوطنى .

وركز الوزير الباكســـتانى على الطـــابع التدريجى الذى يتســـم به الطابع الاسلامى فى بلاده ، وهو يوجه الحـــديث الى منـــدوبى خمس عشرة دولة اسلامية يشتركون فى ندوة عن « الاسلام والمصارف » أقامهـــا الاتحـــاد

الدولي للبنوك الاسلامية وأوضح أن باكستان مثلها فى ذلك مثل العديد من الدول الاسلامية الأخرى نقلت حرفيا المفاهيم والمؤسسات الاقتصادية من المجتمعات غير الاسلامية سواء كانت رأسمالية أو اشتراكية ٠

وأضاف الوزير : أنه يتعين التوصل الى قدر كبير من الاتفاق ودرجة معينة من المرونة لادخال مبادىء الاسلام فى الاقتصاد خلال المرحلة الانتقالية التى تجتازها البلدان الاسلامية التى تسعى لتطبيق مبادىء القرآن الكريم فى حياتها الاجتماعية ٠

مسلمو الهند

ذكرت وكالة الأنباء الهندية : أن عدد المسلمين فى الهند يتجاوز حاليا مائة مليون مسلم ٠

وأشارت الوكالة الى أن المؤتمر السابع للتعليم الخاص بالمسلمين الهنود الذى عقد أخيرا ناقش تقريرا يوضح أن الاحصاء الذى أجرى عام ١٩٨١ م كشف عن عدد المسلمين الذى وصل فى ذلك الحين الى ثلاثة وثمانين مليون وأضاف التقرير : أن ولايات شمال الهند التى يتركز فيها المسلمون شهدت خلال العقد الماضى زيادة لم يسبق لها مثيل فى الكثافة السكانية ٠

وكل رفيقى كل رَحْلٍ وان هما
تعاطى الْقَنَا قَوْمَاهُمَا أخوان

السيد الاستاذ / أحمد حسن هلالى

تحية وشكرا لكم وبعد ٠٠

فانى أحب أن أعرف رأى سيادتكم فيما لو وجه معنى البيت المذكور على أن كل رفيقى سفر اخوان ٠ وان كان بين قوميهما نزاع أو حرب ٠ ألا يصح هذا المعنى والواقع يقر ذلك فقد يجلس العراقى بجانب الايرانى الآن فى السفروفىالدرس كاخوينيجرى بينهماالحديث ويتبادلان التحية ٠٠٠ ألخ ٠

وبذلك ينقشع الاشكال ٠٠

أخوك ومن قومك
محمد طـه أحمد
نادي الادباء ببني سويف

رد الاستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالى

الاخ الفاضل ٠ والزميل الكريم الاستاذ محمد طه أحمد ٠٠ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠٠ تحية مباركة طيبة ٠ وعرفانا تاما واعيا بجهدكم وشدة عنايتكم بالبحث عن الحقيقة ، والسعى الدائب لتحرى الدقة واقرار الصواب ٠٠ وانى أشكر لسيادتكم ملحوظتكم القيمة ، واهتمامكم الواضح بالبحث الواعى المنصف للوصول الى ما نتوخاه جميعا مناجلاء الحقيقة بينة ساطعة ٠ وابراز الصواب مشرقا لالاء ٠

وأنتهز هذه الفرصة لأعبر لكم عن اعجابى الشديد وسرورى البالغ بما لمسته فى رسالتكم الوجيزة من ذكاء لماح ، وأفق واسع وقريحة متوقدة وبصر نافذ وفطنة نيرة باهرة ، وآمل

٥ أنبـــاء وآراء

أن تهيىء لنا هذه المناسبة فرصـــــة التعـــارف والتلاقى على كل ما يرفع منشأن لغتنا الجميلة لغة الذكر الحكيم •• ويعلى منقدرها بين قوم هانت عليهم لغتهم واستخفوا بها • وغضوا من شأنها وطمسوا معالم جمالها •

ويسعدنى كثيرا أن تعرف أنى قــد التزمت بمنهج واضح ثابت لا أحيد عنه هو ايثار الدقة وتبنى الحقيقة •• والاعتذار عن الخطأ ان وقع ولابد أن يقع ما دمنا بشرا ولسنا ملائكة •

أما بشأن استدراك سيادتكم على معنى بيت الفرزدق الوارد فى موضوع « كل ــ كلمــا » المنشور بمجلة الازهر بعدد شهر رجب ١٤٠٤هـ أبريل ١٩٨٤ م ، فاننى أفيد بأن المعنى الــذى أشرت اليه فى رسالتكم هو معنى واضح بين ، وصحيح سليم ، وسائغ مقبول ، على اعتبار أن (قوماهما) مثنى قوم مضافا الى ضمير الاثنين وهو فاعل الفعل (تعاطى) والقنا مفعول بــه مقدم •• وأخوان فى آخر البيت خبر كل فى أوله وهو خبر مفرد ، وليست جملة (هما أخوان) هى الخبر كما ذكر ابن هشام ، ويكون المعنى على هذا : ان كل رفيقين فى السفر هما أخوان وان كان قوماهما أعداء متناحرين يحمل كل منهم السلاح ضد الآخر ويقاتل بعضهم بعضا •

والمعنى بهذه الصورة واضح جــلى ميسور الفهم لا عسر فيه ولا تعقيد ولا يحتــاج الى تأويل أو تقدير محذوف •• ومالا يحتاج الى تأويل أولى بالايثار والقبول مما يحتــاج الى تأويل وأصارحكم ــ أخى القول ــ والصراحة فى هذا المقام واجبة ــ أننى استرشدتفىتحليل هذا البيت معنى واعرابا برأى ابن هشــام ــ سامحه الله وغفر له ــ فى المغنى • وقد اتضح لى بعد فوات الأوان • وافلات الفرصة أنــه تنكب الطريق ، والذى أوقعه فى هــذه العثرة وجره الى هذا المنزلق أمر هين هو عدم التثبت من ضبط البيت ، وبخاصة لفظ (قوما) ، فقد بنى تحليله للبيت معنىواعرابا على أن «قوما» منون ، وهو بهذه الصيغة مصدر أو اسم مصدر للفعل « قاوم » وزن « فاعل » وتعســـف فى اعرابه • مرة بدل اشتمال وأخرى مفعوللأجله وثالثة مفعول مطلق لعامل محذوف مناســـب للمقام لدلالته عليه فى حين أنه لا ضرورة لكل هــذا •

ولقد طغى على حسن الظن وسلامة النيــة فجاريته فى هذا التحليل وسلكت نهجه فيه ثقة به وحسن ظن فيه • فهو كما نعلم من كبـــار علماء النحو واللغة وثقافتهم ، معترف لهبالتقدم والسبق مشهود له بالتطول والفضل عــلى اللغة وطلابها ومؤلفاته فى اللغة نحوا وصرفــا وفى سائر فروعها تفوق الحصر ، الا أنه فى هذه المسألة بالذات جافاه الصواب •• لسبب تافه هو الاستهانة بضبط ألفاظ البيت كما سـلف • وما كان أحد يتخيل أو يدور بخلــده أن ابــن هشام ــ هذا العملاق اللغوى العظيم يقع فى هــذا الخطــأ ، ولكــن لا عجب ولا محـل للدهشة • فلكل جواد كبوة • ولكل صارم نبرة ولكل عالم هفوة •• وليس أحد من خلق ــ خلا

المصطفين الأخيار مبرأ من الخطأ أو معصوما من الزلل فالكمال لله تعالى وحده ، والعصمة للأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ولسنا منهم وفوق كل ذى علم عليم .

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

ولعلى بهذا أكون قد لبيت رغبتك .. وشفيت غلتك ، وأرضيت تطلعك الى الصواب واصابة كبد الحقيقة مع الاعتذار الصادق الجازم عن تلك الهفوة ، والوعد بعدم تكرارها ان شاء الله وهأنذا قد تحملت الوزر ، وأقررت بالذنب وأعلنت التوبة والندم ايمانا وتصديقا بالقول المأثور الرجوع الى الحق فضيلة ، وهو خير وأفضل كثيرا من التماوى فى نقيضه والاصرار عليه .. ومن تاب من ذنبه قبل الله توبته ، أفلا يقبلها الانسان الذى حمل الأمانة التى أبت حملها السموات والارض فكان ظلوما جهولا ألا يكفى هذا التبرئة ساحتى وقبول عذرى واعفائى من العدل واللوم أرجو ذلك .

كما أرجو أن يكون رائدنا وامامنا التسامح والاغضاء عن هفوات المقصرين مادامت متشحة بحسن النية وصفاء الطوية . مسترشدين بقول الشاعر الحكيم :

تأن ولا تعجل بلوم لصاحب
لعل له عذرا وأنت تلوم

مع رجاء التفضل بقبول عظيم التقدير ، ووافر الاحترام .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..
أحمد حسن عبد العواض هلالى

أنبـــاء وآراء

آراء

كتب السيد / حسين سلامة محمد ســلامة — الشرقية — سعود القتيلة .

مقترحا ، بأن تخصص المجلة صــفحة مــن كل شهر تقدم فيها مسابقة وتكون على هيئــة

بحوث اسلامية أو أدبية . ونســـال الله لكم التـــوفيق .

*** نشكر لكم هذا الاقتراح وسنعمل ان شاء الله على ذلك وجزاكم الله عنــا خيرا .**

كتب السيد / سعيد محمد سعيد — القاهرة — السيدة زينب .

مستفهما لماذا لم يصــدر الملحق الخــاص بعدد رجب سنة ١٤٠٤ هـ عن المعجزة الخالدة (الاسراء والمعراج) فنحن فى أشد الحــاجة لمثل هذه الكتيبات .

*** المجلة تشكر لك هذا الاهتمـــام وتلاحظ أن بها أكثــر من مقــال عــن الاسراء والمعراج فيه ما يكفى ويؤدى مهمة الملحق .**

كتب السيد / عثمان خليل محمد — أسيوط.

رأينا على صفحات عــدد رجب تحقيقــا صحفيا عن اللحوم المستوردة والدول النامية — وكم أسعدنا هذا التحقيق فى هذا الموضوع لأننا كنا فى حــيرة كبرى من هــذا الأمــر . ونسأل الله لكم التوفيق — ونرجو من سيادتكم الكثير من التحقيقات فى مثل هذه الأمور .

*** المجلة تشكر لك هذا الشــــعور الطيب ونسأل الله أن يوفقنــا ويوفقكم لما فيه الخير للاسلام والمسلمين .**

ردود خاصــة ..

السيد محمود محمد عبده مستشار قانونى — الرياض — البطحاء :

عن موضوع خطورة الاعلام وتأثيره علــى « المتلقى » قدمت مجلة الازهر بحثا مستفيضا عن هذا الموضوع وعلاقته المباشرة بالتأثير على الاطفال ودفع بعضهم الى ارتكاب المخالفات — فى عدد رمضان ١٤٠٣ هـ مدعمــا بالأدلة . وبالمجلة فى هذا العدد بحثا مماثلا يعالج شأنا آخــر .

لذا يجد الأخ السائل أن المجلة لم تقصر فى هذا الميدان ، وانما تسهم فيه مساهمة تكــاد تكون دورية من شهر لآخر .

وليس يفوت الأخ — وهو قانونى — مدى مسئولية الأزهر فى هذا الشأن .

نسأل الله التوفيق لنا جميعا . وشكرا .

فهرس العدد

- هذا يوم الجائزة
بقلم فضيلة الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر . ١٥٩٣
- مالهذا الحجاب
للدكتور على الخطيب ١٥٩٨
دراســـات قرآنية
- منهج ابراهيم فى الدعوة الى الحق
لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير . . ١٦٠٢
- الحمد فى القرآن الكريم
للأستاذ الدكتور محمد محمد خليفـة . . ١٦١٠
- فى الأسرار العلمية للآيات الكونية
للأستاذ كارم السيد غنيم ١٦٢٠
- قصة الصرفة
للدكتور محمد محمد ابو موسى ١٦٢٦
دراســات فى السنة
- المستشرقون والسنة
للأستاذ محمد احمد بدوى ١٦٣٤
- الأمانة سر الفلاح
للدكتور محمد محمود شـعبان . . . ١٦٤٠
- انتفاع الميت بسعى غيره من الأحياء
للأستاذ الشيخ موسى محمد على . . . ١٦٤٦
- شيخ أدباء مصر
للأستاذ/سيف النصر عبد الفتاح الطلخاوي . ١٦٥٢
- فضل الحج المبرور
للأستاذ/عبد المعز عبد الحميد الجزار . . ١٦٥٩
- ليهنك العلم
للشيخ محمد صـابر البرديسى . . . ١٦٦٦
من الشريعـــة
- مبادىء القانون الدولى العام فى الاسلام
للدكتور/محمد عبد اللــه دراز ١٦٧٤
- الشريعة وما يراد لها
للشيخ محمد حسام الدين ١٦٧٩
- غزوة بدر الكبرى
لواء اركان حرب/محمد جمال الدين محفوظ . ١٦٨٧
شــعر وشــــاعر
- شاعر الاسلام محمد اقبال
للدكتور حسن جاد ١٦٩٤
- الفتح الأكبر
للأستاذ/عبـد العليم القبانى ١٦٩٦
- من ابناء عبقر
للأستاذ/احمد مصـطفى حافظ . . . ١٦٩٨
- طرائف .. ومواقف
للأستاذ/عبد الحفيظ محمد عبد الحليم . .
- محمد فضل اسماعيل
للشاعرة جليلة رضـا ١٧٠٦
فى التاريخ والفــكر
- نظام الادارات والقضاء
للدكتوره/سوسن محمـــد نصر . . . ١٧١٢
- من مزاعم المستشرقين
للدكتور/محمود عبد المعطى بركات . . ١٧١٩
- حقوق غير المسلمين فى ظل تقنين الشريعة الاسلامية
للدكتور/عبد الله مبروك النجار . . . ١٧٢٥
مع التراث
- مجلة الأزهر من خمسين عاما
للأستاذ/عبد الفتاح حسين الزيات . . ١٧٣٦
- من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر
للأستاذ/محمد عميره على ١٧٤٢
- جريدة الأزهر
بقلم عاطف زهـــران ١٧٤٧
اللغة والأدب والنقد
- تعدى الفعل ولزومه
للأستاذ/أحمد حسن عبد العواض هلالى . ١٧٥٨
- دور اللغة العربية
للدكتور/محمد عبد الحفيظ العريان . . ١٧٦٥
- المسلمون بين الأصالة والمعاصرة
للدكتور/محمد عبد المنعم خفـاجى . . ١٧٧٠
- فى حاشية الأمير
للأستاذ/السيد حسن قرون ١٧٧٣
- مشارع الثقافة العربية
للدكتور/احمد محمد النجار ١٧٨٠
- الأدب العربى
للدكتور يوسف نوفـل ١٧٨٦
- مع المغفور له الرئيس أحمد سيكوتورى
للدكتور/طه مصطفى ابو كريشة . . . ١٧٩١
- الفتاوى
اعداد/الاستاذ عبد الحميد السيد شاهين . ١٨٠١
- أنباء وآراء
اعـداد احمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
صفوت عبد الجــواد ١٨٠٢
القســم الانجليزى
- المقال الثانى
للأستاذ سليمان بركات ١٨١٦
- المقال الأول
للدكتور انس النجـار ١٨٢٢
مراجعة وعناوين داخلية
الأستاذ عبد المنعم مهنا

their prayers, and to give alms. However, what actually happened was that they broke the covenant heedlessly. By another covenant they were forbidden blood shed and expelling their own people from their homes. All such covenants were real laws and religious obligations. Nevertheless, they not only slew among themselves and sinfully backed the fighters of their own kinsfolk to turn them out of their homes, still worse, they ransomed those who came to them as captives. They abandoned themselves to the lusts of the flesh and forsook interest in the Hereafter, they believed in parts of the Scriptures and rejected the rest. Whatever goals and gains they attained or might attain; that would not avail them against disgrace in this life and of grievous penalty on the Day of Resurrection.

Translations From :

To the Glorious Quran
Imam Mahmoud Shaltoot
Publications of Adminstration of Islamic Culture
Al-Azhar University Cairo, 1982

In future issues of the English Section of the Al-Azhar Magazine, commentaries will be included in respect to Islamic periodicals published abroad.

The Editor

faith. A party of those people knowingly perverted the Word of Allah which they heard with their own ears. When they came to face Muslims, they said they believed, too; but once in private with their sort, they cautioned or reproved one another for disclosing any piece of knowledge of their Scriptures, lest Muslims should use it in argument. How stupid of them it was to do that, in secrecy or in public. There were also people among them whose knowledge of the Scriptures was but fancies and conjectures, based on false prompts of their rabbies. Allah threatens with terrible chastisement such priests as might attribute their untruths to Him for the paltry price of worldly gains.

Allah confutes their claim that Hell shall not touch them for more than a few numbered days. He had not made them such a promise; and it was not for them either to interfere with the regulation of His Dominion.

Rather than arrogance, it would suit them to learn that sinners would go to Hell, and to remain therein for eternity if they were engrossed in evil. It is the believers and doers of righteous works that shall inherit the everlasting abode of the Garden. Rather than the so-called exemption from punishment, Allah virtually made a covenant with the Children of Israel to worship Him alone, show kindness to parents, kindred, orphans and the destitute, to speak fair to people, to attend to

worldy interests or activities. Yet, a Jewish community living in a town on the sea developed the persistent bad habit of breaking that holy bond. They used to besiege the fish which floated in security exclusively on that particular day.
In punishment, they were abased to the malformation or obscenity of apes.

It was an example to the people of the time, as much as to all the following generations of all faiths, that Allah told of the fate of those Children of Israel.

Al-Baqara proceeds to tell the parable of the Cow, well known in Jewish tradition. A man had been murdered, and the murderer had to be found out. Moses told his people that Allah orders them to sacrifice a cow. Feigning sincere response, they went on asking him to beseech his God to make plain to them what age, colour, breed and so on, it was. At last, they did the act, almost unwillingly. They bore themselves with false exactitude, only to forfeit the broad expanse of ease. A portion of the slain cow was ordained to strike the dead man with, and he was brought to life. Having disclosed the mystery of his murder, the man fell back, dead.

Al-Baqara proceeds, their hearts thenceforth grew hard as rock, or still harder. Anyway, Allah is not distracted from their deeds.

Allah reveals to Mohammed, prayer and peace from Allah be upon him, to tell Muslims not to entertain hope that the Jews might believe in their

(4) The OBJECTS of The Holy QUR'AN (Continued).

it. At His command, Moses struck the rock with his staff, twelve springs gushed forth, one for each tribe. Allah asked them to eat and drink of His sustenance and refrain from corrupting the land with evil. They complained to Moses they had grown weary of that monotonous diet and asked him to beseech his God to produce for them such earthly plants as pulse, cucumbers, garlic and onions. In answer to their choice, he told them to go to (Misr) and they would find all that they had asked for.

At Moses' reproach, they left Egypt and marched on to the Promised Land. There, however, during the life of Moses and after, they continued to rebel against Allah. Eversince, they have incurred upon themselves their reputed national disaster.

Al-Baqara proceeds to point out that success, even for a prominent Prophet stems from obediance of ordenanances and reward for true confident faith. It is belief, coupled with righteous works that counts. The favours of Allah bestowed on Israel's Children are repeatedly mentioned. At the foot of Mount Sinai, a unanimous Covenant was taken from them that they would do all that Allah had ordained. They must obey all Divine commandments.
Among the Sings which ca awe on their feelings was the raising above them of the Mount, so that they might take the Covenant earnestly and hold to it strongly. They were ordained never to defile the Sabbath. Death awaited him who profaned it with

The OBJECTS of The Holy QUR'AN (Continued).

By Soliman Barakat

Moses chose seventy men to commune Allah in prayer on Mount Sinai. They told him " Moses, we shall not believe in you until we see God manifestly." Audacious was their claim, they were struck by a thunderbolt while they were looking on in expectation. Allah, then raised them from death; which should have inspired their gratitude; but it only nourished their conceit and selfimportance.

In Sinai, He caused the clouds to shade over them, and mann and quails to be sent down to them, that they might eat of His good grace. He then ordained them to enter the Town and eat therein, wherever they would and as they wished, provided that they made their way reverently through its gate, saying they repented. He promised them forgiveness of their sins, and abundance to the good-doers. Nevertheless, transgressors from among them perverted Allah's Words; on those He sent down a scourge from heaven.

They wanted water, and Moses prayed Allah for

REFERENCES

1. Alsira Alnabawiah
   3RD. Edition 1981
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook , Jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
   24th, Edition 1978
   Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
   Publisher, Great Commercial Library, Cairo

3. Mashahid Min Alsira Alatirah
   Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
   Kilani Library - Cairo Printed 1980

4. Hayyat Mohammad
   Mohammad Hussein Heikal
   Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
   Text, Translation and Commentary
   Abdullah Yusuf Ali

6. Fiqh Alsira
   Dr. Mohammad Ramadan Albooty
   7th. Edition, 1977
   Dar Al-Fikr, Cairo

7. Al-Sira Al-Nabawiah
   Imam Ismail Ibn Katheer
   Revised by Mustafa Abdel-Wahid
   Vol. 2, 1983 Edition
   Dar Al-Maarifa, Beirut.

disciplines were prescribed by Quranic Revelation. The first was the Fasting during the month of Ramadan from dawn to sunset. The second was the institution of the fiscal system of Zakat. The third was the permission for armed confrontation. Both disciplines of Fasting of the month of Ramadan, and the fiscal system of Zakat are perpetual life-time disciplines that every Muslim has to perform who becomes subject to their codes and limitations as dictated by the Sharia'ah. Armed confrontation accords to circumstantial conditions pertaining to the defence and security of the Muslim community, and the integrity of its structure. Consequent upon the Divine permission and command for armed confrontation, Muslims were engaged in several minor and major armed combat with various enemy groups. Such combat operations and campaigns took place starting during the latter third of the second year after the Hijrah. These early encounters were against the premier enemy of Islam, namely Koraysh. Details of such encounters will be discussed in the following treatise on the subject.

Prayers and Peace from Allah upon our Magnanimous Prophet.

P.S. The first year after the Hijrah has been discussed in the Safar Issue of Al-Azhar Magazine Volume 2, 1404; November 1983.

and contradicting and full of enmity and hatred to that new faith that originates from the same source of Light as their own, and follows the same direction of human conduct and behaviour. Yet, they rejected, fiercely and with adamant objection; they intrigued against Islam in all possible means, and allied themselves with all forces opposing Islam, even with Arab tribes of Koraysh and others who were contrary to Jewish faith Idol worshippers. Inspite of this bitter animosity to Islam, several of Jewish high ranking characters truely and devotedly embraced Islam including Abdu Allah Ibn Salaam a chieftain of Banu Qaynuqaa. Some others entered Islam with deceit and hypocracy including Saad Ibn Hunayf and Zayd Ibn Allussayt. The Muslim - Jewish conflict continued till the Muslim conquest of Khaybar during the seventh year after the Hijrah. Particular incidents of this conflict will be discussed later in the course of events.

The Muslim community at Al-Madina was growing in strength and sturcture, and its stability was solidifying in harmony and coherence. The formulation of their social codes of practice and rituals of worship were derived from the Tradition of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) as dictated by Quranic Revelation. They followed the teachings of their faith with sincere conviction, adherent obediance and honest unfaltering belief. They were steadfast, confident, and invulnerable to hesitation or reluctance. During that period of time three very important and salient

lationsships, espionage and demoralisation. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) adopted the policy of caution and patient resilience,knowing that they will eventually sequesterate and be exposed and expelled from the cementing structure of the growing strength of Islamic community.

The Jewish clans at Al-Madina formed a second facet of Muslim antagonists. At the early phase after Hijrah, they claimed neutral attitudes, and agreed to document a working agreement with the Muslims aiming at peaceful coexistance. This agreement constituted every aspect of Muslim-Jewish relationships, limitations of conduct, possessions, conflict with enemies, support and neutrality during wars, recognition of material belongings, territorial occupancy, and most important was freedom of belief and faith. This document is extensively documented in the literature. The clauses of this agreement was, however, repeatedly infringed by the Jews with vulgar actions, deceitful contrivance and dishonest betrayal. They apposed the new creed of Islam with stubborn minds, eristic argumentative attitude, envy and jelousy. Quranic Revelation exposed the malicious nature of the Jews, their unorthodox deviated beliefs and practices, their support of evil, their devious and dishonest policies of financial transactions, and their diabolic ways of initiating feuds and conflicts. They developed frank enmity to Islam and declared open confrontation to the growing juvinille community of Muslims and to the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him). Considering that the Jews were guardians of the Taurah and followers of the Ten Commandments - whose teachings corresponded to those brought about by Islam; it is strange that they stand opposing

is everywhere independent of time and place. What really matters is the sence of discipline and obedience to follow what the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) directs and choses through Divine Revelation. Quibbling and disapproving in such matters is a sign of untrue faith and shallow belief.

The majority of Al-Madina residents at the time of the Hijrah were the Arab tribes of Al-Aws and Al-Khazraj, and the Jewish clans of Banu Qaynuqaa, Qurayzah, and Al-Nadeer. Both groups together formed a complex matrix of divergent social classes, religous cults, tribal disputes, and individual glory of superiority and domination. The new creed of Islam gained ground and settled at Al-Madina, it collected requirements demanded for its stability, growth, evolution, propagation and solidity. At this stage appeared the phenomenon of deceit and hypocricy among some Arab individuals whose personal interest only decided the trend they followed. These hypocrites were very potentially vicious and dangerous to Islam and Muslims through their concealed hidden enmity and personal benefit. They remained outwardly supporting Islam, but in reality they acted against Islam in vile conspiracy and immoral intrigue. The outstanding characters among the hypocrites were Abdu Allah Ibn Ubai Ibn Salool from the Khazraj, and Gollas Ibn Sowayed Ibn Al-Samet from the Aws and several others from both tribes. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) was rapeatedly informed by Quranic Revelation in Surat Al-Baqara and Surat Al-Tawba of precise knowledge of incidents of intrigue and conspiracy, dishonest dealings and corrupt re-

THE SECOND YEAR AFTER THE HIJRAH

By: Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

The events that took place at Al-Madina during the first year after the Hijrah of the Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) were discussed in a previous treatise. These early events centered around three major accomplishments; namely, the building of the Mosque, the establishment of a solid fraternal order between Muslims, and formulating a working agreement between the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) and the Jews resident at Al-Madina.

The Mosque was constructed during the first year after Hijrah with the Qibla directed towards Beit Al-Maqdis in Jerusalem. During the second year, the direction of the Qibla was changed to face the Kaba in Mecca. This was commanded by Quranic Revelation instructing that Muslims must face the direction of the Kaba during their Prayers (Salat) wherever they may be. The Qibla towards Beit Al-Maqdis was strange to the Arabs, and the change to face the Kaba was also strange after they became accustomed to the former. In reality, the direction is of no importance; and Allah's presence

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

وتلك مجلة أخرى :

.. ووفاء بوعدنا نقدم دراسة فى هذا العدد عن مجلة أخرى صدرت تحمل اسم « الأزهر » وليس لمشيخة الأزهر أدنى صلة بها وبذلك نكون قد وضعنا للقارىء حقيقة هذه المجلات التى تطرق الى ذهن بعض القارئين لها ـ خارج مصر ـ أنها صادرة عن مشيخة الأزهر ، فتالم أن يجد بها من الموضوعات ، ومن الأساليب ما ينبغى الا يصدر عن الأزهر الشريف .

وبذلك يخلص لقارىء مجلة الأزهر معرفة تامة بمجلته الصادرة عن مشيخة الأزهر وحدها .

د/ علي أحمد الخطيب

الجزء الحادى عشر السنة السادسة والخمسون

ذى القعدة ١٤٠٤ هجرية

اغسطس ١٩٨٤ ميلادية

حوار حول عديد من

قضايا الساعة

مع فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق

**** سـؤال : العنف والمؤامرات والقتل الجماعى والتمزق والمناورات والحروب والصراعات التى تجتاح منطقتنا الآن قد ينظر اليها على أنها مؤشرات تنذر بنهاية العالم وتحدو بالكثيرين الى القول بأنها تشكل احدى علامات الساعة ؟**

ــ فضيلة الامام الاكبر : ان هذه الحال التى نرى عليها العالم اجمع لا شك انها حال مؤسفة ومحزنة ، فالقوى يحاول دائما أن يجهز على الضعيف . والانسان كانسان لم تعد بينه وبين أخيه تلك العلاقة الانسانية التى يجب أن تسود . وأعتقد أن التصوير الذى حمله السؤال للعالم هو أشبه ما يكون بالجسم المريض الذى حل به المرض من كل ناحية ولذا فان على الاطباء أن يحاولوا الكثير لابرائه ــ وذلك لا يكون بمجرد الاسعاف فقط وانما يتعداه الى العلاج من خلال التوصل الى جذور وصول هذه الأمراض المهلكة التى تنتاب الجسد الانسانى ككل ومن هنا يأتى دور المصلحين الذين ينبغى أن يدقوا ناقوس الخطر معلنا بأن على التجمعات الانسانية أن تواجه هذه المشاكل بحسم وحزم كل فى موقعه . وانه حرى برجال السياسة بصفة خاصة أن يعلموا بأن تفجير المواقف واشاعة الخلاف والحروب بين الدول أمر من شأنه أن يجهز على الانسانية وحضارتها ، وانهم مسئولون عن ذلك مسئولية تامة فى هذه الحياة وفيما بعد هذه الحياة . وكما يقول الناس مسئولية تاريخية سيذكرون بها ذكرا حسنا أو ذكرا لا يرضونه .

حكم الله

**** سؤال : على صعيد الاحداث**

أجرى الحوار : سناء السعيد

نتناول الحرب العراقية الايرانية التى دخلت الآن عامها الرابع ونتساءل — مع هذه الحرب وهى حرب بين المسلمين تبدو نظرية الحياد ضربا من المستحيل.

— **فضيلة الامام الاكبر** : ان الله حكم فى هذه القضية فى قوله تعالى « **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** » هذا المبدأ الذى قرره القرآن لم يسلكه المسلمون الى الآن فى هذه الحرب . وعليه فان على المسلمين أن يتجمعوا سواء كان ذلك من خلال تجمع الحكومات والمسئولين بطرقهم التى يملكونها وقوتهم السياسية أو من خلال تجمع الشعوب بالضغط على هذه الحكومات التى تسترسل فى الحرب والهلاك والدمار . ولا شك أن الواضح الآن أن ايران هى التى تدفع بالحرب نحو الاستمرار دائما لا سيما وأن العراق قد أعلنت أكثر من مرة على لسان المسئولين فيها بأنها على استعداد لايقاف الحرب والجلوس الى مائدة المفاوضات . بل ان العراق انسحبت من الأراضى الايرانية التى

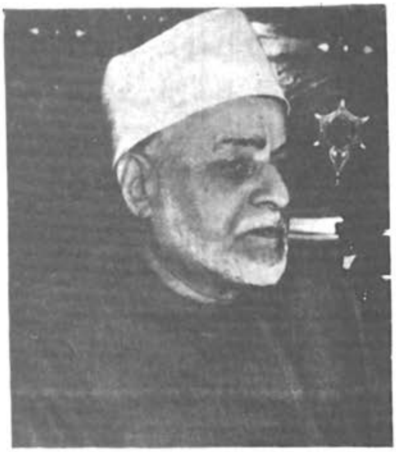

كانت تحتلها منذ يونيو سنة ١٩٨٢ وهذا ما يدعونى الى أن أوجه النداء مرة أخرى الى المسئولين فى ايران أولا والعراق ثانيا بأن يتقوا الله فى شعوبهم وأموال هذه الشعوب ، فان شعب ايران والعراق والمسلمين جميعا فى كافة أنحاء الارض فى أمس الحاجة الى هذه الأموال التى تهلك وتستنزف فى هذه الحرب الضروس التى لا طائل وراءها ولا مصلحة للشعبين خاصة ولا للمسلمين والانسانية عامة فى هذه الحرب . التى قد تكون نذير شرر وضرر خطير لا على هذه المنطقة فحسب بل على العالم كله ، ولهذا فان على المجتمع الانسانى أن يحاصرها وأن ينتهى منها ويوقفها بكل الطرق التى تمكنه من ايقافها .

على العرب انقاذ أمتهم

*** * سؤال : الاحداث للأسف تسير**

وتتصاعد الى حد يؤذن بدخول القوى الأجنبية ــ وهذا ان دل على شىء فانما يدل على ان شعار الوحدة العربية شعار متعذر التطبيق ولا يمكن أبدا أن يتحقق فى يوم من الايام ؟

ــ **فضيلة الامام الاكبر** : ان شعار الوحدة العربية كان حقيقة واقعة • ولقد تحقق بالفعل فمازلنا نذكر كيف كان الموقف فى رمضان ــ اكتوبر سنة ١٩٧٣ • حينما وقف العرب والمسلمون بجانب مصر فى حربها • فبعد أن خاض الجيش المصرى الحرب بشجاعة واسترد الارض كان هذا الموقف ايذانا بعودة الوحدة الحية الى الصفوف العربية ــ ولكن بكل أسف فان ما جاء وتفتق بعد ذلك كان سوء تقدير للمواقف ترتبت عليه هذه الفرقة وهذا الشتات بل وهذا الضعف فقد كانت جامعة الدول العربية موقع وحدة بين العرب تجمع حولها المسلمون •• اما اليوم فلقد تغير الموقف حيث لم يعد للجامعة العربية صوت فى هذه الاحداث التى تمر بها المنطقة وهذا هو الامر المؤسف المحزن المؤلم والمستغرب ولهذا أقول بأن على قادة الامة العربية أن يرتفعوا فوق هذه الخلافات التى لا طائل من ورائها وأن ينقذوا أمتهم ووطنهم من العار الذى ينتظرهم حتما اذا ما استمروا فى هذه الفرقة وذاك الشتات •

**** سؤال : هناك من ينظر الى الثورة الشيعية من منظور أنها قد تحقق نجاحا جديدا فى العالم الاسلامى •**

والمحاذير والمخاوف ترتفع مع ثورة ايران الشيعية ذات الصبغة الخومينية والتى قد تختلف من حيث المضمون بالنسبة لأية ثورات أخرى فهى عملية ذات أبعاد جغرافية وسياسية واجتماعية والتساؤل هل تشكل خطرا بالفعل على الامة الاسلامية ؟

ــ **فضيلة الامام الاكبر** : أعتقد بأنه اذا كانت هناك خطورة لهذه الثورة فهى كخطورة أى مذهب اجتماعى ساد فى الماضى وباد بعد ذلك • فنحن لا ننسى الفترة التى كان فيها المد الشيوعى فى منطقة الشرق وبين العرب ــ وبحمد الله انحسر وعادت أمور العرب والمسلمين اليهم ثانية ولم يبق من اتباعه الا قلة نادرة ــ ذلك لأن هذه المذاهب الاجتماعية انما تقوم على غير أساس أو على أسس لا تتفق أو تتوافق مع بيئتنا والثورة الايرانية بمفهومها الذى تمارسه فى حربها على مرأى من الجميع لا تشكل عنصر ترغيب لأحد وبالتالى لا يمكن أن تكون مثار جذب للاخرين حتى يعمدوا الى مصادقتها أو الاتفاق معها •

الاسلام واحد

**** سؤال : مازال التخرج المذهبى قائما فى الاسلام ، بمعنى أننا ننظر دائما الى المذاهب بحساسية مفرطة • فنحن**

اذا ما أتينا للتحدث عن المذاهب فى الاسلام شعرنا بالحرج من مجابهة هذا الموضوع ولا أدرى علام ؟ هل هو التخوف من أن نغرق فى دوامات الفرقة والتشتت ؟

فضيلة الامام الاكبر : ان الاسلام واحد . وليس فى الاسلام مذاهب تختلف فى عقيدتها – وانما تختلف المذاهب فى فروع اجتهادية فى الجملة . وان كان المذهب الشيعى بفروعه يختلف عن مذهب أهل السنة فى بعض الامور المتعلقة بالعقيدة ولا أقول فى العقيدة ذاتها فهذا أمر لا يمنع من أنهم من الامة الاسلامية لهم ما لها وعليهم ما عليها – ولا ينبغى اطلاقا أن تكون هذه الخلافات المذهبية – وهى كما قلت خلافات فى مسائل اجتهادية وليست متصلة بأصول العقيدة اتصالا وثيقا – مثار فرقة بين المسلمين .. فقد عاشت هذه المذاهب مع بعضها البعض فى الدولة الاسلامية فى عصورها المختلفة ..وكانت الدولة وحدة واحدة متحدة لا تفرقها هذه المذاهب .. ومازلت أردد أن أعداء الامة الاسلامية يوغرون الصدور ويثيرون هذه الفتنة ويظهرون هذه الفروق والفرق المذهبية أملا فى القضاء على الامة الاسلامية وانتهائها .. وهذا ما احذر منه المسلمين على خلاف طوائفهم .

لماذا نسى المسلمون قضاياهم

**** سؤال : من الاحداث التى قد نلتقطها خلال العملية التقييمية التى يتعرض لها الآن افغانستان والتى يشكل الاتحاد السوفيتى كابوسا يجثم عليها . ما الذى يمكن أن نفعله بالنسبة لافغانستان حتى تتحرر من هذا القيد ومن هذا الاحتلال ؟ ولماذا عن دور الأزهر ؟**

– **فضيلة الامام الاكبر :** ان الامر يعود الى الامة الاسلامية وليس الى الازهر فقط – فالامة الاسلامية بدلا من أن تلتفت الى مجابهةمن يهاجمها جزءا جزءا انتهت الىالتقاتل فيما بينها ، فنسى المسلمون ان هناك حربا فى افغانستان وان الاتحاد السوفيتى يحتله ويحاول القضاء على شعبه ونسى المسلمون والعرب أن هناك الفلسطينيين لا مأوى لهم وأنهم مطاردون فى كل مكان . ونسوا لبنان وأنها رازحة تحت الضغوط والاحتلال وقتال ممتد استمر حتى الآن تسع سنوات . والغريب أن كل هذا لا يلتفت اليه المسلمون والعرب وبدلا من ذلك يغرقون فى خلافات واختلافات فيما بينهم ، لقد انعقد مؤتمر لعلماء المسلمين فى بغداد أملا فى احراز تسوية للخلاف بين العراق وايران . الا ان المؤتمر لم يستطع الوصول الى نتيجة ما لا لشىء الا لأن السياسة بدت وكأنها شىء بعيد عن الدين وعلمائه – ولأن الساسة الذين بيدهم زمام الامور يحركون هذه الحروب ولا يستمعون الى النصح الذى يوجه اليهم من العلماء !

القدس عربية اســلامية

** سؤال : موضوع القدس ظهر ثانية الى حيز الوجود منذ ابريل الماضى عندما تحركت بعض الدول لنقل سفاراتها من تل أبيب الى القدس . التساؤل هنا حول ما دعا اليه بابا الفاتيكان من منح القدس مركزا دوليــا خاصــا حيث ان المقصود بها جميع الأديــان فهى تراث مقــدس للجميع ــ وهى الــدعوة التى رحبت بها بعض الجهات بينما استاءت اسرائيل ورفضتها بحجــة أن القــدس عاصمة ابدية لها ــ ما هى وجهة نظركم بالنسبة لدعوة تدويل القدس ؟

ــ **فضيلة الامام الاكبر** : القدس عربيــة اسلاميــة وانها فى عنق المسلمين جميعا . ان القدس بها أولى القبلتين وثانى الحرمين ــ انها أمانة على المسلمين أن يحفظوها ويرعوها .وألا يفرطوا فيها ــ بل عليهم اذا لزم الأمــر أن يقاتلوا دونها حتى تعــود اليهم ويعودوا اليها ان عليهم أن يحموا بيت المقدس لأنه قدســهم وموطن صلى فيه الرسول ــ صلى الله عليــه وسلم ــ ومنه كان معراجه . ان دعوة التدويل أمر فى غاية الخطورة على العــرب والمسلمين بتدويل القدس أو بتركها لاسرائيل ــ فكلاهما خطر مبين . ولذا فان عليهم أن يعملوا بكــل جهودهم على أن تكون القدس كما كانت طوال تاريخها عربية مسلمة تتعايش فيها كافة الاديان الثلاثة فى حماية المسلمين وتحت مظلتهم .

التدويل خطر على المسلمين

** سؤال : لماذا كان التدويل يشكل خطرا على المسلم ؟

فضيلة الامام الاكبر : ذلك لأن التدويــــل خطوة للفصل والانفصال وهذا مــا نخشــاه ومن أجل ذلك نرفضه . ان اليهود لم يأتوا الى فلسطين الا باتفاقهم مع المستعمرين حينئذ ــ ذلك أنهم كانوا يبحثون عن أرض أخرى طوال تاريخهم . فلما تهيأت لهم الفرصة فى ظــل الاستعمار البريطانى وفى ظــل وعــد بلفــور المشهور شكل هذا كله عنصر سوء ساعد على ازدياد سوئه فرقة العــرب واختــلافهم فيما بينهم حتى ضاعت منهم فلسطين أو كادت أن تضيع ــ وعليه فان التدويل هو الخطوة الاولى للفصل بين القدس وبين المسلمين والعرب .

** سؤال : ولكن ماذا عن وضعية القدس الآن خاصة وأن اسرائيل ترفض اعطاء آية تنازلات خاصة باجراء تعديلات حتى فى الحدود بالنسة للأراضى العربية التى تحتلها والتى تضم القدس والضفة ــ ان المخاوف تزداد لدى العــرب فى فى المنطقة خاصة أن القدس باتت مطوقة بمستعمرات يهودية ضخمة بالاضافة الى

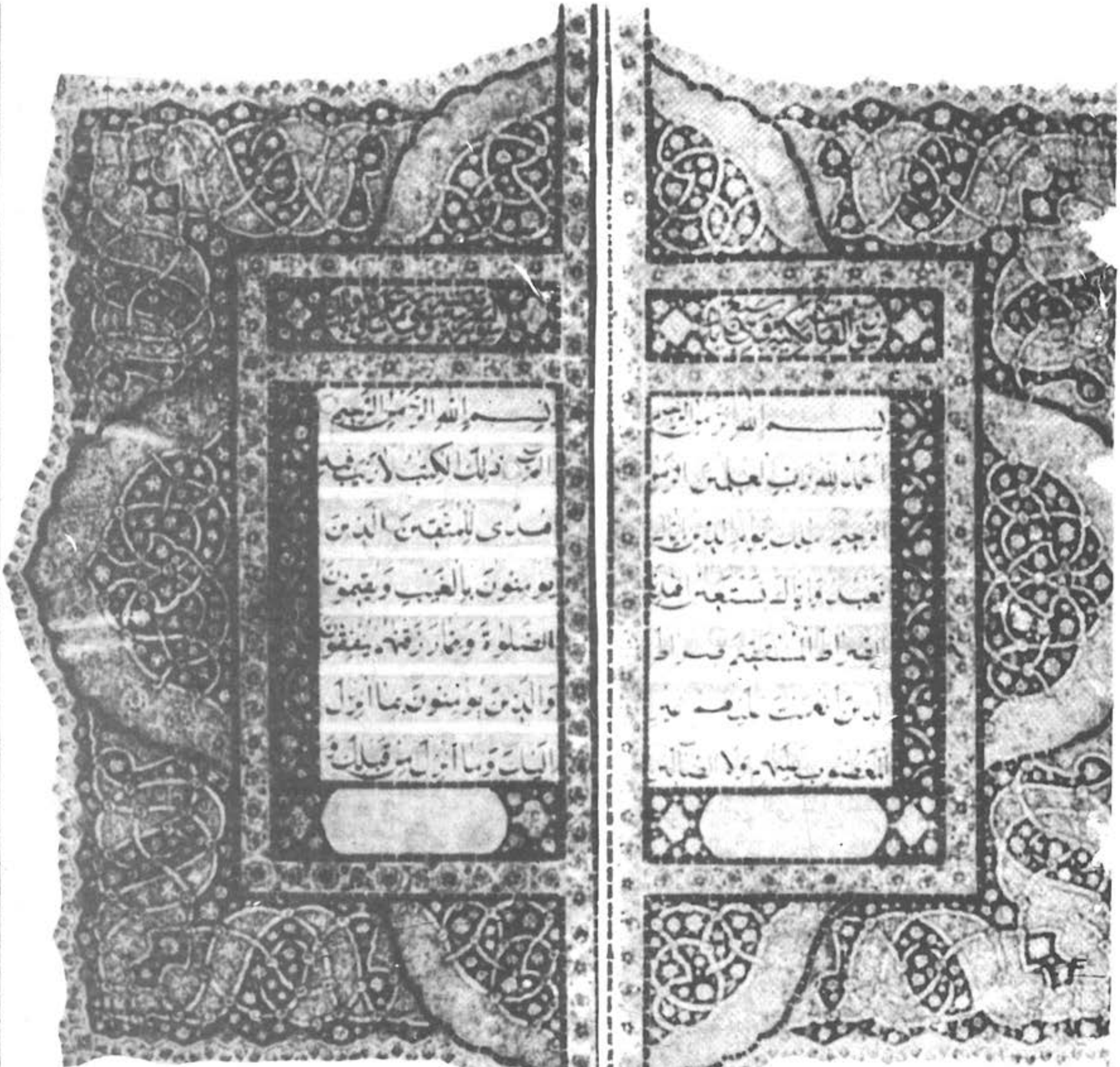

المحاولات المتزايدة للقضاء على الطـابع
الاسلامى للقدس واضـفاء الطـابع
اليهودى على المدينة المقدسة ٠ ماذا نحن
فاعلون ؟

ـ فضيلة الامام الاكبر : هـل ينتظـر

المسلمون والعرب أن تسلم لهم اسرائيل بحقوقهم ؟ أو أن ترد اليهم أرضهم وقدسهم. ان لنا تجربة — لقد احتلت اسرائيل سيناء — فهل تركتها راضية أم تركتها مرغمة . لقد أرغمت على أن تتخلى عنها بحرب أولا ثم انتهت بالتسليم الكامل سلما . ان الحقوق لابد أن تؤخذ — ولعل ما قيل فيما قيل كان يمثل عين الصواب ومؤداه أن ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ، ينبغى أن نذكر هذه العبارة وأن يجتمع المسلمون والعرب لاسترداد القدس وحماية العرب فى فلسطين — لأن هذا ليس واجب العرب وحدهم وانما واجب المسلمين جميعا .

نداء لكل المسئولين

**** سؤال : دور الأزهر حيال هذا . هل يمكن للأزهر الشريف أن يتخذ مبادرة ترتكز على الدعوة لمؤتمر اسلامى موسع يعقد أساسا حول القدس ؟**

— **فضيلة الامام الاكبر** : لقد أصدر الأزهر نداءات وتوجيهات الى الأمة الاسلامية فى مناسبات مختلفة بشأن القدس . لكن الأمر يحتاج أساسا الى تحرك من أولى الأمر الذين بيدهم الدعوة الفعلية وعقد المؤتمرات .. وبكل أسف فان فرقة العرب هى التى تجعل من المتعذر عليهم أن يجتمعوا أو أن يبحثوا أمرهم بعيدا عن خلافاتهم التى ربما كانت فى كثير من الأحيان خلافات شخصية ذاتية .

**** سؤال : ولكن القدس قضية تمثل عاملا مشتركا بين المسلمين والعرب قاطبة ولا ينبغى أن تنعكس عليها أية خلافات أو اختلافات — فهى قضية مائة الف مليون مسلم ؟**

— **فضيلة الامام الاكبر** : لو أن أحدا من أولى الأمر دعا الى عقد مؤتمر حول القدس لعقد .

**** سؤال : عندما تقولون أولى الأمر .. من تعنون ؟**

— **فضيلة الامام الاكبر** : أعنى الحكام الآن . فهؤلاء هم الذين بيدهم مقاليد الأمور وبيدهم حق الدعوة .

**** سؤال : هل تعنون السعودية بصفة خاصة ؟ ..**

— **فضيلة الامام الاكبر** : لا أعنى جهة ما .. ولكنى أوجه ندائى الى كل المسئولين فى العالم الاسلامى ، والعربى على وجه الخصوص لأن المشكلة فى الأصل تخص العالم العربى وان كانت بصفة عامة تمتد الى العالم الاسلامى . فلو أن أولى الأمر اجتمعوا وبحثوا هذه المشاكل فيما بينهم لوضحت لهم سبل حلها .. مازلت أذكر حتى الآن ما حدث فى رمضان — أكتوبر ١٩٧٣ حين اجتمعت كلمة العرب والمسلمين فقد تبدت قوتهم وظهرت .. وانى لأتساءل اليوم أين نحن الآن مما كان فى سنة ١٩٧٣ ؟

سناء السعيد

دراسة قرآنية

منهج ابراهيم عليه السلام

إقرأ باسم ربك

اداء الامانات فى الاسلام

منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الحق

- ٢ -

المقال الثاني

ذكرنا فى المقال السابق منهج ابراهيم ـ عليه السلام فى دعوة أبيه آزر الى الحق ، حيث التزم فيه المواجهة الصريحة ، وبينا أصل عبادة الأوثان فى العالم وعند العرب .

واليوم نتحدث عن منهجه الاستدراجى الذى يتظاهر فيه بأنه على عقيدة قومه أهل الباطل ، ثم يبين لهم أنه هجرها بسبب ما تبين له من فسادها ، ويدعوهم الى ما وصل اليه من الحق الذى أقام عليه الدليل ، فنقول وبالله التوفيق:

يقول الله تعالى « وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ »

والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ، ومعناه الملك والسلطان القاهر ، والمعنى الاجمالى للآية : ومثل ذلك التبصير نبصر ابراهيم بربوبية الله وسلطانه القاهر الشامل للسموات والارض وما فيهما ، وبأن الكل مقهور له داخل تحت ملكوته ، مفتقر اليه فى وجوده ، وذلك بنظره الآيات الكونية الموصلة للعلم بسلطانه المطلق ، ولأجل أن يكون من الراسخين الواصلين الى أكمل درجات اليقين فى ذلك بصرناه بعظمته تعالى .

وقيل المراد بالملكوت هنا الآيات والعجائب التى فى السموات والأرض ، فقد فرجت له السموات حتى انتهى بصره الى العرش ، وفرجت له الأرض فرأى ما فيهن .

ومرد هذا القول الى الاول ، فانه ما رأى عجائب السموات والارض الا ليستدل بها على شئونه تعالى وعظمته ، وأن الكل محتاج اليه فى منشئه وبقائه ، سواء فرجت له السموات والارض أو لم تفرج ، ولهذا جعل الله غاية هذه الاراءة أن يكون من الموقنين ،

قال تعالى: "وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين"

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

ى الراسخين الكاملين فى الايقان بشئونه جل وعلا، ولا تقتضى هذه الآية سبق الشك عند ابراهيم عليه السلام ، فان الانسان يولد على الفطرة المستعدة لقبول الحق ، وبممارسته الأسباب الموصلة الى المعرفة والعلم ، ينتهى هذا الاستعداد الى غاية من اليقين والعقيدة الراسخة ، فالله تعالى لا يعرف بنظر العيون الى ذاته ، ولكن يعرف بالنظر فى آياته •

وبما أن فطرة ابراهيم ــ عليه السلام ــ من اكمل الفطر ، فلهذا اتجه تفكيره منذ بدايته الى النظر والاستدلال بآياته على شئونه تعالى ، بلوغا بهذا الاستعداد الى اليقين الراسخ ، وكذلك شأن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، فانهم بكمال فطرتهم يمارسون دائما التطلع الى عجائب الكون لا يعتريهم فيه نزعة شيطان أو خطرة ردئية من النفس ، حتى يصلوا الى اكمل درجات اليقين ، ثم يفاجئهم الحق تبارك وتعالى بالتكليف بالنبوة والرسالة، بعد تمام استعدادهم لذلك•

انظر الى نبينا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فانه نشأ معتقدا أن الأصنام لا تصلح للألوهية ، وأنها فى جملة الكون مخلوقة لإله واحد ، وكان يزكى هذه الفطرة باختلائه فى غار حراء ، والتعبد بما بقى من شريعة ابراهيم عليه السلام ، أو بالتفكير فى ملكوت الله العظيم ، ليزداد صلابة فى عقيدته ، بما يتجلى له دائما من عظمة آياته الدالة على عظم جلاله ، وتفرده بالربوبية والسلطان القاهر ، واتصافه بسائر الصفات اللائقة به سبحانه ، وظل الرسول يمارس هذه العبادة الفكرية والباقية من شريعة إبراهيم ، حتى جاءه سفير الوحى جبريل وكذلك كان شأن إبراهيم عليه السلام ، أراه الله ملكوت السموات والارض ليملأ بآياته أرجاء نفسه ، وليثبت بدلائله جوانب فؤاده ، حتى إذا أتم الله عليه النعمة بوصوله الى أعلى درجات اليقين ، كلفه بتبليغ الرسالة لقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب •

ولا يصح أن يطلق على المرحلة السابقة لعين اليقين وكماله أنها مرحلة الشك ــ بل مرحلة التوثيق لعقيدة عرفها وآمن بها ، فان المحققين قالوا : لا يجوز أن يبعث الله رسولا مر عليه وقت لم يكن عارفا بربه .

أما قول بعض المفسرين : انه لم يكن عارفا بربه وقت الطفولة نظرا لظاهر الآية ، وان ذلك لا يعد كفرا ، فلا ينبغى أن يصار اليه بعد أن عرفت أن معنى « وليكون من الموقنين » وليكون من اكمل الموقنين ببلوغه عين اليقين ، فان اليقين يتفاوت فى حياة المؤمن ويزداد كلما طرأت عليه أدلته وآياته ــ كما يتفاوت الايمان بين المؤمنين ــ فايمان أبى بكر فوق ايمان جميع الناس ــ والكل مؤمن ــ ولذا قال صلى الله عليه وسلم : «لو وزن ايمان أبى بكر بايمان هذه الأمة لرجح ايمان أبى بكر» .

ولقد بينا فى المقال السابق أحد الطريقين اللذين سلكهما ابراهيم عليه السلام فى دعوة قومه ، وهو طريق الصراحة بالنسبة لعبادة الأصنام مع أهله ، اذ قال لأبيه أزر « **أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** »

واليوم نتكلم عن الطريق الثانى غير الصريح مع أمته فى شأن عبادة الكواكب ، فقد سايرهم ظاهرا ، وانتقل بعد هذه المسايرة الى ابطال ألوهيتها ، بما نبههم اليه من أمارات نقصها ، وسيأتى بيان ذلك فى هذا المقال .

قال الألوسى :

ولعل سلوك هذه الطريقة ــ أى طريقة التدرج فى بيان استحالة ربوبية الكواكب دون بيان استحالة ربوبية الأصنام ، من باب الترقى من الخفى الى الأخفى ، وقيل ان القوم كانوا يعبدون الكواكب ، فاتخذوا لكل كوكب صنما من المعادن المنسوبة اليها ، كالذهب للشمس ، والفضة للقمر ، ليتقربوا اليها ، فكان الصنم كالقبلة لهم ، فأنكر أولا عبادتهم للأصنام بحسب الظاهر ، ثم أبطل منشأها وما نسبت اليه من الكواكب بعدم استحقاقها لذلك أيضا ، ولعلهم كانوا يعتقدون تأثيرها استقلالا دون تأثير الأصنام ، ولهذا تعرض لبطلان الالهية فى الأصنام والربوبية فيها ــ انتهى كلام الألوسى

أقول : ولعلك تدرك أيها القارىء الكريم الحكمة فى تقديم قوله تعالى « **وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ** » على قوله « **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ..** » الآيات ونلمس أن فيه ايذانا بأنه تعالى أهله أولا بدراسة ملكوت السموات والارض ، حتى استحكم يقينه ليبعثه رسولا ، فيبطل ألوهية الكواكب على النحو الذى سيذكره عنه ، ولهذا أتى بالفاء المفيدة للتفريع والتسبب فقال : **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ..** » الخ ، فكأنه قال :

وعرفنا ابراهيم ملكوت السموات والارض ودلالة على ربوبيته تعالى دون سواه ، فترتب على تلك المعرفة أنه لما جن عليه الليل رأى كوكبا قال : (هذا ربى) مسايرة لقومه فى قولهم بألوهيته ثم أبطل هذه الألوهية بما عرفه

من أسباب يقينه بالله تعالى ، وكذلك الشأن فى ألوهية القمر والشمس •

الآيات وشرحها

« فَلَمَّا جَنَّ (١) عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ » •

أى فلما أقبل عليه الليل ساترا بظلامه ، رأى كوكبا يتلألأ فى السماء ، قال مشيرا له ، هذا ربى ، روى عن ابن عباس أنه قال هو: المشترى ، وروى عن قتادة انه هو: الزهرة ، وهذا قطعا من باب الاجتهاد ، اذ لم يرد نص فى أحدهما ، ولايعنينا تعيين ذاته ، فالغرض واحد بالنسبة لكل كوكب ، وهو أنه حكم بربوبيته مجاراة لقومه ومسايرة لهم ، تمهيدا لبيان فساده ، فان المستدل على فساد قول يحكيه كما هو ، ثم يكر عليه بالابطال •

واختار هذا الأسلوب لأنه عرف من تقليد قومه لأسلافهم ، وبعد طباعهم عن قبول الدلائل ، أنه لوصرح بالدعوة الى الله تعالى لم يقبلوا ، فمال الى طريق يستدرجهم به الى استماع الحق وحججه ، بأن يقول بقولهم ظاهرا ، مع أن قلبه مطمئن بالايمان بالله ، وذلك ليتمكن من ذكر الدليل على بطلانه ، •

قال الإمام الرازى :

انه لما لم يجد الى الدعوة التى أمر بها طريقا سوى هذا ، كان بمنزلة المكره على كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالايمان ، فانه يجوز له النطق بها ظاهرا مع انكار قلبه ، وذلك ليتيسر له أن يورد الدليل المبطل لقولهم وهم مستمعون له فاذا جازت كلمة الكفر لبقاء شخص واحد ، فلان تجوز لتخليص عالم من العقلاء من باب أولى •

ثم قال الرازى :

ومما يقوى هذا القول أنه تعالى حكى عنه مثل هذا الطريق فى موضع آخر ، وهو قوله تعالى « فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ » أى عليل مريض ، وذلك لان القوم كانوا يستدلون بعلم النجوم على حدوث الحوادث المستقبلة ، فوافقهم فى الظاهر ، مع أنه كان بريئا عنه فى الباطن ، ليتوصل الى كسر الأصنام ، فمتى جازت الموافقة لهذا الغرض فلم لا تجوز فى مسألتنا لمثل ذلك :
انتهى كلام الرازى •

فلما أفل هذا الكوكب — أى غرب — قال ابراهيم فى مواجهة قومه : لا أحب الآلهة الغاربين المنتقلين من مكان الى مكان ، المتغيرين من حال الى حال ، المحتجبين عن عابديهم ، والاله لا يغيب عن العابدين •

قد يقول قائل :

ان الله تعالى محتجب عنا ، فالاحتجاب لاينافى الالوهية •

قلت : انه تعالى وان احتجب عن أبصار

---

(١) مأخوذ من الجن بفتح الجيم وهو الستر ، تقول : جنه الليل وجن عليه وأجنه أى ستره بظلامه

العابدين ، فهو موجود معهم بعلمه وقـدرته ، ويستحيل أن يغيب عن كونه وامداده بأسباب وجوده « وهو معكم أينمـا كنتم » والكوكب بخلاف ذلك ، اذ حرم نصف الكرة من سناه ، والاهتداء بهداه ، وترك هذا لغيره من الكواكب وبهذا ظهر عجزه عن الاستمرار فى أداء مهمته وأنه مسير بقـدرة غـيره ، والـرب لا يكون كذلك •

« فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ » فلما رأى ابراهيم القمر عند طلوعه ظاهرا بعد غروب الشمس قال مسايرا لقومه : هذا القمر ربى ، وراقبه حتى غرب وأفـل ، فلما غرب أدرك أنـه مثل الكوكب السـابق ، فقال : لئن لم يهدنى ربى الجدير بالربوبيـة لأكونن من القوم الضالين عن سواء السبيل ، لان ما رأيته الآن لا يصلح مثل سابقه للربوبية

« فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَـٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّـا أَفَلَتْ قَـالَ يَاقَـوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ » فلما رأى ابراهيم الشمس طالعة قال مشيرا اليها : هذا الجوهـر المضىء ربى هذا أكبر من الكوكب ومن القمر ، فهو أحـق منهما بالربوبية ، فلما غربت الشمس كما غرب الكوكب والقمر ، قال لقومه جاهرا بالحـق : انى برىء مما تشركون بالله مـن الأجـرام المحدثة المتغيرة من حال الى حال •

وانما احتج بالأفول دون البزوغ ، مع أن فيه حركة حادثة ، وانتقالا متجددا ـ وكـل حادث لابد له من محدث ـ لان البزوغ لما كان مقتضيا لظهور الآثار والأحكـام ، مـلائما لتوهم الاستحقاق فى الجملة ، رتب حكم عدم استحقاق الالوهية على الغروب دونه ، لبطلان أثار الكوكب حين غروبه ، ومنافاته للربوبيـة أمر لا يقبل المكابرة ، وقد كان من الممكن أن ينكر ربوبية جميع الكواكب ، ومنها الشمس والقمر بمجرد غروب الكوكب الاول ، لانهـا جميعا متشابهة فى ذلك ، ولكنه أراد أن يظهر غاية الانصاف ، بالمسايرة معهم مـن الكوكب الضعيف النور ، الى المتوسط وهو القمر ، الى الباهر وهو الشمس ، وقد جعلها نماذج لمختلف الكواكب ، على تمايز أحجامها وأضوائها ، فان ما يجرى على أحد المثلين يجرى على الآخر •

وبعد هذه المسايرة الاستدراجية لقومـه ، التى انتهت بالحكم بفساد عبادة الكـواكب ، قـال لهم : « إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَـرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» أى وجهت وجهى فى العبادة لله الذى أبـدع السموات والأرض على غير مثال سبق ، وحرك كواكبها طلوعا وغروبا ، مائلا بعقيدتى هذه عن الأديان الزائفة كلها ، وما أنـا مـن المشركين بعبادة سواه ، فقد انبلج الحق وظهر جليا أنه لا مستحق للالوهية سوى خالق السـموات والارض •

« وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّـهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ

وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ » .

أى وجادله قومه بأدلة باطلة على معتقداتهم ليصرفوه عما أظهرلهم أنه انتهى اليه ، من ربوبية الله دون الكواكب ، قال ردا عليهم :

أتجادلوننى فى شأن الله وقد هدانى الى اقامة الدليل على ربوبيته ووحدانيته ، ولا أخاف آلهتكم التى تشركونها بالله ، فلن تمسنى وأنا على الحق بسوء ، الا أن يشاء الله ربى شيئا فيصيبنى هو بسوء لأى عارض من العوارض ، لا بارادة الكواكب ، وسع ربى كل شىء علما ، أما هذه الآلهة فلا علم لها بشىء ، أفلا تتذكرون أنها غير قادرة على الاضرار بى وكيف أخاف شركاءكم ولا قدرة لها على ، ولا حجة على ألوهتيها ، ولاتخافون أنكم أشركتم بالله آلهة ضعيفة مصنوعة ، لم ينزل الله بعبادتها سلطانا وحجة ، فأى الفريقين أنا وأنتم أحق بالأمن ، ان كنتم من أهل العلم والعقل فأخبرونى بجواب هذا السؤال .

ثم تولى عنهم الاجابة لانهم ليسوا من أهل العلم فقال : الذين آمنوا ولم يخلطوا ايمانهم بشرك ، أولئك لهم الامن وهم مهتدون الى الحق ، ومن عداهم فى ضلال مبين ، ثم ختم الله نقاشه مع قومه ببيان قيام حجته عليهم ، وذلك فى قولهتعالى « وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ »

وفق الله عباده الى الحق عقيدة وعملا ،

مصطفى محمد الحديدى الطير

اقرأ باسم ربك

للأستاذ الدكتور
على محمد حسن العمارى

١ ــ ينتهى هذا البحث الى سر عظيم من أسرار القرآن الكريم ، وهو أن هذه الآية الكريمة وهى أول ما نزل أنسب آية لأن تكون (عنوانا) للقرآن اذا أريد أن يوضع لهذا الكتاب الكريم عنوان ويعبر القدماء عن كلمة عنوان بكلمة (ترجمة) .

فهذه الآية ترجمة القرآن .

٢ ــ يمكن أن يقسم البحث عند النشر قسمين أو ثلاثة .

اقرأ باسم ربك

قال الحافظ أبو طاهر السلفى (١) : سمعت أبا الكرم النحوى ببغداد ، وسئل : كل كتاب له ترجمة ، فما ترجمة كتاب الله ؟

فقال : « هذا بلاغ للناس ولينذروا به» (٢)

قال الزركشى : (أما تسميته ــ يريد القرآن ــ (بلاغا) فلانه لم يصل اليهم حال اخبار النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وابلاغه اليهم الا به) (٣) .

وذكر الألوسى أن الاشارة فى الآية : (الى القرآن ، وهو المروى عن ابن زيد (٤) ، وقيل الى السورة ، وقيل : الى بعض آياتها .

أقول : ولو سئلت هذا السؤال لأجبت : ترجمة كتاب الله تعالى هذه الآيات :

« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ٭ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٭ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٭ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٭ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .

---

(١) ونسبته الى جده ابراهيم سلفه ــ بكسر السين المهملة ، وفتح اللام ، والفاء ، وفى آخره هاء ، وهو لفظ أعجمى (وفيات الأعيان حـ ١ ص ١٠٧ . ط بيروت) .
وانما نبهت على هذا لأن كثيرا من الدارسين يظنونه منسوبا الى السلف ــ بفتح السين .

(٢) من الآية ٥٢ من سورة ابراهيم ، والنقل من (البرهان فى علوم القرآن) جـ ١ . ص ٢٨٢ .

(٣) البرهان جـ ١ . ص ٢٧٩ .

(٤) روح المعانى جـ ١٣ ص ٢٥٨ .

وهى أول ما نزل من القـرآن على ما يرى جمهور العلماء ، وبها بدأت الرسالة المحمدية . والمتأمل فيها يجدها أجملت كل حياة الانسان ، وأشارت الى كل ما تضمنه القـرآن ، وألمحت الى أن هذا القرآن كتاب السماء .

فقد تضمنت هذه الآيات عقيدة التوحيـد ، وخلق الانسان ، والأصـل الذى خلق منه ، وبعثة الرسول محمد ــ صلى الله عليه وسلم والتنويه بمكانة العلم ، وبمنزلة القلم .

١ ــ وصف الله ــ سبحانه ــ نفسه فى هذه الآيات بأربع صفات : أنه رب محمد ، وأنـه خلق كل كائن ، وبخاصة الانسان ، وأنه الأكرم وأنه علم الانسان ، وعلمه بالقلم .

وكل صفة من هذه الصفات ترشد العقل السليم الى الايمان بالله وحـده ، فهـو رب محمد ، رباه وكمله ، وشرفه بهذه الاضافة ، وفى ذلك ما يشير الى نبوته ــ عليه الصـلاة والسلام ــ ، لأن غاية الكمالات أن تضـاف صفة الربوبية الى من أنزل عليه هذا القرآن .

ووصف الله نفسه ــ فى هذا المقام ــ بأنه الخالق يدل على أنه لا خالق سواه ، ــ كمـا يقول أهل السنة ــ :

(قالوا : لأنه ــ سبحانه ــ جعل الخالقية صفة مميزة لذات الله ــ تعالى ــ عن سـائر الذوات ، وكل صفة هذا شأنها فانه يستحيل وقوع الشركة فيها ، قالوا : وبهذا الطـريق عرفنا أن خاصية الالهيـة هى القـدرة على الاختراع) .

(ثم لما صارت الالهية موقوفة على الخالقية حصل القطع بأن من لم يخلق لم يكن الهـا ، فلهذا قال تعـالى : « أَفَمَـن يَخْلُقُ كَمَـن لَّا يَخْلُقُ » (١) .

وكيف لا يكون قادرا وقد بعث الحياة فى دم متجمد لا حياة فيه ؟ !!

والله ــ عز وجل ــ الاكرم ، فهـو ــ وحده ــ المتصف بهذه الصفة ، وقـد يكون فى الخلق الكريم ، ولكن « الأكرم » الذى يعطى ما ينفع ، ولا ينتظر عليه عوضا هو الله وحده .

وهو ــ سبحانه ــ الذى علم وهب الحياة لهذا الكائن الذى خلقه من عدم ، وكونه مـن علق ، ثم وهبه أشرف ما فى الحياة ، وهو العلم « وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَـارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .

ومن عجيب مالاحظه العلم فى أمر الانسان « أن النفوس الانسانية فى أول الفطرة أقـل فهما وذكاء وفطنة من نفوس سائر الحيوانات ، ألا ترى أن ولد الدجاجة كما يخرج مـن قشر البيضة يميز بين العدو والصديق ، فيهرب من الهـر ، ويلتجىء الى الأم ، ويميز بين الغذاء الذى يوافقه ، والغذاء الذى لا يوافقه ، وأما ولد الانسان فانه حال انفصاله عن بطن الأم لا يميز ــ ألبتة ــ بين العدو والصديق ، ولا بين الضار والنافع » (٢) .

وذلك يدل على أن انتقال الانسان من هـذا الجهل المفرط فى الجهالة الى العلم الواسـع لا يمكن أن يكون عـن طـريق المصـادفة ،

---

(١) من تفسير الفخر الرازى (مفاتيح الغيب) لسورة العلق (

(٢) مفاتيح الغيب جـ ١٩ . ص ٢٢٦ .

أوناشئا عن الطبع ، بل لابد لذلك من تدبير اله مختار قادر حكيم ، ينقل الأنفس من نقصانها الى كمالاتها ، ومن جهالاتها الى معارفها .

وهذه الآيات الكريمة التى بدىء بها نزول القرآن الكريم ، وبدئت بها الرسالة المحمدية ربطت خلق الانسان بأمرين : العقيدة الصحيحة ، والعلم ، والمراد به العلم النافع ، أو الذى ينبغى أن يستخدمه الانسان فيما ينفع البشرية .

ويدلنا هذا الربط على أن لا انسانية للانسان الا بهذين : العقيدة والعلم والذى يتجرد منهما ، أو من أحدهما نصف انسان بل هو الى الحيوانية أقرب قال تعالى :

« وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ » (٧) .

وقال سبحانه :

« وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ » (٨) .

وقال ــ عز وجل :

« أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا . أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا » (٩) .

فالأنعام لا هم لها الا ان تأكل وتشرب وتتمتع ، وأولئك الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر لاهم لهم الا الدنيا ، بل هم أضل من الأنعام ، لأن هذه لم تعط ما أعطوا من العقل والعلم ، ولأنها لا تضر كما يضرون . هم غافلون عما ينفعهم ، وينفع أممهم النفع الحقيقى ، ولذلك لا يبالون أن يفتكوا بالانسانية ، وأن يضحوا بكل قيم الحياة فى سبيل مطامعهم ، وهم أضل من الأنعام لأنهم لم يستعملوا عقولهم فى البحث عن الخالق ، ولا حواسهم فى ادراك ما يؤديهم الى الايمان .

ولبعض علمائنا ــ هنا ــ كلمة لطيفة صادقة ، يقول : ان الحمار اذا ضرب التفت ، لأنه لا يتصور أن يوجد ضرب بلا ضارب ، فمن تصور أن يوجد أثر بلا مؤثر ، ونظام بلا منظم ، وأشياء متقنة كل الاتقان بلا صانع حكيم فهو أجهل من الحمار ! .

فالانسان بلا عقيدة ، ولا علم أضل من الأنعام ، والانسان العالم بلا عقيدة فساد فى الأرض ، وخطر على الانسانية ، وكارثة تصيب كل القيم الصالحة فى الحياة .

والانسان المؤمن بلا علم على شفا جرف من الضياع ، فالعقيدة ما لم يحرسها العلم تضر أكثر مما تنفع .

ولست أريد بالعلم الذى يحرس العقيدة الا العلم بالله وصفاته ، وبالشريعة وأحكامها ، وبسنن الله فى الكون ، وفى الأنفس .

فالجاهل ــ بكل هذه ــ يعبد الله ، ولكنه لا يأمن على نفسه أن يشرك به من حيث لا

(٧) سورة محمد . الآية ١٢ .
(٨) سورة الاعراف . الآية ١٧٩ .
(٩) الفرقان ٤٣ ــ ٤٤ .

يدرى ، ولا على سلوكه أن يضل الطريق السوى .

وطالما رأينا أصحاب الأهواء ممن يدعون العلم والتقوى والورع ، يتلاعبون بالجهال ، ويوردونهم موارد الهلكة ، وينحرفون بهم عن الدين الصحيح ، والعقيدة السليمة ، ويبتزون أموالهم ، ويحملونهم على الاعتقاد فيهم بأن لديهم مفاتيح الجنة ، وعلم المغيبات !!!.

وفى هذه الآيات الكريمة نجد الأمر الموجه للنبى — صلى الله عليه وسلم — بالقراءة ذكر مرتين ، كما ذكر فيها التعليم بالقلم .

ومن البعيد — كل البعد — أن ينبه رجل أمى فى أول ما يذكر من قرآن — لو كان القرآن من عنده — الى فضيلتين لم يكونا له .

فمحمد — صلى الله عليه وسلم — كان أميا، لا يقرأ ولا يكتب ، ومن بعض ما يدل على ذلك قوله تعالى : «وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ» (١٠)

ويتكرر فى القرآن الكريم الربط بين خلق الانسان وعقيدة التوحيد ، والعلم ، يقول تبارك وتعالى : « الرَّحْمَٰنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ » .

ونلاحظ فى هذه الآيات أن الله سبحانه قدم التعليم على خلق الانسان ، ثم أعاده ثانيا ، فجاء خلق الأنسان مكتنفا بالتعليم ، سبقه ولحقه ، كما نلاحظ أن العلم الأول تعلق بالقرآن ، والقرآن فيه التوحيد والنبوة والعلم

(١٠) سورة العنكبوت . الآية ٤٨ .
(١١) سورة البقرة ٣٠ — ٣٣ .

والثانى تعلق بالبيان ، وبالبيان امتاز الأنسان عن غيره من الحيوانات ، فهو نعمة لا تقل عن نعمة الخلق ، بل لا قيمة للانسان ما لم يكن قادرا على البيان ، والابانة عما فى نفسه .

ويقول — سبحانه — وقد قضى أن يستخلف الانسان فى الأرض : « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ » (١١) .

فجعل — سبحانه — العلم هو السر فى استخلاف الانسان فى الأرض ، وتحميله مسئولية تعميرها ، والأخذ بالأسباب التى تصلحها ، وتقيم حياة سعيدة فيها .

وقد يلفت النظر أن مادة (العلم) وردت فى هذه الآيات سبع مرات ، ولعل لذلك دلالته على مكانة العلم ، وصلته القوية باستخلاف الانسان فى الأرض

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة ترفع من قدر العلم والعلماء وهذا مادعا المسلمين الى أن يبذلوا غاية جهدهم فى تحصيل العلم ، وقد

وصلوا من ذلك ابان نهضتهم الى مالم تصل اليه أمة قبلهم ، بل فى الوقت الذى كانت فيه كل الأمم من حولهم تخبط فى ظلمات الجهل ، وتعيش على الخرافات والأوهام التى يزينها لهم رجال الدين ، أو على التقليد الذى يرغمهم عليه أصحاب السلطان .

وكانت علوم العرب ومعارفهم هى النبراس الذى أضاء لقافلة البشرية الطريق فى عصور النهضة ، فقد ظلت أوربا عالة على علوم العرب ، تدرسها فى جامعاتها ألى أواخر القرن السابع عشر الميلادى ، وبذلك اعترف المنصفون من كبار العلماء والباحثين الغربيين .

يقول دكاريتسكى : (ان الأبحاث الحديثة قد دلت على عظم ديننا للعلماء المسلمين الذين نشروا العلم بينما كانت أوربا فى ظلمات القرون الوسطى).

وتقول الكاتبة الألمانية الدكتورة سيجريد هونكه : (أن هذة الطفرة العلمية الجبارة التى نهض بها أبناء الصحراء من العدم من أعجب النهضات العلمية الحقيقية فى تاريخ العقل البشرى ، فسيادة أبناء الصحراء التى فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة وحيدة فى نوعها ، وان الانسان ليقف حائرا أمام هذه المعجزات العقلية الجبارة ، وان أوربا تدين للعرب ، وللحضارة العربية ، وان الدين الذى فى عنق أوربا وسائر القارات للعرب لكبير جدا).

وقد كان ذلك بفضل توجيه القرآن الكريم للانسان ، وحثه على طلب العلم ، واشادته بفضل العلماء : **«يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»** (١) .

ولا يفوتنا — هنا — أن ننبه الى خطأ كبير وقع فيه فريق من سدنة العلم ، حيث ادعوا التناقض بين العلم والدين ، وعبدوا العقل والمادة ، وزعموا أن العالم الحق لا يكون متدينا ، وأن المتدين لا يكون عالما ، ومع الأسف ردد هذا بعض شعرائنا ، فقد نسب الى أبى العلاء المعرى هذا البيت :

اثنان أهل الأرض : ذو عقل بلا
دين ، وآخر دين لا عقل له

فى القرآن الكريم ما يفند هذا الزعم ، ويبطل هذه الفرية فقد جمع فى الآيات التى أوردتها ، وفى غيرها بين العلم والدين ، وهو يتحدث عن خلق الانسان ، وتاريخ الأمة الاسلامية فى أزهى عصورها أعدل شاهد على أن العلم الصحيح ينشأ فى ظلال التدين العميق الصافى .

على أن أكثر العلماء الغربيين الآن ينكرون ما كان يقوله بعض علماء القرن التاسع عشر من العداوة بين العلم والدين .

(١) سورة المجادلة . الآية ١١ .

وإذا كانت أول آية نزلت من القرآن تحدثت عن خلق الانسان ، وأنه مخلوق من علق فليس من قبيل المصادفة أن تكون آخر آية نزلت ، أو من أواخر ما نزل تشير الى نهاية الانسان ، وتبين أن مصيره الى الله ، وأن الانسان سيوفى حسابه كاملا على ما عمل فى حياته الدنيا :

« وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » (١) .

وفيما بين هاتين الآيتين نزلت آيات كثيرة تتحدث عن الانسان بدءا ونهاية ، ويمكن القول بأنه قل أن تخلو آية من ذكر الانسان ، تذكره بلفظه ، أو بلفظ يدل عليه ، أو بضميره أو بالكناية عنه ، أو تكون تمهيدا للحديث عن شأن من شئونه .

ومن هنا تتضح لنا عناية القرآن بالانسان حتى ليصح القول بأن القرآن هو كتاب الانسانية بمعناها الشامل .

ولا غرو أن يكون الانسان محور حديث القرآن ، والله سبحانه قد استخلفه فى الأرض ووكل اليه عمارتها وخلق لمنفعته كل ما فى الأرض : **« هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا »** (٢) . من حيوان ونبات وجبال ومعادن ، وكل ما يمكن أن يصل اليه العقل البشرى من مخترعات وصناعات . :

« وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ » (٣) .

بل دبر سبحانه كثيرا من الكائنات لمنفعة الانسان ، وجعل الانتفاع بها ميسرا له : **« أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً »** (٤) .

وآيات القرآن فى بيان ما سخر الله للانسان وما خلق وقدر لمنافعه كثيرة لعل هذه الآية الأخيرة من أشملها ، فان الله ذكر فيها كل النعم التى اشتمل عليها الكون ، والنعم التى اشتملت عليها النفس .

ومن الآيات الجامعة — أيضا — قوله تعالى : **« وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ »** (٥) .

وقبل هاتين الآيتين وبعدهما ذكر الله سبحانه نعما كثيرة امتن بها على عباده ، ثم ختم هذه الآيات بقوله : « وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا » .

يتبع

د / على العمارى

---

(١) سورة البقرة ٢٨١ . وكان بين نزول هذه الآية وبين وفاة الرسول واحد وعشرون يوما أو تسع أو سبع ليال .
(٢) البقرة ٢٩ .
(٣) الزخرف ١٢ .
(٤) لقمان ٢٠ .
(٥) النحل ١٢ ، ١٣ .

أداء الأمانات في الإسلام

قال الله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » (النساء ٤/٥٨) .

الأمانة بوجه عام هى حمل المسئولية فى كل عمل يؤديه المسلم فى علاقاته بالله والناس .

ومن ثم فالأمانات تشمل أداء حقوق الله وحقوق العباد . وحقوق الله هى الايمان به وعبادته وحده والعمل بكتابه وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم —

وحقوق العباد — وأداؤها يعتبر أداء لحقوق الله — تشمل :

فى دائرة الأسرة : حقوق الوالدين، وحقوق الزوجية ، وحقوق الأولاد ، وحقوق الأقارب .

وفى دائرة المجتمع المسلم : حقوق الجيران، وحقوق المسلمين ، وحقوق غير المسلمين .

وفى دائرة الانسانية : حقوق الناس جميعا .

وفى دائرة البيئة الطبيعية : حقوق الطبيعة وحقوق الحيوان .

وفيما يلى تعرض هذه الحقوق بايجاز :

حقوق الوالدين : على الأولاد حبهما وطاعتهما (الا فى معصية) ، وبرهما بكل صور البر والاحسان ، فى الحديث والصحبة والخدمة والانفاق والافتداء بالنفس والمال . (وحقوق الأم فى كل هذا اكبر من حقوق الأب) .

قال تعالى :

« وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا » (الاسراء ١٧/٢٣ — ٢٤) .

بقلم د. أحمد عبد الحميد غراب

وقال تعالى :

« وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ » (لقمان ٣١/١٤) .

وقد أكد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثلاث مرات أن أحق الناس بحسن صحبة الابن أمه ، ثم أبوه . (فى حديث متفق عليه) .

وعقوق الوالدين يعد من أكبر الكبائر فى الاسلام ، حتى لقد قرنه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالشرك وقتل النفس وشهادة الزور . (فى حديث البخارى) .

حقوق الأولاد : وأهمها تربيتهم منذ طفولتهم على الاسلام .

ويجب على الوالد الاعداد لذلك باختيار الزوجة الصالحة ، أى الأم التى تقع على عاتقها هذه المسئولية وبخاصة فى السنوات الأولى من الطفولة ، بل وأثناء الحمل حيث تكون عادات الأم الصالحة فى العبادة والطعام والشراب والنوم من أهم العوامل التى تؤثر تأثيرا حسنا على الصحة الجسمية والنفسية للطفل قبل ولادته .

ومن حقوق الأولاد على الوالدين القيام بالانفاق عليهم ورعايتهم ومعاملتهم معاملة حسنة تقوم على الرفق ، ولا يلجأ فيها الى العنف (أى العقوبات الجسدية والنفسية) الا عند الضرورة القصوى . والأسوة الحسنة فى ذلك هو الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذى ما ضرب أحدا قط لا امرأة ولا طفلا ولا خادما .. ولم يكن أحد أحب للعيال منه ، وهو الذى قال : « الرفق خير كله وان الرفق لا يكون فى شىء الا زانه ، ولاينزع من شىء الا شانه » (مسلم) .

ومن حقوق الأولاد أن يعاملهم الوالدان بالعدل كما قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لمن أراد أن يشهده على أنه يريد أن يخص بعض أولاده بهدية دون الباقين : « لا تشهدنى على جور . اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم » (الشيخان وأبو داود) .

ومن العدل ألا يفضل البنين على البنات . بل عليه أن يزيد فى ملاطفة البنات واكرامهن ، وذلك لضعفهن ، وقد أوصى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم بالضعفاء وبخاصة النساء واليتامى والبنات وقال عليه السلام :

« من عال جاريتين (أى بنتين) حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين » وضم أصابعه (مسلم).

وقال : « اللهم انى أحرج (أى أؤثم من ضيع) حق الضعيفين اليتيم والمرأة » (النسائى) .

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا رأى

فاطمة قد أقبلت رحب بها ثم قام اليها فقبلها ثم أخذ بيدها فجاء بها حتى يجلسها فى مكانه (البخارى) .

وقد نعى القرآن الكريم على الذين كانوا يئدون البنات وذلك فى قوله تعالى :

« وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ » (النحل ١٦/٥٨ — ٥٩) .

حقوق الزوجية : تقدم العلاقة الزوجية فى الاسلام على المودة والمحبة والرحمة ، وبذلك تكون علاقة وثيقة ، يقوم عليها سلام البيت وسكينة النفس كما قال تعالى :

« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً »

(الروم ٣٠/٢٠) .

ومن ثم فالزوج المسلم مأمور أن يعاشر زوجته معاشرة طيبة ، وأن يعاملها معاملة كريمة وحتى لو كره منها شيئا فعليه أن ينظر الى مزاياها ولا يركز على عيوبها ، كما قال — صلى الله عليه وسلم :

« لا يفرك مؤمن مؤمنه (أى لا يبغضها) ، ان كره منها خلقا رضى منها آخر » (مسلم) .

وقال الله تعالى :

« وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا » .

النساء ٤/١٩

والزوج المسئول عن الرعاية المالية لزوجته ، وذلك بالانفاق عليها فى جميع ما تحتاج اليه حسب استطاعته .

وهى مسئولة عن رعاية شئون بيته ، بحيث تجعله مأوى يلوذ به من عناء الحياة وعنت الأحياء .

وهذه العلاقة الجميلة تتوطد بتقوى الله وعبادته ، كما تتوطد بتعاون الزوجين على البر والتقوى ، ومشاركتهما فى تربية الأولاد تربية اسلامية .

ولأن الاسلام قد أقام الزواج على أساس متين من علاقات الفطرة التى تتشابك فيها مشاعر الحب والرحمة ، مع ملذات الجنس المحدودة بمسئوليات الانجاب والتربية ، فان هدم هذا البناء هو عمل يبغضه الاسلام ويبغضه الله أشد البغض * كما قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :

(*) اذا كان الطلاق من حق الرجل عند الضرورة القصوى — فان الخلع من حق المرأة عند الضرورة القصوى كذلك ، وهى الا تطيق زوجها بغضا ، وفى هذه الحالة يجب أن ترد اليه مهرها . والاصل فى ذلك ما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجة ثابت بن قيس حيث أمرها أن ترد عليه حديقته وأن يطلقها . (الشيخان) .

« أبغض الحلال الى الله الطلاق » (أبو داود والحاكم) .

صلة الرحم : هى أداء حقوق الأقارب ، لقوله تعالى :

« **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ** » (الاسراء ١٧/٢٦) .

وقد قرن الله الأمر بعبادته وحده بالأمر بالاحسان الى الوالدين وذوى القربى وكل من يستحقون الصلة من الفقراء والضعفاء فقال تعالى :

« **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** » (النساء ٤/٣٦) .

وفى سورة الرعد وصف الله المؤمنين بصفات جميلة فقال تعالى :

« **الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ . وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ . وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ** » (الرعد ١٣/٢٠ — ٢٢) .

وهى صفات متكاملة ، يرتبط فيها الوفاء بالعهد بحسن الصلة بالله والناس ، ووجوب التعبير العملى عن هذه الصلة بالانفاق والتسامح .

ووصف الكافرين بعكس هذه الصفات فقال تعالى :

« **وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** » (الرعد ١٣/٢٥) .

وقد أكدت السنة أن الايمان الصادق ينبغى أن ينعكس فى صلة ذوى الأرحام .

فقال — صلى الله عليه وسلم :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه » (متفق عليه) . وبر ذوى القربى هو بر يضاعف له الأجر كما قال صلى الله عليه وسلم :

« الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذوى القربى صدقة وصلة » (الترمذى) . والمسلم مأمور بصلة ذوى القربى جميعا حتى ولو كانوا كفارا . فعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : قدمت على أمى وهى مشركة ، فاستفتيت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقلت : قدمت على أمى وهى راغبة افأصل أمى ؟ قال : « نعم صلى أمك » (متفق عليه) .

حقوق الجوار : وردت الوصيه بالجار فى القرآن الكريم كما سبق فى آية النساء . وأكدت السنة النبوية هذه الوصية فقال — صلى الله عليه وسلم :

« مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » (متفق عليه) . كما أكدت السنة أن اكرام الجار هو ثمرة من ثمرات الايمان ، فقال – صلى الله عليه وسلم :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » (متفق عليه) . ومن واجبات المسلم نحو جاره أن يعينه فى الضراء ، ويوده فى السراء ، ويجنبه كل أذىً .

قال – صلى الله عليه وسلم – :

« والله لا يؤمن . والله لا يؤمن » قالوا : من يارسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه » (متفق عليه) .

والبوائق هى الشرور التى تصيب الجيران فى أموالهم ، أو أولادهم ، أو أعراضهم ، أو أى سلوك يتسبب عنه أذى لمشاعرهم ، أو اقلاق لراحتهم ، ولا سيما عن طريق الضجيج والضوضاء ، كما هو شائع الآن من الاستعمال الفظ لمكبرات الصوت والمذياع ... الخ . الخ

ان ايذاء الجار بأية صورة من الصور يتنافى مع مفهوم العبادة فى الاسلام .

فالعبادة الحقة هى التى يترتب عليها سلوك حسن ومعاملة طيبة للناس جميعا ، ولا سيما للجيران . وبدون ذلك لا معنى للعبادة ولا قيمة لها . ولما أخبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن امرأة تصوم النهار وتقوم الليل ولكنها تؤذى جيرانها قال : « هى فى النار » (أحمد والحاكم) .

وحقوق الجار فى الاسلام تشمل المسلم وغير المسلم . فاذا كان للمسلم جار نصرانى مثلا فعليه أن يعامله معاملة طيبة .

واذا كان الجار مسلما فله حق الاسلام وحق الجوار .

واذا كان مسلما ذا رحم فله ثلاثة حقوق : حق الاسلام ، وحق الجوار ، وحق القرابة .

حقوق المسلين : قال الله تعالى :

« **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** » (الحجرات ٤٩/١٠)

ومن حقوق هؤلاء الاخوة مودتهم وموالاتهم لقوله تعالى :

« **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** » (التوبة ٩/٧١) .

ومن أجل تأكيد صلات الأخوة بين المؤمنين أوجب الاسلام على كل مسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

وقال – صلى الله عليه وسلم – :

« والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا » (مسلم) .

كما أوجب على كل مسلم أن يعين أخاه فى وقت الشدة ، لقوله – صلى الله عليه وسلم –

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه .

من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » (الشيخان) .

وأن ينصحه ، لأن الدين النصيحة .

وأن يشاوره ، لأن المؤمنين « **أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ** » (الشورى ٤٢/٣٨) .

وأن ينصره مظلوما فيعينه على أخذ حقه ، وينصره ظالما بأن يكفه عن الظلم .

وأن يتعاون معه على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان .

وأن يوده ويدعوه ويجيب دعوته ولا يقاطعه أو يهجره فوق ثلاث .

وأن يتجنب كل مايسيء اليه أو يضره فى حياته أو ماله أو عرضه ، لقوله عليه الصلاة والسلام :

« كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله » (متفق عليه) .

كما يتجنب كل سلوك يؤدى الى بذر العداوة بين المسلمين أو استفحالها ، أو يؤدى الى اضعاف قوتهم ، وتفرقه جماعتهم ، ولا سيما الغيبة ، والنميمة ، والسخرية ، وسوء الظن ، والتجسس ، واللمز ، والتنابز بالألقاب . وهى الرذائل التى حرمها الله تعالى على المؤمنين فى قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ »

(الحجرات ٤٩/١١ ـ ١٣) .

ومن حقوق المسلمين أن يهتم المسلم بقضاياهم ، ويشعر بآلامهم ويحمل همومهم ، لأنه واحد منهم . وقد قال ـ صلى الله عليه وسلم :

« من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم »(١)

حقوق غير المسلمين :

اذا كانوا مسالمين ، أى لا يعتدون على المسلمين ، ولا يقاتلونهم فى دينهم ، ولايخرجونهم من ديارهم ـ فيجب على المسلمين معاملتهم ليس بالعدل فحسب ، بل بالبر والاحسان كذلك . وهذا الحكم يشمل غير المسلمين جميعا حتى المشركين والوثنيين والأصل فيه قوله تعالى :

« لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ »

(الممتحنة ٦٠/٨) .

أما أهل الكتاب فان الاسلام يعاملهم معاملة خاصة ، فيسميهم ، أهل الكتاب ، اشارة الى أنهم أقرب الى المسلين من غيرهم ، لأنهم يؤمنون بكتب منزلة من عند الله ، كانت فى أصولها ـ أى قبل تحريفها ـ تدعو الى

---

(١) حديث من لم يهتم بأمر المسلمين ... الخ اخرجه الشوكانى فى الفوائد المجموعة ص ٨٣ حديث رقم ٦٠ طبع مطبعة السنة المحمدية الطبعة الاولى . اخرجه بلفظه وقال : قال فى المختصر : ضعيف .
قال المحقق : ذكره السخاوى فى المقاصد الحسنة وقال : انه من ... يق وهب بن راشد ، عن فرقد ، عن أنس ، وهذا سند واه جدا وان كان المعنى صحيحا . (**الباجورى**)

التوحيد • والمسلمون مطالبون بالايمان بالكتب الموحى بها ، وكذلك برسل الله جميعا •

وقد أباح الاسلام للمسلمين صورا شتى من مودة أهل الكتاب ، منها مؤاكلتهم ، وأكل ذبائحهم ، ومصاهرتهم ، أى التزوج بنسائهم

فاذا كانوا يقيمون فى ظل الدولة الاسلامية، فانهم فى هذه الحالة يعاملون كمواطنين ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، الا فيما يخص الدين ، فانهم لا يكرهون على الاسلام ، وقد أمرنا أن نتركهم وما يدينون •

كما يجب على الدولة الاسلامية حماية أزواجهم وأموالهم وأعراضهم ، ويجب على كل مسلم أن يتجنب كل ما فيه أذى لهم أو اضرار بهم •

قال صلى الله عليه وسلم :

« من آذى ذميا فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله » (الطبرانى) •

« من ظلم معاهدا ، أو انتقصه حقه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة » (أبو داود) •

حقوق الرعية :

يرى ابن تيمية (١) أن الآية الكريمة :

« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » (النساء ٤/٥٨)

تشير الى مسئولية الولاة بوجه خاص •

والولاية عنده تشمل كل عمل عام يمس حقوق الناس لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (الشيخان) •

وولاة المسلمين مأمورون من الله بأداء الأمانات الى أهلها ، والحكم بين الناس بالعدل•

وأداء الأمانات عنده نوعان : فى الولايات ،وفى الأموال • ففى الولايات يجب على كل رئيس فى أى مجال من مجالات العمل العامة فى المجتمع أن يولى على كل عمل أصلح من يجده لذلك العمل ، لقوله ــ صلى الله عليه وسلم :

« من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح منه فقد خان الله ورسوله » وفى رواية « وخان المؤمنين » (الحاكم) •

أما فى الأموال فأن يأخذ المال من حله (أى من مصادره المشروعة) ، ويعطى منه لكل ذى حق حقه • فان لم يفعل فقد ارتكب كذلك خيانة لله ورسوله والمؤمنين •

ويرى الماوردى (٢) أن حقوق الأمة الاسلامية على الامام (أى واجباته نحوها) هى :

١ ــ حفظ الاسلام على أسوله وحمايته من البدع والشبهات •

٢ ــ نشر العدل •

(١) السياسة الشرعية ص ٦ ، ٢٧ •

(٢) الاحكام السلطانية ص ١٥ ــ ١٧ •

٣ ــ حفظ الأمن .

٤ ــ اقامة الحدود (العقوبات المقررة فى الشريعة) .

٥ ــ تحصين الثغور (أى حماية الدولة الاسلامية بكل وسائل الدفاع) .

٦ ــ الجهاد لنشر الاسلام .

٧ ــ جباية الموارد المالية للدولة .

٨ ــ صرف الرواتب والمكافآت لمستحقيها .

٩ ــ تولية ذوى الكفاءة والامانة فى شتى مناصب الدولة .

١٠ ــ الاشراف العام بنفسه على شئون الدولة بحيث لا يتكل على تفويض غيره .

فاذا أدى الامام هذه الحقوق وجب له على الأمة حقان :

الطاعة والنصرة .

حقوق البيئة الطبيعية :

وردت فى القرآن الكريم آيات كثيرة تشير الى الأرض وما فيها من ثروات طبيعية ومناظر جميلة ، وبخاصة ما فيها من أنهار وبحار وأودية وجبال ، وزروع ناضرة وحدائق ذات بهجة ، وحيوانات تجمع بين النفع والجمال .

وبالاضافة الى أن هذه الآيات توقظ فى وجدان المسلم الاحساس بجمال الطبيعة ــ فهى تدعوه كذلك الى اعتبار هذا الجمال من أجل نعم الله على الانسان .

وأقل ما يقتضيه شكر هذه النعمة المحافظة عليها ، وعدم تعريضها للتخريب والفساد . ولذلك فان اهلاك الحرث والنسل يعد فى القرآن الكريم من أقبح صور الفساد التى يبغضها الله .

وشكر نعمة الله فى الزروع والثمار يتخذ فى القرآن صورة عملية جميلة ، قال تعالى :

« وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » (الأنعام ١٤١/٦) .

وانظر الى دعوته ــ صلى الله عليه وسلم ــ كل مسلم أن ــ حتى فى أشد الاوقات حرجا ــ يبذل فيها كل جهد يستطيعه ليجعلها جميلة خضراء :

« ان قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فان استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها » (البخارى) .

بل انظر الى دعوته ــ صلى الله عليه وسلم ــ كل مسلم أن يجعل زروعه وثماره متاحة ليس للانسان فحسب ، بل وللحيوانات والطيور كذلك : « لا يغرس مسلم غرسا فيأكل منه انسان ولا دابة ولا طير الا كان له صدقة الى يوم القيامة » (الشيخان).

أما حقوق الحيوان فيكفى أن نعرض هذه الصور من السنة :

ــ قال صلى الله عليه وسلم : بينا رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فاذا كلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش . فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى . فنزل البئر فملأ خفه ماء ، ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له » .

قالوا : « وان لنا فى البهائم أجرا يارسول الله ؟ » فقال : « فى كل كبد رطبة أجر » (الشيخان) .

* وقال صلى الله عليه وسلم : « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها حتى ماتت ، فلاهى أطعمتها وسقتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » (البخارى) .

* وعن عبد الله بن مسعود : كنا مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى سفر ، فرأينا حمرة (طائر مثل العصفور) معها فرخان فأخذناهما ، فجاءت الحمرة تعرش (ترفرف).

فلما جاء ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال :

« من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها اليها » (أبو داود) .

*مر عبد الله بن عمر بفتيان من قريش وقد نصبو طيرا واتخذوه غرضا (أى هدفا يتعلمون عليه الرمى بالسهام) فقال : ان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا » (الشيخان وأبو داود) .

* وقال عبد الله بن عباس : « نهى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن التحريش بين البهائم » (أبو داود والترمذى) .

والتحريش بينها هو اغراء بعضها ببعض لتتقاتل .

*** وقد حث ــ صلى الله عليه وسلم ــ على العناية بالحيوان وبكل ذى حياة فى قوله : « فى كل كبد رطبة أجر » . كما نهى عن تعذيب الحيوان ، وتحميله ما لا يطيق ، وتعذيب الذبيحة ، وأن يذبح حيوان امام آخر .**

*** وكان عمر بن الخطاب وهو حاكم لأكبر دولة على ظهر الارض يشعر بمسئوليته تجاه الحيوان فيقول : « لو أن بغلة عثرت بأرض العراق لظننت أن الله سائلنى عنها لم لم أسو لها الطريق .**

*** ومما سبق يتضح أنه يجب على كل مسلم أن يكون رحيما بالحيوان : فيطعمه ويسقيه واذا مرض يعالجه . وبالجملة يعتنى به كل العناية .**

« وانما يرحم الله من عباده الرحماء »

د احمد غراب

حرم ربكم عليكم

الدم

للدكتور عمر عثمان والى

قال تعالى :

« حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » ٠

(المائدة ــ ٣)

والدم (١) ــ فى الآية الكريمة ــ هو ثانى ما حرم الله سبحانه وتعالى ٠

وفى السنة تخصيص لعموم القرآن الكريم ◄

---

(١) الدم ـ وهو السائل الاحمر المعروف ويتألف أساسا :

(أ) من محلول مائى مائل الى الاصفرار يشكل قرابة ٧٠٪ من حجم الدم ، ويحتوى على المواد الغذائية الذائبة ، ويسمى هذا المحلول« البلازما » وتقوم البلازما بحركة دورية مستمرة تمكنها من نقل الغذاء الى جميع أعضاء الجسم ٠

(ب) ومن « كريات الدم الحمراء » وهى كروية الشكل ، ولا تحتوى على نواة ، « وسيتوبلازم » هذه الكريات غنية بمادة حمراء تعرف بـ « الهيموجلوبين » الذى له دور رئيسى فى نقل الاكسجين وثانى اكسيد الكربون من الرئتين واليهما ، ويتراوح عدد كريات الدم الحمراء من ٤ر٥ الى ٥ ملايين كرية فى المليمتر المكعب الواحد من الدم ٠

(ج) ومن « كريات الدم البيضاء » وتتألف خليتها من غشاء سيتوبلازمى ، وسيتوبلازم ، ونواة ، وهذه الكريات عدة أنواع ٠ منها ماتتألف النواة فيها من قسم واحد ، ومنها ما تتألف فيه من قسمين أو اكثر ٠:

ففى سنن ابن ماجة ـــ رضى الله عنه ـــ :

حدثنا أبو مصعب ـــ ثنا عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن أبيه عن عبـــد الله بن عمر أن : رسول الله ـــ صلى الله عليه وسـلم ـــ قال : **(أحلت لكم ميتتـــان ودمـــان ، فأما الميتتان فالحوت والجراد(١) ء وأمـــا الدمان فالكبـــد والطحال (٢) » .**

ونوضح هنا بعض المواد التى ينقلها الدم :

ينقل الدم :

١ ـــ ثانى أكسيد الكربون .

٢ ـــ الهرمونات .

٣ ـــ جميع السموم التى تدخل الجسم .

٤ ـــ ناتج الأيض (٣) .

٥ ـــ بعض المـــواد الأخـــرى مثل اليوريا وحمض البوليك .

ومن هذا يتضح أن الدم يحتوى على جميع نواتج عمليات الهدم والبناء داخـل الجسم ، ويقوم ـــ بدوره ـــ بنقل هــــذه النواتج الى الأجهزة الخاصة بالتخلص من الســموم مثل الكلى والكبد والرئة ، وغيرها من الأجهزة .

ومن المعروف أن الدم وسط ملائم جـــــدا لنمو جميـــــع أنواع البكتريا التى قد تصيب الانسان ، والحيوان ـــ على سواء ـــ بأمراض مختلفة ، وذلك لاحتـــــواء الدم على المـــواد الغذائية اللازمة لنمـــو البكتريا ونشـــــاطها وانتشارها .

كذلك يساعد أيضا ـــ على ذلك ـــ وجـــود الوسط القلوى المناسب .

لذلك يعتبر الدم مصدرا أساسيا للعدوى (٤) .

من هنـــــا تتضح لنا ـــ تماما ـــ الحكمة فى تحريم الدم على الانســـان الذى أراد الله له طيب الطعام .

الاتجار بالدم

ونحن نعلم أن شـــــعوب الدول الاســـلامية لا تأكل الدم طبقا لأحكام هذا التحريم .

أما الدول غير الاسلامية فانهـــا تأكل الدماء فى صورتين :

الأولى : هى أكل الدم ذاته ، حيث يجمـــع ويعد بعد قتل الحيوان .

الثانية : بقتل الحيوان بطريقة لايسيل معها الدم ويبقى مختزنا بجسد الحيـــوان ، وذلك بدل ذبحه ـــ كمـــا فى الشريعة الاســـلامية ـــ وعلى ضوء ما ســـــبق من ألوان القتل التى تحدثت عنها المجلة (٥) .

ولأن الدول الاسلامية ـــ عادة ـــ ماتستورد لحوما من دول غير اسلامية ، وهذه ـــ بدورها ـــ لا تهتم بتنفيذ الذبح بالطريقة الاسلامية .

ثم من واقع الممارسة العملية فى هذه الدول

---

(١) هو السـمك .

(٢) سنن ابن ماجه ١١٠١/٢ دار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابى الحلبى وشركاه .

(٣ ، ٤) راجع مجلة الازهر ـ عدد رمضـــــان ١٤٠٤ ص ١٤٧٢ .

(٥) انظـر مجلة الازهـر ـ عدد رجب ١٤٠٤ ص ١٠٧٧ ـ ١٠٨٨ .

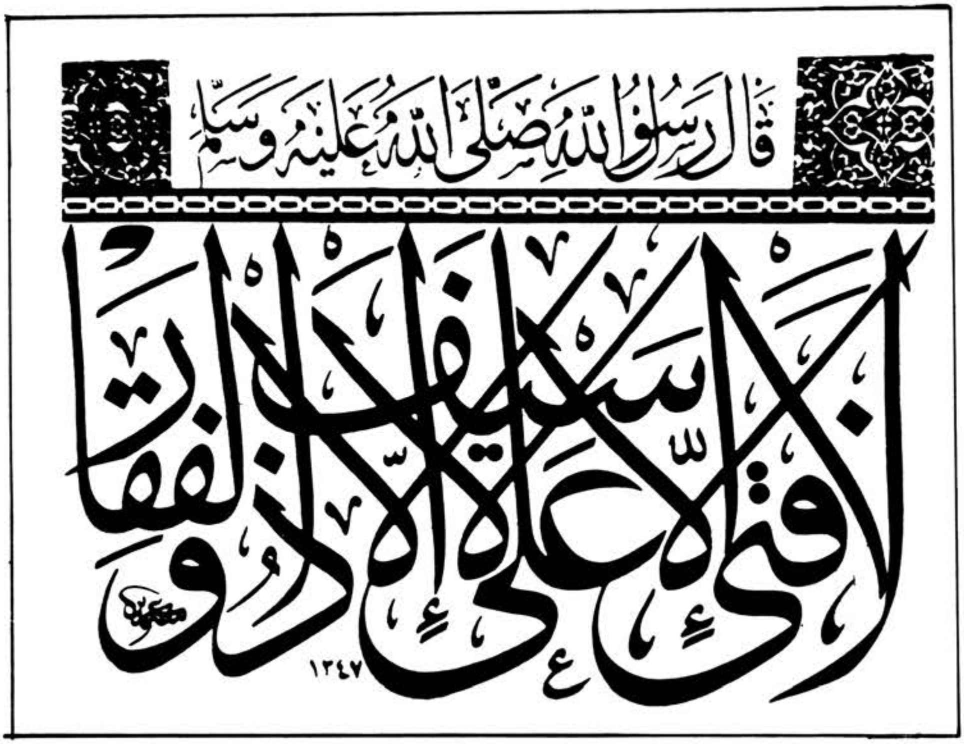

أثناء قيامنا بعمليات التفتيش على اللحــــوم اتضح لنا أمران فى غاية الأهمية :

أولا : عدم وجود التفتيش الجاد من جانب الدول الاسلامية ،واحدة واحدة — على طريقة الذبح ومعايشتها بداية ونهاية ، فلا يقوم بهذا الدور الا دول تعد على الأصابع .

ثانيا : والأسباب اقتصادية بحتة لزيادة وزن الحيوان الذى لم يذبح ذبحا شرعيا عما ذبح على الطريقة الاسلامية ، فانه — فى حال ذبح الحيوان على الطريقة الاسلامية — تخرج أكبر كمية من الدم عموما واذا كانت كميــة الدم داخل جسم الحيوان تمثل $\frac{1}{13}$ من وزنه فان الذبح الاسلامى يطرد — على الأقـل — $\frac{2}{3}$ كميــة الـدم الموجـودة داخـل جســم الحيوان .

وهذان الثلثان النازفان من الذبيحة الشرعية يعتبران « إدماء كاملا » لأن هذه الكمية هى التى تحمل « السموم ونواتج الأيض » المتجمع فى الشرايين والأوردة الكبيرة ، وبالتالى فانها تخرج مع الدم المسفوح خارج جسد الذبيحة

حرم ربكم عليكم : "الـدم"

الشرعية ، وما بقى بعد ذلك لا يحمل سموما داخل الذبيحة ، وبالتالى لايؤذى آكلا .

ويختلف الأمر – فى حال قتل الحيوان بطريقة يحتبس معها دمه – إذ فى هذه الحال لايخرج من الدم – اذا خرج – الا ¼ الكمية الموجودة بجسده على أقصى تقدير ، وتبقى الكمية الاكبر مرتعا خصبا لكل أنواع البكتريا كما سبق شرحه ، مضافا – الى ذلك سرعة التحلل نتيجة موت الحيوان .

لكن المورد يربح نتيجة ذلك ، فاذا افترضنا أن وزن الحيوان « ٤٠٠ » أربعمائة كيلو جرام فان كمية الدم الموجودة داخل جسده تمثل

$$٤٠٠ \times \frac{١}{١٣} = ٣٠ \text{ ك ج تقريبا}$$

بينما كمية الدم المستنزفة طبقا للذبح لاسلامى =

$$٣٠ \times \frac{٢}{٣} = ٢٠ \text{ ك ج تقريبا}$$

وأن كمية الدم المستنزفة بالطرق الأخرى=

$$٣٠ \times \frac{١}{٤} = ٨ \text{ ك ج تقريبا}$$

فيكون الفارق المختزن بجسد الحيوان فى حال عدم ذبحه بالطريقة الاسلامية =

$$٢٠ - ٨ = ١٢ \text{ ك ج تقريبا}$$

وحيث إن اللحوم المصدرة للدول الاسلامية يمثل – فيها كل ثمانية حيوانات نحو طن اذا خلت من العظام . واذا هى لم تخل منها يحتوى الطن على نحو خمسة حيوانات .

اذن يكون فارق الدم فى كل طن =

١٢ × ٨ = ٩٦ ك ج

فى حال اللحوم خالية العظم . و١٢ × ٥ = ٦٠ ك ج فى حال اللحوم بعظامها .

فاذا وضعنا فى الاعتبار أن الصفقة تمثل خمسة الاف طن مثلا – وهذه أبسط وأقل الصفقات التى تستوردها دولة اسلامية يكون :

فارق الدم فى اللحوم خالية العظم = ٩٦ × ٥٠٠٠ = ٤٨٠٫٠٠ طن

وفارق الدم فى اللحوم ذات العظم = ٦٠ × ٥٠٠٠ = ٣٠٠٫٠٠ طن

وحيث ان سعر الطن العالمى للحوم خالية العظم هو (١٧٠٠) ألف وسبعمائة دولار أمريكى ، و (١٥٠٠) ألف وخمسمائة دولار للحوم ذات العظم = اذن :

فارق الدولارات فى حال اللحوم خالية العظم = ٤٨٠ × ١٧٠٠ = ٨١٦٠٠٠ دولار

وفارق الدولارات فى حال اللحوم ذات العظم = ٣٠٠ × ١٥٠٠ = ٤٥٠٠٠٠ دولار

يتضح من ذلك قيمة الكسب الفاحش غير المشروع الناتج عن احتباس الدم بجسد الحيوان حيث يترجم الى (دولارات) تؤخذ فى غير مقابل فضلا عما يحتويه جسد الحيوان من سموم وأضرار عافانا منها الذبح الاسلامى وتحريم الدم على المسلمين

عمر عثمان والى

رئيس قسم اللحوم والمجمدات (كومبيصل)

دراسات فى السنة

أيرى النبى صلى الله عليه
وسلم يقظة ؟!

ماهكذا تورد ياسعد الابل

فوى الاستمرار

أيرى النبى صلى الله عليه وسلم
"يقظة ؟!"

كثر السؤال بين العامة والخاصة عن رؤية النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى اليقظة . وذلك بعد مشاهدة الجماهير لحلقات «ندوة للرأى» والتى أعلنت عن أحد المواطنين انه يرى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى اليقظة والحق يقال . أن السادة العلماء ضيوف الحلقة لم يعطوا الفرصة لضيف الندوة لكى يعلن لنا ماذا يدور بينه وبين سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما يلتقيا . وماذا يقول له . وهل الرسول أمره بتبليغ شىء ؟ أو أخبره بشىء ؟ أو ماذا يقول له عند اللقاء . لأن لقاء مثل هذا بحضرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لابد وأن يكون ذا أهمية كبرى لأن اللقاء جد خطير .

ولو أعطى الضيف الفرصة وتحدث الينا بحريته لأمكننا أن نحكم عليه . اما بالصدق أو بالكذب .. لأن صدق الرؤيا ينبىء عن صدق رائيها . وكذبها ينبىء عن كذب رائيها .

ان فائدة حصول ذلك انما تعود غالبا على الرائى فقط . ولا يجوز أن يثبت بها حكم شرعى كائنا ماكان ندبا كان أو غيره من سائر الأحكام الشرعية كما تعطيه قواعد الشرع المعلومة .

---

(١) قدم الكاتب ـ جزاه الله خيرا ـ مقاله بعنوان « القول الصحيح حول رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة » ولما كان هذا العنوان يوحى بانه الكلمة الاخيرة فى الموضوع ، آثرنا الرجوع الى العنوان الاول ليظل الباب مفتوحا لمن أراد أن يسهم فيه بعلم ودليل ، ونقدم هذا البحث الموعب على حلقتين فى عددين متتاليين بمشيئة الله ، قال صاحب البحث فى تقديمه للمجلة :

كنت ابحث موضوع "رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة" وذلك بعد حلقات التليفزيون (ندوة للرأى) وما قيل فيها وخاض فيه من خاض ، حتى قرات الموضوع فى مجلة الازهر عدد شهر رمضان ، ووجدت أن المجلة مشكورة على استعداد لنشر ما يكتب فى هذا الموضوع مما دفعنى ان ارسل بهذا البحث لعله ينال شرف نشره بمجلة الازهر الغراء ، ليُعرَف رأى الدين فى هذا الموضوع وماقيل فيه ، وقد اعتمدت فى بحثى هذا على أمهات الكتب الاسلامية وقد بينت مراجع البحث الحقيقية فى آخر صفحة من البحث ، وذلك ليرجع اليها من يريد بسهولة .

صلاح الدين

للأستاذ صلاح الدين عبد الحميد الهادى

ويقول ابن حجر فى فتح البارى :

وكذلك يقال فى كلامه — صلى الله عليه وسلم — فى النوم أنه يعرض على سنته فما وافقها فهو حق وماخالفها فالخلل فى سمع الرائى فرؤيا الذات الكريمة حق والخلل انما هو فى سمع الرائى أو بصره .

وقال : وهذا خير ماسمعته فى ذلك ثم حكى القاضى عياض عن بعضهم فقال :

خص الله نبيه بعموم رؤياه كلها ومنع الشيطان أن يتصور فى صورته لئلا يتذرع بالكذب على لسانه فى النوم . ولما خرق الله العادة للأنبياء للدلالة على صحة حالهم فى اليقظة واستحال تصور الشيطان على صورته فى اليقظة ولا على صفة مضادة لحاله اذ لو كان ذلك لدخل اللبس بين الحق والباطل وكذلك حمى رؤياهم أنفسهم ورؤيا غير النبى للنبى عن تمثيل بذلك لتصح رؤياه فى الوجهين ويكون طريقا الى علم صحيح لا ريب فيه ، ولم يختلف العلماء فى جواز رؤية الله تعالى فى المنام فقد جوز أهل التعبير رؤية البارى عز وجل فى المنام مطلقا ولم يجروا فيها الخلاف كما فى رؤيا النبى — صلى الله عليه وسلم —.

ثم قال ابن حجر : ان النائم لو رأى النبى — صلى الله عليه وسلم — يأمره بشىء لابد أن يعرضه على الشرع الظاهر . فان وافقه قبل وكان الشرع هو الحجة . وان خالفه فهو مردود ككل الهام خالف الشرع ولا يقال محل هذا ان كانت رؤيته فى النوم لا ان كانت فى اليقظة على فرض تجويز حصولها وامكانها لمن خصه الله بها من أكابر الأولياء لأنه قد علم أن الشرع الثابت من طريق النقل برواية العدول . هو الذى يجب التمسك به وترجى النجاة لمن وفقه الله تعالى للعمل به .

نعم — لا ننكر أن الولى يتقوى هو فى نفسه باخباره — صلى الله عليه وسلم — بالشىء النافع له ويكمل نشاطه للعمل به ويتبين له أنه صادق فى محبة رسول الله ومحبة اتباع شرعه . وأما اثبات الأحكام — بغير طريق النقل الثابت شرعا فلا قائل به ممن يعتد به من حملة الشريعة المطهرة البيضاء .

وانتهت الحلقات الثلاث دون الوقوف على حقيقة أمر الضيف أكان صادقا أم كان كاذبا . وأصبح الموضوع منذ تلك الساعة حديث العامة والخاصة من الناس وهم بين مصدق ومكذب. مما دفعنى الى البحث فى هذا الموضوع ليعرف رأى الدين فى هذه القضية . وتستريح نفوس الباحثين عن . حقيقة رؤية النبى — صلى الله عليه وسلم — فى اليقظة .

أخرج البخارى ومسلم وأبوداود عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

« من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى » .

وقال الحافظ ابن حجر : ووقع عند الاسماعيلى « فقد رآنى فى اليقظة » بدل قوله « فسيرانى » ومثله عند ابن ماجه وصححه الترمذى من حديث ابن مسعود .

وفى رواية أبى قتادة عند مسلم أيضا « من رآنى فقد رأى الحق » .

وله أيضا من حديث جابر « من رآنى فى المنام فقد رآنى فانه لا ينبغى للشيطان أن يتمثل فى صورتى » .

وفى رواية « من رآنى فى المنام فقد رآنى فانه لا ينبغى للشيطان أن يتشبه بى » .

وفى حديث أبى سعيد عند البخارى « فان الشيطان لا يتكوننى » أى لا يتكون كونى فحذف المضاف ووصل المضاف اليه بالفعل .

وفى حديث أبى قتادة عند البخارى « لايتراءى بى » بالراء . بوزن يتعاطى ومعناه لا يستطيع أن يتمثل بى يعنى أن الله تعالى وان أمكنه من التصور فى أى صورة أراد فانه لم يمكنه من التصور فى صورة النبى — صلى الله عليه وسلم —

ويقول الامام السيوطى فى كتابه الحاوى :

قال العلماء : اختلفوا فى معنى قوله « فسيرانى فى اليقظة » فقيل :

معناه — فسيرانى فى القيامة — وتعقب بأنه لا فائدة فى هذا التخصص . لأن كل أمته يرونه يوم القيامة . من رآه منهم ومن لم يره .

وقيل : المراد من آمن به فى حياته ولم يره لكونه حينئذ غائبا عنه فيكون مبشرا له أنه لابد أن يراه فى اليقظة قبل موته .

وقال قوم : هو على ظاهره فمن رآه فى النوم فلابد أن يراه فى اليقظة : يعنى — بعينى رأسه — وقيل : بعين فى قلبه . حكاه القاضى أبو بكر بن العربى وقال أبو جمرة فى تعليقه على الأحاديث التى انتقاها من صحيح البخارى :

هذا الحديث يدل على أنه . من رآه — صلى الله عليه وسلم — فى النوم فسيراه فى اليقظة وهل هنا على عمومه فى حياته وبعد مماته . أو هذا كان فى حياته ؟ وهل ذلك لكل من رآه مطلقا أو خاص بمن فيه الأهلية والاتباع لسنته عليه السلام ؟ اللفظ يعطى العموم ومن يدعى الخصوص فيه بغير مخصص منه — صلى الله عليه وسلم — فمتعسف .

وقال : وقد وقع من بعض الناس عدم التصديق بعمومه ، وقال على ما أعطاه عقله : وكيف يكون من قد مات يراه الحى فى عالم الشاهد ؟ قال : وفى هذا القول من المحذور وجهان خطران .

أحدهما : عدم التصديق لقول الصادق عليه السلام الذى لا ينطق عن الهوى .

والثانى : الجهل بقدرة القادر وتعجيزها كأنه لم يقرأ فى كتاب الله عن قصة البقرة وكيف قال تعالى :

« اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ » الآية ٧٣ من سورة البقرة .

وقصة سيدنا ابراهيم عليه السلام فى الأربع من الطير . وقصة عزير ، فالذى جعل

ضرب الميت ببعض البقرة سببا لحياته ، وجعل دعاء سيدنا ابراهيم سببا لاحياء الطيور بعد تقطيعها ، وجعل تعجب عزير سببا لموته وموت حماره ثم لاحيائهما بعد مائة سنة قادر أن يجعل رؤيته — صلى الله عليه وسلم — فى النوم سببا لرؤيته فى اليقظة .

الحاوى للسيوطى جـ ٢

والمنكر لهذا لا يخلو :

اما أن يصدق بكرامات الأولياء أو يكذب بها . فان كان ممن يكذب بها فقد سقط البحث معه فانه يكذب ما أثبتته السنة المطهرة بالدلائل الواضحة . وان كان مصدقا بها فهذه من ذلك القبيل . لأن الأولياء يكشف لهم بخرق العادة أشياء فى العالمين العلوى والسفلى عديدة . فلا ينكر هذا مع التصديق بذلك ا . هـ .

« من كلام أبى حجرة فى الحاوى » .

ويقول القسطلانى فى المواهب :

وقد شذ بعض القدرية فقال : الرؤية لا حقيقة لها أصلا قال . وقوله « فسيرانى » معناه فسيرى تفسير مارأى لأنه حق وغيب وأما قوله « فكأنما رآنى » فهو تشبيه ومعناه أنه لو رآنى فى اليقظة لطابق مارآه فى المنام فيكون الأول حقا وحقيقة والثانى حقا وتمثيلا قال . وهذا كله اذا رآه على صورته المعروفة فان رآه على خلاف صفته فهى أمثال . فان رآه مقبلا عليه مثلا فهو خير للرائى وعلى العكس فبالعكس .

وقال القاضى عياض : يحتمل أن يكون المراد بقوله « رآنى » أو « فقد رأى الحق » أن من رآه على صورته المعروفة فى حياته كانت رؤياه حقا ومن رآه على غير صورته كانت رؤيا تأويل .

وتعقبه النووى فقال :

هذا ضعيف بل الصحيح أنه يراه حقيقة سواء كانت على صفته المعروفة أو غيرها ا . هـ .

فتعقبه شيخ الاسلام ابن حجر فقال لم يظهر لى من كلام القاضى عياض ماينافى ذلك بل ظاهر قوله « أنه يراه حقيقة فى الحالين » لكن فى الأولى تكون الرؤيا مما لا يحتاج الى تعبير ، والثانية مما يحتاج الى التعبير وقال بعضهم : معناه « أن من رآه على صورته التى كان عليها » ويلزم من قول من قال : أنه لا تكون رؤيته الا على صورته المعلومة أن من رآه على غير صفته أن تكون رؤياه من أضغاث الأحلام ، ومن المعلوم أنه يرى فى النوم على حالة بخلاف حالته فى الدنيا من الأحوال اللائقة ولو تمكن الشيطان من التمثيل بشىء مما كان عليه أو ينسب اليه لعارض عموم قوله : « فان الشيطان لا يتمثل بى » فالأولى أن تنزه رؤياه وكذا رؤيا شىء منه أو مما ينسب اليه عن ذلك فانه أبلغ فى الحرمة وأليق فى العصمة كما عصم من الشيطان فى يقظته .

فالصحيح فى تأويل هذا الحديث : أن مقصوده أن رؤيته فى كل حالة ليست باطلة ولا أضغاثا بل هى حق فى نفسها ولو رؤى على غير صورته فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان بل هو من قبل الله وهذا قول القاضى أبى بكر بن الطيب .

ويؤيده قوله « فقد رأى الحق » أشار اليه القرطبى .

وقال ابن بطال : قوله « فسيرانى فى

اليقظة » يريد تصديق تلك الرؤية فى اليقظة وصحتها وخروجها (١) على الحق وليس المراد أنه يراه فى الآخرة لأنه سيراه يوم القيامة فى اليقظة جميع أمته . من رآه فى النوم ومن لم يره .

قال المازرى : ان كان المحفوظ «فكأنما رآنى فى اليقظة » فمعناه ظاهر .

وان كان المحفوظ : « فسيرانى فى اليقظة » احتمل أن يكون أراد أهل عصره ممن لم يهاجر اليه فانه اذا رآه فى المنام جعل ذلك علامة على أنه يراه بعد ذلك فى اليقظة . وأوحى الله بذلك اليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ

وقيل معناه فسيرى تأويل تلك الرؤيا فى اليقظة وصحتها .

وأجاب القاضى عياض ــ باحتمال أن يكون رؤياه له فى النوم على الصفة التى عرف بها ووصف عليها موجبة لتكرمته فى « الآخرة وأن يراه رؤية خاصة من القرب منه أو الشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات قال. ولا يبعد أن يعاقب الله بعض المذنبين فى القيامة بمنع رؤية نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ مدة .

وحمله ابن أبى جمرة على محمل آخر فذكر عن ابن عباس أو غيره أنه رأى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى النوم فبقى بعد اليقظة متفكرا فى هذا الحديث فدخل على بعض أمهات المؤمنين لعلها خالته ميمونة فأخرجت له المرآة التى كانت للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فنظر فيها صورة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولم ير صورة نفسه . كذا فى فتح البارى ج ١٢ .

ونقل عن جماعة من الصالحين أنهم رأوا النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى المنام ثم رأوه بعد ذلك فى اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم الى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك .

ويقول ابن حجر : بعد هذا الكلام : « وهذا مشكل جدا . ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة الخ » .

وأنكر ذلك جماعة منهم الامام بدر الدين الأهدل اليمنى احد فقهاء الشافعية فى كتاب الرؤيا . ومنهم صاحب فتح البارى ومنهم القرطبى شيخ القرطبى المفسر وقول ابن حجر: « لو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة » غير مسلم ، لأن شرط الصحابة بالمعنى المعروف شرعا رؤيته عليه الصلاة والسلام فى عالم الملك لا رؤيته فى عالم الملكوت فلا تحصل بها الصحبة لمن رآه مؤمنا به كما صرح به ابن حجر الهيثمى فى فتاويه الحديثيه والا : لثبتت لجميع أمته . ولفظه فى فتاويه « ولا يلزم من ذلك أن الرائى صحابى لأن شرط الصحبة الرؤية فى عالم الملك وهذه رؤية وهو فى عالم الملكوت وهى لاتفيد صحبة والا لثبتت لجميع أمته لأنهم عرضوا عليه فى ذلك العالم فرآهم ورأوه كما جاءت الأحاديث .

(١) اى حصولها على حق لا باطل فيه .. مجلة الازهر .

يتبع

صلاح الدين عبد الحميد الهادى

ما هكذا تورد يا سعد الإبل

لفضيلة الشيخ
عبد الظاهر عبد الكريم

– ٣ –

القرآن هو الأصل الأول للدين الاسلامى ، وحوله تدور كل الدلائل والأصول ، كما تدور النجوم بالشموس . ولو حل فيه شك أو تحريف ، فلا اسلام ولا ضياء ، وانما هو الظلام الدامس ، يلف بتراكمه – كل مسلم ومسلمة فى الوجود .

والسنة هى الأصل الثانى – بعد القرآن – تبين مجمله ، وتوضح مبهمه ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتفصل أحكامه .. الخ ، فان لم تسلم ، عميت السبل ، واشتبهت المسالك على كل مسلم ومسلمة فى الوجود .

وأصحاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – ورضى عنهم جميعا – هم الواسطة فى تبليغ الدين بكل فروعه وأسسه ، فان علقت بهم تهمة التحريف ، أو ثبت عليهم الكذب فقدت الثقة بكل الدين .

ودليل المسلم الحزين له اتجاه .. تحبه طائفة ، وينفر منه أضعاف أضعاف أضعاف ..... هؤلاء من المسلمين والمتعقلين من الباحثين . يحمده له من كان على شاكلته ... ويذمه عليه من لا يطمئن اليه .

وهذه المقالة تدور رحاها على نصوص، تشترك كلها فى بعدها عن الحقيقة، وفى الشطط. ولم تكن هناك ضرورة تدعو لحشرها فى المكان الذى وضعت فيه ، أو لذكرها رأسا ، فان المقام لا يستدعيها أو يتطلب تسجيلها – على الأقل بعضها .

ولكن للالحاح والتكرار تأثيرا ولو مع البطلان – كما قلنا سابقا . أو كما تقول العامة : (العيار اللى ما يصيب يدوش) .

وها أنذا أورد عليك النص الأول فانظر فيه . يقول فى ص ٣٨ : « ان القرآن لم يورد من أسماء معاصرى النبى – عليه الصلاة والسلام – غير اسمين اثنين لا غير ، أحدهما لمسلم ، وهو زيد بن حارثه . والآخر لكافر ، وهو

أبو لهب ، فما علة نزول سورة فيه بالذات ؟

وهذا استفهام وارد ومعقول ، لكن كان من المنتظر أن يشمل الاثنين : المسلم والكافر ، فما سبب الاقتصار على أحدهما فيه وفى الجواب ؟

أترك لك — يا قارئى — التفكير فيه ، لمعرفة الباعث عليه ، وأظن أنه ليس من الصعب عليك أن تتوصل اليه •

وكان المنتظر أيضا أن تأتى الاجابة عن هذا التساؤل تالية له مباشرة ، لكن — لأمر ما — فصل بين الاجابة والسؤال ، وحشر ما يلى :

صحيح أننا نعلم أن الصحابى عبد الله بن مسعود — وكان يعتبر نفسه أحد الثقات الكبار فى القرآن — ذهب الى أن نسخة القرآن التى أقرها الخليفة : عثمان بن عفان ، — رضى الله عنه ، محرفة غير كاملة ، واتهم زيد بن ثابت وأصحابه ممن جمعوا القرآن باستبعاد آيات تلعن الأمويين •

غير أن هذا الاتهام غير مقبول ، فقد كان على بن أبى طالب ، والكثيرون غيره من الصحابة أحياء وقت قيام زيد بمهمته ولم نسمع أن أحدهم أيد زعم ابن مسعود ، واحتج على استبعاد آيات •

وقد ردد هذا النص مرة أخرى بصورة فيها حذف ، وفيها اتساع ••• اتساع فى أمثلة التهمة وحذف لما هو فى الظاهر دفاع •

قال فى ص ٤٨ : وقد اتهمه — يريد عثمان — هؤلاء الخصوم بأنه قد حذف من مصحفه خمسمائة كلمة ، أوردتها مصاحف أخرى — كمصحف الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود •• منها « ان عليا لهو الهدى » وزعموا أنه حذف اسم عمر ، واستبدل به « فلانا » فى الآية الثلاثين من سورة الفرقان : « يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا » • وأنه أخفى سورة قصيرة كاملة على غرار سورة المسد ، تلعن قريبه أبا سفيان •

والملاحظ أن حيلة هؤلاء المحرفين لم تكن واسعة ، وأن موقفهم بحسب هذين النصين كان الى السلبية أقرب ، فانهم لم يزيدوا عن أنهم استبدلوا بعمر فلانا ، وأسقطوا سورة أبى سفيان ، وخمسمائة كلمة ، منها ان عليا لهو الهدى ، وان شئت فاجعلها خارجة عن هذا العدد ، فما الذى منعهم أن يضعوا فيه زيادة ، ولو بضع كلمات ترفع أناسا وتخفض آخرين؟

ولعلك يا قارئى — تقول : ان القرآن بليغ لا يقدر البشر أن يجيئوا بما يساويه أو يقاربه، فلو زادوا فيه لانكشف بها من زاد ، فلذلك حدث الاكتفاء بالاسقاط وتبديل اسم عمر ••

وأقول : أيعجز العربى البليغ أن يضع مثل : ان عليا لهو الهدى ، وهو عند المدعى قرآن ثابت ساقط ؟

ويلاحظ — ثانيا — أن النص الأول ذكر — دون ضرورة — ووضع فى دليل المسلم الحزين الى مقتضى السلوك فى القرن العشرين ، فما صلته بالسلوك ؟ ، ومثله الثانى • وأن عبد الله ابن مسعود ذكر فى النصين منعوتا — غالبا — بنعوت يستحقها ، وترك آخرون ، وهم فى التبجيل والتقدير سواء •

(و) ثالثا — هو يقول هذا الاتهام غير مقبول ، ومن حق القارىء أن يقول له : فلم ذكرته وأنت تقر أنه غير مقبول ؟ ثم لماذا

كررته ، وأنت تعلم أنه غير مقبول ؟ ثم .. ثم .. لماذا أسقطت من النص الثانى ما ظاهره أنه دفاع فى النص الأول .

(و) رابعا — علمه بالتحريف ، وباتهام زيد وصحبه، له مصدر ، فلماذا أخفاه عن القارىء ، مع معرفته أنه قد يحتاج اليه ، فربما استجلى به بعض الغموض ، وربما توسع فى بعض الجوانب ؟

(و) خامسا : زعم أنه علم بأن هذه التهمة صدرت من عبد الله بن مسعود ، وهذا ما يقطع الناس عليه أنه ليس علما ، فان العلم لا يكون الا مطابقا للمعلوم ، والمعلوم الواقع عن ابن مسعود غير هذا ، فان المؤرخين الذين عرضوا لهذا الموضوع ذكروا أنهغضب ، اذا لم يؤخذ رئيسا للجنة جمع القرآن ، أو على الأقل عضوا من أعضائها ، وقال — مقارنا بينه وبين زيد —: **والله لقد أسلمت ، وان زيدا لفى صلب رجل كافر ، ولقد أخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة ولزيد ذؤابتان يلعب مع الصبيان** ، وأين هذا منتهمة التحريف والاسقاط التى لم يتكرم دليل المسلم فيحدثنا عن رد فعلها فى نفس زيد وصحبه وأمير المؤمنين زيد وصحبه وأمير المؤمنين وحزبه .

ولست أدرى بم يجيب لو قال له القارىء : انى أعلم أنك لا تعلم بأن هذا الاتهام صدر من ابن مسعود ، فقد قرأنا ما ذكره الناس والمؤرخون فى هذا — مثل ما قرأت ، وربما أكثر ، ونعلم من أنفسنا أنا لا نعلم بصدور هذا الاتهام من ابن مسعود ، بل أزيدك شيئا وراء ذلك هو أنا نعلم أن ابن مسعود لم يتهم بذلك زيدا ولا عثمان ، وأنه شىء لم يكن له وجود أو كيان ، ويقال أيضا : لماذا لم يطلب ابن مسعود محاكمة زيد الى الصحف التى جمعها زيد نفسه فى عهد أبى بكر ؟

على أن مسألة الغضب أيضا فيها نظر ، فلماذا غضب فى عهد عثمان وجمعه ، ولم يغضب فى جمع أبى بكر ، وزيد فى ذلك الوقت كان أصغر سنا ، وابن مسعود كان أكثر نشاطا .

(و) سادسا — علل عدم قبول الاتهام بأن على بن أبى طالب وكثيرين غيره من الصحابة كانوا أحياء وقت قيام زيد بمهمته ، وقال : لم نسمع أن أحدهم أيد زعم ابن مسعود ، واحتج على استبعاد آيات .

وهذا التعليل الضعيف ربما يشير الى قبول الاتهام — زيادة مع العلم السابق — اذ أن الكاتب لم يسمع أنهم أيدوا زعم ابن مسعود ، فظل ابن مسعود وحده حاملا علم الاتهام أو الزعم . ومن الممكن أن يقول نابغة من نوابغ القرن العشرين : اننا لانجزم بأنهم لم يؤيدوه فى اتهامه ، وكل ما نستطيعه هو أننا لم نسمع بهذا التأييد ، ومن يدرينا فلعلهم أيدوه ، ولم يصل الينا هذا التأييد لأمر ما .

واذن فان كلمة « لم نسمع » وضعت هنا ليكون لها فعلها ، عن عمد وبقصد . ومما يدلنا على ذلك التكرار لهذا النص . والابتعاد فى الاحتجاج عن الآية الكريمة :

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » .

والاحتجاج بعدم السماح الذى لا ينهض

حجة على عدم الوجــود . ففى هــذا التعبير ما يعطى شيئا من التراجع عن عدم القبول ، أو إضعافا له . فلماذا لم يحتج بالآية الكريمة وتغاضى عنها . ولست جازما بأنه كان يجهلها ، أو أنه كان غافـــلا عنهـا ، وهى فيصــل فى الموضوع .

(و) سابعا : أن مؤاخذى عثمان — رضى الله عنه — عاتبوه على أشياء كان يرى أن له أن يفعلها ، وكانوا يرون أنه ينبغى أن يتنــزه عنها كما تنزه عنها صاحباه فهل عاتبه أحد فى هذا التحريف ؟

وما عاتبوه عليه لا يعتد به بالقياس الــى الاقدام على تغيير القرآن .

(و) ثامنا : لماذا نســب التحــريف الى مصحف عثمان الذى قرأته الأمــة ســابقا ، وتقرؤه حاضرا ، وستقرؤه مســـتقبلا ولم ينسب الى مصحف ابن مسعود الذى لم يقرأه من الأمة انسان ؟ ولماذا ابن مسعود — وحده — هو الذى يقول بذلك دون غيره من الصحابة وحفاظ القرآن وما سر تسترك على من أعطاك هذا التحديد خمسمائة كلمة ؟

(و) تاسعا : اذا كان التحريف ســهلا الى هذا الحد ، فلماذا لم يرفع عمر اسمه ، ويضع مكانه ما شاء ان كانت الآية كما يقال ؟

لماذا لم يرفعه عمر ؟ .

ولماذا لم يرفعه من قبلــه أبو بكر ؟ وكيف قدمه على كل أصحاب الرسول فى الخلافة ؟ وكيف رضوا به وبايعوه ، وخضعوا له ، ونفذوا أحكامه ، وتولوا من قبله الولايات ؟ وأخذوا منه العطاء ، وهم يرــون جميعا أنه مــذموم فى القرآن ؟ وفى هذا اتهام لكل الصـــحابة حتى لسعد بن عبادة . وما مكسب عثمان من تغيير اسم عمر ووضع فلان مكانه ؟

(و) عاشرا : قد يستطيع القارىء أن يفهم الداعى الى حذف الســورة التى كــانت تلعن أبا سفيان قريب عثمان ، وحذف الآيــة التى ترفع من شأن على : ان عليا لهو الهدى ، ولكنه لا يفهم الداعى الى بقاء المحذوف محذوفا — فى عهد على وعهد ابنه الحسن ، والأمة كلهــا تحت يده ماعدا الشام ، وكان الـدين والموقف الحربى والسياسى ، والنزاع بينه وبين معاوية وبنى أمية يستدعى الاثبات والارجاع .

وعبد الله بن الزبير ظل حاكما على البــلاد الاسلامية — ما عدا الشام — عددا من السنين تقارب العشر ، وكان بنو أمية يناوئون فى حكمه

فلماذا لم يحاول استرجاع السورة التى فيها لعن أبى سفيان ، والآيات التى تلعن بنى أمية ومنهم بنو مروان ؟

واذا كان عبد الملك بن مروان يقدم بالباطل — عن طريق ، الفقيه التقى الصالح بن شهاب الزهرى — على وضع أحاديث تجعل الحج الى بيت المقدس بمثابة الحج الى مكة ، ليصــد الناس عن الحج اليها خشية أن يجبر عــدوه عبد الله بن الزبير الحجــاج الوافدين مــن الشام على مبايعته خليفة للمســلمين ص ٤٦ فكيف ينكص عبد الله بن الزبير عن استرجاع ســورة من القــرآن تلعن زعيم بنى أمية ، والآيات التى تلعنهم أجمعين ؟ فبم تعلل هذا الموقف الغريب ؟

وفى النهاية أقول : ياهذا ان المسلمين قتلوا الخليفة الثالث عثمان من أجل شىء تافه اتهم به ، وهو محاباة بعض أهله من بنى أمية فى الولاية ، وفى شىء من المال ، فكيف سكتوا عن تحريف القرآن ووافقوا عليه ؟

والله لو أن عليا وعثمان وعمر وأبا بكر — رضى الله عنهم وحاشاهم — مجتمعين ، حاولوا تحريف القرآن والزيادة فيه أو النقص منه لضربت أعناقهم جميعا ، فدعنا يا قارئى من هذه الترهات التى تنقل عن أعداء الدين فى الماضى والحاضر ، والتى ليس فيها من جديد ، واتجه بنا الى شىء آخر أو نص آخر ، ولا تسل عن السبب فى أن النص الأول يعم بنى أمية حتى عثمان ، والثانى يخص أبا سفيان ، فان العقل ، والدين ، والتاريخ ، كل هذا يقضى بأن شيئا من ذلك ما كان •

وان أحببت أن تعرف هذا التحريف ، أو تتوغل فى ذلك التخريف فعليك بما قاله الروافض فى القديم وفى الحديث •• فاقرأه مقرونا بالرد عليه من الأساتذة البحور ، والنقد له من الأشياخ الصدور ولله فى، وفيك أمر هو بالغه ، وتقدير هو منفذه ، فادع لنا جميعا بالهداية والتوفيق والسداد • وألمح بوجهك أنك ستفعل — ان شاء الله — وبجوار هذا ألمح نظراتك أنك تقتضينى وعدا قد سبق منى اليك وأنك تطالبنى بتنفيذه ، وبذلك ستصرفنى عن اتمام ما قصدت اليه ، فأعود بك الى نص المستشرق الذى عرضنا له فى المقال الأول ، والذى نقله فى ص ٦٤ ونصه : يرى بعض المستشرقين أن عثمان هذا — يريد عثمان بن مظعون — وعبيد الله بن جحش وغيرهما ممن هاجر من المسلمين الى الحبشة كانوا رجالا ذوى عقيدة دينية قوية اعتنقها بعضهم حتى قبل ظهور الاسلام ، وأن اختلاف عقيدتهم عن عقيدة سائر المسلمين هو السر فى انتقاء الرسول لهم ليهاجروا الى الحبشة ، وهو السر فى أن الكثيرين منهم بقوا بها ، ولم يلحقوا بالمسلمين فى المدينة حتى السابع الهجرى •

وعهدنا بدليل المسلم أنه لا يرضى عن جمال الدين الأفغانى ولا محمد عبده ومن لف لفهما بزعم أن محاولاتهم التى قاموا بها ، وتصديهم للمستعمرين ، ولمن طعن فى الدين ، تغلب عليها نزعة عقلية هى نزعة أوربية محضة ، وأن أفكارهم تأثرت بالتيارات الفكرية السائدة فى المدنية الغربية ، وأن القيم التى تبنوها — كلها أو جلها — من قيم الغربيين المستعمرين ص ٥٩ فما باله يرضى وعن نفسه ولنفسه أن ينقل الفكرة والمعنى واللفظ عن الغربيين طورا ، وطورا بعض ذلك ؟ مع أن لمحمد عبده وجمال الدين من العذر ما ليس له •

وفى اطار هذه التبعية يقول فى ص ٦٣ – ٦٤ : كان النبى شديد الخشية من أن يحدث هؤلاء النفر فى الدين ما ليس منه وكان يعلم مدى تأثرهم بالنصرانية وبنمط عيش رهبانها فى زمن الجاهلية ، فكتب السيرة تحدثنا مثلا عن أربعة هم ورقة بن نوفل ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، وزيد بن عمرو ابن نفيل ، كفروا فى الجاهلية بعبادة الأصنام ، والتمسوا لأنفسهم دينا يؤمنون

فأما ورقة فاعتنق المسيحية واستحكم فيها ،

◄

وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الحيرة حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين الى الحبشة ، فلما قدمها فارق الاسلام وهلك هناك نصرانيا . وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده ، وأما زيد فلم يدخل فى يهودية أو نصرانية ، وفارق دين قومه ، واعتزل الأوثان والميتة والدم ، ونهى عن قتل الموءودة ، وقال : أعبد رب ابراهيم .

وربما كان عثمان بن مظعون أحد هؤلاء المسمين بالحنفاء ، فكتب السيرة تذكر أنه أحد من حرم الخمر فى الجاهلية . ونلمح الى أنه تطرف فى الزهد والتقشف تطرفا عابه النبى عليه .

ويقال لدليل المسلم : ان عثمان بن مظعون لا يمكن أن يدخل فى عداد الحنفاء الذين كانوا فى الجاهلية فالحنيفى من تخلى عن عبادة الأوثان ، ودان بالوحدانية لله . ومن هذا المنطلق كانت الاشارة فى المقال الثانى الى أن هؤلاء الذين ذكرهم هنا لا يدخلون فى هذه الدائرة ، والى أن قريشا لم يكن فيها هذا العنصر . وتحريم الخمر له دواع لا تنحصر فى التدين ، وليس كل من حرم الخمر كان حنيفيا .

وكلام أستاذك الذى فتح لك الباب كلام غامض ، غير واف ولا محصول له .

أما أنه غير واف فلأنه لم يتعرض لعقيدة اللاتى هاجرن مع هؤلاء الرجال ، وأما أنه غامض ولا محصول له ، فلأنه يتحدث عن عقيدة دينية قوية ولا يفصح عن المراد بها ، فهل هى الاستعداد للتدين ؟ وهو أمر فطرى مركوز فى جبلة الخلائق من بنى الانسان ، وهم فيه مشتركون .

هل هى العقيدة التى كانوا عليها فى الجاهلية ؟ فلماذا اضطهدوا وغادروا أرض الحجاز ، ونسبوا الى من جاء بالتشريع فقيل : أصحاب رسول الله .

هل هى العقيدة الاسلامية التى بسببها تركوا مكة وهاجروا الى القطر الحبشى ، فكيف اعتنقها بعضهم قبل ظهور الاسلام ؟

ثم من هو البعض الذى اعتنق هذه العقيدة قبل الاسلام ؟

ان من كان له تفكير فى هذا الميدان ، من هؤلاء المهاجرين والمهاجرات ، هو عبيد الله بن جحش ، وظل متحيرا ، لا يعرف عقيدة ، ولا يعتنق دينا حتى جاء الاسلام فأسلم ، ولما هاجر الى الحبشة تنصر ، وهلك هناك نصرانيا ، فهل يوصف مثل هذا فى تقلبه وتنقله من الوثنية الى التحير ، الى الاسلام ، الى النصرانية بأنه صاحب عقيدة دينية قوية ؟ وان صح أن يوصف المتقلب بهذا ، فبم يوصف الثابتون ؟

واذا تأملت كلامه — يا قارئى — وجدته غير منطبق بحذافيره على أحد ، فأين محصوله الذى يحتوى عليه ؟

وربما كان قوله : « اختلاف عقيدتهم عن عقيدة سائر المسلمين هو السر فى انتقاء الرسول لهم ليسافروا الى الحبشة .. دليل على أن المراد بالعقيدة الاسلامية ، ولكن كيف يختلفون فيها عن سائر المسلمين ؟ ألهم عقيدة

فى الاله ، وفى النبى . والتزام فى الفرائض والتكاليف تغاير عقيدة المسلمين والتزامهم ؟ وكيف يحسبون — اذن — من المسلمين ؟ وهل يختلف جعفر بن أبى طالب المهاجر الى الحبشة عن أخيه على بن أبى طالب المقيم فى مكة فى شىء من هذا ؟

هل تختلف أسماء بنت عميس المهاجرة عن أختها التى كانت تقيم فى مكة فى كثير أو قليل من هذه الشئون ؟

ألهؤلاء المهاجرين حماس للدين الاسلامى ، وتعلق بتعاليمه ، وقيام بتكاليفه وارتباط أكثر وأقوى من تعلق من بقى ؟ وكيف وفى الباقين أبو بكر وحمزة وعلى ، وعمار وبلال ، وصهيب وخباب ومن على شاكلتهم ، وهم — ان لم يزيدوا عن هؤلاء فى هذه المعانى — لا ينقصون ؟ وهم — قطعا — أعظم منهم احتمالا للعذاب ، وصبرا على ما ينوب .

وزعم الأستاذ أن اختلاف عقيدتم عن عقيدة سائر المسلمين هو السر فى انتقاء الرسول لهم ليهاجروا الى الحبشة ، يخالف زعم التلميذ سابقا أنه هجرهم من أجل اكتشاف طريق التجارة يكسر به حلف الفضول احتكار سلاح التجارة لحلف الأحلاف فمن يتابع القارىء ؟ الأستاذ ؟ أم التلميذ ؟ أم التاريخ الذى يعى ما يقول ؟ وفى الوقت نفسه يخالف المعروف من أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يختار المهاجرين ، وانما كانوا يستأذنون فيأذن لهم : أو يمنع ويشير الى هذا أن أبا بكر أراد أن يهاجر الى المدينة قبيل هجرته فاستأذن فلم يأذن له الرسول ، فبقى بمكة حتى هاجرا معا ، اطاعة لقوله تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ » .

وقد استأذنه قبلها فأذن له ، ولكن ابن الدغنة أجاره بعد فرجع .

واذا كان اختلاف عقيدتهم عن عقيدة المسلمين هو السر فى انتقاء الرسول لهم ليهاجروا ، فلماذا قبلهم عندما رجعوا اليه فى مكة ؟ ولماذا فرح بهم عندما جاءوا اليه فى المدينة ؟

لعلك — يا قارئى — ترى أن الاختلاف بين عقيدتهم وعقيدة باقى المسلمين قد زال .

وأقول : بم والأحباش لم يقوموا لهم بغسيل مخ ، ولم ينوموهم تنويما مغناطيسيا ؟ والرسول لم يرسل اليهم من يحاول التوفيق بينهم وبين باقى المسلمين بتنازل عن بعضها من هؤلاء ، أو أولئك أو منهما معا ؟

واذا كان اختلاف العقيدة هو السر أيضا فى بقاء الكثيرين منهم هناك الى العام السابع الهجرى ، فما سر رجوع من رجع واختلاف العقيدتين مازال قائما ؟

ومن حق القارىء على دليل المسلم وأستاذه العلامة أن يطالب بابراز الدليل التاريخى على اختلاف العقيدة بين الطائفتين ، ومظاهر هذا الاختلاف ، وعلى أنه هو السر فى انتقائهم للهجرة ، وأنه السر أيضا فى بقاء من بقى هناك ، وببيان السر فى رجوع من رجع على أساس الاختلاف المزعوم .

وهذا ياقارئى — دينك الذى تقاضيتنى اياه، بذلته لك ووفيتك فعد بنا الى شىء آخر فى

هذا الفصل لننتهي منه ، عد بنا الى رأيه فى « سورة المسد » والى مخالفته كل المفسرين أو جلهم — كما يقول فى ص ٣٤ .

يرى دليل المسلم الحزين أن «سورة المسد» مدنية ويغمز المفسرين الذين ذكروا أنها مكية فيقول : الغالب فى رأينا أن السورة انما نزلت عقب ورود الخبر بوفاة أبى لهب بعد وقعة بدر عام ٢ هـ /٦٢٤ م بزمن قليل (قيل سبعة أيام كما يروى ابن هشام) ... أما ما ورد فى التفاسير من أن آية « تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ » هى من قبيل الاجابة على قول أبى لهب للنبى : تبا لك : فكثيرا ما يخترع المفسرون القصص ويختلقون المناسبات من أجل تفسير الآيات وبيان أسباب نزولها . ص ٣٥

وفى ص ٣٧ يقول : على أى حال فان القول بأنه « سيصلى نار ذات لهب » ربما كان فيه دليل آخر على أن السورة مدنية لا مكية ، وعلى أنها نزلت بعد وفاة أبى لهب حين انقضت فرصة اعتناقه الاسلام والتوبة والفرار بنفسه من النار .

وأقول : يعنى العلماء بمعرفة المكى والمدنى — سورا وآيات — لما يترتب على ذلك من معرفة الناسخ والمنسوخ من الاحكام ، ولادراك تدرجها واستقرارها ، وما أشبه ، فليس هذا من قبيل الترف العقلى ، ولا من الباب الذى يقال فيه بالرأى ، وانما المرجع فيه الى النقل الصحيح .

وقد اختلفوا فى آيات وفى أكثر من سورة ، فما السر فى أن دليل المسلم اختار هذه السورة وأخرجها من باب المكى وأدخلها فى باب المدنى ولم يتحدث عن غلط المفسرين — ان كان رأيهم غلطا — فى غيرها من السور أو الآيات ؟

السر فى هذا أن علماء التفسير والحديث والكلام ذهبوا الى أن هذه السورة آية دالة على صدق الرسول وعلى ثبوت نبوته من حيث وقوع الشىء الذى أخبر بوقوعه طبقا لما أخبر به .

ودليل المسلم لا يحب الاكثار من ذكر هذه الآيات ، ولذلك لا يعول على عيون الأثر والمواهب اللدنية والسيرة الشامية والحلبية .. ولا على كتابات ابن خياط وابن حزم وابن الجوزى وأبى الفدا والنويرى والذهبى وابن كثير وابن خلدون والمقريزى والديار بكرى وابن العماد وتاريخ ابن الأثير ، وان عول على الاغانى والاشتقاق والكامل ، والاصنام ... الخ .. ص ٢٣ ، ٢٤ **ومن هذا المنطلق يفضل** كتابة المتقدمين **فى السيرة لأن الصدق فيها أوفر ، وحديث المعجزات فيها أقل .**

ص ٢١ وفى ص ٢٦يتحدث عن مؤلفات المسلمين فى هذا القرن ، فيمدحها بقلة نسبة المعجزات والخرافات فيها وان عابها من جهة أخرى .. ويقول فى ص ٢٤ : بمرور الزمن على وفاة النبى تضاءلت فى الكتب والاذهان ملامح الصورة الواقعية الحية لنبى بشر من لحم ودم . ونمت الخرافات التى لا يقبلها عقل ، وقصص المعجزات التى لم ينسبها النبى الى نفسه ، ولا الصحابة اليه ، ولا تحدث عنها القرآن الذى لم يترك فى سبيل اقناع خصوم الدين بصدقه — دليلا من دلائل نبوة محمد لم يذكره .. أ . هـ .

هذا هو السبب الذى حمله على ما قــال ، فان أحببت أن تعرف طريقة علماء المسلمين فى تدليلهم فاستمع لما يقوله صاحب تثبيت دلائل النبوة فى ص ٣٦ وما بعدها عنــد ما عــرض لأشياء نزل القرآن بها قبل كونها :

فمن ذلك قصة أبى لهب،وقد كان من المؤذين لرسول الله ــ صلى اللــه عــليه وســلم • والمجردين فى مكروهــه ، وطلب نفســه ، وفى الصد عن اتباعه ، فبشره الله بأن ذلك لا يضيره ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولايغنى عــن أبى لهب فيما قصد ما كسب من جاه ومال وأهــل وولد وصداقة واخوان ، وأنه يخسر ذلك كله ، وأنه وامرأته يموتان على الكفر به ويصـــيران الى النار ، نزل ذلك بمكة وهما حيان سليمان ، فكان ذلك كله على ما قال وعلى ما أخبر وكمــا فصل وفسره •

وهذه غيوب كثيرة لا يكون مثلها بالاتفــاق ولا بالحدس ولا بالزرق (الخداع) ولا يتفق لحذاق المنجمين أقل القليل من هذا •

ومن عجيب الأمور أنها نزلت بمكة ، وتلاها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وسمعها أبو لهب وجميع أعداء رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من قريش والعرب وغيرهم،وهم أعوان أبى لهب ، فهاجهم هــذا القــول فى عداوته . وزاد فى غيظهم وحنقهم ، وأذكرهم بنفسه وهو معهم وفى أيــديهم وفى قبضتهم ، فما ضره ، ولا تم لهم أمر فى الظفر بقتله ، ولا على زلة يتبين فيها كذبه وسقوط قوله • وهذا لا يقدم عليه العاقل الا وهو على غاية الثقــة بما يقول ؛ ورسول الله ــ صــلى الله عليــه وسلم ــ ممن لا يدفع عدوه عقله •

ومنذ نزلت هذه السورة والى هذه الغايــة يحرص أعداء رسول الله ــ صلى الله عليــه وسلم ــ أن يجدوا فى ذلك مطعنا فما وجدوا ، وقد رجع بعضهم الى بعض فى ذلك وتشاوروا وتعاضدوا وتعانوا ، فكان عليــه (غــاية) ما انتهى اليه كيدهم أن قالوا : لما رأى عمــه وامراته قد صمما فى تكذيبه وعداوته قال ذلك فيهما •

قيل لهم • قبل كل شىء قد تم مــا قــال على ما فسر وشرح ، وحصل ذلك على وجه انتقضت العادة به ، وظنونكم هذه لن تقــدح فى هــذا العلم ، وهذا كاف فى جوابكم •• الخ •

وابن هشام فى سيرته لم يكتف باثبات أنها مكية ، ومضى لسبيله ، بل أضـــاف الى ذلك شيئا يؤكد هذا المعنى أكثر . قال فى ص ١٥٤ جـ ٢ : قال ابن اسحاق : فذكر أن أم جميــل حمالة الحطب حين سمعت ما نزل فيهــا وفى زوجها من القرآن أتت رسول الله ــ صلى الله عليهوسلم ــ وهو جالس فىالمسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق ، وفى يــدها فهر مــن حجارة فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلا ترى الا أبا بكر •

فقالت : يا أبا بكر ، أين صاحبك ، فقد بلغنى أنه يهجونى ؟ والله لو وجدته لضربت بهــذا الفهرفاه ، أما والله انى لشاعرة ثم قالت :

مذمما عصينا　　وأمره أبينا　　ودينه قلينا

ثم انصرفت •

فقال أبو بكر : يارسول الله ، أما تراهــا

رأتك ؟ فقال : لقد أخذ الله بصرها عنى • قال ابن هشام « ودينه قلينا •• عن غير ابن اسحاق

وابن اسحاق الذى نقل ابن هشام كلامه امام فى المغازى والسير •

قال ابن شهاب : : من أراد المغازى فعليهبابن اسحاق ، وروى عن الشافعى قريب من هذا ، وكان أصحاب الزهرى يلجئون الى ابن اسحاق فيما شكوا فيه من حديث الزهرى . وقد ولد فى سنة ٨٥ هـ وتوفى فى ١٥١ هـ •

ولا أظن أنه يتهم فى هذه الحادثة باختراع أو اختلاق المناسبات كما اتهم بذلك المفسرون فلا تفسير هنا ولا مناسبات • وهو — عنده — من الأربعة الذين لا مطعن على مؤلفاتهم فى السيرة ص ٢٣ •

وقول الدليل : ان القول بأنه « **سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ** » ربما كان فيه دليل آخر على أن السورة مدنية لا مكية وعلى أنها نزلت بعد وفاة أبى لهب حين انتفضت فرصة اعتناقه الاسلام والتوبة والفرار بنفسه من النار . قول تشتم منه رائحة غير طيبة • قول يشتم منه آن صاحبه ممن يزعمون أن القرآن من عند محمد وليس من عند الله يشتم منه أن محمدا غير صادق فى أن هذا كتاب أنزله الله وحيا اليه ، فانه رسوله ونبيه • يشتم منه أن محمدا انتظر حتى مات عمه ، وقال فيه ذلك ، لأنه أمن أن يكذبه ويتظاهر بالدخول فى الاسلام . أمام الناس فان محمدا لا يعلم الغيب •

لكن ان كان محمد لا يعلم الغيب فهل يكون ربه مثله فى ذلك ؟ وهل يخشى أن ينزل سورة «المسد» فى مكة ، وأبو لهب حى،فيعلن اسلامه أمام قريش ليقيم الدليل على أن ما قيل فى هذه السورة لا يمكن أن يكون صادقا ؟ أو صادرا من صادق،ويكفيك هذا لتعرف شناعة ذلك الاتجاه•

« **سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ** » للاستقبال بدلالة السين . فالمعقول بحسب اللغة أن يكون ذلك قبل موته لا بعد موته فان النار له بالمرصاد بعد الممات : « **أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا** » • « **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا** » •

وأنت عندما تتوجه اليه لسؤاله عما اعتمد عليه فى مدنية هذه السورة يجيبك :

اقوى دليل على صحة مانذهب اليه هو ماورد فى الطبقات الكبرى لابن سعد — وهو ثقه من أنه حين توفى أبو طالب . وخلفه آخوه أبو لهب فى زعامة بنى هاشم لزم النبى بيته . وأغل الخروج ،ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع فيه•

واذ بلغ ذلك آبا لهب جاء الى النبى فقال : يامحمد امض لما أردت . وماكنت صانعا اذ كان أبو طالب حيا فاصنعه لا واللات والعزى لا يوصل اليك حتى أموت ص ٣٥ •

هذه القصة فى الطبقات لا يمكن تصور حدوثها ان كانت سورة المسد قد نزلت فى مستهل الدعوة . اذ ليس من المعقول أن يصر أبو لهب على حماية النبى بعد وفاة أبى طالب عام ٦١٩ « قبل الهجرة بثلاث سنوات فحسب» ولا أن يقبل النبى منه هذه الحماية . وقد جاء فى القرآن بشأنه وشأن امرآته ما جاء ص ٣٦ •

هذا دليه فالام يرجع ؟

يرجع الى استنباط من واقعه لا يقطع

بصحتها ذكرها ابن سعد . فهبه كان مصرحا بأنها مدنية فماذا يكون ؟ أظن أن قواعد التحقيق العلمى لا ترضى أن يوضع كل المفسرين وعلماء الكلام ومن يحتج بأنها آية على نبوة الرسول فى كفة ، ويوضع ابن سعد — وحده — فى كفة ، مقابلا لهم ، ثم يحكم برجحان كلامه على كلامهم جميعا ، وأظن أيضا أنه لا يقبل اتهام كل المفسرين بأنهم يخترعون القصص ويختلقون المناسبات من أجل تفسير الآيات وبيان أسباب نزولها . الا اذا كان باحثو القرن العشرين وضعوا قواعد فى مثل هذه الأمور خارجة عن مجال العقول .

على أن هذا الخبر الموجود فى الطبقات لم يقل به كل كتاب السيرة ، ومعنى ذلك واضح لكل ذى عينين . وعلى فرض ثبوته فانه لا يصلح دليلا على أن السورة مدنية فقد ذكرت أنت أن أبا طالب توفى قبل الهجرة بثلاث سنوات . وقطعا لم تكن حماية أبى لهب لابن أخيه مستغرقة لها كلها . فقد ذكرت فى ص ٣٦ أن رسول الله مكث أياما يذهب ويأتى لا يعترض له أحد من قريش . وهابوا أبا لهب . وذكرت فى ص ٤٠ ، ٤١ أنه بعد عام أو بعض عام ... سعت قريش الى أن تشترى ذمة أبى لهب وكلل سعيها بالنجاح . فعلى أقل تقدير كان بين تخلى أبى لهب عن حمايته للنبى وهجرته سنتان . أفما كان هذا الزمن كافيا لا نزال سورة المسد على الرسول ، ويصدق عليها حينئذ أنها مكية بكل الاعتبارات فى المكى والمدنى ، ولست أظن أن هذا داخل فى عداد المستحيلات .

على أنى لا أدرى بماذا تجيب لو أن شخصا قلب عليك دليلك الذى استندت اليه فقال : ان خبر بن سعد غير صحيح فليس من المعقول أن يصر أبو لهب على حماية النبى بعد وفاة أبى طالب . ولا أن تتركه أم جميل يقوم بهذه الحماية . ولا أن يقبل النبى أن يدخل فى رعايته وتحت حمايته ، وقد جاء فى القرآن بشأنه وشأن امرأته ما جاء .

والحقيقة الواضحة من مواقف أبى لهب تدعونا الى طرح ما جاء عن ابن سعد ، فان أبا لهب لم يقف مع بنى هاشم فى جاهلية ولا اسلام الا فى موطن واحد — ان صح ولا كان بنو هاشم ينظرون اليه نظرتهم الى شخص قريب القرابة يجدونه عند الشدة أو يتصلون به عند الضيق . ويتجابى لك هذا فيما يلى :

١ — كان أبو طالب فقيرا كثير العيال . مع فقره كان سيد بنى هاشم بعد موت أبيه .

ويقول المؤرخون : لم يسد فقير قط الا أبو طالب وعقبة بن ربيعة . وكان أبو لهب غنيا . وأصابت قريش مجاعة . فذهب النبى الى عمه العباس وقال له : ان أخاك أبا طالب كثير العيال ، قليل المتاع . وقد أصاب قريشا ما تعلم فلنخفف عنه حتى تنجلى هذه الضائقة . فذهبوا اليه ، وأخذ النبى عليا ، وأخذ العباس جعفرا ، ويقال ان حمزة أخذ ثالثا . فهل ذكروه معهم أو قام ، وهو الغنى ، بمثل ماقام به هؤلاء ؟

٢ — كان للنبى عندما بعث أربعة أعمام ، لم يؤذه منهم الا أبو لهب ، فخالف بذلك سيرة اخوته مع ابن أخيهم

٣ — عندما غضبت قريش على النبى أمر

إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون

أبو لهب ابنيه بطـلاق ابنتى النبى ــ عليـه السلام ــ وكان هذا مما يكرهه النبى وبـاقى أعمامه .

٤ ــ عندما انحاز بنو هاشم وبنو المطلب ــ مسلمين وكفارا ــ الى أبى طالب فى نصرة النبى ودخلوا معه فى شعبه خرج من بينهم أبو لهب وظاهر قريشا على اخوته وبنى اخوته ، وبنى عمومتهم .

٥ ــ لما أضرت مقاطعة قريش ببنى هاشـم وبنى المطلب كان من قريش من يرسل اليهم الطعام والملابس والبر ليلا خفية من قريش كحكيم بن حزام الأسدى وهشام بن عمـرو العامرى ، ولم يصنع أبو لهب الهاشمى شيئا من ذلك وهذا يدعونا الى رفض حماية أبى لهب ــ بعد وفاة أبى طالب ــ للنبى ، والى رفض زعامته لبنى هاشم ، فالمعقول أنهم لا يرضون به زعيما ، وقد رفض أن يكون معهم فى بلوى ، أو يخفف عنهم فى شدة ، أو يشاركهم فى بأساء، أو نتوقف ــ على الأقل فى شأنه فلا نبنى عليه أحكاما .

وعندما تتأمل ماقلناه يتضح لك أن قـوله فى ص ٤٠ ، ٤١ : أدركت الأحلاف أنه لن يكون بوسعها ممارسة الضغط على النبى وعلى بنى

هاشم الا أن جاء الضغط من داخل رهط بنى هاشم أنفسهم ، وبالتالى فقد سعت ، وكلل سعيها بالنجاح الى أن تشترى ذمة أبى لهب وأن تحوله عن انتهاج السياسة التقليدية لبنى هاشم . بل وعن مراعاة المصالح الاقتصادية لعشيرته ، الى خيانة هذه المصالح فى سبيل

نفع شخصى ، فالأرجح — اذن أنها أغرته بحصة من أرباحها ، أو بالاشتراك معها فى عملياتها التجارية واحتكارها . كلام لا يخرج عن دائرة الفروض ، وما هكذا يكون البحث والتحقيق .

وتصويره أن هذه العملية قام بها الأحلاف خطأ علمى تاريخى ، ذلك أن أكبر معارضى النبى فى ذلك الحين كانوا بنى أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، وكان بنو عبد شمس جميعا من حلف المطيبين الذى هو ضد حلف الأحلاف وادعاؤه أن الأحلاف سعت الى أن تشترى ذمة أبى لهب ... الخ تفسير للأمور لايستقيم الا فى ذهن طائفة مخصوصة ، ولو قيل : ان الأحلاف لم تكن بهم حاجة الى شىء من هذا كله لكان الى الصواب أقرب ، وفى العقول أدخل .. فان أبا لهب معهم على بنى هاشم وعلى النبى على طول الخط ، وسوابقه تدل على أنه معهم بدون شىء ، والا فهل نستطيع أن نقول: انهم اشتروه أيضا عند المقاطعة ، وعند الأذية للرسول بالاضافة الى أن بنى هاشم كانوا قد ... وا بعد وفاة أبى طالب ، بدليل أن النبى لم يستطع أن يدخل مكة الا فى جوار المطعم ابن عدى ، وبدليل ضرب على فى مكة بعد أن اكتشفوا أن النبى هاجر ، وبدليل أنهم أكرهوا

على أن يخرجوا فى غزوة بدر لمقاتلة النبى مع كراهيتهم لذلك ورغبتهم فى البقاء ولكن أبا جهل أصر على خروجهم فخرجوا مكرهين ، ومن أجل هذا الاكراه قال طالب بن أبى طالب ما قال ، وفعل ما فعل .. قال :

يارب اما خرجوا بطالب
فى مقنب من تلكم المقانب

فاجعلهمو المغلوب غير الغالب
واجعلهمو المسلوب غير السالب

ثم انسل فضرب فى الأرض فلم يعرف له خبر .

وبدليل ما قاله أبو جهل للعباس فى شأن رؤيا عاتكة قبل موقعة بدر .

ومثل هذه الفروض التى يجىء بها ولا تتصف بالقبول فرضه الآتى : ان كان النبى قد دخل فيما بعد فى جوار المطعم بن عدى ، سيد بنى نوفل ، فالغالب أن يكون المطعم قد اشترط على على النبى صلى الله عليه وسلم أن يحد بعض الشىء من نطاق الدعوة وفرض بعض القيود على حريته فيها . وكنا ننتظر شواهد على هذا الفرض لكنه أبى أن يقدم لك يا قارئى ما أنت فى شوق اليه لتعجم عود المفكرين فى القرن العشرين ، والى لقاء قريب فى فصل جديد ان شاء الله .

يتبع

عبد الظاهر عبد الكريم

قوى الاستمرار

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

« ان أحب الاعمال الى الله مادام وان قل » (١) .

« ا » الارادة وقوة الاستمرار

كثير من البائسين والمحزونين ، علتهم فى أنفسهم ، وهى ضعف الارادة ، لايعرفون كيف يكافحون ولا يستطيعون أن يقفوا فى صفوف الجهاد طويلا ، بل تجدون فى الدعة والراحة ما يظنونه نعيما وعيشا رغيدا ، فلا يعملون ولا يسعون فى الارض كما يسعى المكافحون أولو العزم، ورضوا بالعيش الهنىء ، والحياة السهلة ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

ولو عقل هؤلاء سبب بؤسهم وشقائهم أن ما سلكوا هذا الطريق .

والاشقياء فى الدنيا كثيرا وفى استطاعتهم أن يمحوا بؤسهم وشقاءهم . وذلك بالارادة الشجاعة ، وهى التى يحفظ الانسان بها كرامته ويصير انسانا . فاذا تجرد عن الارادة فهو ليس بانسان ، لانه تنازل عن ارادته . وهى القوة التى تدفعه باستمرار الى العمل والكفاح. والتجافى عن اللذات والشهوات . والتى من حقوقها القوة والثقة .

ان الارادة القوية تجعل المسلم يداوم على العمل ، ويحاول التجربة ولا يرهب الصعاب من بعيد ، بل كلما اقترب منها صغرت فى عينيه ، وربما انمحت واختفت . ولطالما تحمل الانسان الجسام مادام يعتقد قدرته على الأعمال .

ان مما يزيد فى عظمة الرجل قوة عزيمته وهذه تأتى من ايمانه . وصحة عقيدته . وللارادة مكان عظيم فى الحياة . لأن قيمة الرجل بعزيمته .

ان الذكاء والعبقرية من أكبر النعم على

---

(١) اخرجه البخارى عن عائشة (رضى الله عنها)

للشيخ محمد صابر البرديسى

الانسان ، ولكن خيرا من ذلك القلب اليقظ ، الواسع التجربة ، القوى الارادة العزيز الجانب .

قد يكون الرجل محدود الفكر ، متوسط الذكاء ، ولكنه بتجاربه وقوة ارادته ، والمداومة فى عمله ، يفرض احترام الناس له ويستحق الاكبار والاعظام ، ويصل الى غايته .

والرجل الضعيف الذى يرهب الصعاب ساقط جدير بالاحتقار ، ولو كان أذكى الناس .

والارادة الجديرة بالاحترام هى التى يضع صاحبها الشىء فى موضعه فيقدم على الفعل حين تدعو الحاجة اليه ، ويتركه حين لا ضرورة تقتضيه . وأن تكون ارادته وفقا لما أمره به الله ونهاه .

واذا أشكل على المسلم السبيل ، فواجبه أن يسأل غيره ممن تحلوا بالعلم والخبرة .

« فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (١) .

فان الاستفادة من رأى الناس ونصائحهم تزيد الانسان معرفة وخبرة .

والقاعدة التى لا تخطىء أن المؤمن يقوم بواجبه قدر طاقته لا يجهد نفسه فيعرضها للتهلكة « وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ » (٢) فان المنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى (٣)

ولايتلكأ فى تلبية الواجب ، ولا يتلمس المعاذير ، ولا يرجو العوائق التى تحول بينه وبين أداء الواجب .

ان الطريق الى الله واضحة ، فما يتردد الا الذى يضل الطريق ، أو يعرفها ، ولكنه خائر العزيمة .

فعلى المسلمين أن يجتنبوا أصحاب الارادة الضعيفة . والعزيمة الواهية . فان القلوب الخائرة ، والنفوس الحائرة تشيع الفتنة ، وتعمل على الاضطراب والفوضى ، وتمزق الوحدة ، وتضعف الصفوف ، وتلك صفة المنافقين . وقد حذرنا الله منهم وتوعدهم بالخذلان والهلاك ، وتكفل سبحانه بنصر

---

(١) سورة النحل ٤٣ .
(٢) سورة البقرة ١٩٥ .
(٣) مثل يضرب لمن يجهد نفسه ويحملها فوق طاقتها . فلا هو بلغ غايته ولا هو أبقى على نفسه . وتشير بعض المراجع كأمثال الميدانى الى أنه حديث شريف والله أعلم .

المؤمنين •

«وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ »

لقد كان أولئك المتخلفون ذوى قدره علـى الخروج مع رسول الله — صلى الله عليـه وسلم — للحرب ، ولديهم وسائله ، وعندهم عدته ، وكانوا أشرافا فى قومهم أثرياء « وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ » لما يعلمه من طبيعة نفاقهم وضعف ارادتهم . وسوء نواياهم المنطوية على السوء . فثبطهم الله . ولم يبعث فيهم الهمـة للخروج « وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ» وتخلفوا مع العجائز والنساء والاطفال . فهذا مكانهم اللائق بهم فهم أصحاب الهمم الساقطة ، والقلوب المرتابة ، والنفوس الخاوية والخالية من اليقين •

وهكذا لا يدعو المنهج الاسـلامى الـى الاستسلام لبوادر الضعف والذلة والمسكنة ، ولا الى المسارعة فى الأخذ بالأمور دون ارادة مبنية على التريث والتعقل والرغبة فى العمل الصالح . وانما يدعو الى أن تتقى بوادر هـذه الأمور •

.ن الناس يملكون أن يتجهـوا وأن يريدوا الخير ، ويحاولوا فعله والله يستجيب لهـم ويوفق ، وقدر الله هو الذى يحقق ما يقـع فى حياة الناس • فمن أراد ان يعيش لهـذه الدنيا وحدها ، فان الله يعجل له حظه فيها •

« مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا » (١) •

والذى يريد الآخـرة ، ويؤدى تكاليفهـا . وينهض بتبعاتها ويقيم سعيه على الايمان ،فان الله يتولاه برعايته ، ويمده بتوفيقه ، ويتلقـى التكريم فى الملأ الأعلى جزاء الارادة الكريمة ، والتطلع الى الأفق البعيد الوضىء•

« وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا » (٢) •

فمن أراد الخير لنفسه فليتجه بنية صادق ، وارادة قوية الى الآخرة ، ففيها جنة عرضهـا السموات والأرض ، فسيحة الآمـاد لا يعلم حدودها الا الله •

تلك الآخرة لاتزن الدنيا فيها جناح بعوضه « وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا » « وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ » والله الموفق • «ينبع»

(١) الاسراء آية ـ ١٨

(٢) الاسراء آية ١٩ •

في الدعوة

المفكر الفرنسي المسلم "جارودي"

الشريعة .. وما يراد لها

الأخلاق في شريعة الإسلام

من أعلام الأزهر

المفكر الفرنسى المسلم

جارودى يطرح تساؤلا :

كيف ندعو

الى الاسلام ؟

أقرر بادى ذى بدء ان الدعوة الى الاسلام لم تعد خطبا تقال ، ولا أسلوب مدح منمق فى ديننا الخالد ، ولا بلاغة تسخر بأساليبها دون أن تكون لها مضامين عميقة فى جذور الفكر الانسانى .

ان انسان العصر المثقف الواعى بما حوله الواقف على تطورات الحياة والعصر ، يريد أن يسمع من الدعاة الاسلاميين فكرا جديدا ، ومنطقا مقنعا ، وبحثا موصولا بالأسانيد ومن عجب أن علماءنا السالفين بهروا ولا يزالون يبهرون بثقافتهم الواسعة ، وفكرهم المضىء وآرائهم الجديدة ، ونظرياتهم المتفتحة . فاذا ما قرأنا ابن قدامة فى « المغنى » ، أو ابن حزم فى « المحلى » ، أو ابن رشد فى « بداية المجتهد » أو الغزالى فى الاحياء ، أو ابن تيمية أو ابن القيم فى كتبهما مثلا ، أو غيرهم من جلة العلماء وأساطين الدعاة الاسلاميين ، هالنا منهم اتساع ثقافتهم ، وقوة منطقهم ، وعلو حجتهم ، ونصاعة أسلوبهم ، وجدة تفكيرهم وراعنا منهم هذا الا كباب على العلم دون غاية الا رضاء الله وحده ، لو قرأنا السيوطى مثلا فى موسوعاته ، سوف نذهل كما نذهل عندما نقرأ « الرسالة » « والام » للشافعى ، أو عندما نقرأ الجاحظ أو التوحيدى أو غيرهم من أئمة الاسلام .

والدعوة الى الاسلام تحتاج الى المثل والشاهد والانسان الذى تتجمع فى ثيابه حقيقة الشىء الجديد الذى يمكن أن يتوله للناس .

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم خفاجى

والشاهد والمثل ضروريان فى الدعوة الى دين الله .

ويأتى هذا الشاهد والمثل اليوم من مفكر غربى ، ومن كتاب جديد صدر عندنا عن هذا المفكر الغربى هذه الايام .

أما المفكر الغربى فهو « رجاء جارودى » الذى صار مثلا فريدا فى رحلته الفكرية التى بدأت بالشك ، وانتهت الى سكينة الايمان . وكان قد عرف فى أول حياته بأنه كاثوليكى متعصب . ثم صار بعد ذلك ماديا ماركسيا ، وعضوا فى المكتب السياسى للحزب الشيوعى الفرنسى . ثم صار بعد ذلك مسلما يؤمن بالله وبرسالة محمد خاتم الأنبياء . ومن أجل ذلك فصل من عضوية الحزب الشيوعى . وأضرب هو عن اعادة نشر رسالته للدكتوراه « النظرية المادية فى المعرفة » .

ومن ثم وجدناه ينقد الماركسية المتحجرة على نفسها فى كتبه :

حوار الحضارات .
ماركسية القرن العشرين .
نظرات حول الانسان .
عود الاسلام .
الاسلام دين المستقبل .
نداء الى الأحياء .
التحول الكبير وغيرها .

كما نقد الوجودية فى كتبه التى كتبها بفكر مستنير ، ويتلخص موقفه من المذهب الوجودى فى التعبير الذى كتبه «جون كانابا » فى كتابه « الوجودية ليست فلسفة انسانية » حين قال: ان الوجودية رائعة حقا اذا شوهدت عن بعد غير أنها تبدو على حقيقتها حين نقترب منها فسنكتشف أنها ليست الا بناء من ورق .

ان جارودى يؤكد أن الاسلام هو الحل الوحيد لكل تناقضات الحضارة المعاصرة ، ولكل تناقضات حضارة المستقبل ، كما كان فى الماضى صانع الحضارة الانسانية .

ويقول : ان الاسلام هو الذى فى مقدوره أن يعالج تناقضات العصر ، التى فشلت فى معالجتها المذاهب الاجتماعية والفلسفية ؛ وانه الحل الوحيد لكل مشكلات الحياة ، وأزمات الحضارة ، ولكل المحن التى نزلت بانسان العصر .

وفى محاضرة جارودى التاريخية فى الأزهر الشريف أثناء الاحتفال بالعيد الالفى لهذه الجامعة الاسلامية العريقة قال هذا المفكر الفرنسى الكبير : ان المنهاج الغربى الحضارى حقق فشلا تاريخيا ذريعا ، وان الاسلام وحده بين بقية الاديان هو القادر على منح الامل من جديد لكافة المجتمعات الغربية التى فككها النظام التكنوقراطى للحضارة ..وهذه النتيجة

◄

التى توصـــل اليها جارودى عبر رحلتــه الفكرية الطويلة ، والتى تمثلت الحضـــارات الانسانية تمثلا نقديا ، تؤكـد فهمــه العميق لطبيعة الاسلام كمنهج للحياة ، لــه تصـــوره الشامل لحقيقة الوجود ، والانسان والحضارة، ولمستقبل الحياة .

وجارودى فى عرضـــه لمختلف النظريـــات والمذاهب والأفكار ، وفى نقده لها ، بل فى نقده لمختلف الحضارات ، يرى ــ عن ايمان عميق ــ أن الاسلام هو دين اليوم ، والغد ، وما بعـــد الغد ، وأنه الحل الوحيد لانقاذ البشرية التى تقف اليوم على المنحنى الخطر فى مواجهـــة المشكلة الحضارية الجوهرية التى تفرض نفسها على كل فرد منا فى نهاية القرن العشرين .. كما يؤكد أن الحضارة الغربية ســائرة فى طريق الدمار والموت : لا لأنها تفقد الأســاليب لكى تحيا ، بل لأنها تفتقر الى الغايات التى تحيـــا من أجلها .

ويرى فى الاسلام أنه الدين الوحيد ، الذى نادى بسلطان العقل وجاهر بسيادة العــلم .. وهو ، بعد طوافه الطويـــل بين المذاهب الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية يصل عن اقتناع الى شاطىء اليقين ، ليعلــن للانسانية كلها أن القرن العشرين سينتهى بما استحدث من مذاهب ونظريات وأيديولوجيات، ولن ينتهى أبدا ما تتعلمه الانسانية كلها مــن كتاب الاسلام « القرآن الكريم ».

ويقول جارودى : ان الاسلام فى مقدوره وحده أن يعالج تناقضات العصر ، التى فشلت فى علاجها كل المذاهب الفلسفية والاجتماعية وهذا ما جعله يردد : أن الانسان فى الاسلام وفى القرآن الكريم هو الانسان الكامل ، الذى يوقظ فيه دينه الوعى الأسمى بصلاته باللــه ومع الله ومع الكون والوجود والحياة ، ومع الحضارة .

الاسلام عنده هــو الأول وهو الآخر وهو البدء وهو النهاية للبشرية كلها .

وهذا الفكر المضىء لمفكر غربى فرنسى كبير مثل « رجاء جارودى » قــد بعث أستاذيـــ فاضلين من أدبائنا الى اصــدار كتاب عـــ جارودى أما الكاتبان فهما :

ــ الاستاذة أمينة الصاوى .

ــ الدكتور عبد العزيز شرف .

وأما الكتاب فعنوانه « رجـــاء جـــارودى وحضارة الاسلام » الذى صدر هذه الأيـــام فى أكثر من ثلاثمائة وعشرين صفحة ، وقدم له الأستاذ الجليل أحمـــد حســـن الباقورى ، وكتب له المؤلفان مقدمة جميلة ، كما كتبا له خاتمة أجمل بعنوان « المحور هو الانسان »

واشتمل الكتاب على سبعة ابواب :

الفكر الغربى وعبقرية الاسلام .
الماركسية ونقد الماركسية .
جارودى والحقيقة كلها .
جارودى يكشف أضاليل الصهيونية .
الاسلام هو الحل الوحيد .
الاسلام ومستقبل الحضارة .
من الشك الى سكينة اليقين .

تحية للمؤلفين الغيورين ، وتحيـــة لكتابهما الممتع الرائع المثير .

محمد عبد المنعم خفاجى

الشريعة.. وما يراد لها

في الرأى الغربي

دائرة المعارف البريطانية - ٢ -

للشيخ محمد حسام الدين

لا نزال مع دائرة المعارف البريطانية ، وهى تعرض رأيها ، وما تريده للشريعة الاسلامية حاضرا ، ومستقبلا .

لا نزال معها وهى تتحدث عن التغييرات فى مجال التشريع للأحوال الشخصية بمختلف الاقطار الاسلامية .

وفى الجزء الذى نشر من قبل من حديثها أوضحت الدائرة أن تطور الاجتهاد فى مجال الاصلاح (١) أو التغيير التشريعى الاسلامى يمكن أن يتضح من المقارنة بين قواعد القانون السورى للاحوال الشخصية ، الصادر فى سنة ١٩٥٣ م ، وبين قواعد القانون التونسى الصادر فى سنة ١٩٥٧ م ، فيما يتعلق بموضوعين :

أولهما : تعدد الزوجات .

والثانى : الطلاق عن يمين .

وانتهى المقال بما عرضته الدائرة عن القانون السورى ، وأنه خول « للقاضى أن لا يأذن للرجل المتزوج فى أن يضم الى زوجته أخرى

---

(١) هذا المقال تتمة لما تحدثت به دائرة المعارف البريطانية فى طبعتها لسنة ١٩٧٣ م عن الشريعة الاسلامية .

وقد أوضحنا فى مقدمة هذه المقالات أننا ـ تجاه هذا الموضوع ـ انما نعرض الاراء الغربية على طبيعتها ، وفى صوابها ، وخطئها ، لتكون موضع النظر والدراسة من حيث الجملة ، ومن حيث تحديد التيار العام للرأى الغربى فى هذا المجال .

وأرجو ان يلاحظ القارىء الكريم أننى أنقل عن دائرة المعارف البريطانية فى تعبيراتها الانجليزية ، ملتزما بهذه التعبيرات أداء للامانة ، فى صياغة عربية ، ومصطلحات اسلامية .

ومن ثم فان ايراد هذه العبارات ، أو الاراء لا يعنى الموافقة عليها ، أو إقرارها .

ما لم يثبت لديه أنه فى وضع مالى يسمح لــه بالانفاق على الزوجتين كلتيهما •» •

وفى مقال اليوم تتابع الــدائرة حــديثها فى الموضوع فتقول : « أما القانون التونسى فانه يمضي الى مدى أبعد ، وان بدا قريبــا مــن القانون السورى : لقد مال المشرعون فى تونس الى أن القدرة المالية للزوج على الانفاق شرط لاجازة تعدد الزوجات ، فضلا عما أمــر بــه « القران الكريم » من العــدل ، والتســوية الكاملة بين الزوجات فى المعاملة •

هذا الأمر القرآنى ــ بالعدل بين الزوجات ــ يجب أن يحمل على الوجوب ، وعلى أنه شرط ، وأمر تشريعى ، يسبق الاذن بتعدد الزوجات •

ولا يصح أن يحمل على الندب أو على أنــه أمر أخلاقى يوكل الى ضمير الزوج وحده •

وعلى هذا فانــه لا يصــح الاذن بتعــدد الزوجات ما لم يثبت بالبينة الواضــحة امكان التسوية الحقيقية الكاملة بينهن فى المعاملة •

واذا كانت التسوية مســتحيلة الآن عمليا ، نظرا للظروف الاجتماعية ، والاقتصـــادية الحاضرة ، كان هذا الشرط مما لا يمكن الوفاء به اليوم •

ومن أجل هــذا نص القــانون التونسى فى ايجاز على أن : « تعدد الزوجات محظور » •

أما التطليق بيمين :

فان القانون السورى نص على : أن الزوجة اذا طلقت بغير وجه حق كان للقاضى أن يفرض لها على مطلقها تعويضا ، بما لا يجاوز نفقــة سنة •

هذا الاصلاح يتجه ــ مرة أخــرى ــ الى اعطــاء النص القــرآنى (١) أثره التطبيقى العملى ، وقد كان يفسر من قبل لدى الفقهــاء القدامى على أن الأمــر الوارد فيه ، يراد به النــدب ، ومحــرد الاســتحباب الأخلاقى ، لا الوجوب الشرعى المفروض بالآيات القرآنية التى تنص على الانفاق على المطلقات •

لقد كان من مقتضى القانون السورى بايجاب التعويض للمطلقات اذا وقع الطلاق بغير حق، كان من مقتضى هذا القانون أن تخضع أسباب الطلاق لنظــر القــاضى ، وأن تكون هـــذه الأسباب موجبة للعقاب ــ وان كان محدودا ــ اذا أساء الزوج استعمال الحق •

ونعود مرة أخــرى الى تونس لننظــر فى اجتهادها فيما يتعلق بالطلاق ، ولنجد نتــائج هذا الاجتهاد أبعد عمقا ، وأكثر أصالة •

فقد رأى المصــلح التونسى أن « القــرآن

(١) لعل الكاتب يريد بالنص القــرآنى قوله تعالى : « وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّــا عَلَى الْمُتَّقِينَ » الآية ٢٤١ من ســـورة البقرة ــ وقوله ســـبحانه : « وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ » ٢٣٦ سورة البقرة •

الكريم » يأمر بتعيين حكمين فى حالة حدوث شقاق بين الزوجين •

ومن الواضح أن تلفظ الزوج بالطلاق ، واصدار اليمين به يعنى حدوث الشقاق بين الزوجين •

ومن الواضح كذلك أن القاضى المختص هو أفضل من يقوم بمهمة الحكم «بفتح الحاء والكاف » بين الزوجين ، وهى المهمة الواجبة ، والمفروضة بمقتضى النص القرآنى (١) •

لقد اعتمد القانون التونسى على هذه القاعدة الثابتة — قاعدة الحكمين — الغاء حق الزوج أن يوقع الطلاق على زوجته خارج مجلس القضاء فنص القانون على أن « الطلاق خارج المحكمة لا أثر له » •

وان كان قد أوجب على القاضى أن يفسخ الزواج اذا أصر الزوج على ايقاع الطلاق • وخول القاضى أن يمنح الزوجة تعويضا عما أصابها من ضرر فضلا عن النفقة المقررة للمطلقات •

هذا : وان كان الحكم بالتعويض لا يتم الا فى حالات قليلة ، يحتاط لها •

وبناء على ماتقدم فان تونس باعادة تفسيرها « للقرآن الكريم » ، فى بابى تعدد الزوجات والطلاق قد أحدثت تغييرات جوهرية فى القانون تقترب بها مما حققته تركيا منذ مايزيد عن ثلاثين عاما ، حين مضت الى تطبيق القانون السويسرى •

أما فى باكستان فقد أعلن عن تفسير جديد لنصوص القرآن والسنة ، اتخذته باكستان أساسا لاصلاحات أجريت فى قوانين الأحوال الشخصية التى صدرت سنة ١٩٦١ ، والمتعلقة بشئون الأسرة •

ولو أن ما جاءت به هذه القوانين من تعديلات هو أقل بكثير مما جاءت به اصلاحات دول الشرق الأوسط من تغييرات جوهرية فى مجالات الطلاق ، وتعدد الزوجات ذلك لأن الزواج بالزوجة الثانية فى باكستان مرهون بموافقة مجلس تحكيم ، أما ايقاع الطلاق بيمين من الزوج : فقد قرر القانون الباكستانى ايقافه فقط لمدة ثلاثة شهور ، رجاء أن تسنح الفرصة فيها للاصلاح بين الزوجين •

وقد جعلت باكستان لأحكام القضاء مكانة تشريعية ، وحجية فى الاستنباط من القرآن « الكريم » ، وفى تفسيره تفسيرا مستقلا •

وعلى سبيل المثال فان مجلس القضاء الأعلى هناك قرر فى سنة ١٩٦٧ م أن المرأة المسلمة تستطيع أن تحصل على الطلاق باجراء بسيط ، وهو أن تدفع لزوجها تعويضا مناسبا (٢) •

هذا القرار يستند الى تفسير المجلس لآية من الوحى القرآنى (٣) •

---

(١) المراد قوله تعالى : « وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا » ٣٥ من سورة النساء •

(٢) المقصود بهذا القرار : أنه يصح للقاضى ان يفسخ عقد الزواج « خلعا » بناء على طلب الزوجة ، وبشروطه ، دون انتظار لموافقة الزوج •

(٣) لعل المراد قوله تعالى : « فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ » الآية ٢٢٩ من سورة البقرة •

لكن هذا النوع من الطلاق المعروف بالخلع هو فى رأى الفقهاء التقليديين عقد بين الزوجين يعتمد اعتمادا كاملا على الارادة الحرة للزوج •

هذه أمثلة قليلة من بين الكثير الذى يصور مدى ما بلغته التغييرات فى قانون الأسرة الاسلامى •

لكن اصدار قانون كامل بالاصلاح التشريعى ، وعلى المستوى الذى تطورت اليه القوانين العالمية لاتزال تكتنفه مصاعب كثيرة من حيث المبدأ ، ومن حيث التطبيق الواقعى •

ذلك لأن جماعات كبيرة ، وقوية بين المسلمين لا تزال تنكر فى صلابة صحة القوانين والتعديلات الجديدة •

هذه الجماعات ترى أن القوانين الجديدة تستند الى تأويل للنصوص تأويلا غير سائغ ، وترى أن هذه التأويلات تعارض مبادىء الاسلام العامة ، وتخالف المقاصد الصحيحة للنصوص الدينية •

وتقرر هذه الجماعات أيضا أنه ليس لأحد أن يشرع أو يستحدث فى دين الله ، فالله وحده هو المشرع •

ولقد كان من نتائج هذه الاصلاحات التشريعية — فى عديد من الاقطار الاسلامية — وجود فجوة اجتماعية عميقة ، وواسعة بين القلة المتحضرة ، المتأثرة بالثقافة الغربية ، وبين الكتل الجماهيرية المحافظة من المسلمين •

لقد استهدفت هذه الاصلاحات ارضاء المجتمعات المتقدمة الراقية ، وتحقيق تطلعاتها بأكبر قدر ممكن •

لكنها لم تقدم شيئا ذا قيمةكبيرة للمجتمعات التقليدية بالمناطق الريفية والزراعية • وغالبا ما يظهر أثر هذا الاحساس فى موقف القضاة لدى تطبيق القانون ، ذلك لأن ثقافتهم وممارستهم للقضاء بين المجتمعات التقليدية جعلتهم لا يتعاطفون تعاطفا كاملا مع ما استهدفه المشرعون المتحضرون •

هذه مشكلات منطقية متوقعة ، وهى أمور لا يمكن تفاديها فى مرحلة انتقالية فى التطور الاجتماعى الاسلامى •

وان أعظم انجاز تشريعى خلال هذه العقود الزمنية القليلة الماضية هو ظهور الاتجاه الأجتهادى المخطط ، الذى يرمى الى أن تؤدى القوانين الشرعية دورها فى المجتمع •

لقد أزال الفقه الجديد حجة التقليد ، وسنده الذى استند اليه منذ العصور الوسطى المبكرة•

واليوم يتقدم هذا الفقه الجديد ليحل مشكلات المجتمع المعاصر ، وهى المشكلات التى نجمت عن الركود الفكرى الطويل •

ولقد اتجه الفقه الجديد مرة أخرى الى تطبيق مناهج فقهاء الصدر الأول فى الاستنباط، من أجل عمل يربط بين التعاليم السماوية ، والبيئة الاجتماعية •

وهذا هو السبيل الى احياء الشريعة فى العصور الحديثة ، لتكون على نظام يصلح للتطبيق القانونى •

هذا هو المنهج الوحيد الذى يحقق الأهداف ، ويرضى التطلعات الى المستقبل •••• » أ هـ •

وبعد هذا العرض نستطيع أن نستخلص من

آراء دائرة المعارف البريطانية بهذا الخصوص ما يلى : —

١ — أنه كان للحضارة الغربية أثر كبير فى حياة المسلمين الاجتماعية ، خلال القرن التاسع عشر ، وفى مطالع القرن العشرين ، فقد حدث تعارض واضح بين الظروف الجديدة المتغيرة للحياة الحديثة ، وبين القواعد القانونية الشرعية القديمة .

ومن أجل هذا حدثت تغييرات جوهرية فى ميدان القوانين المدنية ، والتجارية ، وقوانين العقوبات فى معظم الأقطار الاسلامية .

وأصبح تطبيق الشريعة مقتصرا على أحكامها المتعلقة بشئون الأسرة .

٢ — أن من أهم التغييرات فى مجال القوانين الشرعية ، ماحدث فى قواعد الاثبات ، وقوانين الاجراءات القضائية .

٣ — أن اجراءات التعديل للقوانين الشرعية — فى المسائل الباقية فى اختصاص الشريعة الاسلامية — قد تخلى عنه سلطان الفقهاء .

فقد صدرت هذه التعديلات فى أول الأمر عن السلطة السياسية ، والتنفيذية ، فى صورة لوائح واصلاحات تنفيذية ، ثم خولت للهيئات البرلمانية ، ثم تولتها الآن هيئات قضائية عامة .

٤ — أن الفقه التشريعى المعاصر يطالب بطرح الاستنباطات القديمة من النصوص الشرعية ، ليبدأ النظر فى هذه النصوص من جديد ، وليجرى الاستنباط منها استقلالا ، فى ضوء الظروف الاجتماعية المعاصرة ، مستندا الى اجتهاد وتفسير جديد للنصوص ، كما حدث فى تونس ، وسوريا ، وباكستان .

٥ — ترى دائرة المعارف البريطانية أن اصدار قانون باصلاح تشريعى شامل فى مجال الاحوال الشخصية ، لا تزال تكتنفه مصاعب عديدة ، من الناحيتين : المبدئية والعملية .

ذلك لأن جماعات اسلامية قوية ، تستمسك بالآراء التقليدية القديمة ، لا تزال تنكر فى صلابة صحة الاصلاحات التى تعتمد على تأويلات للنصوص الشرعية ، بحيث تخضع معانيها لأهداف مسبقة ، يقصدها المشرعون المحدثون .

ويرى هؤلاء الفقهاء — الذين تسميهم الدائرة بالتقليديين — أن هذه التأويلات تعارض مبادىء الاسلام العامة ، وتخالف المقاصد الشرعية ، فضلا عن أنها تقول بغير حق فى دين الله ، من أجل تحقيق رغبات اجتماعية معينة .

٦ — اهتمت الدائرة وأشادت بالقوانين التى صدرت فى سوريا ، وتونس وباكستان ..... بتقييد أو حظر تعدد الزوجات ، وبتقييد الطلاق .

٧ — لاحظت الدائرة أن هذه الاصلاحات التشريعية قد أحدثت فجوة واسعة بين القلة المتحضرة ، المتأثرة بالثقافة الغربية ، وبين الكتل الجماهيرية المحافظة .

٨ — ترى الدائرة أن اتجاه الفقهاء المعاصرين الى تطبيق مناهج فقهاء الصدر الأول فى الاجتهاد ، والاستنباط لحل مشكلات المجتمع المعاصر ، هو السبيل الى احياء الشريعة فى العصور الحديثة (١) ، وصياغة احكامها فى شكل قانونى يحقق الأهداف ؟

---

(١) قد اوضحنا من قبل ان ايراد آراء « دائرة المعارف البريطانية » لايعنى الموافقة عليها .

الأخلاق في شريعة الإسلام

لئن كان المجتمع الانسانى فى حاجة الى العلم والمعرفة فهو الى الأخلاق أحوج .

لأن ما يصيبه من الظلم ، وما يفشو بين أفراده من الاجرام منشؤه نقص الاخلاق أكثر من أن يكون منشؤه نقص العلم .

فان العلم يخدم الفضيلة والرذيلة على حد سواء ، أما علم الأخلاق فظهير الفضيلة وخصيم الرذيلة .

الحاجة تزداد الى علم الاخلاق وتهذيب النفوس وصقلها مهما انتشرت المفاسد فهو طبها وواصف أدوائها وسر شفائها لذلك كان الخلق الحسن سمة النبيين وصفة المرسلين وحلية الصديقين والصالحين (١) .

ما هو الخلق ؟

عرفه ابن مسكريه الفيلسوف الاسلامى بقوله : الخلق : حال للنفس داعية لها الى أداء أفعالها من غير فكر ولا روية وهذه الحال : —

اما أن تكون طبعية من أصل المزاج كالغضب لأوهى الأسباب ، والفزع من أدنى الأصوات والحزن على تافه الأشياء .

واما أن تكون مستفادة بالعادة والتدريب حتى صارت ملكة وخلقا كشجاعة البدو وبأسهم نتيجة تفردهم عن المجتمع ، ومساكنتهم الوحوش والضوارى (١) .

أما حجة الاسلام الامام أبو حامد الغزالى فيقول عنه : الخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية : —

فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا .

وان كان الصادر منها الأفعال القبيحة

---

(١) كتاب «الخلق الكامل» تاليف محمد أحمد جاد المولى بك .

(٢) كتاب «تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراف» لاحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه .

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

سميت الهيئة التى هى المصدر : خلقا سيئا أما من تصدر منه الأفعال نادرا ولحاجة عارضة فليس ذا خلق وانما هو متكلف له كمن يتكلف بذل المال فلا يقال عنه خلقه السخاء (١) .

ويزيد الامام الغزالى أمر الخلق وضوحا فيقول : « الخلق هو عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة » (٢) وهذا التفسير هو الذى نميل اليه وذلك لبساطته ووضوحه .

الفرق بين الدين والأخلاق :

ان الدين بكونه معرفة الحق الأعلى وهو الله وعبادته وتوقيره هو فضيلة فطرية .
أما الأخلاق من حيث أنها قوة النزوع الى فعل الخير وضبط النفس عن الهوى فهى فضيلة عملية ، غير أنهما يؤديان الى نتيجة واحدة هى أن كلا منهما يوصل لمبدأ العدالة الانسانية ومنبع كل منهما مبادئه .

أما عند علماء الغرب فانه لا رابطة بين الدين والأخلاق من حيث النشأة للفرد وفى دور التكوين ، اذ أن الشعور الأخلاقى يسبق الشعور الدينى عند الطفل .

وأما فى المجتمع فان امتزاج القوانين الأخلاقية لا يجرى على سنن واحد فى العصور والبيئات مع القوانين الدينية ، وهذا الافتراق فى نظر علماء الغرب راجع الى التفرقة بين مصدر الدين ومصدر الأخلاق عند هؤلاء الناس (٣) .

مصدر الأخلاق عند الغربيين :

اذا كان مصدر الدين مثار نقاش بين العلماء هناك فان مصدر الأخلاق عندهم هو عادات المجتمع وتقاليده ، فالدين والاخلاق فى الفكر الغربى من الناحية التجريبية مستقلان وان أمكن لقاؤهما فى الغاية ، ومن الناحية العملية الواقعية يسبق الشعور الأخلاقى الشعور الدينى فى نفس الطفل ، وعدم امكان امتزاج القوانين الدينية فى المجتمع (٤) .

مصدر الاخلاق فى الاسلام :

ان مصدر الاخلاق فى الاسلام هو الدين ، وهو وحى معصوم ، يحدد السلوك ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وأحكام شريعة الاسلام عموما تستند الى الأخلاق لأن الأخلاق هى المعتصم والصمام الذى يتمسك

(١) كتاب « احياء علوم الدين » للامام ابى حامد الغزالى الجزء الثامن باب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق .
(٢) المرجع السابق .

(٣) كتاب «آلهة فى الاسواق» تأليف الدكتور رءوف شلبى .
(٤) المرجع السابق .

به من أراد أن يكون مسلما فهى انفعال النفس وتأثرها بما ينبغى أن تكون عليه من حسن الفضائل فتتحلى به ، وان تعلمْ حقيقة الرذائل فتتخلى عنها ومن هنا كانت عناية الاسلام بالأخلاق عناية تفوق كل عناية قال تعالى : —

« إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »(١)

ويقول جل شأنه :

« قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (٢)

أما فى السنة المطهرة فيقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

« انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (٣) ومن أقواله — صلى الله عليه وسلم — « أثقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق » (٤) ، « أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا » (٥) .

ومما يرويه جابر رضى الله عنه قول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « ان من أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا » (٦) ، وكان — صلى الله عليه وسلم — يكثر الدعاء فيقول : (اللهم انى أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق »(٧) .

التناسق فى الاسلام بين عقائده وأخلاقه :

مما يلفت النظر فى الاسلام هذا التناسق العجيب بين عقائده وأخلاقه المتعددة والتى يحمدها من المسلم وتجمعها وحدتها الاسلامية. ومجمل الرأى فيها أن المجتمع يقاس بالدين وليس الدين يقاس بالمجتمع ، فقد يسفل المجتمع فتتفق فيه الآراء والأهواء على أخلاق يأباها الدين ويحسبها مضرة أو مفسدة يؤنب المجتمع من أجلها كما يؤنب الأفراد ٨١ قال تعالى : (**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**) (٩) .

لذلك كان لابد من الفضائل الالهية فى تعليم الانسان مكارم الأخلاق ، وما اكتسب الانسان أفضل أخلاقه الا من الايمان بمصدر سماوى يعلو به عن طبيعته الأرضية ، فمقياسها الأدنى

(١) سورة الاسراء ٩ .
(٢) سورة الاعراف ٣٣ .
(٣) لخرجه البخارى فى الادب والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى شعب الايمان .
(٤) اخرجه ابو داود بمعناه والترمذى .
(٥) رواه احمد وابو داود .
(٦) اخرجه الترمذى .
(٧) اخرجه الخرايطى فى مكارم الاخلاق .
(٨) كتاب حقائق الاسلام واباطيل خصومه للمرحوم عباس العقاد .
(٩) سورة الاسراء ١٦ .

أنها أخلاق كاملة ، وأن الكمال اقتراب من الله فهو المثل الأعلى ، وكل صفة من صفات الله الحسنى مذكورة فى القرآن الكريم يترسمها المسلم ليبلغ فيها غاية المستطاع فى طاقة المخلوق ، ولا يتكلف فيها الا وسعه قال تعالى **« لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » (١) .**

الخلق الأسلامى مقياسه الاعتدال والتوسط :

وملاك الاعتدال والتوسط فى الخلق الأسلامى أن المسلم يؤمن بالعمل لدنياه كما يعمل لدينه . ويؤمن بصلاح الجسد كما يؤمن بصلاح الروح فلا يكون فى هذه الدنيا روحا محضا ولا يكون فيها جسدا محضا تطبيقا لقوله تعالى : **« وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا » (٢) .**

ولعل هذا هو ما يوضحه قول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « خير الأمور أوساطها » (٣) فالشجاعة وسط بين الجبن والتهور .

والعفه وسط بين الشره والجمود

وكذلك سائر الأخلاق

خير للمجتمع أن تقاس أخلاقه بمقياس الدين

حقا انه خير للمجتمع الانسانى أن تقاس الأخلاق فيه بمقياس الدين ولا تقاس بمنفعة قد تفسد بفساد المجتمع نفسه ، وتنحرف مع انحراف نظرته الى منافعه ومضاره ، فان المجتمع قد يصاب بآفات الشرك والذل والعجز والضعف والبخل والسوء والقسوة والبغضاء وسائر الآفات الموبقة من نقائض الأخلاق الالهية فلا يصلحها الا ترياق الدين بعدم التمادى فيها أو الاقلاع عنها ، وفى القرآن الكريم من ذلك الكثير ونكتفى بذكر بعض الآيات على سبيل المثال قال تعالى : —

« لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا » (٤) .

« وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا » (٥) .

« وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا » (٦)

« وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا » (٧)

« وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا » (٨) .

« وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ » (٩) .

---

(١) سورة البقرة ٢٨٦ .
(٢) سورة القصص ٧٧ .
(٣) رواه البيهقى فى شعب الايمان .
(٤) سورة الاسراء ٢٢ .
(٥) سورة الاسراء ٢٦ .
(٦) سورة الاسراء ٢٩ .
(٧) سورة الاسراء ٣١ .
(٨) سورة الاسراء ٣٢ .
(٩) سورة الاسراء ٣٣ .

« وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ » (١) .

« وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا » (٢)

« وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ » (٣) .

« وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ » (٤) .

« وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا » (٥) .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ » (٦) .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا » (٧) .

الأخلاق التى يهتدى اليها المسلم بهدى أسماء الله الحسنى .

هذه الأخلاق كثيرة وافية بخير ما يتحراه الانسان فى مراتب العلو المطلوبة وذلك لكمالها مع عموم نفعها فى حياة الفرد والجماعة فمن هذه الأخلاق القوة والكرم العزة والاحسان والرحمة والصبر والعفو والعدل والصدق والحكمة والرشد والحلم واللطف والسلام الى آخره .

وكلها منشودة لأن التخلق بها كمال لا يقاس الا بمقياس الكمال ولا تستوعبها أفكار من تلك الأفكار المتفرقة كما يستوعبها فكر الاسلام لأن الله يحب من عباده أن يكونوا على صفته .

وما الاسلام الا عقيدة نقية وقلوب وفية ونفس سخية وأخلاق رضية ، فلا غل ولا حقد ولا حسد ولا غضب ولا بغضاء ولا شح ولا قطيعة ولا جبن ولاأثرة .

وأما فى المعاملات فلا غش ولا خديعة ولا مخاصمة ولا احتيال ولا أكل أموال الناس بالباطل ولا نكوص عن العهد ولا كذب ولا تشويه للحقيقة ولا خيانة للأمانة (٨) ، ولا نجد ما يصور لنا حقيقة الجمع بين التدين الصحيح وحسن الخلق ويبرز أوصاف أهله كقول الله تعالى « **لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى**

(١) سورة الاسراء ٣٤ .
(٢) سورة الاسراء ٣٤ .
(٣) سورة الاسراء ٣٥ .
(٤) سورة الاسراء ٣٦ .
(٥) سورة الاسراء ٣٧ .
(٦) سورة الحجرات ١١ .
(٧) سورة الحجرات ١٢ .
(٨) كتاب « من توجيهات الاسلام » لفضيلة المرحوم الشيخ محمود شلتوت باب الاخلاق .

*** شاركت مجلة « المجاهد » فى العمل بحقل الدعوة وطرحت للجمهور بداية من شهر « شوال » ١٤٠٤ هـ ــ يوليو ١٩٨٤ .**

تصدر « المجاهد » عن الشئون الدينية بادارة الشئون المعنويــة للقوات المسلحة وبها من الأبواب الثابتة :

التفسير ، والفتاوى ، وشخصيات اسلامية ، الى جانب عديد من المقالات واللقاءات النافعة .

نهنىء الزميلة راجين لها كل نفــع وازدهار فى ميــدان الــدعوة الخالصة للــه ورسوله والمؤمنين .

الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » (١) .

القــاعدة التى تقــوم عليهــا الأخلاق فى الاســلام :

مما تقدم يتبين ان الأخــلاق فى مفهــوم الاسلام انما تقوم على قــاعدة التقوى وهى بذلك تختلف عن مفهوم الأخلاق فى الفلسفات اليونانية وغيرها التى تقوم فيها الأخلاق على مفهوم السعادة والحب وما شاكل ذلك .

والتقوى التى هى الأساس الأول فى مفهوم الأخلاق الاسلامية تعنى الاتقــاء والامتناع عن كل ما حرمه الله ، وهى تحمل معنى الكظم واجتناب كل خطأ يؤدى الى تجاوز الضوابط والحدود ، وهى فى نفس الوقت عمل ايجابى ينبعث عنه الايمان بالله والصــلاة والصــيام والزكاة والحج والجهاد وسائر الطاعات (٢) .

الأخلاق فى الاســلام تتفق مــع طبيعة البشر وفطرتهم :

ذلك أن الاسلام يبيح الرغبات والشهوات النفسية ويجعلها مشروعة مالم يكن فيها عدوان على أحد ولا ارتكاب لمحرم ، فالمسلم اذا مــا أحس الحاجة الى المرأة فالطريق اليهــا هــو الزواج ، فاذا عجز عن الاستطاعة أجل تنفيذ ◄

(١) سورة البقرة ١٧٧ .

(٢) كتاب « النصرانية والاسلام » ــ « عالمية الاسلام ودوامه الى قيام الساعة » لكاتب هــذا المقال ــ الباب السادس ــ الفصل الرابع .

الرغبة الى أن يتيسر له ذلك دون أن يخل ذلك باقتناعه النفسى بأن الدين يبيح لـه تحقيق رغبته .

فالاسلام يعترف بالرغبات ولا يدعو الى كبتها ، وانما يدعو الى ضبطها ، ويحول فى نفس الوقت دون خطر الاسراف فيها على الكيان الانسانى والمجتمع البشرى .

فتحريم الزنا فى الاسلام لا ينبعث من كراهية الجنس بل من احترام الجنس وتنزيهه عن العبث ، ومن احترام المرأة وتنزيهها عن أن تكون أداة لمتعة ساقطة وفى كل هذا تطبيق لقاعدة التوازن بين مختلف القوى فى الانسان، بين الرغبات والضوابط وبين الروح والجسد ، وبين العقل والقلب ، فيحول دون الكبت والانطلاق ، وبين الترف والحرمان ، وبين الأباحة والتجمد ، فهو لا يقر المادية المفرطة ولا الروحانية المطلقة ،وانما يوفق بينهما فى تناسق وتوازن ومواءمة تجعلهما متصلتين بالانسان نفسه من حيث جسمه المادى وروحه العلوية (١) .

آثار التحلى بالأخلاق الفاضلة :

ان التحلى بالأخلاق الفاضلة والتمسك بالقيم الحميدة يتضح أثره على النفوس ، فتطهير الباطن أساس كل صلاح ظاهرى لذلك كانت آثار الأخلاق الفاضلة على النفوس المتحلية بها هى تطهيرها من أمراضها النفسية المستعصية كالحقد والحسد والنفاق والجبن والكذب والخيانة وجميع ما تعارف عليه الناس من سوء الأخلاق وفاسدها وآثارها الظاهرة قال تعالى « إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٢) »

وقد أشار النبى — صلى الله عليه وسلم — الى ذلك بقوله « ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب » (٣) .

ومتى صلحت القلوب استقام المجتمع فقام أفراده بتحقيق الرسالة التى حملها الله للانسان وهى أن يكون خليفته فى الأرض ، وذلك بالاهتمام بالانتاج والتعمير واستغلال الأرض بالزراعة والصناعة وما فى جوفها من منابع للثروة تدر النماء والرخاء ومنحه الله البركة ، ومتى اجتمعت البركة مع النماء والرخاء فى المجتمع سار قدما فى حياته وتحققت له العزة والكرامة والعدالة قال تعالى «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ »

محمد عزت الطهطاوى

(١) المرجع السابق .
(٢) سورة الشعراء ٨٩ .
(٣) صحيح البخارى .

من أعلام الأزهر

الشيخ على البولاقى

للأستاذ الطاهر محمد الطاهر

ان حضارة الأمم ورقيها ، وكذلك تخلفها وانحدارها ليس لهما وقت بعينه يمثل ساعة الصفر لبداية الرقى او الانحدار ، لكن عوامل هذه الحضارة ، ومثلها عوامل التخلف كلاهما ينشأ نشأة الجنين ، ويظل يكتسب يوميا عوامل نموه حتى تأتى ساعته ، فاذا الامة فى أوج رقيها أو فى سفح تخلفها ، ولسنا نشك على كلا الاحتمالين أن موت العالم مثل تخلف الناس عن العلم ، كل سبب للتخلف .

قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعا من صدور العلماء ، وانما يقبضه بموت العلماء ، فاذا لم يبق من عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » (١) .

وهنا المأساة .

ضلوا عن الحق حين ركبوا مطية الجهل فالغرور ، وأضلوا من تبعوهم على جهلهم وساروا عليه .

هذه بعض مشاعر غمرت خاطرى حين نعى الناعى صاحب الفضيلة الشيخ على حسن حسن النجشوشنجى البولاقى .

كان « يوم الأحد » مولده وكان يوم وفاته .

(١) راجع صحيح البخارى باب العلم ، وصحيح مسلم باب العلم . ومقدمة ابن ماجة والدارمى مسند احمد ٢/١٦٢ و ١٩٠ . « **الباجورى** »

ولد « الأحد » ٢١ من ذى القعدة عـــام ١٣٢١ هـ الموافق ٧ من فبراير ١٩٠٤ م وتوفى « الأحد » ١٢ من جمادى الآخرة عام ١٤٠٤ هـ الموافق ٢٥ من مارس ١٩٨٤ م ولنمر سريعـــا بحياته ــ رحمه الله

ــ فى عام ١٩١٧ أتم حفظ القرآن وتجويده وحصل على الشهادة الأولية منمدرسة الأربعين الأولية ببولاق وكان أول الناجحين .

ــ فى عام ١٩٢٦ م حصل على شهادة العالمية من الخارج «فيما يعرف بنظــام الانتســاب الآن » فكان أول الناجحين .

ــ فى عـــام ١٩٣١ حصــل على شــهادة التخصص فى أصول الفقه وكان أول الناجحين.

ــ فى عام ١٩٣٣ تم تعيينه مدرسا بمعهــد الزقازيق الدينى وظل به حتى عام ١٩٤٢ .

ثم سافر الى دولة الكويت مبعوثا للازهـــر الشريف وأنشأ بها معهدا ، وظل شيخا للمعهــد طوال سبع سنوات هى مدة أقامته بالكويت .

ــ فى عام ١٩٥٤ عاد للعمل بالتدريس بمعهد القاهرة وظل به حتى عام ١٩٦٨ وفى هذه الفترة شرفت بمعرفته رحمة الله عليه .

ــ فى عام ١٩٦٨ طلبته الكويت ليكون عضوا فى هيئة تحرير « الموسوعة الفقهية » فأشرف ــ رحمه الله ــ على اخراجها ــ الى جـــانب ما عمل من بحوث ، أو مراجعة لبحوث تتعلق بتلك الموسوعة .

ثم عاد الى مصر .

أعماله العلمية والاجتماعية :

١ ــ « امتاع الأسماع بحجية الاجماع » وهى أولى رسائله التى نال بها درجة التخصص فى أصول الفقه عام ١٩٣١ .

٢ ــ « مذكرة فى أحوال الوارثين وحساب المواريث » .

ــ فى عام ١٩٣٩ أنشــأ جمعيـــة « إحيــاء المساجد » فى حى شبرا وقد أنشأت هـــذه الجمعية مسجدا بجوار شارع احمـــد بدوى.

وكان أمينا لجمعية النشر والتأليف بالأزهر » التى نشرت كثيرا من كتب التراث .

وكان عضوا بـ"جمعية الهداية الاسلامية" التى كان يرأسها صاحب الفضيلة محمد الخضــــر حسين شيخ الأزهر واختاره فضيلة الشـــيخ مصطفى عبد الرازق عضـــوا بلجنـــة تقنين الشريعة الاسلامية .

ثم اختير عضوا فى لجنة التفسير بالمؤتمـــر الاسلامى اختاره فضيلة الشيخ عبد الرحمـــن تاج شيخ الازهر ليكون عضوا بلجنة البحث فى أحكام المعاملات الحديثة بالبنوك والتأمينات

وخلال هذه الفترة الزاخرة كانت له مقـالات وفتاوى كثيرة نشرت بمجلة "الهداية الاسلامية"

و"الشرف المصرى" و"مجلة الاسلام" و"الاعتصام و"الازهر" و"الوعى الاسلامى".

وأسهم بجهد وافر فى اعداد الموسوعـة الفقهية بمصر .

واسند اليه مجمع البحوث الاسلامية مهمة القيام بفحص الكتب التى ترد الى المجمـع لتقييمها علميا والفصل فيها .

قالوا عنـه :

قال عنه فضيلة الشيخ محمد مرسى وهـو من كبار علماء الأزهر « يكاد أن يكون الشيخ البولاقى أكبر عالم فى مصر » .

فى مقال نشر بجريدة الأساس قال عنـه المرحوم الشيخ عبد الجليل عيسى عميد كلية

اللغة العربية الأسبق ان الشيخ البولاقى يصلح لأن يكون أستاذا جامعيا فريدا .

* تقدم فى أوائل الخمسينيات بمذكرة الى المجلس الاعلى للأزهر طالب فيها :

(ا) بتعديل المناهج بالأزهر وتبسيطها .

(ب) وأن يخصص لطلبـة الأزهر مكافآت

يتنازل لها المدرسون عن قليل من مـواردهم المضافة الى المرتبات .

الى جانب اعفائهم من أمور أخرى قد تكون عائقا لهم عن متابعة الدرس وكان منطلقه ـ فى ذلك ـ استشعاره الخوف من تبسـيط المناهج بالمدارس الأخرى فخشى أن يكون ذلك سببا فى انصراف الطلاب عن الأزهر .

ولقد كانت المعاهد الدينية فى ربوع مصـر هى منارة العلم ، وكان المعهـد فى كـل اقليم يعتبره الناس دار الافتاء يهرعون اليه فى طلب الفتيا من علمائه الأجلاء ، وهكذا كان معهـد الزقازيق الدينى يحمل لقب « دار الافتاء » فى محافظة الشرقية فكانت كل الرسائل التى ترد الى البريد تحمل اسم دار الافتاء بالشرقيـة

يحولها البريد الى المعهد وكان البولاقى رحمه الله يعمل بالتدريس فى معهد الزقازيق الدينى

وكان المرحوم العلامة الشيخ أبو العيون شيخا للمعهد آنذاك فألقى بأمانة الفتيا وانرد

على الرسائل الى الشيخ البولاقى فكان خير أمين يفتى عن علم ويعطى الرخصة عن ثقة

لا تساهلا فى الدين أوجهلا بأصول الاحكام وكان رحمه الله يقول : يرجع الفضل فى تكوين

مكتبتى الى رسائل القراء ، فقد تكونت لديه مكتبة جامعة تضم العديد من المراجع فى

مختلف فروع الثقافة ولا تعجب اذا قلت لك ان مكتبة البولاقى تضم مراجع فى علم الفلك

والرياضيات وقد أفرد لهذه المكتبة حجرتين فى منزله • وقد ظل بيته مفتوحا حتى آخر أيام

حياته لكل طالب علم ومريد فتيا لا يبخل بعلمه ونصحه وتوجيهه •

أم منزله كثير من الدارسين وراجع كثيرا من رسائل « الماجستير » « والدكتوراه » كل ذلك لوجه الله تعالى من منطلق عقيدته أن العلم منة من الله تعالى على المسلم أن ينشره ويذيعه بين الناس وكتمانه اثم •

حرص على المطالعة والكتابة حتى كف بصره من كثرة المطالعة والدرس فكان يحرص على

سماع ما تقدمه « الاذاعة والتليفزيون من المواد الدينية وكان غيورا فاذا وجد خطأ

سارع بكتابة رسالة الى المسئول عن برامج الاذاعة أو التليفزيون مصححا الخطأ اذا كان

المتحدث معروفا لديه اتصل به وصحح له ما جاء بحديثه •

ألقى درسا بصفة دائمة فى المسجد المجاور لمنزله حسبة لله تعالى •

وكان رحمه الله مثل كل جيله من أبناء الأزهر يحفظ القرآن الكريم وامتاز بالمحافظة على حفظه حتى وفاته وكان شديد التعلق بكتاب الله تعالى يتلوه آناء الليل وآناء النهار ، ولما كف بصره سجل القرآن كله بصوته فآنا يسمع وآنا آخر يقرأ •

يعرفه القراء فى مصر جميعا لأنه كان كثيرا ما يسدى اليهم النصح والتوجيه والتصحيح •

وكان يقول « الشيخ على محمود هو القارىء الذى لم اسمعه يخطىء قط » •

رحم الله ـ سبحانه ـ العلامة البولاقى ورحم الله جيله كله جيل العلماء العمالقة والزهاد المخلصين •

وجزاه الله وجزاهم عن الامة خير الجزاء •

الطاهر محمد الطاهر

شعر وشاعر

هل تغنى النذور؟

حصاد الألم من أسناء عبقر

"شوقي" بين مجد الماضي
وحاضر الشرق والعروبة

هل تغنى النذور؟

اعزفى يازوابع الغضب الجبـــار لحن النهاية المحتومه
واقلعى الجذر ليس فيه حياة   تورق الخير للربى المحرومه

وأميدى الجبال ترقص لحن الر   وع للكون تستثير أديمه
واقصفى يارعود ما صورت للنـــاس يوما أوهامها المحمومه

وانفثى غيظك المعربد يا أر   ض مثيرا وان ظهرت كتومه
حمما تصهر الوجود بما فيـــه ومن فيه وهى غير رحيمه

وأغيضى من الينابع عذبا   واتركى الصاب يجرعون حميمه
أوفكونى القبر الذى يئد العا   صين .. كونى على الغشوم غشومه

أنت يا أرض .. أنت زخرفك اللـــه وخط الانسان فيك رسومه
وظننا ـ ونحن منك ـ غرورا   أن غدونا فى قوة وشكيمه

فاذا باطن البسيطة سهل   مستباح لنا وفيه غنيمه
وغزونا الفضاء نرسل فيه   من بنى الناس من يشق غيومه

سابحا يخضع الظواهر للعقـــل وللعقل لو تأمل قيمه
كان أولى الا يروع انسا   ن أخاه .. ولا يكون غريمه

شعر: شوقى محمود أبو ناجى

كـان أولـى ألا يشـوه انســا ن على الأرض لوحـة مرسـومه

كان أولى أن يستجيب لـداعى الـ حب والخـير فى دنى محرومـه
يرسـم البسـمة الرقيقـة تعلـو ثغـر طفـل لم يدر بعـد همومه

كان أولى بالعـلم يحمـل نفعـا لا دمـارا فى صـورة مشـئومه

كان أولى بالأفق يملؤه البلـ ـبل شدوا ولا تولول بومـه
فاذا العقم قـد تسـلل لـلاد راك اذ شـله وراش صميمـه
واذا نحـن مـا نزال كمـا كنـا أفـاع كل يشـيع سمومه

واذا بالشرور تمـحـلا دنـيا نـا فتغـدو كئيبة ودميمـه
وأمنا مـن ان يحـل بيـاتا بـأس ربى وقـد يصـب جحيمه

وتوالى النـذير تـلو نـذير والبرايـا على الضـلال مقيمـه
علنـا نعـرف الطـريق الى الحـق سـلوكا ٠٠ وخطـة ٠٠ وعزيمـه
ننشد الأمـن والكمـال ونـرقى بحيـاة جميـلة وكريمـه

مطـلب المصـلحين لـو بلغـوه لم نفـزع مـن علـة وجـريمه
ويضىء السـلام ٠٠ يغدق نـورا ينهـل النـاس خيره ونعيمـه

شوقى محمود ابو ناجى
أبو تيج

فى ٨٢/٣/١٤ خسفت منطقـة أرض بـيرو الى جوار غابات الأريزونا وابتلعت من عليهـا

حصاد الألم

للشاعرة جليلة رضا

عجيب أن أعيش وأن اغنى ... وقد نال الفناء مناه منى
عجيب أن أرى الأضواء تزهو ... وأن أصغى الى صوتى المرن
فقد مرت على قلبى هموم ... لو انقسمت على الأحياء تفنى
ولست ألوم من سئموا فولوا ... ومن واسوا على حرص وضن
ولست ألوم من صمتوا كموتى ... وكانوا يسالون النجم عنى
نبش فيقبلون فان حزنا ... فقد قلبوا لنا ظهر المجن
ولكنى حصدت ثمار حزنى ... وحنكنى الأسى فجلوت ذهنى
وبت أرى الحياة بعين قلبى ... وكنت أرى زواياها بعينى
عرفت مشاعر الأفراد سفرا ... حوى صور الجحود بكل لون
ولكن اذ عرفت فتحت قلبى ... وبالحب الكبير شملت كونى
وقلت برغم اخفاقى سأحيا ... أصون على المدى من لم يصنى
فقلبى اذ سما فى ظل روحى ... تساوى الأخذ والاعطاء منى
ويسر لى الأسى صلتى بربى ... وناجيت الطبيعة فى تأن
رايت الله فى ليلى وصمتى ... وفى نوم الوجود المطمئن
رأيت يدا مضوأة تجلت ... لتحتضن الورى من كل ركن
فمرت فوق افئدة اليتامى ... وكفكفت الدموع بكل عين
وطافت بالجبال ذرى وهاما ... وحول خطى النمال بكل كن
فقلت : حنانك اللهم عفوا ... جهلتك يارحيم وأنت عونى
جهلت حنانك الفياض يطغى ... على بحر التمرد والتجنى
فهب قلبى عيونا من ضياء ... يصد بها عثار اليأس عنى
وزد مقدار حبك فى فؤادى ... لأملأ ما استطعت فراغ دنى
لأنى اذ أحبك يا الهى ... أحب الناس أجمعهم .. وكونى

عبد العليم القبانى في ديوانه

"العزف على الوتر الأخير"

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

- ٢ -

للشاعر عبد العليم القبانى كتاب بعنوان : (مع الشعراء أصحاب الحرف) ، نشرته الهيئة العامة للكتاب بسلسلة : (مذاهب وشخصيات) (١) تحدث فيه عن شعراء مثل : ظافر (الحداد) بنهاية العصر الفاطمى بالاسكندرية • وأبو الحسين (الجزار) والسراج (الوراق) بالعصر المملوكى الأول بالقاهرة وابن دانيال (الكحال) طبيب العيون، الذى كان يقوم بتكحيل عيون الناس ، بذات العصر (المملوكى) • والنصير (الحمامى) ، صاحب (حمام) بلدى ، مثل حمام (الملاطيلى) بالقاهرة • وزين الدين الرعاد (الخياط) بالمحلة الكبرى ، وهو مملوكى ، مهنته كانت مثل مهنة شاعرنا •

وتدور الأيام ، وتكر الأعوام ، ويتجه كثير من أهل المدينة بالاسكندرية الى الأخذ بأساليب ومظاهر المدنية الحديثة ، فيما يرتدونه من زى ، فحلت (البدلة) محل (الجلباب) ، وأبطأت عجلة صناعة الملابس البلدية وحياكتها فلجأ الشاعر مرة أخرى الى الاستاذ محمد فريد أبو حديد يشكو اليه حاله فكتب أبو حديد خطاب توصية الى الاستاذ بشير حامد مدير عام التعليم بالاسكندرية ، يوصيه فيه بايجاد فرصة عمل مناسب للشاعر

(١) ما بين القوسين اقتباس من شعر كثير عزة .

من أبناء عبقر

وكان أن ألحقه باحدى مدارس البنات ، ومكث بالمدرسة خمسة أيام كعامل ، ثم ترك العمل ضيقا بقيود هذه الوظيفة الصغيرة ، التى كادت بأعبائها الثقيلة ومكاتباتها الروتينية العديدة ، أن تصرفه عن قراءاته وكتاباته • ثم

التحق الشاعر بعد ذلك بشركة النقل والهندسة، فترة توقف خلالها عن نظم الشعر كلية ؛ لقسوة العمل واستنفاده لكل طاقته وعافيته •

وبعد ذلك قام الشاعر بنشر مقال طريف بعنوان :

« ترزى عربى للبيع » عام ١٩٥٦ ، ذكر فيه مؤهلاته الأدبية والفنية ، وطلب عملا من أى نوع •• فكتب الأستاذ « فؤاد دوارة » بمجلة الاذاعة « ريبورتاج » من ثلاث صفحات رسم فيه صورة الشاعر بماكينة خياطته من ورق شفاف ، يطلب فيه — بعنوان : « مطلوب من من وزير التربية والتعليم شراء هذا الترزى !» وكان أن اتصل الاستاذ محمد خلف الله أحمد بالشاعر ، وطلب اليه العمل بالكليةالتى يعمل عميدا لها ، وهى كلية الآداب بالاسكندرية ؛ والتحق الشاعر بالعمل كاتبا باليومية بمتحف الكلية •• واغتنم فرصة وجوده بهذا العمل وحصل على الاعدادية « من المنزل » ، ولم يدع مناقشة رسالة ما جستير أو دكتوراه فى الأدب العربى أو الفلسفة أو التاريخ أو الجغرافيا — فيما عدا اللغة الانجليزية أو الفرنسية بطبيعة الحال ، لأنه لم يتمكن من اجادة لغة أجنبية — الا حضرها وأفاد من مناقشاتها ، مماكون لديه

الاحساس العلمى ، الذى أعانه على كتابة بحوثه المستفيضة ودراساته القيمة فيما بعد ، وتكونت منها كتبه ودواوينه :

شعراء الاسكندرية فى العصور الاسلامية ، مع مقدمة بقلم الدكتور محمد طه الحاجرى سنة ١٩٦٤ •

٢ — أشعار قومية : (ديوان شعر)حصل به على جائزة أحمد شوقى من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب كأحسن ديوان من الشعر القومى على مستوى البلاد العربية ، سنة ١٩٦٤ •

٣ — مع الشعراء أصحاب الحرف سنة ١٩٦٧ •

٤ — محمود بيرم التونسى وشعره الفصيح مع ملامح المجتمع المصرى فى عهده سنة ١٩٦٩ •

٥ — رواد الشعر السكندرى فى العصر الحديث ، سلسلة « المكتبة الثقافية » سنة ١٩٧٢ •

٦ — فخرى أبو السعود — حياته وشعره وملامح من عصره ، سلسلة المكتبة العربية سنة ١٩٧٣ •

٧ — ايليا أبو ماضى ؛ حياته وشعره بالاسكندرية سنة ١٩٧٤ •

٨ — نشأة الصحافة العربية بالاسكندرية ١٨٧٣ — ١٨٨٢ سنة ١٩٧٣ •

٩ — طه حسين فى الضحى من شبابه ١٩٠٨ — ١٩١٣ سنة ١٩٧٦ •

١٠ — البوصيرى ، حياته وشعره •

١١ — بقايا سراب « ديوان شعر » •

هذا بالاضافة الى بحوثه ومقالاتـه بشتى الصحف والمجلات ، بمصر والـدول العربية ، والبرامج الثقافية التى ألفها وأذاعها البرنامج الثانى باذاعة القاهرة ، واذاعة الاسكندريـة المحلية ، ونشاطه الثقافى الشخصى ، اذ عمل كمحاضر مركزى بالثقافة الجماهيرية بالقاهرة ، وطاف بعديد من محافظات الجمهورية لالقاء محاضراته العامة فى حقلى الصحافة والثقافـة والأدب ، وعضويته لكل مـن : لجنـة فحص الأغانى ولجنة التراث بالاسكندرية ، واتحاد الكتاب وهيئة الفنون والآداب ، ومشاركته فى النـدوات والمحـاضرات بقصـور الثقـافة بالاسكندرية منـذ أن كـانت تحت اسـم (الجامعة الشعبية) الى الآن ، وكذلك مشاركته فى (المهرجانات) التى أقامتها كليـة الآداب والأندية الخاصة والعامة . والمحافل الأدبيـة والاجتماعية بالاسكندرية وخارجها . وكذلك مهرجانات المجلس الأعلى للآداب والفنـون : بالقاهرة والاسكندرية وغزة .

وفى أثناء ذلك كله قام بقراءة كل ما استطاع قراءته بمكتبة كلية الآداب من كتب ، وكان قد فعل الشىء نفسه بمكتبة البلدية بالاسكندرية ، وحينما طال الأمد على شاعرنا وهو فى وظيفته الصغيرة باليومية المؤقتة ، خشى أن يفصل منها فى أى وقت لنفاد (البند) ، أو للاستغناء عن خدماته فى يوم ما ، لأى سبب من الأسباب .

فكتب الى العميد الاسـتاذ محمـد أحمـد خلف الله يقول :

أيرضـيك أنى هنـا ريشـة
أخاف النسـيم وأخشى البلـل

أرى الصبح ــ أمنية الحـائرين
وأخشى بـه أن يكـون الزلل
وأنت العليم بـأنى امـرؤ
تجمـد فى طـاقة مـن خجل !

الى آخر أبيات القصيدة ، وكان أن أقيمت مسابقة خاصة لشغل منصـب مسـاعد أمين المتحف ، وفاز بها شاعرنا .

ومن محاسن الصـدف ، أن غرفـة عمـل الشاعر كانت تجاور غرفة العميـد ، ولكـن ، حينما انتقلت الكلية الى مبناها الجديد ، وجد الشاعر أن الغرفة التى خصصت ، له تقع فى (البدروم) .. فلم يرضه هـذا .. وأقيمت حفلة فى اليوم التالى بالكلية ، ودعى الشاعر ليلقى قصيدة بها ، فأنشد قصيدة أخرى غـير المطلوبة يحتج فيهـا على هـذا الوضـع (البدرومى) !

وفيها يقول متوجهـا بالخطـاب للسـيد الاستاذ العميد :

أغثنى .. لك الخير الذى أنت أهله
وبلغت ما ترجوه ، فى كل وجهـة
وهنت ، فما لى بالسراديب طـاقة
وقد ضقت بالدنيا..فكيف ب(تربة)!
وما كنت (دانيالا)، ولا كنت (يوسفا)
وأين مقامى ..من مقام النبوة ؟!
« أبا خلف » احدى يديك تلمست
مدى الجرح وارتاحت اليها سريرتى

فلا تجعل الأخرى على ضنينة
وقد وقفت ترنو اليك قبيلتى

وكان من نتيجة انشاد هذه القصيد ، أن نقل الشاعر فى الحال . من الجب الى .. السطح ! وحصل الشاعر بعد ذلك على منحة التفرغ من سنة ١٩٦٨ الى ١٩٧١ . أنجز خلالها (ملحمة الثورة العرابية) وبعض الدراسات والكتب التى تقدم ذكرها .

وقد مر الشاعر فى شيخوخته بمحنة أليمة كان لها تأثيرها البالغ عليه . ولولا أن أعانه الله سبحانه وتعالى على احتمالها .. اذ فقد بكر أبنائه (محمد) ، وهو فى سن الخامسة والثلاثين . وكان يعمل أمينا بمكتبة كلية الآداب بالاسكندرية وبعدها بأشهر قليلة فقد كريمته (سهير) ، ذات الثلاثين ربيعا ، وكانت تعمل معيدة بمعهد البحوث الطبية ، بعد حصولها على بكالوريوس العلوم ، والدبلوم الذى يؤهل للحصول على « الدكتوراه » .. وقد دهمها مرض (السرطان) الوبيل . حتى قضت نحبها به وقد رثاهما الشاعر تباعا بقصيدتين من أروع شعر المراثى ، ونشرهما بآخر دواوينه الذى يحمل عنوان : (لله والرسول — العزف على الوتر الأخير . وقد جمع فى هذا الديوان

خلاصة ما نظمه من الشعر الدينى ..

ومما يشجينا من قصائد هذا الديوان الآسية ، قوله فى رثاء ابنه :

وليدى — وما قولى وليدى .. بهين
أليس وجودى فيك سر البنوة

ثلاثون عاما ، بل ثلاثون عالما
أضيئت وغامت .. ثم زيدت بخمسة

صحبتك فيها منذ أن كنت فكرة
تطل فتدنو منك بالغيب شرفتى

واذ أنت ملء العين تهفو لك المنى
وتتبعك الآمال فى كل خطوة

أجل .. تلك أحلامى وهذى رغائبى
وتلك أغاريدى .. وهذى فتوتى

الى أن يقول بالتياع مذيب :
وتختلف الأيام يسرا وشدة

وتمضى سراعا ، بين نوم ويقظة
واذ أنت فى ناب السقام فريسة

تقوم — ولا تدرى — مقام الضحية
واذ أنت تهذى بالجراح وباللظى

وأنت لقاب .. من لقاء المنية
واذ أنت فى حضنى أحسك نائما

وأنت من الأخرى على باب هوة
واذ بك تصحو .. ثم ترتد ساكنا

كأن المنايا قد ونت .. فاستحثت
واذ بى « أنادى صخرة فى مفازة

من العصم ان ترقى لها الطير زلت »(١)

الى أن يقول وقد شارف قمة أساه :

(١) ديوان « لله وللرسول » — قصيدة (مالك الملك) من ص ١٧ الى ص ٢٠ .

وعدت الى نفسى ، وبى صعقة الذى
لوت ركنـــه الأسرار لمـــا تجلت

أناديك مقهور الكيــان ، كأنمــا
على كاهلى ألقوا ٠٠ بوزر الخليقة

وتتابع النداءات فى أبيات هذه القصـــيدة يصور لنا مدى اللهفة والانفعال والحسرة لدى الشاعر ٠٠ بأن يتوجه بالنداء قائلا : (أخى) و (صديقى) و (ابن عمرى) و (ســاعدى) و (أول احساسى بعز الأبوة) .

ويمتد نفس الشاعر فى القصـــيدة . الى أن يقول :

وعدت الى أوراقى الصــفر ، والتى
جمعت بها شعرى وســودت صفحتى

وأغلقت كتبى ، وانتعلت مشــاعرى
أمر عليهـــا ٠٠ كالسراب بقيعـــة

أضعت بها عمرى ٠٠ كما ضاع كل من
تشامخ قبلى ٠٠ ثم أضــحى بحفــرة

٠٠وياولدى ــ ان فاتك الشعر راثيا
تمامل فيه الدمع فى كــل شـــطرة

فانـــك تدرى الآن ، أى فجيعـــة
بفقــدك طـــافت بالمعـــانى فجفت

وما خفقـــات القلب مـــا أنت ســـامع
ولكنهـــا الآمـــال هانت ٠٠ فدكت !

أما قصيدته . فى رثاء ابنته فــلابد قبــل اقتطاف بعض أبياتها من تقــديم نموذج مــن أبياتـــه عنهـــا التى تصور مدى ما كانت عليه منزلتها لديه . بقوله :

« ســـهير ابنتى ٠٠ طفلـــة ماكـــره
وأنعــم بهـــا ٠٠ طفلـــة مـــاكره
رأتنى أحب ابتســـــام الربيـــع
فكـــانت لى الـــوردة النـــــاضره
وأنى أجــن هــوى بالجمــــــال
فكـــانت هى ٠٠ الفتنـــه الآسره
وأنى الى الشــعر القى العنـــــان
فــراحت تتمتم ٠٠ كالشـــــاعرة

الى أن يقول :

تـــلاحقنى بالحنـــــان الـــوديع
وتغمــرنى بالمنى الســــــاحره
وتســــكرنى بالحـــــديث الـــودود
لـــه نفحة الظـــل فى الهـــاجره

ولكنه فوجىء بعد ذلك بالسرطان اللعين . كما يقول . وهو يسلط أنيابه القاســية عــلى جسدها الغض . الى أن أنقذتهـــا منيتها مــن براثنه فى السادس من أكتوبر سنة ١٩٨١ وكان يوما مشهودا . دفنت فيه بجوار أخيها (محمد) فى مقبرة (عمود السوارى) بالاسكندرية . مع زفرات الشاعر الحارة . وعبراتـــه المنظومة . التى منها قوله :

يا ابنة العمــر فى صراع شــديد
يتناءى ٠٠ الى صراع شـــــديد
بين همس الرضى وبســـمة عينيــــــ
ـــــك عرفت الصبــاح ســمح الورود
واســـتعدت الرضى وعشت بقصر
شـــامخ ٠٠ فوق كوخى المهــدود

الى أن يقول بختام قصيدته :

يا ابنتى ٠٠ يا ابنة الضحى من شبابى
كيف أمسيت فى قيود القيود
اين « بابا » التى ترفرف حلما
فى سمائى ٠٠ وفرحة فى وريدى ؟
أين « بابا » التى تمر بحزنى
فاذا بى ٠٠ فى مهرجان العيد ؟
أين « بابا » التى تمس بسمعى
وترا ليس مثله فى الوجود ؟
لميكن يا « سهير » يومك عندى
بقريب ، بل كان بعد ٠٠ البعيد
لم أكن أجترى أفكر فيه
كان فوق الخيال ، فوق الحدود

كان الله فى عون هذا الشاعر الصابر المحتسب ، الذى فاء الى الرضاء بقضاء الله وقدره ، وقال فى تبتله وخشوعه لله تعالى :

يا من له فى كل شىء آيه
وبأمره ، تتكون الأشياء
واذا أراد ، فلا مرد لحكمه
ولو ان أسباب السماء وقاء

هب لى رضاك ، فكل ما أنا صانع
لولا رضاك ــ توهم وهباء

الى أن يقول بترتيل رخيم :

يارب ــ واسمك كلما رددته
نضرت به ٠٠ أيامى الجرداء
وتواثبت بين الضلوع حشاشة
ذابت مع الأيام فهى ذماء
هى وعدك الأعلى ، بعفوك للذى
قد تاب ، مهما اشتدت الظلماء
وأنا بظل رضاك تغمرنى المنى
ومن احتمى بحماك ٠٠ كيف يساء ؟

ونختتم هذا البحث الموجز ، برجاء نتوجه به الى المسئولين عن حركة الثقافة ، للتعجيل بنشر أعمال الشاعر التى أتم تأليفها ، ومازالت تنتظر الفرصة للظهور مثل ملحمته عن الثورة العرابية وتقع فى ٤٠٠٠ أربعة آلاف بيت من الشعر ، تضمها ثلاثة مجلدات ، هى : «عصر اسماعيل» و « يوم قصر النيل » و « الاسكندرية » و « حكايات من قصر السلطان » (١) ، و «ضحكات مقتضبة» (٢) و «أصداء شرقية» وغربية » (٣) و « الملك والراعية » (٤) و « اليقظة » (٥) و « ليال شرقية » (٦) و « شهداء الكلمة فى الاسلام » و « الشعراء السكندريون المنتمون الى أصول مغربية ، وهم عبد الرحمن شكرى « و « زكريا جزارين » و « حمزة فتح الله » و « أحمد أبو على » و « يوسف فهمى الجزايرلى » و « عبد العزيز جاويش » ٠٠ الى غير ذلك من المؤلفات القيمة٠

أحمد مصطفى حافظ

(١) ديوان شعر .
(٢) ديوان شعر ٠
(٣) ديوان شعر .
(٤) اوبرا شعرية عن نشيد الانشاد .
(٥) مسرحيتان شعريتان من فصل واحد ويمثلان يقظة مصر فى العصرين : القديم والحديث .
(٦) ديوان شعر .

شوقى

بين مجد الماضى وحاضر الشرق والعروبة

للدكتور محمد سلامه صالح

الآثـار التاريخية

ـ ١ ـ

كان « شـوقى » دائم الفخر بالفـراعين ، وحضارتهم ، وآثارهم ، فكثيرا ما ردد فى شعره الاشـادة بهذه الآثار ، والاعتزاز بهـذه الحضارة القديمة التى تمثل تـاريخ (مصر) العريق ومجدها الباذخ التليد ·

وهو فى كل ذلك يترجم عن فخر المصريين بهذه الآثار التى لا تزال ماثلة الى الآن ، يفد اليها وفود العالم من أقطار الأرض لتشاهـد معجزة منها فتشهد (لمصر) بعراقة حضارتها ، وامتدادها فى جذور التاريخ ·

وهو فى تمجيده لتلك الحضارة والآثـار ، واعتزازه بهما ، يتناول ذلك جملة أحيـانا ، وتفصيلا لكل أثر أحيانا أخرى ·

١ ـ لقد أصابوا ـ بالرغم من جهل الزمان ـ سر الحقيقة ، فالوجود عنـدهم سـعادة الخلود ، ومنازلهم الدنيوية أكـواخ بدائيـة خربة ، لكنهم أعدوا للآخـرة منـازل شـم القصور ، ففى قصـيدة (أيها النيل) يقول :

بلغوا الحقيقة من حيـاة علمهـا
حجب مكثفـة وسر مغـلق
وتبينوا معنى الوجـود فلم يروا
دون الخـلود سـعادة تتحقق

◄

يبنون للدنيـــا كمـــا تبنى لهم
خـــربا غراب البين فيهـــا ينعق
فقصـــورهم كـــوخ وبيت بداوة
وقبورهم صرح أشم وجوسق (١)
رفعـوا لها من جنــدل وصفائح
عمـدا فكانت حائطا لا ينتق (٢)

٢ ــ وقد دفعه الفخـر بالقدماء الى تقليب النظر فى عامة آثارهم ،مبديا اعجابه بعبقرية صانعيها ، ففى (معبد الكرنك) ، وأطـــلال (طيبة) تتراءى دماهم خالدة الرونق ، متأبية على الدهر ، بارعة الجمال والحسن ، والدقة فى الرسم ، حتى لتوشـك أن تدب الحيـــاة فى أوصالها ، وان لم تحظ بلمسة من روح ، فالفن الخالص عنده منبع وحى ، ومصدر الهام ، وهو فيض من جمال العقول .

يقول فى قصيدة (تمثال نهضة مصر) :

فمن يبلغ (الكرنك) الأقصـــرى
وينبىء (طيبـــة) أطلالهـــا ؟
ويســمع ثم (بــوادى الملــوك)
مــلوك الديــار وأقيـــالها ؟
وكـــل مخـــلدة فى الدمى
هنـــالك لم تحص أحـــوالها ؟
عليهـــا من الوحى ديبـــاجة
الح الزمـــان فمـــا ازدالهـــا (٣)
تكـــاد وان هى لم تتصـــل
بروح تحـــرك أوصـــالها
وما الفن الا الصريح الجميـــل
اذا خـــالط النفس أوحى لهـــا
وما هـــو الا جمـــال العقــول
اذا هى أولتـــه اجمالهـــا (٤)

٣ ــ وكم جاب بنظره مختلف آثارهم ، وقد انتظمت بين الأرض والسماء ، فبدت لديه فى سمو الثريا ، منها مشيد كالبروج ، وأشم دون هامته السحاب ، وهى ــ على قدمها ــ جديدة كأول عهدها ، بعضها ضخم ينوء كاهل الدنيـــا بثقله ، ويضيق عنه وجه الأرض على سعته وهو عال متمكن فى علوه ، مستعص على الزوال فما للبلى من سبيل للنيل منه ، فمن قصـــيدة (أيها النيل) نصغى الى قوله :

ولمن يـــس تد ع لا البانى بهـــا
بين الثريـــا و ثرى تتنســـــق
منهـــا المشـــيد كالبروج وبعضها
كالطـــود مضطجع أشم منطق (٥)
جدد كأول عهـــــدها وحيالهـــا
تتقادم الأرض الفضـــاء وتعتـــق

---

(١) الجوسق : القصر .
(٢) الشـــوقيات ط ٢ جـ٢ : ٧٩ ، و (ديوان شوقى) ٢٣٥/١٠ وما بعدها ، وينتق يتـــزعزع أو يرفع ويهتز .
(٣) ديباجة : جمال نشرة
(٤) الشـــــوقيات : ٢٣٢/٢ ، و (ديوان شـــوقى) : ١٣٠/١ وما بعدها . واجمالها : تحسينها .
(٥) منطق : مرتفع لا يبلغ السحاب رأسه

من كل ثقل ، كاهـــل الدنيـا به
تعب ووجه الأرض عنه ضـــيق
عال على باع البـالى لا يهتـــدى
ما يعتـــلى منـه وما يتسـلق
متمكن كالطود أصـــلا فى الثرى
والفرع فى حرم السماء محلق (١)

٤ ــ ويبـــدو تمجيد الشاعر (للأهرام) واضــحا فى تحيته للطيــارين الفــرنسيين :

(قدرين) و (بونيه) حين وفدا الى (القاهرة) طائرين من (باريس) ســـنة ١٩١٤ ، فهـو يسائلهما عن نسر فرنسا (نابليون بونابرت) ، وكيف استمد عظمته من شموخ (الأهرام) . لكنه ــ وان تبوأ صهوة المجد ، وانعقـــد بين الأفلاك لواؤه ــ أخذ بلعنة الفراعنة ، اذ أصاب (الأهرام) فى كبريائها ، فانتصــفت منـه ، وجرعته مر الهزيمة فى (واترلو) فبات يرسف فى أغلال الأسر ، وان تكن (الأهرام) قد ودت لو احتوت أعظمه بين الأباة الشم ، ممن ضمتهم من بنى الشموس العظماء . يقول من قصيدة (آية العصر فى سماء مصر) :

أين نسر قـــد تلقى قبــلكم
عظة الأجيـــال من أعلى بنــاء
لو شـــهدتم عصره أضـحى له
عـالم الأفـلاك معقـــود اللواء
جرح (الأهـــرام) فى عزتهـــا
فمشى القبـر مجـروح الاباء
أخـــذت تاجـا بتـاج ثأرهـا
وجـزت من صـــلف بالكبـرياء
وتمنت لو حـــوت أعظمـــه
بين ابناء الشـموس العظماء (٢)

وحين وقف الشاعر على قبـر نابليون تمثل تاريخه فوجه اليه النصح ــ فى كبرياء وفخر ــ بأن ينهض الى (الأهرام) خاشعا ، وئيد الخطو ، تاركا زهو الفاتحين ، ويستعيده كلماته الأربع : « أيها الجنود : ان أربعين قرنا تنظر اليكم من قمة الأهرام » (٣) .

ويأسف الشاعر لعظة غفل عنها قومه ، وهم بها أولى ، ففى قصيدة (على قبر نابليـون) نصغى الى قوله :

قم الى (الأهرام) واخشع واطرح
خيلة الصـيد وزهو الفـــاتحين
وتمهـــل انمـــا تمشى الى
حرم الدهر ومحراب القـــرون
وتســـنم منبـــرا من حجـــر
لم يكن قبـــلك حـــظ الخاطبين
وادع أجيـــالا تولت يسـمعوا
لـك وابعث فى الأوالى حـاشرين
وأعـــدها كلمـــات أربعـــا
قد أحـاطت بالقـــرون الأربعين
ألهبت خيـــلا وحضت فيلقـــا
وأحالت عســـلا صـــاب المنـون

---

(١) الشوقيات : ٢/ ٢٨٠ و (ديوان شوقى) : ٢٣٦ .
(٢) مجلة (سركيس) فبراير سـنة ١٩١٤ ، والشوقيات ٢/ ٢ . و (ديوان شوقى) : ١/ ٤٢ ــ ٤٣ .
(٣) الشوقيات ١ هامش ص ١١٧ .

قد عرضت الدهـر والجيش معـا
غـاية قصر عنهـا الفـاتحون

عظـة قـومي بهـا أولى وان
بعـد العهد ، فهـل يعتبرون ؟
هـذه (الأهـرام) تاريخهمـو
كيف من تاريخهم لا يستحون ! (١)

ومن (أسبانيا) يمتطي متن الخيـال الى مشاهد وطنه ، فيستحضر (أهرام مصر) . وقد جاوز عمرها أربعة آلاف عام : فكأنما نهضت يد الدهر ببنائها : فهي ثابتـة ما تريم : ولكم يسمو الخيال بـ (شوقي) ، فاذا (الأهرام) : والرمال مترامية حولها منخفضة مرتفعة سفينة غرقى تلاطمت بها الأمواج : فوارقها . فلم يبد منها الا سواريها . فاذا لفها رأد الضـحى بوميض أشعته بدت ذهبا كأنها كنوز (فرعون) تكدست ، فغطت المـوازين : فمن قصـيدة (أندلسية) نصغي الى قوله :

كان (أهرام مصر) حـائط نهضت
به يد الدهـر لا بنيـان فانينـا
ايوانه الفخم من عليـا مقـاصره
يفنى الملوك ولا يبقى الأواوينـا
كأنهـا رمـالا حولهـا التطمت
سفينة غرقت الا أسـاطينا (٢)
كأنهـا تحت لألاء الضـحى ذهبا
كنوز (فرعون) غطين الموازينا (٣)

ومن (أسبانيا) أيضا يتخيل (الأهـرام) ميزان (فرعون) تدور به الدائرة على الجبابرة الطغاة : أو قناطير أموال من أجود ما جمعت أيدي الجباة ، ثم هي في الضحى روعة تأخـذ بمجامع القلوب ، فاذا أحيطت بستر الليـل ، بدت كأنها ملاعب جن . يقـول في قصـيدة (الرحلة الى الأندلس) :

وكأن (الأهرام) ميـزان فرعـو
ن) بيـوم على الجبـار نحس
أو قنـاطيره تانق فيهـا
ألف جاب وألف صـاحب مكس (٤)
روعـة في الضـحى ملاعب جن
حين يغشى الترجي حماها ويغسى (٥)

وحين يفد الى (مصر) الأسـتاذ (أمين الريحاني) في فبراير ١٩٢٢ م . ويخف بعض الأدباء لاقامة حفـل تكريم له في (سـفح الأهرام) يشاركهم (شوقي) تكريمه بقصيدة يناجي فيها (الأهرام) ، مزهـوا بعظمتهـا وجلالها .

٥ ــ أما (أبو الهول) فانه تمثال خيـالي التكوين « يربض .. بجوار (معبد الـوادي لهرم الملك خفرع) . ومازال الناظر اليه أبـد الدهر يستوحيه سره المكنون ، ولكنه به ضنين

(١) الشوقيات : ٣١٧/١ .
(٢) الاساطين : جمع أسطوانة وهي السارية
(٣) الشـوقيات : ١٢٢/٢ ، و (ديوان شوقي) : ١٥٢/١ .
(٤) جاب : جامع الخراج ، ومكس : ضريبة كانت تؤخذ من بائعي السلع في أسواق الجاهلية
(٥) الشوقيات : ٥٦/٢ ، و (ديوان شوقي) : ١ ٢٠٦ ــ ٢٠٧ ، ويغسى : يظلم .

ويرجح أن رأس هذا التمثال من صنع المالك (خفرع) لأنه على هيئة وجهـه ، ولقربه من معبده ، ومن الطريق الموصل لهرمه ، يقـابل الزائر عندما يتخطى (معبد الوادى) ، وكأنه صورة الملك ، جاثما وموليا وجهـه ناحيـة الشرق (١) .

(وشوقى) يتمثله فى منفاه رابضا (رهين الرمال) أفطس الأنف ، لكنه صنع جنة مهرة ، شم الأنوف ، غير فطس ، وصورته تسفر ــ لدى الشاعر ــ عما جبلت عليه النفوس البشرية ، من شر وفتك ، فهو أسـد يكمن فى انسان ، ولكم تستبد بالناس غرائز الوحوش .

يقول من قصيدة (الرحلة الى الأندلس) :

و (رهين الرمـــال) أفطس الا
أنــه صـــنع جنــة غير فطس
تتجلى حقيقــة النــــاس فيــه
ســـبع الخلــق فى أسـاير انس

وفى ثـورة الشـاعر على الجمـود ، يهيب بالجموع أن تتحرك ، رمزا (بأبى الهول) أن يخف من ركود الموت بالحركة والحياة :

فلم يبـــق غـيرك من لم يخفـــ
ــف ولم يبـق غـيرك مـن لم يطر
تحرك (أبا الهـول) هذا الزمـا
ن تحـرك مافيه ، حتى الحجر (١)

وفى نهاية هذه القصيدة الرائية من البحر المتقارب ، ينظم الشاعر نشيدا ملحقا بها من البحر المتدارك ، يردد فيـه على لسـان فتى وفتـاة انشـق عنهمـا صـدر (أبى الهول) ، مغزى قصـيدة من ضـرب الأمثلة بعظماء الملوك ، وابراز كفاح (مصر) ضـد الغزو الخـارجى ، الى التذكير بمعالم الحضارة نشـدانا للحـرية ، وبعثا لمحاسـن الماضى ، وتشييدا لعز وطن ينبغى أن يفـدى بأبنائه .

ثم هو يستثير هممهم ، ويوقظ فيهم دوافع الحماس بوسائل أبياته المختلفة ، فللعصـر عيون تراهم ، وتراقب أعمالهم ، وآثار الآباء يقظة تلحظهم ، ثم يستنهض هممهم ، ويحدوهم بشد وعذب جميل ، لينتهى بهم الى الغاية التى مهد لها ، وساق اليها (مصر) ، فأعز مالدى الشاعر من رجاء أن تكون هى الدنيا :

اليـوم نســـود بوادينـــا
ونعيـــد محاســـن ماضينـــا
ويشـــيد العـز بأيدينـــا
وطـن نفـــديه ويفدينـــــا

و (شوقى) بنهجه هذا قد أضاف جـديدا الى أدبنا العربى فـ : « هذه المناجاة التاريخية الحضارية السياسية فى أرفع مستويات الأدب والفكر ، ويمكن أن تشبه (بأسطورة العصور)

◄

(١) الاستاذ (محمد صابر) ــ (مصر) تحت ظلال الفراعنة : ١٠٧ م . الرسـالة (د . ت) ــ نشر مكتبة الانجلو المصرية .

(١) (الهـلال) أول اكتـوبر سـنة ١٩٢١ .. والشوقيات : ١٥٧/١ وما بعدها ، و (ديوان شوقى) ١٩٢/١ وما بعدها .

لـ (فكتور هوجو) التى عرض فيهـا لتطور الحضارات ، وقيام الأمم ، وزوال الممالك منذ الانسانية الأولى) (١) .

وفى ٢٣ مايو سنة ١٩٢٨ أقيم احتفال بازاحة الستار عن (تمثال نهضة مصر) الذى صنعـه (محمود مختار) من (أبى الهول) ، وبجانبه فتاة فلاحة تنهضه » (٢) .

وما لاحت تلك المناسبة (لشـوقى) حتى ابتدر المحتفلين بقصيدة وصف فيها هذا التمثال وصفا بليغا فياضا بقوة التصوير ، انتهى فيه من الاشادة بقدرة المثال فى خلع الحركة عـلى الجماد ، والباسه ثوب الحياة ليصف الفلاحة ــ وهى تدنو منــه ــ كأنهـا أم رءوم هـاج خواطرها ، وأثار شجوها مقعد مشلول ، قـد غط فى سبات عميق ، وألقى على الرمل يجمع أثقاله ، وأقام حتى طال فيه متاحة ، فبدا الطول اطراقة (سطيحا) كاهن (غسان) ، وضارب رمالها لاستكناه الغيب ، وما كادت الفتـــاة تشير عليه بالتحرك حتى هم كأنما وعى قولها .

يقول تحت عنوان (تمثال نهضة مصر) :

لقد بعث (اللــه) عهـد الفنون
وأخـــرجت الأرض مثالهــــا
تعالوا نرى كيف سوى الصفـــاة
فتــــاة تلمــلم ســـربالها
دنت من (أبى الهول) مشى الرءوم
الى مقعـــد هـاج بلبابهـــــا
وقــد جاب فى سـكرات الكـرى
عـروض الليـــالى وأطـوالها
وألقى عـــلى الرمـل أرواقــه
وأرسى على الأرض اثقالهـــا
يخـــال لاطـــراقه فى الـــرمال
سـطيح العصـور ورمالهـا (٣)
فقالت : تحـــرك فهم الجمـاد
كأن الجمـــاد وعى قالهـــا (٤)

٦ ــ وحيد أسفر البحث والتنقيب عن كنـز (مصر) العتيق (تـوت عنخ آمـون) الذى اكتشف مقبرته (هوارد كارتر) و (لورد كارنار فون) فى عام ١٩٢٢ م ــ تلفت التاريخ المعاصر الى ماحوت مقابر القدماء من نفائس لبثت فى أعماق الثرى أحقابا ، ثم بدت فأفشت أسرار حضارة . طاشت بأحلام المعاصرين . وأنزت بنفائسها متاحف الفن ، ودور الآثار . بمـــا اشتملت عليه من « صناديق جميلــة مطعمــة بالعاج والأبنوس ، ومطلية برقائق الـــذهب الوهاج .

نقش على بعضها مناظر الصيد ، والحـرب . وأوانى مرمرية بديعة جذابة للغاية ، من بينها

(١) أدب (شوقى) فى السياسة والاجتماع : ١٤٣ ،

Et voir «La Leconde des siecles» par V. Hugo tome 2 : L'Abime

(٢) (ديوان شوقى) : ١ هامش ص ١٢٩ .

(٣) سطيح : كاهن عربى من (غسان) مات بمشارف الشام سنة ٧٥٢ م ، والسطيح ايضـا البطىء القيام لضعف أو زمانه .

(٤) الشوقيات : ٢/٢٣٢ ــ ٢٣٣ . و (ديوان شوقى) : ١/١٣١ .

مصباح صور بداخله الملك والملكة . وعدد من الكراسى ، منها كرسى العرش المطعم بالزجاج الملون ... كما وجد تمثالان للملك ، من الخشب المدهون بالقار ... وأربعة مقاصير ، كانت جميعها متداخلة بعضها فى بعض ... صنعت من الخشب المغطى من الداخل والخارج برقائق من الذهب عليها صور ونقوش ... وكان داخل المقصورة الرابعة تابوت جميل من الحجر الرملى الأصفر المتبلور ... ضم (المومياء).

التى وضع عليها قناع من الذهب يحمل صورة ناطقة (لتوت عنخ آمون) حيث وجدت داخل تابوت رائع من الذهب الخالص المرصع ببعض الأحجار الثمينة » (١) .

وما كان (لشوقى) ألا يتيه فخرا يكشف لفت العالم الى كنز من الحضارة دفين . وقد رصد من شعره مرآة تعكس مجد القدماء . استنهاضا لهمم المعاصرين . فما بداله الملك العتيق . حتى حظى منه بما لم يحظ من شاعرة (بنتاءور) فقد اختصه بثلاث قصائد :

وأهم ما يعنينا من قصيدته الأولى (توت عنخ آمون) تغنيه بمعالم حضارة . كم استضاء بها الرومان ! وكم قبس اليونان :

فكانت دليلا على عظمة شأن أصحابها ، وحسبهم ما شهدت به صم الحجارة ، وما دلت عليه مآثرهم من دقة الاتقان ، ومتانة الاخلاق واتباعه ذلك بما يعزز رأيه فى احراز الخلود من حكم .

ثم تعرضه بالحديث عما أشيع من سرقة اللورد (كارنارفون) لتحف الملكة وجواهرها ، فقد « ذكرت الأنباء فى اثبات ذلك أن اللورد (كارنارفون) أهدى الى (ابنة ملك الانجليز) عقدا مصريا قديما له قيمة عظيمة . وأنها لما علمت بوفاته . وأن بعوضة من القبر عضته ، نزعت من عنقها العقد خوفا من انتقام (توت عنخ آمون) «(٢)» .

وأوقف « شوقى » اللورد (كارنارفون) على مدى اعتزاز المصريين بتراث الآباء . وغيرتهم عليه . وتناوله بقوارص التأنيب . لايثاره صمتا لو كان بريئا ما لاذ به . وذكره بأنه بريطانى . ممن سرقوا الخليفة حيا . أفيعف عن سرقة الموتى ، وهذه من تلك أيسر ؟! وهو بذلك يشير الى ما كان من أمر الانجليز فى نقل السلطان (وحيد الدين) من قصره فى الآستانة حماية لهمن الكماليين ، حيث أبحرتبه المدرعة البريطانية الى (مالطة) فى ١٦ نوفمبر ١٩٢٢ بعد أن انتهت حرب اليونان ، و (تركيا) ، واتسق الأمر لحكومة (أنقرة) . (٣)

فمن تمجيده للفراعنة قوله :

فكانوا الشهب حين الأرض ليل
وحين الناس جد مضللينا

(١) (مصر) تحت ظلال الفراعنة : الصفحات ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ .
(٢) الشوقيات : هامش ص ٣٣٩ .

(٣)ـ راجع تفاصيل ذلك فى (شوقى) أو صداقة اربعين سنة : ٢٢١ وما بعدها ، وانظر الشوقيات جـ ١ هامش ص ٣٣٩ .

وعلى الله فليتوكل المتوكلون

مشت بمنارهم فى الأرض (روما)
ومن أنوارهم قبست (أثينا)
ملوك الدهر (بالوادى) اقاموا
على (وادى الملوك) محجبينا
فرب مصفد منهم وكانت
تساق له الملوك مصفدينا
اذا عمدوا لمأثرة أعدوا
لها الاتقان والخلق المبينا

وفى تقريعه (للورد كارنارفون) يلتفت اليه قائلا :

(اخا اللوردات) مثلك من تحلى
بحلية آله المتطولينا
لك الأصل الذى نبتت عليه
فروع المجد من (كرنورفونا)
ومالك لا يعد وكل مال
سيفنى أو سيفنى المالكينا
رأيت تنكرا وسمعت عتبا
فعذرا للغضاب المحنقينا
أبوتنا وأعظمهم تراث
نحاذر أن يؤول لآخرينا
ونأبى أن يحل عليه ضيم
ويذهب نهبة للناهبينا

سكت فحام حولك كل ظن
ولو صرحت لم تثر الظنونا
يقول الناس فى سر وجهر
ومالك حيلة فى المرجفينا
أمن سرق الخليفة وهو حى
يعف عن الملوك مكفنينا ؟!!

ويستوقفنى الدكتور (طه حسين) بطريف مداعبته (لشوقى) ، اذ تناوله فى قصيدته تلك بطيب الثناء ، ولاذع المأخذ ، وهو فى الحالتين يؤثر النقد المنصف على الحمد المسرف ، وقرر أنه « قد لا يسهل نقد هذه القصيدة ، وقد يضطر الناقد الى أن يتلمس فيها العيب ، ويبحث فيها عن مواضع الضعف ، وقد لا يجد شيئا بعد طول التلمس والبحث ، فيقف من (شوقى) لا موقف الناقد ، بل موقف المداعب» ويقول عنها : « انها قصيدة من قصائد (شوقى) فيها الكثير الجيد ، وليست تخلو من الردىء ».

ويرى أنها ليست « مقياسا لشاعرية (شوقى) وحسن غوصه ، وفوزه بالمعنى الجيد ، وحسن آدائه فى اللفظ «الرشيق» فما هى « آية من آيات (شوقى) ، وانما هى قصيدة من قصائده

الجيدة ، وسر ذلك عنده أنه « لم يتكلف فى هذه القصيدة لفظا ، ولا معنى ، وانما شعر وأحس وجرى قلمه بما أحس ، وما شعر ، وليس هذا بالشىء القليل ، ولعل هـذا هو كل شىء » ..

وقد أخذ عليه ما فى القصيدة من عسر الهضم بتوارد كثير من الأسماء الأعجمية ، لكنه عنده قد « أجاد اللفظ والمعنى فى قوله :

تعـالى (الله) كان السحر فيهم
أليسـوا للحجـارة منطقينـا ؟!!

كما أنه أحسن وصف الخلود ، وأجاد التعبير عنه ، ولاسيما حيث يقول :

وأخـذك فى فم الدنيـا ثنـاء
وتركك فى مسـامعها طنينـا

غير أنه لا يستطيب لفظ (الطنين) اذ يراه « قلقا فى موضعه ، ضعيفا كل الضعف ، غير ملائم لصدر البيت » ويقول : « أنظر الى هذا الصدر تجده فخما ضخما واسعا رائعا (وأخذك فى فم الدنيا ثناء) ثم أنظر الى عجز هذا البيت تجده خاملا ضئيلا نحيفا ، وهل تستطيع أن تضع (الطنين) بازاء هذا الثناء الذى ينطق به فم الدنيا ؟ وأين يقع الطنين هذا الصوت النحيل من هذا الثناء ، ثناء الدنيا الذى لا حد له ؟ » ... ويرى أن قوله (أخا اللوردات) ليس من (شوقى) فى شىء ، كذلك وضعه الاسم الأعجمى (كارنارفون) موضع القافية ، واعتذار (شوقى) الى اللورد من غضب الغاضبين لدى الناقد الكبير « يعدل آلاف المرات ما كتب الكتاب الى اللورد (كارنارفون) من لوم ، ومن شكر ، واعتذار ... أما قوله للانجليز :

أمن سـرق الخليفـة وهـو حى
يعف عـن الملـوك مكفنينـا ؟!!

فهو عنده (سهم أصاب منهم المقتل ، وأحسن الدفاع عن المصريين فى لطف ، وخفة روح » غير أن كلمة (مكفنينا) لم تعجبه .. (١) .

ولمحـات الدكتور طه حسين النقدية فوق تعقيب مثلى عليها ، ولكن (لشوقى) — دون شك — عذر فى ايراد الأسماء الأعجمية ، اذ لا يملك لها تبديلا ، ولا تحريفا ، فقد اقتضتها مناسبة القصيدة ، ولم يكن بد من ذكرها ، على أن (شوقى) تصرف فيها بما يتفق مع موسيقى القصيدة وجوها ، أما حديثه عن الجودة وعدمها فقد يبدو أنه حديث غير محدد ولا واضح ، وأما ايراد (كارنارفون) فى القافية فأوقع ليحدث الأثر النفسى الذى قصده الشاعر ، وجعله توطئة للحديث عن السرقة ، فهو ربيب مجد ، ولاسم أسرته صداه ، فكيف ساغت له السرقة ؟!!

يتبـع

« محمد سلامة صالح »

---

(١) راجع كتاب (حافظ وشوقى) من ص ٩٣ الى ص ١٠٣ .

بلد اسلامي

تركيا ودورها في الاسلام

للأستاذ ادريس مصطفى دونر

كلمة « الترك » صينية الأصل بمعنى الرجل القوى شديد البأس ، وقد تعرف المسلمون على الاتراك فى اقاليم « آذربيجان » قبل ان يحتكوا بهم ويجاوروهم فى بلاد ما وراء النهر ــ نهر سيحون ــ ومن الواضح أن قوافل تجار المسلمين التى كانت تذرع مسالك آسيا الوسطى وطرقها منذ القرن التاسع الميلادى هى التى عرفت جماعات الترك بمبادىء الاسلام » (١) .

ونشد المسلمون ــ منذ عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه ــ فتح اقليم ما وراء النهر الذى كان يسكن فيه معظم الاتراك فأرسلوا اليه غزوات عدة وكان الاقليم مقسما الى عدة وحدات سياسية مثل « سمرقند » « وبخارى » وعلى رأس كل منها ملك من الترك وهم أشبه بالقبائل يحارب بعضها بعضا وقد تم فتح هذا الاقليم على يد «قتيبة بن مسلم » وكان الحجاج قد ولاه خراسان .

واستولى قتيبة بن مسلم على بخارى فى سنة ٨٩ هـ بعد عناء شديد وفى عام ٩٣ هـ استولى على خوارزم ثم فتح سمرقند بعد قتال شديد وبفتحها وطد مركزه فى بلاد ما وراء النهر (٢).

وهكذا أصبح هذا الاقليم كله تحت سلطان الدولة الاسلامية ، وسلك المسلمون العرب فى معاملة أهل هذا الاقليم نفس السبيل التى سلكوها فى الأقاليم الأخرى التى فتحوها من المعاملة الحسنة فشجعوا أهله على اعتناق

---

(١) ص : ١٨١ ــ ١٨٢ المختار محمد-عالم الفكر (١) دراسات اسلامية ــ وزارة الاعلام الكويت ١٩٨٤ .

(٢) ص (٣٠٦) التاريخ الاسلامى العام لعلى ابراهيم حسن ــ مكتبة دار النهضة المصرية .

الاسلام فاعتنقه كثير من الأتراك وتتضح أهمية هذا الاقليم اذا علمنا أن كثيرين من علماء المسلمين من أمثال « البخارى » «والفارابى» « والزندى » « والخوارزمى » قد ظهروا فيه (١) •وقدم الاتراك الى الاقليم المعروف حاليا بتركيا بعد انتصارهم فى معركة — ملازغرت — فى عام ١٠٧١ م على البيزانطيين سكانه الأصليين فاستولوا عليه منذ ذلك الحين •

ظهر الأتراك فى مسرح السياسة العربية من عهد الخليفة المعتصم (٢١٨ — ٢٢٧ هـ — ٨٣٣ — ٨٤٢ م) الذى اعتمد ، ومن تلاه عليهم اعتمادا كليا ، ولا عجب فى ذلك اذ كانت أمه تركية (٤) ولما أقاموا دولة السلاجقة قاوموا هجمات صليبية دفاعا عن الاسلام والمسلمين وبعد ما أسسوا الدولة العثمانية واصلوا الفتح الاسلامى حتى وسط أوربا ونشروا الدين الحنيف فى كل بلد فتحوه ، وكان الاتراك فى عهد الدولة العثمانية يفضلون لغة القرآن على لغتهم الأصلية وهى اللغة التركية فكان كثير من الشعراء والادباء الاتراك يكتبون باللغة العربية

ويقوم الهيكل التعليمى الدينى فى تركيا التى تبلغ نسبة المسلمين فيها أكثر من ٩٩٪ من سكانها البالغ تعدادهم خمسين مليون نسمة تقريبا — على مؤسسة دينية ترعى شئون المسلمين وتوجد فى تركيا حاليا ثمانى كليات دينية تابعة لجامعات مختلفة يدخل هذه الكليات خريجو مدارس الأئمة والخطباء أى المدارس الثانوية الدينية وعددها ٣٧٤ مدرسة موزعة بأنحاء الجمهورية وخريجو الكليات يعينون فى المدن والمراكز بوظائف الافتاء والوعظ فى حين يعين خريجو مدارس الأئمة للقيام بأعمال الامامة والأذان فى المساجد •

والى جانب التعليم الدينى الرسمى تقوم الجمعيات الخيرية بانشاء مدارس أهلية فى مستوى « الاعدادية » تعترف بها الدولة وتصدق على شهاداتها ، وفيها يحفظ الطالب القرآن الكريم ويدرس بعض العلوم الاسلامية ويعين خريجو هذه المدارس أئمة أو مؤذنين فى المساجد بعد المامهم بالعلوم الدنيوية •

ومؤسسة رياسة الشئون الدينية هى التى تعين الخريجين سواء كانوا من الكليات أم من المدارس الحكومية والأهلية ، وللمؤسسة قسمان :

قسم ادارى — وقسم علمى

القسم الادارى :

يقوم بتلبية مطالب المسلمين الادارية مثل تعيين امام أو واعظ •

أما القسم العلمى : فهو يقوم بدور الافتاء فى المسائل الاسلامية وله مجلس يتكون من عدة علماء بارزين ويسمى « المجلس الأعلى للشئون الاسلامية » ومعظم أعضاء هذا المجلس تلقوا دراساتهم بالأزهر

والشعب التركى المسلم متمسك بدينه وتقاليده الاسلامية حسب امكانياته المحدودة والمطلوب من الأزهر أن يمد يده نحوه بشكل أكثر •

ادريس مصطفى دونر

---

(١) ص ٤٦٤ نفس المصدر •

طرائف

القرآن الكريم

معجزة مستمرة خالدة

بين الدكتور موريس بوكاى

والكابتن جاقوس كوستيو

أفاد الدكتور موريس بوكاى وهو مسلم بارز حديث عهد بالاسلام ، تعرف على القرآن الكريم عندما كان يعالج عاهل المملكة العربية السعودية الملك فيصل رحمه الله (١) .

بأن الكابتن جاقوس كوستيو قد اعتنق الاسلام فى الآونة الأخيرة .

لقد شاهد الكثيرون ، وبالدهشة ، على الشاشة الصور التى التقطها تحت الماء فريق من الباحثين العاملين باشراف الكابتن «كوستيو» وتأثروا بالاختبارات المتعددة التى أجراها فى بحار العالم ونال كاستيو شهرة لا تقل عن شهرة الرئيس الفرنسى ، يقول :

« كنا مشغولين بفحص نتائج بعض الباحثين الذين أصروا على أن هناك حواجز تفصل بين البحار بعضها عن البعض . أثبتت نتائج بحوثنا **أن البحر المتوسط له ظروف متميزة من حيث درجات الحرارة ونسبة كمية الاملاح وكثافة المياه الخاصة به .**

وبعد ذلك بحثنا فى المحيط الاطلنطى ووجدنا ظروفه مختلفة جدا عما عليه البحر المتوسط بالرغم من أن كلا البحرين متصلان عن طريق مضيق « جبل طارق » **هذا فى** حين كان من المنطقى التصور أن يكون البحران متماثلين من حيث الكثافة ، **الا أنه** ليس **ذلك** صادقا بأى حال من الأحوال .

كل البحار لها ميزاتها الخاصة بها. كانت دهشتى عظيمة .

هل من اللازم أن تتواجد حواجز عند نقاط اتصال مختلف البحار.

(١) وهو صاحب المؤلف : « القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم » وقد قامت دار المعارف ـ فى مصر ـ بنشر ترجمة عربية كاملة عنه .

إعداد: عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ومواقف

وكذلك فان جماعة من علماء المان وصلت الى نفس النتيجة . إذ أجروا فى ١٩٦٢ م بحوثا عند مخرج البحر الاحمر بقرب خليج عدن . دللت على أن هذه الحواجز موجودة عند كل نقطة اتصال حيث يلتقى البحران .

صارح الكابتن « كوستيو » صديقه الدكتور موريس بوكاى » بنتائج بحوثه .

فأجابه الدكتور م . بوكاى «بأن هذه البحوث لا جديد فيها ، فان « القرآن الكريم » صرح بذلك ، فمن شاء طالعه وأمعن النظر فيه .

وطالع الكابتن « كوستيو » « القرآن الكريم» واستولت عليه دهشة شديدة .

وقال — بكلمات بسيطة :

أعلن أن هذا القرآن ليس الا وحيا خالصا من عند الله ، وما علومنا المعاصرة الا مصدقة لما فى القرآن الكريم الذى أنزله الله سبحانه للبشرية منذ أربعة عشر قرنا مضت .

وها هى الآيات القرآنية التى سبقت تلك البحوث يقول — تعالى :

« وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا » . الفرقان ٥٣

«مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ » . الرحمن ١٩ — ٢٠

عن مجلة « اليقين » الباكستانية
نقلا عن الـ « ديد يانس »
التى تصدر بالانجليزية بدهلى الجديدة
عدد يوليو — أغسطس ١٩٨٣

حقا

قال ابن معين :
كان أبو مسهر ينشد :

ولا خير فى الدنيا لمن لم يكن له
من الله فى دار المقام نصيب
فان تعجب الدنيا رجالا فانها
متاع قليل والزوال قريب

"دعاء"

اللهم لا تشمت بى عدوى ، ولا تسىء بى صديقى ، ولا تجعل مصيبتى فى دينى ، ولا تجعل الدنيا أكبر همى ، ولا تسلط على من لا يرحمنى ياحى ياقيوم .

(١) سُورَةُ الفَاتِحَة

مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا سَبْعٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣
مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦
صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

من التراث

مجلة الأزهر من خمسين عاما

مجلة الأزهر

الفتاوى

حكم الله فى التبرج

للأستاذ طـه حبيب

مما لا شك فيه أن الحفاظ على سمو المستوى الأخلاقى فى الأمة واجب مقـدس ، لأنه المثل الأعلى الذى تدعو اليه كل الأديان السماوية . وفى ذلك يقول رسول الله ــ صلى الله عليـه وسلم ــ : (انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)

ومن الاصول المقررة فى كل دين : الامـر باحتشام المرأة ، ورعاية أخلاقها واحترامها ، لأنها الراعية الاولى لبناتها وأولادها . ولكن الاسلام انفرد من بين سائر الاديان بالتأكيد على هذه الناحية . تأكيدا يصـل الى درجـة الالزام . (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) وان تعجب فعجب قول بعضهم : ان عـودة المرأة الى الحجاب ردة . وان سفورها تقدم ، مع أن هناك قاعدة تقول : ان كل ما فيه فتنة أو ساعد على فتنة محظور شرعا وعلى كل مكلف انكار ذلك . اما باليد وذلك للحاكم « لأن الله يزع بالسـلطان ما لا يزع بالقـرآن » . أو باللسان وذلك بالحكمة والموعظـة الحسـنة والمجادلة بالتى هى أحسن . امتثالا لقولـه تعالى : « وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

قال الكاتب (١) :

س ــ ما حكم الله تعالى فى حضـور المسلمات حفلات السينما والملاهى التى

(١) مجلة (نور الاسلام = مجلة الازهر) المجلد الرابع الجزء الاول .

اعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

تبعث فى القلوب ينابيع الشر والفسق والفجور مما هو شائع ومشهور ، أو يوجد فيها اللهو بالآلات المحرمة التى لا تخلو من نظر الأجانب الى وجوه النساء وشعورهن وأعناقهن وغير ذلك ؟ وما الحكم أيضا فى ذهاب المسلمات الى حوانيت الحلاقين لقص الشعر بيد الرجال، أو بيد النساء مع حضور الرجال ونظرهم الى رءوس النساء وأعناقهن ، فهل يفترض منع جميع ذلك فى دين الاسلام ؟

الجـــواب

ظهور السيدة خارج منزلها :

خروج السيدة من منزلها متبرجة يأباه الدين وتأباه الكرامة باجماع المسلمين ، ولا يرضى به الا من هو بعيد عن الخلق والدين • فاذا خرجت المرأة لمقتض فلا يباح لها الخروج بحالة تبرج وتزين يكون داعية الى نظر الرجال • قال الله تعالى : « **وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى** » •

وقد نص الفقهاء على أن بدن السيدة كله عورة الاوجهها وكفيها • فلا يجوز لها أن تبدى شيئا فى الطرقات والأسواق والحفلات والمجتمعات العامة ولو مع أمن الفتنة ، لأن ذلك عورة لا يجوز اظهارها • أما الوجه فانما يجوز النظر اليه لمن يأمن الفتنة أما من لا **يامنها فلا يجوز له النظر ، ولو أن الوجه غير عورة ، لأنه لا تلازم بين كونه ليس عورة وجواز النظر اليه ، اذ جواز النظر منوط بعدم خشية الفتنة •**

وصفوة القول :

أنه اذا خرجت السيدة لما يقتضى الخروج فينبغى أن يكون خروجها فى حشمة ووقار ، وعلى كيفية لا تجلب اليها أنظار المارة من الرجال والشبان •

وظاهر لك من هذا أن خروج السيدة ليلا أو نهارا لمثل ما جاء فى السؤال من الحفلات الروائية وحفلات السينما التى تقول انها تبعث فى القلوب ينابيع الشر ، وانها لا تخلو من نظر الرجال الى وجوه النساء وأعناقهن ، لا يجوز ، لما فى ذلك من الفتنة ، ولما فيه من الوقوع فى المحرم فعلا ، كنظر الرجال الى أعناق السيدات وشعورهن ، وغير ذلك مما لا يجوز النظو اليه•

والقاعدة أن كل ما فيه فتنة أو فتح باب فتنة محظور غير جائز ، لأن سد الذرائع مقدم على جلب المنافع • ولا شك أن ذهاب المسلمة الى حانوت الحلاق لقص أو حلق شعرها ،

بيد رجل أو بيد امرأة ، مع حضور الرجال ونظرهم الى رءوس النساء واعناقهن ، أمر غير جائز ، لأنه فضلا عما فيه من كشف الشعر والعنق — وهما عورتان — هو تبرج ممقوت •

السفور :

ولا شك أن الخروج على الوصف الوارد فى السؤال لا يجوز شرعا • وقد التبس الأمر على كثير من الناس ، فظنوا أن مجرد أن وجه المرأة ليس عورة يبيح لها الخروج سافرة ، مهما ترتب على ذلك من فتنة ، كما ظن هؤلاء أنه مادام الوجه غير عورة يجوز النظر اليه ، وكلا الأمرين غير صحيح • والأساس الذى يجب السير عليه هو خشية الفتنة ، فمتى وجدت لا يجوز الخروج ، كما لا يجوز النظر لمن لا يأمن الفتنة •

ولقد ترتب على هذا الظن الخاطىء أن تورط الناس فى ذلك تورطا فاحشا ، فأصبحت بعض السيدات تغشى الطرقات دون حاجة ، وتختلف الى محلات التجار سافرات متبرجات يستجلبن النظر اليهن ، ولا تخرج احداهن الا متزينة بأبهى زينة . سافرة بادية الذراعين والعنق والصدر وبعض الظهر ، دون حياء أو مبالاة بخلق أو دين • ولقد بلغ من أمر بعض هؤلاء أنهن أصبحن لا يبالين بالأخلاق الفاضلة ، وفقدن خلق الحياء بالمرة ، وأصبحن كالنساء فى الجاهلية الأولى • وقد نعى الله على أصحابها فى القرآن ، وأمر النساء بترك التبرج •

الداعون الى السفور :

وكأنى بأصحاب الدعوة الى السفور يندبون الأخلاق لأنهم لم يكونوا يتوهمون أن يترتب على ما قاموا به من دعوة الى خروج المرأة سافرة ما عليه النساء الآن ، لأن دعوتهم لم تكن الا مصحوبة بطلب الحشمة والوقار ، حتى انهم نعوا حين دعوا على من تستر وجهها بخمار لا يحجب ما وراءه ويدعو الى النظر •

وما كان ذلك الا لأنهم يرون أن جواز كشف السيدة وجهها يجب أن يكون مصحوبا بغير تبرج ، كما يجب أن يكون مصحوبا بترك الزينة التى تجلب الأنظار • ولقد كانت دعوتهم الى ابداء الوجه واليدين اعتمادا منهم الى أن ذلك أدعى الى عدم التبرج وترك المهازل التى كان عليها النساء وقت الدعوة من التستر بخمر لا يغيب ما وراءها ، بل تكون داعية الى تحديق النظر أكثر مما لو كان الوجه عاريا والزينة متروكة •

تلك كانت دعوتهم ، ولكنها للأسف لم تفهم على وجهها الصحيح ، فوقعنا فيما نراه الآن : من انهيار الأخلاق ، وضياع الحشمة والوقار ، بل وضياع المروءة فى بعض النساء ، حتى أصبحن يبرزن للناس بوجه ليس فيه حياء ، تكاد الواحدة منهن تخرج عارية • وان لك فيما تراه من الصور التى تنشرها جرائد الصباح والمساء لأكبر العبر فيما وصل اليه الحال الآن •

التبرج والشكوى منه :

ولقد راقنى ما قرأتـــه لبعض الكتـــاب فى جريدة الأهرام الصادرة فى ١٧ ربيع الآخــر سنة ١٣٥٢ تحت عنوان « ما قل ودل » ، فقد جاء فى هذا المقال ما نصـــه : « الاسكندرية فى أوجها ، « ستانلى باى » صباح الأحد هـــائج مائج . لقد طفح عليه قطـــار البحـــر مئـــات المتلهفين على رؤيته ، الذين تنقصهم الموارد ، والناس يجذب بعضهم بعضا ، فهذا رجل حائر يدور بآلة التصوير فى يده ، يلتقط عن يمينـــه وشماله ، ويجتهد فى الحصـــول على الصـــور الشاذة الخارجة ، يريد الاحتفاظ بتذكار دائم» الى آخر ما كتبه ذلك الكاتب القدير من قوله :

« ولكن جزعى ليس من أجل واحدة أو اثنتين أو عشر فتيات ، ولكن جزعى هو مـــن أجـــل المستقبل . أخشى عشر السنين القادمة ، أخشى التحضير للحرية عن طريق الاستهتار » ! الى أن قال : فاننا يجب أن ننفخ فى صور الفضائل، ونمجد اللواتى يجلسن الى مكاتبهن الســـنين الطوال ، يدرسن ويبذلن شبابهن فى خـــدمة المجتمع ، فهؤلاء هن اللواتى يحضرن هـــذا المجتمع للحرية العاقلة ، الرزينة الكريمة ، لا اللواتى يقتبسن آخر أزياء البجـــامات مـــن شاطىء « ستانلى باى » .

صـــور النســـاء :

راقتنى هذه الكلمة حقا ، وبقدر ما راقنى هذا الأسلوب البديع للدعـــوة الى الأخـــلاق الفاضلة وترك التبرج الممقوت (و) ســـاءنى والله ما رأيته فى احدى جرائد الصباح مـــن رسم لثلاث فتيات من مدرسة لتعليم الرقص ، ومن رسم فتاتين بثياب البحر تلعبان مع صديق لهما يقذفه الى الماء ، ومن رسم الألعاب عـــلى شواطىء البحر ، التى سمتها الجريدة « قذفة الخروف » فان هذه الرســـوم التى تنشرهـــا جرائدنا على اختلافها ليس اظهارها من صالح مجتمعنا ، ولا هى تناسب قوميتنا . وظهورها يرغب فتياتنا فى هذا ، وهو ما ينافى أخلاقنـــا وديننا .

ساءنى هذا ، كما ساءنى غيره من كثير مما أراه من الرسوم فى صحيفة الصور التى تنشر فى جرائد الصباح والمساء ، وقلت :

حبذا لو أن كتابنا وجهوا عنايتهم وأقلامهم البليغة الى محاربة هذا الصـــنيع الممقـــوت ، الذى لم يقف عند النساء ، بل تعداهن الـــى الشبان ، فان منهم — والحسرة تملأ القلب — من يتزين بزينة النساء ، فيضع المساحيق على وجهه بجميع أنواعها ، فهذا واللـــه داء وبيل ، وصنيع ممقوت ، وأمر يأباه شرعنا ، وتأبـــاه الفضيلة ، ويدعو الخلق الى تغييره . وانه لما يدمى له القلب ويضيق لـــه الصـــدر أن يترك القوم أوامر دينهم التى يؤيدها العقل ، ويسلم بها الطبع السليم ، وتدعو اليهـــا الفضـــيلة . فالام نبقى على تلك الحال السيئة ؟!

وأين الآباء والأزواج ؟!

انهما مسئولان قبل كل أحد ، مسئولان عن تدهور الأخلاق وراء ما نسميه تمدينا .

ألا قاتل الله التمدين اذا كانت هذه آثاره وتلك نتائجه !

لقد اعتدنا وا أسفاه على أن نأخذ من عادات الغير ما هو ضار ونترك ما هو نافع . ولو أننا تمسكنا بأخلاقنا وقوميتنا تمسك هؤلاء الذين نقلد بعضهم ، لما وصل حالنا الى ما وصل اليه اليوم . فهانحن أولا نسمع أن بعض الـدول العظمى قد بلغت أسمى المراتب ، ومع ذلك لا تزال متمسكة بعاداتها التى كانت لها فى العصور الوسطى .

أما نحن فمع أننا لم نبلغ شأوا فى الدنيا ، فقد تركنا الدين والخلق ، وأخذنا بكل جديد ، دون نظر الى آثاره وما يترتب عليه ، حتى نشأ عن ذلك أن انهارت أخلاقنـا ، وكثرت فينـا المفاسد ، وفشت البدع ، حتى صـار القبيح المجمع على قبحه حسنا فى نظر البعض ، يحبذه ويدعو اليه .

ولك مما تنشره بعض الجـرائد الأسبوعية فى تحسين ما ليس بحسن الدليل القاطع على أننا قد كدنا ننسل من الأخلاق الفاضلة .

واليك مثلا أنت الحكم فيه بعد سماعه :

نشرت احدى الجرائد الأسبوعية أن ممثلة من الممثلات عقدت مبـاراة بين الممثـلات ، لابسات ملابس البحر ، عرضتهن وهن كذلك على النظارة ، وجعلت الحكم لبعضهم فى أى الفتيات أحسن ، فحكموا لاحـداهن ، وقـد رسمتها هذه المجلة بملابس البحر ! فهل رأيت أو سمعت مثل هذا فى بلد يدعو دينه الى مكارم الأخلاق ؟

انى لا أكاد أصدق أن مثل هذه الأمور بلغ مسامع القائمين بالأمر فينا ، ولـو سـمعوه لمنعوه وعاقبوا القائمين به ، لأن هذا الضرب من التهتك بـل الجنـون فى التهتك انتحـار لأخلاقنا !

هذا مثل من كثير من تحسين ما ليس بحسن، والدعوة الى ما ينافى الفضـيلة . ولا أدرى أى نفس تلك التى تستحسن تحبيذ هذا الفعل القبيح وهو خزى فى الدنيا والآخرة ، ومعصية تأبى الأديان وجودها ، وتدعو الى قطع شأفتها ومحو جرثومتها ؟!

وما جاءنا هذا الا من اتباع الهوى ، وعدم تحكيم العقل ،والتقليد الأعمى فى كل ضار ،

وترك تعاليم ديننا ، حتى أصبح الذى يـدعو الى خلق حسن وعادة قومية ،وينهى عما ينهى عنه الشرع ، محلا لسخرية أصحاب الهوى والغرض ، يسكبـون عليه جـام غضـبهم ، ويوجهون اليه كل لوم ، وينسبونه الى الجهل وقلة الذوق ، مهما كان من أمره . ولـو درى اللائى يعملن هذا وعلم الذين يدفعون عنهن بأن الكل بهذا قد ذهب بخلق الأمة وهدم قوميتها ، وارتكب محظور دينه — لو علم هؤلاء ذلـك وتفطنوا له ، لثابوا الى رشدهم ، وحالوا بين الأمة وما هى فيه من سوء الأدب .

ولكن ما الحيلة ؟! وقد ابتعد الناس عـن الدين والخلق المتين ، حتى كـاد ينقض مـن

الأساس ، وأصبحت تسمع ممن تنصحه الذراية بك والطعن عليك بأنك جاف جامد لا تكاد تصلح للجيل الذى أنت فيه : جيل التجديد والمجددين !

التجديد وبراءة المجددين من امثال هذه المفاسد :

وانى أربأ بالمجددين وعلماء التجديد عن أن يكون منهم نصير أو شبه نصير لمثل هؤلاء ، وأعتقد أن المجددين ودعاة التجديد يدعون أول ما يدعون الى الأخلاق والتمسك بأهداب الفضيلة • ومن الذى يقول : ان التجديد غير مطلوب وهو ضرورى لحياة الأمم ؟ ولكن لم يكن معناه فى يوم من الأيام العمل على هدم القومية ، أو ضياع الأخلاق ، أو الحط من كرامة الدين ، أو العمل على محوه • وانما هو سير مع الظواهر الكونية والنواميس الطبيعية • وهو فى كل شىء بحسبه وبما يلائمه ، ولايكون التجديد الا فيما يقبله •

ومن البدهيات أن الأديان لا تقبل التجديد ، لأنها عقائد وأحكام يجب على أهلها التمسك بها ، ولا يمكنهم الخروج عنها ، الا اذا خرجوا عن الدين والاخلاق الفاضلة ، فلا يمكن التجديد فيها ، الا بكثرة الدعوة اليها ، والتفنن فى الأخذ بها ، وصيرورتها ملكة تنطبع فى نفوس الأمة » • والمحظورات الدينية لا يمكن تغييرها ، ولا المساس بجوهرها ، ولا القول بإباحتها • فاذا حظر الشارع أمرا بقى محظورا ، وليس من التجديد أن أفعله ، بل فعله والدعوة الى فعله خروج على الخلق والدين ،

وليس هذا من التجديد فى شىء ، بل هو محو وهدم لا يقول به أحد ، اذ لا يمكن القول بأن ما اتفقت العقول والفطر السليمة على انه خلق حسن ، ونصت الشرائع على أنه واجب ، لا يمكن القول بأن تركه تجديد ، بل الداعى الى ذلك هادم باغ ، عاد على خلقه ودينه •

أما ما يقبل التجديد فاننا ان لم نجدد فيه ونقبل التجديد ، كنا كمن يريد الخروج من الكون وهو فيه ، والقصود والركب سائر ، وهذا مالا يقول به أحد • ومن الذى يستطيع القول بعدم الاستفادة من الحوادث والظواهر الكونية ، مع أن الأمور الدنيوية متجددة ؟ فالواجب على ذوى العقول العمل فى تلك الدوائر الواسعة ، واكتناه الحقائق العلمية منها •

كذلك الحوادث التى تقع للناس وليس فيما بين أيدينا نص عليها : يجب علينا الاجتهاد فيها ، والبحث فى عوارضها ، ورد الواقعة الى حكم يتفق مع تعاليم الدين الأصلية ولا ينبو عنها • ولاشك أن هذا تجديد • وهذا النوع من التجديد دعا اليه الشارع واعتبره ، حيث قال تعالى : (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الأَبْصَار) •

والاعتبار ليس موقوفا على فن من الفنون ، ولا على قوم معينين ، ولا على زمن دون زمن ، بل هو مطلوب ممن قدر عليه ، ولم يتخذ هواه سبيلا اليه •

التجديد بهذا المعنى مطلوب ومرغوب فيه • اما ما يفهمه بعض من لا يستطيع فهم التجديد من أن معناه ترك القديم ولو دينا ، فهذا مالا يقول به من له مسكة من العقل • وها نحن

أولاء نرى علماء أوربا قد جـددوا واستفادوا وأفادوا ، ومع ذلك لم يقل أحد منهم لواحـد من قومه : لا تذهب الى محل عبادتك ، وللدين عندهم المنزلة السامية . وهذا البابا رئيس الدين له من التجلة والاحترام فى نظر ملوك أوربا واتباعه ما هو معلوم ، فهو اذا دعا الى أمر دينى تلقته أتباعه بالقبول . وممـا لفت نظرى فى أوامره أنه أمر بأن النساء اللاتى يكن عاريات الذراع والمعصم لايباح لهن دخـول المعابد .

راقنى هذا الأمر واستحسنته ، لأنه أمر يدل على أن التبرج أمر ممقوت فى الأديـان ، وأن من تتبرج ليست ممن ينظر اليهـا الدين نظرة قبول ، ولا هى حرية بدخـول معابـده ومحلات التقرب الى الله .

هذه النصيحة الغالية أمر بها البابا . فهل سمعت أن أحدا من أتباعه قال : ان هذا رجوع بالناس الى القديم وترك للتجديد ؟ لم يحصل هذا ولن يحصل ، لأن الديانات ليست محـل تجديد كما قدمت لك وهذه الدعوة التى دعـا اليها البابا دعا اليها الدين الاسلامى من أكثر مـن ألف وثلاثمـائة سـنة . ولكـن بعض المسلمين ــ كما شرحنا لك ــ قد غفل كثير منهم عن حكم دينه ، وأبى الا ترك تعاليم الدين ، وفعل ما لا يتفق والخلق الحسن .

ولايفوتنى أن ألفت نظر المسلمين الى أن ما دعا اليه ديننا الحنيف انما هو الخـير كـل الخير . وأن كل خلق دعا اليه هو الفضيلة ، وكل خلق نهى عنه هـو الرذيلة . وما نـراه **الآن ونستحسنه مما يأتينا به الغرب منصوص فى ديننا . فهذه جرائدنـا نقلت على سـبيل الاستحسان ما أمر به زعيم ايطاليا من حظر الرقص على الضباط اشفاقا على رجولتهم .**

فهذا الذى استحسنته جرائدنا ــ وهو حسـن فى ذاته ــ دعا اليه ديننا من قبل ثـلاثة عشر قرنا . ولكن غفلتنا عن حكم الدين أو قعتنا فى الشرور من حيث لا ندرى ، والا فأى مسـلم هذا الذى لا يتقطع قلبه حـين يـرى بعض الشبان يتزين بزينة النساء ، فيزجج الحاجب ، ويحمر الخد بعد تبييضه ؟ ! انها فضيحة وأى فضيحة أن نرى رجالا يتركـون رجولتهم ، ويأبون الا أن يرتكبوا ما حظره الدين عـلى النساء فى الطرقات !

ولست أبالغ اذا قلت : ان الحالة فى حاجة الى سن قانون يقضى بعقاب كل شاب يلاحظ عليه التبرج ، وعقاب كل امرأة تخرج متبرجة تتزيا بأزياء الجاهلية ، وتتبرج تبرجهن . ففى سن هذا القانون قطع للرزيلة ومحولها ، وبت لتلك الظاهرة السيئة التى عليها الحال الآن فى الطرقات والمسارح والملاهى .

فحبذا لو أن حكومتنا عملت هذا أو ما يقرب منه ، كوضع عقوبة لأولياء الأمور مـن آبـاء وأزواج ، والا فقد طفح الكيـل وبلغ السـيل الربى . فلا حول ولا قوة الا بالله .

طه حبيب

دراسة عن مجلة الأزهر

لصاحبها

أحمد السعيد نعمان

بقلم الاستاذ
عاطف زهرات

عرضنا فيما سبق لمجلة سميت جريدة الأزهر ، وسماها الدارسون مجلة الأزهر ولم تصدر عن مشيخة الأزهر وكان ذلك فى نهاية القرن السالف ١٨٨٩ ــ ١٨٩٣ . وبسطنا القول عنها فى سنتها الأخيرة ١٨٩٣ . تلك التى أشرف عليها مهندس الرى الانجليزى « وليم ولكوكس » . وهى أخطر مرحلة اذ اتخذها صاحبها بوقا للدعوة الى اللغة العامية ، وكان مثار العجب أن تصدر هذه الدعوة عن مجلة تسمت بذلك الاسم العريق .

واليوم نعرض لمجلة ثانية تسمت بذات الاسم « الأزهر » ولكنها لم تصدر عنه أيضا وصدرت بعد ربع قرن من صدور المجلة الأولى . وكانت حريصة على لون معين من الثقافة . فهى دينية أدبية علمية جامعة . وظلت ملتزمة بهذا الخط حتى أغلقت اللهم الا بعض الهنات التى سنذكرها فى حينها .

وصاحب هذه المجلة (أحمد السعيد نعمان) صدر العدد الاول منها فى ٤ فبراير ١٩٢٨ . وصدرت أسبوعية بعض الوقت ثم توقفت حينا ثم أعيد صدورها نصف شهرية الى أن توقفت. وكان شعارها (مجلة علمية أدبية مصورة) بعد أن نضجت واتضح خطها . وان كان شعارها أول أعدادها (مجلة جامعة مصورة). وسنقسم هذه الدراسة الى قسمين يشمل كل قسم مرحلة من عمر المجلة .

(المرحلة الأولى)

ونبدأ بالعدد الأول . يوم صدرت المجلة أسبوعية فى عشرين صفحة من الحجم الكبير عن ادارة بحى « الظاهر » .

مجلة الأزهر

وفى العدد الأول والثانى من المجلة يرسم المسئول عنها سياسة المجلة ومن البدهى أن أية مجلة أو صحيفة تختط لنفسها خطة تلتزم بها وتسير فى ضوئها • وهذه السياسة بمثابة الصبغة التى تميزها عن سواها • والذى يضع هذه السياسة هم القائمون عليها :

رئيس التحرير أو صاحب الامتياز •

وهكذا •وندر أن تشذ عن هذه الخطة المرسومة سلفا ويعلن عنها فى افتتاحية العدد الأول •

وفى العدد الأول من هذه المجلة حدد « أحمد السعيد نعمان » ذلك الخط • فقال بعد حمد الله والصلاة على رسوله — صلى الله عليه وسلم — « وبعد فهذه مجلة الأزهر نخرجها للأمة ، ولا نريد من اخراجها الا أن نساهم بنصيبنا فى الجهاد العلمى القائم ، والاأن ننشر تعاليم الاسلام الصحيحة فى وقت أخذت تتحيفها فيه الألسنة اللاغطة ، ومجلة الأزهر ليست للازهر وحده بل هى مجلة الجميع يطالعون فيها من طريف الموضوعات وتليدها ما يلذ ويفيد ، وفقنا الله الى خدمة الأمة » (١) •

وكانت المجلة فى بدء صدورها تغفل التاريخ الهجرى ، وتركز على التاريخ الميلادى فقط • وان كانت تداركت هذا الأمر بعد حين ، كما أن مادتها حوت ما لا يتفق مع اسمها أحيانا مما سنعرض له فى حينه • وفى العدد الثانى من المجلة زاد صاحبها الأمر ايضاحا وأكد على خطته التى سيختارها للمجله فقال بعد أن شكر القراء لاقبالهم على العدد الأول :

« •• امتلأت عزما وأملا ، وتحركت فى نفسى عوامل التقدير والشكر لهذه العاطفة التى حبوتمونى بها « يخاطب القراء » والتى دفعتكم الى الاقبال على هذه المجلة الوليدة ، وليس شكرى وتقديرى كلاما أسطره على الصفحة ثم أتركه ، بل هو عمل أقدمه اليكم تتبينونه فى التحسينات التى انتوينا أن ندخلها تباعا على هذه المجلة •• وستجدون فى مجلة الأزهر دائما تجديدا وأبحاثا فى كل ناحية من نواحى الحياة » (٢) •

رحلة فى المحتوى

من خلال هاتين الافتتاحيتين يبرز لنا خط المجلة كما يرسمه صاحبها ومديرها • فهو يريدها عامة لا خاصة شأن أى صحيفة ، ولكن عناية المجلة العظمى كانت للدين وللادب كما يقول وان لم تهمل غيرهما من سائر الفنون • وسنحاول أن نقدم صورة أو نماذج لما احتوت عليه من مواضيع حسبما تمكنا من الحصول عليه من أعدادها •

فقد تعذر علينا الحصول على كل أعدادها • ولكن حصلنا على مجلدين يحوى أولهما ستة أعداد منها (المرحلة الأولى) عن فبراير

---

١ — انظر افتتاحية العدد الاول فى فبراير ١٩٢٨ م •

٢ — افتتاحية العدد الثانى فى ١١ فبراير ١٩٢٨ م •

ومارس ١٩٢٨ ، ويحوى ثانيهما عددين عن نوفمبر وديسمبر من نفس العام .

وسنكتفى بالمجلد الأول فى تقديم محتوياته للقارىء وقد يعطيه ذلك فكرة عامة عن بقية الأعداد ، وهذه بعض الموضوعات التى نشرت فى الأعداد الاول :

ظهور الفلسفة العربية (فلسفة) .
من هو الصديق ؟ (أدب) .
شئون الأزهر (أخبار) وهو باب ثابت فى كل عدد .
الى الشباب (شعر) .
متفرقات (طرف وحكم) وهو باب ثابت ،
مصر فى عهد نابليون أو حكومة العلماء (موضوع بالصور) وهو دراسة تاريخية .
أمثلة من احترام حرية الراى فى عهد السلف الصالح .
رحلة الدكتور جوليفر (ترجمة) وهى قصة نشرت فى حلقات .

وفى العدد الثانى نرى بابا للفكاهات ، وآخر للفنون والاداب وثالثا للابحاث الاجتماعية ، ثم للقصة ولرسائل القراء .

ولأن المجلة مصورة كما أعلن صاحبها فقد برزت هذه الصبغة على أغلفة المجلة . وكان الغلاف الاول والأخير يشغلان بصورتين لاثنين من المشاهير فى الدين أو فى السياسة : فقد نشرت صورة الشيخ محمد الشرقاوى رئيس الديوان العمومى فى عهد نابليون على غلاف العدد الأول . وعادة ما تكون صورة الغلاف ذات صلة بموضوع داخل العدد ويلزمنا بعد ذلك تعريف القارىء ببعض كتاب المجلة فى ذلك العهد :

محمود جبر ، الصاوى شعلان ، عبد العظيم أبو العز ، الشيخ محمود أبو العيون ، زكى النجار ، عبد المتعال الصعيدى ، زكى نعمان البرديسى ، عبد اللطيف السبكى ، آنسة ايزيس رزق الله ، الشيخ محمود شلتوت ، محمد محمود فرج .. وغيرهم .

ومن هنا نرى أن المجلة كانت تنشر لكبار كتاب العصر . كما كانت تفسح الطريق للطلاب من الأزهر ومن خارجه لنشر بعض الموضوعات بها .

الدارجة .. لماذا ؟

قلنا فيما مضى ان المجلة كانت محتفظة بطابعها وبخطها الذى يتناسب مع الاسم . ويفيد العلم والدين والأدب ، والمثقف عامة . يطالع فيها الفلسفة والتاريخ والقصة والطرفة والخبر والمعلومة والقصيدة والصورة . وغير ذلك مما لاتشوبه شائبة ولا يعلق به غبار .

ولكن القارىء للمجلة فى المرحلة الأولى سيجد قصة بعنوان (أمل فى السراب) للآنسة ايزيس رزق الله نشرت فى العدد الثالث من المجلة . امتزجت فيها العامية بالفصحى . وقد نبه المسئول عن المجلة على ذلك وعلل نشرها بما فيها من فكاهة ودعابة لا بأس بهما . وكان من الأجدى أن ترفض مثل هذه الأساليب (١) .

١ ـ انظر المجلة العدد الثالث ص ١٥ .

وكان للمجلة من الأدب العربى أو الأجنبى فى الثقافة مايغنيها أو يزيد . فهذه بلا شك احدى هنات المجلة . وان لم تتكرر فيما بين أيدينا من الأعداد . والكمال لله وحده .

(المرحلة الثانية)

وتتمثل فى المجلد الثانى من المجلة والذى يضم عددين متتابعين أولهما فى أواخر شهر نوفمبر ١٩٢٨ وثانيهما فى بـــداية ديسمبر مـــن نفس السنة .

وبين العدد الأخير من المجلد الأول (مارس) والعدد الأول من المجلد الثانى (نوفمبر) فجوة تستمر ثمانية أشهر لم نحصل فيها على أعداد من المجلة ولم يتوفر لنا ما يفيد ان كانت قـــد توقفت أم أنها قد فقدت أعدادها .. قد يكون هذا أو ذاك .

وفى المقال الافتتاحى للعدد الأول الصادر فى ٢٥ نوفمبر ١٩٢٨ نقرأ ما يفيد أن المجلة قد توقفت زمنا لم يحدده مديرها فى حديثه .
قال أحمد السعيد نعمان :

« وبعد فهذه مجلة الأزهر نعيد اصدارهـــا لتؤدى لأبنـــاء هذا الـــوطن العزيز مـــا فى استطاعتنا تأديته من خدمات فى سبيل الدين والعلم والأدب . ومما سنعنى بـــه شـــئون الأزهر » (١) .

ثم انه شرح خطة المجلة فى تلك المرحلـــة الجديدة فقال : (٢).

« وسنحرص على أن تكون المجلة متمشية فى بعض موضوعاتها مع ميول جمهور القراء فى مصر ، فتوفر فيها بجانب البحوث المفيدة ما يألفه القراء فى المجلات الأخرى من الموضوعات العادية . »

فهو يريد أن يوسع قاعدة القراء وينطلق فى الموضوعات العامة التى تخاطب الجمهور الكبير وتستولى على اهتمامه .

وراعينا أن نطلق على هذه الفترة المرحلة الثانية لما وجدناه من فروق بينها وبين الاعداد الأول. فهنا أصبحت المجلة تصدر نصـــف شـــهرية ، وكانت أســـبوعية . وهى تصـــدر فى (٣٢) صحيفة بعد أن كانت تصدر فى عشرين . وهى تكتب التاريخ الهجرى بيومه وشهره وســـنته مقدما على الميلادى وكان فيما سبق يهمل كليا أو جزئيا .

واستحدثت أبوابا لم توجد فيما سبق مـــن أعداد . فنقرأ فيها أبوابـــا للأدب الخفيف ، والمعلومات العامة (من الصحف والمجلات) .

ومشاهدات وملاحظات ، كما نقرأ فيها لأعلام من أمثال الشيخ طنطاوى الجوهرى ، والشيخ عبد الوهاب النجار ، وأمين عفيفى ، ومحمـــد البربرى ، وعبد اللطيف ثابت وغيرهم من كتاب العصر .

١ ، ٢ ــ افتتاحية المجلة فى نوفمبر ١٩٢٨ م.

وجـــود الله

وأظن القارىء فى شوق لمطالعة صفحة من المجـلة يرى فيهـــا خط المجلة وسياســتها ومستواها .

وهذه قطعة ترجمها أمين عفيفى من علمـاء الأزهر عن الفرنسية بعنوان (وجود اللـه) نكتفى بجزء منها .. قال :

« .. تأخذ العقل حيرة الشك ، وفى ظلمـة شكه تشرق عليه أنوار الحقيقة مـن أعمـاق النفس ناطقة باسم اللـه الخـالق العظيم . فالنفوس بطبيعتها تنزع الى الايمان .. بغير الأيمان بالله وعدله والخنوع لقضائه وقدره تكون الحياة مظهرا جافا أليما . فانا اذا لـم نعتقد أن فوق الظالم قوة تأخذه بظلمه ، ووراء المظلوم يدا تنصره على ظالمـه . ونعـرف أن للانسان نهاية يسأل فيها كل انسان عما قدمت يداه فانا لا نطمئن الى نظم الحياة ولا نجـد فيها بهجة ولا سموا .

نرى القوة تسحق الحق ، والقـوى يبطش بالضعيف ، أفليس للحق ساعة يسمو فيها على القوة ، وللضعيف يوم يصبح فيه قويا ، أو هى الحياة نهب للناهبين وغنيمة للقادرين ؟ ففوق الانسان قوة الله ، ووراء ظلم الانسان أخاه عدل الله بغير هذه الحقيقة السامية تعيد الحياة عبثا فاسدا ولهوا أعمى . نفوسنا لا تطمئـن لحظة واحدة للحياة الا اذا عرفت أنها مسيرة حسب نظام الهى وحكمة سرمدية . فالانسانية من العهد الأول الى اليوم تؤمن بالعدل الالهى الذى سيؤخذ به العالم يوما باذن الله (١) .

وأعتذر ان أطلت فى الأخـذ عـن المجلـة فالاسلوب جيد والحديث شيق . وعذرى ألا أبتر الحديث فأخل به ، وحسبى أن اســتدل بهذه الفقرة من هذا الموضوع . فالمجال يضيق عن سرد أمثلة أخرى .

سقطة ثانية :

على الرغم من جمال العبـارة ، وطـلاوة الأسلوب فى الغالب الأعم من موضوعات المجلة فلم يعفها ذلك من سقطات .

وذلك هو شأن البشر يســعى للكمـال فلا

---

١ ــ مجلة الازهر لاحمد نعمان فى ٢٥ نوفمبر ١٩٢٨ ص ١٥ .

صفحة غلاف العدد الأول ٤ فبراير ١٩٢٨

مدير المجلة المسئول
« احمد السعيد سليمان »
الادارة
بالقاهر بشارع السكه رقم ١١
تليفون رقم ٢٠ — ٣٧ مدينه

الازهر

(مجلة جامعة مصوره)

وكيل الادار
« سليمان امام الابيري »
الاشتراك
عن سنه ٣٠ قرشا
الطلبه ٢٥ «

السنة الاولى — يوم السبت ٤ فبراير سنة ١٩٢٨ — العدد الاول

دوريات ١٥٤٨
EGYPTIAN LIBRARY

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، فهذه مجلة الأزهر نخرجها للأمة ولا نريد من إخراجها إلا أن نسهم بنصيبنا في الجهاد العلمي القائم، وإلا أن ننشر تعاليم الإسلام الصحيحة في وقت أخذت تحيفها فيه الألسنة اللاغطة

ومجلة الأزهر ليست للأزهر وحده بل هي مجلة الجميع، يطالعون فيها من طريف الموضوعات وتليدها، ما يلذ ويفيد، وفقنا الله إلى خدمة الأمة، وإلى إتمام ما بدأنا من عمل؟

احمد السعيد سليمان

افتتاحية العدد الأول

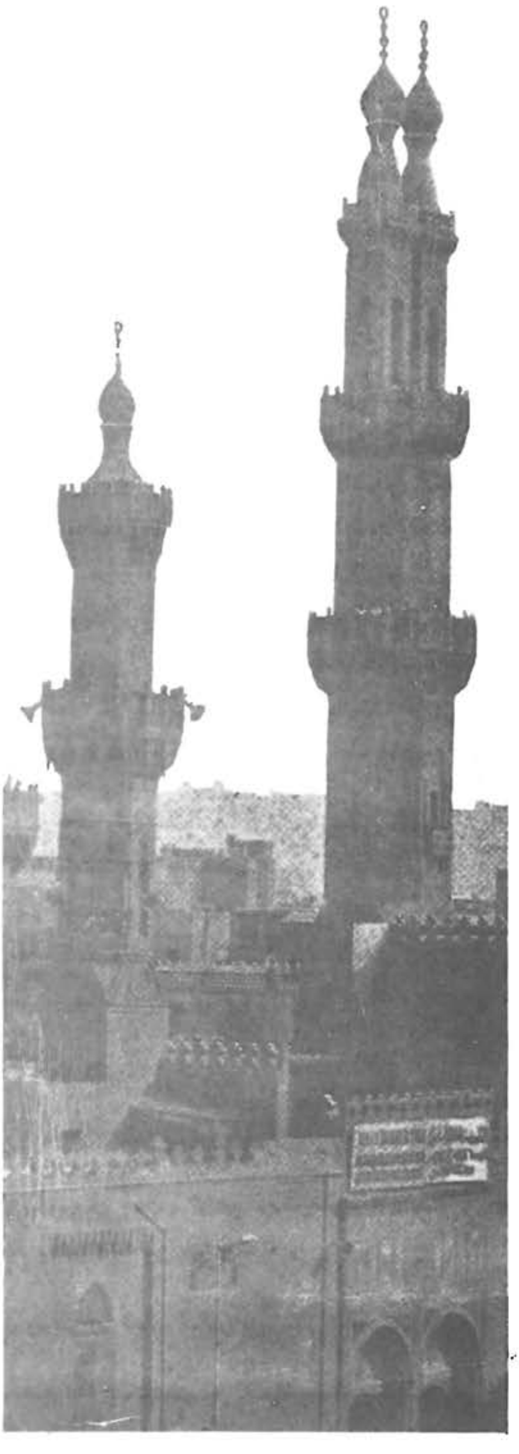

يحوزه ، والاذواق تتباين مما تراه أنت نافعا وصالحا قد يراه غيرك ضارا ومفسدا • بذلك قضى الله •

ولا يزالون مختلفين •• مختلفين فى الاذواق والعقول وغيرهما •

ولقد ختم العدد الأول من هذا المجلد بمقال عن (المسرح المصرى) ويبدو أن المجلة قد خصصت ركنا منها فى تلك المرحلة لهذا اللون من الأحاديث عن المسرح والمسرحيات والتمثيل والممثلات وعن الفرق المسرحية وأربابها فى أسلوب ضعيف هو للعامية أقرب منه الى الفصحى • وهذا الموضوع كان عبارة عن تقييم ونقد ومتابعة للأعمال المسرحية • وتشعر وأنت تقرأ المجلة بأن هذا الموضوع قلق فى ركنه هذا لأنه وضع فى مكان غير لائق به ، وانما مكانه هناك فى صحف الفن ومجلاته المتخصصة فى هذا اللون أو العامة التى تأخذ من كل فن بطرف لترضى شتى الأذواق • وتخاطب أوسع قاعدة من القراء •

أما مجلة كهذه • وقد سخرت نفسها لخدمة العلم والدين والأدب فكنا نود ألا تولى هذه الموضوعات أى اهتمام • لتحتفظ بالقارىء ، الذى يؤثرها عن سواها • والذى لا يسعى ولا يهتم بأخبار المسرح المصرى وفرقته ، ومسرح رمسيس وانجازاته ، ولا يضره ــ بحال ان جهل أخبار فاطمة رشدى وأخواتها •••• الخ

ومن غير المقبول أن يوجد موضوع كهذا وسط هذه اللآلىء • وهو لا يتناسب معها لا فى الشكل ولا فى النفاسة واذا كان عذر القائمين على أمر المجلة اجتذاب أو ارضاء لون معين من القراء فذلك أمر غير مقبول بحال •

*** العدد الأخير**

أطلنا الوقوف مع العدد الأول من المجلد الثانى والصادر فى ٢٥ نوفمبر ١٩٢٨ • مركزين عليه لنقدم فكرة أقرب الى الصواب عن المجلة فى فترة تمثل أنضج عهد لهذه المجلة•

وهذا العدد هو أحد عددى المجلد الثانى أما العدد الثانى من نفس المجلد فقد صدر بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٩٢٨ بعد أكثر من عشرين يوما من صدور العدد الأول • وهو العدد الأخير الذى حصلنا عليه • ولا يعنى ذلك قطعا أنه آخر عدد صدر من المجلة فى هذه الفترة • حيث لم نحصل على ما يفيد ذلك • فلم نقرأ تنبيها أو اعلانا عن توقف المجلة بعد ذلك أو احتجابها لحين ، خصوصا أنه يوجد من العدد الثانى ثمانى عشرة صفحة (١٨) فقط فلم نجده كاملا حتى يتسنى لنا أن نقرأ فى خاتمته أى ملاحظة تفيدنا فى هذا الشأن •

وكان يهمنا أن نعرف سياسة المجلة وزمنها والجهة الصادرة عنها ، والمشاركين فى تحريرها وما عالجته من موضوعات • وقد حاولنا ذلك جهدنا •

والله الموفق والمعين

الفتاوى

إعداد
عبد الحميد السيد شاهين

س : من السيد / ف ٠ عبد الاله
ما حكم الاسلام فى صلاة النساء فى المسجد ، وهل يجوز للامام أن يعطيهن درسا ، وهل يحصلن على ثواب مثل الرجال ؟

ج : لا مانع من صلاة النساء فى المساجد مادمن غير متبرجات ولكن الأفضل لهن أن يصلين فى بيوتهن ٠

كما يجوز للامام أن يعطيهن دروسا ويعظهن ويكون ثوابهن مثل ثواب الرجال ٠

س : من السيد ع ٠ ابراهيم ٠
تزوجت ابنتى برجل ودخل بها وعاشرها معاشرة الأزواج وانجب منها أولادا ، وقد قام بتجهيز عش الزوجية نظير مقدم المهر ، ثم توفى ، فما حكم المنقولات التى اشتراها من ماله نظير مقدم المهر للزوجة ٠

ج : المنقولات تعد ملكا خالصا للزوجة لا يشاركها أحد من الورثة فيه ، لأن الزوج أحضر هذه المنقولات نظير مقدم المهر للزوجة٠

س : من السيد ع ٠ ص ٠ ابراهيم

ما هو مقدار زكاة الفطر للفرد هذا العام ؟

ج : قيمة زكاة الفطر للفرد هذا العام هى (٥ر٦٢) قرشا كحد أدنى عند الجمهور ، وعند أبى حنيفة (٥ر٤١) قرش كحد أدنى ٠

س : من السيد / س ٠ ث عبيد
رجل كان مسيحيا ونطق بالشهادتين أمام أحد العلماء ٠ فهل يكون مسلما شرعا ؟

ج : بنطقه بالشهادتين أمام أحد العلماء صار مسلما شرعا ، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم من صلاة وصوم وزكاة ٠٠ وهذا من الناحية الشرعية ٠٠

ولكن يجب عليه العمل فورا باتخاذ الاجراءات القانونية لاشهار وتوثيق الشهادتين أمام الجهات المختصة حتى يكون مسلما شرعا وقانونا فيستطيع الزواج بالمسلمة ■

اللغة والأدب والنقد

حذف الجار مع الفعل المعدى به

فى حاشية الامير "عشاق الحاشية"

السرعة وبلاغة العمل الأدبى

أنبـاء وآراء

حذف الجار مع الفعل المعدى به

الفعل اللازم قد يعدى أحيانا بحرف الجر ، نحـو ذهبت بسـعد « وخرجت بعلى » ، « وغضبت على اسحاق » « وعطفت على صالح » ، « وبحثت عن حاتم » .

وهذا الحرف يجوز حذفه سماعا أو قياسا مطردا ، ومتى حذف الجار سماعا أو قياسا وجب نصب المجرور بـه ، والناصب له هو الفعل عند البصريين ، وحذف الجار عند الكوفيين وشـذ بقاؤه مجرورا بعد حذف حرف الجر ، كقـول الفرزدق يخاطب جريرا ، ويهجو قومه :

اذا قيل أى النـاس شر قبيلة

أشارت كليب بالأكف الأصـابع

بجر كليب ، والأصل ، أشـارت الى كليب فأسقط الجار وأبقى عمله شذوذا ، اذ كان حقه النصب .

وحذف الجار مع الفعل المعـدى بـه على قسمين :

جائز سماعا فقط .

وجائز قياسا مطردا .

كما سبق فحذفه سماعا على وجهين :

الأول : وارد فى السعة مع الفصاحة والكثرة ، نحو « شكرت عامرا ونصحته » ، « ونظرت داود وسمعته » ، « وكلت وائـلا ووزنته » ، « وتوجهت مكة » ، «ومطرنا السهل والجبل» ، « وضربت الغلام الظهر والبطن » ، « وذهب الشام » ، وحذف الجار مع ذهب خاص بالشام فان ذكر بعدها لفظ غير الشام لم يحذف حرف الجر اختيارا فلا يجوز « ذهبت المسـجد أو الدار مثلا » لكن الأكثر ذكر اللام الجارة مع هذه الافعال نحو قوله تعالى : **(وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ)** ، وقوله أيضا : **(أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ)** ، ونحو « كلت له » ، « ووزنت له » .

للأستاذ
أحمد حسن عبد العواض هلالى

وقد قال التفتازانى : ان اللام فى هذه الأمثله وأشباهها زائدة ، لأن معنى نصحت زيدا ونصحت له مستويان ، وجاء فى التنزيل :

(وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)

بدون ذكر اللام ، ولذا فالتمثيل لحذف الجار ونصب المجرور بعد حذفه بنصحته وشكرته غير دقيق ، ومجاف للصواب ، فانهما يتعديان بأنفسهما فاذا نصب المفعول بعدهما فلا يقال : انه نصب بعد حذف الحرف الجار ، ووارد فى السعة أيضا مع الفصاحة والندرة كقولهتعالى :

« لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمُ »

أى على صراطك ، ووارد فى السعة مع الضعف والندرة ، فقد سمع « مررت زيدا » •

والوجه الثانى : خاص بالضرورة ، فلا يجوز استعماله فى النثر ولو فى منصوبه المسموع ، كقول المتلمس : آليت حب العراق الدهر أطعمه ، أى حلفت على حب العراق لا أطعمه فحذف حرف الجر للضرورة ونصب المجرور وقول ساعدة بن جوية الهذلى :

لدن بهز الكف يعسل متنه
فيه كما عسل الطريق الثعلب

أى ، كما عسل فى الطريق الثعلب ، فحذف حرف الجر ضرورة ونصب الطريق توسعا اجراء للازم مجرى المتعدى وهو خاص بالضرورة كما تقدم ، فلا يجوز استعماله فى النثر ، ولو فى منصوبه المسموع •

ويجوز حذف الجار قياسا مطردا مع المصدر المؤول من أن المصدرية والفعل ماضيا كان أو مضارعا ، وأن المؤكدة ، وكى المصدرية المقدرة قبلها لام التعليل ، بشرط أمن اللبس ، نحو « صممت أن أفى بوعدى » ، « وأسفت أن سافر صديقى دون أن أودعه » ، « وندمت أن قصرت فى الواجب » ، « وتأكد القاضى أن المتهم برىء ، ونحو « جئت كى أصحبك الى الندوة » ، أى على أن أفى ، ولأن سافر صديقى وعلى أن قصرت ، ومن أن المتهم برىء ولكى أصحبك ، ومن ذلك قوله تعالى : (أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ) أى لأن جاءكم ذكر وقوله سبحانه : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ » أى بأنه لا اله الا هو ، وقوله جل شأنه : « وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ » أى بأن لا تعبدوا • ويطرد حذف الجار أيضا فى نحو ، « ودخلت المسجد » ، « واعتكفت يوم الجمعة » ، «ونهضت اكراما للزائر » ، وقوله تعالى : « فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا » ، « وليت شعرى ، هل قام الحارث» ، مما علق فيه العامل عن الجملة والتقدير ، فلينظر فى جواب أيها أزكى طعاما ، وليت شعرى فى جواب هل قام والبعض يرى أن الحذف فى القسم الأخير واجب ونقل عن ابن عصفور ، أن الأخفش الأصغر وابن الطراوة يجيزان فى الفعل المتعدى

الى اثنين أحدهما بنفسه والآخر بحرف الجر ، حذف حرف الجر ، ان تعين الجار وتعين موضوعه بطول الفصل بالمفعولين ، فيجوز أن تقول : « بريت القلم السكين » « وقبضت الدراهم زيدا » ، ومنه قوله تعالى : « وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا » ، ويحتمل أن قومه المفعول ، وسبعين بدل منه والمجرور محذوف تقديره : من بنى اسرائيل ، ويكون المراد بقومه نخبة قومه فان خيف اللبس امتنع حذف الجار ، نحو « رغب جارى فى أن يسكن الريف » ، « ورغب الفدائى عن أن يتخلف عن ركب المجاهدين » ، وذلك لعدم فهم المراد بعد الحذف ، لأن رغب تتعدى بكلا الحرفين : فى ، وعن وأما قوله تعالى : « وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ » فان الحذف فيه لقرينة كانت قائمة عند نزول الآية تمنع اللبس ويفهم منها المراد ، وتدل على الحرف المحذوف وهو (فى) عند القائلين أن سبب النزول يدل على معنى فى فقط (وعن) عند القائلين انه يدل على معنى عن فقط .

وقيل : ان المقول فيهم كانوا فريقين : فريق يرغب فيهن لمالهن وجمالهن ، وفريق يرغب عنهن لدمامتهن وفقرهن ، وأن الحذف هنا للاجمال ليرتدع من يرغب فيهن ، ومن يرغب عنهن على حد سواء وانما اطرد حذف الجار مع أن ، وأن لطولهما بالصلة ولعدم استساغة دخول الخرف على الحرف فى الظاهر وقد اختلفوا فى محل أن ، وأن بعد الحذف ، فذهب سيبويه والفراء الى أن محلهما جر استنادا الى قول الفرزدق يمدح المطلب بن عبد الله المخزومى :

وما زرت ليلى أن تكون حبيبة
ولا دين بها أنا طالبه

بجر دين عطفا على أن تكون حبيبة فهى فى محل جر باللام المحذوفة ، أى ما زرت ليلى لأن تكون حبيبة لى ولا دين أطالبها به قياسا على مجرور (رب) فانه يبقى مجرورا بعد حذفها ، مع أن بعض النحاة يجعل الجر عند حذف رب بواو رب ، لا برب نفسها .

وذهب الخليل والكسائى الى أنهما فى موضع نصب ، وهو الأرجح قياسا لأنه مقيس على ما اذا كان الحرف المحذوف داخلا على لفظ غير أن وأن فانه ينصب عند الحذف لضعف حرف الجر أن يعمل وهو محذوف .

الفعل المتعدى

الفعل المتعدى ، ويسمى واقعا لوقوعه على المفعول به ، ويسمى أيضا متجاوزا ، لأنه يتجاوز الفاعل الى المفعول به بنفسه فينصبه ان لم ينب عن الفاعل أو يضمن معنى فعل لازم كما سيأتى ، نحو « حفظ محمد الدرس » « وسقى البستانى الأشجار » ، « حصد الزراع حقول القمح » ، « وزع الرئيس الجوائز على الفائزين » « وباع الفلاحون قطنهم بأسعار مجزية » ، وعلامته أن تتصل به هاء تعود على غير المصدر ، نحو « القطن باعه الفلاحون بأسعار مرتفعة » ، « الانسان خلقه الله من تراب » وقوله تعالى : « وَالْأَرْضَ

وَضَعَهَا لِلأَنَامِ » ، وأن يصاغ منه اسم مفعول تام أى غير مقترن بحرف جر أو ظرف ، نحـــو « اللص مكبل بالأغلال » ، « الجبان مسلوب الارادة » ، « الحصان مربوط داخل الحظيرة» « والجيش المصرى مجهز بأحدث الاسلحة ».

والفعل المتعدى ثلاثة أنواع :

أولهـا : ما يتعدى الى مفعول واحد ، نحو « حفظ مروان الـــدرس » ، « وفهم أحمـــد المسألة » ، « ونشر المؤلف كتابه الجديد » ، « وجمع الصبية الثمار من الحديقة » ، « وبنى المنصور بغداد فى القرن الثانى من الهجرة » ، وأكثر الأفعال المتعدية من هذا النوع ، والفعل المتعدى لواحد بنفسه « نحو بلغ قاســـم مراده » **يمكن تعديته لاثنين بالهمزة نحو أبلغت** قاسما مراده أو بالتضعيف نحو بلغته مراده ، وذلك حسب السماع .

ثانيهـــا : ما يتعدى الى مفعولين ، وهـــو ضربان .

أحدهما : ما يتعـــدى الى مفعولين أصلهما عمدة ، أى المبتدأ والخبر وهو ظن وأخواتها ،

ثانيهما : ما يتعدى الى مفعولين ليس أصلهما ، المبتدأ والخبر ، وهو أعطى وأخواتها ومنهـــا ســـــأل ، ومنع ، وكسا ،وألبس ، ومنها أيضا، حرم ، وعود ، وكفى ، وجزى ، وكلف .

ثالثها : ما يتعدى الى ثلاثة مفاعيل ، وهو سبعة أفعال، أعلم وأرى بزيادة الهمزة فى علم ورأى ، ثم أنبأ ، ونبأ وأخبر ، وخبر ، وحدث ، وليس ثم أفعال متعدية الى ثلاثة مفعولات غير هذه الأفعال السبعة .

حذف مفعول الفعـــل المتعدى

الفعل المتعدى بنفسه لمفعول واحد أو أكثر يجوز حذف مفعوله اختصارا واقتصارا عدا

◄

مفعولى ظن وأخواتها مما ليس عمدة اذا لم يؤد حذفه الى ضرر بافساد المعنى أو الاخلال به أو ايهام غير المراد ، ويكون ذلك الحذف لحكمة وغرض ، اما لفظى كتناسب الفواصل فى قوله تعالى : (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) ،

أى ، وما قلاك ، فحذف المفعول ، وهو ضمير الخطاب ليناسب التى قبلها والتى بعدها (سجى ، الأولى) وقوله سبحانه :

« أَهَذَا الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً » أى بعثه وقوله جل شأنه : « طه ، مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى » والأصل ، لمن يخشاه ، أى القرآن ، ويحتمل ألا يكون ثم حذف ، وأن المفعول هو (تنزيل) من قوله « تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا » والمعنى لمن يخشى تنزيل العلى القدير ، وقد قال فى الكشاف : وهو معنى حسن ، واعراب بين .

وكالاختصار فى قوله تعالى : « فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ، وَلَن تَفْعَلُوا » . والاصل ، فان لم تفعلوه ولن تفعلوه أى الاتيان بسورة من مثله وكتصحيح النظم ، وهو كثير ، واما لغرض معنوى ، كاحتقاره والاستهانة به فى نحو قوله تعالى : « كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِى » أى لأغلبن الكافرين ، فحذف المفعول احتقارا له واستهانة بشأنه ، أو استقباح التصريح به ، كقول عائشة رضى الله عنها : « مارأيت منه ، ولا رأى منى » تقصد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فحذف المفعول لاستقباح ذكره أى ، ما رأى أحدنا عورة الآخر ، وكالعلم به أو الجهل به أو تعظيمه أو الخوف منه أو الخوف عليه ، وبالجملة فان المفعول يحذف لما يحذف له الفاعل من الأغراض اللفظية والمعنوية .

فان أضر حذفه بالمعنى امتنع الحذف ، كالمفعول الذى يؤتى به مع الفعل والفاعل جوابا لسؤال سائل ، وكان المفعول هو الركن الأساسى فى الجواب بحيث اذا حذف لم يكن للجواب معنى ، كقولك : «شاهدت الرئيس »، « وأكلت تمرا » ، « وقرأت تفسير الكشاف »، جوابا لمن سألك : من شاهدت ، وماذا أكلت ، وماذا قرأت من كتب التفسير ، لأن المطلوب تعيينه لا يجوز حذفه .

أو أن يكون محصورا فيه نحو « ما عاقبت الا المهمل » ، « وما ساعدت الا المحتاج » انما نثيب المجد المتقن ، انما يقرب الرئيس الناصحين المخلصين لأن الحذف ينافى الحصر ، كما يمتنع حذف المفعول أيضا فى باب الاشتغال نحو ، « على أكرمته ، » والتنازع فى العمل ، نحو « شكرنى وشكرته سعد » ، أو اذا حذف عامله وجوبا أو جوازا نحو « اياك والأسد » ، اذ لا يجوز حذف العامل والمعمول معا فهو حينئذ حذف للجملة برمتها .

يتبع

أحمد حسن عبد العواض هلالى

فى حاشية الأمير

"ب - عشاق الحاشية

للأستاذ السيد حسن قرون

أضيئت أنوار قاعة الاجتماعات بنور ربانى ، فلم تطق المصابيح ولم تطل عليها أنوار القمر ولا ضوء الشمس ، فالأنوار كاشفة ولكنك لا تدرى مصادرها ، وهبت فى جوها روائح زكية ساطعة لم تبلغ مبلغها العطور ولا أنواع الأزهار وجلس الحاضرون على أرائك من نور تبدو على وجوههم نضرة النعيم ، وجلس الأمير على منصته ، وجلس قريبا منه سكرتير الجلسة البهاء زهير الذى أعلن افتتاح الجلسة .

طلب « أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ » الكلمة فأعطيت له . فقال : ان أحدكم أخذ على مولانا الأمير أنه شطر بيتا « للعرجى » ولم يشطر بيتا لغيره من شعراء الحاشية ، وهذه المؤاخذة لا تصادف قبولا لدى النقد الأدبى ، لأن الشاعر ليس كالعالم يقصد الى ما يريده قصدا ، انما هو يلهم ما يقوله وتحكمه اللحظة الجامعة فى ساعة النشاط وفراغ البال فتقع عيناه على منظر حسن أو تسمع أذنا قولا بليغا فهش لما يرى ولما يسمع ، فتجيش المعانى فى نفسه ويخفق بها قلبه ، فاذا لسانه يتحرك وقلمه ينطلق ، فتكون اللحظة الجامعة « أكرم جوهرا ، وأشرف حسبا ، وأحسن فى الاسماع وأحلى فى الصدور ، وأسلم من فاحشن الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع » وذلك ماكان من مولانا الأمير فانه كان صافى الذهن منشرح الصدر مرتاح البال حين قرأ شعر العرجى فألهمه من التشطير ما قرأناه وعرفنا جماله ، والأمير لا يؤاخذ فى اختياره ، لأن الذين تناول نتاجهم كثيرون ، ولو شطر لغير العرجى

لجاءت تلك المقولة ، وحسبه ما أداه لنا من ذكر وما فصله من ثناء .. ولو كان كل أمر يذكر يعترض عليه لاعترضنا على « البهاء زهير » فى تفضيله مجنون ليلى على قيس بن ذريح ، وجميل بثينة وابن الصمة القشيرى وابن الدمنية ، وتوبة صاحب ليلى الأخيلية الى كثير من شعراء الحاشية .

وجلس الجاحظ فقال البهاء زهير : الأمر كما ذكرت ، ولكنى رأيت مأساة المجنون ومأساة ابن ذريح أولى بالتقديم لعناية الأمير .. وأنا متبع لا مبتدع ، ومعذرة لجميع الشعراء ولاسيما شعراء الحب والوفاء . والآن أرجو أن نأخذ فى الحديث عن .

قيس بن ذريح

وهأنذا أقرأ عليكم مادبجه يراع الأمير فى مأساة قيس بن ذريح فقد سايرت كل عصر حتى وضع فيها عزيز أباظه قصة تمثل بعنوان « قيس ولبنى » ولا مانع عندى من الموازنة بين تناول الأمير وتناول الشعار عزيز أباظه ، وفى كل نرى أدبا وبيانا .

قال محمد الأمير ــ وهو من شيوخ الأزهر الأجلاء : ــ والكلام كان من المغنى بصدد لفظ « كل » وأنها بحسب ماتضاف اليه فى المعنى وقد مثل لتأنيث الضمير العائد اليها مستشهدا بقول الشاعر :

وكل مصيبات الزمان وجدتها
سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

« قوله « وكل مصيبان الزمان .. الخ » هو لقيس بن ذريح بن شبية بن حذافة بن طريف الليثى .. كان يسكن بادية الحجاز أخرج فى الأغانى عن ابن الكلبى أنه كان رضيع « الحسين بن على بن أبى طالب » رضى الله تعالى عنه ، أرضعتهما أم قيس وأخرج من طرق عدة أن قيسا مر فى بعض حاجته بخيام « بنى كعب بن خزاعة » والحى خلوف أى لا أحد موجود من رجال القبيلة ، فوقف على خيمة « للبنى بنت الحباب الكعبية » فاستسقى ماء فسقته ، وخرجت اليه ، وكانت امرأة مديدة القامة شهلاء : أى يشوب سواد عينها زرقة .

حلوة المنظر والكلام ، فلما رآها وقعت فى نفسه ، وشرب الماء . فقالت له : أتنزل فتبرد (١) عندنا ؟ قال : نعم ، فنزل بهم ، وجاء أبوها فنحر له وأكرمه ، فانصرف قيس وفى قلبه من لبنى حر لا يطفأ فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع وروى . ثم أتاها يوما آخر وقد اشتد وجده بها فظهرت له وردت سلامه ، ولحقت به فشكا اليها ما يجد من حبها فبكت وشكت اليه مثل ذلك ، وعرف كل واحد منهما ما له عند صاحبه ، وانصرف الى أبيه فأعلمه حاله وسأله أن يزوجه اياها ، فأبى عليه ، وقال يابنى عليك باحدى بنات عمك فهى أحق بك ــ وكان ذريح كثير المال موسرا فأحب ألا يخرج ابنه الى غريبة ، فانصرف قيس وقد ساءه

(١) تستظل من الحر

ما خاطبه به أبوه ، فأتى أمه فشكا اليها واستعان بها على أبيه فلم يجد عندها ما يحب .. فأتى الحسين بن على ــ رضى الله عنهما ــ فشكا اليه ما به وما رد عليه أبواه . فقال : أنا أكفيك ، فمشى معه الى أبى لبنى ، فلما بصر به أعظم ووثب اليه وقال : يا ابن رسول الله ، ما كنا لنعصى لك أمرا ، وما بنا عن الفتى رغبة، ولكن لو خطبها أبوه فيكون ذلك عن أمره لئلا يكون سبة وعارا .. فأتى الحسين ذريحا وقومه وهم مجتمعون ، فقاموا اليه اعظاما له . فقال لذريح : أقسمت عليك الا خطبت لبنى على قيس . فقال : السمع والطاعة لأمرك ، فخرج فى وجوه قومه حتى أتى حى لبنى وخطبها لابنه . فأقام معها مدة ، وكان أبر الناس لأمه فألهته لبنى وعكوفه عليها عن بعض ذلك ، فوجدت أمه فى نفسها ، وقالت : لقد شغلت هذه المرأة البنى عن برى ، ولم تر للكلام فى ذلك موضعا حتى مرض قيس مرضا شديدا . فلما برىء (١) ، قالت لأبيه : لقد خشيت أن يموت قيس ولم يترك خلفا وقد حرم الولد من هذه المرأة وأنت ذو مال فيصير مالك الى الكلالة (٢) فزوجه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولدا ، وألحت عليه فعرض ذلك ذريح على قيس . فقال : لست متزوجا غيرها أبدا ولا أسوءها بشىء أبدا . قال : فانى أقسم عليك الا طلقتها ، فأبى وقال : الموت عندى أسهل من ذلك . قال:

لا أرضى أو تطلقها ، وحلف أن لا يكنه سقف أبدا حتى يطلق لبنى ، فكان يخرج فيقف فى حر الشمس فيجىء قيس فيقف الى جانبه فيظله بردائه ويصلى هو حر الشمس حتى يفىء الفىء فينصرف عنه . ويدخل الى لبنى فيعانقها ويبكى وتبكى معه وتقول له : ياقيس لاتطع أباك فتهلك وتهلكنى ، فيقول : ماكنت لأطيع فيك أحدا أبدا . فيقال انه مكث كذلك سنة ثم طلقها .. فلما بانت تزوجها رجل من قومها فأغشى على قيس ولم يأخذ بعدها قرارا . فقال له طبيب : مما يسليك عنها تذكر مساويها وعيوبها وما بها من قذر بنى آدم مما تعافه العين والنفس فأنشد :

اذا عبتها شبهتها البدر طالعا
وحسبك من عيب لها شبه البدر
لقد فضلت لبنى على الناس مثل ما
على ألف شهر فضلت ليلة القدر

ثم ماتت فأكب على قبرها يبكى حتى وقع مغشيا عليه . ثم مات بعد أيام ودفن الى جنبها .

وقارىء هذا القصص بأسلوب الأمير يعجب من نواح مختلفة ، انه يكتب حاشيته فى النحو والمنتظر ان يكون النظر فى القواعد هو المهم ، ولكن الأمير لم يغلبه النحو على أدبه ، ومعنى هذا أن الأزهر لم يهمل دراسة الأدب وتاريخه، ومن الجائز أن يدرس الأدب دون أن يكون من طلبة الأزهر واهتماماته ، ولكن الوقوف على كل أدب العصور وأدبائه يعطينا صورة جلية على عناية الأزهر بذلك الفن ومذاهبه ، وأن ◄

(١) فيها لغتان برى وتبرا .
(٢) المراد الى غير ولدك .

ما ذكره « المنفلوطى » فى النظرات لا يحمل كل الصدق ، فالأمير بما أداه ووفاه حقه فى هذا الشأن شاهد على أن الأزهر حامل مشعل اللغة العربية ، كما أنه حافظ للشريعة الاسلامية •

وتعليقات الشيخ فكرا ولغة تدل على فقه وتذوق للشعر ومراميه ، ونقده والتأليف فيه ، وأسلوبه فى الأداء طبيعى لا تكلف فيه ، فلا سجع ولا ازدواج ولا محسنات لفظية الا ما جاء عفو الخاطر وهو منشود للأديب •

والبيت :

وكل مصيبات الزمان وجدتها
سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

يصفع وجوه الذين ينكرون على العربى الأداء النفسى ، لأنهم يجعلون كل ما قاله فى الوجد والحب والصبابة والغرام والهيام لايمت الى التصوير للاعج الشوق وألم النوى ، انما هو قشرة خارج المراد • واقرأ معى البيت مرة أخرى انك تحس وقع فرقة الأحباب على فؤاد قيس ، وضغطه على نفسه ، مصيبات الزمان كثيرة تتمثل فى الفقر والمرض وبوار التجارة وقصور الانسان عن بلوغ المنى فى السيادة والوجاهة ، أو القعود عن الدفاع عن الوطن وقد دعا الى الجهاد ، أو التقصير فى أداء العبادات وما الى ذلك مما يجعل الانسان مهموما مسهد الليل مقزع النهار ، لكن قيسا فى سبيل لبنى جعل الخطب العظيم الذى يبلو السرائر ويحرق الأفئدة وينغص العيش ويبعث على اليأس هو « فرقة الأحباب » •

واقرأ بقية البيت مبدوءا ببيت « المغنى » ، انك تجد حزنا قاصما ، وثورة جامحة ، وزفرة زافرة وطاقة مهدرة يقول :

وكل مصيبات الزمان وجدتها
سوى فرقة الأحباب هينة الخطب
وقلت لقلبى حين لج به الهوى
وكلفنى ما لاأطيق من الحب
الا أيها القلب الذى قاده الهوى
أفق لا أقر عينك من قلب

أليس هذا يصور الأداء النفسى تصويرا رائعا يترك القارىء فى متاهات من الحزن والحيرة أمام التكليف وعدم الاطاقة ، وطلب الافاقة ؟ • ولم كل ذلك ؟ لأن فرقة الأحباب عظيمة الخطر ، جسيمة الخطب ، صراع عنيف مخيف بين الشاعر وقلبه •

هذه هى قصة قيس ولبنى كما نقلها الينا مولانا الأمير • وسأعرض عليك نبذة عن صنيع الشاعر عزيز أباظة ، وسترى لكل وجهة نظر ، لكن صلب القصة لا يتغير وهو الحب العظيم عند « قيس ولبنى » •

قيس ولبنى من المسرحيات التاريخية

وقعت أحداثها فى بادية الحجاز قريبا من المدينة المنورة حيث خيام بنى كعب بن خزاعة قوم « لبنى » بنت الحباب ، وخيام ليث بن بكر قوم « قيس » بن ذريح • وخيام بنى كعب تذكرنا بـ « أم معبد » التى تضيفها النبى فى طريق هجرته •

وللعمل القصصى المسرحى أتى الشاعر عزيز أباظة بشخوص غير التى ذكرها الأمير ، فنرى فى شعر عزيز أباظة التمثيلى « عزة » صديقة لبنى التى تبدى رأيها فى أبى لبنى وحبيبها قيس ، ومعاوية بن أبى سفيان الذى يحمل الناس على ولاية العهد لابنه يزيد ، وهكذا دخلنا فى السياسة ونقد بنى أمية ، ولكن لذلك فائدة هو بيان زمان المسرحية .

ومولانا الأمير جعل الساعى الى أبى لبنى لتزويج قيس لابنته الحسين — رضى الله عنه — . أما عزيز أباظة فقد جعله « عبد الله ابن أبى عتيق » ولم يجعله ساعيا بالأصالة عن نفسه انما هو رسول الحسين لخطبة لبنى.

عز على شاعرنا أن يقوم الحسين بهذا الأمر ، لكن لا يعيب الحسين أن يخطب لبنى لأخيه من الرضاع كما نوه بذلك الأمير ، وللحسين مواقف مماثلة فى هذا الشأن ذكرتها كتب الأدب والتاريخ فى قصة عبد الله بن سلام الذى أحب زوجته يزيد بن معاوية ، واحتال معاوية لطلاق تلك الزوجة ونجح ، ولكن الحسين أفسد الخطة بزواجه منها ، والاحتفاظ بها لزوجها الأول ، كما أنه اشترك فى تخفيف الأمر على « هدبة ابن خشرم » المتهم بالقتل . لكن عزيز أباظة له وجهة نظر مقبولة على أن ابن أبى عتيق له مكانته فى الدولة الاسلامية فهو حفيد الخليفة الأول « أبى بكر الصديق » .

يتم الزواج ، ولكن لبنى لم تنجب ، ويصرح بالسبب بأنه وحيد والديه ، أما شيخنا الأمير فيكون التلويح سببه بألا يئول مال ذريح الى الكلالة . لم يذكر الأمير موقف الخليفة من قيس، ولكن عزيز أباظة جعله يهدر دمه لتشبيبه بلبنى بعد طلاقها ثم يعفو عنه ... وتقول عزة :

قيل قيس قد عفا
عنه أمير المؤمنينا
قال : لا تهدر فى عهـ
دى دماء النابغينا

وأى نبوغ لقيس ؟ لم نعرف عنه مشاركة فى رواية الحديث ولا فى الجهاد فى سبيل الله ، ولا مهارة فى تنمية مال أبيه الكثير ، فنبوغه اذن محصور فى قول الشعر ، والشعر الموقوف على « لبنى » ولهذا كان العفو عنه من الخليفة بعد اهدار دمه ، والخليفة له موقف مماثل ذكره الأمير فى حاشيته بتوسع فقد اتهم « هدبة ابن خشرم العذرى » بقتل ابن عمه « زيادة ابن زيد العذرى » ، فرفع الأمر الى سعيد ابن العاص الأموى والى المدينة أخو القتيل « عبد الرحمن بن زيد » فكره سعيد الحكم فى هذه القضية ، فرفعت الى الخليفة معاوية ابن أبى سفيان ، فطلبهما ، فلما صار هدبة بين يديه سأله عن جريمته فاعترف بها شعرا ونثرا . فقال معاوية له : أراك قد أقررت يا هدبة . قال عبد الرحمن « أقدنى » فكره ذلك معاوية وضن بهدبة عن القتل ، فقال : الزيادة ولد ؟ قال عبد الرحمن : نعم ، وانه صغير . قال معاوية : يحبس هدبة الى أن يبلغ ابن زيادة ، فأرسله الى المدينة فحبس سبع

سنين ، فلما صار ابن زيادة رجلا عرض عليه عشر ديات فأبى الا القود ، وكان ممن عرض عليه الديات الحسن بن على ، وعبد الله ابن جعفر .. والمبرد ذكر الحسين ولم يذكر الحسن، وسعيد بن العاص ، ومروان بن الحكم .. ولما دنا قتله أنشد شعرا ذكره الأمير ، وهو شعر جاء حسب الموقف ، قاله لامرأة من المدينة، ولعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، ولابن القتيل ، فقد أقبل عليه يقول له : أثبت قدميك وأجد الضربة ، فانى قد أيتمتك صغيرا وأرملت أمك شابة ، وسأل فك قيوده .. ففكت فذلك حيث يقول :

فان تقتلونى فى الحـــديد فاننى
قتلت اخـاكم مطلقـا لم يقيـد

ثم ضربت عنقه . قال ابن دريد : وهو أول من أقيد بالحجاز . أى نفذ فيه « القصاص ».

وأخرج الدارقطنى عن ابن المنكدر أن هدبة العذرى أصاب دما فأرسل الى أم سلمة زوج النبى — صلى الله عليه وسلم — أن استغفرى لى ، فقالت : ان قتل استغفرت له . وقد دون له الأمير فى الحاشية ٢٩ بيتا من الشعر ، ومما دونه قوله :

أقلى عـلى اللوم يا أم بوزعـــا
ولا تجـزعى مما أصـاب فاوجعا

فان يك أنفى بان منــه جماله (١)
فمـا حسبى فى الصالحين باجدعا
ولا تنكحى ان فرق الدهــر بيننـا
اغم القفا والوجه ليس بانزعا (٢)

سمعت امرأته هذا الشعر ، فسألت القوم أن يمهلوه قليلا ثم أتت جزارا فأخذت منه مدية فجدعت أنفها ، ثم أتته مجدوعة الأنف فقالت أهذا فعل من له فى الرجال حاجة ؟ فقال : الآن طاب الموت . ومن العجيب أن المبرد فى الكامل يروى له هذين البيتين الآتيين :

ولما دخلت السـجن يا أم مالك
ذكـرتك والأطراف فى حلق سـمر
وعند سـعيد غير أن لم أبح به
ذكـرتك ، ان الأمر يذكر بالأمـر

قال هـذا حين مثل أمام الأمير سعيد ابن العاص ، فسئل عن الأمر الذى لم يبح به. فقال : لما رأيت ثغر سعيد ، وكان سعيد حسن الثغر جدا ذكرت به ثغرها . والأعجب من ذلك أنهم يروون — والرواية للمبرد — : أنه قال : ما أجزع من الموت وآية ذلك أنى أضرب برجلى اليسرى بعد القتل ثلاثا . وقد أراحنى المبرد بتعقيبه : « وهو باطل موضوع » .

وقد سقت اليك قصة هدبة وهى مذكورة برمتها فى الحاشية لأبين لك مدى منزلة الشاعر عند العرب فى ذلك العهد ، وأن عزيز أباظة وظف التاريخ توظيفا موفقا فى قوله « ... لا تهدر فى عهدى دماء النابغينا » يريد دماء

(١) أصيب انفه فى بعض الحروب .
(٢) ينهاها عن الزواج من الغبى .

قيس بن ذريح ، والبيت الذى استشـــهد به المغنى وهو :

وبعـــد غد يا لهف قلبى من غـــــد
اذا أراح أصـــحابى ولست برائح

على أن « اذا » فى موضع جر بدلا من «غد» جاء ضمن أبيات ذكرها الأمير ، وأولها :

ألا علّلانى قبـــل نوح النـــــوائح
وقبل ارتقاء النفس فوق الجوانح

وهذا الكلام يدلك على فزعه من المـــوت ، وحبه البقاء ، لا أنه من « الجفاة عند الموت » كما يقولون ، والأبيات المروية له تراها فى معظم كتب الأدب ، وقد وزعها صاحب «العقد الفريد» فى مؤلفه حسب الأبواب • ولم يحظ « هدبة » بتأليف قصة شعرية عنه فى هذا العصر الذى حظى فيه « مجنون ليلى » و «قيس بن ذريح» بالتأليف ، و « قيس ولبنى » عرض التليفزيون تمثيلية نثرية عنهما •

ونحن ننظر للعمل الفنى ولا سيما التاريخى سواء أكان تأليفا أم نقدا على أنه بعث للحياة فى ماض قد رقد على رفوف المكتبـات أو دار المحفوظات ، فاذا بعثت الحياة فيه وتحـــرك تحركت معه اللغة وهبت المعـــلومات وتكاثرت وتوهجت ملامح القدوة • وصنيع مولانا الأمير يدخل فى باب الذكريات العـــربية التى تنفـــع الدارسين وشداة الادب وطلاب المعرفة •

وهناك سؤال يطرح نفسه ــ كما تقـــــول اليوم ــ هل للقاص شاعرا أو كاتبا أن يخرج عن مسيرة التاريخ اذا اتخذ التاريخ مادته فى تأليف القصة أو المسرحية ؟

القصص التاريخى

ان نقاد الادب ومؤلفى تاريخه لا يجيزون للأديب أن يزيف التاريخ ، فلكل عصر خصائصه ورجاله وأحداثه ولابد له من ذكر المـــــكان والزمان ، وطبائع الحكم ونوع العدالة فيـــه وما الى ذلك مما يشغل الناس من مطـــــالب العيش •• ويجيزون له أن يخلق أشـــــخاصا خياليين بهم يتم البناء القصصى •• ولقد كان « ولتر سكوت » القاص الانجليزى يخرج على التاريخ أحيانا لكى يزيد قصته قـــوة •• ولا بأس بهذا ما دام القارىء لا يتخذ الـــرواية القصصية وسيلة لدراسة التاريخ •

والقارىء العربى لا يرى غضاضـــة فى أن ينهى عزيز أباظة مسرحية قيس ولبنى يجمعهما تحت سقف واحد ليعيشا سعيدين بعد أن ذاقا الأمرين ، وأن يجعل الختام بيت الشــــعر الخالد :

وقد يجمع الله الشتيتين بعـــدما
يظنـــان كل الظن أن لا تلاقيـــا

وأن يخلق أشخاصا من وحى خياله مثـــــل « عزة » تزين العمل ولا تشينه ، كما أنه وضع ابن أبى عتيق بدل الحسين بن عـــلى ــ وان جعله مندوب الحسين • وكان يمكن لعـــــزيز أباظة أن يستغل العداوة بين القبيلتين وقـــد ذكر السادة بارجاعها الى العصر الجـــاهلى ، لان قبيلة قيس مضرية وليث بن بكر •• لهـــا عداوة بخزاعة ولاسيما كعب ، ورسول اللـــه صلى الله عليه وسلم فتح مكة سنة ثمان من الهجرة لاعتداء بنى بكر على خزاعة ، وكانت قريش ضدخزاعة ، وبنو كعب بن خزاعة دخلوا فى عقد محمد (صلى الله عليه وسلم) عـــام

الحديبية ، ولهم حلف فى الجاهلية مع بنى هاشم وهذا يطور الحدث ويطيل فى المسرحية وليس هذا طعنا فى عمل الشاعر الفنى ، فلكل رؤيته فى الفن .

أما مولانا الامير فحسبه أن قدم لنا الأثر الأدبى كما ورد عن القدماء ، وقد يحكم عقله فيرفض الرأى الغريب ، وقد ينساق وراء الخبر لطرافته من ذلك ماروواه عن « توبة بن الحمير » وصاحبته « ليلى الأخيلية » وهما من قبيلة « عامر » التى منها مجنون ليلى ، وقدم للقصة بيتين من الشعر قالهما توبة وهما :

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت
على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا
اليها صدى من جانب القبر صائح

وعلق مولانا الأمير على الشعر كعادته : « قوله توبة » بوزن مصدر « تاب » ابن الحمير بصيغة تصغير حمار الخفاجى « مجنون بنى عامر » مات سنة خمس وسبعين من الهجرة .. والجندل الحجر ، والصفائح العراض منه و « أو » من قوله « أو زقا » عاطفة على سلمت ، « وزقا » بزاى وقاف من باب دعا أى صاح والصدى هنا طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل ويصيح « اسقونى ، اسقونى » حتى يؤخذ بثأر .

وحكى السيوطى هنا ما اشتهر أنها سلمت عليه بأمر زوجها (توبة دفين فى القبر) وقال : هذا قبر الكذاب ــ يشيرالى شعره الذى قدمناه ــ أو هى التى قالت : السلام عليك يا أخا العشاق ، ويا قتيل الأشواق . وقالت :

ما عهدت عليه كذبة قبل اليوم .. فاتفق أنه كان بجنب القبر طائر فزع من الصوت وحركة الهودج ، فنفرت بها الناقة ، فسقطت ميتة ، ودفنت بجنبه ، فخرج من كل قبر شجرة والتفتا ، أى تشابكت أغصانهما .. والعلم عند الله .

ولا جدال فى أن عشاق العصر الأموى من عذريين وغير عذريين كانوا مخلصين لفنهم ، ملئوا قصور الخلفاء والأمراء ، وصارت حكاياتهم وأشعارهم من أحاديث الحياةاليومية ، وتناقلتها الأنديةفى البادية والحضر وسارت بها الركبان . وأوحت الى الخياليين والباحثين عن الغرائب أن يتزيدوا فى الرواية ويأتوا بمثل ما نكره السيوطى ونقله الأمير .. وقد عنى به الخلفاء بجانب عنايتهم بالشعر القبلى ليلهوا الناس به عن مجريات الأمور فى فى شئون الدولة ، ولكن حديث العشاق ترك أمرين لهما شأن أى شأن ، الأول المثالية فى الحب بالارتفاع الى مناط العفة والشرف والوفاء ، والآخر تزويد اللغة الشاعرة بأجمل المعانى وأرق الالفاظ ، ولذلك اعتنى مولانا الامير بهم ونحن سرنا على منهجه .

« السيد حسن قرون »

السرعة وبلاغة العمل الأدبى

للدكتور فتحى عبد القادر فريد

الحمـد لله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، والصلاة والسلام على خاتم الرسل سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم باحسان •
وبعد

فحيث تعد السرعة أوضح معالم عصرنا ، وأبرز سماته ، وأضرارها على الأعمال عموما وعلى العمل الأدبى خصوصا تفوق منافعها :

لاقلالها من قدره ، واضعافها من شأنه وانقاصها من بلاغته جاءت تلك الصفحات لتنبه أصحاب اللسان والقلم وأهل البيان والأدب الى فضل الروية والتأنى ، وتحذرهم من عواقب العجلة والتسرع فيما يقولون وما يكتبون عسى أن تعيد للعمل الأدبى مجدا سابقا وبلاغة سالفة •

«وَمَا تَوْفِيقِى إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ »

العمل الأدبى والصناعات المختلفة

ان الدور التى نسكنها ونقيم فيها لم ترتفع ذلك الارتفاع بين يوم وليلة ، بل مرت بمراحل متعددة من الاعداد والتجهيز حتى وصلت الى ما وصلت اليه وأضحت صالحة للسكنى والاقامة ، وقام على تنفيذ تلك المراحل أعداد لا حصر لها من العمال والحرفيين ويمكن تلخيص تلك المراحل المتعددة فى : تحديد الموقع واختياره ـ تصميم شكل المبنى وصورته ـ توفير المواد اللازمة للبناء ـ ثم سهر العمال والحرفيين على اعداد المبنى واتمامه •

وتستغرق كل مرحلة من المراحل السابقة قدرا من الوقت وتأخذ طاقة من الجهد لتنفيذها على الوجه السليم ، وعلى قدر الجهود المبذولة فى اتمام كل المراحل تتحدد قيمة المبنى المادية والمعنوية ، ومدة صلاحيته واستمراره ، وكثيرا

ما يحدث أن تسقط أبنية بعد الانتهاء منها بفترة وجيزة وفى مقدمة أسباب ذلك :

التسرع والعجلة وعدم التأنى فى تنفيذ المراحل السالفة ، وعدم الوفاء بما تحتاج اليه من مواد وجهود ، ويسرى ذلك على كل الأعمال وجميع الصناعات .

والعمل الأدبى (١) من لحظة البدء فيه الى حيث اتمامه والانتهاء منه ، أو من لحظة كونه فكرة عابرة الى أن يصبح ثمرة ناضجة لا يختلف عن أى عمل ، ولا يفترق عن أية صنعة ، حيث يعتمد على عناصر ، ويمر بمراحل لابد أن ينال كل منها حقه الأوفى ونصيبه الأوفر من العناية والاهتمام بصبر وترو حتى يبلغ درجة النضج ، ويحظى بمنزلة من البلاغة .

لذلك كان « ابن سنان الخفاجى المتوفى سنة ٤٦٦ هـ محسنا غاية الاحسان عندما حصر المراحل التى يمر بها كل عمل من الأعمال ومنها العمل الأدبى فى خمس مراحل :

الموضوع ، والصانع ، والصورة ، والآلة ، والغرض .

فقد قرر رحمه الله أن أية صناعة لا تبلغ درجة اكتمالها الا اذا تمثلت فيها الأمور السابقة آخذة نصيبها من العناية ومستوفية حقها من الرعاية .

ووضح — رحمه الله — قيمة كل عنصر مما سبق وأثره فى العمل الذى يقع فى دائرته وذلك تمثيلا بصناعة النجارة . فذكر أن :

الموضوع : يماثل الخشب فى صناعة النجارة .

وأن الصانع يماثل : النجار .

وأن الصورة تماثل : مكان الجلوس ان كان المصنوع كرسيا .

وأن الآلة تماثل : المنشار والقدوم وما يجرى مجراهما .

وأن الغرض يماثل : الغاية التى صنع من أجلها الكرسى وهو الجلوس عليه .

وبين « ابن سنان » منزلة تلك العناصر من العمل الأدبى قياسا على ما سبق :

فموضوع الكلام والكتابة : الألفاظ المؤلفة من أصوات وحروف .

وصانع الكلام هو : المؤلف الذى ينظم الكلام بعضه مع بعض كالشاعر والكاتب وغيرهما .

والصورة : كالفصل للكاتب والبيت للشاعر وما جرى مجراهما .

والآلة هى : طبع هذا الناظم والعلوم التى اكتسبها بعد ذلك ، حيث لا يستطيع أحد أن يعلم الشعر من لا طبع له وان جهد فى ذلك ، لأن الآلة التى يتوصل بها غير مقدورة لمخلوق،

(١) وهو التعبير عن تجربة شعورية فى صورة موحية — سيد قطب — النقد الادبى اصوله ومناهجه ط رابعة بيروت ١٩٦٦ م .

ويمكن تعلم سائر الصناعات لوجود كل ما يحتاج اليه من آلاتها •

وأما الغرض : فبحسب الكلام المؤلف ، فان كان مدحا كان الغرض به قولا ينبىء عن عظم حال الممدوح ، وان كان هجوا فبالضد ، وعلى هذا القياس كل ما يؤلف (١) •

فندرك من كلام « ابن سنان » أن العمل الأدبى مثله مثل كل الأعمال لا يبلغ نضجه ، ولا يوصف بالبلاغة الا اذا اعتمد على الأمور السابقة مستوفية حظها من التحقيق والتدقيق بصبر وأناة •

** مع بشر بن المعتمر وأبى هلال العسكرى

ولأهمية الصبر والتروى فى صناعة الأدب وبالغ أثرهما فى تحقيقه لأهدافه ، وبلوغه غاياته نجد علماء الأدب والبلاغة يرسمون السبل ويحددون الضوابط التى يحتذيها أرباب اللسان والقلم من الشعراء والخطباء والكتاب وغيرهم حتى يكتمل عملهم ، ويخلو من المعايب والمآخذ ، ويقع من البلاغة موقعا مقبولا ، فهذا «بشر بن المعتمر » (٢) فى وصيته المعروفة لأهل الأدب يحدد ثلاث منازل لمن يقبل على الكتابة تعتمد كلها على التثبت والتروى وعدم التسرع :

المنزلة الأولى : أن يمضى الكاتب فى كتابته عند حضور المعانى فى ذهنه ظاهرة مكشوفة وقريبة معروفة ، وانقياد الألفاظ له شريفة عذبة وفخمة سهلة •

المنزلة الثانية : أن يؤجل الكتابة الى ساعات ينقدح فيها فكره ، ويتفتح ذهنه ، فتواتيه الفكر طائعة ، وتقبل عليه الألفاظ راضية وذلك عندما يجد نفسه مندفعا للكتابة متكلفا لمعانيها متعملا لألفاظها •

المنزلة الثالثة : أن يتوجه الى صنعة أخرى غير صنعة الكتابة يفرغ فيها جهده ويعطيها وقته واهتمامه اذا لم تسعفه القريحة ، ولم تواته السابقة فى وقت يشعر فيه بالراحة والهدوء جسميا ونفسيا •

فلو تأمل أرباب اللسان والقلم المنازل السابقة وحاولوا السير على هديها من الصبر والتروى فى اعداد ما يكتبون وما يقولون لجاء نتاجهم الأدبى فى معظمه بالغا أهدافه محققا أغراضه •

كذلك تبدو فضيلة الصبر على معالجة الكتابة واضحة فى وصية « بشر » فى الفقرة التى يحذر فيها الكتاب من الشروع فى الكتابة عند الشعور بالتعب والاحساس بألم ، وتأجيل ذلك الى أوقات يكون البال فيها مرتاحا والفكر صافيا « خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابتها اياك ، فان قليل تلك الساعة أكرم جوهرا ، وأشرف حسبا ، وأحسن فى الأسماع ،وأحلى فى الصدور ، وأسلم من

(١) أنظر : ابن سنان الخفاجى ــ سر الفصاحة ص ٨٢ وما بعدها تحقيق عبد المتعال الصعيدى مطبعة صبيح ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩ م •

(٢) المتوفى سنة ٢١٠ هـ •

فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين ونمرة : من لفظ شريف ومعنى بديع ، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاولة والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاودة (١) .

كذلك نجد الروية والتأنى فى صنع العمل الأدبى المحور الذى يدور حوله كلام « أبى هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ فى الباب الذى تحدث فيه عن : « صنعة الكلام وترتيب الألفاظ » حيث خصص فصلا تحدث فيه عن « فضيلة الشعر وما ينبغى مراعاته عند تأليفه » .

فبالنسبة للكتابة يدعو الكتاب الى :

استحضار المعانى فى الذهن ، واختيار الألفاظ المناسبة لها ، والاقبال على الكتابة عند النشاط وراحة الجسم والنفس ، والامساك عنها عند التعب والملل ، وأن يراجع الكاتب ماكتبه عبارة عبارة ، فاذا بداله لفظ أحسن من لفظ ، أو معنى بديع التقطه بسرعة قبل أن يفلت منه :

« اذا أردت أن تصنع كلاما فأخطر معانيه ببالك ، وتنوق(٢) له كرائم اللفظ ، واجعلها على ذكر منك ، ليقرب عليك تناولها ، ولا يتعبك تطلبها ، واعمله مادمت فى شباب نشاطك ، فاذا غشيك الفتور ، وتخونك الملال فأمسك ، فان الكثير مع الملال قليل ، والنفيس مع الضجر خسيس ، والخواطر كالينابيع يسقى منها شىء بعد شىء ، فتجد حاجتك من الرى وتنال أربك من المنفعة ، فاذا أكثرت عليها نضبت ماؤها وقل عنك غناؤها ، وينبغى أن تجرى مع الكلام معارضة ، فاذا مررت بلفظ حسن أخذت برقبته ، أو معنى بديع تعلقت بذيله ، وتحذر أن يسبقك فانه ان سبقك تعبت فى تتبعه ، ونصبت فى تطلبه ، ولعلك لا تلحقه على طول الطلب ، ومواصلة الدأب ، وقد قال الشاعر :

اذا ضيعت أول كل أمر   أبت أعجازه الا التواء(٣)

كذلك بالنسبة للشعر يدعو « أبو هلال » الشعراء الى مراعاة الضوابط السابقة :

« واذا أردت أن تعمل شعرا فأحضر المعانى التى تريد نظمها فكرك ، وأخطرها على قلبك ، واطلب لها وزنا يتأتى فيه ايرادها ، وقافية يحتملها ، فمن المعانى ما تتمكن من نظمه فى قافية ولا تتمكن منه فى أخرى ، أو تكون فى هذه أقرب طريقا وأيسر كلفة منه فى تلك ، ولأن تعلو الكلام فتأخذه من فوق فيجىء سلسا سهلا ذا طلاوة ورونق خير من أن يعلوك فيجىء كزا فجا ، ومتجعدا جلفا ، فاذا عملت القصيدة فهذبها ونقحها بالقاء ما غث من أبياتها ورث ورذل ، والاقتصار على ماحسن وفخم بابدال حرف منها بآخر أجود منه حتى تستوى أجزاؤها ، وتتضارع هواديها وأعجازها »

(١) انظر : البيان والتبيين ــ الجاحظ تحقيق : عبد السلام هارون ط رابعة ــ القاهرة : ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥ م جـ ١ ص : ١٣٥ وما بعدها .

(٢) اى تخير من : تنوق فى الامر : تأنق فيه .

(٣) ابو هلال العسكرى : الصناعتين من : ١٣٩ تحقيق : على البجاوى ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم ط عيسى الحلبى .

ويذكر « أبو هلال » أن عددا من الشعراء قد احتذوا ذلك المنهاج ، ونفذوا تلك الضوابط فجاءت أشعارهم خالية من المعايب والمآخذ الا فى النادر أمثال : زهير ، والحطيئة وأبى نواس، والبحترى ، ومن حذا حذوهم ممن عرفوا بعبيد الشعر « وقد كان هذا دأب جماعة من حذاق الشعراء من المحدثين والقدماء منهم :

زهير ـ كان يعمل القصيدة فى ستة أشهر، ويهذبها فى ستة أشهر ثم يظهرها ، فتسمى قصائده الحوليات لذلك ، وقال بعضهم : خير الشعر الحولى المنقح .

وكان الحطيئة يعمل القصيدة فى شهر ، وينظر فيها ثلاثة أشهر ، ثم يبرزها .

وكان « أبو نواس » يعمل القصيدة ويتركها ليلة ثم ينظر فيها فيلقى أكثرها ،ويقتصر على العيون منها ، فلهذا قصر أكثر قصائده .

وكان البحترى يلقى من كل قصيدة يعملها جميع ما يرتاب به فخرج شعره مهذبا .

وكان « أبو تمام » لا يفعل هذا الفعل ، وكان يرضى بأول خاطر فنعى عليه عيب كثير » .

وهكذا نرى أن الضوابط السابقة لأهل الأدب من الكتاب والشعراء تعتمد فى تنفيذها على الروية والتأنى وتعهد العمل الأدبى بالنظر والمراجعة ، والعودة اليه من لحظة لأخرى بالتهذيب والتنقيح حتى يبلغ درجة النضج ، ويحقق الغرض الذى صنع من أجله مما يجعله جديرا بدخول دائرة البلاغة التى عرفها « أبو هلال العسكرى » بأنها : ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه فى نفسه كتمكنه فى نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن (١) وعرفها الخطيب القزوينى المتوفى سنة ٧٣٩ ﻫ بأنها :

« مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته » (٢) .

مع أحمد حسن الزيات

ولما كان للصبر على صناعة العمل الأدبى آثار حميدة يترتب عليها الباسه كسوة البلاغة، وللتسرع وعدم التروى عواقب وخيمة تنتهى الى ضآلة قيمته وقلة افادته فقد كان الأديب المرحوم « أحمد حسن الزيات » مصيبا شاكلة الصواب عندما ذهب الى أن السرعة ومعها الصحافة ، والتطفل تعد ثلاثتها من أسباب التنكر للبلاغة ، وذلك فى مطلع كتابه : « دفاع عن البلاغة » تحت عنوان : « أسباب التنكر للبلاغة » اذ يقول : « السرعة ، والصحافة ، والتطفل هى البلايا الثلاث التى تكابدها البلاغة فى هذا العصر » (٣) .

وأوضح « الزيات » أن خطورة السرعة كان على الفكر بصفة عامة وعلى البلاغة بصفة

(١) المرجع السابق ص : ١٦ .

(٢) عبد المتعال الصعيدى ـ بغية الايضاح ١ : ٢٦ ط سادسة .

(٣) احمد حسن الزيات ـ دفاع عن البلاغة ص : ٥ مطبعة الرسالة ١٩٤٥ م .

السرعة وبلاغة العمل الأدبى

خاصة ، فكانت جريرتها على الفكر أن استحال تقدير القيم التى يحتاج وزنها الى الروية والتأمل ، أو الى الأناة والصبر ، فظهر الخبيث فى صورة الطّيب ، ودخل الردىء فى حكم الجيد ، وقيس كل عمل بمقياس السرعة لا بمقياس الجودة !

وأما جريرتها على البلاغة فانها أصابت الأذهان فلم تعد تملك الاحاطة بالأطراف ، ولا الغوص الى الأعماق ، فجاء لذلك أكثر انتاجها من الغثاء الذى لا رجع منه ، أو من الزبد الذى لا بقاء له ، كما أصابت الأفهام فلم تعد تصبر على معاناة الجد من بليغ الكلام ، فكان من ذلك انكبابها على الأدب الخفيف الذى لاغناء فيه ولاوزن له ، وأصابت الأذواق كذلك ، فلم تميز الفروق الدقيقة بين الطعوم المختلفة ، فاختلط الحلو بالمر ، والتبس الفج بالناضج • (١)

وختم « الزيات » حديثه عن السرعة بأنها قد تقع خطأ فى موازين بعض النقاد فيحسبونها شرطا فى حسن الانتاج ، وربما عابوا الكاتب المروى بالابطاء ، وغمزوه بالتجويد ، وسفهوا قول الحكيم :

« لاتطلب سرعة العمل ، واطلب تجويده ، فان الناس لا يسألون فى كم فرغ ؟ وانما يسألون عن جودته واتقانه » •

أما عن « الصحافة » ودورها فى أسباب التنكر للبلاغة فلأنها تقوم بعرض الأخبار العالمية ، وتسجيل الأحداث اليومية ، ونشر الثقافة العامة ، وهى فى كل أولئك تخاطب الجمهور فلا مندوحة لها عن التبذل والتبسط والاسفاف والمط مراعاة للموضوعات التى تكتب فيها ، وللطبقات التى تكتب لها ، وللسرعة التى تعمل بها • وأما « التطفل » فانه يتمثل فى من يدعون صناعة الأدب ، ويضعون أنفسهم فى صفوف الأدباء بدون أن يطبعوا على الأدب ، أو يأخذوا بأسبابه » (٢)

وواضح أن الأمور الثلاثة السابقة التى يعود اليها تدهور البلاغة فى العصر الحديث عند الأستاذ « الزيات » وهى السرعة ، والتطفل والصحافة لم تخرج عما ذكره البلاغيون والنقاد العرب ، وان كان وضعها تحت عناوين محدثة يوهم أنها اضافات جديدة ، فمشكلة عدم التروى فى صنع العمل الأدبى عبر عنها بالسرعة ، ومشكلة ممارسة أفراد لصناعة الأدب من غير استعداد وتهيؤ لها عبر عنها بالتطفل — ومشكلة دنو الأساليب وانحطاط شأنها عبر عنها بالصحافة — واذا كانت الامور السابقة قد وردت عند السابقين مع أمور كثيرة ، فقد عدها « الزيات » وحدها المسئولة عن تدهور البلاغة فى العصر الحديث •

وواضح كذلك أنه لا يقصد البلاغة كعلم وقواعد ، وانما يقصد الأعمال الأدبية التى

---

(١) الفج — بكسر الفاء — : البطيخ الشامى الذى يسميه الفرس الهندى . وكل شىء من البطيخ والفواكه لم ينضج فهو فج — بالكسر — . الرازى : مختار الصحاح ص : ٤٩١ مادة : فج ح • ط أولى بيروت ١٩٦٧ م •

(٢) راجع : دفاع عن البلاغة ص : ٥ وما بعدها •

تعد البلاغه اسمى غاياتها وأبعد مراميها .

الخـــــاتمة :

ولما كان الصبر على صناعة العمل الأدبى يحقق له سمو المكانة وعميق الاحترام ممـا يهيىء له طول البقـاء ، ويزيد مـن افـادة الدارسين منه وكثرة رجوعهم اليه فان التسرع والعجلة يضعان من مكانته ويقللان من هيبته مما يجعله قصير العمر وقليل الافادة وضعيف التأثير .

ولخطورة السرعة من الآثار ما يعد أشـــد مما سبق ، وذلك هو : ركـود البحث الأدبى وجموده ، حيث يتحاشى البـاحثون تنـاول موضوعـات سـبقت دراستهـا ، وان كانت دراستها السابقة لم تضف جديدا ولم يقـدم شيئا ذابال ، وبذلك لا يفيد السابق ولا يترك فرصة الابتكار للاحق ، وأعتقد أن جريرة ذلك على الفكر خطيرة ، وعلى البحث شديدة .

واذا كان صاحب العمـل المتقن يلقى تقدير الناس وحبهم ، ويحظى باحترامهم وثنائهم ، فانه فوق ذلك يحظى بثواب الله وينال أجره وصدق رسول الله عليه الصلاة والسلام فى قوله :

« ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » (١) .

المراجـــع

١ ـــ ابن سنان الخفاجى ـــ

سر الفصاحة تحقيق : عبد المتعال الصعيدى مطبعة صبيح بالقـاهرة ١٣٨٩ هـ ـــ ١٩٦٩ م

٢ ـــ أبو هـلال العسكرى

الصناعتين تحقيق : على البجـاوى ومحمـد أبو الفضل ط عيسى الحلبى بالقاهرة .

٣ ـــ أحمـد حسـن الزيات

دفاع عن البلاغه ـــ مطبعة الرسالة بالقاهرة سنة ١٩٤٥ م .

٤ ـــ الرازى

مختار الصحاح ط أولى بيروت ١٩٦٧ م .

٥ ـــ الجـــاحظ

البيان والتبيين تحقيق : عبد السلام محمـد هارون ط رابعة القاهرة : ١٣٩٥ هـ ـــ ١٩٧٥ م .

٦ ـــ بـدوى طبـانة (د)

البيان العربى ط رابعة ـــ مكتبـة الانجلـو المصرية ١٣٨٨ هـ ـــ ١٩٦٨ م .

٧ ـــ سـيد قطب

النقد الأدبى : أصوله ومناهجه ط رابعة بيروت ١٩٦٦ م .

٨ ـــ عبد المتعال الصعيدى

بغية الايضاح ط سادسة ـــ القاهرة .

د /فتحى عبد القادر فريد

---

(١) الحديث : « ان الله تعالى يحب اذا عمل احدكم عملا أن يتقنه .
اخرجه الامام السيوطى فى الجامع الصـغير رقم ١٨٦١ المطبعة التجارية ، وعزاه للبيهقى فى « شعب الايمان » من رواية عائشة رضى اللـه عنها ، ورمز له بالضعف .
قال الامام المناوى : فيه ـ أى فى سنده ـ بشر ابن السرى ، تكلم فيه من جهة تجهمه ا هـ .
الباجورى .

تعقيب على كلمة الأستاذ الدكتور خفاجي :

للشعر الجديد

دفاع عن الشعر الحر وعن كل شعر

نشرت مجلة الأزهر الغراء فى عدد رجب ١٤٠٤ ابريل ١٩٨٤ مقالا للأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى بعنوان « الشعر الجديد » .

وانما أراد سيادته ، بغير شك ، النتاج العربى من ذلك النوع الأدبى ، لا مطلق الشعر الحر عند العرب وغيرهم .

ان رجال الأزهر الشريف حفظة التراث بحق ، ووسيلة استمراره وتجدده ، وهذه مأثرة قومية نحمدها لهم ، ونحرص على حماية مسارهم ونقاء بضاعتهم .

لكن من حقنا أن نعترض على العناد فى رفض الجديد والغريب ، والاصرار على تصعيد الخلاف الثقافى الى درجة الشقاق .

ونقول بادىء ذى بدء ان فى اختيار سيادته لاسم « الجديد » علما على هذا الشكل الأدبى نظر ... !!

فلا هو جديد ولا ثمة ما يستمر جديدا ، ثم ان من الأسماء الأخرى المتداولة له ما هو أليق به من اسم الجديد .

ولا مفر من القول بأن مصطلحا بعينه يجب أن يتفق عليه اسما جامعا مانعا لهذا الأدب ، حتى وان تعذر أن يكون بالغ الدقة .

وليس فى المقال الوصل اللازم بين الاصل الغربى المقلد والنوع العربى المولد ، كما غاب عنه الفصل الواجب بين المسمى العام والمسمى الخاص ، وبين المعنى الكلى والمعنى الجزئى ، وبين المقصود التجريدى والمقصود المادى ، وحتى بين الأدب المتاح أو المدعوم والأدب

بقلم الأستاذ السيد عبد الله سليمان

المنوع المحروم .

كأنى بالمقال تلميح للباحثين أو كفاية للعوام ، يستمد من قناعة نفسية وموقف فكرى مسبق لدى الأستاذ الجليل ، أكثر منه درسا مركزا يعتمد على أرضية فسيحة من الموضوعية أو يحتلب ذاكرة قوية حاضرة مسعفة .

ففى المقال استهانة جلية بذلك الأدب ، يستغرب معها تكلف الأستاذ الجليل التنازل بالكتابة عنه .

وفيه تصميم شديد على طرد هذا المقتحم الغريب ، الدعى المريب ، من أسرة الشعر العربى الخالصة أرومتها ، الراسخ التزامها ، الرائع انتظامها .

وفيه اتهام لهذا الفن فى ذاته ونسبه ، ودأبه ونسله ، وسبيله وغايته ، وتحذير شديد منه

ويكاد الأستاذ الجليل يأمر بتحرير شهادة وفاة لهذا الأدب عن ربع قرن عمرا ، كيما يمهرها بتوقيعه ، وانه لحى ينبض ، وانه لأبعد جذورا فى أرض الادب العربى مما قدره له .

ومع ذلك ففى المقال تناقض ، من أبرز أمثلته :

١ — استخدام مصطلح « الشعر » اسما لأدب يدور المقال كله حول عدم جدارته به .

٢ — القول بفراغ هذا الأدب من المضمون ، مع نسبة سدانته وحضانته الى أعلام وقادة للأدب العربى والفكر العربى ، مع احاطة « مدسوساتهم » فيه بالريب ، مما يدعونا الى أن نفسر « الفراغ » المذكور بالتهافت .

ان شعر الشطرة الواحدة والعروض الناقص ، الذى يرفضه أستاذنا الجليل وينفر منه ، لا ينفرد بساحة ولا يحاول التسيد عليها ، وليس من أغراضه طمس حقائق أو غمط حقوق .

وانما هو بضاعة فى سوق ، ولسان ضمن ألسنة ، ولون بين ألوان ، وصاحبه وافد على قوم ولسنا نفهم كيف يتشفع للموشحات بداعية الغناء والطرب ، وللمقطعات بدعوى التوليد والتجديد ، ولا تقبل فى هذا المارق المحير بأسمائه شفاعة من غاية أو تأثر ، بحجة تطرفه فيما تصرف فيه .

ولقد أورد الأستاذ الجليل مثالا للشعر المذكور ، فى امتعاض شديد ، يدلل به على مثالب هذا الأدب فى الشكل والمحتوى .

وردنا أن وجود عيب فى نموذج أو طور لا يمكن أن يقدح فى حق الفن بعامة أو يبرر الغاء الصناعة بالكلية ، أو ينسينا حركة التطور كظاهرة .

فان الكثير من نواتج هذا الفن الأدبى تضم ، وربما تقتحم ، مضامين جادة وقضايا هامة ، مكنية عنها بالايحاء الفنى الجميل ، بينما لم يتعرض الشعر العمودى لهذه القضايا الا على الوجه الخطابى التقليدى ، وتابعا لافتاحا .

ويعيب أستاذنا الجليل على شعر هذه المدرسة صفتين ، يعتبرهما وهنا فى أساسه وشرخا فى جداره ، ومبررا قويا لوسمه بالتسيب المدمر :

أولاهما : مباينته الصارخة لتراث الهندسة الشعرية العربية الباهر .

وثانيتهما : اهداره الامكانيات الجمالية الفائقة التى يتيحها العروض العربى .

فأما أن الشعرين متباينان فما من مراء ، وأما أنهما نقيضان لا تسعهما الأرض معا فذلك تعسف غير موضوعى .

ان من الشعر أحادى الشطرات ما يعطل عن القافية ، ومنه ما تتعدد قوافيه بنظام أو بغير نظام .

لكنه لا يجحد الأوزان ، وهو اذا تخفف من تمام البحر فهو يعترف بالتفعيلة والوتد والسبب والفاصلة أدوات لحرفته ، ويستفيد من الزحاف وان هجر العلة .

وبدلا من ركونه الى نمطية موسيقى البحر فى القصيدة بيتا بيتا ، فهو يبنى على موسيقى الكلمة والعبارة ، فاذا بها موسيقى المعنى والموقف والشعور .

وان قصيدة عروضية ملتزمة لتزداد جمالا فوق جمال وجلاء على جلاء ، اذا قسمت أبياتها أسطرا ، على نهج ذياك الشعر ، بحسب وحدات معانيها ومبانيها .

فتحرر هذا الشعر ، اذن ، محسوب وليس متسيبا ، ولا مبرر لفرض ثنائية الشطرات عليه ، لعدم تساوى الشطرات من ناحية ، ولغياب القافية أو عدم انتظامها من ناحية أخرى .

وان الشعر لأكبر من شكل القصيدة وطباعة الحروف .

وان من ناثرينا لمن يرف أدبه بوجدان لا يكون الا لشعر .

وان من متشاعرينا لمن يملك ناصية العروض والقوافى ، وربما اقتدر على لزوم ما لا يلزم، وهو مع ذلك لا يخرج علينا الا بمتكلف الصريخ بما كان يحسن اخراجه نثرا صريحا ، أو هو يفتقر الى ملكة اعلاء التجربة الشخصية المغلقة الى أفق القيمة الانسانية المطلقة .

فسواء صح أو لم يصح أن سجيتنا الفنية ، كعرب ، مفطورة على السجع مفطومة على القافية ، عاشقة لمثاليات العروض ، فالشعر التقليدى أدب والشعر المستحدث أدب ، ليست المفاضلة بينهما حتما مقضيا ، ولا داعى للالحاح على عقدها بغية تثبيت أحدهما وعزل الآخر .

وان اقتدار اللغة العربية على اشتقاق المعانى والأوزان انما هو صفة فذة خاصة بها ، وهو الذى أتاح لها دون جميع اللغات قاطبة أن تخرج مثل هذا الشعر العمودى الذى تبلغ القصيدة فيه ما تبلغ فلا يؤودها وزن ولا تعيها قافية ولا يشق عليها ابتكار .

فأيا كان الذى بين الشعر الحر العربى والشعر الغربى ، تشابها أو تشبها ، فالشعر العربى لا يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وانما هو يتمثل بصفة انسانية حضارية

يجرى التعامل معها ويستطاب مذاقها من قدم فى أمم أخرى ، فهو يأخذ منها ليثرى سجايانا الفنية .

ان الشـــعر المتحـــرر ـ بحســـاب وشروط فنية ـ أداة الانطلاق فى فنون لـم يعرفها أو لم يعترف بها الخليـل بن أحمـد

ومريدوه ، ولا يسعنا انكارها أو استنكارهـا أو الاقتصار على العلم بوجودها .

وان هذا التحرر المحسوب ليفتح له أبواب الصدق الموضوعى ويفسح له آفاق الصـدق الفنى ويؤتيـــه يسرا ورشـــاقة فى الأداء والاختيار .

وما برحت المذاهب الفنية والمدارس الأدبية على طول التاريخ تلوذ من حين الى حين بلون

من حرية وجرأة ، معقول أو مستغرب ، فـلا تغلق دونها أبواب الاعتراف ولاتصدر فى حقها صكوك الحرمان .

وأما قول أستاذنا الجليل أن أنماط هـــذا الشـــعر ضيقة ومحـــدودة وبحور العروض وسيعة ومعدودة ، فمن ذم الصـــنعة وتــرك الصانع .

وأما اهدار القيم الجمالية فى هندسة بنـاء الشعر العربى ، فربما لم يهدرها أحد كأوليائها بتفريطهم فى أمر غرسها ونشرها بين الناشئة المرجوة ، ولم يبتذلهـا كالذين استهلكوها فى سوق التوسل وسوء التكلف .

وأما قول الأستاذ الـدكتور ان الشـــعر المستحدث من مواليد الستينيات ، فغير صحيح فلقد عرف العالم العربى الشعر الحر العربى قبل الخمسينيات ، مقلدا أو مولدا ، وعلى وجه الخصوص فى ترجمات الأشـــعار الغنـائية والملحمية والمسرحية لشعراء أوربا وأمريكا ، القدامى والمعاصرين .

ونكتفى هنا بترجمة محمد فريد أبو حديد لمسرح شكسبير ، شعرا واثقا واعيا ، تجرى حبات دره ، للغرابة ، أسـطرا كأنهـا النثر ، يساعدها على هذا غياب القافية وعدم تساوى الشطرات مائة فى المائة ، وان موازين الخليل ابن أحمد لتنطبق عليها أيما انطباق .
فهل آثر أبو حديد التستر اتقاء الزوبعة وان عمله لمن عيون الأدب ؟

وقليلا ما كان الوزن والقافية يواتيانه معا ، ويحرص عليهما حرصـا ، وصـفا لملـة أو تعريبا لنص مشهور ، فربما وهم البعض أن ليس فى الترجمة شعر غير تلك الأبيات القليلة المتناثرة .

كما أعنت عامر بحيرى نفسه ، فى ترجمتـه القديرة أعمال نفس شاعر المسرح الانجليزى العظيم ، بالالتزام بالشعر العمودى والقافية على قلة ما اضطر اليه من زيـادة أو نقص فى تفعيلة أو جزء منها .
فهكذا كانا وغيرهما من رجال ذلك الزمان ، يبدعون بالترجمة أو الاقتفاء أدبا جـديدا ،

◄

تستقبله الطليعة المثقفة ، قبلة الاعجاب بين قومها ، بالرضا والتشجيع .

فهل كان للشعر المستحدث وقتها من طرافته ، أو من دوره كموصل أدبى ، أو من مكانة أصحابه ما جعل مدرسة المحافظين تغضى بشأنه عن قول لا أو نعم ؟

لقد كانت ارهاصات التغير السياسى القادم تقتحم الحياة اقتحاما ، فكان حريا بالأدب فى شتى مدارسه وفنونه أن يكون له حضور وتفاعل ، وأن يتوزع طرائق قددا ، منه الصالح ومنه دون ذلك .

ذلك أن قوى التأثير ، الوطنية والدخيلة ، لم تكن لتدع ريحا تعبر البلاد دون أن تجتلى صورتها لتعتلى صهوتها ، وأن تتسلل الى أعطافها لتتخلل منعطفاتها .

ولم تكن الفرص المتاحة لمختلف الاتجاهات متكافئة ، بل كان الغالب أن من لا يملك يعطى من لا يستحق .

وكان جل الأدباء والمفكرين موظفين ، كما لا يزالون فلم يكن بد من أن يفرز هذا كله آثارا .

وحينما قامت الثورة ، كان لابد لها من هوية أدبية تستظل بمظلتها السياسية ، فكان ثمة أدب يتسربل بالقومية المحمومة وأدب يتشبذ بالاشتراكية المحتومة .

كلتا الجماعتين اتخذ شعراؤها الشعر الحر ، باعتباره تجديدا ، جهازا لشحن الجماهير ، منفردة بساحة النشيد والنشيج ، متوحدة فى دائرة الضوء والسوء ، مكفولة لها الحظوة ، ممنوعة عنها المنافسة والمشاركة .

ثم كان ما كان من توالى فصول مأساة التهاون العربى والتعاون الاستعمارى ، التى بلغت ذروتها ، وقتها ، بالنكسة السوداء .

نكاد نجزم أن تلك هى الشريحة أو المدرسة المعينة للشعر الحر العربى التى عناها أستاذنا الجليل .

غير أننا نقول انها بالذات ، وهى فحسب دون باقى مدرسة الشعر المستحدث ، ضاعت فى أقدام الحادثات ، غير مأسوف عليها ولا مستبدلة مظلتها .

وأما مطلق الشعر أحادى الشطرة ، فلم يدفن مع صلاح عبد الصبور ولم يتبدل مع عبد الرحمن الشرقاوى .

لكن أزمته جزء من أزمة الانسان العربى والبيان العربى .

فليت أزمة الثقافة تنفرج ، ويورق الأدب ويزهر ، مع كل الرياض ، من كل نوع فبدلا من أن تناوئوا هذا الفن أعينوه ، وقاوموا منحرفه أو قوموه وبدلا من اتهامه عينوا ملامحوجهه وقننوا أبعاد حريته .

فلا تحرموا المدرسة العمودية من روضة الى جوارها ولا تحرموا العربية من أداةجديدة .

« وَلَاأَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِى أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا » .

السيد عبد الله سليمان

أنباء وآراء

إعـــداد
أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
صفوت عبد الجواد

صرح الدكتور الأحمدى أبو النور وزير الأوقاف عقب زيارته للأزهر الشريف ولجامعة الأزهر :

أنه سيعمل بالتعاون مع فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وجامع الأزهر على تطبيق الأسلوب الامثل فى تطوير التعليم الدينى ، والعمل على تحقيق الاستفادة المثلى من تدريسه وقال اننا جميعا خداما للدعوة الاسلامية واننا والأزهر الشريف والمهتمين بالشئون الدينية نعمل بروح الفريق الواحد .

حقوق وواجبات غير المسلمين فى ضوء القرآن والسنة .

* ناقشت كلية الدراسات الاسلامية والعربية رسالة الماجستير المقدمة من الطالبة هديه عطية زايد وموضوعها حقوق وواجبات غير المسلمين فى ضوء القرآن والسنة .

تكونت لجنة المناقشة من الأساتذة .

د / الأحمدى أبو النور . د / محمد رشاد خليفه د / محمد محمد جبر نصار .

نتيجة المناقشة : امتياز مع مرتبة الشرف

* وجهت نقابة الأطباء بالقاهرة الدعوة لعقد مؤتمر دولى بالقاهرة لبحث الاعجاز الطبى فى القرآن وسيشارك فى المؤتمر وفود من جميع أنحاء العالم كذلك سيشارك الجهات والهيئات العلمية .

* الارتباط بين العلاج الاجتماعى لحالات الاضطرابات الشخصية وبين التقدم فى العلاج .

موضوع رسالة الدكتوراه التى تناقشها كلية الخدمة الاجتماعية بجامعة حلوان المقدمة من الطالبة اقبال مخلوف .

وللرسالة أهمية كبرى من حيث القائها الضوء على حالات الاضطرابات الشخصية المصاحبة للتقدم والتطور فى المجتمعات الصناعية .

لجنة المناقشة مكونة من الأساتذة د / صلاح حوتر د / عبد الباسط محمد على حسن د / عبد العزيز فهمى .

نتيجة المناقشة : جيد جدا .

طالب نيجيرى يفوز بالمركز الأول بصحافة الأزهر .

اعلنت نتيجة كلية اللغة العربية قسم الصحافة بجامعة الأزهر وقد فاز بالمركز الأول الطالب « الحاج لادى عتيق » وحصل على تقدير جيد جدا .

صرح الدكتور على البدرى عميد الكلية بأن نسبة النجاح بالنسبة لطلاب الدول الأفريقية والعربية تعتبر عالية جدا وهذا بفضل ما يحصلون عليه من امتيازات علمية وثقافية واجتماعية من جامعة الأزهر .

مشروع لانشاء مجمع اسلامى

بعد تزايد الجالية الاسلامية فى مدينة « دبلن » عاصمة جمهورية « ايرلندا » الشمالية وبعد ضيق المكان المخصص لاقامة صلاة الجمعة والعيدين بجانب الصلوات الخمس . سعت الجماعات الاسلامية هناك لاقامة « مجمع اسلامى » فى وسط المدينة على قطعة أرض مساحتها ثلاثة أرباع فدان ثمنها حوالى ربع مليون جنيه . وتبلغ تكاليف هذا المشروع مليونين وربعا مع الجنيهات ، ويتكون من جزئين . الأول : ويشمل انشاء بهو واسع للصلاة ومكان للوضوء ومكان خاص للسيدات. والثانى يشمل بناء ملحقات بالمسجد من مكتبة اسلامية ومدرسة لأطفال المسلمين ، ومكان لغسل وتكفين الموتى ، وشقة ومكتب مجهز لامام الجامع .

بناء مركز اسلامى فى بنجلاديش

وافق مركز مديرى المركز الاسلامى الدولى للتدريب الفنى والمهنى والأبحاث على ميزانية العام المالى القادم والتى تبلغ خمسة ملايين دولار .

وقد أعرب المجلس عن أسفه لتأخر الدول الأعضاء فى المجلس عن دفع مساهمتهم النقدية وتبلغ أربعة ملايين دولار . وقد استعرض المجلس التقدم الذى تم احرازه فى تشييد المركز الاسلامى الذى يقام على بعد عشرين كيلو مترا من « داكا » . ويعد هذا المركز أحد مشروعات منظمة المؤتمر الاسلامى .

تكوين رابطة اسلامية

أنشأت مجموعة تضم أربعين من الأئمة المسلمين الفرنسيين مؤخرا رابطة دينية اسلامية فرنسية ، وذلك لتولى المشاكل الدينية الطائفة الاسلامية الكبرى فى فرنسا والتى

يقدر عددها بنحو ثلاثة ملايين مسلم فرنسى وأجنبى .

وصرح الامام محمد بلمكى رئيس الرابطة بأن الهدف من وراء تكوين هذه الرابطة هو تشجيع التقارب الثقافى للمسلمين ، وتكوين حلقة اتصال بين الطائفة الاسلامية وبين المجتمع الفرنسى بالاضافة الى فرض رقابة على ذبح اللحوم المصدرة الى الدول الاسلامية .

وأعلن الامام محمد بلمكى بأن هدف الرابطة دينى صرف وأنها لا تأخذ فى أعمالها الاعتبارات السياسية والعرقية .

وأضاف الامام : أن الرابطة تساندها عدة جمعيات اسلامية فى فرنسا وخاصة المؤتمر الوطنى للمسلمين الفرنسيين والجبهة الوطنية لأتباع الاسلام .

الكونجرس والعلوم عند العرب

تنظم مكتبة الكونجرس الامريكية مؤتمرا عن تاريخ العلوم عند العرب يشارك فيه عدد من مؤرخى العلوم عند العرب فى امريكا وأوربا والعالم العربى . وذلك بالاشتراك مع جامعة الدول العربية .

وقال الدكتور جورج عطية رئيس قسم الشرق الأوسط فى مكتبة الكونجرس ان هذا المؤتمر سيبحث فى مختلف العلوم عند العرب ومنها العلوم الطبية والكيمياء والرياضيات. وسيحضر المؤتمر عدد من الباحثين الامريكيين المهتمين بالعلوم العربية .

تقنين الشريعة الاسلامية

زار القاهرة وفد من رجال القضاء بدولة الامارات العربية المتحدة برئاسة المستشار على الهاشمى ، وصرح المستشار على الهاشمى بأنه بحث مع المسئولين فى مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ووزارة العدل امكان الاستفادة بقوانين الشريعة الاسلامية التى تم تقنينها فى مصر ومحاولة تطبيقها فى دولة الامارات العربية المتحدة .

الاستفادة من الشريعة الاسلامية فى دول أوربا

يقوم معهد الشرق التابع لجامعة « نابولى » بايطاليا بنشر ملخص الدراسات التى أجراها عن الشريعة الاسلامية وقوانينها ومدى امكانية الاستفادة من هذه القوانين فى دول أوربا .

ومن المنتظر أن تطبع هذه الدراسات وتوزع على الجهات الراغبة فى الاطلاع عليها .

وكان المعهد قد نظم عددا من المحاضرات للمتخصصين فى الدراسات الشرقية لتوضح أسس الشريعة الاسلامية وتعاملها مع الحياة اليومية للأفراد والمجتمع .

أثبتت معظم المحاضرات التى ألقاها أساتذة العلوم الشرقية فى جامعات أوربا جهل الغرب بخصوصيات العلاقة بين الشريعة

◄

الاسلامية ونظام الدولة فى العالم الاسلامى ·
وقد قام هؤلاء المحــاضرون بتوضــيح هذه العــلاقة وتصــحيح الفهم الخــاطىء لــدى الأوربيين عنها ·

قســم للحديث بكلية القرآن الكــريم

تقرر انشاء قسم للحديث بكلية القرآن الكريم بأم درمان · وذلك بعد اجتماع عقد بين الدكتور يوسف الخليفة رئيس المجلس الأعــلى للشــئون الاســلامية بالسودان · وعثمان ســيد أحمــد وزير التربية والتوجيههناك · كما تناول البحث دعم رسالة المسجد ، وانشاء العديد من رياض الأطفال الملحقة بالمساجد ، وتطوير الخلوات واعداد مناهج دراسية خاصــة بهـــــا ·

حجاب الطالبات المسلمات بتركيـــا

وافق المجلس الأعلى للتعليم فى تركيا على السماح للطالبات بتغطية رءوسهــن أثناء حضور المحاضرات فى الجامعات · وكان نحو ألف طالبة مسلمة قــد قمــن بمقاطعة المحاضرات فى جــامعة أنقــرة احتجاجا على رفض السلطات التركيــة السماح لهن بارتداء الزى الاسلامى ومن المعروف أن تركيا يوجد بها خمســـــة وأربعون مليون مســلم ·

مجلة للطفل المســـلم

أصدر الاتحــاد الثقافى الاســلامى بباريس العدد الاول من مجلة « أروى » تهدف الى تنشئة الطفل تنشئة اسلامية، وتأمين حصول الطفل المسلم على المعرفة والعلم المفيــد وتعاليمــه بعض الآداب الاسلامية ·
قرر المسئولون عن المجلة اصدارها بعد توقف مجلة «اشراق» على أثر الضغوط التى تعرضت لها مــن بعض خصــوم الاسلام فى فرنسا ·

تعليق على رد

تعليقا على الحــوار الذى دار بــين الأستاذين الفاضلين ــ فى عدد شوال من مجلة الأزهر الغراء ــ حول البيت : وكل رفيقى كل رحــل · والــذى انتهى الى اعتذار الأستاذ أحمد حســن هــلالى اعتذارا حارا بلغ حد اعلان التوبة وكأنه وقع فى معصية وهو أمر لا نرى مبررا له فان الشأن فى البحث العلمى أن يكــون صاحبه حسن القصد ·

وهو ما اتصف به ولا شك الأستاذ هلالى ــ أقول تعليقا على هذا الحوار :
يبدو أن الأستاذ (هلالى) لم يطلع على البيت موضوع النقاش فى الطبعة المحققة من كتاب « مغنى البيت » والتى قام بنشرها المرحوم الاستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد عميد

كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فقد كتب الأستاذ المحقق البيت بطريقة تتفق والرأى السليم الذى اتجه اليه الاستاذ محمد طه ، فان الأستاذ محيى الدين قد وضع عبارة « وان هما تعاطى القنا قوما هما » بين شرطتين باعتبارها جملة معترضة وبهذه الطريقة حسم الأستاذ المحقق الموقف وأبدى رأيه ضمنا فى الفهم السليم الذى يجب أن يفهم به البيت ، والذى لا يحتاج معه الى تأويل أو كلام طويل ، وقد كان يحسن بالمحقق — رحمه الله — أن يبدى رأيه صراحة فيما قاله « ابن هشام » ، واليكم الطريقة التى كتب بها البيت فى النسخة المحققة :

وكل رفيقى كل رحل — وان هما
تعاطى القنا قوما هما — أخوان

وهى طريقة نفت الغموض عن معنى البيت

فشكرا للأستاذين المتحاورين، وثناء على جهد الشيخ العلامة محيى الدين، ومغفرة لابن هشام ، والكمال لله وحده .

أحمد قاسم أحمد
مدير دشنا التعليمية

كتاب « خديجة أم المؤمنين » نظرات فى اشراق فجر الاسلام

تاليف الاستاذ عبد المنعم محمد عمر
وكيل وزارة الثقافة الأسبق

يفتتح المؤلف السيرة النبوية العطرة برسم صورة خديجة بنت خويلد الزوجة الصالحة التى تتفانى فى الاخلاص لزوجها فتعوضه عن حنان الأم التى فقدها فى الصغر ، وتغمره بحنان الزوجة التى تسهر على راحته ، كما يرسم صورة للزوج الكريم الذى لا يدخر وسعا فى السعى لكسب الرزق والعمل على اسعاد أسرته ، ومد يد العون لذوى القربى والمحتاجين ، ويبرز لنا حياة الزوجين الكريمين وقد غمرتها السعادة ورضيا عما وهبتهما السماء من رزق وذرية من البنات والبنين ، واستسلما للقضاء والقدر ، ورضيا عما نزل بهما عن فقد الصبيين .

فاذا نزلت الرسالة السماوية الكبرى نرى صورة لاخلاص الزوجة لدين الوحدانية ،

وكفاحها بجوار النبى — صلى الله عليه وسلم — وهى تشير عليه بعقلها الراجح فى الساعات العصيبة فى فجر الدعوة ، ومساندتها له بمالها وجاهها عندما أسرف المشركون فى التصدى للدين الجديد ، ودور الزوجة الحنون التى تبذل كل ما تستطيع لتسرى عن زوجها فى ساعات الشدة .

ويرسم الاستاذ عبد المنعم عمر صورة واضحة الملامح لجهاد النبى — صلى الله عليه وسلم — فى تبليغ الرسالة الالهية ، ولدور الصحابة وثباتهم مع الرسول الكريم ، وبذلك يتسع مجال البحث ليشمل الجوانب المختلفة للسيرة النبوية الشريفة منذ بداية المبعث حتى أشرق فجر الاسلام ، راويا ذلك فى أسلوب

أنبــاء وآراء

قصصي ممتع لا يقتصر فيه على ذكر الحوادث متتابعة ولكن يعنى بذكر أسبابها وبيان نتائجها بأسلوب سـهل يتسـم بالوضـوح ويتنقل بالقارىء بين أحداث السيرة العطرة فى مسلسل يجذب القـراء ، وبخاصـة الشـبان منهم ، ويغريهم بالمتابعة طوال خمسة عشر فصلا فى ٤١٢ صفحة •

ويلتزم الاستاذ عبد المنعم عمر باستقـاء المعلومات من أوثق المصادر وفى مقدمتها القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف المستقى من كتب الصحاح ، مستعينا بكتب التفسـير وكتب أسباب النزول ، مع العناية ببحث الروايـات المختلفة فى كتب السيرة وكتب تراجم الصحابة وكتب التاريخ ، والمقارنة بينها لاختيار أصحها مع الاكتفاء بذكر عيون الاخبار وتوثيقها •

فاذا أضفنا الى ذلك عناية المؤلف بالتقديم للكتاب بنبذة مختصرة عن تاريخ جمع الحديث الشريف وتدوينه ، وكتابـة السـيرة النبوية الكريمة ندرك مدى ما بذله الاستاذ عبد المنعم محمد عمر من جهد فى التخطيط لكتابـة هـذا الجزء من السيرة النبوية العطـرة فى ثـوب عصرى وأسلوب سهل متميز بالمستوى الرفيع فى المنهج والمادة جزاه الله تعالى أحسن الجزاء على ماقدم للمسلمين وللتاريخ الاسلامى •

أحمد حلمى محمد عبد الرحمن
مراقب عام دار الكتب القومية
والخبير بمجمع اللغة العربية

كتب السيد / فتوح أحمد عبد الرحمن — المراغة — المريدية •

مقترحا : بأن تركز المجلة فى النشر على عدة موضوعات خاصة بالمعاملات الاسـلامية مثل معاملة الجيران — كيفية المشاركة فى الأفراح وغيرها من المعاملات وذلك لأن كثيرا من الكتب الاسلامية التى تغمر السوق تتحـدث عـن العبادات وتاركة المعاملات •

— المجلة تشكر لك هذا الاهتمام ونسأل الله أن يوفقكم ويوفقنا لما فيه الخـير للاسـلام والمسلمين • وها اقتراحكم مقدم الى الكتاب •

كتب السيد / فتحى عبد الحكيم أحمـد — العياط — الجيزة •

نريـد أن تنشر المجلـة بـاب « كيف ترد الشبهات عن دينك » لفضيلة الشيخ محمـد مصطفى الطير — الذى كان ينشر فى مجلـة رسالة الأزهر سابقا • لأننا فى حاجة شـديدة لهذا الباب لما فيه من الافادة التامة •

المجلة : نرفع معكم الأمر لفضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى محمـد الحـديدى الطـير والله الموفق

ردود خاصـة •

السيد / يوسـف صـابر رجب — أسيوط
لا يوجد بالمجلة هدايا غـير التى تصـدر مصاحبة للعدد من الممكن أن تصلك عن طريق الاشتراك فاتصل بالعنوان التالى :
القـاهرة — ادارة توزيـع الأهـرام — شارع الجلاء •

فهرس العدد

الموضوع — الصفحة

● وتلك مجلة أخرى
للدكتور على احمد الخطيب ١٨٢٥
● حوار حول عديد من قضايا الساعة
لفضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الازهر ١٨٢٦

دراسات قرآنية

● منهج ابراهيم عليه السلام فى الدعوة الى الحق
لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى
الطير ١٨٣٤
● اقرأ باسم ربك
للدكتور على محمد حسن العمارى . . ١٨٤٠
● أداء الامانات فى الاسلام
للدكتور احمد عبد الحميد غراب . . . ١٨٤٦
● حرم ربكم عليكم « الدم »
للدكتور عمر عثمان والى ١٨٥٥

دراسات فى السنة

● أيرى النبى صلى الله عليه وسلم يقظة
للاستاذ صلاح الدين عبد الحميد الهادى . ١٨٦٠
● ما هكذا تورد ـ يا سعد ـ الابل
لفضيلة الشيخ عبد الظاهر عبد الكريم . ١٨٦٥
● قوى الاستمرار
للشيخ محمد صابر البرديسى . . . ١٨٧٨

فى الدعوة

● المفكر الفرنسى المسلم جارودى يطرح تساؤلا :
للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى . . ١٨٨٢
● الشريعة ·· وما يراد لها
للشيخ محمد حسام الدين ١٨٨٥
● الاخلاق فى شريعة الاسلام
للمستشار محمد عزت الطهطاوى . . ١٨٩٠
● من أعلام الأزهر
للاستاذ الطاهر محمد الطاهر . . . ١٨٩٧

شعر وشاعر

● هل تغنى النذر
للشاعر شوقى محمود ابو ناجى . . . ١٩٠٢
● حصاد الألم
للشاعرة جليلة رضا ١٩٠٤

الموضوع — الصفحة

● من أبناء عبقر
للاستاذ احمد مصطفى حافظ . . . ١٩٠٥
● « شوقى » بين مجد الماضى وحاضر الشرق والعروبة
للدكتور محمد سلامة صالح ١٩١١
● تركيا ودورها فى الاسلام
للاستاذ ادريس مصطفى دونر . . . ١٩٢٠
● طرائف ومواقف
اعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم . . ١٩٢٢

من التراث

● مجلة الأزهر من خمسين عاما
اعداد عبد الفتاح حسين الزيات . . ١٩٢٦
● دراسة عن مجلة الأزهر
بقلم عاطف زهران ١٩٣٣
● الفتاوى
اعداد عبد الحميد السيد شاهين . . ١٩٤٠

اللغة والادب والنقد

● حذف الجار مع الفعل المعدى به
للاستاذ احمد حسن عبد العواض هلالى . ١٩٤٢
● فى حاشية الأمير
للاستاذ السيد حسن قرون ١٩٤٧
● السرعةوبلاغة العمل الأدبى
للدكتور فتحى عبد القادر فريد . . . ١٩٥٥
● تعقيب على كلمة الاستاذ الدكتور خفاجى للشعر الجديد
بقلم السيد عبد الله سليمان . . . ١٩٦٢
● أنباء وآراء
اعداد : احمد عبد الرحيم السايح . . ١٩٦٧
عبد الفتاح السيد عبد السلام . . . .
صفوت عبد الجواد . . . . .

القسم الانجليزى

● المقال الثانى
للاستاذ سليمان بركات ١٩٧٥
● المقال الاول
للدكتور انس النجار ١٩٨٤

مراجعة وعناوين داخلية
« للاستاذ عبد المنعم ابراهيم مهنا » . . .

alone and closed to all other peoples. They would certainly exceed all mankind in their greed of and longing for life. With all his wicked deeds, each one of them would wish to live a thousand years. However, even a thousand year lifetime could not dislodge him away of the scourge Allah prepared for him.

After the manner of " You follow your way and we follow ours ", the Jews of Medina said that Mickael was the Prince Angel in charge of them, whereas Gabriel insepired fear and was duly hateful to them. In refutation of such pedantry, Allah said that hatred of an Angel of His, implied objection against Him. As much, it was hate of Him, His Angels and His Apostles.

As for Gabriel, peace be upon him, Allah affirms that he brought the Qur'an down upon His Prophet's heart by His leave, even though they detested it.

He added, it was typical of perverse unbelievers and convenant breakers to affect such distinctions to absolve themselves from their duties and follow their own evil ways.

For a party of them cast off the Book of Allah behind their backs and pursued the blasphemies ascribed by devils to the Kingdom of Solomon, with a view to learn magic and black art. In no way was Solomon an unbeliever or did angels persuade men out of their piety.

So far from that, those men should have stuck to fidelity, to the principles and morals of the faith, and then, Allah would have guranteed to recompense them with a much more availing reward.

THE OBJECTS OF THE HOLY QUR'AN (CONTINUED)

BY : SOLIMAN BARAKAT

It was Muhammad alone, be upon him prayer and peace from Allah, that the Jews antagonized; such was their habit with all Prophets, even those among them who Allah strengthened with the Holy Spirit. Puffed up with pride, they scorned any Apsotle whose message did not suit their fancies, so that they charged some with imposture and slew others.

In arrogance, they said that their hearts were sealed up so that they would neither let out their own treasure of knowledge nor let in any knocking call. At the root of their disowning the Mission of Muhammad, be upon him prayer and peace from Allah there coiled the serpent of envy. So, When they were required to believe in the Revelation of Allah, they played false with their own light. They restricted the universal message of Allah to their Scriptures which they usually violated, and to their Jewish Prophets who they almost always distressed and often put to death.

Allah told Muhammad, be upon him prayer and peace, it was their like to be short of true faith but inflated with hollow pride.
He challenged them to entertain the wish to die if their claim had been true that Paradise would be open to them

References

1 Alsira Alnabawiah
3rd. Edition 1981
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
24th. Edition 1978
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial Library, Cairo

3 Mashahid Min Alsira Alatirah
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library - Cairo Printed 1980

4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and commentary
Abdullah Yusuf Ali

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramdan Albooty
7th., Edition, 1977
Dar Al-Fikr, Cairo

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983 Edition
Dar Al-Maarifa, Beirut

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut, 1981.

then said "Then it is best to move further on to reach the distant other side of the water wells, trench round the wells and wall in the waters, that we may possess the water to use and the enemy cannot". The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) highly praised the opinion and the muslim legion moved according to the instructions of Al-Hubab, and occupied the site between the wells and the army of Koraysh, having the water wells within their domian.

Then Saad Ibn Ma-az suggested that a shelter should be erected which the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) could use in case of need. This was also done on top of a ridge overlooking the field.

Both sides appeared to see each other on the evening of Thursday the seventeenth of Ramadan during the second year of Hijrah. The following day of Friday was the great confrontation of the battle of Badre.

Prayers and peace from Allah upon our magnanimous Prophet

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) deliberated with his companions and asked their council. Men from the Muhagereen spoke in full support of what was commanded and revealed to him from Allah. On further request for council, the Prophet(prayers and peace from Allah upon him) was waiting for the words of Al-Ansar. Realising that, Saad Ibn Ma-az from the Al-Ansar spoke in full support and in true obediance of what was decided and commanded by the Prophet(prayers and peace from Allah upon him), as was ordained by Allah. The muslim legion moved on to reach Badre and camped at the near east side of the valley away from the water wells. The rains came in heavy showers and made the earth solid and firm where the muslim legion was camped and allowed them liberty and freedom of movement; whereas,the rains caused thick mud where the army of Koraysh camped restricting and impeding their movement.

The muslim legion moved forward nearer to the wells. There, Al-Hubab Ibn Al-Munther Al-Ansari said to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him)"Is this a place that has been chosen for you by Allah that we cannot discuss or change, or is it battle manouvre and strategy that we can take part in opinion".

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) answered " But it is battle manouvre and strategy. Al-Hubab

safe and there was no purpose for their futher challenge. However, the leaders of Koraysh particularly Al-Hakam Ibn Hisham (Abu Gahle)vowed that there will be no return till they reached the wells of Badre, stayed three nights in full celebration and festival; so that all Arab clans and tribes hear of their march and gathering and remian to re-spect and dignify Koryash as the most eminent authoritat-ive Arab tribe. They marched from Mecca to Badre in battle dress, one thousand men including eight hundred mounts. All celebreties of Koraysh marched; Al-Hakam Ibn Hisham, Umay-ah Ibn Khalaf, Suhayl Ibn Amre,Shaybah Ibn Rabee-ah Utbah Ibn Rabee-ah, Hakim Ibn Hizam, Al-Harith Ibn Amer, Al-Nadre Ibn Al-Harith and several other men of rank. They marched to reach Badre and camped at the distant west side of the valley.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) with the legion of muslims left Al-Madina to retrieve the convoy. They were not out for battle, and were unaware that Koraysh was out in masses. When the muslim legion re-ached Al-Rawha, news came from muslim scouts that Koraysh was on the march of reach Badre soon. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) consulted his companions, realising that the situation was different, it was no more a matter of camel convoy, now it was a matter of armed con-frontation against Koraysh in battle with uncomparable num-bers in men and mounts.

and primitively armed and equiped, with only two horses and seventy camels. They were few in number, many muslims remained behind at Al-Madina; the Prophet(prayers and peace from Allah upon him) was not out for battle; he was out to intersect the convoy and to retrive as their possessions part of muslims wealth left behind in Mecca when they forcibly left for the Hijrah to Al-Madina.

The camel convoy of Koraysh was headed by Abu Sufyan Ibn Harb an outstanding chieftain and a classical bitter enemy to Islam. On the return journey from Damascus to Mecca; on nearing Al-Madina, Abu Sufyan scouted his way, and received news that muslims were out from Al-Madina with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to confront the camel convoy of Koraysh. Abu Sufyan waged Dumdum Ibn Amre Al-Ghaffary to speed to Mecca and conjure the clans of Koraysh to save their camel convoy from the muslims. Abu Sufyan carefully proceeded on his way to reach the water wells of Badre; there he was informed of recent presence of two strangers at the wells. Abu Sufyan examining the dung of their camels,recognised it to be from fodder of Al-Madina. Abu Sufyan quickly skewed his route of travel leaving Badre to his left and heading south by the sea coast speeding to reach Mecca. When he rescued the convoy and was in safety, Abu Sufyan sent a message to Koraysh to return, the convoy was

were certainly necessary to prove their cause and purpose, to gain confidence in their ability to organize and draw strategy, to develop experience in armed confrontation, and above all to test and evaluate the depth of their belief, and their adherence to the words of Allah and their obediance to the commands of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). To the clans of Koraysh, these muslim moves were looked upon with neglect, arrogant superiority and conceit. It was when the great Battle of Badre was on and over that the clans of Koraysh perceived and realised that muslims could affect mortal blows to the core and integrity of Korayshian structure.

During the month of Ramadan of the second year after the Hijrah was the great battle of Badre. This is recognised as certainly the most crucial and emergent encounter in islamic history; the first confrontation and certainly the most deciding.

The Prophet (prayers and peace form Allah upon him) received news of the great camel convoy on its return journey from Damascus to Mecca; that he had previously missed at Al-Ashirah. The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) summoned his companions to intersect the convoy and left Al-Madina on the 3rd. of Ramadan with three hundred and thirteen men, two hundred of the Ansaars and the rest of Muhagereen. The banner was entrusted to Musab Ibn Umayer Al-Abdary. Al-Madina was entrusted to the ministership of Abdullah Ibn Um Maktoom. The legion of muslims leaving Al-Madina were poorly

ent chroniclers. However, it is mostly agreed that the first assignment headed by the Prophet himself(prayers and peace from Allah upon him) was that of Waddan(or Al-Abwaa).

During the month of Rajab of the second year after the Hijrah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) chose Abdullah Ibn Gahshe Al-Asadii to head a group of eight men all from the Muhagereen, with written instructions to be disclosed two days after departure. When Ibn Gahshe read the instructions, he was ordered to proceed to Nakhla, to bring news of Koraysh, and not to oblige any of his companions. He informed them of these instructions and they all agreed to follow. At Nakhla, They met a small camel convoy for Koraysh with four men. One man from Koraysh was killed, one man fled to Mecca and two were taken prisoners. At Al-Madina, the Prophet(prayers and peace from Allah upon him) did not justify killing in the sacred month of Rajab when killing was traditionally prohibited. Abdullah Ibn Gahshe and his companions repented their action, however, they were forgiven by Qur'anic Revelation. One of the prisoners was returned to Koraysh and the second Al-Hakam Ibn Kaysan declared Islam and remained at Al-Madina.

All these inceidents were of no great impact on Muslim-Koraysh relationship To the muslims at Al-Madina such missions

ion and decided to approach the trade routes and interrupt the convoys on their go and return journeys. This policy aimed essentially at blunting the thorn of Koraysh and inducing embarrasing disturbance to their financial structure which was essentially dependant on trade convoys.

The first deployment to interrsect the convoys of Koraysh was assigned under the leadership of Hamza Ibn Abd-el-Mutaleb and comprising only Muhagereen. They met the camels of Koraysh at Al-Aees on the sea coast. Magdi Ibn Amre Algehny stood between the opponents and prevented combat.

The second contingent was assigned under the leadership of Ubaidah Ibn Al-Harith, comprising only Muhagereen. They encountered the convoy of Koraysh in the valley of Rabegh. Few throws were exchanged and the Korayshians retreated from fear of ambush.

The following four assignments were headed by the Prophet himself (prayers and peace from Allah upon him). These were in consecutive order the assignments of Waddan, Al-Bouwat,Al-Ashirah, and Minor Badre. In all four,no armed confrontation took place. However, the outcome of these assignments was manifested by the fact that Muslims could manouvre, move, and organise substantial opposition to face the well-manned trade convoys of Koraysh.

The exact order of all these assignments and their dates is subject to some disagreement among the differ-

The Great Badre (Part 1)

By, Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

In the name of Allah Most Gracious, Most Merciful. By Divine permission and command revealed to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), muslims were permitted, for the first time since the start of the Revelation, to take up arms and confront their enemies and antagonists in conflict if necessary. This new legislation of " Jihad " was provisioned in defence and security of the growing muslim community and to safeguard its structural integrity and propagation. This "Jihad" should be essentially and purely in the cause of Allah, and to establish the Divine words of Allah in the summit and surmounting all others.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) endowed with wisdon of prophethood and statesmanship recognised the deeply rooted enmity of Koraysh and acurrately balanced its consequences. The clans of Koraysh as traditional traders convoyed their trade routes from Mecca north to Damascus by way of Al-Madina or through neighbouring territory. The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) perceived the strategic advantage of the situat-

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
العنوان :
ادارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل العمل الصالح في العشر الأول من ذي الحجة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب الى الله عز وجل من هذه الأيام : يعني أيام العشر » .

قالوا : يارسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ .

قال : « ولا الجهاد في سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله ، ثم لم يرجع من ذلك بشيء » .

رواه البخاري وغيره من أصحاب السنن .

ها نحن قد أهلت علينا الأيام المباركة التي عناها رسول الله ﷺ بهذا الحديث الشريف .

الجزء الثاني عشر السنة السادسة والخمسون

* ذي الحجة ١٤٠٤ هجرية *

* سبتمبر ١٩٨٤ ميلادية *

فضل العمل الصالح

ها نحن قد طلع علينا هلال شهر ذى الحجة الحرام ، شـــهر الحج •

وهذه الأيام العشر التى أقسم الله سبحانه بها فى قوله تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ • وَلَيَالٍ عَشْرٍ • وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ •• وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ••• ﴾ •

نعم هى هذه التى فرض فيها خامس أركان الاســلام ، الحج الى بيت الله الحرام •

ولقد كان للعلماء فى تفسير هذه الآيات أقوال :

فمن أصحاب الرســول من قال : ان الفجر هنا : « انفجار الظلمة عــن النهار فى كل يوم » •

وعن ابن عباس « أنه فجر يــوم المحرم » باعتبار أن به تنفجر الســنة أى تبدأ •

وقد روى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ والفجر • وليال عشر •• ﴾ قال : عشر الأضــحى ، فهى ليال عشر باعتبار أن ليلة النحــر داخلة فيها • إذ قد خصــها الله بأن جعلهــا موقفا لمن لم يدرك الوقوف يوم عرفة •

وقد قيل أيضــا : انهــا العشر الأواخر من شهر رمضان ، وقيل :انها العشر الأول من شــهر المحــرم التى عاشِرُها عاشوراء•

وروى جابر بن عبد الله قال : قال النبى ﷺ : ﴿ والفجر • وليال عشر ﴾ هو الصبح وعشر النحر ، والوتر يــوم عرفة ، والشفع يوم النحــر •••

ولقد حث رسول الله ﷺ • على العمل الصالح فى هذه العشر الأول من ذى الحجة ورغب فيــه ، حتى فضــل صالح الأعمال فيهــا على الجهــاد فى سبيل الله ، على ما جاء بهذا الحــديث الشريف على مختلف رواياته ، وتفضيل هذه الأيام بالجزاء الأوفى على العمــل الصالح فيها جار على سنن اللهسبحانه فى تفضــيل بعض الأزمنــة ، وبعض الامكنة ، كما اصطفى من الملائكة ، ومن البشر •

والعمــل الصــالح كل ما يؤديه الانسان المسلم ابتغاء وجه الله ، مــن صدقة ، وصلاة وصوم ، وكلمة طيبــة تثمر معروفا ، أو صلحا بين متخاصمين ،

أو هداية للضالين أو اغاثة للملهوفين، أو كشفا لكربات المكروبين ، أو تسبيحا ، وتحميدا ، وتهليلا أو تـلاوة للقـرآن الكريم ومدارسته ، عظة وفقها يرشـد به المسلمين ، ويحثهم على الاستمساك بدينهم ، والعمل بكتاب ربهم •

ويكون العمل الصالح بقـول كلمة الحق يرد بها ظلما ، أو يدفع بها ضرا ، وبالشـهادة على وجهها ، ويكـون بالتواضع بين الناس ، وحسن الخلـق فى التعامل ، وبأداء الأعمـال خالصـة مخلصـة لله رب العالمين •

فان رب الناس قد دعاهم الى موسم الطاعات وعمل الصالحات ووعدهم الجزاء الأوفى والعطاء الجزيل •

ففى رواية البيهقى لهذا الحـديث قال : « ما من عمل أزكى عنـد الله ، ولا أعظم أجرا من خير يعملـه فى عشر الأضحى » •

قيل : ولا الجهاد فى سبيل الله ؟

قال : « ولا الجهاد فى سبيل الله ، الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجـع من ذلك بشىء » •

قال : فكان سـعيد بن جبير اذا دخل أيام العشر اجتهد اجتهادا شديدا حتى ما يكاد يقدر عليه •

هذا • ولابد أن نذكر دائمـا أن خير العمل أداء الفرائض كـاملة غـير منقوصة وفى مواقيتهـا ، وأن الدعـاء عبادة رغب فيها القرآن **(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ • أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)** •

ولقد حكى القرآن الكـريم لنـا دعاء الأنبياء معلما إيانا كيف ندعو ربنا من قلوبنا خاشعين ، خاضـعين ، وذلك خير الدعاء كمـا نقلت لنا كتب السـنة أدعية الرسول ﷺ •

إن علينا أن نعطى هذه الأيام التى باركها الله وفضلها ، حقها من الفضل ، فنجـد فى الطاعات ، ونفارق المعـاصى والعصاة ، ونتقرب الى الله بمـا أمرنا به ودعانا اليه ، صلاحا لنفوسنا وهداية لقلوبنا ، واصلاحا لأجسادنا •

ان علينـا أن نقبل على الله حتى يتقبل منا صالح أعمالنا ويتجاوز عنـا خطايانا **(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)** •

وكل مُصِرّ على كبيرة من الكبائر عالما بها أو جاهلا فهو معتد ، وقد أخبر الله أنه لا يحب المعتدين • فكيف يستجيب له ؟

فى هذه الأيام العشر على المسلمين أن يتوبوا الى الله ، وأن يعملوا صالحا ، وما التوبة الا نقد ذاتى ، ومراجعة لموقف الفرد والجماعة من الله •

اذ التوبة ندم على ما فرط وعمل يكفر الذنوب ، ويمحو الخطايا ، وبُعْدٌ عن المحرمات •

ولقد قيل لبعض الصالحين : ما بالنا ندعوا فلا يستجاب لنا ؟

قال : « لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء •

فقيل له : وما هى ؟

فقال : عرفتم الله فلم تطيعوه ، وعرفتم الرسول ولم تتبعوا سنته ، وعرفتم القرآن ولم تعملوا به ، وأكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها ، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها ، وعرفتم النار ولم تهربوا منها ، وعرفتم الشيطان ولم تحاربوه ، ووافقتموه ، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم ، وانتبهتم من نومكم فاشتغلتم بعيوب الناس ، وتركتم عيوبكم » •

أفلا نعود الى ربنا ونتوب اليه ، ونستغفره فى هذه الأيام التى أقسم بفضلها ؟ •

نسأل الله كما علمنا : اياك نعبد ، واياك نستعين • اهدنا الصراط المستقيم • صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين • آمين •

جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

حج النبى صلى الله عليه وسلم

قبل الجهر بالدعوة

د. على أحمد الخطيب

... وحديثنا هذا لِحَجٍّ منه — صلى الله عليه وسلم — قبل الجهر بالدعوة .

بل ، قد يكون ذلك الحج قبل أن يُبعث — عليه الصلاة والسلام .

فإن الحج الذى نسوق حديثه — اليوم — كان على أى حال — قبل أن تسلط الأضواء على نبينا الحبيب — صلوات الله وسلامه عليه — وقبل أن يُعْلَم له — صلى الله عليه وسلم — شَأْنٌ خاص فوق كونه : « محمد بن عبد الله » فقط الهاشمى القرشى — صلوات الله وسلامه عليه .

ثم هو أيضا حَجَّ قبل أن يفرض الحج فى الاسلام ، وهو لم يفرض — بحال — قبل العام الخامس من الهجرة .

هو من قبل ذلك كله حين كانت قبيلته — عليه الصلاة والسلام — تدين كلها بالوثنية ، وتعكف عليها خالصة لها مخلصة فيها .

بل لقد كانت قبيلتُهُ الأحمسيةَ الأولى صاحبة مذهب « الحُمْس » أحد المذاهب الوثنية الثلاثة التى دان لها العرب قبل الاسلام .

واعتنق هذه الأَحْمَسِيَّةَ — اجماعا — قريش ، ومن جاور مكة من العرب ، ومن صاهر الى قريش فتزوج من بيوتها فقد كانوا يلزمونه أن يكون وَلَدُهُ من بناتهم أَحْمَسِيًّا مثلهم .

وبذلك انتشر المذهب — فى غير قريش ومن جاورت — فى بطون من قبائل أُخَر فى الشمال والجنوب رَضِيَتْ شريطة قريش مغتبطة .

هذا المذهب يعنى ما يحمل لَفْظُهُ من الحماسة لأمرأى « التشدد فيه » فهم الوثنيون المتشددون فى ممارسة شعائر دينهم وطريقة تطبيقه المتخذون لأنفسهم مَيْزَةً دينية على الناس لم يتخذها الحلة (١) ولا الطُّلْس وهما أصحاب المذهبين الآخَرَيْنِ من المذاهب الثلاثة .

وتميز الحمس ، أو ميزوا أنفسهم — اذا مارسوا شعيرة من حج أو عمرة ألا يَسْلَئُوا سَمْنًا ، ولا يطبخوا أَقِطًا ولا يدخروا لبنا ، ولا يحركوا شعرا ولا ظفرا ولا يبيتون فى حجهم شعرا ولا وبرا ولا صوفا ولا قطنا ولا يأكلون لحما ، ولا يمسون دهنا ، ولا يلبسون الا جديدا ولا يطوفون بالكعبة الا فى أحذيتهم

---

(١) الحلة — بكسر الحاء وفتح اللام مشددة ، الطلس : بضم الطاء . كذا فى ضبط الكتاب .. انظر " المحبر " الآتى .

وثيابهم ، لا يمســون المسجد باقدامهم تعظيمـا ــ فى رأيهم ــ لبقعتــه ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها .

ولايقفون ــ اذا حجوا ــ يوم عرفة بأرض عرفة لأنها ليسـت مـن الارض الحرام ، ويقفون ــ بدلا منها ــ بمزدلفة فان مزدلفة من الارض الحرام يتولون :

نحن الحمس ، أهل الله ، وبنو ابراهيم خليل الله وولاة البيت ، وسُكَّان حرمه ، وقُطَّانِهِ ، فليس لاحد من العرب مثــل حقنا ، ولا مثل منزلتنا ، ولا تعرف العرب لأحد مثل ما تعرف لنا ، فلا نخرج مــن الحرم .

فاذا انتهى وقوفهم بمزدلفة أفاضوا منها الى مِنىً بينما أفاض غيرهم ــ الى منى ــ من عرفة (١) ... الخ

وغيرهم ليس إلا الحِلَّةِ والطُّلْس فمــا من عربى الا كان على واحــد مــن هذه المذاهب التى اشتركت جميعــا فى تغييروتبديل إرث ابراهيم خليل الرحمن ــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

ومادام محمد ﷺ ــ لم يعرف بعــد برسالة فهو عند الناس جميعا ــ بلا أدنى تفكير : قرشى أحمسى وهنا يتجلى توفيق الله الدائم لمحمد ﷺ .

ويتجلى حفظه ــ سبحانه وتعالى ــ له .

والتالى للآيات الكريمة :

« وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى . وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى . وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى » .

يرى حتما عناية الله الكــريم الجليل برسوله ﷺ مــن يوم مولده ﷺ حتى لحق بالرفيق الأعلى .

أليس ــ سبحانه ــ القائل :

« فانك بأعيننا » (٢)

وشأن الآية الكريمة مطابق لدعائــه ﷺ :

« برحمتك أستغيث

أصلح لى شأنى كله

(١) انظر للامام الأزرقى ــ اخبار مكة شرفها الله وما جاء بها من الآثار ص ١٣٠ ط اولى حجر ، وراجع لابن حبيب البغدادى ــ المحبرص ١٧٨ .

(٢) الطور ــ ٤٨ .

ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ولا الى أحد من خلقك » فما سجد محمد ﷺ لوثن قط .

وكان حجه ﷺ فى الجاهلية ، وقبل اعلان الدعوة على ميراث ابراهيم أبيه خليل الرحمن عليهما الصلاة والسلام .

وفى احدى هذه الحجات ، انطلق ﷺ بتوفيق من ربه — يوم عرفة ، فوقف بعرفة ، بينما كان قومه الحمس — وقد غيّروا وبدّلوا — يقفون بـ « مزدلفة » وجُبَيْرُ بن مطعم القرشى الأحمسى الذى لم يسمع بالاسلام بعد ، ولا سمع به أحد جهارا يُلازِمُ مع قومه موقفهم فى الحج بمزدلفة .

وبينما جبير — فى موقفه — إذْ أَضَلَّ بعيره ، فلم يجدْهُ بمزدلفة فانطلق يطلبه قِبَلَ الناس فى عرفة ، فاذا هو بمحمد ﷺ فَمَلَتْهُ دهشة الى استنكار واستغراب ، فقال — تلقائيا :

هذا — والله — من الْحُمْس ، فما شأنه ههنا (١)

ثم — بعد حين — يشرق الاسلام ، وينبسط ويمتد ويُسْلِم جبير بن مطعم بن عدى القرشى — بعد عام الحديبية أى بعد العام السادس من الهجرة ، ثم يسمع ويروى مقالة ابن مِرْبَع الانصارى الى الحجيج يقول لهم :

إنى رسولُ رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — اليكم ، يقول :
كونوا على مشاعركم ، فانكم على إرْثٍ من ارث ابراهيم (٢)
يقول جبير — رضى الله عنه — بشأن وقوف رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعرفة :
فلما أسلمت علمت أن الله وفقه لذلك (٣) .

د/ على أحمد الخطيب

(١) راجع صحيح البخارى باب الوقوف بعرفة .
(٢) انظر الجامع الصحيح للترمذى ٢٢١/٣ مطبعة مصطفى البابى الحلبى .
(٣) راجع فتح البارى لابن حجر ٤١٢/٣ طبعة أولى الميرية ١٣٠٠ هجرية .

ليس لهؤلاء جزاء إلا الجنة

للأستاذ طه عبد الرؤوف

أى حاكم فى الأرض — مهما بلغت سطوته — وأى قانون عليها — مهما كانت قوته — لا يمكنه أن يجمع هذا العدد من المسلمين كل عام .. فى زمان واحد ، ومكان واحد ، يقومون بعمل واحد .. رداؤهم متحد .. ودعوتهم — أيضا — واحدة .. جاءوا مستجيبين لأمره تعالى حين طلب — سبحانه وتعالى — من خليله ابراهيم عليه السلام أن يدعو الخلق لزيارة بيته المعظم « وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ » . (١)

فحين يترك كل منا ماله وأغراضه وعياله تاركا الدنيا خلف ظهره حاملا على كاهله ذنوبه وأوزاره ، ليقف بين يدى الله تعالى معترفا بآثامه وخطاياه .. طالبا منه العفو والمغفرة .. فانما يتذكر يوم العرض الأكبر « يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » (٢) .

وحين يقف العبد — لحظة حجه — بين يدى الله تائبا من معاصيه ، راجيا عفو خالقه — يضع الله بين يديه سلطة القضاء والتنفيذ فيجعله يحاسب نفسه فيقاضيها ثم يصدر هو الحكم ويقوم بعد ذلك بتنفيذه .

ذلك أن البشر هم الضعف النفسى بعينه ، فقد يخطىء الحاج هنا فيحكم على شخصه وينفذ الحكم بنفسه بدفع صدقة أو يهرق دما أو يصوم أياما . فيالها من تربية الهية ما أعظمها تربية .

◄

(١) الآية ٢٧ من سورة الحج .

(٢) الآية ٨٩ من سورة الشعراء .

أفضل جهاد

موقف يباهى به الله ملائكته يقول تعالى :

« انظروا الى عبادى ، أتونى شعثا غبرا ضاحين .. جاءوا من كل فج عميق . يرجون رحمتى ، اشهدوا ياملائكتى أنى قد غفرت لمحسنهم وتجاوزت عن مسيئهم .. »

موقف لا يعدله موقف فى الأرض .. وجهاد لا يدانيه جهاد فى الدنيا .. جهاد للنفس والمال والبدن فى آن واحد .

فالصلاة تجهد الجسد دون المال .
والصوم أيضا جهاد للنفس والبدن
والزكاة انفاق للمال فقط .

أما الحج فهو يجمع بين كل مظاهر الجهاد .. ليصبح من أفضل العبادات التى فرضت على المسلمين لمن استطاع أداءها والذين يتقربون بفعلها الى خالقهم الأعظم .

أكبر المنافع

لم تشرع الأديان السماوية فريضة من الفرائض الا وكانت ذات منفعة للفرد والجماعة اذا ما التزموا بها وقاموا بأدائها خير قيام .

وللحج منافع دينية ودنيوية

فحين يتجرد الحاج من المخيط ويرتدى المحيط فانما يتذكر اليوم الذى يقابل ربه فيه كيوم ولدته أمه فيدخر لهذا اليوم من طيبات أعماله .

وعندما يسلك الى مناسكه طرق المخاوف ويجتاز الصعاب والمشاق ليصل الى مطلبه ويبلغ مأمنه .. فهو يشبه الراحل الى الله التارك دنياه لا أهل ولا ولد الا ما ادخره من صالح الأعمال . « **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ** » (١) .

* وما اجتماع الحجيج وتلبيتهم بصوت يكاد يصعد بالقلوب الى عنان السماء ففيه يغلب وجدانهم على وجودهم وتطغى روحانيتهم على جسمانيتهم حتى كأنهم — وهم فى زيهم الموحد الجميل — ملائكة أبرار — يرددون الابتهالات الى الملك الواحد المعبود ..

تفر من عيونهم الدموع .. وتخشع داخل صدورهم القلوب طمعا فى رحمة الله وغفرانه وقبوله .. يرجون عظم كرمه واحسانه .

موقنين من قبول دعوتهم فى أطهر ساحة أمام الواحد القهار الرحمن الرحيم مالك يوم الدين .

* أما طوافهم بالبيت فتكريم له وتشريف لكونه مرفوعا على القواعد التى بناها

---

(١) الآية ٣٦ من سورة عبس .

ابراهيم ولأنه أول بيت وضع للناس «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» .

* وسعيهم بين الصفا والمروة يذكرهم بما قامت به جدتهم السيدة «هاجر» حين هرعت تبحث عن الماء لصغيرها اسماعيل الذى جاء من صلبه خاتم الرسل .. محمد — عليه الصلاة والسلام — .

* ووقوفهم بعرفات كوقوفهم يوم العرض الأكبر بين يدى خالقهم منهم المقبول وفيهم المطرود .. يتعرضون لحرارة الشمس كتعرضهم للهيبها يوم الحشر .

أما انفضاضهم من عرفات — ومنهم من تقبل منه فكانفضاضهم من الموقف بعد الحساب يوم القيامة .

ورميهم للجمار يذكرهم بقصة أبيهم ابراهيم عندما عرض له الشيطان ثلاث مرات وهو يؤدى مناسكه فرماه كل مرة بحصيات سبع .

وما ذبح الهدايا الا تجديد لذكرى عظيمة.. حين افتدى الله اسماعيل بذبح عظيم .

الرهبة منه وحده

وهكذا يجد الحاج نفسه مولودا جديدا على ظهر هذه الدنيا اكتسب من المنافع الدينية والدنيوية مالا يمكنه اكتسابه ولو طال عمره أمد الدهر .

اذا كانت كل هذه المنافع الدينية قد وهبها الله لوفوده (الحجيج) فهو لم ينسهم أيضا من المنافع الدنيوية التى ينالها هؤلاء الذين جاءوا من كل فج عميق .

ففى احرام الحاج وامتناعه عن مباهج الدنيا وزينتها فطام عن الشهوات وتعود على الخشونة .

وفى تلبيته مع آلاف الحجيج احساس بأنه أقوى من كل قوى وأعظم من كل عظيم فلا يخاف أحدا الا الله ولا يرهب الا خالقه جل فى علاه ولا يرجو سواه الى منافع أخرى دنيوية كثيرة «لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ..»

انما الظلم منا

ان مئات الألوف من المسلمين بتجمعهم العظيم هذا — من مشارق الأرض ومغاربها — على اختلاف لغاتهم وتباين ألوانهم وأشكالهم انما يتهيئون لحل مشاكلهم فى جو مفعم بالروحانية والقدسية والشفافية .

ومشاكل المسلمين على كثرتها قد تتمثل أولا فى النواحى الروحية بعد هذه الموجات الهائلة من زيف المبادىء والابتعاد عن توجيهات الدين الحنيف .

* وقد تتمثل أيضا — فى المشاكل المادية — وذلك بتحويل العدل الالهى الى ظلم يروح ضحيته ملايين البشر . فبينما ينزل الله

من السماء رزقا يكفى سائر خلقه يحول الخلق هذا العدل الالهى الى ظلم بجشعهم واهمالهم وسوء تصرفهم .

أثمن الوصـــايا

ولأن لكل سلوك فى هذه الدنيا آدابا وأخلاقا كان للحج أيضا آدابه وأخلاقه ..وقد قـــال رسول الله ﷺ فى ذلك : « أفضل الأعمـــال ايمان بالله ورســـوله ثم جهاد فى ســـبيل الله .. ثم حج مبرور » .

والحج المبرور هو ما ذكره الله تعالى حين قـــــال :

« ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ » (١) .

يقول الرسول ﷺ : « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة .. قالوا وما بر الحج ؟ قال : إطعام الطعام ، وإفشاء الســـلام ، وطيب الكلام » (٢) .

ومن بر الحج أن يتحلى الحـــاج بالـــورع فينأى عن الشبهات ويتجمل بالحلم فيكف بـــه غضبه عن عباد الله ويتصف بحسن الصـــحبة لمن يرافقهم من خلقه .

يقول الرسول ﷺ فى احـــدى وصـــاياه : « لا تَحْقِرَن من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستقى . ولو أن تعطى صـــلة الحبل . ولو أن تعطى شِسْعَ النعل . ولو أن تنحى الشىء من طريق الناس يؤذيهم .. ولو أن تلقى أخاك ووجهك اليه منطلق » (٢) .

تلك وصية من وصايا خـــاتم النبيين عليـــه الصلاة والسلام ما أحوجنا اليهـــا فى رحلتنـــا المباركة الى بيت الله الحرام .

كلكم خـير منه

ان حسن الخلق فى السفر يفوق الكثير مـــن العبادات فعن أبى قلابة ــ رضى الله عنه ــ .. أنهم أثنوا على صـــاحب لهم فى الســـــفر قائلين ما رأينا مثله قط .. ما كان فى مســـير الا كان فى قراءة . وما نزلنا منزلا الا كـــان فى صلاة .. ويسألهم : من كان يكفيه ضيعته ؟ من كان يفعل له كذا وكذا ؟ . حتى ذكر : من كان يعلف دابته ؟ .

قالوا : نحن .

قال : فكلكم خير منه .

لذلك أوصى الحاج بما أوصى به الرســـول ﷺ معاذا حين سفره : « اتق الله حيثما كنت. وأتبع السيئة الحسنة تمحهـــا وخالق النـــاس بخلق حسن »

وحتى يتم بر الحاج ويحقـــق من رحلتـــه هذه ما يدخره ليوم الحساب .. فعليه ألا يقصد بِحَجِّهِ رياء أو مباهاة أو فخـــرا ولا يقصـــد بحجه الا وجه الله فالله أغنى الشركاء عـــن الشريك .

هل علمتم ــ اذن ــ لماذا كان الحج المبرور .. ليس له جزاء الا الجنة ؟!

طـــه عبد الرءوف ســـعد

(١) الآية ١٩٧ من سورة البقرة .
(٢) اخرجه احمد
(٢) رواه احمد

من وحى الحج

فى الشعر الإسلامى الحديث

للدكتور طه مصطفى أبو كريشة

من آيات الله البينات عن بيت الله الحرام ، ما ورد فى القرآن الكريم من مناجاة ابراهيم عليه السلام ودعائه لربه « رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ » ابراهيم ٣٧ .

واستجاب الله تعالى لنبيه دعاءه ، وأمره أن يؤذن فى الناس بالحج « وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ » الحج ٢٧ .

ومنذ ذلك الوقت ، والقلوب يستبد بها هوى جارف ، وحنين طاغ ، وشوق لهيف ، الى بيت الله الحرام .. وفى كل عصر وآن ، كلما أحست النفوس من ذلك ريا ، اذا بها يستولى عليها ظمأ شديد ، وعطش غلاب ، يطالبها بمزيد من الرى ، وبأضعاف من الارتشاف .

والذين رزقهم الله موهبة التعبير عن مكنون أنفسهم بالشعر ، رزقهم مع الموهبة رهافة الاحساس ، ورقة الشعور ، وشفافية العاطفة ومن أجل هذا فانهم لم يقفوا جامدين أمام حظهم ، من ذلك الهوى القلبى والعشق النفسى ، وانما ترجموه بشعرهم ، وعبروا عنه فى قصائدهم ، فكان من وراء ذلك فيض من الشعر الاسلامى ، لو تتبعنا فى دواوينهم لوجدنا من وراء ذلك رصيدا كبيرا ، جديرا بالدراسة والنظر اذا ضم بعضه الى بعض .

ولسنا هنا فى مقام الاحصاء والاستقصاء ، فان لهذا مكانا غير هذا المكان وانما سنكتفى بالنظر فى شعر شاعر واحد ، كانت له خواطر أوحى بها الحج ، حين أظل الناس زمانه ، واستشرفوا مناسكه وشعائره .

هذا الشاعر هو أمير الشعراء أحمد شوقى ، الذى سجل بشعره كثيرا من خواطره فى المناسبات الاسلامية ، فكان شعره رقيقا حانيا ، يمس شغاف القلوب ويصل منها الى الاعماق ، ويجعلها تحلق فى جو عبق من أريج الذكريات ، يعيدها الى الماضى الحبيب ، ويجتاز بها الآماد الى حيث العصر ، الذى تنزل فيه الوحى من عند الله على نبينا محمد — صلى الله عليه وسلم .

** ولأحمد شوقى قصيدتان تتصلان بالحج اتصالا مباشرا ، وهو لم يصغهما من وحى أدائه للفريضة ، وانما قالهما من وحى أداء غيره فكل منهما قيل فى توديع ذاهب الى بيت الله الحرام ، واذا تجاوزنا عن هذه المناسبة الشخصية الخاصة ، فاننا نستطيع أن نعد كلا من القصيدتين تعبيرا عن خواطر الشاعر الذاتية نحو بيت الله الحرام والمشاعر المقدسة .

أما أولى القصيدتين فقد قالها أحمد شوقى حين حج « الخديوى عباس حلمى الثانى » ، ويتصدرها هذا الدعاء الضارع الذى لا يملك الانسان الا أن يوجهه الى كل قاصد بيت الله الحرام :

الى عرفات الله ياخير زائر
عليك سلام الله فى عرفات

فاذا كانت الزيارة انتقالا من مكان الى مكان ، فان زائر البيت الحرام هو خير زائر الى خير مكان حقا .

واذا كان للزوار مستقبلون ، يترقبون مقدمهم ، ويحتفون بهم اذا وصلوا اليهم ، فان أحمد شوقى يصور موكب الاستقبال لكل حاج بقوله :

ويوم تولّى وجهةَ البيت ناضرا
وسيم مجال البشر والقسمات
على كل أفق بالحجاز ملائك
تَزُفّ تحايا الله والبركات
لدى الباب جبريل الأمين براحه
رسائلُ رحمانيةُ النفحات
وفى الكعبة الغراء ركن مركّب
بكعبة قَصّادٍ وركن عُفاة
وما سكب الميزابُ ماءً وانما
أفاض عليك الأجر والرحمات

والشاعر يصور هنا ما يعلو وجه الحاج من دلائل الفرحة والبهجة ، وما يعلو قسماته من البشر والسرور ، ثم يرنو ببصره الى هناك فى آفاق الحجاز ، فتبدو له هذه الآفاق من خلال رؤاه الروحانية وقد امتلأت بأفواج الملائكة يلوحون للحجيج ، ويزفون اليهم تحيات من عند الله مباركة طيبة . أما عند الوصول الى بيت الله الحرام ، فان جبريل عليه السلام

يستقبلهم عند الباب برسائل الرحمة ونفحات المغفـرة والرضوان من رب العالمين ، وليس هذا فحسب ، بل ان الكعبة نفسها بأركانهـا ترحب بقصاد بيت الله الحرام الذين جـاءوا من كل فج عميق يبتغون عطاء ربهم ، ويمدون أيديهم فى ضراعة طالبين عفوه ورضاه •

وتمتد بالشاعر رؤاه الروحانية فيلتفت الى الميزاب الذى يعلو سقف الكعبة ، فـلا يراه وسيلة ينسكب الماء من خلالها ، وانما يـراه مجرى يفيض منه الأجـر ، وتنسـاب منـه الرحمات على من استغاثوا بالله رب العالمين الرحمن الرحيم •

ويتأمل الشاعر ذلك الجمع المحشود مـن البشر ، الذى أقبل من كل صوب ، ومثل كل جنس ولغة ، وحوى مـن كل طبقة ولـون ، ويخرج من تأملاته بأن الله وحده هو القادر على جمع هذا الحشد فى هذا المكان مع هذا الشوق الذى ليس له حدود : —

لك الدين يـارب الحجيج جمعتهم
لبيت طهـور السَّاح والعرصات
أرى الناس أصنافًا ومن كل بقعة
اليك انتهَـوْا من غـربة وشتات
تساووا ، فلا الانساب فيها تفاوت
لـديك ولا الأقـدار مختلفـات

انه الدين الواحد الذى أظل الجميع فأقبلوا تحت لوائه ، ناسـين كل وجـه من وجـوه الاختلاف فى الانساب والاقدار •

ويرتد الشاعر الى ذاته ، مستحضرا مـا تقدم من ذنوبه ، وما حفلت به صحيفته مـن سيئات ، فيناجى ربه متسائلا ، ليس تساؤل المستبعد وانما تساؤل الخائف المقشعر مـن حجم ذنوبه ، الـذى يطمع فى رحمـة اللـه الواسعة :

ويارب هل تغنى عـن العبد حجة
وفى العمـر ما فيـه من الهفوات

ثم يتابع النجوى ذاكرا جانبـه الآخر من الحسنات التى يرجو أن تكون له شـفيعا الى جانب ما تقدم من هفوات ·

وتشهدُ ما آتيتُ نفسـا ولم أضرّ
ولم أبْغ فى جهرى ولا خطراتى
ولا غَلَبَتْنى شـقوة أو سعـادة
عـلى حكمـة آتيتنى وأنـاة
ولا جَالَ الا الخـيرُ بين سرائرى
لـدى سُـدَّة خـيرِيَّةِ الرَّغبـات
ولا بتُّ الا كابن مريم مشـفقا
على حُسَّـدى مستغفرا لعـداتى
ولا حُمِّلتْ نفسٌ هـوى لبـلادها
كنفسى فى فعـلى وفى نفثـاتى
وانى،ولا مَنٌّ عليـك بطـاعة،
أُجِلّ وَأُغْلى فى الفـروض زكاتى
أبالغ فيها وهى عـدل ورحمـة
ويتركهـا النسـاك فى الخلـوات
وأنت ولى العفو فاعف بناصِـع
من الصفح ما سوَّدْتُ من صفحاتى

ان الشاعر فى مناجاته يستنجد بنصيبه من الطاعة ، من غير أن يمن بذلك ، فان الفضل لله فيما وفقه اليه من طاعة ، انها صيحة من يرى

أنه قد أحكم من حوله الخناق ، ولم يبق أمامه الا طلب العفو الذى يمحو ما سطر فى صحيفته من سىء الأعمال . وهو عفو يتعلق بـه حتى فى ظل ما يظن من عمل صالح قدمه .

وينتقل الشاعر بنجواه من المشاعر المقدسة فى مكة المكرمة الى المدينة المنورة حيث المسجد النبوى الذى يضم مثوى النبى ﷺ ويستحضر الشاعر جموع المسلمين وهى تقف هناك خاشعة مستلهمة ، تذرف دموع الحب والتوقير والهيبة لخاتم الأنبياء والمرسلين ، الذى أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وليخرج الناس من الظلمات الى النور . وفى هذا الاستحضار يحمل كل زائررسالة الى النبى ﷺ يبلغه فيها ما آل اليه المسلمون فى حاضرهم ، كيف تفرقوا بعد توحد ، وكيف ناموا بعد يقظة ، بل كيف ماتوا بعد حياة ، وكيف أحاطت بهم الظلمات بعد أن فرطوا فى النور الذى بين أيديهم ، نور القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة :

اذا زرتَ (يا مولاى) قبرَ محمد
وقبّلت مثوى الأعظُم العطرات
وفاضت مع الدمع العيون مهابةً
لأحمد بين الستر والحجرات
وأشرق نور تحت كل ثَنِيّةٍ
وضاع أريجٌ تحت كل حصاة
لمظهر دين الله فوق تَنُوفَةٍ
وبانى صروح المجد فوق فلاة

فقل لرسول الله ياخير مرسل
أبثك ما تدرى من الحسرات
شعوبك فى شرق البلاد وغربها
كأصحاب كهف فى عميق سبات
بِأَيْمَانهم نوران : ذكرٌ وسنة
فما بالهم فى حالك الظلمات ؟

ثم يتوجه الشاعر فى نهاية هذه المناجاة الى المسلمين يستنهض فيهم الهمم ، ويستثير منهم العزائم ، مذكرا لهم بماضى المجد والفخار الذى يجب عليهم أن يعملوا على احيائه فى حاضرهم من أجل مستقبلهم ذلك لأن الزمان الذى نحن فيه هو زمان العاملين لا الخاملين ، زمان الأحياء حقا لا الذين يعدون فى عداد الأموات :

وذلك ماضى مجدهم وفخارهم
فما ضَرّهم لو يعملون لآتى
وهذا زمانٌ أرضه وسماؤه
مجالٌ لِمِقْدام كبير حياة
مشى فيه قوم فى السماء وأنشأوا
بوارج فى الأبراج ممتنعات
فقل: ربّ وَفِّق للعظائم أمتى
وزيّن لها الأفعالَ والعزمات

وهكذا كان الختام اشارة الى الغاية التى ينبغى أن يحرص على تحقيقها المسلمون ، حين يلتقون كل عام فى هذا المؤتمر السنوى الكبير .

** أما القصيدة الثانية فقد قالها حين حج أحد أصدقائه المقربين اليه ، وفى بدايتها يتوجه الى هذا الصديق بالحديث ، ذاكرا له

ذلك المكان ، الذى له الوقع الحسن على أذن كل حاج يقصد بيت الله الحرام ، وهو « الحجاز »

(محجــوب) أن جئت الحجـــا
ز وفى جوانحك الهـــوى لَـــهْ

شوقــا وحبـــا بالرســـو
ل وآلــــه أزكى ســـُــلاله

فلمحت نضرة (بــــــــانه)
وشـــممت كالريحـــان (ضاله)

وهنا يشير الشاعر الى الهــوى والشـــوق والحب الذى يملأ جوانح كل متجه الى حج بيت الله الحــرام والى زيــارة النبى ﷺ ، تلك المشاعر القلبية التى تجعل العيــون ترى كــل شىء حولها بهيجا ناضرا ذاعبق طيب ورائحــة زكية •

تم يتابع الشاعر المسير مع هذا الحاج متنقلا معه الى حيث الأماكن المقدسة فيقول :

وعلى العَتيــق مشـــيْتَ تَنْــ
ظُر فيــه دَمْعك وانهمــــا لَــه

ومضى السُّرى بــك حيث كــــا
ن الـــروح يَشِرى والرســــاله

وبلغت بيتــــا بالحجـــا
زبيــــارك البــارى حِيَـــا له

اللــد ميــه جَــلاَ الحـــــرا
م لخلقــــه وجلا حــلا لــه

فهناك طبُّ الروح طـــــــــــــ
ـــب العــالمين من الجهـــاله

انه ينتقل معه الى البيت العتيق ، والى كل مكان سرى فيه الروح الامين بالرسالةِ القرآنية التى أحلت الحلال ، وحرمت الحرام فى جلاء ووضوح ، لا مجال فيك لشك أو ريب • وهنا يأتى التذكير بالنفع والثمرة المنتظرة بعد أداء الفريضة ، انها الثمرة التى تشفى بها الأرواح من مرض ، وتهدى بها العقول من بعد ضلالة ، انه الطب النــاجع فى الشـــفاء لأنـــه طب رب العالمين ، الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى•

ويتابع الشاعر التذكير بكل شىء يجده الحاج من كل ما يتصل بما ضيه مكانا وثقافة وذكريات غالية :

وهنــاك أطـــــلالُ الفصـــا
حــة والبلاغة والنَّبَــــــا له

وهنــــــــاك إزكى مســـــجد
أزكى البريــــــــة قَدْ مَشَى له

وهنــــــــك عُذْرِى الهـــوى
وحــــديث قيس والغـــــزاله

وهنـــــاك مُجْرى الخيل يجــرى
فى أعنتهـــــــــا خيـــــاله

•

من وحى الحج فى الشعر

وهنــــاك مـــن جمـــع السمـــا
حـــة والرجاحـــة والبســـاله

وهنـــاك خَيّمت النهـــى
والعلم قـــد ألقى رحـــاله

وهنـــاك ســـرْحُ حضـــارة
اللـــه فَيّانـــا ظـــلاله

انها دعوة الى استحضار الماضى بكل أمجاده ومفاخره ، اذ لا انفصال للحاضر عن الماضى فى تاريخ كل أمـــة تعتز بنفسها وتريد أن يكون لها شأن بين الأمم .

ان هذا الماضى هو الذى يوقد عزائم الحاضر لكى تشعر فى داخلها أنها جديرة حقا بأن تصنع شيئا . من هنا كانت هذه الاشارة المكررة فى أبيات الشاعر (وهنـــاك) تلك الاشـــارة التى تعنى التذكير والتعظيم ، والاعلاء والاكبار لكل ما هو مرصود مذخور فى تاريخ هذه الامـــة .

ان كل ذلك يمثل حضارة أنعم الله بها عليها وجعلها تتفيأ ظلالها ، ومن ثم فهى نعمة يجب أن تشكر ، وأول دلائل الشكر أن يحافظ عليها، وحفظها باحيائها والتمســك بهـــا والعمـــل على منوالها ، فى تجديد موصول ، لاتنفصم فيه العرى ، ولا تتقطع بين أطرافه الأسباب .

*** .. وبعـــــد :**

فذلك مثل من أمثلة الخواطر التى تجيش بها قرائح الشعراء حول فريضة الحج وما توحيه اليهم من قول ، انها خواطر مبعثها هذا الهوى المستكن فى الأفئدة ، اجابة لدعاء أبى الانبياء ابراهيم عليه السلام .

وهى خواطر مهما كانت لن تبلغ مـــن وصف البحر الزاخر الا ما تبلغه من وصف قطرة ماء تنفصل من المـــوج الخضـــم المتلاطم ومن ثم يبقى الحج دائما مجالا يتسع للمزيد مـــن القول أمـــام هتـــاف الشعراء ، حـــين يرون بأعينهم أمواج الحجيج فى كل عام ، تتجه فى بعث ونشور قاصدة بيت الله الحـــرام ، تؤدى مـــا افترض عليها ، وتبغى ميلادا جديدا فى حياتها ميلادا بعد ميلادها الأول ، ميلادا يعود الذاهبون فيـــه مـــن ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم .

أ. د . طه مصطفى أبو كريشة

دراسات فى القرآن

التزين للصلاة والاعتدال فى الطعام

اقرأ باسم ربك

الحمد فى القرآن الكريم

التزين للصلاة والاعتدال فى الطعام

قال الله تعالى فى سورة الأعراف « يَابَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) » .

البيــــان

دعانا الكبير المتعال الى أن نأخذ زينتنا عند التوجه الى المساجد ، وأن نعتدل فى تناول الطعام وكذا الشراب :

والزينة ما يتجمل به الانسان ويزدان أمام سواه ، والمراد من المسجد مكــان الصلاة بصفة عامة ، فيشمل أى مكــان يمثل فيه المرء أمــام الكبير المتعــال للصلاة ، سواء أكان موقوفا على الصلاة كالمســاجد المعروفة ، أم كــان ســواه كالبيت والفضــاء .

ويدل لذلك قوله ﷺ « جعلت لى الأرض طيبة طهورا ومسجدا ، فأيما رجــل أدركتــه الصلاة صلى حيث كان » (١) وقوله أيضا : **« فضــلنا على النــاس بثــلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا ، وجعلت تربتها لنا طهــورا اذا لم نجد الماء » (٢) .**

فالآية تحثنا على أن نتجمل بالثوب الجميل عندما نريد أداء الصلاة أمام الله تعالى فى أى مكان طاهر ، فاذا كنا نهتم بالتزين عندما نريد لقاء ملك أو أمير أو حاكم ، فالله أحق بالتزين منهم عندما نريد المثول بين يديه فى الصلاة .

واذا كان هذا مندوبا فى كل زمان ومكان ، فانه فى المساجد الجامعة أكثر ندبا ، وبخاصة المساجد التى تشد اليهــا الرحــال ، وهى : المسجد الحرام ، والمسجد النبوى ، والمسجد الأقصى ، حيث يزدحم العابدون الراكعــون الســاجدون .

والتزين للصلاة سنة وليس بواجب ، اذ الواجب للصلاة ستر العورة فيها بأى ساتر ،

---

١ ـــ من حديث أخرجه الامام مسلم بسنــده عن جابر بن عبد الله الانصارى ـــ كتاب المساجد ومواضع الصلاة .

٢ ـــ المصدر السابق عن ربعى بن حذيفة .

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

وما عداه فهو سنة •

والزينة شاملة للثياب الجميلة والتمشط والتطيب ونحوهما مما جاء فى السنة وشمله اللفظ بغير اسراف •

واعلم أن التجمل بالثياب الفاخرة مباح فى الصلاة وغيرها ، لقوله تعالى :

« قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ » •

الأعراف ٣٢ •

وقيل لبعض من يبيح التجمل بالثياب الفاخرة ، ويرى أنه من قبيل اظهار نعمة الله على عبده ــ قيل له ــ أليس عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ كان يلبس قميصا مرقعا بعدد من الرقع ، فقال : انه كان يفعل ذلك لأنه كان أمير المؤمنين ، ويريد أن يقتدى به عماله ، فربما لم يكن لهم مال ، فتمتد أيديهم الى أموال المسلمين ، ليلبسوا فاخر الثياب •

ومما يؤكد اباحة التجمل بذلك ، أن النبى ﷺ خرج يوما وعليه رداء ثمنه ألف درهم (١) ، ولكنه لم يكن يفعل ذلك الا قليلا لبيان الجواز ، فقد كان غالب حاله التقشف والزهد وكان ابو حنيفة ــ رضى الله عنه ــ يرتدى بردا قيمته أربعمائة دينار ، وكان يأمر أصحابه بذلك ، وكان محمد بن الحسن من أصحابه يلبس الثياب النفيسة ويقول :

ان لى نساء وجوارى ، فأزين نفسى حتى لا ينظرن لغيرى •

وجاء فرقد الى الحسن البصرى ــ وكان فرقد يلبس ثوبا خشنا تقشفا منه وزهدا ــ فأخذ الحسن البصرى برداء فرقد فمده اليه ، فقال الحسن ــ يافرقد ابن أم فريقد : ان البر ليس فى هذا الكساء ، ان البر فيما وقر فى الصدر وصدقه العمل •

طريقة السلف فى اختيار الثياب

كان كثير من السلف الصالح على نحو ما قدمنا من أنهم كانوا يحبون اظهار نعمة الله عليهم ، ولا يرون بأسا فى التجمل بثياب قيمة ، ويرون أن قوله تعالى :

« وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ » •

لا يمنع من ذلك ولهذا كانوا مع تجملهم

---

١ ــ ذكره الالوسى ــ ولعلها جبة الديباج التى دخل الذهب فى نسيجها ، وكان اكيدر دومة قد اهداه اياها كما رواه الترمذى وصححه ولعله لبسها قبل تحريم لبس الذهب والحرير على الرجال ، أو هى الحلة الحمراء التى كان يرى فيها النبى احسن شىء كما رواه الشيخان عن البراء •

بها على أرفع درجات التقوى ، وانما يكون لباس التقوى خيرا من لباس الزينة ، اذا كان التجمل بلباس الزينة خاليا من التقوى ، ولذا وقعت المفاضلة بينهما ، أما مع التقوى فلا مفاضلة ، اذ التقوى حاصلة عند الصالحين — من تجمل منهم بالثياب ومن لم يتجمل — ولا شك أن التقوى مع التجمل خير منها مع عدم التجمل ، لأن التقى المتجمل استطاع أن يضبط نفسه مع وجود ما يصرفه عن التقوى ، بخلاف التقى غير المتجمل فانه لم يستطع أن يصرفها الى التقوى وأن يضبطها الا بالتقشف ، ومن هنا قالوا ان الغنى الشاكر خير من الفقير الصابر ، والمطيع مع وجود الصارف عن الطاعة ، خير من المطيع مع عدم وجود الصارف عنها •

ومع هذا فقد كان الغالب فى السلف الصالح لبس الثياب المتوسطة •

قال أبو الفرج : كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة — لا المرقعة ولا الدون — ويتخيرون أجودها للجمعة والعيد ولقاء الاخوان ، ولم يكن تخير الأجود عندهم قبيحا ، أما الذى كان يزرى بصاحبه فانه يتضمن اظهار الزهد والفقر ، وكأنه يشكو من الله تعالى بلسان حاله ، ويوجب احتقار اللابس ، وكل ذلك منهى عنه •

روى مكحول عن عائشة قالت : (كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب وفى الدار ركوة فيها ماء ، فجعل ينظر فى الماء ويسوى لحيته وشعره ، فخرج يريدهم •

فقلت يارسول • وأنت تفعل هذا ؟

قال نعم ، اذا خرج الرجل الى اخوانه فليهيىء من نفسه ، فان الله جميل يحب الجمال » نقله القرطبى

وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود (أن النبى ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر ،فقال رجل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال : ان الله جميل يحب الجمال » وجمال الله فى ذاته وصفاته وأفعاله ، وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك •

« وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا » •

أى وكلوا واشربوا مما طاب لكم ، ولا تسرفوا بتجاوز الحلال الى الحرام أو بتحريم الحلال ، كما حرم أهل الجاهلية الدسم ومازاد على القوت الضرورى أثناء حجهم تعظيما للحج بزعمهم ، أو بالافراط فى الطعام والشراب والشره فيهما ، فان فى ذلك أضرارا كثيرة ، أخرج أبو نعيم فى الحلية عن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — قال : « اياكم والبطنة من الطعام والشراب ، فانها مفسدة للجسد ، مورثة للسقم ، مكسلة عن الصلاة ، وعليكم بالقصد فيهما ، فانه أصلح للجسد ، وأبعد عن السرف ، وان الله ليبغض الحبر السمين ، وان الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه » •

وقال ابن عباس : أحل الله فى هــذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرما أو مَخِيلة »(١) فأما ما تدعو اليه الحــاجة ــ وهــو ما ســد الجوعة وسكن الظمأ ــ فمندوب اليه شرعا ، لما فيه من حفظ النفس والحواس ، ولــذلك ورد الشرع بالنهى عن الوصال (٢) ، لأنــه يضعف الجسد ويميت النفس ، ويضعف عن العبادة ، وذلك يمنع منه الشرع ، ويدفعــه العقل ، وليس لمن منع نفســه قدر الحــاجة من بر ، ولا نصيب من زهد •

وقد أجمع الأطباء قديما وحديثا على أن المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء ، وأن الدواء قلما ينفع مع عدم الحميــة ، وكثــيرا ما اعتمد حكمــاء الهند على حمية المــريض أياما ، فيصح جسمه بدون علاج آخر •

وقد اختلف فى القدر الزائد عن الحــاجة ، فقيل: حرام وقيل: مكروه ــ قال ابن العربى: وهو الصحيح ــ وقدر الشبع يختلف باختلاف البلدان والزمان والســن والأشخاص •

وبالجملة فالأفضــل الاقلال من الطعــام فان فيه السلامة ، قال ﷺ « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، وان كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » أخرجه الترمذى من حديث المقداد بن معد يكرب مرفوعا ، قال بعض العلماء تعليقا على هذا الحــديث : لو سمع بقراط هذه القســمة لعجب من هــذه الحكمة •

واعلم أن الأكل الكثير يورث التخمة ونتن الفم والجشاء ، لتخمر الطعام وفســاده ، وذلك يستتبع شتى العلل ، وقد يموت المــرء بسكتة قلبية بسبب امتلاء بطنه وضغطه على القلب ، فلهذا ينبغى اتباع هذا الطب النبوى لتجنب المعاطب •

وقد ختم الله هذه الآية بقوله :
« إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » •

لتكون قاعدة عامة فى النهى عن الاسراف فى كل شىء ، ومعنى أنه تعالى :
« لا يحب المسرفين » •

أنه لا يرضى عنهم لاسرافهم واضــاعتهم المال فيما لا خير فيه •

وتعتبر هذه الآية قمة فى البلاغة وأصــول الأحكام على قصرها ، باشتمالها على الأمــر والنهى والاباحة والخبر ، كما جمعت أصول الطب والحكمة ، وحببت الينا التجمل وحسن الحال •

الســنة تنهى عن الشراهة فى الطعام

أخرج الامام البخارى عن نافع قال : (كان ابن عمر لا يأكل حتى يؤتى بمســكين يأكــل معه ، فأدخلت رجلا يأكل معه فأكــل كثيرا ، فقال : يانافع لا تدخل هــذا على ، ســمعت رسول الله ﷺ يقول : « المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى ســـبعة أمعــاء » والمقصود من الحديث أن من شأن المــؤمن

١ ــ المخيلة الكبر .
٢ ــ الوصــال هو صوم الليل مع النهار .

جبل الرماة باحد ـ المدينة المنورة

التقلل فى طعامه ، لأن همه أخراه لا دنياه ، أما الكافر فأمره على العكس منه ، والمعى فى المؤمن والكافر واحد ، وجعله سبعة فى الكافر للمبالغة فى أمره وتقبيح حاله ، وقد يكون الكافر غير مكثر مخالفا بذلك ما هو الشأن فيه ، امتثالا لأمر طبيب أو بعدا عن أزمات يخشاها ، والحديث انما يتحدث عما هو القاعدة فى كليهما ، ولكل قاعدة شواذها .

ولما أهدى المقوقس رسول الله ﷺ مارية القبطية وطبيبا وفرسا ، قبل الهدية ماعدا الطبيب ، فقد رده قائلا « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع » وهذا الحديث الشريف جمع أصول الحكمة والسلامة فى البدن ، فعليك صلوات الله وسلامه يا خاتم الأنبياء والمرسلين ، وسيد الحكماء اجمعين .

من روائع الحكم

قال لقمان لابنه : لا تأكل شبعا فوق شبع ، فانك أن تنبذه للكلب خير من أن تأكله ، وسأل سمرة بن جندب عن ابنه وقد مرض : ما فعل ؟ قالوا بشم البارحة (١) ، قال : بشم؟ قالوا : نعم ، قال : أما انه لو مات ما صليت عليه ــ كأنه يرى أن الموت من كثرة الأكل فى حكم الانتحار ، فكأنه قتل نفسه ، فلهذا لا يصلى عليه .

وروى أسد بن موسى من حديث عوف بن أبى جحيفة عن أبيه أنه ﷺ قال « فـإن أكثر الناس شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة» فما أكل أبو جحيفة بملء بطنه حتى فـارق الدنيا ، وكان اذا تغدى لا يتعشى واذا تعشى لا يتغدى) .

وقد كانت العرب تمدح بقلة الأكل وتـذم بكثرته ، قال قائلهم :

تكفيه فلـذة كبـد ان الم بهـا
عن الشواء ويروى شربه الغمر(٢)

وقال حاتم الطائى يذم كثرة الأكـل .

فانك ان اعطيت بطنك سـؤله
وفرجك نـالا منتهى الذم اجمعا

وقال بعض الحكماء : معـالجة المـريض نصفان ، نصف دواء ونصف حميـة ، فـان اجتمعا صح المريض وبرأ .

من آداب الطعام

يستحب غسل اليدين قبل الطعام وبعده ، لقوله ﷺ : « الوضوء قبل الطعام وبعـده بركة » والمقصود من الوضوء غسل اليدين ، كما تستحب التسمية قبل الأكـل ، والأكـل باليمين ، وأن تأكل مما يليك ، أخرج الامـام البخارى عن عمر بن أبى سـلمة قال « كنت غلاما فى حجر رسول الله (٣) ﷺ ، وكانت يدى تطيش (٤) فى الصحفة ، فقال لى رسول الله ﷺ : « ياغلام . سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك » فمازالت تلك طعمتى بعد .

وأقل التسمية بسم الله ، وأكملها بسم الله الرحمن الرحيم ، ومعنى قوله : فمـازالت تلك طعمتى بعد أنه امتثل أمر الرسـول ﷺ فى طريقة تناوله طعامه ، فكان يسـمى الله تعالى ويأكل بيمينه ويأكل من الموضع المقـابل فى الصحفة طول حياته .

ومن فاتته التسمية أول الطعام وذكرهـا أثناءه فليقل بسم الله أوله وآخره .

ويستحب أن لا يأكل الانسان من الطعـام الحار ، فانه يؤذى الجهاز الهضمى ، فعليك أن تنتظـر حتى يبـرد ، قال ﷺ « أبردوا بالطعام ، فان الحار غير ذى بركـة » روتـه الصحاح . ويستحب تصغير اللقمة واجـادة مضغها ، وأن يحمد الله فى آخـر طعـامه ، وينبغى أن لا يرفع صوته بالحمد ان كان لـه جلسـاء لم يفرغوا من الأكل ، فان فى رفـع الصوت منعا لهم من الأكل ، وفى هذا القـدر كفاية والله ولى التوفيق .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث

---

١ ــ اى اصيب بتخمة من الطعام .
٢ ــ الغمر بضم الغين وفتح الميم القـدح الصغير ، وهذا البيت من قصيدة لأعشى باهلة يرثى أخاه بها ــ ويمدحه فى هذا البيت بأنه كـان قليل الطعام والشراب .
٣ ــ اى فى كفالته ورعايته ، فانه ــ صلى الله عليه وسلم ــ تزوج أمه (أم سلمة) بعد أبيه ، فكان يرعاه ويعلمه مكارم الاخلاق .
٤ ــ اى تنتقل من موضع الى آخر .

اقرأ باسم ربك

٢

ولقد عرض القرآن الكريم شئونا كثيرة تتعلق بالانسان منذ تكوينه جنينا الى أن يفارق الحياة ، ولم يعرضها لتكون ضوابط علمية ، أو كليات منطقية ، وانما كان يهدف دائما ــ والله أعلم بمراده ــ الى موضع العبرة والعظة ، أو الى دلالتها على الخالق القادر ــ ، أو الى توجيه الانسان الى خير ليفعله ، أو تنبيهه الى شر ليجتنبه •

من ذلك مثلا الحديث عن (خلق الانسان) ، وهو ما جاء فى هذه الآيات الكريمة التى اتفق جمهور العلماء على أنها أول ما نزل من القرآن •

فقد عنى القرآن بالحديث عن خلق الانسان للاستدلال بهذا الخلق على قدرة الله تعالى ، ولبيان امكان البعث ، ولتنبيه الانسان الى أصله الذى خلق منه ، وأحواله العظيمة التى صار اليها بعد هذا الأصل الذى لا تربطه بما يصير اليه الانسان من علم وحضارة الا قدرة الله تعالى •

القرآن يحدثنا عن (آدم) ، وأنه خلق من تراب :

« إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ » (١٨) •

والعلماء يحدثوننا : أن التراب أبعد الأشياء عن درجة الأحياء ، وذلك من حيث كيفيته ، فانه بارد يابس ، والحياة بالحرارة والرطوبة ، ومن حيث لونه ، فانه كدر والروح نير ، ومن حيث فعله فانه ثقيل والأرواح التى بها الحياة خفيفة ، ومن حيث السكون فانه بعيد عن الحركة ، والحيوان يتحرك يمنة ويسرة ، والى خلف والى قدام والى فوق والى أسفل ، وبالجملة فالتراب أبعد

١٨ ــ آل عمران ٥٩ •

للأستاذ الدكتور
على محمد حسن العمارى

من قبول الحياة عن سائر الاجسام) (١٩) .

ولذلك كان خلق الانسان من آيات الله الكبرى ، ومن الدلائل القاطعة على وحدانيته وقدرته وعلمه وحكمته :

« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ » (٢٠) .

وفى هذه الآية دقيقة من الدقائق أشار اليها العلماء ، ففى لفظة واحدة منها ما يبطل مذهبا انتشر انتشارا واسعا فى العصر الحديث ، وهكذا شأن القرآن الكريم ، يفقه العارفون باللغة العربية ، ويعرف الفاقهون لأسرار القرآن من اللفظة الواحدة معانى كثيرة .

أما الدقيقة التى فى هذه الآية ففى التعبير بلفظ (اذا) ، ومعروف فى العربية أن هذا اللفظ يفيد المفاجأة ، تقول : خرجت فاذا الجو بارد ، وألفته فاذا هو كتاب رائع ، أى أنك فوجئت عند أول لحظة من خروجك ببرودة الجو ، وعند انتهائك من تأليف الكتاب بروعته .

وقياسا على هذا يكون معنى :

« إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ » .

أنكم فاجأتكم وقت كونكم بشرا تنتشرون فى الأرض ، ومعنى ذلك أن مجيئكم بشرا كان نتيجة مباشرة لخلقكم من تراب ، فالانسان خلق — بادىء ذى بدء — انسانا .

والعلماء الذين تنبهوا لهذه الدقيقة كالزمخشرى والفخر ، وغيرهما لم يكونوا يعلمون أنه سيجىء بعد قرون من ينكر هذه الحقيقة ، ويزعم أن الانسان كان فى الاصل قردا ثم تطور ، ويجعل ذلك نظرية يسميها : (أصل الأنواع) .

فالآية ، بل لفظة واحدة منها تبطل مذهب (دارون) ، هذا المذهب الذى انتشر حينا ، ووجد له أنصارا ومؤيدين .

وربما أكد هذا الاستخراج الذى استخرجته من الآية قول الله تعالى :

« لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ » .

وذلك أن (أحسن تقويم) مرتبط مباشرة بخلق الانسان ، فليس بينهما زمن أو أزمنة يكون فيها هذا المخلوق قردا ثم يصير انسانا .

والقرآن الكريم حين يذكر الانسان بأصله لا يقصد ما يقصده علماء التشريح من البحث

---

١٩ — مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ج ٢٥ ص ١٠٨ .

٢٠ — سورة الروم — الآية ٢٠ .

فى جسد الانسان وتركيبه ، وانما يقصد معنى أسمى من ذلك •

فمثلا : هذه الآيات الكريمة التى ختمت بها سورة (القيامة) :

« أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى . أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى . ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى . فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى » •

فيها أقوى الدلالة على قدرة الله تعالى الذى خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى ، كما أنها تدل على القدرة التى تحيى الموتى ، وتبعثهم من قبورهم ، وتعرضهم للحساب والجزاء

وقد بدئت السورة الكريمة بالاشارة الى أن من الناس من ينكر البعث :

« أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ . بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ . بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ . يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ » •

فالذى خلق من هذه النطفة التى تراق بشرا وحوله من خلية صغيرة الى انسان يتحرك ويعمل ويعقل قادر — ولا شك — على أن يعيده مرة أخرى ، كما قال تعالى :

« وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (٢١) •

فلا شك أن اعادة الشىء الذى تخترعه على غير مثال أهون عليك — فى نظرك — من بدئه • وهذا مثل ضربه الله لنا ، والا فلا هين ولا أهون أمام قدرته تعالى فله المثل الأعلى •

وفى آيات (القيامة) التى بدئت بها السورة دقيقة فى قوله تعالى :

« بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ » :

فقد قال المفسرون : انما خص البنان — وهى أطراف الأصابع — لأنها آخر ما يخلق فى الانسان ، ولأنها صغار يطاف ، فالذى يقدر على اعادتها ، وتسويتها يقدر على اعادة ما هو أكبر منها ، وأكثر تعقيدا •

ولكن الذى فى الآية ليس أعادة البنان ولكن (تسويتها) ، وان كانت التسوية تستلزم الاعادة ، فلا جرم أن يكون وراء التعبير بالتسوية سر عظيم ، لا يكون وراء لفظ الاعادة ، وهذا ما يشف عنه العلم الحديث •

فقد أشارت الأبحاث الحديثة الى هذه الدقيقة فى الآية الكريمة اذ أثبت البحث

٢١ — سورة الروم • الآية ٢٧

الحديث أن كل أعضاء الانسان يمكن أن تتشابه ، فيكون عضو فى شخص يشبه عضوا فى شخص آخر ، أو فى أناس آخرين ماعدا البنان ، فان بنان انسان تختلف اختلافا ما عن بنان سائر الناس ، ولذلك أقيم رسم البنان مقام (التوقيع) على الصكوك والوثائق والاشهادات ، واعتمد البحث الجنائى اعتمادا كبيرا على (بصمات الأصابع) ، وبخاصة بصمة ابهام اليد .

فالله — سبحانه — قادر على أن يسوى لكل انسان بنانه الخاصة به ، واذا كان هذا — ولا شك — فى قدرته ، فاعادة الأعضاء التى تتشابه أدخل فى القدرة — على ما تدركه عقولنا ، من المفاضلة بين دقيق وجليل .

وهذا الانسان الذى خلق من طين ، ومن ماء مهين خلقه الله فى أحسن تقويم ، كما صرحت بذلك آية (التين) .

فالانسان فى أحسن هيئة جسمية ، اذ خلق الله كل ذى روح مكبا على وجهه الا الانسان، فان الله — جلت قدرته — خلقه مديد القامة ، يتناول شرابه وطعامه بيده ، وليس بخاف أن تناسب أعضاء الانسان يجعل له صورة جميلة ، وهذا مصداق قوله تعالى :

« **خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ** » (٢٢) .

والانسان أكمل المخلوقات بما وهبه الله من قوى باطنية : قلب يعقل به ، وضمير يحاسبه ، ويهديه الطريق ، وعاطفة تجعله يشعر بمتع الحياة ، وغرائز تساعده — ان اعتدلت — على اصلاح شئونه ، وادراك مطالبه .

وقد منحه الله لسانا ناطقا يبين به عما فى نفسه من مطالب الحياة ، ويعبر به عما يجيش به صدره من معان انسانية .

ولقد حدثنا القرآن الكريم عن الأطوار التى يمر بها الانسان فى بطن أمه ، وعن الاطوار التى يمر بها بعد أن يستقبل هذه الحياة :

« **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** » (٢٣) .

ولقد كانت هذه الأطوار مجهولة كل الجهل فى عهد نزول القرآن ، ولم يعرفها العلم الا بعد زمن طويل ، وهذا يدل على أن القرآن من عند الله تعالى ؛ لأنه لم يكن لبشر فى ذلك

---

٢٢ — سورة التغابن . الآية ٣ .
٢٣ — المؤمنون ١٢ — ١٤

التاريخ أن يحدث بهذا الذى كشفه العلم بعد تقدم فن التشريح .

وقد وصف الله رحم الأم فى هـذه الآيات بأنه :

« قَرَارٍ مَكِينٍ » .

كما جاء فى آية أخرى أن الجنين يتخلق فى

« ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ » :

« خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ »

والظلمات الثلاث هى : البطن ، والرحم ، والمشيمة، وهى الكيس الذى تغلف به الجنين.

والقرار المكين هو الرحم ، وهو محصن تحصينا محكما داخل الحوض الذى أعده الله تعالى لحفظه .

ويؤخذ من كلام الأطباء فى وصف الرحم أن الله تعالى حاطه بكل أسباب الراحة ، وحصنه بأقوى وسائل الوقاية .

وتلك الحقائق العلمية التى تضمنتها هاتان الكلمتان : (ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) .

و (قرار مكين) لا يمكن أن يهتدى اليها — فى عهد الرسالة المحمدية — بشر ، فهما تنفيان أن يكون القرآن من صنع محمد ، كما يقول بعض الجاهلين ، وكما يفترى بعض الحاقدين على الاسلام ورسوله ، وعلى المسلمين .

وأما أطوار الانسان فى الحياة ، وبعد أن يقضى الأمد الذى حدد له فى بطن أمه ، فهى وان كانت معلومة الا أن القرآن يذكرها لينبه الانسان — دائما — الى أنه لا يبقى على حال واحدة ، وأن له نهاية هى اليقين الذى يشبه الشك ، وليذكره أن البعث حق :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا » (٢٥) .

و (أما بعد)

فهذا بيان موجز لكلمة واحدة من هذه الكلمات الكريمة التى بدىء بها نزول القرآن :

« خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ » .

ولو أنى أطلت نفس القول ، ووفيت المقام حقه فى شرح هذه الآية الكريمة ، ولو أنى

(٢٤) الزمر ٦ .

٢٥ — سورة الحج . الآية ٥ .

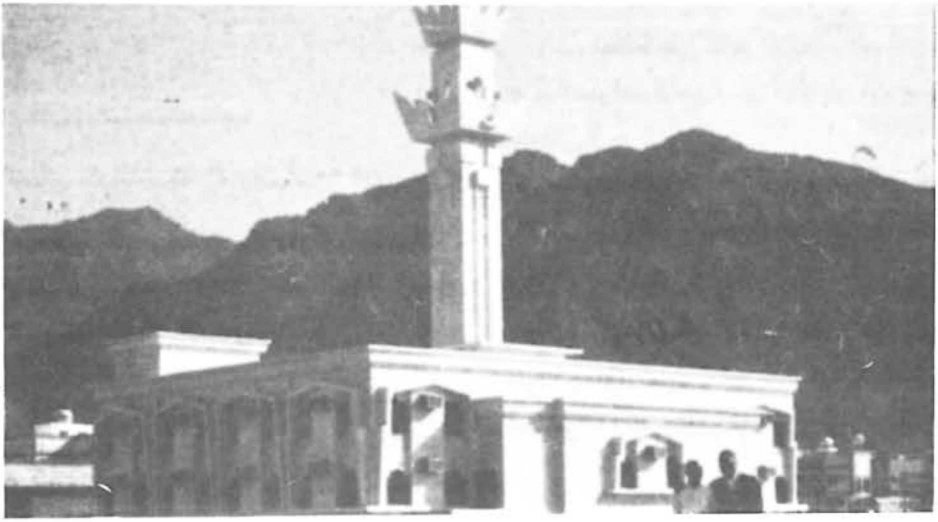

مسجد سيدنا حمزة باحد ـ المدينة المنورة

وقفت مع كل كلمة من كلمات هذه الآيـات لكان من ذلك كتاب بعيد ما بين الدفتين •

أفلا يحق لنا أن نقول ـ بعـد ذلك ـ لـو سئلنا السؤال الذى وجه لأبى الكرم النحوى: ما ترجمة كتاب الله ؟ أن نقول ونجيب بـأن ترجمة كتاب الله هى هذه الآيـات الكريمـة التى كانت أول القرآن نزولا •

وكلمة (ترجمة) هنا هى ما يطلـق عليـه الكاتبون كلمـة (عنـوان) ، ولكنى لا أحب استعمال هذه الكلمة الأخيرة مع كتـاب الله تعالى •

هـذا

وبعد أن انتهيت من كتابة هـذا البحث ، وأعددته للنشر ، ووضعت عليه توقيعى ، أى والله ، فوجئت بنص أدهشنى وسرنى ، وأعاد الى ذهنى ما كان يقوله العرب : قـد يقـع الحافر على الحافر ، وما نقوله نحن : كثيرا ما تتلاقى الأفكار •

ذلك أن المصادفة (٢٦) وحدها أتاحت لى المطالعة فى أحد كتب البلاغة بعد الانتهـاء من اعداد هذا البحث مباشرة •

يتحدث صـاحب الكتـاب عن (براعة الاستهلال) فيكـون ممـا قـاله : (والقلم الأسنى فى ذلك سورة الفاتحة التى هى مطلع القرآن فانها مشتملة على جميع مقاصده) •

ثم ينقل عن (شـعب الايمان) للبيهقي قولا ينتهى بسنده الى الحسن ـ رحمـه الله ـ وخلاصته أن العلوم التى احتـوى عليهـا

---

٢٦ ـ هذه هى الكلمة الصحيحة فى هذه المادة ، وكثير من الناس يستعملون كلمة (الصدفة) حتى لقد جعلها بعض الكاتبين عنـوانا لبحث نشره فى احدى المجلات ، ولا يعرف لها فى العربية وجـه صحيح ـ فيما أعرف .

القرآن ، وقامت بها الاديان أربعة هي :

معرفة الله وصفاته ، ومعرفة النبوات ، ومعرفة المعاد ، وعلم العبادات ، وعلم السلوك ، وعلم القصص .

قال : وكلها اشتملت عليها سورة الفاتحة فجمعت بذلك كل مقاصد القرآن وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال .

ثم قال — وهذا هو موضع العجب والسرور معا — : (وكذا كأول سورة (اقرأ) فانها نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال ، لكونها أول ما نزل من القرآن ، فان فيها الأمر بالقراءة ، والبدء فيها باسم الله ، وفيه الأشارة الى علم الأحكام ، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب ، واثبات ذلك ، وصفاته من صفة ذات ، وصفة فعل ، وفي هذه الاشارة الى أصول الدين ، وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله :

« عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .

ولهذا قيل : انها جديرة أن تسمى : (عنوان القرآن) ، لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله) (٢٧) .

وهنا أمور أرى من الضروري التنبيه اليها .

١ — اختلط على كلام المؤلف ، فلم أدر هل هذه العبارات الأخيرة من قوله أو من قول البيهقي ؟ .

وقد بحثت عن كتاب (شعب الايمان) لأتحقق من ذلك فلم أظفر به ، وعلمت أنه لم يطبع منه الا جزء يسير .

٢ — ماجاء في العبارة : (ولهذا قيل) يدل على أن هذا القول قديم ، قد يكون قبل البيهقي ، وقد يكون قبل (ابن معصوم) .

٣ — في ذلك عبرة لمن يسارعون بالاتهام حين يجدون مشابهة بين قائل متأخر وقائل متقدم ، ما لم يكن قول المتقدم مشهورا .

ومع الأسف لم يقتصر ذلك على الجزئيات بل تعداه الى علوم بأكملها فزعم زاعمون أن العرب أخذوا فقههم عن الرومان ، ونحوهم عن السريان ، وبلاغتهم عن الأغريق .

٤ — انما اثبت هذا النقل لأمرين :

أولا : أن أدعم به الرأى الذى ذهبت اليه .

ثانيا : تبركا بمضمون هذه الكلمة الرائعة الجميلة : من بركة العلم نسبة كل قول الى قائله .

والله الهادى الى سواء السبيل

د / على محمد حسن العمارى

---

٢٧ — السيد على صدر الدين بن معصوم المدنى « ١٠٥٦ — ١١٢٠ هـ » في كتابه : (انوار الربيع في انواع البديع .

الحمد فى القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور
محمد محمد خليفة

(وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ)

الشورى ٢٧ ، ٢٨ .

أخبر الله فى الآيات السابقة أنه يستجيب دعاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولما كان الواقع أن الكثير من المؤمنين يعانون الكثير من الفقر والفاقة قدم الله هذه الآية للرد على ما عسى أن يكون من تناقض بين الآيات السابقة وبين الواقع الملموس فقال : « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض » ، وانتهبتهم المعاصى ، ولهذا فانه لا يعطى المؤمن ما يطلب من المال حتى لا يطغيه الرزق فيكون وبالا عليه فى الآخرة ، والله الخبير بنفوس العباد لا يرضى أن يسلم المؤمن من عباده الى الفساد

وقيل : ان هذه الآية خاصة بالعرب ، لأنهم اذا اتسعت أرزاقهم اشتد طمعهم فأقبلوا على الغارة والنهب ، والانسان بعامة اذا اتسع رزقه يغلب أن يدفعه الرزق الكثير الى التكبر والطغيان ، واذا أصابته شدة فى ماله انكسر وعرف طاعة الله .

وقيل : انها نزلت فى فقراء المدينة من المسلمين حين تطلعوا الى أموال «بنى قريظة» « وبنى النضير » وغيرهم من اليهود فتمنوا أن يكون لهم مثل هذا الرزق فنزلت الآية .

(وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ) .

أى ينزل من الرزق بتقدير .

(انه بعباده خبير بصير) .

وخبرته بأحوال العباد وطباعهم وما تحمل نفوسهم من الغرائز وبصره بما ينفع عباده هذا وذاك يتطلب أن يكون العطاء قدر الحاجة حتى لا تطغى النفوس وتتغير وتنحرف ، وحتى لا تطمع فى زيادة قد يكون ضررها شديدا وعاقبتها وخيمة .

ثم بين أنهم اذا احتاجوا الرزق أمدهم به فقال :

(وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ) .

وانزال الغيث سبيل الى انبات الأرض واخراج الزرع والثمر ، فالغيث رزق ، لأنه يتسبب عنه الرزق وينشر رحمته وبركاته فى ذلك الغيث حين يخصب به الأرض فينتفع بخصبه الانسان والحيوان وانزال الغيث ونشر رحمة الله بعد اليأس أوجب للشكر على النعمة .

وقد يراد بانزال الغيث : الرحمة الخاصة بالانبات وما يترتب على الغيث من خصوبة ، ثم أراد بقوله :

وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ : الرحمة الواسعة التى تشمل كل أنواع الرحمات :

(وَهُوَ الْوَلِىُّ الْحَمِيدُ) .

فهو الذى يتولى عباده وحده ويدير شئونهم ومعاشهم وما ينفعهم .

(وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) .

وهو الحميد المحمود على كل ما يوصله لخلقه من الرحمات .

٥٩ ـ الغنى الحميد :

« وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ » .

الحديد ٢٣ ، ٢٤ .

أخبر الله فى الآيات السابقة : أن المفاخرة والمسابقة والمسارعة يجب أن تكون فى طلب الآخرة ، وذلك فى قوله : « سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة » ثم أخبر أن جنته أعدت لرسل الله ومن آمن بهم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وأخبر أنه ما أصاب أحدا من مصيبة فى الأرض ولا فى النفس الا وقد كتبها الله فى كتاب ، ثم نهى عن الحزن على مافات حزنا يهلك النفوس ، ونهى عن الفرح الشديد الذى يطغى ويبطر ، ويدعو الى الاختيال والتكبر ، ثم ذيل الآية بقوله : « والله لا يحب كل مختال فخور » .

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : ليس أحد الا وهو يفرح ويحزن ، ولكن اجعلوا للمصيبة صبرا وللخير شكرا .

وبعد أن ذكر الله قوله : « والله لا يحب كل مختال فخور » أبدل منه : الذين يبخلون الخ ومعنى ذلك : أن الله لا يحب المختالين ولا يحب الذين يبخلون ويجمعون الى بخلهم أنهم يأمرون الناس بالبخل وذلك نتيجة بطرهم .

وقيل : الذين يبخلون ... كلام مستأنف جديد ، وهو فى صفة اليهود الذين كتموا ما عرفوا من صفات محمد وأمروا غيرهم بكتمان ذلك .

ومن يتول ويعرض عن أوامر الله ويتورط فى النواهى فلم ينته عما نهى الله عنه (فان الله هو الغنى) عنه فلا يعود عليه ضرر البخيل .

وهو (الحميد) المحمود المستحق الحمد على عطاياه ونعمه ، فاذا كفر العبد بتلك النعم

فوبال كفره على نفسه .

٦٠ « رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ »

الممتحنة ٥ ، ٦ .

قوله : ربنا لا تجعلنا فتنة قد يكون بقية دعاء ابراهيم عليه السلام ثم اتجه الخطاب لأمة محمد عليه الصلاة والسلام :

« لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة » .

وقد يكون قوله : « ربنا لا تجعلنا فتنة » دعاء أمة محمد — عليه الصلاة والسلام ، وكأنه قيل لأصحاب محمد : « قولوا : ربنا لا تجعلنا فتنة ألخ » .

قال ابن عباس — رضى الله عنهما — : ان معنى : لا تجعلنا فتنة للذين كفروا لا تسلط علينا أعداءنا فيظنوا أنهم على الحق .

وقال مجاهد : لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا : لو كان هؤلاء على الحق لما أصابهم ذلك .

وقيل : لا تبسط لهم الرزق دوننا فان ذلك فتنة لهم .

وقيل : لا تجعلنا فتنة أى سببا يعذب به الكفرة .

ثم طلبوا غفران الله ، ثم أعاد ذكر الأسوة فقال : « لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة » أى فى ابراهيم ومن معه وفى هذا حث على الائتساء بابراهيم وقومه .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : كانوا يبغضون من خالف الله ، ويحبون من أحب الله .

وقوله : « لمن كان يرجو الله » بدل من قوله : لكم فالمراد بقوله : لكم ، أى لمن كان يرجو الله ويخافه منكم الأسوة الحسنة فى ابراهيم والذين معه .

(ومن يتول) فيعرض عن الائتساء ويميل الى محبة الكفار ومودتهم (فان الله هو الغنى) عن مخالفة الاعداء الحميد الى أوليائه .

(والحميد) اما بمعنى المحمودأى المستحق للحمد من خلقه الذين أنعم الله عليهم .

واما بمعنى : الحامد أى يحمد الخلق ويشكرهم ويجزيهم بالكثير من الثواب على القليل من الاعمال .

٦١ — « أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ

كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَـاتِ فَقَـالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْـتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيـدٌ» .

التغابن ٥ ، ٦ .

ان الخطـاب فى قوله :ألم يأتكم لكفـار مكة ، والنبأ : الخبر الذى حملته الأيام اليكم عن الذين كفروا برسـل الله وما جـاءوا الى الأمم السابقة : كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن أرسل الله اليهم رسله ، فذاقـوا وبـال أمرهم بسبب تكذيبهم الرسل ــ والوبـال ــ الثقل والشـدة والعذاب ، وقـد أذاقهم الله ما استدعاه كفرهم فى الدنيا حين أهلك من لم يؤمن من قوم نوح بالطوفان ، ومن لم يؤمن من ثمود بالطاغية ، ومن لم يؤمن من عاد بالريح الصرصر العاتية « سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَـالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ.فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّـن بَاقِيَةٍ » ومازالت خرائب ثمود باقية على الزمن تحكى للأجيال مصارعهم ، ولهم فى الآخـرة عذاب أليم لا يعلم كنهه الا الله ، وذلك الذى ذكره من العذاب بسبب أنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ، فقالوا أبشر يهدوننا ، وأنكروا أن يكون رسول الله اليهم من الجنس البشرى ، وقد حكى الله ما قالت ثمود : « أبشرا منـا واحدا نتبعه » ؟ .

وقد أجمل فأسند القول الى جميع الأقوام ، فكفروا بالرسل (وتولوا) وأعرضوا عن التدبر فيما جاءهم من الآيات والمعجزات التى أيـد الله بها رسله .

(واسـتغنى الله) عنهم وعن ايمـانهم وطاعتهم . .

وهو(حميد) يحمده كل الخلق بلسان الحال أو المقال ، وهو مستحق للحمـد بذاته وان لم يحمده حامد أو هو(حميد) بمعنى حامد فهـو يحمد ويشكر ويجازى بالثواب العظيم من يحمد نعمـه .

٦٢ ــ « وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ » .

البروج ٨ .

وردت هذه الآية فى سورة « البروج » فى قصة أصحاب الأخدود ، وقـد ذكر المفسرون قصصا مختلفة دارت حول أصحاب الأخـدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود » وقـد لعن الله أولئك الكفار حين أحرقوا بالنـار فى مكان مشرف عليها قريب من حافات الأخدود ــ والأخدود : الخد والشـق فى الأرض .

وقد أقسم الله بالسـماء ذات البـروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود ، وجـواب القسـم : قتل أصحاب الأخدود أى لعنوا ، والمعنى : ان كفار مكة بسبب تكذيبهم للرسول ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود حيث عذبوا المؤمنين ممن عاصروهم فألقوهم فى ذلك الأخدود وهو يتلهب نارا .

وفى ذكر القصة تثبيت للمؤمنين من أتباع

محمد ﷺ وتصبيرهم على أذى الكفار لهم ، وتذكيرهم بما جرى لأصحاب الأخدود ليصبروا على التعذيب مثل صبرهم ، وقد لقى أتباع محمد ﷺ فى مكة وبخاصة الذين كانوا عبيدا منهم مثل بلال وياسر وعمار وسمية وصهيب من ألوان التعذيب مثلمالاقى أصحاب الأخدود ، وليعلم المعذبون من أتباع محمد — عليه الصلاة والسلام — أن لهم منزلة عند الله كمنزلة المؤمنين الذين عذبوا فى الأخدود فى الزمن الغابر الذين حكى القرآن قصتهم فى هذه السورة .

وما نقموا منهم ، أى لم يعيبوا وينكروا منهم « الا أن يؤمنوا بالعزيز الحميد » أى لم يعيبوا الا ايمانهم وهذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم (وهو أسلوب بلاغى جميل) .

ثم ذكر الأوصاف التى يستحق الله بها أن يعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا قاهرا يخشى عقابه وكونه حميدا يستحق الحمد والثناء من عباده المؤمنين بألسنتهم ومن الخلق بلسان الحال .

« وَإِن مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ » .

٦٣ « وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا) .

النساء — ١٣١ .

أمر الله فى الآيات السابقة بالاحسان الى اليتامى والمساكين ، ثم بين فى هذه الآية أنه لم يأمر بذلك لاحتياجه الى أعمال العباد لأن له مافى السموات ومافى الأرض .

أو أنه حول موضوع الزوجين ان افترقا ان الله يغنى كلا من سعته ، ثم ساق هذه الآية للاشارة الى سعة قدرته وعلمه ورحمته فقال : « ولله مافى السموات ومافى الأرض » .

ثم بين أن الأمر بتقوى الله لم يكن لأمة محمد عليه الصلاة والسلام — وحدها ، بل ذلك أمر أوصى به الله من قبلكم ممن أوتوا الكتاب — وأراد جنس الكتاب السماوى ، فكل من آتاهم من رسل الله كتبا جاءت فى هذه الكتب وصية العباد بتقوى الله فالوصية بالتقوى هى وصية الله للأولين والآخرين جميعا .

وان تكفروا فان لله مافى السموات ومافى الأرض ، والمعنى : أمرناهم بتقوى الله وأمرناكم بها وقلنا لكم وقلنا لهم : ان تكفروا فانلله مافى السموات ومافى الأرض ، فهو خالق كل شىء ، والمنعم على ما خلق ومن خلق ، وخليق بالمخلوقين الذين أنعم عليهم أن يكونوا منقادين لأمر الله وارشاده .

وان لله فى السموات منالملائكة وفى الأرض منالثقلينمنيعبد الله ويتقيه ، وهو غنى عن عبادة خلقه ، وخلقه هم المحتاجون اليه ، واحتياجهم يتطلب منهم أن يتقربوا اليه بالعبادة ،والله مستحق أن يحمد لذاته ويحمد بذاته فهو منزه عن احتياجه لطاعة المطيعين ، ولا ينقص من جلاله عصيان العاصين ، انه لا يزداد جلاله بطاعة أحد ولا ينقص بعصيان أحد .

وتكرير قوله : لله ما فى السموات ومافى الأرض ، تقرير لما هو موجب تقواه ليتقـوه ويطيعوه ولا يعصوه ، لأن التقوى أسـاس الخير فى الدارين .

٦٤ ــ وجاء الحمد على صيغة أفعل مـرة واحدة فى القرآن حين بشر عيسى بأحمد عليـه الصلاة والسلام .

«وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ» .

الصف ٦ .

ذكر الله فى الآية السابقة : واذ قال موسى لقومه ، لأن له قوما هم بنو اسرائيل ، وهنا : واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيـل فلم يقل : ياقوم أو لقومه وانما قال يابنى اسرائيل لأنه لا نسب له فى أحد الا مـن جهـة الأم ، والنسب المعتد به فى القومية انما يكـون من جهة الأب ، وعيسى لا أب له ومن ثم فهـو ليس له قوم ، وتقدير الكلام : واذكروا اذ قال عيسى ابن مريم ألخ .

والمعنى انى أرسلت اليكم بالوصف الذى وصفت بـه فى التـوراة ، وإنى مصـدق بالتوراة ، وبالكتب التى أنزلها الله على رسله ومصدق بكل رسل الله من تقـدم ومن تأخر ، وانى مبشر برسول يصدق كما صدقت بتلك الكتب والرسل ، ويصدق بى وبكتابى يأتى من بعدى اسمه (أحمد) .

وروى عن كعب : أن الحـواريين قـالوا لعيسى : ياروح الله ، هل بعدنا من أمـة ؟ قال : نعم أمة أحمـد حكمـاء علمـاء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسـير من العمل وأحمد يعنى أنه أكثر حمدا لله من غيره ، أو أنه يحمد بما فيـه من الاخـلاص والأخلاق أكثر ما يحمد غيره .

فلما جاءهم بالبينات ، قيل المراد بقوله : من جاءهم : عيسى عليه السلام وقيل محمـد عليهما الصلاة والسلام (قالوا هذا سـحر مبين) أى ساحر مبين ، والآيات التى جاءهم بها عيسى أو محمد هى المعجزات التى أيـده الله بها .

وقد كانت معجزات عيسى عليه السـلام : الكلام فى المهد وابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى باذن الله واخبارهم بمـا ادخـروه فى بيوتهم والمائدة التى اسـتجاب الله دعاءه حين طلب انزال مائدة من السماء فـأنزل الله المائدة وكانت احدى معجزاته .

أما معجزة محمد عليه الصلاة والسـلام فكانت القرآن وما أعظمه من معجزة .

٦٥ ــ واليكم الآيات التى ذكر فيها (محمد) فى القرآن وذلك الاسم مشتق من الحمد وقد جاء فى القاموس : التحميد : حمد الله مرةبعد مرة وانه لحماد لله عز وجل ومنه محمد كأنه حمد مرة بعد مرة فهو محمد ومحمود .

قال تعالى : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ »

آل عمران ١٤٤ •

روت كتب السيرة أن النبى ﷺ لما نزل بأحد أقام على الجبل الرماة ، وأمرهم ألا يبرحوا مواقعهم سواء كان الأمر للمسلمين أو عليهم ، ولما دارت المعركة شد المسلمون على المشركين فانهزموا ، وفروا من أرض المعركة تاركين وراءهم الكثير من العتاد والغذاء ، فأقبل المسلمون على الغنائم يجمعونها ، وأبصر الرماة ذلك فخالفوا أمر الرسول ، ونزلوا ليجمعوا نصيبهم ، وعندئذ دار خالد بن الوليد وكان على ميمنة الكفار حول الجبل ، وحمل على المسلمين ، وصاح بالمشركين فعادوا الى أرض المعركة ، وحصر المسلمون بين المشركين من قريش وبين فرسان خالد ، وكثر القتل فى المسلمين ، ورمى عبد الله ابن قميئة الحارثى رسول الله ﷺ بحجر فكسرت رباعيته وشج وجهه ، وأقبل يريد قتله فدافع عنه مصعب بن عمير صاحب الراية يوم أحد وبدر حتى قتل ابن قميئة مصعب ابن عمير وهو يظن أنه قتل رسول الله ، وصاح فى الناس : قتلت محمدا ، وفشا الخبر فى الناس ، وقال بعض المنافقين : لو كان نبيا لما قتل : ارجعوا الى الخوانكم ودينكم •

وقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك : ان كان قد قتل محمد فان رب محمد حى لا يموت ، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ ، قاتلوا على ما قاتل عليه ، وموتوا على ما مات عليه ، ثم قال : « اللهم انى أعتذر اليك مما يقول هؤلاء »وسل سيفه فقاتل حتى قتل » •

ومر بعض المهاجرين بأنصارى يتشحط فى دمه فقال ، يافلان : أشعرت أن محمدا قد قتل ؟ فقال : ان كان قد قتل فقد بلغ ، قاتلوا على دينكم •

وقد احتمل طلحة بن عبيد الله رسول الله ﷺ حين كسرت رباعيته ، ودافع عنه أبو بكر وعلى ــ رضى الله عنهما ــ ونادى رسول الله ﷺ : الى عباد الله ، حتى انحازت اليه طائفة من أصحابه ، فلامهم على الفرار فقالوا : يارسول الله : فديناك بآبائنا وأمهاتنا وأولادنا ، أتانا خبر قتلك فاستولى علينا الرعب فولينا مدبرين أما معنى الآية وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، فانهم مضوا الى جوار ربهم ، ومحمد سيخلو ويمضى حيث مضوا ، وكما أن أتباعهم بقوا بعدهم متمسكين بدينهم فعليكم أن تتمسكوا بدينكم بعد موت محمد ، والمراد من الرسول فى قوله : الا رسول : مرسل ، أى وما محمد الا مرسل •

وقد ورد فى القرآن ما يدل على أن محمدا سيموت ولا يقتل فى قوله تعالى :

« انك ميت وانهم ميتون » ، وقوله : « والله يعصمك من الناس » فلم عبر فى هذه الآية

بالقتل فى قوله : أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ويجاب عن هذا : بأن الموت لا يوجب رجوع الأمة عن دينه فكــذلك القتل وجب ألا يوجب الرجوع عن دينه ، لأنه لا فــارق بين الموت والقتل ففى كل منهما انقضاء وذهاب عن الدنيا ، وان موته أو قتله لا يستوجب الضعف فى الدين ، لأن الأنبياء ماتوا قبله وبقى مــع أتباعهم دينهم ، ولأن الحاجة الى الرســول انما هى تبليغ الدين ، وقــد بلغ محمــد دين الله .

والانقلاب الى العقبين يراد منه : الرجوع الى الكفر ، وذلك لقول بعض المنافقين لبعض ضعاف المسلمين : ان كان محمد قتل فارجعوا الى دينكم أى الذى كنتم عليه قبل الاسلام ، ورد بعض الأنصار : ان كان محمد قتل فــان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليــه محمد .

« ومــن ينقلب على عقبيــه فلن يضر الله شيئا » بل لا يضر الا نفســه (وســيجزى الله الشاكرين) قال على : المراد بالشاكرين : الذين ســيجزيهم الله على حســن بلائهم : أبو بكر والنفر الذين دافعوا عن رســول الله كمصعب وأنس بن النضر .

٦٦ ــ « مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا » الأحزاب ٤٠ .

جاءت هذه الآية فى أعقاب قصــة زيد بن حارثة وتبنى النبى ﷺ له ، وكان الولد المتبنى فى الجاهلية يأخذ جميع حقوق الابن الحقيقى، وقد تبنى النبى ﷺ زيدا وخطب لــه زينب بنت جحش بنت عمة الرسول ، فأنكرت وأنكر أخوها تلك الخطبة ونزل القرآن : « **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** » فخضعا لأمر الله ، وتزوج زيد زينب حينا ، ثم نزل الوحى يخبر محمدا أن زيــدا ســيطلق زينب ، ثم يتزوجها الرسول ليطبق بذلك حكما شرعه الله ليبطل ما تعارفت عليه الجاهلية : وهــو أن زوجة الابن المتبنى يجوز لمن تبناه أن يتزوجها بعد انقضاء عدتها ، وذلك ما حكاه القرآن فى قوله : « واذ تقول للذى أنعم الله عليــه » بالاســلام «وأنعمت عليه» بتخليصــه من رق العبودية فأصبح يتقلب فى نعمتين : الاسلام والحرية (أمسك عليك زوجك واتق الله) فيما تقوله عن زينب انها تتعالى عليك (وتخفى فى نفســك) يا محمد ما أمــرت بــه من أنــه سيطلقها وتتزوجها ، والله مبدى ما أخفيتــه (وتخشى الناس) أى مقــالة النــاس : ان محمدا طلق زينب من زيد ليتزوجها حيث هو معجب بها (والله أحق أن تخشاه) فى عــدم تنفيذ ذلكم الحكم الشرعى ــ وتستمر القصة حتى يقول الله :

« **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ** » ، فتنتفى أن يكون محمد أبا أحــد من رجــالكم فيثبت لهذا الرجل ما يثبت بين الأب وولــده من حرمة الصهر والنكاح (ولكن رسول الله)

وبوصف أنه رسول الله فهو أب لأمته كلهــا فى توقيره وتعظيمه ، وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأبناء حقيقيين لــه ، فحكمــه حكمكم ، والادعاء والتبنى انما هو من بـــاب تقريبه فحسب •

أما الطيب والقاسم وابراهيم فقد أخرجوا بقوله : من رجالكم ، وقد ماتوا جميعا قبــل أن يبلغوا مبلغ الرجال وأما الحسن والحسين فلم يكونا رجلين حين نزلت الآية أو يقال : ان المقصود : الولد لا ولد الولد ، وقد تجــاوز الحسن والحسين سن النبوة ، ولم يقل أحد : انهما نبيان لأنهما حفيدا النبى ﷺ •

والوصف الثانى لمحمد أنه خاتم النبيين ولو كان له ولد بلغ مبلغ الرجال لكان الولد نبيا ولم يكن محمد خاتم النبيين وقــد روى أن النبى ﷺ قال فى ابراهيم حين توفى « لو عاش لكان نبيا » (١) •

ولو كان للابن المتبنى (الــدعى) حقــوق البنوة الحقيقية لكان لزيد الحق فى أن يكــون نبيا ولم يكن محمد خاتم النبيين أما عن عيسى ونزوله آخر الزمان فلا يطعن فى أن محمــدا خاتم النبيين ، لأن عيسى نبى قبل محمد ، وأنه حين ينزل يعمل بشريعة محمد ﷺ ويصــلى الى قبلته كأنه بعض أمته •

وكان الله بكل شىء عليما وقد دخل فى علمه بكل شىء أنه لا نبى بعد محمد ﷺ ، وكــان من بين علم الله بكل شىء تزويج محمد ﷺ بزينب بنت جحش ليعلن بذلك حكما شرعيــا وهو حل زواج زوجة الابن الدعى لمن يتبناه فلا تحرم عليه كحرمة زوجة الابن الحقيقى •

٦٧ ــ جزاء المؤمنين بما نزل على محمد :

« وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّــرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ » •

محمد ٢ •

لقد سمى الله هذه الســورة من القــرآن باسم محمد تشريفا لنبيه ﷺ وذكرى له حتى يعيش اسمه مخلدا عنوانا لهذه الصورة حتى يرث الله الأرض ومن عليها •

وقد بدأ الله الســورة بذكر الكـــافرين الصادين عن سبيل الله وعن سبيل الايمــان برسول ليقضى عليهم ببطلان أعمالهم ، وكثيرا ما يقابل فى القرآن بين الكافرين وجزائهم وبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات وجــزائهم ليقارن بين عقاب الكافرين الذى أعده لهم وبين ثواب المؤمنين وما ادخره لهم فى الآخــرة •

وكثيرا كذلك ما ذكر القرآن الايمان والعمل الصالح ورتب عليهما الجزاء من حيث المغفرة أو الأجر من مثل قوله تعالى « فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ » وقوله : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّــالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ » •

وهنا أضاف العمل الصالح الى الايمــان وزاد ثالثا وهو الايمان بما نزل على محمــد

---

(١) الحديث ضعفه السيوطى ، وفى المقاصــد الحسنة للسخاوى دراسة وافية فى الحديث أورد له فيها طرقا يقوى بعضها بعضا ، وله شواهــد عند البخارى . الباجورى •

وهو القرآن ، ورتب على اجتماع الثلاثة أمرين : تكفير السيئات واصلاح البال •

والمراد بقوله : آمنوا بما نزل على محمد : بكل ما جاء به القرآن من عقيدة وتشريع وارشاد وعمل وسلوك (وهو الحق من ربهم) هذا اعتراض بين الايمان والعمل الصالح والايمان بما نزل على محمد وبين الجزاء الذى أعد لهم وهو تكفير السيئات واصلاح الحال وهذا الاعتراض سيق لغرض وهو تقرير أن ذلك المنزل حق لا مرية فيه وأن هذا الحق من عند الله وليس من عند بشر أعجمى أو عربى •

وقوله : من ربهم خبر بعد خبر وتقدير الكلام : وهو الحق وهو من ربهم •

كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ذلك هو جزاء الايمان والعمل الصالح والايمان بما نزل على محمد ، انه ستر عنهم سيئاتهم

وكفرهم ومعاصيهم بذلك الايمان والعمل والايمان بالقرآن فلم تعد سيئاتهم لاصقة بهم بل سترت عنهم وانمحت آثارها عنهم ،

وقد أصلح الله بالهم وشئونهم بالتوفيق فى الأمور الدينية وبالنصر والتأييد فى الأمور الدنيوية وقيل المراد بقوله : الذين آمنوا أناس من قريش ، وقيل من الأنصار ، وقيل : هم مؤمنو أهل الكتاب ، وقيل : هو عام يتسمن

المؤمنين جميعا الذين يجمعون بين الايمان والعمل الصالح والايمان بالقرآن وما جاء به•

٦٨ — « مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » •

الفتح ٢٩ •

محمد رسول الله : مبتدأ وخبر ، أو محمد خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هو محمد ورسول الله عطف بيان أو محمد مبتدأ ورسول الله عطف بيان والذين معه عطف عليه والخبر : أشداء على الكفار رحماء بينهم وكأنه قال : محمد والذين معه جميعهم أشداء على الكفار ألخ حيث ان وصف الشدة والرحمة فيهم جميعا فالرحمة والشدة فى المؤمنين جاءت فى قوله : أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وأشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والشدة والرحمة فى رحمة فى رسول الله جاءت فى قوله « واغلظ عليهم » أو فى قوله : « بالمؤمنين رءوف رحيم » •

وعن الحسن رضى الله عنه : بلغ من

تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلتزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم ، وبلغ من تراحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه .

والحكاية فى قوله : « تراهم » ، لكل من تتأتى منه الرؤية فكل راء يراهم ركعا سجدا يبتغون بركوعهم وسجودهم فضل الله ورضاءه على ما يقدمون من عمل لوجهه سبحانه ، وكأن حياتهم كلها ركوع وسجود وخضوع وانقياد لله (أولئك هم أصحاب رسول الله ﷺ) فهلا اقتدينا بهم ليكون لنا أجرهم ؟ ! .

(سيماهم) وعلاماتهم (فى وجوههم) من أثر السجود ، قيل ذلك يكون يوم القيامة كما قال تعالى : « يوم تبيض وجوه » ..

وقيل ذلك يكون فى الدنيا بما يظهر فى الجباه من أثر من كثرة السجود .

ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع الخ .

اما أن يكون ذلك مبتدأ ومثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل خبر وقوله : كزرع أخرج شطأه خبر لمبتدأ محذوف تقديره ومثلهم فى التوراة والانجيل كزرع .

أو ذلك مثلهم فى التوراة : مبتدأ أو خبر ، ومثلهم فى الانجيل مبتدأ أو كزرع خبره .

والمعنى قد يكون ذلك الوصف مثلهم أى وصفهم فى الكتابين جميعا ثم ابتدأ كزرع ، ويجوز أن يكون الكلام قد تم عند قوله ذلك مثلهم فى التوراة أى وصفهم فى التوراة : انهم أشداء على الكفار رحماء بينهم ، ثم ابتدأ ومثلهم فى الانجيل كزرع ألخ أخرج شطأه أى فراخه ، فآزره ، عاونه (فاستغلظ) وانتقل من الدقة الى الغلظ (فاستوى على سوقه) أى فاستقام على قصبه .

وقيل مكتوب فى الانجيل : سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) وهذا تعليل لما دل على تشبههم بالزرع من النماء والترقى فى الزيادة وقد قدم الله صورة للمؤمنين فشبههم فى بدء ايمانهم ثم فى نموهم وترقيتهم حتى يصلوا الى درجة الكمال بالزرع حينما ينبت فيكون ضعيفا ، ثم تخرج على جوانبه فراخه فيقوى ، ثم يغلظ وتشتد سوقه .

والمؤمنون فى هذه الحالة الأخيرة تعجبهم قوتهم وشدتهم وذلك مما يغيظ الكفار حينما يرون فى قوة ايمان المؤمنين مالا تهزه العواصف ولا تؤثر فيه رياح الكائدين ، بل تكون طاقات ايمانهم أثبت على الحياة من شوامخ الجبال .

« وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » .

وهذا وعد من الله ــ ولن يخلف الله وعده ــ لقد وعد المؤمنين الذين يعملون من الصالحات بالمغفرة والأجر العظيم وهو الجنة وأى جزاء أعظم من نعيم خالد بين جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ » .

تم البحث

محمد محمد خليفة

قصة الصرفة

المقالة الرابعة

لم أقرأ فى قضية الاعجاز كلاما مضطربا ضعيفا مختلا كالذى قرأته لابن حزم ، ولم أقرأ لابن حزم كلاما ضعيفا متهافتا كالذى قرأته له فى قضية الاعجاز .

ولم أعرف أحدا من أهل العلم احتج للصرفة احتجاجا يتسع فيه كلامه الا ابن حزم فى كتابه « الفصل » ، وذلك لأن القول بالصرفة قول لا يتسع للتشقيق والاحتمالات والاحتجاج ، وانما هو احالة الى أمر الهى جرى من الأقوام كما يزعمون ، ولهذا بقى هذا القول من لدن النظام الذى عاش فى القرن الثانى الى القرن الثامن ولم يتقاطر منه ما يوسع الكلام فيه الا تلك التشقيقات التى عرفنا خبرها .

واحتجاج ابن حزم كان متجها الى توهين القول بتفوق القرآن فى النظم والبلاغة، وهذا شىء فريد فى بابه .

ويتبادر الى من يطالع ابن حزم أنه — فى بعض جوانبه — بقول غير الذى يقوله النظام، وفى بعضها تلتبس مقالته بمقالة النظام ، ولذلك يمكن أن نزعم أن الرجل كان يعالج فى نفسه مذهبا للصرفة ملبسا غير المذهب المعروف .

ويقع فى نفس قارئه أيضا أنه — رحمه الله لم يتبين لنفسه وجها ، وأن موضوع الاعجاز عنده كان غير متقن ، ويؤكد ذلك ايراده مقالة أهل العلمناقصةمشوهة ، وايراده الاعتراضات عليها ، على طريقة (**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ**) .

ونحسن به الظن حين نقول انه لم يتقن مقالة العلماء فى هذا الشأن ، ولو لم نقل هذا لقلنا — مضطرين — انه كان يحذف من مقالتهم عامدا ما يدفع اعتراضه عليهم ، وهذه عند أهل العلم كريهة شنعاء أيسر منها عدم اتقان المقالة ، وسوف نبين ذلك وغيره ان شاء الله .

ذكر ابن حزم أن بعض أهل الكلام ذهبوا الى أن القرآن معجز بما فيه من اخبار بالغيب،

للأستاذ الدكتور
محمد محمد أبو موسى

وأوهن أن يكون هذا هو الوجه بما أوهنه بــه غيره مــن أن الاخبــار بالغيب لا يجــرى فى السور كلها ، والاعجاز جار فيها ، فهو اعجاز فيما ورد فيه بلا خلاف ٠

ثم ذكر ما ذهب اليه جمهور علماء الاسلام من أن القرآن أعجز بنظمه ، وبما فيه مــن الاخبــار بالغيب ، وعقب على ذلك بقولــه « وهــذا هو الحــق الذى ما خــالفه فهــو ضلال » (١) ٠

وواضح أنه فى هذا مخالف للنظام وماض على ما عليه جمهرة العلماء قبله ٠ الا أنه حين انتقل الى بيان وجه الاعجاز فى النظم دفــع القول المشهور الذى قرره العلماء ، وهو بلوغ النظم فى القرآن مرقبا يبين البينونة « التى لا يعرض معها شــك لواحــد منهم أنــه لا يستطيعه ، ولا يهتدى لكنه أمره حتى يكونوا فى استشعار اليأس من أن يقدروا على مثلــه وما يجرى المثل على صورة واحدة » (٢) ٠

وذكر كلاما يقارب النظام وليس هو حيث يقول فان قالوا فقولوا أنتم هــل القــرآن : موصوف بأنه فى أعلى درج البــلاغة أم لا ؟ قلنا وبالله التوفيق ان كنتم تريدون أن اللــه قد بلغ ما أراد فنعم ، هو فى هــذا المعنى فى الغــاية التى لا شىء أبلغ منهــا ، وان كنتم تريدون هل هو أعلى درج البلاغة فى كــلام المخلوقين ؟ فلا لأنــه ليس مــن نوع كــلام المخلوقين ، لا من أعلاه ، ولا من أدناه ، ولا من أوسطه ، وبرهان هذا أن انسانا لو أدخل فى رسالة أو خطبة أو تأليف أو موعظة حروف الهجاء المقطعة لكان خارجا عن البلاغة المعهودة جملة بلا شك ، فصح أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلا ، وأن الله تعالى منع الخلق عن مثله ، وكساه الاعجاز ، وسلبه جميع كــلام الخلق » (٣) ٠

وهذا الكلام تجب مراجعته ، وفى الجواب فيه حيد عن السؤال لأنه لا تعلق لبلوغ الله مراده بكتابه بمسألة بلاغة النظم ، فقد بلــغ الله ما اراد بالتوراة والانجيل وغيرهما مــن كتبه ، وليس نظمها معجزا ثم ان الوصــــف بأعلى درج لبلاغة شىء متعلق بنظمه ونحته وسبكه ، وأن بناء هذا النحت ، ونسيج هذا السبك ، يشبه فى دقته واحكــام عــلاقاته ، وتصريفها فى معانيهــا ، ومجاريهــا ، بنــاء الأجسام فى الأحياء من حيث دقتها ، وتلاؤم وظائفها ، وتناسقها ، لأن هذا النظم آية بينة

١ ــ الفصل جـ ٣ ص ١٦ ٠
٢ ــ الرسالة الشافية ص ١٣٣
٣ ــ الفصل جـ ٣ ص ١٨ ، ١٩ ٠

كخلق تلك الكوائن الحية ، والعجز عنه كالعجز عنها .

وهذا هو صريح كلام العلماء فى بيان أعلى درج البلاغة فى القرآن « فكما أنه محال أن يكون ههنا احياء ميت لا من فعل الله فهذا هو » (١) .

فالسؤال لا يحتمل ماحاد به اليه .

ومثل هذا فى صرف الكلام عن وجهه صرفه الاحتمال الثانى الى أعلى درج البلاغة فى كلام المخلوقين ، فلم يقل أحد من القائلين بأن وجه الاعجاز هو النظم .

ان القرآن فى أعلى درج البلاغة فى كلام المخلوقين ، لأن أعلى درج البلاغة فى كلام المخلوقين غير معجز بلا ريب ، وانما قالوا انه فى درج البلاغة التى تجاوزت حدود قدرات المخلوقين وفاتتها فوتا يبهر ويقهر ، « حتى تنقطع الاطماع عن المعارضة ، وتخرس الألسن ، عن دعوى المداناه وحتى لا تحدث نفس صاحبها بأن يتصدى » (٢) .

وهذا شىء وأعلى درج البلاغة فى كلام المخلوقين شىء آخر ، لأنه لا يبهر ، ولا يقهر ، وانما يعارض ويحتذى ، ويدرك أو يقارب ، فلم تنقطع أطماع الشعراء عن معارضة أبرزهم ومماتنة أمتنهم .

ولو أن ابن حزم اكتفى بقوله ان الله تعالى منع الخلق عن مثله لكانت طريقته هى طريقة النظام ، ولعله أراد أن يجمع بين القول بأنه معجز بنظمه ، وبأن الله صرف الناس عنه على غير ما قاله العلماء أ استنبطناه من كلامهم فى توجيه القول بالصرفة جهة قطع الشغب والعجاجة فتنافرت بين يديه المسألة .

وتأمل قوله « منع الخلق عن مثله ، وكساه الاعجاز » تجده كلاما لا يلتئم لأنه لا معنى لأن يكسوه الله الاعجاز اذا كان عجز البشر عنه منعا منه سبحانه ، ومادام الوجه هو منع الخلق فلا يوصف النظم بالاعجاز لأن المعجز هو منع الخلق ، واضح أن هذين كالضدين لا يجتمعان .

أما ما احتج به فى دفع أن يكون القرآن فى أعلى درج البلاغة فى كلام المخلوقين ، وهو ما ظن أن القوم قالوه ، فليس بسديد وفيه زيغ متعمده وذلك أن الخطباء والكتاب وغيرهم من المبينين بكلام بليغ يقتبسون من القرآن ، ويجرون كلامه فى كلامهم فيكون ما اقتبسوه ظاهرا ، لا يلتبس بغيره ، ويكون دالا على نفسه ، وأنه من غير جنس الكلام الذى جرى فيه ، وهذه واحدة من بلاغاته التى عدها العلماء .

وقالوا انها كأنها للقرآن سياج حصين يحفظه من مداخلة غيره ، فان الجملة البشرية لو رمينا بها فى المصحف كانت واضحة وضوح

---

١ ــ الرسالة الشافية ص ١٥٦ .

٢ ــ المرجع السابق .

الجملة القرآنية حين نجريها فى كلامنا حيث تراها ذات لون وطبع ليس هو لون ولا طبع ما جرت فيه ، ومن هنا بقى المصحف على مر هذه القرون لا تداخله كلمة واحدة من كلام البشر لأنها لا تلتئم على سبكه ، وهذا بخلاف حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فهو الموصوف بأنه فى أعلى درج البلاغة من كلام المخلوقين ، ولذلك لا مسته ألسنتهم ببعض ما نبغوا فيه من حر الكلام وخاصه ، فالتبس بكلامه — صلى الله عليه وسلم — ولهذا درس علماؤنا الرواية واستفاض كلامهم فى علوم الحديث ومعرفة الرجال لتمييز كلامه — صلى الله عليه وسلم — من كلام غيره .

ولم يحدث هذا فى المصحف ولا يمكن أن يحدث لأن الجملة فيه كما قلت فيها ما فى خلق الكائن الحى ، وكلام البشر كله كلام ، وهذا واضح فى كلام أهل العلم ، فلماذا اختار الشيخ ابن حزم — رحمه الله ضرب المثل باقتباس فواتح السور مثل ألم ، وحميم ، وكهيعص . وهو يعلم أنه مما اختلف علماؤنا فى بيان المراد منه . وأن المشهور بينهم فيه ، أنه اما أن يكون من أسماء السور على حد قولنا قرأت كفهيعص ، — وهذا لا يقتبس ، واما أن يكون من وسائل التنبيه واللفت الخاصة بالقرآن ليحضر القارىء والسامع قلبه للذى يقرؤه ، ويجمع له نفسه ، وأن هذا التنبيه جاء على غير طريقتهم فى نداء الصاحب ، واستيقافه واستبكائه ، وغير ذلك مما بدأ به قصيدهم فكيف يستساغ اقتباسه !!

ان أهل الأدب جعلوا قدرة الكاتب على اقتباس جملة المصحف وتهيئته مجراها فى مجارى كلامه دليل اقتداره ، وحنكته ، وحذقه فى سياسة الكلام فكيف يذهب ابن حزم الى ما ذهب اليه ؟ !!

وذكر ابن حزم برهانا آخر يحتج به على أن المعجز فى النظم ليس هو بلاغته الفائقة التى تبهر وتقهر ، وتقطع الأطماع ، وانما هو المنع ، وخلاصة هذا الوجه أن فى القرآن حكايات عن الأقوام ومحاورات بينهم وبين أنبيائهم ، من مثل قوله تعالى « **وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ** » (١) .

ويذكر ابن حزم أن هذا كلام الناس صيره الله كلامه ،وصار بذلك معجزا ، ومنع الخلق عن مماثلته وقبل أن يجريه الله فى كلامه لم

١ — الاسراء آية ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ .

يكن معجزا ، لأنه لم يقل أحد ان كلام البشر معجز •

وهذا كلام غريب ، وملبس ، ومردود ، لأن الأمة أجمعت على أن هذا مما يحكيه الله عنهم ، ويقوله على ألسنتهم ، وأن اللفظ والنظم فيه ليس لهم ، وأن حال ذلك كحال ما يرويه القرآن عن آدم ، وولديه ، قابيل وهابيل ، وكذا مقالات نوح ولوط وما يشبه ذلك من تلك المقاولات التى جرت قبل أن تجرى ينابيع العربية فى لسان اسماعيل صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى أبيه وولده ، كل ذلك حكاية معان، واللفظ والنظم فيها كلام الله ، وهذا ما انعقد عليه كلام الكافة والآية التى ذكرها ابن حزم كلام القديم جرى به العلم قبل أن نخلق فى الذر ، ومثله فى ذلك ما يحيكه القرآن من مقالة أهل الجنة والنار وما ينطق به الخلق يوم يلاقى الناس حسابهم ،من مثل قولهتعالى

« وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ » •

ومثل قوله :

«وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ »•

وليس هذا كلام الناس صيره الله كلامه لانهم لم يقولوه وسيقولوه قطعا •

وهذا ما احتج به ابن حزم لنفى البلاغة الخارقة عن نظم القرآن وليثبت قولا واهيا متنافرا ، وهو أن نظم القرآن معجز لأن الله منع الخلق عنه ، وقد ذكرنا أن المنع يخلع صفة الاعجاز عن النظم ، وينقلها الى المنع •

أما ما دفع به مقالة أهل العلم من أن وجه الاعجاز هو بلاغة نظم القرآن وبينونته على حد ما وصفنا فهو أضعف مما ذكره فى الاحتجاج لمقالته •

ووجه ذلك أنه سلك مسلكا غريبا لا أدرى كيف اقتنع به ، فقد ترك ما احتجوا به لبيان توفر الكمال المطلق فى نظم القرآن وأن هذا الكمال المطلق لم يتوفر ولن يتوفر فيما يصدر عن البشر • وغير ذلك مما قاله أئمتنا من كلام مبسوط ومستفيض كشفوا فيه جوانب كثيرة من هذه الحقيقة ، أقول ترك ابن حزم هذا التراث الحافل فى هذه القضية ووقف عند نقطتين من النقاط التى يراها القارىء فى كلامهم تائهة لشموخ غيرها •

وهما أنهم ذكروا فى سياق الاستشهاد لبلاغة القرآن آيات مثل قوله تعالى « وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ » فذهب ابن حزم الى أن هذا ممايستعاذ بالله منه ، لأنه يوهم أن المعجز منه هو الآيات التى ساقوها فقط ، وهذا مما لم يتبادر الى أحد غير ابن حزم ، وانما ساقوا ما ساقوا لأنه أظهر من الاستشهاد للمسألة التى هم بصددها •

وأى خطأ وقع فيه من قال ان الايجاز فى القرآن وجه من وجوه بلاغته المعجزة وعرض هذه القضية بما توفر لديه من فهم لها ، ثم ذكر

آية (وَلَكُم فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) (١) ووازنهـا بأدق ما صاغه بيانهم فى معناها ليكشـف ما تنطوى عليه الجملة القرآنية من كمال يحيط بمعناها ومبناها ، وليكشف ما تنطوى عليـه الجملة البشرية من نقص يشوبها ، اذا مـا وضـعت بـازاء الآية ، أو قـل كيف يصير كمال بلاغة الناس نقصا اذا وضع بازاء الكمال المطاق المـاثل فى كلام الله ... وهذه واحدة .

والثانية أنـه ذكر آيـة « وَأَوْحَيْنَـا إِلَىٰ إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْـمَاعِيلَ وَإِسْـحَاقَ وَيَعْقُـوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّـوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا » . النساء ١٦٣

ليقول انـه ليس فيهـا مـن النظم مـا يعجز لأنهـا سرد أسـماء وسرد الأسـماء ليس مما تتوفر فيه خصائص النظم ، ولا يصح أن يقال انه ليس بمعجز لأن كل كـلام اللـه معجز ، وانما يقـال ان نظمـه معجز وليس لبلاغته وانما لأن الله منع النـاس أن يأتـوا بمثله وكساه الاعجاز .

وقد عرض العلماء الى هذا وذكروا آيـات تشبه هذه الآية منها قوله تعالى.

« حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَـاتُ الْأَخِ وَبَنَـاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَـائِكُمْ وَرَبَـائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ » (٢) .

وقالوا ان هذا ليس من القبيل الذى تظهر فيه براعة النظم على الحد الذى نراه فى قوله تعالى « وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَـاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ » (٣) . لأن طبيعة المعنى هنا غير طبيعة المعنى هناك ، وليست البلاغة أن تتكلف البراعة والتفنن فيما لا يقتضى الحـال فيه براعة ولا تفننا ، وطلب اظهار البراعة فى مثله « ضرب من الجهالة » على أن هذا حين يقع فى المصحف يجىء على صـورته التى لا يمكن للسان أن يوقعه على ما يقاربها ، ثم انه منطو على دقائق أخرى كأنها بدائل لدقـائق خصوصيات النظم ، ونرى ذلك فى أنه ابتدأ بما ابتدأ به ثم ألحقه ثانية ، وثالثة ، وهكذا ووراء هذا الترتيب مـن لطف الملاحظة فى اعتبـار السياق والمعانى والأحداث والاحوال ما يبهر ويقهر ، وانما يطلب ذلك فى علم التفسير الذى يقوم على الكشف والتنقير عن هذه اللطائف ، والفهم الثاقب لمقاصد الشريعة فى الباب الذى ورد فيه » (٤) .

وبقى فى كلامنا عن ابن حزم بيان موقفه مما دفع به العلماء مذهب الصرفة ، وقد ذكر أهل العلم فى نقض القـول بالصرفة أنـه لو كان

١ ــ البقرة آية ١٧٩ .
٢ ــ النساء آية ٢٣ .
٣ ــ سورة هود آية ٤٤ .
٤ ــ ينظر اعجاز القرآن ص ٢٠٥ .

الاعجاز راجعا اليها لكان يكون الاعجاز أظهر كلما كانت درجة بلاغة القرآن وفصاحته أقل وأقرب الى أفواه الناس لأن الناس حين يعجزون صرفا عن معارضة كلام جرت به عادة سوادهم فضلا عن خاصتهم يكون ذلك أظهر فى الآية ، لانه من المتقرر — والحال كذلك — أن هذا الكلام الذى عجزوا عنه جرت ألسنتهم جميعا بمثله ، وجرت ألسنةشعرائهم وخطبائهم بأفضل منه ، فكيف يعجزون عن معارضته •

وهذا احتجاج معقول الا أن ابن حزم عده شعبا ، وحمقا وصاغ كلامهم صياغة فيها غير ما فى كلامهم ، فقد قال فى تصوير هذا الرأى « لو كان كما تقولون من أن الله تعالى منع من معارضته فقط لوجب أن يكون أغث ما يمكن أن يكون من الكلام فكانت تكون الحجة بذلك أبلغ » (١) •

وهم لم يقولوا « أغث ما يمكن أن يكون » وانما قالوا « لكان مهما حط من رتبة البلاغة

١ — الفصل جـ ٣ ص ١٦ •

فيه ومنع من مقدار الفصاحة فى نظمه كان أبلغ فى الاعجوبة اذا صرفوا » (١) .

فقد جاء فى كلام ابن حزم وصف الكـــلام بالغثاثة ، والذى فى كلامهم وصـــف رتبتـــه البلاغية ، ووصف الكلام شىء ، ورتبته البلاغية شىء آخر ، فرق بين أن نقول ان رتبة بـــلاغة الانجيل الذى أنزله الله ليســـت عـــاليه وان أصف الكلام نفسه بالغثاثة ــ ومعاذ الله ــ وهذه الفروق فى الكلام لابد من اعتبارها فى مناقشة الآراء لأنها تلقى ظلالا مختلفة .

ثم علق على هذا بقوله « وهذا هو الكلام الغث حقا لوجوه .

أحدها : أنه قول بلا برهان، لأنه يعكس قوله عليه بنفسه ، فيقال له لو كان اعجازه لكونـــه فى أعلى درج البلاغة لكان لا حجة فيه ، لأن هذا يكون فى كل من كان فى أعلى طبقة ، وأما آيات الأنبياء فخارجة عن المعهود .

وثانيها : أنه لا يسأل الله تعالى عما يفعل ، ولا يقال له لم أعجزت بهذا النظم دون غيره ؟ ولم أرسلت هذا الرسول دون غيره ؟ ولم قلبت عصا موسى حية دون أن تقلبها أسدا ، وهذا كله حمق ممن جاء به » (٢) وهذا الكلام مبنى على الخطأ الذى نبهنا اليه وهو فهم ابن حزم مراد العلماء بقولهم (أعلى طبقة) فقـــد فهم أنها أعلى طبقة فى بلاغة المخلوقين ، لأنه يرى أن أعلى طبقة هذه يشارك القرآن غيره فيها ، وهذا ظاهر فى كلامه هذا ثم انه ذكر أن كلام الحسن وسهل والجاحظ ، وقبلهم امرؤ القيس ، فى أعلى طبقة وأنه يلزم هذا أن يكون قد سوى بين القرآن وكلام هؤلاء وبذلك لا يكون حجة الآن آيات الأنبياء خارقة خارجة عن المألوف ، ومراد العلماء بأعلى طبقة ليس هو هذا وانما ما يفوت قدرات الخلق فوتا يبهر ويقهر ، ولا يلتبس .

ويغلب على من يقرأ تراث ابن حزم فى هذه القضية الاعتقاد بأن الرجل رحمه الله وأثابه لم يتقن مقالة أهل العلم فيها ، ويترجح أنه لم يقرأ حول موضوع الاعجاز الا كتاب الباقلانى لأن حواره الذى أداره فى الموضـــوع لا تخرج مادته العلمية عن الكتاب المذكور ، ثم انه قرأه ليدحضه لاليتبين ما عساه يكون منطويا فيـــه من سداد ، وآية ذلك أنه كان يأخذ بعض الكلام الذى يجد فى نفسه حوله دفعـــا ومناقضـــة ويسكت عن مالا يستطيع دفعـــه ، فقـــد ذكر الباقلانى أيضا أنهم لو صرفوا عن المعارضة لطلبوا ما يساويه فى كلامهم الذى قالوه قبل الصرفة أو الذى قاله الجيل قبلهم ، وكـــانت صدورهم أناجيلهم ، ولكن ابن حزم يترك هذا مع أنه ملتبس بالنص الذى شغب حوله لأن ذلك لا وجه لدفعه .

---

١ ــ اعجاز القرآن للباقلانى ص ٢٩ .
٢ ــ اعجاز القرآن للرافعى ص ١٦٤ .

قصة الصرفة

أما قوله ان الله سبحانه لا يسأل عما يفعل، فذلك مالا مدفع له من مسلم ، وانما الأمر أمر مناقشة وافتراض ما لم يقع وأنه لو وقع لكان يكون على صورة كذا بناء على ما يستلهم من الحكمة الالهية فى تنزل الأشياء على أحوال ، هذا تقليب الكلام على مقتضيات المعقول ، فالذى يقول لو كان الاعجاز بالصرفة لكان الأظهر فيه أن تكون مرتبته البلاغية قريبة من العامة لا يسأل الله عمايفعل ، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا ظاهر ، ورحم الله ابن حزم .

وله فى عنقنا أن ندفع عنه مقالتين :

الاولى : مقالةمصطفى صادق الرافعى رحمه الله ، فقد أشار الى قول ابن حزم فى الآيات التى تحكى ما قاله الناس وأن الله لما جعل ذلك كلامهأصاره معجزا ، ومنع من مماثلته ثم استخف الرافعى بهذا وقال ان ابن حزم لما قال هذا جعله رأيا أصاره كافيا لا يحتاج الى غيره ، ثم قال « وهل يراد من اثبات الاعجاز للقرآن الا اثبات أنه كلام الله تعالى » (١) .

وهذه الأخيرة لا ترد على ابن حزم لان الاعجاز عنده ثابت بغير الصرفة ، ثابت بالاخبار بالغيب أو بالنظم ، وهو الحق الذى ما خالفه فهو ضلال ، فكون القرآن كلام الله ثابت بهذا وانما الصرف لبيان وجه اعجازه بالنظم وأنه ليس راجعا الى شىء معجز فى النظم وانما الى صرف الله الناس عنه ، وهذا ما قلنا انه مذهب غريب ، ثم ان اثبات الاعجاز الذى تقوم به الحجة شىء ، وبيان وجهه شىء آخر وهذه دقيقة .

والمقالة الثانية : مقالة الشيخ أبى زهرة رحمه الله ، فقد قال فى تعليقه على رأى ابن حزم (ان المتأمل فيه يجده سائرا على مذهبه فى نفى الرأى ، والحكم بظاهر القول من غير تعليل ، فالاتجاه الى تعليل الاعجاز بأن السبب فيه بلاغته التى علت عن طاقة العرب والتى جعلتهم يخرون صاغرين بين يديه من غير مراء ولا جدال ، يعد تعليلا ، وهو من باب الرأى الذى ينفيه والتعليل الذى يجافيه فلابد أن يبحث عن سبب غير ما ذكره الله فيه » (١)

وقوله فلابد أن يبحث عن سبب غير ماذكره الله فيه ، كبيرة لا نرمى بها ابن حزم ، ولوكان فى القرآن آية تحدد وجه اعجازه ما اختلف فيه العلماء ، وانما هو الاجتهاد والرأى والله من وراء القصد .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعهم باحسان

محمد محمد أبو موسى

---

١ ــ المعجزة الكبرى للشيخ ابو زهرة ص ٨٢ .

دراسات فى السنة

أيرى النبى صلى الله عليه وسلم

صورة من البحث فى : أبى هريرة

الايمان والعمل الصالح

الاخلاص وقوة الاستمرار

أيرى النبى صلى الله عليه وسلم "يقظة"

حياة الأنبياء فى قبورهم :

النبى ﷺ حى فى قبره حياة برزخية وكذلك سائر الانبياء من قبله فى قبورهم معاومة قطعا ثابتة أصلا . لا يرتاب فيها من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبسيدنا محمد ﷺ نبيا ورسولا ..

معلومة قطعا لما قام به الدليل وأثبته البرهان وأيده اليقين وتواترت به الأخبار . ومن الأخبار الصحيحة الدالة على حياة الأنبياء فى قبورهم ــ ما أخرجه مسلم عن أنس أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به مر بموسى عليه السلام وهو قائم يصلى فى قبره .. وذكر البيهقى بأسانيده الصحيحة أن رسول الله ﷺ قال : (قد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء . فاذا موسى قائم يصلى واذا رجل ضرب جعد كانه من رجال شنوءة . واذا عيسى ابن مريم قائم يصلى أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى . واذا ابراهيم قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم . يعنى نفسه ــ فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل لى : يا محمد .. هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأنى بالسلام) ..

وفى دلائل النبوة للبيهقى قال : (الأنبياء أحياء عند ربهم كالشهداء .. وقال فى كتاب الاعتقاد :

الأنبياء بعد ما قبضوا ردت اليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء .. وأن نبينا ﷺ حى بعد وفاته وأنه يبشر بطاعات أمته ويحزن بمعاصى العصاة منهم وأنه تبلغه صلاة من يصلى عليه من أمته ..

وأن الأنبياء لا يبلون ولا تأكل الأرض من أجسادهم شيئا ..

بل وصل الينا من الثقات أن ثابت البنانى وجد فى قبره يصلى . ولما سألوا ابنته . ما كان عمل أبيك ثابت .

قالت . وما رأيتم فأخبروها . فقالت كان

بقلم الأستاذ
صلاح الدين عبد الحميد الهادى

يقوم الليل خمسين سنة فاذا كان السحر قال فى دعائه : (اللهم ان كنت أعطيت أحدا من خلقك الصلاة فى قبره فأعطينها فما كان الله ليرد ذلك الدعاء) « أبو نعيم فى الحلية » .

اللقـــاء بالخليل عليه الســـلام :

نقل الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور فى رسالته، والشيخ عفيف الـدين اليافعى فى روض الرياحين عن الشيخ الكبير قدوة العارفين أبى عبد الله القرشى قال : لما جـاء الغـلاء الكبير الى ديار مصر توجهت لأن أدعو فقيل لى لا تدع فما يسمع لأحد منكم فى هذا الأمر دعاء . فسافرت الى الشام فلما وصلت قريب ضريح الخليل عليه السلام تلقـانى الخليـل فقلت يارسول الله اجعل ضـيافتى عنـدك الدعاء لأهل مصر فدعا لهم ففرج الله عنهم ..

فقال اليافعى : فقوله تلقانى الخليل قـول حق لا ينكره الا جاهل بمعرفة مـا يرد عليهم من الأحوال التى يشـاهدون فيهـا ملكـوت السموات والأرض وينظرون الأنبياء أحيـاء غير أموات . كما نظـر النبى الى جمـاعة من الأنبياء فى السماء وسمع خطابهم وقد تقرر . أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدى .. أ . هـ زاد المسلم جـ ٣ والحجج البينات والزرقانى جـ ٥ ص ٢٩٩ .

مصـــافحة الملائكة لعمران بن حصين :

وفى صحيح مسلم عن عمـران بن حصـين رضى الله عنه أن الملائكة كانت تسلم عليـه اكراما له لصبره على ألم البواسير فلما كواها انقطع سلام الملائكة عنه . فلما ترك الكى أى برىء كما فى رواية صحيحة عاد سلامهم عليه. « مسلم فى الحج جـ ٣ » شرح النووى .

وفى رواية البيهقى : كانت الملائكة تصافحه فلما كوى تنحت عنـه . « زاد المسـلم جـ ٣ ص ١٨٦ » .

والقارىء لكتاب الروح للامـام بن القيم يجده يقول : (ولما مات رجاء بن حيوة رأتـه امرأة عابدة فقالت : يا أبا المقدام الام صرتم ؟ قال الى خير ...) وقال (لما ماتت رابعـة رأتها امرأة من أصحابها وعليها حلة استبرق وخمار من سندس وكانت كفنت فى جبة وخمار من صوف . فقالت لها ما فعلت الجبـة التى كفنتك فيها وخمار الصوف ؟ قالت : والله انـه نزع عنى وأبدلت به هذا الذى ترين على ..) الخ وكلام كهذا لـلامام ابن القيم لا يستهان به أ . هـ .

الصــوفية وعالم المثال :

وفى الزرقانى على المواهب قال أبو حــامد الغزالى : (ليس معنى قوله • فقد رآنى أنه رأى جسمى وبدنى ــ حقيقة ــ وانما المراد أنه رأى مثالا صار ذلك المثال آلة يتأدى بهــا المعنى الذى فى نفسى اليه وكــذلك قــوله ــ فسيرانى فى اليقظة ليس المراد أنه يرى جسمى وبدنى ــ بل المثال) وقالــ والآلة تارة تكون حقيقة وتارة تكون خيالية والنفس أى الذات ــ غير المثال يرى التخيل فمارآه من الشكلليس هو روح المصطفى ولا شخصه • بل هو مثــال له على التحقيق •

وقــال الغزالى : ومثــل ذلك من يرى الله تعالى فى المنام فان ذاته تعالى منزهة عن الشكل والصورة ولكن تنتهى تعريفــاته تعــالى الى العبد بواسطة مثال محسوس من نو أو غيره ويكون ذلك المثال آلة حقا فى كونه واســطة فى التعريف •فيقول الرائى رأيت الله عز وجل فى المنام • لا يعنى أنى رأيت ذات الله تعالى كما يقول فى حق غيره • وقال الغزالى أيضــا فى بعض فتاويه ــ من رأى الرسول يعنى فى المنام لم ير حقيقة شخصه المودع روضة المدينــة •

وانما رأى مثاله لا شخصه • ثم قــال وذلك المثال مثال روحــه المقدســة عن الصــورة والشكل •• أهـ زرقانى جـ ٥ ص ٢٩٣ وانظــر السراج المنير شرح الجامع الصــغير الجــزء الثالث •

وفى كتاب المنقذ من الضلال قال أبو حامــد الغزالى : بعد مدح أرباب القلوب انهم وهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبيـــاء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبســـون منهم فوائد : ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة والأمثال الى درجات يضيق عنهــا نطـــاق الناطق •• أهـ الزرقانى جـ ٥ وزاد المسلم جـ ٣ •

وفى مشارق الأنوار يقــول الشــيخ حســن العدوى الحمزاوى :

ان للأولياء فى البرزخ الانطلاق والسراح لأرواحهم بل ولأشباحهم كما حققــه عمـ دة المحدثين وليث العارفين الــذى كــان يجتمع بالنبى ﷺ يقظة • المحقق سيدى عبد الله بن أبى جمرة • أفاد تلك الشهادة الأستاذ الحفنى فى رسالته •• واذا كان هذا للأوليــاء عمــوما فما بالك ببضعة رســول الله ﷺ ولفظ ابن أبى جمرة الذى عليه المحققون من الصــوفية أن الأمر فى عالم البرزخ والآخرة على خــلاف عالم الدنيا فينحصر الانسان فى طورة واحدة ــ يعنى فى عالم الدنيا المسمى بعالم الشهادة الا الأولياء كمــا نقل عن قضيب البــان أنه رؤى فى صور مختلفة وسر ذلك أن روحانيتهم غلبت جسمانيتهم فجاز أن تظهــر فى صــور كثيرة •

ثم يقــول الشــيخ العدوى :وقــد أثبت الصوفية عالما متوسطا بين الأجساد والأرواح سموه عالم المثال وقالوا : هو ألطف من عــالم الأجساد وأكثف من عالم الأرواح وبنــوا على ذلك تجسد الأرواح وظهورها فى صور مختلفة

من عالم المثال وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى فى سورة مريم « فتمثل لها بشرا سويا » فتكون الروح كروح جبريل مثلا فى وقت واحد مدبرة لشبحه الأصلى ولهذا الشبح المثالى فاذا جاز تجسد الأرواح وظهورها فى صور مختلفة من العالم المثالى فى عالم الدنيا وفى عالم البرزخ أولى وعلى هذا فالذى يخرج من القبر الشبح المثالى .. أ هـ .

ويقول الشيخ العدوى : وفى المواهب نقلا عن العز بن عبد السلام : فان قلت اذا لقى جبريل النبى ﷺ فى صورة دحية الكلبى فأين تكون روح جبريل ، فان كانت فى الجسد الذى له ستمائة جناح فالذى أتى حينئذ لا روح جبريل ولا جسده . وان كانت فى هذه الذى فى صورة دحية . فهل يموت الجسد العظيم أو يبقى خاليا من الروح المنتقلة عنه الى الجسد المشبه جسد دحية ..

ويقول الامام العينى فى شرحه على صحيح البخارى :

انه لا يبعد أن لا يكون انتقالها موجبا لموته فيبقى الجسد الأول حيا لا ينقص من معارفه شىء ويكون انتقال روحه للجسد الثانى كانتقال أرواح الشهداء الى أجواف طير خضر وموت الأجساد بمفارقة الأرواح ليس بواجب عقلا بل بعادة آجراها الله فى بنى آدم فلا تلزم فى غيره ..

ويقول الشيخ العدوى :

وقال سيدى محمد الزرقانى شارح المواهب . عن السراج البلقينى . يجوز أن يكون الآتى هو جبريل بشكله الأول الا أنه انضم فصار على قدر هيئة الرجل . ومثال ذلك القطن اذا جمع بعد نفشه وهذا على سبيل التقريب قال . وقال فى فتح البارى . الحق أن تمثل الملك رجلا ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلا بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه . والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائى فقط ..

ويقول الزرقانى :

والذى اختاره . ما أجاب به الامام القزوينى بقوله : يجوز أن الله خصه بقوة ملكية بحيث تكون روحه فى جسده الأصلى مدبرة له ويتصل أثرها بجسم آخر يصير حيا بما اتصل به من ذلك الأثر قال . وقد قيل : انما سمى الأبدال أبدالا لأنهم قد يدخلون الى مكان ويقيمون فى مكانهم شبحا آخر تشبيها بشبحهم الأصلى بدلا عنه قال وأثبت الصوفية عالما متوسطا بين عالم الأجساد والأرواح سموه عالم المثال .. أقول : واذا أمعنت النظر وجدت ما اختاره الشارح موافقا لما أجاب به الامام العينى حيث قال : ويكون انتقال روحه للجسد الثانى كانتقال أرواح الشهداء .. الخ لأنه لاخفاء فى حياة الشهداء جسما وروحا . لا روحا فقط فكونها

فى جوف طير خضر لا ينافى اتصالها بالجسد الأصلى أ هـ من مشارق الأنوار بتصرف .

ويقول الشيخ زكريا الأنصارى :

والمشهور أنها رؤيا حقيقية ان رآه على صورته كان ادراكه لذاته الشريفة أو على غيرها كان ادراكه لمثاله وتغير الهيئة انما هو من جهة الرائى ..

ونقل القسطلانى عن ابن العربى قال . قال ابن العربى : ورؤيته ﷺ بصفته المعلومة ادراك للحقيقة . ورؤيته على غيرها ادراك للمثال . فان الصواب أن الأنبياء لا تغيرهم الأرض ويكون ادراك الذات الكريمة حقيقة وادراك الصفات ادراك المثال .. زاد المسلم جـ ٣ ص ١٨١ .

على أى صورة يرى النبى ﷺ ؟

لقد نقلنا ما قاله الامام الغزالى عن عالم المثال . فى حين وجدناه يقول فى كتابه المنقذ من الضلال :

« أن أرباب القلوب فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد : ثم يترقى الحال لهم من مشاهدة الصورة والأمثال الى درجات يضيق عنها نطاق الناطق ... » اذا فهناك درجة أعلى بعد رؤية المثال لم ينطق بها الغزالى خوفا على العامة .. وهى حقيقة اللقاء يقظة .. ومما يوضح ما قلناه قول الامام السواحلى فى كتابه بغية السالك :

أنه يجوز انطباع صورة النبى الشريفة فى نفوس الرائين الصادقين . ولكن الأعلى درجة يراه (بعين رأسه عيانا فى عالم الحس) واعتبرها من الكرامات الجائزة والممكنة أ . هـ .

والعجيب أن علماء السادة الصوفية اختلفوا فيما بينهم ــ هل تقع الرؤية حقيقة بذاته الشريفة ﷺ وروحه الطاهرة ؟ أم تقع بمثاله ؟ ــ وقد بين لنا هذا ابن العربى بقوله وقد مر فى البحث : أن رؤيته ﷺ بصفته المعلومة ادراك للحقيقة ــ ورؤيته على غيرها ادراك للمثال ..

ولم يستحسن بعض علماء الصوفية ومن سايرهم من العلماء المحققين القول بالمثال . لوقوع شبه بينه وبين مثال أفلاطون؛ فى اللفظ فقط . وهم لا يؤمنون بالمصطلحات الفلسفية لاسيما الصوفية السنيون . لأنهم وجدوا أن رؤية المثال هذه لا تريح قلب المشتاق المحب . ولا يجعل الرائى مستريحا لما ينقل عن المثال من معرفة أو أجوبة ــ على عكس رؤية الحقيقة فانها تثلج الصدور وتشرحه وتجعل الرائى مطمئنا لكل ما يرد على سمعه وقلبه من معارف نبوية تجد له أثناء اللقاء المحمدى ــ وكذلك فان رؤية النبى فى اليقظة تتناسب مع جلاء الكرامة ووضوحها للرائى ..

وقال العلماء : ومن فوائد رؤيته ﷺ :

تسكين تشوق الرائى لكونه صادقا فى محبته ليعمل على مشاهدته .. ولذلك نجد أن شيخ المالكية أبا الحسن الأجهورى متمسك على أن الرؤية للنبى بالحقيقة . لا بالمثال ..

وخلاصة القول الصحيح :

هو أن رؤية النبى ﷺ فى اليقظة ممكنة شرعا وعقلا ولا وجه لانكارها ولا تخصيصها برؤية المثال كما قال الامام الغزالى والقرافى . لأن ظواهر نصوص الأحاديث النبوية تدل على امكانها ووقوعها لمن خصه الله تعالى بها ..

ولقد أمتعنا الامام السيوطى فى رسالته تنوير الحلك فى امكان رؤية النبى والملك ..

حيث قال فى آخرها . فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث . أن النبى ﷺ حى بجسده وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث شاء فى أقطار الأرض وفى الملكوت وهو بهيئته التى كان عليها قبل وفاته ولم يتبدل منه شىء . وأنه مغيب عن الأبصار كما غيب الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم . فاذا أراد الله رفع الحجاب عمن أراد اكرامه برؤيته رآه على هيئته التى هو عليها ولا مانع من ذلك ولا داعى الى التخصيص برؤية المثال .. أ هـ .

لا تشريع جديد :

قال تعالى :

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) .

سورة المائدة الآية ٣ ..

اذا لا تشريع بعد ذلك واثبات أى حكم بعد وفاة النبى ﷺ بغير دليل شرعى يسمى تشريعا فهو غير معتبر شرعا ولا ينافى ذلك صدق الرائى فى رؤيته للنبى ﷺ ان كان أهلا لذلك . ولكن قد قررنا لك فى أول البحث أنه لا يثبت بذلك الا ما وافق الشرع فهو الحجة فى اثبات الأحكام — فلم يبق — بعد وفاة رسول الله ﷺ لعلماء الشريعة فى كل عصر وفى كل طبقة الا اتباع النصوص فى القرآن الكريم وما صح من السنة المطهرة أو فيهما . أو اتباع ما أجمع عليه المجتهدون مما استند على دليل منهما أو استنبط من أدلتهما أو قيس قياسا لاقادح فيه على بعض نصوصهما أو جزئية أدخلت تحت عموم كلية تشملها . هذا ما عليه محققو علماء السنة المطهرة من الصدر الأول الى زماننا هذا وبه تعلم أنه لا يعتمد بما يذكر بعض الصالحين أنه تلقاه من رسول الله اللهم الا ان كان ذلك فى خاصة نفسه وأما تعليمه للناس وأمرهم به فلا يجوز . لأنه أمر يعتبر زائدا على السنة الصحيحة الثابتة من طريق النقل .. ومن أمر الناس بشىء زائد على ما ثبت من طريق النقل فقد كلفهم شططا كما صرح به الامام الشعرانى فى أول كتابه تنبيه المغترين . وكما صرح به غيره من الأئمة المجتهدين وعلماء الأصول المحققين والحفظة .

وكما قال ابن السمعانى : وانكار الالهام مردود ، ويجوز أن يفعل الله بعبده ما يكرمه

به • ولكن التمييز بين الحق والباطل فى ذلك أن كلما استقام على الشريعة المحمدية ولم يكن فى الكتاب والسنة ما يرده فهو مقبول والا فمردود اذ قد يقع من حديث النفس وسوسة الشيطان•

ثم قال ابن السمعانى : ونحن لا ننكر أن الله يكرم عبده بزيادة نور منـه يزداد به نظـره ويقوى به رأيه ــ وانما ننكر أن يرجع الـى قلبه بقول لا يعرف أصله ولا نزعم أنه حجـة شرعية وانما هو نور يختص الله به من يشـاء من عباده فان وافق الشرع كـان الشرع هـو الحجة •• ثم حقق الحافظ ابن حجر بعد نقله لكلام ابن السمعانى هذا أن النائم لـو رأى النبى ﷺ يأمره بشىء لابد أن يعرضه عـلى الشرع الظاهر • أى فان وافقه قبل وكـان الشرع هو الحجة • وان خالفه فهو مردود ككل الهام خالف الشرع • ولا يقال محـل هذا ان كانت رؤيته فى النوم لا ان كانت فى اليقظـة على فرض تجويز حصولها وامكانها لمن خصـه الله بها من أكابر الأولياء لأنه قد علم أن الشرع ثابت (١) من طريق النقل برواية العـدول هو الذى يجب التمسك به وترجى النجاة لمن وفقه الله تعالى للعمل به ••

وصلى الله على سيدنا محمد الحاضر على الدوام والمشاهد بلا حجاب ولا مثال •

فبأى آلاء ربكمـا تكـذبان

مراجع البحث الهامة :

١ ــ فتح البارى لابن حجر •

٢ ــ مسلم شرح النووى •

٣ ــ زاد المسلم للشنقيطى ص ٣ •

٤ ــ الفتح الربانى للساعاتى جـ ١٧ •

٥ ــ السراج المنير شرح الجامع الصـغير جـ ٣ •

٦ ــ الزرقانى على المواهب اللدنية •

٧ ــ المواهب اللدنية للعسقلانى •

٨ ــ الحاوى للفتا والسيوطى جـ ٢ •

٩ ــ مشارق الأنوار للعدوى •

١٠ ــ سعادة الدارين للنبهانى •

١١ ــ حجة الله على العالمين للنبهانى •

١٢ ــ المدخل لابن الحاج •

١٣ ــ نسيم الرياض شرح الشفاء لعياض •

١٤ ــ حقيقة التوسل للشيخ موسى محمـد على •

١٥ ــ مكارم الأخلاق للطبرسى •

١٦ ــ الحجج البينات عبد الله الصديق •

١٧ ــ الروح لابن القيم •

١٨ ــ العظة والاعتبار للعارف بالله الشيخ احمد محمد حجاب •

بقلم

صلاح الدين عبد الحميد الهادى

مدرسة الجمعية الاعدادية بطنطا

صورة من آخر ما وصل إليه البحث في أبي هريرة

للأستاذ عبد المنعم حافظ فوده

ورحم الله ورضى عن سيدنا أبى هريرة فان معاول هدم تلقفتها أيد من قومنا تحركها عقول من غيرنا أرادت أن تمحو تراث هذا الصحابى الجليل ، فان لم تستطع فلا أقل من أن تذبذب مراكز الثقة به فى نفوس المسلمين ٠

وليس عجبا أن يُخيّب الله ــ جل وعلا ــ الهدف فى جانبيه ، ويبقى أبو هريرة ــ رضى الله عنه ــ صرحا شامخا ، نذكره متأدبين على يديه منتفعين بعلمه مترحمين عليه عملا بقول ربنا ــ عز وجل :

« وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » (١) ٠

وقد يكون ــ فى حياته رضوان الله عليه أكثر من طرفة :

كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يستبقى من أسماء صحابته ــ رضوان الله عليهم ــ ما أضيف أو لحق بمعبود جاهلى ، فكان ــ صلوات الله وسلامه عليه يغير تلك الأسماء بأخرى اسلامية، و **فى اسمه** خلاف كبير، لعله أكبر خلاف فى اسم صحابى رضوان الله عليهم فلم يبق الا « أبو هريرة » **اللفظ الذى** لم يقع فيه خلاف (٢) ٠

(١) الحشر ــ ١٠ ــ

(٢ ــ ٣) **عز الدين بن الاثير الجزرى ــ اسد** الغابة ٢١٩/٦ ٠

قال ابن اسحاق :

قال لى بعض أصحابنا عن أبى هريرة : كان اسمى فى الجاهلية عبدشمس ، فسمانى رسول الله ﷺ عبد الرحمن .

وانما كنيت بـ « أبى هريرة » لأنى وجدت هرة فحملتها فى كمى فقيل لى :

أنت أبو هريرة (٣) .

قال أبو هريرة ـ رضى الله عنه :

لما قدمت على رسول الله ﷺ قلت فى الطريق :

ويا ليلة من طولها وعنائها
على أنها من دارة الكفر نجت

قال ـ رضى الله عنه :

وأبق منى غلام لى فى الطريق ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ فبايعته ، فبينا أنا عنده إذ طلع الغلام فقال لى رسول الله ﷺ :

يا أبا هريرة ، هذا غلامك .

قلت : هو لوجه الله تعالى .. فأعتقته (١).

وأسلم ـ رضى الله عنه ـ عام خيبر ، أى فى السنة ـ السابعة من الهجرة ، والتقى فى خيبر برسول الله ﷺ وبيدو ـ والله أعلم ـ أنه جاء خيبر بعد انتهاء أمرها وسقوطها بيد المسلمين (٢) ، وحضوره خيبر مؤكد ، فقد تحدث فيها الى أبان بن سعيد رضى الله عنه أمام رسول الله ﷺ فى (٣) شأن سهامها .

وما مر على أبى هريرة من أحداث دنياه لم يكن بجانب ايمانه بشىء ، حتى لقد استخف به ، وترك فيه دعابة ـ رضوان الله عليه .

روايته عن رسول الله ﷺ

روى الترمذى ـ بسند حسن ـ عن ابن عمر أنه قال لأبى هريرة :

أنت كنت ألزمنا لرسول الله ﷺ وأحفظنا لحديثه .

ألا ما أروع أدب ابن عمر ، وايمانه بصدق أبى هريرة وكثرة حديثه .

نعم الادب ممن أدبهم رسول الله ﷺ .

وبئس ما صنع قوم أخرجهم الدهر على صحبة السوء وأيدى السوء ليتالوا من أبى هريرة ولكن الله لا يهدى كيد الخائنين .

قال أبو هريرة :

كان المهاجرون يشغلهم الصفق فى الاسواق ، وكانت الانصار يشغلهم القيام على أموالهم ، وقال رسول الله ﷺ :

من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئا سمعه منى.

فبسطت ثوبى حتى قضى حديثه ثم ضممته الى فما نسيت شيئا سمعته بعد.« أخرجه البخارى باسناده الى الزهرى بنحوه ـ كتاب

(١) راجع مسند احمد ٢٨٦/٢ ، واسد الغابة ٤٤٧/٦ مطبعة الشعب .

(٢) راجع لابن كثير ـ السيرة النبوية ٣/ ٣٩١ ، ٣٩٣ مطبعة عيسى البابى الحلبى ١٣٨٥ القاهرة .

(٣) نفس المرجع .

العلم باب حفظ العلم ، وكذلك أخرجه مسلم باسناده الى زهير بن حرب فى فضائل أبى هريرة • وفى مسند أحمد ٢/٢٤٠ و٢٧٤ » •

وكان — رضى الله عنه — شديد الحفظ والضبط ، فأجلة مروان بن الحكم ، وجعل يسأله ، وأوصى مولاه سالم أن يكتب كل مايقول أبو هريرة •

وأكثر أبو هريرة الحديث عن رسول الله ﷺ فترك لنا تراثا هو تراث رسول الله ﷺ هذا التراث الذى عز على قوم أن يكون للمسلمين فودوا لو أهدروه ، وليس عجيبا أن يصدر ذلك منهم فهم مفرطون لكل ما بأيدينا من تراث له قيمته الحضارية فى شتى صنوف حياتنا •

آخر كُتّا العلم •

وعلى كثرة ما روى أبو هريرة من حديث أثبت البحث العلمى حديثا — فى شأنه — أن أبا هريرة — رضى الله عنه لم ينفرد بحديث واحد عن رسول الله ﷺ فأين الهدامون ••• ؟

سوف يخفون أنفسهم كالعادة ، وتبقى الحقيقة ساطعة جلية •

ناقش فضيلة الدكتور عبد الوهاب البحيرى رسالة فى الحديث الشريف بجامعة مكة المكرمة كانت فى لب هذا الموضوع ، وعنى فيها « الطالب » أن يبين — فى بحثه — أن أبا هريرة — رضى الله عنه لم ينفرد بحديث ، فكان يأتى بالحديث مرويا عن أبى هريرة ••• ثم هو هو مرويا عن صحابى آخر ونضرب لذلك بعض الأمثلة ، فان المقال يضيق بالحصر •

حديث أبى هريرة فى نجاة نوح يوم عاشوراء رواه ابن عباس — رضى الله عنهم (١) •

وحديث بعث رسول الله ﷺ أميرا على خيبر من الأنصار ، قال البخارى : وقال الدراوردى عن عبد المجيد ، عن سعيد بن المسيب أن أبا سعيد وأبا هريرة حدثاه — أى به •

حديث : « المؤمن يأكل فى معى واحد ، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء » رواه أبو هريرة وعبد الله بن عمر ، وأبو موسى الأشعرى •

حديث « اطعام الخادم » رواه أبو هريرة وعبد الله وهكذا !

فليس هناك حديث واحد انفرد به أبو هريرة

وقد أكد هذه الحقيقة شيخنا الأستاذ محمد على أحمدين — رحمه الله •

روايته — رضى الله عنه ، ووفاته :

روى — رضى الله عنه — عن النبى ﷺ وعن أبى بكر وعمر وعثمان وأبى بن كعب وأسامة بن زيد وعائشة — رضى الله عنهم •

وروى عن أبى هريرة خلق كثير نحو ثمانمائة رجل بين صاحب وتابع وتوفى رضى الله تعالى عنه بالعقيق قريبا من المدينة المنورة وكانت وفاته سنة تسع وخمسين ، وهو ابن ثمان وسبعين سنة •

وحمل الى المدينة وصلى عليه الوليد بن عتبة ابن أبى سفيان أمير المدينة وقد يعنى ذلك أنه دفن بالبقيع — رضى الله تعالى عنه •

عبد المنعم حافظ فودة

---

(١) راجع لابن حجر — فتح البارى ٤/٢٤٧ ٢٤٨ المطبعة السلفية القاهرة ١٣٨٠ •

الايمان والعمل الصالح

ان الايمان : نــور ربانى ، وضـــوء يشع فى جنبات القلوب ، فيحيى مواتها ، ويجدد عزيمتها ، ويمدها بطـــاقة مــن الحيوية والقوة ، ويفيض عليها : حب الله وحب رسوله ، والجهاد فى سبيله ، والتمسك بدينه ، قال الله تعالى :

« أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِى بِهِ فِى النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِى الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا » .

الأنعام : ١٢٢ .

وقال جل شأنه :

« قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِىَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ » التوبة : ٢٤ .

ان جوهر الايمان : هـو معرفة صـادقة ، واقتناع خاشـع ، يتخلل كيـان الانسـان ، ويستقر فى وجدانه ، ليصير قوة دافعة : الـى الاستقامة والعمل الصالح ، وطاقة هـائلة : تنظمها ارادة خيرة ، وبصيرة نـيره ، وعقـل مستنير .

روى مسلم عن سفيان بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال : قلت يارسـول اللـه قل لى فى الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك ؟ قال : « قل آمنت بالله ثم استقم » .

وعندئذ تكون النفس مؤمنة مستعدة لتحمل المسئوليات والتضحيات ، تجتاز بنجاح : الكثير من : الاختبارات والامتحانات ، قال تعالى :

« الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ »

العنكبوت : ١ ــ ٣ .

وعلى قدر قوة ايمان المرء : يكون ثباته أمام الصعاب ، وتغلبه على الشـدائد والعقبات ،

بقلم فضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح
المدير العام للدعوة والإعلام الديني بالأزهر

قال تعالى : « **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** » . التوبة : ٥١ .

وفد قوم على رسول الله ﷺ . فقال لهم : « ما أنتم ؟ قالوا مؤمنون ، قال : ان لكل قول حقيقة ، فما حقيقة قولكم وايمانكم ؟ قالوا : الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء ، والرضا بمر القضاء ، والصدق فى مواطن اللقاء ، وترك الشماتة بالأعداء ، فقال : حكماء علماء : كادوا من فقههم : أن يكونوا أنبياء »(١)

الايمان : هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل : وهو تعريف جامع لمعانى الايمان بأنه : قول وعمل واعتقاد ، وقال تعالى : « **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** » الأنفال : ٢ــ٤

وروى الامام أحمد فى مسنده عن عمرو بن عنبسة قال « جاء رجل الى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ما الاسلام ؟ قال : أن تسلم قلبك لله ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك ، قال : فأى الاسلام أفضل ؟ قال . الايمان ، قال : وما الايمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت . قال : فأى الاعمال أفضل ؟ قال : الهجرة ، قال فما الهجرة ؟ قال : أن تهجر السوء . قال : فأى الهجرة أفضل ؟ قال : الجهاد » .

ان الايمان : أشبه ما يكون بشجرة كبيرة مباركة : أصلها ثابت وفرعها فى السماء .

جذور هذه الشجرة وأصولها الضاربة فى باطن الارض ، والتى تعطيها : النماء والقوة والحيوية : هى العلم والبحث والنظر والتأمل والتفكير . روى فى الصحيح : « أن بلالا رضى الله عنه جاء يؤذن النبى ﷺ بصلاة الصبح ، فوجده يبكى ، فسأله عن سبب بكائه ؟ فقال : وما يمنعنى أن أبكى ، وقد أنزل الله على فى هذه الليلة :

---

(١) حديث علماء حكماء الخ أخرجه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد والخطيب فى التاريخ من حديث سويد بن الحرث باسناد ضعيف . ابن حجر احياء علوم الدين ج ١ ص ٣٢ طبع دار احياء الكتب العربية الحلبى .

«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ • الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١ •

ثم قال :
ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها » (١) •

وقال تعالى :

« أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ • وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ • تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ » ق ٦ — ٨

وثمار هذه الشجرة الطيبة : هى العمل الصالح : الذى يتمثل فى السلوك الحميد ، واللسان العف والقلب النظيف ، والضمير الحى ، والسمعة الطيبة ، والمعاملة الحسنة ، والتعاون على البر والتقوى ، لا على الاثم والعدوان •

ان تشبيه الايمان بالشجرة الثابتة الجذور ، الباسقة الفروع ، الدانية الثمرات : تنطق بـه الآية الكريمة :

«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ • تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» ابراهيم ٢٤ ، ٢٥ •

العمل الصالح

وأما العمل الصالح : فانه يشمل كل طاعة ، وكل عبادة ، وقد حث الشرع عليه ورغب فى المسارعة اليه قبل حلول المعوقات ، قال تعالى: **« فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا »** البقرة : ١٤٨ • وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بادروا بالأعمال الصالحة ، فستكون فتن كقطع الليل المظلم : يصبح الرجل مؤمنا ، ويمسى كافرا ، ويمسى مؤمنا ، ويصبح كافرا : يبيع دينه بعرض من الدينا »وقال رسول الله ﷺ : « الأعمال محصاة : لن يهمل منها صغيرة ، ولا كبيرة ، فأكثروا من صالح العمل » (٢) •

وقال ﷺ : « ان الله يحب صالح الأعمال ، ويكره سفسافها » (٣) •

(١) الحديث أخرجه ابن حسبان فى صحيحه من رواية عبد الملك بن سليمان عن عطاء .. السخ اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار احياء علوم الدين للزبيدى ج٩ ص ٤٧ طبع دار احياء التراث العربى — بيروت .

(٢) لم نقف عليه بهذا اللفظ — الباجورى

وقال تعالى على لسان خليل الرحمن ابراهيم على نبينا أفضل الصلاة والسلام : **« رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ »** الشعراء : ٨٣ • وقال فى معرض التبشير باسحاق : **وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ »** الصافات : ١١٢ •• وقال على لسان يوسف عليه السلام : **« رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى من تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّى فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ »** •

يوسف : ١٠١

وبين أن صلاح الآباء والاجداد : ينفع الذرية والاحفاد ، قال تعالى : **« وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ »**

الكهف : ٨٢ •

وهذا نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام مع علو شأنه ، وسمو منزلته ، ورفعة قدره : يطلب من الله عز وجل : أن يجعله مداوما على الشكر له ، والثناء عليه ، كما يطلب منه أن يجعله مداوما على العمل الصالح : الذى يحبه ويرضاه ، ولم يغتر بعمله بل طلب من ربه : الزيادة والمعونة والفضل ، حتى يدخل فى عداد الصالحين ، قال تعالى :

« حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِى النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ » النمل ١٨ ، ١٩ •

ان الحياة جهاد : ولا مفر من العمل ، ومن لم يعمل لسعادته : سخر لشقائه ، ومن لم يملك هواه : ملكه فأرداه ، والأرض لا يرثها : الا الصالحون لعمارتها ، وقيام العدل فيها والرحمة بأهلها ، قال تعالى : **« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ »** الأنبياء ١٠٥ •

وقد وعد الله المؤمنين الصالحين : بالفوز والنصر المبين ، فحقق لهم وعدهم ، وأنالهم مآربهم ، ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وبدلهم من بعد خوفهم أمنا •

« وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا » النور ٥٥ •

عبد المنصف محمود عبد الفتاح

(٣) الحديث اخرجه الحاكم فى المستدرك فى كتاب الايمان ج ١ ص ٤٨ طبع دار الفكر بلفظ : ان الله كريم يحب الكرم ، ومعالى الأخلاق ، ويكره سفسافها .. وحكم عليه بالصحة ووافقه الذهبى .
الباجورى .

الإخلاص أفق القوة والاستمرار

٢

الاخلاص من الصفات الروحية التى ترفع من شأن الانسان ، وتجعل له مكانة سامية ، ترضى عنه الله ، ويحبه الناس .

وهو يزج بصاحبه الى ميادين الخير والبر ، ويدفعه الى مداومة العمل واتقانه والاستمرار فيه .

ان الأمة الاسلامية كوحدة ، يعمل أفرادها فى سبيل خيرها واسعادها ورقيها ، وبعث أمجادها ، وهى مطالبة بالاخلاص لتحقيق الأهداف التى تعمل من أجلها .

عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رجلا قال : يارسول الله : رجل يريد الجهاد ، وهو يريد عرضا من عرض الدنيا ، فقال رسول الله ﷺ لا أجر له ، فأعادها عليه ثلاثا والنبى ﷺ يقول : لا أجر له) (١) .

وعن أبى موسى الأشعرى (رضى الله عنه) أن أعرابيا أتى النبى ﷺ فقال: يارسول الله، الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن قاتل فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) (٢) وكفى بالاخلاص فضلا ، وشرفا ، أنه يتوج صاحبه بتاج المهابة والوقار ، ويدمجه فى سلك المؤمنين الأخيار ، قال تعالى :

(إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ

---

١ — رواه أبو داود .

٢ — رواه البخارى ومسلم .

للشيخ محمد صابر البرديسى

الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) (١) ٠

واذا كان الإخلاص خير سبيل لخلاص صاحبه ونجاته من النار فى الآخرة ،فهو أعظم وسيلة فى الدنيا للحيلولة بينه وبين مصائبه ، ونيران فتنتها ، وبدونه لا يكون للأعمال قيمة ، ولا للجهاد ثمرة ٠

عن ثوبان (رضى الله عنه) أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « طوبى للمخلصين ، أولئك مصابيح الهدى تنجلى عنهم كل فتنة ظلماء) (٢) ٠

وقد أقسم الشيطان أن يغوى كل انسان ، لكنه باء بخسر مع المخلصين ، وقد ساق المولى — عز وجل — قسمه وبين غوايته :

« قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ » (٣) ٠

فأولئك الذين ليس للشيطان عليهم سبيل « إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ » (٤)٠

ان الاخلاص روح العمل ، فاذا أخلص المسلم فى عمله ، كان فى عمله بركة ومكنه الله من المداومة عليه ، وهو مع المداومة يعظم ثوابه وان قل ، والقليل الى القليل كثير ٠

وهذا سر من الأسرار تجلى للمصطفى عليه الصلاة والسلام فلزمه ودعا اليه ، ففى البخارى من كتاب « الرقاق » ٠

« أن عائشة « رضى الله عنها » سئلت ، أى العمل كان أحب الى النبى ﷺ ؟ ٠

قالت : الدائم * وقالت كان أحب العمل الى رسول الله ﷺ الذى يدوم عليه صاحبه ٠

(جـ) الصبر وقوة الاستمرار :

الصبر هو حبس النفس عن الجزع ، ومنعها من محارم الله ، أو هو ثبات القوة المضادة للشهوة فى مقاومتها ٠

وهو من الفضائل الخلقية ، وهو النفحة الروحية التى يعتصم بها المؤمن ، فتخفف من بأسائه ، وتدخل قلبه السكينة والاطمئنان ، وتكون بلسما لجراحاته التى يتألم منها ٠

---

١ — النساء — ١٤٦ ٠
٢ — الجامع الصغير للامام السيوطى — ٥٢٨٩
٣ — سورة ص — ٨٣ ٠
٤ — الحجر — ٤٢ ٠

لهذا أحب الله الصابرين ، وزادهم من فضله ، قال تعالى :

« وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (١) .

وقال تعالى :

« إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ » (٢) .

والصابرون مؤيدون بمعونة من الله ، قال تعالى :

« وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ » (٣) .

وقد يكون الصبر حلوا فقد يبتلى الله المؤمن ، ويمتحن صبره فتعطيه قوة ايمانه من الرجاء به ما تخالط حلاوته مرارة البلوى حتى تغلبها ، وقد يأنس بالمصيبة لعظم رجائه وصبره .

عن أبى سعيد أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو موعوك عليه قطيفة ، فوضع يده فوق القطيفة فقال : ما أشد حماك يارسول الله ، قال : إنّا كذلك يشدد علينا البلاء ، ويضاعف لنا الأجر . ثم قال : يارسول الله من أشد الناس بلاء ؟ قال : الأنبياء ، قال : ثم من ؟ قال العلماء قال : ثم من ؟ قال : الصالحون » الى أن قال : (ولأحدهم كان أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء) (٤) .

والمسلم لا يكون مسلما حقا الا اذا بلغ درجة اليقين من الايمان ومتى بلغ المسلم هذه الدرجة من الصبر كان ذلك ايذانا بالاعزاز الربانى ، والعناية الالهية ، والانس الحبيب ، الذى يمسح على مشقات الطريق مسحا ، ويجعل الصبر عليها أمرا محببا .

« وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا »
وهذا التعبير فيه اعزاز خاص . وأنس خاص . وهو مقام يعلو كل مقام .

هذه لمحات من قوى الاستمرار : الارادة ... والاخلاص .. والصبر فيها العزاء للقلوب ، والشفاء للنفوس ، وفيها النجاح فى هذه الحياة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا .

محمد صابر البرديسى

---

١ ــ النحل آية ٩٦ .
٢ ــ الزمر آية ١٠ .
٣ ــ هود ــ ١١٥ .
٤ ــ رواه ابن ماجه وابن أبى الدنيا والحاكم واللفظ له وقال صحيح على شرط مسلم ــ سورة الطور آية ٤٨ .

فى الشريعة

الشريعة وما يراد لها

حقوق غير المسلمين فى ظل
تقنين الشريعة الإسلامية

من أعلام الأزهر

الشريعة

وما يراد لها في الرأي الغربي

دائرة المعارف الأمريكية

أتيح لى ان أراجع مادة « اسلام » Islam

بدائرة المعارف الامريكية ، فى طبعتين من طبعاتها : احداهما : طبعة سنة ١٩٦٠ م (١) ، والأخرى : طبعة سنة ١٩٧٢ م (٢) .

وقد اختلفت الكتابة فيهما عن الاسلام — وعن الشريعة الاسلامية — اختلافا بينا .

وربما كان السبب فى اختلاف نبرة الحديث بينهما هو اختلاف النظر أو الرأى بين كاتب وآخر ، أو هو اتجاه الهيئة المشرفة على هذه الموسوعة الى تحرى الحق ، وصواب الرأى ، والانصاف فى الحكم على الشعوب الشرقية .

أو أنه منهج السياسة العالمية الحاضرة التى تباعد نزعات التعصب ، وتهيىء أجواء التقارب ، وتستهدف تحسين العلاقات ، وتحقيق المصالح المشتركة بين الأقطار .

لقد كتب المادة فى دائرة المعارف الأمريكية

---

(١) (1) Encyclopeadia Americana — Copyrights 1960 - vol. 15.

(٢) لاتزال المادة على ما هى عليه من هذه الموسوعة ، لم تتغير فى الطبعات التالية لطبعة سنة ١٩٧٢ ، وحتى طبعة ١٩٨٣ م .

للشيخ محمد حسام الدين

لسنة ١٩٦٠ المستشرق فيليب (١) حتى فى سياق غير منتظم ، يدفع القضايا به مرسلة بغير دليل ، ويطلق الأحكام عارية عن قيودها ، ميلا الى الطعن فى الاسلام أو التعريض به .

ومن هذا ما تحدث به الكاتب تحت عنوان : « قانون الزواج » فقال : « ان الاسلام أباح تعدد الزوجات ، والتسرى بالاماء .. ، وان المجتمعات الاسلامية المتحضرة تتجه الآن فى التشريع اتجاها قويا نحو منع تعدد الزوجات » .

وأضاف : « أن الشريعة توجب على الرجل أن يعدل بين زوجاته ، ويسوى بينهن ، وان المرأة ترضى بوضعها الأدنى من وضع الرجل ، وانها مخصصة للمتعة ، وهذا أمر يتصل بنظام الحريم السابق للاسلام » .

وأضاف أيضا : « ان حق الطلاق فى الشريعة الاسلامية حق مطلق للزوج ، وان المرأة قد أعطيت ــ مؤخرا ــ حق طلب فسخ الزواج فى ظل ظروف معينة ، وهذا حق لم تكن تتمتع به من قبل » (٢) .

وتحت عنوان : التشريع الجنائى : ــ

ذكرت ــ الموسوعة ــ لسنة ١٩٦٠ أن التشريع الجنائى فى القرآن قد تبع فى أحكامه اتجاه الساميين فى العقوبات ، وهى أحكام تختلف باختلاف الحالات ، ولا تشكل قاعدة شاملة منتظمة .

واستشهدت الموسوعة بقوله تعالى فى سورة المائدة :

« وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ » .

وقوله سبحانه فى سورة المائدة أيضا :

« وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ » .

وأضافت الموسوعة : « لقد طبقت المجتمعات الاسلامية اليوم ــ فى كل مكان ــ قوانين أكثر تحررا ، قوانين مستمدة من النظم

---

(١) الدكتور فيليب حتى PHILIP — K — HITTI. ولد فى لبنان عام ١٨٨٦ م فهو لبنانى الاصل . امريكى الجنسية . تخرج من الجامعة الامريكية فى بيروت سنة ١٩٠٨ م
ونال الدكتوراه من جامعة كولومبيا سنة ١٩١٥ وعين مدرسا بقسمها الشرقى من سنة ١٩١٥ حتى سنة ١٩١٩ ، ثم استاذا بالجامعة الامريكية فى بيروت حتى سنة ١٩٢٥ .
وتقلد عدة مناصب بالجامعات الامريكية ، استاذا مساعدا للآداب السامية ، فاستاذا ، واستاذ كرسى للغات الشرقية ، ثم رئيسا لقسم اللغات والآداب الشرقية . ثم احيل الى التقاعد . فاشتغل بعدئذ استاذا زائرا بجامعة هارفارد ، وعضوا بمجلس امناء الجامعة الامريكية ببيروت .

(٢) من الواضح أننا نحكى دعاوى الكاتب ــ مترجمة ــ ومن الواضح ان هذه الدعاوى فى عمومها لا تمثل الحقيقة .

الأوربية ، وأوضح الأمثلة لهذه المجتمعات تركيا الحديثة •

وتحت عنوان : مصادر التشريع غير القرآنية : ـ

تحدثت الموسوعة عن السنة ، وأنها المصدر الثانى للتشريع ، ثم قالت : « وتأتى بعد ذلك العادات المستقرة فى المجتمعات الاسلامية ، وهى التى أحدثت التطور الاجتماعى ، والسياسى للاسلام حيثما حل ، وهى التى أمدته بالعناصر الجديدة فى بنائه الاجتماعى والسياسى .. ..

وهى عادات قديمة ، مارسها العبريون • والآراميون ، وعناصر أخرى من الساميين (١) •

وتحت عنوان : تطبيق القوانين المحلية :

قالت الموسوعة : « لقد خرج المجتمع الاسلامى الصغير من المدينة ــ (أى المدينة المنورة) ــ وامتدت به الآفاق حتى غطى الجزيرة العربية بكاملها ، ثم نما هذا المجتمع ، وواصل زحفه متجها الى الشمال ، فسيطر على شمال أفريقيا ، وجنوب شرق أوربا ، وغرب ، ووسط آسيا •

وأصبح واضحا أن الشريعة لا تستطيع أن تعمل هنا بسبب عدم كفايتها لمواجهة المشكلات الضخمة والعديدة فى الجوانب السياسية ، والاقتصادية التى واجهت دولة الخلافة فى أطرافها البعيدة المتناثرة •

وكان من الطبعى فى الولايات الاسلامية الجديدة ، أن يستكمل النقص فى الشريعة (٢) بتطبيق كثير من تنظيمات البلاد المفتوحة ، وما قد يحتاج اليه من القوانين المحلية ، ومناهج التشريع فيها •

وعندما انتقلت الخلافة الى سوريا احتفظ المسلمون بمجموعات من الموظفين المسيحيين من أهل هذا البلد •

هذه المجموعات ظلت تعمل على النظام البيزنطى ، واستمرت لبعض الوقت تكتب سجلاتها باليونانية فى الشئون الادارية ، والضرائبية ، وظل هذا المنهج سائدا ، لم يتغير الا فى قليل من المقاطعات •

فلما انتقل الحكم الى العراق طبقت القواعد الفارسية ، ونظام حكم الوزراء وحكام المقاطعات •

وورث الحكم العثمانى قوانين بيزنطية ، واتخذ النماذج السياسية البيزنطية •

(١) هذه دعاوى باطلة يرددها المستشرقون اليهود ، ومن يجرى فى فلكهم ، أو ينقل عنهم ، والمقام لا يحتمل تفنيدها ، وقد أوضحنا أننا بسبيل عرض الرأى الغربى كما ورد فى مصادره دون أن نتدخل فيه ، ومهمتنا الان هى جمع الاراء الغربية لتكتمل بها الصورة التى تراد للشريعة لدى القوم.

(٢) سنقرأ فيما كتبته دائرة المعارف الامريكية طبعة ١٩٧٢ م ما يكذب هذه المزاعم الفاسدة •

وقد أخذت نظم الحكم والادارة طريقا طويلا ، عبر أجيال متتابعة ، حتى وصلت الى الحكومات الاسلامية المعاصرة فى آسيا ، وأفريقيا ، وأوربا •

هذا الطريق الطويل لم يحدد القرآن أو السنة معالمه بمقدار كبير ، ولكن ضغط الأحداث فى المواقع الجديدة هى التى رسمته ، وحددت معالمه (١) •

أما دائرة المعارف الأمريكية طبعة سنة ١٩٧٢ (٢) وما وليها من سنوات حتى سنة ١٩٨٣ فقد كتب « المادة » فيها المستشرق : تشارلز — ج — آدمز (٣) ، فجاء الحديث فيها عن الاسلام هذه المرة غاية فى الدقة ، والنظام ، وسمو العبارة ، وعفتها • لم يعمد الكاتب فيها الى تجريح الاسلام ، أو التعريض به ، أو الغض من شأن المسلمين ، بل كان الأمر على العكس من هذا ، فقد تحدث الكاتب عن الاسلام برأى واضح ، وبصر نافذ ، وعبارة رشيقة عفة ، توحى بالاحترام ، واحترام نبى الاسلام ﷺ على وجه الخصوص •

كذلك نبه الكاتب الى أهمية شأن المسلمين اليوم ، وأبدى اعجابه بهم فى يقظتهم الحاضرة ، وفى ثبات عقيدتهم ، وحميتهم الدينية •

والحق أن ما كتبته دائرة المعارف الأمريكية عن الاسلام فى طبعاتها لسنة ١٩٧٢ ، والسنوات التالية لها حتى الآن ، هو من أفضل ، وأدق ما كتبته الموسوعات الغربية ، بل والموسوعات عامة فى الموضوع •

لقد جعلت الموسوعة حديثها عن القانون مدخلا للحديث عن الشريعة ، فربطت بينه وبين الشريعة فى الاسلام ، ثم ميزت بينهما ورفعت قدر الشريعة ، وتسامت بها عنه فى مفهومه الغربى ••• وقالت : —

(١) ان الأخذ من التراث الحضارى الانسانى فى الشئون الادارية والضرائبية ، والتنظيمية ، وشئون الحكم ، هو أمر اباحته الشريعة ، ما لم يعارض أصلا اسلاميا ، وهذه الشئون فى قواعدها لا تنسب الى الشريعة الا من جهة كونها واقعة تحت حكم الاباحة ، من مثل طرائق الزراعة والصناعة ، وما اليهما •• مثلا •• ولا يعاب على الاصول الشرعية أن لم تنص على هذه الشئون تفصيلا •• بل ان هذا يعد من مفاخر التشريع الاسلامى •• ولكن •• ماذا نقول لغفلات الهوى المتعصب •• ؟؟

(٢)
(1) Encyclopeadia Americana — Copyrights 1972 and so on... Till 1983.

(٣) المستشرق : تشالز ادمز من جامعة ماكجيل بالولايات المتحدة الامريكية ولد فى عام ١٨٨٣ فى بلدة من أعمال ولاية بنسفاليا ، وتلقى دروسه الجامعية فى كلية « وست منستر » ثم قدم الى مصر ، واقام فيها من سنة ١٩٠٩ حتى ١٩١٥ ، ولما رجع الى الولايات المتحدة اكب على دراسة اللغة العربية فى جامعة هارت فورد ، على يد ماكدونالد ، ثم تخرج فيها ، وفى العلوم الاسلامية من جامعة شيكاغو ، على يد سبرنج لنج ، ثم عين مديرا للمدرسة اللاهوتية بالعباسية بمصر ، ثم انتدب عميدا لمعهد الدراسات الشرقية بالجامعة الامريكية بالقاهرة سنة ١٩٣٩ ، وتقلب فى مناصب التدريس ، حتى اختير مديرا لمعهد الدراسات الآسيوية،بجامعة ماكجيل سنة ١٩٦٣ •

واهم كتبه : « الاسلام والتجديد فى مصر » وله دراسات اخرى عن الاسلام •
Islam in The Modern World

ان القانون يقع بمنزلة القلب من الموضوعات ، والمباحث الاسلامية ذات الأهمية ، ذلك أن الاسلام طريق عملى للحياة السامية ، ومن ثم فان المسلمين يستلهمون من دينهم التوجيه فى جميع أعمالهم فى هذه الحياة ، طلبا لرضا الله فى الدنيا ، وأملا فى الفوز بالآخرة .

والقانون الاسلامى هو مجموعات من القواعد التى استنبطها المسلمون من المصادر الأساسية الارشادية ، سواء ما أمر به الاسلام أو ما نهى عنه .

والاسم المستعمل للقانون الاسلامى هو : الشريعة . وتعنى لغويا الطريق .
وعلى هذا يمكن تعريف الشريعة على هذا الأساس اللغوى بأنها « الطريق الذى يريد الله للانسان أن يسلكه فى حياته » .

ان أحكام الشريعة نزلت من عند الله ، أى أن ارادة الله هى التى حددتها فى الأزل .
والشريعة تحدد بدقة الصواب والخطأ فى السلوك البشرى فى جميع الشئون ، وتحدد قيمة كل سلوك انسانى .
فما من عمل انسانى الا ويقع تحت حكم من أحكام الشريعة ، دون استثناء ، أو تخلف لهذه القاعدة العامة .

والأعمال مرتبة فى درجاتها بين فرض ، ومندوب ، ومباح ، ومكروه ، وحرام ولا نجد جهودا ــ (بشرية أو تقنينية) ــ استطاعت أن تصل فى تحديد مراتب العمل الانسانى الى أكثر مما حددته الشريعة الاسلامية .

والشريعة تقوم على أساس أن الانسان غير مهيأ ــ اذا لم يجد العون من الله ــ أن يميز بعقله ــ المجرد ــ تمييزا دقيقا ، وكاملا بين الحسن والقبيح ، ومن أجل هذا أرسل الله الرسل لهداية الناس ، ومن أجل هذا أيضا كان التشريع فى الأصل لله ، وكانت أحكام الشريعة تعبدية ، لا تخضع خضوعا كاملا للنقد أو للتعليل العقلى ، أو لمثل محاولات المعتزلة فى تعليل الأحكام .

ان الشريعة تجمع العنصرين : عنصر الوحى السماوى ، والعنصر القانونى العملى ، ومن ثم فانها أبدية خالدة ، وهى ــ دائما بموضع الثقة الكاملة ، بوصفها القاعدة الأساسية لحضارة الاسلامية فى مختلف العصور .
وهذا يفسر الدقة ، والثقة ، والأمان الذى يشعر به المسلمون ويطمئنون به الى الحق فى طريق الحياة .

ان مضمون الشريعة أوسع بكثير من مضمون القانون بمعناه الحديث ، انها تشمل أحكام العبادات ، وتنظم الشئون السياسية والاجتماعية ، وكذلك الحياة الخاصة .

وتشمل العقيدة فى اطارها العام ، وان كان علم الكلام قد استقل ، وانفرد ببحث خاص .
ومن بين ما تشمله الشريعة مما يقع تحت أحكام الطلب ، أو الاباحة ، أو النهى بها أنواع الطعام والثياب . وأنماط السلوك . مما يظن اليوم أنه خارج عن نطاق القانون .

والمسلمون عادة ما يقسمون الشريعة الاسلامية الى عبادات ، ومعاملات ، فالعبادات هى الواجبات على الناس لله من طرائق العبادة ، وما يدخل فى مفهومها ، والمعاملات هى الواجبات ذات الطابع العملى تجاه الناس وتجاه المجتمع .

وليس هناك جانب من هذين ــ أى العبادات والمعاملات ــ أهم من الآخر ، فكلاهما قد جاء الأمر به من الله .

ان الشريعة تمتاز عن القانون بمفهومه الحديث ، وتختلف عنه اختلافا كبيرا .

فان القانون تضعه الدولة عادة ، وتطبقه الأجهزة السياسية والتنفيذية ، ويأتى تطبيقه فى نطاق حدود الوطن .

لكن هذه الحقائق والخصائص القانونية لا يصح نسبتها الى الشريعة ، فان الشريعة لا توضع من جهة الدولة ، فضلا عن أن الناس يخاطبون بأحكامها دون حدود أرضية ، كذلك فانهم مسئولون عن تطبيقها أفرادا ، وأمام الله مباشرة .

ثم تحدثت الموسوعة عن المذاهب الأربعة . وأئمتها ، والفوارق بينها ، ــ فى اجمال ــ وعن مواطن انتشار هذه المذاهب فى أقطار العالم .

وأضافت : « انه بعد ظهور المذاهب الأربعة ساد اعتقاد بين المسلمين أن باب الاجتهاد فى تفسير النصوص الشرعية قد أغلق ، فلجأوا الى التقليد بدلا منه .

واستمر التقليد الى عهد حديث جدا ، فكان معظم المسلمين يوافقون على أن حق الاجتهاد قد سحب من رجال القانون ، ومن كبار العلماء والفقهاء أيضا .

لكن المحدثين ــ بتسكين الحاء وفتح الدال ــ والمتحضرين من المسلمين يهاجمون اليوم هذا الرأى الذى يرجع الى العصور الوسطى ، وينادون بأنه يحق لمن تأهل للاجتهاد أن يعود الى مصادر الشريعة فيفحصها ، ويستنبط منها .

وفى وقتنا الحاضر نرى نفوذ الشريعة ، وسلطانها قد تراجع فى معظم الأقطار الاسلامية ، ونرى الدول الاسلامية الحديثة تطبق مجموعات قانونية تعتمد غالبا على النماذج الاوربية ، بدلا من الشريعة الاسلامية .

فاذا احتفظت هذه الدول للشريعة بمكان جعلته ضعيف الشأن ، وخصته بالأحوال الشخصية وحدها .

واذا كانت الشريعة لاتزال تحكم فى شئون الزواج والطلاق ، فان جهودا ضخمة تبذل الآن فى سبيل التغيير ، ولايجاد الطرق الملائمة لتطبيق الشريعة فى العصر الحديث .

وتحت عنوان : الاسلام فى العالم الحديث
Islam in The Modern World.

قالت الموسوعة : « ان أعظم الحقائق أهمية فى حياة الشعوب الاسلامية فى العصر الحديث هى نهضة المسلمين ، وبعثهم من جديد ثقافيا ،

وسياسيا ، بعد أن سيطرت عليهم القوى الاستعمارية الأوربية ، وبعد أن تمزقوا أمام تأثير الحضارة الغربية الشاملة •

ففى القرن الثامن عشر كانت هناك ثلاث امبراطوريات اسلامية كبرى : امبراطورية الأتراك العثمانيين فى الشرق الأوسط ، وحوض البحر الأبيض المتوسط ، والامبراطورية الصفوية فى ايران ، وامبراطورية المغول فى الهند •

وفى نهاية القرن التاسع عشر كانت هذه الامبراطوريات الثلاث قد دمرت ، أو أصابها الضعف الى حد كبير •

ذلك أن القوى الأوربية استطاعت أن تحتل أجزاء كبيرة من أرضها ، وأن تسيطر عليها عسكريا ، واقتصاديا •

وفى منتصف القرن العشرين ظهر عكس هذا الاتجاه ، فقد اختفى الاستعمار — بمعناه الدقيق — من رقعة العالم الاسلامى ، وتفجرت سلسلة من حركات الاستقلال فى البلاد الاسلامية ، عبر منطقة استراتيجية مهمة فى العالم ، فهى تمتد من اندونيسيا حتى المحيط الأطلنطى ، ولا نجد اليوم جماعات اسلامية كبيرة تخضع لسيطرة ، أو سياسة استعمارية، أو قوى خارجة عنها •

لقد كان تحقيق الاستقلال السياسى ، ونمو الشعور القومى بين المسلمين مصاحبا لنهضة ثقافية •

ولقد رجع المسلمون مرة أخرى الى ماضيهم ، وتراثهم العريق ، بحثا عن ذاتيتهم ، وعما يرشدهم فى محاولاتهم لمواجهة الظروف الجديدة فى العالم الحديث ، وذلك بعد أن أمضوا عدة قرون من الركود بدوا فيها كما لو كانوا قد فقدوا نشاط الحياة •

ان الاسلام يقف اليوم على مشارف النهضة ، وان المسلمين — وهم يشكلون سبع ، أو أكثر من سبع سكان العالم — يتزايدون كل يوم تعدادا ، وأهمية ، وثروة •

وان الحيوية الجديدة للمسلمين أدت كذلك الى يقظة دينية بينهم ، بدافع من أحاسيس الضعف الداخلى ، والضغط الخارجى ، فاستشرفوا لتجديد ، وتنقية جوانب من تراثهم الدينى ، واصلاح جوانب أخرى •

وان أعظم ما يلاحظ ويسجل اليوم ما نراه لدى المسلمين فى القرن العشرين من اخلاص عميق للاسلام ، فى وقت ضعف فيه الاحتفال بالأديان عموما •

ان الاسلام يستعيد قوته ، وحيويته ، وانه هو أكبر دافع للمسلمين أن يحققوا لأنفسهم مكانة أفضل بين الناس فى العالم •

وان الاسلام ليبدى فى عصرنا الحديث رغبة شديدة فى الدفاع عن نفسه ، تجاه النقد ، والنقد الموجه اليه من الغرب بصفة خاصة •

ومن ثم فاننا نرى آلافا من الكتب التى

صدرت فى هذا العصر ، لتثبت عظمة النبى ﷺ ولتثبت تفوق الاسلام بصفة عامة — على ما عداه من نظم الحياة .

ولقد تفجرت فى كل قطر اسلامى حركات منظمة للبعث ، واحياء القيم ، والمبادىء الاسلامية ، وهى حركات تشهد باهتمام المسلمين بتراثهم الدينى من جديد » . أ هـ

وفى تعقيبنا على ما كتبته دائرة المعارف الامريكية نلحظ فارقا كبيرا بين ما جاء بها عن الشريعة الاسلامية فى طبعتها لسنة ١٩٦٠ ، وطبعاتها لسنة ١٩٧٢ ، وما بعدها .

وسوف لا نلتفت الى ما جاء عن الشريعة فى طبعة سنة ١٩٦٠ ، فانه — على سطحيته ، وفقره الى التدقيق العلمى — لا يخرج عن كونه ترديدا لمزاعم القدامى من المتعصبين الغربيين ضد الاسلام .

انما يعنينا الآن أن نركز النظر فى فقرات وردت بمقالة هذه الموسوعة فى طبعتها لسنة ١٩٧٢ ، وهى فقرات تتصل بموضوعنا — أى بما يراد للشريعة فى الرأى الغربى — ومن بينها : —

١ — أن باب الاجتهاد فى تفسير النصوص الشرعية قد أغلق منذ اكتملت المذاهب الأربعة ، وأن التقليد ساد الى عهد حديث جدا .

وأن المحدثين المتحضرين من المسلمين ينادون بأنه يحق لمن تأهل للاجتهاد أن يعود لمصادر الشريعة ، فيفحصها ، ويستنبط منها .

٢ — أن سلطان الشريعة ، ونفوذها فى معظم الأقطار الاسلامية قد تراجع ، وأن الدول الاسلامية تطبق اليوم مجموعات قانونية ، تعتمد غالبا على النماذج الاوربية .

فاذا احتفظت هذه الدول للشريعة بمكان ، جعلته ضعيف الشأن ، قاصرا على نطاق الأحوال الشخصية وحدها .

واذا كانت الشريعة لاتزال تحكم فى شئون الزواج ، والطلاق فان جهودا ضخمة تبذل الآن فى سبيل التغيير ، ولا يجاد الطرق الملائمة لتطبيق الشريعة فى العصر الحديث .

ولا يفوتنا أن نلفت النظر الى ما أشادت به الموسوعة ، وأشارت اليه ، من حركات الاحياء والبعث الاسلامية .

وأن الاسلام يقف اليوم على مشارف النهضة ، وأن المسلمين يزدادون كل يوم تعدادا ، وأهمية ، وثروة .

وأن الحيوية الاسلامية الجديدة — سياسية ، وثقافية — أدت الى يقظة دينية لدى المسلمين ، بدافع من أحاسيس الضعف الداخلى ، والضغط الخارجى ، فهم يستشرفون اليوم لتجديد ، وتنقية جوانب من تراثهم الدينى ، ولاصلاح جوانب أخرى .

وبالله التوفيق ..

الشيخ محمد حسام الدين

حقوق غير المسلمين
فى ظل تقنين الشريعة الإسلامية

انتهينا فى سلسة مقالاتنا السابقة من بيان مدى ما كفلته الشريعة الاسلامية الغراء لغير المسلمين تأكيدا لحرية العقيدة ، وحماية لدمائهم ، وحفظا لأموالهم .

ونود فى هذا المقام ان نبين الحق الرابع من مجموعة الحقوق التى كفلتها الشريعة الاسلامية لغير المسلمين ، والتى تكشف عن سمو تلك الشريعة وعدالتها ، وصلاحيتها لحكم تصرفات الناس أجمعين فى كل زمان ومكان والى ما شاء الله .

وذلك الحق موضوع هذا المقام هو ما يتعلق بحماية الشريعة الاسلامية لأعراض غير المسلمين .

رابعا : حماية أعراض غير المسلمين :

والعرض : مصلحة شرعية ، بل هو من أخطر المصالح التى قررها الشارع سبحانه ، حيث يعتبر واحدا من الضرورات الخمس التى كفلتها الشريعة الاسلامية ، وضمنت لها أبلغ الحماية ، تأكيدا لجلالها عند الله ، وبيانا لخطرها فى حياة الناس ، وقد أشرنا فى مقال سلف (١) بايجاز الى تلك الضرورات الخمس ، أو ما يؤثر كثير من الفقهاء تسميتها «بالكليات الخمس» .

وهى : الدين والنفس ، والعقل ، والمال والعرض ، لان كل واحدة منهما تمثل فى حد ذاتها ضرورة تتوقف عليها حياة الناس فى الدنيا والآخرة ، وبفواتها كلية ، أو ضياع واحدة منها لا يستقيم معنى الحياة (٢) ، ومن ثم فقد كفل الشارع سبحانه لتلك الضرورات ومنها « العرض » ، ما يحفظ قيامها ، ويضمن وجودها فى حياة الناس ليستقيم معناها على منهاج الله ، ويستقر أمرها على طريق الصلاح والفلاح فى الدنيا والآخرة ، ذلك ان مقصود الشارع من الخلق أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم ، فكل ما يضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الاصول فهو مفسدة ودفعها

---

(١) راجع مقالنا بمجلة الأزهر عدد المحرم ١٤٠٤ هـ اكتوبر ١٩٨٣ م — ص ٢٧ .

(٢) الموافقات للشاطبى — جـ ٢ ص ٦ .

مصلحة ، وهذه الاصول حفظها واقع فى مرتبة الضرورة ، فهى أقوى المراتب فى المصالح التى اعتبرها الشارع (١)، ولهذا كانت تلك الاصول مقررة فى جميع شرائع السماء ، يقول الامام العزالى « وتحريم تفويت هذه الأمور الخمسة والزجر عنها يستحيل الا تشتمل عليه ملة من الملل ، وشريعة من الشرائع التى أريد بها اصلاح الخلق ، ولذا لم تختلف الشرائع فى تحريم الكفر والقتل والزنى والسرقة وشرب الخمر » (٢) ، ومما تجدر الاشارة اليه أن المراد بالمصلحة فى نظر الشريعة ، جلب المنفعة ورفع المضرة فى حدود المحافظة على الاحكام الشرعية ، فاذا ما تعارض تقدير المصلحة مع حكم من احكام الله فلا اعتبار له ، اذ المعول عليه هو الموافقة لحكم الشارع ، فاذا ما وقع الأمر مخالفا له فلن يستأهل وصف المصلحة مهما ظهر من وجوه النفع فيه ، ومن ثم فان ادراك المصلحة فى أمر لا يكون الا لمزاول للشرع واقف على مراميه من شرعية الاحكام ، وعالم بالحلال والحرام ، حتى يستطيع أن يتبين اعتبار الشرع للمصلحة وصلاحيتها لترتيب الحكم على وفقها ، أو عدم اعتباره .

العرض ووجه المصلحة فيه ..

والعرض كما يقرر علماء اللغة : هو جانب الرجل الذى يصونه من نفسه وحسبه ان ينتقص ويثلب ، وسواء كان فى نفسه أو سلفه أو من يلزمه أمره ، أو موضع المدح والذم منه ، أو ما يفتخر به من حسب وشرف ، وقد يراد به الآباء والاجداد والخليقة المحمودة (٣) .

وعند فقهاء الشريعة :

لم اقرأ له تعريفا يوضح ما هيته ، ويمكن تعريفه بأنه : ما قرره الشارع سبحانه لحماية موضع الشرف فى الانسان ، ومن المؤكد أن معناه يرتبط بمكان التناسل من أهله ومحارمه ، ليصان عن التعدى والعبث ، ويرتفع عن اللعب والدنس ، ويكون مولدا للذرية الطاهرة والنسل الشريف ، فيهنأ كل فرد فى أسرته ، ويطمئن كل انسان على ولده ، من ثم تتجلى نعمة الله على البشرية فى أسمى صورها وأرقى معانيها حين جعل الولد من اعظم النعم على الانسان ، ولا يمكن ان تستقيم حياة الناس فى مجتمع يستحل كل واحد فيه عرض أخيه ،

(١) الامام الغزالى المستصفى جـ ١ ص ٢٨٧

(٢) نفس المرجع والمكان السابقين .

(٣) القاموس المحيط ـ حـ ٢ ص ٣٤٧ .

فيستبيح لنفسه العبث بشرف المحرمات العفيفات ، فان من يستمرىء مثل هذا العمل القبيح يرتكب أمرا محرما شرعا نهى الله عنه، وشرع العقوبات الزاجرة له ، ومن شأن هذا الصنيع الذميم ، انه يضيع الحقوق حين يولد وليد فينسب الى رجل لا صلة له به ، وتؤدى الى انتشار العداوة والبغضاء والتقاتل .

وصدق الله العظيم اذ يقول :

« وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا » (١) .

أى وبئس طريقا وطريقة ومسلكا (٢) .

ولا يخفى ما وراء تقرير كل ذلك من تحقيق الخير للناس واستقرار حياتهم على طريق السعادة فى الدنيا والآخرة ، حين تصان الاعراض ويحفظ النسل ، ولهذا كان العرض مصلحة ، وهذه المصلحة على نحو ما رأينا تقوم على أساس ثابت من شرع الله ، لأستنادها الى المنقول والمعقول فيه .

مقومات حماية الأعراض :

وقد سلكت الشريعة الاسلامية فى حماية أعراض الناس مسلكا يعكس خطورة المصلحة الكافية فيه ، وما تكفله من سعادة حقيقية للناس فى دنياهم وأخراهم ، فجاء أسلوب تلك الحماية فى الفقه الاسلامى كاملا متكاملا ، ليحقق أمرين :

أولهما : احترام أعراض الناس على نحو يجسد تلك المقاصد الجليلة فى حياتهم ، ليصون موضع العفة والشرف منها ، ويحمى الحقوق التى تنشأ عنها ، والتى تحتل مكانة مقدسة فى قلوب الناس ، لورود مصدرها عن الشرع القويم ، ومواءمة أحكامها للطبع السليم ، وقد جاء هذا المعنى من خلال ماشرعه الله من حل النكاح وتحريم السفاح ، ليكون الزواج هو الطريق الشرعى لاستحلال العرض وصيانة النسب .

ثانيهما : تقرير العقوبة التى تدرأ الاعتداء على أعراض الناس وتمنع وقوعه .

ولا شك أن حماية العرض دون وضع للعقوبة التى تكفل تلك الحماية يجعل منها أمرا نظريا قد لا يتمشى مع ما فطر عليه الطبع عند كثير من الناس ، كما ينأى بفكرته عن غايتها ، ويؤدى الى التطاول عليه ، والاجتراء على انتهاك حرماته .

ويلاحظ من هذين الأمرين أن مقومات حماية العرض يمكن ردها الى اصلين ، سوف نشير اليهما ، ثم نقوم ببيانهما على النحو الذى تقتضيه تلك الدراسة .

الأصل الأول : تشريع وسائل حماية الاعراض :

(١) الاسراء — آية ٣٢ .

(٢) تفسير النسفى — حـ ٢ ص ٣١٣ ومختصر تفسير كثير — حـ ٢ ص ٣٧٦ .

لم يشأ الحق سبحانه ، وقد خلق الانسان لتعمير الكون مدى الحياة والى أن تنتهى الدنيا ، أن يتركه مجردا من المبادىء التى تصل به الى تحقيق ذلك الهدف فجاءت أحكام شرعه الحكيم محققة لتلك الغاية وموصلة اليها ، وكما شرع الله المعاملات لحفظ الحياة ، شرع لعباده النكاح ليكون وسيلة لبقاء النوع الانسانى ، وطريقا للتناسل والتوالد ، وسبيلا لظهور جيل بعد جيل يعمر الحياة ، ويسعى فى مناكب الأرض بالخير والاصلاح ، والنكاح مع كل تلك المقاصد الجليلة » يهذب الغريزة ، ويرتقى بالطبع ، ويصل بالنفس الانسانية الى أقصى آدميتها ، ليكون الانسان به أهلا لشرف الخلافة عن الله عز وجل .

ولهذا كان شأن الزواج خطيرا لأنه هو البديل الشرعى للوطء الحرام وهو الوجه الذى يبغضه الشارع وينهى عنه ، وكان فى تشريعه اتمام لتكريم الله للانسان (١) ، النكاح — اذا — هو مناط الأصل الأول فى حماية الأعراض ، ولهذا ينبغى التعريف به بالقدر الذى يبرز هذا المعنى فيه .

تعريف النكاح وبيان آثاره :

والنكاح لغة : هو الضم والجمع (٢) ، ومنه تناكحت الاشجار ، أى تمايلت وانضم بعضها الى بعض ، وقد نقل العلماء فى معنى هذا اللفظ أقوالا أربعة ، وهى أن النكاح حقيقة فى العقد مجاز فى الوطء ، لقوله تعالى :

« فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ » (٣) .

والوطء لا يجوز الا بالأذن ، وقيل بالعكس ، أى أنه حقيقة فى الوطء مجاز فى العقد ، لقوله ﷺ تناكحوا تكثروا » (٤) ، وقيل انه مشترك لفظى فيهما ، وقيل انه بمعنى الضم مطلقا ، والوطء فرد من أفراد الضم ، لأن الضم يشمل ضم الاجسام الى الاجسام أو ضم الأقوال الى الأقوال ، الأول فى الوطء والثانى فى العقد ، ولم يرد النكاح فى القرآن الكريم الا فى العقد (٥) .

وفى اصطلاح الفقهاء :

يعرف النكاح بأنه : عقد يفيد حل استمتاع كل من الرجل والمرأة بالآخر على الوجه المشروع (٦) ، وكلمة « عقد » تشمل العقود كلها التى أحلها الله لعباده ، وجملة « يفيد حل استمتاع كل من الرجل والمرأة بالآخر » ، تخرج غير عقد الزواج من العقود الأخرى المتعددة التى شملتها كلمة عقد السابقة ، وذلك مثل عقد البيع وعقد الاجارة وعقد الرهن وغير ذلك من انواع العقود ، وتقييد الاستمتاع بعبارة « على الوجه المشروع »

(١) راجع فى هذا المعنى « نظام الاسرة فى الاسلام » للدكتور محمد انيس عمارة — ص ١٨ .
(٢) « القاموس المحيط » — جـ ٢ — ص ٢٦٣ .
(٣) النساء آية ٢٥ .
(٤) « نيل الاوطار » — جـ ٦ ص ١١٥ .
(٥) « سبل السلام » — للصنعانى — جـ ٣ ص ١٠٩ ، « ونيل الأوطار » المرجع والمكان السابقين .
(٦) دكتور محمود الطنطاوى « الاحوال الشخصية » — ص ٢٦ — الطبعة الثانية .

يفيدأن الاستمتاع ينبغى أن يكون محـدودا بما أمـرت به الشريعـة ، اذ الاسـتمتاع المشروع هو الذى تدعو اليه الفطرة السليمة ، وهو بالنسبة للرجل مقصور عليه وحده دون سواه ، فيتمتع بزوجته على الـوجه المشروع الذى بينه قول الحق سبحانه وتعالى :

« نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ » (١) •

أما بالنسبة للمرأة فليس الرجل مقصـورا عليها وحدها ، بل يجوز له أن يعدد زوجـاته على النحو الذى بينه الحق فى كتابه ، ومن ثم فيجوز أن يتمتع بها ويتمع بزوجة أخرى له غيرها ، تشاركها فى التمتع بهذا الزوج (٢) •

والعقد ، هو مجموع ايجاب احد المتكلمين مع قبول الآخر ، كقـول الرجـل : زوجتك ابنتى ، فهذا ايجاب ، فأذا قال الآخر : قبلت فهو قبول •

آثار عقد النكاح :

ولا شك أ نعقد النكاح اذا تم صحيحا فانه تترتب عليه آثاره فى حل المتعة ، واسـتحلال العرض ، وبالتالى يكـون الطـريق الشرعى للمحافظة عليه بالنسبة للمسلمين وغـيرهم ، وينبغى أن يكون العقد صـحيحا ، والعقـد الصحيح هو الذى استوفى الأركان والشروط الشرعية ، مثل أن يزوج الرجـل ابنته لمـن خطبها منه ، فيقول زوجتك ابنتى ، ويقـول الآخر :-قبلت بحيث يسمع كل منهما كـلام الآخر ، مع حضور الشهود وسماعهم الكلام الصادر من العاقدين ، ويكون العاقد أهـلا باسلامه وبلوغه وعقله ، وأن تكون المرأة التى يرد عليها عقد الزواج حلالا لمن يريد زواجها وألا يوجد مانع شرعى ، فبذلك يكون العقد صحيحا ويفيد الحقـوق والواجبـات التى جعلها الشارع مقصودة من الزواج ، وبذلك تستحق الزوجة المهر والنفقة ، ويملك الزوج حل الاستمتاع بها ويثبت نسب الأولاد ، كما تثبت حرمة المصاهرة ، فلا يحل للرجـل أن يتزوج بأمها ولا ببنتها وغير ذلك (٣) •

خصائص عقد النكاح :

ولما كان النكاح هو سبيل حماية العرض ، فقد اتسم بمجموعة من السمات التى تبرز فيه هذا المعنى ، ومن ذلك أن الله رغب فيـه •

*** كذلك يسر طريق الوصول اليه ، وقرنه بالوصف الشرعى ، ومهد له بمقدمات تحقق مقصده ، وينبغى الاشارة الى تلك الخصائص بشىء من التفصيل •**

١ ــ قيامه على اليسر والترغيب :

النكاح بديل شرعى لأمر قد نهى الحـق سبحانه وتعالى عنه ، ليكون فى رحلة حمـاية

(١) سورة البقرة آية ــ ٢٢٣ •

(٢) دكتور الطنطاوى ــ المرجـع والمكـان السابقين •

(٣) دكتور محمد أنيس عبادة ــ المرجع السابق ــ ص ١٣ •

للأعراض ،ولما كان كذلك ، فقد أقام الشارع أمره على اليسر والتسهيل ، ليشبع فى النفس حاجة الغريزة التى تحركها لارتكاب الجريمة والتعدى على الأعراض ، فيسر طريق الوصول اليه ، فما هو الا ايجاب وقبول وشاهدان ويتم العقد وتتحقق آثاره ، ومنها حل الاستمتاع بالعرض وحفظه من العبث والضياع ، لم يجعل الشارع من سلطان المادة وقصر ذات اليد عائقا يمنع من تحقيقه ، فأرشد الى أن آثاره المالية ينبغى أن تقوم على اليسر والتسامح .

يقول رسول الله ﷺ : « خير الصداق أيسره (١) » ، وقال لمن أراد الزواج ولم يكن عنده مال : « التمس ولو خاتما من حديد ، ولما لم يجد سأله : هل معك من القرآن شىء ؟ قال : نعم ، وسمى سورا يحفظها ، فقال له النبى ﷺ : زوجتكها بما معك من القرآن » (٢) ، وعلى النحو سهل الشارع سبحانه طريق الوصول الى هذا الاصل الحلال ، ليكون فى يسر الوصول اليه حماية لتلك المصلحة الشرعية المقصودة .

* ولهذا رغب الشارع سبحانه فى الزواج وحث عليه فى أكثر من موضع فى الكتاب والسنة ، قال تعالى :

« وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ » (٣) .

وقال ﷺ « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » (٤) ، ومن ثم وعد الحق سبحانه الذين يرغبون فى الزواج طلبا للعفة والتماسا للاحصان أن يعينهم ويوسع عليهم ، وقد صح عنه ﷺ أنه قال : ثلاثة حق على الله عونهم ، الناكح الذى يريد العفاف ، والمكاتب الذى يريد الأداء والغازى فى سبيل الله »(٥).

ولا شك أن الحث على الزواج والترغيب فيه والوعد من الله بالمعونة عليه يدل على هذا المعنى .

٢ ـ اقترانه بالوصف الشرعى :

ولم يقتصر الأمر فى النكاح عند حد الترغيب فيه والتيسير فى أمره ، بل تعدى ذلك النطاق الى حد التوصيف الشرعى من الله سبحانه وتعالى لذلك العقد ، وفى هذا الصدد يقرر الفقهاء أن الزواج يوصف بالأحكام الشرعية التكليفية ويوصف بها ، ومن ثم قد يكون فرضا أو واجبا ، وقد يكون مندوبا أو مباحا أو حراما أو مكروها ، والزواج يكون فرضا اذا كان الشخص قادرا على مؤنته من المهر والنفقة وحقوق الزوجية ، ويتأكد أنه سيقع فى الحرام ان لم يتزوج ، فى هذه الحالة يكون الزواج فرضا ويكون تركه حراما ، لأنه

(١) سبل السلام ـ جـ ٣ ص ١٥٢ .
(٢) نيل الاوطار ـ جـ ٦ ص ١٩٢ .
(٣) سورة النور ـ آية ٣٢ .
(٤) نيل الاوطار ـ جـ ٦ ص ١١٣ .
(٥) مشكاة المصابيح ـ جـ ٢ ص ١٦٠ ، ونيل الاوطار ـ جـ ٦ ـ ص ١١٤ .

سيؤدى الى الزنا وهو حرام ، وما يؤدى الى الحرام يكون حراما ، ويكون الزواج واجبا اذا خاف الشخص على نفسه من الوقوع فى الزنا اذا لم يتزوج مع القدرة على مؤن الزواج وعلى حقوق الزوجية ، ويكون الزواج سنة فى حالة الشخص العادى المعتدل الذى لا يخشى من الوقوع فى المعصية ولا يخاف الوقوع فى الظلم ، فاذا ما تيقن الرجل أنه سيظلم اذا تزوج أو كان غير قادر على الزواج يكون أمره حراما بالنسبة له ، فان كان يخاف الظلم فان الزواج يكون بالنسبة له مكروها .

ويظهر من خلال ذلك التوصيف لعقد النكاح ، أنه قد يكون مطلوبا على سبيل الجزم من الله ، حين يكون فرضا أو واجبا ، فاذا ما فعله العبد يكون قد فعل واجبا يثاب عليه ، واذا تركه يكون قد أثم فى أمر يستوجب العقاب ، وفى ذلك ما يدل على ضرورة حسن الاستقامة فيه وتحمل مسئولياته من الصبر على الزوجة وجميل عشرتها والانفاق عليها وعلى ولده منها على النحو الذى أمر به الشارع سبحانه ، ليحقق الزواج رسالته ويكون كما أراد الله وسيلة لحفظ الأعراض وصيانة الأنساب .

٣ ـ اختصاصه بمقدمات تحقق مقصده :

ونظرا لأهمية عقد الزواج وخطورة آثاره فقد اختصه الشارع سبحانه بمقدمات تمهد له ، وتؤدى الى تحقيق مقصده فى حماية العرض ، وصيانة النسب ، فشرع الخطبة لتكون أسلوبا مقننا للمودة والتعارف حتى يتم عقد الزواج على أساس من الألفة والتراحم ، وحتى لا يستبيح الرجل لنفسه التلصص على عوارت الناس مستهدفا أمورا تمس العرض والشرف ، أو تتوخى أغراضا لا تتفق مع ما شرعه الله فى علاقة الرجل بالمرأة ، فهى بحدودها الشرعية تكفل للرجل أن يطلب التزوج بالمرأة ، وتعصمهما من فساد الخلوة ، وتحمى الأسرة من الاختلاط المريب والتصرف العابث حتى يتم الزواج على أساس من الطهر والعفة امتثالا بما أمر به الشارع وأرشد اليه .

ومن قبل أمر المؤمنين بغض البصر وحفظ الفرج ، كما أمر المؤمنات بذلك ، ونهى عن التبرج وابداء الزينة ، وجاء أمره لذلك قبل أمره بطلب النكاح ، كما أمر الذين لايجدون نكاحا بالتعفف عن الحرام ، قال تعالى :

« وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحَاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ » (١) .

(١) سورة النور ــ آية ٣٣ .

فربط بين الاجتهاد فى طلب العفة والزواج ربطا يعصم من الفتنة ، ويبعد عن مواقعة المعصية ، وهو غض البصر ثم بالنكاح المغنى عن الحرام المحصن للدين ، ثم بعزة النفس الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى أن يقدر الرجل عليه (١) ، ولا يخفى ما فى الأمر بذلك من حماية الأعراض وطهارة الأنساب .

شمول الحماية لأعراض غير المسلمين :

والحق سبحانه حين شرع النكاح وجعله أداة لحفظ العرض وشرف النسب لم يشأ أن يجعله مقتصرا على المسلمين وحدهم ، بل ان نطاق الحماية فيه يمتد ليشمل بالحفظ والرعاية أعراض غير المسلمين ، ليتعين النكاح طريقا لحفظ أعراضهم ، فلا يجوز لمسلم أن يأتى عملا ينال منها ، وهو ان أراد الاستمتاع فلا سبيل له الا أمانة الله ، ولا طريق أمامه الا كلمة الله فى ميثاق غليظ ، يحفظ العرض ، ويصون الحق ، فلا تبذل المرأة موضع العفة منها الا فى اطار من الاجلال والتكريم ، فالنكاح هو الطريق لاستحلال أعراض غير المسلمين من أهل الكتاب ، وقد قام الدليل على ذلك من الكتاب والاجماع وآثار اصحابة :

١ ــ من الكتاب :

يقول الله تعالى :

« الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (٢) .

ووجه الدلالة فى هذه الآية الكريمة :

انها قد دلت على التزوج بالمحصنات ، أى العفيفات من المؤمنات والمحصنات من أهل الكتاب ، وفى هذا ما يشير الى أن المرأة الكتابية كالمرأة المسلمة فى حل العرض . فيكون الزواج هو الطريق لذلك ، ولا شك أن المرأة الكتابية تختلف فى هذا الحكم عن المشركة التى لا تدين بدين سماوى فلا يجوز للمسلم أن يتزوج بالأخيرة ، لقوله تعالى :

« وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ » (٣) .

ولقوله تعالى :

« وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ » (٤) .

(١) راجع : تفسير النسفى ــ ج ٣ ــ ص١٤٢ ، ومختصر تفسير ابن كثير ــ ج ٢ ص ٦٠٣ .
(٢) سورة المائدة ــ آية ٥ .
(٣) سورة البقرة ــ آية ٢٢١ .
(٤) سورة الممتحنة ــ آية ١٠ .

وقد روى ابن هشام فى سيرته أن النبى ﷺ تزوج من صفية بنت حيى وكانت قبل بنائه بها يهودية ،وتزوج أيضا من السيدة مارية القبطية (١) ، وفى ذلك ما يدل على مشروعية النكاح بالكتابيات .

٢ ــ ومن الاجماع :

فقد أجمع الفقهاء على جواز نكاح المرأة الكتابية ، فيكون النكاح هو طريق استحلال عرضها ، وحكى هذا الاجماع محمد بن رشد فقال « اتفقوا على أنه يجوز أن ينكح الكتابية الحرة » (٢) .

٣ ــ ومن آثار الصحابة :

ما روى أن عثمان ــ رضى الله عنه ــ تزوج من نائلة بنت القرافصة وهى نصرانية وأن طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية ، وأن حذيفة تزوج يهودية » ، ومن المؤكد أن هذه الآثار ،تدل على جواز نكاح الكتابية ، وفى هذا أبلغ التكريم لها ، لأن الله قد جعل القوامة عليها لرجل مسلم يؤمن برسالة محمد ﷺ ويسير على هديها فى الحياة ، ،هو مع ذلك لا ينكر رسالة موسى ولا رسالة عيسى عليهما السلام لأن المسلم يؤمن بأنبياء الله ورسله جميعا ويتبع سيدنا محمد ﷺ وحده فى هديه وتعاليمه التى تقرر حرية العقيدة ، وهذا أمر من شأنه أنه يكفل للمرأة الكتابية فى بيت المسلم الأمان على دينها ، واستقامة الحياة مع زوجها ، والأمر مختلف بالنسبة لزواج المسلمة من غير المسلم ولهذا حرمه الشارع بقوله تعالى :

« فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ » (٣) .

وانعقد الاجماع على عدم جواز المسلمة من غير المسلم سواء كان كتابيا أم غير كتابى(٤) ، وبهذا يتحقق الأصل الأول فى حماية أعراض غير المسلمين .

الأصل الثانى : تقرير العقوبة لحماية الأعراض :

ولم يقتصر الأمر فى حماية الأعراض على مجرد تشريع الوسائل التى تحقق تلك الغاية بل تعداه الى تقرير العقوبات التى تدرأ وقوع التعدى على العرض ، وتمنع حدوثه ، ذلك أن كثيرا من الناس قد لا يأبهون بما شرعه الله لعفة النفس وطهر المجتمع ، وقد

(١) السيرة النبوية ــ لابن هشام ــ القسم الثانى ــ ص ٣٣١ ومابعدها ــ الطبعة الثانية .

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ــ جـ ٢ ص ٤٣ .

(٣) سورة الممتحنة ــ آية ١٠ .

(٤) حكى هذا الاجماع ابن المنذر ، راجع المغنى لابن قدامة ــ جـ٦ ص ٤٧٢ .

تضعف نخوة الايمان فيهم ، فيساقون لداعى النفس ، ويرتكبون أبشع جريمة تنال من طهر المجتمع وعفافه ، وتنطوى على استخفاف صارخ بكل معانى الشرف فيه ، وتتضمن اعتداء سافرا على العرض وهو من أخطر مصالح الناس التى اعتبرها الحق سبحانه ، ولهذا شرع الله حد الزنى وأمر باقامته تطهيرا للمجتمع من عناصر الفساد وحماية لمبادىء الاخلاق والفضيلة ، وصونا للامة من عوامل السوء والانحلال ، اذ لا قوة لأمة يتفشى فيها هذا المرض اللعين ، ويستبيح فيها عدد من الناس انتهاك حرمة العرض والاعتداء على الشرف والفضيلة .

والحدود هى العقوبات المقررة فى الكتاب والسنة حماية لحق الله تعالى (١) ، وهى كما يقول الماوردى : « زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر ، لما فى الطبع من مغالبة الشهوات الملهية عن وعيد الله فى الآخرة لعاجل اللذة ، فجعل الله من زواجر الحدود ما يردع به الجناة ، حذرا من ألم العقوبة وخيفة من نكال الفضيحة ، ليكون ما حظر من محارمه ممنوعا ، وما أمر به من فروضه متبوعا ، فتكون المصلحة أعم والتكليف أتم » (٢) ، وقد حمى الحق سبحانه العرض بعقوبة حدية ، ثبتت مشروعيتها بالكتاب والسنة واجماع الأمة .

جريمة التعدى على العرض :

* والتعدى على العرض جريمة تستوجب العقاب بحد الله ، وهى تستأهل ذلك حين يصل خطرها الى حد معين قرره الفقهاء ويتمثل فى النموذج الكامل لجريمة الزنا ، فالذى يوجب الحد هو تلك الجريمة البشعة التى تنطوى على أخطر صور التعدى على العرض ، والزنا ، هو كل وطء وقع على غير نكاح صحيح ولا شبهة نكاح ولا ملك يمين (٣) ، أو هو وطء الرجل المرأة فى القبل فى غير الملك وشبهته (٤) ، ويظهر من خلال تعريف الزنا أنه جريمة تتحقق بالوطء فى غير نكاح ولا شبهته ، ومن ثم كان الحظر فيه على العرض عاما لا يقتصر على عرض المسلم ، بل يشمل مطلق الوطء فى غير نكاح بالنسبة للمسلمين وغير المسلمين .

عقوبة جريمة العرض :

ولما كانت جريمة الزنا تمثل أقصى درجات التعدى على العرض ، فقد وضع الله لها العقوبة التى تتواءم مع الخطر الناشىء عنها ، وهى حد الزنا ، بأن يرجم الزانى بالحجارة حتى يموت اذا كان محصنا أى متزوجا وعلى هذا اجماع الصحابة (٥) ،

---

(١) « نيل الاوطار » للشوكانى — جـ ٧ ص ٩٨ ، وسبل السلام — حـ ٤ ص ٣ ، « والهداية شرح بداية المبتدى — للمرغنانى الحنفى — حـ ٢ ص ٩٤ .
(٢) « الاحكام السلطانية » — أول باب الحدود
(٣) « بداية المجتهد » — جـ ٢ ص ٤٢٤ .
(٤) « الهداية » شرح بداية المبتدى — جـ ٢ ص ٩٦ .
(٥) المرجع والمكان السابقين .

يخرجه الامام الى أرض فضاء ويبتدىء الشهود برجمه ثم الامام ثم الناس ، ثم يغسل ويكفن ويصلى عليه ، فان لم يكن متزوجا وكان حرا فجلده مائة جلدة يأمر الامام بضربه بسوط لا ثمرة له ضربا متوسطا بين المبرح وغير المؤلم ، وتنزع ثيابه ويفرق الضرب على أعضاء جسده الا رأسه ووجهه وفرجه ،ويضرب الرجال فى الحدود قياما والنساء قعودا ، ويحفر للمرأة فى الرجم ولا يحفر للرجل (١) ، وهناك عقوبة اضافية مع الجلد هى الامساك فى البيوت بالنسبة للمرأة ، وتغريب عام بالنسبة للرجل وذلك بعد توقيع الجلد عليهما (٢) ، والجانى يستحق هذه العقوبة اذا ارتكب جريمة الزنا سواء زنى بمسلمة أم كتابية ، مما يدل على شمول الحماية التى تكفلها عقوبة الزنا لاعراض غير المسلمين ، وقد جاءت عقوبة الرجم فى التوراة ، فورد فى سفر التثنية ما نصه :

« واذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل ، فوجدها رجل بالمدينة فاضطجع معها فأخرجوهما كليهما من المدينه وارجموهما بالحجارة حتى يموتا (٣) » •

مصادر حماية أعراض غير المسلمين :

وحق غير المسلمين فى الحماية من الاعتداء الذى يقع على أعراض نسائهم على نحو ما رأينا ، يستند الى كتاب الله الكريم ، وسنة نبيه ﷺ وآثار الصحابة والمعقول ، وذلك على النحو الآتى :

١ ــ من الكتاب :

يقول الله تعالى :

« الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ » •

ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم :

ان الحق سبحانه قد أمر بجلد الزانى والزانية ، واللفظ عام يشمل الزانى مطلقا سواء زنى بمسلمة أم غير مسلمة ، وقد بينت السنة ، وأجمع الفقهاء (٤) • على أن حد الزانى المحصن أى المتزوج الرجم ، فيكون الجلد للزانى غير المحصن ، وفى هذا دلالة على شمول الحماية التى كفلتها العقوبة لأعراض غير المسلمين •

(١) المرجع والمكان السابقين •
(٢) راجع بحثا للامام محمد ابو زهرة ــ « نظرة الى العقوبة فى الاسلام » ــ منشور بكتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية ــ ص ١٨٣ •
(٣) مشار اليه بالمرجع السابق ــ ص ١٨٧ •
(٤) حكى الاجماع صاحب الهداية ــ جـ ٢ ص ٩٦ ، وصاحب بداية المجتهد ــ جـ ٢ ص ٤٢٦ •

٢ ــ ومــن الســنة :

(أ) ما روى عن جــابر بن عبــد الله : « أن رجــلا زنى بامرأة ، فأمــر به النبى ﷺ فجلد الحد ، ثم أخبر أنه محصن فأمر به فرجم »

ووجه الدلالة فى هذا الحديث الشريف :

أنه قد دل على جلد الزانى اذا كــان غير محصن ، ورجمــه اذا كان محصنا ، والدلالة فيه عامة تشمل الزانى مطلقا سواء اجــرم مع مسلمة أم كتابية .

(ب) وبما روى عن عبادة بن الصــــامت قال : « قال رسول الله ﷺ خــذوا عنــى ، خــذوا عنى ، قــد جعــل الله لهن سبيلا ، البكــر بالبكــر جلــد مائة ونفى ســـنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » (١) .

ووجه الدلالة فى هذا الحديث الشريف :

أن رسول الله ﷺ قد جعل حد البكــر أى التى لم تتزوج جلد مائة وجعل حد الثيب جلد مائة والرجم ، ودلالة الحديث عامة لم تفــرق بين بكر وبكر ، ولا بين ثيب وثيب اذا زنيا ، والبكر هى التى لم تتزوج ، ويأخذ الرجــل حكمهــا اذا لم يتــزوج ، والثيب هى التى تزوجت ، ويأخذ حكمها الرجل المحصن ، فاذا زنى بامرأة فانه يحد سواء كانت المرأة مسلمــة أم كتابية ، وفى هذا ما يدل على المطلوب .

٣ ــ ومن آثار الصــحابة :

ما روى عن عمر بن الخطاب أنه قال : وكان مما أنزل على رســول الله ﷺ آية الــرجم فقرأنــاها ووعينــاها ، ورجم رســـــول ﷺ ورجمنا بعده (٢) » فقول عمر بن الخطاب ورجمنا بعده ، يدل على تقييد ما فعله بفعــل النبى ﷺ فى الرجم ، ولم يكن عليه الســلام يفرق بين زان وزان فى اقامة الحد بالجلد أو الرجم ، وفى هذا دلالة على شمول الحمــاية لأعراض غير المسلمين .

٤ ــ ومن المعقــول :

ان اقامة الحد على الزانى اذا زنى بغــير مسلمة ، يتواءم مع آثار عقــد الجــزية اذ بمقتضاه يكون لهم ما للمســـلمين وعليهم ما عليهم ، ولا يليق بمشرع حكيم أن يعــاقب

---

(١) نيل الاوطار للشوكانى ــ جـ ٧ ص ٩٨ .

(٢) المرجع السابق ــ ص ١٠٢ .

على الزنا اذا وقع من مسلم على مسلمة ، ثم ثم يعفى من العقاب اذا وقع على غير مسلمة ، وهذا يدل على شمول العقوبة للفعل مطلقا سواء وقع على مسلمة أم غير مسلمة ، ويمثل هذا التشريع المحكم حفظ الشارع الحكيم سبحانه الاعراض بالنسبة للمسلمين وغيرهم .

نهاية البداية :

ذلك ما وفقنى الله لصياغته فى هذا الموضوع المهم ، وبختام هذا المقال اكون قد أشرت الى الحقوق التى كفلتها الشريعة الاسلامية لغير المسلمين وهى كثيرة ، تناولت منها بالدراسة على صفحات هذه المجلة الغراء :

حرية العقيدة .

وحق الحياة .

وحماية الاموال والاعراض .

وانه لجهد المقل ، لا أدعى أننى قد كشفت فيه عن كل مسائل الموضوع ، لأنه أكبر من أن يحيط به مثلى ، وأرجو أن أكون قد فتحت الباب أمام غيرى لمواصلة تأصيله ودراسته ، لأنه يكشف عن سمو الشريعة الاسلامية وسماحتها ، وصلاحيتها للتطبيق فى كل زمان ومكان ، كما أنه يمسح بيد الامن والطمأنينة على قلوب الذين يخافون من تطبيق شرع الله ، ظنا منهم أن مثل هذا العمل العظيم سوف ينال من المراكز القانونية لغير المسلمين ، مع أن شريعة الله هى التى كفلت هذه الحقوق للناس أجمعين .

ولا أخفى القارىء أن هذا الظن هو الذى دفعنى دفعا للكتابة فى هذا الموضوع ، ويعلم الله كم بذلت من جهد ، وأخلصت من سعى ، رجاء أن يحالفنى توفيق الله فيما قصدت ، ولن يفتر لسانى عن طلب الصفح والمغفرة من الله ، عما يكون قد صدر منى من سوء الفهم وخطأ التعبير ، وأدعوه سبحانه أن يتقبله منى خالصا لوجهه ، وأن يوفقنى لاعادة صياغته على النحو الذى يزيد النفع به . .

ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطانا .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب .

دكتور عبد الله مبروك النجار

الرحمة وأثرها في المجتمع

للدكتور محمد عبد السميع

الرحمـة : الرقة والتعطف ..

ولها عـدة معان بحسب وقوعها فى الكلام . ومن أسماء الله تعالى الرحيم . ويدل على عظيم رحمته سبحانه بخلقه قوله عز وجل :

« وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ » (١) . ولقد وصف الله تعالى نفسه فى كثير من الآيات القرآنية بالرحمة والمغفـرة والرأفة حتى لا يقنط الناس من رحمته ، كما وصـف نفسـه بأنه شديد العقاب ليحضهم على طاعته وقال تعـالى : « إِنَّ اللَّـهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ » (٢) وقـال سـبحانه « اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (٣) .

ولقد امتدح الله نبيه محمدا صلوات الله وتسليماته عليه بالرأفة والرحمة .

فقال عز وجل : **« لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » (٤) .**

وان سيرة النبى ﷺ مع الناس بمثـابة أنموذج للرقة واللطف والسـماحة والعطف .

---

(١) الاعراف : الآية ١٥٦ .
(٢) الحج : الآية ٦٥ .
(٣) المائدة : الآية ٩٨ .
(٤) التوبة : الآية ١٢٨ .

الرحمة وأثرها

قال تعالى « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ » .

ومدح الله نبيه محمدا ﷺ وأصحابه بقوله جل شأنه : —

« مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » .

أجل ان الرجل قد يهش لأصحابه حين يلقاهم ، وقد يرق لأولاده حين يراهم ، وذلك أمر يشيع بين الكثير ، بيد أن المفروض فى المؤمن أن تكون دائرة رحمته أوسع ، فهو يبدى بشاشته ، ويظهر مودته ورحمته لعامة من يلقى فعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لا يرحم لا يرحم » وسبب هذا الحديث كما رواه جرير بن عبد الله البجلى — أن النبى ﷺ قبل الحسن والحسين ، فقال الأقرع بن حابس : لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فنظر اليه ﷺ وقال : « من لا يرحم لا يرحم » .

قال عيسى عليه السلام : — « لا تنظروا فى عيوب الناس كأنكم أرباب ، أنظروا فيها كأنكم عبيد ، انما الناس مبتلى ومعافى ، فارحمو أهل البلاء ، واحمدوا الله على العافية (١) وفائدة الرحمة : اللطف بالمبتلى والضعيف ، وكشف ضره والاحسان اليه ، وقال ابن عطاء الله السكندرى : من اطلع على أسرار العباد ، ولم يتخلق بالرحمة الالهية ، فاطلاعه فتنة عليه وسبب لجر الوبال عليه .

ولقد وصف الله المجتمع المسلم بأنه متماسك بهذا العطف المتبادل . فقال عن أهله : —

« أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ »(٢)

وان رسالة الاسلام خير وسلام وعطف على البشرية جميعها فقال فى شأن خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد ﷺ : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » (٣) . وسور القرآن مفتتحة بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) وقال رسول الله ﷺ : « جعل الله الرحمة مائة

---

(١) الحديث اخرجه الامام مالك فى الموطأ فى كتاب الكلام: "باب مايكره من الكلام بغير ذكر الله" جـ ٢ ص ٩٨٦ رقم ٨ طبعة عيسى الحلبى وشركاه بلفظ :

وحدثنى مالك انه بلغه : ان عيسى ابن مريم كان يقول: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فتقسوا قلوبكم ؛ فان القلب القاسى بعيد من الله ، ولكن لاتعلمون ؛ ولاتنظروا فى ذنوب الناس كأنكم أرباب وانظروا فى ذنوبكم كأنكم عبيد . فانما الناس مبتلى ومعافى . فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية .

وهو حديث مرسل . وقد وصله العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه ، عن أبى هريرة. الباجورى .

(٢) المائدة الآية ٥٤ .

(٣) الأنبياء الآية ١٠٧ .

جزء ، وأنزل فى الارض جزءا واحدا ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » (١) .

وجعل الله المودة والرحمة بين الزوجين فقال تعالى : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ »(٢).

ونبه الاسلام الى أن هناك أقواما مخصوصين ينبغى أن يحظوا بنصيب موفور من الرحمة والعناية فى مقدمتهم الوالدان ثم الأولاد ثم الأقرباء ثم سائر الناس . فرحمة الولد بوالديه مظهرها بره بهما لأنهما سبب وجوده فى الحياة . قال تعالى :

« وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا » (٣) .

ثم الرحمة بالأولاد . فعن البراء بن عازب — رضى الله عنه قال : أتى أبو بكر عائشة — رضى الله عنهما — وقد أصابتها الحمى — فقال :

كيف أنت يابنية — وقبل خدها » رواه البخارى .

ثم الرحمة بالأقرباء لذلك قرن الله الأمر برعاية حقوق الأقارب والأرحام بالأمر برعاية تقواه . قال تعالى :

« وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا » (٤) .

ومن هذا المنطلق لا يسوغ للمسلم أن يوصد بيته وقلبه دون أقاربه ، وأن يبتر علائقهم فيحيا بعيدا عنهم ، لا يواسيهم فى ألم ، ولا يسدى اليهم عونا . ان هذه القطيعة تحرم الانسان من بركة الله ، وتعرضه لسخطه ، فعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« الرحم شجنة من الرحمة ، تقول : يارب انى قطعت . يارب انى أسىء الى ، يارب انى ظلمت . يارب . يارب . فيجيبها ألا ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك » رواه أحمد فى مسنده .

وفى الحديث الشريف أيضا : « من أراد أن يبسط له فى رزقه ، وينسأ له فى أثره فليصل رحمه»(٥). وممن تجب الرحمة بهم اليتامى فان الاحسان اليهم ، والبر بهم وكفالة معيشتهم ، وصيانة مستقبلهم من أزكى القربات ، فعن

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الادب باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته جـ ٨ ص ٩ ط الشعب .

(٢) الروم الآية ٢١ .
(٣) الاسراء الآية ٢٥ .

(٤) النساء الآية ١ .
(٥) حديث : من اراد ان يبسط له رزقه .. الخ الحديث:اخرجه البخارى فى"كتاب الادب:باب من بسط له فى الرزق لصلة الرحم"جـ ٨ص٦ ط الشعب من رواية ابى هريرة .

الرحمة وأثرها

أبى هريرة — رضى الله عنه — أن رجلا شكا الى رسول الله ﷺ قسوة قلبه ، فقال : امسح رأس اليتيم ، واطعم المسكين • وفى رواية أن رجلا جاءه يشكو قسوة قلبه فقال له : أتحب أن يلين قلبك ، وتدرك حاجتك ؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه ، وأطعمه من طعامك يلن قلبك ، وتدرك حاجتك » •

وتجمل الرحمة مع المرضى وذوى العاهات ، فان أولئك المصابين يستقبلون الحياة بوسائل منقوصة تعجزهم عن المسير فيها ، وادراك لبناتهم منها ، وقد عذرهم الله عز وجل • فلا يجوز أن نؤاخذهم بما أعفاهم الله منه « لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ » لأن المريض شخص قيدته العلة ، ونغصه حر الداء ومر الدواء •

استدراك

* **في الخطأ والصواب:**

(فى مجلة) سطر ٦ ص ٢٤ صوابه (فى مجلد) •

(ثغروقا) سطر ٦ ص ٨٧٦ صوابه (ثفروقا)

(هل تغنى النذور) ص ١٩٠١ ، ١٩٠٢ صوابه:(هل تغنى النُّذُر؟) •

* سقوط أسماء بعض الكتاب أو الخطأ فيها :

منهج الاسلام فى معالجة دوافع السوك ص ٨٢١ عرض الاستاذ عبد العزيز أحمد جيره •

سيد بن على المرصفى (من أعلام الأزهر) المقال للاستاذ سيف النصر عبد الفتاح الطلخاوى كما هو مدون بآخر المقال ص ١٦٥٨ عدد شوال

* عناوين ناقصة :

لمن الخطاب فى قوله تعالى، ص ٨٤٥ •

صوابه : لمن الخطاب فى قوله تعالى : فإن كنت فى شك مما أنزلنا اليك •

* التقديم والتأخير فى الفِقَر :

جاء ص ٩١٩ مقال "من أعلام الأزهر" فصل، فى ترتيب الفِقْرات فبعد نهاية الفقرة : (بين فرنسا وبلجيكا) تأتى مباشرة الفقرة (مشادة بينه وبين السفير) ص ٩٢٥ ثم يلى ذلك الفقرة : (استدعاؤه من فرنسا) ••• الخ

الاحاديث :

الحديث : لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى إلا علىّ (١٨٥٧) وتكرر : وَاهٍ عن الحسن بن عرفه •

الحديث : ان الاسلام نظيف فتنظفوا • ألخ ص (١٤٦١) وتكرر : لم نطلع عليه بهذا النص وروى معنى جزئه الاول •

ومن مواطن الرحمة أن نحسن معاملة الخدم ، وأن نرفق معهم فيما نكلفهم به من أعمال وأن نتجاوز عن هفواتهم ، وأن لا نستهين بهم • فعن أبى مسعود البدرى — رضى الله عنه — قال : كنت أضرب غلاما لى بالسوط ، فسمعت صوتا من خلفى يقول : اعلم أبا مسعود • فلم أفهم الصوت من الغضب فلما دنا منى اذا هو رسول الله ﷺ فاذا هو يقول : « اعلم أبا مسعود : أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام ، فقلت يارسول الله : هو حر لوجه الله تعالى فقال : أما أنك لو لم تفعل للفحتك النار » (١) وجاءه رجل يسأله كم أعفو عن الخادم ؟

قال ﷺ « كل يوم سبعين مرة » (٢) •

والاسلام لم يقتصر فى الرحمة على الآدميين فحسب بل تعداها الى الحيوانات العجماوات فلقد رأى عمر — رضى الله عنه — رجلا يسحب شاة برجلها ليذبحها ، فقال : ويلك قدها الى الموت قودا جميلا •

وقد بين الاسلام ان الانسان على عظم قدره يدخل النار فى اساءة يرتكبها مع دابة عجماء • قال رسول الله ﷺ : « دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض » (٣) •

كما بين الاسلام أن كبائر المعاصى تمحوها نزعة رحمة تغمر القلب ، ولو بسقى كلب • فقال رسول الله ﷺ : —

« بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل ، لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى ، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له ، قالوا : يارسول الله ، وان لنا فى البهائم أجرا ؟ فقال : فى كل ذات كبد رطبة أجر » (٤) •

وجملة القول : أن للرحمة آثارا للفرد والمجتمع حبذا لو تخلقنا بهذا الخلق الحسن وتواصينا بالصبر وتواصينا بالمرحمة •

اللهم انا نسألك رحمة من عندك نهدى بها قلوبنا ، وتجمع بها شملنا •

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب وصلى الله على نبى الملحمة ونبى المرحمة سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم •

د• محمد عبد السميع جاد

---

(١) اخرجه مسلم فى "كتاب الايمان باب صحبة المماليك ، وكفارة من لطم عبده" ج ٣ ص ١٢٧٨ رقم ٢٩ . طبعة عيسى الحلبى .

(٢) حديث كل يوم سبعين .

انظر تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى للمباركفورى ج ١ ص ٨١ رقم ٢٠١٥ نشر محمد عبد المحسن الكتبى المكتبة السلفية المدينة المنورة وقال الترمذى ، حديث حسن غريب .

(٣) حديث دخلت امرأة .

اخرجه البخارى فى "كتاب بدء الخلق باب خمس من الدواب فواسق يقتلن فى الحرم" ج ٤ ص ١٥٧ من رواية ابن عمر .

(٤) ابن حجر — فتح البارى ٤٣٨/١ كتاب الادب باب رحمة الناس والبهائم .

من أعلام الأزهر

الشيخ حسنين مخلوف

مفتى الديار المصرية الأسبق

ولد فضيلته منذ ما يزيد عن تسعين عاما . وألف أول رسالة منذ أكثر من سبعين سنة .

ومن يومئذ وهو يؤلف ويعلم ويعطى للعلم جل وقته .. قارئا ومعلما . ألف العديد من الكتب والرسائل ذات الأثر الطيب .

ونال أكثر من وسام من أرفع أوسمة مصر تقديرا لجهوده العلمية الفذة .

عليه مهابة العلماء وصوته الخافت يترجم عن سنه الكبير . بجواره الكتب والقلم وقبلهما كتاب الله .

مازال ملء السمع والبصر بحمد الله لا فى مصر وحدها بل فى العالم العربى والاسلامى.

جلست اليه قريبا من ساعتين . وهو يتذكر ويتحدث .

***النشاة والشيوخ**

*** قلت : فضيلة الشيخ .نرجو اعطاءنا لمحة سريعة عن نشاة فضيلتكم .**

*** قال فضيلته** : ولدت بالقاهرة ، فى شارع باب الفتوح فى السادس من مايو سنة ١٨٩٠ م والتحقت بالأزهر الشريف فى الحادية عشرة من عمرى حيث حفظت القرآن كله بالأزهر ، وتعلمت التجويد على الامام الشيخ بكر الحداد شيخ القراء بالديار المصرية آنذاك .

وقرأت عليه القرآن الكريم مجودا ثم بدأت الدراسة العلمية بالازهر . وتلقيت الدروس فى مسجد محمد بك أبو الذهب وفى الأزهر على مشايخ عدة أجلاء منهم :

الشيخ عبد الهادى مخلوف والشيخ عبد الله دراز والشيخ عبد الفتاح المكاوى والشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية فى ذلك الوقت والشيخ الدجوى والشيخ محمد راضى البحيرى والشيخ عبد الحكم عطا

أجرى الحديث:
عاطف زهران

والشيخ على ادريس العدوى وغيرهم كثير رحمهم الله وأجزل مثوبتهم .

وكان والدى الشيخ محمد حسنين مخلوف مديرا للأزهر والمعاهد الدينية، ووكيلا لمشيخة الجامع الأزهر، وعنه تلقيت كثيرا من الدروس فى الأزهر .

كان يدرس التوحيد والمنطق والفلسفة والاصول والتفسير بمسجد أبى الذهب، وكان آخر كتاب درسه فى الأزهر هو تفسير الامام البيضاوى للقرآن الكريم، وبينما هو يقرؤه طرأ عليه مرض دام معه شهرا ثم لقى ربه فى المحرم سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م . وقد ترك مؤلفات طيبة منها .

التبيان فى حكم زكاة الأثمان، وتعليقات على رسالة العاملى فى علمى الجبر والحساب، الحاشية الكبرى على المقولات الحكمية فى الفلسفة، والفصول الوافيات فى أحكام المعاملات، والقول المبين فى حكم المعاملة بين الاجانب والمسلمين ... الخ

*** فى القضاء والشرعى**

**** متى بدأت صلة فضيلتكم بالقضاء الشرعى ؟**

* التحقت بمدرسة القضاء الشرعى بشارع البرمونى — وهى تابعة لوزارة الحقانية آنذاك .

ودرست فيها — لمدة أربع سنوات — العلوم الفقهية والعربية والرياضية، وحصلت منها على شهادة العالمية بامتحان أمام لجنة من علماء الأزهر برئاسة الامام الشيخ سليم البشرى . ومنحت العالمية من الدرجة الأولى من هذه المدرسة، ثم رشحت للتدريس بالأزهر زمنا وبعده التحقت بالقضاء الشرعى فى يونية ١٩١٦ قاضيا شرعيا بالمحاكم المصرية فى محكمة مريوط الشرعية فمحكمة الفشن ثم محكمة مصر وطنطا وغيرهما . ومازلت أرقى حتى عينت رئيسا لمحكمة الاسكندرية الشرعية ١٩٤١ م ثم عينت رئيسا للتفتيش الشرعى بوزارة العدل . وأسند الى التدريس فى قسم التخصص بمدرسة القضاء الشرعى، ثم صدر أمر بتعيينى نائبا بالمحكمة العليا الشرعية .

*** مفتى الديار**

*** * أظن أن آخر عمل أسند الى فضيلتكم هو مفتى الديار المصرية .**

فمتى وليتم هذا المنصب ؟

وما طبيعة العمل فيه ؟

*** قال فضيلته** : عينت مفتيا للديار المصرية سنة ١٩٤٥ حتى ١٥ مايو ١٩٥٠ حيث انتهت خدمتى القانونية .

والمفتى عادة يقوم بالاجابة على كل مايعين للمسلمين من مسائل فى الدين ، كما أنه يبحث عن اجابات لما تسأل عنه الحكومة من أحكام دينية للعمل بها شرعا ، وللبعد عما يخالف الاسلام من أعمال . ولذا كان لوظيفة الافتاء أثر خطير فى الدول الاسلامية . فيناط بالمفتى احكام الاسلام فى الواجبات والمحرمات ، وفى الاعمال والتى يباشرها العامة والخاصة من حيث الجواز وعدمه .

*** مآتم وذكرى الأربعين**

وكمثال للفتاوى التى أصدرها فضيلته ذكر لنا فتوى عن (ذكرى الأربعين كانت ردا عن استفسار نشر بجريدة الأهرام سنة ١٩٤٧ عن « حكم احياء ليلة الأربعين » .

فاجاب فضيلته :

ان عامة الناس يحرصون الآن على اقامة مأتم الأربعين(بشكل) لا يختلف عن المأتم يوم الوفاة فيعلنون عنه فى الصحف ، ويقيمون له السرادقات ويدعون القراء وقد ينحرون الذبائح .. ويقيم السيدات بجانب ذلك مأتما بالمنزل للنحيب والبكاء وتجديد الأسى والعزاء.

ولا سند لشىء من ذلك من الشريعة الغراء ، فلم يكن من هدى النبى ﷺ ولا من عمل الصحابة ولا من المأثور عن التابعين اقامة هذه المآتم ، بل لم يكن معروفا عند جمهور المسلمين فى بلادنا بهذه الصورة الراهنة الى عهد غير بعيد ، وانما هو أمر استحدث أخيرا ، وفيه من الابتداع ما نهى عنه شرعا ، وفيه اضاعة الاموال فى غير سبيلها المشروع . وفيه تجديد الحزن وتكرير العزاء وهو مكروه شرعا.

مما يجعلنا نهيب بالمسلمين أن يقلعوا عن هذه العادة الذميمة ، التى لا ينال الميت منها رحمة ولا مثوبة بل لا ينال الحى منها سوى المضرة وخاصة اذا كان القصد باقامتها مجرد التفاخر والسمعة أو دفع الملامة والمعرة . فليعلم الناس أنه لا أصل فى الدين لهذه العادة وأنها بدعة سيئة (١) .

(١) للشيخ حسنين مخلوف رسالة مفصلة فى حكم مأتم ليلة الأربعين وفيما يعمله الاحياء للاموات صدرت سنة ١٩٤٧ فى ٧٠ صحيفة ليرجع اليها من شاء .

* الآثـــار العلمية

* * علمنا أن أول رسالة ألفتموها كانت عن الرفق بالحيوان فى عام ١٩١٢ م ٠

فكانت بفضل الله أول الغيث ، ثم توالى بعدها القطر ٠ ونأمل أن نلم ببعض آثاركم العلمية

* قال مفتى مصر الأسبق :

ألفت العديد من الكتب أذكر منها على سبيل المثال :

(ا) **كلمات القرآن** : تفسير وبيان ٠ وقـــد طبع مرارا بمصر ومكة المكرمة وكثير من البلاد العربية ٠ ولازال يطبع والحمد للـــه ٠ فسرت فيه كلمات القرآن التى تحتاج الى التفســـير بأسلوب مختصر مفيد ٠

(ب) **صفوة البيان فى تفسير القرآن** : وهو جزآن كبيران عنيت فيه بتفسير القرآن لغـــة وتاريخا وأحكاما ٠ وثمرات الطاعات والاحكام وطبع مرارا وانتشر فى بلاد الاسلام ، وقد طبع أخيرا فى « أبو ظبى » ، طبعته الجمعية العلمية طبعة فاخرة ٠

(حـ) **كتاب الفتاوى الشرعيـــة فى جزئين** :

وهو مجموعة فتاوى أصدرتها لا فى خصـــوص

دار الافتاء بل فى حياتى العلمية والفقهية ٠ وقد طبع فى مصر ثم نفدت طبعته وأعيد طبعه ٠

(د) **كتاب المواريث الشرعية** : وقام بطبعه المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فى مصر ٠ حيث تولت لجنة التعريف بالاسلام نشره ٠

(هـ) **وقمت بتحقيق شرح الشـــفاء للقاضى عياض فى خمسة أجزاء** : وألفت غير ذلك رسائل كثيرة أذكر منها ٠

رسالة فى الرفق بالحيوان (١) ٠

رسالة فى فضل القرآن وتلاوته ٠

رسالة فى شرح أسماء الله الحسنى ٠

رسالة فى دعاء يوم عرفة ٠

رسالة فى تفســـير آيـــة الكرسى وســـورة الاخلاص وسورة الضحى ٠

(١) صدرت الطبعة الثالثة منها هدية لمجـــلة الأزهر فى رجب ١٤٠٣ هـ .

رسالة فى تفسير سورة القدر .

رسالة فى ختم القرآن الكريم ووجوب بر الوالدين .

رسالة فى شرح صفات عباد الرحمن .

رسالة الوصايا النبوية ، وشرح وصايا الامام على .

رسالة فى أخطار المعاصى والآثام .

وأعنى الآن بجمع الفتاوى التى أصدرتها فى دار الافتاء المصرية مدة قيامى بأعبائها ، وهى كثيرة جدا . وفيها قمت بالبحث عما يحتاج اليه العالم الاسلامى فى هذه الظروف للعمل بما هو جائز شرعا وترك مالا يجوز .

*** ما بعد الافتاء**

***تركتم دار الافتاء سنة ١٩٥٠ أى منذ أكثر من ثلاثين عاما فماذا أنجزتم فى هذه السنوات المباركة من عمركم المديد — ان شاء الله ؟**

قال فضيلته :

لما أحلت الى المعاش ظللت أعمل مدرسا بالجامع الأزهر لمدة طويلة . درست فيه العلوم الشرعية وعلم المنطق والفلسفة ودرست بعض كتب الاصول فى الفقه . وبعض الكتب الحكمية كالمقولات والهداية .

وقد تم اختيارى فى هيئة كبار العلماء بالازهر سنة ١٩٤٨ . كما وقع اختيارى عضوا بمجمع البحوث الاسلامية .

**** وماذا عن رحلاتكم العلمية خارج القطر ؟**

* كانت لى رحلات علمية عدة الى البلاد الشقيقة ، فقد زرت الاراضى الحجازية عدة مرات ، وزرت رابطة العالم الاسلامى فانى عضو بها منذ انشائها قبل خمس وعشرين سنة وقصدت ليبيا فى عهدها الملكى وعقدت فيها ندوات ودراسات علمية فى منتدياتها اعزازا للاسلام . وزرت مراكش للغرض نفسه واجتمعت بسادتها العلماء والدعاة الاسلاميين للبحث والتشاور فيما يهم المسلمين ويصحح اتجاهاتهم ، كما زرت البحرين « وابوظبى » للاجتماع بالعلماء والدعاة للمناقشة والتشاور فى أمر الدعوة .

**** من طبيعة عمل المفتى أن يتعرض لمسائل مستحدثة لم ينظر فيها من قبل ليفتى فيها ولابد فيها من اجتهاد . فما الشروط الواجب توافرها فى المجتهد ؟ حتى يصبح مؤهلا للاجتهاد فى الدين ؟**

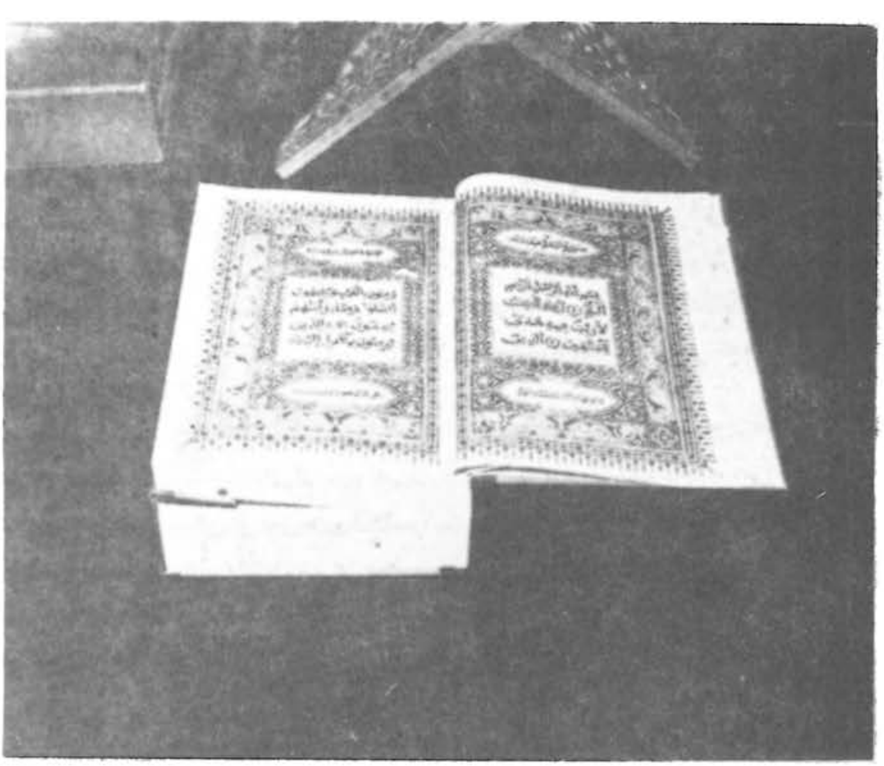

* **فاجاب فضيلته قائلا :** ليس الاجتهاد أمرا يعمد اليه من يشاء • ولكن له شروط وآداب، لايجوز لمن لم تتحقق فيه هذه الشروط أن يجتهد فى أحكام الشريعة ، وهذه الشروط منصوص عليها فى كتب الاصول مثل كتاب جمع الجوامع ، وكتاب التوضيح ، وكتاب سلم الثبوت وغيرها من كتب الاصول (١) •

** **سألت فضيلته عن الجوائز العلمية التى حصل عليها • فهم أن يعتذر عن التحدث فى هذا الأمر • ولكننى طلبت منه لمحة موجزة •**

***فقال :** منحت كسوة التشريف مرتين ، وحصلت على جائزة الملك فيصل فى العام الماضى كما منحت وسام العلوم والفنون من الطبقة

(١) من هذه الشروط : العلم بالعربية ، والعلم بالقرآن ناسخة ومنسوخة ، والعلم بالسنة ، ومعرفة مواضع الاجماع ومواضع الاختلاف ، ومعرفة القياس ومعرفة مقاصد الأحكام ، وصحة الفهم وحسن التقدير ، وصحة النية وسلامة الاعتقاد .

من أعلام الأزهر

الأولى فى احتفالات العيد الألفى للازهـــر ..

ونحن فى غنية عـــن كل ما يقـــدم لنـــا فى هذا الشأن . فان ما نريد هو رضا اللـــه ، وعفوه أولا ، ولا نريد جزاء ولا ثوابا عن عمل صالح إلا من الله تعالى .

كلمات .. وكلمات

**** فضيلة الشيخ .. الشباب هم أمـــل الامة ، وكثير منهم يعيش فى قلق على الحاضر وتشاؤم من المستقبل بسبب ابتعادهم عن تعاليم الدين الحنيف . ونأمل أن يسمع الشباب كلمة منكم تنصحونه : ماذا يعمل ؟**

* **قال الشيخ حسـنين مخلوف** : أقـــول لأبنائى : اقرأوا وردا يوميا من القرآن الكريم . مع محاولة لفهم ما تتلونه عـــن طـــريق كتب التفسير الميسرة ، وعن طريق ســـؤال العلماء والمدرسين (**فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**) .

وأوصيهم أن يحافظوا على قراءة أســـماء الله الحسنى كل صباح .

وليحرصـــوا على أداء الفـــرائض واجتناب المحرمات .

كذلك أخص النساء بكلمة فأقول لهن : التزمن باللباس الاسلامى الذى يستر العورات سترا كاملا ، واعلمن أن شعر المرأة عورة يحرم على الرجل لمسه أو النظر اليه ، ولذلك فقد أصدرت فتوى تقضى بحرمة ذهاب المرأة الى (الكوافير) . بناء على هذه القاعدة .

**** فضيلة الشيخ . يحدث أحيـــانا أن يصطدم الشباب بعوامل أخرى ربما هدمت ما بناه العلماء والدعاة والمربون . مثل ما يصدر عن بعض وسائل الاعلام . فهل من نصـــيحة تسدونها للمسئولين عن هذه الاجهزة .**

* **فقال** : على المؤلفين والكتاب وأربـــــاب الصحف والاذاعات المســـموعة والمرئية . أن ينشروا كلمـــات الحق والهـــدى ، وأن يمنعوا نشر كل ما يخالف الاسلام وأحكامه ودعـــوته وآدابه حماية للامة ، وقياما بالواجب نحو هذه الأمة .

**** للعلماء شأن خطير فى توجيه الشباب خصوصا والرأى العام عموما.وختاما هل مـــن كلمة لعلمائنا الأجلاء ؟**

*** قال فضـــيلته : ان واجب العلمـــاء أن ينصحوا الامة ويقوموا من أفرادها مقام الأب والوالى الحكيم نصحا وارشادا وبيانا صادقا ليكون لهم الثواب الجزيل فى الامر بالمعـــروف والنهى عن المنكر . وأخيرا نسأل الله التوفيق والهداية لأقوم طـــريق . وأن يوفقنـــا لتجنب المحرمات ، وللقيـــام بالطاعات واللـــه تعالى قـــدير .**

عاطف زهران

شعر وشاعر

موكب الحجيج

إلى الشاطئ المحجب

في موكب الحجيج

موكب الحجيج

للشاعر: محمد على حسن الدشناوى

سار الحجيج فمن يبدد حيرتى ... يوم الرحيل وما دعيت لحجة
وغزا النشيد رغيبة فى خاطرى ... فتراقص الدمع العصى بمقلتى
وتحركت بين الضلوع مشاعرى ... ملتاعة تشكو لهيب الجذوة
والركب من حولى تمايل جمعه ... نشوان قد جد المسير لغاية
عينى له والقلب يأسى ليتنى ... أدعى لبيتك والصفا والمروة
فأجيب دعوتك التى تَرْضَى بها ... عنى فتمحو يا الهى شقوتى
بالله ياركب الحبيب محمد ... عند الطواف ضراعة لمذلتى
فعسى أنال بحقها عند الكريم على يديك مقاصدى وسعادتى
رباه لا تحرم مشوقا يبتغى ... عرفات والحرمين أعظم بغيتى
طوبى لمن أسعدته بالحج مقبولا لديك وللحبيب بزورة

***

إلى الشاطئ المحجب

للشاعر: محمد عبد الرحمن صان الدين

يا برزخ الأرواح انى قادم ... كدحا اليك وقد شددت رحالى
من غربة الدنيا التى قد أثخنت ... قلبى وأوهت بالأسى سربالى
ومعى حصاد العمر أحمل وزره ... فأسير فى وهن وفرط كلال
أواه من عمر تسرب من يدى ... أواه من وزرى ومن أحمالى

***

يا برزخ الأرواح هانذا على ... شط الحياة أخب فى بلبالى
وسفينة الموت المحتم قد دنت ... وشراعها المنشور صار حيالى !
فى غمضة أو شهقة أغدو بها ... فى الراحلين أجر فى أسمالى
وأصير فى واديك أعزل مفردا ... وأرى يقينا مقعدى ومآلى !!
أترى بمقرى فيك جدب قائظ ... أم أنه فى روضة وظلال ؟
أيكون من فوق الأراك مضجعى ... أم فوق جمر محرق وصلال ؟
وأحل فى أنس يسكن روعتى ... أم فى ظلام جائش الأهوال ؟
ويحى اذا دنت المنون وقصرت ... ربى عن صعود المرتقى أعمالى

***

رباه انى من لقائك مشفق ... وجل تكاد تخور بى أوصالى
ويكاد يسكتنى الحياء مصليا ... ويتوه عن بث الضراعة بالى
لكن رجائى فيك يارحمن قد ... أبقى على مرفرف الآمال
فأنا ــ وان قصرت ــ عبد مؤمن ... بك تائب من سورة الصلصال
خذنى بفضلك فى عبادك آمنا ... مما أخاف مظهر الأنيال

في موكب الحجيج

شعر: أحمد مصطفى حافظ

من كـل فج عميـق ٠٠ مــاج بالنغم ... يأتى الحجيج ٠٠ بحشـد سال كالديم
لبــوا نـداء الـه لا شريك لـه ... فى الملك ٠٠ مَنْ أبدع الأكـوان من عدم
وفى ازار سنا الاحـرام قـد نبذوا ... سراب دنيـا ٠٠ تدس السم فى الدسم

***

تجرى السـفين بهم والقلب يغبطهم ... وقد تعاظم وجـد ٠٠ جـد مضطرم
والطـائرات بأفـواج قـد انطلقت ... تئز فى أفقها ٠٠ من توقهـا العـرم

يسـتبطئون بسـاط الريح ٠٠ مركبة ... تقـل ـ قبل ارتداد الطـرف ـ للحرم
والدمع فـاض من الآمـاق تحسبه ... نهرا يطهـر أرواحـا من السـقم

***

وخير زاد لهم ، تقـوى الالـه ، وهم ... يرنـون للكعبـة الغـراء من أمم
ثم الطـواف بهـا سـبعا ، ليعقبـه ... سعى بوادى (الصفا)٠٠يشفى من الغمم

وفى (منى) حصـيات ٠٠ يرجمون بها ... وكـرا لابليس آس الشـر والنقم
وفى ربـا (عرفات) ٠٠ الكل قد خشعوا ... بمشهد ٠٠ بجـلال الله ٠٠ متسـم

***

ياشـعر حسبك ، كنت العمر لى سندا ... فمـر بحـورك تزجـى أنفس الـكلم
اذا وقفت بأعتـاب الرسـول ، وبى ... جـوى تأجج فى الأضـلاع كالضرم

من الفكر إلى التاريخ

من مزاعم المستشرقين

مشيخة علماء الجامع الأحمدى

مسألة الصراع بين

الدين والعلم

الدين والعلم أخوان فى الوضع السليم : الدين مرشد وموجه ، والعلم عامل جاء من حقله ــ وهو الكون ــ يؤدى دورا « ميتافيزيقيا » هاما فى ترسيخ العقائد الايمانية عن طريق الدلائل الكونية التى يكتشفها العلم وهو يحاول سبر اغوار الكون والدين حارس أمين لهذا النشاط من أن ينحرف الى مهاوى الهلاك والاهلاك والصراع بينهما لا يتصور الا بخروج أى منهما عن مجاله والتدخل فى مجال الآخر بدون أهلية لذلك • هنا ينشأ الصراع •

ومن الواجب العلمى علينا فى هذا الصدد أن ننبه أن مشكلة الصراع بين الدين والعلم بعيدة تماما عن الاسلام وساحة الاسلام بريئة تماما من التورط فى مثل هذا الصراع •

وان كانت نتيجة هذا الصراع • قد نالت بآثارها الاسلام نتيجة تعميم أو سوء فهم أو قصد والتاريخ يحدثنا أن مشكلة الصراع هذه نشأت فى أوربا وكانت لها أسبابها التى كان من اللازم أن تؤدى الى نتائجها من المناداة ــ هناك ــ بفصل الدين عن الحياة • باعتباره عدوا للعلم والمدنية والتقدم •

ومن الانصاف أن نقول ــ فى أسف ــ ان السبب الأساسى فى اثارة هذه المشكلة هناك هو ما سمي بالدين • أعنى مسلك اللاهوت الذى يسجل فى الواقع خروجا عن مقتضى الدين أى دين متى كان هذا الدين الهى المصدر معصوم المنبع •

وذلك أن اللاهوت هناك فيما قبل عصر النهضة قد تورط فى أمر خطير هو أن رجال اللاهوت بدأوا يتحكمون فى رقاب الناس بأن وضعوا جملة معارف تتعلق بالكون ونظامه ادعت استنادها الى الكتاب المقدس • لا يجوز لأحد الخروج عليها • وهذه المعارف الموهومة والمزعومة تتعلق بالطبيعة وتفسير ظواهرها تفسيرا غير معقول وخطورة هذا الأمر تكمن ــ فى اعتبار أن من يخرج على هذه التفسيرات يعتبر كافرا فالويل كل الويل لمن تسول له نفسه أو يؤدى به بحثه الى ما يخالف ما جاء

للدكتور عبد المعطى بركات

عن الكهنوت بشأن ظاهرة ما من الظواهر التى يمكن أن يتناولها العلم ٠

وذلك كله انطلاقا من ايمانهم بأن الكتاب المقدس المتداول بأيديهم قد حوى بين دفتيه كل ما يحتاجه الانسان فى الدنيا والآخرة وأنه ينبغى أن يكون وحده أساس النظريات والعقائد بما فى ذلك تفصيلات الحقائق الكونية ٠

وأن لرجال اللاهوت وحدهم حق تفسير نصوصه وعلى الناس أن يتقبلوا كل ذلك دون مقاومة أو مناقشة بل دون ما تفكير أو تعقل٠ مما ترتب عليه اعتبار أن كل ما سوى هذا الكتاب باطل لا يجوز لاوقوف عنده أو مدارسته مادام رجال اللاهوت هم الممثلين لله فى الأرض ولهم الحق فى تعذيب من يقاوم هذه الأفكار « الفكر الاسلامى منابعه وآثاره ص ٢٨ ــ ٢٩ » هذه هى بداية الشرارة التى أوقدت نار الصراع ٠

واننى كمسلم ٠ أرى أن الحق يقتضى هنا أن أقرر أن هذه التصرفات من جانب رجال اللاهوت لاتمثل دين الله تمثيلا صادقا فلا يعقل أن يبلغ دين صحيح هذا المدى من الحجر على العقول ــ سيما اذا تأملنا المسيحية فى سماحتها الأولى فلقد كان ابن مريم وأمه عليهما السلام آية وكانت له معجزات باهرة وهذه الآيات كلها من شأنها أن تستوقف الذهن وتحرك نشاط العقل والا أصبحت عديمة الجدوى ٠

ومن ناحية أخرى ــ فلنفرض جدلا أن هذه المعلومات المودعة فى الكتاب المقدس هى من عند الله فعلا ٠ ما كان يمكن أن يؤدى بحث أى باحث الى مناقضتها لأنها على هذا الفرض تستند الى تقرير العليم الخبير ٠

فلوشاء الله تعالى أن يودع الكتاب المقدس بعض حقائق الكون ما كان يمكن ان يظهر للبحث العلمى خلافها ٠

لكننا نعلم من خلال دراستنا عن الاسلام والعقل أن الاسلام ترك مجال الكون لعمل العقل ولم يضع عليه قيودا فى هذا المجال الا قيودا خلقية حتى يتجه العلم الى خير الانسان وعلى كل حال فقد ترتب على هذا الموقف الكهنوتى ٠ ان قاوم رجال اللاهوت كل فكر حر فى مجال العلم ٠ وحرموا الطب والرياضة والفلك فأعدمت بعض كتبها وألقت بعضا آخر فى مغارات لا يطلع عليها أحد ٠

وأصدرت الكنيسة قرارا بتكفير من قال بدوران الأرض (نفس المصدر) وكان لرجال اللاهوت مواقف مضحكة مبكية حقا ٠

فعندما قال العالم ــ دومنيس ٠

من مزاعم المستشرقين

ان"قوس قزح"ليس قوسا حربية بيد الله ينتقم بها من عباده اذا أراد – كما هو تعليل اللاهوت للظاهره – بل هى من انعكاس ضوء الشمس فى نقط الماء جلب هذا الرجل الى روما وحبس حتى مات ولم يكتفوا بذلك بل حاكموا جثته وكتبه فحكم عليها وألقيت فى النار •

وعندما نشر كتاب « كوبر نيقوس » الذى يثبت بـه دورة الأرض حول الشمس ثم زاد جاليليو بواسطةتليسكوبهاثباتأقمار المريخ واثبات دورة الارض حول نفسها هبوا لمقاومته وقرر المكتب المقدس أن مذهب كوبر نيقوس سخيف وبمقارنته بما جاء فى وصية المسيح يعد

كفرا والجدير بالذكر هنا أن القول بكروية الأرض ظهر عند المسلمين فى خلافة العباسيين ولم يتحرك له ساكن فى حين اعتبر كشف كولومبس لأمريكا مخالفا لأصول الدين عندهم •

ثم جاءت محاكم التفتيش فاعتبرت العلماء والمفكرين مجرمين وجدت فى طلبهم وأوقعت من الرعب فى قلوب الأوربيين ما خيل معه الى كل مفكر أن السلاسل والاغلال أسبق الى أحدهم من ورود الفكرة العلمية الى خاطره « الاسلام والنصرانية » •

ويقال ان روما حرمت تعليم نظام المجموعة الشمسية الى ما بعد منتصف القرن الثامن عشرالخ هذه الأمور التى توجها اللاهوت بصكوك الغفران واصدار قرارات الحرمان والتحالف مع السلطة الزمنية الاستبدادية •

مما ضيق الخناق على الناس عامة والعلماء خاصة • فغلت النفوس وامتلأت القلوب بمفجرات الحرب الوشيكة الاندلاع ضد الدين ورجاله والاستبداد وأهله •

ويمكن أن نحلل هذا الموقف من مواقف الصراع من الناحية النفسية فالتفكير عمل القوة العاقلة • التى ما لم تحترم يكون لها من الضغط على الانسان ما للغرائز العضوية الفسيولوجية اذا ما منعت حقها وحرمت التعبير عن نفسها فالتفكير غريزة أو كالغريزة وقد تعامل الاسلام معه على هذا الأساس فاحترم هذه القوة الضاغطة وترك لها الكون كلأ مباحا كما تقدم بل احترم فيها أمرا آخر وهو حب استطلاع الغيب فأعطاها العقائد محروسة بسندها العقلىوأخذ بيدها الى الاستدلال حتى يكون الايمان بها عن الاقتناع الكامل •

وحتى يتوفر جهدها الخلاق لما خلقت له لذلك كان أقسى مافى هذا الموقف الكهنوتى محاربة غريزة الفكر على غير أساس من العلم بل محاربتها بتقرير أمور باطلة لا تزيد العقل الا حماسا واصرارا على البحث مهما كانت النتيجة •••• نتيجة لالحاح ملكة الفكر وضغطها لتأخذ حقها فى التعبير عن نفسها على كل حال •

لما كان لكل فعل رد فعل مساو فى القوة ومضاد فى الاتجاه فان رد الفعل كان شديدا جدا وكان له من قوة الانفجار ما للضغط من قوة الحبس وانطلقت الثورة ضد الاستبداد • وضد رجال الدين • أو ضد الدين • هذا الذى

عذبهم وهد كيانهم العلمى ــ وكانت ثـورة علمية سياسية •

وكان لابد من رفض الدين • لأنــه أخــذ عندهم مفهوم • الجهل ومعاداة العلم وعداوة التقدم • لأنهم رأوا فيه عائقا عن السير نحو التقدم وفصلوه عن أمور الحياة وقصروه على الشعائر • ومنعوه من الهيمنة على شـئونهم وانطلقوا من عقالهم هــاجمين على الكـون بعقولهم • فأسـفرت لها بعض حقـائقه عن وجهها وأحسوا وقتها بعظم حرم الكهنـوت فى حرمانهم من الامساك بزمام الكون وتسخيره لخدمة الانسان •

ولم يكتفوا بعزل الدين فى مقبعه بل كروا عليه • وكأنهم أرادوا القصاص من حقـائق الدين نفسها فانحرف العلم فى بعض اتجاهاته الى الالحاد ودفعهم حقد دفين على اللاهوت وأهله الى اعلان أنه لا وجود الا للمحسوس • وتطـرق الى انكـار وجـود الله • وزعموا أن قيادة المادة محتواة فيها والى هذا الحـد نرى أن الكنيسة أزكت شرارة الفكر المـادى الملحـد عن طـريق رد الفعل العنيف الذى أحدثه الاضطهاد عند العلماء •

وفى نفس الوقت خيل لهم أنهم لم يتقدموا الا بعد الاجهاز على الدين لأنه عدو التقـدم وفى الحق أن ما دعوه دينا ليس من دين الله فى شىء •

وكانت الطامة أن لقموا بهـذه النظـرية عقول المستصغرين من أبناء الشرق الذين نادوا بدورهم الى أن الانسـانية لن تتقـدم الا باستدبار الدين • وأخـذوا يضـللون ويضربون المثل بأوربا •

ولكن الشىء الذى عمى عنه الاوربيون وهم فى ثورتهم الغامرة هو أن المناهج العلمية التى ساعدتهم على التنبه الى جهل معطيات الكهنوت فى مجال العلم هذه المناهج نشأت وترعرعت فى ظل دين سماوى هو الاسـلام •

فهذه المناهج نقلت الى الغرب عبر معـابر مختلفة ــ عبر الاندلس الاسلامية حينـذاك وصقليه وغيرهما • وهذه الحركة العلمية التى نقلت اليهم هذا التراث العلمى أصـحابها مسلمون يدينون بدين سماوى هو الاسلام •

وكان عليهم أن يتنبهوا الى ذلك ولا يقعوا فى هذا التعميم الشائن وهو رفض الدين جملـة وتفصيلا وكان عليهم أن يميـزوا بين دين هم عليه ودين هو مبعث حضارة علمية رائعة شهد لها بعض المنصفين من أبناء الغرب أنفسهم •

وعمى المستغربون عن هذه الحقيقة نفسها وعموا عن حقيقة أخرى هى أن الاسلام لم يتورط يوما ما فى مثل ما تورط فيه الكهنـوت وانما وظف الكون مـادة للفـكر العلمى ولم يتعرض قط لاملاء حقائق مفصلة فيما يتعلق بنظام الكون ولقد نشأت العلوم الاسـلامية التجريبية فى ظل الاسلام • وكانت امتثـالا لأمر الهى :

من مزاعم المستشرقين

« قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » (١) .

« وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ » (٢) .

ولم يحدث أن كفر أحد العلماء باسم العلم .

والطريف أن فلاسفة الاسلام قد كفرهم بعض المسلمين نتيجة لخطئهم فى جانب العقيدة . كما فعل الغزالى مع ابن سينا وغيرهم . لكن الملفت للنظر انه لم يكفره مثلا بكتاب القانون فى الطب ولا فى آرائه العلمية .

ونقل تراث هؤلاء الى أوربا وساهم فى ارساء قواعد حضارتها العلمية — ومنهم ابن سينا والرازى وجابر بن حيان والبغدادى وغيرهم كثير ومهما كان من أمر فان مبررات فصل الدين عن الحياة هناك ليست موجودة عندنا هنا وقد برىء الاسلام تماما من كل ذلك الذى استبعد من أجله الدين هناك وأننى أسوق هذا الأثر الكريم الذى روى عن رسول الله ﷺ . حينما مات ولده ابراهيم وكسفت الشمس يومها فقال بعض الناس : كسفت الشمس لموت ابراهيم » فلم يسكت الرسول على هذه الدعوى ، لأن سكوته يعتبر تقديرا لها وهى خطأ ، فقال ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فصلوا » (٣) ولذلك فانه ﷺ بقوله هذا حال دون وقوع كارثة . كان سوف يترتب عليها تكفير من قال بغير ذلك تعليلا للظاهرة أو اعتباره مخالفا على الأقل .

على أن فى قوله ﷺ .
« آيتان من آيات الله » .
لفتة كريمة للعقل الانسانى الى هاتين الآيتين ..... **وتعليلهما** .

ولو شاء الله أن يكشف لرسوله ﷺ عن حقيقة السبب لفعل ولكنه لم يشأ . **لأن ذلك متروك للعقل** .

وهناك أمر جدير بالتنبيه اليه . هو أن وجود الاسلام الحقيقى انما يتمثل فى القرآن الكريم وما صح من سنة رسول الله ﷺ .

ومن ثم حفظ الله كتابه « القرآن » عن أيدى البشر . حتى عن أيدى المفسرين أنفسهم فاجتهاداتهم انما هى حول هذا الكتاب الكريم وبقيت بجانبه ليفرق القارىء دائما بين النص الالهى والانتاج البشرى الذى لا يمكن أن يحسب على هذا الكتاب .

نقول هذا حتى لا يعترض علينا بما جاء عن بعض المفسرين بشأن تعرضهم لاقحام بعض المعارف العلمية التى ثبت خطؤها فى تفسيرهم أو شروحهم وهذه ميزة انفرد بها

(١) يونس — ١٠١
(٢) الذاريات (٢٠ ، ٢١) .
(٣) راجع صحيح البخارى فى الكسوف وبدء الخلق ، ومسلم فى الكسوف .

القرآن الكريم بازاء ما يسمى بالكتاب المقدس • الذى تناولته الايدى بالتأليف والتحريف • ولم يعرفه الناس الا من خلال روايات كاتبيه ولذلك لم يعرف فيه حد فاصل بين المعصوم والمطعون • ولا كذلك القرآن الكريم • لأنه محفوظ بنصه الالهى حتى هذه اللحظة والى ما شاء الله تعالى ومن هنا كان هناك فرق بين دائما بين نصوص الاسلام الصحيحة وعمل المسلمين والحجة قائمة بالأدلة على كل حال فلم يكتف الغربيون بتصدير المفاهيم المشوهة عن ضرورة فصل الدين عن الحياة كعائق عن التقدم بل أنكروا على المسلمين فضلهم الحضارى والتاريخى على حضارة أوروبا بل وزادوا على ذلك بأن طرحوا الشكوك حول جهود المسلمين العلمية وكان ذلك امتدادا لحملة الاستشراق على الثقافة الاسلامية ومن هذه الشكوك ما أثاره :

المستشرق جوستاف أفون جروينباوم • حول جهود المسلمين العلمية ومحاولة تجريدهم من الأهلية العلمية •

والشبهة التى يطرحها جروينباوم • تتعلق بصلة العلم فى الاسلام بما يتعلق به اعتقاد كل مسلم من أن الله فعال فى أعماق الكون •

وقد أخذ جروينباوم على المسلمين اعتقادهم بأن العلوم فى جوهرها حقائق ثابتة أنزلت على الانسان من أعلى •

ويطعن فى نسبة العلم الى المسلمين بناء على عقيدتهم ويرى أن نسبة العلم اليهم لا تخلو من تضليل •

يقول جروينباوم • فى كتابه « حضارة الاسلام » •

« من الانصاف أن نحكم على ما اضطلع به المسلمون من جلائل الاعمال العلمية • بميزان المواهب البارزة لحفنة من أفذاذ الرجال البارزين • ولكن هذا الحكم لا يخلو من تضليل • هو حكم عادل • لأن مساهماتهم غير العادية قد أثرت ولن تبرح تؤثر فى أجيال مترامية •

وهو مضلل من حيث موقف الباحث المسلم العادى ازاء عمله • فانه كان يرى العلوم فى جوهرها مجموعة ثابتة من الحقائق الشكلية والمادية أنزلت على الانسان ليصونها فيما قد نسميه بأزمنة ما قبل التاريخ » « حضارة الاسلام ص ١١٧ » •

ثم ينقل بعد ذلك كدليل على ما يدعيه • عن ابن القفطى حديثه عن الخلاف فى أول من تكلم فى الحكمة وفروعها من الرياضى •• والمنطق والطبيعى والالهى • وقوله ان كل أمة تذكر الأول عندها وليس هو الأول باطلاق ثم انتهاؤه « ابن القفطى » الى أن خلاصة النظر فى هذه المسألة انتهت الى أن ذلك كان نبوة أنزلت على ادريس عليه السلام •
وكل الأوائل المذكورة عند العالم هى من قوله أو من قول تلاميذه •

ثم يقتبس جروينباوم • من ابن حزم قوله • ان العلوم والصناعات لا يمكن أبدا

أن يهتدى اليها أحد بطبعه كالطب ومعرفة الأمراض والطبائع وسببها على كثرة اختلافها ووجود العلاج لها بالعقاقير التى لا سبيل الى تجربتها • كلها فى عشرات الآلاف من السنين ومشاهدة كل مريض فى العالم • وما يصدق على الطب يصدق على الفلك • والغرض الذى من أجله وهب الله الناس هذا العلم هو أنه يجعلهم يدركون عظمته متجلية فى عجائب الطبيعة « نفس المصدر » •

ثم يقول • جروينباوم :

ومن ثم فان الغاية القصوى من البحث مقدرة منذ الأزل • فالدراسات التى تتم بروح خاطئة • أو التى تؤدى الى نتائج ميتافيزيقية غير متوقعة كانت توصم بالزندقة • وليس من المستطاع أن يكون المخلصون للمثل الأعلى الاغريقى فى البحث عن الحقيقة وفيرى العدد فى نظام يعتمد ثباته وبقاؤه على الانتصار أبدا للحقائق الموحاة « نفس المصدر ٤١٨ » •

هذه هى دعوى هذا المستشرق بأسانيدها •

وهو يرى أن نسبة العلم الى المسلمين نسبة مضللة من حيث أن المسلم أو الباحث المسلم يؤمن بأن العلوم فى جوهرها مجموعة ثابتة من الحقائق أنزلت على الانسان ليصونها :

وتصوير أمر الباحث المسلم على هذا النحو تصوير مضحك حقا ولا يظفر بأى تأييد حتى وان كان ذلك مستندا الى ما زعمه القفطى أو غيره •

فالمسلم يأخذ عقيدته من القرآن الكريم وما صح قطعا من سنة رسول الله ﷺ لا من ابن القفطى ولا من ابن حزم فابن القفطى يصور رأيه • هو • وهو حتى فى هذا التصوير انما يتحدث فيما نقل عنه جروينباوم عن أول المعرفة • وأول من تكلم فى فروعها — لا فى المعرفة مطلقا من حيث كونها معرفة •

ومن ثم فان هذا النص لا يسند دعوى هذا المستشرق • علاوة على أنه لا ابن القفطى ولا ابن حزم يعتبر مصدرا لما يمكن أن يراه الباحث المسلم أو يعتقده بهذا التعميم الذى بدا فى معالجة الرجل لهذه القضية على هذا النحو •

ويخيل الى أن كلام ابن حزم جاء فى معرض التحدث عن الهداية الالهية وهى أمر هام فى المنهج العلمى — واستبعاد اهتداء الانسان بطبعه الى هذه الامور لأن ذلك سوف تقضى دونه آلاف السنين •

ثم يبين الحكمة من هذه الهداية وهى ادراك عظمة الله المتجلية فى الكون • وهذا الادراك لعظمة الله هذه التى تتجلى فى الكون متجدد عبر الزمان وتوالى الأعصار فحركة العقل عبر العصور التى تحاول سبر أغوار هذا الكون تزكى هذا الادراك تزكية لا يمكن ان يحدثها ايحاء هذه العلوم طفرة واحدة عبر جيل واحد يمكن أن يضل ما بعده من أجيال أو ينسى مصدر المعرفة الأول •

وكان المفروض على هذا المستشرق علميا

وهو بصدد تقرير أمر كهذا أن يتناول القرآن والسنة الصحيحة • وما كان يمكن أن يؤديه بحثه الى هذه النتيجة •

لأن هذا القرآن قد خاطب المسلمين يقول الله تعالى •

« قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ »

والاستفهام هنا له مغزاه العميق واذا كان كلام

ابن القفطى يعطى ما فهمه هذا المستشرق فمعنى ذلك أن المعارف الطبيعية جميعا أنزلت وحينئذ يكون لا معنى لامر المسلم من قبل القرآن بأعمال النظر فى الكون • ولماذا اذن مادامت حقائق الكون كلها قد هبطت •

ان قبول ذلك معناه المصادرة على حركة العقل فى الكون • كما يقتضى أن تظهر حقائق الكون كلها مرة واحدة وهو خلاف الواقع لأن هذه الظواهر تتجاوب مع حركة العقل فى الكون وتتناسب مع حركته الواعية تناسبا طرديا • والحقائق الموحاة التى يتحدث عنها هذا المستشرق ليست تتعلق بتفصيلات ما يمكن أن يكشف عنه النقاب للعقل من ظواهر الكون •

وانما تتعلق بجوانب العقائد الميتافيزيقية علاوة على أن هذه الحقائق الموحاة لا تصادم فكرا بل هى موحاة على نحو متعقل يقتنع به العقل ويؤخذ بيده الى مواطن الاستدلال عليها ، كما بيناه فى دراستنا عن الاسلام فى ميزان العقل• فى تقرير الاسلام للعقائد كلها على نحو متعقل أو مفلسف وحديثه عن الدراسات التى تؤدى الى نتائج « ميتافيزيقية » غير متوقعة ووصفها بالزندقة فهو مبنى على سوء فهم لموقف العقل من « الميتافيزيقا » فهى بطبيعتها لا يحسمها

العقل وقد بينا ذلك فى حديثنا عن حدود العقل ومداه فى الاسلام •

ومادام الأمر خارجا عن نطاق العقل • وقد قررها الاسلام • وأقام دعائمها وأقنع بها المخاطبين بها •

واذا ثبت وجودها بالعقل مسترشدا بالوحى • فان العودة الى انكارها بالعقل خطأ جسيم واستعمال للملكات فى غير ماخلقت له • وتبديد لطاقة الفكر ان المسلم يتجه بامكاناته العقلية والعلمية نحو الكون وبين

جنبية عقيدة ميتافيزيقية متعقلة هامة • هى أن الله تبارك وتعالى • هو وحده مكون الكون ومقنن قوانينه ومنظم نظمه ومحول أحواله • وهذه القوانين والنظم والاحوال حقائق ثابتة كما يقول الرجل وهذا أمر لا شىء فيه • لا دينيا • ولا فلسفيا • ولا علميا •

ومن ناحية أخرى فان الكشف العلمى عن قوانين الكون فى جانب كبير منه مبنى على الحدس والالهام المتلقى من الملهم الأعلى وهو الله تبارك وتعالى •

فمن الفروض العلمية ما يستمد من الحدس والالهام • ولا يخفى علينا ما يعبر عنه بالالهام المفاجىء فى حل المعضلات الرياضية المعقدة • وقد حكى عن بعض علماء الاسلام كابن سينا أنه كان اذا صادفته معضلة علمية صعبت عليه أو غربت عن عقله • قام فتوضأ

من مزاعم المستشرقين

فصلى ركعتين فكان — أحيانا — يفتح عليه • أو ينام بعد ذلك فيلهم حلها مناما •

ومصدر الالهام والحدس فى المسائل العلمية ليس ذات الانسان • ولا قوة مساوية له وانما مصدره قوة عليا لا تخضع لمعمل ولا تحكمها تجربة • ولا تستوعبها ملاحظة فهى قبس من مصدر النور الأعلى •

ولا أدل على ذلك من الاكتشافات العلمية المفاجئة المذهلة المبنية على الالهام الذى يحار غير المؤمن فى مصدره ولا يستطيع له تفسيرا معقولا عنده فيفزع الى القول بالصدفة ويحسب أنه قد استند الى ركن ركين وحصن أمين • لكن مذهب الصدفة فى النهاية أو هى من نسج العنكبوت لجأ اليه ملحدو الغرب حين أبعدوا غير المحسوس عن موضوع الايمان فضلوا الطريق الى الله الملهم المبدع •

ومن ناحية أخرى ثالثة أيضا فانه لا شك أننا اذا سرنا مع العلم خطوة خطوة الى أوله نجده يتصل بسبب الهى أو بسبب يتصل بسبب الهى « **وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى** » فالله فاعل مطلق فى أعماق الكون • ولسنا فى حاجة — لكى نحقق نسبة العلوم الى أصحابها أو من ظهرت على أيديهم • أن نرفض الميتافيزيقا أو نرفض عقيدة وجود الله أو نجنح الى ما جنح اليه أرسطو « وهو من أصحاب المثل الأعلى الاغريقى كما يقول هذا المستشرق » •

أقول لسنا بحاجة الى أن نقول بعزل الاله عن العالم والتأثير فيه ، وهيمنته تعالى على كل شئونه • حتى تتسنى لنا هذه النسبة على الوجه الصحيح سيما اذا كان الله سبحانه هو الذى أمر باعمال الفكر واجالة النظر فى الكون •

وذلك كله لا يعطى ما يدعيه جروينباوم من التضليل فى نسبة الجهود العلمية لأن العلم على الرغم من كل ذلك ينسب اسلاميا الى صاحبه كأى نشاط انسانى « **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** » •

وكما أن الايمان لا يطعن فى أحقية النسبة كذلك فان النسبة ليس فيها ما يمس قضية الايمان ولا قضية العلم • فالمعجزة عندنا نحن المسلمين تنتسب الى النبى وهى فى نفس الوقت فعل لله •

كذلك لا يحد من الجهود العلمية عند المسلمين ولا يشكك فى نسبتها ذلك التقدير الأزلى لنتيجة البحث • كما يقول المؤلف • وقد سبق أن رددنا على ذلك فيما يتعلق بمشكلة القدر وعلاقتها بالاجداب الفكرى فى زعم بعض المستشرقين •

ولا يمكن لمسلم أن يعزل قدرة الله عن العمل فى الكون ولو قرأ جروينباوم المذاهب الفلسفية الاسلامية التى عالجت موضوع الحرية الانسانية•

لوجد أن أشدها غلوا فى تقرير حرية الانسان بل وخلقه لفعله الاختيارى لم تسقط الجانب الالهى فى هذا الفعل أو ذاك • حتى لقد قال المعتزلة ان العبد يخلق فعله بقدرة أودعها الله فيه •

ومن ناحية أخرى رابعة :

فان اعتقاد المسلمين بأن الكون مجموعة حقائق ثابتة يؤيده الواقع فعلا فحقائق الكون ثابتة ٠

والتغير المشاهد ٠ والتعديل الملاحظ ٠ انما يأتي من مرحلية كشفها كذلك يتعلق بدرجة استكمال الوسائل المتيحة لذلك ٠

فنحن قد نكتشف حقيقة ما على مراحل ٠ وقد تتأخر بنا امكانياتنا فلانكتشف أمرا ما الا فى وقت متأخر ٠ فليس معنى اكتشافنا لجرثومة معينة فى القرن العشرين ، أو فيروس مثلا ان كشفنا لها قد أوجدها ٠ بل هى موجودة فعلا ٠ وقد تكون بعض خواصها لازالت فى المجهول بالنسبة الينا نحن حتى يأتى غيرنا ممن تتاح له فرص كشفية أكثر ومن هنا فان هناك فرقا كبيرا بين الكشف لشىء ووجود هذا الشىء فى الواقع ونفس الامر ٠

بل قد يعتور الكشف العلمى بعد القصور نتيجة لقصور الامكانيات حتى ولو دخل فى الكشف بعض العناصر الايجابية فى تركيب العناصر أو تحليلها ٠ فيجىء بعد ذلك مكتشف آخر أو باحث آخر ٠ فيحيط بما لم يحط به الاول من بعض الجوانب التى غابت عنه ٠ فتبدد له وجوه أخر فالباحث قد يضع لبنة يختبر صلاحيتها باحث آخر فيعتمدها ويضيف اليها أو يبطلها ويستبدلها ٠

البحث العلمى أذن يقوم على التكامل ٠ والتعاون ٠

والصدفة فى اكتشاف ظاهرة ما انما هى بالنسبة لحال المكتشف اما الظاهرة فى حد ذاتها فهى ثابتة مستقرة وان لم يطرق بابها طارق ٠ أو قل هى أمر أراد الله ابداءه فى وقته المقدر بعد أن قصرت دونه همم الخلق ٠ أو ضلت الطريق اليه ، وعلاوة على ذلك كله ٠

فان العلم الحديث نفسه لا يخلو من بعض الفروض المسلمة دون قدرة على البرهنة عليها٠ رجاء أن يواصل العلم خطواته ولا يتعثر فى بحث هذه الفروض وقد سجل عالم الطبيعة « ماكس بلانك » وصفا رائعا لخيال العالم الذى يتحسس باصبع حدسه وشفافيته الوجدانية بعض الفروض التى لا تلبث ان تصبح قوانين أو نظريات يقول فى ذلك بعض علماء الغرب « عندما يرسل الرائد فى العام أصابعه يتحسس أفكاره فلابد من أن يكون له خيال وجدانى لأن الافكار الجديدة لا تتوالد بلا استنباط قدر ماتتولد بالخيال النقى المبدع» « فى الفلسفة الاسلامية ص ٨٨ » ٠

ويقول بول موى ٠

« فاذن بعض الصفات التى تعد قواما للروح العلمية خارجة عن المجال العقلى »٠ « نفس المصدر »

ولا شك أن ذلك كله ليس من صنع العالم ولا ارادته فالجانب الالهامى أو الابداعى أشبه ما يكون بالوحى ــ ان صح التشبيه ٠

واستناد المعارف كلها الى الله ٠ فى نظر المؤمن لا يعنى محو شخصيته فى البحث ٠ أو

◄

عدم جدوى البحث . وقد تقدم لنا شىء من **أمر الله فى القرآن بالبحث العميق والنظر** الدقيق فى الأنفس والآفاق ، والأصل الالهى للعلم والفلسفة ليس بدعا من الأفكار العلمية أو الفلسفية أليست معرفة الله تعالى هى أصل المعارف ومنبعها عند ديكارت ؟

اليس الرجل قد ارتمى فى أحضان الايمان بالله . الذى أصبح عنده يمثل شاطىء الامان وزورق النجاة من فتك امواج بحر الشكوك المظلم وعواصفه .

ان ديكارت يرى أنه بغير الله لا سبيل الى يقين عن قوانين العقل ولا ثقة بها ولا سبيل الى اليقين عن قوانين العالم وطبيعته ولا سبيل الى يقين عن واقعيته فالله هو مصدر اليقين كما هو مصدر الوجود وهو واهب الحق وضامنه كما أنه خالقه وبارؤاه » « الله أساس المعرفة والأخلاق عن ديكارت ص ١٤٧ » .

هل يستطيع جروينباوم أن يشكك بناء على ذلك فى علم ديكارت وفلسفته ؟ هل يستطيع أن يشكك فى نسبة فلسفة ديكارت وعلمه بناء على ايمانه بالله على النحو المتقدم ؟

ان هؤلاء المستشرقين لا يرمون من وراء هذا التضليل الا الى الطعن على المسلم من حيث هو مسلم — وعلى عقيدته من حيث هو معتقد .

ان اينشتاين يربط بين البصيرة الدينية والبصيرة العلمية حين يقول . « ان بصيرتنا الدينية هى المنبع الوحيد وهى الموجهة لبصيرتنا العلمية » .

هذه هى حال العلم وحال الفلسفة معا . بازاء موقفهما من الله ومعرفته كذلك وكذلك الدين عند بعض أقطاب الفكر .

ولا أدرى لماذا هذا الاصرار من أمثال هؤلاء المستشرقين الذين لا يؤمنون بتعايش العلم والفلسفة الاسلامية مع عقيدتنا .

وهم يعلمون تمام العلم أننا نعتز بديننا ونسبتنا اليه فوق اعتزازنا بالعلم هل يريدون منا أن نبعد ما بقى لدينا من الدين عن حياتنا العلمية والفلسفية حتى نحظى بتقديرهم .

أن الاسلام كان نبعا صافيا للفلسفة الصادقة .

وقد علمنا الاسلام كيف نتفلسف . ودفع الى العلم دفعا . وتعايشت العقيدة الاسلامية الحقة والعلم الاسلامى الحق فى وئام وسلام . وساهم الاسلام بدور هام فى رقى الفلسفة والعلم الانسانى والحضارة البشرية . وقد شهد بذلك المنصفون للحقيقة من علماء الشرق والغرب .

وانتى اذ أشكر القارىء الكريم على متابعة هذه المقالات التى طالت نسبيا أرجو من الله أن يعيننا على الاسهام فى الدفاع عن العقيدة والدين الله اعلم .

دكتور محمود عبد المعطى بركات

مشيخة علماء الجامع الأحمدى

بقلم الدكتور
مجاهد توفيق الجندى

الجزء الأخير :

تحدثنا فى المقال السابق على صفحات هذه المجلة المباركة عدد جمادى الآخرة سنة ١٤٠٤ هـ مارس ١٩٨٤ م تحت عنوان :

« مشيخة علماء الجامع الأحمدى » تحدثنا عن هذا الجامع الميمون كمركز من مراكز العلم فى الاسلام ، فذكرنا نظام الدراسة به وهى الحلقات العلمية التى يلتف فيها الطلاب حول شيوخهم يتدارسون العلم ويفهمون منه ما استغلق عليهم فهمه ... من تفسير وحديث وقراءات وفقه على المذاهب الأربعة ، اضافة الى علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وعروض وأدب وغير ذلك من علوم الطب والفلك والرياضيات وما أشبه ذلك .

وذكرنا نماذج لدروس العلم فى كتب الفقه والشيوخ والطلاب وعددهم فى الحلقة وبلادهم ومراكزهم والمديرية التى يتبعونها ، وكيف أنهم كانوا يعفون من القرعة العسكرية بسبب طلبهم للعلم باعتباره القمة فى الجهاد .

كما ذكرنا التبادل العلمى والثقافى بين الجامع الأزهر بالقاهرة وغيره من مراكز العلم بالعالم الاسلامى شرقا رغربا ، وبين الجامع الاحمدى بطنطا .

ثم عرجنا بالحديث الى عمداء هذا الجامع العظيم وكان أولهم الشيخ محمد أبو النجا وشهرته مجاهد ، وآخرهم الآن هو الشيخ محمد أبو الفتح شاهين مد الله فى عمره .. ثم تحدثنا عن بعض حلقات العلم ودروسه فى هذا الجامع ومنها درس الشيخ محمد القصبى شيخ الجامع الأحمدى ودرس الشيخ محمد

الجندى الشافعى ، ودرس الشيخ المنهراوى المالكى وغيرهم ..

ونضيف أن الدراسة بدأت فى هذا الجامع على وجه التقريب فى أوائل القرن الثامن الهجرى دراسة بسيطة للأتباع والمريدين ، ثم اتسعت شيئا فشيئا حتى كثر عدد الحلقات التى كانت تتراوح بين الأربعين والستين حلقة ، ما بين ثلاثمائة طالب وخمسين طالبا فى الدرس أو الحلقة الواحدة ، حتى لقد وصل عدد الطلاب فى بعض سنى الدراسة الى أربعة آلاف وخمسة آلاف وستة أحيانا فى الجامع الاحمدى وذلك من واقع السجلات والوثائق ..

اعاشة الطلاب :

هذا العدد الكبير من الطلاب كان يعيش اعاشة كاملة تريحه من عناء المأكل والمشرب والمسكن والملبس والكتب الدراسية وغيرها من وجوه الراحة والأمان والاطمئنان حتى يتفرغ الطالب والشيخ كلاهما لطلب العلم فقط ..

فكان الطالب لذلك يعتبر موظفا عمله اليومى وشغله الشاغل هو طلب العلم لا شىء غيره ، فاذا خرج الطالب عن هذا الوصف ، كأن انقطع عن طلب العلم أو اشتغل بغيره قطعت مرتباته ومحى اسمه من سجلات المشيخة ..

ونلحظ التشديد على مراقبة شئون الدراسة بهذا الجامع فى كل الوقفيات التى أوقفها الخيرون على الطلاب والشيوخ كوقفية على بك الكبير والحاج محمد على الفطاطرى وابراهيم أرناؤوط واحمد باشا المنشاوى وغيرهم كثير ...

ولذلك نجد مشيخة الجامع الاحمدى تنفذ شروط الواقفين بكل دقة ، ونلحظ ذلك جيدا فى محاضر جلسات مجلس ادارة المشيخة التى تضع باستمرار ما يكفل حسن سير العمل بعد مراقبة الطلاب من الناحية العلمية والسلوكية .. فعينت لذلك ملاحظين يلاحظون مذاكرة الطلاب ليلا واضاءة الأنوار لهم ومنعهم من الاختلاط بقرناء السوء ، كما عينت لهم مراقبين ممن يمتازون بقوة العلم والخلق والشخصية يراقبون سلوك الطلاب خارج الجامع ، ويكتب تقارير ترفع الى المشيخة يوما بيوم لضمان حسن السلوك .

الجراية اليومية (الغذاء) :

الجراية هى مقدار من الخبز يصرف يوميا للطالب وللشيخ ، للأول نصف ما للثانى وكان يقوم بتوريدها للمشيخة متعهد من « الخبازين » من ذوى المخابز بطنطا بعد الاعلان عن ذلك فى مناقصة بشروط معينة بين الخباز والمشيخة .

والجراية عادة تكون من الخبز القرصة (الكامل الاستدارة) الجيد العلامة (الدقيق الفاخر) وقد اشترط فى هذا الرغيف المخصوص أن يكون بالغا حده فى السيواء والا يكون ناقصا

عن المحدد فى العقد أو به « وساخة » أو عيب فاذا حدث مخالفة كلف المتعهد باحضار غيره وهكذا والرغيف هو الاساس فى الغذاء وهو قاسم مشترك بين الجميع للطالب ثلاثة وللشيخ ستة يوميا .

وبالاضافة الى ذلك كان هناك اللحم وشربة الأرز فى الغذاء كما تنص على ذلك وثيقة على بك الكبير وغيرها وكذلك الحلوى والصابون شهريا ، وكذلك « الجامكية » وهى المرتب الشهرى من النقود ، وهو ما يطلق عليه فى عصرنا الحاضر « مصروف اليد » الذى يعتبر ترفيها للطالب ..

اسكان الطلاب بالجامع الأحمدى :

كانت توجد فى الجهة الشرقية والغربية من الجامع « خلاوى » يقيم فيها الطلاب مجهزة بالأسرة والفرش والغطاء لكل طالب سرير ، وكتبية حائطية أو « دولاب » يضع فيه الطالب أمتعته الشخصية وكتبه الدراسية .. وكانت الخلوة عبارة عن حجرة تتسع لعدد من الطلاب بحسب حجمها ، ويسكن فيها عادة طلاب من بلاد متجاورة حتى يألف بعضهم طباع بعض .. وهناك تقاليد وأعراف تطبق على الجميع فمن خرج عليها قطعت جرايته وخصم من درجات سلوكه ..

كسوة الطلاب والشيوخ :

كانت هناك كسوتان للطلاب والشيوخ احداها صيفية وتتكون عادة من الملابس القطنية (داخلية) ، والخارجية هى قفاطين وفرجيات خفيفة ومناديل وشدة للوسط « ومركوب » من الجلد وعمامة وطاقية ، وفى الشتاء كسوة كهذه لكنها من الصوف .. وكانت ملابس العالم تكفل له الرونق والوقار

مكتبة الجامع الأحمدى :

بالاضافة الى المأكل والمسكن والملبس من حاجات الغذاء والمأوى والراحة يبقى الغذاء الروحى والعقلى ، ويقوم الشيوخ ببعضه وتقوم المكتبة ببقية هذا الزاد العظيم ولم ينس الخيرون من الأمراء والعلماء أن يمدوا طلاب هذا الجامع بهذا الزاد الذى لا ينقطع أبدا وهو الكتب الدراسية .. التى نجد منها الآن عددا كبيرا ما بين مخطوط ومطبوع بالاضافة الى ان بها كتبا ثمينة نفذت طبعاتها وقل نظيرها .

تزويد المكتبة :

كان يتم تزويد مكتبة الجامع الأحمدى بعدة طرق منها النسخ والاهداء والشراء .

أولا : النسخ وهو مهنة شاقة ومرهقة يشترك فى ذلك الطلاب والشيوخ تطوعا

وحسبة لوجه الله تعالى ، والفقراء منهم كانوا ينسخون بالأجر نظرا لظروفهم المعيشية ..

وتوجد عادة حجرة ملحقة بالمكتبة بها أدوات النسخ من محابر وأقلام غيرها ..

ثانيا : الشراء حيث تشترى بعض الكتب اللازمة للدراسة ، من المطابع ودور النشر فى مصر أو خارجها ، وقد تبرع الخيرون بشراء الكتب ووقفها على الطلاب ، بالاضافة الى المخصص فى ميزانية المشيخة تحت بند شراء الكتب .

ثالثا : الاهداء : حيث يهدى الوجهاء من الأمراء والشيوخ وغيرهم مكتباتهم الخاصة الى مكتبة الجامع الاحمدى فى حياتهم أو بعد مماتهم ، وكان بعضهم يشترط أن تبقى كتبهم المهداة فى دواليبها الخاصة بها ، ولذلك سميت بالمكتبات الخاصة ومنها على سبيل المثال لا الحصر مكتبة الشيخ عبد الوهاب بركات وهو أحد الشيوخ الذين كان لهم درس كبير فى الجامع الاحمدى .

نظام الاستعارة من المكتبة الأحمدية :

كانت الاستعارة من هذه المكتبة اما داخلية ولا يسمح فيها بخروج الكتب خارج المكتبة وذلك كالمخطوطات والكتب النادرة ، واما خارجية وهى استعارة الكتب لقراءتها ودراستها خارج المكتبة ..

وكانت المكتبة الأحمدية تسير على نظام تنفرد به هى ومكتبة الأزهر ومكتبة مشيخة علماء الاسكندرية ، وهو نظام « التغبيرة » وهو عبارة عن استعارة ملزمة من المخطوط أو الكتاب ،فاذا انتهى من مذاكرته فى مدة محددة ، أعاده وأخذ غيره وهكذا حتى ينتهى من قراءة الكتاب كله ، وهذا النظام العظيم كان مفيدا من عدة وجوه منها عدم ضياع المخطوط كله أو الطمع فيه ، وسرعة انجاز قراءته ، والا حرم المستعير من الاستعارة مرة أخرى..

وهذا فى العصر الذهبى لدار الكتب الأحمدية ، حيث كانت المشيخة تشدد فى الكتب المستعارة وتحاسب أمين المكتبة ومغيريها على اهمالهم فى طلب التغابير حيث يقومون بدورهم بمراسلة الشيوخ ولو كانوا من ذوى النفوذ وطلب الكتب المعارة لهم أو لمن ضمنوهم من الطلاب .

الصلةبين بين مشيخة الأزهر ومشيخة الجامع الاحمدى :

لم تنقطع الصلة بين شيخ الأزهر بالقاهرة ومشيخة الجامع الاحمدى بطنطا فى يوم من الايام فشيخ الجامع الاحمدى عضو فى المجلس الأعلى للأزهر هذا من ناحية ، ومن

ناحية أخرى كانت المكاتبات اليومية الى شيخ الجامع الاحمدى والعكس الى مشيخة الأزهر للتشاور فى الامور التى تهم سير الدراسة والامتحانات أو الأمور العامة أو الاصلاحات أو التعديلات المتعلقة بفقرات ومواد القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ م ..

وحتى الخديوى لم يكن يبرم أمرا خاصا بمصلحة الأزهر الا بعد أخذ رأى شيخ الجامع الاحمدى .

مجلس ادارة الجامع الاحمدى :

وكان يتكون من شيخ هذا الجامع وأربعة أعضاء يمثلون المذاهب الثلاثة والرابع من الخارج يكون عضوا بارزا له خبرة بصالح التعليم فى الجامع الاحمدى ، وعادة كان واحدا من القضاة الشرعيين رؤساء المحاكم بمديرية الغربية بالاضافة الى كاتب أول المشيخة ويكون كاتبا للجلسة .

ويجتمع مجلس الادارة مرة كل أسبوع فى الظروف العادية ، ، الا اذا دعت الضرورة الى اجتماعه فى غير ذلك الوقت .. وينظر المجلس فى الامور الخاصة بنقل الطلاب الى معاهد أخرى والجرايات ونظام القبول بالمعهد وعقوبات الطلاب والالتماسات المقدمة وقبولها أو رفضها والميزانية (ايرادات ـ مصروفات) وغير ذلك من الأمور الكثيرة ، ولولا ضيق المساحة لنشرنا هنا بعض الجلسات التى لدينا منها الكثير .

كما ينظر المجلس فى الاضرابات التى يقوم بها بعض الطلاب لاصلاح حال المعهد ، وينصحهم بالتريث ويحثهم على طلب العلم وعدم التمادى فى تعطيل الدراسة ، و (رفت (١)) رءوس الفتن ومحو اسمهم من السجلات وغير ذلك من تشكيل لجان الامتحان واعلان النتائج وقبول المستجدين .

عقوبات الطلاب :

وحتى لا تنقلب الاضرابات الى فوضى رأت المشيخة أن تعاقب الطلاب المشاغبين الفوضويين وأن تضرب على يدهم بعصا من حديد .. وكان قطع الجراية وخصم درجات السلوك سيفا مسلطا على رقاب هؤلاء الذين لا يرعوون ولا يرتدعون بالاضافة الى محو اسمهم من سجلات الأزهر ، وكانت المشيخة عقب الاضرابات ترسل الى اولياء أمور الطلاب برفت أبنائهم اذا لم يعودوا لدراستهم فى يوم كذا ، ولا يعود الطلاب رغم التهديد الى الدراسة ، فيرفتون ، ومن ثم يقدمون التماسات واعتذارات مشفوعة بالشهادات المرضية ، وينظر مجلس الادارة فى قبولها أو رفضها .. ولدينا وثيقة بها مجموعة من الطلاب الذين تزعموا القيام بالمظاهرات طلبا لحق وطنى خالص ، أو طلبا للعدالة فى أمر

(١) لم نعثر فى اللسان على (رفت) بمعنى فصل الشىء وهو جملة ، ويبدو فى اللفظ (توليد) .. مجلة الازهر .

نال من الأزهر أو الأزهريين ، وقد فصلتهم الادارة •

ومن هؤلاء الطلاب :

١ ــ سعد غراب •
٢ ــ أحمد عبد المنعم مراد •
٣ ــ محمد الطاهر ابراهيم •
٤ ــ ابراهيم فيشار •
٥ ــ محمد محمود دويدار •
٦ ــ عبد المجيد يوسف الغايش •
٧ ــ محمد عبد القادر عيد •

وقد قدم هؤلاء الطلاب التماسا بالعفو عنهم نظرا لنيتهم الخالصة وحبهم لمصلحة وطنهم ، وتاريخهم ناصع البياض وغير ذلك مما ذكروه فى التماسهم ••• وقد عفت عنهم المشيخة وخففت عنهم العقوبات ، وتقلد بعضهم مناصب كبيرة فى الدولة (١) •

مرتبات العلماء :

كان العلماء الكبار بالجامع الاحمدى يحصلون على مرتبات ومخصصات سخية من الأوقاف والأزهر ، ولذلك كانوا يعيشون فى بحبوحة من العيش مكنت بعضهم من الثراء والتفرغ للدعوة الاسلامية ، وبعضهم كان من خارج اقليم الغربية ففضل الاقامة فى طنطا •••

المعهد الاحمدى كان يعطى طلابه درجة العالمية :

كان التعليم بالجامع الاحمدى ينقسم بعد صدور القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ م الى ثلاثة أقسام أولى ، وثانوى ، وعالى ، وهذا القسم الأخير كان يعطى طلابه درجة العالمية التى يمنحها الجامع الأزهر ، وقد عثرنا على وثيقة تحوى أسماء (١٩٨) طالبا بينهم بعض النساء رقم ٤٨ ، رقم ٤٩ ، (٢) ، ومنهم الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر رقم ٦٢ (٣) •

خاتمة :

وبعد فالحديث ذو شجون ولدينا الكثير مما نريد أن نقوله عن هذا الصرح العظيم لكن ضيق المساحة اضطرنا ان نختصر ما نحب على حد قول الشاعر :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه •

ونعد المحبين من القراء الأفاضل أننا سننشر لهم كتابا جديدا باذن الله تعالى عن مشيخة علماء الجامع الاحمدى سيكون أول الموسوعة هذه والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير •

د• مجاهد الجندى

(١) المعلومات من جلسة لنا مع المستشار عبد المجيد الغايش بمنزله بالقاهرة ، وكان اخر وظائفه رئيس محكمة النقض • « الباحث » •

(٢) رقم ٤٨ فاطمة الحلفاوية ، المذهب شافعية من طنطا ، التحقت بالدراسة بالجامع الاحمدى عام ١٣٠٢ هجرية •
رقم ٧٩ فاطمة العوضية ، شافعية من طنبول الكبرى ــ اجا دقهلية التحقت بالدراسة عام ١٣٠٤ •

(٣) رقم مسلسل ٦٤ •

مَلَكُوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَّاِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ ○

سُوْرَةُ الصّٰفّٰتِ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ○
وَالصّٰٓفّٰتِ صَفًّا ○ فَالزّٰجِرٰتِ زَجْرًا ○
فَالتّٰلِيٰتِ ذِكْرًا ○ اِنَّ اِلٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ○
رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ○ اِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا
بِزِيْنَةِ الْكَوَاكِبِ ○ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ
شَيْطٰنٍ مَّارِدٍ ○ لَا يَسَّمَّعُوْنَ اِلَى الْمَلَاِ
الْاَعْلٰى وَيُقْذَفُوْنَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ○
دُحُوْرًا وَّلَهُمْ عَذَابٌ وَّاصِبٌ ○ اِلَّا مَنْ

خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاَتْبَعَهٗ شِهَابٌ
ثَاقِبٌ ○ فَاسْتَفْتِهِمْ اَهُمْ اَشَدُّ خَلْقًا
اَمْ مَّنْ خَلَقْنَا ۭ اِنَّا خَلَقْنٰهُمْ مِّنْ طِيْنٍ
لَّازِبٍ ○ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُوْنَ ○ وَاِذَا
ذُكِّرُوْا لَا يَذْكُرُوْنَ ○ وَاِذَا رَاَوْا
اٰيَةً يَّسْتَسْخِرُوْنَ ○ وَقَالُوْٓا اِنْ هٰذَآ
اِلَّا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ ○ ءَاِذَا مِتْنَا وَكُنَّا
تُرَابًا وَّعِظَامًا ءَاِنَّا لَمَبْعُوْثُوْنَ ○
اَوَاٰبَاۗؤُنَا الْاَوَّلُوْنَ ○ قُلْ نَعَمْ وَاَنْتُمْ
دَاخِرُوْنَ ○ فَاِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَّاحِدَةٌ
فَاِذَا هُمْ يَنْظُرُوْنَ ○ وَقَالُوْا يٰوَيْلَنَا

طرائف

قيل : أوحى الله الى العزير

ياعزير :

ان أصابتك مصيبة فلا تشـكنى الى خلقى فقد أصابنى منك مصائب كثيرة ، ولم أشـكك الى ملائكتى .

ياعزير : اعطنى بقدر طاقتك على عـذابى وسلنى حوائجك على مقـدار عملك ، ولا تأمن مكرى حتى تدخل جنتى .

فبكى عزير ، فأوحى الله اليه :

لا تبك ياعزير فان عصيتنى بجهلك غفرت لك بحلمى لأنى حليم لا أعجـل بالعقوبة عـلى عبادى .

وأنا أرحم الراحمين

« مجاهدة النفس »

قال عون بن عبد الله : اذا عصتك نفسك فيما كرهت ، فلا تطعها فيما أحبت ، ولا يغرنك ثناء من جهل أمرك .

وقال الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين » : يجب أن يكون (أى الانسان) فى التهمة لنفسه معتدلا ، وفى حسن الظن بها مقتصدا ، فانه ان تجاوز مقدار الحق فى التهمة ظلمها فأودعهـا ذلة المظلومين ، وان تجاوز بها الحق فى مقدار حسن الظن أودعها تهاون الآمنين ، ولكل ذلك مقدار من الشغل ، ولكل شغل مقدار من الوهن، ولكل وهن مقدار من الجهل . وقال الأحنف بن قيس : من ظلم نفسه كان لغيره أظلم ، ومن هدم دينه كان لمجده أهدم .

وقال بعض الحكماء : من رضى عن نفسـه أسخط عليه الناس .

وقال كشاجم :

لم أرض عن نفسى مخـافة سخطها
ورضـا الفتى عن نفسـه اغضـابها

ولـو اننى عنهـا رضـيت لقصرت
عمـا تزيـد بمثـله آدابهـا

إعداد: عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ومواقف

وتبينت آثــار ذاك فاكثــرت
عــذلي عليــه فطــال فيه عتــابها

وقال حكيم : من قوى على نفســه تناهى فى القوة ، ومن صبر عن شهوته بالغ فى المروءة .

أربعة تحتاج الى أربعــة

الحسب الى الأدب ، والسرور الى الأمن ، والقرابة الى المودة ، والعقل الى التجربة .

وأربعة تؤدى الى أربعة :

العقل الى الرياسة ، والرأى الى السياسة ، والعلم الى التصدير، والحلم الى التوقير .

قالوا :

* لا تكن عبد غيرك ، وقد جعلك الله حرا

* لئن يفلق رأسى قســمين ، خــير مــن أن يمسح وجهى وجهين .

* قصم ظهرى رجلان : جاهل متنســك ، وعالم متهتك ، هذا يضل الناس بتهتكه وذاك يغرهم بتنسكه .

* التواضع . أن تخضع للحق وتنقاد له ، وتقبل الحق من كل من تسمعه منه .

* خف الله كأنك لم تطعــه ، وأرج الله كأنك لم تعصه .

الاصــابة بالظن

قيل لعمرو بن العاص : ما العقل ؟

قال : الاصابة بالظن ، ومعرفة ما يكون بما قد كان .

وقال الشاعر :

وقلمــا يفجــا المكــروه صــاحبه
حتى يــرى لــوجوه الشر أسبابا

وانما ركب الله العقل فى الانسان دون سائر الحيوان ليستدل بالظاهر على الباطن ، ويفهم الكثير بالقليل .

« دعــــــاء »

رب تقبل توبتى ، واغســل حوبتى،وأجب دعــوتى ، وثبت حجتى وســـدد لســانى ، واهــد قلبى واجعلنى من الشاكرين .

من لطائف الفكاهات

والمداعبات والملح

لما كانت النفوس لا تستطيع ملازمة الأعمال بل ترتاح الى تنقل الأحوال كان من اللائق تعهدها فى بعض الأحيان بالنوادر وملاطفتها بما يسر الخواطر بشىء من الفكاهات أو المداعبات أو الملح لتؤوب الى ما تكلف به من أعمال وتثوب الى ما تعودته من نشاط وأفعال :

سفيان الثورى يفتى فى المزاح .

لما سئل سفيان الثورى : المزاح هُجْنَة ؟ قال بل سُنَّة لقوله عليه الصلاة والسلام (انى لأمزح ولا أقول الا الحق) (١)

وقد ثبت فى صحاح السنة أن رسول الله ﷺ كان يتبسم حتى تبدو نواجذه .

كما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال (روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فان القلوب اذا كلت عميت) (٢)

بعض من مداعبات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم

١ ـ من ذلك أنه قال لرجل طلب منه دابة لتحمله (انى حاملك على ولد الناقة) يريد البعير

---

(١) الحديث اخرجه الترمذى فى سننه فى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى المزاح ج ٤ ص ٣٥٧ رقم ١٩٩١ طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى واولاده الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م بلفظ : عن ابى هريرة قال : قالوا : يارسول الله انك تداعبنا : قال : انى لا اقول الا حقا .
قال ابو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ..
الباجورى

(٢) الحديث فى كشف الخفاء للعجلونى ج ١ ص ٥٢٤ رقم ١٤٠٠ بلفظ : « روحوا القلوب ساعة وساعة » وعزاه للديلمى وابى نعيم والقضاعى عن انس رفعه ، وفى رواية : القلب بالافراد ، ويشهد له مافى مسلم وغيره من قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « يا حنظلة ساعة وساعة » .. الخ ..
أ / هـ كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر على السنة الناس للعجلونى نشر وتوزيع مكتبة التراث الاسلامى ـ حلب ـ أتيول أمام جامع أسامة ـ دار التراث ٢٢ ش الجمهورية القاهرة ـ الباجورى .

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

فهو ولد للناقة (١) .

٢ — وقال ﷺ لامرأة من الأنصار جاءت تسأل عن زوجها (الحقى زوجك ففى عينه بياض) فسعت المرأة نحو زوجها مرعوبة فقال لها مادهاك ؟ فقالت قال لى رسول الله ﷺ ان فى عينيك بياضا فقال: ان فى عينى بياضا لا لسوء (٢) .

٣ — وأتته عجوز أنصارية فقالت يارسول الله ادع لى بالمغفرة فقال لها (أما علمت أن الجنة لا يدخلها العجز) فصرخت فتبسم ﷺ وقال (أما قرأت — إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا) (٣) .

نعيمان البدرى كانت له شهرة بالمزاح فى عصر النبوة :

كان نعيمان أحد أصحاب رسول الله ﷺ البدريين له مزاحات كثيرة منها أنه . أهدى الى رسول الله ﷺ جرة عسل اشتراها من أعرابى ، وأتى بالأعرابى الى باب النبى ﷺ فقال: خذ الثمن من هاهنا .

فلما قسمها النبى ﷺ نادى الاعرابى : ألا أُعْطَى ثمن عسلى ؟ فقال النبى ﷺ (احدى هَنَّات نعيمان ، وسأله لم فعلت هذا ؟) فقال أردت برك يارسول الله ولم يكن معى شىء فتبسم النبى ﷺ وأعطى الاعرابى حقه (٤).

أبو هريرة الصحابى المحدث يحكى نوادر عن بعض الناس :

١ — يقول رضى الله عنه : دخل رجل الى المسجد بالمدينة والنبى ﷺ جالس فقام وصلى فلما فرغ قال (اللهم ارحمنى ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا) فقال النبى ﷺ (لقد حجرت واسعا يا أعرابى) (٥) .

---

(١) الحديث اخرجه الترمذى فى سننه فى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى المزاح ج ٤ ص ٣٥٧ رقم ١٩٩١ ط الحلبى بلفظ : عن انس بن مالك ان رجلا استحمل رسول الله — صلى الله عليه وسلم فقال : انى حاملك على ولد الناقة ، فقال : يارسول الله ما اصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله صلى اللهعليه وسلم — هل تلد الابل الا النوق .
قال ابو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب.
الباجورى

(٢) انظر المدخل لابن الحاج ج ٣ ص ٢٢٣ طبع دار الفكر ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ج ٨ ص ٩ ط الشعب ذكر الحديث وقال : هكذا رواه الترمذى فى الشمائل عن عبد بن حميد .. والايات من سورة الواقعة آية ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

(٤) انظر الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ج ١٠ ص ١٨٠ الناشر مكتبة الكليات الازهرية — الطبعة الاولى ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م .

(٥) الحديث اخرجه أبو داود فى سننه فى كتاب الطهارة باب الارض يصيبها البول ج ١ ص ٢٦٣ نشر محمد على السيد — حمص سوريا بلفظ : عن ابى هريرة ان اعرابيا دخل المسجد ... الخ ..
الباجورى

٢ — ويروى أنه قال (سمعت أعرابيا وهو يقول فى الطواف) اللهم اغفر لأمى فقلت له : مالك لا تذكر أباك ؟ فقال:أبى رجل يحتال لنفسه ، وأما أمى فبائسه ضعيفة (١) .

أشعب بن جبير المدنى ونوادره :

كان أشعب بن جبير من سكان المدينة المنورة فى عصر التابعين قرأ القرآن وتنسك وروى عن عكرمة وأبان ابن عثمان وسالم بن عبد الله بن عمر وله نوادر مشهورة نذكر منها الآتى : —

١ — لم يمت شريف بالمدينة فى عصره الا استعدى أشعب على وصيه أو وارثه وقال له : احلف انه لم يوص لى بشىء قبل موته .

٢ — وخفف الصلاة مرة فقال له بعض أهل المسجد خففت الصلاة جدا فأجابه بقوله (انها صلاة يخالطها رياء) .

٣ — وقال له رجل كان أبوك عظيم اللحية وأنت كوسج (٢) لمن أشبهت ؟ فرد عليه أشعب بقوله : أشبهت أمى .

٤ — ويروى المدائنى عن أشعب أنه قال له (تعلقت بأستار الكعبة وقلت اللهم اذهب الحرص عنى فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطنى أحد شيئا فجئت الى أمى فحكيت لها ذلك فقالت والله لا تدخل بيتى حتى تذهب فتستقبل الله تعالى . فرجعت فقلت (يارب قد سألتك أن تخرج الحرص من قلبى فأقلنى)(٣) ثم رجعت فلم أمر بمجلس من مجالس قريش وغيرهم الا سألتهم وأعطونى ووهبوا لى غلاما فجئت الى أمى بحمار موقور من كل شىء (١).

٥ — وجاءته جارية بدينار وقالت هذا وديعة عندك فجعلته بين ثنى الفراش فجاءت بعد أيام تنظر الدينار فقلت ارفعى الفراش وخذى ولده وكنت تركت الى جانبه درهما . فتركت الدينار وأخذت الدرهم . وعادت بعد أيام فوجدت معه درهما آخر فأخذته وعادت فى الثالثة كذلك فلما جاءت الرابعة تباكيت فقالت ما يبكيك ؟ فقلت مات الدينار فى النفاس فقالت وكيف يكون للدينار نفاس ؟ فقلت يامائقه (٢) تصدقين بالولادة ولا تصدقين بالنفاس (٣) .

نوادر عن السواد فى مجلس الرشيد :

سأل الخليفة العباسى هارون الرشيد أبا يوسف القاضى فقال له بلغنى أنك لا ترى لبس السواد (وقد كان السواد هو شعار العباسيين) فقال أبو يوسف يا أمير المؤمنين ولم وليس فى بدنى شىء أعز منه ؟ قال:وما هو ؟ قال السواد الذى فى عينى .

---

(١) العقد الفريد الجزء الثالث .
(٢) كوسج هو الذى ليس فى وجهه شعر .
(٣) قوله فأقلنى اى انه رجع فى دعائه .
(١) موقور اى حمل عليه حمل ثقيل .
(٢) مائقة تعنى الحمقاء .
(٣) كتاب فوات الوفيات تأليف محمد بن شاكر ابن أحمد الكتبى .

ولما اجتمع به الامام الأوزاعى سأله عن لبس السواد فقال لا أحرمه ولكنى أكرهه قال ولم ؟ قال لأنه لا تجلى فيه عروس ولا يلبى فيه محرم ، ولا يكفن فيه ميت . فالتفت الرشيد الى أبى يوسف وقال ما تقول أنت فى السواد ؟ قال يا أمير المؤمنين النور فى السواد فاستحسن الرشيد ذلك . ثم قال : وفضيلة أخرى يا أمير المؤمنين قال وما هى ؟ قال لم يكتب كتاب الله الا به . فاهتز الرشيد لذلك(١)

نوادر عن الاعراب .

تزوج أعرابى على كبر سنه فقيل له فى ذلك فقال اذا أنجبت ولدا أبادره باليتم قبل أن يبادرنى بالعقوق .

ومر أعرابى وفى يده رغيف برجل فى يده سيف فقال بعنى هذا السيف بهذا الرغيف فقال أمجنون أنت ؟ فقال الاعرابى ما أنكرت منى ؟ انظر أيها أحسن أثرا فى البطن (٢) .

نوادر عن النحاة :

قدم رجل من النحاة خصما الى القاضى وقال: لى عليه مائتان وخمسون درهما فقال لخصمه ما تقول ؟ فقال : أصلح الله القاضى ، الطلاق لازم له ان كان له الا ثلثمائة وانما ترك منها

(١) كتاب نهاية الأرب فى فنون الادب تأليف شهاب الدين احمد النويرى ــ السفر الرابع .

(٢) المرجع السابق .

خمسين ليعلم القاضى أنه نحوى .

وجاء رجل الى الحسن البصرى فقال ما تقول فى رجل مات فترك أبيه وأخيه؟ فقال الحسن ترك أباه وأخاه فقال ما لأباه وأخاه فقال الحسن ما لأبيه وأخيه فقال الرجل انى أراك كلما طاوعتك تخالفنى (١) .

شىء من نوادر الحمقى والمغفلين :

اشتهر ابن خلف الهمذانى بالغفلة والحمق ، وكان قد رآه بعضهم فى احدى الصحارى وهو يطلب شيئاً فقال له ما تبغى ها هنا ؟ فأجابه دفنت شيئاً ولست أهتدى اليه فقال له فهلا علمت عليه بشىء ؟ قال جعلت علامتى قطعة من الغيم كانت فوقه وما أراها الساعة .

ونظر مرة فى الزير « وهو وعاء الماء » فرأى وجهه فعدا الى أمه فقال ياأمى فى الزيز لص فجاءت أمه وتطلعت فيه فقالت أى والله ومعه امرأة .

ودخل الى رجل يعزيه فقال عظم الله مصيبتكم وأعان أخاك على ما يرد عليه من يأجوج ومأجوج فضحك الناس وهم فى العزاء فقال تضحكون مما قلت وانما أردت هاروت وماروت .

ومن الحمقى من كان يدعى أبا زياد التميمى دخل على زياد بن عبد الله الحارثى لما كتب اليه الخليفة المنصور العباسى ليقسم بين القواعد والعميان والأيتام مالا فقال أبو زياد التميمى أصلحك الله اكتبنى فى القواعد فقال له عافاك الله القواعد هن النساء اللائى قعدن عن أزواجهن فقال فأكتبنى فى العميان قال اكتبوه منهم فان الله تعالى يقول ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ قال أبو زياد واكتب ابنى فى الأيتام قال نعم من كنت أباه فهو يتيم (٢) .

وبعد

فهذا لون من ألوان المداعبات والفكاهات والملح يتسم بالصدق والبعد عن المجون والفجور نختتمها بنصيحة طيبة للامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه اذ يقول .

أجمعوا هذه القلوب والتمسوا لها طرق الحكمة فانها تمل كما تمل الأبدان والنفس مؤثرة للهوى ، آخذة بالهوينى جانحة الى اللهو ، أمارة بالسوء ، مستوطنة بالعجز طالبة للراحة نافرة عن العمل ، فان أكرهتها أنصبتها وان أهملتها أرديتها) (٣) .

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

(١) المرجع السابق .
(٢) اجمواهذه القلوب يعنى أريحوها من تعبها.
(٣) كتاب العقد الفريد لابى عمر بن عبد ربه الاندلسى .

في الدعوة

الاعلام والدعوة الاسلامية

كيف نفهم اليهود

الفيديو

الاعلام والدعوة الاسلامية

يجمع اساتذة الاعلام فى العالم على تعريف الاعلام بانه :

تزويد النـــاس بالمعلـــومات الصـــحيحة والحقائق الثابتة والأخبار الصادقة .

ولا شك أن الاعلام الاسلامى يتفق مع هذا التعـــريف فانه يبث المعلومـــات والحقـــائق الصادقة كل الصدق فى اتجاه اسلامى ، يهدف الى التعريف بالمبادىء الاسلامية ونشرهـــا أو اذاعتها بشتى وسائل الاعلام المعروفة ، وهى وســـائل مطبـــوعة أو مذاعـــة بالـــراديو أو التليفزيون .

وبما أن الاعلام الاسلامى يتضمن بث كل ما هو اسلامى ، فان الدعوة الاسلامية ، وهى الاسلام نفســـه ، تكون هى الموضوع الاساسى فى ذلك الاعلام ، ولقد جاء الاســـلام الحنيف بشريعة الهدى ودين الحق ليظهره على الـــدين كله ، ومن سمات الاسلام انه « دعـــوة » وانه « بلاغ » وانه « رسالة » وانـــه « بيـــان » ، وهذه السمات هى بعينهـــا سمات الاعـــلام الاسلامى ، والاعلام نفسه منذ عرف (علمـــا قائما بذاته) يدرس فى الجامعات الاســـلامية وكليات الآداب وأصول الدين والدعوة ، وقد عرف الاسلام بأنه « دعوة » فى قوله تعـــالى **« لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّـــذِينَ يَدْعُـــونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ » .**

سورة الرعد ١٤ .

وفى قوله تعالى :

« ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَـــةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ » .

النحل ١٢٥ .

وقوله تعالى :

« فَلِـــذَلِكَ فَادْعُ وَاسْـــتَقِمْ كَمَـــا أُمِرْتَ »

الشـــورى ١٥ .

والاسلام « بلاغ » ، **« هَذَا بَلاَغٌ لِلنَّـــاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ »** ، **« إِنَّ فِى هَـــذَا لَبَلاَغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ »** (الانبياء ١٠٦) ، **« وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَـــلاَغُ الْمُبِينُ »** (العنكبوت ١٨) .

والاسلام « رسالة » ، **« يَا أَيُّهَـــا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ »** (المائدة ٦٧) ، **« الَّـــذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَـــوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا »** (الاحزاب ٣٩) .

والاعلام ، والدعوة هو هذه المعانى أيضا ، مع فارق انه من بشر الى بشر •

اما الاسلام فهو من الله عز وجل الى الناس كافة ، يحمله رسول صادق وأمين ، وكلمة الاعلام تعنى : الإخبار أو الإبلاغ أو الإنباء ، وكلها مترادفات معناها انتقال المعلومات من الأفراد بواسطة فرد أو جماعة ، بحيث تنتشر بينهم ، وتبلغ عقولهم وأفهامهم •

وتنتقل هذه المعلومات بطرق أربعة ، يسميها علماء الاعلام « طرق الاتصال » ، باعتبار الاتصال علما أشمل وأعم من الاعلام ، وهى :

١ ــ طريق الاتصال الذاتى : ويكون بين المرء ونفسه ، ويتمثل فى الشعور والوجدان والضمير والفكر ، بمعنى أن يعد الانسان نفسه لتلقى العلوم والمعارف ، وان يثقف نفسه ذاتيا بحيث يستطيع التعلم ، والتعليم فى نفس الوقت ، فهو ينقل الى الناس ما تلقاه من معلومات تدل على قدرته وثقافته ، وبقدر صحة هذه المعلومات وصدقها بقدر ما يكون فيه من ثقة وكفاءة وقدرة على الفهم والافهام •

٢ ــ طريق الاتصال الشخصى : ويكون بين الفرد وفرد آخر أو مجموعة صغيرة من الافراد ، مثل أعضاء الأسرة ، وجماعة الاصدقاء ، وزملاء العمل ، وجيران الحى ، وهذا الاتصال ــ كسابقه ــ اتصال مباشر ، يحدث بمواجهة شخصية بين الفرد وغيره •

وهو اتصال فعال ومؤثر ومفيد ، وأسرع من غيره من أنواع الاتصال •

٣ ــ طريق الاتصال الجمعى : ويكون من مصدر واحد ، فرد أو جماعة ، الى عدد كبير من الافراد ، كأن يكونوا قراء جريدة أو مجلة أو كتاب ، أو مستمعى اذاعة أو مشاهدى (تليفزيون) ، وفى هذا يدخل الاعلام والدعوة على أوسع نطاق ، وأكبر وسيلة ، وعن طريقه تنتقل المعلومات والآراء من زعيم أو قائد أو مصلح أو حاكم الى جموع الشعب ، أو الجماعة المخاطبة ، التى تهتم بها ، وتتلقاها عن طريق الوسائل الجماهيرية الواسعة الانتشار •

٤ ــ طريق الاتصال الفكرى أو الحضارى : حيث تتفاعل البيئة الثقافية فى شكل عمليات اجتماعية تتنوع فيها المعلومات والمؤثرات والمنظمات وتلعب المعتقدات والموروثات الشعبية دورا كبيرا بما فيها من عادات وتقاليد وأساطير ، وتنتقل هذه المعلومات من بيئة الى أخرى فيحدث التبادل الفكرى أو الثقافى أو الحضارى بين مجتمع وآخر داخل الوطن الواحد أو بين الأوطان المختلفة •

ومن هذا التقسيم نستطيع أن نفهم أن عملية الاتصال فى مفهومها العام ، وعملية الاعلام والدعوة فى المفهوم الخاص ، تقوم

على عناصر وأركان كثيرة ، تساعد وتساهم فى نقل المعلومات ، وهى حلقات متصلة فى عملية واحدة ، وهذه العناصر ، على كثرتها وتعددها ، يمكن تلخيصها فيما يلى : ـ

أولا : المصدر أو المرسل وهو الشخص الذى يقوم بتوصيل الرسالة أو الخبر أو ابلاغ ، وهو صاحب الرسالة المبلغة سواء كان زعيما مصلحا أو قائدا موجها ، أو حاكما آمرا ، أو نبيا مرسلا من عند الله ، فهو مبلغ عن ربه ، مؤتمر بأوامره ونواهيه ، **« ما على الرسول الا البلاغ »** (المائدة : ٩٩) .

ثانيا : الرسالة المبلغة ، وهى مادة التبليغ ، وموضوع الدعوة ، ومحتوى الرسالة ، ولقد كانت رسالة كل مصلح ونبى فى قومه تهدف الى هداية الناس الى الحق ، والى طريق مستقيم ، والرسالة تنجح بقدر ما تحمله من صدق وحق ، وبقدر ما تصلح الفاسد من عاداتهم ، وتؤصل الحسن من خصالهم وتقاليدهم ، وتوجههم الى التى هى أقوم .

ثالثا : المرسل اليه ، أو الجمهور ، أو الجماعة التى تتلقى الرسالة ، ويشترط أن يكون المرسل اليه على مستوى التبليغ ، مهتما بالرسالة ، متجاوبا معها ، وأن يكون المصدر على لقاء فكرى واجتماعى وعقلى معه ، بحيث لا يحدث أى تضارب أو تعارض أو خلاف بينهما ، وبحيث يحدث الاقتناع من المرسل والاقتناع من المرسل اليه، وعلى درجة متقاربة من الوعى والتفاهم ، فكرا وعملا ، مضمونا وهدفا (١) ..

رابعا : وسيلة التبليغ ، أو الطريقة التى يتبعها المرسل فى ابلاغ رسالته ، وقد نشأ هذا العنصر من تعدد وسائل الاتصال فى العصر الحديث من اذاعة وصحافة وسينما ومسرح وكتاب ومجلة مما لم يكن متوفرا فى القديم ، ولكنا كنا نجد وسائل محدودة ، ولكنها فعالة لأنها مباشرة ومواجهة ، مثل الخطابة والندوة والرسالة والبعوث وغيرها ، وكانت هذه الوسائل قديما تصاحبها أساليب الدعوة كما ذكرها القرآن الكريم فى مثل قوله تعالى :

« ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » .

وفى مثل قوله تعالى :

« وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

آل عمران ١٠٤ .

وفى قوله تعالى ، على لسان رسول كريم :

« **أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ** » .

الاعراف ٦٨ .

(١) ينبغى أن نستثنى من ذلك ان يكون المرسل اليه مكابرا بطبعه ليس ممن يذعن للحق بحال .
« مجلة الازهر »

ومعنى هذا أن رسالة الاسلام تستخدم وسائل كثيرة ، وأساليب متعددة لابد أن يتصف بها المرسل مثل : الحكمة ، والموعظة الحسنة ، والجدال الحسن ، والدعوة للخير ، والنصح الأمين ، وغير ذلك من سبل وردت فى الكتاب والسنة •

ومن المفيد أن الوسائل الحديثة ــ على كثرتها وتنوعها ــ تستطيع أن تقوم بدورها فى تبليغ رسالة الاسلام ومبادئه ، فى الداخل والخارج ، بهذه الاساليب نفسها ، فاذا أضفنا سعة الانتشار ، وسرعة التوصيل ، استطعنا القول بأن الوسائل الحديثة ، والقديمة المستمرة ، هى وسائل جيدة وعظيمة واسلامية اذا أحسن استخدامها ، وتوجيهها فى العصر الحديث •

خامسا : « التأثير » أو قياس الأثر الذى تتركه الرسالة فى نفس وعقل المرسل اليه ، ومعرفة النتائج التى تصل اليها الرسالات ، هل أتت أكلها ؟ هل أثمرت ثمرتها ؟ هل استجاب لها الناس ؟ والى أى مدى ؟ وبأى مقدار ؟ وبمعنى آخر : هل وصلت الرسالة الى هدفها ؟ أم تعثرت ؟ وما هى العوائق التى واجهتها ؟ وهل أمكن التغلب عليها ؟ وكيف ؟

ان قياس أثر الرسالة يجعل المرسل يعيد حساباته ليعدل مساره ، أو يكمل طريقه ، أو يبدأ من جديد، أو يخلى طريقه لغيره ، أو يحدد فى اساليبه ليتخطى العقبات أو يتغلب عليها •• وهذا ينبع من دراسته للجمهور ومعرفة ميوله ورغباته واتجاهاته ، ومعرفة مستوياته المعيشية والفكرية والاقتصادية ، وذلك ليضع خططته فى الاعلام والتبليغ وفقا لهذه المستويات والدراسات المسبقة ، وحتى يصل الى الجمهور بأسرع أسلوب وأنسب وسيلة ، ضامنا لأقصى ما يمكنه من عوامل النجاح والتوفيق •• وهناك عناصر أخرى نرجو أن نوفيها حقها فى مقالنا هذا •

عناصر أخرى :

قلنا : ان للاعلام عناصر خمسة هى : المرسل والرسالة والمرسل اليه ، والوسيلة ، والاثر ، ولكن علماء الاعلام والاتصال يضيفون الى هذه العناصر عناصر أخرى ، نذكرها فيما يلى :

سادسا : مجالٌ خبرة مشتركة بين المرسل والمرسل اليه ، بمعنى أن تكون مجالات الفكر مشتركة ، والمستوى الاقتصادى والاجتماعى متقاربا واللغة المستخدمة واحدة ، أو يمكن نقلها وترجمتها بسهولة ، وأن تكون مبادىء الرسالة فى الفهم والادراك على كافة المستويات متكافئة •

ونضرب مثلا بذلك من حياة رسول الله محمد ﷺ ، لقد كان بشرا يعيش فى حياة مجتمعه ، والفرق بينه وبين افراد بيئته انه لم يسجد لصنم قط ، ولم يؤمن بغير الله الخالق الواحد ، عرف بالامانة والخلق القويم والسلوك الحميد ، تكلم لغتهم ، واحترف حرفتهم : التجارة والرعى ، وآخى بينهم قبل الرسالة وبعدها ، وعرف بينهم بالصادق الامين ،

فلا غرو أن كسب ثقتهم ، ونال تأييدهم وحظى بحبهم وتقديرهم ، وبرغم مالقيه من عنت واضطهاد فى بعض مراحل الدعوة ، فقد نجح فى النهاية فى بناء الدولة الاسلامية الكبرى ..

ومن هنا نقول أن مجال الخبرة المشتركة بين الرسول ﷺ وأمته جعله فى مستوى التبليغ ، وفى لقاء مشترك ومتواصل مع جميع الافراد . وبالمثل فان داعية اليوم ، ورجل الاعلام الحديث ينبغى أن يكون على لقاء فكرى واجتماعى وسلوكى مناسب مع الجمهور حتى يضمن أكبر قدر من النجاح .

سابعا : صياغة الرسالة فى اطار متكامل ، وعناصر يؤدى بعضها الى البعض الآخر ، وبمعنى آخر أن تكون للرسالة دلالة موحدة ومفاهيم غير متعارضة ، واطار واحد يضمهابين دفتيه فى بناء متكامل ، بوضوح وبدون لبس ، وتشمل الصياغة لغة الرسالة أيضا ، بحيث يفهمها الجميع ، ولا يصعب وصولها الى الناس ، ولذلك كانت اللغة العربية بالنسبة للاسلام هى لغة التبليغ ولغة المجتمع العربى فى نفس الوقت ، ولم يجد العرب صعوبة فى فهم الرسالة أو فى تحديها لهم ، لأنها كانت لغة معجزة فى ترتيبها وتسلسلها وبنائها ، واشتقاقاتها ، وألفاظها . وهكذا جمعت العربية بين اعجازها ومفاهيمها والقدرة على استيعا والاعجاب بها ، واستخدامها ، وفهمها ، ولم يستطع أى عربى — على بلاغته وفصاحته — أن يأتى بسورة من مثله ، ولا بعشر آيات من مثله ، ولا بآية واحدة من مثله .

ثامنا : تفسير المرسل اليه ، أى مدى فهمه للرسالة ، ومدى استجابته لها ، ورده عليها ، وشرحها ، ونقلها الى الغير ، لأن المرسل اليه يصبح مرسلا لها بمجرد فهمه واستيعابه وقدرته على التعبير عنها ، وفهمها ، ونقلها الى الجمهور ، فردا كان أو جماعة وقد يتيح له فهمه أن يزيد فى الشرح والتفسير ، وأن يجيد فى البيان والايضاح ، وأن يكون قادرا على الجدال والمناقشة حول المفاهيم ، وأن يحسن الدفاع عنها ، والهجوم المضاد على من أراد تشويهها ، وأن ينقل مضمونها دون اخلال بمبادئها « ورب مبلغ أوعى من سامع » ، وهذا المجال يعطى الجمهور فرصة أكثر للاقتناع بالرسالة ، وبالاقتناع برأيه ان كان صوابا ، وهو بذلك يزداد ارتباطا بها وفهما لها وقدرة على التعبير عنها ، انه بذلك يصبح مرسلا يساعد على انتشارها وذيوعها ، وهكذا تسير الرسالة على لسان أكثر من داعية ، وتنتقل عبر أسلاك كثيرة .

تاسعا : مراعاة ظروف المكان والزمان ، فأسلوب الرسالة الذى يصلح توجيهه والدعوة به فى القرن العاشر غير الذى يصلح فى القرن العشرين ، فالمضمون واحد ، ولكن اسلوب العصر يختلف ، مكانا وزمانا ، والأسلوب الذى يصلح لمكان حضرى ، قد لا يصلح فى مكان بدوى أو ريفى وهكذا ، ان لكل مكان وزمان أسلوبه المميز فى التخاطب والنقل والحوار واللغة ، ولكل مجتمع — فى آسيا أو أفريقيا أو

أوربا أو امريكا ـ أسـلوبه في المعاملة ، وكل هذا تحدده ظروف المكان والتقاليد والأعراف المرعية والعادات السـائدة .

عاشرا : الظروف الاجتماعية ، والعلاقات الداخلية والخارجية بين الجماعة أو المجتمـع والمجتمعات الأخرى ، تلك التى تنتمى اليهـا ببعض الصلات أو لا تنتمى .

ان مراعـاة هـذه العـلاقات والظـروف الاجتماعية بين فئات المجتمع الواحـد ، وبين المجتمع والمجتمعات الاخرى ، مهم جدا لوضع الاسلوب المناسب لتبليغ الدعوة .

كذلك الحالة التى عليها المجتمع بين استقرار وثبات ، أو اضطراب وفوضى ، الى مستويات المعيشـة ، والنظام الاقتصادى والفكرى الذى يعيش فيه المجتمع ، هو أيضا هام لصـيغة أسلوب الرسـالة ولغتها ، ومن المهم أيضـا دراسـة الحالة العقائدية والسياسية السائدة حتى لا يصطدم المرسل بعقبات لا يسـتطيع تخطيها أو التغلب عليها ، وحتى يتخذ أسلوب التدرج فى التبليغ وصولا الى الهدف المرجو .

هذه هى عناصر الاعلام والدعـوة وفـق الدراسات العلمية التى وضعت لها وحـولها ، فالاعلام يضع لكل عنصر مواصفات وشروطـا ينبغى أن تتوفر لتحدث الرسالة أثرها المرجو، ونتيجتها المطلوبة .

فمثلا يضع للمرسل أو صاحب الرسالة ، أو الزعيم أو القائد أو المصلح ، شروطـا منها : أن يكون صاحب سلطة وهيمنة على المكان الذى يعمل فيه ، وأن يكون مختـارا من الجمـاعة أو أن يراعى تقاليدها ، وأن يرتفع عن مستوى الفردية والحزبية والطبقية ، وأن يكون متمرسا وخبيرا بفئات المجتمع وأحواله السائدة ، وأن تكون لديه القدرة على التضحية والمخـاطرة والاستمرار فى الدعوة رغم الصـعوبات التى يلقاها أو تلحق به أحيانا ، وأن يكـون جلـدا صبورا ، ثابتا على مبـادئه لا يحيـد عنهـا ولا يميل ، متسـامحا ، مخلصـا ، مؤمنـا بالرسالة ، قادرا على التكيف السريع بالموقف ، صريحا ، حازما ، منطقـى التفكير ، عـادلا ، لا يتعصب لرأى الا اذا كـان هـو الحـق والصواب .

ويضع الاعلام والدعوة للرسالة أو الدعوة شروطا اذا توفرت بلغت مآربها ، واذا حادت عنها تنكبت الطريق ، وفشلت ، ومنها أن تقوم على مبادىء سليمة وواقعية ، لا تتبـدل ولا تنحرف ، وأن تتفق مع الظروف التى تجىء فيها وأن تستهدف الاصلاح الحقيقى نحـو الأفضـل والأنفع والأقوم وأن تكون منطقية مع الواقع ، موضـوعية من حيث التطبيـق ، متفقة زمانا ومكانا ، فكرا وعملا ، واقعا وحسا مع الجماعة وميولها واتجاهاتها (١) ، ولا مانع من تكرار الرسالة ، والالحاح عليها حتى تصل

(١) هذا اذا لم تكن الرسالة دينا سماويا جاء ليصلح فساد المجتمع ويغير ما فيه من انمـاط عفونته ـ مجلة الازهر .

الى أبعد انتشار ممكن ، وأوسع ذيوع محتمل ، وأن يستطيع المرسل اليه أو الجمهور قبولها بأيسر السبل والوسائل ، وأقل الجهد والتفكير ، وعن اقتناع وايمان ، والا يستعصى عليه فك رموزها ، وحل معضلاتها •

أما بالنسبة للمرسل اليه ، أو المجتمع أو الجمهور ، فان الاعلام الحديث والدعوة يضعانه فى مكان هام ، ومنزلة كريمة ، لأنه هو الهدف من الرسالة ، والغاية التى يريد الوصول اليها ، وأساس التبليغ ، واليه تتوجه الجهود القائمة ، وبدونه فلا مرسل ولا رسالة ، ولذلك فانه من الأساس أن يكون هناك « متلق » أولا ، وأن يكون هذا المتلقى مهيئا للتلقى نفسيا وعقليا واجتماعيا ، وأن يتفق مضمون الرسالة مع اتجاهاته وميوله نحو الاصلاح ، وأن يكون متجاوبا مع مبادىء الرسالة ، قادرا على فهمها واستيعابها ، والايمان بها ، والعمل على نشرها والعمل بها ، وتطبيقها على نفسه سلوكا وتنفيذا ، وينبغى مراعاة ظروف الجماعة ومكوناتها ، أهى قبيلة فى بادية ، أم ريف فى قرية ، أم حضر فى مدينة ، أهم أغلبية عمالية أم زراعية أم موظفون ، أم طلبة ، أم نساء ربات بيوت أم مثقفون أم علماء •• طبقة متوسطة أم أغنياء •• أم فقراء •• الخ •

ومن هنا كانت وسائل الدعوة فى حاجة الى عناية واهتمام كبيرين ، لأنها فى القرية غيرها فى المدينة ، وفى البادية غيرها فى البيئات الاخرى ، وهى فى المدرسة تختلف عنها فى المزرعة أو المصنع أو المعمل ، ثم ان مجالها فى الاذاعة غيره فى الصحافة أو « التلبفزيون » أو على « منبر المسجد » أو « الكتاب » أو فى « السينما » أو المسرح ، ومع كل هذه الاختلافات فمطلوب أن تكون المبادىء المرسلة واحدة ، والمحتوى واحد ، وان تعددت الوسائل وسبل النشر أو الاذاعة ، ولذلك فمن المهم أن يتفهم المرسل نفسية وعقلية المرسل اليه ، وأن يصل اليه بالوسيلة المناسبة التى يفهمها ، لكى يضمن التأثير المطلوب ومن ثم النتيجة المرجوة •

وهكذا اذا سرنا مع المبادىء الاخرى والعناصر المختلفة للاعلام الحديث ، والدعوة ، نجدها تتطلب فى النهاية وعيا قادرا ومستمرا من صاحب الرسالة ، وتفهما دائما منه للمرسل اليه ، ووقفة متانية مع مبادئة لكى تتفق مع ظروف الجمهور وأوضاعه ومكوناته الاجتماعية والحضارية ، زمانا ومكانا ، تاثرا وتاثيرا ، ومع هذه الشروط النظرية سوف نجد أن الرسالة الحقة تنتشر بسرعة اذا توفرت لها هذه العناصر ، وغيرها مما لم تكن فى حسبان الداعية وتوقعاته ، •

محمد كمال الدين على يوسف

الفيديو

المسلمون وتكنولوجيا الاعلام

للاستاذ حسن على العنبيسى

يشهد القرن العشرون ثورة كبرى فى « تكنولوجيا الاتصال » وهى ثورة ذات آثار اجتماعية واقتصادية وسياسية بالغة الخطورة ..

ان « تكنولوجيا الاتصال » الحديثة لم نصنعها – نحن المسلمين – ولم نشارك فى صنعها .. على الرغم من فضل المسلمين على العالم كله .. ، وأقصى ما يستطيع العالم الاسلامى أن يفعله الآن – هو استخدام هذه « التكنولوجيا » والتعامل معها .. !!

ومن الامانة أن نقرر أن هذا فى ذاته ليس عيبا ، اذا كان الاستخدام رشيدا ، منظما ، نستفيد فيه من تجارب السابقين بأعين مفتوحة وعقول واعية وبنظرة تصل بنا الى أبعد قليلا أو كثيرا عن مواطىء أقدامنا .

ونتساءل :

كيف نستفيد من تجارب السابقين ؟

وكيف نخضع « التكنولوجيا » الحديثة لنا ونحل بها مشكلات المسلمين ؟

وكيف يمكن لنا أن نتجنب آثارها السيئة ؟

« والفيديو كاسيت » أحد هذه الوسائل « التكنولوجية » الحديثة التى يصدرها العالم الغربى الينا ، والتى نتهافت على اقتنائها ، والغريب العجيب أن بلادا كثيرة من بلاد المسلمين فاق عدد أجهزة « الفيديو » التى بحيازتها أعداد الأجهزة نفسها الموجودة فى الدول التى تصنعها وتصدرها .. !!

ولكى ننبه لهذا الخطر .. ، وندعو كل بلاد العالم الاسلامى أن تتعامل مع تكنولوجيا الاتصال الحديثة بحذر وروية ، نقدم هذه

الاطلالة السريعة مشتملة على نقـاط البحث التالية : ـ

١ ـ المسلمون ومدى حاجتهم الى «الفيديو»
٢ ـ خصائص جهاز « الفيديو » الفنيـة التى يتميز بها عن غيره من وسائل الاعلام .
٣ ـ الآثار السلبية الناتجة عن الاستخدام الخاطىء « للفيديو » .

٤ ـ ماذا يريد الجمهور ؟ هل نقدم له ما يريده ؟ أو ماهو بحاجة اليه ؟

أولا : المجتمع الاسـلامى ومـدى حاجته الى « الفديو » : ـ

من الضرورى ، عندما نتحدث عن «الفيديو» كأحد وسـائل الاعـلام فى المجتمـع الاسلامى .. ، أن ننظر الى واقع بلاد العالم الاسلامى نظرة موضوعية .

* ان واقع الحال يؤكد لنا أن جميع الدول الاسلامية ، أو معظمها ، يقع فى عداد الدول الفقيرة أو ما يسمى تأدبا ـ «بالدول النامية» واذا علمنا أن ثمن جهاز « الفيديو » يتراوح بين ١٣٥٠ (١) دولارا و ١٥٠٠ دولار لعلمنـا الى أى مدى يستلب هذا الجهاز مشـاعر المسـتهلك الفقـير بحسرة فى بـلاد يبحث أصحابها عن لقمة الخبز .. !!

* كذلك فان ثمن « شريط الفيديو » الواحد يتراوح ما بين ٥٠ الى ٣٥ جنيهـا مصريا(٢) بينما ايجـار الشريط الواحـد أو « الفيلم » الواحد يصل الى ثـلاثة جنيهـات .. فكم « فيلما » سوف يراها فى الاسبوع .. ؟ وكم شريطا سـوف يقتنيـه مع الجهاز ؟ وما هى تكاليف الصيانة .. !؟

ونعجب :

اذا علمنا أن أقطاب السيادة الغربية منعوا امداد بعض الدول بأبسط آلات « التكنولوجيا الحديثة » فمنعوا تصدير الآلات الحاسـبة اليهم ، وهى الآلات التى يكاد أطفالنا يلهون بها فى الشوارع ، بينما تركوا لنا جانبا كبيرا من هذه الآلات يغزو أسـواقنا دون رقيب أو حسيب .

لكن نظرة الى هذا المتروك ... الى جانب ما نعلم من سوء اسـتخدامنا له .. الى جانب مطابقة سوء الاستخدام هـذا لمخطط تلك الدول ...

... كل ذلك ... يزيل العجب . !!!

انها حـرب جـديدة ماكرة يشنها أعـداء الاسلام ضد المسلمين ومعول الهدم الجـديد لكيان الأسرة المسلمة .. !!

ان دخل الفرد فى البلاد الاسـلامية أدنى الدخـول اذا ما اسـتبعدنا بعض الـدول البترولية .. ، ناهيك عن الأمية التى أصبحت وصمة عار فى جبين المسلمين .. فقد وصلت فى بعض بلاد المسلمين الى أكثر من ٨٥٪ وفى أحسنها حالا الى ٥٢٫٧ (٣) ، وهذا ديننا أول ما نزل فيه من وحى يحث على العلم قال تعالى :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

* من هذا فان منطق القول يؤكد لنا أننا لسنا بحاجة الى هذه الأجهزة قدر حاجتنا الى نشر العلم والى رفع مستوى دخل الفرد والى السلاح الذى ندافع به عن ديارنا .. ثم فى النهاية — اذا فعلنا ذلك كله — الى الترفيه عن أنفسنا فى اطار من حشمة الدين وتعاليم الاسلام .

*** فى بيتنا .. « فيديو » .. !!**

يبلغ عدد أجهزة « الفيديو » فى نحو سبع دول عربية اسلامية نحو خمسة ملايين جهاز « فيديو » أى ما يوازى بالضبط العدد الموجود فى الولايات المتحدة الأمريكية ..!! وهو رقم يفوق عدد الأجهزة الموجودة فى كل من فرنسا وبريطانيا وبلجيكا مجتمعة ولك أن تسأل :

لماذا نزيد عليهم فى « الفيديو » فقط .. ؟ لماذا لا نزيد مثلا عليهم فى اقتناء الطائرات ؟ لماذا لا نزيد فى عدد المصانع .. ؟ فى المدارس .؟ فى المستشفيات . ؟

واذا أصبح « الفيديو » واقعا فى المجتمع الاسلامى ....

فاولى بنا ثم اولى أن نوجهه الى الاسهام فى انهاء مشاكل المسلمين فيتجه الى نشر التعليم للقضاء على الأمية .

كذلك نوجهه — مستخدمين طاقاته — فى تعليم النشء وغيره مبادىء الاسلام وممارسة تعاليمه .

نستخدمه فى الكليات العملية ، ومعاهد البحوث .

لا نتركه — هكذا — يؤدى رسالة غريبة على مجتمعنا : تقاليده وأخلاقه، روابطه الأسرية .. تاريخه .. عمقه وحضارته .

لا نترك ... كل ذلك يضيع هدرا أمام هذا الطارىء المرسل بعينى « ابليس » ورسالة « الطاغوت » وهلاك « اغراء الجنس » .

فى مصر ...

منذ خمس سنوات كان هناك « ناد » واحد « للفيديو » فى شارع الهرم ، وشركة واحدة مسجلة ، واليوم فى القاهرة وحدها ثلاثمائة ناد ، وأكثر من ثلاث وعشرين شركة مسجلة فى غرفة صناعة « السينما » .

وغرقت السوق العربية الاسلامية بالأجهزة والأشرطة ، وبدأت المتاعب أثرا مباشرا لما ترتب على ذلك الذيوع والانتشار .

ثانيا : خصائص جهاز « الفيديو » !

يرى الباحث الاعلامى « مارشال ماكلوهان » أن وسائل الاعلام التى يستخدمها المجتمع أو يضطر الى استخدامها ستحدد طبيعة المجتمع ، وكيف يعالج مشاكله (٤).

وقد أظهرت التجارب المعملية والميدانية أن الاتصال الشخصى أكثر قدرة على الاقناع من « الراديو » وأن « الراديو » أكثر فاعلية

من الصحف ، وأنه كلما ازداد الطابع الشخصى للوسيلة ، ازدادت قدرتها على الاقناع ..

* « والفيديو كاسيت » من الوسائل ذات الطابع الشخصى أى أنها أكثر قدرة على الاقناع والتأثير والتوجيه .

* و « الفيديو » من الأجهزة التى تخاطب العين والأذن معا وبالتالى فانه لا يحتاج الى قراءة أو كتابة وبهذا فانه يكسر حاجز الأمية ويخاطب كل الناس .. وهذه ميزة يمكن أن توجه لخدمة المجتمع الاسلامى .

* « وجهاز الفيديو » يتمتع بامكانية تثبيت الصورة لأى مدة زمنية يريدها المشاهد وامكانية اعادة الصورة الواحدة عشرات المرات بل وتكرار ما يشاء من مشاهد وهى امكانية مفيدة للطلاب فى المعاهد العلمية ومراكز البحوث حيث يمكننا أن نتحكم فى حركة الشريط للامام والخلف حسبما نريد .

* سهولة الحمل والانتقال والحركة .. بل ظهر نموذج جديد الآن يسمى « ميكروفيديو » فى حجم حافظة النقود أو أكبر قليلا .

* لهذا كله فان جهاز « الفيديو » يجمع بين خاصية « الراديو » فى الصوت واستخدام المؤثرات الصوتية وخاصية « التليفزيون » فى الصورة ويزيد الحركة الذاتية والحركة الفعلية واستخدام الألوان .. كل هذه الخصائص تغرينا أن نوافق على دخوله بلادنا وأن نتعامل معه .. ولكن بحذر وفى حدود ما أشرنا اليه ..

أما أن نستخدمه فى مشاهدة الأفلام الرديئة وأفلام الجنس والشذوذ .. فاننا نكون بهذا قد نفذنا لأعداء الاسلام مايريدونه وما يسعون اليه من أجل اغراق بلادنا بهذا الجهاز .

ثالثا : الآثار السلبية الناتجة عن سوء الاستخدام : ـ

ليس المطلوب من الاعلام وحده أن يحل مشكلات المجتمع ، ولكن لابد أن يكون له دور أساسى فى تشخيص هذه المشكلات وتوضيح حقائقها واثارة الاستفهام حولها ، ومناقشة الأسباب والنتائج .. ، واتاحة الجو الملائم لاستنباط العلاج ، بل عليه أن يدق ناقوس الخطر .. !

أما أن تسهم وسائل الاعلام فى زيادة المشاكل وتعقيدها .. فهذا هو العجيب الذى نراه فى بلاد المسلمين الآن وما يحدثه جهاز « الفيديو » بشبابها من كوارث ..

* نشر فى مجلة الاذاعة والتليفزيون (٥) أن أحد الآباء عاد متأخرا مساء يوم فوجد أولاده يشاهدون فيلما من أفلام الجنس الكامل فثار وحطم « الفيديو » .

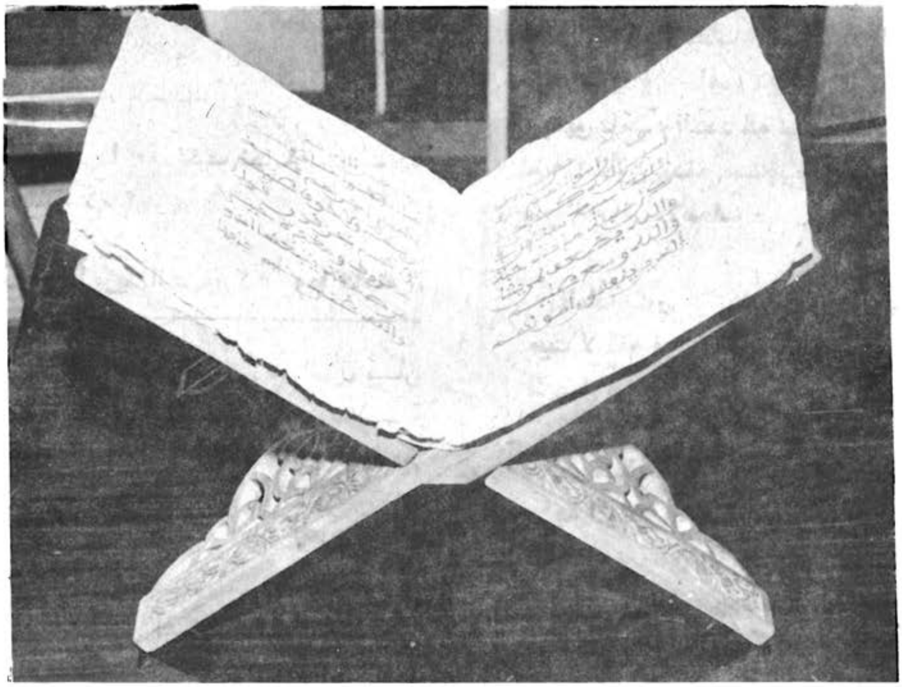

* ونشر أيضا أن ناظر احدى المدارس ذهب الى صاحب مقهى يرجوه ألا يقدم « أفلام فيديو » فى الصباح لأن المدرسة خلت تماما من التلاميذ .. ولما لم يوفق طلب معاونة « البوليس » له .. !!

ومن هذين الخبرين — ويعلم الله ما استتر — تبدو خطورة جهاز « الفيديو » وما يريده بنا أعداء الاسلام فماذا أعددنا للسيطرة على هذا الجهاز خصوصا بعد أن يصل سعره الى ٣٠٠ دولار فقط فى العامين القادمين .. !

ترى الدكتورة كاميليا عبد الفتاح (٦) مدير مركز دراسات الطفولة بجامعة عين شمس أن جهاز الفيديو يحول دون استمتاع الطفل بما حوله من البيئة من علاقات اجتماعية ولعب ونشاط .. الخ .

الى جانب أنه يساعد على العزلة ويقلل من فرص التفاهم بين الأزواج وقد يثير المشاكل فى توقيت استخدامه من عدمه .. ، كما أنه يشغل الطلاب عن مذاكرتهم ودروسهم .. !

ويقول أحد أصحاب نوادى الفيديو ان معظم زبائنه من الحرفيين وأصحاب المقاهى والجزارين .. ، وهذه الشريحة هى التى تحتاج الى التوعية والتوجيه .

ويؤكد المفتش جمال حسين عبد الفتاح أن « افلام » الفيديو « الجنسية » منتشرة بدرجة كبيرة فى النوادى « والفيلم » الواحد ينسخ منه عدة نسخ فاذا ما ضبط كان غيره

موجودا .. فكيف نحارب هذه الأفلام ؟

رابعا : ماذا يريد الجمهور ؟ .. وما حاجته ؟؟

كررت كثيرا — فى كتاباتى — القول بأن هناك فرقا بين أن أقدم للجمهور — وبخاصة فى الدول النامية — ما يريده ، وبين أن أقدم له ما يحتاج اليه ...؟

ولا شك أن واجب وسائل الاعلام جميعا أن ترتفع بالمواطن المسلم لا أن تتركه يعيش فى مستنقع يهلكه سريعا ويهلك معه أعز القيم ان جمهور المواطنين يقبل على « الفيديو » لأسباب منها :

* ان « التليفزيون » فى معظم الدول الاسلامية ينقصه النضج الواعى الذى يمكنه من جذب المشاهد الى قيمه العليا فى أسلوب من الفن الرفيع ، وجمهورنا — والحمد لله — عندما يقدم له هذا اللون يندفع مستجيبا له بشكل يثير الفرحة والاعجاب .

فلماذا يكون هذا اللون قطرة ازاء بحر ميت لا نفع فيه يدفع المشاهد الى التحول عنه .

* كذلك ، فان التليفزيون لا يلبى حاجة المواطن العادى ، فضلا عن « المثقف » والى هنا يندفع المرء الى ما يهوى من حاجة ، ويقوده عقله ، أو هواه الى « الفيديو » وأمامه يشاهد ما يريد .

ففى جهاز « الفيديو » حرية المشاهدة لما يرغب ، وفى أى توقيت .

حسن العنيبيسى

المصادر والهوامش :

١ — جريدة الجمهورية العدد رقم ١٠٨٤٧ السنة ٣٠ بتاريخ ١٩٨٣/٩/١٠ .

٢ — نفس المصدر .

٣ — د. ماجى الحلوانى . البرامج الثقافية والتعليمية مذكرات غير منشورة ، لطلبة الدراسات العليا بكلية الاعلام .

٤ — جريدة الجمهورية — مصدر سابق .

٥ — Marshall Mcluhan, Quentin Foive, the Medium is the Messaae p.p. 26 — 40.

وايضا انظر

Video Cassette Recorders, national Figures, p.p. 38.

٦ — راجع مجلة الاذاعة والتليفزيون العدد ٢٥٥١ — ٤ فبراير — ١٩٨٤ ، ص ٢٨ .

كيف نفهم اليهود؟

اليهود بين القيمة والثمن

للاستاذ محمد عبد العزيز عبد اللطيف

فى حديث لرئيس الولايات المتحدة الامريكية الأسبق « بينامين فرانكلين » تعرض فيه لليهود فقال فيهم :

« فى أى أرض يحل اليهود يصبح المستوى الخلقى منحطا وتجرى المعاملات التجارية بطرق غير شريفة » (١) .

والرئيس الامريكى يؤكد بهذه العبارة حقيقة عرفت عن اليهود واشتهروا بها على مر عصورهم واختلاف بيئاتهم وأوطانهم هى أنهم فى حياتهم وسلوكهم مع غيرهم نادرا ما يلتزمون بما تعارف الناس عليه من « قيم » أو فضائل كالأمانة والشرف والوطنية .. الخ

وكان ذلك دائما يحول بين اليهود وبين الاحساس بعاطفة الاخلاص وصدق التعامل والتوافق مع الغير كما يبدو فى تحريمهم التعامل بالربا فيما بينهم فى حين يسمحون به فى تعاملهم مع غيرهم وغالبا يؤدى ذلك الى سلب الآخرين أموالهم وممتلكاتهم .

وقد حاول البعض تفسير هذه الظاهرة فيهم فأرجعها الى « خسة » طبيعية يولدون بها بينما يرى الفيلسوف الفرنسى « سارتر » أنها ترجع الى تشابههم فى وحدة الموقف الذى اختارته المجتمعات الاوربية المسيحية لهم وهو موقف « الملعون » أو « المنبوذ » لمنع اندماجهم فيها ومشاركتهم لها فى قيمها فكان اليهود بالتالى يكتسبون الصفات المادية والمعنوية التى تترتب على هذا الموقف (٢) .

◄

(١) اليهود تاريخا وعقيدة ـ د. كامل سعفان (الهلال) ص ١١٤ .

(٢) اسرائيليات ـ احمد بهاء الدين (الهلال) ص ١٢٣ .

واذا كان لنا من تعليق على هذه الآراء فاننا نرفض القول بمبدأ الطبيعة وأن الانسان تتحدد أخلاقه ونزعاته بمجرد مولده ولا نختلف مع سارتر فى فكرة الموقف التى يقول بها الا فى محاولته القاء كل مسئولية « النبذ » على غير اليهود دون أن يكون اليهود أنفسهم مسئولين ولو الى حد ما عن هذا النبذ فمما لا شك فيه ان تعاملهم بالربا فى مجتمعات تحرمه « كقيمة » ، دينية بحكم عقيدتها كالمسيحية والاسلام أو « كقيمة » اجتماعية بحكم تقاليدها وأعرافها يعتبر فى ذاته مبررا كافيا لأسلوب « العزل » الذى اتخذ ضدهم • وكان يزيد من حدة الشعور المعادى لهم اعتبارهم انفسهم كتلة خارجة عن دائرة مجتمعاتهم منفصلة عنها : اجتماعيا بعدم الاندماج فيها أو التزاوج منها الا فى أضيق نطاق ، وقوميا بعدم مشاركتها أهدافها وتطلعاتها الوطنية على نحو ما حدث من يهود « وارسو » عندما رفضوا الانضمام الى الثورة الوطنية البولندية التى قامت فى القرن التاسع عشر ضد المغتصب الروسى ، وكانوا يهدفون من ذلك الى تحقيق مصلحتهم الذاتية بالتخفيف من حدة الاضطهاد الواقع على بنى جنسهم اليهود الروس وأملا فى الحصول على وضع متميز فى بولندا بموالاة المحتل مما يدل على انعدام « قيمة » الولاء للوطن لديهم وفى هذا المجال لا ينبغى ان يغيب عن بالنا محاولات الهجرة الى اسرائيل يقوم بها اليهود الروس رغم ما يبذله هؤلاء من جهود ويضعون من قيود ابقاء على اليهود فى وطنهم الاصلى « روسيا » والغريب فى الأمر أن معظم هؤلاء المهاجرين من الملحدين مما يشكل وضعا لا يقبل معه تفسير هذا التصرف منهم على أنه رغبة فى العيش فى وطن يرتبطون به ، دينيا وانما هى الرغبة فى عدم الانتماء والارتباط بالأرض التى ولدوا فيها ونشأوا عليها •

ومرجع ذلك فى نظرنا أن « القيم » تحتاج فى تكوينها الى عوامل لم تتوفر لليهود على امتداد تاريخهم فهى تحتاج الى :

١ ــ أصل ينتسب اليه :

وهم من هذه الناحية لا يعرف لهم اصل على وجه التحقيق وما جاء فى أسفارهم بهذا الخصوص يتميز بالتناقض اذ يذكر مرة انه « كلدانى » وأخرى أنه « أرامى » وربما « أمورى » فى روايات ولا يمكن نسبتهم الى أصل واحد لتمايزهم عن بعضهم تبعا لاختلاف الاماكن من حيث لون البشرة والقوام والسحنة •

٢ ــ بيئة أو وطن يرتبط به :

وهم منذ تركوا موطنهم الأصلى فى جنوب العراق أو فى شرق الاردن تنقلوا بين كل وطن فنراهم فى مصر وفارس واليونان وروما •• الخ ولما كان لكل من هذه الاوطان أفكاره وأسلوبه فى الحياة كان لذلك تأثيره عليهم فقد انقسمت قبائلهم العبرية بسببه قديما الى « بنى اسرائيل » وآخرين ، ثم انقسم بنو اسرائيل

فى كنعان «الى اثنى عشر سبطا» كانوا يختلفون فيما بينهم فى طريق الحيـاة رغم اتفـاقهم فى اللغة والاصل وقد استمر ذلك فيهم فنراهم فى العصر الحديث ينقسمون الى يهـود شرقيين وغربيين (٣) •

٣ ــ عقيدة يتم الايمان بها :

ويشترط فى العقيدة أن تتماشى مع القيمـة وتسمح بها ، وعقيدتهم من هذه الناحية تفتقر الى ذلك اذ تغرس فيهم الشـعور بالتمايز والاستعلاء على الغير وعدم التعـاون معـه بالاضافة الى أن كل خير فيها نجده مقيـدا فى حدود معتنقيها ، ولا ينسحب أثره على غيرهم، فان أمرت العقيـدة يقولهـا : « لا تقتل ، لا تسرق » فالمقصود ــ عندهم ــ ألا يحدث ذلك بين اليهود فقط ويباح لهم ذلك مع غيرهم مـن المخالفين لهم فى العقيدة •

٤ ــ تراث روحى وحضارى ينتمى اليه :

وتراثهم المستمد من أسفارهم وتعـاليم أحبارهم يشجع على ارتكاب كل رذيلة وتجنب أى فضـيلة اذ يمتلىء بمختلف ألوان الكذب والغش والخـداع والانحـرافات الـدينية والاجتماعية على نحـو ما نرى فى تصـويرهم لآبائهم الاولين ــ كذبا وافتراء ــ فسـيدنا لوط يزنى بابنتيه وسيدنا يعقوب يتآمر عـلى أخيه عيسو ويسلبه حقه فى البكورية وبركـة أبيه وهكذا مع سائر الآخرين • لذلك لم نجـد لهم فى التاريخ أثرا يدل عليهم أو يكشف عـن نواحى العظمة فيهم •

ولأن اليهود يدركون هذه الحقـائق عـن القيمة ويشعرون فى قرارة أنفسهم بعدم القدرة على امتلاكها أو المشاركة فيها عملوا على هدمها وأسلوبهم فى ذلك الترويج لكـل قلم مادامت آثاره ــ عن قصد أو غير قصد ــ تساعد عـلى افساد الناس ورفع شأن اليهود كما فعلوا فى الترويج لـ « نيتشه » الذى يقسم ، الاخلاق قسمين :

أخلاق سادة كالعنف والاستخفاف بالمبادىء

وأخلاق عبيد كالبر والرحمـة • لأن ذلك يساير الروح اليهودية ويتفق معها • (٤)

كذلك يوجهون من النقد للقيم ما نورده فيما يلى : ــ

١ ــ ان « القيم » شىء نسبى فما لهقيمة فى مجتمع قد لا نجد لـه أى قيمة فى مجتمع آخر•

٢ ــ انها كالظواهر الاجتماعية تخضع لعدم الثبات والاستمرار ممـا يدعـو الى عـدم التمسك بهـا •

٣ ــ انها تخضع لعوامل عنصرية كالجنس والدين وهى بذلك لا تسمح للغير بالمشـاركة فيهـا •

٤ ــ أنها تعوق حركة المجتمعات فى اتجاهها نحو العالمية •

٥ ــ انه بظهور قوة المال صارت النقود هى المقياس الحالى للقيمة وأصبح الثمن الشـكل الحديث لقيمة المبادلة •

وما يريدون أن يصلوا اليه من كـل ذلك هـو

(٣) المجتمع الاسـرائيلى حتى تشـريده د• فؤاد حسنين ص ٦ •

(٤) الخطر اليهودى ــ محمد خليفة التونسى ص ١٠١ •

الغاء فكرة « القيمة » واستبدالها بفكرة « الثمن » وظاهر حجتهم فى ذلك أن « الثمن » يرتبط بالنقود وهى لغة عالمية لا تتأثر بشخص من يمتلكها أو جنسه أو دينه ، الى جانب أن الثمن يحقق نقل الملكية وتداولها دون أى تعقيد .

أما الخفى فيها فهو رغبتهم استبدال ما لا يملكونه بحكم تاريخهم وهو « القيمة » بما هو متوفر لديهم وهو (النقود) ولعل خير ما يوضح مفهومهم هذا ويكشف عن رغبتهم التى بيناها هو محاولتهم شراء وطن أو المبادلة على وطن فقد ورد فى مذكرات زعيمهم (هرتزل) الخاصة بتاريخ ١٨٩٦/٧/١٥ ما نصه :

« نحن مستعدون لأن ندفع عشرين مليون جنيه للسلطان التركى ثمنا لفلسطين وبذلك نعمل على تحسين ميزانيته » .

وكان رد السلطان عبد الحميد على هذا التصرف الغريب منهم « أنا لا أستطيع أن أبيع ولو قدما واحدة من هذه الأرض لأنها ليست لى بل لشعبى ولن أقبل بتشريحنا لأى غرض كان وطلب من « هرتزل » أن يكف عن ذلك وأن يحتفظ اليهود ببلايينهم » (٥) .

ولكن « هرتزل » عندما وجد عبد الحميد يرفض مبدأ الثمن يكرر محاولته مرة أخرى مستخدما فيها المفهوم الاقتصادى القديم « للقيمة » من حيث هى النسبة بين مبادلة سلعة بأخرى فيعرض على السلطان « قبرص » مع مزيد من المال فى مقابل فلسطين .

والجدير بالتنويه هنا أن « هرتزل » لافتقاده « قيمه » الوطن يظنه سلعة أو شيئا ولما كان فى نظره كذلك فلابد أن يكون له ثمن بعكس السلطان عبد الحميد الذى نظر الى الوطن باعتباره « قيمة » فهو من هذه الناحية لا يقدر بثمن وعليه يكون التفريط فى جزء منه مساويا لاقتطاع جزء من النفس وتشريحها .

ولكى نفصل فى قضية « الثمن » التى يريدون اقناع العالم بها نقول :

ان الثمن ينقل ملكية كما يقولون ولكنه لا يمكن أن يخلق « قيمة » لأن الثمن يرتبط بالنقود بينما القيمة لها معايير أخرى غيرها ودليلنا على ذلك من واقع تاريخهم وواقعهم نفسه فهم وقد حصلوا على الوطن نرى معظمهم يؤثرون عدم الانتقال اليه لعدم وجود قيمة الانتماء فيهم أصلا ولتغليبهم مصلحتهم « الثمن » فى التواجد خارجه مما دفع برئيس دولتهم السابق « بن جوريون » لان يحكم على كل يهودى بأنه سيظل بلا « اله » ما لم يترك وطنه الاصلى وينتقل الى فلسطين .

« محمد عبد العزيز عبد اللطيف »
« مجمع البحوث الاسلامية .. الامانة الفنية »

---

(٥) ممنوع من التداول ــ محمود عوض ص ١٩ ، ص ٢٠ .

من التراث

مجلة الأزهر من خمسين عاما

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

دراسة الطب واللغة العربية

هل الحرية الشخصية معناها الإباحة

من الحقائق البدهية التى اعترفت بها الأديان السماوية وأخذت بها القوانين الوضعية ، ووافقت عليها الطباع السليمة • أن الحرية على اختلاف انواعها معناها أن تكون حرا مختارا ولكن بشرط أن لا تؤذى نفسك ولا غيرك فمن الناحية الدينية تجد الحرية مقيدة بدائرة الشرع : اطاعة اوامر الله واجتناب نواهيه ، ومن ناحية تعاملك مع الغير تجد الحرية مشروطة بعدم الايذاء أو الاضرار — لا ضرر ولا ضرار — •

اذا فليس هناك حرية مطلقة الا فى عالم البهائم لأنها محرومة من نعمة العقل • ولكن مانراه ونسمعه فى عالم اليوم من تطبيق لهذا المبدأ شىء يندى له الجبين وتشمئز منه النفوس وتنفر منه الطباع السليمة ، فقد فهم البعض الحرية على أنها — الاباحة — يفعل الانسان ما يشاء فى أى وقت يشاء بلا رقيب أو حسيب فهى عنده أشبه ما تكون بحرية البهائم لا حرية الآدميين

فالخروج على الآداب العامة والتطاول والتجريح • حرية ، ، وايذاء الغير وأكل أموال الناس بالباطل والتعامل بالربا حرية ، والافساد والدعوة الى الفسوق والسفور والعرى وانشاء ما يشبه نوادى للعراة حرية ، والخروج على آداب الاسلام وتجاهل أوامره ونواهيه حرية•

ما هذا الذى يحدث ياقوم ؟ وهل هذا مطلبكم من الحرية ؟ •

انها حرية البهائم التى لا تعقل • وأسلوب الأعاجم الذين لا يعلمون ما فى ديننا من تقويم لكل معوج وهداية لكل ضال •

وما أحسن ما قال الامام محمد عبده عند تحديده لمعنى الحرية « ليست سعادة الانسان فى حرية البهائم بل فى الحرية التى تكون فى دائرة الشرع • ومحيطه فمن اتبع هداية الله فلا شك انه يتمتع تمتعا حسنا » قال الكاتب (١)

اذا ألقيت هذا السؤال على قادة أية فلسفة فى العالم حتى الفلسفة المادية الالحادية لم

(١) مجلة « نور الاسلام = مجلة الازهر » المجلد الرابع — الجزء الاول .

للاستاذ : عبد الفتاح حسين الزيات

يكن جوابهم الا بالنفى مجمعين • فاذا عاودت سؤالهم قائلا •

فهل الحرية الشخصية تتنافى والآداب النفسية ، والفضائل الاجتماعية ، وتسمح لكل انسان أن يخوض غمرة كل شهوة تسنح له دون أن يفكر فى نتائجها على نفسه وماله ومواطنيه وبنى نوعه ؟

صاحوا بك : لالا ، منكرين مستهجنين •

فاذا حصلت منهم على هذه الاعترافات ، وعرضت على نفسك الجماعات البشرية ، وخاصة المتمدنة منها ، رأيت العجب العجاب• رأيت الناس قد خلعوا عذرهم ، وركبوا رءوسهم ، يجرون فى أعقاب كل غى ، يتدافعون بالمناكب ، محفوزين اليه شبابا وشيبا ، كأن وراءهم سائقا يلهب ظهورهم بسوط من نار ، باذلين صحتهم ومالهم ، مستهينين بكل تبعة أدبية ، ليصيبوا مما يتزاحمون عليه نصيبا وبيا، حتى اذا أدركهم الاعياء ، انتظروا ريثما يستجمون قواهم ، ثم عاودوا الكرة على نحو ما تقدم ، دائبين على ذلك ما واتاهم الاحتمال والامكان ، غير معطين أنفسهم مهلة ليوازنوا فيها بين ما يعطونه وما يحصلون عليه ، كأنهم قد فقدوا نعمة الادارة والاختيار ، دون أن يحاولوا استرجاعهما ، أو أن يأسفوا على ضياعهما ، يسمعون من بين أيديهم ومن خلفهم، وعن أيمانهم وشمائلهم صيحات التشجيع والتسويل ، بعد أن تكون قد طالعتهم جرائدهم كل صباح من أنباء الملهيّات ، وصور المائلين والمائلات ، ما يملؤهم غرورا بما هم فيه •

فان سمعوا نبأة من نصيح ، وضعوا أصابعهم فى آذانهم ، استثقالا لما يقول ، وأشاحوا بوجوههم عنه ، اعراضا وسوء تقدير • وكثيرا ما اعتبروه جاهلا بمقتضيات المدنية والروح الجديد •

هذه أحوال فى أطوائها كل ما يستنكره العلم وتأباه أصول الاجتماع ، وتنافيه مصلحة العمران ، وفيها ويلة الأخلاق والآداب ، ومجزرة الأعراض والكرامات ، ومضيعة الثروة ، ومفسدة البلاد •

فهل مبدأ الحرية الشخصية التى جاهد الناس للحصول عليها يسمح لهم أن يرتكبوا • باسمه كل هذه المخازى ، ويتسكعوا تحت عنوانه فى جميع هذه المنكرات ، الماحقة لكل خير نالته البشرية بعد جهود مضنية ، وتطورات كثيرة شاقة فى خلال العصور ؟

الحرية أصل كريم رفعت به عن كواهل الآحاد ما كانت تضعه عليها الطبقات المستعبدة لهم من نيور ، فانطلقوا أحرارا يعملون ما ينفعهم وينفع أسرهم وأممهم فى حدود

القوانين العادلة ، لاهملا خالعى الشكائم الأدبية ، يأتون كل ما تدفعهم اليه أهواؤهم وشهواتهم •

هذا هو الاصل فى تقرير مبدأ الحرية الشخصية ، وهذا ما يقره كل عرف ، وتؤيده كل فلسفة ، ويندب اليه الدين الحق ، فكيف تسيغ هذه المدنية أن تشوه النفوس الجامحة جمالها ، وتسقط جلالها ، وتظهرها فى مظهر من من الاباحة يمجه الطبع ، ولا يوافقها عليه وضع ولا شرع ؟ •

فهل لهذه الحرية الشخصية مدى أبعد مما يتراءى لنا فغبينا عنه ، فهى تسمح أن تأتى كل نفس ما يعن لها ، غير حاسبة أقل حساب لمصلحتها ومصالح المرتبطين بها من أهل وعشيرة ومواطنين ، بل غير حاسبة حسابا لمصالح الانسانية بأسرها ؟ •

لم يشر قانون فى الدنيا الى هذا ، بل نصت جميع القوانين على أن الانسان حر فى أن يعمل بنفسه ما لا يضر بها ولا بغيرها ، فان هو تعدى هذا الحد أخذ على يده وأوخذ على فعله • أما ترى جميع القوانين العالمية تضرب على أيدى المبذرين وتنصب عليهم القامة ، فتحرمهم بذلك المتاع بثرواتهم ، وتقطع من ألسنة المتفحشين فتردعهم عن الخوض فى أعراض الناس ، وتردع المستخفين بالآداب العامة ، فتجبرهم على احترامها ومراعاتها ؟ بل هى تتجاوز هذا الحد الى ما يعتبر خصوصيا محضا ، فهى تعاقب على البصق والتنخم فى الطرق العامة ، وعلى لبس ما لم يصطلح عليه الناس من الأزياء ، فاذا نجم ما يخشى منه على الصحة العامة امتد تدخل القوانين الى ما هو أخص من هذا ، فانها تسمح لممثليها بأن يغشوا الدور فيلاحظوا على ما يجدونه فيها من القذارة ، وأن يأمروا أهلها بتجصيصها ومعاقبتهم على اهمال ذلك بالحبس والتغريم • فهذا كله لا يعتبر فى تلك القوانين تقييدا للحرية الشخصية، فيفهم أن هذا المبدأ لا يصح أن يؤخذ على اطلاقه بوجه من الوجوه •

فاذا كان هذا كلهحاصلا ، فهل تسمح الحرية الشخصية أن يكتب كاتب كل ما يمليه عليه خياله من حوادث الغرام والتهتك ، فى ألوان من سحر البيان تغرى الشبان والشابات على ورود هذه الموارد المنكرة ، وتأذن لدور التمثيل والسينما أن تمثل مالا يصح أن يراه الجمهور ، ولا يجوز أن يعرض تحت نظر الأحداث من المناظر التى تثير ما كمن فى الطبيعة البشرية من ميول بهيمية ، وتغرى ذوى الأمزجة الحادة بالخروج عن المألوف لتقليد أبطال الأقاصيص التى تمثل أمامهم ، وقد ثبت أنها تفعل فى النفوس الساذجة فعل السحر وأ كثر ؟

وهل يحتمل معنى الحرية الشخصية أنيفتتح من شاء دارا للرقص والفسوق يختلط فيها الجنسان ، ويؤمها من أراد ، غير متحرج من اثم ، ولا متستر من رقابة ؟

وهل تبيح أن تباع الراح فى أكبر شوارع المدن ، فيقصد حوانيتها القاصدون ، يحتسون أم الخبائث علنا ، ويخرجون منها ثملين يترنحون يمينا وشمالا ؟

هذه هى الفوارق بين القوانين الوضعية والشرع الالهى ، وهى فوارق كانت لا توجد اذا نظر المشترعون للصالح العام عند سنهم القوانين نظرا بريئا مقرونا بالاخلاص لمصلحة الجماهير ، وبالروية الحازمة ، أما ولم يفعلوا فقد ناقضوا أنفسهم ، وناقضوا العلم الذى يفتخرون به ، فتركوا بذلك الباب مفتوحا لكل الأدواء الاجتماعية التى تولدها تلك التسامحات القانونية .

ومادامت الحرية الشخصية مقيدة بشرط عدم الاضرار بالنفس وبالغير ، فان الشرع الالهى ينفذ هذا التقييد ، فلا يسمح لأى فرد بأن يأتى عملا يكون من ورائه ضرر بنفسه أو أهله أو بنى وطنه أو أى أحد من أفراد نوعه على أية حال من الأحوال .

فهو يحرم الخمر لأنها تضر شاربها ، ويتعدى ضررها الى كل من يرتبط به . ويمنع المقامرة لأنها تضيع الثروات ، وتحل البيوتات. ويردع عن تمثيل الخنا وما يناقض الآداب ، لأنها أمثلة سوء تفسد نفوس من تمثل أمامهم. ويصد عن كتابة الفسوق والعصيان وتصويرها، لأنها تبعث فى نفوس قارئيها وناظريها الميل الى اتيانها ، وهى أمور لا تقف أضرارها عند حد .

فالشرع الالهى يجرى من أوامره ونواهية على منطق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والقوانين الوضعية لا تحترمهذا المنطق فتجرى على اعتبارات ليست من المصلحة الحقة فى شىء ، فهى تبيح الخمر لانها تجنى من ورائها مكوسا ، وتقر تمثيل الدعارة والفجور عادّة اياها من الملاهى الضرورية ، لأن وضعة قوانينها يرون ذلك ويعتقدونه ، لا لأنه يعود بشىء من الفائدة على المجموع . وتطيق أن تنتشر الكتابات المخلة بالآداب ، والتى تثير فى نفوس مطالعيها الميول البهيمية . لأن وَضَعَتها يتخيلون أن ذلك يعتبر أدبا ، والأدب يجب له التشجيع والتأييد .

وقد دلت الدلائل المحسوسة على أن هذا الأدب قد طوح بالنفوس الى متاهات الاباحة ، وجنى على الناس جنايات شنيعة . وقد أبتنى على كل هذه الاباحات أن أصبحت كلمة (مدنية) مرادفة لكلمة (اباحة) . فكيف لا تنشأ فى هذا الجو المشحون بضروب المسولات والمغريات جميع صنوف الافراطات والتفريطات الخلقية ؟

ان العالم المتمدن ليغلى اليوم غليان المرجل على نار شديدة ، ويتمخض عن أغرب ما يتصور من شكول المذاهب والآراء والفلسفات المتطرفة ، وتعصف به أزمات اقتصادية واجتماعية لو درست من قرب لكانت أسبابها المباشرة ما أثمره بهرج الحرية الشخصية الزائفة ، من جو مشحون بالمرامى الباطلة ، والمزاعم التى تولدها نفوس تطلب المتاع المادى اغتصابا لا اكتسابا ، وافراطا لا اعتدالا .

انا لا يخالجنى أقل شك فى أن كل هذه الافراطات والتفريطات ستعمل على رد الناس الى طريق الحق المستقيم ، فهو وحده ملاذ اللائذين ، ومرد الغالين والمقصرين ، واذ ذاك يجد الناس أنفسهم فى منطق الدين ، فتتخلص الانسانية من كل هذه الشرور ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

محمد فريد وجدى

من نوادر المخطوطات

فى مكتبة الأزهر

الكامل فى القراءات

لما كان علم التجويد من العلوم الجليلة فى فهم وتدبر وتعمق لغة القرآن الكريم ، واخراج كل حرف من مخرجه مع اعطائه حقه من اظهار ، أو ادغام ، أو ترقيق ، أو تفخيم ، أو مد ، أو غير ذلك .

فهو علم يصون اللسان عن اللحن فى لفظ القرآن ، لقول الله سبحانه وتعالى :
(وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) .

والترتيل معناه التؤدة والطمأنينة بتعويد اللسان على القراءة بترقيق ما يجب ترقيقه ، وتفخيم ما يجب تفخيمه ، واظهار ما يجب اظهاره ، واخفاء ما يجب اخفاؤه ، ومد مايجب مده ، وقصر ما يجب قصره وادغام ما يجب ادغامه .. .. الخ .

ومن العلماء الذين برزوا وكان لهم السبق الأول فى تجلية هذا العلم من جميع جوانبه خدمة للقرآن وقرائه .

العالم الجليل الشيخ يوسف (٢) بن على ابن جباره ابو القاسم الهذلى البسكرى : متكلم عالم بالقراءات المشهورة والشاذة . كان ضريرا . من أهل بسكرة ، باقليم الزاب الصغير . رحل الى أصبهان وبغداد . وقرره نظام الملك مقرئا فى مدرسته بنيسابور سنة ٤٥٨ هـ فاستمر الى أن توفى .

من كتبه « الكامل » فى القراءات ، ذكر فيه أنه لقى من الشيوخ ٣٦٥ شيخا من آخر ديار الغرب الى باب فرغانه ، ولد سنة ٤٠٣ هـ سنة ١٠١٢ م وتوفى سنة ٤٦٥ هـ سنة ١٠٧٣م .

قال عنه كتاب غاية النهاية فى طبقات القراء الجزء الثانى ص ٣٩٧ إنه: طاف البلاد

---

(١) الكتاب بمكتبة الأزهر تحت رقم ٣٦٩ — المغاربة .

(٢) الاعلام للزركلى جـ ٩ ص ٣١٩ .

ليوسف بن جباره

الأستاذ محمد عميره على

فى طلب القراءات ، فلا أعلم أحدا فى هذه الأمة رحل فى القراءات رحلته ولا لقى من لقى من الشيوخ ، قال فى كتابه لو علمت أحدا تقدم على فى هذه الطبقة فى جميع بلاد الاسلام لقصدته ، قال وألفت هذا الكتاب (الكامل) فجعلته جامعا للطرق المتلوة ، والقراءات المعروفة ، ونسخت به مصنفاتى كالوجيز والهادى .

قلت :

كذا ترى همم السادات فى الطلب وكانت رحلته فى سنة خمس وعشرين وأربعمائة وبعدها ، وكان مقدما فى النحو والصرف وعلل القراءات ، وكان يحضر مجلس أبى القاسم القشيرى ويأخذ منه الأصول وكان القشيرى يراجعه فى مسائل النحو والقراءات ويستفيد منه وقد ذكر شيوخه الذين أخذ عنهم القراءات فى كتابه . نذكر منهم على سبيل المثال ابراهيم ابن أحمد الاربلى ، وابراهيم بن الخطيب ببغداد وأحمد بن رجاء بعسقلان واحمد ابن الصقر ببغداد واحمد بن محمد بن علان بواسط ، وروى عنه اسماعيل بن الأخشيد وسمع منه الكامل وكذلك عبد الواحد بن حمد ابن شيدة السكرى وأبو بكر بن محمد بن زكريا الأصبهانى النجار ... الخ .

وكتاب (الكامل) الذى نقدمه يقع فى اثنى عشر جزءا به نقص بالجزء الأول وكل جزء مقسم الى عدة فصول .

الجزء الأول : فصل فى فضل القارىء والمقرىء وحامل القرآن والعالم والمتعلم :

اعلم أن فضائل أهل القرآن لا تحصى كما أن فضائل القرآن لا تحصى ، وكما فضله على سائر الكلام فضل حملته على سائر الأمم ، ومنحهم ما نالوا به الفخر فى الدنيا والآخرة والذخر فى العقبى فمن ذلك ما قال رسول الله ﷺ « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » قال أبو عبد الرحمن السلمى هذا الذى أقعدنى هذا المقعد ، وكان يعلم القرآن بالكوفة ، وهو معلم الحسن والحسين .

وقال رسول الله ﷺ « ان لله أهلين » قيل ومن هم يارسول الله؟قال « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » .

وقال « أشراف أمتى حملة القرآن » .

وهذا الخبر يمنع أن يشارك غير حملة القرآن أهل القرآن ، لأنه قال : أشراف أمتى ولو كان المقصود به جميع الأمة لما كان لقوله أشراف أمتى معنى ، وكان يجب أن يقول أمتى أو المؤمنون أو المسلمون أو أهل العلم ، فلما خص أهل القرآن دل على المقصود به من حملة القرآن فقط . يدل عليه قوله عز وجل **(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)** فجعل الظالم والسابق والمقتصد من أهل

الجنة ، حين قال (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا) الآية

قالت عائشة رضى الله عنها : يدخلونها ورب الكعبة الظالم والمقتصد والسابق • ولو كان المقصود به جميع الأمه لما تحتمت عليهم بالدخول •

يدل عليه أنى ما وجدت مقربا الا ولم تساعده الدنيا ، لأن النبى ﷺ حكى عن الله تعالى • قال فى بعض الأخبار (لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة لما سقى الكافر منها شربة ماء) الخ •

الجزء الثانى : فصل فى الأخبار الواردة : ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، ومعنى السبعة واختلاف الناس فيها على الاختصار • حدثنا أبو عمران موسى بن عيسى الزجاج قال حدثنا على بن يوسف الرفا قال حدثنا ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمى وأخبرنا ابو عمران هذا قال أخبرنا على بن خلف القابسى الى أن قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على غير ما أَقْرَأَنِيهَا رسول الله ﷺ فلببته بردائه حتى أتيت به رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله ان هذا قرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأ تنيها فقال « أرسله يا عمر » ثم قال لهشام « اقرأ » فقرأ كما سمعته يقرأ فقال « هكذا أنزلت ثم قال لى ياعمر « اقرأ » فقرأت فقال « هكذا أنزلت » وان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه » ، وحدثنا الحسين بن احمد باسناده أن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ:« ان الله أنزل هذا القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع » •• الخ •

الجزء الثالث : كتاب الأسانيد : بين الرجال فيه وطبقات القراء والحفاظ على عهد رسول الله ﷺ الى أن وصل الى السبعة ورواتهم ، فاعلم أن الحفاظ على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار منهم أبو زيد عمر بن أنس بن مالك ، وسالم مولى أبى حذيفة وهو مولى امرأته على الحقيقة وانما نسب الى أبى حذيفة لأنه كان زوجها • والثالث أبو المنذر أبى بن كعب • والرابع زيد ابن ثابت • هكذا قال ابن قتيبة ، وقال غيره ان عليا وعثمان وابن مسعود حفظوا وأكملوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ واستدلوا بقول رسول الله ﷺ « أنا مدينة العلم وعلى بابها » ومن لم يحفظ القرآن لا يوصف بباب مدينة العلم •• الخ •

الجزء الرابع : بين فيه المؤلف من تلقى عنهم القراءة فقال:

قرأت

على عيسى بن مينا قالون وعليه قرأ الحلوانى وقرأ عيسى على عيسى بن وردان وقرأ أيضا قالون على نافع ••• الى آخر أسماء من قرأ عليهم •

الجزء الخامس : ذكر فيه قراء أهل الكوفة وذكر منهم عاصم بن بهدلة يعرف بابن أبى

النجود رواية أبى بكر بن عباس واسمه شعبة وقيل : دوبة ، وقيل نفطويه ، وقيل يحيى ، وقيل أشعث ، وقيل محمـد ، وقيل سـالم ومطرف وعنتر ... الى آخر ما ذكر من رجال أهل الكوفة .

الجـزء السـادس : تكلم فيه عن الامالة نذكر فصـلا فى قتيبة وأصحابه كيحيى بن زياد وفرك ابن سيبويه وعدل بن زياد ورجـالهم ، ونذكر امالتهم فى كل سورة ونجعلها قسمين . امالة محضة والطافا واعلم أن قتيبة حين دخل أبو على النهاوندى فاختاروا منهـا اختيـارا فسموه امالة قتيبة وتركوا ما كان منهـا بشع فى اللفظ وهو صح فى العربية لكن لمـا قرأناها بأصفهان بعد قراءتنا اياهـا بمصر وجـدنا زيـادات فى الامـالة لم يذكرهـا أبـو على البغدادى .. الخ .

الجزء السـابع : تكلم فيـه عن الهمـزة فقال الهمزة ضربان سـاكن ومتحرك فالساكن ثلاثة أضرب فاء فعل ، وعين فعل ، ولام فعل .

ففاء الفعل نحو يؤمن ، ويأكـل ، ويـؤثر ، ويأمر ، ومؤمر ، ومأكول وشبه ذلك ، فورش

وأبو جعفر والأعشى يتركون همزها فى كل حال استثنى ورش تؤوى . وتؤبه والمـأوى فابن

عيسى والأسدى يتركان الهمز ، الباقون عنـه بالهمز ، وكذلك قالون فى المؤتفكة والمؤتفكات .

واما عين الفعـل نحـو . ذيب ، وبير وبيس وشبه ذلك فى الأفعال والاسماء ترك همزهـا أبو جعفر وشبيه وورش .. الخ . وأما لام الفعل نحو تسؤهم وان نشأ فكلهم بالهمـزة الا ما تبين ترك سـالم عن قـالون والأسدى وابن عيسى عن ورش ، وأبو زيـد عن أبى عمرو ، والأعشى بكماله وأبو جعفر وشـبيه همزة تسؤهم .. الخ .

الجزء الثامن : ذكر فصـلا فى الهمزتين فقال : من كلمة واحـدة الأولى مفتـوحة والثـانية مكسـورة .

أولهما : فى الانعام .

« اينكم لتشهدون » .

والثانية فى الأعراف .

« اينكم لتأتون » .

والثالثة منها « اين لنا لأجرا » .

والرابعة فى التوبة « أيمـه الكفر » .

والخامسة فى يوسف « اينك لأنت يوسف »

والسادسة فى مريم « ايذا مامت » .

والسابعة فى الشعراء « اين لنا لأجرا » .

والثامنة والتاسـعة فى القصص « ايمـة » فيهما .

والعاشرة فى السجدة « ايمه » .

الحادى عشر فى ياسين « اين ذكرتم » .

الثانى عشر فى الصافات « اينا لتاركوا » .

الخ ما ذكر .

الجزء التاسع : تحدث فيه عن ادغام الياء الأصلية وياء الاضافة والهاءات وميمات الجمع

وقال : هما ضربان . هاء كناية،وهاء اضـمار

،وهما على الحقيقه نوع واحـد ان شـئت سميتهما هاء الاضمار ، الا أن العلماء بهـذا

الشأن فرقوا بينهما لما فيهما من الاختلاف وسموا احداها وهى المتصلة بالفعل المجزوم ضميرا والأخرى كناية . وهاء الاضمار . وسموا غيرها الكناية واستطرد فى شرحهما .

الجزء العاشر : تحدث فيه على تسمية الفاعل فى قوله تعالى : **« كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ »** « كتب عليكم اذا حضر الى قوله تعالى الوصية » نصب هو الاختيار على أن الله كتب وسبقنى اليه من المتقدمين عبيد بن عمير ومحمد سميفع . الباقون على ما لم يسم فاعله الى آخر ما ذكر .

الجزء الحادى عشر : تحدث عن آيات فى سورة الأنعام فقال : ليقضى أجلا بالسلام على المستقبل ابن محيص ، رواية تضرب على الباقون ثم قضى على الماضى وهو الاختيار لموافقة المصحف ، ولبسنا بادغام السلام فى اللام ابن محيص — وذكر فى الانفال قوله : (بآلاف من الملائكة) على الجمع المعلى عن ابى بكر واختيار الزعفرانى وهو الاختيار لقوله فى آل عمران (ثلاثة آلاف وخمسة آلاف) الباقون بألف على التوحيد .

الجزء الثانى عشر : قال فى سورة يوسف قوله (يا أبت) بفتح التاء قالها أبوجعفر وشيبة وابن عامر وابن مقسم وخير العمرى الباقون بكسر التاء ، ووقف عليها بالهاء أبو جعفر وشيبة ودمشقى وعن معاذ عن أبى عمرو ، واختتم كلامه بسورة الحج فى قوله **(يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُل مُرْضِعَةٍ)** قال ابن أبى عبلة ، والاختيار تذهل بضم التاء وكسر الهاء كل نصب كاليمانى يعنى الساعة تذهل ، الباقون بفتح التاء والهاء (وترى الناس) بضم التاء على ما لم يسم فاعله الناس رفع الزعفرانى واختار عباس وهو الاختيار لقوله (وما هم بسكارى) الباقون بفتح التاء — الناس تصيب سكرى فيهما بغير ألف كوفى غير عاصم وابن سعدان ومسعود وابن صالح . الباقون بألف وهو الاختيار لقوله (وأنتم سكارى) .

وكان الفراغ من تأليفه يوم الأحد وقت العصر أحد عشر من صفر سنه أربع وعشرين وخمسمائة وكتبه على بن محمد الفرغانى المرغانى .

أيها القارىء الكريم هذه نبذة من نوادر كتب القراءات المخطوطة بمكتبة الأزهر ، فريدة فى نوعها وفى مكتبات العالم .

ونحن اذ نقدمها للقراء لم يسعفنا الوقت لبسط كل ما فيها على قدر ما تسمح به المساحة فى مجلة الأزهر الشريف ، ونترك لأصحاب البحث فى علوم القراءات تجلية ما فيها واخراج ما بها من مكنونات علمية دقيقة قولا يستطيع القارىء العادى تذوقها وتفهمها .

والله الموفق ..

مدير مكتبة الأزهر
محمد عميره على

دراسة الطب

واللغة العربية

الدكتور محمد عبد المنعم العتيق

اتفقوا حين اختلفوا ·· ولكن ·· !

هؤلاء السادة الأفاضل الذين تناولوا الموضوع من الأطباء وأيضا من السادة غير المتخصصين ، يدفع البعض الحماس للغة العربية والاسلام والعروبة ،ويثور البعض الآخر غيرة على الطب واستفادة الأطباء ·

وقد قرأت وحقا عجبت ! فملخص الخلاف أن فريقا يرى أن اللغة العربية قادرة بمشتقاتها ومعانيها أن تواكب كافة العلوم وتصلح للقديم والحديث ·

وفريق آخر يقول : لغة الطب والأبحاث فى العالم الآن هى اللغة الأوربية · ! واستعمال اللغة العربية فى الطب سيجعل الأطبـاء غـير قادرين على متابعة التقدم فى الطب ··!

ولست أرى أى خـلاف بين كـلا الرأيين فكلاهما صحيح تماما وان كان لايمت للآخـر بأدنى صلة ·· !

وقبل مناقشة الموضوع الأساسى وحتى نصل لنتيجة ·· لن ترضى كافة الأطراف فحسب بل سترضى (باذن الله) الحقيقة المطلقة · هل لنا أن نوضح بعض أساسيات الموضوع ·· حتى نستطيع – حين نبنى رأيا أو نقدم اقتراحا – أن يكون قائما على أساس واضح يعتمد على الحقائق المطلقة وليس على رأى شـخص أو وجهة نظر معينة !

١ – تاريخ لغة الطب فى العالم :

بالقطع ليس المجال هو دراسة تاريخ الطب ولكن هناك علامات رئيسية على طريق الطب ينبغى على أقل تقدير الالمام بها :

مدارس الطب فى العالم منذ الخليقة وحتى ظهور الاسلام يمكن تقسيهما كما يأتى :

أولا : مدرسة آشور وبابل ومدرسة الطب فى الصين والهند : وهؤلاء ليس لهم دور كبير فى تقدم الطب فقد كان اعتمادهم على السحر والخرافات والتعاويذ هو السمة الغالية لهم وكانت الامراض فى تقديرهم مرجعها للأرواح الشريرة ومع ذلك لا ينكر دورهم كأساس استفاد مِنْ بعضه مَنْ تَلاهم •

ثانيا : مدرسة الطب فى مصر الفرعونية :

رغم قيام الكهنة بدور الأطباء فقد بعدم الطب فى ذلك العصر تقدما كبيرا ولا أدل على ذلك من التقدم المذهل فى التحنيط • وهنا يجدر أن نقول : أنهم قاموا بتسجيل علومهم الطبية فى ستة كتب رسمية خاصة بعلوم الطب كما جاء فى أوراق البردى وعلى الهياكل والمعابد وكان ذلك باللغة الهيروغليفية لغتهم ولغة الطب فى ذلك العصر •

ثالثا : الطب عند الأغريق . كان مصدره الطب فى مصر القديمة ، وكذلك فى الهند والصين وكريت وبابل وفينيقيا • (وعلى ذلك فقد كان الفضل دائما هو فضل الشرق على الغرب) وقد تقدم الطب الأغريقى تقدما كبيرا ولا ينكر فضل (أبو قراط) فى القرن الخامس قبل الميلاد ولا فضل (جالنيوس) (١٣٠م) وكانت لغة الطب فى ذلك العصر هى بالقطع اللغة الاغريقية القديمة •

رابعا : الطب فى الاسلام :

كان لظهور الاسلام ودعوة القرآن للعلم وأحاديث الرسول ﷺ عن الطب فضل جذرى وجوهرى فى تقدم الطب فى العالم وفى الحقيقة أجدنى لا أستطيع التلخيص هنا •• ! فلو تركت العنان لقلمى لكتبت مجلدات فى هذا الموضوع فالاعجاز الطبى للقرآن الكريم ولأحاديث الرسول ﷺ لا أستطيع الآن أن أقول عنها أكثر ولا أقل من أنها • (طب الرحمن وطب من لا ينطق عن الهوى) ولهذا فلن أدخل فى هذا الموضوع الآن ونحن بصدد الحديث عن الطب واللغة العربية ولكن أقول استفاد المسلمون من ذلك وبدأ تطور الطب وتقدمه على أيديهم •

العصر الذهبى عند العرب .

وقد امتد من أواخر القرن الثالث الهجرى الى نهاية القرن الخامس وهى الفترة الموافقة للقرن العاشر الى القرن الثانى عشر الميلادى• وقد كان مصدر الطب فى ذلك العصر :

١ ـ القرآن والسنة •

٢ ـ الترجمة : ـ كانت أول ترجمة فى صدر الاسلام فى عهد الأمير خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ـ ثم ازدهرت الترجمة فى عصر هارون الرشيد (٨٧٦ م) وكان عميد المترجمين فى ذلك العصر هو أبو زيد

حنين بن اسحق (١٩٤ ــ ٢٦٤ هـ) وقد ترجم لـ « ابيقراط » وجالينوس من الاغريقية الى العربية • وقد أنشأ فى ذلك العهد ، ولذلك الشأن ، ما يسمى « بيت الحكمة » •

٣ ــ الابتكار والتجريب والتأليف :

ونبغ فى هذا العصر الرازى وابن سينا والطبرى ، وعلى بن عباس المجوسى •

ألف ابن سينا (٣٧٠ هـ) ٢١ مرجعا كبيرا و ٢٤ كتابا صغيرا فى الطب باللغة العربية وترجمت مؤلفاته الى اللاتينية وكتابه القانون فى الطب ترجم خمس عشرة مرة فى القرن الخامس عشر الميلادى وظل يدرس فى جامعتى « مونبلين ولوفان » حتى عام (١٥٦٠ م) •

ــ الرازى (٢٥١ هـ) أهم مؤلفان « الحادى فى الطب والتداوى » بالعربية ترجم الى اللاتينية وظل يدرس فى أوروبا كمرجع أساسى فى الطب حتى عام ١٥٤٢ م •

ــ على بن عباس المجوسى : (٣٨٤ هـ) أول من اكتشف الدورة الدموية الشعرية وأوضح ذلك فى كتابه « كامل الصناعة » •

ــ ابن الهيثم : (٣٥٤ هـ) ألف مائة كتاب بالعربية أشهرها « المناظر » أساس علم البصريات فى العالم •

واستمر تقدم الطب باللغة العربية فظهر ابن النفيس (٦٨٧) ووضع كتاب « شرح تشريح القانون » وكان أول من اكتشف الدورة الدموية الرئوية قبل « ويليم هارفى » الذى ادعاها الأوربيون له •

وفى الأندلس ظهر الزهراوى (٤٠٤ هـ) أعظم جراحى زمانه ، وأعظم من كتب فى الجراحة ، وظلت مؤلفاته تدرس فى أوروبا وكانت آخر طبعة لكتابه « التصريف لمن عجز عن التأليف » فى الجراحة بجامعة أكسفورد عام ١٧٧٨ م • وظهر من عظماء أطباء المسلمين الكثير ممن لا يتسع المجال لذكرهم •

وحتى ذلك العصر وبعده بسنين ظلت اللغة العربية هى لغة الطب والعلوم وكان يترجم منها وليس لها فقد كان بها كل شىء ولم يكن لدى غيرها شىء •• !

خامسا : انتقال الريادة الى اوروبا :

وانتقلت الريادة بعد ذلك لأوروبا على أكتاف العرب والمسلمين ولا ينكر منصف دور المسلمين والعرب فى الحضارة الانسانية فى العالم فالفضل الأول فى التقدم والتطور يرجع الى علماء العرب والاسلام •• وعلى حين كان الغرب غارقا فى ظلمات العصور الوسطى كان نور العلم ينبعث فياضا من عيون المعرفة فى أرض العرب وفى عقول علماء الاسلام ••

فبحثوا وطوروا واكتشفوا وألفوا وأخذ الغرب عنهم فترجموا مراجع وكتب علماء المسلمين وظلت لسنوات طويلة تدرس فى جامعاتهم ثم بدأوا هم فى الدراسة والتطور والاكتشاف وصارت لغتهم هى لغة الطب •

٢ ــ قدرات اللغة العربية :

أن نقول عنها قادرة فهذا اهانة لها .. انما هى الام لهذا المورد ، فهى أكثر من قادرة وهى أكثر لغات العالم قدرة على مواكبة العلوم والطب .. فلغة القرآن هى الاعلى وما سواها الادنى .. وقد سبق أن ذكرنا كم من المؤلفات الطبية كتبت باللغة العربية .. من يقرأها يجد كثيرا من التعبيرات الطبية والعلمية المستخدمة الآن مصدرها اللغة العربية .. وهناك كثير من الكتب الطبية كتبت حديثا باللغة العربية ــ تحت يدى الكثير منها وعندى أسماء غالبها لمن يريد الاطلاع ولقد قمت شخصيا بترجمة فصول كاملة من المراجع الأجنبية الطبية الحديثة الى اللغة العربية ضمن رسالة الماجستير الخاصة بى والتى قدمتها باللغة العربيه رغم انها رسالة طبية ! كما ترجمت أيضا من العربية الى الانجيزية أجزاء وتعبيرات أخرى .

وأشهد . وأنا شاهد عيان هنا ــ أن اللغة العربية أكثر من قادرة والله على ما أقول شهيد .

كما أرجو أن أوضح أن جميع الرسائل الطبية التى تقدم للجامعات المصرية وهى بالانجليزية لابد أن يصحبها ملخص مترجم باللغة العربية .

٣ ــ فائدة تدريس الطب بالانجليزية :

احقاقا للحق .. وبرغم نبوغ كثير من علمائنا وأطبائنا الأفاضل .. وجميعهم على أرقى مستوى عالمى وبعضهم له الريادة فى مجاله وتخصصه فى العالم .. برغم ذلك .. فالريادة الآن للغرب فى الطب .. رضينا أم لم نرض .. ! وكل حديث فى الطب يذكر باللغة الانجليزية .. وكافة المؤتمرات والمجلات العلمية والأبحاث تستعمل لغة الغرب .

ولكى نتقدم فلا بد أن نبدأ من آخر ما توصل اليه الآخرون ، والآخرون ليسوا عربا .. بل يكتبون بلغتهم لغة أوروبا .. وعلينا أن ندرس وندرس بذات اللغة حتى يمكن الاطلاع على كل جديد وحتى يمكن أن نشترك فى المؤتمرات العالمية والأبحاث المشتركة .. الخ

وعلى ذلك :

فلغة الطب دائما هى لغة رواد الاطباء ونوابغهم ، وليس يتقدم أو ينبغ طبيب عربى لأنه يدرس الطب بالعربية ، بل يكتب الطب بالعربية حين يكون النبوغ وريادة التقدم فى الطب بيد الأطباء العرب !

والسؤال الآن :

هل يمكن تدريس الطب بالعربية دون أن يؤثر ذلك على اللحاق بالسبق والتقدم

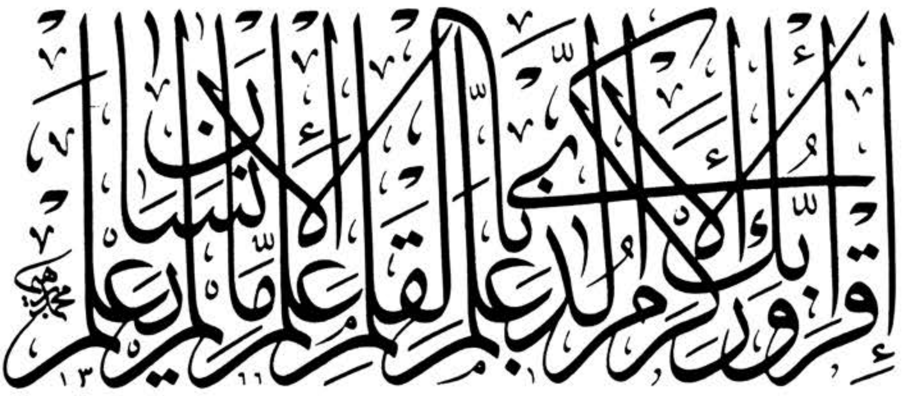

الطبى ؟ •• وكيف ؟ وهل يمكن أن يفيد ذلك الطب بصورة أو أخرى •• ؟

وهل يمكن أن يفيد ذلك اللغة العربية والعروبة •• ؟

وللاجابة عن هذه الأسئلة لابد أن نقدم أسئلة أخرى ينبغى ـ بكل الصدق وتحمل المسئولية ـ التفكير فيها : ألا وهى :

١ ـ هل يمكن لمجمع اللغة العربية أو هيئة تنبثق منه تتكون من غالبية من الاطباء من مختلف التخصصات مع أقلية من علماء اللغة •• تقوم بترجمة لمعنى المصطلحات الطبية •• وأكرر (لمعنى) •• وأزيد فى التكرار (لمعنى المصطلح الطبى) أو على أقل تقدير لوصف مبسط مشابه وليس بالضرورة مطابق ومترجم حرفيا عن الأصل اللاتينى وبألفاظ مفهومة فلا يقال مثلا « العضلة الودجية أو الوحشية الناطحة الباطحة ذات الثلاث رؤوس تعريفا لعضلة تسمى بالانجليزية TRICEPS فيمكن مثلا أن يقال « العضلة الثلاثية » وهكذا •

٢ ـ « هيئة الترجمة الطبية »

هل يمكن انشاء هيئة ضخمة « للترجمة الطبية » تتكون من أطباء ومترجمين بصفة أولية ويمكن بعد ذلك انشاء قسم خاص بالترجمة الطبية فى كليات اللغات وظيفته تخريج مترجمين للكتب والأبحاث الطبية •• وتكون وظيفة هذه الهيئة :

١ ـ ترجمة جميع الكتب والمراجع الطبية القديمة والحديثة من لغات الى اللغة العربية وترجمة كل كتاب حديث فور صدوره •

٢ ـ ترجمة كافة المجلات العلمية والنشرات الطبية الدورية التى تصدر فى العالم الى اللغة العربية ويحتاج ذلك بجانب الترجمة الى وضع وسيلة وخطة لحصول الهيئة على كافة مايصدر فور صدوره •

٣ ـ يحق لكافة كليات الطب ومعاهد الأبحاث

وما شابهها أن تطلب من « هيئة الترجمة الطبية » ترجمة أى نشرة أو بحث على أن يتم ذلك فى مدة لاتزيد عن أيام •

٤ — ترسل الهيئة مندوبين لحضور كافة المؤتمرات الطبية لترجمة كافة الأبحاث المقدمة والقيام بترجمة أى بحث يرغب أحد المشتركين فى القائه باللغة العربية •• والقيام بترجمة فورية للأبحاث الملقاة باللغات الأخرى الى العربية لمن يريد من الاساتذة العرب الحاضرين المؤتمر •

٥— ترجمة الأبحاث الطبية المقدمة باللغة العربية الى اللغات الاجنبية عند الحاجة لذلك•

٦ — لا شك أن العلوم الأخرى كالكمياء والفيزياء والرياضيات وشتى العلوم الأخرى فى حاجة الى ترجمة وتعريب وذلك دون الاقلال من قيمة كثير من الكتب والراجع الموضوعة فى هذه المجالات باللغة العربية والتى يمكن الاستفادة بنهجها ويمكن للهيئة أيضا الاشراف الكامل عليها ومتابعة كل نشاط وكل جديد فى هذا المجال •

٧ — ما يستجد من وظائف أخرى •• يحق للمجلس الأعلى للجامعات ونقابة الاطباء تكليفها بها • على الا يبدأ تعريب التدريس الطبى الا بعد خمس سنوات (على سبيل المثال) من قيام الهيئة بمهامها •

ومما لا شك فيه أن أى تقصير أو اهمال أو ضعف كفاءة أو تأخير فى أعمال هذه الهيئة سيكون وبالا شديدا على الطب والاطباء •

وبعـــد :

فانه اذا أمكن تحقيق النقطتين السابقتين فسيكون ذلك بداية عصر ذهبى آخر للطب عند العرب فكما بدأ المسلمون والعرب الأوائل بالترجمة نستطيع أن نبدأ ثم يلى ذلك الابتكار والتأليف والريادة وعلينا دائما ونحن ننظر الى المستقبل بعيون ملؤها الامل أن نلتفت الى الخلف لنستفيد بخبرات من سبقونا ونلتمس الثقة والفخر من أجدادنا علماء الاسلام العظماء •• حين نبع منهم العلم وورد اليهم من يرغب فى العلم •• وسيعطى ذلك دفعة نفسية قوية للأطباء للمنافسة والتحدى من أجل اعلاء راية الطب والعروبة وكلما تعددت الحوافز ازدادت القدرات وتعاظم المجهود وقربت النتيجة •

وأخيرا أتساءل :

متى نعود فنقدم أبحاثنا الطبية والعلمية باللغة العربية ؟ نقول هذا ونأمل أن يكون حديث العلم وبحثه باللغة العربية ضرورة علمية ، وليس اختيارا ، أو ضرورة جبرية •

الدكتور محمد عبد المنعم العتيق

اللغة والأدب والنقد

حذف ناصب المفعول به

في حاشية الأمير — شوقي بين محمد الماضي

مع رسالة جامعية

حذف ناصب المفعول به

٣

وقد يحذف ناصب المفعول به بشرط وجود قرينة لفظية أو معنوية تدل على المحذوف لأنه أحد ركنى الاسناد فلا يستغنى الاسناد عنه حتى يصح حذفه بغير دليل بخلاف الفضلة ، وهذا الحذف قد يكون جائزا ، كقولك ،

لمن سدد سهما : « القرطاس » ، ولمن تأهب لسفر: "مكة" ، ولمن قال : من أضرب ؟ ، « شر الناس » ، فالقرطاس منصوب بتقدير تصب ودل عليه المشاهدة ،ومكة منصوب بتقدير ، تريد أو تقصد ودل عليه قرينة الحال، وشر الناس منصوب باضمار اضرب ودل عليه قرينة المقام ، ونحو قوله تعالى : (وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا) ، أى أنزل خيرا ، بدليل قوله : ماذا أنزل ربكم فالقرينة هنا لفظية كما نرى .

وقد يكون الحذف واجبا كما فى باب الاشتغال نحو ، « الجهد بذلته » ، « محمدا ساعدته » ، « المعروف قدمته » لأنه لا يجمع بين المفسر والمفسر .

وفى باب النداء نحو ، « يا عبد الله » ، لأن حرف النداء عوض عن الفعل ، ولا يجمع بين العوض والمعوض .

وكذلك يحذف الناصب فى الأمثال العربية ، وهى تركيب مشهور شبه مضربه بمورده نحو « الكلاب على البقر » فالكلاب منصوب بفعل محذوف وجوبا تقديره ، أرسل الكلاب ، ولا يجوز ذكره لأن ذكره يغير المثل والأمثال لا تغير لأنه لما شبه مضربها بموردها التزم فيها أصلها ، نحو قولهم : « الصيف ضيعت اللبن » ينطق بكسر التاء لكل مخاطب مفردا أو مثنى أو جمعا مذكرا أو مؤنثا ، والمراد بالبقر هنا بقر الوحش .

أو كان جاريا مجرى المثل نحو قوله تعالى: « انتهوا خيرا لكم » فخيرا مفعول لفعل محذوف وجوبا تقديره انتهوا عن التثليث ، وأتوا خيرا لكم ، ولا يجوز ذكره لما تقدم ، والفرق بين المثل وما أجرى مجرى المثل أن المثل تركيب استعمل فى غير ما وضع له

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض

للمشابهة بين ما وضع له ، ويسمى مورد المثل، وبين موقف مماثل يقال فيــه يســمى مضرب المثل على طريق الاســـتعارة التمثيليـــة ، وما أجرى مجراه تركيب استعمل فيما وضع له حقيقة لكنه أشبه المثل فى كثرة الاستعمال وحسن الاختصار فأعطى حكمه فى عدم التغيير فيه .

كما يجب حذف ناصب المفعول فى التحذير باياك وأخواتها من ضمائر الخطاب المنفصلة ، « نحو اياك والكذب » .

« واياكم وصــحبة الأشرار » ، فايــاك منصوب محلا بفعل محذوف وجوبا ، ويقدر متأخرا عن اياك ، أى اياك باعــد والكــذب منصوب بفعل محذوف وجوبا أيضا ، ويقــدر متقدما على الكذب ، أى واحــذر الكــذب ، والفرق أن اياك ضمير منفصل فلو قدر الفعل الناصب قبله لزم اتصاله ، بخلاف الكــذب فانه اسم ظاهر .

وفى التحذير مع العطف نحو « رأســك والسيف » ، « والكذب والخيانة » ، «والغش والفجور » ، فرأسك والسيف منصوبان كلاهما بفعلين محذوفين وجوبا ، أى باعــد رأســك واحذر السيف ، وكذلك ، الكذب والخيانة ، والغش والفجور أو مــع التــكرار ، نحــو « الثعبان الثعبان » ، « الاهمال الاهمال » ، « الظلم الظلم » ، والتقدير احذر ، الثعبان والاهمال والظلم ويحذف الناصب وجوبا فى الاغراء مع العطف نحو : « المروءة والنجدة » « الشـــجاعة والكرم » ، « الجد والمثابرة » ، « الصراحة والاقـــدام » ، أو مـــع التكرار نحو : « الـــوفاء الوفـــاء » ، « الصـــدق الصدق » ، « الأمانة الأمـــانة » ، وقـــول الشاعر :

أخــاك أخــاك ، ان من لا أخا له
كســاع الى الهيجا بغير ســلاح

بتقدير الزم فى كل تلك الأمثلــة ، وانمــا وجب حذف العامل فى العطف والتــكرار ، لأن كلا من العطف والتكرار قائم مقام العامل .

لزوم الفعل المتعدى

الفعل المتعدى يصير لازما أو فى حكم اللازم بعدة أمور ، منها .

أولا : التضمين ، أى أن يضمن المتعــدى معنى فعل لازم ، والتضمين : الحــاق مــادة بأخرى فى التعدى أو اللزوم واعطاؤها حكمها لتناسب أو اتحاد بينهمــا فى المعنى فيكــون اللفظ مستعملا فى مجموع المعنيين مرتبطــا أحدها بالآخر ، نحو قوله تعالى **(وَلَا تَعْـدُ**

عَيْنَاكَ عَنهُمْ ، تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فقد ضمن تعد معنى (تنب) ، وقوله سبحانه : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ) ضمن يخالفون معنى يخرجون ، وقوله جل شأنه : (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ) ضمن أذاعوا به معنى تحدثوا به ، وقوله أيضا : (وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي) ضمن أصلح ، معنى بارك ، ونحو قول المصلى فى الرفع من الركوع • « سمع الله لمن حمده » ، ضمن سمع معنى استجاب ، وقول أحد الشعراء : ضمنت برزق عيالنا أرواحنا أى تكفلت •

ثانيها : تحويل الفعل المتعدى الى وزن (فعل) بضم العين بقصد المبالغة والتعجب ، نحو ضرب الحارس ، أى ما أضربه ، وفهم حاتم ، أى ما أفهمه ، وحفظ الغلام ، أى ما أحفظه •

ثالثها : « مطاوعة المتعدى » الى واحد كما مر ، نحو « قاد الغلام » البعير فانقاد • « أدبت اليافع فتأدب » ، « فتحت النوافذ فانفتحت » •

رابعها : ضعف العامل عن العمل ، أما بتأخيره نحو : « من سجايا العرب أنهم للضعيف يكرمون » ، اشتهر اليابانيون أنهم لصناعاتهم يتقنون » ، عرف المصرى بأنه للواجب يؤدى باخلاص وصدق » ، وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) وقوله سبحانه : (وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) ، أو بكونه فرعا فى العمل وهو الوصف المشبه للفعل ، نحو « ان هذا الجندى رافع لعلم وطنه » « وهذا التلميذ فاهم لدرسه » ، « النجار حافظ لحقوق جاره » وقوله تعالى : (مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) وقوله سبحانه : (فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ) ، وقوله أيضا : (فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ) •

خامسها : الضرورة ، كقول الشاعر :

تبلت فؤادك فى المنام خريدة
تسقى الضجيع ببارد بسام

فالفعل تسقى يتعدى الى المفعول الثانى بنفسه ،ولكن الشاعر جعله قاصرا بالنسبة له للضرورة ، ويحتمل أنه ضمن تسقى معنى تشفى فعداه الى الثانى بالباء ، ويحتمل أيضا أن يكون المفعول الثانى محذوفا والباء للاستعانة ، وأن المعنى : تسقى الضجيع ريقها بفم بارد ريقه ، وهو معنى سائغ مقبول •

أفعال تعدى ثلاثيها ، ولزم الرباعى منها

قد ورد فى اللغة مجموعة أفعال تعدى ثلاثيها ، فى حين جاء رباعيها بالهمزة لازما عكس القاعدة المعروفة ، أن الثلاثى القاصر يتعدى بالهمزة الى واحد ان كان قاصرا ، والى اثنين ان كان متعديا بنفسه الى الواحد ، وهى كثيرة تتجاوز الخمسة عشر فعلا ،

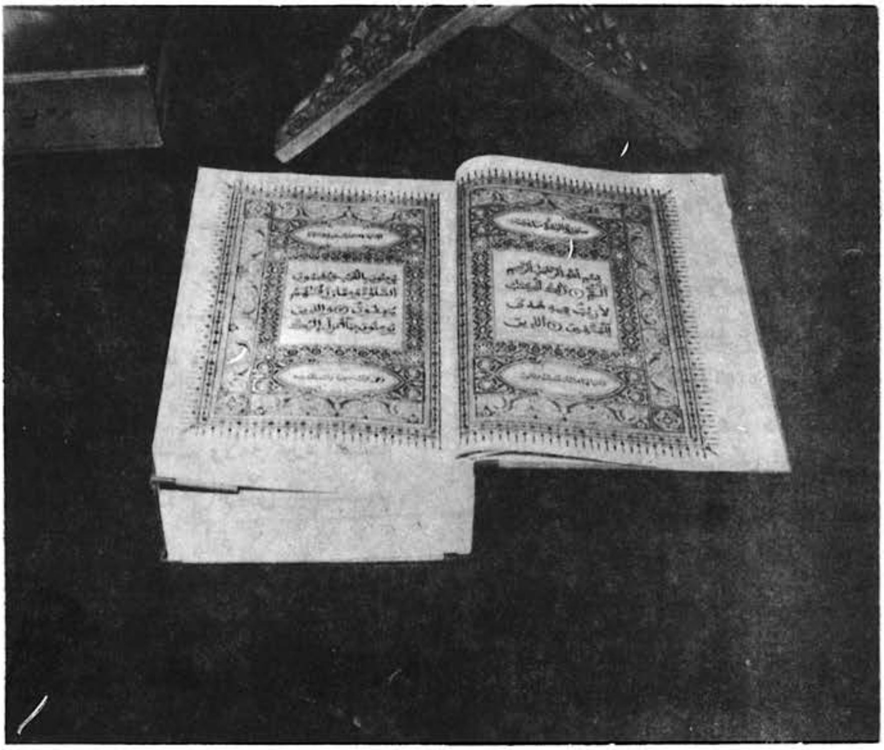

منها « أجفل الطائر » ، « وجفلت الطـائر » « وأعرض الشيء ظهر » ، وعرضته أظهرته ، « وأظأرت الناقة » عطفت على بوها ، ظأرتها ظأراً عطفتها عليه ، « وأنسل ريش الطائر » ، أى سقط ، « ونسلته نزعتـه » ، « وأنقـع العطش سكن » ، « ونقـع المـاء » العطش سكنه وأخاض النهر « صار قابلا للخـوض وخضته » ، «وأحجم القائد عن الهجوم» وقف وامتنع عنه ، وحجمته عنه ، منعته « وأكب على وجهه » ، وكببتـه ، « وأصرم النخـل والزرع » ، حان قطعه ، وصرمته ، قطعتـه ، « وأمخض اللبن » « ومخضـت اللبن » ، استخرجت زبده بوضع الماء فيه وتحريكه ، «وأثلث القوم» ، صاروا بأنفسهم ثلاثة وثلثت القوم ، صرت ثالثهم ، وهكذا ، أربع القوم ، وربعتهم الى العشرة ، وأبشر الرجل بمولود سر به ، وبشرت الصديق بمولود جـديد ، « وأقشـع السـحاب » ، زال وانحسر ، وقشعت الريح السحاب ، أزالتـه ومن ذلك قول كثير :

كمـــا أبرقت قوما عطاشا غمـــامة
فلمـــا رأوهـــا أقشـــعت وتجلت

ومن هذه الأفعال كذلك ، « ألوت النـــاقة بذنبها » ، ولوت ذنبها ، حركتـــه ، « وأصر الجواد بأذنه ، وصر اذنه ومنها أيضا ، أشنق البعير ، رفع رأســـه ، وشـــنقته ، ، وأنزفت البئر ، جف وذهب ماؤها ، ونزفت البئر وأقلع العاصى عن المعصية ، « وقلعه الله عنها » ، وألأم الرجل صلح حاله ، ولأمه غيره أصلحه أو نسبه الى اللؤم ، ولأم الرامى الســـهم جعل عليه ريشـــا •

وهناك من هذا الصنف أفعال أخرى غيرها لا حاجة الى الاسترســـال فى ذكرهـــا ، ولا ضرورة لاستقصائها ، فلنرض بما تيسر منها ففيه ــ ان شاء الله طول وغنـــاء ، وجهـــد وعطاء ومتعة وحباء ، والمأمول أن يتم بمـــا يسر الله منه النفع العميم وتتحقق الفـــائدة الشاملة ، والله تعالى الموفق للسداد والهادى الى سبيل الرشاد •

الواسطة بين المتعدى واللازم

الجمهور متفقون على أن كـــان الناقصـــة وأخواتها واسطة بين المتعدى واللازم ، فهى تشبه المتعدى فى اتصال (ها) عائدة على غير المصدر بها نحو ، « الصـــديق كنتـــه » ، « والأستاذ كأنه اسماعيل ، وتشبه الـــلازم فى أن منصوبها خبر ، وليس مفعولا بـــه ، والمتعدى من خصائصه أن ينصب المفعول به• كما يشير الى ذلك ابن مالك فى ألفيته :

فانصـــب به مفعـــوله ان لم ينب
عن فاعل نحـــو تدبرت الكتب

ولو كان نصبه الخبر يسوغ تعديته لقال : سانصب به مفعوله أو خبره ، أمـــا كان التامة وأخواتها التى ورد تمامها مثل كان فهى مـــن قسم المتعدى تارة • ومن قسم اللازم تارة أخرى •

وكذلك ما يتعدى من الأفعال تارة بنفسه ، وتارة بحرف الجر مع شيوع كل من اللغتين فى الاستعمال نحو ، شكرته « وشكرت له » « ونصحته ونصحت لـــه » ، « وســـمعته » « وسمعت منه » أوله ،هو واســـطة أيضـــا وهو الأصح من مذاهب ثلاثة فيه ، والمـــذهب الثانى ، أنه متعد وحرف الجر معه زائـــد • والمذهب الثالث أنه لازم وحذف الجار معـــه توسع •

ولا يرد علينا فى هذا المجـــال ما تنـــاويه التعدى واللزوم مع اختلاف المعنى ، نحـــو ، « فغر محمد فاه » بمعنى فتحه « ومحمـــد فغرفوه » بمعنى انفتح ، ونحو ، « زاد انتاج المصانع أخيرا » ، « وزاد العمال الانتاج » ، «ونقص عدد الغائبين من التلاميذ» ، «ونقص القاضى فترة العقوبة على المذنب » ، « ووقف القتال بين المتحاربين » « ووقف القائد القتال مع أعدائه » لأنه لا يخرج عن حيز القســـمين (المتعدى واللازم) كما سلفت الاشـــارة الى ذلك فى موضعه أثناء الحـــديث عن الأفعـــال التى تستعمل لازمة وتتعدى بنفسها أحيـــانا فليرجع اليه ؟ •

أحمد حسن عبد العواض هلالى

في حاشية الأمير

مسامرات الخالدين

السيد حسن قترون

موقفى مع مولانا « محمد الأمير » موقف الشاعر العربى الذى قال :

تكاثرت الظبــاء على خــراش
فمـــا يـدرى خراش ما يصيد

فكلما تنقلت فى ردهات « المغنى » وصالاته بدت لى « الحاشية » فى أبهى حلة وأبهج غرة ، ورأيت أصفياء الأمير يشرقون اشراق الشمس ، ويسطعون سطوع القمر ، يتحدثون أحاديث تنقع غلة الصادى ، وتنير طريق السارى وترتفع بالشادى الى مناط أرباب الابتكار وأصحاب الابداع ، ويتحاورون أو قل يتجاذبون أطراف الحديث •

وكأن تجاذب أطراف الحديث خاص بهم ، ولا يدور الا عليهم ، ولا يؤخذ الا منهم ••• وكأنى بين النائم واليقظان أرى وأسمع ، ويقع فى روعى أنى أعى عن أبى حيان اعتراضه على الزمخشرى فى جعل « أنما » بفتح الهمزة تفيد الحصر ، « ولا يعرف القول بذلك الا فى انما بكسر الهمزة •

وصاحب المغنى يؤيد الزمخشرى ويأتى بمثال أو شاهد على الاصح من القرآن الكريم هو :

قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد» •

ويدخل مولانا الامير فى الحوار ويجعل همه فى نوع القصر ، وأنا لا أريد التوسع فى ذلك الأمر نحويا ولا بلاغيا فذلك متروك للنحاة وطلاب البلاغة ، ولكنى أنصت لحديث الأمير عن « أبى حيان » لأن المجلس يريده سكرتيرا للجلسة التى تعقد فى السحر • قال الأمير :

أبو حيان كان ظاهريا ثم تشفع وهو « أثير الدين محمد بن يوسف بن على بن يوسف

الامام النحوى اللغوى الأديب القراء .

ولد « بغرناطه » من « الأندلس » فى سنة أربع وخمسين وستمائة (٦٥٤) هـ ولازم الشيخ « بهاء الدين بن النحاس » أول ما قدم القاهرة ، وصنف كثيرا وتخرج له أئمة ، وحفظ منهاج « النووى » الا ورقتين ، وكان يعقد « القاف » على لغة الأندلسيين الا فى القرآن . أضر فى آخر عمره .

وتوفى بالقاهرة فى صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة (٧٤٥ هـ) وله النظم الرائق . سأله بعض الأمراء عن صرف اسمه فقال : « ان لم تكرمه انصرف وان أكرمته فلا » يريد الأخذ من الحين أو الحياة .

وهى عبارة دقيقة وشرحها يحتاج الى تمثيل .

فقوله : ان لم تكرمه انصرف يقول « ان أردت به المكروه وهو الحين يكون حيان؟ » غير ممنوع من الصرف فينون فوزنه فعال .

وقوله : ان اكرمته فلا،يعنى يكون حيانُ من الحياة فهو فعلان،فلا ينصرف بل يمنع من الصرف وهو التنوين ومثاله فى اللغة «حسان» « عفان » ، فان كان حسان من الحسن انصرف،وان أخذته من الحِسّ يمنع من الصرف فيكون حسان المنصرف على وزن فعال مثل حماد ، ويكون حسان الممنوع من الصرف على وزن فعلان ، وهكذا القول فى عفان ، والمعنى بعد فهم النحو « يفيد اكرامه ببقائه بمجلس الأمير وان لم يكرم ذهب ورحل » .

ولما كان أبو حيان من النحاة كانت حوزنه أشياء اهتم بها الامير ، وعنى بها وأنا أميل الى تسجيلها هنا للدلالة على براعة الأمير وفنه ووعيه وأنه لا نظير له فى جمع المعلومات ووضعها فى آنية تشف عما فى داخلها قال :

لطيفتان

الأولى يقال « مَئِنّة » كذا،أى حقيق به ، والمئنة خلاف المظنة ، فقيل « مفعلة » من إنَّ فى حاشية السيوطى بمعنى"نعم"، وفى القاموس التى للتحقيق والتأكيد أى محل لأن يقال فيه إنه كذا كما قالوا : الانّية والبرهان الانّى .

ورده الفارسى وابن جنى بأنه لا يشتق من الحرف . واختارا أن الميم أصلية فهى فعلة بتضعيف اللام من المئنة وهى الاكتراث بالشىء والاعتناء به وأفاده القاموس فى موضع آخر ، وما ذهب اليه القاموس هو المفضل لدى،فلا مانع أن تكون المئنة مأخوذة من «ان» التى للتحقيق والتأكيد ، وقد ورد عن بعض العرب الاشتقاق من الحرف . والمظنة موضع الشىء ومألفه الذى يظن كونه فيه .

اللطيفة الثانية : تدور حول معانى « ان » حسب ضبط همزتها وضبط نونها ونوعها . قال الشيخ : ألغز « مهذب الدين أبو المحاسن المهلبى النحوى » فى أن عشرا ــ وكان شعرا

هو :

أن زيدُ فإنّ عمرو الكريما
إنّ مستهزئا وإنْ حليما
إنّ قلبى لفى غرام كليما
أنّ وصلا فإنّ يشفى سقيما
أصدودا لأننى ذبت أنا ؟
قال : إن الخلاص ؟ صرت رميما

فالأولى بالفتح « أنَّ زيدُ» ماضٍ من الأنين ، والثانية بالكسر « فإنّ عمرو » أمَرَهُ يعنى تَوَجَّعْ • والكريما نعت عمرو على المحل لأن عمرا منادى • والثالثة أصلها إنْ أنَا نَفْىٌ ، والمعنى ما أنا مستهزئا • والرابعة أمر بمعنى عد والخامسة مؤكدة • والسادسة بالفتح لغة فى لعل • والسابعة بمعنى نعم • والثامنة مؤكدة ولكن مفتوحة والتاسعة مصدر أن من الأنين « ذبت أنًّا » والعاشرة أصلها أنى استفهامية بمعنى من أين أو كيف •

وهذا اللغز يحتاج الى أناة وكد للذهن ، وفيه تكلف مثل إن الخلاص ؟ بمعنى من أين الخلاص ؟ وإن بمعنى نعم ، وقد أنكره علماء اللغة • قالوا : وأما قول الأخفش « إنَّهْ » بمعنى نعم فانما يريد تأويله ليس أنه موضوع فى اللغة لذلك قال : وهذه الهاء للسكوت • وأنشدوا لابن قيس الرقيات قوله :

ويقلن شيب قد علا
ك وقد كبرت فقلت:إنَّهْ

أى انهقد كان كما تقلن ، قال أبو عبيدة وهذا اختصار من كلام العرب يكتفى منه بالضمير ، لأنه قد علم معناه ، وصحوت على صوت مجلجل ينادى « فتحت الجلسة »

وفتحت عينى على مولانا الأمير يخطو نحو المنصة ، وجلس •

فقال أبو حيان : سنبدأ بما حوته الحاشية عن وصية الحطيئة ؟ • قال الأصمعى : وهل يعتد بوصية الحطيئة ؟ ويهتم أئمة الزمان بمثل ما تركه الحطيئة من هذيان ؟ قال قائل من أقصى القاعة •• نحن نعرف رأيك فيه منذ كنت تقوله فى الحياة الدنيا وقد وصفته بكل صفات الذم والهجاء ، ولكنك اعترفت بقدرته البيانية ، ونحن نلتقى به على هذا الوجه • وتضاءل الحطيئة وهو قمىء كاسمه ، وترك غيره للدفاع عنه ونظر فوجد من يدافع عنه هو « كعب بن زهير » فرضى أن وجد زميله فى الشعر يدافع عنه • فقد كانا يأخذان الشعر رواية عن زهير بن أبى سلمى فهما من مدرسة واحدة •

قال أبو حيان : أنا أقرأ عليكم الآن ماسجلته مضبطة الحاشية ، وعليكم بعد ذلك أن تقولوا ما تشاءون • وكانت الموافقة : والأساس فى هذا الشأن أن « المغنى » فى «تنبيه» له نقل عن غيره أن « الفاء » تكون للاستئناف واستشهد بالقرآن وبالشعر ، ومن الشعر قول الحطيئة :

الشعر صعب وطويل سلمه
اذا ارتقى فيه الذى لا يعلمُهْ
زلت به الى الحضيض قدمه
يريد أن يعربه فيعجِمُهْ

برفع المضارع « يعجمه » أى فهو يعجمه ،

ولا يجوز نصبه بالعطف ، لأنــه لا يريــد أن يعجمه • والتحقيق أن الفاء فى ذلك كله اشارة الى ما ذكره من الشواهد للعطف ، وأن المعتمد بالعطف الجملة لا الفعل والمعطوف عليه فى هذا الشعر قوله « يريد » وانما يقدر النحـويون كلمة هو ليبينــوا أن الفعـل ليس المعتمـد بالعطف •

وهنا قال الأمير : « قوله الشعر صعب الخ » للحطيئة بضم المهملة مصــغر •• قــال فى القاموس : الرجل الدميم أو القصــير ولقب « جرو ل » الشــاعر وهو القــائل :

متى تأته تعشــو الى ضــوء ناره
تجد خير نــار عنــدها خــير موقــد

أخرج أبو الفرج فى الأغانى وابن عســاكر من طرق بعضها يزيــد على بعض أن الحطيئة لما حضرته الوفاة اجتمع عليه قومه فقــالوا : يا أبا مليكة ، أَوْصِ • قال : ويل للشــعر مــن رواة السوء • قالوا : أوص يرحمك الله قال : من الذى يقول :

اذا نبض الرامون عنهــا ترنمتْ
ترنم ثكلى أوجعتهــا الجنــائز ؟

قالوا : الشماخ بإعجام أولــه وآخــره كشــداد كذا فى القاموس ، وفيه أيضا نبض فى قوســه حرك وترها لترن • قال : أبلغــوا غطفان أنه أشعر العــرب • قــالوا : ويحك ما هذه وصية ، أوص • قال : أبلغــوا أهــل ضابىء أنه شاعر حيث يقول :

لكــل جــديد لــذة غــير أننى
رأيت جــديد المــوت غير لذيذ

قالوا : أوص ــ ويحك ــ بما ينفعك • قال : أبلغــوا أهــل امــرىء القيس أنه أشــعر العرب حيث يقــول :

فيــالك من ليــل كــأن نجــومه
بكــل مفــار الفتل شــدت بيذبل

فقالوا : اتق الله ودع عنك هذا • قــال : أبلغوا الأنصــار أن صــاحبهم (١) أشــعر العرب حيث يقول :

يغشــون حتى لا تهر كــلابهم
لا يســألون عن الســواد المقبــل

فقالوا : ان هذا لا يغنى عنك شيئا ، فقــل غير ما أنت فيه • فقال : « الشعر صــعب •• الخ » •

قالوا : يا أبا مليكة ، ألك حاجة ؟ قال : لا ، ولكن أجزع على المديح الجيد يمدح بــه من ليس له أهلا •

فقالوا : ما تقول فى عبيدك ؟ قال : هم عبيد قن ما عاقب الليل النهار • قالوا : أوص للفقراء بشىء • قال : أوصيهم بالحاح فى المســألة • قالوا : فما تقول فى مالك ؟ قال : للأنثى مثــل حظ الذكر •

---

(١) حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم

قالوا : ليس هكذا قضى الله • قال : لكنى هكذا قضيت وما أدرى أعواد أنتم أمخصماء ؟

قالوا : فما توصى لايتامى ؟ قال كلوا أموالهم وطئوا أمهاتهم • قالوا : فهل شىء تعهد فيه غير هذا ؟

قال : نعم ، تحملوننى على أتان وتتركوننى راكبها حتى أموت ، فان الكريم لا يموت على فراشه ، والأتان مركب لم يخبر بموت كريم عليه • فحملوه على أتان فأنشد :

لا أحد ألأم من حطيئه
هجا بنيه وهجا المريئه (١)
من لؤمه مات على الفريئه

والفريئة الأتان كأنها تصغير فروة ، وذكر القاموس من معانيها الحمار •• أو من قولهم « كل الصيد فى جوف الفرا (٢) » والفرا بالتخفيف حمار الوحش •

وقف الحطيئة وصاح بأعلى صوته ليسمعه الجمع الحاشد : أكل هذا كان منى ؟ لقد كان عوادى من الصابرين •

لقد رويتم وزعمتم أننى قلت : « ويل للشعر من رواة السوء » وأقول فى تلك الساعة ، ويل للأخبار من رواتها — أو كما تقولون « وما آفة الأخبار الا رواتها » واحتج الأصمعى على قول الحطيئة ، ورماه بالتنصل مما كان منه •

وقال الحطيئة : انك تقول : وصلت بالعلم وتلت بالملح ، ومثلك يتتبع الأخبار الطريفة لتمتع بها الخلفاء والأمراء وتنال شتى الجوائز •

ووقف المعرى وهو يرى الجمع ببصره وبصيرته ، وقال : ان ما رويتموه عن الحطيئة وهو فى النزع الأخير لا يؤخذ مأخذ الجد ، وأنا أعده من آثار المرض وهذيان النزع ، على أن له ذوقا يعتد به ، وحسبه حديثه عن الموت فوق « الحمارة » الذى لا يقع للشجعان أصحاب الخيول وانما يقع للجبناء واللئام ، كما أن حديثه عن الشعر وأنه الصعب الذى لا يبلغه الا الفحول ، ومهما قيل عن انحرافه وارتداده ثم رجوعه فانى فى «رسالة الغفران» قد جعلته من الناجين ، بيد أنى وضعته موضعه كما عرفت من حاله ، فقد حدد مكانه وأنه فى أقصى الجنة يسكن فى كوخ ، وعنده شجرة قميئة ثمرها ليس بزاك ، وقد نال الشفاعة لصدقه فى قوله :

أبت شفتاى اليوم الا تكلما
بهجر (٣) ، فما أدرى لمن انا قائلهْ
أرى لى وجها قبح الله خلقه
فَقَبِّح من وجه وقبح حامله

فقد صدق فى وصف نفسه بالقبح ، وكلامه بالهجر أى الفساد ، والانسان يعجب بشكله وعقله وقد هجاهما ، فمن ثم كان صادقا والصدق صفة يحسن الثواب لصاحبها • وقد اعترف بأن قوله :

---

(١) المريئة تصغير المرأة
(٢) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قاله لابى سفيان
(٣) بقول فاسد

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

وان كان من الجمال والكمال فى مقام مرموق الا أنه لم يحسب له فى حسناته . قال : سبقنى الى معناه الصالحون ، ونظمته ولم أعمل به ، فحرمت الأجر عليه ، وجلس أبو العلاء وهو يردد « من يفعل الخير .. البيت » .

وموقفه من فعل الخير والدعوة اليه ومجافاته للتطبيق عليه سمة من سماته . انظر اليه فى هذا الموقف . كان يرعى غنما وفى يده عصا ، فمر به رجل فقال : ياراعى الغنم ، ما عندك ؟ قال : عجراء من سلم ــ يعنى عصاه ــ قال : انى ضيف ، قال الحطيئة : للضيفان أعددتها ، انه هنا بخيل يدافع عن بخله بسلاحه الذى أعده للضيفان، ثم انظر اليه وهو يرسم لنا صورة الكرم والسخاء فى قصة ذلك العربى الذى نزل به ضيف فماذا كان منه ؟ ويحسن أن نذكر ما قاله الحطيئة وهو شعر يروى ويحفظ ويقتدى بما يدعو اليه قال :

وطاوى ثلاث ، عاصب البطن ، مُرْمِلٍ (٢)
ببيداء لم يعرف بها ساكن رَسْمًا
أخى جفوة ، فيه من الانس وحشةٌ
يرى البؤس فيها من شراسته نُعْمَى
وأفرد فى شِعْبٍ عجوزا ازاءها
ثلاثة أشباح تخالهم بَهْمًا (٣)
حُفَاةٌ عُرَاةٌ ما اغتدوا خبزَ ملةٍ
ولا عرفوا لِلبُرِّ مذ خلقوا طعما
رأى شبحا وسط الظلام فراعه
فلما رأى ضيفا تشمر واهتما
فقال : هيا رباه ضيف ولا قرى
بحقك لا تحرمه تا الليلَة اللحما
فقال ابنه لما رآه بحيرةٍ
أيا أبت اذبحنى وَيَسِّرْ له طعما
ولا تعتذر بالعدم عل الذى طرأ (٤)
يظن لنا مالا ، فيوسعنا ذما
فروى قليلا ثم أحجم بُرْهَةً
وان هو لم يذبح فتاة فقدهمَّا
فبيناهما عنت على البعد عانةٌ
قد انتظمت خلف مسحلها نظما
عطاشا تريد الماء فانساب نحوها
على أنه منها الى دمها أظما
فأمهلها حتى تروت عطاشها
فأرسل فيها من كنانته سَهْمًا
فخرت نَحُوصٌ ذات جحش سمينة
قد اكتنزت لحما وقد طبقت شَحْمًا
فيا بشره إذْ جرها نحو قومه
ويا بشرهم لما رأوا كلمها يدمى
وباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم
وما غرموا غرما وقد غنموا غنما
وبات أبوهم من بشاشته أبا
لضيفهم ، والأم من بشرها أُمّا

---

(٢) فقير نفد زاده
(٣) صغار الضأن
(٤) طرا مخففة من طرأ ينزل

فهذه قصة كاملة بدأها بأبيات تصور حال تلك الأسرة البائسة ، فالأعرابى رجل فقير سيء الطبع ينفر من الناس وله زوجة عجوز وثلاثة أطفال أضناهم الجوع وبرح بهم الهزال ثم هذا الأعرابى نزل به ضيف فماذا فعل ؟ تحير واهتم ، لقد رحب بالضيف ولاطعام عنده ، ويتطوع أحد أبنائه ليكون الذبيح ... تأتى النجدة من قطيع الحمر الوحشية ثم يرسل سهمه لاحداها ، فخرت مكتنزة اللحم مطبقة الشحم .. ثم كان القرى . وأنا لا أريد أن أشرحها مقطعا مقطعا ولا بيتا بيتا فانك ستجدها يسيرة أثيرة ، صادقة المعانى جميلة الالفاظ ، فيها صدق الاداء وصدق الدعوة الى السخاء . ونحن اليوم نعتز بتلك القصة ونراها ردا على من ينكر على العرب نظمهم « الشعر القصصى » ومن جهة أخرى تضعها فى ميزان الحطيئة ، فالذى يحمل العصا للضيفان يرسم لنا صورة للكرم لاتمحى على مدى الازمان . ولو وازنت بين المقطع الثانى والمقطع الأخير لوجدت منظرين متضادين الأول يلفه الأسى واليأس من جميع نواحيه حتى ليهم الأب بذبح الابن .. والأخير كله بشر وسعادة ، فالضيف فى حال خصبة وراحة تامة والأب والام فى مكانهما من الكرامة والبشر والرضا .

وأعود الى ما ذكره مولانا الأمير من وصية الحطيئة فتراه يقدم لنا عقل الحطيئة ومدى فهمه لنقد الشعر فهو نقد جزئى قائم على الاستحسان دون ابداء المسوغات ، فكل الذين ذكرهم أشعر العرب .. لماذا ؟ وقد تطور النقد الأدبى من جيل الى جيل حتى كان الآمدى ونقده لشعر الطائيين أبى تمام والبحترى وهو ما يعرف « بالموازنة بين الطائيين » فقد كان يعرض لكل منهما قصيدة بأكملها تقابلها قصيدة الآخر ، ويجرى الموازنة ناظرا الى المعنى واللفظ والثقافة العربية وفى القرن الرابع عشر الهجرى الموافق القرن العشرين تغير مفهوم النقد وصار النظر للقصيدة ككل وتخلى عن بيت القصيد وصارت عندنا مذاهب لنقد الشعر تدرس فى المدارس والجامعات .

ولا جدال فى أن حاشية الأمير تذكر فتشكر ، لأنها جمعت فأوعت ، وأوجزت ومع ذلك أوفت فهى المفتاح لكل دارس ، الغذاء لكل منهوم ، والمجد لكل مفتخر .

والحطيئة : هو أبو مليكة جرول بن أوس العبسى ، اشتهر بالهجاء مع أنه بليغ فى المدح وفى كل فنون الشعر وحسبه أنه قرض الشعر القصصى وأجاد فيه ، ويعللون أسباب احترافه الهجاء أنه نشأ معلول النسب ، كانت أمه فى بيت رجل من عبس فجاءت منه بالحطيئة ، ولكن نسبه لم يثبت صريحا منه .. ومن ثم اتجه الى الشعر وتعلمه على يد زهير بن أبى سلمى فأخذ منه الصناعة ولم يأخذ منه شرف الكلمة ، فكان يهجو ويوغل فى الهجاء حتى هجا نفسه وأباه وأمه ... وأدخله أبو العلاء الجنة لصدقه فى وصف نفسه . وقد تعرض للمحاكمة أمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين هجا الزبرقان بن بدر ودخل السجن ثم استعطف عمر بشعر يحرك العاطفة ويستميل الشفقة فعفا عنه واشترى منه أعراض المسلمين

بثلاثة آلاف درهم . وكان يفزع من ذكر عمر بعد موته ويترحم عليه .. توفى الحطيئة زمن معاوية بن أبى سفيان سنة ٥٩ هـ .

وهـو شـاعر مخضرم أدرك الجـاهلية والاسلام ، وتأثر بالاسلام بأفكاره ومبانيه ولم يسلك سبيل عظاته ومراميه .

قال أبو حيان : لقد شغلتنا وصية الحطيئة عن النزهة فى رياض الحاشية وفذلكتها (١) ، والنظر فى المأثور من قطوفها الدانية ، واستياف أريجها المنعش ، وطرائفها التى تتحدث عـن نفسها . قال أبو نواس : هات لنا شيئا ينعشنا أو دلنا على جدول تظلله أشجارها لنقف مليـا نتجاذب ما حلا وعلا منها . قال : اليكم هـذه الطرفة وأنصت الجمع وقد انقشع ماران على المجلس من حديث الموت والوصية والهجـاء والمخاكمة :

فى الجناح الثانى من المغنى وفى صفحة ١١٢ جاء عن الأمور التى يكتسبها الاسم بالاضافة منها تذكير المؤنث كقوله :

انارةُ العقـل مكسوفٌ بطوع هـوى
وعقل عـاصى الهـوى يزداد تنويرا

ومنها تأنيث المذكر كقول الشاعر : « أنشده سيبويه »

وَتَشْرَقُ (٢) بالقول الذى قـد أذعته
كمـا شَرِقَتْ صدر القناة مـن الـدم

وفى هذا البيت يشير ابن حزم الظاهرى فى قوله :

تجنبْ صديقا مثل « ما » واحذر الذى
يكـون كعمـرو بين عُـرْب وأَعْجُم
فان صديق السوء يزرى ، وشاهدى
« كما شرقت صدر القناة من الـدم »

قال صاحب المغنى موضحا : ومراده « بما » الكناية عـن الرجـل النـاقص كنقص مـا الموصولة (٣) ، ومعجزو الكتابة عـن الرجـل المريد أخذ مـا ليس له كأخذ عمـرو الواو فى الخط . أقول ونسى أن يقول : ان التضمين وهو « كما شرقت صدر القناة من الدم » يفيـد اكتساب الصديق أخلاق صديقه ، وكل قرين بالمقارن يقتدى .

قال : وشرط هذه المسألة والتى قبلهـا صلاحية المضاف للاستغناء عنه . انتهى كلام المغنى والتعليق عليه . وأمسك مولانا الأمـير بذوائب القول فقال « قوله الكناية أراد اللغوية وهى ماكنى به عن المعنى فان الواقع هنـا تشبيه . وما أحسن قول أبى نواس يهجـو أشجع السلمى :

قل لمـن يـدعى « سليما » سـفاها
لسـت منها ولا قـلامة ظفـر
انمـا أنت فى سـليم كـواو
الحقت فى الهجـاء ظلمـا بعمرو

---

(١) الفذلكة كما يقول الامير هى الاجمال بعد التفصيل لان الغالب أن يقال فذلك كذا .

(٢) تشرق : تغص .
(٣) لاحتياجها لجملة الصلة

وواضح من هذا الهجاء أن أشجع السلمى دعى فى قبيله سليم فى نظر أبى نواس • قال مولانا الأمير : حكى أن بعضهم رأى فى منامه أنه قد كانت على ظفره « واو » فقص على العابر رؤياه ، فأخبره بأنه « دعى » فى نسبه ، واستشهد بهذين البيتين السابقين •

وقال أبو سعيد الرسيمى :

أفى الحق أن يعطى ثلاثون شاعرا
ويحرم مادون الرضا شاعر مثلى ؟
كما سامحوا عمرًا بـواو مـزيدة
وضويق بسم الله فى ألف الوصل !

وقال التهامى :

لَغْـوٌ كحرفٍ زيد لا معنى لـه
أَوْ واوِ عمرو فقدها كوجودها

وللسراج الوراق :

والمستجير بعمرو قـد عرفت بـه
فما أزيـدك تعريفا بـما عرفـا
وتلك « واو » ولا واللـه ما عطفت
ولو أتت واو عطف ما أتتْ طـرفا
ولو غدت واو حـال لم تسرّ ولـو
أتى بهـا قسما مابرّ إذْ حلفـا
أَوْ واو رُبَّ لـماجَرَّتْ سوى أسـفٍ
وكثرته خـلافًا للـذى ألفـا
وليت صدقـا بها قد شبهوه غـدا
يكوى بنار وهـذا فى السـلوكفى

والسراج الوراق يشكو حبيبا لم يرمنه عطفا ولا صدقا فى الوعد وجماله فى سوالفه يستدعى الدعاء عليه ليذوق ما ذاقه المحب وهو الشاعر •• وقد استخدم معظم استعمالات الـواو • ومولانا الأمير يحب تلك المسامرات التى توقظ الوجدان وترهف التفكير وتجمـع الأشـباه والنظائر ليمتع ويفيد •

قال أبو حيان : عود على بـدء • قـالوا : ماذا تريد ؟ قال حكاية سيبويه • قال ابن جنى ان الحكاية انتهت وعرفنا الصـواب فيهـا ، والصواب يحالف سيبويه لا تقول العرب الا : « قد كنت أظن أن العقرب أشد لسـعة مـن الزنبور فاذا هو هى » بالرفع ولا تعرف ماذهب اليه الكسائى من النصب « فاذا هو إيـاها » فلا داعى لبعث المسألة من مرقـدها فى هـذه الجلسة •

قال أبو حيان : هذا لم أقصـده ، انمـا أقصدها وقع فيه سيبويه فى مسألة الاستفهام• ولتوضيح الحالة أقـول المعـروف أن للهمزة ثلاث حـالات فى الاستفهـام بهـا ، فتكون للسؤال عن مضمون الجملة مثل أقرأت الدرس؟ والجواب نعم فى الاثبات ، ولا فى النفى ، وقد يستفهم بها عن أحد الشيئين أو الاشياء مثل : أمقالا قرأت أم قصة ؟ والجواب يكون بالتعيين وقـد يليهـا نفى مثل ألم تحضر الـدرس ؟ والجـواب بلى فى الاثبـات ، ونعم فى النفى فماذا كان من سيبويه • حكى صاحب المغنى وقال سيبويه فى باب النعت فى مناظرة جـرت بينه وبين بعض النحويين ، فيقال لـه ألست تقول كذا وكذا ؟ فانه لا يجد بدا من أن يقول « نعم » فيقال له : أفلست تفعل كذا فانه قائل نعم • فزعم ابن الطراوة أن ذلك لحن •

قال أبو حيـان : ويهمنى فى هذا المقـام ما دونه مولانا الأمير ، وأخذ يقرأ : « قولـه لحن »شنع الدمامينى على تلحين سيبويه امام العربية • قال : ولقـد حضرت يومـا مجلس

في حاشية الأمير

شيخنا قاضي القضاة « ولي الدين بن خلدون » رحمه الله ، وكان شديد التغالي في الثناء على مصنف هذا الكتاب « المغنى » ذاهبا فى تفضيله وتفضيل كتابه هذا كل مذهب • فقال للشيخ محب الدين ولد المصنف وقد كان حاضرا فى ذلك المجلس : لو عاش سيبويه لم يكن يمكنه الا التلمذة لوالدك والقراءة عليه • فقال الشيخ محب الدين : ياسيدى ، اذا فهم الوالد كلام سيبويه كفاه هذا شرفا • رحم الله الجميع •

قالوا يا أباحيان لقد ذكرت بما دونه مولانا الأمير وأحقيته نعتز بها وهو موقف ابن المصنف واكباره سيبويه ولكن أأخطأ سيبويه أم لم يخطىء ؟ وكان الجواب ان ابن هشام تولى الرد ودافع عن سيبويه بقوله اذا أمن اللبس يجوز أن تجيب فى حالة الايجاب بنعم بعد النفى • واستشهد بقول جحدر وهو :

أليس الليل يجمع أم عمرو
وايانا فذاك بنا تدانى
نعم وأرى الهلال كما تراه
ويعلوها النهار كما علانى

قال : وعلى ذلك جرى كلام سيبويه والمخطىء مخطىء • والموضوع طويل وبحثه شاق •

وما من شك في أن ابن خلدون رفع من قدر ابن هشام صاحب المغنى ومازلنا نحفظ قوله « مازلنا ونحن فى المغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه » •

ولا جدال فى أن سيبويه امام فى العربية وكتابه رائد كتب النحو ، ولكن ذلك لا يمنع أن يقع فى الخطأ ، لأن السليقة العربية شيء وتحصيلها شيء آخر • وصاحب المغنى نفسه فى مقدمة كتابه عبر بالمرجوح وترك الأرجح مع أنه أنحى من سيبويه عند ابن خلدون ، فقد قال فى وصف تأليفه : « وها أنا بائح بما أسررته مفيد لما قررته وحررته ••• »

قال الأمير ، قوله وها أنا أدخل « ها » التنبيه على الضمير من غير أن يخبر عنه باسم اشارة ، وانما الشائع اذا أخبر عنه به نحو ها أنتم هؤلاء ، وذلك لأن أجعلها للاشارة والمبتدأ عين الخبر فى المعنى •

وهكذا الامر اليوم فمهما تعمقنا فى دراسة اللغة نحوا وصرفا وحفظا لنصوصها شعرا ونثرا لا نسلم من الخطأ لأننا نتعلمها تعليما ولانعايشها معايشة ، ومدرسو اللغة العربية يدرسون النحو باللغة العامية « الفصحى » فكيف يستقيم اللسان والمنوال أعوج ؟

رحم الله الأسلاف بما قدموا وأعطوا ، وجزى الله خيرا مولانا الأمير على جهده فى حاشيته وابن هشام على المغنى وابن خلدون على ثنائه لمن يستحق الثناء •

ذكروا أن ابن هشام توفى سنة ٧٦١ هـ ودفن فى خارج باب النصر • وبلغنى من أحد الأصدقاء الذين يتابعون ماتنشره مجلة الأزهر أن قبر ابن هشام عبثت به الايام وصار خرابة فنرجو ممن يهمهم رعاية السلف الصالح ان يصلحوا منه ما أفسده الزمان والله الموفق•

السيد حسن قرون

شوقى

بين مجد الماضى وحاضر الشرق والعروبة

الدكتور محمد سلامه صالح

وفى القصيدة الثالثة (توت عنخ آمون وحضارة مصر) يتحدث (شوقى) عن روعة تلك الآثار (١) التى لم تدع نفيسا لم تحزه ، وعن ميت تحف به حياة يتعجب منها الزمان وأهله ، فتلفتت (باريس) تحسبها من صنع أبنائها ، فاذا ذهب بجوف الثرى لم ينل منه الزمان ، وتوابيت وهاجة لو فطن اليها الموتى ـ تنازعوا اغتصابها ، وتحدث عن الأكفان الموشاة بالذهب،وعن عبقرية فن التحنيط ، كما وصف الصور والدمى ، فاحال سكونها حركة وجعل من صمتها نطقا ، وأكسبها رداء الحياة ، وتناول بالوصف نقشا غضا كان أمس ، يخدع النظر ، ويتحدى اللمس .

وفى عرض آخاذ أطلعنا على رحلة صيد تتحرك أحداثها : من غلمان تتناول وتطارد ، وأبواق تهتف ، وسهام ترن . وصوت حنون يصدر عن قوس أثر انفلات السهم منها ، واذا الكلاب لهث ، والخيل جنت جنونا ، والوحش ما بين نافر ، أو واثب فى السهول ، وفى الحزون ، والطير ترسف وتئن فى أسر الجراح :

أنزلت حفرة هالك
أم حجرة الملك المكين ؟
لم يبق غال فى الحضا
رة لم يحزه ولا ثمين
بيت تحيط به الحيا
ة ، زمانه معه دفين

---

١ ـ راجع عن تلك الآثار ـ الجزء الخامس من كتاب ـ (مصر) القديمة للاستاذ (سليم حسن) : الصفحات ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٨ .

وذخـــــائر من أعصر ولــــ
ت ومــن دنيــــــا ودين

حملت على العجب الزمــــــا
ن وأهلـــــه المســـتكبرين
فتلفتت (بــــــاريس) تحســـــب
أنهـــــــا صــــــنع البنـين
ذهــب بيطــــن الأرض لم
تذهب بلمحته القـــــــرون
اســـتحدثت لك جنـــــدلا
وصـــفائحا منـــه القيون
ونواوســــــا وهــــــاجة
لم يتخـــــــذها الهامدون
لـــو يفطـــن المـــوتى لهـــا
سرحــوا الأنـــامل ينبشـــون
وتنازعـــوا الـــذهب الذى
كـــانوا لــــه يتفاتنـــون
اكفـــــان وشى فصـــــلت
برقـــــائق الـــذهب الفتين

٧ ــ أمـــا (آنس الوجـــود) فمـــن البين أنها قصـــور وهياكل فى احـــدى ، جـــزر (النيل) عند (أســـوان) ، ويرجع أقـــدم بناء فيها الى عصر (أمـــازيس) من الأسرة الســـادسة والعشرين ٠

وقد أضاف اليها فيمـــا بعـــد الرومـــان ، والبطالسة بعض الهياكل ٠

ومنذ انشاء (خزان أسوان) أصبح المـــاء يطغى عليها عدة أشهر من السنة ٠٠ وقـــد بكاها الكاتب الفرنسى الشـــهير (بيرلوتى) فى روايته (موت أنس الوجود) ٠

وما كان (شوقى) أقل منه بكاء على مجد تتداعى عمده ، وقد غمرتها المياه فتماســـكت من ذعر خوف الانقضاض ، فهى اليوم مشرفة على الزوال ، وهى التى كــــانت تطــــاول الكواكب ٠

ثم تناول ببالغ الوصف ما يكتنفها من نقش تخاله وليد الأمس ، ودهان ما يزال وضــــــاء كأنه من صنع اليوم ، والخطـــوط فى دقتهـــا هدب ظبى حســـنا واســـتواء ، ورســـــوم الضحايا توشك بنفخة من قدرة (الله) أن تمشى وترعى ، وعزمات المشيدين للمحـــاريب أمضى من عزمات الجن ، فهى صنعة تدهش ، وفـــن كانوا يلتزمونه ، ويحرصون عليه ٠ يقـــول فى قصيدته (أنس الوجود) :

قف بتلك (القصور) فى اليم غـــرقى
ممسكا بعضـــها من الذعـــر بعضــــا
كعــــذارى أخفين فى المـــاء بضـــا
سابحات بـــه وأبـــدين بضـــــــا
مشرفـــات على الـــزوال وكــــانت
مشرفات على الكـــواكب نهضـــــا
شـــاب من حـــولها الزمـــان وشابت
وشباب الفنـــون مـــازال غضـــــا
رب نقش كأنمـــــا نفض الصـــــا
نع منـــه اليـــدين بالأمس نفضـــا
ودهـــــان كـــلا مـــع الزيت مـــرت
أعصر بالسراج والـــزيت وضـــــا
و (خطـــوط) كأنهـــا هــــدب ريم
حســـنت صـــنعة وطــــولا وعرضا

و (ضحايا) تكـاد تمشى وترعـى
لو أصـابت من قـدرة (الله) نبضا
و (محاريب) كالبـروج بنتهـا
عزمـات من عـزمة الجـن أمضى
صـنعة تدهش العقـول وفـن
كان اتقـانه على القـوم فرضـا

وقد أخذ على (شوقى) اضطراب شعوره الفنى ، وضعف تجربته الشـعرية لتناقضه فى البيتين الأولين ، فـ « كل بيت بمفرده يعرض صورة جميلة الرسم والايقاع ، ولكنهمـا مجتمعين يكشفان عن اضطراب فى الشـعور ، أو تزوير فى هـذا الشـعور ذلك أننا حين نستعرض البيت الأول :

قف بتلك (القصـور) فى اليم غرقى
ممسكا بعضـها من الذعـر بعضـا

نجد أنفسنا أمام مشهد غرق ، والغـرقى مذعورون ، يمسك بعضهم من الذعر بعضـا . فالشـاعر اذن يرسم لنا مشهدا مثيرا لانفعال الحزن والأسى .

مشهدا يظلله الفناء المتوقـع بين لحظـة وأخرى ، ويشعر أن هذا هو الانفعال الـذى خالج نفسـه وهو يعـانى هـذه التجـربة الشعورية .

ولكنه ينتقل بنا فجأة ونحن أمام المشـهد نفسـه لم نزايله ، فيقول :

كعـذارى أخفين فى الماء بضـا
سابحات به وأبـدين بضـا

فأى شعور بالانطلاق والخفة والمرح يوحيه مشهد العذارى ، ينزلن المـاء سـابحات يخفين فى الماء بضا ، ويبدين بضا ؟

هنا ظل لا يتسق مع الظل الأول ، يصـور انفعالا شعوريا يغاير الانفعال الأول ، فـأى الانفعالين اذن هو الذى خالج نفس الشاعر ؟ أقرب تفسير أنه لا هذا الانفعـال ولا ذاك . انما هى صورة لفظية لا رصيد لها من الشعور. فالتجربة الشعورية هنا مزورة ، كما تبدو من خلال هذا التعبير » .

ولعل (شوقى) كان يتجاذبه شـعوران : شعور بالاشفاق على هذه الآثار التى توشك أن تندثر ، وشعور بالفخر والنشوة لروعتها ، ودقة صنعتها ، فوضع لقصيدته اطارا بهذين البيتين يجمع بين هذين الاحساسين من الفزع والنشـوة .

ويلفته التاريخ فيبكى المجـد فى محـرابه متسـائلا :

يا قصـورا نظرتهـا . وهى تقضى
فسكبت الدموع والحـق يقضى (١)
أنت سطر ومجـد (مصر) كتـاب
كيف سـأم البلى كتـابك فضـا
حار (فيـك) المهندسون عقـولا
وتـولت عـزائم العلم مـرضى

وأخيرا ، لقد كانت (الأهرام) ، وآثـار القدماء بعامة ـمثارا للتنديد بأصحابها ورميهم

(١) تقضى : تفنى .

بالعنف والقسوة فى تسخير العمال ، وبالظلم فى حرمانهم من الأجور ، وقد ذهب الى ذلك من كتاب الغرب (غوستاف لوبون) مستدلا بما قرره (هيرودوت) و (ديودور) من الاشارة الى نفقات التغذية • يقول : « لما ابتدأ (فرعون) فى بناء قبره عبأ له اقليما برمته ، فحشد سكانه ، وصناعه ، وعماله ، وزراعه ، وكل ذى حرفة فيه تحت أوامر المعماريين والمهندسين الملكيين ، وعمل الشيوخ والفتيان أيضا فى أعمال قليلة التعب ، فلما أعيا هذا الجيش العمل تحت الشمس المحرقة ،وعنت المديرين سرح الى بلده ، وجمع غيره من اقليم آخر • وجميع ما أقيم (بمصر) من (أهرامات) ، و (معابد) ، و (جسور) •• انما أقيم بهذه الكيفية ، ثم استخدموا بعد ذلك أسارى الحرب والرقيق من العبرانيين ، وما كانت هجرة (موسى) وشعبه الا بسبب الاسراف فى استخدامه ، وسوء معاملته •

ولم يكن فى هذا التسخير من أجر يعطى ، وانما يكتفى باطعام العملة • حكى (هيرودوت) و (ديودور) أن نفقات تلك التغذية كتبت على احدى واجهات (الأهرام) الكبيرة » (١) •

وقد نفى الأستاذ (سليم حسن) هذا الزعم ــ مدفوعا بالحماس القومى ــ يقول : « اذا علمنا أن الأحجار التى استعملت لبناء (الهرم) قطعت من محاجر مجاورة له ، وأن (البكر) كان يستعمل لرفع هذه الأحجار سهل علينا فهم المجهود العظيم الذى قام به (خوفو) ، وبخاصة اذا علمنا أن جما غفيرا من المصريين كانوا يشتغلون فى بنائه طول مدة الفيضان من كل سنة ، وذلك لخلوهم من أعمال الزراعة فى فترة الفيضان ••• ولا شك أن السر فى انجاز هذا العمل العظيم بسرعة يرجع الى تنظيم العمل وادارته بالطرق الفنية » (٢) •

كما ذهب الى ذلك أيضا الأستاذ (محمد صابر) (٣) •

ومن قوله : « ودلتنا النقوش الأثرية ، ووثائق البردى على أن فرق العمال كانت تحظى بنصيب كبير من رعاية الملك ، وعمال الحكومة ، وأن العمال كانوا يقبلون على أعمالهم بنفوس راضية ، اذ مثلتهم النقوش التى على جدران المقابر ، وهم يعملون على نغم العزف على الناى مع تبادل الملح والنكات ، ولما كانت الطبقة الحاكمة تحب حياة البهجة ، والسرور (من صيد وقنص وموسيقى الرقص) من مسرات الحياة ، فكان لعمالهم نصيب منها ، ويتضح لنا من ذلك أن

---

(١) الحضارة المصرية ــ عربه من الفرنسية (م • صادق رستم) : ١٤٠ ــ الطبعة العصرية (بمصر) د • ت •

(٢) مصر القديمة ــ الجزء الاول : ٢٩٢

مطبعة كوثر سنة ١٩٤٠ م •

(٣) راجع كتابه (مصر) تحت ظلال الفراعنة: ٨١ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٩٣ •

العمال لم يستثمروا استثمارا سيئا خاليا من الشفقة والرحمة » (١) .

وقد استدل بكثير من النقوش الدالة على ما اتسم به الفراعنة من عدل ورحمة (٢) .

ومن ذلك نص لـ «مهندس كبير ، ورئيس عمال يقول : « عاملت كل من اشتغل معى بلين ورفق ، وما ظلمتهم ، أو أهنتهم » (٣) .

وقد كان (شوقى) أسبق المتأثرين بالدافع القومى اشادة بآثار الفراعنة ، وتفنيدا لما أحيط بهم من تهم عزاها الى التأثر بطغام اليونانيين ففى سنة ١٨٩٤ يقول فى قصيدة (كبار الحوادث) :

وبنينا فلم نخل لبان
وعلونا فلم يجزنا علاء
وملكنا فالمالكون عبيد
والبرايا بأسرهم أسراء
قل لبان بنى فشاد فغالى
لم يجز (مصر) فى الزمان بناء

ليس فى الممكنات أن تنقل الأجـ
ـيال شما وأن تنال السماء
أجفل الجن عن عزائم (فرعو
ن) ودانت لبأسها الآناء (٤)
شاد ما لم يشد زمان ولا أنـ
ـشأ عصر ولا بنى بناء

فاعذر الحاسدين فيها اذا لا
موا فصعب على الحسود الثناء
زعموا أنها دعائم شيدت
بيد البغى ملؤها ظلماء
ودم الناس والرعية فى تشييد
ها والخلائق الاسراء
أين كان القضاء والعدل والحكـ
ـمة والرأى والنهى والذكاء
وبنو الشمس من أعزة (مصر)
والعلوم التى بها يستضاء
فادعوا ما ادعى أصاغر (آثيـ
ـنا) ودعواهم خنا وافتراء
ورأوا للذين سادوا وشادوا
سبة أن تسخر الأعداء
ان يكن غير ما أتوه فخار
فأنا منك يافخار براء (٥)

وكلام المؤرخين عن ماض غائم ليس حججا قوية يتقبلها العقل دون اجالة خاطر ، أو اعمال فكر ، على أن (شوقى) حين يفترض أن هذه الآثار قد شيدت بالظلم والارهاق ــ جعل هذا الظلم مستساغا والارهاق محمودا فى سبيل بناء المجد والفخار ، فهو ارهاق يبنى مجدا ، وظلم يخلد ذكرا . يقول فى قصيدة (أيها النيل) :

---

(١) المرجع السابق : ٤٢٤ ــ ٤٢٥ .
(٢) انظر المرجع السابق الصفحات : من ٤٢٤ الى ٤٢٧ .
(٣) المرجع السابق : ٤٣٠ .
(٤) الآناء : ساعات الليل . مفردة أنى وانى تقول : هو يقوم آناء الليل .
(٥) الشوقيات القديمة: ١٥ ــ ١٦ ، و(الشوقيات ١ ط ٢/ ٣٠ و (ديوان شوقى) : ١/ ١٧٠ ــ ١٧١

هى مـن بنـاء الظلم الا انـه
يبيض وجـه الظلم منـه ويشرق
لم يرهـق الأمم الملـوك بمثلهـا
فخرا لهم يبقى وذكرا يعبـق (١)

وما يسفر الكشف عن مقبرة (توت عنخ آمون) حتى تعاود الشاعر المعتز بقـوميته غيرة الدفاع عن القدماء ، فيصب جام غضبه على الأوربيين لرميهم اياهم بظلم لم يسلم منه المعاصرون فى أوربا ، فما أحداث « البستيل » ببعيدة (٢) وكم نال فيها الأحرار من ألوان الاضطهاد ، ووسائل الابادة ، ولكم من أناس سخروا لاقامة دور للعبادة ، فكانت سجنا للاحرار ، وأداة للتعذيب والتنكيل ، فكيف نطالب القدماء بكمال حاد عنه المحدثون .

عن تلك المعانى نقرأ قـوله فى قصيدة (توت عنخ آمون) :

ولسـت بقائل ظلمـوا وجـاروا
على الاجراء أو جلدوا القطينا(٣)

فانـا لم نـوق النقص حتى
نطـالب بالكمـال الأولينـا

ومـا (البسـتيل) الا بنت أمس
وكم أكـل الحـديد بها سـجينا
وربـة بيعـة عـزت وطـالت
بنـاها الناس أمس مسـخرينا
مشـيدة لشـافى العمى (عيسى)
وكم سمل القوس بها عيـونا

و (لشوقى) لفتة الناصح الموجه ، فهـو حين يسلط الضوء على مجـد الماضى فى فخار واعتزاز لا يفوته أن يلتفت الى المعـاصرين محذرا من التراخى ، والاعتمـاد على مجـد الآباء ، دون أن يضيفوا الى هذا المجد التليد ، مجدا طريفا ليصلوا الماضى بالحاضر . يقول :

مجـد الأصول عزيز ما سـهرت على
حفظ الأصول فـان ضيعتهم هـانا

---

(١) الشوقيات : ٢ ـ ٨٠ ، و (ديوان شوقى) ١ ـ ٢٣٦ .

(٢) البستيل : سجن يرجع تاريخ انشائه الى عهد (شارل الخامس) ملك (فرنسا) سنة ١٦٤٩ وفى هذا السجن ذاق رجالات العلم والفضل فى (فرنسا) اشد أنواع العذاب أيام الاستبداد ، فكم هلك فيه فيلسوف عظيم ، وفنى بين جدرانه المظلمة مصلح كبير ، وكم من سياسى جنى عليه عمله لخير بلاده ، فدخله حيا ، وفارقه ميتا ، وقد كره الفرنسيون (البستيل) واسم (الباستيل) وعدوه مستقر الظلم ، ومعهد العسف والقسوة : فلم يكادوا يثورون على حكومتهم حتى كان اول غرضهم (البستيل) ، فهدموه ، واقتلعوا أصوله، وأخذت فتات أحجاره فجعلها النسوة عقودا يتحلين بها فى أمكنة اللالى اشارة لغلبة الامة على الظلم وانتقامها من الظالمين ، وكان أخذه فى ١٤ يوليو سنة ١٧٨٩ ، وقد أقيم اليوم مكان هذا البناء (تمثال الحرية) ولايزال الفرنسيون يحتفلون بذكره الى الآن الشوقيات : ١ ط ٢ هامش .

(٣) المطين . الخدم .

فلا تقــولن يوم الفخــر كــان أبى
حتى يراك بنــو الدنيا كما كـــانا (١)

وتلك لفتة طيبة تذكرنى بصيحة تقريع (للأفغانى) حين زاره الأمير (شكيب أرسلان) (بالآستانة) ، وكان قد أثير عنده ما تردد من عبور العرب للمحيط الأطلسى ، واكتشافهم (لأمريكا) لمشابهة (أهرام المكسيك) (لأهرام مصر) ، فاندفع (جمال الدين) بقوله : « ان المسلمين أصبحوا كلما قال لهم الانسان كونوا بنى آدم أجابوه ان آباءنا كانوا كذا وكذا ، وعاشوا فى خيال ما فعل آباؤهم ، غير منكرين بأن ما كان عليه آباؤهم من الرفعة لا ينفى ما هم عليه من الخمول والضعة !

ان الشرقيين كلما أرادوا الاعتذار عما هم فيه من الخمول الحاضر قالوا : أفلا ترون كيف كان آباؤنا ؟ نعم ! قد كان آباؤكم رجالا ، ولكنكم أنتم أولاد كما أنتم ! فلا يليق بكم أن تتذكروا مفاخر آبائكم الا أن تفعلوا فعلهم ، أن المسلمين قد سقطت هممهم ، ونامت عزائمهم ، وماتت خواطرهم ، وقام شىء واحد فيهم هو شهواتهم » (٢) .

ولصيحته تلك صداها لدى (شوقى) ، ففى قصيدته التى ذكرناها من قبل يقول :

ان ركب الحضــارة اخترق الأر
ض وشــق الســماء ريحا ومزنا

وصــحبناه كالغبــار فــلا رحــ
ــلا شـــددنا ولا ركــابا زممنا

دان آبــاؤنا الزمــــان مليـــا
ومليــا لحــــادث الدهــر دنــا

كمــا نباهى بلحد ميت وكم نحــ
ـمل من هــادم ــ ولم يبن ــ منــا

قد أنى أن نقــول (نحن) ولا نســ
ـمع أبنــاءنا يقـــولون كنا (٣)

والدكتور (محمد صبرى) الذى أعاد نشر هذه القصيدة يعقب على هذه الأبيات بقوله :

« وهذه الصيحة تذكرنا بصيحة أخرى للشاعر الفرنسى (لامرتين) عند زيارته (لايطاليا) : لا أرى هنا الا تراب أموات) ، فكانت لصيحته ضجة بين (الطليان) الذين كانوا يفاخرون بماضيهم ، وكانت

---

(١) الشوقيات : ١/٣٤٤ ــ ٣٤٧ ، و (ديوان شوقى) : ١/٥٦٥ .

(٢) زعماء الاصلاح فى العصر الحديث : ١٠٢ .

(٣) (الاهرام) فى ٧ يولية سنة ١٩٢٧ .

نهضتهم الحديثة لاتزال فى بدايتها ، وما أروع قول (شوقى) فى مبناه ومعناه (وكم نحمل

من هادم) فان حب الهدم تغلغل فى نفوسنا ، ، وأصبح من خصال عبقريتنا ، وعلة من أكبر

عللنا الاجتماعية . لذلك ما فتىء (شوقى) يكشف الداء ، ويصف الدواء ، بأفصح لسان ، وأعذب بيان » (١) .

ألا ما أعظم (شوقى) فى احتفائه بتاريخ

بلاده ، وغيرته على مجد قومه ألم يقل ؟!

وأنا المحتفى بتاريخ (مصر)

من يصن مجد قومه صان عرضا(٢)

لقد كان مأخوذا بمجد الأمة « أحب الماضى لذاته ، وأحبه أيضا وبالأخص لأنه يثير مفاخره » (٣) .

لقد قال أديب (فرنسا) الذائع الصيت « لا يعوز أرض منفتاح

القديمة — مع ذلك — اعتراف البشرية بجدارتها وجميلها ، فهى أم (اليونان)

الروحية ، وكهنتها هم أول من حسر القناع عن عالم مازال سرا مغلقا ، وقد أطار فنانوها

— بفنهم الخالص ، وفطرهم الصافية — الشرارة أوقدت شعلة المجال » .

وقد وقفت من دراسة هذا الموضوع على مدى اعتزاز الشاعر بمجد القدماء،

واشادته بجهودهم نشدانا لحفزهم المعاصرين مما يثبت بأوضح دلالة أن

شاعرنا كان مرآة مجتمعة فى الماضى ، والحاضر ، وأنه كان يستهدف بعثا يلحق حاضر الأمة بماضيها المجيد .

للدكتور محمد سلامه صالح

---

(١) الشوقيات المجهولة : ٢/ ٢١٠ — ٢١١ .
(٢) الشوقيات : ٢/ ٦٩ ، و (ديوان شوقى): ٢٩/١ .
(٣) كما يحدثنا الاستاذ «(Galld (Edgard» بما نصه :

«Il a aimé le passé pour lui — même, mais il'a aimé aussi , et sourtout parce qu'il exalte sa fierté» Z

La mort du prince des poêtes arabes Ahmed Chawky Bey. in Nouvelles littéraires No. 560 du 8 Juellet P. 8, colonnes 1-2. Cité par monsieur (Bondot—Lamotte) (Ahmad Shawqi) l'homme et l' oeuvre tome 1 P. 210.
(Anatole France)

مع رسالة جامعية

إعداد الدعاة فى الإسلام

للباحث : محمد يوسف حمودة
المدرس المساعد بقسم الدعوة الاسلامية كلية اصول الدين - جامعة الازهر

تقديم عبد العزيز أحمد جيره

« اعداد الدعاة فى الاسلام » هو عنوان للرسالة التى تقدم بها الباحث / محمد يوسف حموده المدرس المساعد بقسم الدعوة الاسلامية بكلية أصول الدين ــ جامعة الازهر بالقاهرة لنيل درجة العالمية « الدكتوراه » .

تكونت لجنة المناقشة من : ــ

الأستاذ الدكتور عمارة نجيب محمد رئيس قسم الدعوة والثقافة الاسلامية مشرفا .
الاستاذ الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم أمين عام مجمع البحوث الاسلاميه عضوا
الأستاذ الدكتور عبد الله عبد الحى أستاذ مساعد بقسم الدعوة الاسلامية عضوا

استمرت مناقشة الباحث نحوا من ثلاث ساعات قررت اللجنة بعدها منح الباحث درجة « الدكتوراه » بتقدير : مرتبة الشرف الثانية

وتتكون الرسالة من : ــ
١ ــ المقدمة
٢ ــ فثلاثة أبواب
٣ ــ فالخاتمة

« المقدمة »

تحدث الباحث فى هذه المقدمة عن حاجة الدعوة الى الله تعالى فى تبليغها ــ لرجال ذوى بصائر وهدى حتى يدركوا النجاح لدعوتهم ولأنفسهم . فأما البصائر فتكشف لهم عن أهلها وألوانهم ونوع الحاجة حسب اقدارهم لأن الناس منازع وأهواء ومتعددو حاجات .
وأما الهدى فهو لهم نور يكشف طريق ادائهم على تحمل أعبائها . فهم كالأطباء

يعطون بقدر ذوى الحاجة فى وقتها . فليس كل ما يعلم يقال ولا كل ما يقـال حضر أهله ، ولا كل ما حضر أهله جاء أوانه .

وهاك عرض لأبواب الرسالة :

الباب الاول « اساليب ووسائل اعداد الدعاة »

تحدث الباحث فى بداية هذا البـاب عـن مفهوم الاعداد :

وحدده بـأنه تهيئـة الانسـان لأمـر ، والاستعداد للأمـر التهيؤ له ــ والعـدة ــ بالضم ــ الاستعداد .

وسائل الاعداد تتمثل فى :

١ ــ **التربية** : باعتبارها ركنا هاما وقاعدة أساسية لاعداد الدعاة .

٢ ــ **التعليم** :باعتباره المضمون الفطـرى الذى يجب أن يكون قد وصـل الى العقـول والأفهام فى فترة محددة وبصورة معينة .

٣ ــ **الثقافة والتوجيـه** : باعتبارهما نتاج السلوك العام المؤثر فى حركة الداعية سـلبا وايجابا . ثم جعل لكل وسيلة منها فصلا على حـدة .

فالفصل الأول « التربية واهميتها فى اعـداد الدعاة » .

وفى هذا الفصل تحدث الباحث عن معنى التربية ، واختلاف العلماء فيهـا فمنهم مـن جعلها علمية ، ومنهم من جعلها فنية ، ومنهم من جعلها علمية تطبيقية . ولهذا الاختـلاف اختلف معناها من مكان لآخر ونخلص من هذا الاختـلاف الى أنهـا : تنميـة الشخصـية البشرية الاجتماعية الى أقصى درجة تسمح بها امكاناتها ، واستعداداتهـا بحيث تصـبح شخصية مبدعة خلاقة ، منقحة مطورة لذاتها ومجتمعها . وبيئتها من حولها وعلى هذا فهى تصوغ محتواها مـن المـاضى ، والحـاضر ، والمستقبل . ثم انتقل الى معنى التربية عند بعض الأمم ففى **القبائل البدائية** : تتسـم بذوبان الفرد فى قبيلته . وعند المصريين القدماء تتمثل فى أخـلاقهم مـن العفـو والتسـامح والاعتقاد فى الثـواب والعقـاب ، والبعث فى الآخرة ــ وعند اليونان تتمثل فى خلق أفـراد قادرين على تحمل الجـوع والعطش وتوفير الوسائل التى تحقق ذلك ــ وعند البوذية تأخذ مرحلتين .

الاولى : مظهرية يقـوم فيهـا المريـد بحلق شعره ، وذقنه وارتداء الرداء الأصـفر شعار البوذية ، ويعلن على الملأ احتمائه بالبوذ أو تعاليمه وطريقته .

الثانية : وتتم بعد خلوه من الامراض حيث يبدأ فى تنفيذ شروط الطائفة وتعاليمهـا وهى الامتناع عن ممارسة الجنس ، والابتعاد عـن الرق ، وعدم الانغماس فى الشـهوات مـن أشربة وأطعمة ، وأن يعتزل الحياة بعيدا عـن زحمتها وذلك فى الأديرة والصوامع أما التربية الاسلامية فلها خصائصها وهى :

١ ــ **الهية ربانية :** تخاطب الانسان بتكوينه وأطواره وتناديه بأن يقبل على الله حتى يوفعه الى أسمى الكمالات النفسية •

٢ ــ **تربية شاملة** لأن مدارها الانسان بكل ما تحمل الانسانية من معان سـامية من روح وعقل وجسم ونفس ، لأن الانسان جعله الله فى موطن الفخر بتلك الربوبية •

٣ ــ **التوازن :** وهو عدم طغيـان الجسم على القلب والروح ، ولكل منهم حيـاته التى يسعد بها وينالمنها الكمال الموصل لله تعالى •

٤ ــ **التربية الاسلامية واقعيـة علميـة :** يمارس الفرد القائم بها عمله الـذى حصـل عليه من العلم وليست خيالية •

٥ ــ **متكاملة :** من حيث الزمان والمكان فـلا يقف أحدهما حائلا دون التربية فى أطوارها •

٦ ــ **ايجابية :** فهى تحول المخلوق البشرى الى طاقة ايجابية عامله فى واقع الحياة •

أما صفاتها فتتمثل فى الآتى :

(أ) **التوبة :** وهى الاقـلاع عن البـاطل قولا وعملا ، واعتقادا ، والرجوع الى الحق •

(ب) **الورع :** وهو ترك الشبهات ، والتبرأ من مظالم الخلق •

(جـ) **التوكل :** وهو اعتماد القلب على الله •

(د) **الرضا :** وهو سكون القلب الى سابق اختيار الله للعبـد •

وفى الفصل الثانى : التعليم أساس لاعداد الداعية

يرى الباحث أن العلم أولا هو : غـذاء النفس ، وراح الروح ، وهو من الخصـائص التى اختص بها الله الانسان ، لأنـه طهـر للجسم من المعاصى والآثام ، وزكاة للنفس فى البعـد عن التردى فى عالم الظلام ، وقـرب للروح من عالم النور والهداية •

ثم تحدث عن أهداف العلم :

فرأى :

١ ــ **الهدف الدينى :** وهو طلب الله تعالى من الانسان أن يعبده ، ولا تقوم العبـادة الا بالعلم فهما مقترنان ، فالعمل بغير علم باطل ، والعلم بغير عمل عاطل •

٢ ــ **الهدف الذاتى :** وذلك يكون لرفع الجهل الذى هو عين العيب فان (علما أوضح لبسـا خير من مال أغنى نفسـا) •

٣ ــ **الهدف الدنيوى :** وهو أنيتعلم الانسان بقصد الوجاهة فى الدنيا ، ورغبة فى السـيادة عند الناس ، وقصد النفع عندهم نفعا يعود عليه بالرزق •

٤ ــ **الهدف المذهبى :** وهو أن يتعلم العلم هادفا من ورائه نصرة مذهب ، ودحض آخر •

والخلاصة من هذا كله أن يكون هدف العلم عند الانسان ان يأخذه الى الدين سواء كان الداعى دينيا أو غير ذلك ثم تحدث الباحث فى هذا الفصل عن أجناس العلوم اللازمة لاعداد الداعية وأصنافها ومدارسها فقال •

انه بعد رحيل الرسول ﷺ الى الرفيق الأعلى ترك من بعده صحابته رضوان الله

عليهم وعندما تقدم العصر ، وانفتحت الثقافات الاجنبية على المسلمين كانت المدارس تتمثل فى :

مدرسة الحديث : وهى التى جمعت الأحاديث الشريفة من رواتها ودونتها بالمصنفات ، وايداعها القراطيس للحفظ بعيدا عن الخلط والاختلاط .

الثانية : مدرسة الفقهاء : وهى التى كانت اجابتها عن طريق الفتيا فى الاحكام ، وبيان الفقه فى الدين والاحكام المطروحة أمام المسلمين .

الثالثة مدرسة علماء الكلام : وهم الذين انخرطوا فى تلك الثقافات ، وأقبلوا على تلك المصنفات فلم تقنع نفوسهم بالقراءة بل عمدوا الى الرد عليها ، ودحض شبهاتها بالحق والدليل .

الرابعة مدرسة الصوفية : وهى التى آثرت العزلة عن الكلام والتكلم مكتفين بالأثر الصحيح الوارد فى القرآن الكريم ، عاكفين على نهجه ، متبعين أثر الرسول ﷺ فى أحواله (١) .

(١) وفى الحق ليس هذا المنهج خاصا بالصوفية، فقد كان اماما فيه أحمد بن حنبل — رضوان الله عليه ، وهو من هو محدثا وفقيها .. مجلة الأزهر .

ثم قسم أجناس العلوم الى ثلاثة كما قسمها اخوان الصفا وهى :

١ — **الرياضة** : وهى علم الآداب التى وضع أكثرها لطلب المعاش وصلاح الدنيا كالقراءة والكتابة ، والحساب والمعاملات .

٢ — **الشرعية الوضعية** وهى التى وضعت لطلب النفوس وطلب الآخرة كعلوم التنزيل — التأويل — الروايات — الاخبار — التذكار والموعظة .

٣ — **الفلسفية الحقيقية** مثل علوم الكون — المعادن — النبات — الطب — الحيوان — البيطرة ... الخ .

طرق تحصيل العلم هى :

(أ) التعليم المكتسب .
(ب) والتعليم الربانى وهو اما بالوحى أو بالالهام .

وفى الفصل الثالث

الثقافة والتوجيه ولزومهما لتكوين الداعية

وفى هذا الفصل ذكر الباحث تعريفات عدة للثقافة منها أنها : تعبير عن الجانب العقلى يجعلها تتكون من السلوك المكتسب والفكر — — وفرق بين الثقافة والحضارة قائلا بأن الحضارة مظهر لحياة مجتمع من الناس . أما

الثقافة فهى ضمير تلك الحياة وعقلها وفكرها وهى قاصرة على أصحابها .

وتعرض بعد ذلك لخصائص الحضارة الاسلامية فرأى أنها تعتمد على الدين ، وأنها

اهتمت بجميع النواحي من فكر وروح وعقل وجسم على عكس الحضارة الغربية فهي مختلفة في تلك الخصائص .

وأما عناصر الثقافة فهي : العقيدة ـ اللغة ـ التاريخ ـ الأمة ـ التراث ـ وأما أسسها فهي (التكوين ـ الفطرة ـ الأمانة) .

ثم طرق الحديث الى التوجيه ، فرأى ـ بعد تعريفه ـ أن طرقه هي :

النصائح ، والعظات وذلك في القرآن الكريم ، ثم توجيه الرسول ﷺ للمسلمين في العبادات والمعاملات وكل ما يخص الحياة من دين ودنيا .

وجعل الباب الثاني « الوسائل وأساليب الاسلام لارساء أسس الدعاة »:

فذكر الباحث في هذا الباب الوسائل الاسلامية لارساء أسس الدعاة وهي عنده :

١ ـ القرآن الكريم في بناء عقيدته ، ومنهجه التربوي .

٢ ـ النبي ﷺ في اعداده وامداده .

٣ ـ القدوة في اهتدائه ﷺ .

٤ ـ النفس في ذكائها وصفائها .

٥ ـ البيئة الصالحة للاعداد التربوي .

وقد أفرد الباحث لكل وسيلة من هذه الوسائل فصلا تناوله فيه .

الفصل الأول (القرآن الكريم في بناء عقيدته ومنهجه التربوي) .

تحدث الباحث في هذا الفصل عن القرآن الكريم في بناء عقيدة الداعية ومنهجه التربوي ، وبين أن لوحدة القرآن الموضوعية وسائله في نقل النفس الانسانية من غياهب الجهل والظلمات الى نور الهدى والرشاد ، وقد جاءت فيه العقيدة منصفة للعقل ، داعية اياه أن يرسل فكره الى منشور الآيات في الكون الفسيح الذى اتسعت أرجاؤه ، وطالت اطرافه ، ليعلم الحكمة من الخلق ، ويعلم سر الامداد من الحق تعالى وفي هذا الفصل بين أن للقصص القرآني أثرا في اعداد الداعية ، وعامل من عوامل تزكية النفوس والقصة في القرآن تعد تربية وعلما وثقافة وتوجيها ولها خصائصها التي تتمثل في أنها شاملة للاعداد ، وأنها روح وحياة وفي تكرارها افادة وفي افرادها كفاية ، ثم ذكر الباحث بأن من أنواع القصة ما كان للتربية والتعليم وللتاريخ ـ وللتثقيف والتوجيه .

وفي الفصل الثاني : « النبي ﷺ والاعداد »

تطرق الباحث الى اعداد الله تعالى لرسله عليهم الصلاة السلام نذكر منها في القرآن الكريم (الاصطفاء) ومعناه : أن الله يختار رسوله عليه الصلاة والسلام الى قومه ليبلغهم رسالته وقوله تعالى في ذلك (**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ**) الحج ٧٥ ـ وهم بذلك يكونون أتقى وأنقى وأصفى خلقه ،وأعلى نسب وحسب في قومه ، كما جعل (الرسل) في سلامة من الخلق والخلق فلا يوجد بهم صفة تنفر الناس من حولهم في دعوتهم الى الحق ، فهم على حسن خلق وخلق وجمال وجه ، وطلعة لا يدانيهم فيها أحد .

ـــ ثم تحدث عن اعداد الله سبحانه وتعالى للرسول محمد ﷺ فقال : ان الله سبحانه وتعالى اختص نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام باعداد خاص دون الانبياء ـــ شمل

هذا الاعداد الزمان والمكان ، فاعداده بالنسبة للزمان متمثل فى أنه ما بعث الله نبيا ولا رسولا الا أخذ عليه العهد والميثاق للرسول ﷺ كما قال عن ذلك عليه الصلاة والسلام : (أنا دعوة ابراهيم ، وبشارة عيسى الخ ـــ ثم انتقل الى اعداده عليه الصلاة والسلام لأصحابه والذى سلك فيهم منهج الحكيم حتى غدوا بعد حين « حكماء علماء أبرارا أتقياء » وجعل منهم الحكماء والامراء والخلفاء والقراء ، وكان عليه الصلاة والسلام يعين على نوائب الدهر ويحمل الكل ، وكان للصحابة حظ من كل خصلة وصفه فيه عليه الصلاة والسلام وقصصه مع الصحابة وغيرهم كثيرة فى كل شئون الحياة والدين اعتبرها المسلمون بعد حياته بمثابة الدروس العملية لحياتهم الخاصة والعامة •

وفى الفصل الثالث « الأسوة والقدوة » قال :

ان المثل الأعلى كان للرسول عليه الصلاة والسلام الذى كان قرآنا يتحرك بالنور والضياء ، والهدى والرحمة ـــ وبعد انتقاله الى الرفيق الأعلى كان لابد من قدوة محسوسة ومشهودة ومن هنا كان قوله ﷺ : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى » والاتباع يكون بقيد الكتاب والسنه ولا يخرج عنهما ، والاهتداء يكون ببلوغ الغاية فى الكمال الانسانى غاية عليا مستمدة من نوره عليه الصلاة والسلام •

وانتقل الباحث الى آداب المرشد وجعلها متمثلة فى •

١ ـــ الحب فى الله ولله وفى الاخلاص ـــ التواضع والخشية ـــ العزة بالله •

وتضمن الباب الثالث « الخطة والتطبيق »

فى ثلاثة فصول :

الأول « المناهج العلمية » :

فى هذا الفصل تحدث الباحث عن المناهج العلمية ، والعلوم التى يحتاجها الداعية ، وأقسام هذه العلوم ، واختلاف العلماء فى ذلك ـــ ثم تطرق الباحث بعد ذلك الى العلم المطلوب للاعداد وعرفه بأنه هو العلم المعتبر شرعا أى الذى مدح الله ورسوله أهله على الاطلاق ـــ وهو أيضا العلم الباحث على العمل ، وهذه المواصفات لا تنطبق الا على العلوم الشرعية ، لأنها تورث النور فى القلب اذا رزق صاحبه الخشية من الله تعالى ـــ ولهذا العلم النافع خواص هى :

١ ـــ كونه الأصل والمعتمد ، وعليه مدار القلب ، واليه تنتهى مقاصد الراسخين وهو ما كان قطعيا أو راجعا الى أصل قطعى ، والشريعة الاسلامية على هذا الوجه •

٢ ـــ المعدود فى ملح العلم لا فى صلبه وهو ما ليس قطعيا ولا راجعا الى أصل قطعى بل الى ظنى •

٣ ــ ما ليس من الملح ولا من الصلب ، وشأنه أن يرجع الى أصله بالابطال فهو غير ثابت ولا حاكم ولا مطرد أيضا •

الفصل الثانى « البرامج التعليمية »

قال الباحث فى بداية هذا الفصل ان تعديل المناهج العلمية لا يفيد بالقدر الذى يفيده تعديل البرامج التعليمية ، فنحن فى حاجة الى تعديل برامج لا تعديل مناهج •

ثم انتقل بعد ذلك الى الحديث عن الخطوات التى تحتاجها البرامج التعليمية فى الاعداد بأنها هى : ــ

١ ــ **المدة** : وتعنى الفترة الدراسية التى يقضيها الطالب فى الدراسة حتى ينال الاجازة بالامامة وعاب مدة الدراسة بالمدارس أو الجامعات قائلا : بأن اليوم الدراسى للطالب أصبح الآن لا يزيد عن أربع ساعات يوميا تقريبا ، وقد يستمع الطالب فى هذه الأربع الى أستاذ وشيخ لكل مادة ، وعاب على طبيعة البرامج التعليمية بأنها ، وهى بهذا القدر البسيط ، لا تستطيع أن تخرج رجلا يحمل لقبا علميا •

٢ ــ صحبة الاستاذ : وفى هذه النقطة يتساءل الباحث قائلا : هل تكفى المدة التى يقضيها الطالب فى الدراسة مصاحبا فيها لأستاذه وهى لا تكاد تزيد عن عشرين يوما بالتقريب لاعداده اعدادا كاملا من الناحية العلمية والسلوك مع أننا لو نظرنا الى الصحابة رضوان الله عليهم ومتابعتهم للرسول ﷺ فى تلقيهم العلم ، وأدبهم معه وحسن استماعهم اليه لوجدنا فارقا كبيرا •• الخ •

« الخاتمة »

فى الخاتمة تحدث الباحث عن أهم الوصايا والنقاط التى يود أن تكون محل اهتمام ورعاية من القائمين على الأمر وهذه الوصايا نذكر منها ما يلى : ــ

١ ــ النجاح فى الدعوة وتبليغها يحتاج الى داعية لأنه يعتبر لسانها وحالها ــ وتحتاج الى تنظيم وهو الهيئة التى تقوم على الاعداد •

٢ ــ ليس الاعداد تحصيل ما لم يحصل أو غرس بأرض خلاء بل هو ملكة ، حاصلة للنفس عن طريق قيادة يألفها الداعية وسبيل ينهجها حتى يتحول بها الى سيادة وقيادة •

٣ ــ الاعداد نوع من التنمية الشخصية ويسير بالانسان نحو الكمال الانسانى حتى يرتقى الى محل خلافته عن الله تعالى •

٤ ــ المنهج العلمى الذى رأيناه يسير مع العقل البشرى حتى مرحلة البلوغ الفكرى : بمعنى أننا لا نعطى المبتدىء السالك ألوان الاختلاف والخلاف وندخله فى صراع المدارس من غير أن نقف به على نور التراث •

٥ ــ التربية والتعليم والثقافة لا ينفك أحدها عن الآخر ففى الساعة الواحدة يكون الحلم والعلم واللحظة الواحدة القرب والوصل ، وفى الخطرة على القلب علم وتربية ••• الخ • **وبعد :**

فالرسالة التى عرضناها مجهود علمى وجهد بارز وكم كنا نأمل أن يعرض الباحث بها منهجه عرضا يعطى القارىء خط مساره ويعينه على ترسم خطاه ، فجزاه الله عن الدعوة الاسلامية والعلم خير الجزاء •

أنباء وآراء

الموضــوعات
المقترح تقديمها للمؤتمر الدولى الرابع
للسيرة والسـنة النبوية الشريفة
عام ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م

(أ) فى السيرة النبوية :

١ ــ كيف كان بدء الوحى على رسول الله ﷺ وظاهرة الوحى وأنواعه ؟
٢ ــ حياة الرسول ﷺ قبل البعثة .
٣ ــ الرسـول ﷺ ودعـوته فى مكة المكرمة .
٤ ــ الرسول ﷺ فى المدينة المنورة .
٥ ــ الرسول ﷺ وزوجاته ، ورد شبهات المستشرقين .
٦ ــ هجرة الرسول ﷺ وأثرها فى الدعوة الاسلامية .
٧ ــ منهج كتاب السيرة القدامى والمحدثين فى عرض سيرة الرسول ﷺ .
٨ ــ كتب الرسـول ﷺ الى الملـوك والرؤساء .
٩ ــ شخصية محمد ﷺ البشر الرسول .
١٠ ــ حجـة الـوداع .
١١ ــ صـفات الرسـول ﷺ الخلقية والخلقية .
١٢ ــ أدب الحرب فى الاسـلام .
١٣ ــ العهود والمـواثيق ، أو العـلاقات الدولية فى منهج الرسول ﷺ .
١٤ ــ دلائل النبوة الحسية .
١٥ ــ شـق الصـدر .
١٦ ــ المبشرات بالنبوة فى الكتب القديمة .
١٧ ــ الرسالة المحمدية بين الرسالات .
١٨ ــ شمول الرسالة الاسلامية وكمالها .
١٩ ــ أثر الرسالة الاسلامية فى سـعادة البشرية .
٢٠ ــ ان الـدين عنـد الله الاسـلام .
٢١ ــ مفتريات وآيات .
٢٢ ــ الرسالة الاسلامية عامة وخاتمة .
٢٣ ــ الرسول ﷺ فى بيته .
٢٤ ــ تربية الناشئة فى ضوء السيرة .
٢٥ ــ الاسلام مستقبل الانسانية .
٢٦ ــ أثر الرسالة الاسلامية فى الحضـارة الانسانية .

إعداد: أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
صفوت عبد الجواد

٢٧ ــ الرسالة الاسلامية فى مواجهة الفساد العالمى قديما وحديثا •

٢٨ ــ المجتمع المدنى قبل الهجرة وبعدها •

٢٩ ــ الرسول وموقفه من التفرقة العنصرية

٣٠ ــ السيرة النبوية فى القرآن •

٣١ ــ السيرة النبوية فى الفكر المعاصر •

٣٢ ــ بنو هاشم شجرة النبوة الطاهرة •

٣٣ ــ دور شباب الصحابة فى نصرة الاسلام وفى الدعوة الى الله •

٣٤ ــ تقريب السيرة الى الناشئة والشباب•

٣٥ ــ مثل عليا للشباب من سيرة الرسول ﷺ •

٣٦ ــ القيم الأخلاقية فى نهج الرسول ﷺ •

(ب) فى السنة النبوية :

١ ــ الاسراء والمعراج كما روتها الصحاح، ورد شبه المشككين •

٢ ــ شرف الصحبة ، وعدالة الصحابة •

٣ ــ تدوين السنة وجهود المحدثين فى هذا المجال •

٤ ــ مكانة السنة ، وحكم الاسلام على المنكرين لها •

٥ ــ حجية أحاديث الأحاد ومقياس الأحاديث الصحيحة والحسنة •

٦ ــ الأحاديث المرسلة وحكمها •

٧ ــ جهود المحدثين فى علم الرجال والجرح والتعديل •

٨ ــ الامام البخارى والجامع الصحيح •

٩ ــ الامام مسلم والجامع الصحيح •

١٠ ــ الامام أحمد ومسنده •

١١ ــ الامام مالك والموطأ •

١٢ ــ الامام الترمذى وجامعه •

١٣ ــ الامام النسائى وسننه •

١٤ ــ الامام أبو داودوسننه •

١٥ ــ الامام ابن ماجه وسننه •

١٦ ــ هدى الرسول ﷺ فى الرعاية الصحية •

١٧ ــ حجية السنة •

١٨ ــ موقف المستشرقين من سنة رسول الله ﷺ •

١٩ ــ الرحلة فى طلب الحديث •

٢٠ ــ الصحابة الرواة والمكثرون منهم •

٢١ ــ الدفاع عن السنة قديما وحديثا •

٢٢ ــ أصحاب المسانيد والصحاح ومناهجهم

٢٣ ــ مقومات الحضارة ونظم الحكم فى ضوء السنة الشريفة •

٢٤ ــ الحدود فى الاسـلام من السـنة النبوية •

٢٥ ــ وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ •

٢٦ ــ خصـائص التربية النبوية •

٢٧ ــ مشكلات الشباب وحلولها فى ضـوء السنة النبوية •

٢٨ ــ الطب النبـوى •

٢ ــ الاسـلام والعلم •

٣٠ ــ المنهج العلمى فى تـدوين الحـديث النبوى •

٣١ ــ مشروع جمع السـنة وتصـنيفها بواسطة الحاسب الآلى •

٣٢ ــ جهود المسـلمين فى تـوثيق السـنة النبوية •

٣٣ ــ تقريب السنة النبـ ية الى الناشـئة والشـباب •

تلقى السيد الدكتور رئيس التحرير هذه الرسالة من صاحب التوقيع •

السلام عليكم ورحمة الله • وبعـد فأملى كبير أن تتناول « القضية » التى أطرحها عليكم بما تستحق من الاهتمام ، وأن تجد فى « المجلة » « فسحة » تطـل من خلالها بكل الابعاد على ذوى الشأن وأصحاب القرار •

أخى : تعلم أن « الأزهر » كـان ينفرد دون كـل الجامعـات ــ فى أواخـر الاربعينيات والخمسينيات ــ بافتقـاده الى « قسم للرسالات العليا » وكان ذلك فى قلوب جيلنا أسى كبيرا •

فلما انحلت العقـدة رأت ادارة الازهر أن تعتبر مضى خمسة عشر عاما على التخرج خبرة تتكافأ مع « الماجستير » •• وكان ذلك وعيـا رائعا ، وتعويضا كريما •• وسمح للاخـوة بالانتساب لقسم « الدكتوراه » مباشرة •

غير أن الامر توقف •• وألغى هذا الامتياز !

ثم تطور الامر فعادت الدارسة العليـا مقصورة على حديثى التخرج •

وتلك هى القضية !!

الجامعات الأخرى لا تشترط حداثة التخرج ولهذا نسمع كثيرا عن دارسين حصلوا عـلى « الدكتوراه » بعد « الاحالة للمعاش » •• وتلك الجامعات هى التى فتحت الباب قديما •

ثم يأتى الأزهر الذى حرم كثير من أبنائه •• فيفرض شرط حداثة التخرج ، حرمانا جديدا ولأننا نؤمـن بمذهب العصر ونعتبر « طلب العلم » اتجاها يجب أن يتخذ الشكل التنظيمى المعاصر •• ولأننا حرمنا من قبل •• ولا نريد أن نستمر فى الحرمان •

ولأننـا نطمع أن يعاملنا « الأزهر » وهـو السمح دائما •• بنفس الاسلوب الذى تعامل الجامعات الأخرى أبناءها به••لهذا كله نطلب الغاء شرط حـداثة التخـرج وليفتح بـاب الدارسات العليا للراغبين من المتخرجين أيـا كانت سنة تخرجه بالشروط المعروفة •

وأذكر أن الازهر سيجنى كثيرا من الخير لو أنه فتح هذا الباب المغلق وليفرض ما يشاء من الرسوم التى تكفل جدية الطالب — وتغطى نفقات هذا التوسع •

بهذا لا تتكلف الميزانية شيئا وينفسح المجال أمام قرارات يمكن أن تقدم خيرا وأعتقد أن الأزهر أحق وأولى بفتح باب الدارسات العليا من كل الجامعات •• لأنه الرائد •• وهو الذى يذيع كلمة الحق •• وهو الذى ينطلق •• من « اطلبوا العلم ولو بالصين » وبهذا المنطق يمكن أن نفهم أيضا •• واطلبوه ولو على فراش الموت أخى : هل أطمع أن تنشر ندائى وأن تضم صوتك الى صوتى مؤزرا ومدعما !!

والله يحسن اليك ويهديك سواء السبيل ويجرى الخير بك •

عبد اللطيف محمد حشاد

ونقول للأستاذ حشاد :

هذه رسالتك تجد مكانها بمجلتكم ، و ما من شك فى أن الطلب الذى تحتويه طلب ينطلق من روح اسلامية صميمة •

فقط الفت نظر سيادتكم الى أن اعتبار مضى خمسة عشر عاما على التخرج خبرة تتكافأ مع « الماجستير » لم تكن مطلقة كما تصورتم سيادتكم •

لقد اشترط بجوارها أن يتم تقديم نتاج علمى لطالب الدراسات العليا ، وأذكر تماما أنه حدث ذلك أثناء انتسابنا للدراسات العليا النظامية •

وتقدم كثير من اخواننا بمؤلفات قبلت منهم ثم انضووا فى سلك « الاستاذية الدكتوراه » وبعضهم الآن عميد لاحدى كليات جامعة الأزهر •

والذى أعلمه أن هذا الباب فيه أمل كبير هذا العام ولعلكم اذا اتصلتم بكلية التربية بالازهر ستجدون — لهذا الموضوع — خيرا كثيرا •

منهج جديد لتحفيظ القرآن الكريم

افتتح فى مسجد الرحمن بجامعة الخرطوم السودانية مشروع لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم تلاوته بأسلوب جديد •

يقضى هذا الاسلوب بتقسيم القرآن الكريم الى مائتين وأربعين وحدة • وقبل شروع الطالب فى حفظ الوحدة يعرف بالمقررات والمعانى وأسباب تنزيل الآيات • واذا استوعب هذه الوحدة فى ثلاثة أيام تم له حفظ القرآن كله فى سنتين وشهرين أما اذا حفظ الوحدة فى أسبوع أمكنه حفظ القرآن كله فى أربع سنوات وأربعة أشهر وينطبق هذا على طلبة الجامعات والمدارس أثناء العطلة الصيفية •

المصاحف فى حجرات الفنادق

وافق مؤتمر رؤساء المدن الاسلامية المنعقد فى العاصمة التركية « أنقره » على اقتراح يقضى بتخصيص مكان فى كل حجرة من حجرات الفنادق الموجودة فى المدن الاسلامية توضع به

نسخة من القرآن الكريم .

كما نص قرار المؤتمر فى هذا الشان بوضع علامة فى كل حجرة من حجرات الفنادق فى المدن الاسلامية تحدد اتجاه القبلة .

وذكرت وكالة الأنباء « الاناضول » التركية أن القرار صدر بالاجماع مما يؤكد رغبة رؤساء المدن الاسلامية فى اضفاء الطابع الاسلامى على مدنهم وابراز هذا الطابع امام النزلاء الأجانب بالاضافة الى توفير الحياة الاسلامية فى فنادق المدن الاسلامية .

توحيد المناهج الاسلامية

قررت الحكومة الماليزية توحيد مناهج التعليم الاسلامى فى ماليزيا .

هذا القرار سيطبق على نحو مائتى الف من الدارسين فى المدارس الدينية والعربية .

واعلن المجلس الاستشارى لتنسيق التعليم الاسلامى أن الطلبة فى اربع أنواع من المدارس الدينية التى يتم فيها التدريس باللغة العربية بما فيها المدارس الخاصة سوف يتلقون مناهج تعليمية موحدة فى المستقبل .

قمر صناعى اسلامى

تعتزم الدول الاسلامية الدخول فى عصر الفضاء وذلك باقامة « معهد مشترك لأبحاث الفضاء » .. صرح بذلك السيد محمد سالم محمد رئيس لجنة الفضاء والمناخ الباكستانية، وقال :

ان هذا المشروع سيشترك فى تنفيذه الاعضاء فى منظمة المؤتمر الاسلامى وانه يعد واحدا من ثلاثة وعشرين مشروعا علميا تعتزم الدول الاسلامية تنفيذها . وقال :

ان المشروعات التى سيتم تنفيذها من خلال الاقمار الصناعية الاسلامية هى : اعداد دراسات عن الصحراء فى الدول الاسلامية يمكن الاستفادة منها فى تحويل الصحراء الى أرض صالحة للزراعة .

معرض العمارة الاسلامية

أقيم مؤخرا معرض نظمته غرفة التجارة العربية البريطانية حول الاشكال المعمارية العربية القديمة والحديثة وقواعدها النابعة من التراث الحضارى للدين الاسلامى ، والموقع الجغرافى وفلسفة الانسان العربى من العالم الذى يحيطه .

وحول فكرة المعرض قال امين عام الغرفة التجارية العربية البريطانية .

انه تم اختيار الموضوع من منطق أن التراث المعمارى يمثل قمة من قمم العبقرية العربية بأصولها وقواعدها الحالية والوظيفية النابعة من الاسلام والتراث العربى العريق .

والمعرض يهدف الى توضيح مساهمات المعماريين العرب فى هذا التراث الحضارى بحيث يشمل أعمال البناء البارزة فى المنطقة العربية .

مؤتمر اسلامى عالمى

قررت الحكومة السودانية عقد أول مؤتمر اسلامى عالمى فى سبتمبر بمناسبة مرور عام على تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية بالسودان يناقش المؤتمر الذى تحضره وفود من مختلف دول العالم نتائج التجربة السودانية والتحديات التى واجهها تطبيق الشريعة الاسلامية هناك .

ومن المنتظر أن يستمر المؤتمر اربعة أيام يرد فيه المفكرون والفقهاء على كافة الاسئلة التى يرددها بعض خصوم الاسلام فى الدول الأوربية .

كان السودان اعلن تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية فى سبتمبر من العام الماضى .

مركز لبحوث اسهامات المسلمين فى الحضارة

عقد فى الدوحة الاجتماع التأسيسى الاول لمركز بحوث اسهامات المسلمين فى الحضارة الاسلامية . وقد حضر الاجتماع ممثلون من مصر والكويت والمغرب وسلطنة عمان وماليزيا والولات المتحدة الامريكية ورابطة العالم الاسلامى .

يهدف المركز الى جمع واعداد مجموعة من المجلات باللغة الانجليزية لتعريف المسلمين والباحثين غير الناطقين بالعربية بأمهات الكتب فى الحضارة الاسلامية :

القرآن الكريم وعلومه ، والحديث الشريف والسيرة النبوية وعلوم الفقه وأصول الفقه وعلوم الكلام والفرق الاسلامية والفلسفة والعلوم بفروعها والتربية وعلوم المجتمع والمؤرخون وكتاب السير والجغرافيون والرحالة والشعراء والكتاب والفنانون والدولة ونظام الحكم .

وضع حجر الاساس لمسجد جديد

احتفلت الجالية الاسلامية فى لندن بوضع حجر الاساس لمسجد المركز الاسلامى الجديد بمنطقة « كرويدن » فى جنوب لندن . يقام المسجد على مساحة الف متر تبرع بها المسلمون المقيمون هناك وتبلغ تكاليف انشاء المسجد ستمائة وأربعون الف جنيه استرلينى .

اقامة مسجد جديد فى غرناطة

تعتزم الطائفة الاسلامية فى مدينة غرناطة الاسبانية ــ الاندلس ــ انشاء مسجد جديد فى هذه المدينة تقدر تكاليف بنائه بحوالى مليون ونصف مليون دولار وسيبدأ العمل فى هذا المسجد فى نهاية العام الحالى .

سيتولى رئيس المحكمة العليا فى دولة الامارات العربية المتحدة تمويل المشروع بشكل شامل . وكان رئيس المحكمة العليا فى الامارات قد أرسل واعظين من أصل موريتانى الى هذه الطائفة لتعريف أبنائها بقواعد الاسلام وتعاليمه وبخاصة تعليم القرآن الكريم واللغة العربية .

أنباء وآراء

خبير امريكى يشهر اسلامه

استقبل فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر السيد ريتشارد بريان خبير مضخات البترول الأمريكى بولاية «أوكلاهوما» الذى شهر اسلامه وسمى نفسه أحمد بريان ·

وقد اعرب الخبير الامريكى عن سعادته باعتناق الدين الاسلامى · وقال : انه لمس فيه كل المعانى الخالدة التى تتلاءم مع متطلبات العصر ·

وزير الأوقاف بالدقهلية

* صرح فضيلة وزير الأوقاف بما يجب أن يكون عليه امام المسجد فقال ــ فى كلمته التى ألقاها بالدقهلية :

«على الامام أن يكون محل ثقة الناس جميعا ، لأننا مكلفون أن نجعل الناس يتقون الله ونحن نريد أن نصل الناس بالله ، فيتواصلون على أساس من هذه الصلة الكريمة ·

كذلك نريد للامام أن ينتفع به الناس فنحن مكلفون بتحبيب الناس فى دينهم»

ودعا الوزير الى ضرورة أن يلقى الامام كلمة بعد الجمعة ، ولا بأس أن تطول ، فأما الخطبة فيكفيها خمس عشرة دقيقة ·

جامعة الأزهر تمنح طالبة من اندونيسيا درجة الدكتوراه وموضوعها :

منهج الاسلام فى تصرفات الصغير ورعايته ·

ناقشت كلية الدراسات الاسلامية بجامعة الأزهر الطالبة « خزيمة توحيد ينجو » فى الرسالة المقدمة منها للحصول على درجة الأستاذية = الدكتوراه » فى الفقه الاسلامى المقارن-قُسِّم البحث الى ستة أبواب سبقتها مقدمة وانتهت بخاتمة ·

تكونت لجنة المناقشة من الأساتذة :

١ ــ أحمد سيد أحمد عثمان ــ كلية الدراسات الاسلامية (مشرفا) ·

٢ ــ الأستاذ الدكتور محمد أنيس عبادة ــ كلية الشريعة والقانون (عضوا) ·

٣ ــ الأستاذ الدكتور محمد محمد جابر نصار (عضوا)

وقد منحت اللجنة الطالبة « الاستاذية ــ الدكتوراه » بدرجة جيد جدا · وأوصت بطبع الرسالة وتبادلها مع الجامعات الأخرى ·

السيد / عبد الفتاح مبروك يوسف ــ المنوفية ــ أشمون ــ رملة الأنجب

١ ــ الحديث المذكور فى الطب النبوى المشار

اليه فى مقالكم حديث غير صحيح كذا فى تحقيق الشيخ الألبانى راجع حواشى صيد الخـاطر تحقيق الأستاذ على الطنطاوى .

٢ ــ وما ذكر فى الحديث عن أسامة بن زيد هذا جزء من الحديث وليس الحديث كاملا ــ والحديث كاملا ــ عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال (شعبان بين رجب وشـهر رمضـان تغفل الناس عنه ترفع فيه أعمال العبـاد فأحب ألا يرفع عملى الا وأنا صائم) رواه البيهقى فى شعب الامام عن أسامه بن زيد ــ ورمز الامام السيوطى لضعفه .

٣ ــ وما ذكر فى (فضل الشهور الحـرم فى الاسلام) رواه أبو الفتح بن أبى الفوارس فى آماليه عن الحسن مرسلا ــ ورد فى الجـامع الصغير للسيوطى ورمز لضعفه .

السيد / جمال عبد القادر عبـد العزيز ــ الشرقية ــ أبو حمـاد .

السيد / أحمد عبد اللطيف جمعه ــ الشرقية الأسدية .

للاشتراك فى المجلة عليك الاتصال بالعنوان التالى :

القاهرة ــ ادارة توزيع الأهرام ــ شـارع الجـلاء

السيد الأنور الفاروق محمود ــ القاهرة ــ شركات تركى ٨ ش الصحافة .

نأسف جدا لنفاد هذا العدد وهديته ، ولا نستطيع أن نعد سيادتكم بامدادكم به ، كذلك نلفت نظر سيادتكم الى وجـوب تبليغ ادارة التوزيع بالأهرام ــ شارع الجلاء ــ القاهرة ــ باسم الموزع الذى باع لكم المجلة بدون الهدية، ثم ــ ياأخى هذا حقك فكيف تنازلت عنـه ؟؟

طلب القارىء عبد الرحمن عمر عبد الجواد أن تتصدى المجلة لبرامج التليفزيون .

المجلة : نفيد سيادتكم أن المجلة تناولت هذا الموضوع علميا على أعداد عدة منها :

رمضان ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ وفى هـذا العـدد تناولت بحثا عن « الفيديو » .

والله ولى التوفيق

فهرس العدد

- فضل العمل الصالح فى العشر الاول من ذى الحجة بقلم
فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر ١٩٨٥
- حج النبى صلى الله عليه وسلم قبل الجهر بالدعوة
للدكتور على الخطيب ١٩٨٩
- ليس لهؤلاء جزاء الا الجنة
للاستاذ طه عبد الرؤوف ١٩٩٣
- من وحى الحج فى الشعر الاسلامى الحديث .
للدكتور طه مصطفى ابو كريشة . . . ١٩٩٧
- التزين للصلاة والاعتدال فى الطعام
لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير ٢٠٠٤
- اقرأ باسم ربك
للدكتور على محمد حسن العمارى . . . ٢٠١٠
- الحمد فى القرآن الكريم
للدكتور محمد خليفة ٢٠١٧
- قصة الصرفة
للدكتور محمد محمد ابو موسى ٢٠٢٩

دراسات فى السنة

- ايرى النبى صلى الله عليه وسلم يقظة
للاستاذ صلاح الدين عبد الحميد الهادى . . ٢٠٣٨
- صورة من آخر ما وصل اليه البحث فى ابى هريرة
للاستاذ عبد المنعم حافظ عودة ٢٠٤٥
- الايمان والعمل الصالح
بقلم فضيلة الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح ٢٠٤٨
- الاخلاص وقوة الاستمرار
للشيخ محمد صابر البربيسى ٢٠٥٢

فى الشريعة

- الشريعة وما يراد لها فى الراى الغربى
للشيخ محمد حسام الدين ٢٠٥٦
- حقوق غير المسلمين فى ظل تقنين الشريعة الاسلامية .
للدكتور عبد الله مبروك النجار ٢٠٦٤
- الرحمة واثرها فى المجتمع
للدكتور محمد عبد السميع ٢٠٧٧
- من اعلام الازهر الشيخ حسنين مخلوف
للاستاذ عاطف زهران ٢٠٨٢

شعر وشاعر

- موكب الحجيج .
للشاعر محمد على حسن الدشناوى . . . ٢٠٩٠
- الى الشاطىء المحجب
للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين . . ٢٠٩١
- فى موكب الحجيج
للشاعر احمد مصطفى حافظ ٢٠٩٢

من الفكر الى التاريخ

- من مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامى .
للدكتور عبد المعطى بركات ٢٠٩٤
- مشيخة علماء الجامع الاحمدى .
للدكتور مجاهد توفيق الجندى ٢١٠٥
- طرائف .. ومواقف .
للاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم . . ٢١١٢
- من لطائف الفكاهات والمداعبات والملح .
للمستشار محمد عزت الطهطاوى ٢١١٤

فى الدعوة

- الاعلام والدعوة الاسلامية .
للاستاذ محمد كمال الدين على يوسف . . ٢١٢٠
- الفيديو — المسلمون وتكنولوجيا الانتاج .
للاستاذ حسن على العنيبسى ٢١٢٧
- كيف نفهم اليهود .
للاستاذ محمد عبد العزيز عبد اللطيف . . ٢١٣٣

من التراث

- مجلة الازهر من خمسين عاما .
اعداد الاستاذ عبد الفتاح حسين الزيات . . ٢١٣٨
- من نوادر مخطوطات مكتبة الازهر .
للاستاذ محمد ميرة على ٢١٤٢
- دراسة الطب واللغة العربية .
للدكتور محمد عبد المنعم العتيل ٢١٤٧

اللغة والأدب والنقد

- حذف ناصب المفعول به
للاستاذ احمد حسن عبد العوافى هلالى . . ٢١٥٤
- فى حاشية الامير .
للاستاذ السيد حسن قرون ٢١٥٩
- شوقى بين مجد الماضى وحاضر الشرق والعروبة .
للدكتور محمد سلامة صالح ٢١٦٩
- مع رسالة جامعية .
للاستاذ عبد العزيز احمد جيرة ٢١٧٧
- انباء وآراء
للاساتذة احمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
صفوت عبد الجواد ٢١٨٤
- الفهرس العام .

القسم الانجليزى

- المقال الثانى .
للاستاذ سليمان بركات
- المقال الاول .
للدكتور انس النجار
مراجعة وعناوين داخلية
للاستاذ عبد المنعم ابراهيم مهنا

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس الأبجدي العام للمجلد السادس والخمسين

يشمل :

أ - أسماء المقالات مرتبة ترتيبا أبجديا يُعْنَى بلفظها دون (أل) المُعَرِّفَة مع ذكر أرقام صفحاتها

ب - أسماء الكتاب مرتبة ترتيبا أبجديا حسب لفظها، وأرقام صفحات مقالاتهم

(أ) عناوين المقالات :

حرف الالف ص

(أ)

● ابراز المعانى من حرز الامانى (نوادر مخطوطات مكتبة الازهر ٦٣٢

● الاتجاه الشمولى فى دراسة الادب العربى ١٥٥٩

● اتحاف أهل الاسلام فى خصـائص الصيام (نوادر مخطوطات مكتبـة الازهر) ١٥٣٦

● اثر الاسلام فى المجتمع العباسى ٢٢٦

● اثر منهج البخـارى والمحدثين فى المنهج الاوربى الحديث ٣٩٠

● اثر منهج المحدثين فى المنهج الاوربى التاريخى الحديث ٣٩٤

● أحمد الزين الشـاعر الراوية (من شعراء الازهر) ١٢٩٢

● الاخبار بحقيقة المراة (فتوى) ٣١٦

● الاخلاق فى الشريعة الاسلامية ١٨٩٠

● أداء الامانات فى الاسلام ١٨٤٦

● أدب الرافعى فى خدمة العـروبة والاسلام ٦٥٨

● الادب العربى بين الاتجـاه الخاص والعام ١٧٨٦

● (اذا) المفـاجاة بين الحرفيـة والظرفية ٢٨٩

● أراء وآراء حـول تطبيق الشريعة الاسلامية ١٠٩٠/٣٧٥

● آراء وقضايا ١٢٣٩/١٠٩٦

● أزمة خلقيـة فى قصر عـزيز مصر تثيرها امراته ١٠٤٦

● الازهر والدعوة الاسلامية فى الداخل والخارج

● الازهر ودوره فى الحفاظ على اللغة ١٥٩

● الاستغناء فى اللغة العربية ١٥٥٢/١١٦٦

● الاسراء والمعـراج من معجـزات الرسول صلى الله عليه وسلم ١٠٣٧

● الاسرة بين الحكمـة والاسـوة فى الاسلام ٣٩

● الاسـس الاعلاميـة فى التصـور الاسلامى ٩٦٨

● اسس الرياسـة عنـد الرسـول صـلى الله عليه وسـلم فى ذكرى ميلاده ٣٣٨

● الاسلام دين الجماعة ١٧٩١

● الاسلام على مفترق الطرق ١٠١٣

● الاسلام فى ميزان العقل (من مزاعم المستشرقين ... الخ) ٢٦٢

● الاسلام والتعايش السلمى ١٢٤٥

● الاسلام والعقل كل فى ميزان الآخر ٩١

● الاسلام وقضايا الفكر المعاصر ٥٥٦

● الاسـلام ونظريات بنـاء الروح المعنوية ٢٢٠

● اسلوب البحث فى علم النفس ١٣٥

● الاشراقة العظمى : البشارات بمولد النبى عليه الصلاة والسلام ٣٥٦

● اصحاب الاخدود ١٨١

• أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥١٣

• اصداء احتفال الازهر بعيده الالفى فى الخارج ٣١٩

• الاعلام الاسلامى الطباعى فى الدول غير الاسلامية بالتطبيق على اثيوبيا ١٤٩

• اعمال الكتاب والهيئات فى الاحتفال بالعيد الالفى للازهر ١٤٦

• الغاء الاعدام وابقاؤه بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ٨٨١

• اقرأ باسم ربك ١٤٨٠ ٢٠١٠

• الله ..... والعقل (قصيدة) ١٣٠٠

• الى العام الهجرى الجديد (قصيدة) ١١٣

• الامانة ٧٩٠

• الامانة سر الفلاح ١٦٤٠

• انباء وآراء ١٦٦ ، ٣٢٢ ، ٥٠٢ ، ٦٨٤ ، ٨٣٢ ، ١٠٢٢ ، ١١٩٠ ، ١٣٨٢ ، ١٥٧٤ ، ١٨٠٢ ١٩٦٧ ٢١٨٤

• انتفاع الميت بسعى غيره من الاحياء ١٦٤٦

• الانتماء فى توجيهات الاسلام ١٢٣٤

• الى رحمة الله امام النحو والصرف الاستاذ الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة ٩٢٨

• انه بسمة الحياة (قصيدة) ٣٨١

• اولياء الله ٥٣٨

• آيات الغيب فى عالم اليقين ١٠٤١

• أيرى النبى صلى الله عليه وسلم يقظة ؟ ١٨٦٠ ـ ٢٠٣٨

• أيشرع الانسان للانسان ؟ ٩٥٤

• ايمان ابراهيم عليه السلام لاشك فيه ١٢١٤

• الايمان والعمل الصالح ٢٠٤٨

• الاخلاص وقوة الاستمرار ٢٠٥٢

• الى الشاطىء المحجب ٢٠٩١

• الاعلام والدعوة الاسلامية . ٢١٢٠

• الفيديو ـ المسلمون وتكنولوجيا الانتاج . ٢١٢٧

(ب)

البدع والآثام التى استحدثت فى شهر المحرم الحرام ووجوب الاقلاع عنها ٦٧

البرهان فى اصول الفقه لامام الحرمين (من مخطوطات مكتبة الازهر) ١١٤٤

بلد اسلامى : تركيا ودورها فى الاسلام ٩٢٠

(ت)

تاج البيان لالفاظ القرآن (من مخطوطات مكتبة الازهر) ١٢٠

التاريخ الاسـلامى وأوهام المؤرخين والمعاصرين ٢٠٤

التاريخ الهجرى المهجور من اهله ٨١

تاريخ الخميس فى احوال انفس نفيس (من مخطوطات مكتبة الازهر) ٩٨٥

تأثير الهرمونات على العنصر الحيوانى ١٠٨٨

تجديد مقام الضريح (فتوى) ١٥٧

تحقيق عن اللحوم المستوردة والدول النامية ١٠٨١

تراثنا المخطوط من التاليف الى الوراقة د٠ على الخطيب (هدية المحرم ١٤٠٤)

ترجمة الطب الى العربية وضماناتها ٦١٩

التصرف الزين فى مناجزة سقم العين ٦١٢

التعامل مع البنوك (فتوى) ١٥٧٦

تعدى الفعل ولزومه ١٧٥٨

تعقيب على الاسس الاعلامية فى التصور الاسلامى ١٣٧٧

تعقيب على كلمة الدكتور خفاجى ١٩٦٢

التعليم الدينى فى مدارس الحكومة ١١٣٨

تغطية الاسلام ٤٨٩

التنمية والعدالة والتكافل الاجتماعى فى الاسلام (هدية ربيع الاخر ١٤٠٤ هـ) لفضيلة الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح

- التزين للصلاة والاعتدال فى الطعام ٢٠٠٤

(ج)

- جـريدة الازهر لويلكوكس ودورها فى الدعوة الى العامية ١٢٧٥ ـ ١٧٤٧
- الجماع والطلاق (فتوى) ٦٨٢
- جمال الدين الافغانى ٢١٠
- الجمرة (قصيدة) ١٢٩٠
- الجملة النحوية ٤٧٢ ـ ٦٤٢
- جواهر المعانى فى تفسير السبع المثانى (من مخطوطات مكتبة الازهر) ٢٧٥
- جولة مع شاعر ابوللو المفرد الدكتور مختـار الوكيل فى ديوانه (موكب الذكريات) ٣٠١
- جيلى عبـد الـرحمن فى ديوانه (قصائد من السودان) ٧٥٥

(ح)

- حاجتنا الى فن أدبى اسلامى ١١٦٤
- حب الصـحابة رضى الله عنهم وتوقيرهم ٧١٤
- حتى : معانيهـا واسـتعمالاتها ٦٣٨ ٨٠٢ ٩٩٢
- حجاب المراة عودة للتمسك بالدين والعفة والفضيلة ١٤٧٤
- حديث القمر (قصيدة) ١١٠٤
- حديث شيخ الازهر لمجلة أخبار العالم الاسلامى ١٠٦٢

- حذف الجار مع الفعل المعدى به ١٩٤٢
- خريطة جزيرة العرب ١٥١٥
- حرم ربكم عليكم : الدم ١٨٥٥
- حرم ربكم عليكم : الميتة ١٤٧١
- (حسن جاد حسن) شاعر الازهر بعد الاسمر من اعلام الازهر ٥٧٥
- حسن منصور بك (من اعلام الازهر) ٧٦٨
- حصاد الالم (قصيدة) ١٩٠٤
- الحضارة والمدنية فى معيار الاسلام ١٥٠١
- حفظ السر من هدى النبى صلى الله عليه وسلم ٧٢٧
- حقوق غير المسلمين فى ظل تقنين الشريعة الاسلامية ٢٤ ـ ٤٠٢
٨٨٥ ـ ١٧٢٥
٢٠٦٤
- حكم الله فى التبرج ١٩٢٦
- حكم التبنى فى الاسلام (فتوى) ١١٤٨
١٣٨٠
- حكم قضائى على كتاب « مقدمة فى فى فقه اللغة العربية » للويس عوض، ٤٤٦
- الحمد فى القرآن الكريم ٥٢٠ ـ ٨٥٣
١٠٥٤ ـ ١٦١٠ ـ ١٢٢٣
٢٠١٧
- الشيخ حسنين مخلوف من اعلام الازهر ٢٠٨٢
- حنين قلب (قصيدة) ٢٢٤
- حنين مغترب (قصيدة) ٥٨١
- حوار حول عديد من قضايا الساعة ١٨٣٦
- حذف ناصب المفعول به ٢١٥٤

حج النبى صلى الله عليه وسلم قبل الجهر بالدعوة ١٩٨٩

(خ)

- خاتمة حول قادة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ٣٧٢
- خالد الجرنوسى (من شعراء الازهر) ٤١٨
- الخشوع فى الصلاة (هدية المجلة لحمادى الاخرة) لابن رجب الحنبلى ١٤٠٤ هـ
- الخوف والرجاء ٨٦٨
- خير ايام الدنيا ٣٣٧

(د)

- دراسات عن مجلة الرسالة الجديدة (١٩٥٤ ـ ١٩٥٩) ودورها فى الادب والنقد ٨٨٢
- دراسة عن مجلة الازهر لصاحبها احمد السيد نعمان ١٩٣٣
- دراسة عن مجلة الشباب وعلوم المستقبل ٦٧٤
- دعاء الفجر (قصيدة) ١٤٩٢
- دفاع عن الاسلام (كتاب) ٢٥٢
- دور اللغة العربية فى ترابط شخصية الامة ١٥٤٢ ـ ١٧٦٥

• دراسة الطب واللغة العربية . ٢١٤٧

(ذ)

• ذبح اسماعيل على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام ـ بين الحقيقة والافتراء ٣١٤
• ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ١٤٣٠

(ر)

• الرحمة وآثرها في المجتمع ٢٠٧٧
• رائد مدرسة التحقيق العلمي الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد (من أعلام الازهر) ٨٧
• رؤية الهلال والحساب الفلكي ١٤١٢
• رئيس جامعة الازهر يتحدث الى مجلة الازهر ٥٦٩
• رسالة من الازهر الى جلالة الملك الحسن الثاني رئيس مؤتمر القمة الاسلامي ٨٤٣
• الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ رحمة مهداة ٣٦٧
• رعاية اليتيم ٥٤٦
• رمضان شهر الصفاء والنقاء ١٤٠١

(س)

• السحرتي في ديوانه (أزهار الذكرى) ٥٨٢
• السرعة وبلاغة العمل الادبي ١٩٥٥
• سفراء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكتابه ورسائله ٥٥٠ ـ ٧٣٠ ـ ٨٧٤ ـ ١١٢٠
• سليمان نوار (من أعلام الازهر) ٤١٥
• سيد بن على المرصفي (من أعلام الازهر) ١٦٥٢
• سيدى صاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ٨٤١
• سيدى يا رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليك ٣٤٣
• سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاثير ـ رضى الله عنه (هدية ربيع الاول ١٤٠٤)
• سيكوتورى : الرجل والمبادىء ١٢٨١
• السينما والدين ١٣٦٩

(ش)

• شاعر الاسلام محمد اقبال (قصيدة) ١٢٨٨ ١٤٨٨ ١٦٩٤
• شاعران وممدوحان ٤٨٢
• شرح الزوزني على لباب الاعراب (من مخطوطات مكتبة الازهر) ١٣٠٢
• شرح الوجيز في فقه الامام أحمد ابن حنبل رضى الله عنه للزركشي (من مخطوطات مكتبة الازهر) ١٧٤٢
• شريعة الذبح في البلاد غير الاسلامية ١٠٧٧
• الشريعة وما يراد لها في الرأى الغربي ١٤٦٤ ـ ١٦٧٩ ـ ٢٠٥٦ ـ ١٨٨٥ ـ ٢٠٥٦

- الشـعب المصرى وعراقة أصـله العربى ٩٤١
- الشعر الجديد ١١٠٧
- شعر حافظ ابراهيم بين الاصالة والتجديد ١٢٧
- لابن أبى الدنيا رحمه الله الشكر (كتاب هدية صفر ١٤٠٤)
- شوقى بين مجد الاسلام وعظماء رجاله ٩٩٥ ـ ١١٧٢
- شـوقى بين مجد الماضى وحاضر الشرق والعروبة ١٩١١ ٢١٦٩
- الشكر لابن أبى الدنيا رحمه الله (كتاب هدية صفر ١٤٠٤)

(ص)

- صانعو السياسة البريطانية فى المشرق العربى ٥٩٢ ـ ٧٧٢
- صورتا الغلاف الاول والاخير لجريدة الازهر (لويلكوكس) ١٧٩٠
- الصيام (قصيدة) ١٤٩٠
- صورة من آخر ما وصل اليه البحث فى أبى هريرة ٢٠٤٥

(ض)

- ضلالة فصل الدين عن السياسة ١٣٠٧

(ط)

- طابا أرض مصرية ٩٣٦
- طابا بارض سيناء : هل هى جزء من مدين ؟ ٦٠٢
- طرائف ومواقف ١٢٤ ـ ٢٨٠ ـ ٤٠٢ ـ ٦١٠ ـ ٧٨٦ ـ ٩٣٢ ـ ١١١٨ ـ ١٣٢٤ ـ ١٥٣٢ ـ ١٧٠٤ ـ ١٩٢١ ـ ٢١١٢
- طلع البدر علينا (قصيدة) مدح فيه صلى الله عليه وسلم ٧٥٤

(ع)

- عبد الرحيم فودة (من أعلام الازهر) ١١٢٦
- عبد العليم القبانى (من ابناء عبقر) ١٦٩٨ ـ ١٩٠٥
- عبرة الهجرة (قصيدة) ١١٠
- عجيب ... غير غريب ١٧٧
- العقد الفريد لابن عبد ربه : منهجه والغاية منه ٦٦٠
- علم العدل الاقتصادى (كتاب) ٣١٨
- على البولاقى (من أعلام الازهر) ١٨٩٧
- العمل فى ضوء الكتاب والسنة ١٢٦١
- عن تطبيق الشريعة الاسلامية (رسالة الى الاستاذ أحمد بهجت) ٨٩٦
- عوارف المعارف (كتاب للسهروردى) ٣٠٧

(غ)

- غارة تبسيرية جديدة على أندونسيا (كتاب) ٥٣٠

● غزوة بدر الكبرى ومقاومات النصر على العدو المتفوق ١٤٢٢ ـ ١٦٨٦

(ف)

● الفتح الاكبر (قصيدة) ١٦٩٦
● فتح المدائن عاصمة الفرس ٤٢٦
● فضل الاسلام على الحضارة الغربية ٩٨
● فضل الحج المبرور ١٦٥٩
● فضيلة الصبر ٦٢٣
● الفوز الكبير فى اصول التفسير (جزءان) لشاه ولى الله الدهلوى رضى الله عنه هديتنا (رجب وشعبان ١٤٠٤)
● فى الاسرار العلمية للآيات الكونية ١٦٢٠
● فى حاشية الامير ٦٦٦ ـ ١٠٠٣ ـ ١٣٤٠ ـ ١٥٦٢ ـ ١٧٧٣ ـ ١٩٤٧ ـ ٢١٥٩
● فى الدوائر العروضية ٥٨٨
● فى ذكرى الاسراء والمعراج (قصيدة) ١١٠٣
● فى مسالة السفور والحجاب للدكتور عبد الودود شلبى (هدية عدد رمضان ١٤٠٤)
● فى الميراث (فتوى) ١٨٠١
● فضل العمل الصالح فى العشر الاول من ذى الحجة ١٩٨٥
● فى موكب الحجيج ٢٠٩٢

(ق)

● قصة الصرفة ٢٠٢٩
● القدوة الحسنة والادارة الاسلامية (قصيدة) ٢٤٥
● القرآن العظيم ومجمع البحوث الاسلامية ١٩٢
● القرآن الكريم كيف نزل من السماء فى رمضان ١٤١٩
● القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم (كتاب) ١٣٤٨
● قصة الصرفة ١٨٦ ـ ٣٨٥ ـ ١٦٢٦ ـ ٢٠٢٩
● قصة نبى اللى شعيب على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام للشيخ حسن منصور بك (هدية جمادى الاولى ١٤٠٤)
● القضاء العادل فى الاسلام ١١٦
● قوة الشخصية الاسلامية فى عصر القلق ٧٤٠
● قواعد الشريعة لعز الدين ابن عبد السلام (من مخطوطات مكتبة الازهر) ٧٩٧
● القواعد الفقهية لابن رجب الحنبلى (من مخطوطات مكتبة الازهر) ٤٦٧
● قوى الاستمرار ١٨٧٨
● القيادة الادارية فى الاسلام : الاحسان ١٥٠٦ ـ ١٧٥٢
● قياسية المصادر ١٣٣٠

- القيم الدينية فى شعر محمد مصطفى الماحى ٤٩٧

(ك)

- كامل محمد حسن (من أعلام الازهر) ١٥١٦
- كسب ـ اكتسب ٢٨٣
- كل ـ كلما ١١٥٢ ـ ١٣٢٨
- كيف تعثر وتعج للشيخ عبد العزيز محمد عيسى (هدية شوال ١٤٠٤)
- كيف نفهم اليهود . ٢١٣٢

(ل)

- لمن الخطاب فى قوله تعالى : فان كنت فى شك ٠٠ الآية ٨٤٦
- ليس فى البشعة احتكام (فتوى) ٨٣٠
- ليس للمنبر مكان معين من القبلة (فتوى) ، ٥٠٠
- ليلة الاسراء (قصيدة) ١١٠٢
- ليهنك العلم ١٦٦٦
- ليس لهؤلاء جزاء الا الجنة ١٩٩٣

(م)

- ماذا قدمنا للاعلام الاسلامى ٢٤٠
- ما لهذا الحجاب ٠٠ ؟! ١٥٩٨
- ما هكذا يا سعد تورد الابل « مع دليل المسلم لحسين احمد أمين » ١٣٦١ ـ ١٤٤٣ ـ ١٨٦٥
- مؤلفات الامام البخارى (رضى الله عنه) ٧٣٦ ـ ١٢٣٠
- المؤمن الحق ٧٤٥
- مبادىء القانون الدولى فى الاسلام ١٠٧٢ ـ ١٣١٨ ـ ١٦٧٤
- متى ـ يارب ـ اصحو من سبات (قصيدة) ٧٥٣
- مجلة الازهر ١٢١١
- محاكاة المسلمين للاجانب ١٧٣٦
- محمد ابو زهرة (من اعلام الازهر) ١٢٦٦
- محمد اقبال شاعر الاسلام (قصيدة) ١٢٨٨ ـ ١٤٨٨ ـ ١٦٩٤
- محمد احمد عرفة (من اعلام الازهر) ٢١٧
- محمد فضل اسماعيل (من شعراء الازهر) ٩٠٦ ـ ١٧٠٦
- محمد كامل البنا (من اعلام الازهر) ٩١٦
- محمود ابو الوفا (من شعراء الازهر) ١١١٢
- المداراة والمداهنة ٢٧١
- المدعون ٢٤٧
- المستشرقون والسنة : واقع ـ امل ـ منهج ١٤٥٥ ـ ١٦٣٤
- مسجد لا (ورشة) ـ فتوى ٦٨٢
- المسلمون بين الاصالة والمعاصرة ١٧٧٠
- مشارع الثقافة العربية فى الاندلس قبل العقد (العقد الفريد) ١٧٨٠

- مشهد حمزة ـ رضى الله عنه ٢٠٠
- مشـــيخة علماء الجـامع الاحمدى ٩٥٠ ـ ٢١٠٥
- مصـــادر العقد الفـــريد وطريقـة ابن عبـــد ربـــه فى الـــرواية والصياغة ٨٠٦ ـ ١١٥٩
- مصطفى صادق الرافعى : نفحة من عبقريته ٦٥٠
- مع آيات الله فى كتاب الله ١٠
- مع بعض المفاهيم ٥٦٦
- مع روجيه جارودى فى كتـــابه : « ما يعد به الاسلام » ١١٨٠
- مع محاضرة الاســتاذ الدكتور رجاء جارودى ٥٦٢
- المفكر الفرنسى المسلم جارودى يطرح تساؤلا : كيف تدعو الى الاسلام ؟ ١٨٨٢
- مما يوجب الكفارة فى رمضان ١٤٣٥
- منابع الارادة القتالية للمجاهدين فى سبيل الله ٤٣٢
- مناهج كتـــابة السير وحلقات على امام المتقين كرم الله وجهه ٧٢٢
- منآلاء الله فى رمضـــــان : الفتح الاكبر (قصيدة) ١٤٨٦
- من بواكير التشريع : صيام نوح ـ على نبينا وعليه افضـل الصـــلاة والسلام ١٤٠٦
- من تاريخ القضاء فى دولة الاسلام ٢٣١
- من ذكريات الريف (قصيدة) ٧٥٢
- من شمائله ـ صلى الله عليه وسلم ٣٤٦
- من مزاعم المستشرقين حول الفكـر الاسلامى ٤٣٩ ـ ١٧١٩ ٢٠٩٤
- من مقال لـ « سوان هاردينج » ٩٨٠
- منهج ابراهيم فى الدعوة الى الحق ١٦٠٢ ـ ١٨٣٤
- منهج الاسـلام فى معـــالجة دوافع السلوك الانسانى (رسالة جامعية) ٨٢٠
- من الهجرة الآمنة الى الفتح المبين ١
- من الهجرة حسن السلوك ٤
- منهج ومقام من اجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦٩٧
- من وحى الاسراء والمعراج (قصيدة) ١١٠٦
- من وحى الايمان (قصيدة) ٩٠٣
- مولد الربيع (قصيدة) ٣٨٠
- مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونسبه الشريف ٤٥٧
- موكب الحجيج . ٢٠٩٠
- من وحى الحج فى الشعر الاســلامى الحـــديث . ١٩٩٧
- مع رسالة جامعية . ٢١٧٧
- من لطائف الفكاهات والمداعبـــات والملح . ٢١١٤
- من وحى الهجرة (قصيدة) ١١٤

(ن)

- نظام الادارة والقضاء الاتابكي والارتقى فى بلاد الجزيرة الفراتية عبر القرن السادس الهجرى ١٤٩٤ ـ ١٧١٢
- نظرات قرآنية : من أصحاب الاعراف ؟ ١٢١٨
- النقد الحديث فى صحيح البخارى ١٧
- نماذج بشرية (قصيدة) ٩٠٢

(هـ)

- هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بين جفاء سكان الطائف وترحيب أنصار المدينة ٧٣
- هجرة القلوب ٨٣
- الهجرة المباركة ٤٨
- هذا يوم الجائزة ١٥٩٣
- هل تجب الزكاة على الممتلكات المجمدة (فتوى) ١٠٢٦
- هل تستأجر أرض لبناء مسجد (فتوى) ٣١٦
- هل تغنى النذر ١٩٠٢
- هل من مجمع لترجمات تفسير القرآن الكريم ٨٦٠

(و)

- وتلك مجلة أخرى : ١٨٢٥
- الوحى الالهى للدكتور الحسينى هاشم (هدية ذى الحجة ١٤٠٤)
- وسائل الاعلام في المجتمع الاسلامى (أ) الصحافة ١٤٠
  (ب) التليفزيون ١٥٢٤
- الوطنية والعروبة فى شعر محرم ٧٥٨
- (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا الآية) ٧٠٠
- ومضات من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ٣٦٠

(ى)

- يا طيبة النور (قصيدة) ٣٨٢
- يثرب عند الهجرة ٦٠
- ينابيع الثقافتين الاسلامية والعربية فى الاندلس قبل العقد ١٣٣٥

فهرس اسماء الكتاب

الاسم	الصفحة
(أ)	
ابراهيم حسن ابراهيم	٢٨٩
ابراهيم خليل احمد	٩٣٦
ابراهيم عبد الرحمن ابو الغيط	٣٧٢
ابو زيد ابراهيم سيد	٣٨٢
ادريس مصطفى دونر	١٩٢٠
احمد حسن جابر رجب (الشيخ)	٤٥٧ ، ٦٢٣ ، ٧٢٧
احمد حسن عبد العواض هلالى	٢٨٣ ، ٦٣٨ ، ٨٠٢ ، ٩٩٢ ، ١١٥٢ ، ١٣٢٨ ، ١٧٥٨ ، ١٩٤٢ ، ٢١٥٤
احمد عبد الحميد غراب (الدكتور)	١٨٤٦
احمد عبد الرحيم السايح (الشيخ)	١٦٦ ، ٣٢٢ ، ٥٠٢ ، ٦٨٤ ، ٨٣٢ ، ١٠٢٢ ، ١١٩٠ ، ١٣٨٢ ، ١٥٧٤ ، ١٨٠٢ ، ١٩٦٧ ، ٢١٨٤
احمد على منصور	٧٤٥
احمد عمر هاشم (الدكتور)	٣٩٤
احمد محمد النجار (الدكتور)	٦٦٠ ، ٨٠٦ ، ١١٥٩ ، ١٣٣٥ ، ١٧٨٠
حمد مصطفى حافظ	٣٠١ ، ٤١٨ ، ٦٥٠ ، ٩٠٦ ، ١١١٢ ، ١٢٩٢ ، ١٦٩٨ ، ١٩٠٥ ، ٢٠٩٢
(ت)	
توفيق على وهبة (المستشار)	١٢٦١
توفيق محمد شاهين (الدكتور)	٣٩
(ج)	
جاد الحق على جاد الحق (الامام الاكبر)	٤ ، ٣٣٨ ، ٨٤٣ ، ١٠٣٧ ، ١٠٦٢ ، ١٤٠١ ، ١٥٩٣ ، ١٨٢٦ ، ١٩٨٥
جليلة رضا	٥٨٢ ، ٧٥٥ ، ١٤٩٢ ، ١٧٠٦ ، ١٩٠٤
(ح)	
حسن جاد (الدكتور)	١١٠

حسن جاد ٢٤٤
٣٨٠
٥٨١
٧٥٢
٩٠٢
١١٠٤
١٢٨٨
١٤٨٨
١٦٩٤

حسن المعايرجى
(الدكتور) ٨٦٠

حسن على العنيسى ١٤٠
٦٧٤
١٣٧٧
١٥٢٤
٢١٢٧

حسين امين زيتون
(الدكتور – طبيب). ١٠٧٧

الحسينى هاشم
(الدكتور) ١٧
٢٤٥
٣٩٠
٧٣٦
١٢٣٠

د · حمدى عبد الحميد المقدم ١١٦٦
١٥٥٢

حمدى الليثى ١٤٩

(خ)

خريطة جزيرة العرب ١٥١٥

(ر)

رءوف شلبى
(الدكتور متولى حسن) ٩٦٨

الربيع الغزالى ١٤٩٠

ريهام احمد مصطفى حافظ ٧٥٤

(س)

سامى عبد العزيز الكومى
(الدكتور) ٢٤٠

سليمان الصغير ١٤٣٩

سوسن محمد نصر
(الدكتورة) ١٤٦٤
١٧١٢

د · السيد الجميلى ٦١٩

السيد حسن قرون ٢٠٤
٤٨٢
٦٦٦
١٠٠٣
١١٢٦
١٣٤٠
١٥٦٢
١٧٧٣
١٩٤٧
٢١٥٩

السيد عبد الله سليمان ١٩٦٢

السيد عبد العزيز هندى
(المستشار) ٣٧٥
٥٦٢
٨٩٦
١٠٩٠

سيف النصر عبد الفتاح ١٦٥٢

شوقى محمود ناجى ١١٤
١٩٠٢

٥٣٠
١٠١٣
١١٨٠
١٣٤٨
١٧٩١
١٩٩٧

(ص)

صفوت عبد الجواد ١٦٦
٣٢٢
٥٠٢
٦٨٤
٥٦٩
٨٣٢
١٠٢٢
١١٩٠
١٣٨٢
١٨٠٢
١٩٦٧
٢١٨٤

صلاح الدين عبد الحميد الهادى ١٨٦٠
٢٠٣٨

صورتا الغلاف الأول والأخير لجريدة الازهر لويلكوكس ١٧٩٠

(ط)

الطاهر محمد الطاهر ١٨٩٧

طلعت محمد عفيفى ٨٢٠

طه عبد الرحيم عبد البر (الدكتور) ١٢٧
٧٥٨

طه عبد الرؤوف سعد ١٩٩٣

طه مصطفى ابو كريشه (الدكتور) ٩٨
٢٥٢
٤٨٩

(ع)

عاطف زهران ١١٦
٢٧١
٣١٤
٥٠٢
٦١٢
١٢٧٥
١٧٤٧
١٩٣٣
٢٠٨٢

عبد الله عبد الحى موسى (الدكتور) ١٣٥

عبد الله مبروك النجار (الدكتور) ٢٤
٤٠٢
٨٨٥
١٧٢٥
٢٠٦٤

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٢٤
٢٨٠
٤١٢
٦١٠
٧٨٦
٩٣٢
١١١٨
١٣٢٤
١٥٣٢
١٧٠٤
١٩٢١
٢١١٢

عبد الجليل شلبى (الدكتور) ٢٤٧

عبد الحفيظ فرغلى القرنى ٣٠٧ ، ٣٥٦

الشيخ عبد المنصف محمـــود عبد الفتاح ٢٠٤٨

عبد الحميد شاهين (الشيخ) ١٥٧ ، ٣١٦ ، ٥٠٠ ، ٦٨٢ ، ٨٣٠ ، ١٠٢٦ ، ١١٤٨ ، ١٣٨٠ ، ١٥٧٦ ، ١٨٠١ ، ١٩٤٠

عبد الرحمن خضير ٥٧٥

عبد العزيز جيرة ٢١٧٧

عبد الرحمن عبد الحميد البر ٤٨

عبد المنعم حافظ قودة ٢٠٤٥

عبد الظاهر عبد الكريم ١٣٦١ ، ١٤٤٣ ، ١٨٦٥

عبد العزيز سليمان نوار (الدكتور) ٥٩٢ ، ٧٧٢

عبد العليم القبانى ١١٠٢ ، ١٣٠٠ ، ١٦٩٦

عبد الفتاح حسين الزيات ١٦٤ ، ٣١٩ ، ٧٩٠ ، ٩٨٠ ، ١١٣٨ ، ١٣٠٧ ، ١٧٣٦ ، ١٩٢٦ ، ٢١٣٨

عبد الفتاح السيد عبد السلام ٣٢٢ ، ٥٠٢ ، ٦٨٤ ، ٨٣٢ ، ١٠٢٢ ، ١١٩٠ ، ١٣٨٢ ، ١٥٧٤ ، ١٨٠٢ ، ١٩٦٧ ، ٢١٨٤

عبد الفتاح الطاهر ١١٠٣

عبد المعز عبد الحميد الجزار ١٢٦٦ ، ١٤٣٠ ، ١٦٥٩

عبد المنعم عمر ١٤٧٤

عبد الودود شلبى (الدكتور) ١٢٨١

على حامد عبد الرحيم ٣٤٦ ، ١٤٣٥

على الفلالى ١٥٩

على محمد حسن العمارى (الدكتور) ١٨٤٠ ، ٢٠١٠

على احمد الخطيب
(الدكتور)
١
١٧٧
٣١٨
٣٣٧
٣٤٣
٥١٣
٦٩٧
٨٤١
١٠٤١
١٢١٠
١٤٠٦
١٥٩٨
١٨٢٥
١٩٨٩

على القاضى ٦٠

عمر عثمان والى
(الدكتور - طبيب)
١٤٧١
١٨٥٥

(ف)

فتحى عبد القادر فريد
(الدكتور)
٦٥٨
١٩٥٥

(ك)

كارم السيد غنيم ١٦٢٠

(م)

متولى الجرجاوى ٥٦٦

مجاهد توفيق الجندى
(الدكتور)
٩٥٠
٢١٠٥

مجدى صلاح ١٣٦٩

مجدى عبد الحميد بشير ١٦١

محمد احمد بدوى
٨١
٧٢٢
١٤٥٥
١٦٣٤

محمد امين بدوى ١٩٢

محمد جمال الدين محفوظ
(اللواء)
٢٢٠
٤٣٢
٧٤٠
١٢٣٤
١٤٢٢
١٦٨٦

محمد حسام الدين
١٠٩٦
١٢٣٩
١٤٦٤
١٦٧٩
١٨٨٥
٢٠٥٦

محمد رجب البيومى
(الدكتور)
٢٢٦
٨٨١
١٢١٨

محمد زين العابدين حسن
(الدكتور)
٤٧٢
٦٤٢
١٣٣٠

محمد سلامة صالح
(الدكتور)
٩٩٥
١١٧٢
١٩١١
٢١٦٩

محمد صابر البرديسى ٨٣
٣٦٧
٥٤٦
٨٦٨
١٢٥٢
١٥٠٦
١٦٦٦
١٨٧٨
٢٠٥٢

محمد عبد الله دراز (الدكتور) ١٠٧٢
١٣١٨
١٦٧٤

محمد عبد الحفيظ العريان (الدكتور) ١٥٤٢
١٧٦٥

محمد عبد الرحمن صان الدين ١١٣
٣٨١
٧٥٣
٩٠٤
١٢٩٠
١٤٨٦
٢٠٩١

محمد عبد السميع ٢٠٧٧

محمد عبد الفتاح حمادة ٩٠٣

محمد عبد المنعم خفاجى (الدكتور) ٨٧
٢١٠
٢١٧
٤١٥
٥٥٦
١١٠٧
١٧٧٠
١٨٨٢

محمد عبد المنعم العتيق ٢١٤٧

محمد عزت الطهطاوى (المستشار) ٧٣
٢٣١
٣٦٠
٦٠٢
٩٤١
١٢٤٥
١٤١٩
١٨٩٠
٢١١٤

محمد عميرة على ١٢٠
٢٧٥
٤٦٧
٦٣٢
٧٩٧
٩٨٥
١١٤٤
١٣٠٢
١٥٣٦
١٧٤٢
٢١٤٢

محمد على حسن على الدشناوى ٢٠٩٠

محمد كامل البنا ٩١٦

محمد محمد خليفة (الدكتور) ١٠
٥٢٠
٧٠٦
٨٥٣
١٠٥٤
١٢٢٣
١٦١٠
٢٠١٧

محمد محمد ابو موسى ١٨٦
(الدكتور)
٣٨٤
١٦٢٦
٢٠٢٩

محمد محمد الشرقاوى
(الدكتور) ٢٠٠

محمد محمد على التورى ٤٩٧

محمد محمود شعبان ٦٧
(الدكتور)
٥٣٨
٧١٤
١٦٤٠

محمد كمال الدين على يوسف ٢١٢٠

« محمد عبد العزيز عبد اللطيف » ٢١٣٣

محمود شاور ربيع ١١٠٦

محمود عبد الرازق العقباوى ٩٢٨
١٥١٦

موسى محمد على ١٦٤٦
(الشيخ)

محمود عبد المعطى بركات ٩١
(الدكتور)
٢٦٢
٤٣٩
١٧١٩
٢٠٩٤

مختار الوكيل ٥٥٠
(الدكتور)
٧٣٠
٨٧٤
١١٢٠

مدحت فتحى شريف ٧٦٨

مصطفى غلوش ١٥٠١
(الدكتور)

مصطفى محمد الحديدى الطير ١٨١
(الشيخ) ٤٢٦
٧٠٠
٨٤٦
١٠٤٦
١٢١٤
١٦٠٢
١٨٣٤
٢٠٠٤

نشأت اسماعيل ١٠٨٨
(الدكتور ـ طبيب)

يوسف حسن نوفل ٥٨٨
(الدكتور)
٨١٢
١١٦٤
١٥٥٩
١٧٨٦

THE SECOND YEAR QFTER HIJRAH.

PAGE - 1817; Dr ANAS M. EL NAGGAR.

ZU AL- KIDAH, 1404

THE GREAT BADRE (PARTI)

PAGE - 1976; Dr. ANAS M. EL NAGGAR.

ZU AL - HIJJAH, 1404

THE GREAT BADRE (PART II)

PAGE Dr. ANAS M. EL NAGGAR.

RABIE AKHAR, 1404

FROM THE TEACHINGS OF ISLAM

PAGE - 691 SOLIMAN BARAKAT

GOMADA-EL OULA, 1404

CONTEMPLATING A SHORT SURA

PAGE - 837 SOLIMAN BARAKAT

GOMADA EL-AKHIRA, 1404

TOWERING AND UNBENDING MINARETS STILLSTA STAND

PAGE - 1030, SOLIMMAN BARAKAT

RAGAB, 1404

THE OBJECTS OF THE HOLY QURN PAGE 1199

SHABAN, 1404

,, ,, (CONTIN) PAGE 1390

,, ,, RAMADAN, 1404

,, ,, (CONT.) 1578

SHAWAL , 1404

,, ,, (CONT;) 1812

ZU-AL KIDAH, 1404

,, ,, (CONT) 1974

ZU- AL HIJJAH, 1404

,, ,, (CONT)

MOHARRAM, 1404

THE HIJRAH OF THE PROPHET MOHAMMAD

PAGE - 171; Dr ANAS M. EL. NAGGAR

SAFAR, 1404

THE FIRST YEAR AFTER HIJRAH

PAGE - 332; Dr ANAS M. EL NAGGAR.

RABIE AWAL, 1404

MOHAMMAD FROM BIRTH TO MARRIAGE

PAGE - 509; Dr. ANAS M. EL NAGGAR

RABIE AKHAR? 1404

MOHAMMAD FROM MARRIAGETO THE REVELATION

PAGE - 694; Dr. ANAS M. EL NAGGRR

GOMADA-EL OULA, 1404

THE REVELATION.

PAGE- 838 Dr. ANAS M. EL NAGGAR.

GOMADA EL-AKHIRA, 1404

THE SUMMONS IN SECRET

PAGE - 1033; Dr . ANAS M. EL NAGGAR

RAGAB; 1404

THE SUMMONS IN PUBLIC

PAGE - 1203, Dr. ANAS M. El NAGGAR.

SHABAN, 1404

THE EGRESS AND THE PRHIBITION

PAGE - 1395; Dr. ANAS M. EL NAGGAR.

SHAWAL, 1404

RAMADAN, 1404

THE NIGHT JOURNEY AND ASCENSION

PAGE - 1583 ; Dr. ANAS M. EL NAGGAR

Anyway. Al-Baqara states there virtually are hopeful believers among the People of the Book. They do follow the Book as it ought to be followed, seeing the truth it holds out and understanding the wisdom it embraces. They are quite unlike the other obstinate heads and their sap imitators who are all doomed to loss

So, before it proceeds to another topic, Al-Baqara again calls the Jews- and the Christians, by the name of "Children of Israel"- who not only was a prophet but also a son, brother and father of prophets - to get back and join the rising community on the only way Allah has appointed out for deliverance.

P.S.

In view of unforeseen pressing consideration, on one hand, and continual illiterate misprints and omissions, the reader is kindly requested to accept the writer's apology for the voluntary cessation after this issue of this vital subject. The writer hopes to reconsider it in new lights and with the help of many reliable reference books and authorities, old and modern, to reproduce it, in snatches or in one volume.

" It is to set things right that I desire, so far I am able. My succour is with one but Allah. In Him I repose my trust and to Him I turn in peniten

have been communed in prayer and men to have been taught His word

In aggravation of their ill-fate beyond any hope of forgiveness, they ascribe a son to Allah, extremely high exalted is He above such blasphemy. None would think so but the same sort of men who want Allah to appear to them and to talk to them.

The Sura tells them it does not befit Allah to have an offspring. To Him belong all east and west, and all that is in the heavens and on earth. Wherever a face turns He is present. Everything other than Him is but His submissive creation, but in no way an offshoot of Him. The Sura then draws attention to the fact that different as are the names and words they use, their argumentation has always been alike, along epochs of history and all over the world.

Next, the Sura addresses the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, in confirmation of his attitude, both as a bearer of good tiding and a warner against unbelief. It also decides for him the boundary of his responsibility, and in fact his aspiration, for the guidance of mankind. It also warns him, and of course his followers, against yielding to the desires of the People of the Book, or Allah would withdraw His protecting and helping him. For he would satisfy neither the Jews nor the Christians until he entirely followed their own ways.

However, the Sura holds Muslims high above abhorring the People of the Book and causing offence to them Muslims must forgive them, bear with them and overlook their misdeeds until Allah accomplishes His will.

Still they must not neglect the positive side of their faith, i.e. the practices for which they are counted believers.

Again Al-Baqara ridicules the claim by the People of the Book that Paradise is exclusively devoted to the Jews or Christians. It requires them to produce their proof if what they say were true. Indeed, happy requital rests on self-surrender to Allah and doing good works, regardless of race or community. So, those who comply with it shall have nothing to fear or grieve over

Nevertheless, the Sūrah proceeds, it is not Islam alone that the People of the Book shoot their suspicions and denials at Even among themselves, each sect disapproves and stultifies the other, all assuming to be alone the right side. So, they are all in the bad habit of discriminating audaciously against Messengers of Allah, causing His word to be divided or even dispersed, and waging wars against others, including their own flesh and blood, with the result that sanctuaries are destroyed and congregations are forbidden where Allah ought to

The Objects Of The Glorious Qur'an

Al-Baqara

BY : SOLIMAN BARAKAT

The Jews wickedly strove to impress on men false reasons to dissuade them from believing in Muhammad, be upon him blessing and peace from Allah. Some Christians too, tried to do the same. Citing a number of Moses' and Jesus' signs and miracles, those different People of the Book agreed together on the claim that Muhammad, blessed be he, did not bring a sign confirming his religious mission.

Al-Baqara speaks it out that such signs and miracles as those they mentioned, and others which they forgot or had no knowledge of, are from Allah. Muhammad, be upon him blessing and peace from Allah, is empowered with signs and miracles superior and equal to the examples they gave or did not.

The Sura then ridicules the motive underlying their argument, i.e. their age-long reputed contention against Allah and His Apostles. It is but ill-judged barter on their part, of faith for unbelief. Surprisingly, it is not unknowingly that they make such a blind choice.

24th. Edition 1978
Sheikh Mohammad Al-Khodary Bey
Publisher, Great Commercial Library, Cairo

3. Mashahid Min Alsira Alatirah
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library - Cairo Printed 1980

4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and Commentary
Abdullah Yusuf Ali

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramadan Albooty
7th. Edition , 1977
Dar Al-Fikr, Cairo

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983 Edition
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah
Revised by Shoayeb Al-Arnoot and Abdel-Quader
Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut, 1981

It is not fitting for an Apostle
That he should have prisoners of war
Until he hath thoroughly subdued the land.
Ye look for the temporal goods of this world;
But Allah looketh to the Hereafter :
And Allah is Exalted in might, Wise .

Surat Al-Anfal, VIII, 67.

Allah then further in the Revelation allows muslims to enjoy the ransom, since, whatever decision was followed, it was an honest sincere endevour on their part toward implementing justice and the right casue.

Here ends the historic incidents of the great battle of Badre, however, it is mandatory to realise that victory was above all considerations ordained and supported by Allah the All-Mighty to establish in concreteness the message of Islam on earth. The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) fully comprehended this fact and directed all functions to satisfy and fullfil its requirements; so was the illustrious triumph.

Praise be to Allah, and prayers and peace be upon our magnanimous Prophet.

REFERENCES

1. Alsira Alnabawiah
   3rd. Edition 1981
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah
2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen

The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) arrived at Al-Madina and was received with triumphant applause by the muslim inhabitants. The Jews and the hypocrites resident at Al-Madina suffered hidden dismay and downcast sadness knowing that the Muslim overwhelming victory at Badre will strenghen the Muslim community at Al-Madina and establish the Islamic structure beyond any regression. At Al-Madina, the Prophet(prayers and peace from Allah upon him) was faced with the problem of the prisoners taken from Koraysh at Badre. Omar Ibn Al-Khatab was of the opinion that they should be killed, reasoning that they were the leaders and heads of Koraysh and idol worshippers who presented a potential danger to Islam. Abu-Bakre Al-Siddiq was of the opinion that the prisoners be released in return of ransom , reasoning that these men from Koraysh were kinsmen and that such noble act may guide them to Islam by light from Allah. The Prophet(praers and peace from Allah upon him)conformed with the opinion of Abu-Bakre and declared that the ransom for every prisoner was four thousand dirhams. One who could not afford the ransom must teach ten Muslim children the elements of reading and writing, before his release.

Regarding the matter of ransom of Badre prisoners taken from Koraysh, the exchange was complete during the months of Shawal and Zu-Al-Qidah of the second year after Hijrah two month after the battle. When it was complete, Quranic revelation indicated non-believers should be thoroughly subdued in battle for they openly and arrogantly opposed the Words of Allah :

ers and peace from Allah upon him) and wife to Osman Ibn Affan who could not attend Badre being busy nursing his wife.

During the return to Al-Madina, differences started between muslims concerning the distribution of the spoils of battle. These differences were terminated by Quranic revelation that decisively dictated the code for such spoils. The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) distributed the spoils with meticulous

> They ask thee concerning the spoils of war, Say "Such spoils are at the disposal of Allah and the Apostle; so fear Allah, and keep straight the relations Between your-sleves : Obey Allah and His Apostle if ye do believe
>
> Surat Al-Anfal , VIII, 1.

justice; even men who did not actually take part in the battle but were indirectly involved, or were engaged in special duties, shared in the spoils

The astounding victory of muslims at Badre over the colossal masses of Koraysh was decisive and conclusive.

The defeated masses withdrew to Mecca dragging behind them the tails of defeat and misery, lamenting their disaster in languid apathy and astonished apprehension. At Mecca, the whole populous of Koraysh mourned and grieved in pungent acrimony, distress and dishonour. The whole structure and prestige of Koraysh was severely shaken to the roots.

between truth and falsehood, between moral and immoral, and between belief and unbelief. The powers of right and truth, of morals and belief were manifestly affirmed.

The battle continued very intensely, and as time passed the position of muslims was rising in strength, confidence, stability and superiority. The masses of Koraysh were dispersing, weakening, demoralised, faltering and stammering confronted with the courage, indurance, intent and purpose of muslims crowned with heavenly support of Angels. Victims from Koraysh increased, and men of high rank and esteemed personalities fell in battle; Al Hakam Ibn Hisham, Umayah Ibn Khalaf Hanzalah Ibn Abi Sufyan, Ubaydah Ibn Al Aas and scores of others. The total number of deaths among Koraysh were seventy, and another seventy one men were captured as prisoners by the muslims. The casualties from the muslims were a total of fourteen; six from Muhagreen, and eight from Al-Ansars.

After the battle was over, and Koraysh withdrew from the field, the Prophet(prayers and peace from Allah upon him) ordered the burial of all bodies. Muslims were burried at the site of battle at Badre except Ubaydah Ibn Al-Harith Ibn Abd Al-Mutaleb who was wounded in the sword fight at the start of the battle died on the way back to Al-Madina and was burried at Al-Safra. The dead from Koraysh were burried in a depression at Badre called Al-Qaleeb.

The Prophet(prayers and peace from Allah upon him)sent couriers to Al-Madina with news of victory and triumph. Abdullah Ibn Abi Ruwaha and Zayd Ibn Haritha arrived at time of burrial of Ruqayah daughter of the Prophet(pray-

Give firmness to the believers;
I will instil terror into the hearts of
unbelievers : Smite ye above their necks
And smite all their finger-tips off them.

Surat Al-Anfal, VIII, 12.

It is not ye who slew them
It was Allah who slew them
when thou threwest, it was not thy act,
But it was the act of Allah;
In order that He might test the believers
In order that He might test the believers
By a gracious trial from himself;
For Allah hearth and knoweth (all things).

Surat Al-Anfal, VIII,17

The battle continued severe, fierce and with adamant resoluteness on both sides. The clans of Koraysh were fighting for prestige, reputation and self superiority aiming at total destruction of muslims and annihilation of the heavenly message of Islam. Their blind stubborn rejection of the Truth and Reality stiffened their hearts and minds, and made them callous and unreceptive to the delicate tenderness of belief and faith. They battled for a worldly mortal aim, inwardly unconvinced of its purpose driven to it by vehement animosity and hatred. The muslims with the new creed whose light they carried in their hearts battled with belief and conviction for acceptance and qualification to the garden of paradise in the life to come, or for the establishment of Truth and Reality in worldly existance. They struggled to mark the Words of Allah as supreme. The whole substance of the armed conflict was a matching of powers between right and wrong,

The Combat between both parties started when Al-Aswad Ibn Abdel-Assad Al-Makhzoomi vowed that he will drink from the water wells, or pull down the water trench the muslims had built, or die at it.

Hamza Ibn Abdel-Mutaleb confronted him and struck him dead. Three men from Koraysh Utbah Ibn Rabee-ah, his brother Shaybah, and his son Al-Waleed came out from the ranks and requested challenge in sword fight. Three men from the Al-Ansar muslims opposed them, but the Korayshians refused them and demanded their equals, men of their own clan from Muhagereen. Ali Ibn Abi-Taleb confronted Al-Waleed and killed him, Hamza Ibn Abd Al-Mutaleb faced Shaybah and also killed him; and Ubaydah Ibn Al-Harith Ibn Abd Al-Mutaleb opposed Utbah exchanged several sword strikes, both men were wounded, Utbah was killed by Ali and Hamza, and Ubaydah was carried wounded to the ranks of muslims. Following this sword fight, the two parties approached each other and soon intermingled in a deadly struggle; muslims were very patient, steadfast and with intent and purpose. The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) took active part in the fighting, and was nearest to the enemy. Allah sent down Angels to support and establish superiority of believers over the idol worshipers of Koraysh. As revealed in the glorious Qur'an:-

> Remember ye implored the assistance of God
> And He answered "I will assist you with a
> thousand of the Angels, Ranks on ranks
>
> Surat Al-Anfal, VIII, 9.
>
> Remember, thy God inspired the Angels
> (with the message)- I am with you:

The Confrontation

The Great Badre Part - 2

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

In the name of Allah Most Gracious, Most Merciful.

On Friday 17th. Ramadan of the second year after the Hijrah was the great and decisive battle of Badre. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) arranged the lines of the members of the Muslim legion, instructed and encouraged them, commanded them to follow the strategy and tactics in vigilant obedience, advised patience and steadfastness; and honest confident convition that Allah is their champion and victor. The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) returned to the shelter to ask triumph and ascendancy from Allah. There was Koraysh in arrogant vanity and pompous ostentatious display, superior in numbers and equipment, skilled in the art of battle, and convinced of an easy victory over the small number humble muslim group that confronted them. The Prophet(prayers and peace from Allah upon him) prayed with intensive fervor and passionate zeolous request, with devout supplication and deep reverence; that Allah should support and ordain sustenance and achievement of conquest for the small troop of devout muslims that gathered to establish that the Divine Words of Allah were supreme.